دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الأول - السنة التاسعة - رجب 1385 - نونبر 1965

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الإسلامية

ثمن العدد درهم واحد

الافتتاحية

J1849

بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربي الثالث

أمة واحدة

كان لقاء تارخيا يهدف الى تشخيص التعاون فى أوسع معانيه ، فى عالم شعاره اليوم التقدم العلمي السريع فى كل المجالات، ويتسم بتكتلات وتجمعات على اختلاف الوانها، وفى جميع المستويات . كما كان فرصة ميمونة لتوثيق عرى الصلات التاريخية والقومية التي تجعل من أمتنا العربية أسرة متماسكة البناء ، متضامنة الاعضاء ، مرفوعة الرأس ، مسموعة الكلمة ، تقوم على فكرة جامعة ، ومبدأ متحد .

وهكذا ، فقد عاشت مدينة الدار البيضاء اياما خالدة مجيدة من ايامها الغر البيض حيث احتضنت مؤتمر القمة العربي الثالث الذي انعقد فى تاريخ 9 سبتمبر الى 13 منه، وكتب له نجاح باهر فى دعم الصف العربي لمناهضة المؤامرات الاستعمارية والصهيونية التي تهدد الكيان العربي ، وتوفير الطاقات العربية تمهيدا لتعبئة القوى لمعركة الكفاح لتحرير فلسطين حتى يتسنى لها أن تلعب دورا هاما فى اقرار السلام ، وتوفير جو يسوده روح الود والاخاء بين البلاد العربية .

ولقد لعب المغرب دورا كبيرا فى انجاح هذا المؤتمر العربي لجامعة الدول العربية ، ووفر له أسباب الفوز والثقة والرضى ، سواء فى ميدان التمهيد له ، أو ابان انعقاده ، ويرجع الفضل الاكبر فى ذلك كله الى حكمة صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني حفظه الله الذي بذل من راحته وعافيته وحنكته ومرونته ما كفل له أسباب النجاح الباهر .

وكان الحماس باديا على أصحاب الجلالة والفخامة رؤساء الدول العربية الذين ازداد ايمانهم بضرورة توحيد الصف لانقاذ هذا الوطن العربي الذي يفيض بالخير وينعم بطاقات هائلة ، وانقاذ ابناء فلسطين المشردين الذين تغاديهم الفاقة ، ويراوحهم الموت ، ويضطربون اضطراب المهيض فى القفص ، ويعلك الالم والبؤس نياط قلوبهم .

كما امتاز مؤتمر القمة العربي الثالث لجامعة الدول العربية بالصراحة والوضوح، والنقد الذاتي ومحاسبة النفس ، لتجديد دارس الطريق ، ونبذ الجفاء والقطيعة .

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الأول
السنة التاسعة
رجب 1385
نونبر 1965
ثمن العدد
درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الأوقاف
الرباط . المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك إلا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو يبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الأوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الإعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالإعلان يكتب إلى :
« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الأوقاف ـ الرباط
تلفون 10·308 ـ 03·327 ـ الرباط

خطاب صاحب الجلالة الملك المعظم

الحسن الثاني

في حفلة افتتاح مؤتمر القمة العربي



الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وءاله وصحبه

اصحاب الجلالة :

اصحاب الفخامة ، اصحاب السمو ، حضرات السادة

يطيب المغرب ملكا وحكومة وشعبا ويسعدنا شخصيا ان نستقبلكم فوق ارض المغرب وفي مدينة الدار البيضاء احد معاقل المقاومة الوطنية والفداء في هذا المؤتمر الكبير الذي تتطلع اليه افئدة وقلوب العرب اجمعين في المشرق والمغرب !

وباسم الشعب المغربي المعتز بلقائكم هذا ان نرحب بكم اعمق ترحيب واطيبه ، وان كنتم في غنى عن الترحيب ، لانكم انما تزالون بلدكم وحللتم بين شعبكم وفي دياركم ، وان قلوبنا ايها الاخوة الاعزاء مفتوحة لكم وصدورنا مفروشة بالود والمحبة لكم وهذا الشعب الذي يبتهج بلقياكم ويسعد بوجودكم كان شعوره شعور الفرحة العارمة . عندما حللتم بربوعه التي ينعقد فوقها مؤتمرنا هذا .

فقد طالما تطلع هذا الشعب بشوق الى سنوح فرصة كهذه يرى فيها قادة الامة العربية يجتمعون بين ظهرانيه للنظر في القضايا المشتركة التي تهم

وكان صاحب الجلالة صريحا الى أبعد الحدود فى خطابه التاريخي ، منطقيا مع ما يعتلج فى نفوس ابناء العرب الذين يعلقون اكبر الآمال على الجامعة العربية بصفتها منظمة اقليمية لها دورها فى هذه الرقعة التي تمتد من الخليج الى المحيط .

فقد قال حفظه الله فى خطابه الافتتاحي الرائع : (ان عودة الملاقات العربية الى التعكر بعد الصفاء ، وتبدد الغيوم يوشك ان يفقد شعوبنا ثقتها فى اجتماعاتنا ، ويوشك أن يفقدنا نحن أيضا الامل فى لقاءاتنا .

ان انظار شعبنا العربي — يقول صاحب الجلالة — متجهة الينا ، وآماله منوطة بنا ، وليس العيب ان نختلف فى طرق الاجتهاد للحصول على الرأي الصائب ، والوصول الى اتخاذ الخطة السديدة ، لكن العيب ان نجتمع ، وعلى هذا المستوى ، وان نفترق والخلافات كما كانت أو تزيد ، فلنتناقش لنتفق ، ولنتصالح لنتصافى ، ولكن علينا دائما أن نخرج متفقين ، ايدينا ممدوده الى عهد واحد ، وقلوبنا منوطة بميثاق واحد)

هذا كلام ملكي واضح مبين لا التواء فيه ولا غموض ، يشير الى ثورة عارمة تعتمل فى نفس الملك الشاب ، وصرخة مومنة تصك المسامع الصم ، وتبلغ القلوب الغلف ، تلفت لها الدهر ، اعلنها صاحب الجلالة الحسن الثاني ايده الله فى رحاب مؤتمر القمة العربي لجامعة الدول العربيه ، وارسلها مدوية امام حراس العدالة ، ورواد المنى وساقة الظعن فى العالم العربي ، ايمانا منه حفظه الله بان فاقد الشيء لا يعطيه ، وان الثورة الحق لا يمكن ان تكون فى دنيا الواقع الا اذا كانت فى عالم الفكر ، ورحم الله امرأ اراهم من نفسه قوه .. وابرز من نردده عزما .

ان الغاية التى استهدف لها مؤتمر القمة العربي الثالث هي تحرير فلسطين المجاهده من نفايات اليهود ، وشذاذ الافاق الذين وضعهم الاستعمار الصليبي العالمي فى العالم العربى شوكة ناخسة فى جنب البلاد العربية حتى يشل حركتها ، ويعوقها عن زحفها من أجل تحررها السياسي والاجتماعي والاقتصادي .

وان ابناء فلسطين الذين يتنافسون اليوم فى مجد الموت وشرف التضحية ، وفخر الاستشهاد فى سبيل انقاذ جزء ليس بهين من الوطن العربي ليمدون ايديهم الى كل عربي فى كل مكان لانجادهم من قوة الظالم ، وانقاذهم من عسف القوى الذي اذاقهم لباس الجوع والخوف .

ان الطريق محفوفة بالمخاطر والقتاد ، وتتطلب الصبر والجلد وطول النفس لكن :

متى ما اطمان القلب بالنفع بالحبا　　　فقد لا يروع الليل والرعد والبرق

وان الامة العربية لتنتظر بفارغ الصبر نتائج اعمال هذا المؤتمر العظيم فى الميدان العملي تلك الاعمال التي انعكست آثارها فى حماس وتضامن المسؤولين العرب ، المومنين بقضايا عروبتهم واوطانهم .

ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله

فالنصر المؤزر لاشك مكفول لمن لا يولي الادبار ، ولا يقبل النكوص ، ولا يرضى الهزيمة ، فيد الله مع الجماعة ، وانما ياكل الذئب من الغنم القاصية .

دعوة الحق

العربية والايفاء باغراضها ومقاصدها لتصبح جامعتنا اداة فعالة لتوجيه المعارك العربية من نصر الى نصر ولقد اصبحت ظروف مزاولة الجامعة العربية لاعبائها انها في حاجة الى هذه المراجعة التي يتحقق بها لمنظمتنا المزيد من الفعالية والايجابية .

ان المطامع الصهيونية تتربص بالعالم العربي دوائر السوء وما مشكلة فلسطين ما تزال منذ سنوات حتى لا نجد حلها العادل واذا كان لاستمرار هذه الكارثة من اسباب فانما يجب ان نعترف ان للعرب ضلعا في المسؤوليات، فالخصومات المتوالية والنزعات والتراشق بالتهم احدث صدعا في وحدة الراي العربي وفي وحدة الصف العربي وامكانياتهم في معارك جانبية بدل ان تنصرف الجهود والامكانيات والهمم لترصد في مواجهة معركة العرب الاولى معركة فلسطين .

وبجانب كارثة فلسطين نجد السيطرة الاستعمارية ما تزال توطد لنفسها في الجنوب العربي كما ان المركبات الثقيلة التي خلفها الاستعمار وراءه ما تزال تثقل كاهل كل بلد عربي وان تعلل الدعاية الصهيونية في بعض اقطار افريقيا لتنذرنا في المستقبل بمشاكل نحن في غنى عنها مع بعض اشقائنا الافارقة دون ان ننسى ما تعانيه جميعا كل في بلده من مشاكل التخلف وضعف التجهيز وقلة الاطارات ونقص الكفاءات .

ان معركة محاربة التخلف ايها الاخوة لا تقل خطورة واهمية عن معارك التحرير بل انها المعركة التي يجب ان نجند لها جميع امكانياتنا وطاقاتنا .

انها معركة تقوية الوجود العربي من الداخل بتقوية الانتاج وتدعيم التجهيز وبرفع مستوى حياة جماهيرنا ببناء القوة الذاتية العربية في جميع المجالات خصوصا واننا نملك رصيدا ضخما من الكفاءات والامكانيات المادية والمعنوية والثروات المحتاجة الى الاستغلال والاستثمار . واذا كان عالمنا العربي يتوفر على اقتصاديات تتكامل بعضها ببعض فان تنسيق الجهود للتنمية هو وحده الكفيل بتحقيق الازدهار الشامل الذي تطمح اليه شعوبنا ، فبالتعاون وتنسيق الجهود واحكام الخطط في الميادين الاقتصادية نستطيع ان نقترب من جميع اهدافنا في الوحدة والتقدم والتحرر والانتصار بذلك على خصومنا كل ذلك ايها الاخوة الاعزاء يطرح امام ضمائرنا وعلى عاتقنا مسؤولية جسيمة تتجاوز حدود الخلافات الجزئية وتتعدى اطار تعارض وجهات النظر وتفرض علينا مصيرنا وحتما ان نواجه بشجاعة المؤمنين المجاهدين وبروح من الصوفية والتجرد والتضحية واقع شعوبنا وان نفتح اعيننا على الاخطار وان ندرأها من الان قبل ان تستفحل وبفوت الاوان .

ولقد كان لقاؤنا في يناير من السنة الماضية فجرا صادقا لاحت معه تباشير الثقة والرجاء وكان لقاء تبددت فيه الغيوم وانزاحت نذر الشؤم والسوء التي كانت تنذر بعودة الصفوف الى الانقسام فاجتمعنا والحمد لله على كلمة سواء وافترقنا في القاهرة ثم عدنا للاجتماع في الاسكندرية ضاربين موعدا لهذا اللقاء .

لقد خرجنا من اجتماع يناير بالقاهرة بالثقة في المستقبل وفي العمل العربي المشترك بعد ان صفت النيات وخلصت الارادات ولكن ما فتيء ان تدهور الموقف العربي مرة اخرى الى ما كان عليه قبل انعقاد مؤتمر يناير . ان شعبنا العربي وهو يتتبع هذا كان يتساءل هل حقا نكون جادين حينما نعلن ان الجو العربي قد صفا ..

ان عودة العلاقات العربية الى التعكر بعد الصفاء وتبدد الغيوم يوشك ان تفقد شعوبنا ثقتها في اجتماعاتنا ويوشك ان يفقدنا نحن ايضا الامل في لقاءاتنا .

ايها الاخوة الاعزاء

ان انظار شعبنا العربي متجهة الينا وآماله منوطة بنا وليس العيب ان نختلف في طرق الاجتهاد للحصول على الراي الصائب والوصول الى اتخاذ الخطة السديدة .

لكن العيب ان نجتمع وعلى هذا المستوى وان نفترق والخلافات كما كانت او تزيد فلنتناقش لنتفق ولنتصالح لنتصافى ولكن علينا دائما ان نخرج متفقين ايدينا مشدودة الى عهد واحد وقلوبنا منوطة بميثاق واحد وها نحن اولا نعود لربط الاتصال في مؤتمر الدار البيضاء وليس لنا هنا ان نعيد قولا قلناه او ننشره صحفا طويناها اذ نحن هنا لنواصل السير من حيث ابتدأنا كان هدفنا هو الاتحاد والعمل من اجل تحرير فلسطين وتقدم الامة العربية وتطورها وما نزال على ذلك موحدين القصد مؤكدين العهد .

فماذا تحقق منذ اجتماعنا في فاتح سنة 1964 .

اننا في اجتماعينا السابقين وفي اجتماعنا هذا وفي اطار جامعتنا العربية لم نجتمع قط لتخطيط خطة العدوان او للتوسع ولكنا اجتمعنا دائما للذود عن حقوقنا للم شعبنا وللدفاع عن حريتنا ولصد المعتدين عن اراضينا اجتمعنا من اجل فلسطين

العرب حاضرا ومستقبلا ولا عجب فالشعب المغربي شعب مسلم عربي بعقيدته ولغته وماضيه وثقافته وآماله ومطامحه شعب كان نضاله من اجل الاستقلال والحرية مرتبطا ارتباطا عميقا بنضاله للحفاظ على عروبته وكان متطلعا بشوق لاهف الى اليوم الذي يلتقي فيه الجناح العربي من الوطن العربي بالجناح الشرقي وصلا للحاضر بالماضي وتطلعا الى مستقبل ستعيد فيه العرب مجدهم ومكانتهم وحضارتهم ففي غمرة الكفاح التحرري الذي خاضه هذا الشعب بقيادة ملكه العظيم والدنا محمد الخامس طيب الله ثراه وفي تلك الاثناء العصيبة التي ضرب فيها الاستعمار حصارا على هذه البلاد ليخنق صوت الحرية فيها وليفصلها عن بقية العالم وعن الامة العربية نقول في غمرة ذلك الكفاح ارتفع صوت والدنا من مدينة طنجة سنة سبع واربعين وتسعمائة والف 1947 ليعلن للعالم عن تصميم هذا الشعب وارادته وليجهر باسم ملايين شعبنا قائلا : «ان المغرب دولة عربية صلتها وثيقة بالشرق العربي ومن الطبيعي ان يزداد هذا الاتصال متانة وقوة سيما وقد اصبحت الجامعة العربية تقوم بدور مهم في السياسة العالمية ، هذا الايمان بالعروبة وهذا التشبث الوطيد بها لم يكن وليد ظروف او حالات عابرة .

ان التاريخ العربي لهذا الشعب لتاريخ طافح بقصص الذود عن حياض العروبة او عن كرامة العرب وامجادهم فقد كان المغرب دائما الدرع الذي يحمي دولة العروبة والاسلام بالديار الاندلسية بسالة حملات الغزو الاجنبي على حدوده وشواطئه تلك الحملات التي كانت تستهدف تحطيم قلعة العروبة في هذه الديار وتنكيس اعلام الاسلام في ربوعها .

وكانت معركة وادي المخازن او وقعة الملوك الثلاثة المشهورة في القرن السادس محنة لكل احلامهم وجعلتهم يقتنعون ان فناء هذه البلاد لن تلين وان دولة العروبة والاسلام منيعة الجانب في هذه الديار .

ولم تكن لهذا النصر عواقبه الطيبة على مصير دولة المغرب التي ازدادت صولة وهيبة ولكن على مصير العالم العربي الذي كان مهددا بعد سقوط الاندلس العربية بغزو استعماري فظيع تقلص ظله — ولو الى حين بعد تلك الهزيمة النكراء التي قطعت الطريق على الاستعمار الذي كان يجد للعبور عن طريقنا الى الشرق العربي .

وعندما بسط الدخلاء راية حكمهم على دولة العرب في الشرق بعد ان وهنت العزائم وسادت التفرقة صفوف العرب وبعد ان امتدت بالتالي الى العالم العربي حملة مسخ الشخصية العربية ومحو معالم الثقافة العربية وقف المغرب يقاوم عند حدود ذلك المد الدخيل ويوقف اكتساحه ويمنعه ان تتطاول يده الى هذه الديار التي ظلت قيما امينا على التراث العربي فحافظ المغرب على استقلاله الوطني مثلما حافظ على كيانه العربي وظل المغرب عبر القرون والى اليوم يحتضن ثقافة الاسلام والعروبة بنشر اصولها ويزدهر معاهده بعلومها وتراثها الخالد .

اصحاب الجلالة

اصحاب الفخامة

اصحاب السمو ، ايها السادة

لم اقصد هنا ان اذكركم ايها الاخوة بعروبة المغرب فما انتم في حاجة الى التذكير وانما عرضت الى هذا الجانب لاؤكد ان رسالة المغرب نحو قضايا العروبة رسالة تاريخية والمغرب في حاضره — امتدادا لماضيه — متحمس لنصرة القضايا العربية في كل مكان مهما شطت الديار وبعد المزار .

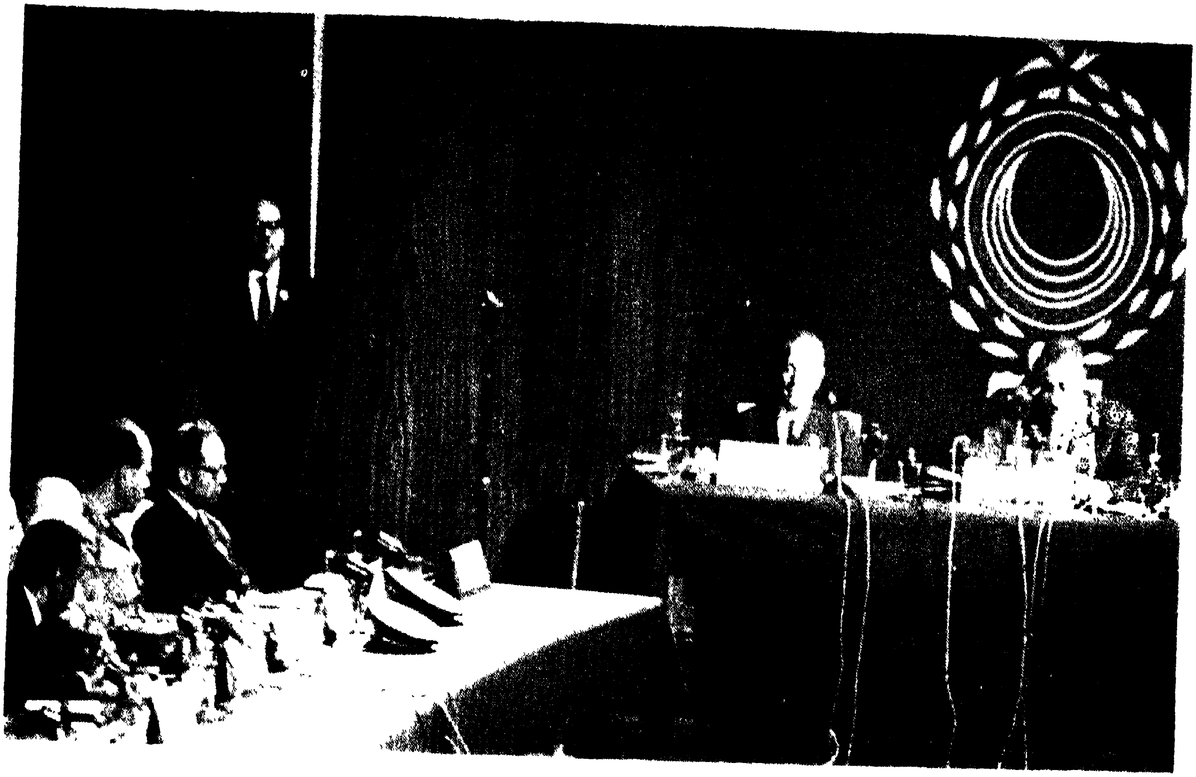
واننا لنضع كل تجارب نضالنا في خدمة البلاد العربية التي لم ندخر وسعا ولم نبخل بجهد في سبيل تعزيز كفاحها المرير من اجل التحرير والسيادة .

ان انضمامنا الى الجامعة العربية لم يكن من اجل ان نملا مقعدا افسحه لنا اخواننا في حظيرة هذه المنظمة ولكن لاننا آمنا من اول يوم انشئت فيه الجامعة العربية انها جامعة ستعمل ويجب عليها ان تعمل لاعزاز جانب العرب والدفاع عن حقهم في الحرية السعيدة والمساهمة في تعزيز ركب السلام والتقدم في العالم .

وفي عصر امتاز بكونه عصر التكتل والتضامن والتعاون بين جميع الدول فان العرب احرى بهم ان يتكتلوا ويتضامنوا ويتعاونوا في اطار منظمة تجمع كلمتهم وتوحد صفهم وتسير بهم نحو اهدافهم وغاياتهم بخطوات ثابتة وايمان قوي، بهذا الايمان دخلنا الى الجامعة العربية بعد حصولنا على الاستقلال لنؤدي فيها دورنا بكل اخلاص كجزء من العالم العربي وكعضو شاعر بمسؤولياته مقدرا للالتزاماته .

وامام المشاكل العديدة والقضايا المتنوعة التي تواجه العالم العربي والتي تستدعي المزيد من الجهود والتعاون وتتطلب صفاء النيات ومضاء الارادات كان على الجامعة العربية ان ترتفع الى مستوى المسؤوليات الملقاة عليها لكي تستطيع ولكي تلعب هذا الدور الكبير طالبنا دائما بضرورة اعادة النظر في تنظيماتها بما يجعلها قادرة على تلبية احتياجات الامة

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر



بسم الله نبدأ اعمال الدوره الثالثة لمجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية متوجهين الى الله عز وجل ان نكون معنا عونا وتوفيقا ، حتى نستطيع تحمل امانة المهمة والمرحلة التى اجتمعنا عليهـا وفى طلالها وقبل ان نستطرد ايها الاخوة فاني اريد باسمكم وتعبيرا عنا جميعا ان اقدم اصدق الشكر واخلصه الى صديقنا العزيز الملك الحسن الثاني على دعوته الكريمة لعقد هذا الاجتماع فى بلده العظيم وعلى الجهد الكبير الذي بذله شخصيا وبذلته حكومته المغرب فى تحقيق هذا المؤتمر وتوفير كل امكانيات العون له ماديا ومعنويا .

وانما لنسعر معا هنا فى هذه القاعة بروح الشعب المغربي البطل ، الذى استقبلنا جميعا بكل حفاوته وحماسته ومنحنا بذلك فضلا عن المحبة والود تأكيدا متجددا فى الثقة بالنفس وفى الهدف . وما دمت ايها الاخوة بصدد الاعتراف لكل صاحب فضل بفضله فلابد ان اشير بالتقدير والعرفان لاهل الدار البيضاء هذه المدينة العريقة الجميله بطلة المغرب العربي على المحيط الاطلسي الذين استضافوا هذا المؤتمر بينهم، كذلك اشير الى عمالة الدار البيضاء التي فتحت لنا هذا المكان ، وما فيه من تسهيلات عديدة ليكون بيتا لاجتماعنا . ثم اشير الى هيئة تنظيم المؤتمر

العربيـة من اجل بعث كيانها وانصاف ابنائها ورفـع الظلم الفظيـع والجرم الشنيـع الذي نزل بهـا منذ سبعـة عشر عامـا .

ولقد سرنـا خطوات موفقه فى تنفيذ مقـررات مؤتمرى القمه الماضيين . واننا لنسجل باسم المغـرب ابتهاج المغاربة وفرحهم بهذه الخطوات .

فالمغرب اذ لبى الدعوة لمؤتمرى القمـة ذهب بعزيمة صادقـة يحدوه الامل فى ان تتصافى القلوب وتخلص النيات لله وللقضيه المشتركة المقدسة وقد اكد المغرب فى مؤتمرى القمة الماضيين استعداده التـام لبذل ما يطلب منه . لان ذلك واجب من واجباتـه ووفى بكل التزاماته . وهو سعيـد بذلك .

والمغرب الذى دعا دائما الى التكتل والى التآزر والتساند كان ولا يزال البلد العربى الذى يدرك مـا يلقيـه على الاسرة العربيه من تبعات فى هذا الميدان .

ان مسؤوليه مؤتمرنـا هذا تتعدى اطار بحث قضايانا العربيه والبت فيها . الى تحديد موافقنـا تجاه ما يعج به العالم من الاحداث العالميه والتأثـر فيهـا .

وان جامعتنـا العربيه بصفتها منظمه اقليميـه معترفا بها من طرف الامم المتحده لها دورها فى هـذه الرقعه الجغرافيه الممتده من هنا الى الخليج وهـذا يحتم علينا ان لا نهتم فقط بالشؤون العربيه وحدهـا فى الوقت الذى يموج فيه اكثر من بقعه فى هذا العالم بالاحداث التى من شأنها التأثير على السلام العالمـى او عرقله موكب تحرر الشعوب فعلى دول جامعتنـا ان تبت بما لها من مسؤوليات دوليه فى هذه القضايا كلها وتتخذ منها الموقف الذى يتلاءم مع التزاماتها وتعهداتهـا خصوصا ونحن على ابواب انعقـاد دوره الامـم المتحـده .

انا نشهد اليـوم سلسله من الاحداث المزعجة هنا وهناك فى هذه القاره او تلك ونرى ان لغه الرصاص والقنابل قد حلت فى بعض اطراف العالم محل الحوار والتفاهم واعمـال الفكر والحكمة فواجب علينـا اذن ان نعير اهتمامنا لما يجرى حولنا ، زياده على مـا ينبغي ان نهتم به من شؤوننا الخاصـه .

اننا نشكل قوة للسلام وللتقدم واذا كان التاريخ قد حملنا هذه الرسالة فعلينا ان نضرب المثل مـن انفسنـا ومن سلوكنـا ، يجب ان يسود التعـاون الاخوي بيننا وان نرصد كل قوانا وكل امكانياتنـا للدفاع عن الحريـة والكرامـة والسلام .

لذلك كان من تباشير الخير لاجتماعنا هذا وقف اطلاق النار فى ربوع اليمن الشقيق تلك البلاد التـي دارت بها رحى الحرب بين الاخوة ، اننا لنحمد اللـه على نهايـه تلك المأساة ونحيى من اعماق قلبنا وباسـم شعبنـا الذي كان يتتبع تلك الحرب بقلب واحساس مفعم بالحسره ، الاخوين جلالة الملك فيصل وفخامة الرئيس جمال عبد الناصر اللذين باتفاقهما تم حقـن الدم العربـى فى تلك الديار وعاد السلام الى تلـك الربـوع ، فتـم الاحتفاظ بامكانيات بشريـة ومادية مـا احوج العرب اليها فى معركـة التحرير والبنـاء والدعـم .

ان المغرب الذى مد دائما يد الاخوه بيضـاء طافحه بالحب لاعضاء الجامعة العربيه لا يفرق بين احد من اخوتـه انه يعتبرهم بمثابه الاصابع فى الكـف الواحده والعضو فى الجسم الواحـد .

لذلك فان امله لكبير فى ان يكون اجتماعنـا هذا اجتماعا يتم فيه الشمل ويتحد حولـه الاواصـر وتتوثق الروابـط وتتحد الارادات لتتم بذلك فرحتنا الكبرى التى هى فرحـة كل عربـى فى كل قطر مـن اقطار العروبـه .

اصحـاب الجلالـه

اصحـاب الفخامـه

اصحـاب السمـو

حضـرات السـاده

باسمنا وباسم شعبنا المتطلع الى اجتماعكم هذا واسمح لنفسي ان ارحب بكم باسم هذا الجنـاح المغربـي من العالم العربـي الذى لا شك فى انى اعبر عن احساسه والذى ينعقد فوق ارضه لاول مـرة فى التاريـخ اجتماع عربـي فى هذا المستوى فيحيـي بذلك الذكرى العشرين لميلاد جامعتنـا والذى يبتهج اليـوم وهو يرى الحواجز المصطنعـة بينه وبينكـم قد انهارت لانقل لكم عبارات وده واخوته الصادقـة راجيا لكم مقاما طيبا فى ارضكم هذه وبين شعبكـم هذا وان تحملوا الـى شعوبكم اجمل الذكريات عـن المغرب الذى سيعتز بهذا اللقـاء .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد ان هديتنا وهب لنا مـن لدنك رحمة انك انت الوهاب ، صدق الله العظيـم والسلام عليكـم ورحمة الله .

محاولات الاستعمار المتواصلة ضدنا هو ايقـاع الانفصال بين مجالات نضالنا ولسوف يـزداد التركيز على لعبة الانفصال ، كما نرى البوادر مما يجري الان فى السودان فى المؤامرة لاحكام الفرقة بين الشمال والجنوب تلك مسألة لابد ان ننتبه لها وان نصمم على وضعها فى مكانها الصحيح .

ان خمسا من الدول العربية نملا الشمال الافريقي كله ولا ينبغي ان نسمح مهما كان الثمن للطامعين بان يقسموا القارات على هوى مطامعهم لكي يسودوا ويحكموا ولكي يمهدوا الارض لسيطرتهم ولتسلل ادواتهم الاستعمارية وبينها اسرائيل .

ايها الاخوة بل اني لاذهب الى ابعد من حدود افريقيا واسيا لاقول بان الحركة الشاملة للامة العربية لا تجري فى كوكب ءاخر غير هذه الارض وبالتالي فنحن جزء من عالمنا ونحن قوة من قواه الفاعلة والمؤثرة وان كل ما يجري من حولنا يعنينا ويتصل بنا ولا نملك ان نحصر اهتمامنا على ما يجري فوق ارضنا وحتى لو قمنا بذلك فليس من ضمان يشد عنا ضروب فعل الاحداث العالمية وعواقبها ونحن لا نستطيع ولا نملك هنا ان نتجاهل الاصطدام الدامي والمؤسف بالنسبة لنا جميعا بين الهند والباكستان كذلك لا نستطيع ولا نملك هنا ان نتجاهل ما يجري فى فيتنام ومشاكل نزع السلاح ومشاكل التنمية والتجارة كلها مشاكل تؤثر علينا مباشره ولا نستطيع ولا نملك ايضا ان نقابلها بالتجاهل نحن جزء من هذا العالم ولا نستطيع ولا نملك ان ننساه لاننا لا نستطيع ولا نملك ان نتحمل نسيانه لنا وهو ما نتعرض له فعلا اذا جازفنا وحبسنا انفسنا فى اقفاصنا .

ايها الاخوة ارجوكم عذرا اذا كنت قد اطلت لكني اردت ان اطل معكم على الافق ثم ادعو الله ان يبارك جهدنا وان يحقق به امل امته وان يرفعه الى مستوى مطالبنا الحقة والعادلة والسلام عليكم ورحمة الله .

ونجاحها الباهر الذي يشهد به كل ما حولنا ، ويبقى ان اعبر عن رضاكم بالعمل المنار الذي انجزه وزراء الخارجية تمهيدا لاجتماعنا الان . واعداداتـه حتى نتمكن هذا الاجتماع كما اسلفت من ان نتحمل بكفاءه وجداره المهمة والمرحله التي اجمع عليها وفي ظلالها فانه من الواضح ان اهم ما يواجهنا ويواجه عصرنا باستفاضة عن المهمة او عن المرحلة . ان المهمـة باختصار هي تحرير فلسطين ضمن الحركة الشاملة للامه العربية من اجل تحررها السياسي والاجتماعي والاقتصادي واني لاود ان اضغط بالتاكيد على انـه لا يمكن الفصل بين تحرير فلسطين وبين الحركـه الشاملة للامة العربيـة .

واذا كانت مشكلة تحويـر ميـاه نهـر الاردن هي الدافع المباشر الذى حدا بي الى ان اوجه مـن بور سعيد الدعوه الاولى لاجتماعات القمة العربيـة فلا ينبغي لاى فرع من الفروع ان يشغلنا عن الابعـاد الاصليـة والحقيقيه للمهمه التى تنتظرنـا .

وفيما يتعلق بالمرحله التي نباشر مهمتنا فـي ظلالها فانه من الواضح ان اهم ما يواجهنا ويواجه غيرنا من الامم فى هده الحقبه المعاصرة من وجود الاستعمار باشكاله القديمة والجديدة وفي الواقع فان اسرائيل الى جانب ما تحويه من عدوان عنصرى . هي ايضـا عدوان استعمارى بل انه لولا العدوان الاستعماري مـا تمكن العدوان العنصرى من الارهاب الذى اغتصب به ما اغتصب من الارض الفلسطينيه العربيه وذلك يعني اننا نوجه . فاننا فى ظروف المرحلة ضروره تبين جبهة العدو على امتدادها ومهما كانت اساليـب التخفى والتمويه . ونعنى ان ندرك اننا لا نمـارس مواجهتنا للمهمة وللمرحله فى فراغ . وانما نحن نتحرك وسط ظروف طبيعيه وانسانية وتاريخيه لها احكامها، ولها مصاعبها وبدون ما رغبه فى سبق مناقشاتنا هنـا فنحن نذكر انه منذ اجتماعنا التاريخى فى الاسكندريه فى مثل هذا الشهر من العام الماضـى جدت علينـا تطوراتوطوارىءلابدانيعطيهاجميعامن التفكيروالاهتمام على انه من الانصاف ان اسبق الى ان هده الفتـرة ايضا كان لها نصيبها من المؤشرات الايجابية ومـن ابرز هذه المؤشرات الايجابية ان هذا المؤتمـر عقد فى زمانه ومكانـه .

وليس هذا فى رايي بالشيء القليل . كذلك فـان انعقاد هذا المؤتمر هنا فى المغرب العربي وفى هذه المدينة المطلة على الاطلس هو امر له دلالته فيما يشير اليـه من وحده العالم العربـي . من الخليج الى المحيـط اضيف ايضا ايجابية ما توصلنا اليه مع اخوانـنا فى المملكة العربية السعودية فى هدف توفيرنا توطيـد السلام فى اليمن لكي يستطيع الشعب اليمني ان يدفع عملية بناء وطنـه وتعويض التخلف الذي فرض عليـه فى جو تمكنه ارادته الحرة ان تصله الى حدود القـرن العشرين ليستطيع الاسهام فعليا فى الحركـة الشاملة لامتنا العربية . وعلى هذه الناحية اشير ايضا الـى جهود القيادة العربية الموحدة وقيامها بدورها المطلوب واشير ايضا الى جهود ودور هيئة استغلال ميـاه نهر الاردن والى جهودودورمنظمة التحرير الفلسطينية والى الرقم المادى الذى نقول باننا دفعنـا فعلا حتـى الان مبلغ 49 مليون جنيه استرليني لاقامة وحمايـة المشروعات العربية لكنني انبه على الفور الى ان هـذا كله لا يعتبر كافيـا ، لكنني اضيف انه اذا كان الواقع محدودا فان الممكن الى حدود ، وفى الحقيقه ايهـا الاخـوه انه برغم الظروف والاخطار فان الامة العربية لا تملك بديلا غيـر النصـر وليس لها غير النصر من سبيل وانها لتملك اسلحة النصر وتملـك ارادة ان تنتصر لديها الطاقه البشريه الخلاقه . ولديها مواردها وعملها المقـدر ، ولديها الموقع الجغرافـي الفريـد ، ولديها التاثيـر المعنوى والحضاري الخلاق وعليهـا الان ان تحصـن حيز كل ما لديها وان تحصـن تحريره وان تحسـن الدفاع به عن قضاياها . وهذه مهمتكم المجيده انتم الذين وضعتكم شعوب الامه العربية فى موضـع القياده وشرفهـا .

ايها الاخـوه ان هذه القاعة تذكرني باجتمـاع حضرته فيها مشاركه فى اعمال مؤتمر الدار البيضـاء سنة 1961 الذى كان نواه خدمة للعمل الافريقى ولعل الملك الحسن الثاني يذكر الليالى الطويله التى قضيناها هنا بانتظار تحقيق ترابط النضال العربي والنضـال الافريقى ونشرح قضيـة فلسطين لاول مرة امـام ساسه افريقيـا فى اطارها الصحيح باعتبارها شكلا من اشكـال الاستعمار الامر الذى حدا بعدد من ابـرز الزعماء الافريقيين واكثرهم نفوذا الى ان يضعـوا توقيعهم معنا على القرار الذى يدين اسرائيـل باعتبارها قاعده للعدوان واداه من ادوات الاستعمـار الجديد . واذكر هنا بوفاء فعل صديقنا المغفور لـه الملك محمد الخامس ذلك المجاهد العربي الذى ظـل يحمل اللواء بشجاعة حتى اللحظه الاخيرة من حياتـه دفاعا عن الحريـة العربية والحريـة الافريقيـة واذا كنـا اليوم نجتمع فى اطار عربي فاني اود ان اؤكـد ان مجالات النضال متشابهة وبالتالي فان الارتبـاط المصيري بيننا واحد مؤكد واننا لنشعر انه من بيـن

السيد الرئيس

اصحاب الجلالة والفخامة والسمو

ان اعمال هذا المجلس بالغة الخطورة حاسمة النتائج على مسيرة العمل العربي المشترك الذي اجتمعتم على تقرير خطته في العام الماضي مرتين.

واني لارى في افق هذا الاجتماع اعلاما تضيء لنا سبيل الامل، في نتائج اقوى فعالية واعز مكانة. واول هذه الاعلام التفاؤل في هذه المدينة العربية السمحاء على المحيط الى الخليج. والثاني توقيع اتفاق جدة منذ عشرين يوما بين جلالة الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر اتفاق شداه الروابط الاخوية والمصالح القومية ومن اهدافه على مشارف هذا المؤتمر تحقيق انجازات اوسع وابعد اثرا.

والثالث الحقيقة المتجددة الفارضة على ان المصالح والحرية العربية واحد لا تتجزأ.

والرابع هذه المطامع الصهيونية الاستعمارية المشتركة واعمال العدوان المتزايدة علينا والمؤامرات التي تدبر بلا هوادة ضد وحدة العمل العربي وما تستوجبه كل ذلك من دعم تضامننا وتنقيته جوبا من جميع الشوائب وكفالة المزيد من الفعالية للخطة العربية المقررة الذي باركتها الامة العربية جمعاء وعلقت عليها اعظم الامال.

سيدي الرئيس اصحاب الجلالة والفخامة والسمو ان جدول اعمال المجلس حافل بالمسائل ذات الاهمية القصوى لقد حرصت الامانة العامة على ان تعرض الموقف بجلاء وصراحة وان امتكم لتامل كل الخير في اجتماعكم. وان النضال القومي لحرية فلسطين والجنوب المحتل وعمان والخليج العربي ولبناء التقدم الاقتصادي والاجتماعي للوطن العربي اجمع لتنتظر المزيد من دعمكم وتأييدكم وان العالم كله على اختلاف منازعه لترقب نتائج هذا الاجتماع، وان اعداء الحرية والتقدم والوحدة العربية ليمنون انفسهم باطل الاماني وانتم اقوى من يزهق الباطل. وانتم خير من تجيب داعي القومية وتعطي كلمة الحرية. والله يرعاكم ويحفظكم ذخرا لوطنكم النبيل ولامتكم الخالدة وعونا للبشرية في نضالها لبناء السلام العالمي على قواعد العدل الدولي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



صورة فريدة تحمل اكثر من معنى ..
ملوك ورؤساء الدول العربية في طريقهم الى المسجد لاداء صلاة الجمعة يركبون سيارة واحدة

خطاب الأمين العام للجامعة العربية

السيد عبد الخالق حسونة



سيدي الرئيـس

اصحاب الجلالة والفخامة والسمو

باسم جامعة الدول العربية وباسمي يسعدني ان ارحب بلقائكم الكبير في الدار البيضاء تعبيرا عن وحدة امتنا ديارا وشعوبا ومبادىء واهداف .

كما يسرني ان اعرب لجلالة الملك الحسن الثاني ولشعب المملكة المغربية وحكومتها عن اصدق العرفان بالحفاوة الصادقة والمعاني الاخوية التي اسكرها على الاجتماع الثالث للملوك والرؤساء العرب وحين نمضي في هذه الدار او في اي مكان بالمملكة المغربية بل في الوطن العربي الكبير حقا علينا ان نذكر المناضل البطل المغفور له الملك محمد الخامس والمبادىء القومية التي آمن بها لخير شعبه وامته العربية وما اضفاه على الجامعة من تكريم حين التقى مجلسها في هذه الدار لست سنوات خلت طيب الله ثراه وابقى مبادئه مضيئة لسبيل المؤمنين والعاملين .

قرارات الملوك والرؤساء لدول الجامعة العربية في دورة اجتماعهم الثالث في الدار البيضاء من 13 إلى 17 شتنبر سنة 1965

اولا : تقرير مجلس وزراء الخارجية : نظـر مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربيه فى تقرير مجلس وزراء الخارجية عن اجتماعاته من 9 حتى 13 شتنبر ايلول 1965 . ووافق عليـه .

ثانيـا : تقرير الامين العام عن الموقف العربـي والدولي . احاط المجلس علما بما تضمنه تقرير الامين العام عن الموقف العربي والدولـي .

ثالثا : دعم التضامن العربي . ووافق المجلس على ميثاق التضامن العربي ووقعه الملوك والرؤساء العرب فى يوم 19 جمادى الاولى من عام 1385 ، الموافق 15 شتنبـر ايلول 1965 . واودعوه الامانه العامة بعد ان تسلموا صدرا منه واتفقوا على ان تصبح نافـذا ابتداء من اليوم وهـذا نصـه :

ايمانا بضرورة التضامن بين الدول العربية ودعم الصف العربي لمناهضة المؤامرات الاستعمارية والصهيونية التي تهدد الكيان العربي وبقيننا منـا بالحاجة القصوى لتوفير الطاقات العربية تمهيـدا لتعبئة القوى لمعركة الكفاح لتحرير فلسطين وايمانـا بالحاجة الى الانسجام والوفاق بين الدول العربيـة لكي يتسنى لها ان تلعب دورا فعـالا فى اقرار السـلام ورغبة منا فى توفير جو يسوده روح الود والاخاء بيـن البلاد العربية حتى لا يتمكن الاعداء من ان يفتـوا فى عضد الامة العربية . فقد التزمنـا نحن ملوك ورؤساء الدول العربية فى مؤتمر القمة المنعقد بالدار البيضـاء بيـن 13 و17 شتنبر 1695 . ما يلـي :

اولا ـ العمل على تحقيق التضامن فى معالجـة القضايا العربية وخاصة قضيـة تحرير فلسطيـن .

ثانيـا : احترام سيادة كل من الدول العربيـة ومراعاة النظم السائدة فيها . وفقا لدساتيرهـا وقوانينها وعدم التدخل فى شؤونها الداخلية .

ثالثا ـ مراعاة قواعد اللجوء السياسي وادابـه وفقا لمبادىء القانون والعرف الدولـي .

رابعا ـ استخدام الصحف والاذاعات وغيرهـا من وسائل النشر والاعلام لخدمة القضية العربيـة .

خامسا ـ مراعاة حدود النقاش الموضوعي والنقد البناء فى معالجة القضايا العربية ووقف حمـلات التفكك والمهاترة عن طريق الصحافه والاذاعة وغيرها من وسائل النشـر .

سادسا ـ مراجعة قوانين الصحافة فى كل بلاد عربي لفرض فى التشريعات اللازمة ضدجميع اي قول او عمل نحرف عن حدود النقاش الموضوع والنقد البناء مـن شأنه الاساءه الى العلاقات بين الـدول العربيـة او التعريض بطريق مباشر او غير مباشر بالتجريح لرؤساء الدول العربيـه .

سابعا ـ استعراض الاوضاع الدولية الراهنـة نظـر المجلس تقريـر مجلس وزراء الخارجيـة بشأن تحديد السياسه العربية فى المجال الدولي طبقا لمـا تضمنه البيان السابق عن دورة الاجتماع الثالـث للملوك والرؤساء العرب ووافق عليـه .

ثامنـا ـ الجانب الفني نظر المجلس تقرير الامين بشأن سير العمل فى المشروع العربى الموحد لاستثمار مياه نهر الاردن وروافده وتقرير مجلس ادارة هيئـة المشروع فى اجتمـاع يوم 26 اغسطس اب لعـام 1965 وقرر ما يلـي :

خطاب صاحب الجلالة الحسن الثاني

في انتهاء المؤتمر

الحمد لله
والصلاة والسلام على رسول الله
اصحاب الجلالة
اصحاب الفخامة
اصحاب السمو
حضرات السادة

لقد كان لكلمات الشكر والثناء التي تكرم سياده الرئيس ففاه بها تقديرا لشعبنا واشادة لجهدنا اطيب الوقع واعمق الاثر في نفسنا واننا لعاجزون عن التعبير عن مشاعر الفرح والابتهاج التي يحس بها كل فرد من افراد شعبنا بهذا اللقاء العربي التاريخي وسيبقى شعبنا معتزا وفخورا بهذه الايام الخالدة المجيدة التي اجتمع فيها في احدى حواضره الزاهرة قاده الامة العربية من الخليج الى المحيط .

اننا وقد اوشك هذا الجمع الميمون على التمام لنحمد الله جل وعلا ان حقق لنا ما املنا لهذا المؤتمر يوم افتتاحه ، فقد طبعت مداولاته بطابع الصراحة والجدية والواقعية وهيمن على جوه روح الحوار الهادف النزيه . واستهدف مناقشاته قضايا العروبة والدفاع عن مصالحها فكانت المقررات التي اسفر عنها المؤتمر في مستوى الاحداث التي يعيشها عالمنا العربي محققة لامال المواطنين العرب الذين كانوا يتطلعون الى اتخاذ قرارات من النوع الذي اتخذناه تنقي الجو العربي وتؤكد عرى التضامن والتعاون بين دوله وشعوبه وتوحد مناهجهم وخططهم لتحقيق الاهداف المنشودة في الحرية والعزة والكرامة .

واذا كان لنا ان نستخلص بعض نتائج المؤتمر الايجابية التي تشكل عناصر نجاحه فاننا لا نغفل في الطليعة ما تميز به من ارادة وتصميم على بعث الثقة المتبادلة بين دوله تلك الثقه التي لابد منها للانطلاق نحو تعاون افيد واشمل وتضامن اقوى وامن .

كما لا نغفل ان هذا المؤتمر قد وضع الاسس العلمية لدعم التضامن العربي دعما صحيحا في جميع المجالات ايمانا بان قوتنا الحقة تكمن في هذا التضامن عن طريق تيسير اسبابه وازاحة كل ما يعرقل قيامه وندعمه فالتقدم العربي وانطلاقة العرب نحو غد افضل مرهونان بهذا التضامن اذ ان خصومنا يستمدون عناصر وجودهم واسباب تطاولهم علينا من تخاذلنا وتشتت صفوفنا ، لذلك نامل ان يكون مؤتمرنا هذا بداية لعهد تضافر الجهود وتعبئة القوى لتسخير امكاناتنا في معركة التقدم والبناء وتحرير فلسطين والاجزاء المغتصبة من وطننا العربي والنضال ضد التخلف الذي يجب ان نخوضه وبتعاون وتنسيق لصالح شعوبنا ولتطوير مستقبلنا .

ولئن كان من طبع الفرد العربي التفاؤل والتيامن فاننا لنحس ونحن نكاد نفترق في انتظار لقاء جديد بايمان عميق بحسن مستقبل العروبة ويقين مكين بنجاح قضايا شعوبها واعتقاد راسخ باننا سائرون نحو مستقبل اسعد وافضل يكون غدنا احسن من يومنا وامسنا ، وان من يمن الطالع ان تجعل العناية الالهية نهاية هذا الاجتماع في يوم الجمعة وهو يوم يرمز الى الاجتماع والاتحاد والتعاطف والتسامح .

اننا نسأل الله العلي القدير ان يوفق قادة الامة العربية وشعوبها الى الخير والرشاد ويجمع كلمتنا على الحق والبر والتقوى حتى نستأنف اداء رسالة العروبة التاريخية ونكون خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وتومن بالله .

والسلام عليكم ورحمة الله

بيان مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية في دورة اجتماعه الثالث بالدار البيضاء

ان مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية في دورة اجتماعه الثالث بدار العمالة بالدار البيضاء منذ التاسع عشر حتى الحادي والعشرين من جمادى الاولى لعام 1385 ، الموافق الثالث عشر حتى السابع عشر من سبتمبر ايلول سنة 1965 . حيث المعني الملك حسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية والسيد الهواري بومدين رئيس مجلس الثورة ورئيس مجلس وزراء الجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية والرئيس اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة الجمهورية العربية السودانية والرئيس جمال عبد الناصر سعدان عارف رئيس الجمهورية العراقية والملك فيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية والسيد الفريق محمد امين الحافظ رئيس مجلس الرئاسة للجمهورية العربيةالسوريةوالرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة والرئيس المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية والامير عبد الله السالم الصباح امير دولة الكويت والرئيس شارل حلو رئيس الجمهورية اللبنانية والامير الحسن الرضى نائب جلالة ملك المملكة الليبية والملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية والسيد احمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قد عني في بداية الاجتماع ببحث موضوع التضامن العربي القاعدة الاساسية لوحدة العمل المشترك للتحرر من الاستعمار والصهيونية وجميع مظاهر السيطرة الاجنبية ، ودعم التقدم العربي اقتصاديا واجتماعيا .

والتزم الملوك والرؤساء العرب بميثاق التضامن العربي تأكيدا لوحدة المبادىء والاهداف وتوحيدا لجميع الجهود والطاقات العربية لخدمة القضايا الاساسية والمصالح القومية العليا . كما التزموا بالحفاظ على وحدة التراب الوطني للاقطار العربية وهم يستنكرون كل محاولة استعمارية وانفصالية ترمي الى انتقاص بعض اطرافها وقرروا مؤازرة الاقطار العربية بكل الطاقات ودرء كل محاولة من هذا النوع . وقد عالج المجلس الجوانب المختلفة لقضية فلسطين واتفق على الخطط العربية في سبيل تحريرها . ودعم منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير كما اقر الخطة العربية الموحدة للدفاع عن قضية فلسطين في الامم المتحدة والمحافل الدولية ومقاومة المحاولات الرامية الى تصفية قضية اللاجئين واكد المجلس مساندة النضال الوطني للجنوب المحتل والتمسك بتحرير هذه المنطقة العربية وتطبيق قرارات الامم المتحدة . كما اكد تأييد نضال الشعب العماني من اجل الحرية . ومساعدة الخليج العربي في سعيه للتحرر والتقدم. وقرر الملوك والرؤساء العرب دعم القيادة العربية الموحدة والمضي في اعمال استثمار مياه نهر الاردن وروافده طبقا للخطة المرسومة وصدورا عن تجارب النضال العربي التاريخي للتحرر من الصهيونية والاستعمار بشتى صوره وتطبيقا للمبادىء التي التزمت بها الدول العربية في ميثاق جامعة الدول العربية والامم المتحدة ومقررات باندونغ

1 ـ ان تستمر الدول المعنية فى اعمال المشروع العربي الموحد باستثمار المياه لنهر الاردن وروافده وفقا للخطة المرسومة وطبقا لما تقرر بشأن الحماية العسكرية المطلوبة .

2 ـ تكليف مجلس ادارة هيئة المشروع بنقل بعض الاعتمادات المرصودة من قسم الى قسم طبقا للبرنامج الزمني الجديد الذي يضعه على اساس سير العمل وفى ضوء ما يوفر من الحماية بالمشروع فى اقسامه المختلفة .

3 ـ ارجاع النظر فى المبالغ الاضافية المفروضة للقسمين الاردني والسوري الى الدورة المقبلة وذلك حتى يتم صرف المبالغ الموفرة لدى الهيئة فى المرحلة الحالية .

4 ـ ان يبحث مجلس اداره الهيئة مع السلطات اللبنانية المختصه موضوع القرض المطلوب لمشروع سد النبطيه وما يمكن ان يساهم به الهيئه فى هذا القرض من المبالغ المخصصة للقسم اللبناني .

5 ـ اجتماع مجلس رؤساء الوزارات ، اعاد المجلس النظر فى النظام المقرر فى اجتماع مجلس رؤساء الدول الاعضاء وقرر ان يكون اجتماعه فى شهر مارس اذار من كل عام .

6 ـ الكيان الفلسطيني درس المجلس المطالب التى تقدمت به منظمة التحرير الفلسطينية وخاصة بتوفير الحرية الكاملة للتنظيم الشعبي لابناء فلسطين ولاجراء انتخابات عامة مباشرة للمجلس الوطني الفلسطيني ورأى المجلس ان تقوم المنظمه بالاتصال بالدول الاعضاء المعنيه للتفاهم على الاجراءات اللازمه .

7 ـ جيش التحرير الفلسطيني قرر المجلس تكليف القياده العربية الموحدة بالاشتراك مع قيادة جيش التحرير الفلسطيني بالسير فى انشاء القوات الفلسطينية المنصوص عليها فى المرحلة الثانية من خطة الانشاء .

نص البلاغ المشترك الصادر عقب المحادثات الرسمية التي جرت بين

جلالة الملك والرئيس جمال عبد الناصر

في زيارته الرسمية للمغرب



قام الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة بزيارة ميمونة للمغرب بدعوة من جلالة الملك المعظم الحسن الثاني .

وقد تمت زيارة الضيف الكبير للمغرب عقب انتهاء مؤتمر القمة العربي الثالث ، وذلك فيما بين 18 و23 سبتمبر 1965 .

وقد عمت هذه الزيارة الاخوية ، بين بطلي العروبة ، علاقات الود والصداقة بين الشعبين العظيمين ، كما مكنت الرئيس جمال عبد الناصر من أن يرى الشعب المغربي العظيم فى نواحيه المختلفة ، فقد رأى فيه العاطفة المشبوبة ، والحماس المتقد ، والشجاعة والبطولة ، ورأى فيه الشعب البطل القوي الذي يعمل على التقدم والازدهار ، وعلى تدعيم حريته واستقلاله وعلى بناء وطنه المغرب ، ورفعة شأن العروبة تحت القيادة الرشيدة لمولانا صاحب الجلالة الملك المعظم نصره الله .

وقد وجه الرئيس جمال عبد الناصر الدعوة الى جلالة الحسن الثاني لزيارة الجمهورية العربية المتحدة فتقبلها جلالة الملك بالشكر .

وعقب المحادثات بين البطلين العظيمين صدر بلاغ مشترك عبر عن اتفاق شامل حول جميع القضايا ، كما عبر عن انسجام تام فى مختلف وجهات النظر ...

ومؤتمر بلغراد والقاهرة للبلاد غير المنحازة والمؤتمر الدولي للتنمية والتجارة وايمانا بالسلام القائم على العدل . وبضرورة تنمية التعاون الدولي اقتصاديا واجتماعيا ونهوضا بالمسؤولية الدولية المحتومة فى عالم اليوم لتطوراتها الواسعة ونظمه البينه يؤكد الملوك والرؤساءالعرب انقضايا الحريةوحدةلا تجزأ وان العدوان على اي منها عدوان على سائرها ويدعون مجددا الى التخلي عن سياسة القوة والى حل المشاكل الدولية بالوسائل السلمية ، واحترام حق تقرير المصير لذا فهم يعربون عن شديد القلق للنزاع المسلح بين الهند والباكستان ويناشدون الدولتين المبادرة الى وقف القتال والى حسم النزاع بالطرق السلمية . طبقا لمبادىء الامم المتحدة وقراراتها كما يعربون عن بالغ القلق للموقف الخطير فى فيتنام ويدعون الى حل المشكلة وفق اتفاق جنيف لعام 1954 . وقد اتفقوا على ان التعاون الافريقي الاسيوي قاعدة ثابتة للسياسة العربية وعلى ان تنهج حكوماتهم نهجا موحدا فى هذا المجال وان تعمل مع حكومة الجزائر لعقد المؤتمر الاسيوي الافريقي الثاني فى الخامس من نوفمبر تشرين الثاني المقبل بالجزائر ولانجاح اعماله لخير القارتين ولخير البشرية جمعاء .

وقد استعرض الملوك والرؤساء العرب الموقف فى القارة الافريقية واشادوا بالدور الايجابي الذي تنهض به منظمة الوحدة الافريقية لتحرير القارة وتقدمها وهم يؤيدون كفاح الشعوب فى الحرية فى انكولا وموزامبيق وغينيا المسماة بالبرتغالية . ويستنكرون التمييز العنصري فى جنوب افريقيا ويدينون المحاولات الهادفة الى اعلان استقلال روديسيا الجنوبية على وجه تنفرد فيه الاقلية بالحكم ، ويؤيدون الجهود التي تبذلها منظمة الوحدة الافريقية لحل المشكلة ويتضامنون فى مقاومة محاولات الاستعمار والصهيونية من التسلل الى افريقيا واسيا وهم يؤيدون نزع السلاح ومنع انتشار الاسلحة النووية ويطالبون بتصفية القواعد الاجنبية التي تهدد امن المنطقة العربية وسلام العالم .

ويؤكدون ضرورة اقامة علاقات اقتصادية عاجلة بين الدول لتحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي ويعربون عن ارتياحهم لانفراج الازمة التي واجهت الامم المتحدة وعن اقتناعهم بالعمل على تقوية المنظمة العالمية بجميع الوسائل خدمة للسلام والتعاون الدولي وتلبية لدعوة السيد الهواري بومدين رئيس مجلس الثورة ورئيس مجلس الوزراء للجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية قرر المجلس عقد دورته المقبلة فى شهر شتنبر ايلول عام 1966 . بالجزائر .

ويؤكد الرئيس جمال عبد الناصر وجلالة الملك الحسن الثاني من جديد استمساكهما وتأييدهما لحقوق الشعب العربي الفلسطيني فى بلاده وتحريره من الاستعمار والصهيونية كما يؤكد ان مؤازرتهما لمنظمة التحرير الفلسطينية لبلوغ هذا الهدف كما استعرضا الوضع فى البلاد العربية واتفقا على مواصلة تأييدهما لحركات التحرر فى ارجاء العالم العربي لتحقيق الحرية الكاملة وللتخلص من السيطرة الخارجية والاستغلال الاجنبي ويوجهان التحية والتقدير للكفاح البطولي الذي يخوضه الشعب العربي فى عدن والجنوب المحتل وعمان .

وتبادل جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس جمال عبد الناصر وجهة النظر فى الوضع الدولي والدور الفعال الذي اسفرت عنه سياسة عدم الانحياز للاسهام فى اقرار السلام العالمي بين الشعوب وتجنيبها ويلات الحروب واتفقا على مواصلة اسناد منظمة الوحدة الافريقية لتتمكن من اداء رسالتها لاقرار الوحدة بين شعوب القارة الافريقية وتحريرها من الاستعمار بكافة اشكاله واستقر عزمها على بذل كل المسعى لانجاح مؤتمر رؤساء الدول الافريقية المقرر عقده فى اكرا وايمانا منهما باهمية التضامن بين الشعوب الافريقية والاسيوية يؤكدان مواصلة جهودهما لانجاح المؤتمر الافريقي الاسيوي المقرر عقده بالجزائر فى الخامس من شهر نوفمبر المقبل ويعبر الرئيس جمال عبد الناصر وجلالة الملك الحسن الثاني عن ايمانهما العميق بميثاق الامم المتحدة لحل المشاكل العالمية وتدعيم التعاون على مواصلة الجهود مع جميع الدول لتقوية هذه المنظمة العالمية التي لا بديل لها وينادي رئيسا الدولتين بضرورة بذل الجهود المخلصة لتحريم استخدام الاسلحة الذرية وخطوه فى طريق نزع السلاح الشامل وتحرير العالم من فزع الفناء والدمار .

وقد اعرب الرئيس جمال عبد الناصر عن شكره وتقديره البالغين لجلالة الملك الحسن الثاني وحكومته وشعبه . كما عبرسيادته عن اعتزازه بالحفاوة الاخوية البالغة التي قوبل بها من جلالته ومن الشعب المغربي فى كل مكان .

ووجه الرئيس جمال عبد الناصر الدعوة الى جلالة الملك الحسن الثاني لزيارة الجمهورية العربية المتحدة فتقبلها جلالته بالشكر ووعد بتلبيتها توثيقا لعرى الاخوة التي تربط بين البلدين الشقيقين .

قام الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة بزيارة للمغرب عقب انتهاء مؤتمر القمة العربي الثالث وذلك فيما بين 18–23 سبتمبر 1965 بدعوة من جلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية .

وخلال هذه الفترة زار الرئيس جمال عبد الناصر مدن الدار البيضاء والمحمدية ومكناس وايفران فاستقبل سيادته في كل مكان حل به بحفاوة بالغة وعبر المغرب ملكا وحكومة وشعبا عن مشاعر الاخوة العميقة وروابط الود النابعة من صلات الدم والتاريخ والمصير المشترك التي تربط بين المملكة المغربية والجمهورية العربية المتحدة .

واتاحت هذه الزيارة الفرصة للرئيس جمال عبد الناصر للوقوف على بعض معالم الحضارة العربية العريقة التي ازدهرت فوق ارض المغرب وعلى يد ابنائه في العصور السالفة ..

كما اطلع سيادته على بعض ما انجزه المغرب بقيادة الملك الحسن الثاني من اعمال وما حققه من تقدم في مختلف المجالات لتثبيت دعائم الاستقلال ولرفع المستوى الاجتماعي لابناء الشعب المغربي ، ولمس سيادته تصميم المغرب ملكا وشعبا على احراز المزيد من النجاح في مجال التنمية تحقيقا للرفاهية والازدهار

وقد اكدت زيارة الرئيس جمال عبد الناصر للمملكة المغربية التحام المشرق العربي بالمغرب العربي للسير معا في طريق الامل العربي الكبير نحو التحرر والوحدة .

كما اكدت هذه الزيارة ان توالي اللقاءات بين رئيسي الدولتين يزيد في قوة التعاون المشترك ويسهم في دعوة العمل العربي الموحد .

وقد عقدت خلال هذه الزيارة اجتماعات بين الرئيس جمال عبد الناصر وجلالة الملك الحسن الثاني استئنافا للمحادثات التي دارت بينهما في القاهرة اثناء زيارة جلالته للجمهورية العربية المتحدة في شهر مارس 1965

واشترك في هذه المحادثات من الجمهورية العربية المتحدة بجانب الرئيس جمال عبد الناصر .

السيد زكرياء محيي الدين نائب رئيس الجمهورية السيد انور السادات رئيس مجلس الامة — السيد الدكتور محمود فوزي نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية — السيد حسن فهمي عبد المجيد سفير الجمهورية العربية المتحدة في المملكة المغربية — السيد عبد المجيد فريد سكرتير عام لرئاسة الجمهورية .

كما اشترك فيها من المملكة المغربية بجانب جلالة الملك الحسن الثاني :

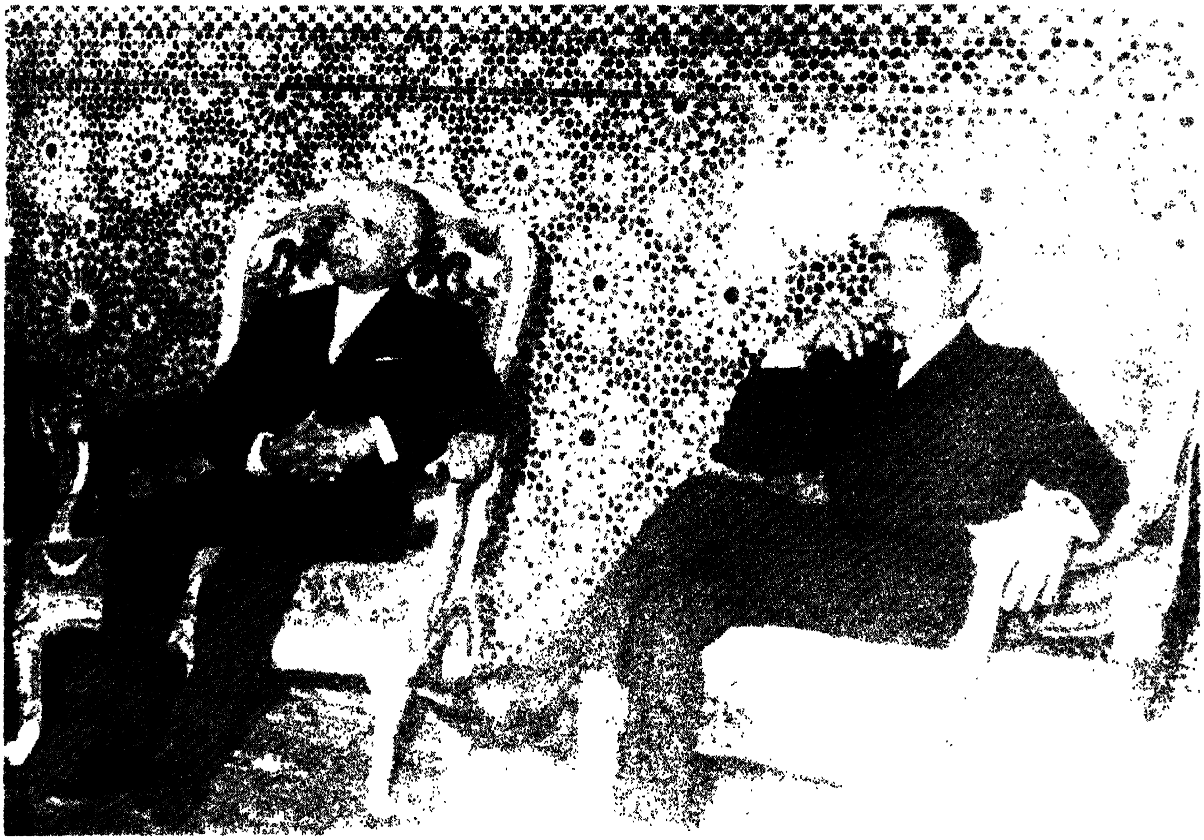
صاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله — والسيد المحمدي المدير العام للديوان الملكي والسيد احمد الطيبي بنهيمة وزير الشؤون الخارجية والسيد احمد بلافريج الوزير الممثل الشخصي لجلالة الملك والسيد الحاج محمد اباحنيني وزيرالشؤون الادارية الامين العام للحكومة والسيد محمد العربي العلوي سفير المملكة المغربية بالجمهورية العربية المتحدة.

واستعرض رئيسا الدولتين العلاقات القائمة بين البلدين في جميع الميادين والفائدة المشتركة التي تعود على الشعبين الشقيقين بتدعيم اوجه التعاون المتبادل في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية والفنية واتفقا على ضرورة العمل على تقوية هذه العلاقات الودية وتنمية التعاون المتبادل ايمانا برابطة الاخوة والصداقة بين البلدين .

كما التقى رأيهما على اهمية الاتصال المباشر والتشاور المستمر بين البلدين وعلى كافة المستويات تأكيدا للتعاون الاخوي المثمر .

واستقر رأيهما على مضاعفة الجهود لتنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية والفنية بين البلدين ، وقد قررا تحقيقا لهذه الغاية تبادل الزيارات على مختلف المستويات وتنفيذا لهذا القرار سيقوم وفد مغربي برئاسة مسؤول عن الاقتصاد قبل نهاية هذه السنة بزيارة الجمهورية العربية المتحدة ، كما سيقوم وفد من الجمهورية العربية المتحدة برئاسة الوزير المسؤول عن الاقتصاد بزيارة المملكة المغربية ، وذلك لدراسة الامكانيات الاقتصادية والتجارية في كل من البلدين قصد توسيع نطاق التبادل بينهما .

وبحث جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس جمال عبد الناصر نتائج مؤتمر القمة العربي الثالث فاستبان لهما الفوائد الايجابية للمؤتمرات التي تعقد على مستوى القمة بين الملوك والرؤساء العرب باعتبارها وسيلة فعالة للعمل المشترك وطريق الى تحقيق الوحدة التي تتطلع اليها الشعوب العربية والى تحرير كل جزء من الوطن العربي الممتد من المحيط الى الخليج .



الكفيلة بتطبيق وتنشيط الاتفاقيات التونسية المغربية وأفضت الى الاتفاق على الخطوط الرئيسية لانتهاج السياسة الموحدة ويلاحظ رئيسا الدولتين بارتياح الخطوات المستمرة والموفقة التي تبذلها اللجنة الاستشارية الدائمة للمغرب الكبير الذي يقطع خطوات حثيثة في سبيل تحقيق اهدافه في الوحدة والكرامة والمناعة كما انهما مقتنعان ببذل المزيد من الجهود لتعزيز علاقة بلديهما في الميدان الاقتصادي والثقافي والاجتماعي ويوليان للميادين الاقتصادية عناية خاصة ايمانا منهما بأن التعاون فيه على أساس التكامل والتناسق يشكل خطوة ايجابية لتحقيق مغرب كبير موحد مزدهر .. ومن أجل ذلك تبادل رئيسا الدولتين المزيد من المعلومات حول مشاريعها الاقتصادية والانمائية وقررا تبادل الخبرات والتجارب في هذا المجال واستخلصا ان ازدهار الصناعة والتجارة رهن بتنظيم سوق موسعة في دائرة المغرب الكبير .

وقد وضع رئيسا الدولتين لتحقيق التعاون في هذا الميدان مخططا يحتوي على سلسلة قرارات مضبوطة اقيم تنفيذها لكل من الحكومتين وفي الميدان الثقافي تقرر جمع اللجنة المشتركة المغربية التونسية التي تنص عليها الاتفاقية الثقافية المبرمة بين البلدين وذلك على مستوى وزاري بالرباط خلال شهر فبراير سنة 1966 على أن تكون مهمتها تنسيق مناهج التعليم والتربية وتنظيم وسائل التعاون في ميدان المسرح والسينما والتلفزة ووضع برنامج لاحصاء التراث القومي في البلدين وضبط وسائل بعثه والتعريف به ..

وفي الميدان الاجتماعي تقرر تنسيق الجهود لتكوين الاطارات الطبية والصحية وتبادل الخبرات في البحث العلمي والتنظيم العائلي والمهنة الطبية وقد اسفرت جميع المحادثات السالفة الذكر عن اتفاق كامل في وجهات النظر وتبادلت الحكومتان وسائل التطبيق على

نص البلاغ المشترك الصادر عقب المحادثات الرسمية التي جرت بين

جلالة الملك وفخامة الرئيس الحبيب بورقيبة

في ثامن عشر اكتوبر الماضي زار فخامة رئيس الجمهورية التونسية السيد الحبيب بورقيبة المملكة المغربية تلبية للدعوة التي كان قد تلقاها من أخيه جلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله اثناء زيارته الرسمية لتونس في شهر ديسمبر 1964 .

وقد استقبل فخامة رئيس الجمهورية التونسية بحماس فياض . وشوق حار من لدن صاحب الجلالة وافراد الشعب المغربي .

وهذه الزيارة الميمونة قد دعمت اواصر الاخوة بين القطبين ، كما سجلت مرحلة هامة في تاريخ العلاقة الاخوية بين تونس والمغرب .

وهكذا فقد انعقدت ندوات — سادها الجد ، وصدق العزيمة — في مستوى الخبراء والفنيين . وفي مستوى المسؤولين المباشرين للخطة الانمائية والاقتصادية في دائرة المغرب الكبير ، واخذت هذه العلاقات شكلها القانوني في صيغة الاتفاقيات العديدة المبرمة بين البلدين مما يساعد على سير منسجم تتكامل فيه عناصر النمو والتفتح ، وتتلاقح في صلبه مقومات الحضارة .

وقد نظم خلال هذه الزيارة الكريمة نصف الشهر الثقافي التونسي الذي اقيم بمسرح محمد الخامس . والذي يبرز اهم عناصر الحياة الثقافية والفنية والصناعة التقليدية في تونس . كما القيت محاضرات من اساتذة مختصين ، وحفلات فنية مهذبة .

وهذا الموسم الثقافي يعتبر ركنا من اركان التلاقح . ودعامة للوحدة التي ننشدها بين شعوبنا واقطارنا .

وقد امتازت هذه الزيارة بحدث هام . هو الاحتفال بتوأمة مدينتي القيروان وفاس تحقيقا للروابط التي جمعت عبر التاريخ بين القطرين الشقيقين ، وتيمنا بوثيق الصلات فيما يستقبل .
والقيت في هذا الاحتفال قصائد بالمناسبة .

وعقب هذه الزيارة صدر بلاغ مشترك مغربي تونسي سجل نتائج المحادثات والاتصالات التي اسفرت على اتفاق شامل لوجهات النظر وتوجت بتبادل وثائق التصديق على الاتفاقيات المبرمة بين البلدين في ديسمبر 1964 .

قام فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية بزيارة رسمية للمملكة المغربية من ثامن عشر أكتوبر سنة 1965 الى الثالث والعشرين منه تلبية للدعوة التي سبق أن تلقاها من أخيه صاحب الجلالة الحسن الثاني ملك المغرب أثناء زيارته الرسمية الى تونس في شهر دجنبر 1964 وقد جرت بين رئيسي الدولتين عدة محادثات دارت في جو مفعم بالاخاء والمودة والصراحة وتناولت العلاقات الاخوية القائمة بين البلدين الشقيقين ومستقبل المغرب العربي وامكانيات تشييده بوسائل عملية وواقعية كما تناولت مختلف القضايا والمشاكل الدولية بصفة عامة وعقدت اجتماعات على المستوى الحكومي تناولت الوسائل

خطاب صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني بمناسبة توامة مدينتي فاس والقيروان

القى صاحب الجلالة الملك المعظم خطابا بمناسبة توامة مدينتي فاس والقيروان وذلك اثناء حفلة التوامة التي اقيمت مساء يوم الجمعة 26 اكتوبر 1965 في ثانوية مولاي ادريس بالعاصمة العلمية .

وهذا نص الخطاب الملكي :

الحمد لله

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

فخامة الرئيس

ليس من شك عندنا انكم شعرتم منذ أن وضعتم قدمكم فوق تراب هذا الوطن حيثما كنتم واينما حللتم بانكم بين جيرة احباء واخوة اشقاء ، شعرتم ولا ريب منذ ذلك الحين شعور الاليف بين الالاف والمشوق الى المشتاق والعائد بعد النزوح والغياب الى المسكن المحبوب والوطن المرغوب وليس من شك عندنا من جهة اخرى ان هذا الشعور اكتسى صبغة خاصة منذ دخلتم مدينة فاس التي تربطها باحدى مدن بلادكم قرابة وشيجة ورحم ماسة مكينة لقد دخلتم فعلا مدينة فاس فرحبت بمقدمكم ايما ترحيب وابتهجت بركبكم احسن ما يكون الابتهاج بالاحباء الذين يصلهم بهم وببلدهم صلات أحكمها الزمن البعيد والعهد القريب .

— قلوب مفعمة بذكريات البطولة —

لقد استقبلتكم هذه العاصمة وقلوب سكانها مفعمة بذكريات البطولة والمجد مفعمة بخواطر العز والسؤدد . يذكر سكانها ما كان بين الشعبين الشقيقين عبر العصور والازمان من ارتباط عريق والتحام وثيق ويفرحون أشد ما يكون الفرح بهذا اللقاء الجديد ويذكرون الى جانب هذا كله المساعي المتضافرة والجهود المتلاحقة والنضال المرير والطريق العسير الذي سلكناه جميعا وما بالعهد من قدم لبلوغ الاهداف الصعبة المنال فيحيون في شخصكم الاخ الشقيق سليل الاخوة الاشقاء.

— قواعد راسخة ارساها التاريخ المشترك —

فخامة الرئيس — لقد خامرنا ونحن في ضيافتكم وضيافة شعبكم الكريم خلال زيارتنا الاخيرة لبلادكم الشعور بأننا بين الاحباب والاقرباء وبين شعب تصله بشعبنا أقوى الصلات واوثق الروابط . فلما حللنا صحبتكم بمدينة القيروان احسسنا الى جانب ما كان بين جوانحنا من عواطف احساسا لم يخالجنا من قبل فرجعت بنا الذاكرة الى الوراء واستعرضنا صفحات غراء مليئة بالعز والمجد بقيت ماثلة لم تعبث بها يد الدهر ولم تعصف بها الازمان والعصور وازداد ايماننا بان للمغرب العربي أصولا ثابتة وقواعد راسخة ارساها التاريخ المشترك .

— رحم موصوله ، ونسب معلوم .. —

ولا نرتاب في انكم يا فخامة الرئيس بعدما حللتم بهذه المدينة شعرتم بمثل ما شعرنا به ونحن في القيروان فانتم بالاضافة الى وجودكم بين الجيرة والاحباب والاخوة الكرام في مدينة بينها وبين مدينة القيروان رحم موصولة ونسب معلوم . ولئن ظفرت مدينة فاس بما ظفرت به من عمران واسع وازدهار شامل فان من عوامل ذلك ما نالته وهي في ميعة الصبا من شقيقتها القيروان اذ لم يمض على تأسيس مدينة فاس الا زمن قليل حتى وفد عليها عدد كبير من اهل القيروان اكرم المولى ادريس وفادتهم واسكنهم بالجانب الغربي فعمروا هذا الجانب واختصوا به حتى اطلق عليه المؤرخون اشارة الى ساكنيه اسم عدوة القيروان الوافدين على هذه القرويين

الاتفاقيات المبرمة بين البلدين فى ديسمبر 1964 وقد امتازت هذه الزيارة بتوأمة مدينتي القيروان وفاس تحقيقا للروابط التي جمعت عبر التاريخ بين القطرين الشقيقين وتيمنا بتوثيق الصلات فيما يستقبل وقامفخامة رئيس الجمهورية التونسية بزيارة كل من الرباط واقليم القنيطرة وفاس وايفران ومكناس مما مكنه من الاتصال المباشر مع الشعب المغربي والوقوف على مظاهر التقدم والازدهار فى المملكة المغربية

ورغبة فى توطيد دعائم الاخوة بين البلدين وتوفير أسباب التشاور لانتهاج سياسة موحدة بين الحكومتين قرر رئيسا الدولتين تبادل زيارات دورية ومنتظمة كل سنتين بالاضافة الى الندوات والزيارات التي تتم بين المسؤولين فى كافة المستويات .

ويطيب لفخامة الرئيس الحبيب بورقيبة أن يسجل مدى اعجابه بالانجازات العظيمة التي حققها المغرب الشقيق فى جميع الميادين واكباره للمجهودات الجبارة التي يواصل جلالة الملك الحسن الثاني بذلها فى سبيل مقاومة التخلف والنهوض بالشعب المغربي أدبيا وماديا كما يعرب عن عميق تاثره بالحفاوة التي اقتبله بها جلالة الملك الحسن الثاني والترحاب الحار الذي خصه به الشعب المغربي الشقيق فى المدن والقرى مما يجسم قوة اللحمة بين رئيسي الدولتين وبين الشعبين الشقيقين ويقدم شكره الجزيل الى جلالة الملك المعظم والى حكومته والى شعبه الكريم راجيا من المولى المعظم وعلا أن يحفظ هذا القطر العزيز وأن يأخذ بيد عاهله العظيم ويحقق آمال شعبه فى التقدم والازدهار .

خطاب الرئيس الحبيب بورقيبة

باسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

حضرة الاخ الكريم ، حضرات السادة والسيدات

انه لمن دواعي الغبطة والاعتزاز أن اخاطب اليوم ثلة من قادة الفكر والمجتمع فى هذا الشعب المغربي الشقيق الذي تربطنا به اواصر قديمة ومتجددة قوامها الاخوة الصادقة والتاريخ المشترك والتضامن فى بناء المصير الافضل لكافة شعوب مغربنا الكبير . وانه لمن رموز الاخوة العريقة بين بلدينا ان نقيم هذا الحفل البهيج فى مدينة فاس بالذات التي ربطت بينها وبين مدينة القيروان اواصر التعاون والتلاقح منذ أواسط القرن الثالث اذ وفدت من القيروان ام البنين فاطمة الفهرية فأسست بها جامعة القرويين سنة 255 فكان الصنو الغربي لجامع عقبة بن نافع ولبيت الحكمة الاغلبي كما اسست اختها مريم الجامع العتيق الاخر لعدوة الاندلسيين فى هذه المدينة المباركة .

وانه لمن مميزات شعبينا ان كانت جهودهما ملتئمة متآلفة فى السراء والضراء على مر الازمان وخاصة فى اهم فترات تاريخهما الطويل الحافل بعظائم الاحداث .

— أصالة تضامننا —

وليس ادل على اصالة تضامننا من هذه الاخوة التي تربط بين اجيالنا الصاعدة منذ ما يزيد على الثلاثين سنة فى الكفاح من اجل الحرية والكرامة وفى سبيل وحدة مغربية متينة لها من القوة والمناعة ما يجعلها فى مأمن من غائلات الدهر . ومن نعم الله على مغربنا الكبير أن قيض له رجالا اخلصوا فى خدمة شعوبهم ولم يترددوا فى بذل الجسيم من التضحيات فى سبيل انقاذها واسعادها وجمع شتاتها بعد أن فرقت بينها الايام وتقلبت بها الاحداث حتى نزلت بها فى آخر المطاف محنة كادت تنحرف بها عن الجادة التاريخية والروحية التي رضيتها لنفسها قرونا متوالية .

— بطل المغرب الكبير —

وان فى تاريخ كفاحنا المشترك لصفحات مشرقة تخلد ذكرى بطل من أبطالنا الافذاذ صمد فى وجه المستعمر ولم ييأس من أعلاء الحق وانتشار الحرية ولم يبخل بالنفس والنفيس لتحقيق مطامح شعبه الا وهو اخى فى الكفاح الملك المبرور محمد الخامس تغمده الله برحمته ورضوانه .

ونحن بقدر ما نأسف لرحيله فى مقتبل شباب هذه الامة فاننا نحمد الله أن وليه من اقتفى أثره ودعم البناء الذي شيده وكان خير خلف لخير سلف جلالة الحسن الثاني الذي تربطني به روابط محبة قديمة . ويسعدني أن أحيي من هذا المنبر جهوده المتسمة بالشجاعة وبعد النظر . واني لا اتمالك أن أعود بالذاكرة الى فترات من تاريخنا القريب كنا فيها نكافح من أجل قضية واحدة بنفس العزم ونفس الحماس وفى تضامن يبشر بما نحن فى صدده اليوم من اعمال مباركة تهدف الى بناء مغربنا الكبير الذي طالما تطلعت اليه نفوسنا فى المنافي والسجون . والحق انه ما كان لنا أن نتمكن من بعث التضامن بين حركاتنا التحريرية لو لم يكن هذا التضامن متأصلا فى تاريخنا ولم تكن القلوب تهفو اليه بقوة وحماس .

فتاريخ أقطارنا الاربعة وتاريخ المغربين الادنى والاقصى على وجه الخصوص يشهد بعراقة ما يربطنا من عرى وثيقة لم تنفصم على مر القرون .

تمييزا لها من عدوة الاندلسيين فبرزت من أهل المدينة سيدة فاضلة هي فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري المعروفة بام البنين وبنت من مالها الخاص مسجد القرويين الذي ما لبث أن اصبح حوضا من حياض المعرفة وموردا من موارد العلم طبقت شهرته الافاق وسارت بذكره الركبان واصبحت بفضله مدينة فاس مركزا ثقافيا وحضريا فى العالم فأمه الناس من مختلف الاقطار والامصار . ولم تنقطع الصلات بين مدينة فاس بعد انتشار عمرانها وبين مدينة القيروان بل بقي الارتباط بينهما وثيقا على مر العصور فى سائر الميادين ولا سيما ميدان العلم والثقافة هذا علاوة على ما كان بين القطرين الشقيقين التونسي والمغربي بصفة عامة من تبادل وصلات .

— لعلماء القرويين فى جميع انواع المعرفه

جولات موفقة ، وصولات ظاهرة .... —

فخامة الرئيس . لا يكاد الزائر يصل الى هذه الحاضرة العظيمة شقيقة القيروان المجيدة سواء كان مواطنا أو أجنبيا حتى تعود به الذاكرة الى الاطوار التاريخية التي تقلبت فيها والادوار الكبيرة التي قامت بها طيلة ثلاثة عشر قرنا على مسرح السياسة والاقتصاد والعلم والثقافة والادب والفن والحضارة والعمران لا فى المغرب الاقصى وحده ولكن فى غرب العالم الاسلامي كله . فقد عمت شهرة هذه الحاضرة كل زمن وقوى تاثيرها فيما حولها من أمصار وبلدان . ولقد كان دور جامعة القرويين من بين هذه الادوار دور الواسطة من العقد والحوض من الروض اذ انها خدمت بتفان واخلاص انواع المعرفة وفنون الثقافة فما من مجال علم أو ميدان فن طرقه العرب والمسلمون الا وكان لعلماء القرويين فيه جولات موفقة وصولات ظاهرة وهل يذكر الفقه دون أن يذكر ابو عمران الفاسي والدارس بن اسماعيل وابو الحسن الصغير أم هل يذكر النحو دون أن يذكر بن اجروم الذي صارت المقدمة المنسوبة اليه عنوانا للنحو وعلما له أم هل يذكر الشعر التاريخ دون أن يذكرابن أبي زرع والجزنائي والفشتالي أم هل يذكر الشعر والادب دون أن يذكر الجراوي وابن حبوس وابن الخطيب والمقري وسواهم من الافذاذ الذين نبتوا فى ترابها أو وفدوا عليها من الخارج للكرع من حياضها وطاب لهم المقام .

— تآلف مستمر ، وتآخي موصول —

فخامة الرئيس اذا كانت عزيمتنا منصرفة اليوم الى بناء المغرب العربي وارساء قواعد على أسس متينة واذا كنا نهتم اليوم بان يكون هذا البناء منتظما فى سائر الميادين الثقافية منها والاقتصادية والاجتماعية — فان عملنا الذي يتسم بطابع جديد انما هو عمل يصل بين الماضي والحاضر ويدخل فى نطاق ما دأب عليه أسلافنا من قبل ويتمم ما بدأوه ويصل ما انقطع منه بحكم الظروف والملابسات التي منيت بها بلاد المغرب العربي واذا كان من جميل حظ المسؤولين عن القطرين الشقيقين أن يشرفا على حفلة التوأمة بين مدينتين عظيمتين بما ادتاه من رسالة وبانتسابهما الى رجلين عظيمين عقبة بن نافع الفهري وادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل الحسني كلاهما كان له الاثر المحمود والسعي المجيد المبرور فى تشييد دعائم الاسلام فى الديار المغربية . واذا كان من جميل حظنا الاشراف على هذا الاحتفال فان من دواعي مسرتنا وابتهاجنا ان تكون التوأمة بين المدينتين بمناسبة زيارة فخامتكم لهذا البلد الذي هو جزء من وطننا الكبير المغرب العربي . وانه إما يثلج صدرنا أن تكون زيارتكم لمملكتنا فرصة نغتنمها لتمتين الاواصر الجامعة بين دولتكم ودولتنا وأن يكون لقاؤنا هذا فى هذا الحفل الميمون دليلا جديدا يضاف الى غيره من الادلة على التآلف المستمر والتآخي الموصول واللقاء الممتد عبر القرون بين الاخوة الاشقاء أسال الله أن يبارك هذا الحفل ويزيد اسباب التواصل بين المدينتين المتآخيتين قوة ومتانة ويغدق نعمه عليهما ويكفل لهما وسائل العز المطرد والازدهار المتصل ويمدها بعونه حتى تؤدي كلتاهما رسالتهما المعهودة ويحفظهما من كل مكروه كما اسأله تعالى أن يسدد خطانا ويوفق جهودنا ويهدينا الى الصراط المستقيم ويؤيد بنصره المبين كل عمل نتوخى من ورائه الخير لشعوب مغربنا العزيز ولسائر الشعوب العربية والاسلامية انه ولي التوفيق والتسديد .

والسلام عليكم ورحمة الله

الحكم المركزي ورجوع البلاد الى ما كانت عليه من فوضى ومن انقسام الى مدن خائفة وبوادي جائعة تعيش بالفتك والاغارة فيختل النظام ويصبح الشعب من جديد فريسة سهلة للسيطرة الاجنبية .

— بذور التضامن ... —

ثم ان هناك كسبا عظيما آخر ظفرنا به خلال محنة الاستعمار وهو اننا تمكنا طوال تلك المدة من زرع بذور التضامن المغربي وغرس الايمان بوجوب التعاون بين شعوب المغرب العربي باعتباره خيرا لها في العاجل وفي الاجل . فكان من الطبيعي ان نتصدى بعد فوزنا بالاستقلال أي بعد أن اصبحنا المسؤلين عن شعوبنا كان من الطبيعي ان نعمل على تجسيم ذلك التضامن وتعهد سبل الوحدة بين اجزاء هذا المغرب الكبير ذلك اننا كلما امعنا في مسؤوليات الحكم والبناء ازددنا ايمانا بان العمل المشترك هو السبيل الى الازدهار وتدعيم قواتنا الانمائية وتكتيل جهودنا في هذا الجهاد الاكبر الذي نقوم به ضد التخلف ونعتقد ان لدينا اليوم ما به نقدر على مواجهة العمل المشترك بالوسائل الناجعة والطرق الايجابية لا سيما وقد تسنى لجميع الاطراف اختيار طرق عملها وتوضيح مناهج اختياراتها ويمكننا الان ان نقول بكامل الارتياح انه لا شيء جوهري يفصل بيننا ويحول دون التعاون الوثيق بين شعوبنا ما دامت المشاكل متشابهة ومبادىء العمل متجانسة تتلخص في الايمان بضرورة التنمية ونشر العدالة الاجتماعية واعادة بناء ذاتيتنا الثقافية والروحية

ونحن موقنون جميعا وكل شيء في الداخل والخارج يؤكد لنا ذلك ان عصر انعزال الدول بعضها عن بعض قد زال وانقضى والذي شعرت به الدول الكبرى المتباعدة من حتمية الترابط ووجوب التعاون انما الدول الصغيرة المتجاورة اولى به واحرى في كافة الميادين لا سيما ونجاح العمل الذي نحن بصدده متوقف الى حد بعيد على سرعة الانجاز اذا أردنا أن نلتحق بركب الامم التي سبقتنا اشواطا والتي تسير في التقدم بسرعة تتضاعف يوما فيوما .

— لنجعل من التشابه قوة —

ففي الداخل نجد اقتصادياتنا متشابهة ومختلفة في ميادين اخرى فلا بد من توثيق التعاون حتى نجعل من التشابه قوة ومن الاختلاف تكاملا خاصة ان عملية التنمية في كل من الاقطار المغربية تدعونا الى تجاوز الحدود السياسية وجعل اقتصاد المغرب الكبير ينمو ويزدهر في اطاره الطبيعي وهو الاطار الواسع الذي تؤلفه البلدان الاربعة باعتبارها وحدة اقتصادية تناهز الثلاثين مليون نسمة .

— من هنا ينبغي أن نبدأ —

فمن هنا ينبغي أن نبدأ وقد شرعنا فعلا في ارساء دعائم التعاون الاقتصادي المثمر وعلينا ان نمضي في هذا السبيل بقطع المراحل التي تمليها المصلحة المشتركة الواضحة . وعلينا ايضا ان نوجه الاهتمام الى ميادين اخرى الى ميدان آخر هو في نظري القاعدة الاساسية التي عليها نستطيع ان نبني المستقبل اعني بذلك ميدان التعليم والثقافة فليس أوكد من أن نهيء لمغربنا الكبير شبابا متجانسا في العقلية والشعور ولا يخفى على احد ما للتعليم من دور فعال في تكييف العقول وتربية الضمائر وتهيئة النشأ للاضطلاع بمسؤولية الغد .

— مكافحة التجارب —

فمن واجبنا ان نقابل تجاربنا في ميادين التعليم وان نسق برامجنا الثقافية وبين معاهدنا المختصة بالابحاث العلمية ومؤسساتنا التي تعنى باحياء التراث حتى يتسنى لها بتضافر جهودها أن تبلغ من الرقي ما لا يستطيعه كل بلد على حدة بذلك نكون قد هيأنا الاسباب اللازمة لقيام ثقافة مغربية صحيحة تحيى بحماس الشباب وتتغذى من الهام الروح القومية .

— مستقبل مغربنا في كنف الوئام —

وتكون خير لحمة بيننا وخير ضمان لتعاشر صافي دائم . بمثل هذه الافاق الواسعة الثرية نتصور مستقبل مغربنا في كنف الوئام الذي مقره الاول في القلوب والعقول واساسه التعاون الشامل ونعتبر تنسيق جهودنا في ميادين التنمية مرحلة اساسية في طريق الوحدة الكاملة .

واني لاشاطر جلالة الملك الحسن الثاني رأيه في وجوب عقد اجتماعات منتظمة بين رجالات المغرب الكبير في كافة المستويات بما فيها المستوى الاعلى حتى تدخل في تقاليدنا السياسية عادة التشاور والتباحث في كل ما يعترض سبيلنا من مشاكل تتطلب حلولا مشتركة او قضايا يجدر بنا أن نتخذ بشانها مواقف منسجمة .

واني ارحب بما تقدم باقتراحه العاهل المغربي الكريم اثناء الزيارة التي شرفنا بها الى تونس من عقد

— مغربنا متفتح دوما للحوار —

ولئن كان مغربنا دوما متفتحا الى الحوار مع العالم الخارجي ونقطة التقاء لمختلف المؤثرات الحضارية بحكم موقعه الجغرافي فلقد كان دوما قادرا على استيعابها وصهرها وطبعها بطابع يشهد بالطاقة الخلاقة والحيوية في نشر الحضارة والذود عن القيم الروحية الخالدة ولئن كانت شعوبنا في الكثير من عهودها عرضة لجشع المعتدين بحكم نفس ذلك الموقع الجغرافي الخطير فانها دوما اقامت الدليل على مقاومة الذل والعبودية وكافحت من أجل حريتها وكرامتها ولم تستطيع اي هيمنة أجنبية أن تكبح جماحها ولا ان تطمس فيها ذلك التوق الى الحرية والاستقلال .

وانما كتب للدعوة الاسلامية وحدها ان تنفذ الى قلوبها وتستقر بها الى ابد الابدين بفضل ما اتسمت به من روح ديمقراطية قامت على مبادىء العدالة والمساوات وافضت الى خلق حضارة جديدة من اعظم الحضارات اشترك في تدعيمها سائر الشعوب العاربة والمستعربة دون ميز ودون هيمنة ودون اكراه .

وبفضل هذا الايمان العميق بالاسلام وهذا الاندماج المكين في الحضارة الاسلامية روحا، والعربية لسانا وفكرا، استطاعت شعوبنا ان تنشيء بينها هذه العروة الوثقى التى حدت مما كان يبدو بينها من عصبيات قبائلية ونزاعات جهوية ومكنتها ، احيانا من تحقيق حلم الوحدة الذي لم يزل يخامرها منذ اقدم العهود .

والتاريخ يشهد بان حركة الاتصال والتلاقح والتناصر بين شعبينا كانت دائبة وفى الاتجاهين طردا وعكسا وانهما وفقا الى تحقيق الوحدة المغربية في عهدين على الاقل من عهودهما الاسلامية الزاهرة في زمن الفاطميين وزمن الموحدين.

— من المهدية .... —

فقد انطلقت الحركة الفاطمية ووحدت اقطار المغرب جمعاء ورفعت لواء الاسلام والعروبة من الاطلس الى الهند عرضا ومن اطراف أوروبا الى أواسط افريقيا طولا . وكذلك فانه من اعماق هذا البلد قامت الدعوة الموحدية فوحدت المغرب من جديد ونشرت لواء الدولة الاسلامية الفتية من نهر — طاج — الى مشارف الاسكندرية داعية الى تجديد العزم ونبذ اسباب الانحلال .

على ان الاتصال بين جناحي المغرب لم ينقطع في غير هذين العهدين المشرقين بل كان مستمرا قائما في صورة مبادلات علمية وحضارية على اوسع نطاق واعمق المستويات الفكرية والاجتماعية والسياسية

— الى فاس ومراكش —

وكانت الجامعات التي تنشر العلوم وتثقف النشأ من سائر انحاء المغرب في سلسلة حلقات متواصلة في القيروان وتونس الى بجاية وتلمسان حتى فاس ومراكش مراكز اشعاع على مر الاجيال قد تخرج منها أمثال القاضي عياض وبن خلدون من رجال العلم والفقه والادب الذين لا يزالون مفخرة المغرب على الاطلاق والذين وضعوا أسس ثقافتنا المغربية المتأصلة في الثقافة العربية المشتركة المنغذية بما لشعوب هذا الشمال الافريقي من مقومات روحية وحضارية تليدة ذلك ان وحدة التاريخ انما هي انعكاس لوحدة أشمل وأعمق منبعها الروح ومقرها الفكر والشعور وهو ما يتجلى في شخصية شعوبنا المتجانسة في جوهري صفاتها وأصيل نزعاتها التي بها تميزت عن غيرها .

وقد ظهر ذلك جليا في اسلوب كفاحنا ضد الاستعمار ومواجهتنا لمشاكل الحياة العصرية منذ بداية هذا القرن .

فلم يكن ذلك الكفاح يهدف فقط الى القضاء على السيطرة الاجنبية بل كان في نفس الوقت يهيء اسباب الانطلاق التي جعلت منا اليوم بلادا تسعى بكل طاقاتها الى النمو وتحقيق ما كان يبدو ضربا من المستحيلات وذلك أن فترة كفاحنا ان لم نكن نلوي وجوهنا عن الواقع ولم نكن نستسلم له . كنا نعمد الى فهم الواقع ، فنحلل علة ضعفنا وسبب قوة المستعمر علينا ، فنعمل على القضاء على هذا وتلك بطرائق واساليب وحدت حولنا الامة وجعلتها قادرة على مقارعة المغتصب وجبره على الانسحاب .

— تهيئة الدعائم لقيام وحدة قومية —

ومن اعظم مكاسب هذا الكفاح ان مكننا من توحيد الصفوف والقضاء على النزاعات الداخلية وتهيئة الدعائم لقيام وحدة قومية تتضافر فيها الجهود جميعا من أجل بناء الامة وتوفير الازدهار باعتباره شرطا اساسيا للحياة الكريمة . ان ذلك كسب لا يقل اهمية عن جلاء المستعمر اذا اعتبرنا تاريخ هذه المنطقة وما عانته في كثير من فترات حياتها من انفصام الوحدة القومية وتفكك اجزاء الوطن بسبب قلة الاستقرار وتغلب النزعات الانفرادية والنخوة القبلية مما ادى في كثير من الاحيان الى التمرد وشق عصا الطاعة والخروج من

نظر الإسلام في اكتساب المؤمن للفضائل

للأستاذ : محمد الطنجي

الانسان الف بكونه وصنعه ، مدني بسجيته وطبعه ، ونسج الطبع بمجتمعه ، كثير الحاجة الى التعاون مع ابناء جنسه ونوعه ، وبقدر تربية نفسه ، وتهذيب اخلاقه وتلطيف احساسه ، تكمل انسانيته ، وتسع في الوجود نورانيته ، فيكون عضوا فاضلا في المجتمع ، ولسان صدق لمن استمع وقدوة صالحة لمن اتبع . ولهذا بعث الله اللطيف بعباده رسول الاسلام سيدنا محمد عليه السلام متمما لمكارم الاخلاق بشريعته وعمله وسيرته الى الامة العربية بدايته العالمية . وتعاليمه السامية . فتكاملت فيها الفضائل حتى استحقت ان يصفها الوحي الالاهي مما اكتسبته من حسن التربية بقوله عز من قائل : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله » .

والاخلاق كما لا يخفى منها الجبلي . ومنها المكتسب بالتهذيب والتربية . واصل الخلق في اللغة التقدير المستقيم ، ويستعمل في ابداع الشيء من غير اصل ولا احتذاء . نحو خلق الله السماوات والارض ، فالخلق والخلق في الاصل واحد ووقع التفريق بينهما في الاستعمال ، قال الامام الراغب في مفردات القرآن : لكن خص الخلق بالهيئات والاشكال والصور المدركة بالبصر ، وخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة ، قال تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » والخلاق « بفتح الخاء » ما اكتسبه الانسان من الفضيلة بخلقه ، وفلان خليق بكذا اي كأنه مخلوق فيه ذلك كقولك مجبول على كذا ، او مدعو اليه من جهة الخلق .

وبعض الناس يرى الخلق من جنس الخلقة ولا يستطيع احد تغيير ما خلق عليه ان خيرا وان شرا ، الا ان بعض العلماء يقول بامكان تغييره بتهذيبه ، قال الراغب في كتاب الذريعة واستدل اي هذا البعض بما روى: «حسنوا اخلاقكم» فلو لم يمكن لما امر به ، قال: ولان الله تعالى خلق الاشياء على ضربين احدهما بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عملا ، كالسماء والارض والهيئة والشكل ، والثاني خلقه ما ، وجعل فيه قوة ترشح الانسان لاكماله وتغير حاله كالنوى الذي جعل فيه قوة النخل ، وسهل للانسان سبيلا الى ان يجعله بعون الله تعالى نخلا وان يفسده افسادا قال : والخلق من الانسان يجري هذا المجرى في انه لا سبيل للانسان الى تغيير القوة الى ان تصير سجية وجعل له سبيلا الى اسلاسها ولذلك قال تعالى : « قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها » ولو لم يكن كذلك لبطلت فائدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد والامر والنهي ، ولما جوز العقل ان يقال للعبد لم فعلت ؟ ولم تركت ؟ وكيف يكون هذا في الانسان ممتنعا وقد وجدناه في بعض الحيوان ممكنا ، فالوحشي قد ينتقل الى التأنس والجامح الى السلاسة لكن الناس في غرائزهم مختلفون فبعضهم جبلوا جبلة سريعة القبول وبعضهم جبلوا جبلة بطيئة القبول وبعضهم في الوسط ، وكل لا ينفك من أثر قبول وان قل ، انتهى نقل الراغب لكلام غيره وعلى اساس هذا الراي الحاصف يتنزل ما نشده من آثار التربية الروحية العملية على ايدي الانبياء والصديقين وجميع دعاة الهداية والخير في الوجود وتنفعهم دعوة الاديان ونصوص الكتب المنزلة المقدسة التي فيها الهدى والنور التي يسرها الله سبحانه للذكر والتدبر ، وضرب فيها الامثال للاتعاظ والعمل وجلى فيها الحكم والعبر ، فمن عاشر الاخيار تأثر بأخلاقهم ومن لازم الاشرار تخلف بسلوكهم او اصابته آفة من آفاتهم الا من رحم

اجتماع بين اقطاب المغرب العربي الكبير حتى يصـــدر عنهم الدفع الشامل لهذا العمل المبارك الذي ابتـــدأه وزراء الاقتصاد فى البلدان الاربعة وينبغي ان تتسع رقعته الى كافة الميادين على اننا نعتقد انه من شروط نجاح هذا الاجتماع تهيئة جميع الاسباب الكفيلة بتصفية المشاكل التي لا تزال معلقة والتي تتضاءل اهميتها كلما امعنا فى التعاون

ايها السادة ان هذا العمل العظيم نعتقـــد ان شمالنا الافريقي مدعو بحكم وحدة التاريخ ووحدة المصير اليه حتى نقوى على تجديد مجتمعاتنا واعادة الانسان فيها الى المرتبة التي لها خلق ومن أجلها كافح

— دور مغربنا فى الحقل الدولي —

وينبغي أن تهدف جهودنا الى تمكين مغربنا من القيام بدوره الطبيعي فى الحقل الدولي باعتبار انتسابه الراسخ الى البلاد العربية الاسلامية وباعتبار موقعه فى ملتقـــى القارتين الاوربية والافريقية وعلاقاته التقليدية بأقطار البحر الابيض المتوسط .. ففي المجال الدولي العـــام نعتقد ان موقعنا فى شمال القارة الافريقية وعلى ضفاف البحر الابيض المتوسط يملي علينا أن نأخذ بسياســـة التعاون مع اوربا ومع كل الدول التي سبقتنا فى سبل الرقي والعلم والفنون الصناعية أما فى المجال العربي فان انتماءنا الى العائلة العربية الكبرى من الحظوظ العظيمة المفتوحة فى وجه كافة الشعوب ، الشعوب الناطقـــة بهذه اللغة ولنا ان نعتز بهذا الانتماء وعلينا ان نعمل على توثيق الروابط بين المغرب والمشرق حتى يكـــون التضامن بينهما اداة رقي ونهوض وحتى يتسنى لكل شعب عربي أن يساهم بقسطه فى حل القضايا العاطلة عن الحل .

— ايماننا لن يتزعزع —

ولئن بدرت هذه المدة الاخيرة بوادر مؤسفة فان ايماننا لن يتزعزع فى امكان قيام تعاون ايجابي بين كافة الدول العربية على اساس الحوار الحر والاحتـــرام المتبادل والمصالح المشتركة ، وانى اتمنى ان تكثـــر فى البلاد العربية والاسلامية الاحتفالات المشابهة لحفلنا هذا الذي يعبر عن صدق التآخي وعزيمة التعاون بين اشقاء حتى نخرج بالتضامن العربي من طور الكلام الى حيز العمل الايجابي المثمر والله يوفقكم ويرعاكم ويسدد خطاكم

والسلام عليكم ورحمة الله

المحدودة بما ذكرتم ؟ قال : نعم ، كل من هذا وذاك من الفضيلة فى الواقع ونفس الامر اذا كان اعتقاد الفاعل بنفعه للهيئة الاجتماعية صحيحا ، وان كان القانون لا يجيز الحكم له بحسب اعتقاده اذا ظهر الامر ورفع الى القاضي !! هذا ما حكاه الشيخ رشيد عن محاورته مع هذا المصري المفتون بهذه النظريات الحاطئة فى فهم الفضيلة . ثم علق رحمه الله مبديا اسوا نتائج هذا الفهم فى السلوك الاجتماعي بما يلي اقول : وقس على السرقة والخيانة والفاحشة جميع الرذائل حتى القتل فانها يمكن ان تعد من الفضائل على ذلك التعريف اذا ظن فاعلها انه ينفع الهيئة الاجتماعية كأن يقتل من يرى هو فى سياسته او اعتقاده او عمله ضررا وان كان المقتول يرى ذلك نافعا ، فهذا المذهب الجديد فى الفلسفة العملية هو شر مذهب اخرج للناس ، فان الرذائل فيه قد تسمى عقائل الفضائل والمفاسد تعد فيه انفع المصالح ، والحاكم فى ذلك هو الهوى ثم قال ولولا افتتان ضعفاء النفوس ببعض من يقولون به لما استحق ان يحكى .

وقد كان للفلاسفة الاولين مذاهب فى الفضيلة معقولة وآراء صحيحة ، وقد انطقهم الله تعالى بكثير من الحكم ، ولكن ثمرات عقولهم لم تكن دانية القطوف، يجنيها القوي والضعيف، ولم يكن لها من هداية الوحي من السلطان على القلوب والارواح ، والتأثير فى اصلاح شؤون الاجتماع ، فمن ثم كان الدين انفع من الفلسفة للناس » انتهى كلامه .

واقول لو عاش السيد رشيد رضا الى وقتنا الحاضر لرأى ان الافتتان بهذا الفهم الخاطىء للفضائل لم تبق النفوس الضعيفه وحدها مفتتنة ببعض من يقولون به، ولكن اصبح عقيدة كثير من انصاف المثقفين والجهال ، تنحل به من الروابط وتكثر الرذائل ، وتنقلب به اوضاع كثير من المجتمعات اسلامية وغيرها ، فينعدم الاستقرار بسبب ذلك بينما نرى هداية الاسلام اهم دعائم الاستقرار فى المجتمع بدستورها السماوي واخلاقه وبالنصيحة المطلوبة فى الاسلام بين كل فرد من اهله وبالشورى النزيهة التي هي اساس الحكم والولاية فى الاسلام وذلك ما يجعل المسلمين المخلصين يتفانون فى نشر الدعوة من جديد للتمسك بالاسلام وفضائله حتى يعم الامن والعدل والاستقرار فى جميع اقطاره .

الرباط ـ محمد الطنجي

ربك ، وكثيرا ما يتأثر الانسان بفعل الخير حتى يصير من اهله ، كما قد يتأثر بفعل السيئات حتى يقع الطبع على قلبه ، وقد ضرب النبي عليه السلام المثل للتأثر من الجليس الصالح والجليس السوء بصاحب العطر وصاحب الكير وخبث الحديد وتأمل قوله المروي فى صحيح مسلم عن ابي موسى « انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيه «اي يعطيك» واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة » وكذلك قوله عليه السلام المروي فى الصحيحين « عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » فتأمل قول الرسول الاعظم عليه السلام يتحرى الصدق ويتحرى الكذب ونتيجة التحريين فى التخلق بالصدق او الكذب .

وبالتأثر بالتربية العملية والعلمية تتفاوت الامم ايضا فى الخير والشر والبر والفجور والاصلاح والافساد كما تتفاوت درجات الافراد الذين يعملون الخير عن عقيدة وايمان راسخ بشريعة سماوية لا تنالها الاغراض والشهوات حتى خاطبهم الله بقوله: «ان اكرمكم عند الله اتقاكم» فبفضل هؤلاء جميعا على اختلاف درجاتهم فى التفاضل من يزعمون انهم يعملون الخير عن تفكير لصالحهم ولصالح الهيئة الاجتماعية التي يعيشون بينها . لان هؤلاء كثيرا ما يغلطون فى تقدير المصالح وتمييزها من المفاسد ، او يتبعون اهواءهم فيضلون ويضلون فيكونون ممن يصدق عليهم قول الله تعالى :« قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا » وقد ذكر الله سبحانه من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ثم قال تعالى: «ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نوتيه اجرا عظيما » قال الشيخ رشيد رضا رحمه الله : وانما تنال مرضاة الله بالشيء اذا فعل على الوجه الذي يحصل به الخير ويتم به النفع الذي شرع لاجله ويكون الفاعل له مظهرا لرحمته تعالى وحكمته ، مع تذكر هذا عند العمل والشعور به ، وبهذا القيد يكون المومن ارقى من الفيلسوف فى عمله ، وابعد عن الغرور والدعوى فيه وارسخ قدما فى الاخلاص وتحري نفع الناس والثبات على ذلك وعدم مزاحمة الاهواء الشخصية له وترجيحها » انتهى .

واذا كان الدين يربي فى نفس المتدين الوازع النفساني وقانون الضمير الخلقي الكريم الذي يجعل سلوك صاحبه مثلا عاليا فى السلوك لا يحتاج معه الى قانون ظاهر يردعه عن مخالفة بل يكون الانصاف من نفسه سجيته ، والعمل الخيري لنفسه واهله ومجتمعه عقيدته ، فيكون ارقى ممن يدعي السير فى حياته على قانون فلسفة الفضيلة فى ميدان الاعمال والاستغناء عن هداية الدين وان بلغت بالانسان مراتب الكمال .

وقد حكى الشيخ رشيد رضا حديثا جرى له مع بعض كبراء المصريين فى تحديد معنى الفضيله وهو فى الواقع شبه مناظرة يجمل ايراده هنا عسى ان يتأمل مغزاه بعض الشبان الذين لم يتعمقوا فى دراسة هداية الاديان قال رحمه الله : فكان اي بعض الكبراء يتكلم بلسان الفلسفة واتكلم بلسان الاسلام الجامع بين الدين والحكمة . فلما حددها بما ينفع الهيئة الاجتماعيه قلت اذا كان هذا هو المعنى فما هو الباعث للنفوس على العمل به ؟

قال هو اعتقاد كل فرد ان نفع الهيئة الاجتماعية نفع له ، فاذا صلحت عاش فيها سعيدا ، واذا فسدت لحقه شيء من فسادها فكان به شقيا ، قلت معنى الفضيلة اذا ان يطلب نفع نفسه مع ملاحظه نفع الهيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ، فتختلف الاعمال التي تندرج فى مفهومها الكلي باختلاف افراد الناس فيما ينفع الهيئة الاجتماعية وفيما هو ارجح من المنافع عند تعارضها ، مثال ذلك اذا قدرت ان تسرق مال رجل او تخونه فيه اذا استودعك اياه ففعلت ذلك لاعتقادك انك تقدر على ما لا يقدر صاحب المال عليه من نفع الهيئة الاجتماعية او تنفقه فيما هو انفع لها تكون بهذه السرقة وهذه الخيانة معتصما بعروة الفضيلة قال : نعم .

قلت واذا قدر رجل على ان يخون ءاخر فى عرضه ويزني بامرأته معتقدا انه لا ضرر فى ذلك على الهيئة الاجتماعية لانه فى الخفاء فلا يثير نزاعا ولا خصاما ، فلا ينافي الفضيلة ، او انه ربما ينفع الهيئة الاجتماعية بايلادها ولدا يرى من ذكائه ما يكون به خيرا مما تلده تلك المراة من زوجها الشرعي او بما هو اوضح من هذا عنده كان تكون تلك المراة لا تلد من ذلك الرجل ، فهل يكون هذا العمل من مقومات الفضيلة

« ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا . » قرآن كريم .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » قرآن كريم .

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » صدق الله العظيم ... آيات بينات ، ومثلهن كثيرات ، تبين نظرة الاسلام للفرد المسلم في نفسه ، وفي بيته ، وفي مجتمعه الانساني الكبير ، وتندرج تحت كل عمومية من هذه العموميات مئات التنظيمات الجزئية في مختلف أنحاء الحياة الانسانية ، وهي كلها تهدف الى غاية واحدة : خدمة الانسان ، وطمأنينة الانسان ، وسعادة الانسان ، وسلامة الانسان ! .

وإذن فما دامت هذه الثروة الزاخرة من التشريعات والتنظيمات الاسلامية متوفرة بهذا الشكل الذي نلمس من خلال استغلالها الرفاهية والسعادة والسلام ، وما دام المسلمون أحوج ما يكونون اليوم الى استغلالها لصالح تقدمهم العربي ومستقبلهم البعيد ... فمن أين يجب أن تبدأ الانطلاقة الاولى نحو العمل ؟

أجل .. من أين يجب أن نبدأ ؟ إن في نفوس المسلمين اليوم ثورة على أوضاعهم المزرية ، ورغبة صادقة في التحرر والانطلاق ، وتطلعا الى الغد السعيد ، أي أنهم يعرفون المرض ، ويحسون الداء ، ولكن ما هو الدواء ؟

سؤال منهجي ، يأتي في حينه ، منطقيا ، ويجب أن يكون الجواب عنه كذلك أيضا ، وفي غاية الوضوح والصراحة والواقعية .

وفي رأيي أن الانطلاقة الاولى يجب أن تبدأ من «الثقافة» أولا وقبل كل شيء ! ولأشرح وجهة نظري هذه أقول

لقد كان المنطق الشكلي « الأرسطي » يميز بين «الانسان» وغيره من الكائنات الحية الاخرى بأنه « حيوان ناطق » ! ولكن المنطق الحديث — المنطق الموضوعي القائم على عنصري الملاحظة والتجربة ، والذي اليه يرجع أكبر الفضل في النهضة العالمية الحديثة — لا يكتفي بهذا التعريف الشكلي العقيم ، بل ينادي بتعريف آخر موضوعي ومنتج فيقول : « ان الانسان حيوان مفكر ومتطور ! » وإذن فميزته العظمى التي يستطيع في إطارها الخطير الخلاق أن يثبت وجوده ، بل خلافته وعبقريته ، تكمن في قدرته على استغلال هاتين القوتين العظيمتين فيه : القدرة على التفكير ، والقابلية للتطور . وأما وسيلة تفجير هاتين القوتين فيه فتلكم بالبداهة هي : « الثقافة » .

ومعنى هذا أننا حين نريد من « الفرد » المسلم — باعتباره الخلية الحية التي منها يتكون المجتمع الاسلامي — أن يكون معافى في دينه وجسمه وروحه ، عاملا لما فيه مصلحته ومصلحة مجتمعه ، يجب علينا قبل ذلك أن نهيئه لذلك بواسطة ثقافة اسلامية حية ، تربيه هذه التربية ، وتمده بمختلف هذه القوى ، وعليه فهل ثقافتنا الاسلامية بوضعها الحالي بحيث تستطيع أن تقوم بهذا الدور ، وتؤدي هذه المهمة ؟

أما الاسلام باعتباره وسيلة فذة لتربية الافراد والجماعات ونظاما محكما يضمن لمعتنقيه العافية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، فقد دل تاريخ الاديان المقارن على أن الاسلام لا يجارى في هذا المضمار ، وفي ذلك يقول الاستاذ « تريتون TRITON » أستاذ الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن ما نصه : « ان الاسلام يعطي كلا من العالمين — الدنيا والآخرة — حقهما ، وفي وسع المسلم العصري أن يعتقد التطور في الاسلام كله دون أن ينقطع عن الماضي ، وله أن يراجع أحكام المعاملات والشريعة لان باب الاجتهاد مفتوح لا يزال ... والمسلمون المجتهدون اليوم ليثبتوا أن الانسانية الصادقة والآداب القومية والعقل السليم تلقى أرفع تعبير لها في شريعة الاسلام وأحكامه ، ويسلمون أن ديانتهم اليوم تبنى على ما يحسنون ، وأن الاصلاح ضرورة لا محيص عنها ، ولكنهم يصرون على أن الاسلام دون غيره هو الذي يصلح لمطالب النوع الانساني ، فقد تغيرت الاحوال ، ووجب أن تتغير معها النظرة الى الديانة . وقد كان ابن العربي في الشيخ محمد عبده مثالا يبدو واضحا في فهم الدين على أنه عقيدة باطنية حيوية من شؤون الشريعة ، وان الشعائر الخارجية تابعة مصاحبة لها ، وقد أحدث طائفة من تلاميذ الشيخ عبده نقادا لمذهب الحنابلة ، فجمعت من ذلك دعوة الى رفض البدع المستحدثة ، والرجوع الى سلامة العقيدة الناصعة ، وتضمنت هذه الدعوة برامج اصلاح في الشؤون الدينية والاجتماعية والاقتصادية تثبت أن الاسلام قابل للتلبس به في الاحوال الحاضرة ، وهم يؤكدون أن الاسلام اذا فسر كما فسروه يكفل الحل الوحيد لمشكلات المجتمع والسياسة والدين»

وفي سنة 1908 م افتتحت جامعة شيكاغو قاعة محاضراتها الاسلامية ، فخصص أول محاضر فيها وهو الاستاذ « دنكان بلاك مكدونالد » أهم الموضوعات التي يمكن أن تدور عليها البحث في ثلاثة وهي : الشخصية المحمدية ، ومدارس التصوف ، وأطوار الامم الاسلامية في حركة التجديد .

وصفوة ما انتهى اليه في هذه الموضوعات الثلاثة (أن الشخصية المحمدية لا تزال بعد أربعة عشر قرنا مصدر المدد المتصل في نفوس المسلم . وأن الصوفية قد خلقت متنفسا للعقيدة الفردية التي يدين بها المسلم المستقل بفكره واعتقاده عن سلطان الشيوخ وسلطان الجماهير . وأن أطوار المسلمين تختلف اختلافا لا بد منه بين أناس ينتمون الى كل جنس وكل أصل من

الثقافة الاسلامية

تربية ومنهاجاً

للاستاذ محمد عبد الواحد بناني

في رأيي ان اية دراسة منهجية لحاضر العالم الاسلامي ، وان اي تخطيط واع لمستقبله ، يجب ان يكونا على اساس ان العالم الاسلامي جزء لا يتجزأ من العالم الانساني الذي تتنازعه مختلف التيارات المذهبية من سياسية واقتصادية واجتماعية ادت به في الوقت الراهن الى ان ينقسم الى كتلتين متخاصمتين . كتلة شرقية متطرفة ترغم ان « الفرد » يجب ان يذوب في الدولة كما يذوب الملح في الطعام ، وكتلة غربية تسرف في المناداة بحرية الفرد في ان يتمتع على اوسع نطاق ، وبين الكتلتين دول الحياد الايجابي التي شعارها عدم الانحياز المشفوع بالعمل الدائب من اجل نزع السلاح ، والمحافظة على السلام .

... ووسط هذا المعترك الصاخب يقف العالم الاسلامي الذي — وان وحدت بين قلوب ابنائه وشائج العقيدة الراسخة والتاريخ المشترك والشعور بالمسؤولية ازاء حاضره ومستقبله على السواء — فقد فرقت بينهم في نفس الوقت عوامل شتى لا يجوز اغفالهـا .

من هذه العوامل

1) ان المسلمين لا تضطم جمعهم ، ولا تلم شعثهم ، « دولة واحدة » حتى يستطيعوا ان يستثمروا قوتهم في ظلها كما كان حالهم ايام دولة الخلافة الموحدة في صدر الاسلام الزاهر .

2) ومنها ان المسلمين اليوم قد بعدت بهم الدار ، فهم موزعون على شتى القارات الارضية اشتاتا اشتاتا ، ووجودهم داخل كثير من الدول الغير مسلمة ممتص امتصاصا .

3) ومنها انهم لا يتكلمون لغة واحدة ولو على الصعيد الرسمي ، بل تباينت لغاتهم وتنافرت لهجاتهم .

4) وفي ذلك ما فيه من التأثير السيء نظرا الى ان لكل لغة اثرها الخاص على الناطقين بها ولو بطريقة غير شعورية كما استقرأ ذلك العالم اللغوي الكبير « فندريس » في كتابه « اللغة » .

5) ومنها ان التكتلات الاجنبية تعرف ما بينهم ، فهي تخوف منهم ، وتجعل جهدها في غزوهم واقتطاع منهم افرادا وجماعات بواسطة الثقافة الدخيلة ، والغزو الفكري والنفسي والمادي ، انما من شأن عدم اتحادهم تفويتهم فتفويتهم ...

في اطار هذا الواقع المر ، ومن خلال هذه الخطوط العريضة الصارخة ، يجب ان ينبعث التخطيط المنهجي المنطقي المتبع بعد الفرز والنقد ، والا فكل محاولة للبناء مصيرها الفشل ، وكل عمل من اجل الانبعاث محكوم عليه مقدما بالبوار .

واول ما سيحاول الكثيرون ان يهجموا به على هذا الكلام هو انه دعوة الى التكتل على اساس ديني ، ورميه بالتعصب والجمود والعنصرية المقيتة الى غير هذا وذاك من النعوت التي تطلقها كثير من دعاة الحرية والتقدمية في هذا العصر على مثل هذه الدعوة .. ولهؤلاء اقول : وما العيب في ذلك ؟ اليست هذه التكتلات التي تصطلي الانسانية الآن ومثل الآن بنيران حروب باردة وساخنة تقوم كلها على اساس التعصب المذهبي ؟

ما الشيوعية ؟ ما الرأسمالية ؟ ما الاشتراكية ؟ ما الديمقراطية ؟ ما الفاشستية ؟ ما الدكتاتورية ... اليست هذه كلها ، وكثير غيرها ، مذاهب قامت في احضانها دول وامم كتب لبعضها البقاء وللآخر الفناء . ولكن الذي يجمع بينها — رغم تنافرها — انها في التحليل الاخير مذاهب آمن بها معتنقوها ، واقاموا كيانهم في ظلها على اساس التعصب لها !

وما عيب التعصب والمتعصبين اذا كان ذلك من اجل سعادة الانسان ، ورفاهية الانسان وخير الانسان .

وأي مذهب من بين المذاهب الانسانية جميعها استطاع ان يحقق « الانسان » كفرد ، وكجزء من الاسرة ، وكخلية حية في المجتمع ، وان يخطط له شؤونه ، ويرعى له مصالحه ، ويعين له واجباته ، ويضمن له حقوقه مثلما استطاع ذلك الاسلام ؟

نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

- 8 -

جواب سفارة المملكة السويدية بالرباط عن عدد الملحدين في بلادها .

زرت السفارة السويدية غير مرة ، وفي كل مرة يتلقاني الموظفون بالترحيب والاكرام ، وسألت الموظف المختص عن عدد الملحدين في بلادهم ونسبتهم الى عدد السكان ، فكتب الي ما ترجمته :

الرباط في 31 مارس 1965 .
سيدي الاستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي .

بناء على زيارتكم الاخيرة لسفارتنا ، لي الشرف ان اخبركم انه من سنة (1952 — 1964) يعني اثناء مدة (12) سنة .

مجموع عدد الذين تركوا كنيسة الدولة بالنسبة المائوية ، صفر فاصلة خمسة في المائة .

من مجموع السكان البالغ عددهم سبعة ملايين وستة اعشار المليـــون .

اما تفاصيل الطوائف المسيحية وعدد كل منها ، فسأطلب معرفة ذلك من وزارة الشؤون الخارجية في استوكهلم ، ومتى حصلت على جواب فسأتشرف بارساله اليكم .

وتفضلوا يا سيدي الاستاذ بقبول عواطفي الممتازة نحوكم .
التوقيع **هيمنك كاد** ، المستشار بالسفارة .

من المعلوم ان الشعب السويدي في مقدمة الشعوب البالغة الدرجة القصوى في المدنية . ومع ان الشعوب السكندنافية كلها عريقة في الحضارة والرقي ، ومن اقدم الشعوب اخذا بالديمقراطية والحكم النيابي . ومن مزاياها الاستقرار والطمأنينة والبعد عن الثورات والقلاقل وتطاحن الاحزاب المفرط ، فمن ذلك اخذها بالحكم الملكي الدستوري واغتباطها بـه ، وعـدم المبـالاة بالاضطرابات والانقلابات التي وقعت في جيرانها من الاوربيين. ويمكن ان يقال ، ان الشعب السويدي هو انشط هـذه الشعوب وافواها ، فانه استطاع ان يحافظ على حياده في الحرب العالمية الاخيرة ، ولم يستطع هتلر ان يخضعه الى نفـوذه ، فضـلا عن احتلال بلاده ، ولا استطاع احد من اعداء هتـلر الاقويـاء ان يسالمه ولا ان يبسط عليه نفوذه ، وبذلك سلم من ويلات الحرب وبقي محفوظ الكرامة مرفوع الرأس ، لا يشاركه في ذلك الا الشعب السويسري والشعب الايرلاندي المستقل . ومن آيـات الاستقرار في هذه الشعـوب السكندنافيـه انني لما زرتهـا في السنة الماضية ، مع اني كنت حاصلا على سمـات الدخـول من سفاراتها الثلاث في الرباط لم يسألني احد عن جواز السفر الا حين وطئت قدمي ارض دانمارك بعد عبور بحر بلطيق في معدية من المانيا الشرقيـة الى دانمارك ، ومنهـا عبرت الحـدود الى الاراضي السويدية ومن الاراضي السويدية الى الاراضي النرويجية ، ومع ذلك مرارا وتكرارا ذهابا وايابا ، فلم يوقفني احد ولـم يسألني احد ، لا في الحدود السويدية ولا في الحدود النرويجية ، حتى كأن هذه البلدان الثلاثة بلد واحد .

وكل هذه الشعوب متمسكة بدينها اشد التمسك مع حرية الاعتقاد الواسعة التي يتمتع بها افرادها ، وقد رأيت ايهـا القارىء في الحلقة التي قبل هذه تدين الشعب النرويجي ، وانت ترى في هذه الحلقة ان عدد الملحدين الخارجيـن عن الكنيسة — بقطع النظر عن الاسباب التي دعتهم الى الخروج عليها ، وكثيرا ما يكون غير الالحاد ، كالتزوج بين شخصين ، احدهما كاثوليكي والآخر بروتستانتي وكالتأخر عن دفع ضريبة الكنيسة والالحاح المفضي الى الكفـر بها ، لا بالدين نفسـه الى غيـر ذلـك من الاسباب ، ومع ذلك لم يخرج عن الدين من سكان البلاد السويدية الا نصف واحد في المائة . فأين ما ينبجح به دعاة التحلل من قيود الاخلاق والمروءة الذين غلبت عليهـم الطبيعـة البهيميـة فأهملوا عقولهم واخلدوا الى ارض الحيوان الاعجـم واقتنعـوا بالعيش للاكل والشراب والنوم وما اشبه ذلك من الغرائز التي يشاركهم فيها كل صاهل وناهق وعاو وخائر ، ومن هو اقـل من هذه الحيوانات شأنا حتى يبلغ الامر الى الاميبات التـي لا

الاصول البشرية ، ولكن الاسلام قد اوجد بينهم اخوة عامة قل ان يوجد لها نظير في اتباع الكنيسة الواحدة •)

ويعلق المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه : « الاسلام في القرن العشرين » على هذه الآراء وكثير من مثيلتها فيقول : « ••• ان العربي مشغول بامر الاسلام شغل من يشعر بغفلته ، ويترقب ما وراء هذه اليقظة فلا يخرجها لحظة من حسابه واهم ما يهمه ان يعلم كيف يقف الاسلام غدا من مجامع الامم العربية والشرقية ، وكيف يكون مسلكه اذا انجمعت المعسكرات ثم افترقت عن هزيمة هذا وانتصار ذاك • ••• واحدى ظواهر هذا الاهتمام شيوع الطبعات الشعبية من ترجمة القرآن الكريم ، وابلغ من دلالة هذا الشيوع ان يقول رجل من رجال الدين وهو يقدم المختارات من آي القرآن انه اذا لم يكن كتابا فهو « صوت قوي حي » ••• وذلك غاية ما ينتظر ممن ينكر الكتـــــاب ! »

★ ★ ★

تلكم لمحات خاطفة عن الاسلام باعتباره مثلا اعلى عقيدة وشريعة ونظاما ، وعن الفكر الاسلامي باعتباره نموذجا فريدا في موضوع تربية الفرد والجماعة عن طريق الثقافة •

وبقي « المنهاج » الذي يجب ان يسلكه رواده والداعون له ••• وهذا المنهاج — نظرا لخطورته — يستلزم منا وقفة خاصة نرجو ان نوفق اليها في العدد القادم بعون الله •

الرباط — محمد عبد الواحد بناني

قال كاتب هذا المقال : كل من حصر العلم في معلوماته او مشاهداته وحكم ببطلان كل ما لا يعلمه فقد سد على نفسه باب المعرفه وصار اجهل الجاهلين . وفي كل يوم تنكشف للانسان معلومات كان يجهلها كل الجهل ، بل كان ينكرها ويعتقد انها من قسم المستحيل ، ثم بعد اكتشافها صارت عنده من البديهيات ، وما احسن قول الله تعالى في سوره الاسراء 85 (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وقوله تعالى يخاطب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم (وقل رب زدني علما) وحكايه الخضر مع موسى لما سافر اليه لطلب العلم ، وهي مفصله في سورة الكهف ترشد العقلاء الى ان العلم لا حد له ، وان الانسان كلما ازداد علما ازداد معرفه بقله علمه .

ونقل محمد فريد وجدي عن الفيلسوف (اجوست سابتيه) في كتابه (فلسفه الاديان) ان العلماء اول المعترفين في كل فرع من فروع العلم بأنهم لم يدركوا منه الاجزاء محدودا . وان اكثرهم تواضعا هم اكثرهم علما . على ان كلهم يعترفون بان ما حصلوه للآن من الاكتشافات ، وما درسوه من هذا الجزء اليسير من الطبيعه ليس الا عدما بالنسبه لما يجهلونه . فهم مستعدون لتصحيح القوانين التي قرروها . ولتوسيع الفروض التي فرضوها ، وضم كل ما يشاهدونه من المشاهدات الصحيحه الى ما لديهم منه .

نعم ، انه يوجد من بين هذه المشاهدات ما يدهشهم ويعكس افكارهم كما نراه كل يوم . ولكننا لا نلاحظ موقف العلم الحق امام هذه الظواهر الجديده نراه لا يشك في انها تابعه لنواميس مجهوله ، ولكنها حقيقه وموجوده ، ونراه لا يتأيس من امكان ضمها الى باب القوانين وزياده مواد العلم بها . ونجاحه السابق يضمن له نجاحه في المستقبل ، ونراه يتبع نجاحه بدون تلمس ، لانه لا يعرف الحس الادبي .

شبهـــات الحسيـيــن

نقل محمد فريد وجدي عن احد ائمتهم وهو « لتريه » في كتابه المسمى (كلمات عن الفلسفه الحسيه) قوله : لما كنا نجهل اصول الكائنات ومصائرها ، فلا يليق بنا ان ننكر وجود شيء سابق عليها او لاحق لها ، كما لا يليق بنا ان نثبت ذلك . فالمذهب الحسي يحفظ كل التحفظ في مسألة وجود العقل الاول لاقراره بجهله المطلق في هذا الشأن ، كما ان العلوم الفرعيه التي هي منابع للمذهب الحسي يلزمها ان تحتفظ من الحكم على اصول الاشياء ونهاياتها . بمعنى اننا ان لم ننكر وجود الحكمه الالهيه فلا نتعرض لاثباتها ، فنحن على الحياد التام بين النفي والاثبــــات .

قال محمد فريد وجدي عقب نقله كلام « لتريه » ما نصه : هذا قول عمدة من عمد الفلسفة الحسية ، ومنه يرى كل انسان ان ليس لدى القوم برهان ولا شبه برهان على نفي الصانع . وانهم يستحبون التحفظ عدم التدخل في هذه المسألة بالمرة . وبعبارة اصرح ، انهم ناس يريدون في اثناء حكمهم على الاشياء كما يقول الدكتور (روبيه) في كتابه (الفلسفه الحسيه) ان يبعدوا كل ما لا يدرك بالحس ، وان لا يعتمدوا الا على المشاهدة المحسوســـه .

نقول : ان كان الامر كما يدعون فالخطب سهل ، ولا يهمنا امر قوم اخذوا على انفسهم ان لا يثبتوا ولا ينفوا شيئا الا بدليل محسوس . ولكن ما قولهم في انهم خالفوا قانونهم ، وكان اول من خالفه شيخهم « ليتريه » . وذلك ان هذا الاستاذ نفسه كتب في مقدمة وضعها لكتاب « المذهب المادي » تأليف (لابلنه) هذه العباره . ان الطبيعي يعلم ان للماده وزنا ، كما ان الفزيولوجي يعلم ان الماده العصبيه تفكر ، ولكن بدون ان يدعي واحد منهما معرفه كيف تزن الماده ولا كيف تفكر الاعصــــاب .

انظر كيف خالف « ليتريه » قانونه نفسه ، وزعم ان الاعصاب هي التي تفكر ؟ هل لديه دليل محسوس ان لا روح للانسان ، وان الاعصاب هي التي تفكر ؟ اما كان الاجدر به ان يقر بالعجز امام هذه المسألـــه ، وهي اعوص المباحث الفلسفيه على الاطلاق . ان كان يريد ان يحرص على قانون الفلسفه الحسيــه .

اتريد دليلا آخر على نفي الحسيين للاشياء بدون برهان ؟ قال « ليتريه » نفسه في كتابه (كلمات عن الفلسفة الحسيه) : يظهر لنا ان الاسباب التي اوجدت الكون ، هي ذاتية فيه غير منفصله عنه ، وهي التي نسميها نحن بالنواميس الطبيعيه .

انظر كيف ادعى بدون برهان (محسوس) ان الاسباب التي خلقت الكون ذاتيه فيه ، وانها هي المسماه بالنواميس . على ان الناس في بحثهم عن الخالق لا يضربون في الخيال ، ولا يخوضون في الاوهام ، انهم يبحثون عن السبب الاول الذي اوجد الكون على النحو الذي يبحث به العلماء عن النواميس .

يقول محمد تقي الدين الهلالي : من امثال العرب السائرة (اذا كنت كذوبا فكن ذكورا) اراد هذا المادي المعترف بالعجز والجهل ان يطوي عقيدته التي لا يختلف فيها الانسان عن الحيوان الاعجم . فلما وصل الى الاداة التي خلق الله فيها التفكير ، وهي الاعصاب ، خانته الذاكرة فأثبت التفكير للأعصاب ، وهذا مخالف لعقيدتــه ، لان نسبة التفكير الى الاعصاب من نسبة الفعل الى الفاعل بالمعنى اللغوي . ولا يوجد دليل حسي حسب مذهبه يثبت ان الاعصاب هي التي تفكر ، فظهر تناقضه . وكان ينبغي له — لولا ان الله اراد ان يفضحه — ان يلجأ الى الجهل عند العجز كعادته فيقول : ان الفكر موجود في العصب ، ولكن لا ادرى من اين جاء هذا الفكر الى العصب .

تبصر بالعين المجردة (أرأيت من اتخذ إلهه هواه ، أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا) ، الفرقان 43 — 44 .

شبهـــات الملحديـــن

تقدم إبطال شبهات « جوليان هكسلي » الفيلسوف الإنكليزي في المقالات الأربع والعشرين التي نشرت في مجلة دعوة الحق من الجزء الرابع ، السنة الثالثة إلى الجزء الثالث — السنة السادسة . ثم عدت لنقل كلامه والرد عليه لاختصار لما سرق كلامه « ربيع الحسيني » وسجح به عدت لذلك في الحلقة الثالثة من هذه السلسلة ، ونشرت السلسلة الأولى تحت عنوان (دواء الشاكين وقمع المشككين) وهذه السلسلة تنشر تحت عنوان (نقد مقال العواصف المتقاصفة المخطط) وفي كلتا السلسلتين تؤخذ « ربيع الحسيني » فيقال ويسلك . ثم يعمل هو وأضرابه إلى سواء الجحيم ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . وسنرى هنا شبهات سائر الملاحدين والرد عليها وإزهاقها بالبراهين العقلية القاطعة والحجج الدامغة بحول الله وقوته .

شبهـــات الدكتور بخنـــر الالمانـــي

قال الأستاذ محمد فريد وجدي رحمه الله : من أكبر الدائرين بين الدكتور « بخنر » الألماني ، وقد أورد شبهات على الخالق ، نقلها عنه العلامة « كامل فلامريون » الفلكي الفرنسي في كتابه (الله في الطبيعة) منها أنه لما كتب العلامة « أوسيد » قوله (إن الكون محكوم بحكمة أزلية تظهر لنا آثارها بواسطة القوانين الثابتة في الطبيعة) ثم نرى قوله هذا في عين الدكتور « بخنر » فكتب يرد على « أوسيد » بما يأتي :

« لا يمكن أن يتصور أحد أن تبقى حكمة أزلية مع نواميس طبيعية ثابتة . فإما أن تكون النواميس هي الحاكمة ، وإما أن تكون الحاكمة هي تلك الحكمة الأزلية . فإذا كانت الحكمة الأزلية هي الحاكمة فلا لزوم لنواميس الطبيعة ، وإذا كان الأمر بالعكس ، وكانت النواميس الطبيعية هي الحاكمة ، فإن ذلك ينفي كل تدخل سماوي » . انتهى

قال « كامل فلامريون » عقب هذا : اتفق أن « بخنر » هذا ناقض نفسه بنفسه ، وأقام الدليل على فساد استدلاله وهو لا يشعر وذلك أنه لما انتشرت الكوليرا في بلاد الإنجليز ، وأخذت تفتك بالناس فتكا ذريعا ، طلبت هيئة « الأكليروس » الإنجليزي من اللورد (بالمرستون) وزير الدولة إذ ذاك أن يصدر أمره ، بأن يصوم الناس يوما ليرفعوا فيه أكف الضراعة إلى الله بأن يزيل الكوليرا عن بلادهم .

فأجابهم اللورد ، بأن ملاشاة الكوليرا لا تتأتى إلا باتخاذ الوسائط الصحية ، وأن لا دخيل للدعاء والعبادة في مثل هذا الحادث . فمدحه الدكتور « بخنر » هذا وأثنى عليه في مقاله كتبها جاء فيها : (كيف يعقل أن المنزع الأقدس يخالف ما وضعه من النواميس والقوانين الثابتة بدعوات الداعين وبكاء الباكيـــن) .

وبطل كيف ناقض نفسه بنفسه ، لأنه قال في رده على الأستاذ « أوسيد » : إنه لا يمكن تصور وجود النواميس ثابتة متحدة مع حكمة أزلية . وهنا يستبعد أن الخالق الأقدس يعارض سير النواميس التي وضعها بنفسه وحكم بها مخلوقاته .

يلوح لنا أن الملحدين حين يهذون بالاستناد على وجود الخالق يمدون في عقولهم تلك العقيدة على النحو التي هي عليه عند أحط الناس عقولا .

يقول كاتب هذا المقال : هذه شبهة واهية ، بل مغالطة جاهلة ، زيادة على كون « بخنر » ناقضت أقواله وأثبتت وجود الخالق سبحانه في موضع ونفته في موضع آخر ، يقال له ، أرأيت هذه النواميس التي تزعم أنت أنها تحكم العالم ، أهي واحدة ، أم متعددة كما تدل عليه لفظتها ؟ ثم ألها علم وقدرة وإرادة وخطة مرسومة ، أم هي عمياء صماء تعمل أعمالا دفعية مختلفة مؤلفة مطردة بلا علم ولا قدرة ولا إرادة ولا خطة مرسومة ، فإن قال ، إنها متعددة عمياء لا علم لها ولا إرادة فقد أبطل زعمه ، لأنها حينئذ تحتاج إلى واضع خالق مدبر منسق كما اعترف به في الموضوع الآخر . ثم يقال له . أخبرنا عن هذه النواميس . أهي أزلية أبدية ، أم محدثة . فإن قال إنها أزلية كذبه ما تقدم من براهين الفلاسفة والعلماء ، وإن قال ، إنها محدثة . أورد عليه ما يلزم المحدثات من العجز والافتقار إلى غيرها كما تقدم مبسوطا ، فلا حاجة إلى إعادته . انظر أقوال الفلاسفة في الحلقات السابقة .

الشبهة الثانية « لبخنر » ايضـــا

زعم « بخنر » ، أن عموم النظام في كل ما يدركه الإنسان من الأجرام الفرقية والبعيدة ، حتى التي لا يدرك إلا بأكبر مجهر (تلسكوب) وعدم وجود شيء منها عن النظام يدل على أنه ليست هناك قوة تحركها إذا شاءت ، وتوقفها إذا شاءت وتسدها إذا ظهر لها ذلك ، وتعكس سيرها تارة ، وهذه الحجة نفسها هي حجة المثبتين ، فإن هذه الأكوان القريب منها والبعيد ، والمدرك بالحواس ، والمدرك بالآلات بلغت في الإتقان والنظام إلى حد يستحيل على العقل أن يصدق أنها تسير بالمصادفة ، وكان حدوثها بالمصادفة بدون قصد ولا علم ولا خطة سابقة . راجع كلام « روســو » « وفولتيــر » وغيرهمـــا من الفلاسفة المتنبـــس .

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ عبد الله كنون

حرف الحاء :

136) في ص 145 (ع . ي .) تعريف بابن الحاج الفاسي صاحب المدخل جاء فيه : «هو ابن عبد الله محمد الفيرواني التلمساني المالكي » والمعروف ان والده اسمه محمد وكذلك جده فهو محمد بن محمد بن محمد ، وعليه فقوله ابن عبد الله خطأ ان لم تكن محرفة من كنيته اي ابو عبد الله وكذلك وصفه له بالقيرواني والتلمساني فان ما اشتهر به هو نسبته الى بلده فاس التي ولد ونشأ بها ، ولو وصف بالنسبة لغيرها لكان حريا ان يوصف بالنسبة الى مصر التي اقام فيها نحو الاربعين سنة ، وليس يكفي مروره بتلمسان او بتونس لوصفه بالتلمساني والقيرواني (انظر ترجمته في الحلقة (22) من سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب) .

137) في ص 148 (ع . ل .) ترجمة للحارث بن حلزة الشاعر الجاهلي المعروف ، جاء فيها انه اشتهر بمحاماته عن قبيلته امام « عمر بن الهند » والصواب عمرو بن هند .

138) في ص 149 (ع . ي) تعريف بحامد بن العباس الوزير ذكر فيه انه بطش بالقرمط والصوفية والامامية ، وكلمة القرمط هنا غريبة فانها لا تصح على الافراد ولا على الجمع ، اذ لو كان يقصد شخصا بعينه لكان عليه ان يقول القرمطي ، ولو كان يريد الجماعة لوجب عليه ان يقول القرامطة ، وحتى صاحب دعوة القرمطية ورأسهم الذي به عرفوا واليه ينسبون ، انما يقال له قرمط بدون تعريف ، وهو لقبه واسمه حمدان على ما قبل او غيره .

139) وفي المكان نفسه وقع ذكر لحاميم المتنبيء ، جاء فيه انه رجل من قبيلة بني زروال البربرية ، والمعروف ان حاميم من غمارة ومن قبيلة منها يقال لها مجكسة ، فلا محل لذكر قبيلة بني زروال هنا ، والمؤلف يقلد في ذلك دائرة المعارف الاسلامية ، وكاتب المادة فيها ، هو ريني باسي ، وله تعليقات عجيبة واخطاء سيئة سننبه عليها في بحث مستقل ، وفيه نبين من اين اتى بتلفيقه هذا في نسب حاميم .

140) في ص 150 (ع . ل .) ذكر لحبابة جارية يزيد ابن عبد الملك ضبط فيه هذا الاسم بتشديد الباء ، وهو بفتح الحاء والباء بدون تشديد ، وقال انها معشوقة يزيد ، ولا ادري لماذا المخالفة عن تفسير جميع المؤرخين بجارية ؟ ثم قال ماتت من حبة عنب او رمان فبلغ من خوف يزيد وحزنه ان مات بعدها بايام ، ولم يقل احد ان يزيد مات بعدها من الخوف ولكن من الحزن عليها ، حتى انه لا يعلم خليفة مات حبا غيره كما قيل .

141) وفي هذا العمود ترجمة لابن حبان صاحب الصحيح ، وهو محمد بن حبان البستي التميمي يكنى ابا حاتم ، وقد تقدم له ذكره في اول الحرف ، في ابي حاتم ، ثم اعاد ترجمته في ابن حبان ظنا منه انه شخص آخر ، وثم قال انه توفى سنة 966 وهنا جعل وفاته سنة 965 ، وما نسبه اليه هنا من كلام في النبوءة ينظر تحقيقه في الطبقات لابن السبكي ج 2 ص 141 على انه انما نقل ذلك عن دائرة المعارف الاسلامية من غير تحرير .

142) في الصفحة نفسها (ع . ي) موضوع سماه الحبل بلا دنس ، قال انه اسم يطلقه المسيحيون على سيدتنا مريم العذراء التي حبل بها بدون ان تلحقها وصمة الخطيئة الاصلية ، وبقطع النظر عن هذه الخطيئة الاصلية فاننا نظن ان صواب العبارة هو التي حبلت بدون زوج وبدون ان يكون ذلك ناشئا عن خطيئة كما يقول اليهود قبحهم الله .

143) في ص 151 (ع . ل .) ترجمة لحبيب بن مسلمة الفهري ، ضبط فيها اسم ابيه بضم الميم وكسر اللام ، وهو بفتحهما وعرفه بانه مكي من بني فهد ، والصواب فهر بالراء ، وقال انه من اعظم قواد الخليفة معاوية ، وهو في الحقيقة كان قائدا مذكورا في ايام عمر ، ثم قال : لقبه حبيب الروم ومجاب

فنقول نحن : ان كنت انت لا تدري فنحن ندري ان الذي اوجده في العصب هو الذي رجع وجود العالم الممكن على عدمه (الله خالق كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل) وقد تقدم البرهان على ان العالم ليس ازايا ، وتقدم البرهان كذلك على ان العالم لا يمكن ان يوجد نفسه ، لان وجوده آت من غيره · وهـذه اركان البرهان على وجود الله سبحانه وقيوميته وتدبيره لجميع الكائنـات ·

ثم لخص محمد فريد وجدي بحث الماديين وبحث الفلاسفة المثبتين لوجود رب العالمين فقال ما نصه ، قال «ليبنري» يظهر لي ان الاسباب التي اوجدت الكون ذاتية فيه ، وهي التي نسميها بالنواميس ·

وقال قائل الطائفة الثانية : يظهر لي ان للكون سببا واحدا بصيرا بما يعمل ، والا فمن اين نشأ هذا الابداع المستفيض على الاكوان ، وكيف خلقت هذه الكائنات لمقاصد متنوعة ، وغايات مقررة ؟؟

فالبحث عن الخالق ، ليس من باب البحث عما لا ينفع ، لان ادراك السبب الاول للوجود رغبة من رغبات العقل ، بل حاجة من حاجات الروح ، فليس الانسان كالحيوان خلق ليأكل ويشرب ثم يموت ، بل له وراء هذه الحاجات الحسدية حاجات لا يحددها وهم الواهم ، ولا يصورها خيال المتخيل ·

ان الكائن الذي سخر الهواء والماء والمغناطيس والكهرباء وما وراء ذلك من الاشعة الخفية ، والقوى غير المرئية ، لا يقنعه ان يعيش معيشة الحيـوان ، فهو ميال بطبعه لاكتشاف سر الحياة والموت ، بل سر الوجود كله ، وكائن هذه صفاته لا ينصرف عن البحث في السبب الاول للكون ، ولو جعلت عقابه على البحث فيه الموت ·

يقول كاتب هذا المقال : والماديون يريـدون مـا ان نطفيء نور العقل ونقنع بالجهل ، او ان ننسب الاعمال الباهرة الدقيقة المنوعة المختلفة المتضامنة التي يسير كل جزء منها ، وان كان دقيقا في منهاجه المرسوم ، لا يحيد عنه ابدا ، يريدون منا ان ننسب ذلك الى المادة الصماء العمياء التي هي فاقدة للحس والشعور وللعقل والادراك ، ونعتقد انها تعطي حسا ، ولا حس لها ، وتعطي شعورا ، ولا شعور لها ، وتعطي عقلا · ولا عقـل لها ، وذلك منهم شطط ما بعده شطط ، ونعسف تجاوز الحـد ، ولبس في قدرة عاقـل ان يقبلـه ، ولعل قائلهم يقول : نحـن مضطرون الى ذلك التعسف لنخرج من سلطان الكنيسـة الـذي ارهقنا وضيق علينا الخناق ، وتدخل في كل شيء من شؤوننا ، فنقول له : لقد اخطأت طريق الرشد وسلكت سبيل الغي ، فهلا ناقشت الكنيسة الحساب مع الاعتراف بحكمة الملك الوهـاب ، لترجع الى الصواب ، او نخرج انت من ربقها متمتعا بنعمـة عقلك غير ملوم ، فنحن لا نؤله البشر ، ونجعل الحكم كله لله مستنيرين بنور العقل ، طالبين رياده العلـم ، غير متعسفين في الحكم ، وان ابيتم فلكم دينكم ولي دين ·

وموعدنا الجزء التالي لسرد بقية الشبهات والجواب عنها بحـول اللـه ·

ليعلم ذو « الرين الحبشي » ان ربحه لافت اعصارا ، وان الحق لا يعدم انصارا ، وقل اعملوا على مكانتكم انا عاملون ، وانتظروا انا منتظرون ·

مكنـاس — تقي الدين الهلالي

فاسقط مشعر من عجز البيت وهو بذلك لا يتزن ، وجعل نكتب بالتاء وبناء الفعل للمجهول ، وذلك يوءدى الى الاقـواء في الشعـــر :

153) وفيه ايضا ذكر حزب البحر المعروف للشاذلي ، وقال هو كتاب ، والذين يعرفون هذا الحزب يعلمون انـه لا يزيد على ورقة فلا يقال فيه كتـاب الا بالمعنـى اللغوي ، اي مكتوب ، ونسب الشاذلي الى اليمن وهو مغربي غماري لاخفـاء فيه ، فلا ندري من اين جاء بهذه النسبة اليمنية ؟ ٠

154) في ص 157 (ع ٠ ني) ترجمة لابن الخشـــاب صاحب الانتقاد على الحريري في مقاماته جعله الحساب بالحـاء والسين المهملتين ، وبذلك ذكره في حرف الحاء وقال : « من موءلفاته كتاب الاستدراكات على مقامات الحريري وانتصار ابن البري مخطوط في استانبول» فخلط بين رسالة النقد على الحريري التي هي لابن الخشاب ورسالة الانتصار للحريري التي هي لابن بري بدون تعريف بال ٠ وقال مخطوط والرسالتان مطبوعتان رائجـــــان ٠

155) في ص 158 (ع٠ ني٠) ترجمة لحسن حافي ،جاء فيها ٠ « مات في الرشيد (مصر ، له موءلفاته منها تذكرة شعراء والصواب رشيد تذكرة الشعراء ٠

156) في ص 159 (ع٠ ني٠) ذكر لأبي الحسن المريني قال فيه انه العاشر من سلاطين بني مرين بتشديد الراء ، وهـي مخففه ، وانه تحالف عليه الاعراب فهـزم بالعرب من قيروان وهي القيروان بأل ٠

157) وفيه ايضا تعريف بالسلطـان مولاي الحسن بن محمد العلوي ، جعله ابن احمد ، والرابع عشر من بيت الحسني ــ كذا ــ اشراف سجلماسة وهو في الواقع السابع عشر ، ثم قال: « وهم يلقبون ايضا باشراف فلالي ، (يعني فيلالة) او العلوية» وزاد قائلا : « اهتم في تدريـب الجيش ٠٠٠ وفي المشاريـع العمرانية » وهذا التعبير اهتم في كذا ليس من لغة المعاجم بل من لغة الاعاجم كما نبهنا عليه سابقا ، فلا يعتمده الناشىء الــذي يقرأ منجد الآداب والعلوم ٠

158) وفيه كذلك تعريف بالاشراف الحسنيين، قال فيه: «همسلالة الحسن بنعلي وفاطمة» وهذا صحيح ولكنه قال بعد ذلك : « ويطلق هذا الاسم في المغـرب على الشرفـاء من سلالـة محمد النفس الزكية اخـي ادريس الاول وشرفاء سلالتـه يعرفـون بالادارسة » فخلط بين الاشراف العلويين والادارسة ، ولو قال بعد ادريس الاول : ويعرفـون بالعلويين وعلى الشرفـاء من سلالة ادريس المذكور ، ويعرفون بالادارسة ٠ لاصاب الصواب ٠

159) في ص 160 (ع٠ ني) ترجمة للحسين بن نمير جاء فيها انه قاتل في وقعة حرى في الحجاز وهو يعني وقعـة الحرة المشهورة بالمدينة ٠

160) في ص 161 (ع٠ ني) تعريف بحصـن العقـاب باسبانيا الذي وقعت فيه المعركة الشهيرة بين المسلمين والاسبان ، ضبط فيه العقاب بضم العين وهو بكسرهـا كما نص عليـه في الروض المعطار ، وكثيرا ما يغلط فيه الكتاب ، كما ضبط لفظ حصن بضم الحاء ، وهو خطأ فان الحصن مكسور وقد وقع لـه هذا الخطأ في هذا العمود والعمود الذي قبله حيث تكـرر لفظ حصــــن ٠

161) في ص 163 (ع٠ ل٠) عاد فذكر الحكيم الترمذي الذي سبق الكلام عليه في حرف التاء ، وذكر كتابه ترمذ وهو عنده بلا شك غير السابق ، ولذلك اعاد ذكره ولكنه زاد في هذه المرة ذكر لقبه الحكيم ، ولم يكن ذكره قبل ٠

162) في ص 165 (ع٠ ني) ذكر حماس الليثي فقال انه احد مشركي قريش حارب النبي يوم الخندق ثم اسلم بعـد ذلك ، وكانت وفاته ايام ابي بكر ٠٠ والمعروف في حمـاس هذا انه من مواليد عهد الرسول (ص) فكيف حاربه يوم الخندق وهو طفل ، ثم ان الذي ذكره ابن حجر في الاصابة انه في خلافة عمر كان يحر في الحفاب والادم فقال له عمر اد زكاتك ، فلم تكن وفاته اذن في ايام ابي بكر ٠ ولا نـدري من اين اتـى الموءلف بهذه المعلومات ، والظاهر انه اختلط عليه بغيره ٠

163) وفيه ايضا ذكر لحمدان قرمط بن الاشعث ضبط فيه قرمط بفتح القاف والميم ٠٠ وقال انه موءسس القرمط ، وقد مر بنا آنفا ان قرمط هذا اختلف في اسمه فقيل حمدان وقيـل غيره ٠ ومما قيل فيه الفرج بن يحيى او ابن عثمان ، ولم نر من قال انه ابن الاشعث كما ذكر الموءلف وضبط قرمط المشهـور فيه كسر القاف والميم ، والقرمط لا يصح ان يكون اسم النحلة فكان عليه ان يقول موءسس القرمطية ٠

164) في ص 166 (ع٠ ل٠) ذكر لحمزة الاسلمي من الصحابة ، جعله الموءلف حمزة الاسلامي ولم يعرف انه منسوب الى اسلم ، بطن من الازد لا الى الاسلام، فالصحابة كلهم اسلاميون٠

165) في ص 168 (ع٠ ل٠) ترجمة لمحمد الحنيفي ، جاء فيها انه فقيه تعلم في حلب وفي الازهر الدروس التركيـة ولا ندرى هل كان الازهر في وقت ما يعطي دروسا في التركية ثم قال : له مختصر دلائل الاعجاب للجرجاني ، وهو دلائــل الاعجاز بالزاي ٠

166) في ص 170 (ع٠ ل٠) ترجمـة لحيـص بيص الشاعر المشهور ضبط فيه لقبه هذا بكسر الحاء من حيص والباء من بيص وهما بالفتح ٠ (✶)

طنجة ــ عبد اللـه كنـون

✶) تنبه الكتاب العرب اخيرا الى مهزلة منجد الآداب والعلوم فتناولته اقلامهم بالنقد في مجلة المعرفة التي تصدرهـا وزارة الثقافة والارشاد في دمشق وكذا في مجلة المجمع العربي العلمي ، والغريب ان هذه الانتقادات قلما تتلاقى فيما تتناولـه من الكتاب مع ما قلناه في مقدمة هذا النقد من اخطاء المنجد اكثر من ان يتصدى لتصحيحها كاتب واحد ٠

الدعوة ، وليس هذا بلقب له ، وانما قيل له حبيب الروم من كثرة قتاله لهم .

144) في ص 153 (ع . ل .) تعريف بالحجاج بن يوسف ، جاء فيه انه حاصر في مكة مصعب بن الزبير المدعي بالخلافة ، وظاهر ان المراد عبد الله بن الزبير لا اخوه مصعب ، فهو الذي قاتله الحجاج وهو الذي كان خليفة وقتا ما ، لا مدعيا بالخلافة ، ثم ان قوله المدعي بالخلافة هو تعبير عامي صوابه المدعي الخلافة .

145) وفي هذا العمود ايضا ذكر حجر آكل المرار ملك كندة وضبط بفتح الحاء وسكون الجيم ، وهو بضم فسكون او بضمتين لا غير ، ولينظر القاموس .

146) في هذه الصفحة (ع . ى .) ورد ذكر حجر النسر الحصن المعروف الذي آوى اليه الادارسة في دولتهم الثانية بالمغرب ، وقد وقع للمؤلف فيه اخطاء : ضبطه بضم فسكون وهو بفتح اوله وثانيه معا ، وقال : بناه ابراهيم بن محمد القاسم (كذا) ابن ادريس الثاني ، والصواب ان الذي بناه هو محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس ، كما في القرطاس وغيره ، ثم قال : وفيه اسمر ابناه جنون وحنون ، وهذه مصيبة « ان المؤلف يلخص هذا الكلام من دائرة المعارف الاسلامية ، والذي فيها الاشتباه في اسم حنون ، هل هو بالجيم او بالحاء ، فقد ورد في البكري مصحفا بالحاء مكان ذلك مما اوقع صاحبنا ريني باسي كاتب المادة في دائرة المعارف في الشك ، هل هو جنون وحنون ، لابراهيم بن محمد باني الحصن . وهذا خطأ يراجع ابن خلدون والقرطاس والاستقصا وكتب النسب ، ليعلم الحقيقة ، وكان يكفيه ان يرى هؤلاء وغيرهم اكثر ما يكتبون هذا الاسم بالكاف المعقودة وهو بذلك لا يمكن ان يشتبه بالحاء اصلا .. ويا ليت الامر اقتصر على تردد كاتب المادة في الدائرة فقد جاء مؤلف المنجد وطرح الشك جانبا وجعلهما ابنين اثنين ، جنون وحنون ، لا ابراهيم بن محمد باني الحصن ، وهذا خطأ آخر زيادة على الخطأ في جعله بانيا للحصن فان جنون او كنون هو ابن للقاسم لا لابراهيم ، هذا وقد حققنا موقع قلعة حجر النسر في كتاب النبوغ المغربي فلينظر .

147) في ص 154 (ع . ل .) ما نصه : حذام (بكسر الحاء) علم لامرأة في الجاهلية يضرب بها المثل في حدة البصر وتلقب بزرقاء اليمامه ، وفيها قول الشاعر :

اذا قالــت حــذام فصدقوهــا
فــان القــول مــا قالــت حــذام

ولا ادري كيف يتصدى للتأليف ، وتأليف المعاجم بالخصوص ، من تشتبه عليه الامور الى هذا الحد ، فأولا ــ ضبط حذام هو بفتح الحاء وكسر الميم على صيغة فعال المخصوصة بالمؤنث ، وليس بكسر الحاء كما ضبطه المؤلف ، وثانيا ــ حذام ليست هي زرقاء اليمامة التي يضرب بها المثل في حدة البصر ، ولو تامل قليلا لادرك ذلك من معنى الشعر الذي انشده فانه لا اشارة فيه اصلا الى حدة بصرها ، وثالثا ــ ان ما عرفت به حذام هو الصدق . وبذلك ينطبق عليها البيت الذي انشده وبتحقق فيها معناه ، وقصة كل من حذام وزرقاء اليمامة مذكورة في مظانها وتخالف احداهما الاخرى ، كما ان قومها ليسوا قبيلا واحدا ، فهذه ثلاثة ونلك سابعة ، والغريب ان المؤلف ذكر زرقاء اليمامة في حرف الزاي ولم يذكر انها هي حذام ولا انشد فيها البيت الآنف الذكر .

148) وفي تلك الصفحة (ع . ى) ذكر المؤلف جبل حراء ، فقال : فيه غار اختفى فيه النبي في عودته من الطائف حتى استطاع دخول مكة بعد الهجرة ، والحراء (كذا) تعرف ايضا بجبل النور .. والخبط الذي في هذا التعريف لا يقل عن الذي في المادة قبله ، فغار حراء اشتهر بكون النبي (ص) كان يتعبد فيه قبل النبوة ، ليس غير ، وفي عودته (ص) من الطائف لم يختف في غار ، وعلى قول هذا المؤلف يلزم انه (ص) بقي مختفيا في حراء نحوا من عشر سنين اي من عودته من الطائف في السنة العاشرة للبعثة الى دخول مكة بعد الهجرة في عمرة القضاء سنة سبع ، اذ ذاك ما نعلمه عنايته ، ولا يخفى بطلانه ، ثم ان قوله والحراء بزيادة الالف واللام خطأ فهو معرفة بالعلمية لا تدخلــه ال .

في صفحة 150 (ع . ل .) ذكر الحرث بن كعب المذحجي بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء فجعله المرحجي بالزاي والحاء المفتوحة وهو خطأ .

150) وفيه ايضا ترجمة لعبد الحق الاشبيلي صاحب الاحكام ، ذكره في حرف الحاء على اعتبار انه يعرف بابن الحراث وهو خطأ فان ما يعرف به هو ابن الخراط بالخاء والطاء ، ولا ادري كيف وقع له هذا الخطأ ، ثم انه لم يذكر اهم التآليف ان الجمع بين الصحيحين وهو انما اشتهر بكتبه الاحكام الكبرى والصغرى والعاقبة لا بما ذكره له .

151) وفيه كذلك ذكر حرقة بنت النعمان بن المنذر فجعلها الحرقة بالالف واللام وفتح الحاء وسكون الراء ، وذلك خطأ ، والصواب حذف ال وضم الحاء وفتح الراء .

152) في ص 157 (ع . ل .) تعريف بالحريري صاحب المقامات ، ومما جاء فيه على علاته قوله في وصف المقامات : بطلها الحريري زيد السروجي ، وهو لحن صوابه ابو زيد ، ثم انشد بيتي الزمخشري في المقامات :

اقســم باللـــه وآياتـــه
ومشعـــر الحـــج وميقاتـــه
ان الحريـــري حـــري بـــان
نكتـــب بالتبـــر مقاماتـــه

واول من استعمل كلمة الثقافة ابن خلدون ، وفى العصر الحديث حسن توفيق العدل فى كتابه « سياسة الفحول فى تثقيف العقول » .

كما اتفقت الاراء على ان الثقافة هي الوجه المقابل للحضارة .

فحيث تشمل الحضارة الماديات والصناعات والتجارة والصناعة الالية تتمثل الثقافة «1» فى الاخلاق والمبادىء والامور الذهنية والمعنوية.

فالحضارة تنتقل من امة الى امة وهي قابلة للانتشار بين الامم بسرعة . اما الثقافة فتبقى خاصة بكل امة على حدة ، وان اثرت ثقافات الامم المختلفة بعضها فى بعض قليلا او كثيرا .

اما من ناحية المضمون فان الاراء كلها تجمع على ان ثقافة اية امة تشمل دينها وادبها ونظمها واخلاقها وتقاليدها واساطيرها . وانها تمثل طريقة الحياة اجمالا . وان التربية والتعليم هي واسطة من وسائط المحافظة على الثقافة وميراثها من السلف الى الخلف ، اي ان الثقافة ملك للامة والتعليم ملك فردي .

ومن عسرات التعريفات للثقافة يبدو صلة الثقافة بالامة هي اساسها الاول ، وانها تتصل بالعقل والروح، وان لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي يتسم بها ويعيش فيها ، كما ان لكل ثقافة مقومات مادية ومعنوية ، اما المادية فتتألف من طرائق المعيشة .

والمعنوية هي العادات والتقاليد التي تسود المجتمع وان لكل ثقافة ميزانها وخصائصها التي تحدد شخصيتها .

وبالجملة فان الثقافة فى امة من الامم تتصل بقيمها وشخصيتها ومقوماتها الاساسية ومن هنا نكاد تجمع الاراء على انها لا تستورد ، وان كانت تتلقى وتمتص من الثقافات الاخرى ما يضيف اليها القوة والحياة .

ومن هنا يبدو الفارق بين « المعرفة » والثقافة فى كل ما تتلقى الامم من فكر الامم الاخرى وثقافاتها ، ومن هنا يصدق الراي الذي يربط بين الثقافة والمثل الاعلى للانسان فى بيئته وفكره .

فالمعرفة تضم المناهج والنظريات المتصلة بعلوم النفس والاجتماع والاقتصاد وهي مجموعة من الاراء تتطور وتتغير وتتعارض ، ولما كان النظر فيها ضروري لمتابعة خطو الفكر الانساني فان ذلك يتبع النظر منها خلال باب المعرفة الرحب الواسع ولا يمكن ان تتحول هذ هالمعرفة الى « الثقافة » الا فيما يتلاقى منها مع الاسس والمتشخصات الاصلية ، ذلك ان ثقافة كل امة لها طابعها الخاص فى الحياة ونظرتها الى المشاكل الاساسية ولكن الثقافات تتلاقى وتأخذ وتدع ومن هنا ايضا يبدو صدق النظرة التي تفرق بين نقل الحضارة ونقل الثقافة باعتبار ان الحضارة مادية والثقافة ذهنية ، وعلى ضوء هذا الفهم لا يكون « الدين » من عناصر الحضارة بل من عناصر الثقافة

نصل من هذا الى القول بان هناك « ثقافة عربية اسلامية » تختلف فى جذورها ومفاهيمها عن الثقافات الشرقية والغربية المتعددة .

وان هذ الثقافة تتميز بشخصيتها واسلوبها وان هناك خلافات جذرية بين ثقافتنا وبين ثقافة الغرب التي كانت اشد اتصالا بحكم سقوط العالم الاسلامي العربي تحت سيطرةالاستعمار الغربي «الفرنسي والبريطاني» على وجه الخصوص .

ويمكن القول بان الثقافة العربية الاسلامية « فى العالم العربي » هي وريثة الثقافات القديمة المصرية والفينيقية والاشورية والبابلية ، وان بلاده كانت مهبط الاديان الثلاثة وان الفكر العربي الاسلامي قد قام على اساس الاسلام « وهو دين وفكر وحضارة » واللغة العربية بعد امتصاصه للثقافات الفارسية والهندية والاغريقية وقد بدأ طابعه ممثلا للالوهية واعتبار الدين جزء من المجتمع وتمثل قيم الاخاء والعدل والسلام والحرية .

وقد تمثلت الثقافة العربية الاسلامية فى تجربة شملت دورة كاملة من التاريخ ، واثبتت فى عصور ازدهارها قدرتها وفاعليتها على تحقيق اهدافها وتمثل

1» فى مراجعة شاملة لاراء « سلامة موسى » وساطع الحصري ولاراء تايلور وعبد اللطيف الطيباوي ولطفي جمعة وستيوارت وساطع الحصري وارثر اربري وهاري شابيرو

نحن والفكر الغربي

للأستاذ : أحمد أنور الجندي

تتمثل مقومات العربي الاسلامي المعاصر فى « اللغة » «والادب» « والدين » و « التاريخ » و « الثقافة » و « التراث » فهى فى مجموعها ترسم وحدة الفكر فى امتنا العربية وعالمنا الاسلامي وقد انصبت حملات التغريب والغزو الفكري والشعوبية عليها جميعا محاولة تغيير مفاهيمها ، وتحريف مضامينها ، بوصف هذه المفاهيم ممثلة اساسية لدعائم قيمنا ومثلنا وروح امتنا وطابع شخصيتنا .

وقد ثارت من حول « اللغة والدين والتاريخ والثقافة والتراث » معارك ضخمة تستهدف تجزئة المفاهيم المتلاقية فى وحدة كاملة . كما ثارت شبهات متعددة حول القومية ونظرية الاجناس .

وقد انصبت هذه الحملات على عزل الاسلام عن العروبة ، والدين عن التربية ، والعامية عن الفصحى والعلم عن الدين ، والروح عن المادة ، فى محاولات تزييف ضخمة تتصل بالقضاء على التراث وتعميق دعوة مضللة تدعو للانفصال عن الماضي او اثارة الشكوك حول بعض المواقف أو الاحداث في التاريخ العربي مستهدفة اسقاط قيمه الاساسية وبطولاته ومواقفه الخالدة .

ولقد كان ابرز ما وجه الى مقومات فكرنا من دعوات التدمير ، ما اطلق عليه « نظرية التجزئة » هذه النظرية التي يحمل لواءها دعاة دهاة ، يستهدفون بها عزل الدين عن المجتمع وعزل الادب عن الاخلاق ، وعزل التراث عن الثقافة وهكذا .

وقد غاب عن الذين جروا وراء هذه النظرات مدى الهدف البعيد الذي ترمي اليه ، ظنا منهم ان التجزئة تخصص وانها عامل من عوامل ازدهار الفكر وترقيته – وهو كذلك فعلا – ولكن ليس على الوجه الذى يحملنا على تجزئة كل قضية فكرية انسانيه مصادرها بين علوم الاجماع والنفس والاخلاق والدين . دون ان ينظر اليها نظرة شمول تردها الى آثارها الحقيقية فى بناء الشخصية الانسانية او علاج ازماتها .

– الثقافة –

لكي نعرف مفهوم الثقافة التي هي تمثل المفهوم العربي لكلمة (Culture) الغربية يجب ان نضع فى تقديرنا عدة امور :

«الاول» ان الثقافة تختلف عن التعليم والتربية وتمثل الدرجة العليا للتربية كما ان المعرفة هي الدرجة العليا للتعليم .

«الثاني» انها اقرب الى العقائد منها الى المعارف

«الثالث» عدم الارتباط بينها وبين الحضارة فى مفهوم الاقتباس او النقل .

وقد اختلفت ءاراء الباحثين حول مفهوم كلمة الثقافة ومضمونها ، فمن ناحية مفهوم الكلمة ومدلولها فى الفكر العربي نجد ان مصدرها هو القرءان الكريم « وقاتلوهم حيث ثقفتموهم» وهي تدل على معنى العثور بعد البحث والتصدي ، وفى المصباح المنير :

ثقفت الحديث فهمته بسرعة ، وثقفته اقمت المعوج منه ، وفى اساس البلاغة بمعنى طلب العلوم والمعارف ، وفى القاموس المحيط للفيروزبادي : ثقف ككرم وفرح ، ثقفا وثقافة صار حادقا خفيفا فطنا ، وثقفه تثقيفا سواه .

المفروض انها جميعا تلتقي فى خدمة الانسان اساسا وتدور فى فلكه باعتباره ميزان الاشياء .

وقد كان من نتيجة ذلك ان اختل التوازن فى المدنية الحاضرة بين نمو القوى المادية ونمو القوى الروحية ، فقد بلغت الحضارة قمتها فى العلوم التجريبية بينما بقيت القوى الروحية ضعيفة متخلفة

وقد القى جوستاف لوبون هذا السؤال : ماذا يحدث اذا استمر العقل فى النمو وظلت العواطف ثابتة لا تتغير ، لقد درسوا كل شىء فى العالم ، ما خلا الرجل فلم يدرسوه ، كشفوا الغطاء عن اسرار السماء ولم يكشفوا عن اسرار القلب ، لئن امكننا ان نقول اننا ممدنون فانه ينقصنا الجوهر » .

وعلى ضوء هذه المفاهيم تبدو فكرة الجوهر والعرض فى الثقافة ، فان القيم الاساسية للثقافة وهي جوهر كل ثقافة تظل اساسا لكل قابلية جديدة فى مجال التحول ، ومن هنا تسقط نظرية التطور الدائم لكل قيم الثقافات . والغربيون انفسهم لم يسقطوا جوهر ثقافتهم عندما اتصلوا بالثقافة العربية الاسلامية ونقلوا منها .

ومن هنا تبدو اهمية تقدير هذه النظرة في الاقتباس او الاقراض او النقل او الاستعارة من الثقافات الاخرى ، فلابد للاقتباس او الافتراض ان يكون قائما فى نطاق العرض لا الجوهر ، ولابد ان تكون هناك قدرة كاملة على الامتصاص ، والفهم او التمثيل

فاذا لم تكن هناك هذه القدرة ضعفت شخصية الامة وملامح ثقافتها الاصلية وانحرفت

وليس ضير على الثقافات ان تقرض او تمتص من ثقافات الامم الاخرى ، ولكن العبرة قدرة الثقافة المختصة على التمثل وتحويل المستعار الى كيانها لعملية هضم سليمة دون ان يظل قائما كانه شيء مستعار ، ولهذا يرجع الى قوة الثقافة الاخذة وقدرتها على الهضم وقد كانت الثقافة العربية الاسلامية من بين الثقافات الشرقية والغربية من القدرة والنضج على الاستعارة والامتصاص ، غير انه فى قدرة قيام النفوذ الغربي عجز فكرنا طويلا عن عملية الهضم .

فقد كان موقفنا اذ ذاك غاية فى الضعف ازاء العلوم والافكار المختلفة التي حملتها ثقافة الغرب والتي كانت اولياتها اساسا من منابعنا فقد ظلت سنوات طوالا وهى لا ترتبط بجذورها الاولى ، وكأنها من مستحدثات فكر الغرب حتى اصاب شبابنا اذ ذاك ذلك الاحساس بالقصور والعجز وكان لابد لنا ان نربط تطورات علم الاجتماع والاقتصاد والنفس والسياسة وغيرها بجذورها الاولى المستمدة من فكرنا اساسا ، وهذا ما استطعنا ان نصحح مفهومه بعد اليقظة .

ومن ناحية اخرى فنحن قد اقترضنا فى الماضي فى مجال لدينا فيه تراث ضخم .

والواقع ان الاقتراض من الثقافات الاخرى دون قيد او مراقبة يحدث فى الثقافة المقترضة حالة « عسر الهضم » مما يؤدي الى القصور عن بلورة العناصر الدخيلة او المستعارة وتحويلها الى كيان الامة ونقلها الى القوالب القومية .

ولما كانت الثقافة الغربية « بشقيها » تستمد جوهرها من المادية فانها تنكر الروحية التي هي عنصر اصيل فى الثقافة العربية الاسلامية هذا بالاضافة الى ان نظرية الفلسفة البرجماتزمية فى القضاء على الضعفاء يتعارض مع نظرية التكامل الاجتماعي التي يؤمن بها الفكر العربي الاسلامي .

القاهرة ـ انور الجندي

قيمها، اما فى فترة ضعفهافليس على قيمها يقع الحساب انما يقع على العوامل التي ادت الى تخلفها . هذه لغة التخلف التي لم يلبث ان تحول الى يقظة جديدة حتى ليمكن القول بان الثقافة العربية الاسلامية لم تمت وان تولاها الضعف والاضطراب ، وانها استطاعت ان تواصل الحياة بغير سناد من سلطان الحكم وقيام الدولة التي تحمل مبادئها ، وقد استطاعت ان تقاوم الغزو الغربي ، هذا الغزو الذي حاول القضاء على مقوماتها او تحويرها واقصائها على قاعدتها وتحويل ملامح شخصيتها وابراز الخلافات الجذرية بين الثقافة العربية الاسلامية وبين الثقافة الغربية :

1 — ان الفكر الغربي يحل مشاكله على قاعدة القوة بينما يحل الفكر العربي الاسلامي قضاياه ومشاكله على القاعدة الاخلاقية .

2 — انفصال الفن عن العلم

3 — سيطرة المادة على الفن

وفارق ءاخر بين الثقافة الغربية والثقافة العربية الاسلامية ، فالثقافة الغربية تطلق الغرائز والحريات الى اقصى مدى بينما الثقافة العربية الاسلامية تؤمن بالمزج بين الروح والمادة واعتبار الخلق قوام الحرية .

وفارق ثالث : هو قيام السياسة فى الفكر الغربي على اساس الانتهازية ، بينما يقوم فى الفكر العربي الاسلامي على اساس الخلق والضمير .

وفارق رابع : هو ان الفكر الاسلامي العربي يرى الناس سواسية ولا فضل لابيض على اسود ، بينما يرى الفكر الغربي سيادة الابيض والاري وان كل ما سوى الغرب عبيد له ، مع اقناعه بشرعية فرض سيطرته على الشعوب والعمل على تسخير جنس من البشر لخدمة جنس ءاخر وانه وعدم ايمانه بالقانون الاخلاقي فى معاملة غير ابناء جنسه .

ويقول قسطنطين رزيق : ان الثقافة الحديثة فى الغرب تقوم على اساس الايمان بالانسان حيث كانت الثقافة فى العصور الوسطى المطبوعة بالمسيحية او الاسلام تدفع البشر الى التطلع الى العالم الاخر وتزهدهم فى هذا العالم الاخر . وانقلب الايمان بالله والعلم السماوي الى ايمان بالطبيعة والانسان القادر بعقله على السيطرة عليها واستغلالها ... لم تتمكن هذه وان الثقافة من احراز تقدم محسوس فى حل مشاكل الانسان الاصلية بل انه يجابه نتيجة لهذه الثقافة ذاتها اخطارا اشدهولا وفظاعة من اخطار الماضي وذلك بالانتاج المادي ، وما ولدته الحضارة فى الانسان من تكبر وتجبر واعتقاده بانه سيد مصيره »

والواقع ان هذا الراي يمثل الفارق الواضح والعميق الجذور بين الثقافة العربية الاسلامية والثقافة الغربية .

اما من ناحية الفكر العربي الاسلامي فقد عرف بالجمع بين الدين والدنيا وانه لم يكن مطلقا داعيا الى التزهيد فى العالم الارضي على النحو الذي صوره الكاتب ، فلم يكن الفكر العربي الاسلامي داعية زهد وان ما دخل عليه فى عصور الضعف من بعض هذه المفاهيم لا يمثل قيمه الاساسية واصوله الاصيلة .

وقد كشف البحث عن فشل هذا الاتجاه الذي جرى عليه الفكر الغربي غيران الفكر العربي الاسلامي يجمع بين القيم المادية والروحية ويمزج بينهما فى مختلف نظراته الى السياسة او الاجتماع او الاقتصاد او النفس .

واذا كانت الفلسفة تهدف الى البحث عن السعادة فان الثقافة الغربية لم تستطع ان تحقق منذ القرن الخامس عشر الى اليوم مفهوم السعادة ، بينما استطاع الفكر العربي الاسلامي ان يعطي هذه السعاد ذى مفهوم واضح هو ايجاد وفاق طبيعي بين الروح والعقل والجسد ينعكس على الزمان والمكان .

واذا كانت ثقافة الاغريق والرومان فى صبغتها عقلية وان ثقافة الهند والشرق الاقصى فى صبغتها روحية وان ثقافة الغرب « بشقيها » فى صيغتها مادية المصدر ، فان الثقافة العربية الاسلامية وحدها دون ثقافات الانسانية جميعا هي التي تحمل ذلك المزيج المتفاعل المتكامل المتوازن : بين الروح والمادة والعقل والقلب والجسم ، والدين والعلم .

وان الثقافة العربية الاسلامية هي انسانية الاساس والقيم والاهداف .

ولعل هذا هو السر فى امتدادها بهذه السرعة الغريبة التي عدها المؤرخون خارقة لنواميس الكون وتطور الحضارات ، ولعل ذلك يرجع الى بروز روح الوحدة بين قيمها المختلفة وعدم انقسامها الى مفاهيم مستقلة تتضارب وتختلف ، كما يحدث في الفكر الغربي حين تختلف مفاهيم علوم النفس والاجتماع والادب والدين والاقتصاد والتربية والعلم التجريبي ، فلكل علم مفاهيمه التي قد يتعارض مع مفاهيم العلم الاخر بينما

لقد بلغ الاستهتار بالشعر عند بعض الشعراء الى ان يعمدوا الى ايجاد البيت الذي يقرأ طردا وعكسا ، كقول الارجاني في وصف صديق :

مودته تدوم لكل هول
وهل كل مودته تدوم

وأنت تقرأ هذا البيت من اوله الى آخره او من آخره الى اوله فلا يقع تغير فيه ، ولكن هذا المجهود اللفظي لا يدع للشاعر حرية التعبير لانه اسير لفظه واسير حروفه .

بل دفع التصنع بعض الشعراء الى ان يأتوا بالقصيدة الشعرية ثم يحذفون منها اجزاء ، فاذا هي قصيدة اخرى محافظة على القوافي منسجمة مع الايقاع العروضي كما فعل الحريري حينما قال (✶) :

يا خاطب الدنيا الدنية انها
شركة الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما اضحكت في يومها
ابكت غدا تعسا لها من دار
واذا اظل سحابها لم ينتقع
منه صدى لجهامه الغرار
غاراتها ما تنقضي واسيرها
لا يفتدى بجلائل الاخطار
كم مزدهى بغرورها حتى بدا
متمردا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن واولعت
فيه المدى ونزت لأخذ الثار
فاربأ بعمرك ان يمر مضيعا
فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها
تلق الهدى ورفاهة الاسرار
وارقب اذا ما سالمت من كيدها
حرب العدى وتوثب الغدار
واعلم بان خطوبها تفجا ولو
طال المدى وونت سرى الاقدار

هذه الابيات السداسية الاوزان حذف منها الشاعر جزئين فصارت على النهج الآتي :

يا خاطب الدنيا الدنية
انها شرك الردى
دارمتي ما اضحكت
في يومها ابكت غدا

الى نهاية القصيدة .

وغير خاف ان هذا التضييق يدفع الشاعر الى الحشو والفضول احيانا والى الاجحاف بالمعاني احيانا اخرى ، بل يدفعه الى استعمال كلمات غير شعرية ولا يأتي بها الا لتناسب القافية المفروضة المكلفة البعيدة عن الطبع .

ان الشاعر في مثل هاته الاحوال لا يكون هادفا الى ابراز المعاني بل يكون عاملا على ابراز تفوقه في التغلب على الالفاظ والاوزان .

ويعرف علماء البديع هذا النوع بالتشريع او التوأم ، وقد قال ابن حجة الحموي في كتابه (خزانة الادب) (✶) : « ولا شك ان هذا النوع لا يأتي الا بتكلف زائد وتعسف فانه راجع الى الصناعة لا الى البلاغة والبراعة » .

واخطر من هذا تصنعا ما عمد اليه الرئيس ابن عاصم حينما مدح ابا الحجاج يوسف بن اسماعيل النصري بقصيدة طويلة تجاوز مائة بيت ضمنها كلمات كتبها بألوان مغايرة اذا جمعت تكونت منها قصيدتان ، ثم ولد من القصيدتين موشحتين ، وهذا امر عسير لا يتيسر بسهولة ولا يمكن للشاعر ان يحافظ معه على الجمال المعنوي ، وسنحاول ان نعطي نموذجا للسباق اللفظي الذي سار عليه فيما سنختاره من هاته القصيدة وسنجعل للكلمات المنفردة علامات خاصة بها . قال . (✶)

اما والهوى (ما كنت) مذ بان عهده
اهيم بلقيا من تأثر وده

رعى الله من (لو انصف) الصب في الهوى
لما فاض منه الدمع مذ بان صده

ولو جاد من (بعد المطال) بزورة
لما بت اشواقي وقلبي زنده

كما خان صبري يوم اصبح و (أصلى
لظى) زاد ماء من جفوني وقده

لذاك اسال الدمع كالقطر مدمعي
من (الوجد) فاسولى على الجفن سهده

حكى لؤلؤا من سلكه متناثرا
و (الالم) قد تتابع مده

ذخرت اليمين القدر منه بمقلتي
وما زلت من خوف (النكال) اعده

ان هاته الابيات تتضمن مطلع القصيدتين المولدتين فالكلمات الموجودة بين قوسين اذا جمعت تولد عنها البيت الآتي:

(✶) المقامة الثالثة والعشرون للحريري .
(✶) خزانة الادب للحموي ، الطبعة الاولى ، صفحة 120 .
(✶) اقرأ القصيدة تامة وما تولد عنها في كتاب ازهار الرياض ، للمقري من صفحة 145 الى صفحة 158 من الجزء الاول .

الشعر بين التكلف والابتذال

للأستاذ: محمد عبد العزيز الدباغ

الادب تعبير جميل عما في نفس الانسان من افكار وعواطف وبتيسير جمال الاسلوب وروني التعبير لمن رق ذوقه ودقت مشاعره ووصحت معانيه في نفسه فجعل الالفاظ ترجمانا لها ووسيلة للافصاح عنها ٠

ان الادب الجميل الرائع هو الذي تتساوق فيه مجهودات الاديب وتتكواكب فيه مظاهر نبوغه فيربط بين المعاني والالفاظ ويبدع في التصوير والخيال وطريقة العرض حسب الفن الادبي الذي يرتاح اليه ويختاره من بين الفنون ٠

فالابداع الادبي تختلف مقاييسه حسب الاتجاهات الادبية الحديثة فما يحتاج اليه الكاتب قد لا يحتاج اليه الشاعر او القصاص او الناقد الادبي ٠

واذا كانت هاته المقاييس تختلف من حيث احتياج الاديب الى استعمال الخيال او الانساق مع العواطف او تحليل الافكار تحليلا مرتبطا بالمنطق او استغلال الاساليب الخطابية او استعمال الاوزان والقوافي او الابتعاد عنها فان الذي يجب ان لا يختلف فيه الادباء على اختلاف مناهجهم هو الوضوح التعبيري والابتعاد عن التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي وتجنب التكلف المفضي الى القصور في تصوير المعاني والى الاسفاف مع الالفاظ اسفافا يفقد الادب روعته وجماله ، والاديب حرينه وابداعه ٠

ان اضر شيء بالادب ان يتكلف الاديب طريقة تعبيرية لا يكون الهدف منها الا ابراز القدرة على التصرف بالالفاظ والتلاعب بها ٠

ان اللغة وسيلة للتعبير وانها رسول الفكر ومجهر العواطف الكامنة في نفس الانسان لذلك يجب ان لا نخرجها عن حدودها وان لا نصرفها في غير معانيها وان لا نبعدها عن غايتها بمعنى اننا يجب ان لا نجعلها متحفا فنيا لاستعراض المحسنات اللفظية اذ الواجب جعلها وسيلة للبيان والتبيين ٠

ومما لا يخفى ان الشعراء هم اقدر الناس على البيان اي على ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ، لانهم يعتمدون على انواع الاستعارات والمجازات ومختلف التشبيهات والصور ٠

ان قدرة الشاعر على الخلق قد تجعله يتصرف في اللغة تصرفا مطلقا فيجعلها مرنة تسع ما كانت تضيق عنه ، لهذا يجب عليه ان يهتم بهذا الجانب الفني التصويري وان يجعل الالفاظ اطارا ملائما ٠

ان اللغة تكتسب الحياة من الشعراء الموهوبين لانهم يستطيعون ان يعطوا الكلمات مدلولاتها العميقة فيفصل خيالهم يبعثون الروح في الالفاظ ويجعلونها متصلة بالمعاني متماسكة بها٠

ان الشعراء جديرون بان يعتبروا المانحين الواهبين للغة قوام وجودها وامتدادها ، وان هذه المواهب الخلاقة التي يكتسبها الشعراء قد تضعف اذا ما وجهت عنايتهم الى الالفاظ وتناسقها دون ان يكون مع ذلك اهتمام بالمعاني والصور ٠

وقد ضعف الشعر العربي حينا من الدهر لما اصبح الاهتمام اللفظي ضرورة من ضرورات الادب ٠

حقيقة استطاع بعض الشعراء بما لهم من قوة ان يلتزموا قيودا لم تكن معهودة في الشعر ، وحافظوا رغم ذلك على التوازن الفكري والابداع المعنوي ، كالمعري مثلا حينما الزم نفسه ما لا يلزم ، وكأبي تمام حينما جعل الجناس ضرورة تعبيرية ، وكالبحتري الذي حافظ على الجرس الداخلي في قصائده ، ولكن هاته القوة التي كانت تنبعث من هؤلاء الشعراء الكبار وامثالهم دفعت آخرين الى التقليد في القالب اللفظي فضعفت معانيهم وهزلت صورهم ، بل عمد آخرون الى خلق قيود جديدة وتضبيقات مختلفة حتى اخرجوا بقيودهم التعبيرية الشعر عن العمل الفني الذي يعبر به تعبيرا جميلا عما في نفس الانسان من مشاعر واحساسات ويصور به دقائق الاشياء وخفايا الامور الى حركات بهلوانية لا تمت الى الفن الادبي بصلة ٠

منابع الشعر وحقيقة الشاعر

للأستاذ : محمد زنيبر

محاضرة ألقيت فى مهرجان الشعر الذى اقيم بشفشاون تحت اشراف جمعية اصدقاء المعتمد

سيداتي سادتي

بكل سرور اتوجه بالتحية الى جمعيتكم الفتية واقدم لها شكري على دعوتها الكريمة التي اوحت بها روح نزيهة مخلصة، روح متطلعة الى ايقاظ الهمم الفكرية، وبعث القرائح النائمة من مراقدها، والاستزادة من تعميم الوعي بما يفرضه علينا العصر من مجهودات صادقة في ميدان العلم والادب والمعرفة بمعناها الاوسع، تلك المجهودات التي ترتبط لزوما بكفاحنا من اجل الحرية والديمقراطية، ومن اجل الغد الذي تصبح فيه للمواطنة حقوقها وحرمتها. ولا ينبغي ان ننسى ابدا ان المثقف العربي، وعلى الاقل في الظروف الراهنة، يحمل مسؤولية كبيرة ازاء شعبه وازاء الاجيال المقبلة. فعليه يتوقف خلق مغرب جديد في كل شيء: في سياسته، في اقتصاده، في ثقافته. وتلك مهمات كبيرة ونبيلة لا يستطيع المثقف ان يواجهها وان يضطلع بعبئها الا اذا كان يحمل روحا ثورية وبناءة، في آن واحد.

وان المبادرة التي تقوم بها جمعيتكم والتي تشرف هذه المدينة الشاعرة باصالتها وطابعها، وتشرف شبابها الحي الناهض لتدخل في هذا الاتجاه الايجابي اذ ستجعلنا – وربما كان ذلك لاول مرة – نجاسد ضمائرنا ونلقي نظرة جديدة على احد الابواب الرفيعة في الثقافة والادب، والذي كان هو العنوان الاول لوجود اجدادنا العرب في التاريخ، وديوانهم الذي تغنى بملاحمهم ومفاخرهم، الا وهو الشعر.

وبعد تعاقب القرون والاحداث الجسام، وتقلبنا من اطوار النهوض والصعود الى اطوار الخمول والانحطاط، ومن اطوار السبات الى اطوار الوعي واليقظة، يحق لنا اليوم ان نتساءل: هل لدينا شعر؟ وما قيمته؟ وما هي المناهج الجديدة التي يجب ان نتبعها لننهض بشعرنا ويكون لنا مساهمة ملحوظة في هذا الفن الرفيع؟ وكل هذه اسئلة لا تخفى اهميتها وتستحق منا كامل الانتباه والانتباه، لا لان الشعر هو كل شيء في الحياة، ولكن لاننا نعلم من استقراء تاريخ الشعوب انه احد عناوين نهوض الامم وعنوانها وتشخيصها وصفاء روحها. وما علينا الا ان ننظر قليلا الى الامم الكبرى في العالم لنرى المنزلة الرفيعة التي يحتلها الشعر لديها، سواء في الاوساط الشعبية او في اوساط رجال العلم والثقافة والتسيير.

وتلبية لهذا الاهتمام النابع من ضمائركم المخلصة، جئت لأقدم لكم بعض الآراء الشخصية، راغبا في ان تنال حظها من المناقشة حتى يتبين لي صحيحها من سقيمها، وحتى نخرج منها بفكرة او بأفكار ممحصة قد نسترشد بها في اعمالنا المقبلة.

وغني عن البيان ان الحديث عن الشعر ذو شجون، وان موضوعاته كثيرة لا تنحصر، منها ما سالت فيه دماء الاقلام سخاء، ومنها ما ران عليه السكوت عندنا حتى اليوم. ولا زال الشعر في اوربا يستأثر بجانب كبير من اهتمام النقاد والادباء والفلاسفة وعلماء الجمال ورجال التحليل النفسي، دون ان يجد من بينهم احد سبيلا الى الادعاء بأنه استوفى الموضوع حقه او انه وضع النقطة الحاسمة في هذا البحث الذي ظل دفتره مفتوحا منذ ان نطق الانسان الاول بالكلمة الشعرية.

وانا لن اتحدث لكم اليوم عن التزام الشاعر، مثلا، اذ طالما تطرقت الى هذه المسألة في ابحاث اخرى وانا لا احب ان اكرر نفسي وأدور على فكرة واحدة في كل ما اتناوله من الموضوعات. ولن اتحدث لكم عن تطور الشعر العربي، ولا عن

ما كنــت لو انصـف بعـد المطــال
اصلـى لظى الوجـد الاليـم النكـــال

فاذا اجمعت الكلمات الاخرى التي ميزت بالخط الواضح لتولد المطلع الآخر وهو :

تناثــر الدمــع مــن جفونـــي
كالــدر مــن سلكـــه الثميـــن

ومن تنمة هاتين القصيدتين تتولد الموشحتان ، وفي هذا من التعسف ما لا يخفى .

هذه المحاولات لا شك انها تبعد الاديب عن المعاني التي يقصدها بل تصرفه احيانا الى تبديل لفظ بما هو أدون واسخف وتجعله غارقا في تنظيم كلماته اكثر من تعمقه في ابراز خواطره وهذا ما يجب ان ننزه عنه الشعر .

ان الشعر لحن جميل وعاطفة وقادة والهام يتلى ، يجب ان يكون مطبوعا ، يجب ان ينبع من ملكة الشاعر دون تكلف يبعده عن الابداع والجمال .

يجب ان يجعل الشاعر اللغة طريقة تعبيرية تهدف الى تصوير العواطف وتيسير المعاني ورسم الخواطر والخيالات ، ثم يجب عليه ان يحافظ على التوازن التعبيري الفني فيختار من الالفاظ ابعدها عن الغموض والابهام ، واقربها الى الذوق واشدها انسجاما مع الجرس الموسيقي الجذاب .

ان التوازن بين الكلمات شرط اساسي من شروط البلاغة لا يعتمد على القواعد فقط ولكن يعتمد على الذوق ايضا . ان الذوق استاذ الحاكمين ورائد الناقدين ، يجب ان نمكنه من الحكم وان نعطيه القيادة ، وان نجعله ميزانا عادلا نميز به بين الغث والسمين ، بين الرديء والجيد ، بين القبيح والجميل .

ان مجرد الركون الى الذوق الادبي الصقيل يكفينا في الحكم على ان التكلف التعبيري الذي لا يسير مع طبيعة اللغة ولا ينسجم مع قوانينها يفقد الادب جماله ويخنق فيه روح المعاني الجذابة ، ويذوي فيه الاحساسات والعواطف الصادقة .

واذا كنا لا نريد للشعر هذا التضييق المعقد المخالف لروح الفن ، فنحن ايضا لا نريد له التفسخ والانحلال والابتذال لا نرضى له التحرر المطلق عن الايقاع الموسيقي الرائع .

ان الاوزان العروضية والقوافي الشعرية في ذاتها ليست ضررا على الشعر ، ولكن الضرر هو ان تثقل هذه الاوزان بقيود اخرى تجعل الشاعر اسير التعبير بعيدا عن الانطلاق العادي الذي يجعل الشاعر متحكما في معانيه وصوره موءثرا في سامعيه وقرائه . واذا كان الشعر العربي اليوم يعيش في اضطراب بين مدرستين ، مدرسة المحافظين على الاوزان ، ومدرسة الثائرين عليها فاننا لا نريد من المدرستين معا ان يقصر خلافهما على الطابع الشعري اللفظي ، وانما يجب ان يسبر غور المعاني والصور .

اننا نريد التجديد في الاتجاه المعنوي للشعر وفي الاتجاه التصويري . نريد عمقا في الخيال ، عمقا في التصوير ، ولكن جذور هذا العمق يجب ان ترتبط بالايقاع الجميل الذي تمتاز به لغتنا .

ان الذي ننكره على الشعر هو ان يفقد رسالته ، هو ان يصبح مجرد كلمات متنافرة او معقدة دون ان يكون تيارا لتجديد يهدف الى رفع مستوى الخيال والتصوير والموسيقى .

لذلك ارى ان الشعر العربي يجب ان يحافظ على اوزانه وقوافيه دون ان ينساق الى منحنيي التعقيد او التفسخ ، وعلى الشاعر ان يهتم في معانيه وصوره وان يهتم بالفاظه وتراكيبه وان يجعل توازنا بين التعبير الفني وبين قوة الخلق والابداع .

ان الشاعر الذي لا يخلق شيئا جديدا في عالم الادب يكون متجرا لمن سبقه ، وليس الخلق مقتصرا على المعاني ، بل انه متصل بالتصوير ، فكثير من الشعراء ياخذون المعنى المبتذل ولكنهم بقوة خيالهم يرفعونه الى درجة الاعجاب حتى يصير تحفة فنية رائعة .

ان الشعر فن جميل ، يجب ان يظل بعيدا عن التكلف والابتذال ، فهو رمز حي للخواطر الكامنة والاحساسات الجامحة والاهتزازات العارمة ، يكتسب خلوده من جمال ايقاعه وتماسك اجزائه وصدق عاطفته .

فليتجنب الشعراء التضييق اللفظي المخل بالمعاني والانحلال التعبيري المخل بالفن الادبي الرائع البديع .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

وكل هذا انما يعبر في النهاية عن تجربة واسعة وعميقة في الحياة · وكل الناس يتحدثون اليوم عن العبث والتمزق والضياع · كلمات تنجذب اليها الاقلام الفتية لبريق جدتها وغرابة منزعها وتنوع اشاراتها وعمق ايحائها · ولكن ما كل من يضع يده على كبده ويتأوه ويتوجع في كلامه يعرف ما هو التمزق الحقيقي · وما كل من يقول : انا متمزق يستطيع ان يدلنا على الجرح الذي يعانيه ، فهنا مجال سهل للادعاء والتلاعب بالالفاظ · وكل واحد يستطيع ، مثلا ، ان يشتري البرتقال او اي فاكهة في السوق ، ولكنه اذا بحث هناك عن شيء يسمى التمزق فلن يجده ·

فالامر هنا يتعلق بتجربة صادقة ، نزيهة تتلاقى مع مواهب خاصة من حساسية مرهفة ، وخيال رحيب الآفاق ، وفكر حي ، بعيد الاغوار · وتلك مزايا لا تمنح الا لطائفة قليلة من الناس · ولذلك ، فانه من الخور الاعتقاد بان فهم هذه الكلمات التي برز بها الفكر الحديث كاف وحده ليجعل من الانسان فنانا او شاعرا او ليلهمه بقدرة قادر الى مواطن الطرافة والابداع · فالفن او الشعر ليس وليدا لوصفات مهيأة جاهزة يرجع اليها الفنان او الشاعر كلما حاول ان ينشيء شيئا جديدا ، ولكنه وليد لشيء آخر أعلى وأسمى وأشد تمنعا على الطالب الراغب ، شيء يلتقي مع الكيان الاساسي بأكمله ·

سلا ـ محمد زنيبر

تصويب ... ومعذرة

وقع خطأ فى المقال الذي جاء تحت عنوان : « فراغ يجب ان يملأ » للاستاذ محمد عبد العزيز الدباغ المنشور فى العدد العاشر من السنة الثامنة فى صحيفة 27 ، فقد جاءت هذه الفقرة هكذا :

« يجب أن يعلم شبابنا ان الاسلام هو سبب ضعفهم واستخفافهم بحضارتنا وبلغتنا »

والصواب هو :

« يجب ان لا يعلم شبابنا ان الاسلام .... » كما يتضح من الفقرة السابقة واللاحقة ومن روح المقال ·

فمعذرة للاستاذ الكاتب ولقرائنا المحترمين ·

اتجاهاته المعاصرة ، ولا عن الشعر في المغرب . فكل هذه موضوعات راجت لدينا فيها بضاعة كثيرة ، وان كان هذا لا يعني انها غير جديرة بالعناية وان الكلام فيها قد انتهى .

وقد فضلت ان اسامركم في موضوع يظهر لي انه طريف بالنسبة الينا . ولربما اقتضت طبيعة هذا البحث ان اسلك في بعض الاحيان سبل التعقيد والابهام . وانا على اي حال مستعد لان افسر ما عسر فهمه او ما اشتبه معناه . والموضوع هو :

« منابع الشعر وحقيقة الشاعر »

لست ادري من اين جاءت هذه الفكرة ورسخت في كثير من العقول وهي ان الشاعر هو ذلك الرجل التائه في احلامه ، البعيد عن دنيا الناس ، يعيش مع السماء والكواكب والبحار والجبال والملائكة ، اي مع كل ما هو بعيد عن اهتماماتنا المباشرة ، فاذا رجعت به الى ارضنا القريبة ودائرة دؤوبنا ونشاطنا اليومي ، خرس لسانه وانحبست افكاره وناله العي ، واذا سألته عن ابسط الاشياء في الحياة ، نظر اليك بعينين ملؤهما الحيرة والذهول ، وتبين لك جهله وغفلته ؟ .

انها ، في الواقع ، فكرة من تلك الافكار الكبيرة التي نلتقطها من المحادثات السطحية التي تروج في مجتمعاتنا عن كل شيء ، فتستقر في الاذهان وتنفذ الى اللاشعور ، حيث توجه آراءنا واحكامنا في وجهات منحرفة ، ان لم نقل خاطئة بالمرة ، فنحن هنا ، ايضا ، بازاء حالة تقتضي منا مراجعة افكارنا ومعتقداتنا وتصفيتها من شوائب الظنون والاوهام . وبذلك ، فقط ، نستطيع ان نرى الشاعر في وضعه الحقيقي ، سواء كانسان، او كفنان ، او كعضو في المجتمع ، ونعيش معه تجربته الداخلية في كامل عمقها واتساعها .

كلا ! ان الشاعر ليس هو ذلك الرجل السادر المغفل الذي يفر من الواقع ومن الناس ويؤسس حياة مصطنعة بين الأخيلة والرؤى . نعم ان له سمتا يتميز به ، وشخصية تنسجم مع فنه ، وسلوكا في الحياة ينتظم مع نوع مشاعره وانفعالاته . ولكنه قبل كل شيء ــ وهذه صفته الجوهرية ــ رجل بكل معنى الكلمة ، رجل تكتمل فيه معاني الرجولة ، وتجد لديه احيانا صورها المنحوتة ، البارزة ، المتطرفة في نوعها .

وتاريخ الشعر سواء لدى العرب او غيرهم مليء بالرجال الافذاذ في نوعهم ، فيهم البطل ، والصوفي والزنديق ، والخليع والموسوس ، والفيلسوف ، والعاشق . ولكنهم في الاعم الاغلب، يلتقون في كونهم تحملوا مصيرهم الى النهاية ، وواجهوا المصاعب والمآسي في حياتهم . وشاعرنا الاول امرؤ القيس ، الم تكن حياته كلها مكابدات وتجارب مرة ؟ والمتنبي ، اليس يمثل في اعيننا الرجل الشعبي الطموح الذي اراد ان يغالب الحظ بكل ما اوتي من ذكاء ، ونبوغ ، ولكن همته العالية نفرت منه كبراء عصره ، ودفعتهم الى الحذر منه ، فعاش ناقما على اوضاع زمانه ، ثائرا على قيم مجتمعه ، آسفا على ضياع الفضائل في يده ؟ والمعتمد بن عباد ، ذلك الامير المدلل ، الذي عاش عيشة الامراء بخيرها وشرها ، الم يقف به التاريخ مواقف فريدة ساقه من السلم الى الحرب ، ومن الطمأنينة الى الروع ، ومن المجد الى النفي ، ومن النعيم الى البؤس ، ومن الحرية الى الاسر ، ومن الانس الى الغربة ؟

والرجولة لا تقترن هنا لزوما بحمل السيف وتقلد القوس . فلها تعابير وصور اخرى، ربما كانت الصق بالانسان، لأنها نبض مباشر من ذاتيته وكوامن نفسه . وما السيف والقوس والرمح الا رموز خارجية قد تفقد كل معنى لو لم توجد اليد التي تمسكها والارادة التي تحركها . فشاعر كأبي نواس، الذي عاش مسالما ، هو ايضا رجل ، لانه كان له موقف من الحياة اختاره وسار فيه الى النهاية ، ولأنه عبر عن ثورته على الوضع الاساسي وعلى المجتمع بالطريقة التي تراءت له انسب وانجع . وهل نقول غير هذا عن المعري الذي عاش حياته بضميره اليقظ ، واحساسه المرهف ، وكانت له اختيارات ومواقف في كل الشؤون ، استقاها من خبرة واسعة ، وتأمل طويل ؟ .

في مقدورنا الآن بعد استعراض امثلة مختلفة ان نحاول استخلاص كنه هاته الرجولة ، التي هي المزية الرئيسية للشاعر الحقيقي . انها تتمثل لنا ، اولا ، في اتفاق الشاعر مع نفسه ، ولا اقول في رضاه عن نفسه . الشاعر انسان ، قبل كل شيء ، يريد ان يعيش ليعيش ، ليستمتع هو ايضا بنفس الحياة ، ليشاهد حضوره في الوجود ، ليبلو وزنه في العالم . ولم يخرج الى الدنيا لينظم الشعر فقط ويكون آلة اطراب وايقاع . بل ، لربما كان عليه ان يعيش بكل جوارحه اكثر من سائر الناس ، وان يندفع بقواه الحيوية في كل الوجهات . وفي غمرة التجربة ينتهي به المطاف اما الى انسجام روحي يريه الكون والاشياء كلها سابحة في النور ، متبارية في الاشراق واما الى تمزق باطني يشعره بمحدوديته الانسانية امام لا نهاية الكون . فهو ، حيثما اتجه الى نفسه او الى العالم ، يجد اسرارا وزوايا مظلمة وقوى خفية تسيطر عليه من قريب او بعيد ، ولكنه يعجز عن استيعاب كنهها ومقاومة تأثيرها عليه . وسواء أكان الشاعر في حالة من التماسك والانسجام او من التمزق والانقسام ، فانه يحتفظ بنوع من الوحدة الروحية العالية هي التي تجعله يدرك في نظرة تركيبية شاملة وضعه في العالم ووضع العالم بالنسبة اليه . وهي التي تكيف شعوره في هاته الوجهة او تلك وما كان ليحس بالتمزق مثلا لو لم تكن لديه مقاييس الوحدة والانسجام، ولو لم يكن امامه المثال الاعلى الذي يعجز دائما عن الوصول اليه . فهو متفق مع نفسه فيما يريد ، فيما يبحث عنه ، ولكن التمزق يأتيه من الاصطدام بالواقع والوعي بوضعه في الوجود .

الذهني ، فهي اذن ليست المذهب الذي لا يعتمد الخيال ، ولا المذهب الذي يربط موضوعاته بالمشاكل التي يعيشها الناس ، وانما هي مذهب يصور حقيقة الانسان المرة ، وبالرجوع الى مجموعة (الكوميديا البشرية) لبلزاك تتضح اصول هذا المذهب الاولية التي انفسحت من بعد لتيارات جديدة .

ولست ادري لماذا يلوم الاستاذ زنبير كاتبنا القصصي لانه يشمل ابطاله بالعطف ويبرز جانب الخير فيهم اكثر من جانب الشر الذي هو الجانب المخبوء ، ملاحظا عدم وجود اي كبير اثر لعاطفة الحقد في روايته ، وانا اعتقد ان لنجيب محفوظ الحرية ليتصرف في ابراز هذه الناحية ، وان هناك مدارس واقعية لا تبالغ في تصوير الواقع ، وانما تجد من امكانياتها تعبيرا عن الواقع ايضا ، فلا يستبعد ان يكون ابطال ثلاثيته اختيارا حسب اتجاه بعض مدارس الواقعية ، ولذلك فالف ليلة وليلة ليس لها من التحليل الدقيق ما يمكن ان توصف به بالواقعية ، ليقارن بينها وبين ثلاثية نجيب محفوظ على اصول هذا المذهب ، نعم لقد عثر الاستاذ زنبير على صور متشابهة ، حورته في صورتها الظاهرية الى المفارقة ، ثم لم يأنف ان اعترف ان هناك خلافا في التحليل ، فراح يبحث عن الالتقاء في ثلاثة مواقف تلتقي في عمقها اختيارات ميتافيزيقيا وهي الاستسلام للقدر ، والاتكال على العادات ، والتشبث بالدين ، ثم زاد اخيرا الجو المليء بالمتناقضات ، الذي يتحرك فيه ابطال الروائيتين ، فيخيل الي انه لا يعسر على اي ناقد ان يجد (الالتقاء) في اكثر من هذا سواء بين نجيب محفوظ او بين عدد كبير من القصاص في الشرق والغرب .

ولقد اغرق الاستاذ في نقده لتعليقي عليه في شرح شرقية المجتمع المصري ، وتحليل مفهوم المجتمع الشرقي ، ولكن الشيء البسيط الذي قلته هو ان المجتمع المصري شيء ، والمجتمع العراقي شيء ، والمجتمع الفارسي شيء آخر ، وان قصة الف ليلة وليلة تصور هذه المجتمعات كلها ، فعند ما تتكلم قصة الف ليلة وليلة عن المجتمع الفارسي تصور عالما غريبا له لغته وتقاليده، وعندما تتكلم عن الارياف والقرى والجنيات والشياطين ، لا يكون معنى ذلك ان هذا مجتمع واحد .. ولا شك ان العالم الاجتماعي يستطيع ان يجد في الف ليلة وليلة عناصر عن المجتمع المصري والعراقي والعجمي ، ولا يستطيع ان يجد ذلك عند الكاتب المصري ، لان حوادث الف ليلة وليلة تجري في كثير من البلاد العربية وغير العربية بينما حوادث قصص نجيب محفوظ تجري في مصر وحدها .

واخيرا بالغ الاستاذ في تفسير الجانب التأثيري لثلاثية نجيب الذي اعتقد انه في كون قصصه تخلق مجتمعا جديدا بطريقة غير مباشرة ، لان تصويرها لواقع المجتمع المصري وعيوبه من شأنه ان يحفز القارىء الى تلافي العيوب والبحث عن مجتمع صالح ، اما قصة الف ليلة وليلة فقد كتبت لتشغل الشعب عن مآسيه كما هو معروف في تاريخ الادب .

كما انني عند ما قلت ابطالا واقعيين لا يمكن ان يفهم احد ان الواقعيين هم المعروفون لدى الكاتب ببطاقتهم الشخصية ، ولكنهم هم المنتزعون من الواقع الذي تعيشه مصر ، فالتاجر احمد عبد الجواد ، مثلا هو نموذج صادق لمآت التجار في مصر ، فلماذا فسر الاستاذ ما قلته بغموض لم اقصده ، ثم لماذا يفهم من كلمة (العواصم) المركز الذي تتكتل فيه المجتمعات حيث يلحق بها الارياف والقرى وما يحيط بها من جو وبحر ... الا ترى ان مبالغة التفسير ابعدت الكلمات عن معانيها الحق ، وهذا ما لا ينبغي لناقد نزيه كالاستاذ زنبير ان يسلكه ، وبعد ، فأؤكد للاستاذ انني لحد الساعة لست بناقد ، وانما انا معلق فقط لان نقد ما كتبه يتطلب كثيرا ، من الزمان والعمق في البحث وليس هناك من يشغلني عن التمتع بهذه الفرصة الثمينة .

الحسن السائح

تعليق على نقد

للأستاذ : حسن الصائغ

اريد اولا ان انبه اسباه الاخ الاستاذ محمد زنيبر الى اني لم اخصص مقالا في نقد بحثه القيم عن نجيب محفوظ ، فهو يعلم اني كنت معلقا على عدد بكامله من اعداد مجلة « دعوة الحق » الغراء ، وبذلك فلم يكن موقعا ان اخصص لكل مبحث نقدا كاملا ، وهذا ما جعلني وجعل الذين من قبلي ومن بعدي في نقد العدد يخصرون ما وسعهم الاختصار ، وليس همهم نقد الموضوعات ، ولكن همهم تسجيل تطور العدد من خلال ما تقدمه من انتاج ، اذ لا يعقل ان يكون الناقد مستطيعا لنقد مختلف الموضوعات التي يتناولها العدد ، على ان من الصعوبة ان انقد في التعليق على العدد بحثا كبحث الاستاذ زنيبر ، لانه مسلسل في اعداد سابقة ، مما يريد الاستاذ معه ان ارجع الى الاعداد الماضية لنقد مبحثه ، وكأنه نسي ان نقد العدد كله لا يسمح بالتفرغ لنقد موضوع بعينه ، مما كانت نتيجته بكامل الاسف ان يصور الاستاذ زنيبر ناقد العدد في صورة حرجة ، حيث اصبح حسب تعبيره ، كالرجل الذي يقص قصة طويلة على مستمع لا ينتبه اليه حتى اذا انتهى منها التفت اليه الاخر في براءة قائلا : ما ذا تحكي ؟ . كم كنت ارجو ان يسمو النقد عندنا عن هذه الاستفزازات التي لا تخدم الادب بقدر ما تنمي حاسة الانانية ، وهذا ما انزه (صادقا) عنه الاستاذ زنيبر ، على ان له ان يقص علينا ما شاء ان يقص ، ولنا ان نسأله اخيرا عما كان يحكي ، اذا لم نفهم قصده ، او لم يقم حكايته على اصول متينة ، او اقامها على اصول لا نتفق عليها جميعا .

وتلبية لدعوة الاستاذ زنيبر عدت الى الاعداد السابقة فازددت تأكدا ان الاستاذ زنيبر لم يكن مقتنعا كثيرا في محاولته للمقارنة بين الف ليلة وليلة وثلاثية نجيب محفوظ .

فكم مرة ابتدأ هذه المقارنة ثم عسر عليه الاسترسال فيها فأمعن من جديد في التعقيب والاستثناء ،

فالاستاذ لا يستطيع ان ينكر ان الف ليلة وليلة تصور حياة الشرق وجو الشرق وانسان الشرق ، فهل يستطيع ان يؤكد ان هذا الانسان الشرقي هو الذي يعيش في مصر وحدها ولا يتخطى حدود المجتمع المصري الى المجتمع العراقي والعجمي احيانا ، وهو مجتمع آخر له خصائصه ومميزاته ، بل ان السمات التي اعتمدها في الربط بين ابطال الف ليلة وليلة وابطال ثلاثية نجيب ، هي سمات تتعدى الربط بين هؤلاء الى الربط بين الرجل البغدادي والفارسي والمصري ، اعني انها سمات قاسم مشترك اعظم بين الانسان الاسيوي والافريقي في حياتهم الاجتماعية .

اما عن التقاء نجيب محفوظ بالف ليلة وليلة فقد شعر الاستاذ بمدى الحرج في ذلك فاضطر ان يخصص جزءا من كلامه ليفرق بين التقليد والالتقاء ، واذا كان مصيبا في تعريفاته فقد عسر عليه ان يجد التقاء بين شخصية احمد عبد الجواد وشخصية هارون الرشيد ، الا في تلك السمات التي يلتقي فيها الانسان والانسان ثم اين نجد الالتقاء بين التعبير عن الشعور القومي والوطني عند ابطال نجيب محفوظ ، والتعبير الوجودي عند ابطال الف ليلة وليلة ؟ .. وقد انخدع الاستاذ بموضوع الثلاثية وموضوع الف ليلة وليلة ، فرأى ان قصة الف ليلة وليلة من الادب الواقعي ، ثم يلبث ان وجد صعوبة في التوفيق بين اصول المذهب الواقعي وموضوعات الف ليلة وليلة فاخذ في شرح المذهب الواقعي في مبحثه الاول غافلا عن الاصول الحقة لهذا المذهب ، ثم عاد اليه ثانيا في مبحثه الخامس مضيفا زيادات لتوضيح هذا المذهب ، ولكنه ظل دائما يشعر ببعد الف ليلة وليلة عن المذهب الواقعي ، لان المذهب الواقعي هو الذي يصور الواقع ويكشف عن اسراره ، اي يصور ما في الواقع من شر ، وبذلك يعارض المذهب المثالي المتفائل الذي لا يرى في مظاهر الخير كالشجاعة والكرم خيرا مع انها تستبطن الشر ، لان الواقعية ليست تصويرا ، بل ليست كشفا ومعرفة فقط حسب الجملة السقراطية التي ذكرها الكاتب، وانما هي ، مذهب تشاؤمي .. نعم اصبحت في بعض المدارس الاشتراكية تعبيرا عن الواقع

ونحن ننقب عن ءاثار عدي بيتا بيتا وخبرا خبرا منذ شهور ، فوقعنا على الابيات السبعة الاولى منها فى كتاب « البدء والتاريخ » لمطهر بن طاهر المقدسي « 1: 151» وعلى الابيات المتبقية ، بما فيها السابع ، فى كتاب الحيوان للجاحظ « 4 : 197—198» .

وقد ذكر الجاحظ القسم الثاني منها فى معرض كلامه عن قول امية بن ابي الصلت فى اشعاره ان كل شيء قد كان ينطق ، وكان الجاحظ قدم بقوله « الحيوان 4 : 196 » : « وكانت العرب تقول : كان ذلك اذ كان كل شيء ينطق وكان ذلك والحجارة رطبة » ثم قال : « فان قلت ان امية كان اعرابيا وكان بدويا ، وهذا من خرافات اعراب الجاهلية ، وزعمت ان امية لم ياخذ ذلك عن اهل الكتاب فاني شأنشدك لعدي بن زيد وكان نصرانيا دبانا وترجمانا وصاحب كتب ، وكان من دهاة اهل ذلك العصر .

« قال عدي بن زيد ، يذكر شان ادم ومعصيته ، وكيف دخل فى الحية ، وان الحية كانت فى صورة جمل فمسخها الله عقوبة لها حين طاوعت عدوه على وليه فقال » « ويذكر الجاحظ الاثنى عشر بيتا الاخيرة من القصيدة »

ويلاحظ القارىء ان القصيدة قسمان : يذكر عدي فى القسم الاول قصة خلق الله للعالم كما جاءت فى التوراة . ثم يعرض فى القسم الثاني لما كان من امر ءادم ومعصيته والحية ، قال عدي بن زيد :

اسمع حديثا لكي يوما تجاوبه
عن ظهر غيب اذا ما سائل سألا
ان كيف ابدى اله الكون نعمته
فينا ، وعرفنا ءاياته الاولا :
كانت رياحا وماءا ذا عرانية
وظلمة ، لم يدع فتقا ولا خللا
فامر الظلمة السوداء فانكشفت
وعزل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الارض بسطا ثم قدرها
تحت السماء سواءا مثل ما فعلا
وجعل الشمس مصرا «1» لا خفاء به
بين النهار وبين الليل قد فصلا
قضى لستة ايام خلائقه «2»
وكان اخر شيء «3» صور الرجلا
دعاه ءادم صوتا فاستجاب له
بنفخة الروح فى الجسم الذي جبلا
ثمت اورثه الفردوس يعمرها
وزوجه صنعة من ضلعه جعلا
لم ينهه ربه عن غير واحدة
من شجر طيب : ان شم او اكلا «4»
فكانت الحية الرقشاء اذ خلقت
كما ترى ناقة فى الخلق او جملا
فعمدا للتي عن اكلها نهيا
بامر حواء لم تأخذ له الدغلا
كلاهما خاط اذ بزا لبوسهما «5»
من ورق التين ثوبا لم يكن غزلا
فلاطها«6» الله اذ اغوت خليفته «7»
طول الليالي ، ولم يجعل لها اجلا«8»
تمشي على بطنها فى الدهر ما عمرت
والترب تاكله حزنا وان سهلا
فاتعبا ابوانا فى حباتيهما
واوجدا الجوع والاوصاب والعللا
واوتيا الملك والانجيل نقراه
نشفي بحكمته احلامنا عللا «9»
من غير ما حاجة الا ليجعلنا
فو قالبرية اربابا كما فعلا «10»

والذي يلفت نظر الباحث ان هذا الضرب الفريد من القصص الشعري لم يرزق من يتعهده من بين شعراء العرب ، ولو قد رله من يعنى به لاتى اكلا طيبا وخرج بالشعر الجاهلي عن رتابته، والعجيب ان الشعراء الاسلاميين والعباسيين لم يلتفتوا الى ما فى القرءان الكريم من قصص ، ليغنوا شعرهم ويوسعوا ءافاق تجربتهم الفنية ، الا ما كان من امر الفرزدق فى هجوه لابليس ، وما درج عليه النابغة اذ « ذهب فى الحيات مذهب امية بن ابى الصلت وعدي بن زيد العبادي وغيرهما من الشعراء » كما يقول الجاحظ .

بيروت : الدكتور فيكتور الكك

---

1 — المصر : الحد . 2 — فى الحيوان :خليقته . 3 — فى الحيوان : ءاخرها ءان . 4 — اي : عن شمها واكلها . 5 — اي سلفا لبوسهما ، الاية . « لا يفتتنكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » . 6 — لاطها :الصقها . 7 — خليفة الله : ءادم . 8 — قوله : لم يجعل لها اجلا ، اشارة الى ما يزعمون من ان الحية لا تموت الا بعرض يعرض لها من قتل وما شاكله . 9 — الاحلام : العقول ، وعللا : بدل من احلامنا والضمير فيها مقدرا ، اي : عللا منها . 10 — ارباب : جمع رب ، قال فى اللسان : « الرب يطلق فى اللغة على المالك والسيد والمربي والقيم والمنعم . قال : ولا يطلق غير مضاف الا على الله عز وجل ، واذا اطلق على غيره اضيف فقيل : رب كذا » .

عدي بن زيد العبادي

وسبقه إلى القصص الشعري في قصيدة غير معروفة

للدكتور [illegible] الكاتب

من المتفق عليه ان القصة فى الادب العربي القديم، وخاصة فى الشعر ، لم تقصد لذاتها الا فى الندرة ، فقد سخرتها خاصة الاسلوب الخطابي للتمثيل والعظة وضرب المثل فبقيت فى الناحية الخلقية بين فنون الشعر العربي وضروبه .

ولولا قصيدة الحطيئة فى الضيافة البدوية التي بستهلها بقوله :

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل
ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما

ومثل الحية والاخوين الذي نظمه النابغة الذبياني شعرا سويا ، وساقه وسيلة لتبيان فقدان الثقة بينه وبين بعض بني قومه ، لخلت ساحة عكاظ العرب من القصص الشعري .

غير ان الباحثين قلما تنبهوا ، فى هذا المضمار، الى سبق عدي بن زيد العبادي النابغة والحطيئة الى الشعر القصصي ، فهو قد نظم قصة « قصير » وجدعه انفه وما كان من امر جذيمة الابرش والزباء فى قصيدته التي لم يذكر مطلعها الا فى معاهد التنصيص للعباسي « 1 : 211» فيما نعلم ، حيث قال :

ابدلت المنازل ام عنينا
بقادم عهدهن فقد بلينا ..

ووردت ابياتها المتبقية متفرقة فى الشعر والشعراء ومعجم البلدان ومروج الذهب والاغاني وحماسة البحتري .

كما سبق جميع شعراء العرب الى الشعر القصصي التاريخي ايضا فى قصيدته التي مطلعها :

لم ار مثل الفتيان فى غبن الـ
أيام ينسون ما عواقبها

فتعرض الى تغلب الفرس على بلاد اليمن بعد الاحباش ، ثم ذكر قصة صاحب « الحضر » وكيف دخله سابور بممالأة النضيرة بنت صاحبه الساطرون الملقب بالضزن « راجع القصة فى الطبري 2 : 47 وآثار البلاد للقزويني 354–356 وتاريخ غرر السير المنسوب للثعالبي 493 والاغاني 2 : 140 »

ولا يعزبن عن بالنا فى هذا المجال ما ورد فى قصيدته الشهيرة المستهلة بقوله :

ارواح مودع ام بكور
لك ؟ فاعمد لاي حال تصير

من الاشارات التاريخية الكثيرة الى الملوك الفانية من كسرى وبني الاصفر واخي الحضر ، داعيا الى الاعتبار واعداد الزاد للاخرة ..

اما السبق الفريد الذي احرزه عدي بن زيد فى حلبه الشعر القصصي عند العرب ، فهو فى انه تجاوز الاستقاء من معارف الجاهلية وخرافاتهم ورواياتهم الى ورود منهل القصص الديني الشائع بين اهل الكتاب يومذاك ، ففتح بذلك فتحا جديدا فى شعر العرب القصصي وسار على خطاه امية بن ابي الصلت الذي عاصر دعوة نبي الاسلام الى الهدى وعبادة الواحد الاحد .

ويتجلى منحى عدي الجديد فى وروده منهل القصص التوراتي فى قصيدة مغمورة لم تتداولها كتب الادب ولم يتناولها بالبحث او بالرواية النفر القليل الذين « عنوا » بشعر العبادي ، وقد هدانا الله اليها ،

والواقع ان الشعر ، عكسا لما يقول كروتشي ، ينقل العاطفة نقلا .. يهدئها ولا يثيرها ، لان من طبيعة الفن ان يعدل العواطف ، ويظهرها في شكل الخيال والتصور ، لا التأوه والتنهد ، ثم يسترها وراء براقع الاحياء والغموض .

ليست قيمة الفن في ان يهيج عواطفنا ، وينبه احاسيسنا ، لان التاثير الشديد يجمد الخيال ، ويخرس التعبير ، ويحد من سيلان الذهن ، وشغلنا لا باحاسيسنا عما سواها فحسب بل يشغلنا حتى عن وصفها والترجمة الصادقة عنها ، ولذلك كان الادب العاطفي الكثير الهوس والهياج ادبا رخيصا مبتذلا ، ويعتقد «سعيد عقل» في مقدمة قصيدته « المجدلية » انه « لم يقم اثر فني او عمل عظيم في حالة هياج فالفن نتيجة الهدوء ، وعمل لاواع»

لعل خير ما يفصل في هذا الموضوع رأي دي غرامون ليبار الذى ينظر الى العاطفة الادبية نظرة معتدلة ، فيرى انها لابد ان تكون عنصرا من عناصر العمل الادبي ، ثم يشترط الا تكون مشوشة ، مضطربة ولا مائعة رخيصة ، وهو ينهي عن الغلو في خلق الصدف والمفاجئات في الادب القصصي العنيف ، ويلقي احكامه النقدية بهدوء وروية قائلا : « قد يحدث التاثر بصورة كلية ، دون ان يكون هذا التأثر لذة استاطيقية «جمالية» فالهياج النفسي اذا ما بلغ حدا ما قضى على اللذة ، وهو ما نراه في « المسرحية السوقية» التى تبالغ في عرض الفواجع والمفاجئات وفى الروايات البوليسية ، وسائر الادب الحاد العنيف الذي يجعل المشاركة الشعورية الما لشدة التاثر ، ومن هذا النوع المهيج « رقصة البطن » التي رغم براعتها ، تخلو من الفن ،ومشاهد عراك الثيران ، والمصارعات الدامية ، والالعاب الخطرة ، ومشاهد القتل والتعذيب المسرحي ، ومن الخطأ ان نقيس الجمال بمقدرته على اثارة العواطف .

للعاطفة اذن حدود يجب الا نجتازها ، لانها باتساع المدى الانفصالي تقضي على اللذه الجمالية ، وربما احدثت انقباضا كما راينا في المسرحية السوقية ، ونعرف لهذا اكثر من مثل في الحياة الانسانية ، فلو كنا نشاهد طفلا يغرق ، فاننا للوهلة الاولى ، نشارك والديه شعورهما ، اما بعد ان نرى جنون عاطفتهما ، وهياجهما فان الشعور الذي كان يخالجنا يضيع ، بل ربما تحول الشعور الى نوع اخر مغاير ، فتنقبض النفس وتتقزز لاسراف الابوين في اظهار عاطفتهما اكثر من الحد الطبيعي الذي يحتمل ان يبديه الوالدان في مثل هذه المواقف ، ولذلك يخشى في التمثيل المسرحي اظهار التعذيب الوحشي من الممثل الذي لا يبغي الايلام ، بل امتاع المتفرجين ، فتضيع الغاية عليه .

ان المياعة في الادب كالمياعة في الفن تهبط بقيمته الى الحضيض ، فالكلمات الطنانة المبتذلة لا تستطيع ان تهب الاثر الفني قدرة على الخلود ، والمفروض في الادب ان يكون اساسه صحيحا لا باطلا او مزيفا ، وما العواطف المائعة سوى اساس مزيف من اسس الادب، صحيح ان الاعجاب قاعدة من قواعد الفن الجيد ولكن الا يثار اعجاب احيانا من عرض العاب نارية ، او تنظيم الحوانيت في شارع من الشوارع ؟ بيد ان العاطفة التي من هذا النوع ليست عاطفة شعرية لان الاساس الذي بنيت عليه فاسد ... وانما العاطفة الشعرية في انعقاد الزهرة ثم تفتحها ، في ظهور هذه القوة الروحية التي تعمل في تكوين الزهرة ، وما في ذلك من جمال حي لاينتهي معه الاعجاب .

المهم ان المياعةفي العاطفةالادبية شيءمبتذل حتى ولو قصد منها صاحبها الاصلاح والتوجيه ، ولذلك كنا لانرحب بالادب المتشائم ، ولا بالادب الزاهد لانه يقطع ما بين الانسان والحياة من صلات ، ويرينا الجانب الاسود من الدنيا ، ويعرض لنا مآسيها ، ويخلق عندنا نوعا من التبرم والنقمة ، مع ان الحياة ليست مأساة فقط ،بل هي ملهاة تتخللها اكثر ما تتخللها ، النظرات المترفة .

ومن صفات العاطفة الادبية ان تكون متنوعة ، ذات مصادر واسعة شخصية كانت أم موضوعية ... فاذا رأى احدنا لوحة طبيعية فيها اشجار وصخور واشخاص وبيوت ، كان لابد له ان يتساءل عن الدافع الذي حدا بالرسام الى اخراجها على هذا النسق .. واخيرا يعرف ان النسق الظاهر في اللوحة انما كان نتيجة لظروف الفنان الشخصية والعقلية ، حتى يقول روسو : « ان اللوحة الواحدة تصور باشكال مختلفة تبعا لاختلاف الحالات الداخلية في نفوس الناظرين ، فتباين اوضاع الصورة من مرة لاخرى عند الشخص نفسه انما يعود للظروف التي احاطت به .. ونحن ايضا لو نظرنا الى لوحة اليوم ، ثم نظرنا اليها في الغد لكانت نظرتنا مغايرة كل التغاير ، ولاوحت لنا اللوحة غير ما اوحت بالامس ، ومن هنا جاء قولنا : «ان الفنان ابن ظروفه » .

دمشق — عيسى فتوح

طبيعة العاطفة الأدبية

للأستاذ : عيسى فتوح

لا يشك احد في ان العاطفة عنصر هام من عناصر العمل الادبي ، بالاضافة الى الخيال والفكرة والاسلوب .. ووجودها في كل عمل ادبي شرط لازم ، لا يختلف عليه اثنان ، انما الاختلاف في طبيعة هذه العاطفة ، ومقدارها ونوعيتها .. فثمة عواطف مائعة ، قلقة ، هائجة ، مضطربة ، صارخة ، عمياء .. وثمة عواطف رصينة ، جدية ، واعية ، هادئة هدوء الموج في ايام الصحو .. والسؤال الآن : اي النوعين افضل ، واقرب الى طبيعة العمل الادبي الصحيح ؟

ان العاطفة الادبية المتزنة هي التي يؤثرها النقاد ويطلبونها ، بعكس العاطفة المائعة التي لاتستطيع ان تتماسك او تقف على رجليها .. هي كالشمس المتوهجة التي تعشى البصر ، والآلام الكبيرة التي تحطم القلوب والاجسام .. العاطفة العنيفة تشل التفكير ، وتضعف التصور ، فلا يرجى منها في ميدان الادب خير .. ومن المعروف ان العواطف الحادة العنيفة تحمل المعبرين بها على الاكثار من علامات التعجب والاستفهام والفواصل والنقاط الكثيرة ...

العاطفة الطبيعية لاتكون متسرعة ، ولا تستخدم من قبل النزعات السياسية والمذاهب الاقتصادية أو الدينية لئلا تصبح رخيصة ، تستعمل كمطية لبلوغ المآرب ، ومن هنا جاء عدم تقييمنا لشعر المدح الذي قاله اصحابه وهم يتمسحون بالاعتاب لقاء صلة رخيصة من مال او متاع .

اول ما يجب ان تتسم به العاطفة الصحيحة هو الايحاء ، ولذلك كانت الآثار الفنية اشد ايحاء من غيرها لتعدد المؤثرات التي تتضمنها ، قابل بين صورة شمسية لاحد المناظر الطبيعية واخرى فنية للمنظر نفسه ، تجد ان الصورة الفنية اكثر اثارة لاحلامك ومتعتك وتفكيرك لتعقدها وتعدد المؤثرات فيها بما اضاف اليها الفنان في شخصيته ونظرته الخاصة .

ان الاشياء القديمة تبع من الايحاء لما لها من قدسية وهيبة ، وروعة وجلال ، لذلك يتلقاها الانسان وقلبه خائف وجل ، بعكس الاشياء الحديثة ، وسبب ذلك ان الوحي يعتمد على الغموض ، والماضي بطبيعته اكثر غموضا من الحاضر ، ومن هنا كان الكلاسيكيون واضحين صريحين ، اذ يخاطبون العقل الانساني خطابا مباشرا ، اما الرومانتيكيون فيكثرون من التلوين والتصوير لانهم كانوا اكثر اتصالا بالمتاحف والآثار والنقوش والفنون ، وبالاجمال كما ازداد الفن غموضا زادت فيه قوة الايحاء ، ولهذا كانت الموسيقى ايحاء صرفا لانها لاتقول شيئا ، بل توحي الى السامع مشاعر مختلفة ، والرمزيون عندما قرنوا الشعر بالموسيقى انما ارادوه ايحاء خالصا ، وجعلوا الغموض أهم ميزاته .

ثم يجب ان تكون العاطفة الادبية باقية الاثر ، دائمة لا موقتة سريعة المفعول .. ولا يتيسر ذلك في العمل الادبي الا اذا كان فيه وحدة شعورية ، فالقطع الشعرية التي لاتجمعها وحدة في الموضوع والشعور تكون ذات متعة سريعة ولذة آنية ، نسمعها فنعجب بها ، ولكننا سرعان ما ننساها وننسى صورها التي مرت بخاطرنا مرور الحلم .. بعكس قصائد الغزل والاشعار الغنائية ، فهي تتمتع بنصيب كبير من العاطفة ، ويطربنا لحنها الشجي الذي يتصاعد من رنات مقاطعها وذكرياتها المثيرة .

والعاطفة الادبية سليمة ، صحيحة ، متزنة ، غير شاذة ولا متحرفة ، لان الادب فن ، والفن يأبى ان يكون رخيصا يباع ويشرى ، ويأبى ان يكون منحرفا مائعا ، فالعواطف التي تكون من باب الزفرات والتنهدات والاهات عواطف مائعة ، مريضة ، ليست من الفن في شيء ولذلك يقول الفيلسوف كروتشي : « ان التعبير العاطفي ليس من الشعر في شيء لان ميزته التأوه ، والتنهد ، والمبالغة ، والغلو العاطفي » وقد تسرع كروتشي ، فنفى ان تكون العاطفة من عناصر العمل الفني لان الفن في نظره انضباط ونظام ، والعاطفة تشويش واضطراب ، وهو القائل : « لا يمكن للشعر ان ينقل العاطفة او يقلدها لان العاطفة تشويش واضطراب والفن نظام وشكل » .

وبعد حصوله على الباكالوريا التحق مباشرة بكلية الحقوق ، ليتخرج وكيلا للنيابة « كأولئك الوكلاء الذين يحضرون الى كفر بين الحين والاخر ، فتهتز لحضورهم القرية كلها ، ويجرى لهم الخفر والمشايخ ، بل والعمدة نفسه » وكانت البرامج الدراسية للسنة الاولى في كليتي الحقوق والاداب تكاد تكون واحدة ، وذلك في الادب والتاريخ وعلم النفس والاجتماع واللغات الكلاسيكية . واكتشف الدكتور طه حسين عبقرية الطالب محمد مندور ، فاستدعاه لمقابلته وسأله :

— ما الكلية التي طلبت الالتحاق بها ؟

اجاب :

— كلية الحقوق يا دكتور .

— ولماذا ؟

— لاتخرج وكيلا للنيابة بالذات ..

فقهقه الدكتور طه حسين ، وعاد يسأل تلميذه:

— ولماذا وكيلا للنيابة بالذات ؟

— لانه الرجل الذي تهتز له بلدتنا كلها عندما يحضر اليها .

— اما فلاح صحيح يا بني ، ان لديك استعدادا ادبيا لا نشك فيه ، وخسارة ان تدفن نفسك في هذه المهنة . انا انصحك بان تعدل عن الحقوق الى الاداب، واملي كبير في ان تتفوق وان تسافر في بعثة الى اوربا بعد تخرجك لتعود وتعمل استاذا في الجامعة .

ولكن الطالب الريفي ، رفض عرض استاذه في ادب وحياء ، واصر على البقاء في كلية الحقوق ، فقال الاستاذ :

— اما فلاح مخه ناشف

ثم صمت ليستطرد قائلا بعد لحظات :

— طيب يا سيدي ابق في الحقوق كما تريد، ولكن على ان تلتحق ايضا بكلية الاداب في نفس الوقت ، وانا اتعهد باعفائك من مصروفات كلية الاداب ، ولن يصعب عليك الجمع بين الكليتين لان الدراسة بعد السنة الاعدادية ستكون في الصباح بالحقوق ، وبعد الظهر بكلية الاداب .

وكذلك اعجب به « هوستليه » استاذ علم الاجتماع باجتهاده في مادته ، وعرض عليه ان ينضم الى قسم الاجتماع فوافق ، واصبح يدرس في كلية الحقوق ، وفي قسمين بكلية الاداب في وقت واحد.

وفي عام 1929 حصل على ليسانس الاداب ، ووقع عليه الاختيار ضمن بعثة تضم خيرة الشباب المثقف في مصر ، حيث التحق بالسربون ليحضر درجة «دكتوراه» في دراسةالنقد العربي، ولكن دراسته للنقد العربي لم تقنعه وانما دفعته الى انواع من الدراسات الادبية الاخرى التي كان لابد منها في النقد ، فدرس النقد الادبي ، ودرس الاداب الفرنسية وما يتصل بها من لغات كاليونانية القديمة ، واللاتينية والفرنسية وفقهها المقارن مع حضور محاضرات المستشرقين ، وتحضير دكتوراه في الادب العربي القديم مع احدهم ، كما « التف الى بعض الدراسات الصوتية واللغوية في سبيل تأكيد نظرته الى مباحثه النقدية » «1» .

واحسن الحظ قررت الكلية ان تستبقي البعثة سنة تدرس خلالها اللغة الفرنسية قبل سفرها ، فاستطاع محمد مندور ان يكمل خلالها دراسته للحقوق . وحصل على الليسانس « للحقوق » في عام 1930 ، واستدعي بالفعل لتحقيق امل الطفولة ليصبح وكيلا للنيابة ، ولكنه بعد تردد طويل ، فضل السفر في البعثة الى باريس على التعيين وكيلا للنيابة التي اصبحت في نظره لا قيمة لها .

وغادر القاهرة الى باريس ..

غادرها وكله امال واماني واحلام ..

وفي هذه المدينة العامرة بكل انواع الثقافات المتجلية فيها نزعات الفكر الثائر ، حيث تلتقي فيها عناصر حية من مثقفي العالم ، وتبرز فيها عناصر اخرى ذات فكر حر منقف واع لظروف ملابسات الافكار الثائرة على مجتمعها المقيد ، المثقل البطيء .. وحيث هي مركز الاشعاع الروحي للمثقفين في اي بقعة من الارض كانوا او وجدوا ، استطاع محمد مندور ان يكون لنفسه عالما خاصا به ، عالم الطالب .. البحاثة في مجال الاشياء واغوارها وجوهر وجودها ..

فباريس مدينة بالغة الخطورة ، فيها — كما يقول — الجد والصرامة ، وفيها المغريات المهلكة ، وقد اخذ من الاثنين بطرف. والغريب العجيب ان المغريات هي التي افادته كثيرا من الناحية العاطفية والثقافية،

1» راجع مقال « الدكتور مندور الانسان » للدكتورشكري فيصل ، بالصفحة الثقافية بجريدة العلم عدد 5560 المؤرخ بتاريخ 28 مايو 1695 .

الدكتور محمد مندور

للأستاذ محمد أحمد البوسرغيني

منذ شهور مضت .. مات الدكتور محمد مندور ..

وبموته فقد العالم العربي - من محيطه الى خليجه - احد قادة الفكر الحر القديم والحديث ..

وبموته سقطت ورقة اخرى من تلك الشجرة الكبيرة اليانعة ، بثمار النوابغ والعباقرة الذين خلدهم الزمان ، واثروا وما زالوا يؤثرون على تاريخ الفكر المعاصر بثمرات نتاجهم ، وجهودهم الكبيرة ، التي خلدها تاريخ البشرية من جيل الى جيل . فبعدما سقطت ورقة استاذ الجيل احمد لطفي السيد .. وورقة الدكتور هيكل .. وورقة عباس محمود العقاد .. وغيرهم .. تسقط فجاة .. وبلا مقدمات طبيعية .. ورقة غالية ثمينة .. عزيزة على نفوسنا .. ورقة شيخ النقاد : الدكتور محمد مندور .

وبموته طوى الزمان فكرا نيرا عظيما ، ازدهى به المثقفون مدة تتعدى الثلاثين سنة ، ما لبث فجاة ان انقضى وانكمش على نفسه الى الابد .. وترك الجميع فى ذهول ..

ولد «1» رحمه الله يوم 5 يوليو عام 1907 فى كفر مندور بالقرب من منيا القمح بالشرقية ، وكان والده مومنا صادقا فى ايمانه ، متدينا ، ينتمي لمذهب صوفي اسمه « الطريقة النقشبندية » ومعناها النقش على القلب ، وكان رجلا متسامحا يبغض العنف والكره بين مجموع الناس ، يحفظ القرءان الكريم ويردده فى جل المناسبات .

فى هذا الجو العبق بأريج الايمان الحق ، ترعرع الصبي محمد مندور ، وتفتقت موهبته على الدين ، وكيف لا تتفتق وقد « كانت نشأته الاولى فى ذلك الوسط الروحي والاخلاقي هي التي غرست في نفسه التمسك بالقيم الاخلاقية ، والحفاظ عليها دائما مهما كلفه ذلك من ثمن » .

وفى حوالي الخامسة من عمره ، ارسله والده الى الكتاب ليعلم القراءة والحساب ، لكنه لم يدم به طويلا حتى دخل المدرسة ، فكان يستيقظ مع الفجر ليركب حماره ، ويقطع مسافة ستة كيلومترات ليصل الى منيا القمح حيث المدرسة ، وفى الطريق الطويل « كان يتعرض لمضايقات اولاد وتلاميذ يكبرونه سنا ، وكان يخشاهم وكل ذلك اثر عليه واربكه فى مرحلة الدراسة الابتدائية » .

وفى عام 1921 نجح فى امتحان الشهادة الابتدائية نجاحا « عاديا » فانتقل الى مدرسة طنطا الثانوية حيث بدات مواهبه تتفتح ، ويحافظ على السبق للحصول على اعلى الدرجات طوال مرحلة الدراسة وفى عام 1925 حصل على الباكالوريا من القسم الادبي ، وفى هذه الفترة كان مغرما بقراءة الكتب الادبية ، وامهات الادب العربي القديم امثال : العقد الفريد لابن عبد ربه ، والكامل للمبرد ، والاغاني لابي الفرج الاصبهاني ، والامالي لابي علي القالي ، وقد قرأها كلها وهو فى المرحلة الثانوية .

«1» سنعتمد فى دراستنا لحياة الدكتور محمدمندور على كتاب « عشرة ادباء يتحدثون » لانه هو المصدر الوحيد لحد الان الذي به حياةالدكتو رمحمد مندور . الناشر دار الهلال . عدد 172 - يوليو 1965 . ومؤلفه هو الناقد فؤاددواره

ابواب الامل الموصدة امامه ، فتقدم الى الدكتور طه حسين بوصفه مديرا لجامعة الاسكندرية وطلب منه ان يرقى الى درجة مدرس «أ» ، ولكنه رفض . وفي هذا يقول الدكتور مندور : « فبعد ان حصلت على الدكتوراه سنة 1943 من جامعة القاهرة بمرتبة الشرف الممتازة ، تقدمت الى الدكتور طه حسين بوصفه مديرا لجامعة الاسكندرية التي اعمل بها ، بطلب ترقيتي الى وظيفة مدرس «أ» من الدرجة الرابعة ، فاذا به يرفض طلبي ويحتد في رفضه بصورة دفعتني الى التفكير الجدي في الاستقالة من الجامعة » وقدم استقالته وخرج الى الهواء الفسيح .. الى ميدان الصحافة .

وهكذا ففي فاتح فبراير 1945 تولى تحرير جريدة « الوفد المصري » زيادة على تحريره في جريدة « اخبار اليوم » وبعض المقالات في « الاهرام » ومجلة «بلادي» التي كان يصدرها ابن احد كبار هيئة السعدية . وكذلك تولى تحرير مجلة « البعث » والتي كان يكتب فيها مقالات ملتهبة حماسة ووطنية ، بعد ما كانت منبرا للارادات الطلائعية الثورية التي بدأت آنذاك تخرج من صميمها العميق الى مجتمعها تصلح ما افسده المستعمر الغاشم .

وفي يوليو عام 1946 شن اسماعيل صدقي حملة شعواء على اثنا عشرة مجلة وجريدة فاغلق جميعها . ومن بينها جريدة « الوفد المصري » ومجلة « البعث » وفي تلك الليلة المشؤومة فاجاه البوليس في عقر داره ، وساقوه الى مركزهم . وفي هذا يقول : « فاجأني البوليس في بيتي بدورياته وعساكره وضباطه ، فازعجوا زوجتي واطفالي ازعاجا شديدا ، ثم ساقوني معهم الى المحافظة رغم انهم لم يجدوا في منزلي اي كتاب او ورقة تشير الى اني شيوعي من قريب او بعيد » .

وبعد هذا القي عليه القبض ، ووضع داخل الزنزانة مدة 46 يوما . والواقع الذي من اجله دخل الى السجن ، انه رفض التعاون مع اسماعيل صدقي وحكومته ، التي حاولت رشوته بتعيينه سفيرا في سويسرا، وقد اجابها بلسان صريح لا يخاف الوهن او الجبن : « اني افضل الانتحار على مثل هذه الخيانة الوطنية » . وظل اصدقاؤه على اتصال مستمر به ، فكان يكتب مقالات يومية يوجه فيها — وهو بالسجن — النقد لحكومة اسماعيل صدقي، مما ظن هذا الاخير ان خير الحل هو اطلاق سراحه بعد ما كان يتمتع باحترام كبير من طرف رجال البوليس ، الذين حرصوا على ان يوفروا له الراحة معرضين انفسهم بذلك للاخطار ، فكانوا يحملون له الصحف والفداء ، بل لقد مكنوه من كتابة مقالات ضد صدقي والسراي والانجليز من داخل السجن « وحملوها للجريدة فنشرتها ، مما كان يطيح بصواب الحكومة الظالمة القائمة وقتذاك ، وتسبب ذلك في نقل بعض رجال البوليس وتشريد بعضهم » .

وبسقوط وزارة اسماعيل صدقي ، امكن ان يتولى « تلقائيا » رئاسة تحرير جريدة « صوت الامة » التي واصل فيها كفاحه ضد استبداد الاستعمار ، واحتكار رأس المال الاجنبي والوطني لكل ثروات البلاد . لذا طالب بعدد كبير من قوانين العدالة الاجتماعية التي تكفل للامة — وخاصة العمال — حياة اسعد وارقى . وتتضمن هذه القوانين : — التامينات الاجتماعية في مواجهة العجز ، والشيخوخة كما طالب بتحديد الملكية ، والزراعة ، ووضع حد معقول للضرائب الباهظة التي كان يشكو منها المواطنون .

« واذا كان الدكتور مندور يتسلم جريدة «صوت الامه» ويكتب افتتاحيتها ، فتكون هذه الافتتاحيات بعض وقود الثورة الكبرى التي كانت بعد ذلك عام 1952 . فقد اضفى على مقالاته في صوت الامة ما كان يمور عنده من رغبات نحو مستقبل وطنه ، ومن نقد لحاضره ، ومن تبرم بواقعه .. واشاع كثيرا من المفاهيم والاراء والنظرات .

« لكن مندور لم يكن عنيف الولاء الى جانب سياسي بعينه . لم يكن — على انه يكتب في صوت الامة — يصدر عن تفكير حزبي ضيق ، ولم يكن « وفديا » بهذا المعنى الذي كان يفهمه الناس آنذاك من الاحزاب ولكنه احس هذا التجاوب بينه ، وبين جناح من الوفد ، فانطلق معه ، لم ينطلق سياسيا ولكنه انطلق انسان مجتمع ، انسانا ثائرا ، متألما ، ينظر الى كل زاوية من زوايا مجتمعه ويرى « السياسة » حصيلة وليست اصلا ، تتويجا لكل مشاكل الجماعة لا مشكلة رئيسية فيها »

« وعلى انه خاض في « صوت الامة » في بعض التفاصيل التي كانت تطرحها الحياة السياسية

لانها مكنته من الاختلاط بالمجتمعات الراقية المتقدمة ، وبدهماء الفن والادب في مونبراس والحي اللاتيني .

وباريس كذلك هي التي كونته عقليا وعاطفيا وانسانيا ، هي التي غرست في نفسه حب التأمل والاستطلاع في الحياة ، وهي التي صقلت مواهبه بكل ما فيها من الاحاديث التلقائية العفوية ، والاعترافات الصادقة في ساعات الحظ والامل ، ولمس نفوس البشر عاربة صريحة غير مقنعة ولا متوارية .

وكان طيلة مقامه بباريس يحاول ان لا يتكلم بالعربية ، فيبتعد عن اخوانه المصريين ، ويختلط بالاجانب المقيمين بها ، وذلك للمزيد من البحث والاستطلاع في ءافاق اللغة الفرنسيه وءادابها وعلومها وفي هذا يقول : « كنت في باريس احاول ان لا التقي باخواني المصريين الا في حالات الضروره ، واختلط طوال الوقت بالفرنسيين وغيرهم من الاجانب المقيمين في باريس ، تجنبا لمواصلة الحديث باللغة العربية ، حتى لاحظت بعد السنة الاولى من اقامتي في باريس، اني لم اعد افكر باللغة العربية ، بل انتقلت الى التفكير باللغة الفرنسية . ويخيل الي ان تغيير لغة الفكر الى لغة اكثر تحديدا ودقة ، واقل ميوعة قد غير منهج تفكري كله ، بالرغم من ان تفكيري منذ دراستي الجامعية في مصر كان يمتاز بالدقة والوضوح والنفور من النقنقة اللفظية ، او افتعال الغموض . وربما كان للمزاوجة بين دراسة القانون والادب اثر فعال في تكوين هذا المنهج الفكري في نفسي » الى ان يقول : « ومع كل هذا فمن المؤكد ان تغيير لغة التفكير لا لغة الكلام فحسب ، هي التي تكون النقلة الكبيرة في منهج تفكيري العام ، بل واحساسي ايضا . فاللغة هي ضابط الاحساس كما هي ضابط الفكر . والانسان لا يعي احساسه ولا يبينه الا اذا استطاع ان يسكنه اللفظ المحدد الدال »

وفي باريس عرف الانطلاق والحرية الفكرية الواسعة المنتشرة تحت سمائها وارضها والتي لا مثيل لها في بلاده . يقول : وهما لا شك فيه ايضا ، ان جو الحرية الفكرية الواسعة المنتشرة في سماء باريس وارضها ، قد كان له اثر فعال في تفتيح نوافذ النفس على كافة الافاق. فضلا عن انني لم اقتصر على القراءة ، بل احسست ان في المشاهدة منبعا للمعرفة لا يقل اهمية عن القراءة ان لم يفقها احيانا . ولذلك لم امكث في باريس بعد انتهاء العام الدراسي ، بل كنت اغادرها للتنقل اما في ارجاء فرنسا ، واما في الدول الاوربية الاخرى ، وكان للمشاهدة وقع السحر في نفسي فما زلت اذكر مثلا كيف تحول وصف « فلوبير » لكنيسة مدينة « روان » في احدى قصصه الى حقائق حية نابضة ، موحية عندما زرت تلك الكنيسة ، وشاهدت القصص الدينية التي نقشت على نوافذها لتحكي قصة القديس « سان جوليان » وعندما وصلت الى الدار الريفية المتواضعة التي اعتزل فيها « فلوبير » الى جوار « روان » في شمال فرنسا مدةخمس سنوات ليكتب فيها روايته الخالدة « مدام بوفاري » خيل الي انني امام معبد رهيب »

وبعدما فرغ من دراسة اللغة اليونانية القديمة وءادابها في عام 1936 ، احس برغبة ملحة في زيارة بلاد اليونان التي قرأ عنها الشيء الكثير من التراث اليوناني القديم ، فاتفق مع زميل له في الدراسة يدعى « جاك بربليه » على القيام معا برحلة الى بلاد اليونان وجزرها المتناثرة في بحر ايجه ، وجزيرة صقلية باعتبارها جزءا من بلاد الاغريق القديمة .

وهكذا سافرا رغم اعتراض مدير البعثة في باريس ، لانه كان يظن الامر مجرد نزوة سياحية ، مع انها كونت عند مندور « اضخم معجزة بشرية » والتي « تفوق في اهميتها الف كتاب » .

وعند ما عاد من رحلته ، فوجيء بمدير البعثة يوقف مرتبه ، ويطالب بفصله من البعثة ، لانه خالف رأيه . ولحسن الحظ ان كان مديرا لجامعة القاهرة ءانذاك السيد احمد لطفي السيد ، الذي كان محمد مندور قد نجح في كسب ثقته ، وخاصة عند ما نجح في ليسانس الادب الفرنسي التحريري بعد عام واحد .

وعندما لاحت تباشير الحرب العالمية الثانية بل وفي عام 1939 ، عاد الى القاهرة ، فواجه صعوبات وتحديات لتعيينه في الجامعة ، سببها عدم حصوله على الدكتوراة في الادب العربي القديم ، وسيطرة النظام الانجليزي في قسم اللغات القديمة . فعمل مدرسا للترجمة من الانجليزية الى العربية ، وفي السنة الدراسية 40–1941 تمكن المرحوم احمد امين من ان يحصل له على بضع ساعات للترجمة من الفرنسية الى العربية في قسم اللغة الفرنسية.

وبعد فترة وجيزة – 1943 – حصل على الدكتوراة من جامعة القاهرة ، وكان موضوع الاطروحة التي تقدم بها « التيارات النقدية عند العرب في القرن الرابع الهجري » وظن ان الدكتوراه ستفتح له

اسس النقدفيما بين الثورتين 1919–1952 «1» وقد كان جيل الدكتور مندور يتميز بشيئين : المنهجيـــة الاكاديمية من ناحية ، ومحاولة الربط بيـــن الادب والحياة من ناحية اخرى . بمعنى ان الدكتور مندور لم بعد يكتفي بان يعيش النقد فى برج عاجي معـزولا عن الحيـاة ، بل حاول دراسة العلاقة القائمة بيـن الفن والادب من ناحية ، وبين الحياة والمجتمـع مـن ناحية . وقد كان لهذه المحاولة اثر واضح فى تكويـن الفكر الجديد فى مختلف المدارس لا فى الواقعيـــة فقط ، ولكن فى فهم الرومانسيـة والكلاسيكية .

ونستطيع ان نقول ان الدكتور مندور والدكتور لويس عوض كانا بمثابة المقدمات الطبيعية ، التـي مهدت للفكر وفى الادب لما هو حادث اليوم . ومـن هنـا فهما اشبه بقنطرة ، وبالدعاة الاول لهذا الجديد الذي نـراه اليـوم «2» .

وقد ركز الدكتور مندور اهتمامه فى النقـد بثلاث مراحل كناقد ادبـي .

المرحلة الاولى : فى المنهج الجمالى فى النقــد وكان يركز فيها على القيم الجمالية فى النص الادبي ، وفى الشعر بصفة خاصة. لان الفن الادبى الذى يعتبراكثر جمالية من اي فن ادبى اخر . حيث يصب هذا الفن او ذاك مضمونا انسانيا معينا قد يرضى عنه الناقد وقد لا يرضى . اما الشعر فمن الممكن ان يعتبـر فنـا جماليـا خالصـا . والجمال له اكبـر قيمه فيه .

المرحلة الثانيـة : منهج النقد الوصفي التحليلي وهو المنهج الذي صدره فى ثلاثة عشر كتابا الفهـا لمعهد الدراسات العربية العليا . وقد التزم فيها اسلوبا علميا محايدا يهدف الى الوصف والتعريف والتثقيف اكثر مما يهدف الى التوجيـه .

المرحلة الثالثة : مرحلة النقد الايديولوجي ، وهو يقوم على منهج يحدد وظيفة اجتماعية محددة للادب والفـن ، ويصدر الناقد فى نقده عن عقيدة ، او على الاصح عن هذا المنهج الفكري والفني الذي يعتنقـه ويقول عن هذه المرحلة وسبب ايمانه بها : «وقد دفعت الى اعتناق هذا المنهج ، نتيجة لاهتمامي بالقضايـا العامة وبالنواحي السياسية والاجتماعية فى حياتنـا ثم لايماني بالفلسفـة الاشتراكية ، وازديـاد ايمانـي بها كلما ازددت معرفة بواقع مجتمعنا اثناء عملـي فى الصحافة والمحاماة والبرلمان . وبحكـم نشأتـي الريفية ، واستمرار صلتي الوثيقة بالريف واهلـه ، وطبقات شعبنا الكادحة المظلومة » .

وقد ظهر هذا المنهج – الايديولوجي – فى النقد وهو « المنهج الذي يولي مضمون العمل الادبي والفني اهتماما لا يقل عن الاهتمام الواجب بالقيم الجمالبـة فى الادب » وقد ازعج هذا المنهج بعض الذين رأوا فيه اتجاها سياسيا واجتماعيا اقلقهم وأقض مضاجعهم . فانبرى نفر لمحاربته باسم الفن وحربته وقيمـه الجمالية . والف الدكتور رشـاد رشـدي جماعـة من تلاميـذه ومساعديه لمحاربة اتجاهه فى هـــذا المنهج ، واذا بعدد كبير من اصدقائه وزملائه المثقفين،

«1» يتميز الجيل الاول بأنه هو الذي وضع اسـس النقد النظرية والتطبيقية ، سواء بتعريف العالـم العربي بنظرات النقـد الاساسيـة فى الاداب الاجنبيـة العالمية . او بتطبيق مقاييس النقد علـى الادب العربي قديمه وحديثـه .

والجيل الثالث او الحالي فهـو جيـل النقاد الشبان الذين نشأوا فى كنف الثورة : وهم رجاء النقاش ، محمود امين العالم ، عبد العظيـم انيس ، احمد عباس صالح ، انيس منصور ، فاروق خورشيـد والدكتور عبد القادر القط وغيرهم .وقد حمل عليهم الدكتور لويس عوض بأنهم يتميزون بالانطلاق والتفتح والتخفف مـن الاكاديميـة .وهذا فى حد ذاته نافع وضار فى ءان واحد ، هو نافـع من ناحية الانطلاق المتفتح . ولكن نقص تكوينهم الاكاديمي جعلهم يقفون على ارض غير ثابتة ، ولعلهم لا يلامون على ذلك ، لان طبيعـة الطور السريع الذي نعيش فيه لا يدع لهم مجالا لاستكمال تكوينهم العلمي ، فهم يستقبلون مدارس الفكر والفـن الجديدة بعقل متفتح . فلا يفزعـون امام التجريد او اللامعقول او الوجودية ، وقـد استطاعوا ان يواصلوا الكلمة .. كلمة النقد الى الجمهور من خلال كتاباتهم فى الصحف ، بعد ان كان النقد الادبـي والفني قاصـرا على فئـة قليلة مـن المثقفيـن ، يتابعونه بعد ان اصبح الان مـن الاهتمامـات العامـة .

«2» راجع نص الاستجواب الذي اجرته جريدة العلم مع الدكتور لويس عوض والذي يشرح فيه الموقف الثقافي بمصر قبل وبعد الثورة » عدد 5602 السنة التاسعة عشرة بتاريخ الجمعة 16 يوليوز 1965

اليومية غير انه كان يعالجها من هذه الزاوية الاجتماعية ، التي كان وراءها عقله وقلبه واحاسيسه. ولذلك ظل الدكتور مندور اثيرا عند كل الناس جميعا، وفديين وغير وفديين ، محبا اليهم .. للذي يقوله أثره وخطره » «1» .

وفي اوائل عام 1948 تولى مهنة المحاماة التي لمع فيها . يقول : « قررت في اوائل عام 1948 ان اقيد نفسي في نقابة المحامين ، وان انتفع بدراستي للقانون في مزاولة المحاماة ، وكان اسمي قد انتشر في جميع انحاء البلاد ، وملا جميع الاسماع ، مما مما يسر لي العمل بالمحاماة . فازدهر المكتب الذي افتتحته ، وكان يأتيني الموكلون من اقصى الصعيد ، واقصى شمال الدلتا في القضايا الجنائية الكبيرة . وبلغت وقتئذ مبلغا كبيرا من الرخاء المادي ، رغم حرصي الشديد على شرف مهنة المحاماة . وواصلت في نفس الوقت الكتابة والاشراف على تحرير جريدة « صوت الامة » حتى هزمنا حكومات الاقليات هزيمة مطلقة . فاضطر الملك الى التسليم بضرورة اجراء انتخابات جديدة شرف عليها حكومة محايدة برياسة « حسين سرى » وتولى الدكتور محمد هاشم وزارة الداخلية التي اجرت الانتخابات بنزاهة. وطالبت من الوفد المصري ترشيحي لدائرة السكاكيني ، وجرت الانتخابات ، وفزت فيها فوزا سحيقا ودخلت البرلمان عضوا فيه لاول مره » .

ولكنه ظل على اتصال دائم ووثيق مع الصحافة التي لم يفارقها ابدا بمقالاته السياسية ، وابحاثه الادبية ، التي كانت تتطرق الى مشاكل الشعب الذي كان يشكو من حكم الحكام المستبدين الموالين للانجليز ، والعملاء المنتشرين في ارجاء البلاد . فكيف يفارقها وهو رجل مثقف وسياسي كبير له ثقله ووزنه وشعبيته عند مجموع الامة . يقول عن مرحلة انطلاقه من الوظيفة الحكومية الى العمل بالصحافة « عندما قررت ان احطم قيود الوظيفة الحكومية ، لاسترد حريتي في العمل السياسي والاجتماعي الى جوار العمل الادبي الذي تخصصت فيه ، فلم اجد ميدانا استطيع ان اجمع فيه بين العمل السياسي والعمل الادبي كناقد متخصص الا في الصحافة » .

بدا رحمه الله نشاطه الادبي كناقد في مجلة « الثقافة » و « الرسالة » و « الاهرام » وركز اهتمامه الادبي بالدعوة الى « ايثار الناحية الجمالية في الادب ، والعناية بالصياغة والقالب الفني عامة في الشعر والادب » وكان من رأيه « ان للادب وظيفة سياسية ولكنه لا يؤديها باسلوب مباشر والا انقلب الى مجرد دعاية سياسية . فوظيفة الادب في التطوير السياسي ، أن يستخلص القيم المحركة التي تكمن خلف مظاهر التطور المادي والاجتماعي للحياة . وهو بكشفه عن هذ هالقيم الكامنة يحيلها الى قوة ايجابية فعالة تدفع نحو مزيد من التطور في نفس الاتجاه » .

« ومعنى هذا ان الادب انعكاس لواقع الحياة وتطورها ، ولكنه ليس انعكاسا سلبيا ، بل انعكاسا ايجابيا ، فهو يرتد ثانية الى تلك الحياة ليحث خطاها، ويدفعها نحو مزيد من التطور والتقدم ، وبذلك يأخذ من الحياة ، ثم يعطيها اكثر مما اخذ . وهذا هو المفهوم الديالكتيكي للفلسفة الاشتراكية ، بالنسبة للادب ، وهو يختلف عن المفهوم الميكانيكي للاشتراكية الذي يعتقد ان التطور المادى للحياة هو الذي يطور الفكر في حين ان الفكر في موضع الذنب لا الرأس ، بينما المفهوم الديالكتيكي يجعل الفكر قوة فعالة نحو التطور والتقدم لا مجرد انعكاس ءالي لذلك التطور » .

وبالمناسبة اريد هنا ان اثبت حقيقة ادبية تاريخية، حتى تكمل الصوره التي رسمناها للدكتور محمد مندور . وهذه الحقيقة هي ان الدكتور مندور كان يمثل مع الدكتور لويس عوض الجيل الاوسط الذي وضع مع الجيل الاول والذي يمثله : الدكتور طه حسين وعباس محمود العقاد والمازني وهيكل

1» «الدكتور محمد مندور الانسان » مقال للدكتور شكري فيصل ، الصفحة الثقافية بجريدة العلم عدد 5560 بتاريخ 28 مايو 1965

نفساني لا ناقد ادبي له منهجه الخاص بعمله ، باعتبار ان الادب شيء قائم بذاته له منهجه الخاص ، وفن جميل ، ووعاء لقيم انسانية واخلاقية واجتماعية تكتسب وجودها المستقل عن صاحبها » وقد جمع معظم هذه الردود فى كتابه « الميزان الجديد » .

المعركة الثالثة : كانت هذه المعركة عام 1956 حول الشعر الحر الجديد ، وهل هو شعر خال من الموسيقى ، ام له موسيقاه الخاصة وهل هي من نوع جديد لا تقوم على ايقاع الطبول مثل موسيقى الشعر العمودي . وقد تدخل العقاد فى هذه المعركة، وانكر وجود اي موسيقى فى الشعر الجديد ، ورفض اعتباره شعرا بعد ما كان يحول القصائد التي ترسل اليه الى لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب الى لجنة النثر للاختصاص . وقد اوضح الدكتور مندور فى هذه المعركة ان للشعر الجديد موسيقاه القائمة على التفعيلة ، وله اسلوبه فى التعبير الشعري الجديد الذي يجمع بين الواقعية والرمزية والغنائية ، وضرب جديد من الموسيقى . نوقعت ان تألفه اذاننا على نحو ما الفت الموسيقى الغربية المتعددة الانغام والالحان التي لا يحتل فيها الايقاع مكان الصدارة ، بالرغم مما لقيته هذه الموسيقى فى بادىء الامر من مقاومة . ثم لم تلبث الاذان ان الفتها وأحبتها ، بل وفضلتها احيانا كثيرة على الايقاع الجدي الذي يغلب على الموسيقى الشرقية .

وفى ءاخر هذه المعركة اطلق عليه العقاد اسم: شيخ النقاد .

لم يكتف رحمه الله بعمله الادبي المحدود ، بل دفعه انسانيته الصادقة الى ان ينظر فى الانواع الادبية الاخرى التي لها صلة وثيقة بعامة الشعب . فانطلق الى المسرح مدرسا مواد ادب المسرح وتاريخه ونقده فى المعهد العالي للفنون المسرحية ، ورئيسا لقسم الادب المسرحي ، واستاذا للنقد حتى اواخر ايامه . كما كان عضوا فى لجنة المسرح القومي ، ولجنة المسرح الكوميدي ، بل وكان له فى كل الوان النشاط المسرحي الرسمي والحر اثر واضح ومشاركة فعالة .

وخلال عمله بالمسرح ، ركز اهتمامه فى ثلاثة مقالات طويلة ، تعتبر ابحاثا عن تطور الفن الدرامي فى العصر الحاضر فى العالم ، على اساس تطور مفهوم وظائف الادب واهدافه منذ ظهور ما يسمى بالاوتشدك، اي الاستطلاع الدرامي ، حتى المسرح الملحمي ، والمسرح الوجودي ، واخيرا مسرح اللامعقول . وقوم كل هذه المذاهب فى ضوء ما تحققه للانسانية من مكاسب ، او ما تلحقه بها من اذى . وقد نشر هذه المقالات فى مجلة المسرح بعنوان «تصفية حساب» اي حساب الاصول الدرامية وتطورها بتطور الوظائف والاهداف . وبالرغم من انه لم يفصح عن هدفه فى مقالاته ، فان الهدف من السهل الاحساس به ، وهو تبرير وتعزيز اتجاهه نحو تركيز الاهتمام الاكبر على مضمون الادب والفن . وهو بالطبع المضمون الذي يخدم الحياة والانسان ، ويتمشى مع الفلسفة السياسية والاجتماعية التي ارتضاها الشعب بدليل ان تطور المضامين والاهداف ادى الى تطور الشكل الفني والاصول الدرامية الخالصة . فالشكل تابع لا متبوع ، ويكفي ان يسهم فى ابراز هذا المضمون وايصاله الى الناس . يقول رحمه الله فى هذه القضية وخلاصتها : « هذه هي الخلاصة التي يسهل الخروج بها من تصفيني لحساب الاصول الدرامية اي الشكل الفني للدراما ، وهي اكبر رد غير مباشر على من يعارضون اتجاهي الايديولوجي الجديد ، وان لم يتخذ هذا الرد صورة المعركة او الحرب الدونكيشوتية المفعقعة بالسلاح . وفضلا عن ذلك فقد احتفظت بمنهجي الوصفي التحليلي العلمي الخالص حتى اليوم ، مقيما حدا فاصلا بينه وبين منهجي الايديولوجي الذي استخدمته فى مجال جماهيري خطير ، كمجال الادب المسرحي والفن التمثيلي ، ولا ادل على ذلك من انني استخدمت هذا المنهج الوصفي فى دراستي للنقاد المعاصرين انفسهم سواء اكانوا ممن اشتبكت معهم فى معارك ام لم اشتبك ، اذ جعلت هدفي من هذه الدراسة التعريف العلمي المحايد باتجاهات وجود هؤلاء النقاد منذ حسن المرصفي حتى العقاد والمازني وشكري وميخائيل نعيمة ، ويحيى حقي ولويس عوض وذلك فى كتابي الاخير « النقد والنقاد المعاصرون » .

« وانا اعلم ان المنهج العلمي الهادىء لا يلفت الانظار مثل المنهجين الاخرين الذين استتبعا معارك ونزالا استلفتا الانظار . واولهما بعض الناس انني كنت اكثر حيوية واضافة للحركة النقدية حتى فى فترات اخرى ، اشتغلت فيها بالنقد الهادىء ، اي الوصف التحليلي الاكاديمي مثلما فعلت فى الثلاثة عشرة كتابا التي نشرها لي المعهد العالي للدراسات العربية » .

وفى يوم الاربعاء 19 مايو عام 1965 ، وبعد مرض عضال ، اسلم الدكتور محمد مندور اجفانه للنوم العميق .. الى الابد .. وترك الجميع فى ذهول ، بعد ان غالب الموت منذ خمس عشرة سنة حين اجريت له

رددوا فيه الاتجاه التخريبـي المناهض والمضاد لراي مندور لرشاد رشدي واتباعه المهزوميـن .

وخلال هذه المراحل الثلاثـة المتقدمة حافظ ـ رحمه الله ـ على القيم الانسانية العامة ، والقيـم الجمالية . ولكن المسألة اصبحت مسألة موازنـة بين مختلف القيـم ، فاغفال القيم الجمالية ، يخرج الادب عن طبيعته كأدب . ولكنه لا يهتم بالمضمون الى جوار القيـم الجمالية ، واحيانا يعطي للمضمـون اولوية فى التقييم ، وقد ظهر هذا الاتجاه ، فى كثيـر من ابحاثه ومقالاته والتي جمعها اخيرا فى كتابه القيم « قضايا جديدة فى ادبنـا المعاصـر » .

وخلال هذه الدراسات القيمة ، والنساطات الادبية وتدريسه فى معهد الدراسات العربية العليـا التابـع لجامعة الدول العربية ، خرج بتآليف كثيرة تتعـدى الثلاثيـن وكلها قيمة اغنت الخزانة العربية بمـا تحوبه بين دفتيها . واهمها :

ـ النقد المنهجى عند العرب ـ نماذج بشرية ـ فى الميزان الجديد ـ فى الادب والنقد ـ ابراهيم عبـد القادر المازني ـ خليل مطران ـ اسماعيل صبري ـ ولي الدين يكـن ـ مسرح شوقي ـ مسرحيات عزيز اباظة ـ المسرح النثري ـ مسرح توفيق الحكيـم «الجزء الثاني من المسرح النثري» ـ الشعر المصـري بعد شوقي « فى ثلاثـة اجـزاء » الادب ومذاهبـه « منـذ الكلاسيكيـة حتـى الوجوديـة » ـ الادب وفنونـه ـ قضايا فى ادبنا الحديث ـ النقد والنقـاد المعاصـرون .

كمـا ترجم الكتب الادبيـة الاتيـة :

تاريخ اعلان حقوق الانسان للفيلسوف الفرنسي «البيربابيه» ـ دفاع عن الادب لجورج ديهامل ـ من الحكيم القديم الى المواطن الحديث ، وقد الفه اربعـة اساتذة السربون ، وفيه تحدث كل واحد منهم عـن المثل الاعلى الذي ساد العالم المتحضر فى فترة مـن فتـرات التاريخ ـ مدام بوفاري لجوستاف فلوبير ـ نوزات ماريان ـ ليالي موسيـه . الى غير ذلك مـن المقالات الادبية التي كان ينشرها فى مجلة الرسالـة والثقافة والاهرام والجمهورية والمسرح .

بقيت لنا فى هذه العجالة السريعة من حيـاة الدكتور محمد مندور ، نقطتان مهمتان هما : معركته مع عباس محمود العقاد . ومشاركته فى المسـرح والذي بذل فيه جهودا عظيمة من اجل الرفع مـن قيمته ماديا وادبيـا ومعنويا بعد ان احبه حبا يفـوق طاقة الخيال وعمل فيه كاستاذ وناقد وباحـث ومتحدث عظيم .

خاض رحمه ثلاث معارك هامة مع عباس محمود العقـاد . وهم :

المعركـة الاولى : وقد وصفها الدكتور منـدور « بانها المعركة الكبرى العنيفـة » . وقد ابتـدات بينهما حول جزئيات مثل ما اكده العقاد فى كتابـه « مطالعات فى الكتب والحياة » عنـد حديثه عـن رسالة الغفران لابي العلاء المعري ، من انه لم يسبقـه فى الرحلة الى العالم الاخر غير « لوسيان » الشاعـر الروماني . فاندهش الدكتور مندور لهذا ، وعلق على زعم العقاد بأن فيه قصورا لا يبيح لكاتبه تعميقا وتأكيدا كالذى زعمه . وأكد له الدكتور مندور ان تخيـل الرحلة الى العالم الاخر اقدم من « لوسيان » وكـل شعراء روما . لان الاساطير الاغريقيـة القديمـة ، سبقت الى وصف رحلة « اورفيوس » الى العالـم الاخر بحثا عن زوجته الفقيدة . ثم وصـف « هوميروس » لرحلة « اوليس » بطـل ملحمـة « الاوديسة » الى العالم الاخر ايضا ، بل وعنـد الرومان انفسهم سبق « فيرجيليوس » «لوسيان» فى وصف رحلة الى العالم الاخر فى ملحمتـه الشهيرة « الالياذة » وهاج العقاد على هذا الـرد هياجا شديدا ، ورد عليه بمقال مبديا دهشته مـن ظهور غلام يدعى « مندور غندور » يدعي العلـم ويجرؤ على مناقضته .

المعركـة الثانية : استمر السجال بينهما مـدة من الزمان ، حتى تطور الى مناقشته لمنهج العقـاد العام فى التفكير والكتابة . وكذلك حول المنهج النقدي، فأما عن التفكير والكتابة فقد اخذ الدكتور مندور عن العقاد «التأكيدات الجازمة المسرفة التي تحتاج الـى استقراء كامل قبل الجزم بها . وانا اعلم ـ يقـول الدكتور مندور ـ ان التفكير العلمي السليم يأبـى التعميمات التي لابد ان يتسرب اليها الخطأ . لان احدا لا يستطيـع ان يزعم الاحاطة بكل شيء ، لان منهج العقاد منهج جدلي كثيرا ما ينهض على اقيسـة فاسدة لمجرد اللجاجة فى الجدل ومحاولـة الافحـام لا الاقنـاع » اما المنهج النقدي فقد اخذ على العقـاد ومدرسته « انهم يريدون ان ينزلوا بالادب الـى مستوى الوثائق النفسية ، فيصبح همهم كنقـاد استخلاص العقد النفسية للشاعر او الاديب مـن انتاجه الادبي . وبذلك يتحول الناقد منهم الى باحث

والفن ، بعد ان حطم ارستقراطيته الادب وتحويله الى ادب ديمقراطي يتطرق الى اوضاع الشعب ، ويحل مشاكلهم . هذا الادب الذي جعله فى خدمة القضايا السياسية والاجتماعية .

ولقد عرفنا — كذلك — فى الدكتور محمد مندور الشعر المهموس ونظرته فيه ، وعرفنا فيه نظريات النقد الحديثة ومذاهبه ، بعد ان وجدنا فيه رائدا واستاذا « وقمة من القمم فى دراساته الادبية والنقدية والمقارنة ، وفى متابعته الفكر الغربي فى امتداداته الانسانية المختلفة » وقد التف حوله الجميع ، نتعلم منه ، ونتزود بالجراة والحماسة والعمل الوطني .

واذا كنا نبكي اليوم الدكتور محمد مندور ، فاننا نبكي فقدان استاذ عظيم اثر فى تكويننا واتجاهنا الادبي بمقالاته وكتاباته التي سيخلدها الزمان من جيل الى جيل .

فعزاؤنا لزوجته المحترمة الشاعرة الكبيرة السيدة النبيلة ملك عبد العزيز : ولاخواننا العرب الاشقاء فى اي ارض من العروبة كانوا او وجدوا اليهم نقدم والحزن يملا قلوبنا لفقدان الدكتور محمد مندور احر تعازينا ومواساتنا . راجين من الله تعالى ان يلهم الصبر والسلوان للجميع وما شاء الله ! ..

رحم الله الدكتور محمد مندور .. شيخ النقاد .. الرجل العظيم ..!

مراكش — محمد احمد البوسرغيني

عملية جراحية ضخمة ، اضطر الاطباء معها الى فتح جمجمته .

لقد قضى رحمه الله ازيد من ربع قرن ، في جهاد وبذل وتضحية من اجل ابراز معالم النقد الادبي والفني المعاصر ، بعد حياة عاصفة عرفت كيف تستوعب المجتمع المصري ، ثم الحياة الاوروبية، ثم عرفت هذه الحياة ـ والعالم بين يدبها ـ كيف تتحكم في حركة الفكر ، والنشاط الدائب في ميدان الكلمة الشريفة ، ومدلولها الحق القويم .

وبعد .

فمنذ شهور مضت ، مات الدكتور مندور ..

وبموته فقد العالم العربي ـ من محيطه الى خليجه ـ احد قادة الفكر الحر القديم والحديث ..

لقد كان رحمه الله اول كاتب سياسي في مصر، كتب في صحيفة يومية دراسات على جانب كبير من الاهمية ، بمفاهيم اشتراكية حيث كان في هذا الوقت الكتابة من اجل الاشتراكية جريمة يعاقب عليها بالسجن .

كان رجلا عظيما بكل معنى كلمة « العظمة » قوي الايمان .. غزيرا في علمه .. صادقا في غيرته.. صائبا في احكامه .. متميزا بشخصيته العالية .. شهما .. وديعا .. سمحا .. رفيعا .. خلوقا .. واسع النظرة.. لانه في اعماقه كان يومن بالحب.. حب الانسان للانسان .. ايا كان وكيفما كان .

كان قلبا كبيرا صادقا مخلصا ، يسعده ان يقدم العون للناس مع ادراكه لنواحي القصور فيهم .. كان قلبا صادقا مخلصا يحس بهموم هذا الجيل الذي يتمثل في الضياع الفكري ، الذي ينشب مخالبه في عقول الشباب ، فيمتص حيويتهم وقدرتهم على العمل المثمر الخلاق . كان قلبا خيرا عامرا بالرقة والسماحة والعطف والاحسان .. كان قلبا عطوفا على الجميع في اي زمان او مكان ..

كان رجلا عظيما عبقريا ، انل في جيل وسيمتد الى اجيال . كان ـ وسيظل ـ رائدا ومعلما وناقدا واديبا واستاذا مثقفا لم يكن يعرف التزمت .. كان يرى الحياة بما فيها الفن والادب ككل شامل .

ولاسوق للقارىء الكريم مثالا على عطفه ورقته وسماحته واخلاصه للناس ، فلن اجد غير هذا المثال الذي سألخصه في سطور وجيزة « عندما علم الدكتور مندور بمرض العقاد ـ وهما الان في دار الحق والخلود ـ تجلت نزعته الانسانية الصادقة الكريمة ، في زيارات يومية لبيته ، وهو يحمل اليه الزهور ، تعبيرا عن شعوره الاخوى الصادق الحقيقي نحوه ، ولما علم العقاد بذلك وهو في فراش المرض ، تأثر له ابلغ الاثر » .

وبموت العقاد ، ويحزن عليه الدكتور مندور حزنا شديدا . فتعود اليه ذكريات ايام المعارك التي خاضها معه ، ويزفر زفرة ثقيلة حارة ويقول لاحد تلاميذه « ليت العقاد عاش ليحرك القلم على الورق بأي كلا ميدور بخاطره . وما كان يخطر على البال » .

وبالامس القريب .. يوم 19 مايو 1965 في مشهد يودع الدكتور مندور الى مثواه الاخير ، التقت افواج متباينة من معارضيه ومحبيه على السواء ، يحملون الزهور وقد جمعهم حزن حيقيقي .. وشعور اكيد بالخساره التي منيت بها البلاد العربية بفقده .

وفي المقبرة ، وعند حافة القبر الذي ضم جسده العظيم ، ابنه الدكتور طه حسين بكلمات تنفطر حزنا والما . ومن جملة ما قال « كان مندور من أذكى تلاميذى في كلية الاداب ومن أنبههم مع ثلاثة ءاخرين من زملائه . وكان اساتذتهم وانا منهم ، نباهي بهم ونجعلهم مثلا لتلاميذنا . واذكر اننا دعونا الى محاضرة في احدى مدرجات الجامعة جماعة من خيرة الادباء والمثقفين فلما انعقد الجمع ، وامتلا المدرج ، لم يتقدم استاذ لالقاء المحاضرة . وانما قدمنا هؤلاء التلاميذ اليهم ، وانبأناهم بأنهم سيتحدثون الى المجتمعين في موضوعات ادبية ، ليلقي كل واحد منهم كلمة في نصف ساعة. فتكلم الاربعة عن موضوعات الادب العربي . وامتاز منهم مندور ، وهو الذي ظفر بالاعجاب من اساتذته ومن المستمعين » . ثم قال الدكتور طه حسين بصوت مكلوم : « ان الامة خسرت بوفاة مندور اديبا نابها ، وناقدا ممتازا من ابنائها رحمه الله » .

هذا هو الدكتور محمد مندور فقيد المثقفين العرب ، واحد رواد الثقافة والادب والنقد والحرية السياسية والاجتماعية . واحد دعاة الاشتراكية الاوائل في مصر . واحد الذين جعلوا من المسرح علما وفنا وقاعدة شعبية يلتقي في اهدافها الجميع . وهو اول من يسر سبل الاحساس بالجمال في الادب

لكنه ـ مؤخرا ، وبمحض ارادته ترك وطنه الى الولايات المتحدة الامريكية حيث يدرس الاسبانية بـ Wellesley College

وقد حرر خورجي كيلين ونشر انتاجه في صحف ومجلات رفيعة ، مثل « القلم La pluma و « اسبانيا » و «الشعر» و « شعر ونثر «Verso y prosa» ولكنه لم يسلك كعصرييه من الشعراء الاساتذة كتبا في النقد والتاريخ الادبي ، بل انه لم ينشر ـ فيما نعلم ـ غير كتاب واحد ، هو ديوانه : « ترتيل Cantico الذي ظل ينمو ويكبر بقصائد جديدة كلما طبع (✱) ، ومع ذلك اهتم الدارسون والنقاد بانتاجه الشعري ، فدبجوا عنه المقالات وكتبوا في تحليله وتقييمه الاحاديث العريضة ، ومن اشهر النقاد الذين اهتموا بشعر كيلين الاساتذة : كاسالدورو وداماسو ألونسو وكولون وبدروساليناس .

ان خورخي كيلين ظفر بشهرة واسعة طارت باسمه الى سموات اخرى غير سماء اسبانيا ، فلقد ترجمت اشعاره الى اللغات الاوربية كالانجليزية والفرنسية والايطالية . كما انه من جهته قام بترجمة اشعار لبول فاليري وخواس سوبرفيلي ، ونثرا لبول كلاودل .

ج ـ داماسو ألونسو

ولد تحت سماء مدريد في غضون سنة 1898 ، وهو كسابقيه ـ ساليناس وكيلين ـ جامعي تكوينا ومهنة ، تخرج من كلية الحقوق ، وحاز دكتوراه في الادب ، وامضى ست سنوات يدرس اللغة الاسبانية في جامعات برلين وكامبريدج وسطانفورد وكولومبيا وهو بطر كولنج بالولايات المتحدة الامريكية ، واخيرا في جامعة اكسفورد ، ثم اصبح بعد ذلك استاذا للغة والادب الاسبانيين بجامعتي بلنسية ومدريد .

ويتحدث عنه الاستاذ ك . فلور بايسطير بانه عالم في فقه اللغة Filologie ، وناقد ومؤرخ للادب ، وشاعر غنائي ، ثم يشير الى العلاقة بين « الشاعر » و « العالم » في شخصية ألونسو فيقول ان في اعماق الونسو يقيم « الشاعر » مختبئا في احيان كثيرة وليس دائما ، ومن السهل التأكد من ان العلاقة التي تربط بين داماسو الشاعر وداماسو العالم ليست تتميز بصداقة وتجاوب ، ان شعر كل من ساليناس وكيلين قد يطغى على علمهما على حين ان شعر داماسو يبدو حقيقة ، عدوا سافرا لعلمه .

ومن اشهر الدواوين الشعرية التي صدرت لداماسو : قصائد خالصة Poemas puros (1921) ، و : الريح والشعر El viento y el verso (1925) و : ابناء الغضب Hijos de la ira و : نبأ قاتم Oscura noticia و :

الانسان والله Hombre y Dios ، وهو يفرض آخر مرحلة حياتيه لداماسو تعكسها اشعاره ، انه كتاب انسان تعصف به دوامة من التساؤلات عن اشياء غامضة في العالم ، هو يستفسر عنها الله ، لان الدم والرماد والبقايا الميتة ، ، لان الانسان ... الانسان المعاصر ، الانسان العشريني بكل آلات مدنيته وحضارته ، لا يمكن ان يستفسر عنها ... ان شعر « الانسان والله » جياش بالعاطفة ، نابض بالفكر .. انه شعر ديني ، وداماسو ألونسو قال ذات يوم بان كل شعر حقيقي انما هو دائما ديني .

بالاضافة الى هذه الذخيرة الشعرية التي قدمها داماسو الونسو للمكتبة الاسبانية نشر دراسات تاريخية ادبية حول (ضون دو أردوس) لخيل (فسطي) وحول شعر خوان دي لاكروز ، وموضوعات اخرى متعددة ، وكل دراسات تمثل فيها شخصيته العلمية الفذة ، وقد نقل الى الكلمة الاسبانية بعض اعمال جامس خويس James Joyce وشيلي Shelley وت . س . اليوت T.S. Eliot ، وشعراء انجليز آخرين .

د ـ خراردو دييكو

كانت ولادته في سانتندر سنة 1896 ، يحمل شهادة الماجستير في الادب ، ويزاول التدريس بالتعليم الثانوي ، وهو عضو في الاكاديمية الملكية الاسبانية .

وقد تعددت جوانب شخصية خراردو دييكو الفنية فهو شاعر ، وناثر ، ومحاضر ، وعازف للبيان بارع . وناقد في الادب والموسيقى والفن التصويري Pictorico

وكما تعددت جوانب شخصيته الفنية ، تعددت سفراته ورحلاته ، فقد جال ، تقريبا بكل اجزاء اسبانيا ، وزار باريس ومدنا فرنسية اخرى ، كما سافر الى الارجنتين والاوروكواي ، والقى محاضرات في الادب والموسيقى في مدن اسبانية وامريكية .

ويحدثنا خراردو دييكو نفسه عن بداية حياته الادبية ، فيقول : (لم اكن كاتبا مبكرا ، بدايتي لم تستطع ان تكون مشرقة ، وكان لي الشرف ان اظهر ، لاول مرة ، ككاتب ناثر على صفحات « المجلة العامة » Revista general (1918) .. وفي نفس السنة بدأت احاول ارتياد الآفاق الشعرية) .

وهو ايضا ، يحدثنا عن الذين تأثر بهم في ادبه وعن روافد تكوينه الشعري ، فيقول : (اعتقد ان بعض الكلاسيكيين قد اثروا في ذوقي وفي شعري ، في مقدمتهم لوبي دي فيكا الذي اعبده ، ومن بين عصريي تيلفو فيثينطي هويدبرو وخوان لاريا الذي تربطني به صداقة ود شديد منذ اعوام البلباو ـ وهي المدينة التي تلقى فيها تعليمه الثانوي ـ كما اثر في تكويني

(✱) (طبعة مدريد 1928 ـ 75 قصيدة) و (طبعة مدريد الثانية 1936 ـ 125 قصيدة) و (طبعة المكسيك 1945 ـ 270 قصيدة) و (طبعة بوينس أيريس 1950 ـ 332 قصيدة) .

أضواء على الأدب الإسباني

للأستاذ : حسن الوراكلي

- 5 -

أ ـ يدروساليناس

اطل على الحياه في مدريد سنه 1892 ، واغمض عينيه الى الابد في مدينه بوسطن سنه 1955 ، جامعي تكوينا ومهنة ، درس الحقوق ثم الفلسفة والادب ، وحاز دكتورة في الادب (1917) ، وزاول تدريس اللغة والادب في جامعات اشبيلية ومرسية ومدريد ، كما درس اللغه الاسبانية في جامعتي السربون وكامبريدج ، واشتغل سكرتيرا عاما للجامعة الدولية الصيفية بمدينه سانتندير ، كما شغل منصب المدير العام لمركز الدراسات التاريخية للاجانب .

وقد كان بدروساليناس محبا للسفر ، ولوعا بالرحلة ، ومن اجل ذلك كان كلما سنحت له الفرصه بزيارة البلاد الا واغتنمها ، وهكذا زار معظم اقطار اوربا وحاضر في جامعاتها .

وقد اضطرته ظروف الحرب الاهلية ، كما اضطرت كثيرا غيره من الشعراء والكتاب ، الى ترك اسبانيا قاصدا بلاد امريكا اللاتينيـــة .

تفتقت موهبة ساليناس الشعريه في فترة مبكرة من حياته، لكن شده لمعطياتها تأخر بعض الوقت .

ولساليناس رأي في الشعر فريد ، فهو يـــرى ان الـــذي يجب ان يقدر « في الشعر ، فوق كل شيء ، الاصالة ، ثم الجمال وبعد ذلك الابتكار . اسمى شاعرا مبكرا ، مثلا ، والترسافجي لندور Walter Savage Landor واسمى شاعرا جميلا ،مثلا، كونكورة ومايارمي Mallarmé واسمى شاعرا اصيلا ، مثلا ، سان خـــوان دي لاكروز San Juan de la Cruz وجوتــه Gœthe وخوان رامون خمنيث (★)» .

وقد صدرت لساليناس دواوين شعريـــة ، منهـــا : فـــأل Presagios (1923) و : مفاجأة مؤكـــدة Seguwazar (1929) ، و : اسطورة وسيمة Fabula (1931) . Signo

وكتب للمسرح اعمالا متعددة ، دعت بعض النقاد الى ان يصفوه بأنه يملك قدرة دراميه غير مشكوك فيها ، وهي ، في رأيهم ، تفوق قدرته الوصفية التي تتجلى في كتاب صدر لـــه ، يضم اقاصيص وصـــورا صغيرة بعنـــوان : المعصـــوم العـــاري El desnudo impécable

والى جانب ذلك اشتغل ساليناس بالتأليف في النقد الادبي وتاريخه ، ومن كتبه في هذا الصدد : الادب الاسباني في القرن العشرين Litera Tuca espanola en el siglo وهو كتاب ضم بين دفتيه دراسات نقدية رائعة حول بعض مظاهر التجديـــد في الادب الاسباني الحديث ، كما تضمن دراسات تحليليه ، نقدية لشخصيات ادبيه مرموقة في جيل 98 ، من امثال ميكيل دي اونامونو وخابي انكلان وباروخـــا ومانـــادو وخـــوان رامون خمنيـــث وأزرين ، وبالاضافة الى هذا حوى الكتـــاب خطـــرات وآراء لساليناس في بعض عصريـيـــه من الكتـــاب والشعراء . وكتـــب ساليناس دراستين ، احداهما عن خورجي مانريكي والاخرى عن روبن داريو ، كما قام بنشر وتقديم اشعار ملنديـــز فالدس ، وترجم الى الاسبانية بعضا من ادب موسط Musset ومريمي Mérimée بروسط Proust وغيرهم .

ب ـ خورجـي كيلـن

نشأ في فايادوليد (1893) ، جامعي تكوينا ومهنة ، حصل على الدكتورة من جامعة مدريد سنة 1924 ، ثم استاذا للادب في جامعات مورسية واشبيلية ومدريد ، ودرس اللغة الاسبانية في جامعتي اكسفورد وسرفنا ، ظل في اسبانيا خلال الحرب الاهلية،

(★ انظـــر . Gerardo Diego, Poesia espanola contemporanea (antologia), p. 303, nueva edicion. Taurus, Madrid, 1962.

عمليات السبر
أو مفحصة القرن العشرين

للأستاذ. عبد اللطيف خالص

في ظرف لا يتعدى ربع قرن عرفت عمليات السبر تطورا مدهشا بهر العقول ودوخ افكار الجميع ، فقد كانت هذه العمليات منحصرة ، باديء ذي بـدء في ميادين محدودة ومعينة قد لا تخرج عن اطار التجارة والاقتصاد والدعاية لبعض المنتوجات والمعروضات ولكنها سرعان ما تطورت واخذت تدخل ميادين الاجتماع والسياسة والثقافة والصحافة وغيرها ، ولعل من دواعي هذا التطور واسبابه المباشرة شغف الناس باستطلاع الاخبار واستجلاء ما يدور في خلد ابناء البشرية من افكار وما يتصارع في داخلهم من اهتمامات لا تحصى ومشاغل لا تستقصى ، ولعل من عوامل هذه التطورات والدوافع التي ادت اليه اهتمام الدور التجارية الكبرى والشركات الصناعية العظمى في الدول المتقدمة بالوقوف على رغبات الجماهير الانسانية وميولها في المأكل والملبس والمسكن حتى تستحوذ على اموالهم وتستأثر بنفقاتهم وتتمكن من شهواتهم واغراضهم فتقدم لهم مايريدون ويبتغون وتعرض عليهم ما هم به معجبون من اوان منزلية وادوات مهنية واطعمة شهية وبذلات مرضية وغيرها من الاشياء التي تعتمل ءامال الحصول عليها في نفوس الناس والتي تتفق واذواقهم .

ولعل هذا ما حدا بتلك الدور والشركات والهيئات الى تكوين معاهد للسبر تابعة لها حتى لا تكتفي بتكليف المراكز الموجودة الشيء الذي نتج عنه تعدد هذه المعاهد والمراكز التي تنصب اهتماماتها على سبر اغوار الراي العام في مختلف انحاء المعمور .

غير ان التطور الذي عرفته هذه العمليات لم يطرأ على كيفية سيرها فحسب ولكنه طرأ على مجالي نشاطها وفروع عملها حتى اصبحت اليوم تستغل في الميادين السياسية وحتى وجد من الناس من يقول بضرورة استعمالها مكان الانتخابات متغافلين عن حقيقة واضحة لا تقبل اللبس ولا ترضى بالتخمين والتقريب وهي ان الانتخابات عمليات جماعية تشمل سائر المواطنين في قطر من الاقطار بينما عمليات السبر ما زالت ، رغم اتساع مجال نشاطها ، لا تشمل الا طبقة خاصة من النـاس .

وحتى تعرف مدى استعمال عمليات السبر في مختلف الميادين وتنوع وجوه صلاحيتها تقف ، قبل الدخول في صلب الموضوع ، على بعض الامثلة المتنوعة.

فمن المعلوم ان الولايات المتحدة الامريكية تواجه اليوم حربا ضروسا في الفيتنام، وانها خلفت في اراضي الهند الصينية فرنسا التي انهت مهمتها منذ الاتفاق الذى حصل في جنيف سنة 1954 بين ممثلي الحكومة وممثلي الزعيم البطل هوشي مينه اثناء اجتماع شارك فيه ممثلون عن الصين الشعبية والولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي وبريطانيا العظمى ، ويعلم القراء ان الرئيس الامريكي الحالي جونسون يتحمل اليوم ، مسؤوليات جسيمة في مواجهة الحالة الناشئة عن شن الطائرات الامريكية الغارات على بلاد شمال الفيتنام التي يعتقد الرئيس الامريكي انها المسؤولة اولا وقبل كل شيء عما تعرفه الولايات المتحدة من صعوبات داخل جنوب الفيتنام بسبب اتساع نطاق نفوذ ثوار الفييتكونغ الشيوعيين . ولا يخفى على القاريء الكريم ما يمكن ان يترتب على التدخل الامريكي العسكري من تهديد للسلام العالمي ، وقد يدفع حب المحافظة على السمعة التي تتمتع بها الولايات المتحدة الاميريكية في العالم برئيس الولايات المتحدة الى استعمال بعض الاسلحة النووية في هذه الحرب ، وقد لا تصل هذه السطور الى المطبعة حتى يكون قد حصل ما لا تحمد عقباه ، كل هذا يوضح لنا ان سمعة الرئيس الاميركي تجتاز مرحلة دقيقة وان نجاحه في عمله هذا متوقف على تأييد الشعب الامريكي له في هذا الميدان زيادة على موافقة مجلس الكونفرس وعلى سياسته. وشعبية الرئيس جونسون لن تظهر الا اذا نظمت الانتخابات الرئاسية التي ما

الشعري تعلقي بالطبيعة ، والرسم ، وفوق كل شيء ، تعلقـــي بالموسيقـــي) (✱) .

وقد اسهم خراردو دييكو في تحرير مجلات مختلفة ، وقد اصدر مجلة شعرية سماها : شعر Carmen (✱) ، وبالرغم من ان حياتها كانت قصيرة (صدر منها سبعة اعداد) فقد تركـــت آثرها في دروب الشعر الاسباني المعاصر .

واخرجت له دور النشـر الاسبانيـة عـدة دواوين ، من اشهرها : اغنية الزوجة El romancero de la novia (1918) وخيـال Imagen (1921) واشعـــار انسانيـــة Versos humanos (1924 ، وغير هذه من الدواوين التي بهر شعرها الغنائي ، الابداعي ، المبدع ، الناس . ادباءهـــم ومتأدبيهم ، ودعا النقـاد الى القـول بان (شخصيـة خراردو دييكو قطعة اساسية في تاريخ الشعر المعاصر(✱))، كما حذا بهم الى الاعتراف بان تأثير شعر خراردو دييكو كان عظيمـا في المجموعة الابداعية الاسبانية وفي بعض الشعراء الذين ظهـروا قبل سنة 1939 .

وقد اكتسب خراردو دييكو ذوقا حساسا نتيجة اطلاعـه الواسع على الشعر وقراءته له في مختلف عصوره ، ويتجلى ذلك في منتخبيه الشعريين الذين قدمهما لقارىء الشعر الاسباني أكلا شهيا وثمرا جنيا ، وهما : منتخبات شعرية على شرف كونكورة (من لوبي دي فيكا الى روبن داريو) ومنتخبات من الشعـر الاسباني المعاصر ، وقد ضمت اروع ما انتجه الشعراء الاعلام في العصر الحديث .

ونحب قبل ان نترك خراردو دييكو ان نشير الى ان لـه تعريفا للشعر ، من اطرف ما يقرأ ، ومنها : الاعتقاد فيما لا نراه ، يقولون عنه انه « الايمان » ، وخلق وابداع لم نره ابدا، ذلك هو « الشعـر ») و (الشعـر هو الظـل الالهـي المضـيء للانسان ، وبدونه لا يوجد) .

تطوان — حسن الوراكلـي

(✱) من كتابه : الشعر الاسباني المعاصر — منتخبات ص 377 .

(✱) للكلمة معان اخرى يمكن ان تترجم اليها ،فهي تعني البناء الشعري كما تعني الدارة في بستان او حديقة ، وتعني غيـر ذلك ، وقد آثرنا ترجمتها الى العربية بكلمة — شعر — .

(✱) انظـر : G. Torente Ballester, Panorama de la Literatura espanola contemporanea.

وقد نظمت عمليات سبر اخرى حول السياسة العامة للجمهورية الخامسة دون تحديد المبادين فكانت نسبة المرتاحين تبلغ 45 في المائة ونسبة المستائين 35 في المائة ونسبة الذين لم يستطيعوا الادلاء بأي راي في الموضوع 20 في المائة .

ومن الجدير بالذكر ان هذه العمليات ستتكاثر في الشهور القليلة المقبلة نظرا لدنو اجل الانتخابات الرئاسية في فرنسا وانتشار الاشاعات حول احتمال تحلي الجنرال دوجول رئيس الجمهورية عن تقديم نفسه لتجديد انتخابه وتفكيره في تبني ترشيح المسيو بومبيدو رئيس الحكومة الفرنسية الحالي الذي يحظى بعطف كبير من طرف الرئيس الفرنسي للجمهورية الخامسة .

وما دام الامر يتعلق هنا بخبر تنشره المجلة الاسبوعيه الفرنسية ليكسبريس فلنشر الى ان ادارة هذه المجلة كلفت احد معاهد السبر في فرنسا للقيام ببحث في اوساط قرائها خصوصا بعدما اخذت المجلة تظهر في حلة جديدة وبعدما غادرتها نخبة من المثقفين الذين كانوا يشرفون على صفحاتها الادبية .

وقد تبين من هذا السبر ان ازيد من خمسين في المائة من قراء المجلة في حلتها الجديدة يتكونون من الحاصلين على القسم الثاني من شهادة البكالوريا على الاقل وان غالبية قرائها تنتمي الى الاوساط الميسورة المثقفة كما تبين ان الاقبال ما زال متزايدا عليها بصفة مستمرة . وبذلك فندت الاشاعات التي راجت مؤخرا حول اعراض القراء عنها وتحولهم الى المجلات والاسبوعيات التي فتحت دراعيها للمساعدين الذين كانوا يعملون سابقا في « ليكسبريس » .

ونشر احد مراكز السبر في انجلترا نتائج بحث قام به في موضوع استهلاك الشعب الانجليزي لنوع معلوم من الزبد فاتضح من نتائج عملية السبر ان اريد من خمسين في المائة من الانجليز يقبلون على شراء هذا النوع من الزبد وان 25 في المائة يعرضون عنه بينما لم يسمع به ما يقرب من 20 في المائة من سكان انجلترا . وقد تلت هذه النتائج احصائية تدل على ان الشعب الانجليزي استهلك في شهر يوليوز 1965 . اريد من عشرة ملايين كيلو من هذا الزبد .

تلك بعض الامثلة التي راينا من المفيد ان نتعرض لها في هذه المقدمة لنعطي للقراء الكرام نظرة كاملة عن الاهمية التي تكتسيها هذه العمليات قبل التعرض لكيفية نشوئها ودواعي انتشارها ومراحل تطورها وطرق اجرائها .

لقد كان من نتائج التطورات الاقتصادية والتقلبات الاجتماعية التي عرفها العالم منذ ظهور البخار في الوجود واستخدام الالة للوصول الى اختراعات عملية جديدة واكتشافات فنية حديثة انتشار الوعي بين سكان الاقطار المتقدمة في العالم خصوصا بعد ان يسرت الطباعة سبل التعليم لجميع ابناء البشرية وذلك النظريات التربوية العصرية طرق التربية في وجوه الناس . فقد أقبل الناس على العلم وتطلعوا الى المعرفة فبعثوا ابناءهم بكثرة الى المدارس التي كانت لا تفتح ابوابها في العصور الماضية الا في وجوه بعض المحظوظين من ابناء الاغنياء والحكام كما اسعد الجميع للاغتراف من ينابيع المعرفة والورد من مناهل العرفان حتى شملت الثقافة بمنافعها العديدة الانسانية كلها وعمت مزاياها المعمور ، ولم يبق محروما منها الا بعض الاقطار التي لا زالت تتعثر في طريق رقيها الاجتماعي وتتردد في سلوك نموها الاقتصادي .

وما تعدد الصحافة وتكاثر المطبوعات الا دليل على هذا التطلع الدائم الى العلم الذي تعرفه البشرية عموما وسكان الدول الراقية خصوصا والذي يتجلى في محبة المعرفة والرغبة في البحث والاستكشاف . وقد بلغ هذا التطور الثقافي والتقدم العلمي درجة جعلت كثيرا من رجال البحث والاستقصاء وارباب الاستكشاف والاستقراء ينغمرون في ابحاث عديدة يقصدون من ورائها معرفة ميول جماهير السكان وما تهفو اليه نفوسهم وتميل اليه قلوبهم وذلك بواسطة عمليات تقنية دقيقة ووسائل فنية عجيبة تسبر اغوار المجتمعات البشرية وتغوص في اعماقها للتنقيب عن اهدافها والضرب على اوتارها الرنانه ودقاتها الحساسة وجس نبضها حتى تتعرف على التيارات الفكرية والسياسية التي تتجاذب المجتمعات البشرية.

وهكذا اخذنا نرى الصحافة تقوم بين حين وآخر باطلاع الرأى العام في امة من الامم على نتائج هذه الابحاث العلمية التي اجرتها احدى المنظمات والتي شملت عددا معلوما من الناس يمثلون مختلف طبقات المجتمع .

ويكفينا برهانا على ما نقول ان نتائج الانتخابات التشريعية البريطانية التي جرت في شهر اكتوبر 1964 كانت معروفة قبل يوم الانتخابات لان اهم الهيئات والمنظمات المكلفة بسبر اغوار الراي العام البريطاني توصلت بعد عمليات البحث والسبر والتنقيب التي قامت بها في وسط المجتمع الانجليزي الى ان حزب

زالت فترتها بعيدة فكيف تعمل الصحافة الامريكية للوقوف على شعبية الرئيس الامريكي فى هذه الحقبة الخطيرة التي تجتازها الولايات المتحدة الامريكية ؟

ان الصحافة الامريكية ، وبعدها الصحافة الغربية الموالية لهذه البلاد والمناظرة لسياستها لم تجد فى هذه الفترة الا وسيلة واحدة لمعرفة رأي الشعب الامريكي فى رئيسه ساعة المحنة ، وما هذه الوسيلة الا عمليات السبر التي قامت وما زالت تقوم بها يوميا المعاهد المختصة كمعهد جالوب مثلا الذي يزود الصحافة الامريكية والعالمية بين الفينة والاخرى بنتائج هذه العمليات التي تدل آخر عملية منها على ان شعبية الرئيس جونسون الامريكي تعرف فى بلاده على الاقل صعودا مطردا وانها تفوق بكثير السمعة التي كان يتمتع بها وقت الانتخابات الرئاسية عندما كان ينافسه فى المعركة المرشح الجمهوري كوولد ووتر . وتدل نتائج اخر عمليات السبر التي نظمها معهد جالوب على ان سبعين فى المائة من سكان الولايات المتحدة يؤيدون الرئيس الامريكي ويناصرونه ويدعون له بل يستنتج من هذه العملية الاخيرة التي اجريت فى اوائل شهر اغسطس من السنة الجارية ان فى امكان الرئيس جونسون ، اذا ما تقدم لانتخابات جديدة ، ان يحصل على تأييد من الشعب الامريكي يقترب من الاجماع رغم وجود طبقة نشيطة من المثقفين الامريكيين الذين يعارضون التدخل الامريكي في الفييتنام والذين قاموا مؤخرا بدعوة الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر لزيارة الولايات المتحدة قصد القاء محاضرات سياسية تندد بالموقف الامريكي رغم عدم تلبية الفيلسوف الوجودي الفرنسي الكبير لدعوة اولى سبق ان توصل بها من السلطات الجامعية الامريكية فى اوائل هذه السنة .

ومن الامثلة العجيبة التي يمكن الاستدلال بها على ما اكتسبته عمليات السبر من اهمية الاستطلاع الذي نظمه المعهد الفرنسي للراي العام فى النصف الثاني من شهر يونيه من السنة الجارية والذي انفردت مجلة ليكسبرس بنشر نتائجه فى العدد الذي يحمل رقم 737 والمؤرخ من 2 الى 8 من شهر اغسطس 1965 ، فقد نشرت هذه الاسبوعية الفرنسية تحت عنوان « ما يفكر فيه الفرنسيون » نتائج هذا البحث الذي نظمه المعهد المذكور ليعرف مواقف الشعب الفرنسي من حكومة السيد بومبيدو قبل الانتخابات الرئاسية الفرنسية المقرر اجراؤها فى شهر نونبر 1965 .

والواقع انه بحث طريف يتم عن تفكير عميق واتجاه سليم لمعرفة ميول الراي العام الفرنسي والحكم الذي يحكم به على سياسة الجمهورية الخامسة فى مختلف الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والفلاحية .

ويليق بنا ان نعرض هذه النتائج فى شكل جدول حتى تتضح للعيان :

الميدان	المرتاحون	المستاءون	من لا رأي لهم	ملاحظات
السياسة الاجتماعية	32 فى المائة	51 فى المائة	17 فى المائة	كان الاستياء يعم 42٪ فى شهر يبراير 1963 «46٪ فى شهر اكتوبر 1964»
السياسة الخارجية	52 فى المائة	19 فى المائة	29 فى المائة	نصف الشعب الفرنسي يؤيد الحكومة
السياسة الاقتصادية	31 فى المائة	37 فى المائة	22 فى المائة	لم يعرف راي الشعب الفرنسي تغييرا كبيرا يستحق الذكر منذ اوائل الجمهورية الخامسة
التربية الوطنية	41 فى المائة	37 فى المائة	22 فى المائة	غالبية المستائين من الاطارات العليا وارباب المهن الحرة من اطباء ومحامين ومهندسين واساتذة التعليم العالي
الفلاحة	25 فى المائة	41 فى المائة	34 فى المائة	حتى انصار دوجول يعارضون هذه السياسة .

عن سير مجتمعهم وانفعالات الافراد الذين يتكون منهم هذا المجتمع والتطلع الى معرفة مواقف المواطنين وميول السكان .

لقد ادت هذه العناصر كلها الى تطور عمليات سبر الرأي العام التي اخذت تشق طريقها فى اتئاد واطمئنان الى ان حل شهر نونبر 1936 حيث وقع حادث سياسي خطير كان له الاثر القوي فى ظهور هذه العمليات وتمكينها واعطائها شهرة عظيمة طبقت بفضلها الافاق . فقد تقدم الرئيس الاميريكي الراحل روزفيلت الى الانتخابات الرئاسية بالولايات المتحدة لاول مرة فى سنة 1933 ورشح نفسه ضد لاندون مرشح الحزب الجمهوري وكان جمبع الملاحظين السياسبين يعتقدون بان روزفيلت لن ينجح فى الانتخابات وانه سيعرف فيها اخفاقا كبيرا . ولكن مجلة اميريكية شهيرة هي ليطراري دبجيت لم ترد ان نصدق ما يقولهغالبية الملاحظين السياسيين ورجال الصحافة وقررت ان تقوم ببحث مهم خاص بها يشمل ازيد من ملبوني امريكى . وبالفعل فقد اجرت المجلة الامريكية بحثها . حيث بعثت برسائل مضمونه الى ملبونبن من الاميريكيين بمثلون مختلف الاوساط والطبقات فى المجتمع الاميريكي وقد جاءت نتائج هذا البحث لتؤكد الشعور العام الذي كان يخامر المتتبعين للحملة الانتخابية والذي كان يعتقد بان الرئيس الاميريكي لن يحظى بتجدد الثقة فيه من طرف المواطنين الامريكيين .

وفى نفس الوقت قامت ثلاثة معاهد خاصة بدراسة ميول الرأىوبحث ءاخر لميتعد عدد المشاركين فيه اربعة ءالاف نسمة ، وقد توصلت المعاهد الثلاثة المذكوره التي كان من بينها معهد جورج كالوب الذائع الصيت الى نتيجة مخالفة لما وصلت اليه مجلة ليطراري ديجبست حيث ظهر من خلال البحث ان الرئيس روزفيلت سيحظى باغلبية مهمة وبالفعل فقد خرج روزفيلت منتصرا من المعركة الانتخابية اذ حظي بالنسبة المئوية من الاصوات التي كانت تتوقعها معاهد الراي العام المشار اليها . وقد كان لهذا الاتفاق اثر عظيم فى نفوس المواطنين الاميريكيين ومختلف الافراد الذين كانوا يتتبعون الحملة الانتخابية بل ذهب الامر ببعضهم الى اعتبار هذا الاتفاق معجزة عجيبة وشيئا خارقا للعادة وقد ظن البعض ان المعاهد الثلاثة تتمتع بموهبة عظيمة لا تختلف عن موهبة الفنانين وانها توصلت الى هذه النتائج الغريبة بفضل الايحاء الذي من الله به على رجالها ، والحقيقة التي لا مراء فيها هي ان الامر لا يتعلق لا بوحي ولا بهبة سماوية خاصة ولكنه يرجع الى اجراء البحث في وسط مصغر يمثل الراي العام الاميريكي خير تمثيل اما مجلة ليطراري ديجيست فقد اخطأت فى اختيار الوسط الذي يمكن ان يجري فيه البحث بكل دقة لانها رغم رغبتها الاكيدة فى جمع وسط يمثل مختلف طبقات الشعب الامريكي لم تتوفق اذ اختارت المليونين من الاميريكيين بعد اجراء القرعة بين المشتركين فى التليفون الذين وقع الاختيار عليهم بعد الوقوف على دليل التليفون . ومن الطبيعي ان الافراد الذين يتوفرون على جهاز التلفون لا يمثلون الشعب الاميريكي اصدق تمثيل لان التليفون رغم بساطته يدل على نوع من الرخاء المادي والثراء المعنوي . وهكذا فان هذه المجلة لم تحترم المبدأ الرياضي القاضي بان يحظى كل عنصر يدخل فى نطاق البحث بنفس الحظ في السؤال والجواب كما هو الشأن فى اوراق اليانصيب التي يكون حظ نجاح ارقامها متساويا رغم اختلاف الاوراق والاثمان .

وقد عرفت عمليات سبر اغوار الراي العام مظهرا عجيبا ءاخر فى الولايات المتحدة فى شهر نونبر 1948 . فقد اعلنت جميع معاهد الراي العام ان الرئيس ترومان لن يجدد انتخابه وان النجاح سيكون حليف منافسه مرشح الحزبالجمهوري السيد ديوي. وقد اظهرت نتائج البحث الاخير الذي قام به معهد جورج كالوبانالمرشحالجمهوريسيفوزبغالبيةالناخبين وقد جاءت نتائج الانتخابات مخالفة لما اعلنته معاهد الراي العام اثناء الحملة الانتخابية حيث نجح ترومان وخسر منافسه ديوي . ويبدو ان من بين الاسباب التي ادت الى اخفاق المعاهد فى بحثها فى هذه المرة ان العمليات توقفت قبل يوم الانتخابات باجل طويل بيد ان المعركة كانت عنيفة ودقيقة جدا وكان الاولى ان لا تعلن النتائج الا فى المرحلة الاخيرة من الحملة الانتخابية وبكل تحفظ خصوصا وان هذه العمليات لا تخلو من اخطاء يتعين اعتبارها .

وقد عرفت فرنسا هذه العمليات فى سنة 1938 بعدما رجع السيد سطويترل من زيارة قام بها الى الولايات المتحدة الاميريكية حيث اسس مجرد عودته المعهد الفرنسي للراي العام الذي كان يقتبس الكثير من الطرق المستعملة فى امريكا . وقد نشر السيد سطويترل فى سنة 1943 ، كتابا حول هذه القضايا جمع فيه النظريات والطرق الجاري بها العمل فى الاقطار الانجلوساكسونية وعلق عليها واستخرج منها طريقته الخاصة ويحمل الكتاب هذا العنوان « نظرية الاراء »

الربـاط ـ عبد اللطيف احمد خالص

العمال سيخرج منتصرا من هذه المعركة الانتخابية بل ان من هذه المنظمات من اكدت بان انتصار حزب العمال سيكون ضعيفا بحيث لا تتعدى الاغلبية التي سيحرز عليها عشرة اصوات . وقد عرفت الحملة الانتخابية لرئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة نفس التخمينات وقد ذهب الامر ببعض الشركات الامريكية التي تقوم بعملية السبر الى تتبع الحملة الانتخابية عن كثب وكانت تصدر كل اسبوع بل كل يوم بيانا عن نتائج البحث والسبر التي تقوم بها مؤكدة حظوظ المرشحين الرئيسيين جونسون وكولد ووتر في الفوز بمنصب الرئاسة .

والحقيقة ان عمليات السبر لا تنظم في موضوع الاحداث السياسية فحسب ولكنها اصبحت جزءا لا ينجزأ من وسائل الدعاية لصالح الدور التجارية والشركات الاقتصادية والمنظمات الاجتماعية في الاقطار المتقدمة كالولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمى وفرنسا والمانيا وغيرها .

ففي كل حين نتردد في الصحافة العالمية اصداء هذه الابحاث التي تدور حول مختلف المواضيع كـ «شعبية الجنرال دوكول» و «الانتخابات الرئاسية في فرنسا» و «الاستماع الى الاذاعة ومشاكل التلفزة» و « ميول الفرنسيين في شراء البضائع » و « رأي المنتفعين بالضمان الاجتماعي في تسوية ملفات التقاعد » و « تنظيم المرور في مقاطعات باريس » و « مصاريف الفرنسيين في اللباس » الى غير ذلك من الموضوعات الاقتصادية والقضايا الاجتماعية والسياسية والديموغرافية سواء اكان الامر يدخل في نطاق محدود كالمخترعات المنزلية الحديثة من ادوات مطبخ وءالات طهي وانواع الصابون او كان يدخل في اطار وطني كتحضير التصميم الخماسي في فرنسا او الحملات الانتخابية التي اشرنا اليها سابقا . ففي كل حالة من هذه الحالات يصبح المجتمع المعني بالامر حلبة يتسابق فيها رجال البحث وارباب السبر لمعرفة ميول الطبقات الاجتماعية التي يتكون منها هذا المجتمع حيث تحدد هذه الميول وتنسق على ضوئها النتائج النهائية التي تساعد المهتمين بهذه المخترعات على المضي في اعمالهم مستنيرين بهديها متشجعين من طرفها مدركين قبل الاوان مدى نجاحهم او اخفاقهم فيما يرمون اليه .

وهكذا اصبح سبر اغوار الراي العام يحتل مقاما جليلا بين وسائل الاحصاء دون ان يتعارض معها او ينافسها لان عمليات الاحصاء والتوثيقات الادارية تشمل مجموع سكان البلاد بينما لا تزيد عمليات السبر على اشعار المسؤولين بالنتائج المحتملة لهذه الاحصاءات والتوثيقات الادارية كما تسمح بتيسير طرق تطبيقها وتعبيد سبل نجاحها .

فكيف نشات هذه العمليات ؟ وما هو اصلها ؟ وما هي الاسس العلمية التي تخضع لها ؟ وهل اعطت هذه العمليات نتائج حسنة تؤكد قوة مفعولها ومدى فعاليتها ؟ تلك اهم الاسئلة التي تتعلق بهذا الموضوع والتي سنحاول الاجابة عنها مستعينين في ذلك بالبحث القيم الذي نشرته الاستاذة الصحفية الفير دوبربساك في جريدة لوموند الباريسية .

والاستاذة الفيردوبربساك خبيرة فرنسية كبيرة في ميدان الاحصائيات وقد سبق لها ان اصدرت كثيرا من الدراسات المفيدة في قضايا الاخبار والمشاكل الديموغرافية في عدد مهم من الاقطار في القارة الاوربية والعالم الجديد .

نبذة تاريخية

ما زالت عمليات سبر اغوار الراي العام حديثة العهد لانها وان كانت تعتمد على حساب الاحتمالات الذي توصل اليه العالم الفرنسي والمفكر الكبير باسكال في القرن السابع عشر وعلى اكتشاف قانون الاعداد الكبيرة الذي اعلنه بيرنولي في القرن الثامن عشر فانها لم تستطع ان تتطور وتاخذ المقام اللائق بها الا بين الحربين العالميتين الاولى والثانية . ومع ذلك فقد عرفت فرنسا عمليتها الاولى في اوائل القرن التاسع عشر بل في سنة 1801 بالضبط حيث اراد «لابلاس» ان يقوم بتجربة اولى في هذا الشان وقد كان لتطور هذه العمليات في العقود الثلاثة الاولى من هذا القرن بالاقطار الانجلوساكسونية اسباب عديدة اهمها تقدم علوم الاحصائيات والدراسات الاحتمالية والدافع النفساني الذي اثارته « نظرية المواقف » في نفوس سكان هذه الاقطار حيث اخذ بعض العلماء والخبراء يجرون ابحاثا لمعرفة ءاراء الناس وميولهم ومواقفهم ، وقد دفعت « نظرية المواقف » بعض العلماء الفرنسيين الى القيام بابحاث في فرنسا ترمي الى وزن ذكاء بعض الافراد ومقدار نباهتهم . وقد قام بهذه العملية في فرنسا العالمان بينيط وسيمون في مفتتح هذا القرن . وبازاء هذه الاسباب اكتشف العلماء فوائد جمة من وراء دراسة امكانيات الاسواق . وقد كان للازمة العويصة التي عرفها العالم العربي في سنة 1929 اثر كبير وفعال في تطور هذه العمليات حيث ذهبت ببعض المفكرين الاجتماعيين الى التساؤل

المجلة احتراما كبيرا لدى قرائها ، وعلى كتابها ان لا يحرجوها لتتمكن من الاحتفاظ بهذه المكانة .

ولن اشير الى احد من الناس ولا الى انتاج من هذه الانتاجات التي اعتبرها دون مستوى المجلة . فلعل كتابها يعرفون ذلك . قبل غيرهم ، اما القراء فهم ولا شك مدركون .

ففي العدد الماضي — كما في سائر اعداد المجلة — قسم للدراسات الاسلامية . واني لاتبل دائما على هذا القسم اقبالي على حوض بارد ساعة قيظ لافح وعطش ملهب . ولكني اصطدم دائما (بدراسات) خطابية يمكن ان تكون مادة لخطب الجمعة ولا تدخر لمجلة خاصة بالدراسات الاسلامية ، وشؤون الفكر والثقافة تصدر مرة كل شهر او شهرين ، قراء المجلة — فيما نرجو — على مستوى من الثقافة يرتفعون به عن هذه المادة الخطابية او الموضوعات التعليمية التي ملأت هذا القسم من المجلة . واني لاستثني بحث الدكتور الهلالي الذي استطال حتى بلغ سبعا من المقالات. فهو بحث تتوفر له اسباب البحث والاستقصاء ولكن جدير ببحث يبلغ عدد اجزائه سبعا ثم يزيد أن ينشر في كتاب لا في مجلة سائرة لا يستطيع فيها القارىء أن يصل حبل افكار الكاتب وقد فرقت بينها شهور ذوات العدد .

وبهذه المناسبة اعتقد انه من المستحسن في الابحاث التي تنشر في المجلات ان تكون تامة الموضوع غير منجمة ولا مقسطة حتى لا يفلت زمام البحث من فكر القارىء فينصرف عن تتبعها ، ينطبق ذلك على بحث الدكتور الهلالي كما ينطبق على بحث الاستاذ زنيبر عن نجيب محفوظ ولا اظنه ينطبق على الابحاث التي تستقل بنفسها كبحث الاستاذ عبد الله كنون في نقد المنجد .

واعود الى الدراسات الاسلامية في العدد الماضي احد الفكر التي دعا اليها الاستاذ الهراس من توحيد دعوة الاسلامية فكرة جديرة بالاعتبار ، ولكن الدعوة الى مؤتمر لا تكفي لاخراج الفكرة الى حيز الوجود ، يجب أن تتوفر قبل أي مؤتمر جهود الباحثين الى ربط الدعوة الاسلامية بالحياة عن طريق العلم والبحث لا عن طريق الارشاد والوعظ لنجعل من دعوة الاسلام رسالة حية تعيش مع الناس ولا تكتفي بوعظهم أو ببيان عظمة الاسلام كعقيدة ودين ، فذلك شيء اعتقد انه مفروغ منه ، ومن المؤسف أن تكون الجماعات الاسلامية التي انبثت في ارجاء العالم الاسلامي لم تع بعد رسالتها ، ومن المؤسف الا تكون قادرة على القيام بهذه الرسالة ، ولهذا اعتقد ان المؤتمرات لن تكون مجدية لتحقيق فكرة توحيد الدعوة الاسلامية .

وفي قسم الدراسات الاسلامية من العدد مناقشة عن ثقافة القرآن والثقافات العالمية في جزئها الثاني وما يزال الاستاذ الحمداوي فيها يناقش الاستاذ الوزاني عن معنى عنوان مقاله : هل يراد به كذا .... أو يراد به كذا .... وسياق الحديث يقتضي كذا .... الخ متى .... متى يهدف الباحثون والكاتبون منا الى الهدف راسا دون مقدمات ؟ ومتى نتخلص من تاثير ثقافة الكتب الصفراء التي ننفق معها عمرا من عمرنا ونحن نحاول ان نفهم معنى عنوان يتركب من مضاف ومضاف اليه ، هل الاضافة فيه معنوية أو ليست محضة معنوية ..؟ .

هذا النوع من المناقشات لا يغري بقراءة المقالات، ولذلك ارجو مخلصا ان نقتصد فيما نكتب وان نهدف الى الهدف مباشرة فذلك اجدى حتى على الكاتب نفسه .

التعريف الذي افتتح به قسم الدراسات الاسلامية لكتاب (قصة الايمان بين العلم والفلسفة والقرآن) تعريف ورد في شكل رسالة من الشيخ طه الوالي الى الاستاذ الشيخ نديم الجسر مؤلف الكتاب ، ولكنه وان وفت به رسالة لصديق فانه لا يفي بالتعريف بهذا الكتاب القيم الذي يعتبر من أحسن ما ألف لتبيان تدرج فكرة الايمان عند العلماء والفلاسفة وفي الكتب السماوية . وقد بذل الاستاذ نديم الجسر جهدا مشكورا في هذا الكتاب حتى استطاع أن يجمع فيه كل الادلة المنطقية والعقلية والعاطفية والعلمية التي اهتدى بها العلماء والفلاسفة على اختلاف عصورهم الى الايمان ، وليس هو نقلا أو استعراضا فحسب ، ولكنه دراسة ذاتية صاغها الشيخ نديم — امد الله في حياته — في أسلوب قصصي ممتع .

واذا كان الكتاب لم ياخذ مكانه بين الكتب العالمية رغم ان المؤلف طبعه على نفقته ومنع بيعه ، بل انه اعلن عن استعداده لارساله مجانا لكل من يطلبه فلان الكتب القيمة ما تزال تجتاز أزمة الجحود بين القراء العرب .

اعتقد ان القسم الثاني من العدد (قسم الابحاث والمقالات) يدعوني لان أنظر فيه نظرات اخرى جد سريعة .

وابادر الى القول بان الابحاث الادبية تمتاز عادة في (دعوة الحق) بقوتها ومتانتها وتوفر الباحثين فيها

العدد الماضي في الميزان

للأستاذ: عبد الكريم غلاب

تقـــدم الي الاخ الاستاذ محمد بنعبد الله رئيس تحرير « دعوة الحق » بالعدد الماضي وهو يطالب الى ان أنجز وعدا طالما تردد بيني وبين المشرفين علـــى اصدار هذه المجلة ، وهو نقد العدد الماضي ، واردف الاخ بنعبد الله طلبه بالحديث عن مقال الاستاذ زكي المحاسني (هموم النقد) وقد اهداه الى الاستاذ عبد

وقد واعدت ووعد الحر دين ، وحينما عدت الـــى العدد الماضي كان أول ما قراته مقال الاستاذ زكـــي المحاسني (هموم النقد) وقد اهداه الى الاستاذ عبد المجيد بن جلون ، انها اذن مناورة أو مؤامرة نمت بين اطراف ثلاثة كلهم عزيز علي وكلهم صديق لي هم رئيس تحرير المجلة والاستاذان ابن جلون والمحاسني .

الاستاذان ابن جلون والمحاسني اتفقا معا على (اننا لم نبلغ بعد مستوى ثقافيا يستوجب قيام النقد بيننا ، فان رواج الادب ما يزال محدودا ... واذا كان القارىء العربي في هذه البلاد ما يزال في حاجة الى التشجيع على القراءة والترغيب فيها ، فلعل من الانسب ان نترك له تلمس الطريق والا نزعجه بالنقد) من مقال ابـــن جلون .

(لقد تابى هذا الاديب المطبوع ، على الظلم في القلم ومباسم الكبد في النقد فترفع عن اسفاف طغمة يعلك اكبادها الحسد ، وتنتشر الصفرة على وجوهها من ضيق النفس وتخوص العيون لحرمانها الفكري ، فهي كالعقارب تجعل حتما في اقلامها ، وما شأن كاتب يجول في آثار الناس ، فيقول للواحد احسنت وللثاني اسأت وهو دونهم ، وينفس على المحسن جميل صنعه ويبيت ليله شامتا ويراه الناس متجنيا ظلاما) . من مقال المحاسني .

بعد هذه الدعوة المثيرة ضد النقد والنقاد يطلب مني أن انصب ميزانا لنقد العدد الماضي ، انني اخشى ان تكون اسلحة النقاد قد فلت ووهنت حدها ، واخشى مع هذا ان يقبر النقد الى الابد ، جناية من المجنين على النقد الذين اثاروا الاستاذ المحاسني ، وهو بعد شاب طري العود ، فما يزال به اثر من كيدهم وقد عز عن ان يكون مرمى لسهامهم لما اجاد وابدع وجد والف .

ولكني وعدت ان انصب للعدد الماضي ميزانا وما الفت ان اخاف وعدا ، فليكن شفيعي عند الاستاذين اني لست من طغمة يعلك الحسد اكبادها ، واني اود ان ابدى رأيا لا ادعي له كمالا ، ولا احاول ان الزم به احدا من الناس ، فهو ميزان ارجو ان يكون عادلا ، والعدل عادة لا يثير وان لم يرض كل الرضى .

اعتقد ان مجلة (دعوة الحق) يجب ان تاخـــذ طريقها الذي يرسمه باجتهاد سواء فيما ننشره مـــن ابحاث اسلامية أو ادبية او علمية وافية أو من قصائد وقصص ، ولكن الميزان يختل في يديها احيانا فتنشـــر مقالات وابحاث دون المستوى الذي تهدف اليه وتتغياه ، ومن اجل ذلك ما تزال ترتفع بفكرك في بحث قيم ياخذ باسباب البحث من عرض للموضوع واستعراض لادلته واستنتاج للفكرة التي يهدف اليها الباحث ، ثم تنـــزل بفكرك الى موضوع عادي بسيط يتناوله قلم عـــادي بسيط ، أو موضوع خطابي وعظي أو قصيدة ساذجة وقد تكون طنانة اللفظ مدوية التعبير يسمع لدويها رعد كما يسمع من طبل ضخم فارغ .

هذا الانسجام المنعدم بين جيد الابحاث والقصائد ورديئها لا اسمح لنفسي أن اغفره للمجلة ولا أن أتغاضى عنه في العدد الماضي مني على الاخص ، فقد كسبـــت

الكاتب — وهذا ما لا اظنه — يعتبر التعليم هو الثقافة وهو البحث العلمي .

وقد أورد الاستاذ الخطابي كثيرا من الافكار ونقل كثيرا منها عن كتاب اجانب ، ويبدو فى بعضها شيء من التناقض ، فهو اذ يقول: (ان من الحكمة ان تحذر الدول النامية الوقوع فى اخطاء قد تؤدي بها الى اقامة مجتمع آلي مفكك تنعدم فى افراده روح الاصالة والابتكار ويعوزهم الدعامة الفكرية والتربوية اللازمة ، فيصبحون بذلك مجرد رؤوس محشوة بمعلومات جافة واجسام تحركها مطالب العيش المادية الصرف) اذ يقول ذلك ينقل على الاثر عن السيد نوارير سياكيان هذه الفقرة : (يجب تخطيط التربية للزيادة من فعاليتها، على ان نراعى فى هذا التخطيط جميع العوامل الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية والجغرافية والادارية وغيرها . بمعنى ان يكون تخطيط التربية وثيق الارتباط بالتخطيط العام للانماء الاقتصادي الوطني)

الس فى الاتجاهين اللذين تشير اليهما الفقرتان بعض التخالف اذ الفقرة الاخيرة تهدف الى تكوين الآلات المنتجة التى تحركها مطالب العيش المادية الصرف بينما الاولى تنكر على اي نظام للتربية هذا الاتجاه ؟

ويلتقي الفكر العربي من مشرقه الى مغربه عند البحث الذي كتبه الكاتب المصري الذي يعمل جاهدا لتاريخ الثقافة العربية وبالاخص فى مغربنا العربي الاستاذ انور الجندي عن المؤرخ التونسي المرحوم زين العابدين السنوسي فى مجلة تصدر بالمغرب هذا الوعي بوحدة الثقافة هو الذي يدعم الوحدة العربية المنشودة، ويسعدنا أن يمثل هذا الشعور نخبة من المثقفين فى العالم العربى فى مقدمتهم الاستاذ انور الجندي الذي يغني المكتبة العربية بابحاثه وكتبه القيمة ، وقد تفضل بعرف قراء المغرب بهذا المؤرخ الاديب التونسي الكبير الذى نرجو ان نجد آثاره المطوية سبيلها الى النور .

اما الاستاذ زنيبر فهو ما يزال يحلل ثلاثية نجيب محفوظ ، واذا كان لهذا التحليل **المدرسي** من قيمة فى فهم الرواية واستجلاء غامض اهدافها فقد كنت افضل ان تتجه الى تحليل نقدي تظهر فيه ذاتية الكاتب وتغنينا عن تكرار الصور والمواقف التي قرأناها فى الرواية نفسها اما الذين لم يقرأوا الرواية فلن يفيدهم هذا التحليل الا اذا كان يبعث فى بعضهم الشوق الى قراءتها.

وعلى ذلك فالبحث الذي طال حتى استوفى حظه ستة اعداد من المجلة ليس بحثا نقديا ولكنه تحليل مدرسي للثلاثية وللظروف الاجتماعية التي كتبت فيها .

وياتي بحث المعرفة فى الاسلام الذي كتبه الاستاذ حسن السائح فى مقدمة الابحاث الناجحة التي تضمنها هذا العدد فقد عرض لطرق المعرفة عند الفلاسفة ولاختلاف الذهنيات فى الوصول الى المعرفة ثم عقب على ذلك بانواع المعارف الاسلامية وطرق الوصول اليها . واذا كان البحث يدل — كما هي دائما ابحاث الاستاذ السايح — عن اطلاع واستقصاء ، فان ذاتية الكاتب لم تظهر فى هذا البحث ، وأظن ان لشهرة الموضوع ولكثرة ما تداوله الباحثون اثرا فى انسحاب ذاتية المؤلف ليترك المجال للذين كتبوا والفوا من قبل . على ان ذاتيته لم تختف فى طريقة العرض . بل ظهرت بارزة فى استطاعته ان يعرض لموضوع ضخم كهذا فى مقال لا يعدو اربع صفحات من دعوة الحق .

الموضوعات التى يختارها الاستاذ البرجالي لحديثه السياسى موضوعات جد قيمة ، ولكن الظاهرة العامة فيها هى الطول . فالموضوعات السياسية فى مجلة علمية شهرية ليست فى حاجة الى مقدمات والى حشر معلومات عادية يستطيع القارىء — والمفروض انه قارىء مثقف — ان يلم بها فى قراءاته الاخرى أو فى قراءاته اليومية .

ونصل الى ديوان المجلة فنجد ان الشعر ولو انه امتاز باسلوب سليم صاف رائق الا ان طابع الخطابة فيه يفقده روح الشعر ، فشعر المدح فيه قد يشم ولا يفرك كما كان يقول القدماء ، من الجائز ان يثير عند الالقاء بعض الاعجاب ، ولكن هذا الاعجاب يذوب عند القراءة ، فلا يبقى امامك الا الفاظ طنانة ، ومعاني فى المدح ساذجة ، ولذلك يعتمد شعر المدح فى الديوان على الاوزان الخطابية والقاموس الخطابي واسلوب الخطاب الذي يستعمله الخطباء عادة عندما يتجهون الى من يخاطبون لاثارة انفعالهم او اكتساب اعجابهم ، فاذا خرج هذا الشعر من مجال الخطابة الى مجال القراءة انعدمت كل تلك المؤثرات الخارجية فضعف الشعر — كشعر مجرد — عن ان يدافع عن نفسه . وهذا هو الفرق بين الخطاب المرتجل الذي ينتهي بانتهاء وقت القائه ، والشعر الباقي الذي يخلد على الدهر واعتقد ان هذا الشعر الذى يعتمد على المؤثرات الخارجية لن يخلد مع القصائد الخالدات ، بل سينتهي عندما ينتهي الشاعر من القائه .

وتاتي الصورة الطريفة الخفيفة التي يقدمها الاستاذ عبد المجيد بن جلون كشعر يعتمد على التصوير والبساطة فى الاداء ، فلا مقدمات ولا اضافات وانما هي

على كل عناصر البحث واسلوبه ، فهي تمثل فى الغالب ما يمتاز به الباحثون المغاربة فى شؤون اللغة والتاريخ والادب من صبر ومجالدة على المراجعة والبحث ، ولو نقصتهم احيانا جدة الاستنتاج ، وتقديم شيء جديد الى العلم .

وليس كذلك الملاحظات التينشرها تباعا الاستاذ عبد الله كنون على (المنجد) بل هي تعبير صادق عن المجهود الذي يبذله هذا العالم الكبير فى الادب واللغة والتاريخ على السواء والتصحيحات التي يقوم بها للمنجد تكشف عن اخطاء لغوية وتاريخية وقع فيها مؤلفو هذا المعجم الذي لا تخلو منه مكتبة تلميذ أو مدرس أو استاذ .

وكم اود لو جمع الاستاذ كنون ابحاثه هذه واطلع عليها مؤلفي المنجد حتى يتلافوا مثل هذه الاخطاء فى الطبعات القادمة .

والموضوع الذي طرقه الاستاذ عبد المجيد بن جلون (توحيد اللغة العربية) يعتبر من الموضوعات الحية التي تعنى بها البلاد العربية جميعها ، ويهتم بها معظم المثقفين العرب ، وقد طرق الموضوع من جهاته المختلفة وهو يستهدف ايجاد لغة موحدة فى الفاظها بين سائر البلاد العربية ، الفكرة سامية هادفةولكني اناقش رايين اثارا انتباهي فى هذا المقال الجيد :

الراي الاول : اسقاطه المعاجم من مجال احياء اللغة العربية وتوحيدها ، فقد قال : (ان اللغة لا يضعها المدونون ولا يبحثون عنها فى المعاجم القديمة ... بينما تسيطر علينا نحن فكرة احياء الالفاظ القديمة والتنقيب عليها فى بطون معاجم مرت على وضعها مئات السنين بالضبط كما لو كنا نبحث عن مواليد فى مقبرة) ، وقال وهو يخطط طريق احياء اللغة وتوحيدها : (.. واعادة المعاجم القديمة الى رفوف التاريخ لتكون مصادر تاريخية ، اما ان تكون مصادر لغوية فلا ..) .

اعتقد ان الاستاذ عبد المجيد ذهب به الحماس للاحياء الى درجة الثورة حتى على بعض وسائل الاحياء ، قيمة المعاجم فى الاحياء لا تنكر ، فهي تمدنا بمادة لا يمكن ان نجدها فى افواه الذين اختلطت السنتهم بالعجمى كما هو الامر فى جميع انحاء العالم العربي ، هي مادة خام حقيقة ولكن دور المثقفين هو صقلها واخراجها من المتحف الى الحياة ، لا يمكن ان ينكر الاخ عبد المجيد خطورة الاعتماد فقط على لسان المتكلمين بهذه اللغة لاحيائها وهو لسان مختلط ما تزال اللغات الاجنبية تنال منه وتشوه صفاءه ، ولن يبيح هو نفسه لباحث عراقي ان يسجل (كلاس) بمعنى الكأس على انها لغة حية وهي كلمة انجليزية صميمة دخلت اللسان العربي العراقي بحيث اصبحت اشهر واعرف من كلمة كأس عند الناطقين بالعربية فى بلاد الرافدين ، ولا يمكن أن يسمح لادخال كلمة (تانت) بمعنى خالة أو عمة واخذها من أفواه الناطقين بالعربية فى مصر ، ولا كلمة (سيمانة) بمعنى الاسبوع واخذها من أفواه الناطقين بالعربية فى المغرب .

ثم ان المعاجم هي التي ساهمت فى احياء اللغة العربية معينة (الجهود الفردية الجبارة التي بذلت خلال المائة سنة الماضية ، بذلها العلماء والادباء والشعراء والمترجمون ، اعادت الى اللغة بريقها ، وجعلتها قادرة بصفة عامة على التعبير عن ادق المعاني باجمل الالفاظ) كما يقول عبد المجيد نفسه ، ولو اعتمد هؤلاء العلماء والادباء والشعراء على افواه الناس فقط لما كان للغة العربية هذا البريق الذي اخرجها من عصر التخلف الى عصر الحياة ، لقد كانت المعاجم فى ساعدهم ، وهي ككل شيء قديم يمدك بالمادة الخام لتصنع منها انت بعد ذلك تحفة رائعة .

اما الراي الثاني : هو خوف الاستاذ عبد المجيد من المترادفات، ورغم اني لا أومن بان اللغة العربية فيها من المترادفات ما سجل على انه من المترادفات ، فقد اخذت فى كثير من الاحيان صفات أو نعوت لمسميات فسجلت فى كتب المتأخرين على انها أسماء ومترادفات، وهذا غلط فادح وقع فيه كثير من الذين دونوا اللغة العربية ، ولا يمكن ان توخذ اللغة العربية بهذه الجريرة وانما يجب ان تعود الامور الى نصابها ، وان اقتضى الامر التخلي عن هذه الاسماء والنعوت .

ثم انه لا خوف من تعدد اسماء بعض الاشياء فى اللغة العربية رغم ان توحيد الاسماء والمصطلحات أفيد واكثر توثيقا للصلات بين الفكر العربي فى شرق الوطن العربي وغربه .

ومن الابحاث التي تسترعي النظر فى العددالماضي البحث الذي كتبه الاستاذ محمد العربي الخطابي وحاول فيه — بعد مقدمة طويلة حوت كثيرا من الافكار العامة المسلمة — وضع اسس لتخطيط عام للتعليم والتربية . واذا كانت هذه الاسس تخص التعليم اكثر مما تخص الثقافة والبحث العلمي فيبدو أن العنوان كان اكبر من المقال ، وانه ما يزال يتطلب تخطيطا لميثاق خاص بالثقافة والبحث العلمي الا اذا ك

دراسات مغربية :
عن تاريخ القضاء بالمغرب

للأستاذ : عبدالله الجراري

كانت العدالة بالقطر المغربي تجري طبق ما يوحي به الشرع وتقتضيه نصوصه من كتاب وسنة واجماع ذوي الراي من جمهرة المجتهدين والفقهاء وما ينبثق عن ءارائهم النيرة والمشبعة بروح التشريع الصرف البعيد عن الخلط والشعوذة واساطير الاسرائيليات المندسة من بعض المزورين على الاسلام والمنافقين خدمة لاهداف سخروا لها من لدن اسيادهم ورؤسائهم تحت ستار « مسلم » .

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل استمرت حلقاته الى ان اتصلت بالمتاخرين من رجال الفقه الذين افسدوا بكثرة تخاريجهم ، وابتعادهم عن ادلة قضاياه ، وبراهين فتاواه ، الشيء الذي اصبحنا اليوم معه فى امس الحاجة الى تجديده والعود به تدريجيا الى معينه الصافي — الى عصوره الاولى عصور المجتهدين والتابعين والصحابة والسنة والكتاب .

وبهذا الرجوع بالفقه « الثري الخصب » الى اسوله — تحل مشاكل المسلمين فى حياتهم الخاصة والعامة ، ويوجد لكل جديد فى الشؤون الاجتماعية والانسانية جديد من التشريع والاحكام فى اطار مواده الخصبة المرنة لمن يقفون حياتهم للنظر فى قضاياه ونوازله بعين ملؤها العلم الصحيح والرأي السليم .

ولمزيد التحري فى اعطاء النوازل ما تقتضيه من عناية فى البحث رغبة فى احقاق الحق واثلاج الصدر للاحكام الصادرة من هياة القضاء — اسست وزارة العدلية فى شهر ذي القعدة سنة 1330هـ « 31 اكتوبر 1912 » وفوض اليها النظر فى كل ما يتعلق بالشؤون الشرعية — فوزير العدلية — يسمي القضاة والعدول ويعزلهم ويراقب اعمالهم ويرجع شأنه الى ملك البلاد مستشيره من مرة لاخرى عارضا عليه القضايا المختلفة التي قد يكون له نظر فيها يقتضي تحويلها عن المجرى المتخذ لها قبل .

ثم تفرع عن وزارة العدل «مجلس» دعي الاستيناف الشرعي — بتاريخ 1332هـ « 1913م» تستانف فيه جميع الاحكام شرعية او عقارية ضم رئيسا واعضاء ونوابا وكتابا ومحافظين .

وقد تعدد رؤساء هذا المجلس عبر سنوات وسنوات — كالسادة احمد بن المواز ، وعبد الرحمن ابن القرشي ، والهاشمي بن خضراء ، ومحمد بن العربي العلوي ، ومحمد الحجوي ، ومحمد المدني ابن الحسني ، رحمة الله عليهم ، ومولاي احمد البدراوي ، وجل هؤلاء الرؤساء ان لم نقل كلهم ادوا رسالتهم العلمية الصادقة وقد علتها النزاهة وحاطها سياج الصالح الانساني العام ، رغبة فى ارضاء الحقيقة ورفع راية العدل خفاقة فى هذا القطر الكريم .

وقد زاولت نخبة من علماء المغرب العمل بهذا المجلس كأعضاء يتصفحون ما يرد من قضايا عليه قصد النظر فيها وفحص كل الاجراءات التي دارت حولها لدى المحاكم الشرعية .

فبمجرد ما تدخل المجلس توزع بنظام منطقي منفسم قسمين :

1 — القضايا الوترية . كواحد ثلاثة خمسة سبعة وهكذا .

2 — القضايا الشفعية : كاثنتين — اربعة — ستة الى ءاخرها .

وفى كل اسبوع تعقد جلسات للنظر والبت فى القضايا المنجزة . فاسبوع للوترية واسبوع للشفعية فى الجلسة يعرض العضو تقريره عن القضية التي تناولها بالبحث فتسرد ويقع النقاش حول بنودها بالاخذ والرد فتارة تسلم جميع الفصول ويصحح حكم القاضي وتارة تنقص حكمه بعض الاجراءات اثناء المرافعات كفقدان الحجج — شهود او ءاجال او اعذار وما اليها من اسانيد الحكم ودعائمه التي قد لا يخلو تقرير العضو او نائبه منه . وطورا ءاخر يبدو اثناء العرض والمداولة فساد الحكم جذريا وهذا ما يقضي بتجديد النظر فى القضية من اولها .

شيء يدعو بالضرورة الى استيناف البحث فى القضية رغبة فى اجرائهاعلى قواعد المسطرة القانونية ووضعها على محك الاساليب المرعية شرعا فيستدعي

رسام اخذ القلم ومر بخطوطها العريضة بحيث لا تخطىء العين الصورة وهي تقرأ القطعة الصغيرة ، وتذوب الصورة ان انت حذفت منها بيتا أو شطرا أو كلمة .

ما أحوج الشعر العربي الحديث الى مثل هذه الصور .

وتاتي القصيده الغزلية للشاعر عبدالكريم التواتي اسلوب جميل وانتقاء للالفاظ والتعابير جدير بالغزل ، ولكن ما هي الصورة التي قدمها عن دنياه التي دغدغت الحياة ، ودنياه التي نتناجى نهداها . ودنياه التي يتمايل قرطها فيداعب جفنا للسيوف البواتر . ودنياه التي اذا مسته اناملها دغدغت اوهامه ، ودنياه التي بعثرت الشعور (جمع شعر بفتحتين) فظللت جبينا نهاوى دونه كل باتر .... انه غزل من نوع الغزل القديم الذى ما كان المتغزلون يرون فى حبيباتهم غير العين والجيد والنهد وما نحت ذلك ، والمقابلة بين فعل العين وفعل الشعر (بفتحتين كذلك) وفعل السيوف البواتر . مع ان السيوف لم تعد بواتر كانت أو غير بواتر .

وتاتي قصيدة خطبية اخرى للشاعر المدني الحمراوي مطلعها :

ذكروا الجيل انه كاد ينسى كل ذكرى لزمرة الابطال

لقد فررت من خطابة المقال الى الشعر فقرع اذنى بالنصائح والخطابات فانا اكاد اطوي العدد الماضي لاتطلع الى العدد القادم ، ولكن مهلا فما تزال بالديوان قصيدتان : (تسائلنى) للشاعر ابراهيم السولامي (بواو بعد السين) و (المال) للشاعر محمد العلمي ، الاولى قطعة غزلية وفر لها الشاعر الحركة التي تتناسب مع موقف التساؤل ، كانت هذه الحركة فى اختيار الالفاظ والوزن ، ولكن كان من واجب الشاعر ان يوفر لها الصورة كذلك فالموضوع هو تساؤل الغر هل احب الناس مثل حبه ، فكان على الشاعر ان يحتفظ بهذه الغرارة فلا يندفع فى وصف العيون والجبين والايدي هذا الوصف الذي جعله يقبس من هنا وهناك فيضيع جمال الصورة

اما (المال) فهي قصيدة تشبه لامية ابن الوردى رغم اهمية موضوعها ، ولكنها كانت معنى ولفظا واسلوبا لا تمت للشعر بصلة .

الديوان فى مجموعه 12 صفحة من المجلة اقنعني بان الشعر ما يزال دون المستوى وعلى المجلة ان تختار حتى توفر لديوان دعوة الحق نفس المستوى الذي نوفره للابحاث .

وهكذا كان العدد الماضى حافلا ولكن ينقصه الانتقاء والاحتفاظ بالمستوى سواء فى قسم الدراسات الاسلامية أو الدراسات الادبية أو الشعر ، وقد عرضت بعض الرأى فى كثير من مواد هذا العدد وآمل الا اكون قد اغضبت احدا . فالذين قبلوا ان يظهروا بانتاجهم على صفحات هذه المجلة قبلوا مقدما ان يكون انتاجهم محالا للملاحظة ، والنقد لا ينبغي ان يغضب احدا فهو لا يزيد على ابداء رأى ادبى يستند الى حجة من فكر أو علم أو ذوق . وارجو ان يفسح الاخوان الكتاب والشعراء صدورهم لمثل هذه الملاحظات التي لم يدفع اليها (كيد فى النقد ولا حسد يعلك الاكباد) وانما هو ميزان عدل نصبه المجلة فوزنا فيه بالقسطاس . فان كان عدلا ما وزنا فلم نزد على أن ادينا رسالة من رسالات العدالة . وان كان غير عدل فالشفع له حسن نية وصدق توجيه.

الرباط : **عبد الكريم غلاب**

في النقد :

حول تأليف كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان
تأليف أبي عبد الله الشطيبي 882/993هـ

للأستاذ سعيد أعراب

من الاسر الاندلسية التي هاجرت الى المغرب ــ غداة التنصير ، واصلهم من غرناطة ، انتقلوا الى شمال المغرب على عهد السلطان ابي عنان المريني ، وكان بيتهم بيت علم وثروة وصلاح ، ومنهم ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن حسن بن حنون الشطيبي الزروالي ، نسبة الى بني زروال احدى قبائل غمارة ، كما يقول ابن خلدون ، ولد سنة اثنين وثمانين وثمانمائة (882 هـ) . قال في الدوحة : وكان نزيل تازغدرة من احواز درعة ، رحل الى بلاد المشرق ، وقام يجول سائحا في نواحيها اعواما كثيرة ، ولقي فيها مشايخ عدة . وجاء في الدوحة انه كان واسع المعرفة ، شهير الذكر ، وهو صاحب التآليف المشهورة . توفي سنة ثلاث وستين وتسعمائة هجرية (963) ودفن بزاوية مشهورة بقرية تازغدرة ، وقبته بناء فخم ، حطمت قنابل الفرنسيين بعض جوانبه ابان الحرب الريفية (*) .

خلف الشطيبي مؤلفات في التفسير والحديث والتصوف والتاريخ .. منها : اللباب في مشكل الكتاب ومفتاح الجنة بتوثيق العمل بالكتاب والسنة ، والآثار السنية في شرح المباحث الاصلية ، وشرح مطول على الحكم العطائية ، وتخميس بردة البوصيري ، وتعليق على البردة . والجمان في مختصر اخبار الزمان ، وانه موضوع الحديث . وقد دفعني الى الكتابة في الموضوع ما كتبه الدكتور علي ابراهيم حسن في كتابيه : « استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الاسلامي العام » ، « التاريخ المصري الوسيط » ــ من معلومات خاطئة حول هذا الكتاب ، على ما عندنا من التقصير في التعريف بتراثنا الخالد الذي انطمست معالمه ، وضاعت ذخائره وكنوزه ، وبعدت الصلة بيننا وبين اهل العلم ، حتى اذا ارادوا التحدث عنها وقعوا في كثير من الاخطاء ، وهم عنها غافلون ، قال الدكتور في كتابه المذكور ص 123 (الطبعة الثانية) : (المقري ، المتوفى في ثمان وسبعين وسبعمائة للهجرة : شهاب الدين احمد بن المقري .

1) « الجمان في مختصر اخبار الزمان » مخطوط بدار الكتب المصرية ، ولد المقري في مدينة فاس ، ورتب كتابه « الجمان » في ثلاثة فصول :

الاول ــ من مبدأ الخليقة الى مولد النبي عليه الصلاة والسلام ، واتى فيه على قصص الانبياء والحوادث التي وقعت في تلك الفترة من التاريخ الاسلامي .

والثاني ــ عن الرسول وبعثة النبوة .

والثالث ــ عن عهد الخلفاء الراشدين والملوك والسلاطين (الى الدولة الفاطمية بمصر وافريقية وعن بلاد الاندلس) . وفي هذا النص امور

1) لا اعتقد ان الدكتور يجهل ان شهاب الدين احمد المقري من اهل القرن الحادي عشر الهجري ، وان وفاته كانت سنة (1041 هـ) لا ثمان وسبعين وسبعمائة هجرية ، على ان هناك مقريا آخر ، وهو ابو عبد الله المقري جد ابي العباس المذكور ، توفي سنة 858 هـ .

2) نسب الدكتور كتاب « الجمان » الى شهاب الدين المقري ، وهو صاحب كتاب نفح الطيب المشهور ، ولا نعلم مصدرا ذكر من بين كتبه كتابا يحمل عنوان « الجمان » وكذلك جده ابو عبد الله المقري ، له مؤلفات في الفقه ، ولا يعرف له كتب في التاريخ ، والمعروف نسبة هذا الكتاب (الجمان في مختصر اخبار الزمان) الى ابي عبد الله البرجي الشطيبي ، نسبه اليه غير واحد من المؤرخين ، ومما نقل عنه واعتمد رواياته ، الناصري في الاستقصا ، والوزير المحمدي في كناشه ، وثبت في كثير من الفهارس منسوبا اليه ، كفهرس الظاهرية ، ومكتبة البلدية بالاسكندرية ، والفهرس المعهدي للمخطوطات المصورة ، وسواها من مكاتب الشرق ، وسجل في فهرس الخزانة التيمورية هكذا (الجمان في اخبار الزمان لمحمد الطيبي) وهو تصحيف عن الشطيبي .

اما في المغرب فقلما تخلو منه مكتبة ، ولا يعرف منسوبا لغيره ، فلم يبق الا ان نزعم بانه تصحف على الدكتور «البرجي» بالمقري ، وربما اقتصر ابو عبد الله الشطيبي على هذه النسبة « البرجي » التي تربط الصلة بينه وبين وطنه الاول (الاندلس)

(*) كتبت له ترجمة مطولة في جريدة « الميثاق » اعداد 42 ــ 43 ــ 44 .

كل من المستانف والمستانف عليه للاستماع الى كل منهما ومعرفة جميع المستندات التي يعتمدها الطرفان وعلى ضوء هذه العمليات الجديدة ياخذ النازلة شكلها القانوني اذ يقرر العضو الخاص عنها تقريرا يلم شتاتها ويضم ما تناثر من مستنداتها وحججها ، وطبعا ياتي دورها مرة اخرى فتدخل للمداولة .

وهكذا تجري بقية القضايا على هذه الطريقة القانونية رجاء الوصول الى حق مضاع لولا هذه العملية .

والمهم ان علية من متفقهي المغرب وعلمائه مروا بهذا المجلس وخاضوا بافكارهم غمار خضم متلاطم اللجج من القضايا والمشاكل على اختلاف الوانها من الاحوال الشخصية والعقارية وما اليها — نذكر منهم السادة — احمد بن المامون البلغيثي ، ومحمد بن احمد العلوي ، والعباس بن ابراهيم المراكشي ، ومحمد الهواري ، واحمد عواد ، ومحمد زويتن ، والطايع ابن الحاج ، واحمد النبهي ، وعبد الرحمن الشعشارني واحمد بن اليزيد البدراوي ، ومحمد المدني بن الحسني ، والمهدي العلوي ، وعبد الرحمن العربي وسواهم من اعلام المعرفة وفقهاء المغرب .

وضروري ان كل علم من هؤلاء الاعلام تصفح جملة هامة من النوازل والمشاكل المرفوعة الى المجلس وتعمق ما حوته جوانبها من ماجريات ومقتضيات تدعو بطبيعتها الى مراجعة مظان ومجلدات ونوازل تفيده في الموضوع وتساعده على حل ما يبده من قضايا مستخدما ما لديه من ملكات وقواعد علمية تحقق ما يسطر . ويهذب ما يكتب ويحرر ، ومما يبعث على الغرابة ان العضو قد يدلي في نازلة اليوم برأي ، وبعد فترة يفسر رايه في مثلها فيقرر فيها عكس ما قرره في نظيرها قبل ، اذ يبدو له حولها من المحيطات ما يصرفه عن الحكم الاول — ولا عجب ان تكون الراي الثاني امس بروح النازلة مما قضى به فيما قبل .

وهكذا تتناثر القضايا بين ايدي الاعضاء من رجال المجلس على اختلاف مشاربهم وضلاعتهم في الفقه ونوازله حيث ينظر كل عضو فيما يعطاه من الاحكام والقضايا من زاويته الخاصة فيبث فيها حسب معارفه ومداركه وما يرتئيه اخيرا من اقوال فقهاء المذهب في اشباه ونظائر النازلة . نعم عندما تطرح القضية للبحث والمداولة وتتناولها الاراء والافكار بالنظر في الجوانب والملابسات يستقر الراي في النهاية على الحل الوجيه والمتفق والراجح او المشهور او المعمول به في امثال القضية مما يجب الجري عليه في الاحكام المنوطة بالقضاة ومن ياتي لتصفح احكامهم بعد

ومن بين تلك العمليات العلمية والتقارير المحررة في مختلف النوازل والقضايا المستانفة تكونت معلمة تشريعية هامة ضمت مجلدات ودفاتر منظمة مرقمة كذخيرة ثمينة وعصارة افكار رجالات مروا بالمجلس الاستينافي عرفنا بعضهم آنفا .

لذا يجب على الحكومة الموقرة ووزارة العدل في المقدمة ان ترجع اليها وتحوطها بالعناية والرعاية وتهيىء لها علماء شرعيين يتصفحونها وينتقون منها ما ياتي موسوعة تشريعية يرجع اليها في التشريع الجديد ضرورة انها زبدة ابحاث كرس لها اولاء الاخصائيون اوقاتا ثمينة من حياتهم تجلت فيها عبقرية معارفهم واختياراتهم مما لا غرو ان يصبح اليوم مرجعا قانونيا ومصدرا تشريعيا يساعد الباحثين الجدد على النظر في شهواته ويمدهم ببعض من النصوص التشريعية في شتى الموضوعات والنوازل مقربا على مجموعة القضاء والمحاماة مسافات ومساوات في اطار تشريع اسلامي ثري غض بعيد عن الالتواء والتعب وباعث «في ذات الوقت» على ارتياح الخصوم واطمئنان نفوسهم لما يصدر من حلول ويعطى من احكام تنسم الحقيقة عنها ويساءة الجبس لا حدس في عدالتها ولا انحراف في منطقتها وبالود لو يعجل بهذا الاقتراح فينقذ تلك المجلدات من سلة المهملات ويرعاها عيون المعرفة بالتصفح والانتقاء وعن كثب تصبح معلمة افكار مستمدة يرجع الى مسائلها المنظمة رجال القانون الذين يراهم من اونة لاخرى يكونون اجتماعات للنظر في القانون واحواله — وليس بالعهد من قدم — فقد اجتمعت عليه من رجال القضاء والقانون اخيرا لبحث « مدونة الاحوال الشخصية » رغبة في تحوير بعض فصولها وعلاج مسائل من بنودها قد لا تتفق والحالة ولكن في اطار الفقه المسلم والمنطق السليم .

نعم ان عملا من هذا النوع تقتضي من رجال القضاء مجهودات ومجهودات هي في حاجة ماسة وملحة للامداد والعون وتسهيل المهمة اكثر من الواقع — ولا ارى شيئا اجدى من هذه العملية العلمية والانسانية التي لا تعتم بركز القضاء وتدعم مراسيمه ، وترفعه الى المستوى اللائق بعدالة ومنطقية سليمتين .

فعلى رجال القضاء والقانون ان يعملوا على تحقيق هذه الفكرة في تضامن مع وزارة العدل وابراز المشروع «الذي لا ريب انه مشروع انساني » الى عالم الوجود .

عبد الله الجراري
مفتش بوزارة التربية الوطنية — الرباط

الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ: محمد المنتصر الريسوني

- 3 -

المـــدح :

هذا الفن لم يكن للمراة فيه كبير نصيب ، لان دواعيه مقصورة على الرجال ورغم ذلك فقد أدلت بدلوها بين الدلاء فى هذا الميدان ، فاستمع الى الخنساء تمدح أباها وأخاها عندما استبقا على الخيل :

جارى أباه فاقبـــلا وهمـــــا
يتعاوران ملاءة الحضــــر (1)
حتى اذا نزت القلـــوب وقـــد
كزت هناك العذر بالعذر (2)
وعلا هتاف الناس ايهمــــــا
قال المجيب هنـــاك : لا أدري
برزت صحيفة وجه والـــــده
ومضى على غلوائه يجـــــري
اولى فأولــــى أن يساويــــه
لولا جلال السن والكبـــــــر
وهما وقد بــــرزا كأنهمـــــا
صقران قد حطا على وكـــــر

ونالت بنت لبيد عن أبيها فى مدح أمير الكوفـــة الوليد بن عقبة ، وآية ذلك أن الشاعر لبيدا كان قـــد اقسم على نفسه أن يطعم ما هبت الصبا ، ثم ظل يفعل ذلك بعد اسلامه ، وحينما نزل الكوفة أميرها ـــ اذ ذاك ـــ الوليد بن عقبة هبت الصبا والامير يخطب فى الناس فقال : قد علمتم حال أخيكم ابى عقيل وما جعل على نفسه أن يطعم ما هبت الصبا ، وقد هبت فأعينوه وبعد ذلك أرسل اليهمائةجزر واعتذر اليه بهذه الابيات:

أرى الجزار يشحد شفرتيـــه
اذا هبت رياح ابى عقيـــــــل
أشم الانف أصيد عامـــــري
طويل الباع كالسيف الصقيـــل
وفى ابن الجعفري بما نـــــواه
على الصلات والمال القليـــــل
يذكي الكوم ما هبت عليـــــه
رياح صبا تجاوب بالاصيـــــل

وبمجرد وصول الشعر والجزر قال لبيد : اني تركت الشعر منذ قرأت كتاب الله واني ما أعيا بجواب شاعر ثم دعا ابنته وقال لها : اجيبيه عني فقالت مادحة:

اذا هبت رياح أبـــي عقيـــــل
دعونا عند هبتهـــا الوليـــــدا
أشم الانف أصيد عبشميـــــا
أعان على مروءتـــــه لبيـــــدا
بأمثال الهضاب كـــأن ركبـــا
عليها من بني حام قعــــــودا
أبـــا وهب جزاك الله خيـــرا
نحرناها واطعمنا الوفـــــودا
فعد ان الكريم لــــه معـــــاد
وظني بابن أروى ان يعـــــودا

الغـــــزل :

الشاعر العربي لم يفتر لسانه عن قول الشعر الغزلي ، ففيه يلقى متنفسا لحرمانه اللاذع ، ولهفتــه

يتعاوران ملاءة الحضر : يعني ان غبار الجري يصير كثوب يلبسه هذا مرة وذاك مرة اخرى ـــ الحضر: العدو
نزت القلوب : اشتاقت لمعرفة السابق ـــ لزت العذر بالعذر قرنت عنان السابق بعنان المسبوق .

وكان يحن اليه كثيرا ، ومثل هـذا التصحيف قد تعودنـاه في كثير من المخطوطات .

3) ذكر الدكتور ان شهاب الدين المقري ولـد بفاس ، والصواب انه ولد بتلمسان (الجزائر) عام 980 هـ ، ثم انتقل الى فاس عام 1009 هـ .

كما استوطن جده ابو عبد الله المقـري فاسا ، وتولـى القضاء بهـــا .

4) قد يقال : ربما كان هناك مقري آخر ، نسب اليـــه كتاب « الجمان » وقد وافق صاحب النفح في الاسـم والنسـب واللقب ، وهو من اهل المائة الثامنة ، وولد بفاس – كما ذكر الدكتور ، ولكننا لم نطلع على ذلك كما لم يطلع على كثيــر غيره ، نعم يرد هذا الاحتمال لو لم يذكر الدكتور محتويـات الكتاب ، والمصمم الذي وضعه مؤلفه ، مما لم يبق لنا معـه اي شك في انه كتاب «الجمان في مختصر اخبار الزمان» لابي عبد الله الشطيبي . والمؤلفون قد يتواردون على عنوان واحد ، عن قصد او عن غير قصد ، ولكن لا بد ان يكون لكل مؤلف منهجـــه وطريقته الخاصة ، كما ان لكل عصر طابعـه الخاص ، على ان هناك بونا شاسعا بين كتابة ابي العباس المقري ، وكتابة ابي عبد الله الشطيبي ، سواء في التفكير او التعبير .

ويبدو ان التحريف لعب دورا خطيرا في نسخ هذا الكتاب ونستطيع ان نقرأ عنوان الكتاب في عبارات شتى هكذا

الجمان في مختصر اخبار الزمان .
الجمان المختصر في اخبار الزمان .
مختصر اخبار الزمان .
الجمان في اخبار الزمان .
الجمان من مختصر اخبار الزمان .

وقد انتقلت عدوى التحريف الى اسم مؤلفه ، وتاريـخ وفاته ، فيمن تسرع بذلك من امناء المكاتب ، او مالكي الكتاب ، وكم يعاني من ويلات في هذا الباب ، رجال البحث ، واهـل التحقيق في عالم المخطوطات .

5) وقيمة هذا الكتاب – في نظري – لا ترجع الى مـا اورده من معلومات عن تاريخ الاسلام العام ، او التاريخ المصري الوسيط ، بل الى ما تضمنـه من حقائق عن تاريـخ المغـرب والاندلس (المشترك) ، وقد عقد فصلا مهما عن الاسر البربرية التي استوطنت الاندلس ، وتولت الرئاسة والحكم في كثير من مدنه وقراه ، او كان لها مقام كبير في العلم والجهاد ، منهـم من ينتسب الى صنهاجة ، ومنهم من ينتمي الى يفرن او ايلان ، او الى قبائل بربرية اخرى كبني عوسجة ، وبني برزين ، وبني زروال ، الى غير ذلك ، وذكر من امراء الاندلس على عهـــد طارق بن زياد – محمد بن الياس المغيلي ، وكان اميرا على ثغور وادي الحجارة ، ومنهم ابن واتسون المكناسي ، ومن امراء شاطبة بنو عزاون وهم نفزاويون ، وذكر من قضاة قرطبـــة وعلمائها – القاضي العباس ، والاصبغ الهواري ، وقال ان جميع اعيان سرقسطة وامرائها من البربر ، وهم من بني الغراطي ومن بني فرفس ، ومنهم محمد بن عبد الجبار المصمودي ، ثار بمدينة ماردة ادم بني امة ، ومنهم بنو يحيى بقرطبة ، ومنهم الاوربي من بني سالم .. وهي حقائق تاريخية مهمة ، فلما نجدها مفصلة هكذا في كتاب .

ويسمي كتاب الجمـان « بانتهـاء » تاريـخ الدولـــة الموحدية ، وربما كان في نية المؤلف ان يكتب جزءا خاصـا بتاريخ المرينيين والوطاسيين والسعديين على ان الشطيبي لم يرد ان يكتب تاريخا متسلسلا ، بل اختصر نبذا تاريخية في ثلاثـة فصول ، وأمكن ان نسميها ثلاثة عصور :

1) من بدء الخليقة الى مولد الرسول .

2) من مولد الرسول الى عهد الخلفاء الراشدين .

3) من عهد الخلفاء الراشدين الى اواخر العصر الوسيط .

وقد عني بالاحـداث والغرائـب كالـزلازل والكسـوف والخسوف ، وهو شغوف بقصص الانبياء ، وحكايات الزهاد والصالحين ، والطغاة والجبارين ، قال في مقدمـه الكتـاب : (ولما رأيت اخبار الزمان كثيرة ، اختصرت منها ما امكنني ، ليكون فيه وعظ للمعتبريـن ، وتذكرة للمومنـين ، وتبصـرة للمتفكرين ، واختصرت من جميعها ثلاثة فصول) .

ويؤخذ على المؤلف انه مولع بالاساطيـر والروايـات الضعيفة ، كالاخبار التي اوردها في بناء « ارم ذات العمـاد » التي قال انه بناها شداد بن عاد على صفة الجنة ، وكالاثار التي ذكرها في فضل الاندلس .. الى غير ذلك من اوهام وخرافات وقع فيها كثير من المؤرخين الاولين كابن جريـر الطبـري وغيـــره .

وكنا نود من الدكتور الذي يعلمنا طرق البحث ، وكيف نستخدم المصادر التاريخية ان ينبه على نواحي الضعف في هذه المصادر ، الى ما فيها من محاسن .. وللبحـث التاريخي اليـوم قواعده واسسه .

على ان هذه الملاحظات الطفيفة لا تقلل من المجهود الذي بذله الدكتور في موضوع كتابه الطريف (استخـدام المصادر وطرق البحث ..) فهو يستحق منا كل شكر وتقدير .

تطـوان – سعيـد اعـراب

لم يكن المجنـــون فى حالـــــة
الا وقد كنت كمــــا كانـــــا
لكنه باح بســــر الهـــــوى
وانى قد ذبـــت كتمانـــــــا

وتقول :

باح مجنون عامـــر بهـــواه
وكتمت الهوى فمت بوجـــــدى
فاذا كان فى القيامـــة نـــودي
من قتيل الهوى ! تقدمت وحدى

ويحكى أن خيرة أم ضيغم البلوية عشقت ابن عمهـــا فانتشر خبرها وحجبوها ففاضت عاطفتها بالشعـــر الحرارى الشجى فقالت :

هجرتك لما ان هجرتك أصبحـــت
بنا شمتا تلك العيون الكواشـــح
فلا يفرح الواشون بالهجر ربمـــا
أطال المحب الهجر والحب ناصح
وتغدو النوى بين المحبين والهوى
مع القلب مطوى عليه الجوانـــح

وما تنسى خيرة لياليها المفعمة بالانس . والعامرة بالعطف رنيق يحس به المحبان العاشقان فى لجة من السكون الساكن الهادىء الا من ومضات عاطفة بين النفسين المؤتلفين . فياليها من ليال ليتها تعود .

وقطعة من ماء نيمين عذبـــة
تمنع من أيدى السقاة ازومهـــا
... من منه لو انك ذقتـــه
اذا ليله أسحب وغاب نجومهـــا
... ليله الظلماء عائده لنـــــا
فديها الليالي حرها ونعيمهـــا
... مى عادت مثلهـــا فاليـــة
على وأيام الحرور أسومهـــا

ويا ما أحلى اشفاء الغليل بالرشفات فى هدوء الليل وسكينته الخرساء وقد اندس كـل واحـــد فى ... الا حبيبان يتناغيان فى رقة ملذه لطيفه :

... خلاف الحي لا نحن منهـــم
ولا نحن بالاعـــداد مختلطـــان
... يقتنا ساقط الطل والنـــدى
من الليل بردا يمنه عطـــر ان
... الله عنا من الصبـــا
اذا كان قلبانـــا بنـــا يحفـــان

ونحسدر عن أمر العفاف وربمـــا
نقعنا غليل النفس بالرشفـــان

والغزل النسائي كثير كغزل عشرمة المحاربيـــة والخنساء بنت التيجان صاحبة جحوش الخفاجي . وام فروة الغطفانية ، وحميدة بنت النعمان بن بشير وأم حكيم بنت يحيى . وعاتكة المرية وعلية بنت المهـــدي واضرابهن .

الحنين الى الوطن :

الوطن .. الوطن حبه غريزة راسخة فى الكيان الانساني، هو اغنية مزمار حلوة ترددها شفتا الانسان فى لـــذة انتشائية سكرى ، فمهما طاف الاصقاع واستنـــزف اياما مترعة . وليالي مرتمسة فى التطواف . وبهره مـــا بهره من جمال الوطن الآخر فانه يحس بانجذاب سحري وبحنان فوار الى مدارج الصبا . ومسارح الطفولـــة حيث تفتقت الاكمام لقطرات ندى الحياة .

مهما راح الانسان بطوى البقاع ، ويمرق من درب الى درب بنملي بالروعه والفتنه وينفبا المجالى الجمالية فانه يشعر بدغدغات فى حنايا الاحساس . ونبضات فى اعامبق الشعور تملك النفس وتملا الخواطر فتبعث الحب والحنين المحملين برحم من الحشان الداخلى .

مهما عبر واغترب . فان نغما مسكرا يجذبه الى الوطن كما يجذب غناء عرائس البحر اللطيفة اليه ملاحى البحار .

فيا حبذا حنين الوطن .... ويا حبذا حبه . ونالنا يا حبذا قول الشاعر من بنى ضبه عندما يلقي علىأسماعنا هذين البيتين :

نسير على علم بكنه مسيرنـــا
بعفة زاد فى بطون المزاود (1)
ولابد فى أسفارنا من قبيصـــة
من الترب نسقاها لحب الموالد(2)

فالحنين الى الوطن عريزه بشرية كامنة فى أغوار الذات . ولقد بلغ حب العرب لاوطانهم انهم كانوا اذا ما رحلوا للغزو أو لغيره حملوا معهم حفنة من التراب يستنشقونه عند نزلة أو زكام أو صداع .

والمراة العربية الشاعرة زخرت عاطفتها بحـــب الوطن والحنين اليه فنندت قريحتها بنتاج شعري رقيق تشق كلماته عما بداخله من شوق للديـــار وحـــب

---

(1) العفه : بقية اللبن فى الضرع والمقصود القليل من الزاد .
(2) قبيصه : قبضة وحفنة

المحروقة ، ولوعته المناجية فراح يفتن في رصف الكلمات التي تفضح مفاتن النساء واحيانا ترمز من غير تصريح في مناجاة بعيدة عن الغرض المادي .

وليس من شك في ان المراة كالرجل شاركت هي الاخرى في هذا الفن . فانتفاضات الفؤاد ، وارتعاشات الاعماق، وارتباكات القلوب وتخدرات المشاعر يتشارك فيها الجنسان معا . فهي تتوقد وتحب . ونهزها الذكرى وتطربها اللقيا التنهية . ولا ريب من أن تنفعل فتتفتح في عالمها هنيهة الخلق ثم ترسل زفراتها في كلمات غزلية . بيد ان غزلها يتسم بالاستحياء والكتمان . لانها مجبولة على ذلك والرجل على النقيض فلنعر اسماعنا لهذا الغزل المليء باللهاث . وعطر التناجي اللذيذ . وبزخم من الشعور عميق .

ولتكن أولى شاعراتنا في هذا الصدد أسماء المرية الجاهلية . تذكرت حبيبا في نجد ولكنها صبغت شوقها اللافح المشتعل بصبغة الشوق الى الوطن فتقول في بوح لاهب وزفرة محرقة :

أيا جبلي نعمان بالله خليا
نسيم الصبا يخلص الى نعيمها

فان الصبا ريح اذا ما تنفست
على قلب محروق تجلت همومها

اجد بردها او تشف مني حرارة
على كبد لم يبق الا صميمها (1)

أيا جبلي وادي محريدة التي
نات عن توى قومي وحم قدومها

الا خليا مجرى الجنوب لعله
يداوي فؤادي من جواه نسيمها

وكيف تداوى الريح شوقا مماطلا
وعينا طويلا بالدموع سجومها

وقولا لركبان تميمة اذ غدت
الى البيت ترجو ان تحط جرومها

بأن اكناف الرغام غريبة
مولهة ثكلى طويلا نئيمها

مقطعة أحشاؤها من جوى الهوى
وتبريح شوق عاكف ما يريمها

وأم موسى الكلابية زوجها ابوها وكانت تشغف بالاخر من عشيرتها فنقلها زوجها الى « حجر » من بلاد اليمن فعصفت بها الذكرى ، ويالها من ذكرى . ذكرى الحبيب الذى تعلقت به فقالت :

قد كنت أكره حجرا ان اعيش بها
وان أعيش بأرض ذات حيطان (2)

يا حبذا الغرق الا على وساكنه
وما تضمن من ماء وعيدان (3)

ابيت ارقب نجم الليل قاعدة
حتى الصباح انادى بالعجلان (4)

لولا مخافة ربي أن يعاجلني
لقد دعوت على الشيخ ابن حيان (5)

وسعدى الاسدية احبها ابن عمها وهام بها هياما فوق الوصف ولكن اباه منعه من الزواج بها ثم أرغمت على الزواج برجل آخر غيره . وهنا فاضت نفسه حسرات فبعث اليها يخبرها ثم اجابته بقولها :

حبيبي لا تعجل لتفهم حجتي
كفاني ما بي من بلاء ومن جهد

ومن عبرات تعتريني وزفرة
تكاد لها نفس تسيل من الوجد

غلبت على نفسي جهارا ولم اطق
خلافا على أهلي بهزل ولاجد

ولن يمنعوني أن أموت بزعمهم
غدا خوف هذا العارفي جدثوحدي

فلا تنس أن تأتي هناك فتلتمس
مكاني فتشكو ما تحملت من جهد

وليلى العامرية صاحبة قيس بن الملوح . ماذا قالت هي الاخرى . انها تصف لنا ما كان بينهما وبين حبيبها ، وتكتم ما يتجلجل في أعماقها من ارتعاشات ونبضات :

---

1) فعل اجد في البيت مجزوم ذلك لانه جواب اذا ، اذا لا تجزم الا في الشعر وقد استشهد النحاة بقول الشاعر : واستغن ما اغناك ربك بالغنى   واذا تصبك خصاصة فتجمل
ومنهم من يزعم أن اذا تجزم النثر كقوله عليه السلام : « اذا اخذتما مضاجعكما تكبرا اربعا وثلاثين »
وقد قيل ان هذا الحديث قد يكون بلغة من يحذف النون من آخر الافعال الخمسة بغير نصب ولا جزم .
2) حجر : قرية بابها من قرى اليمن
3) الغرق : مكان باليمن
4) تصف الشاعرة ديار حجر وما يرتبط بأبوابها من الماشية
5) بن حيان ابوها الذي كان سببا في ابعادها عن الحبيب .

لمحة تاريخية وأدبية عن الحمامات في المجتمع الإسلامي

بقلم : الأستاذ عبد الغفار الخلادي

- 2 -

وفي كتاب الف ليلة وليلة ، وهو كتاب يشتمل على صور حية للحياة الاجتماعية الاسلامية ، بما فيها من بذخ ورفاهية ، ومجون او بؤس وعسر ، نقرأ حكاية « ابي صير وابي قير » فنقتنع بأن الحمامات كانت تعتبر من اهم المؤسسات العمومية التي تتوقف عليها المدن لاستكمال مظاهر حضارتها ، وتعد من المراكز التي تيسر الاتصال بذوي الجاه ، ومن موارد الرزق الحلال الطيب .

استعمل صاحب الحكاية الفاظا شائعة عند رجال البحر ، الا انه لم يذكر البلدة التي بنى فيها « ابو صير » الحمام ، وفي هذا ما يدل على ان تلك الحكاية خيالية وضعت للارشاد والتوجيه ، ولبيان سوء مغبة الحسد اكثر مما وضعت لتصوير حقائق واقعية . وانها كتبت بعد عهد الحروب الصليبية . والذي يهمنا منها هو انها تشخص ما يتطلبه تسيير الحمام من حسن التدبير ، وما يجري في الحمامات من نشاطات للتنظيف والترفيه ، وفحوى الحكاية ان « ابا صير » و « ابا قير » ــ وهذان العاملان من باب: هيان بن بيان ــ ضاقت بهما وسائل العيش في الاسكندرية فركبا البحر طلبا للرزق ووصلا الى مدينة جميلة منظمة الا انهما لاحظا بعد ان اقاما بها مدة واتصلا بملكها ، انه ليس بها حمام، فاستأذن ابو صير الملك في بناء حمام واطلعه على ما للاغتسال به من مزايا فأذن له الملك بذلك ، فاختار مكانا ملائما وبنى به حماما على شكل الحمامات التي رآها بالاسكندرية ، ثم جهزه وفرشه وطيب هواءه بانواع البخور ، وعلم عدة مماليك . ودخل الملك الحمام ومعه وزراؤه وجماعة من علية القوم فكيس ابو « صير » الملك بنفسه ، واخرج من جسده وسخ مثل الفتائل .. ومزج له ماء الورد بماء المغطس فخرج وجسده قد ترطب ، فحصل له نشاط ... ثم بعد ذلك جلس في الليوان (الايوان) وصار المماليك يكسونه والمباخر تفوح بالعود والند . فقال الملك : «ما صارت مدينتي مدينة بهذا الحمام » واعطى « لأبي صير » اموالا ومماليك وكذلك فعل الاكابر الذين معه ، ثم جاءت الملكة الى الحمام مع عدد من الجواري ونساء الاعيان ، فانبهرن بما رأين فيه ، وقدمت لهن المشروبات . فحظي « ابو صير » عند الملك وشاع ذكره في المدينة وانهالت عليه الارزاق ، وذلك لان كل سكان المدينة تأكدوا بما للحمام من مزايا ، واخذوا يلجونه افواجا افواجا طلبا للنظافة والراحة .

ورسم بديع الزمان الهمذاني في مقاماته ــ تلك المقامات التي يمكن ان تعتبر شريطا سينمائيا لألوان الحياة الاجتماعية في عهده ــ مشهدا فكاهيا ممتعا لما يجري في الحمام من اعمال فقال « حدثنا عيسى بن هشام قال : لما قفلت من الحج فيمن قفل ، ونزلت حلوان مع من نزل ، قلت لغلامي ، اجد شعري طويلا ، وقد اتسخ بدني قليلا ، فاختر لنا حماما ندخله ، وحجاما نستعمله ، وليكن الحمام واسع الرقعة ، نظيف البقعة طيب الهواء ، معتدل الماء ...

... فاخذنا الى الحمام السمت ، واتيناه فلم نر قوامه ، لكني دخلته ودخل على اثري رجل ، وعمد الى قطعة طين فلطخ بها جبيني ، ووضعها على رأسي . ثم خرج ودخل آخر فجعل يدلكني دلكا يكد العظام ، ويغمزني غمزا يهد الاوصال ، ويصفر صفيرا يرش البزاق . ثم عمد الى رأسي يغسله . والى الماء يرسله . وما لبث ان دخل الاول فحيا اخدع الثاني بمضمومة قعقعت انيابه . وقال : يالكع مالك ولهذا الرأس وهو لي ؟ . ثم عطف الثاني على الاول بمجموعة هتكت حجابه ، وقال : بل هذا الرأس حقي وملكي وفي يدي ! !

ثم تلاكما حتى عييا . وتحاكما لما بقيا . فأتيا صاحب الحمام . فقال الاول : انا صاحب هذا الرأس لاني لطخت جبينه ووضعت عليه طينه . وقال الثاني : بل انا مالكه ، لأني دلكت حامله، وغمزت مفاصله . فقال الحمامي: ائتوني بصاحب الرأس اسأله . الك هذا الرأس ام له ، فأتياني وقالا : لنا عندك شهادة فتجشم ! فقمت وأتيت ، شئت ام ابيت . فقال الحمامي :

للاوطان (1) ولذلك يروى أن هند بنت عصم السدوسية وهي عند ربيعة ابن غزالة الكندي حنت الى بلادها حنينا جارفا اذ تصور هذا الحنين فى أن الماء الذي تشربه لا ينقع عطشها ، وتود من صميم وجدانها أن يأتي أحد بشربة من ماء بلادها الحبيبة ، تقول فى لوعة لافحة :

الا لا أرى ماء المصبح شافيا
نفوسا الى أمواه بقعاء نزعا(2)

فمن جاء من ماء السبال بشربة
فان له من ماء لينة أربعا

وقد زادني وجدا ببقعاء أنني
رأيت مطايانا بلينة ظلعا

وتقول وجيهة بنت أوس الضبية متعجبة ممن يعذلها فى شوقها الى وطنها ، وما يزيدها ذلك العذل غير الكلف والشغف به :

وعاذلة تغدو علي تلومني
على الشوق لم تمح الصبابة من قلبي

فما لي ان احببت أرض عشيرتي
وابغضت طرفاء القصيبة من ذنب(3)

فلو أن ريحا بلغت وحي مرسل
حفي لنا جيت الجنوب على النقب(4)

فقلت لها : ادي اليهم رسالتي
ولا تخلطيها طال سعدك بالترب

فاني اذا هبت شمالا سألتها
هل ازداد صداح النميرة من قرب(5)

وميسون بنت بحدل الكلابية عند ما زفت من بادية الى معاوية بن أبي سفيان ضاقت من الحياة الحضرية وحنت الى البادية فقالت فى نبرات شوقية لهفية عاصفة :

لبيت تخفق الارواح فيه
احب الي من قصر منيف

واصوات الرياح بكل فج
احب الى من نقر الدفوف

وكلب ينبح الابيات دوني
احب الي من هر اليف

ولبس عباءة وتقر عيني
احب الي من لبس الشفوف

وخرق من بني عمي نحيف
احب الى من علج عليف (6)

وام حسانة المرية تحن ، وفى حنينها أوار ولواعج، انه حب الوطن تملك نفسها ، وسرى فى حنايا قلبها ، تهمس همسات شجية مؤثرة :

اقول لادنى صاحبي أيسره
وللعين دمع يحدر الكحل ساكبه

لعمري لنهي باللوى نازح القذى
نقى النواحي غير طرق مشاربه(7)

احب الي من صهاريج ملئت
للعب ولم تملح لدي ملاعبه

فيا حبذا نجد وطيب هوائه
اذا اهضبته بالعشى هواضبه (8)

وريح صبا نجد اذا ما تنسمت
ضحا وسرت جنح الظلام جنائبه(9)

فأقسم لا انساه ما دمت حية
وما دام ليل من نهار يعاقبه

ولا زال هذا القلب مسقى لوعة
بذكراه حتى يترك الماء شاربه

ذلك هو حديثنا عن المراه العربية الشاعرة . ونحن اذا ما ساعفنا الرغبة فى التفصيل لجاء الموضوع مؤلفا قائم الذات لانه واسع الجوانب، متعدد الزوايا وهو الان عينه شيق خصب لمن اراد أن يكتب فيه ، لذلك نجتزىء بهذا القدر فالشيء يدل بعضه على كله كما يقولون .

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

---

1) الف الاستاد ابراهيم الابياري كتيبا تحت عنوان : « الوطن فى الادب العربي » — سلسلة المكتبة الثقافية وهو موضوع طريف فى حد ذاته ، ولكنه لم يشر من قريب أو بعيد الى نصيب المراة فى هذا المضمار وهو لو فعل لاصبح الموضوع أطرف . ولا ادري هل يعزى السبب الى التجاهل أم الى شيء آخر فعند جهينة الخبر اليقين .
2) المصبح اسم مكان — بقعاء اسم مكان ايضا .
3) طرفاء القصيبة : شجر بهذا الموضع
4) النقب : الطريق فى الجبل .
5) النميرة : هضبة بين نجد والبصرة بعد الدهناء
6) خرق : سخي ظريف — علج : حمار أو حمار الوحش — عليف : مطعوم لا يعمل
7) نقي : عرير — الطرق : الماء الذي خاضته الابل وبالت فيه وبعرت
8) اهضبته الهواضب : يعني فاضت عليه السحب فى غزارة .
9) الجنائب : رياح الجنوب .

فاجبتهم : لم تكف ادمع مقلتي
حتى بكيت بجملة الاعضاء

وورد في كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ولم يذكر القائل :

ولم ادخل الحمام يوم رحيلهم
طلاب نعيم قد رضيت ببؤسي
ولكن لتجري دمعتي مطمئنة
فأبكي ولا يدري بذاك جليسي

وقال ابراهيم بن خفاجة الاندلسي :

اهلا ببيت النار من منزل
شيد لابرار وفجار
يدخله ملمس لذة
فيدخل الجنة في النار

وقال شاعر آخر :

ان حمامك هذا
غير مذموم الجوار
ما رأينا قبل هذا
جنة في وسط نار (✱)

ودخل ابن سكرة الهاشمي — (وهو من شعراء القرن الرابع) — الحمام فسرق له مداسه فقال مستهزئا بالمتصوف الزاهد « بشر الحافي » :

اليك اذم حمام ابن موسى
وان فاق المنى طيبا وحرا
تكاثرت اللصوص عليه حتى
ليحفى من يطيف به ويعرى
ولم افقد به ثوبا .... ولكن
دخلت « محمد » فخرجت « بشرا » (✱)

ان هذه المجموعة من القطع الشعريه والنثريه تبين ان الحمام مؤسسة مفتوحة في وجوه العامة ، مبررة لكافة الناس ، وان من الشعراء من كان يدخله « ليبكي » (بجميع الاعضاء) ومن كان يلجه ليتذكر عزلة القبر ، ومنهم من يرى فيه « الجنة في النار » .

ومهما يكن من امر فالحمام معد قبل كل شيء للتطهير والتنظيف ، وهو في هذه الغاية « مشيد للأبرار والفجار » و « منزل اقوام اذا ما تقابلوا به تشابه وغده ورئيسه » ولذا فليس من المستبعد ان ينقلب « طيبه خبثا » وان يستحيل فيه (المعروف منكرا) ، ولذا ايضا كانت الحمامات وما زالت مبعث احكام متباينة ، وفتاوي متناقضة ، كما كانت وما زالت محط انظار المحتسب ، وصاحب الشرطة ، تلافيا لما قد يقع فيها من منكرات ، وردعا لمن يحاول ان يعيث فيها فسادا .

ولنذكر هنا ما ورد في كتاب « الموشى » (✱) من شرائع المروءة وحدود الادب التي يجب على الظرفاء مراعاتها عند دخولهم الحمام . « وقد ينبغي للظريف ان يدخل الحمام على خلوة ، لئلا ينظر فيه الى سوءة ولا يمد عينيه الى احد ، ولا يعلق ثوبه على وتد ، ولا يدلي رجله في البئر التي ينصب اليها الماء ، فان ذلك مما يفعله الادنياء ، ولا يدلك يديه بحرفه ، فان ذلك مما يستعمله السخفاء ، ولا يتمرغ على حرارة ارض الحمام فان ذلك مما تفعله سفلة العوام ، بل ينبغي له ان يدخل مئزرا ، ويقعد فيه معتزلا ، ولا يقعد مقوسا على رجليه ، فان ذلك طعن على عقله ، ولا يميل مضطجعا بل ينتصب متربعا ، حتى اذا نضب العرق من بدنه ، وتحدر على جسده ، وكان عرقه بين الكثير والقليل ، نشفه عن بدنه بمنديل ، ثم دعا لرأسه بالغسول ، والاشنان المحول ، فان كان من اهل المروات والنعم ، واهل البيوتات والقدر ممن لا نسب في فعله الى شيء من شكله ، فليبتدئ دخوله الحمام بالامساك عن الكلام ، والتحرج من الماء الحار ثلاث حرج » .

ولنسطر الآن بعض جوانب الآداب العامة الخاصة بالحمامات . قيل : « دعوتان مغفول عنهما عند دخول الحمام : نسأل الله من الزلق ، ونحرس نعالنا من السرق » وكان الامام الغزالي يعتبر ازالة اسباب الزلق في الحمام مما يجب الامر به عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره» ، ولم يغفل اصحاب كتب الحسبة عن التنبيه على الاهتمام بكل ما من شأنه ان يوفر الراحة للمستحمين ، ويبعث في نفوسهم الاستراح والاطمئنان . قال ابو عبد الله محمد بن ابي محمد السقطي « وكذلك الخدمة بالحمامات يسنون محاكهم التي يحكون بها ارجل الناس في الملح والماء كل ليلة لئلا تكسب الروائح ، ويغسلون مئازرهم كل عشية بالصابون » . وقال محمد بن احمد بن عبدون التجيبي : (✱) « يجب ان تكون صهاريج الحمامات معطاة ، فان كانت مكشوفة لم نؤمن نجاستها ، فهو موضع طهارة ، يجب الا يمشي الطياب ولا الحكاك ولا الحجام في الحمام الا بالتبان (✱) وسراويلات ، يجب الا يحك مسلم

(✱) ملامح من المجتمع العربي . سلسلة « اقرأ » تأليف عبد الغني حسن .
(✱) نهاية الارب ج 1 .
(✱) الموشى او الظرف والظرفاء لابي الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء (320 هـ 936 م) .
(✱) التبان : سروال قصير كان يستعمل للاستحمام في الانهار، وشواطئ البحار .
(✱) تاريخ الدولة الفاطمية تأليف الدكتور ابراهيم حسن ص 625 .

يارجل لا تقل غير الصدق ، ولا تشهد بغير الحق . وقل لي هذا الرأس لأيهما ؟ فقلت : ياعافاك الله ! هذا رأسي قد صحبني في الطريق ! وطاف معي بالبيت العتيق ! وما شككت انه لي ! فقال لي : اسكت يافضولي . ثم مال الى احد الخصمين فقال : يا هذا الى كم هذه المنافسة مع الناس . بهذا الرأس ؟ سل عن قليل خطره ، الى لعنة الله وحر سقره ! وهب ان هذا الرأس ليس ! وانا لم ير هذا التيس ! قال عيسى بن هشام : فقمت من ذلك المكان خجلا ، ولبست الثياب وجلا ، وانسللت من الحمام عجـلا .... »

وكثيرا ما اوحى الحمام بالوان من المعاني الشعرية مختلفة الالوان والمشارب .

دخل الشاعر الزجال ابو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن بقي القرطبي (*) الحمام ، فوجد فيه ابا جعفر ابن هريرة التطيلي المعروف بالاعمى (*) فقال له اجز

حمامنا كزمان القيظ محتدم
وفيه للمرد صر غير ذي ضرر

فقال الاعمى

ضدان ينعم جسم المرء بينهما
كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

وقال انهما التقيا مره اخرى بالحمام فقال الاعمى :

يا حسن حمامنا وبهجته
مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حواهما كنف
كالقلب فيه السرور والحزن

ثم اعجبه هذا المعنى ايضا فقال فيه :

ليس على لهونا مزيد ... ولا لحمامنا ضريب
ماء وفيه لهيب نار ... كالشمس في ديمة تصوب
وابيض من تحته رخام ... كالثلج حين ابتدا يذوب

وورود لفظة « الثلج » تثبت ان قائل هذه الابيات اندلسي وانه يستطيب دخول الحمام وبالخصوص في فصل الرياح والامطار . ومن المعلوم ان كل شاعر يحلق في الجو الذي اختاره لنفسه وينسج على المنوال الذي استحسنه مستحلبا المعاني التي تلائم هواه ومذهبه .

قال بعضهم (وربما يكون ابن الوردي) :

وما اشبه الحمام بالموت لامرىء
تذكر ... ولكن اين من يتذكر ؟
يجرد عن اهل ومال وملبس
ويصحبه من كل ذلك مئزر (*)

وقال ابو الطيب المأموني ، شاعر اليتيمة :

وبيت كأحشاء المحب دخلته
وما لي ثياب فيه غير اهابي
أرى محرما فيه وليس بكعبة
فما ساغ الا فيه خلع ثيابي
بماء كدمع الصب في حر قلبه
اذا آذنت احشاؤه بذهاب
توهمت فيه قطعة من جهنم
ولكنها من غير مس عقاب
نثير ضبابا بالبخار مجدلا
تدور زجاج في سماء ضباب (*)

ومن قصيده لأبي عمرو ابن دراج في وصف الحمام :

انعم بحمام حمى لك ماؤه ... وعلى عدوك ترحة وحمام
منفرج الابواب عن صحن نوى ... فيه الصباح وشرد الاظلام
وكأن فيه من الربيع سجية ... فيها تساوى الليل والايام
مفض الى حر الهجير وناره ... برد عليك وان غلى وسلام
و بألف من مائه ورخامه ... شكلان تشكل فيهما الاوهام
هل تحت هذا الماء ماء جامد ... ام ذاب من فوق الرخام رخام؟
وهو الزمان شتاؤه ومصيفه ... وخريفه وربيعه البسام (*)

وقال بعض الشعراء ممن تيمهم الحب ، فاحرقت نار الغرام قلوبهم واغرقت دموع الهيام جفونهم :

لم ابق بالحمام طيب تنعم
افنى البكاء دموع عيني اجمعا
فبكيت فيه اسى بجسمي كله
حتى كأن لكل عرق مدمعا (*)

وقال صاحب كتاب نهاية الارب : وانشدني جمال الدين محمد بن عبد الحكم لنفسه :

قالوا تراك دخلت حماما وما
خلف الهوى يلتذ بالاهواء

(*) كتاب نفح الطيب ج 3 مطبعة السعادة مصر 1949 ، والذخيرة لابن بسام ج 1
(*) نفس المصدر ج 4
(*) نفح الطيب ج 4
(*) الذخيرة لابن بسام
(*) الذخيرة لابن بسام .
(*) ملامح من المجتمع العربي سلسلة اقرأ . تأليف محمد عبد الغني حسن .

ان سوء الظن بالنساء نزعة قديمة . فهن « صواحب يوسف» وكيدهن عظيم ، ولكن هل الرجال ملائكة ! هل كل الرجال يستطيعون ان يقولوا قول يوسف : « رب السجن احب الي مما يدعونني اليه » .

اجل فانهن اميل من الرجال للتفاخر والتباهي بالثياب والحلي ولكن :

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول

ومن الملاحظ ان الحافظات لفروجهن تكن اكثر عددا من الحافظين لفروجهم ، عند ما يكون افراد المجتمع وبالخصوص الشبان والكهول يتورعون عن التعرض لاعراض المحصنات . واما عند ما تكثر مسببات اختلاط الحابل بالنابل ، والبر بالفاجر ، والمعقل بالشاطر ، والمدبر بالمهور ، فان مساعدة الحرائر على التحصن والتعفف تصبح من واجبات الارواح . قال ابو العلاء المعري مخاطبا المرأة .

ولا تأتي الحمام ، فقد جاء ناصح
بحرمته ، من قبل ان تفسد الناس

فكيف به لما اعتدى في طريقه
رجيب وحواش وشيخ واسناس (*)

سارح بالعرب الاعاجم والتقى
على الغدر انواع بدم واجناس

اناس كقوم ذاهبين وجوههم
ولكنهم في باطن الامر نسناس (*)

ان ابا العلاء المعري عاش في زمن مضطرب سياسيا وخلقيا فقد جبل هو نفسه على سوء الظن بالمرأة ، ولم يكن نقده مقصورا على المرأة المسلمة وحدها . بل كان يشمل اليهوديات والمسلمات . قال في آخر تائيته المشهورة :

وساو لديك اتراب النصارى
وعينا من يهود ومسلمات

فانه كان مسرفا في اساءة الظن بالمرأة حتى انه كان لا يرى لها خيرا في التعلم ، ولا في الخروج الى الحج والمسجد والحمام ، ولا في اتصالها بالعراف والمنجم بل هو الذي قال :

ودفن الغانيات لهن اوفى
من الكلل المنيعة والخدور

فالشاعر ابو الطيب المتنبي ، قارن بين حسن البدويات الطبيعي وحسن الحضريات المتكلف حيث قال :

ما اوجه الحضر المستحسنات به
كأوجه البدويات الرعابيب

حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حسن غير مجلوب

افدي ظباء فلاة ما عرفن بها
مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

ولا برزن من الحمام مائلة
اوراكهن صقيلات العراقيب

فهو يرفع من شأن البدويات لان حسنهن غير متكلف ولا ناتج عن استعمال الادهان والمساحيق ، وهن فصيحات لا يمضغن كلامهن غنجا كنساء الحضر اللائي يصبغن حواجبهن ويحلين حسنهن بان يدخلن الحمام فيخرجن منه وقد سددن خصورهن فسحبت اوراكهن من تحتها وصقلت عراقيبهن .

فابو الطيب لا يرى بأسا في ان تدخل المرأة الحمام وانما يستنكر — تلميحا على الحضريات ان يجعلن من الذهاب الى الحمام فرصة لابداء محاسنهن « لغير بعولتهن » ، ونحن ان كنا نرى الكثير من الفقهاء يعتبرون السماح للمرأة بالدخول الحمام فتحا لباب من ابواب المفاسد ويفتون بتحريم الحمامات عليهن ، فان تاريخ النظم الاسلامية ، واستعراض مظاهر الحياة اليومية في عصرنا هذا ، وتطور العادات والتقاليد الاجتماعية ، كل ذلك يحملنا على القول بانه يصعب ، بل يستحيل تطبيق تلك الفتاوي وانه من الافضل ان نعمل على نشر كل ما من شأنه ان يساعد على التحلي ، بالفضائل ، بالعفة وبحث عقوبا على غض البصر .

ومن جهة اخرى فان الحمامات الخصوصية اصبحت شيئا متعارفا في المدن وغدت من المرافق العادية في الكثير من الدور الحديثة ، كما ان الحمامات العصرية قد كثرت واصبح من المألوف ان يدخل مقاصيرها النساء والرجال ساعة النهار وفي طرفي الليل . ومن الحق ان يقال ان اغلبها لم يقصد منها الا تيسير وسائل الطهارة والتخفيف مما يتطلبه الاغتسال بالحمامات العادية القديمة من ضياع الوقت ، والتعرض للتيارات الهوائية وآفات اختلاط الصالح بالطالح .

وكل ما تقدم يؤكد وجوب الاعتناء بتربية البنات والبنين والفتيات والنساء والرجال وتعويدهم التبصر في عواقب ما يقدمون عليه من تصرفات واتجاهات ، كما يؤكد وجوب الاستمرار في الاعتناء بالحمامات من حيث اختيار مواقعها ، وهندسة قبابها ، وطرق تسخينها ، ومروءة المشرفين عليها واحترام آداب الاستحمام بها .

الرباط — عبد القادر الخلادي

---

* اسماء اعجمية .
* جنس من الخلق خرافي يشبه الانسان ، زعموا ان له عينا واحدة ورجلا ويدا من شق واحد ، وانه يخرج من الماء واذا ظفر بالانسان قتله . ومن الاقوال المأثورة : ذهب الناس وبقي النسناس .

اليهودي ولا النصراني .... لا يجلس مقبل الحمام للنساء فانه موضع تمنع وزنى ولا يكون متقبل فنادق التجار والغرباء امرأة فذلك عين الزنى ... »

يفهم من النص اعلاه ان اليهود والنصارى كانوا يدخلون للحمام مع المسلمين ، سواء في الشرق او في المغرب ، وذلك قصد الاغتسال والاستحمام ، وقد عرف ذلك في المغرب الى غاية العشرين سنة الاولى من عهد الحماية .

يحكى ان الخليفة الفاطمي الحاكم هو اول من امر بان « تكون الصلبان في اعناق النصارى اذا دخلوا الحمامات العامة ، والجلاجل في اعناق اليهود ، ليتميزوا بذلك عن المسلمين ، ثم افرد في سنة 408 هـ ، حمامات اليهود وحمامات النصارى عن حمامات المسلمين ؛ كما خصصت حارة زويلة ، بالقاهرة لليهود في ذلك الوقت » (✱) .

ومما هو جدير بالذكر ان الافرنج الذين استوطنوا الشام اثناء الحروب الصليبية كانوا اول من استحسنوا الاغتسال في الحمامات الاسلامية . « فاقبلوا عليها اقبالا ، وقصدوها في اوقات فراغهم يقضون فيها الساعات طلبا للراحة ، فضلا عن الغاية الاولى منها وهي النظافة ، والظاهر ان البعض افرطوا في ذلك ايضا ، الشيء الذي حمل رجال الكنيسة على ان يحتجوا على الراهبات « لخروجهن من الاديرة ، مخالفات بذلك انظمة حياتهن ، لذهابهن الى الحمامات العامة وحضورها مع عامة الناس (✱) .

قلنا ان الحمام مفتوح للابرار وللفجار الا ان الاخيار والاتقياء من الناس يجتنبون ما قد يرى فيه من منكرات . ومن العلماء من شرطوا شروطا يجب توفرها لدخول الحمام . ان الغزالي في « الاحياء » وابن الحاج (✱) في « المدخل » « وابن جزي (✱) » في « القوانين الفقهية » كل منهم ذكر تلك الشروط وتكاد تكون متشابهة في المبنى والمعنى .

قال ابن جزي (الباب الثاني عشر . دخول الحمام) . وهو للرجل دون النساء بعشرة شروط :

الاول : ان يدخل وحده او مع قوم يستترون ويغتنم اوقات الخلوة وقلة الناس .

الثاني . ان يستر عورته بازار صفيق .

الثالث : ان يستقبل الحائط لئلا يقع بصره على محظور .

الرابع : ان يغير برفق ما يرى من منكر .

الخامس : الا يمكن الدلاك من عورته من السرة الى الركبة الا امرأته ومملوكه .

السادس : ان يدخله بنية التداوي والتطهر من الوسخ .

السابع . ان يدخله باجرة معلومة بشرط وعادة .

الثامن . ان يصب الماء على قدر حاجته .

التاسع . ان يتذكر به جهنم .

العاشر . ان لم يقدر على دخوله وحده ، ان يكتريه مع قوم يحفظون اديانهم . وقال : « واما النساء واختلف في دخولهن . فقيل يمنعن من الحمام الا من ضرورة كالمرض او شدة البرد وشبه ذلك ، وقيل انما منع حين لم يكن حمامات منفردة ، فاما مع انفرادهن دون الرجال فلا بأس . ثم اذا دخلت ، فقيل تستر جميع جسدها ، وقال ابن رشد : لا يلزمها من الستر مع النساء الا ما يلزم الرجل ستره مع الرجال ، فان النساء مع النساء كالرجال مع الرجال » « وجاء في كتاب « الاحياء » اثناء الكلام عن الطهارة : « الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطرق ، وذلك بزيالة الحمام ، ولا بأس بدخول الحمام ، دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام ، وقال بعضهم . « نعم البيت بيت الحمام ، يطهر البدن ويذكر النار » وقال بعضهم « بئس البيت بيت الحمام ، يبدي العورة ويذهب الحياء » . فهذا تعرض لافاته وذلك تعرض لفائدته ، ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته » واورد هذا الحديث الشريف : « فلا يدخلها (اي الحمامات) الرجال الا بمئزر ، وامنعوها النساء الا مريضة او نفساء » واما ابن الحاج فانه قال فيما يخص المرأة ، بعد ان ذكر شروط دخول الحمام بالنسبة للرجل . « ينبغي للزوج الا يأذن لزوجته في دخول الحمام لما اشتمل عليه ، في هذا الزمان ، من المفاسد الدنيئة والعوائد الرديئة ، ثم يضاف الى ذلك محرم آخر ، وهو ان اليهودية او النصرانية لا يجوز لها ان ترى بدن الحرة المسلمة وهن يجتمعن في الحمامات مسلمات ونصرانيات ويهوديات ... ولو اخلى لاهله الحمام ليلا ، واستترن فلا بأس .. الا ترى ان الواحدة منهن اذا ارادت الحمام استصحبت معها افخر ثيابها وانفس حليها فلبستها حين فراغها من الغسل ، بذلك المفاخرة والمباهاة » .

(✱) عن كتاب « العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية » ص 150 ، تأليف الدكتور زكي النقاش .

(✱) ملامح المجمع العربي .

(✱) هو ابو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج توفي بالقاهرة سنة 737 هـ ــ 1336 م .

(✱) هو ابو القاسم محمد بن احمد بن جزي الكلبي الغرناطي ولد 693 هـ ومات شهيدا في واقعة طريفه سنة 741 هـ .

ضمن خطة منظمة ، لاستئصال الجذور الفكرية للنظريات العنصرية او التخفيف منها على الاقل ، ولنستعرض — سريعا — بعض النتائج المحصل عليها بهذا الصدد والمحاولات المبذولة هنا وهناك ، فمن الناحية العملية يلاحظ ان روح الميثاق — على الرغم من عيوبه الكثيرة — قد فرضت على هيكل الامم المتحدة وتنظيماتها حالة فعلية من اللا عنصرية ، فالميثاق يفتح الباب على مصراعيه — مبدئيا — لولوج كل الدول ، باب المنظمة وليس هناك اي اعتبار آخر الا اعتبار الشروط العادية التي يجب توفرها في جميع الاحوال من هذا القبيل، وقد تبدو هذه المسألة بديهية الى حد لا يستوجب الاشارة اليها بتاتا ، بيد ان المهم فيها ليس مجرد فتح باب العضوية مبدئيا — وقد كان ذلك حاصلا ايضا في عصبة الامم وغيرها — وانما الاهم من ذلك ، انفتاح المجال امام الدول الملونة لمنافسة الدول الكبرى داخل الامم المتحدة والمساهمة في توجيهها توجيها يحقق اهداف المساواة التي يسعى اليها كل الملونين في شتى انحاء الارض وبتأثير النفوذ الذي اصبح متوافرا هكذا للاقطار الملونة داخل الامم المتحدة فان الهيئة قد اصبحت ملزمة باتباع سبل افريقيا في مكافحتها ، الانظمة العنصرية في القارة وموازرة الحركات المحلية التي تقوم بدور نضالي في هذا السبيل ، هذا من الناحية العملية ، اما الجانب النظري من جهود الامم المتحدة ضد السلالية والفكر السلالي في العالم، فهو لا يقل اهمية عن غيره ، خاصة وان المنظمات التي تحتضنها المنظمة الاممية الان تواريها حركات المطالبة بالحقوق المدنية وحتى بحق تقرير المصير كما هو الحال في اتحاد جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية ، وتتركز نشاط الامم المتحدة — ضمن النطاق النظري — في الجهود التي تبذلها من اجل مناهضة الفلسفة العنصرية وتجريدها من علميتها ومنطقيتها عن طريق المناهج الدراسية العلمية التي تجري تحت اشراف اختصاصيين عالميين وبدافع من مصالح الامم المتحدة المعنية بمثل هذه الشؤون ويرجع الاهتمام بمعالجة المسألة العنصرية على هذا النحو الى نحو خمسة عشر سنة مضت ، ففي سنة 1950 اولى المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للمنظمة عناية مبدئية بالمشكلة العنصرية القائمة وقام باتصالات مع اليونسكو بهذا الصدد وفي نفس السنة صدر التصريح العالمي الشهير حول نقض فكرة العنصرية وكان هذا التصريح ثمرة الابحاث التي قام بها مؤتمر دولي عقد بهذا الشأن تحت اشراف اليونسكو ، وضم نحو 49 عالما مختصا من جنسيات مختلفة من اوربا وامريكا وآسيا) وقد كان المؤتمر يكتسي صفة علمية صرف ، فلم تطغ عليه مسبقات سياسية او تكتيكية ، ولم يكن الهدف منه الا مجرد التوصل لحقائق علمية اصيلة حول تنوع الاجناس البشرية وهل تنتسب في جوهرها الى اصل واحد ام تعود الى اصول مختلفة وهل الاختلاف الملحوظ في مستويات الحضارية عند الاجناس يرجع الى اسباب وراثية ام الى عوامل طارئة لا غير ، (جغرافية واقتصادية وغيرها) هذا الى ابحاث جوهرية من هذا النوع ، وقد تضمن الفصل الاول من التصريح اعلانا حاسما بان الانسانية تنتسب بالفعل الى عنصر واحد ، هو العنصر الانساني ، كما اثبتته الابحاث والتحريات العلمية الدقيقة في هذا الموضوع ، ووضع الفصل الثاني حدودا دقيقة لمفهوم العنصر مجردا اياه من ملابساته الوهمية التي اكتسبها تحت تأثير الافكار العنصرية التقليدية ونص الفصل السادس على ان الجماعات اللغوية والجغرافية والدينية وغيرها لا تقابل حتما مدلول الجماعات العنصرية اي ان اختلاف العنصر لا يتحكم في تحديد الاختلاف اللغوية والثقافية وغيرها ، فليس هناك ثقافة او دين او حضارة ما خاصة بعنصر دون غيره ، كما يحال رواد الفلسفة السلالية في العالم ، وتمت فصول اخرى في ذلك التصريح العلمي الدولي تجري على هذا النسق مستندة في كل تأكيداتها على الاعتبارات العلمية الجافة دون سواها وقد عقد بعد ذلك اجتماع دولي ثان لتوسيع دائرة البحث العلمي حول الموضوع ومقابلة بعض وجهات النظر العلمية التي ظهرت بعد انعقاد المؤتمر الاول ، وكان من امرها ان احدثت بعض الاختلاف بين العلماء المختصين ، وصدر تصريح ثان يكرر تأكيدات المؤتمر الاول الا انه يتضمن بعض الاضافات التي روعيت في وضعها وجهات النظر الجديدة حول الموضوع ، وقد زادت عناية العلماء في العالم خلال السنوات الاخيرة بموضوع المشكلة العنصرية ، ويظهر ان استفحال مظاهر المشكلة في عدة اقطار هنا وهناك قد كان له تأثير غير مباشر في اثارة هذا المزيد من الاهتمام، وان كانت القضية تلفت في جوهرها — وباستمرار — نظر الاوساط العالمية بغض النظر عن الظروف العارضة والاحداث الجارية وهكذا شاهدت السنة الفارطة مؤتمرا دوليا جديدا حول الموضوع عقد بموسكو خلال فصل الصيف ، وحضره اختصاصيون في علوم الوراثة ، والانثروبولوجيه وغيرها من الفروع العلمية التي تمس الموضوع العنصري من جهة او ثانية ، وقد كرر المؤتمر التأكيد الدولي العلمي بان الانسان ليس له اجداد مختلفون في التكوين والخصائص ، وانما يمت بنسبه الجوهري الى جد واحد ، واذا كان فريق من العلماء قد بدأوا متقبلين لمبدأ تقسيم الجماعات البشرية الى اقسام بحسب ما يوجد بينها من اختلافات في السحن والملامح ، وما الى ذلك فان فريقا آخر من العلماء قد ذهب الى ان تصنيف الشعوب الى سلالات مختلفة اعتمادا على ما يلحظ بينها من اختلافات طبيعية سطحية لا يتقبله العلم ولا يستقيم مع الروح العلمية المطلقة ، ولم يعدم الجانبان ما يدعم رأي كل منهما من براهين علمية مستقاة من ملاحظة الظواهر الجغرافية والبشرية وغيرها ، غير انه — بالرغم عن التشعب هكذا في المناقشات التفصيلية فان البيان الذي صدر عن مؤتمر موسكو دل في عمومه على ان وجهة النظر العامة التي اخذ بها اعلام الانتروبولوجيا وعلم الحيوان ، والطب والتحليل المختبري في مختلف انحاء العالم كانت في صالح مذهب اللا عنصرية طبقا لما دلت عليه الحقائق العلمية المتضافرة التي

عمليا في تنفيذ الافكار العنصرية ، وان كان هذا لا يلزم الاتحاد الامريكي ككل ، وخاصة بعد صدور قانون الحقوق المدنية ، واجتهاد الحكومة الفيدرالية لوضعه موضع التطبيق على مستوى الحياة السياسية والاجتماعية العامة ، ومن غير شك فان الولايات العنصرية الامريكية واتحاد جنوب افريقيا ليس كل منها الا مجرد مثال للتدليل على حالتين متقاربتين من حالات الاضطهاد العنصري في العالم، والا فالمسألة العنصرية في شكلها الاضطهادي العنيف توجد لها امثلة اخرى ، كثيرة ، في نمط مختلف من العالم وان كانت اصداء مثل هذا الصراع لا تدوي كثيرا في الاسماع ، اما لضعف الوعي الاجتماعي عند ضحايا العنصرية من هذا النوع ، او لانهم اقلية ضئيلة جدا ، لا يؤبه لها ولا يسمع صوتها او ان ظروفا سياسية او اقتصادية او روحية معينة حالت دون نشوب حالة من الصراع من هذا النوع الذي يثير عادة اهتمام العالم هنا وهناك واذا ما توسعنا في مفهوم الاضطهاد العنصري (ونستعمل التعبير هنا تجوزا فقط) كما تتمثل صور عديدة له في بعض نواحي العالم شرقا وغربا ، فاننا سنلاحظ ان دواعيه وموضوعاته ليست دائما من نوع واحد يرجع الى اسوداد اللون او اصفراره ، او ما في حكم ذلك ، كما يفهم عادة من مدلول الكلمة السطحي ، فهناك فعلا حالات اضطهاد عديدة ليس للون او للعنصر فيها دخل ذو شأن كبير وانما ترجع الى اعتبارات اخرى ، كالاعتبارات الدينية (مثال اضطهاد البوذيين على عهد النظام الفيتنامي السابق) او لاعتبارات اقتصادية واجتماعية ، كحالة المقاومة الاجتماعية التي تجدها بعض الاقليات الهندية والصينية في الاقطار الاجنبية ، نتيجة الشعور بان هذه الاقليات تزاحم السكان المحليين في مواردهم الاقتصادية ومكاسبهم الاجتماعية ، وقد يكتسي الامر في بعض الحالات صورة صراع داخلي ليس من نوع الاضطهاد المنظم ضد اقلية معينة ، وانما هو امر نزاع طائفي تتحكم فيه اما عوامل ثقافية ، كما هو الشأن في بعض اقاليم الهند ، وبلجيكا مثلا ، واما بواعث سياسية في الدرجة الاولى مثل ما عليه الامر في قبرص او بعض الاقطار الاخرى التي تعاني الحزازة في نوع المشاكل الطائفية القائمة بها طيلة السنوات الاخيرة ، واذا وضعنا الظواهر الملحوظة ضمن تصنيفات من هذا القبيل فلا يعني ذلك ان كل ظاهرة يتحكم فيها عامل وحده دون غيره من العوامل كلها ، فالواقع ان كل ظاهرة اضطهاد او صراع طائفي او عنصري ، تكمن وراءها عوامل متعددة تتداخل فيما بينها تداخلا دقيقا ومعقدا ، ويؤثر كل منها بنسبة جد مختلفة ، فهناك تقريبا وراء كثير من الظواهر العنصرية او الطائفية مداخلات نفسانية سواء ذات اساس روحي او ثقافي او سياسي او كل ذلك ، ومداخلات اخرى مادية ذات اصل اقتصادي او ديموغرافي او جغرافي او هذه الاصول مجتمعة ومع ذلك ، فانه يوجد ثمة في كثير من الحالات عامل غلاب له التأثير الاساسي اكثر من غيره ، ولهذا فاننا ننسب اليه الظاهرة — من باب التصنيف — فنعتبرها دينية او سياسية او غير ذلك بحسب ما يلحظ من غلبة عامل ما على غيره من العوامل الاخرى في خلق تلك الظاهرة وتطويرها ، لكن هناك حالة عنصرية معينة ، تعاني منها منطقة مهمة من مناطق العالم هي منطقة الشرق الاوسط — هذه الحالة العنصرية الخاصة ، يمكن تصنيفها مع مختلف الاحوال العنصرية الاخرى الموجودة في العالم ، لان العوامل التي تكمن وراءها هي من التعدد والتشعب بدرجة كبيرة جدا ، ولا يكاد عامل من هذه العوامل يغلب على غيره ، والحالة العنصرية هذه هي التي تتمثل في سلوك اسرائيل تجاه الاقليات العربية التي تعيش تحت سلطانها ، فالعنصرية التي يطبع بها هذا السلوك — كما تدل عليه ملاحظة الظروف التي يعيش فيها العرب هناك ، علاوة على الاشهادات والتقريرات التي تدلي بها مصادر صحفية اجنبية مختلفة — هذه العنصرية لا تحدد واقعها — على ما يبدو — في مجرد الاعتبارات السلالية او السياسية الصرفة ، بل ان العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى الدينية في بعض الاحيان ، لها شأنها في الامر ، وبصورة تدل عليها العقلية اليهودية ، والمؤثرات النفسية والفكرية والتاريخية وغيرها التي تطبع هذه العقلية وتحدد موقفا معينا لها امام الناس والعالم .

* * *

عنيت الامم المتحدة منذ عهد بعيد — كما تقدم — بقضية الاضطهاد العنصري والتمييز بين السلالات والطوائف والاقليات في شتى انحاء العالم ، ولم تكن الدوافع لعناية المنظمة الاممية بهذه القضية ناتجا عن مجرد الاعتبارات الفلسفية — الانسانية ، بل ان القسط الاكبر في ذلك يعود — كما تظهر — الى المشاكل السياسية المعقدة التي تثيرها الوضع العنصري في العالم ، وهذه المشاكل — وان تكن داخلية في كثير من الحالات — فانها تحدث احيانا مضاعفات مهمة ، تنعكس آثارها على الوجود الدولي الذي تعني صفاؤه الامم المتحدة بصورة خاصة ومباشرة ، وعناية الامم المتحدة بالمشكل العنصري قد كان دافعا لها لاتخاذ خطة مرسومة بهذا الصدد ، وتطبيق سياسة معينة تسير سيرا متوازيا مع سياسة الهيئة في ميادين اخرى ، كالتربية والتثقيف، وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالعالم ، وغير ذلك من النقط التي تحتمها روح الميثاق ويفرضها وجود المنظمة نفسه ، ومن الممكن — لاجل تقييم جهود الامم المتحدة في ميدان المسأ[لة] العنصرية ، من الممكن تصنيف هذه الجهود الى صنفين رئيسيين

1) فهناك — اولا — بهذا الصدد مكتسبات عملية ، نجد الا[...] تطبيقا حقيقيا لها في الحياة اليومية داخل مصالح هذه المنظم[ة] ومرافقها ، ثم تجد تطبيقها كذلك في طبيعة الروح التي تضف[ي] الامم المتحدة على الجو الدولي وما تبثه هذه الروح من اسب[اب] التفكير السلالي ، وما في نوعه عن حظيرة الحياة الدولية والعا[لمية] اما من الناحية النظرية ، فثمت مبادرات تقوم بها الامم المتحد[ة]

مصالح الامم المتحدة بهذا الصدد ، بالتعاون مع الاقطار المعنية بالامر ، يستهدف تمديد هذه الجماعات البدائية وادماجها في المجتمع المتحضر الذي تؤول اليه ، وليس من السهولة انجاز مهام واسعة من هذا النوع في امد قصير ، ولهذا فسيبقى من الضروري مرور كثير الوقت قبل ان تتمكن المجتمعات الامريكية اللاتينية بالتعاون مع الامم المتحدة — من حل جميع المشاكل المعقدة الناتجة عن وجود الجماعات البدائية الكثيرة المنتشرة في انحاء القارة ، وضرورة ادماجها نهائيا في حظيرة المجتمعات العادية ، وقد انقضى على البرازيل من جهتها وقت غير قصير وهي تواجه بعض القضايا الاجتماعية التي تختلف بعض الشيء عما تقدم ، وتتعلق — على الاخص — بسياسة هذه البلاد في موضوع الاندماج النهائي بين البيض من جهة ، والسود من جهة اخرى ، والخلاسيون المولودون من العنصرين من جهة ثالثة ، ولا تعاني البرازيل حقيقة — من وجود عداء عنصري سافر في طبقاتها الاجتماعية ، ولا حتى شعور ملموس بالكراهية المتبادلة بين الملونين وغير الملونين ، الا ان هناك فوارق عملية وسلوكية واجتماعية شاسعة بين هؤلاء واولئك ، وقد وجدت البرازيل في ذلك عقب الحرب قضية مهمة تعسر معالجتها ، والنجاح في هذه المعالجة شيئا حيويا لتطور المجتمع البرازيلي الحديث ومستقبله كدولة يؤمل لها ان تصبح من بين الدول الكبرى في العالم .

وامام الامم المتحدة مجال واسع لتقديم مساعداتها بهذا الصدد ، لا بالنسبة لدول امريكا اللاتينية فحسب ، بل بالنسبة لعدد كبير جدا من الدول التي تعاني بنسبة او اخرى من عدم التماسك في كيانها الانساني او اوضاعها الثقافية والاجتماعية

فالمجتمع الانساني الحاضر — على الرغم من خطوات التقدم المادي والادبي التي حققها في مختلف الميادين ، فان مجمل احواله وظواهره لا تزال تعكس قدرا كبيرا من النقائص الاجتماعية والفكرية وغيرها ، مما لا يمكن تحديد مداه بدقة وسهولة ، وهذه النقائص — التي من بينها الفكرة السلالية الصريحة ، والاوضاع التي تتحكم فيها نسبة من السلالية الصميمة ، كل هذه النقائص هي حصيلة عصور متصلة ساد فيها الرق الرسمي والضمني بصورته الفردية من جهة — وكانت افريقيا السوداء من ابرز المراكز التي يقع على حسابها هذا الرق حيث كانت الجماعات البشرية ترحل على نطاق واسع للعمل الجماعي بالاراضي المكتشفة حديثا بامريكا وغيرها — هذا في نفس الوقت الذي اخذت فيه نتائج التوسع الاوربي تتخذ شكلا اجتماعيا راديكاليا بحيث صار ذلك التوسع يفضي الى تفتيت مجتمعات معينة كالمجتمعات البدائية في الشرق الاقصى ونصف الكرة الغربي ، واقامة مجتمعات جديدة هي مزيج من عدة اعراق وآفاق ، وهذا بالاضافة الى غيره من رواسب عهود الاقطاع في اوربا ، وعصور الانحطاط في الشرق وما قبل عصور الانحطاط كذلك وهناك ايضا عدة عوامل اخرى جغرافية وطبيعية واقتصادية، وغيرها كان لها تأثيرها في قيام مثل هذه الاحوال المعقدة التي تجتهد الانسانية في تصفيتها الان عن طريق الوسائل العلمية والسياسية والفكرية ، ومن غير شك فان النجاح في هذه التصفية والاحراز على نتائج موضوعية من ورائها ، سيتوقف عليه جانب مهم من تطور الانسان والحضارة في مدى العقود القليلة المقبلة (بحول الله) .

المهدي البرجالي

توصلوا اليها بهذا الشأن ، ومن المنتظر ان يعقد مؤتمر دولي آخر تحت اشراف اليونيسكو ايضا وذلك خلال السنة القادمة (1966) ويعتبر هذا المؤتمر القادم كامتداد لاعمال مؤتمر موسكو السابق ، غير ان الاهتمام سيزداد فيه اكثر بالجوانب الاجتماعية والاخلاقية للقضية العنصرية في العالم ، وقد كان المؤتمر الماضي ذا عناية اشد بالقضايا البيولوجية والطبيعية لهذه القضية ، ومن المقرر ان يصدر في نهاية المؤتمر المنتظر تصريح علمي آخر يتناول وجهة النظر الدولية حول المشكل العنصرية واقرار وجهة النظر هذه بصورة حاسمة على ضوء العلم والابحاث العلمية المتوصل اليها في هذا المجال .

والى جانب النشاط العلمي الدولي المركز حول القضية العنصرية ، هناك نشاط سياسي دولي كذلك يدور حول هذه القضية ذاتها ، ويجد مجالا واسعا له في حظيرة الامم المتحدة والمرافق التابعة لها فقد اقتضى وقت طويل ، وبعض البلدان المعروفة بسياسة التفرقة بين الاجناس كاتحاد جنوب افريقيا تتعرض داخل الهيئة الاممية لضغط دولي متزايد ، قوامه الدول الافريقية بصورة اخص ، وقد اتسع نطاق التطورات في هذا الميدان خلال الفترة الاخيرة ، اذ ان منظمة الصحة العالمية التابعة للامم المتحدة توشك ان تتبنى — بتأثير الدول المضادة للعنصرية — قرارا يقضي باقفال الباب المنظمة الصحية دون اية دولة ، تاخذ بفكرة التفريق بين الاجناس ، وتطبق سياسة معينة تنبني على ذلك .

★ ★ ★

لقد اشرنا في فقرة سابقة الى ان هناك حالتين بارزتين من حالات التناقض الاجتماعي بالعالم ، احظرهما شانا هي الحالة التي تتمثل في التمييز العنصري والتفرقة بين الاجناس ، وهذه هي التي تتعرض اليوم للنقد والمعارضة العالمية سواء على الصعيد العلمي او السياسي او الفكري او ما يشبهه ، والحالة الثانية هي حالة المجتمعات التي تكونت حديثا من عناصر مختلفة وتعيش بسبب ذلك في مرحلة تطور وتفاعل شديدين — من الناحية الاجتماعية بالاخص — وهذا التفاعل والتطور لا يؤديان بالضرورة الى مشكلة اضطهاد منظم توجهه طائفة من السكان ضد الاخرى ، ولكنه يحدث فقط مشاكل اقتصادية وتنظيمية ، واجتماعية في الدرجة الاولى يمكن ايجازها كما يلي :

1) تأطير السكان البدائيين الذين لا يزالون على الفطرة ولم يتأثروا بعد بمعطيات الحضارة الحديثة .

2) ايجاد نوع من الانسجام الاجتماعي والاقتصادي بين العناصر البيضاء المنحدرة من اصول اوربية وبين العناصر الملونة من سكان اصليين وخلاسيين وما في نوعهم الخلاسي المولود من ابوين اسود وابيض .

3) ادماج المهاجرين الجدد في اطار المجتمع العام والتغلب على مجمل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية وحتى النفسية ، التي تنتج عن ذلك .

4) التخفيف من حدة الفوارق اللغوية والثقافية والعقلية الموجودة بين فئات مختلفة من المجتمع ومحاولة ايجاد اساس ما لوحدة من هذا القبيل جزئية او كاملة .

وثمة عدد من المشكلات الاخرى من هذا النوع ، وكلها تحدث من المصاعب للمجتمعات التي تواجهها ما يكاد يعصف احيانا بتماسك هذه المجتمعات ويعرضها لهزات عنيفة ، ويبعدها عن الاستقرار ، ومن الامثلة التي تساق بهذا الصدد : مثال الهند (الفوارق اللغوية والثقافية والعقلية) وكثير من اقطار امريكا اللاتينية كالبرازيل (مشاكل المهاجرين وسكان المناطق البدائية) وبلدان اخرى بما فيها المتحضرة جدا ، كبلجيكا وكندا وغيرهما ان المشكلة في مثل هذه الاقطار وان كانت ناتجة احيانا عن وجود فوارق عنصرية او اجتماعية او اقتصادية او ثقافية او خلاف ذلك فانها تتميز في الواقع — عن الحالة السائدة في الاقطار التي تمارس التمييز العنصري بمعناه الكامل فان هذه الاخيرة تسيطر فيها طبقة عنصرية معينة لتضطهد الطبقات الاخرى بسبب لونها او تخلفها العقلي والاجتماعي والاقتصادي بينما الاضطهاد في الاقطار الاخرى لا تقوم كقاعدة اساسية للعمل بل كل ما في الامر ان الانسجام العنصري او الاقتصادي او الاجتماعي او الثقافي غير موجود فيها بالصورة المطلوبة .

وتعنى هيئة الامم المتحدة بهذه الحالة مثل عنايتها بمشاكل التفرقة بين الاجناس الموجودة في الاقطار التي تمارس الاضطهاد العنصري في العالم ، فاستمرار وجود جماعات بشرية تعيش على هامش الحياة الوطنية بل وتحيا بمنأى عن جو الحضارة ومنافعها ، ليس من شأنه الا ان يقود في النهاية الى خلق نوع من التمييز العنصري وان كان هذا التمييز ليس مصطنعا وليس مقصودا كما هو الشأن في البلاد العنصرية الحقيقية ، وتظل هذه الحالة توجد في عدد من الاقطار المتخلفة في آسيا وغيرها ولكنها تاخذ شكلا اكثر اثارة للاهتمام في بعض اقطار امريكا الجنوبية ، حيث تشغل القضية الاذهان بصورة جدية ، ويطلب بعض هذه الاقطار المساعدة الدولية بهذا الشأن في الميدان التقني والتوجيهي وغيره ومن امثلة ذلك العمل الذي قامت به في السنوات الاخيرة منظمات الامم المتحدة للعمل والصحة والزراعة والتربية لفائدة « بوليفيا » حيث كان يوجد بهذا القطر وفي منطقة « الاند » بالضبط جماعات من الهنود الحمر يبلغ تعدادها الملايين عاشت طويلا في حالة انعزال مطلق عن العالم ، ومنطقة « الاند » هي منطقة جبال متسلسلة تمتد على الساحل الغربي لامريكا الجنوبية ، وقد طال انعزال الهنود الحمر بها منذ عهد الاحتلال الاسباني ، على امتداد يشمل « البيرو » و « الايكواتور » ويستهدف العمل الذي قامت به

صرخها حاجب المحكمة ، هبطت علي من رواقه فـوق راسي ، وانا فى صحن المحكمة ــ زكي المحاسنـي ..

فرفعت راسي ، فاذا الحاجب «مصطفى المسكي» هو الذي ينادينـي ، فصعدت نحوه لاعلم السبب فقال تفضل ، اعضاء المحكمة بانتظارك ! ..

فعرفت انها السخرة المعهودة التي كانت تعمد اليها محكمة الجنايات فتسخر اي محام ناشىء يراه حاجبها لبدافع عن متهم مسكيـن قبل صدور الحكم عليه ، اذ لا يجوز فى شرعـة المحاكمات الجزائيـة ان يتجرد الطنيـن من مدافع عنـه .

فدخلت ردهة المحكمة ، فابندرني رئيسها وكان ذا لحية سوداء صبيغـة ، وكان صارما عاش فى العهد التركى ، وادرك العهد العربـي فى ديـار الشـام ، وبجانبه المستشاران وعلى يمينه المدعي العام ، فقال الرئيـس :

نحن بانتظار دفاع منك فى كلمتين ، لكـي نصدر الحكـم .

فادركنـي العجب ، ولم اكن قبل ذلك قد قمت باداء السخرة فى الدفاع عن المتهمين ، فطلبت رؤيـة ملف الدعوى ، فوضعه الحاجب امامى ، واذا هو فى حجم مجلد تراكمت فيه الاوراق ، ففتحت عن الحادثة التى جاءت بالمتهم الى قاعة المحكمة ، ثم التفت اليـه وهو فى قفص الاتهام ، عليه حلة زرقاء سابقة وسخـة وهو حافي القدمين ، منفوش شعر الرأس والصدر ، كأنه متوحش جيء به من الغابات .

وماذا صنـع ؟؟

وتفرست فى الملف واطلت التقليب فيه واهـل المحكمة متململون مني ، ولعل قد ادركهم التميز مـن القصب والقبط من الحاجب الذي ناداني .

ومـاذا رأيت ؟ ؟

وجدت غريمي الذي قذفني بالحجارة الضخام منذ اربع سنيـن وانا مكب على الدرس فى مصطبـة الامبراطور ، كان يسكـن فى اعالي جبل قاسيـون ، وحدا شريدا لا يأكل الا فى اطراف الليالي كسـرا الخبز القفار ، فلقد كـان متيما هـده العشـق ، مجنون لبلى ، مولع الذكرى بامراة كانت تسكـن بيت مطل على « مصطبة الامبراطور » وقد كـان مودا فى حبه مذهوب الفؤاد ذا غيرة كبرى وكانت ملة واسمها جميلة ، كحيلة العينين ، سابيـة به ، فحيل بينه وبينها ، وماتت ، فكان كلما طاف طائف ذكراها بين الشهور ، حام حول حماهـا فى كانت تسكنه فى تلك الساحة المنبسطة المشرفـة حي المهاجرين على مشاهد دمشق ، وحين اشتد به الولوع اصابه مس فكنت اول من قذفه بحجـر واستمر مريره فى ذكريات الحب الدارس ، فصـار يترصد الشبان اذا الم واحد منهم منفردا بالساحـة ليقذفه بالحجارة ويفر فى معارج الجبل ، عرفت اخباره هذه بعدئذ من الحارس الارناؤوط .

وكان اتهامه فى المحكمة بانه رمى انسانا كـان جالسا هنالك ذات مساء ، بحجر فرضخ به راسـه فأهلكـه ولم اكن قبل اعرف سيرة حبه ، ولو كنت عرفتها لسامحته منذ ذلك المساء الذي اراد بـه اصابتي ، ولا كانت سيرته هذه فى الحب والهيـام قد ذكرت بوضوح فى ملف الدعوى ، فنهضت مدافعـا عنـه ، وقلت لكاتب المحكمة .

اكتـب ،

فابتدرنـي الرئيـس بقولـه :

ومـاذا يكتب ؟

ان من حق الدفاع ان يملـي المدافـع مـا يريـد ، وهو حق مقدس ، يا سيـدي الرئيس .

وامليـت على الكاتـب

ارجو احالة المتهم الـى الطبيب العقلـي فى مستشفـى الجنون ، ليوضع فى المشاهدة ، فانـه ارتكب جرمه بسائق جنونى ، وهو الحب العظيـم والغيرة على المحبوب اذ ثبت فى التحقيق المسطور انه لم يكن بينه وبين المضرور ثأر او معرفـة .

ورفعت الدعوى شهرا وجاء الجواب بانه مصاب بنوبات ماليخوليـا يطيش بها عقله بين الحيـن والحيـن .

وكنت فى هذه المدة التي انصرمت عرفت سيرته من الحارس ، وسكان المصطبة ممـن اصدقـت دورهم بها ، فذكرت ذلـك للمحكمة وادليت بالشهود ممن عرفوا حادث الحب الكبير ، ولقد هـزت يومذاك الرئيس ذا اللحية السوداء حين انشدتـه بيتا من انشودة الاناشيـد لسليمان الحكيم ، يقـول فيهـا :

ضعني على صدرك كالميسم   فالحب مثل الموت للمغرم

وقرات المعنى بالفرنسية للمحكمة كما حفظت من النسخـة الفرنسيـة :

Placez-moi comme un seau sur ton cœur,
L'amour est fort comme la mort

فخففت المحكمة حكمها على المسكين الى اقـل الحدود ، وخرجت من الجلسة الاخيرة ، مغسـولا قلبي من الحنق عليه ، وصارت تلك الذكـرى لـدي حلـوة بعـد ان كانـت مريرة .

دمشق ــ الدكتور زكي المحاسيني

ذكريات مريرة

للدكتور: زكي المحاسني

تهتاجني الذكريات فأحركها من مراقدها ، وان لها لباسا عميقا تغط فيه ، وقد تنسرب خفية الى الابد . انها لا تنفر ممن يوقظها ، فمن شأنها ان تطبق اجفانها وان تفتح عيونها محدقة في الوجود ، تنظر ما وراءها ، فنرى السنين نومىء اليها بخيرها وشرها وهي لا تعرف النظر الى الامام ، وقد سكنت مثل طيور صغيرة في وكناتها، او مثل نسور قشاعم على قنن الجبال .

وكنت اجول خلال الفلسفة ، حين وقفت بكلمة يقول بها علماء الذاكرة وفي مقدمتهم « برغسون » وهي «العلم تذكر» ويريدون بهذا التعبير ان الذاكرة هي سبب العلم ، فلولاها لكانت المعارف الانسانية تذوب في الاذهان ، كما تغيب المياه في منحدرات الوهاد .

ومن صميم وجودنا وسره في الحياه اعطيات التذكر . وقلما فل النسيان كانت الحوادث المواضي اكثر عدة للرجوع الى الحياة في الخيال والتصور .

ولقد تداولت خواطري هذه الافكار ، وانا منشرح البال على مشارف العمر مثل ناظر على الربى الى السفوح والمروج ، فتذكرت حالي وانا تلميذ استعد لامتحان البكالوريا ..

كما نسكن ، يومذاك ، في حي المهاجرين بدمشق ، المدينة التي ولدت فيها ، وتتابع منها جدودي ، وحي المهاجرين تعلق بجبل قاسيون فملأ سفوحه ورحابه ، وتعالى بيتا وراء بيت وشارعا خلف شارع ، حتى كاد يصل الى القمم الشماء التي تتنفس اريج الشام من مجاثم التيربين الى ءاماد «الغوطة» الخضراء، ونهر بردي المرماح بنسق هاتيك الرحاب المرعة .

وكان في ظاهر منزلنا في سفح ذلك الجبل ، ساحة مستديرة تحدق بها البيوت واسمها «مصطبة الامبراطور » تشرف على دمشق ، وسماها الدمشقيون بهذا الاسم منذ صعدها عاهل الالمان « غليوم الثاني» حين زار دمشق قبل الحرب الكونية الاولى ، واحب ان يشرف على تلك الاماد السواحر من دارة الشام ، فاصعدوه الى تلك الساحة .

وقد كنت اتخذ فيها ركنا منذ تدلف الشمس الى عصر يومها ، فاقتعد غارب حجر املس هنالك ، ومعي كتبي ودفاتري ، فاكب على الدراسة والحفظ حتى يأتي المساء ، ويجيىء عسس الساحة ، وكان رجلا نفا من الارناؤوط ، فيسلم علي ، وآنس به ، ثم انحدر الى منزلنا بعد الغروب ، واني لذات عشية من العشايا ، هادىء مطمئن ونظري منسكب على كتبي ، واذا انا بحجر ضخم ينحدر نحوي مسرعا ، ويحدث رجه وصوتا ويجيء الى قربي ليصيبني فحدت عنه ، ونهضت فزعا واتجهت صوب انحداره لارى الذي اهوى به ، فوجدت في الاعالي وراء البيوت المهجورة ، رجلا يكب ليأخذ حجرا ءاخر فيقذفني به ، ثم يتناول ثالثا ، وهو يزمجر ويشير بقبضة يده بالوعيد والتهديد ، فلململت للحال كتبي وكخفوف البرق انحدرت من جهة لا يراني فيها ، وعطفت الطريق الى بيتنا ، فتلقتني امي – يرحمها الله – فرعا منبهر الانفاس ، فجعلت تفديني ، وقصصت عليها الخبر فما كان منها الا ان لبست ملاءتها وانا احول بينها وبين الذهاب ، فقصدت الحارس تقص عليه الامر ، فاضطرب الحارس ، واوصاها بان لا تتركني بعد ذلك اليوم اصعد الى تلك الساحة .

وضرب الدهر بيني وبين تلك الحادثة ، فنلت الشهادة الثانوية ، ثم صرت الى كلية الحقوق ، وغادرنا حي المهاجرين الى الصالحية ، وبعد ان حصلت على الليسانس انتسبت الى المحاماة ففدوت فرحا بالحلة السوداء التي كنت امني النفس بلبوسها وكان على المحامين الناشئين ان يتمرسوا عند اساتذة خلال عامين وفيما كنت مثابرا على هذا التمرس جئت محكمة الجنايات سائلا عن دعوى في غرفة الكتاب، وكان الوقت قد ءاذن بالانصراف في هجير النهار من صيف لاهب ، فما راعني الا صرخة

نبادلك الاشواق ، والعهد والرضى   ونحبوك من اخلاصنا الود صافيا
ونحن هنا فى مغرب العرب قوة   طلائعها للعرب ترجو التئاخيا
سل الحسن الارضى ، فدته نفوسنا   وحل قلوبا مفعمات تفانيا
يخبرك انا للعروبة جنة   نفدي حماها ، باذلين التراقيا
وما حسن للعرب الا هدايه   اقامت لهم فى العالمين نواديا
يظل ويمسي يبتني لصروحها   وبرفع اعلاما لها وروابيا
وتلك سجايا دولة علوية   اقامت لها الاخلاق والدين هاديا

* * *

ابورقيبة الازكى وانت مؤيد   رأى فيك ابناء العروبة حاميا
وتونس اضحت فى عهودك موئـ   ـل الاسود ، وحصنا للفتوة عاليا
وامست بما شيدت تزهو ربوعها   وترفل فى نعماء عزت مراميا
وانت الذي انشأتها وخلقتها   وقلت لها : كوني ، فكانت غواديا
غوادى عز قد تلفيت سره   فاغدقنه نشوان – تونس راضيا
وقد قلدتك الامر طوعا فقدتها   الى النصر فاحتلت ذراه نهائيا
وعلمتها ان الخلود تضامن   وعزم وايمان بفل اللياليا
فبانت لدنيا العرب امنع معقل   تناهض عدوانا وتدمي الاعاديا

* * *

وبنزرت ، ما زال العدا يذكرونها   فتفرق احشاهم وتذوى تداعيا
لقد حسبوا – تعسا لهم – ان يعربا   ببنزرت تعنو للطغاة توانيا
فهموا ، وما كادوا فنالوا جزاءهم   وديسوا ، واخروا ثم اقصوا الفيافيا
ولاذوا بوهم لم يحل دون طردهم   بعيدا حيارى يذرفون السواجيا
يعضون فى يأس اصابع ادميت   ولم يلفوا الا حسرة ودواهيا
واجلوا ، وقد ذاقوا هزائم مرة   وباءوا بما هموا : اسى ومخازيا

* * *

ابورقيبة باني شوامخ عزنا   نزلت الاغر ، الهاشمي ، اماميا
وءاخيت من ءاباؤه الصيد اسسوا   على العدل ملكا شامخا متراميا
حمته سيوف مشرعات وفتية   يرون المنايا غاية وامانيا
فكانوا على مر الدهور اشاوسا   يردون عدوانا ويدمون باغيا
ولكنهم كانوا دعاة محبة   وكانوا الاساة الهازمين المئاسيا
وما حسن الا خلاصة هديهم   بهم يقتدي مستمسكا متفانيا

بمناسبة زيارة الحبيب بورقيبة للمغرب

لقاء بطلين ...

للأستاذ الشاعر عبد الكريم التواتي

((ألقيت امام حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني وفخامة المجاهد الاكبر رئيس الجمهورية التونسية الحبيب بورقيبة في الحفل الذي اقيم بثانوية المولى ادريس احتفاء بتوأمة مدينتي فاس والقيروان)) .

لقاؤكما يوحي القلوب معانيا ... ويغمر أحناء النفوس امانيا
لقاء حبيبي امتين تحالفا ... على الحق ، ايمانا به وتفانيا
وكان لقاء بارك الله شأنه ... وأعلى به للامتين المراقيا
راى فيه شعبانا بشائر يقظة ... ونصرا ، وتوفيقا ، وعهدا الاهيا

* * *

وعانقت الخضراء ءامال مغرب ... فأسبغتما هذا العناق تهانيا
تعانقتما يا بارك الله فيكما ... واولاكما نعماءه والايا ديا
وكان عناقا رمنما فيه وحدة ... واودعتماه امنيات غواليا
فأصبح رمز الامتين ، وموثقا ... وعهدكما ان تبذلا النصح صافيا
تعاهدتماه والملائك حضر ... فشعباكما قد ردداه اغانيا
وهاما به ، واستلهماه مبادئا ... لهم اصبحت مغزى وأمست معانيا
معاني ، خير كلها وتفاؤل ... بمستقبل فينان يرسي التدانيا

* * *

ابورقيبة الشهم الابي تطلعت ... اليك حنايانا ففاضت امانيا
اماني شعب ، قاده خير سيد ... يرى العهد دنيا ، والوفاء مراميا

وباركتما وفقتما ووقيتما	من الشر – طفرات لها ومعاليا
فسارت تحث الخطو ، والعلم رائد	فتنشىء عمرانا وتبني اقتصاديا
وما اليوم فيها من يخون ولاءها	بفضلكما او يبدي فيه توانيا
ولكنما تبني اساس وجودها	سواعد نعلي روحها والنواصيا
فأضحت وقد ءالى بنوها فداءها –	منار الشراة الضاربين الفيافيا

* * *

ايا بطلي شعبين ءالى بنوهما	فداءكما ، بثا الرخاء بلاديا
لقد عشتما تربي جهاد ورمتما	صلاحا لشعبين استطابا التلاقيا
على الدين والتقوى على الحق والهدى	اراقا دماء زاكيات غواليا
فما وهنا في الله يوما وانما	اذاقا كؤوس المهلكات الاعاديا
وتلك سجايا يعرب ان يعربا	طلائع امجاد تفور امانيا
فقودا شعوبنا الى الخير اننا	وراءكما نخطو فنعلو المراقيا
رضيناكما – والله يشهد – قدوة	لدين ودنيا فلتمدا الاياديا
ايا دين توحيد القلوب وانتما	على قدر يحبوكما النصر راضيا

* * *

الى الوحدة الكبرى تنادت شعوبنا	فسيرا اليها ، وابعثا الشرق ثانيا
وما وحدة دون الجزائر نبتنى	وليبيا اساس يرفع الصرح عاليا
ذروا عنكم مستوردات عفائد	اشاعت شقاقا بيننا ونعاديا
ففي سور القرءان ، جذر وجودنا	على اسه فليبن من كان بانيا
وانتم جميعا للعروبة آسها	وانتم نواة الآملين التئاخيا
وما العرب في شرق البلاد وغربها	سوى وحدة دنيا ، ورأيا سياسيا
فصونوا تراث العرب من كل عابث	فانكم قلدتموه الاهيا
وانتم – بني الضاد – الدعاة الى الهدى	على الحق قدمتم ضحايا غواليا
غمرتم نفوس العالمين محبة	فطابت نفوس العالمين تراضيا
فلا تهنوا ، فالله يكلا سعيكم	لخير البرايا ، ولتدوموا غواديا

* * *

ابورقيبة الغالي ويا حسن الرضى	رفعنا تحايانا تضوع تهانيا
فجودا عليها بالرضى وتقبلا	معانيها الحسنى دليل وفائيا

فاس – عبد الكريم التواتي

فعاش لما قد شيدوا وتوارثـــوا ... امينـــا علـى مـا قلدوه حواريـا
وسـار على النهـج القويـم مناديـا ... لامن وسلم عاش للسلم داعيـــا
دعا العرب والايام جهم وجوههـا ... الى الوحدة الكبرى وكان فدائيـا
وعبأ فى ايـــد اباة ليوثـــه ... يشيد بنيانا على الحق راسيـــا
ومن قبلـه نادى ابـوه ، وانـــه ... ليدعوك للجلى دعـاء سماويـــا
وما حســن الا اخـوك فديتمـا ... وشعبا كما نجمان راما تساميـا
هما توأما مجد تليـد ، موئـــلا ... جدود ، تواصوا بالفداء تواصيـا
وقد رفعا مجد العروبة شامخـا ... وشادا لها عزا وشادا معاليــا
اقاما على الحق الصراح معاقـــلا ... فلا بغي ، لا عدوان ، لكـن تآخيـا

* * *

ابو رقيبة الاغزى نفوس عداتـــه ... لتحم الايامى المرملات البواكيـا
لتحم فلسطين الشهيدة انهـــا ... فريسة عدوان تجبر طاغيـــا
فلسطين احدى القبيلتين وما لهـا ... سوى العرب تحميها العدا والدواهيا
وما كنت الا للمكـارم منبعـــا ... على الحق معوانـا وللخير ساعيـا
اجبت نداء الصارخين ، ورخصـة ... تذبح تعذيبا وتقصى المنافيـــا
لقد ارجفوا — تعسا لهم — ونقولوا ... وحاشاك ترضى ان تصافح باغيـا
وحاشاك تنأى عـن جماعة يعـرب ... وانت لها تبني فتعلـى المبانيـــا
ولكنه الايمـان بالحـــق خالصـا ... ابى لك ان تختار نهجـا خياليـا
نبذت خيـــالات ، ودنت بحجـــة ... وكنت بما قد دنت اسمى معانيـــا
وقدرت ان الامـــر جـد وعزمـــة ... فاعلنتها شعواء تحرق جانيـــا
وناديت من اعلى المنابر صارخـا : ... فلسطين ترجو الحاملين العواليـا
دعــو الخطب البتراء جنبا ، فانمـا ... يفل الحديد بالحديد مساويـــا

* * *

ابو رقيبة الاسمى ويا حسن السنا ... تساميتما فى المكرمات تساميـــا
وجدتكمـــا للعالميـــن هدايـــة ... ولافريقيا نبراســا ينير الدياجيـا
راتكما « افريقيا » بناة وجودهـــا ... فأعطتكمـــا تأييدهـــا المتواليـا
تعهدتمـــا ءامالهـــا ومصيرهـــا ... وايدتمـا اهدافهـا والمراميـــا
بتوحيد قواها وضم صفوفهـــا ... تواصيتما مستبسلين تواصيـــا
وناديتمـا ابناءهـــا فتسابقـــوا ... يلبون اخلاصـا لهـا وتفانيـــا
يذوذون عنها المستغل بما يـــرى ... له اليوم امرا او يرى عنه راضيـا

لا أريد الحجام يصبح خصمي

للشاعر عبد المالك الملغيتي

منـــذ نشري لقصـــة الحجـام ... من بميدان أكـــره ذو هبـام «1»
وانا عند ما ألاقي لـدى الشـــا ... رع وجها جهما يسيـــر أمامـــي
وهو نحوي محملق ناظـر شـــز ... را بعيـــن كأنها من ضـــــرام
نظرات توحـــي الـــى كل منظـو ... ربها انـــه مـراد انتقـــام
لم يساور مخيلتي السك فيـــه ... أنـــه عارف بحلـق الهـــام
فأراني احث سيـــري حتـــى ... اختفى عنـــه فى ركـام الزحـــام
واناجي نفســـى : لعلـه حـــلا ... ق رأى قصتـــي مـع الحجـــام ؟؟
اتراني اصبحت معروف اســـم ... ومحبا ، ما بين هـــذا الانـام ؟؟
كنت القى منهم لطف ابتســـام ... واحتـــرامـا معبـــأ باحتشـــام
كل ما اختنبـــه ان يغضب الحفـــ ... ـــاف عنـــي لمـا رأى من نظامـــي
وينيـــر الشكوك حولي فأحيـــى ... فى اضطراب مهيـج الاوهـــام
هل غدوا يقروان ما ننشـــر الاقـــ ... ـــلام عنهم ؟ ليسوا من النيـام ؟
يفهمون القريض فهمـــا فاضحـوا ... بالذى قلتـــه شديدي احتـدام ؟؟
اتواصوا بالشر ؟ والشـــر لا أبـــ ... ـغيه ممـــن أزورهـــم بلمـــام
ليس لي عنهـم منـاص ، ومـا أو ... فـدت حربـا عليهم بالخصـــام
ان نقدي لواحــد ، لا لجمـــع ... كان يسعى لمهجتـــي بالحمـــام
ظـن راســـي كاكـــرة فغدا يلـ ... ـعب بالرأس قبـل مدمـي لكـام
كـل مـا قلتـه انتقادا ، فتوجيـ ... ـه شريف ، من النزيـه السامـــي
اتمنـــى أن لا يحـرك حقـــدا ... ورضاء الحقود صعب المـــرام
لا اريد الحجام يصبـــح خصمـــي ... وحياتـــي رهن لـــدى الحجـــام

*

ها انا ذا اريد تخفيف شعـــري ... فى مصيف كالنـار ، جوه حامـي
فاذا ما دخلت قاعـة حجـــا ... م لتقليـم شعـري المترامـي «2»

1» العدد الرابع من مجلة دعوة الحق السنة الثامنة
2» التقليم يستعمل فى الاظفار وغيرها

أيها العاهل العظيم هنيئاً
بالتي زانت القصور المشيدة

للشاعر: عبد القادر المقدم

مـــولاي

كل يـــوم تلقى مـــن اللـــه تأييـــ
ـــدا ونحظى بنعمـــة ممـــدودة
يـــا مليكـــا تنافست فبـــه آلا
ء فهـــذي كريمـــة ومجيـــده
ملء سمع وملء عيـــن تلقـــى
شعبك البشريـــات بالمولـــوده
انـــت فى مـــوكب المكـــارم تنفـــاد
اليـــك الرغـــائـــب المنشـــوده
هـــذه صنـــو مريـــم ، وولـــي
وهـــم فى القـــلادة المنضـــوده
درر العرش ، ملتقى الامل الغالـــي
وســـر الخلائـــق المحمـــودة
تتباهـــي بهـــم طلائع هـــذا
الجيل فى كـــل نهضـــة مرصـــوده
وهمـــو منـــة الالـــه توالـــت
لترى فبهـــم ، الاماني العديـــده

* * *

ايها العاهـــل العظيـــم ، هنيئـــا
بالتي زانـــت الفصـــور المشيـــده
صانهـــا ربهـــا بمـــا انـــت راج
واجتباهـــا اميـــرة ، ورشيـــده
تلك آي الولاء مـــن درة العـــرش
تلتهـــا القلـــوب آيـــا جديـــده
عشت مولاي موئل الشعب توليـــه
صنوفـــا مـــن الايادي المفيـــده
عشت فيه ، ابا رحيما ، كما كـــا
ن ابـــوك الذي تقيـــم عهـــوده
حامـــلا ســـره ، وباعـــث امجـــاد
الالى شيدوا الحصون الشديـــده
تتوالى بها المحامد ، تحبـــي
ذكريـــات ، طريفـــة ، وتليـــده
دم لنـــا ايهـــا ايها المليك مطاعـــا
وهنيئـــا ، ومرحبـــا بالمولـــوده

طنجـــة ــ عبـــد القادر المقـــدم

فاتح أكتوبر

للشاعر المدني الحمراوي

شهر الدراسة قد اطل مبشرا ... بحياة جد فى المدارس تطلب
مرت شهور الصيف فى مرح وفى ... سفر ولهو طال فيه تقلب
واتى الخريف منبها من غفلة ... من كان فى أهوائه يتقلب
وكأنما غمر الانام حماسة ... فجموعهم فى سعيها تتوثب
يتسارعون الى شراء لوازم ... فيها لابناء المدارس مرغب
فمحافظ ودفاتر ومحابر ... ومساطر من كل حجم تجلب
والكتب والالواح والاقلام من ... الوان صبغ والمناشف تصحب
والمسحات وما يلائم مظهرا ... من كسوة فيها الاناقة تكسب
وترى البنين مع البنات كأنما ... يتهيئون لمعرض بترقب
هذا يطالب بالمحال ، وهذه ... تبغي وتطلب كل ثوب يعجب
فترى البيوت مسرة ومساءة ... وترى مشاكل حلها يتصعب
والوالدون كأنهم فى غمرة ... هذا شكا فقرا ، وهذا يعتب
يترددون على المدارس جملة ... وقلوبهم وعيونهم تتقلب
يبغون فيها للبنين مقاعدا ... من قبل ميعاد الدراسة تكتب
وترى الجميع يرددون سؤالهم ... أين المدير وعونه والمكتب ؟
وترى عزائم لا تلين قناتها ... وترى على التعليم حرصا يطرب
فاذا أتى يوم الدراسة اقبلت ... زمر من الاطفال فيها ترغب
ومواكب الشبان نحو معاهد ... للعلم يحدوها رجاء طيب
وعلى وجوه جميعهم اشراقة ... فيها يشع تفاؤل وترقب
فاذا مررت على الطريق فلا ترى ... الا وجوها بالحياة تصبب
وكأنما زمر البنين ازاهر ... تمشي وتنطق بالكلام وتلعب
الوانها متنوعات مثلما ... تبدي الحدائق ما يروق ويخلب
هذي لعمرك همة عربية ... هبت تشيد عزة وتركب
وتعيد عهدا للحضارة والعلى ... قد عاش قبل اليوم فيه المغرب
وبنى به فى الخافقين سيادة ... كانت تكرم فى الانام وترهب
اخبارها فى الكتب لا تخفى على ... من جال فى تلك الكنوز ينقب
ما شئت من علم ومجد شامخ ... وتمدن ءاثاره تستعذب

وتذكرت غيظهم من مقالي ... وعيونا رشقنني بسهام
قمت فورا كهارب من حمام ... بعد اخذي لكرسي قدام
وترى الحاضرين ، عند خروجي ... بعد ما كنت جالسا كالهمام
ملئوا بالشكوك فانفض منهم ... جمعهم ، قبل حلقهم للهام
والبريء الحلاق يهدىء روعا ... قد عراهم .. بمستميل كلام «3»
لا تبالوا .. فانه شاعر والشـ ... ـعر اصحابه عديموا الزمام
فاذا ما بدا لهم جو شعر ... ذهبوا فى الخيال والاوهام
هكذا شأنه لدى كل حـ ... ـفاف .. فلا تتبعوه فى الاحجام
افلا تنظرون شعرا كثيرا ... فوق رأس له كعش النعام ؟؟
وهو لم يفتكر لينقص منه ... ما له فى تنسيقه من مرام
مثله ما احقه بلجام ... او رباط فى كرسي بحزام
لا يطيق الخروج بعد من القـ ... ـاعة قبل التزيين والاتمام
انه بالخروج يحدث شكا ... لحريف فى خبرة الحجام
ولو اني استطعت ثرت عليه ... غير اني اراه سامي المقام
وله عصبة من الشعر لم تعـ ... ـبأ بماضي الموسى كماضي الكلام

* * *

يا اخي ، هكذا اعيش ولا اجـ ... ـرؤ ءاتي لقاعة لحمام
انني من شجاعتي لا أبارى ... فى عراك ، بالقول او بالحسام
غير اني لا استطيع ثباتا ... عند هذا .. فى الخلف او فى الامام
ان راسي ، وخير ما يملك الانـ ... ـسان .. ألقيه فى يدي حجام ؟
حانق ساخط علي وليتي ... اقل فيه ، فقرة ، من كلام
فاشيروا علي .. قد طال شعري ... وتدلى على القفا فى لمام

سلا — عبد المالك البلغيثي

«3» من أهداه الرباعي ..

لقاء

للشاعر

محمد الخمار

«ولو انه كان اول لقاء مع ارض طالما اشتد حنيني اليها ، فقد كان شعوري ابعد من ذلك اللقاء»

انا هنا ، فى نقة اخطو وفى اصرار
بشفتي اغنية قديمة الاشعار
اعرفه دربي هنا فى زحمة التيار
اعرف ما فى السرف الخضراء من اسرار
تبصر عبني فالرحاب دونما استار
يعرفني قرميدها جيرية الاحجار
ابكى اجن لبكا وجنة القينار
تصحو جراح بدمي تنهض من اعواري
سالت على ذرى وافق هده الاسوار
انا هنا ، يا روعة العودة والتذكار

ذكرى تفيم فى دمي شطئانها الرمادية
نهض غيمها الكثيف عن دنى ضبابيه
من قمني ابصر غورها حروفا غافيه
مغرورق العينين فى دمعي تموت داليه
ظل هلال مسحنه يد شمس قانية
صومعة تنهض من قلبي لا نهائية
وفى المدى جير وقرميد وعين داميه
فارتمي على السفوح دمعة ترابيه
ذكرى تفيم فى دمي شطئانها الرماديه
ينهض غيمها الكثيف عن دنى ضبابيه

اشبيليه اشبيليه ، يا مرتقى الحاني
يا حلما يا شفقا لافقه تحناني
يا شاطئا اخضر يغفو فى دجى اجفاني
يا عالما محجبا يعرفه نسياني
لقياك ، ام وعد الصباح فى سما احزاني ؟
اليوم فى ثراك اخطو مبهم يفشاني
امشي اليك غير حالم ولا وسنان
واديك فى قلبي وفى دمي وفى وجداني
بأيما شوق عليك ترتمي اجفاني ؟
بأيما حرف اليك ينتهي تحناني ؟

القصر الكبير ــ محمد الخمار

عرفته « اندلس » وفاس بعدها   وامتد في « مراكش » يتشعب
يا فتية التعليم هيا جددوا   عهد الجدود ولا يفتكم مطلب
انتم جنود في جهاد واجب   فتعلموا وتقدموا وتهذبوا
لا تكسلوا عن واجب فبلادكم   لبناء عز طارف تتاهب
هلا ذكرتم كيف كان جدودكم   في العلم ، فالذكرى تحث وتلهب
رحلوا الى نيل العلوم فشرقوا   متعلمين معلمين وغربوا
سهروا وجاعوا في سبيل معارف   فيها لمن طلب المعالي مأرب
قد علموا الدنيا وساسوا امرها   وبهم تأسى مبدع ومجرب
كم علموا كم الفوا واستنتجوا   ونعمقوا في المشكلات ورتبوا
آراؤهم ما زال فيها مقصد   للعالمين ، معينها لا ينضب
عرفتهم الدنيا نجوما فاهتدت   بضيائهم واستصوبت ما صوبوا
فبهم اخي فاخر فانك واجد   فيهم مئاثر للمعالي تنسب
اسماؤهم بين الورى مشهورة   كالشمس لكن ذكرهم لا يغرب
يا فتية التعليم صونوا مجدكم   بالعلم انه قوة لا تغلب
وتسابقوا نحو العلوم لعلكم   تسترجعون مكانة تتطلب
ان الشعوب تعلمت وتقدمت   وبلادنا من خلفها تتعجب
فتسلحوا بالعلم حتى تدركوا   ما ادركت امم الزمان وتكسبوا
وتمسكوا بالدين دين محمد   فيه صلاح المسلمين مجرب
ومكارم الاخلاق صونوا عهدها   فالمرء بالخلق الكريم محبب
لا يخدعنكم التفرنج انه   داء يفتت مجدنا ويذوب
ليس التعلم بالتفرنج انما   هدف التعلم حكمة تستصوب
ان الشعوب اذا جفت عاداتها   تفنى معالم عزها وتخرب
امم العروبة لن تنال مرامها   ان اصبحت عن روحها تتغرب
فتعلموا وتمسكوا بشعاركم   ما عاش شعب عن شعاره يرغب
اكبر يا شهر الدراسة مرحبا   ما عدت الاعداد سعي معجب
وتراقصت ءامالنا وتحركت   اكبادنا في كل نهج تضرب
نحو المدارس ترتمي في نشوة   كالنحل من عطر الازاهر تنهب
اهلا بمقدمك العزيز فانه   بشرى تسر بها القلوب وتطرب
ءامنت انك في المواسم غرة   ولكل عام شهره المترقب

الرباط — المدني الحمراوي

ومن ارتضى الظلم المريـ ـر ، فبالهوان قد اتسم
ان الحياة تنافس فيه الجميع قد ازدحم
وارى الجسور ، وان تنا هى الخطب ، قد هز العلم
لا لوم ، ان عيوبنا نسعى لها مثل الامم
لا فرق عندي فى المقا تل ، بين عرب او عجم
فاذا جهرت بعيبهم ابدوا اساليب الشمم
واذا عملت لغاية هزأوا بسعبك فى وجم
واذا قعدت فانهم فرحوا ، وصاحوا بالنغم
والهول ، ان عانيته قالوا : استحق بما خدم
واذا هزمت فانهم قالوا : اصيب بما اجترم
واذا سترت هناتهم قالوا : يخاف فلم ينم
واذا اغتنيت فانهم قالوا :بعثت من الرمم
واذا افتقرت لعونهم حرموك من حق الكرم
واذا عشقت الفن قا لوا : فى الجنون قد ارتطم
واذا نطقت بحكمة قالوا : شردت عن القيم
واذا اكتمت سرائرا قالوا : مصاب بالبكم
ومن السفاهة ظنهم أن الضخامة فى الورم
ولقد تساوت عندهم شتى المزايا والنغم
يتذوقون بلذة سما زعافا فى دسم
ويقدمون اواخرا ، ويقدرون من انفصم .
وأمورهم يا ليتها امست بسير منتظم .
يتناقضون بفعلهم والوهم فيهم معتصم ،
كم يجرحون بقولهم قلبا ، فما الجرح التأم
كم يوفدون من الحرو ب ، وجيشهم فيها انحسم
راموا انتصارا فى العرا ك ، وجيشهم فيها انثلم
ومضوا جميعا ، غير ان الجيش ، اخطأ فانهزم
اكلوا على طمع ، وقد مات الجميع من التخم
وتعادل العملاق منـ ـهم فى التفاهة والقزم
فاذا اردت سلامة ممن نقول او حكم ،
فاسكت فديتك ـ دائما واستبق سمعك فى صمم
والقول ان الغيته فالداء منه قد انحسم
ولقد تساوت « لا » على حسب اللياقة او « نعم »
فاترك مزاعم من تقد م للعناد ، ومن شتم
شتان بين من استوى فوق الكمال ، ومن زعم
لولا شكاية مسمعي ما كنت استوحي القلم

محمد بن محمد العلمي

الأصم

للشاعر
محمد بن محمد العلمي

قالوا اذا ذقت الالم   انت البئيس المتهم
واذا عزمت فانهم   قالوا : تزل بك القدم
اذ رأيهم عند العكو   س لقد تجانس وانسجم
لهفي على الرأي الذي   فيهم توزع وانقسم !
كم يحنثون اذا نووا   امرا ، فلم يجد القسم
واذا صبرت على الاذى   قالوا : ذليل فى العدم
واذا غضبت توهموا   ان الجنون بك ارتسم
واذا فشلت تقدموا   لشماتة نغزو الهمم
والجوع ان عانيته   قالوا : ستأكل فى نهم
واذا نجحت ففيهمو   حسد على كل النعم
واذا رضيت فما رضوا   بالحظ ، بل قالوا : بكم ؟
واذا رجعت الى الهدى   قالوا : تبدل واحتشم
واذا فرضت عليهمو   امرا ، فلم تصن الذمم
ما دمت غرا بينهم   جعلوك شهما تحترم
واذا اصبت بنكبة   قالوا : ستبقى فى السأم
عند النطاح ، لقد تنا   دوا : يغلب الكبش الاجم
واذا فهمت نفوسهم   قالوا ، وما ذاقوا الندم :
انت الجسور على الالى   سكنوا الثريا والقمم
جهلوا مساواة الورى   ونسوا العدالة والشيم
واذا فحصت بناءهم   من اسه فقد انهدم
خلقوا على نهج الهوى   منذ البداية والقدم
يتزاحمون بشدة ،   مثل الذئاب مع الغنم
اغمض عيونك يا اخي   فالنور فى دنيا الظلم
والناس هذا قد بكى   قهرا ، وذاك قد ابتسم
والعدل يتبع دائما   فى كل حق ، من ظلم

وفتح العالم العربي عيونه على خطورة هـذه الحملة ، حيث تجند العلماء والمشايخ فاخرجوا النابوليونيين من مصر ، وحددوا علاقاتهم مع الدولة العثمانيـــة وتعتبر هذه اليقظة الشعبية اهم مدرسة تخرج منهـا القادة الذين حفلت بهم بلاد العالم العربي ، وفى طلبعتهم الامام المجاهد رشيـد رضـا .

ونأتي « المسألة الشرقية » مرة اخرى فى مرحلة جديدة من تطورها حيث اصطدمت اساليب الاستعمار بيقظة العالم العربي والاسلامي الذي انطلقت حركاته الاصلاحية تنادي بسقوط الحكام العملاء ، وتتحجب دولة العثمانيين ، وهنا بدات الشعوب العربيـــة والاسلامية تتطلع الى ظهور قائد يهديها ســواء السبيل ، وسرعان ما وجدت مبتغاها فى الامام المجاهد والرائـد الملهم رشيـد رضـا .

فى قريـة القلمون : وفى هذا الفصل يتحـدث الدكتور المؤلف على ان رشيد رضا سلبل بيت عربي شديد التقوى ينتمي الـى العترة النبوية الشريفة . وقد اشتهرت مجالـس ءال رضا بكونها مجالس ادب وعلم ووقار ، تدافع عن الاسلام وقد تاثر رشيد رضا بجماء هذه المجالس تاثيرا عميقا ، فاهتم بالعلـوم الاسلامية وما يتصل بها من فروع المعرفة . التحـق اولا بالكتاب فى قرية القلمون ، ثم انتقل الى المدرسـة الراشدية بطرابلس الشام ، فالمدرسة الوطنيـــة الاسلامية بطرابلس التي غيرتمجرى حياته التعليمية. فقد درس فيها العلوم والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية على يد استاذه الملهم الشيخ حسين جسر العالم الاديب الذي خص تلميذه رشيد رضا بالعنايـة والاهتمام ، لما عليه من حب شديد للدراسة والمذاكرة والذكاء الخارق ، وزادت ثقته بتلميذه ، حتى صـار يطلب رأيه فى مؤلفاته ، وخاصة الكبرى منها ، واتاح له الكتابة فى صحف طرابلس ، فاشتهر فى هذا الميدان مما جعله يتقدم برسالته امام ابرز الاساتذة فى طرابلس ـذاك فينيلونـه الاجازة فى العلوم الشرعيـــة عربية والعربية والعقلية ، وقد لقب رشيد « بفولتير سلمين » لقدرته على هدم كل ما لا يصح دليله مـن الدين . وقد ظل رشيد رغم هذا يأخذ نفسـه ـه الله والتمسك بتعاليمه ، نظرا لتاثيره الشديد « احياء علوم الدين » للغزالي . فداب علـى ـبة ربه ومحاسبة نفسه ومعاتبتهـا على الغفلة .

نشاطه الاصلاحـي : وانتقل المؤلف الى هذا ـل حيث ابرز مدى النشاط الاصلاحي الكبير ، الذي قام به امامنا المجاهد ، لاصلاح المجتمع العربي المسلم ، والاخذ بيده نحو مدارج الكمال . فقد خـص رشيد اهل قريته بنصيبكبير منهذا النشاط الجبار. فكان يقرأ للرجال الدروس فى المسجد شارحا اياهـا بطريقة بسيطة ، وحاثا الناس على التخلي عن البدع والضلال . ولم يخص الرجال وحدهم بهذا الوعـظ والتوجيه بل عممه حتى على النسـاء . وهكذا اصبـح رشيد ينعم بمكانة عالية بين اهل قريته ويرون فيـه المثل الاعلى للنفى والاصلاح . وقد رأى رشيـد ان يمتد نشاطه الى كافة نواحي المجتمع ، وعلى الخصوص مع اصحاب النفوذ والسلطان . وتجلت هذه الظاهرة الجديده عندما كان جالسا ذات يوم ، لتناول الطعـام مع والده وحاكم طرابلس مصطفى ذهني حيث كـان الحديث يدور فى شؤون الدولة العثمانية ، فابـدى رشيد رأيه فى جراة نادره حيث قال : « ان الـــذي اضعف الدولة هو جهل العلماء بالسياسة وجهـل الحكام بالدين » وشاع خبر هذا الرأي الحر بيــن الناس ، لانه اغضب الحاكم المذكور . وهناك حـادث ءاخر اهل رشيدا لتسلم علم القيادة فى البلاد ، ذلـك ان خلافا نسب بين عالمين كبيرين فى طرابلس ، فعمد الحاكم الى ازالـة مـا نشب بينهمـا مـن اسبـاب الخلاف ، فاستدعى النابغة رشيد رضا فكلفه باعداد خطاب يناسب المقام ، والقائه علىالحاضرين من العلماء ورجال السياسة وغيرهم ، ولكن رشيدا لما يتمتع بـه جراة ولباقة اطلق العنان لنفسه فى الخطاب ، فأبرز اهمية اتحاد جميع عناصر الامة من حاكمين ومحكومين ووضح لهم وما عليهم من حقوق وواجبات ، وحمـل فى الاخير على الاغنياء والبورجوازيين لانهم يحتقـرون الطبقة الكادحة ويستغلونها ، وساد الحاضريـــن الخوف، بسبب ما جاء فى هذا الخطاب من جراة نادرة وافكار جديدة . لا يجرأ انسان على المناداة بهـا سرا ، لا علنا كما حدث ، ولكن الحاكم حين وقف ليعقب على الكلام ادخل الطمانينة فى النفوس ، وقال : « انـــي افتخر اليوم بان اعد نفسي طرابلسيا لهذه الحكمـة التي سمعتها من هذا الشاب » وتناقلت الالسن هذا الخطاب ، ولذا لم يكن عجبا ان سلم له المواطنـون علم القيادة . اذ جاءتـه وفود من كبار ادباء البـلاد واصحاب الفكر تعترف بفضله، وتشيد بجراته وتبايعه قائدا لها . لقد تلقى رشيد رضـا دراسته العليا فى ميدان الاصلاح على علمي الشرق الاستاذين محمـد عبده وجمال الدين الافغاني ، الذي جاء الى مصـر «سنة1871» لتخريج القادة الثوريين وزعماء الاصلاح،

عرض الكتب

رشيد رضا

تأليف الدكتور: ابراهيم العدوي

تعليق الأستاذ: أحمد بنسنة

الدكتور ابراهيم احمد العدوي ركن رصين في مجال الثقافة العربية المعاصرة .. واحد الافذاذ المعروفين بابحاثهم الفاحصة في مضمار الكتابة التاريخية .

وكتابه « رشيد رضا » هو الحلقة الثالثة والثلاثون من سلسلة « اعلام العرب » الشهرية التي تصدرها المؤسسة المصرية العامة للتاليف والانباء والنشر ، باشراف وزارة الارشاد القومي القاهرية، والكتاب يضم حوالي 288 صفحة من فئة الحجم المتوسط، وهو يحتوي على ثلاثة عشر فصلا ، تحدث فيها المؤلف بكل دقة وموضوعية عن الفترة الاليمة التي عاشها الامام المجاهد رشيد رضا ، والتي تحالف فيها الاستبداد العثماني مع الاستعمار الاوربي للسيطرة المطلقة على الشرق حيث صار عبء الاصلاح ثقيلا تنوء به اولو العزم من القادة ، بيد ان رشيد رضا خاض غمار هذه الاحداث كمصلح مجاهد ، عالج الاحداث التي احاطت بالمسلمين والعرب آنذاك .

المسألة الشرقية : استهل الدكتور العدوي كتابه بفصل تحدث فيه باسلوب تاريخي شيق عن الاطوار والمراحل التي مرت بها « المسألة الشرقية » ، منذ القرن الخامس عشر الميلادي ، فقد كان الشرق العربي والاسلامي ضحية لمطامع الاستعمار الاوربي ، الذي يتطلع من جديد للاستيلاء على خيرات الشرق وكنوزه ، والتي لم ينسها منذ الحروب الصليبية ، تمثلت اولى تلك الاخطار عندما اهتدت اوربا الى اكتشاف رأس الرجاء الصالح ، الذي فتح لها المجال لتضيق الخناق على المسلمين من العرب والفرس والهنود ، وتفسد عليهم حياتهم الاقتصادية ، مما حدا بمسلمي الهند الى طلب النجدة باخوانهم في الشرق العربي للقضاء على هذا المد الاستعماري الخطير . وقد بادرت مصر بارسالها نجدات بحرية ، ولكن فلول قوات العدوان استطاعت القضاء على المسلمين في موقعة « ديو » المشهورة ، وكان لميلاد دولة الاتراك صداه العميق في نفوس كافة المسلمين الذين كانوا يتابعون زحف العثمانيين على اوربا باعتباره قوة تستعيد للاسلام جهاده الاول ، لكن العثمانيين ارادوا مواجهة العالم الاسلامي العربي بالسيطرة ، ليتسع نفوذهم فانقلبوا على اعقابهم خاسرين ، ودخلت المسألة الشرقية في مرحلتها الثانية ، بعد ان لمست اوربا تطورها الفعال، في عاملين رئيسيين : 1» التجارة . 2» تطور اساليب الحرب الاوربية ، وهكذا حول الاوربيون شركاتهم التجارية الى حملات حربية على السكان الامنين ، فنتج عن ذلك ان استعمرت انجلترا الهند ، بعد ان هزمت جيش المسلمين في « بلاسي » سنة 1757 ، وبعد هذا حملت روسيا العثمانيين على عقد معاهدة « كتشك كينارجي سنة 1774» التي جاءت كاعلان عن ضعف الدولة العثمانية ، وتصدع زعامتها وبعد هذا ايضا انتقلت تنافسات الاستعمار الغربي من اطراف العالم الاسلامي في الهند ، حيث قاد نابليون بونابرت حملة للاستيلاء على مصر ، تمهيدا لاستعمار العالم العربي برمته

المغرب عبر التاريخ تأليف : ابراهيم حركات

تعليق الأستاذ حسن السايح

نشرت دار السلمي كتاب « المغرب عبر التاريخ » للاستاذ ابراهيم حركات ، محاولة بذلت جاهدة ان تسد فراغا فى هذا الموضوع الخطير من تاريخ المغرب ، ذلك ان المغرب لم يكتب بعد تاريخه كتابة علمية صحيحة . فهو اما مدون باسلوب المؤرخين القدماء الذين حفلوا بالاحداث السياسية فقط يؤرخون لبداية الدولة ونهايتها غير حافلين بالعوامل الخفية التى تحرك التاريخ ولا محللين لطبيعة الاحداث وبذلك اصبح ما كتبوه لا يتجاوز عناوين لموضوعات فى حاجة الى كثير من البحث الدقيق، والتحليل العميق، فاعمالهم ليست الان الا وثيقة من بين الوثائق التى يعتمد عليها المؤرخ اليوم لكتابة تاريخ المغرب .

وما كتبه الاجانب ، وهم مدفوعون الى تحريف التاريخ فى غالب الاحيان اما عن قصد او عن غير قصد وهم اذا توفروا على المنهاج والاسلوب ، تنقصهم لغة الاداء ولغة الفهم لما كتبه القدماء فلا ينكر احد ان تعابير المؤرخين القدامى تحتضن لغة عربية فصحى ... او لهجة محلية رقيقة لا يمكن ان يفهم كنهها ... مارس الكتابة والتعبير بها ، ولذلك فقد ... من اقوال المؤرخين مفاهيم بعيدة عن مقاصد ... ويقعون بذلك فى اخطاء يركزون عليها ... جات غريبة ، ثم لا ننسى ان كثيرا منهم ... احفاد الذين حاربهم جدودنا فى عدة معارك فرووا ... مما كتبه اجدادهم من تفسيرات مفرضة ... القديمة ومعتقداتنا وانظمتنا فاصبحوا لا ... يطمعون ان يتخلصوا من عبء سوء التقييم الذي اسبغه علينا ما كتبه اجدادهم عنا .. ثم ان بعض هؤلاء كانوا يعملون مع المستعمر لتشويه تاريخنا . وكتابته بلغة تفقد عناصر الحماس والخلق لنتخلى عن حضارتنا ونعتنق حضارتهم ليعطلوا حاضرنا ويفونوا حضارتنا .. هذه عوامل كثيرة جعلت الخزانة المغربية تعانى فقرا فى الانتاج وجعلتنا نستقبل كل ما يكتب حديثا بلهف وشوق مؤملين ان نجد بغيتنا .

ترى هل استطاع الاستاذ ابراهيم حركات ان يسد هذا الفراغ . وبما اننا فى مرحلة دقيقة فى بناء نهضتنا فلا يجوز ان نجامل الاصدقاء على حساب القراء . ومن الواجب ان نفتح باب النقد النزيه لنقيم انتاجنا الحديث .

لقد اضاف الاستاذ الى المصادر العربية ، مصادر غربية فرنسية وبذلك اعتمد على آثار المؤرخين العرب وملاحظة المؤرخين الافرنج ، وهو لم يكن مترجما لاقوالهم ولا راوية وانما كان حذرا فيما يأخذ عنهم ناقدا فى غالب الاحيان حين يشعر بسوء قصدهم ولكنه مع ذلك لم يستطع الخروج عن العناية بالاحداث الحربية والتقلبات السياسية حتى لكانه يعود الى المنهاج القديم فى طبع الجديد ، حيث لا يربط الحوادث بعضها ببعض ولا يبحث كمؤرخ عن الدوافع الخفية للحركات الظاهرة . ولا يكفيه ان يعرض فى آخر الفصل فى عناوين للحالة الاقتصادية والاجتماعية ينقصها التبسيط وعلاج الموضوع بكثير من التفصيل والاناة .

وعلى الخصوص مجلته « العروة الوثقى » التي فتحت امام رشيد ءافاقا واسعة ولم يكن يعرف عنها شيئا ودفعت به الى الطريق الطويل ، الذي سلكه كبار المصلحين وقادة التحرير ، ولقد جاء انتقال رشيد رضا الى ميدان الاصلاح العام في عهد اخطر واخبث سلطان عرفته الدولة العثمانية في اواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين ، فمنذ وصل الى مصر كشف للاستاذ محمد عبده عن اهدافه الحقيقية ، فاستقر به العزم على انشاء صحيفة «المنار» الاصلاحية التي يستمد فيها حكمة الاستاذ فيما يكتب ، ويدخل بذلك ميدان الاصلاح الكبير مفيدا ومستفيدا وقد نال رشيد وءاله الكثير من اضطهاد الدولة العثمانية التي استخدمت مختلف الوسائل الزجرية لايقاف هذه الصحيفة ، ولكن هذا لم يزد رشيدا الا انطلاقا ، وعزما شديدا ، على مواصلة جهاده البطولي ضد قوى الغدر والطغيان والرجعية ، فقد نادى في صحيفة « المنار » بان على المسلمين ان يعلموا بان قيمة الدين ليست في اسراره الروحية ، او مواه الخفية ، ولكنها تكمن في الحقيقة التي يعلمها للانسانية ، وهي ان سعادة المرء في هذه الحياة والحياة الاخرى ، تتوقف على معرفة سنن الله التي تضبط رقي البشرية ، افرادا وجماعات . وذكر ايضا ان ظهور الفرق الاسلامية ، وعداء اتباعها لبعضها البعض ، اضعف قوى المسلمين ، وفتح ابوابا لتسلل العناصر الهدامة، وان اخطر شيء اصاب المجتمع الاسلامي اذ ذاك هي حركات الزنادقة والاراء الفلسفية المنحرفة ، وان تلك الحركات ابعدت المسلمين عن جادة الصواب ، وابرز بوضوح بان ابسط الطرق للنجاة هو التضامن وتبسيط العقائد وازالة الاحقاد الطائفية من النفوس ، ولم ينس المؤلف ان ابرز دور رشيد رضا في سبيل توضيح السبل للعلماء لاداء رسالتهم كاملة ، في مضمار الاخلاق والاداب والتربية العملية جسما وعقلا ، بانشائه مدرسة تقوم بمامورية الاصلاح والتبشير الاسلامي الصادق اسماها « دار الدعوة والارشاد » وقد تخرج منها نفر لا بأس به من خيرة المثقفين في البلاد الاسلامية هذا وان رشيدا جمع الى جانب روحه الاسلامية نزعة قومية عربية ابية ، حيث هاجم سلطات الاحتلال في مصر . لما لمسه من غدرها وسوء نيتها بالامة العربية، شأنها شأن جماعة الاتحاد الشرقي العثمانية ، وقد بادر بالدفاع عن الامة العربية بصرامة وقوة بعد ما ثبت للملا غدر فرنسا بسوريا ، كما غدرت انجلترا ببقية البلاد العربية الاخرى ، فقد وقف رشيد رضا الكل عملاء الاستعمار يتعقبهم في كل مكان، ويشهر بهم في المحافل، دون ان يخشى بطش سلطات الاستعمار في البلاد فقد وهب نفسه للاخذ بيد الامة العربية ، وتبصيرة اهلها بالخطر الذي ترددوا فيه نتيجة نجاح الاستعمار في خداع بعض قادة العرب .

لقد حمل رشيد لواء الجهاد في سبيل الاسلام والعروبة اربعين عاما متصلة الحلقات ، لم يعرف خلالها الراحة او الهدوء فدافع عن الاسلام في كل موطن ، وخدم هذا الدين في الفقه وفي الادب والاجتماع وفي التاريخ والسياسة بطريقة رائعة فريدة لا يدانيه فيها احد .

ولم يفت المؤلف في السطور الاخيرة من الكتاب ان يضع قائمة باسماء المؤلفات التي تركها الاستاذ رشيد رضا ، كتراث خالد ، يرسم الطريقة النضالية للاجيال الطالعة ، في مختلف المجالات الحية ، ومن هذه المؤلفات : نداء للجنس اللطيف ــ الوحي المحمدي ــ الوحدة الاسلامية اصول التشريع العام ــ الامامة العظمى ــ تفسير القرءان ــ حقيقة الربا ــ مساواة الرجل بالمراة ــ رسالة في حجة الاسلام الغزالي .

هذا هو رشيد رضا الامام المجاهد في شذرات .

الدار البيضاء ــ احمد بنسنة

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

« تنظيم موسم الحج المقبل »

راس معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الفقيه السيد الحاج احمد بركاش بمقر وزارته اجتماعا هاما خصص لدراسة تنظيم موسم الحج المقبل .

وحضر هذا الاجتماع كل من السيد الفاطمي ابن سليمان سفيرنا بالمملكة العربية السعودية والاستاذ الحاج عبد الرحمن الدكالي الكاتب العام للشؤون الاسلامية . والسيد عبد اللطيف العرافي مدير قسم الشرق بوزارة الخارجية ، والسيد محمد عبد السلام الفاسي الحلفاوي ، مدير شركة الخطوط الجوية الملكية ، ومدير الشركة المغربية للملاحة ، وممثلين عن وزارات الشؤون الادارية والمالية والداخلية والخارجية والصحة والاشغال العمومية .

جولة تفقدية قام بها وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية فى جنوب المملكة المغربية

قام معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الفقيه السيد الحاج احمد بركاش صحبة مساعديه الاقربين بزيارة تفقدية فى جنوب المملكة ، زار عدة مساجد فى كل من مدينة سطات ومراكش ... يشيد فيه مسجد بالحي العصري كما امر ... ادة فى علو صومعته ، وتوجه معاليه الى مسجد ... ور بالقصبة صحبة السلطات المحلية ، حيث ... بالمحافظة على تلك النقوش التي تلاشت او كادت ، ... صومعة المسجد كما كانت ، ثم توجه الى قرية سيدى الرويسن حيث وقف على البناية التي شيدتها الوزارة لتكون مدرسة لتعليم القراءة الدينية ، وقد اجتمع معاليه مع السادة العلماء والطلبة ، وحثهم على مواصلة الدرس والتحصيل . وقد عقد السيد الوزير جلسة عمل حضرها السيد عامل الاقليم، وباشا المدينة ، وناظر احباس مراكش ، وقد درست خلال هذا الاجتماع عدة قضايا وتقرر ان يشيد ضريح على قبر المعتمد بن عباد دفين اغمات .

وفى مدينة الصويرة ، تفقد السيد الوزير صحبة مساعديه الاقربين ، الاصلاحات الجارية بواحد وعشرين مسجدا ، وعين واعظا يقوم باعطاء دروس دينية .

ومن هذه المدينة توجه السيد الوزير صحبة السلطات المحلية الى سوق حد ادار الذي توجد به مدرسة دينية تضم خمسين طالبا يتلقون فيها دروسا فى العلم وفن القراءات ، حيث القى معاليه كلمات توجيهية على الطلبة .

وقد دشن معاليه مدرسة سيدي علي معاشو ، لتعليم القراءات ، والتي تحتوي على واحد وعشرين بيتا لايواء الطلبة .

وفى مدينة اسفى، عقد السيد الوزير جلسة عمل فى مكتب العمالة ، تقرر اثناءها انشاء مسجد كبير بين الاحياء الاهلة بالسكان المسلمين ، وقد امر السيد الوزير بتجديد مدرسة اولاد الشيخ قصد احيائها ، وهكذا فقد وظف بها اربعة من فقهاء القبيلة .

كما آخذ عليه ان يذكر في آخر الفصول المصادر التي اعتمدها وبالاخص المصادر الغربية لان من واجبه كمؤرخ ان يعلق على كل فكرة مقتبسة من مؤرخ سبقه في نفس الورقة التي يروي فيها موضوعه اما ان يدلنا في الاخير على مصادره ، فلا يمكن بحال ان نرجع الى عدة كتب لنبحث عن المصدر المدقق للفكرة المعينة .

كما آخذ عليه الا يستوعب المصادر قبل كتابة فصوله نظرا لانه تند عنه مصادر مهمة وبذلك يفقد الاطلاع على ءاراء محصت من قبل ، وبالنسبة لعصر الولاة مثلا لم يشر الى حركة فكرية مزدهرة لانه لم يهتد للمصادر المتخصصة في ذلك . على ان هذه الملاحظات ليس من شأنها ان تقلل من اهمية العمل الضخم الذي اضطلع به الاخ حركات وعذره واضح فقد كتب تاريخا كبيرا في جزء صغير ، ولو انه اصدره في اجزاء كما تمنى في المقدمة لحقق لنا شيئا كنا نتوق اليه ، وسوف يفعل بحول الله .

وانبه الناشر المحترم الى ان من واجبه ان يتفادى كثيرا من الاخطاء المطبعية سواء الحرفية او العددية ولعله غير معقول ان نقرأ في ءاخر الكتاب فهرسا للاخطاء يتجاوز الصفحات .. وهذه هنات لا تنقص من ايمان الناشرين بالصبر لمتابعة رسالتهم في نشر الثقافة العربية ، والتراث العربي والسلام

الرباط : الحسن السائح

أنباء ثقافية

* « سبعة ابواب » كتاب جديد صدر للاستاذ عبد الكريم غلاب . والكتاب عبارة عن مذكرات المؤلف فى السجن ابام الكفاح الوطني . وقد قام بتقديم هذا الكتاب المرحوم الدكتور محمد مندور . وتولت طبعه دار المعارف بالقاهرة .

* عقد فى منتصف شهر سبتمبر الماضي مهرجان سعرى فى مدينة شفشاون حضرته مجموعة من شعراء المغرب وكتابه . والقيت فيه عدة ابحاث فى الشعر ومدارسه تخللتها منافسات فى شتى المواضيع الادبية والفكرية . وقد طالب المهرجان فى توصياته بانشاء مجلس اعلى لرعاية الفنون والاداب .

* « شيخ الاسلام — محمد العربي العلوي » عنوان الكتاب الجديد الذى صدر للاستاذ عبد القادر الصحراوي ، وهو يشتمل على دراسة وافية لحياة هذا الفقيد فى ميدان العلم والفكر والوطنية . نتمنى للكتاب صدى بعيدا ، وانتشارا كبيرا .

* اصدر المؤرح حسن حسني عبد الوهاب القسم الاول من كتاب « ورقات عن الحضارة العربية بافريقيا التونسية » كما صدر فيها ديوان «ذوق وذوق » لمصطفى خريف ، وديوان «تحت ظل الزيتون » للشاعر الجزائري مفدي زكرياء .

* افتتح فى دار السلام اخيرا المؤتمر الدولي لتاريخ افريقيا . وقد ذكر الرئيس نيريري فى خطابه الافتتاحي ان انباء افريقيا ظلت حتى الوقت الحاضر تستقى من مصادر اجنبية . وتطرق رئيس جمهورية تنزانيا الى الحديث عن تفسير مختلف احداث التاريخ الافريقي فأشار الى ضرورة التزام الباحثين بدراسة القضايا الافريقية دراسة موضوعية .

* كتاب « الوجدانية : فلسفة وعقيدة التحرر » للرئيس نكروما قام بترجمته الى العربية سفير لبنان فى اكرا .

* احدثت حكومة غانا وزارة خاصة للدراسات العليا ، وسكرتارية للشباب .

* انشىء فى نيروبي مركز اقليمي للعلوم والتكنولوجيا لافريقيا تنفيذا للقرار الذي اصدره المؤتمر العام ابان دورته الثالثة عشرة ، وطبقا للاتفاق الموقع بهذا الشأن مع حكومة كينيا .

* اطلق اسم الدكتور محمد مندور على احدى قاعات المطالعة فى مكتبة جامعة القاهرة .

* اعتمدت وزارة الثقافة بالقاهرة قرار تفرغ 11 من الفنانين والادباء وتجديد تفرغ عدد منهم .

* «ثورة الفكر فى ادبنا الحديث» آخر كتاب الناقد المصرى غالي شكري ، ويضم دراسات نقدية عن محمد مندور ، ولويس عوض ، وعلي الراعي ، ومحمود امين العالم وسواهم .

في الميــدان الفلاحــي

ان مشروع غرس اشجار الزيتون والفواكــه والكلبتوس في الاراضي التابعة لضواحي مدن فاس – زرهــون – مكناس – مراكــش – وزان – يعتبر مــن بين المنجزات الفلاحية الضخمة التي حظيت بالعناية الفائقة من طرف وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية حيث شيدت عليها بناءات عديدة خصصت لايواء العملــة والادوات الفلاحية والمزروعات كما ان ءابـارا حفـرت هنــاك لجلب الماء من اعماق الارض واستعماله لسقي الاشجار التي شرع في غرسها منذ سنة 1957 وبقيت عملية التشجيــر مستمرة الى حد الان وهي تــزداد اهمية سنة بعد سنة الى ان اتسع نطاق تطبيقها بعد سنــة 1963 .

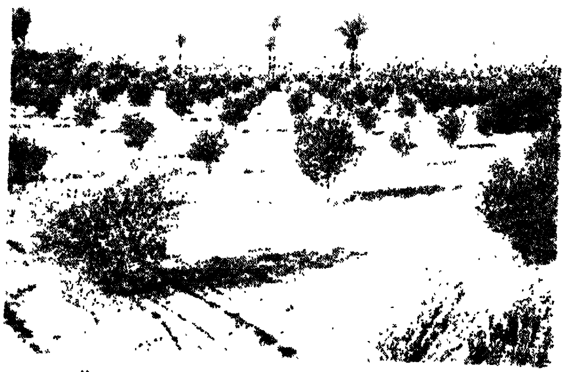
وكانت الغاية المتوخاة من انجاز هذا المشــروع هي ادخال تغيير جذري على اراضي حبسيــة قاحلة قصد تحويلها من شبه صحراء عديمة النفع الى ارض خصبــة منتجــة .

وبعد مضي بضع سنــوات على بدايــة تطبيق هذا المشروع تغير منظر هذه الاراضي فاصبح يتراءى للعيان كما يتجلى ذلك في الصور الحية الناطقة .

وهكذا نتاكد بكل وضوح مدى الجهود الجبــارة التي بذلتها وزارة عموم الاوقاف لتنمية مداخيلهــا الفلاحيــة والمساهمة في ازدهــار الاقتصاد الوطني .



صهريج الماء بجنان السفياني الذي يعد من اهم ممتلكات الاوقاف بضاحية مراكش .



عملية التشجير بضاحية مراكش حيث تقــوم وزارة الاوقاف بعملية غرس نموذجيــة .



تزود الاراضي الفلاحية التابعــة لوزارة الاوقاف بالمياه الكافيــة كما يتضح في الصورة المأخوذة مــن « السفيانــي »

* صدر فى بغداد كتاب القزويني وشروح التلخيص » للدكتور احمد مطلوب .

* ساعدت جامعة بغداد على طبع كتاب «الشعر عند البدوي » لمؤلفه شفيق الكمالي .
كما ساعدت على طبع كتاب « فهارس كتاب البدء والتاريخ للمطهر المقدسي »

* معجم رجال الفكر والاداب فى النجف خلال الف عام » كتاب صدر فى النجف من تاليف محمد الاميني .

* الشاعر حافظ جميل اصدر ديوانا بعنوان « اللهب المقفى » .

* الشاعر احمد الصافي النجفي يصدر له قريبا ديوانه العاشر بعنوان « شباب السبعين » .

* الاستاذان يحيى الجبوري واحمد عبد الجبار انتهيا من ترجمة وتحقيق كتاب « تاريخ العرب الادبي » لارنولد نيكلسون المستشرق الانجليزي المعروف . ودفعا الجزء الاول منه الى المطبعة ، وقد ذيلا الكتاب بتعليقات مهمة ، وفهارس علمية .

* انشئت مؤخرا مراكز ثقافية فى بيروت ، ودمشق ، والقاهرة . وقد شرع مركز دمشق ، بمعونة اليونسكو ، فى تحقيق استطلاعى عن مساهمة العلماء العرب فى تطور الفكر والثقافة فى الفترة الواقعة بين القرنين السابع ، والثاني عشر . اما مركز القاهرة فيقوم بمساعدة اليونسكو ايضا بدراسة عن القسط الذي اسهم به الاسلام والعرب فى الحضارة الاوربية . ومن المنتظر ان تبرز هاتان الدراستان الثروة الثقافية التى اكسبتها الثقافة الشرقية والثقافة الغربية معا بفضل حركات التبادل بينهما ، وكذلك بفضل الاثار التي تركتها كل منهما فى الاخرى .

* ظهر فى الاسواق العراقية كتاب « صيانة الابنية الاثرية فى العراق » الذي قام بتاليفه الاستاذ فؤاد سفر ، والاستاذ صادق الحسني .

* فى موقع الحضر بالعراق عثرت بعثة عراقية على سبعة تماثيل جديدة من المرمر .

* يصدر قريبا فى بغداد كتاب جديد للاستاذ قاسم كلكاوي بعنوان « العرب فى الكتاب والسنة »

* « شاعرية ابي المحاسن » كتاب اصدره الاستاذ خضر عباس الصالحي .

* « حفنة رماد » عنوان لكتاب جديد لمؤلفه ناصر الدين النشاشيبي .

* اصدر الاستاذ صادق الطعمة كتابا بعنوان « الادب المعاصر فى كربلاء » .

* انتهى الاستاذ عبد الحميد العلوجي من تحرير كتاب « مؤلفات ابن الجوزي » .

* صدر فى الايام الاخيرة الجزء الاول والثاني من رسائل الجاحظ الذي قام بتحقيقه وشرحه الاستاذ السيد عبد السلام هارون . وقد تضمن الجزء الاول الرسائل التالية « مناقب الترك ، المعاش والمعاد ، كتمان السر وحفظ اللسان ، فخر السودان على البيضان ، فى الجد والهزل ، فى نفي التشبيه ، فى كتاب العصا ، الى ابي الفرج بن نجاح الكاتب ، فصل ما بين العداوة والحسد ، صناعة القواد » . اما الجزء الثاني فيتضمن الرسائل الاتية : « فى النابتة ، الى ابى الوليد ، كتاب الحجاب ، مفاخرة الجواري والغلمان ، كتاب ذم اخلاق الكتاب ، كتاب البغال ، الحنين الى الاوطان .

* بدأت تصدر باللغة الالمانية مجموعة جديدة من المؤلفات المعنية بالاداب فى اسيا . وتتضمن كل مجلد منها مقدمة وتعليقات تفصيلية ، وقد ترجمت النصوص بالاستناد الى الاصول مباشرة . وتحتوي هذه المجموعة على مؤلفات تتميز بها الاداب الهندية ، والصينية ، واليابانية ، والفارسية ، والعربية .

* قام الاستاذ حميد مجيد هدو بتحقيق ديوان الشاعر الحويزي وصدر عن دار مطبعة النعمان بالنجف .

* 25 لوحة من متاحف فرنسا تقيم – مؤقتا – فى غير محلها . حيث انتقلت الى متحف بوشكين وسنفسم بموسكو خلال ثلاثة اشهر ، ثم تنتقل الى لينينغراد ، وفى نفس الوقت ستتوجه لوحات عالمية بمتاحف موسكو ولينينغراد لتعرض فى فرنسا .

* قامت اللجنة الدولية للثقافةفى باريس بترجمة كتاب « رسوم دار الخلافة » للباحث العراقي ميخائيل عواد . وذلك ضمن سلسلة روائع الفكرالعربىالتىتصدرها اليونيسكو ، وكان المجمع العلمي السوفياتي في

* سافرت الشاعرة العراقية الدكتورة عاتكة الخزرجي الى القاهرة لتشرف على طبع ديوان جديد لها .

* عن دار التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة صدرت « تجارب شعرية » للشاعر كيلاني حسن سند .

* قررت وزارة الارشاد بالقاهرة ايقاف اربع مجلات كانت تصدرها الوزارة ، وهي « الطليعة » « الفكر المعاصر » « الرسالة » « الثقافة » .

* دفع الدكتور لويس عوض كتاب « على هامش الغفران » للطبع ، وسيصدر في الشهر المقبل .

* صدرت في القاهرة الطبعة الفرنسية من رواية الدكتور مصطفى محمود بعنوان « المستحيل » التي قامت بترجمتها ليلى عنان .

* تترجم روايه نجيب محفوظ «زقاق المدق» الى اللغة الفرنسية .

* احرز يوسف حسن نوفل بجائزة المقال الاول من المجلس الاعلى الفنون بالقاهرة ، وعنوانه « مشكلة اللغة في الجزائر » .

* تترجم الى الفرنسية قصة « العنكبوت » للدكتور مصطفى محمود .

* نعت القاهرة الدكتور عبد الحميد بدوي ، العضو بمحكمة العدل الدولية . كما نعت الفنان الممثل حسن رياض .

* ديوان « الجداول » لابي ماضي صدرت منه طبعة جديدة في لبنان .

* صدرت في بيروت قصة طويلة لنهاد ابي راشد بعنوان « الانفساع »

* وسام على الوجه » قصة لمؤلفها سليم نصار صدرت حديثا عن دور النشر في بيروت .

* « الذيل والتكملة لكتابي الوصول والصلة » صدر منه في بيروت السفر الخامس من قسمه الثاني . والكتاب من تأليف ابي عبد الله محمد بن عبد الملك الانصاري المراكشي . وتحقيق الدكتور احسان عباس .

* « اكليل شوك حول قدميه » مجموعة قصص قصيرة صدرت في بيروت للانسة لورغبيب . وهذه اول مجموعة تنشر لهذه الاديبة التي الفت باللغة الفرنسية

* صدرت في بيروت ترجمة عربية لكتاب « المادية والثورة » للكاتب الفرنسي جان بول سارتر .

* « اصداء حب » قصة طويلة لمشيل موسى صدرت اخيرا في بيروت .

*«رؤى» عنوان ديوان جديد للشاعر فؤاد العادل ظهر الى الوجود اخيرا في لبنان .

* « تحت سماء آسيا » مجموعة شعرية أعدها للطبع الشاعر السوري الياس الفاضل .

* دفع الى الطبع الشاعر العراقي صفاء الحيدري ديوانه الجديد « زقاق » .

* عن دار المكتبة العصرية في بيروت ستصدر قصة للقاص العراقي غائب طعمة فرمان بعنوان « النخلة والجيران »

* ستصدر في منشورات دار الاداب ببيروت كتاب « تجديد رسالة الغفران » لخليل الهنداوي . وهو نص رسالة الغفران لابي العلاء المعري . وقد اعاد الهنداوي كتابة القصة محتفظا لها ببنائها الاصلي ، وموسعا افكارها .

* احتفل في لبنان بالذكرى العاشرة لوفاة الشاعر صلاح لبكي .

* « قطرات من ظما » مجموعة شعرية صدرت للشاعر غازي عبد الرحمن القصيبي

* يستعمل النحات يوسف غصوب بوضع تمثال نصفي من البرونز لفيلسوف الفريكة الفقيد امين الريحاني .

* منحت الجائزة الكبرى الادبية للاكاديمية الفرنسية عن عام 1965 الى الكاتب هنري بوتي وهو عضو في الاكاديمية منذ عدة سنوات في لجنة الاختيار بجامعة التواريخ .

* صدر للشاعرة نازك الملائكة كتاب « محاضرات في شعر محمود طه — دراسة ونقد » ويشتمل على مجموعة من المحاضرات التي القتها على طلبة معهد الدراسات العليا بالقاهرة .

* اعد للطبع الشاعر العراقي خاشع الراوي مجموعة شعرية بعنوان « مع نفسي » .

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثاني ـ السنة التاسعة ـ شعبان 1385 ـ ديسمبر 1965

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

موسكو قد قرر ترجمة هذا الكتاب ايضا الى اللغة الروسيه .

* نظمت اليونسكو معرضا متجولا موضوعه « فن الخطوط » وبدأ هذا المعرض يطوف بالدول الاعضاء ، وهو يتضمن خمسين لوحة .

* اصدرت اليونسكو مؤخرا المجلد السادس عشر لفهرس الترجمات . ويتضمن هذا الفهرس البيلوغرافي احصاء عن 43 او 45 ترجمه صدرت خلال عام 1963 في 69 بلدا . كما يشير الى بعض الترجمات السابقة التي لم يرد ذكرها من قبل في الفهرس . ويعرض المجلد البيليوغرافيات المصنفه فيه حسب كل بلد .

* نظمت للمرة السادسه حلقه لدراسة آثار الادب الروسي ليون تولستوي دراسة علمية ، وذلك بمدينة تولا حيث توجد متحف الادب الراحل . وقد شارك في هذه الدراسة باحثون من موسكو ، ولينينغراد واوكرانيا ، واورال ، وسيبريا ، والفولجا ، وباشكيري .

* فشلت في بريطانيا مسرحية ارنولد وسكي الجديدة « الفصول الاربعه » قال النقاد ان سبب سقوط المسرحيه دخول الكاتب عالما غريبا هو عالم الشعر .

* عنوان الكتاب الجديد للاستاذ محمود تيمور « خمسه خمسة » قدم فيه ست مسرحيات قصيرة من صميم المجتمع المصري في ازمان مختلفه .

* صدر للاستاذ علي صافي حسين كتاب « الحجاج — حياته وخطابته » تناول فيه سيرة الحجاج باعتباره في مقدمه مشاهير الخطباء الذين وضعوا اسس الخطابة في عصور الاسلام .

* صدر للاستاذ حبيب جاماتي كتاب تحت عنوان « اغرب ما قرأت » مشتملا على ادب الاسفار والرحلات .

* « اغنية الكفاح » كتاب جديد للاستاذ مصطفى عبد الرحمن السكرتير العام لجمعية المؤلفين والملحنين ، وهو دراسة جديدة للاغنية الوطنية ، واسهامها في الكفاح الشعبي ، وتعبيرها عن الاماني القومية والانتصارات الشعبية .

* « اعصار من الشرق » مؤلف جديد للدكتور ثروت عكاشة ، وزير الثقافة السابق ، ورئيس مجلس ادارة البنك الاهلي ، ويدور حول سيرة الفاتح المغولي « جنكيز خان » ، وقد استمد المؤلف سيرته من مصادر كثيرة عربية وغربية ، ولم يجعل السيرة على شكل جاف ، بل جعلها على شكل قصة يرويها في اسلوب شيق .

* في سلسله « اخترنا لك » صدر بحث جديد بعنوان « اتجاهات جديدة في التخطيط الهندي » بقلم سريمان ناراين ، وهو من تلامذة غاندي ، وله رأي يتسم بالمثالية والتصوف في المشاكل الاقتصادية المادية التي تواجهها جزء كبير من العالم ، وبخاصة الهند .

* تم في المانيا الاتحادية تأسيس متحف لتاريخ العمل العالمي ، قامت بتنظيمه احدى جمعيات البحوث مع عدد من كبار الخبراء . وستجرى فيه بحوث تتناول مختلف ميادين تاريخ العمل الانساني ، استنادا في ذلك على مجموعة ضخمة من مختلف الاقسام المعدنيه واوراق البنكنوت المصنوعة من الحرف الصيني وغيرها من المواد الاخرى . كما ستجرى تصنيفها وتبويبها ، وتجميع شتى المستندات التي تتناول تاريخ العمل . وسيكون من ضمن مهام جمعيه البحوث المذكورة التعاون مع اتحادات هواة جمع الاثار وتبادل الخبراء مع الدول الاجنبيه في هذا الميدان . وقد خصصت للمتحف قاعات قصر بورجدرباج في شمال اقليم بافاريا . وسيكون في مقدمة ما يعرض فيه على الجمهور مجموعة من اوراق البنكنوت تضم ما يزيد على 50 الف قطعة .

الافتتاحية

الرسالة الحضارية لمغرب اليوم

يجد القارئ الكريم فى هذا العدد مقالين هامين لاستاذين فاضلين ، احدهما للدكتور شكري فيصل ، والثاني للاستاذ عبد المجيد بن جلون ، وقد التقيا حول موضوع كتبا فيه من غير اتفاق سابق بينهما ، هو موضوع الحضارة المغربية .

ولاشك ان الدكتور شكري فيصل قد بهره ما فى مغربنا من تاريخ نابض ، وتراث خالد ، وادب حي ، وفكر ناضج ، وماض مشرق سطع فى كل افق ، ونفذ الى كل ارض ، وحضارة لها خطورتها ومكانتها ، وتمتد جذورها فى دنيا الماضي منذ ان اضطلع المغرب عبر القرون الطويلة بمسؤولياته ، فحمل مشكاة التقدم والحضارة ، وارتضى الاسلام دينا ينافح عنه ، ويدافع دونه ، ويبشر به فى كل مكان ، حتى اشربت بشاشته القلوب ، واستوى عليها من غير سيف ودم مهراق .. فكتب ذلك المقال القيم الذي حمل عنوان : ((رسالة المغرب الحضارية من الذي يضطلع بها ؟ وكيف ؟

والموضوع الذي كتبه الاستاذ عبد المجيد بن جلون حول ((الحضارة المغربية)) يعتب فيه على عدم الانسجام والمواءمة بين حضارتين : حضارة قديمة اصيلة يعتز المغرب بها ويتمسك بنجاعتها واصالتها . ولكنها فى احتياج الى تطعيم وتقليم وتشذيب ، وحضارة متجددة حديثة ناتجة عن تطور الحياة ، وتغير الناس وتقلب الزمن ومتاثرة بمعطيات العصر الحاضر ، والتقدم العلمي .

ويرى الاستاذ انه تجب المواءمة بين الحضارتين حتى يتم التزاوج والتلاقح ، فالتلقيح يؤدي الى اخصاب قوي ، يحمل بذور البقاء والخلوود ، وبذلك يحصل النغم المهذب المنشود ، الذي لا ينبو عن الحس المرهف ، ولا يشذ عن الذوق السليم .

وما من شك فى ان حضارتنا المغربية كانت على مر العصور حضارة قائمه على الاخذ والعطاء ، نابضة بالخلجات الانسانية ، هاتفة بالاقضاء على المتناقضات فهي ليست حضارة مغلقة او متعصبة ، او جامدة وكافرة ، ولكنها حضارة زاخرة مفتحة النوافذ ، تستوعب كل الحضارات الاخرى .

والرسالة الحضارية لمغرب اليوم تنتظر فى لهف وشوق ، من ينهض بها ، ويقدمها فى اطباق شهية سائغة ، بعيدة عن كل حضارة واغلة ، لا تمت الينا بصلة او سبب .

العدد الثاني
السنة التاسعة
شعبان 1385
ديسمبر 1965
ثمن العدد
درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات ادارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » — قسم التحرير — وزارة عموم الاوقاف
الرباط — المغرب . الهاتف 10 — 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمه الاشتراك فى حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 — 485 — الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » — قسم التوزيع — وزارة عموم الاوقاف — الرباط — المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » — قسم التوزيع — وزارة عموم الاوقاف — الرباط
تليفون 308.10 — 327.03 — الرباط

حول تفسير سورة :

قل أعوذ برب الفلق

للأستاذ : محمد الطنجي

ان القرآن العظيم انزله الله هداية كاملة للبشرية لاعتقادها وسلوكها وأساسا لمعاملاتها . وكل ذلك لا يتاتى الا اذا تدبر المومنون اياته لفهمها وللعمل بما فيها . ويتاكد هذا التدبر لمعانى الايات الكريمة فى الصلاه لان التدبر هو الروح الذي يضفي على الصلاة الخشوع وبما أن المسلمين كثيرا ما يقتصرون على قصار المفصل من سور القرآن فى صلاتهم ، فقد اخترت أن اتناول جوانب من تفسير سورة منها .

قال الله تعالى : ((**بسم الله الرحمن الرحيم ، قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد ، ومن شر حاسد اذا حسد .**))

فاقول مستعينا بالله سبحانه لا يخفى أن الانسان فى هذه الحياة تنتابه عوامل سرور وغبطة واطمئنان ، كما يتعرض احيانا الى ما يخشى منه من الآفات والآلام، أو يصيبه بالفعل بعض المصائب والاحزان . ولا ملجأ للمومن الموحد ولا وزر ولا مستعاذ به الا الله وحده رب العالمين ، وخالق العوالم والناس أجمعين ، وهو سبحانه كافي عباده ، ينيل النعم ، ويزيل النقم ، ويكشف الضر ويجيب المضطر اذا دعاه ، والتجأ اليه ، وتحصن به ، وذلك هو معنى التعوذ بالله .

وفى الاحتماء بالله رفع لمعنويات المضطر ، وتقوية له على تحمل المصاب كما يقوى بذلك رجاؤه فى كشف الضر الواقع ، وابعاد الضر المحتمل وقوعه ، والله سبحانه رؤوف بعباده ، يجعل لهم من كل ضيق فرجا ، ومن كل شدة وعسر يسرا ومخرجا ، ويشرع لهم ادعية ربانية تعبدية جامعة لكل ما يطلب رفعه من ضرر حاصل وما يطلب بقاؤه بعيدا عن الداعي من الآفات والشرور المتوقعة ، حتى يبقى الملتجىء الى الله المتعوذ به فى حرز حصين . والله سبحانه ينزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين . وفى هذا المعنى ورد فى الحديث عن عقبة رضى الله عنه ان رسول الله (ص) قال له الا أخبرك بافضل ما نعوذ به المتعوذون ؟ قلت : بلى . قال : قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس .

والالمام بمعنى هذه السوره يتطلب بيان الاستعاذة والمستعاذ به والمستعاذ منه .

أما معنى الاستعاذة فلفظة عاذ ، وما تصرف منها تدل على التحرز والتحصن والنجاة ، وحقيقة معناها الهروب من شيء تخافه الى من يعصمك منه ، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذا ، كما يسمى ملجأ ووزرا فمعنى أعوذ التجيء واعتصم واتحرز فالعائذ قد هرب من عدوه الذى يبغي هلاكه الى ربه ومالكه ، وفر اليه والقى نفسه بين يديه ، واعتصم به واستجار به قاله بعض المفسرين .

اما المستعاذ به فهو الله وحده الذي يعيذ المستعيذين ويعصمهم ويحفظهم من شر ما استعاذوا به من شره .

وفى تشريع التعلق والاستعاذة بالله وحده رد وأي رد على من استعيذ فى كشف الكربات وفى الحفظ من متوقع الافات بأي مخلوق من المخلوقات .

وقد أخبر الله فى كتابه ممن استعاذ بخلقه ، أن استعاذته زادته طغيانا ورهقا ، فقال حكاية عن مومني الجن : « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا ، » والرهق فى كلام العرب : الاثم وغشيان المحارم وهذا الصنيع منهم لا تقره شريعة الحق ، وجاء فى التفسير حكاية عن صنيع هؤلاء ، انه كان الرجل فى الجاهلية اذا سافر فامسى فى أرض قفر

فالفكر العربي انتابته هزات اثر اتصاله بالفكر الغربي ! واصابه انهيـــــار خطير ازاء الحضارة الوافدة ، حتى بلغ في هذه السنين المتأخرة اقصى مداه ، وحتى اصبحنا نقلب بعض مجلاتنا العربية ، وصحفنا المحلية ، فنجد فيها تخبطات فكرية وادبيـــة ، ودعوات تهدم ولا تبنـــي ، بل تقضي على ما تبقى من قيم الخير والحق والجمـــال ، كالدعوات الفنية الغربيـــــة التي تبشـــر بحركـــة الساخطيـــن ، والوجودية ، والرفض ، واللامنتميـــن ، واللامعقولين ، الى غير هذه الصرخـــات المجنونة التي تخدش صفاء العقـــل ، ونقاوة الضميـــر . كمـــا نجـــد في هـــذه الجرائد والمجلات مقالات عن ((بيير كورنـــي)) و((جي دي موبسان)) وبازائــــه حديث عن ((آرتر ميلر)) يليه مقال عن ((شكسبير)) وآخر عن ((أنوري دي بلزاك)) او ((البيـــر كامـــو))

ولقد بـــات تفكيرنا مع حضارة الغرب ، وثقافة الغرب ، فلا نتحدث الا عن هذه الحضارة الواغلة التي كفر عقلها ، وكاننا لا نملك ادبـــا فاض بالبطولة ، وجـــاش بالعزة ، وعلما ادعى الى الفخر ، وابقى على الدهر ، وحضارة ذات شيـــات خاصـــة ، ونكهـــة عربية ، وطابـــع اسلامـــي خالص .

وليس معنى هذا اننا نلغي تعدد الثقافات المختلفة ، او نرفض تلك التي تحفل بالصراع الفكـــري والمذهبـــي الذي ساد العالم اليوم ، كلا ، فتعدد الثقافات وتنوعها ضروري لكل حضارة حديثة ، اذ ان اقتصار الحضارة على طعام واحد بدون عملية مـــزج بيـــن التيارات العالمية ، معناه جدبها ، وافقارها ، ثم احتضارها ، فالتعدد ، والتنويع ، والتلوين ، والاثراء ، معنـــاه الحيـــاة والخصب والتجـــدد والنمـــاء والحركـــة الدافقـــة ..

كما اننا نترك حرية الاختيار لجميع الفئات المتطلعة للاخذ بشيء غير قليل من الثقافات التي تفد علينا من وراء البحـــار وخلف السهـــوب ، والعمل على درس العلوم والفنون الحديثة واساليبها ، اذ لا شيء اقتل للفكر والادب مثل ان يجد طريقه محفوفا بالموجهين والناصحيـــن والفضوليين .

على ان لا يكون ذلك على حساب حضارتنـــا وثقافتنا ، وعقيدتنا ومقدساتنا ، اذ اننا امة حديثة العهد بالاستقلال ، لها كيانها المادي ، وشخصيتهـــا الدوليـــــة المستقلة ، تشعر بكرامتها وعزتها وبتاريخها وحضارته ونضارته ..

فعلينا ان نفيد من الاثار الرائعة التي خلفها اجدادنـــا لنبرزهـــا في حلة تناسب تقدم العصر ، ومقتضيات التطـــور ، ونعمـــل جادين على تقديمهـــا ، ونستأنـــف الرسالة الحضاريـــة التي تنتظر منا بذل الجهود ، ومواصلة الدؤوب ، ومضاعفة النشاط لخلق انتاج اصيل ، وبحث منتـــج ، وتاليف مبتكر ، يعتز باصالته وطراوته حتى نربـــط الحاضر بالماضـــي وننشيء حضارة ذات طابع مغربي اصيـــل .

فعسى ان يجد مقال الاستاذ الدكتور شكري فيصل ، الذي طرح موضوعـــه للمناقشـــة والدرس استجابة من طرف العلماء والمثقفيـــن الذين نرجو ان يعالجوه بموضوعيـــة واخلاص وايمـــان .

دعوة الحق

وحدة التفكير القرآني

للأستاذ: حسن الشيخ

منذ اربعة عشر قرنا والفكر الانساني يركز تحليلا دقيقا في القرءان الكريم الكتاب الخالد المبين يعطي نتائج هذا الحاصل توجيهات جديدة وتوحي باستمرار لا طاقة للفكر باستكناهها . فالى جانب بلاغة الاسلوب وسحر الكلمة وقوة التاثير . نلاحظ وحدة الموضوع وشمولية الفكر واستكناه قضايا الانسان العقلية والنفسية والاجتماعية ، عبر ان انصراف الفكر للدراسات القرءانية من جهات متعددة فوتت علينا دراسات شاملة تتناول القرءان من سائر الوجوه على اسس منهجية جديدة . وان المحاولات التي قدمها كثير من المفكرين المعاصرين كالاستاذ الرافعي والسيد قطب وامين الخولي وغيرهم تنقصها وجود تركيز جديد مستمد من هذه المحاولات جميعها .

ولا ننتظر مني القارىء في هذا الموضوع ان اقدم له تحليلات لم اسبق اليها وانما احاول ان اظهر مدى وحدة القرءان في عرضه لقضايا انسانية تظهر لاول مرة وكانها متناقضة .

ومن العبث ان اكرر ان للقرءان اسلوبه الخاص . فهو ليس بالشعر الذي يفيض تعبيرا عن احساسات النفس البشرية ، ولا بالنثر الخيالي الذي يجنح بالعاطفة لتحلق في ابعاد خارجة عن محيطها ولا بالنثر الفلسفي المعتمد على التركيب والتحليل الجاف لمعضلات الانسان ، وانما هو كتاب يحاور الانسان كلماته الخفية التي تسمو به الى نظرات تحليلية عميقة لذات الانسان وموقعه في الكون ومصيره النهائي ، فهو وحي يفيض من ينابيع ثابتة لا تتغير ولا تتبدل لانها ينابيع الانسان في طبيعته الطبيعية لا تتغير في الزمان والمكان وانما تظل في صورتها الحق ، ولا شك ان التحليل يتعرض لزوايا متعددة في اعطاء الصورة الحقة لطبيعة الشيء المحلل « بالفتح » ولا يمكن ان تكون النظرة شمولية ما دامت ملتقطة من واجهة واحدة ، ولذلك كان **تعدد** الواجهات من اسباب تغيير الصورة واعطائها تحليلا جديدا ، ثم لا ننسى ان هذا التحليل لم يكن يعطى في صورة نهائية وانما كان يعرض في صور متقاطعة ليستطيع الذين يتلقونه اول مرة ان يفهموه بوضوح تعليمي ، وتعلمي لضرورة تعلق الافكار والنظريات بالعقل الانساني والنفس الانسانية ليتحرك الانسان المؤمن في عالم الانسانية مؤديا رسالته الكاملة ، وهل هناك افكار مجردة تنقصها العقول الانسانية المؤمنة بها لندافع عنها ونناضل ؟

وان اختلاف الزوايا التي يحلل منها الواقع الانساني . وتطور العرض هو الذي جعل كثيرا من المفكرين يرون اختلافا في العرض والتفكير في القرءان، وبذلك خيل لبعضهم ان في القرءان تعارضا في عرضه ، ولناخذ مثلا لذلك بتحليل قضية حرية الانسان كمسؤول عن اعماله في الحياة فمن الواضح ان الانسان مخلوق من المخلوقات العديدة ولكنه يمتاز عنها بانه انسان عاقل مفكر ومحتاج في نفس الوقت الى الهداية فهو ليس مجرد مخلوق ضائع في الكون كالطيور والحشرات ولكنه في نفس الوقت لا يستطيع الحياة وحده بل يطلب الاعانة الدائمة ، هو اذن مخلوق عظيم بذاته شاعر بوجوده وهو في نفس الوقت جزء من مجتمع انساني وجزء من الكون كله وليس ذرة زائدة في الاثير بل ذرة ذات فعالية في الكون .. ولذلك كان التناقض في الانسان نفسه ، لانه كوحدة له راي وموقف وكجزء ليس له الا ان يستسلم للتيار الجارف ، ومن هنا كان حرا وكان مقيدا فاذا رايناه من زاوية « فرديته » وجدناه

(أي خالية) قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ، فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح . فانكر القرآن هذه الاستعاذة لان الله هو الحفيظ على كل شيء ، المدبر للامر كله ، كما أنه الخالق المنفرد بايجاد جميع المخلوقات ، فهو كما وصف نفسه : (له الخلق والامر) وانما امره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فالامر الكوني هو كلمة الله لايجاد الاشياء وتسخيرها . والرسول الاكرم عليه السلام انما يستعيذ بالله أو بصفة من صفاته ، وقد صح في الحديث قول الرسول : أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ . ومن شر ما نزل من السماء ، وما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الارض وما يخرج منها . ومن شر فتن الليل والنهار . ومن شر كل طارق الا طارقا يطرق بخير يا رحمن .

والاستعاذة وقعت في هذه السورة من أربعة أمور شر المخلوقات التي لها شر عموما . ثم شر الغاسق اذا وقب أي الليل اذا أقبل بظلمته . ثم شر النفاثات في العقد وقد ارتضى الحافظ ابن القيم أن المراد بها الانفس الخبيثة والارواح الشريرة التي تسعى للتأثير بافعالها الخبيثة للاضرار بالغير . ثم شر الحاسد اذا حسد . وقوله اذا حسد يبين ان المحسود يتأذى من الحاسد اذا توجهت نفسه لحسده بالعمل .

أما الشر المستعاذ منه فهو الالام والاسباب المفضية اليها ؛ فالمعاصي والكفر والشرك وانواع الظلم هي شرور ، وان كان فيها لصاحبها نوع غرض ولذة . وهذه النظرية من بعض المفسرين تساير نظرية من يقيس الخير بمقياس السعادة العامة . ويجعل الشر ما قابل السعادة العامة ، فانواع الظلم والمعاصي والشرك والكفر لا تمت الى سعادة المجتمع بأي صلة . وعليه فهي شرور دعا الاسلام الى الاستعاذة بالله من جميعها ، وهي شرور واردة على الانسان من خارج كالظلم بالسحر والحسد الى آخره . بخلاف ما تضمنته سورة قل أعوذ برب الناس .

أيها المسلم ان هدي القرآن يدعوك الى الابتعاد عن الشر بنفسك والى عدم ملابسته بأي وجه ، ثم يرغبك في التحصن والاستعاذة بالله من جميع اشكاله والوانه .

ثم ينبغي أن يتنبه القارىء لهذه السورة أن الاستعاذة في سورة الفلق جاءت متعلقة باسم الرب لما في صفة الربوبية من معنى الايجاد والخلق والرعاية والحفظ . وقد أضيف لفظ الرب الى الفلق الذي هو الصبح والنور . قال الحافظ بن القيم في تفسير المعوذتين : «واعلم أن الخلق كله فلق وذلك أن فلقا فعل بمعنى مفعول كقبض وسلب وقنص بمعنى مقبوض ومسلوب ومقنوص . والله عز وجل فالق الاصباح وفالق الحب والنوى وفالق الارض عن النبات . والجبال عن العيون . والسحاب عن المطر والارحام عن الاجنة . والظلام عن الاصباح ويسمى الصبح المتصدع عن الظلمة فلقا » . فعلى هذا كانك قلت أعوذ برب هذه المخلوقات كلها وعلى التفسير الاول يكون المعنى انك تقول أعوذ برب النور من شر كل مخلوق ومن شر غاسق اذا وقب أي ليل اذا دخل واقبل بظلمته لان الظلمة تساعد فعل الشرور بخفية عن أعين المبصرين . فتنطلق النفوس الخبيثة لفعل انواع الشرور ، ومن شر النفاثات في العقد أي الانفس الخبيثة والارواح الشريرة الساعية للاضرار بالغير بانواع المكر والخديعة والحيل من فعل الساحرين والمشعوذين الذين يخدعون الناس وياكلون اموالهم بالباطل ، ومن شر كل حاسد يتمنى زوال النعمة عن محسوده لتصير اليه .

أيها المسلم : انك بتدبرك لمعاني هذه السورة عند تلاوتها تكون بهذه الاستعاذة بالله وحده وبدعائه باخلاص تحصن نفسك ، وتسعى لحفظ نعم الله عليك ، وتقوي معنوياتك بالتعلق بربك ، وتطرد وساوس الشيطان عنك . فتسكن روعاتك ، وتطمئن نفسك ، وتكون ممن قال الله تعالى فيهم : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب) صدق الله العظيم .

الرباط : محمد الطنجي

بعيدة عنا ان ندرك اسرارها، ولكننا نسجلها بعد نهايتها وكاننا نختزنها فى ذاكرتنا فقط .

ومن جهة اخرى يلاحظ ان ادراك الانسان يتبع قوة عقله ولذلك فآراؤه لا يمكن ان تخلو من نسبية وتبعا لذلك فأحكامه على مجريات الكون وشعوره بحرته لا يخرجه عن دائرة الارادة العليا المطلقة ، وبما ان للانسان تركيبا حيوانيا ماديا يسيطر عليه عقله وشعوره فهو منقسم بينهما ، وكم يخيل له انه يستطيع ان يفعل وبعمل ولكن طبيعته المادية تلزمه بعمل خاص فيشعر فى ذاته بالتناقض ، وتكون احكامه واراؤه تبعا لذلك متناقضة، فالانسان ليس حرا خالصا متحررا من مادبته والا لكان غير الانسان ، وليس مادة صرفة والا لكان غير انسان ، ولكنه مخلوف ذو طبيعة خاصة وخطانا اننا لا ننظر من زاوية التاريخ بل نحكم على حرية الانسان فى حركته ، ولو تراجعنا قليلا لنحكم عليه وقد انم رسالته فدرسنا عصره واثره فى عصره لوجدناه مجبورا ولقلنا بحتمية عمله وجبرية التاريخ .

فقد اوضح الفيلسوف «شوبنهور» ان الانسان ليس الا ارادة فعالة ولكنه عندما وضعه فى الكون لم يحرره من الارادة العليا ، ان جوهر العقل هو الفكر والادراك ، ولكن الارادة هي التي تقود العقل ، وكما عبر «سبينوزا» بان الرغبة فى جوهر الانسان والارادة هي الاساس قبل العقل ، بل انه كما يقول «شوبنهور» شخصية ارادية لا عقلية وجسمه الانسان ارادة مجسمة ولا شك ان هذه الارادة تعمل فى عالم محدود ضيق لا تتحرر منه ، ويعيد كل انسان قضيته كفرد من ذاته ، وفى جماعته لينتهي وقد ترك هذه الدنيا كما وجدها كما يقول فولتير ، ان الارادة الانسانية غير مختارة ويحاول العقل ان يفسر اعمالها بطريق الاختيار وعلى هذا فلا تناقض فى الايات الفرءانية .

الحسن السائح

العلمـاء الاغنيـاء

قيل لبزرجمهر : « العلماء أفضل أم الاغنياء » ؟

فقال العلماء .

فقيل له : فما بال العلماء بأبواب الاغنياء أكثر من الاغنياء بأبواب العلماء ؟

فقال : لمعرفة العلماء بفضل الغنى ، وجهل الاغنياء بفضل العلم .

يملك عقلا شاعرا ، اعني عقلا غير ءالي وغير ميكانيكي او الكتروني ، ولكنه عقل يستطيع ان يجنح نفسه بالخيالات والانطلاقات ، والمحاولات ، ولكنه فى نفس الوقت لا يستطيع ان ينتصر على الجاذبية الارضية ولا عن التفتتات المادية الداخلية فيظل قويا يغالب والفناء، ومن هنا خيل للكثيرين ان هناك تنافضا فرءانيا فى مسؤولية الانسان ، حيث ارادوا ان يضيقوا مفهوم الانسان ليساير نزعة عقلانية محدودة المنطق ، فارادوه ان يكون تاره حرا فى تصرفانه وءاونة مقيدا فى تصرفاته ، وكاني بهم ارادوا ان ينزلوا بالتفكير الالهامي الشمولي الى مرتبة التفكير الذاتي الشخصي الذي يتاثر حسب درجة الثقافة والوعي والامكانيات ، فيكون تارة ذا ارادة واخرى سليبا منها ، فالتناقض واقع فى طبيعة الانسان ، وفى علاقته مع الكون ، والقرءان انما يصور هذا الترابط بين الانسان والكون وبين الانسان وذاته ، هذا التصوير الذي هو شرح للتناقض الواقع وليس تقريرا له .

فحرية الانسان موجودة فعلا فى عالم كله قيود كالسجين تماما الذي يتحرك داخل حجرته، هو حر فى حجرته مستعبد فى الخارج ، ولا يخفى اثر هذا الازدواج من الوجهة الواقعية ، اذ ان الانسان الذي يحيا بطبيعته فى طغيان لا بحد من قونه الا ايمانه بقيود ترد غلوائه كما ان الذي يعيش بطبيعة الضغط والاستكانة يجد فى رحب المسؤولية والارادة ما يدفعه للعمل .

ان الانسان كمخلوق يستمد وجوده من خالقه ، تتوقف حياته على استمرار وجوده الروحي والجسدي المسوى من مادة نتجت من الطين ، ووهبه العقل الذي امتاز به عن سائر المخلوقات فاكسبه قدرة على تسيير نفسه واختيار طريقه .

وقد كان الانسان بالاعتماد على عقله يستطيع ان يدبر شؤونه فى الحياة ولكنه ظل دائما بعيدا عن جوهر هذه الرسالة ، واحتاج الى علاقته بربه الذي كشف له طريق الهداية ، ومن هنا اصبح مسؤولا عن اخطائه ومن هنا ايضا بدات الخلافات المذهبية فى تحديد حرية الانسان وجبرته ، وبالرجوع الى القرءان نرى ءايات تراه مخلوقا محدود الارادة او لا ارادة له بل هو مسير فى الحياة ، ونرى ءايات اخرى تمنحه الكثير من الاختيار فى توضيح سلوكه ، فهل هناك اختلاف فى المدلول ، والواقع ان الاعتماد على منهج يوضح مدى عدم التضارب بين الآيات المختلفة يكشف ان الموضوع القرءاني حين يكون فى معرض الحديث عن الله فان الايات تحد من اختيار الانسان وتجعله تحت جبرية غير محدود وبذلك يكون العمل الانساني سواء كان خيرا او شر على السواء وان الهداية والايمان بيد الله .

اما حين يكون الموضوع القرءاني عن الانسان فتوضح الاية دائما حريته فى الاختيار وتحمل مسؤوليته ويقتصر ارشاد الله للانسان عن طريق الوحي بواسطة الانبياء .

وقد حاول كثير من المفكرين المسلمين ان يوفقوا بين النظريتين المتضاربتين فى القرءان الكريم فذهبت السلفية القديمة الاشعرية الى اثبات القدرة الالهية واعطاء الانسان كسبا اي اختيارا مما كسبته كل نفس بشرية ، فهي مقارنة القدرة للفعل بعد الكسب الانساني ، على ان السلفية الحديثة ترى ان الانسان يملك ارادته واختياره ولكن الحكم الاخير لاعماله مرده لله وحده ، فالانسان مسؤول عن خطيئته ، وعن اخطائه امام الله بعد تصرفه المباشر بقدرته ، وهذا رأي الاستاذ الامام الذي حاول التوفيق بين المذاهب الاسلامية القديمة والفلسفة الحديثة التي لا تقر بالجبرية ، ولا يستبعد فى هذا التفسير اعطاء واجهتين لارادة الانسان وحريته ، الاولى التي تظهر فى فرديته ، والثانية التي تظهر فى الجماعة الانسانية الكبرى .. ويظهر العمل الجبري الجماعي فى التاريخ الانساني .

وبما ان الجماعة تحكمها قوانين اخلاقية صارمة تستطيع بسببها ان تستمر حية او تضعف وتتلاشى كما ان الفرد نفسه يخضع لقوانين اخلاقية اذا حافظ عليها استمر وجوده والا عرض نفسه للمتاعب واللاشي ، فان التاريخ يظهر بوضوح نفس هذا القانون .

ولذلك فالقرءان الكريم يشير الى التاريخ كدليل على ارادة الله فى الفرد والامم والشعوب ، حيث يظهر ارادة الله وقدرته المطلقة فى التاريخ .

وقد يكون على القول بالاختيار والكسب ان يكون التاريخ مجموعة اختيارات البشر مضافة الى حكم الله وقدرته ثم ان الانسان كمجموعة من جهة اخرى مسؤول امام الله ، فكم من امة عصت فاستحق شر الجزاء على ان هذه محاولات العقل البشري لمعرفة كنه التصرفات ، وهو دائما يعطي اوجه نظر فقط والا فالانسان فى ارادته وقوته والتاريخ فى حركته الدينية يتطوران تطويرا مشهودا يخضع لترتيبات

... الاسكندر المذكور ذو القرنين وهو ايضا غلط ، فان لفظه « ذو » لفظة عربية محضة ، وذو القرنين من القاب العرب ملوك ... (4) » ، وذكر ابن حجر في فتح الباري وجوهـا كثيرة ... الفرق بين ذي القرنين والاسكندر المقدوني (5) .

هذه بعض نصوص لبعض علماء الاسلام من رجال العلم ... الكتاب والسنة والتفسير والتاريخ ، وهي نصوص صريحة في عدم ارادة الاسكندر المقدوني بذي القرنين في الآية الكريمة . ... المفسرون المحدثون مثل الشيخ جوهري طنطاوي والسيد قطب ... تبعوا نص السلف الاول في رفض ان يكون الاسكندر المقدوني هو المراد في القرآن .

والمؤرخون الغربيون الذين حدثونا عن الاسكندر في ... حياته وحروبه وانتصاراته ، حدثونا كذلك عن قسوته وغطرسته وغروره بالعظمة الى حد ادعاء الالوهية بما يؤيد ما جاء عنه في اقوال علماء المسلمين ، ولا يمكن ان يوصف بما وصف الله به عبده ذا القرنين من اوصاف الملوك العادلين المصلحين . يقول « ولز » في كتابه (معالم تاريخ الانسانية) « ان كتاب ... الاسكندر والكتاب الذين عاشوا في زمن قريب من عصره ... كانوا ما فطر عليه من غرور لا حد له (6) » . ويقول وهاكم الاسكندر وهو انسان موهوب في كثير من النواحي مواهب ... اي رجل في زمنه ، ولكنه مغرور ... في الناس ، ... ، وله بعض احداث ... انحرافا وزيغا (7) » ، ومن ... « ولز » يحدث « هارفي بورتر » في كتابه « التاريخ القديم » عن سوء اخلاق الاسكندر فقال : (... وهناك حدث ... ظهر منه سوء خلق الاسكندر وعسر عوائده ، ... وجار عن سبيل الحق (8) » . وتقول دائرة معارف ... « ان اكبر اغلاطه كان افراطه في الشراب الذي قاده اكثر من مرة الى ارتكاب الافاعيل مثل قتله الشنيع لكليتس) (9) (Cleitus)

ثم ان اي شريعة من شرائع الله لا تبيح ... لبشر ان يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ، وما ... لأحد من عباد الله الداعين الى دينه ، والناشطين لعدله على وجه الارض ، ان زعموا لانفسهم شيئا من ادعاء الألوهية حتى ولو كان ذلك على سبيل السياسة والاحتيال في حمل العامة على طاعتهم . ولكن تاريخ الاسكندر قد اثبت انه ادعى الألوهية ، يقول « هارفي » . « ... فازداد الاسكندر تجبرا وافتخارا حتى اراد ان يسجد له الناس كالاله ، وفعل ذلك بعض سبعة تملقا ، وابى ذلك بعض المقدونيين واليونان ولا سيما « كاليسثنيس » صاحب ارسطو طاليس ، فقال له : ان ذلك يغيظ الآلهة ، فاغتاظ منه الاسكندر وقتله ، ولا يخفى ما في ذلك من الطغيان (10) » .

ويقول « ولز » متحدثا عن طموح الاسكندر الى التأليه في كل من يحتفل به من الناس . « فكم كان مريحا ومطمئنا لنفسه ان يكتشف ابوه ليس مجرد مخلوق موفق وليس واحدا من اولئك السوقة من القوم ... المصريين ، وانما هو قديم ازلي وقدسي وابن الاله ، وهو الاله فرعون بن آمون رع (11) » وقد عنون « ديورانت » الفصل الذي تكلم فيه على موت الاسكندر بقوله . (موت الاله) وتحدث عن الرسالة التي بعث بها الاسكندر عام 324 قبل المسيح الى جميع الدول اليونانية يبلغها فيها انه يرغب في ان يعترف به من ذلك الوقت ابنا « لزيوس » وصدعت معظم الدول بما امرت (12) ، ومهما تكن الدوافع السياسية التي حاول « ديورانت » ان يستنتجها من بعض النصوص التاريخية على انها كانت الاسباب الداعية الى ادعائه الالوهية ، فقد انبأنا « بعد ان أله نفسه اصبح سريع الغضب متغطرسا وان سرعة غضبه وغطرسته اخذتا تزدادان على مر الايام (13) » .

ثم ان عفة العبد الصالح ذي القرنين وزهده عن تناول ما في ايدي الناس مع قدرته على الاخذ حتى ولو كان ذلك مقابل ما طلب منه ان يقوم به من اصلاح ، واجابته لمن عرض عليه المال بقوله « ما مكني فيه ربي خير » اقرب الى صفات الانبياء المرسلين ، مثل سليمان الذي رفض هدية بلقيس قائلا : « ما آتاني الله خير مما آتاكم » وابعد ما تكون عن اوصاف البشر والنهم المالي الذي وصف به التاريخ الاسكندر المقدوني . يقول « ولز » وهو يتحدث عن الجو الحقيقي لحياة الغازي « انها تكشف عن ذهن مضطرب لا يعرف الاتزان ومغلق تماما

« تاريخ ابي الفدا » الجزء الاول ص 45 .
« فتح الباري » الجزء السادس ص 204 .
« تاريخ معالم الانسانية » ج 2 ص 370 الترجمة العربية .
المصدر نفسه ج 2 ص 355 .
التاريخ القديم « لهارفي » ص 206 .
Nelson's Encyclopaedia, Vol. I - Alexander Th Great
التاريخ القديم « لهارفي » ص 206 .
« معالم تاريخ الانسانية » ج 2 ص 362 .
« قصة الحضارة ج 7 ص 533 الترجمة العربية .
« قصة الحضارة ج 7 ص 533 و 534 الترجمة العربية .

ثقافة القرآن والثقافات العالمية

للأستاذ : محمد الحمداوي

- 3 -

كان البحث في المقالين السابقين مركزا على اقامة الدليل على بطلان دعوى ان (ثقافة القرآن ثقافة عالميـة) في كـل محمل من المحامـل التـي يمكن ان تحملهـا اللفظ في دلالـة الصحيحة ، وعلى المعنى الذي فسره به صاحبه ، في صلب مقالـه المعنون به ، كما كان مركزا كذلـك على ابطـال ان يكـون القرآن قد نقل او استعمل او اخذ من محاسن الثقافات السابقـة ما يحسن اخذه واقتباسه ، فلم يكن في اذن مما سبق الوعـد باتمامه الا تفصيل الجزئيات التي التمسها الاستاذ اليونانـي من هنا وهناك كشواهد ودلائل على دعواه ، وكمعالم للاخذ والنقل والاقتباس الذي نسب للقرآن من غير القرآن ، وها هو ذا انجاز الوعد ان شاء الله .

1 — قرنية الاسكندر المقدوني .

مما ساقه الاستـاذ اليونانـي للتدليـل على صلة الوصـل القائمة بين ثقافة القرآن وثقافة يونان ان (ذا القرنين) الذي قص علينا القرآن قصته في سورة الكهف هو الاسكندر الاكبر المقدوني اليوناني الذي قال عنه انه « الملك الذي اثنى عليـه الحق سبحانه بقوله : (انا مكنا له في الارض وآتيناه من كـل شيء سببا) ، وقال عنه ان (القرآن نوه باعماله الاصلاحية في حمايـة الامم المحصورة من جاهليـة رحل الاسيويين المسمين في التوراة جوج وماجوج ، وفي القرآن ياجوج وماجوج » .

واعتقد ان حمل ذي القرنين الواردة قصته في القرآن على الاسكندر الاكبر المقدوني تفسير للقرآن داخل حدود اضيق من تلك الحدود التي اتهم الاستـاذ اليوناني المفسريـن قديمهـم وحديثهم بانهم حصروا مفاهيم القرآن داخلها ، فليس هناك من دليل قطعي — ولا حتى ظني راجح — لا في الكتاب ولا في السنة ولا في اقوال رجال العلم بالحديث وبالتفسير والتاريخ قديمـه وحديثه ما يجعلنا نجزم او نرجح بان المراد بذي القرنين في القرآن هو الاسكندر المقدوني ، بـل ان ما ورد من النصوص الصحيحة الصريحة يؤكد عكس ما ادعى ، قال الحافظ بن كثير في تفسيره في معرض الطعن على الحديث الذي يعني ان المراد بذي القرنين الاسكندر المقدوني . « انه ضعيف وفيه نكـارة ورفعه لا يصح » ، قال . وفيه من النكارة انه من الروم ، وانما الذي كان من الروم الاسكندر الثاني ، وهو ابن فليبس المقدوني اما الاول المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل كما ذكره الازرقي (1) » ، وقال في تاريخه « البداية والنهاية » بعد ان ذكر اقوال العلماء فيمن هو المعنى بذي القرنين . « وانما نبهنا عليه لان كثيرا من الناس يعتقد انهما واحد ، وان المذكور في القرآن هو الذي كان ارسطو طاليس وزيره ، فيقع بذلك خطأ كبير ، وفساد عريض طويل كثير ، فان الاول كان عبدا صالحا وملكا عادلا ، وكان وزيره الخضر ، وكان نبيا على ما قررناه قبل هذا ، واما الثاني فكان مشركا وكان وزيره فيلسوفا ، فأين هذا من ذاك ؟ لا يستويـان ولا يشتبهـان الا على من لا يعرف حقائق الامور (2) » ، وقال ابن تيمية في كتاب « الـرد على النصارى » . « وكان ارسطو قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة وهو وزير الاسكندر بن فيلبس اليوناني المقدوني الذي يؤرخ به التاريخ الرومي عند اليهود والنصارى ، وكان هذا مشركا يعبد هو وقومه الاصنام ولم يكن يسمى ذا القرنين ولا هو ذا القرنين المذكور في القرآن (3) » وذكر ابو الفدا في تاريخه وهـو يتكلم عن الاسكندر المقدونـي انه « قد قيـل انه انصـرف من المشرق الى جهة الشمال وبنى السد على ياجـوج وماجـوج ، والصحيح ان الاسكندر المذكـور لم يكن منـه ذلك ، بـل ذو القرنين الذي ذكره الله في القرآن ، وهو ملك قديم كان في زمن ابراهيم عليه السلام ... وقد استفاض على السنة الناس ان

1) « تفسير بن كثير » الجزء الثالث ص 100 .
2) « البداية والنهاية » الجزء الثاني ص 105 — 106 .
3) « الرد على النصارى » الجزء الاول ص 120 .

على هامش المؤتمرات الاسلامية :

في مجال التخطيط للقضية الاسلامية في العصر الحاضر

للأستاذ : المهدي البرجالي

المؤتمرات الاسلامية امام الاوضاع الاسلامية الحاضرة ـ ما تبتغيه الحركة الاسلامية التي تعبر عنها هذه المؤتمرات ؟ الاهداف الاسلامية الحاضرة بين مضمونها السياسي والمضمون الثقافي والاتجاهات السائدة بهذا الصدد ـ الحركة الاسلامية امام اختيارات اساسية في التكنيك والاستهداف المرحلي والضرورات الناشئة عن ذلك .

عقد في اندونيسيا ـ اوائل هذه السنة ـ مؤتمر اسلامي ضم وفودا عديدة من شتى انحاء العالم وكان موضوع اجتماع هذه الوفود بالطبع دراسة الاوضاع الاسلامية الحاضرة على المستوى العالمي والنظر فيما تعكسه هذه الاوضاع من مشاكل وقضايا مختلفة . وخلال حج هذه السنة انعقد جمع اسلامي ءاخر تفرعت عنه لجن مختلفة ، تعني بتمحيص مختلف القضايا التي تواجه المسلمين في العصر الحاضر من وجهة ثقافية وسياسية ومادية وتنظيمية وغيرها ، وانتهى المؤتمر كما هو معهود في مثل هذه الاحوال الى اقرار توصيات يبدو من محتواها ان لها نصيبا من الاهمية في هذا الميدان ، وان كانت هذه الاهمية هي ذات قيمة نظرية لا غير ، لانه سيبقى من الضروري دائما تهيؤ امكانيات مادية وتنظيمية مهمة ، ووجود اجواء نفسية وسياسية مناسبة ، وتوفر قوى عقلية خلاقة ، وتوافر تخطيطات دقيقة محكمة ، وتكاثف النوايا والعزائم والمبادرات لاجل الوصول في هذا الباب الى انجاز شيء اساسي له قيمة وحقيقية ، ولا يعني هذا ان الندوات التي ما تنعقد منذ عدة سنين ، حول موضوع القضايا الاسلامية الراهنة على مستوى العالم ، ومشاكل ... من اجل تحقيق نوع من النهضة الاسلامية ذات ابعاد ثقافية وسياسية وتعاونية وغيرها ـ لا يعني ما تقدم ان هذه الندوات ذات القيمة النظرية المجردة لا تقدم شيئا في الامر ولا تؤخر ، وليس من شأنها ان تثير قدرا من الاهتمام ، فالواقع ان المؤتمرات ذات الصبغة الاسلامية والتي توالي انعقادها خلال فترة طويلة ترجع الى ما قبل الحرب العالمية الاخيرة ، هذه المؤتمرات كان لها اثر ما في لفت الانظار الى وجود القضية الاسلامية ، وبلورة قدر من الاهتمام بها واستخلاص بعض النظريات والحقائق المتعلقة بها ، وابرازها نوعا ما بين القضايا العالمية الموجودة كقضية قائمة لها كيان حقيقي متميز ، ولها كذلك اطارات انسانية تعمل من اجلها وابعاد فكرية وثقافية وروحية تمتد عليها واعتبارات سياسية وايديولوجية ومادية تقوم عليها ، وكل هذا مما له اهمية خاصة ، لا يمكن ان تنكر ، بل اننا اذا نظرنا الامر من جانب ءاخر فسنجد ان هذه الاهتمامات الاسلامية التي تتمثل وجودها في المؤتمرات المتعاقبة والقرارات المتخذة ، والصحف الصادرة ، والنوايا المعلنة ، والعزائم المعقودة ، كل ذلك ناتج عن وجود نهضة اسلامية لاشك في وجودها ، وهو مظهر من مظاهر هذه النهضة التي لا تزال تتلمس سبيلها لكنها لم تستقر بعد من الناحية النظرية وحتى العملية ايضا ، على اساس

في صغائر الامور الشخصية ، فهي لم تكن الامبراطورية لديه الا مجالا للمظهر الانساني ، ولا موارد العالم باسرها الا مادة لعوبات من ذلك النوع من السماحة والكرم الذي يسرف الف رجل لكي ينتزع اعجاب فرد واحد مشهور (14) . » .

هناك اذن اكثر من دليل من دلائل العلم وشواهد التاريخ على عدم صحة ان يكون القرآن الكريم قد عنى بذي القرنين الاسكندر المقدوني . ومن ثم فقد بطل ان تكون قصة ذي القرنين في القرآن دليلا على وجود الصلة بين ثقافة القرآن وثقافة اليونان .

اما ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية (15) في مادة الاسكندر حيث نسب الى جمع (المسارفة) ما توجب الامانة العلمية ان تنسب الى قائليهم ، وحسب قصاب في الكلام على الروايات الضعيفة المحجوبة ما احتملته في الروايات الصحيحة الثابتة ، فربما دخل من نوع ما كان الامير شكيب ارسلان (16) رحمه الله قد وصف به الكثير من هذه المعلمة من الجهل والتخريف ، او التزوير والتحريف ، في محاولة نسبة الخرافات والاباطيل الى الاسلام . ولعل ذلك من بعض ما اغرى الاستاذ الوزاني ان يقول في الاسكندر ما قال .

2 — اغريقية الخضر .

ذكر الاستاذ الوزاني الخضر الذي رحل موسى عليه السلام للأخذ عنه ، كشاهد من الشواهد على الصلة القائمة بين ثقافة القرآن وثقافة اليونان ، فقال : « فهذا موسى عاهل العبرانيين ومن اولي العزم من الرسل ، يرحل بالاداوة رحال اغريقي ليأخذ عنه علما لا يعلمه » . وقد تتبعت جمع ما امكنني تتبعه من اقوال المفسرين والمؤرخين والنسابين ، فلم اجد منهم من ذكر ان الخضر صاحب موسى اغريقي يوناني ، فقد ذكر الطبري في تاريخه (17) وابن كثير في تاريخه (18) وابن حجر في « فتح الباري (19) » اكثر من قول في اسم الخضر ونسبه ما عدا انه يوناني ، ذكروا من الاقوال في نسبه انه مصري ، وانه فارسي ، ولم يذكروا اي قول بانه يوناني ، وذكره ابن خلدون (20) في عمود نسب اهل بابل من العراقيين ، فلم يبق اذن من اغريقية الخضر الا انها وحي اوحته الى الاستاذ الوزاني فكرة تعريق القرآن وقصص القرآن وآيات القرآن في ثقافة الاغريق وفلسفتهم .

ومن العجيب جدا ان الاستاذ الوزاني الذي يرفض ان « توسع حدود مفاهيم القرآن الكريم حيث وصل بها المفسرون القدماء وكذلك المحدثون » والذي يتهم المفسرين بانهم « فسروا القرآن داخل حدودهم الضيقة وايام عزلتهم عن بقية اطراف العالم » ، من العجيب ان يعمد الى ما اتى به بعض المفسرين الخرافيين منهم ، فينسبه على انه تفسير ، وانه حق وصدق يثبت ان الانبياء اخذوا العلم عن فلاسفة الاغريق حين يقول متحدثا عن الاسكندر « وكان له ابن خالة وهو الذي رحل الى الاخذ عنه موسى وفتاه يوشع بن نوح عليه السلام . وقال الله في ذلك (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) » .

والمعروف في تاريخ بني اسرائيل ان موسى عاش حوالي القرن الخامس عشر قبل المسيح ، ومن البديهي ان العبد الذي آتاه الله من عنده رحمة وعلما ، والذي قص القرآن قصة موسى عليه السلام لما رحل مع فتاه للاخذ عنه ، كان يعيش في زمن موسى ، وهو الذي كان اسمه (الخضر) كما ورد ذلك في الحديث الذي يرويه البخاري ، فمن هي هذه المرأة التي عاشت في القرن الخامس عشر قبل المسيح حيث ولدت ام الخضر ، ثم امتد بها العمر الى القرن الرابع قبل المسيح حيث ولدت « اولمبياس » ام الاسكندر فصح هذا ابن خالة لذلك ؟ ! وقد نبه الاستاذ عبد الوهاب النجار لهذا التهافت ، حين قال : « ويقول بعض المفسرين انه (الخضر والاسكندر المقدوني) ابنا خالة ، وهو قول جاهل ، لان الاسكندر كان بعد موسى باكثر من الف سنة ، فكيف يكون ابن خالته معلما لموسى رسول الله (21) » .

— يتبع

البيضاء : الاستاذ محمد الحمداوي

---

(14) « معالم تاريخ الانسانية » ج 2 ص 372 الترجمة العربية .

(15) الترجمة العربية المجلد الثاني ، مادة (الاسكندر) .

(16) في مقال له ، كان قد نشره في احد اعداد مجلة « السلام » التي كان يصدرها بتطوان العلامة الاستاذ محمد داود .

(17) « الطبري » ج 1 ص 256 .

(18) « البداية والنهاية » ج 1 ص 320 .

(19) « فتح الباري » ج 6 ص 335 — 336 .

(20) « تاريخ ابن خلدون » ج 1 ص 108 ، طبعة سنة 1330 .

(21) « قصص الانبياء » ص 257 ، الطبعة الاولى .

3 ـ عدم وجود تخطيط معين تتفق الحركات الاسلامية على احتضانه والعمل به ، وذلك من اجل تحقيق الاهداف المشتركة بين هذه الحركات جميعا .

هذا من الناحية النظرية ، اما من حيث الاعتبارات الواقعية فيلاحظ اولا :

1 ـ انصراف النخبة في البلدان الاسلامية او الكثير منها على الاقل ـ انصرافها الى العمل السياسي والايديولوجي وغيره ضمن اطارات فكرية اخرى يستبعد الدين وما يستعمله كبوتقة لصهر التضامن والتعاون بين الاقطار العربية والاسلامية ، او انها على الاقل ـ تضع العامل الديني ـ بهذا الصدد ـ موضعا ثانويا او مرحليا فقط .

2 ـ تجمد « الحركة » الاسلامية وقصورها امام الحركات الاخرى ذات الاساس الدنيوي الصرف . ولعل من بين عوامل هذا التجمد ـ ما ذكرناه من انشغال النخبة عن قضايانا من هذا القبيل ، وتجمد الكثيرين من الموالين للفكرة الاسلامية ، عند حدود مفاهيم ضيقة . ووسائل اتكالية . ليست لهـا القابلية لاحداث تأثير جماهيري له اهمية واعتبار .

3 ـ ومما تفرع عن كل ذلك ـ على ما يظهر ـ عدم وجود سلطة دولية قوية تحتضن الحركة الاسلامية العالمية وتسخر لها الموارد والامكانيات المختلفة ، وتهيء لها من سبل الرعاية ما تجده الحركات الوحدوية الاخرى ، التي تشق طريقها الان سواء على اساس اقتصادي ـ اجتماعي او على اساس فكري اجتماعي او ما هو مزيج من هذا وذاك .

* * *

ماذا تبتغيه الحركةالاسلامية الحديثة «مفترضين وجود هذه الحركة بالفعل » من وراء العمل على بعث نهضة اسلامية في مستوى عالمي واسع ؟ هل المراد بهذا النتيجة المفترض حصولها من مجرد العمل على الشعور الديني الحق ، في حظيرة المجتمعات المنتمية الى الاسلام ، وتحقيق الظروف النفسية والاجتماعية ، التي قد تساعد على تنمية هذا الشعور وتركيزه بصورة تجعله اداة ملائمة لتطور المسلمين دينيا ودنيويا ولكن في نطاق محلي مستقل داخل دائرة الانفصال الموجود بين الاقطار الاسلامية بعضها عن بعض ؟ ام المراد بالنهضة ـ في هذا المقام ـ اوسع من ذلك بكثير بحيث يفهم منه امكانية الوصول الى تحقيق حالة من التلاقي والتعاون بين المجتمعات الدولية الاسلامية على ان يدفعها ذلك الى نوع من الاتحاد فيما بينها ، قد يؤول الى نوع من الانصهار . يتمكن معه كل مجتمع من التفاعل البناء مع المجتمعات الاخرى المكونة لتكتل من هذا القبيل ؟

ان النظر في معطيات جوهرية من هذا القبيل ، هو ضروري ـ اساسا ـ للتثبت من نوع العمل الذي يتعين على حركة اسلامية عالمية ان تقوم به وتنجز سببا حقيقيا من ورائه ، والحركة المفترضة هذه، توجد . او بالاصح ـ يوجد القائمون عليها ـ محتارين احيانا بين جواذب المثالية التي تحذوهم روحيا الى الاخذ بالمبدأ من اساسه « مبدأ العمل من اجل الهدف الذي يتوخونه » وبين صراحة الواقع الذي يحمل في الغالب . عددا غير محدود من المشاكل والمعرقلات والمتناقضات ، وهذه كلها لا تساهم فقط في تعقيد الوسائل التي يستخدمها العاملون من اجل تحقيق المبدأ الذي يعملون له وتوربط الاهداف التي يرومونها بل ان المشاكل والمتناقضات الناتجة عن الحيرة بين الواقعية والمثالية ، ربما تقود احيانا الى الحيرة في تعميم حدود المبدأ ذاته . ولفه احيانا كثيرة في غلالة من الغموض والعشوائية تجعل القائمين على الحركة لا يتبينون جيدا مواطيء اقدامهم في ميدان التصور والعمل والانجاز الا بقدر لا يسمح بالحصول على شيء عملي وواضح وحاسم ، وبذور الحركة الاسلامية الحديثة تعاني بالفعل ـ ومنذ وجدت ـ من نتائج هذه الحيرة الواسعة بين اشعاعات المثالية من جهة . واوعار الواقع من جهة اخرى ، لكن معاناة هذه الحيرة والاستمرار فيها هل هو شيء حتمي لا مناص منه ؟ اذا سلمنا بمضمون هذا السؤال فقد يعني ذلك ان المبدأ نفسه ، ربما تكون الشقة بينه وبين الواقع شاسعة بحيث ستعصي في الاخير على التطبيق ، وتبقى مثالياته مجرد اناشيد تتغنى بها عند ارادة التعزي ومداورة النفس غير انك اذا القيت شيئا من هذاالقبيل الىاحد المقتنعين بفكرةالعملالاسلامي العالمي فانه سوف يجيبك ـ على اي احتمال ـ بانه لا يوجد من التناقض بين المثالية ومصاعب الواقع ما يحول حتميا ونهائيا دون تحقيق الفكرة والخلوص بها الى شيء عملي ، واذا ما اعدت الكرة واعترضت بان العصر عصر مادي وتقني لا تجد فيه الافكار المنبثقة عن الروحيات ، مجالا لرواج او توسع ، ستجاب ولاشك بان الناس مستعدون بطبيعتهم لكل شيء ، وان المادية اللاانسانية اذا كانت قد اجتاحت بالفعل كثيرا من المجتمعات بصورة او اخرى ، فان ذلك يعود ببساطة الى نشاط الماديين فكريا وتنظيميا وانجازا

شامل ومكين ، فمن الناحية النظرية بمكن المرء ان يلاحظ بسهولة مقدار النقص والهزال الذي تتميز به الحركة الاسلامية الحديثة ، ان افترضنا ان هناك حركة اسلامية ما بالمعنى العلمي والسياسي الدقيق الذي تعنيه هذه الكلمة ، فالنظريات السائدة بهذا الصدد لا يزال ينقصها الكثير لكي تصبح ذات مدلول علمي متكامل ومستوعب لمختلف القضايا والمشاكل الاساسية والهامشية التي بمكن ان نعرض بهذا الشأن ، ولكي تصبح كذلك قابلة للتطبيق او على الاقل تحتوي على شيء يمكن القيام منه بمحاولات تطبيقية على نحو جدي وفعال نسبيا ، ان النظريات السائدة لم نزل نعتمد — الى عهد قريب يمكن ان نكون الان قد بدأ ينتهي — تعتمد على جملة من العموميات والتجريدات التي تاخذ بالجانب العاطفي من القضية دون ان تمس الجوانب الاخرى الا في عاطفية الا مسا قريبا لا يبرز معطيات المشاكل القائمة على ما ينبغي ان يكون عليه الابراز بل وتتغاضى احيانا عن هذه المشاكل ، وتكاد تنكر وجودها من اساسه . ولا يفهم من هذا ان الجوانب العاطفية سواء في هذه القضية او غيرها ، هي مما لا لزوم لاستشعاره والحفاوة به او انها ضارة بسير القضية اكثر مما هي نافعة ، فالواقع ان اية قضية من القضايا — ولو في نطاق مادي صرف — لا تجد محركها وباعث الدينامية فيها ، الا الحافز العاطفي بالاضافة الى الحوافز الاخرى من كل نوع ، فاحرى اذا كان الامر يتعلق بقضايا روحية في جانبها الكبير ، مثل قضية الانبعاث الانساني في اطار الحوافز الدينية التقدمية . غير ان الذي يلحظه المرء بهذا الصدد هو وجوب النظر الى القضية من جميع جوانبها والاعداد لها بشتى الامكانيات المتوافرة . بما في ذلك الامكانيات العاطفية والعقلية والوسائل الموضوعية التي — وان لم تتنكر للمبدأ — الا انها لا تغفل الواقع القائم فاحرى ان نتعامى عنه او تسقطه من الحساب بتاتا ، انه من الضروري اذن لانجاح القضية استنبطان مختلف جوانبها وخصائصها وظروف وجودها ونطورها ، وملابساتها ، ثم الاعداد لمواجهة مقتضياتها عن طريق التخطيط الدقيق المستوعب ، القائم على اساس النظر في مختلف الامكانيات المفترضة ، واستنفاذ شتى الاوجه الجائزة ، واستشفاف كل الافاق المترائية ، واستخلاص سبيل نظري للاعتقاد والتطبيق يتميز بوضوحه وموضوعيته وصرامته وذاك عامل من العوامل التي ساعدت كثيرا من الحركات الدنيوية على اصابة ما تنشده من اهداف ولو بصورة جزئية ، اما في نطاق الحركة الاسلامية الحديثة ، فلا اخال انه قد نمت حتى السنوات الاخيرة ، عملية بلورة مدنية وعقائدية من هذا القبيل ولذا فان الاساس النظري للحركة الاسلامية الراهنة ، ما انفك يسوده نوع من الغموض والتارجح الذي قد لا يبدو للبعض انه غموض وتارجح ، ولكن اذا كان الامر كذلك فكيف يعلل المرء وجود عدة ظواهر تلاحظ في اتجاهات الحركة الاسلامية الحديثة ، وتكاد تقعد بها عن القيام بعمل واضح المعالم . محدود في اهدافه ووسائله ومن بين هذه الظواهر : 1» عدم وجود الاهتمامات الكافية عند كثير من الرواد بتحليل المشكلات والقضايا التي لابد ان يحلقها عمل تنظيمي جدي ، يستهدف بعث التضامن الاسلامي من جديد ، وربما يتجه بهذا التضامن الى نوع من الوحده في العمل والفكر على مستوى ما من المستويات ، وليس المقصود بالتحليل مجرد تصور المشاكل واستبطانها ، بل المقصود بذلك اكثر ، ان يكون هذا التصور صحيح الاسس حقيقي المضمون . مستوعبا لمختلف النقط الممكنة . له قيمة عملية نخرج به عند الاقتضاء من نطاق التجريد الى مجال التحقيق .

2» عدم تبلور فكرة الانبعاث الاسلامي في مفاهيم واره وقابلة لتكوين رأي عام اسلامي يعتمد على اسس منطقية واسعة النطاق، وليس المراد بالرأي العام مجرد وجود الفكرة مساعة بين اكبر عدد ممكن من الناس فهذا شيء يمكن ان يكون حاصلا في قطر اسلامي او اخر . وانما المراد ادق من ذلك ، هو ان يكون الراي العام هذا قادرا على هضم المقتضيات النظرية والعملية للفكرة ، وهذا مما يساهم في تكوين رأي مشترك تدفعه حوافز عقلية ونفسانية مشاعة وهادفة لكن كل هذا لا يتاتى ما لم تكن مقتضيات الفكرة واضحة مبسطة تستطيع التسرب الى العقول العادية ، وخلق طاقة حماسية عميقة نتيجة لكل ذلك اضف الى هذا ان الراي العام في هذا الموطن . لا يقصد به فقط مجرد حالة شيوع الفكرة على المستوى الشعبي في داخل قطر اسلامي معين اذ الواقع ان بعض الاقطار الاسلامية في اسيا يتوافر فيها راي عام نسبي من هذا النوع ، لكن المقصود هنا هو حالة رأي عام اسلامي عالمي يستوعب الاقطار الاسلامية المختلفة ويكون من موحياته الاساسية الشعور العام بضرورة تحقيق تضامن اسلامي على مستوى اوسع بكثير من مستوى قطر واحد او عدد محدود جدا من الاقطار الواقعة في مناطق متجاورة .

ـصبه ، والمروجين لها بين القضايا ، فالــــرواد
ـسلاميون لا ينقصهم الان كثيــــرا ، جانب الادراك
ـذه القضيــــة ، وما يكتنفها من ملابسات روحيــــة
ـيوية متكاملة ، الا ان تصور الاشياء لا يكفي بالنسبة
ـتصدى لامكانية تطبيق مقتضيـــات التصور هذا ،
اعطاء نتيجته شكلا واقعيا خارج الذهن ، ولا يفهم من
ـذا ان القائمين على امـــر هذه المؤتمرات والعاملين فى
ـطيرها بفكرهم وتنظيماتهم ، كل هؤلاء لا يعنيهم من
ـر التطبيق شيء فالمفروض فى هــذه المؤتمـــــرات
ـ مبدئيا ــ انها لم تلتئم الا لتقوم بانجاز شيء عملي
ـصالح فكرة النهوض والتطور والتعاون ضمن اطـــار
ـسلامي تقدمي وبهذه الصفة بالذات الا ان المشاكـــل
الواسعـــة التي تعيشها الفكـــرة الاسلامية يوميا فى
ـ حياة الناس وتصوراتهم وحياتهـــم الثقافيـــــــة
الروحيـــة والاجتماعية . كل هذا ليس من شأنــــه
ـ عمل على تعزيــــز نتائـــج المؤتمرات واللقـــاءات
الدولوجية من هذا النوع . وذلك على النحــــــو
العملي الفعال الذي يؤمل مبدئيا . واذا كان هنـــاك
ـن يلتمس له العذر . فهم هؤلاء الرواد انفسهم . لانهم
ـعملون حقا فى ظروف جد معقدة . ومن اجل التوصل
الى اهداف تهم عالما واسعا ومتشعبا كالعالم الاسلامي
الحاضر . ان مظهر التشعب هذا لا يتجلى فقط فـــي
اختلاف النظم السياسية والاوضاع الاقتصاديـــــة
الاجتماعية عند المسلميـــن هنا وهناك فى شتـــــى
انحاء العالم . ولكن الاهم من ذلك تباين الاحـــوال
الفكرية والثقافية فى البلدان الاسلامية وتفاوت حظوظ
هؤلاء واولئك فى فهم الاسلام ، والتأثر بمقتضياتــــه
ـرا ايجابيا يمكن من العيش وتاكيد الذات فى خضـــم
الحياة التقنية المعاصرة، ضمن روح اسلامية صحيحة،
الزاويـــة التي ينظر منها الى هذا الموضوع هي ــ كما
ـا ــ ذات جانبين : الجانب السياسي والجانـــب
ـقافي ــ الديني ، والحركة الاسلامية الحديثـــة
ـي ــ كما نفترض ــ عناية متوازية بكل مــــــن
النسين . فهي تحاول ان تحدث نوع مـــن التطور فى
ـمعات الاسلامية يساعد على تحقيق نهضــــــة
ـ دينية ، وتامل من جهة اخرى ان يخلق كذلـــك
ـسمح بوقوع بعض التضامن ان لم تكن اتحاد بين
ـ الاسلامية فى مجالات شتى من مجالات الحيـــاة
ـرة ، لكن ما الصعب فى هذين الجانبين وما هـــو
منهما عن المنال ؟ انه ــ ولا شك ــ النهضـــــــة
ـه المتوازية فى العالم الاسلامي ، بما لها مــــن
ـن روحي وفكري عميق الاثر ، اما احتمـــــال
نوع من التضامن بين عدة اقطار اسلاميـــة او

معظمها ، يقوم فى اساسه على الاعتبارات التقليدية فى العالم الدولي من سياسية او اقتصادية او اجتماعية ، فهذه الامكانية جائزة نظريا ــ لان الكثير من الــدول تحرص اليوم على استغلال اية رابطة بينها وبين دول اخرى وربما تنزع الى اختلاق هذه الرابطة لكـــي تكتسب مزيدا من الاصدقاء الذيـــن يتضامنون معها ، او الزبناء الذين تتعامل معهم تجاريـــا ، او تستعيـــن بهم ماليا او فنيا او غير ذلك . غير ان مثل هذه الروابط المصلحية كثيرا ما تتعرض للتزعزع ، بل والتدهـــور احيانا . اذا بدا ان هناك اي تناقض فى المصالـــح والمنافع بين هذا الجانب او ذاك ، وقد يكون هـــــذا التناقض سطحيا او وهميا ، ومع ذلك فانه يؤدي الى نسف كثير من العلاقات الدولية التي تطلب بناؤهـــا عديدا من السنين ، ويقع هذا اكثر بالنسبة للــــدول المتخلفة التي كثيرا ما يتسرع البعض منها فيبنـــي علاقات ذات صبغة مصيرية ولكن على اساس عواطف غير قارة ، او تحت تاثير مصالح عابرة لا غير ، ولهــذا يلاحظ ان موازيــــن العلاقة بين مثل هذه الدول ، تتعرض لتارجحات مستمرة لا يـــدرى لها اول مـــن اخـــر .

وبعد فماذا يراد استنتاجه من كل هذا ؟ هـــل يعني انه من الافضل استبعاد الجوانب المصلحيـــــة والمنفعيـــة فى اية علاقات دولية على اساس اسلامي ممكن ؟ او انه من الضروري عكس ذلك اهمال العامل العاطفي مثل هذا الامر ، لانه يعتد به فى بناء اشيـــاء قارة وحاسمـــة ؟ ليس القصد اطلاق احكام حاسمـــة من هذا القبيل ، وخاصة بالنسبة لموضوع العلاقـــات الدولية التي تتشابك فيه العوامل ، وتتداخــــــل القضايا الى حد كبير ، فالمصالح المتبادلة قاعـــــدة صحيحة ، معمول بها فى مضمار المعامـــلات الدولية ، ولهذا فليس من موجب لاستبعادها ، اذا ما كانـــت الرغبة تنحصر فى مجرد العمل على خلق وضعيــــــة للتبادل والتعامل بين عدة اقطار اسلامية ، يمكن ان تكون متقاربة فيما بينها من مصالح ربمـــا تزدهــــر بمرور الايام اذا وجدت ظروفا ملائمة ، وقد تضمـــر وتفقد موضوعها فى حالة معاكسة ، ولا موجب كذلــك لاستبعاد العواطف بل انه من اللازم توافرها فى ايـــة علاقة بين الافراد والجماعات ، وحتى فى صــــور العلاقات الدولية حيث يلعب التشارك فى الافكـــار والمشاعر دورا مهما فى تحقيق جانب مـــن هـــــذه العلاقات وان كان لا يضمن بناء كل العلاقات مـــــن الاساس ، فهناك اذن امكانية محتملة ، لبناء علاقـــات ما بين عدة اقطار اسلامية ، على اساس المصالـــح

لا الى استعدادات الناس الفطرية التي لا مرد لها ، ومعنى ذلك ان الافكار الاخرى الاقل اغراقا في الروح المادية — يمكن ان تجد مجالا صالحا للتأثير في الناس ، اذا كان ثمة من يعمل لها ، ويخلق باستمداد منها ، اوضاعا عملية وواضحة ، يجد فيها الناس تجاوبا مع حاجياتهم الانسانية كمخلوقات لها اجسام وعقول ومشاعر ، فالمشكلة اذن لا تكمن في سعة الفارق الموجود بين المثالية التي يحتويها المبدأ والواقع الذي تعكسه حقائق الحياة العملية ، وانما المشكلة هي في درجة قدرتنا على تصور الامور في هذا المجال ، تصورا منطقيا وشاملا وجوهريا والعمل في نطاق ذلك ، بحيث لا يؤدي الامر الى التقوقع في نطاق المثاليات المجردة التي لا تستقيم مع الواقع ، ولا يستقيم بها الواقع ، او الى الخوف المبالغ فيه من هذا الواقع وبالتالي استعظام مصاعبه والفرار امامها ، مع ان واقع الحياة هو نتيجة اعمال الناس وتصرفاتهم ، ولهذا فان تعديله واعادة تكييفه هو ممكن مبدئيا بشرط توافر المقتضيات اللازمة للتأثير على مسالك الناس ومنازعهم .

فما هو اذن الخط الذي تسلكه الحركة الاسلامية المفترضة ؟ وهل تغلب عليه الجوانب المثالية والروحية ، ام تسوده اكثر الاعتبارات السياسية والدنيوية ؟

الحقيقة ان حركات البعث التي عرفتها كثير من الاوطان الاسلامية خلال هذا القرن وما قبله لم تكن تضع — دائما — فروقا كبيرة بين الاغراض الروحية والدنيوية التي تكمن وراء حركة البعث الديني هذه ، فعادة ما كان الرواد الاسلاميون الاول في مطلع هذا القرن وما قبله يرددون ان تأخر المسلمين يعود بالدرجة الاولى الى انحرافهم عن الخط السوي الذي رسمه لهم الدين، وكانوافي الغالب يتغيأون من محاولتهم ايقاظ الشعور الديني وتعميقه وتنقيته مما علق به — كانوا يحاولون من وراء ذلك نفخ روح جديدة في المجتمع الاسلامي العالمي ، ينهض بها من غفوته ويصبح بذلك في مستوى القدرة على مواجهة المخاطر الذي تحيط به في عقيدته وسيادته ، ومكتسباته ومصايره ، بل ان الحركات الوطنية في البلاد الاسلامية — وهي حركات سياسية اكثر من اي شيء آخر في الغالب — هذه الحركات كانت كثيرا ما تمتزج بالاعتبارات الدينية بل وقد تتخذ الشعور الديني حافزا اساسيا تتذرع به وتعتمده كثيرا الى حد انها تجعله هدفا في حد ذاته كما وقع في سير الحركة الوطنية الاسلامية التي ادت الى استقلال الباكستان وان كانت هذه الحركة ذات اهداف سياسية ودنيوية كذلك .

وقد تتخذ بعض الحركات الوطنية الاخرى الشعور الديني نقطة انطلاق اولى نحو الاهداف الانبعاثية العامة ذات الصبغة السياسية والاجتماعية ومن امثلة ذلك : بدايات الحركة الوطنية الجزائرية . وما يماثلها من الحركات التي سارت على نفس السبيل .

اما الحركات الدينية التي ارتضت اقامة الحاجز سمكا شامخا بين اهدافها الدينية — كما تفهم هي الدين — وبين المجالات الايجابية في عالم الحياة العادية، سواء على مستوى دولي او محلي ، فاشتد حرصها لذلك على الجانب الروحي الصرف ، وسارت شوطا بعيدا في احتقار الاعتبارات الاخرى ذات الصبغة السياسية والاجتماعية ، او اللامبالاة بها اطلاقا . مثل هذه الحركات ، تقوقعت منذ نشأتها في اطار جد ضيق، وانفصمت اسباب الاتصال بينها وبين الجماهير الاسلامية ، وان كان لها اتباع وانصار متفرقون هنا وهناك، ومن الامثلة التي تساق بهذا الصدد ، مثال بعض الطرق الصوفية . وخاصة منها تلك التي لم تقم حتى بمجرد التبشير على طريقتها الخاصة ، مثل ما قامت به بعض الطرق الاخرى من هذا القبيل .

ولم تغفل المؤتمرات الاسلامية عن هذه الحقيقة ، فقد دابت على المزج في توصياتها بين الاعتبارات الروحية والدنيوية، وهكذا تجدمن خلال هذه التوصيات اهتماما بقضايا التوجيه التي يجابهها العالم الاسلامي الى جانب المشاكل السياسية والنفسية التي يعانيها المسلمون الى المعضلات الاقتصادية والاجتماعية التي توجد هنا وهناك في انحاء الدنيا الاسلامية علاوة على المسائل الثقافية التي تأخذ كثيرا بالاهتمام ، لان لها — بحق — ارتباطا كبيرا باستمرار التماسك المبدئي بين البلدان الاسلامية وضمان استمرار الصلة قائمة بين الاجيال الاسلامية والتراث المكون للشخصية التاريخية الاسلامية .

من خلال الاهتمامات الشاملة او شبه الشاملة التي تثيرها المؤتمرات الاسلامية المتعاقبة والتي تعطي صورة عنها مجمل التوصيات والقرارات الصادرة عن مؤتمرات من هذا النوع من خلال ذلك كله ، يلاحظ المرء ان القضية الاسلامية توجد لها صورة لا بأس بها وربما متكاملة نوعا ما في اذهان المعنيين بها

مقتضيات نهضة اسلامية صحيحة وحركة تضامن اسلامي على مستوى عالمي واسع .

والمعتقد ان هذه الحالة من التفاهة التي تسود نحو الفكرة الاسلامية فى اذهان الناس ، راجعة فى جملة ما ترجع اليه من اسباب — الى الوسائل والمناهج التي تتبع فى بث روح الاسلام بين الجمهور وتربية الاجيال الجديدة عليه ، ان القضية هنا ليست مسألة ثانوية او شبه ثانوية بل هي من الاهمية بدرجة رفيعة جدا ، وتظهر هذه الاهمية فيما يطرحه الموضوع هذا من مشكلات ، وما يعرضه من اختيارات لابد ان تبث فيها على مستوى العالم الاسلامي كله ، لكي تضمن عوامل نهضة اسلامية متكاملة متوازنة ، على النحو الذي يمكن ان يستهدفه الرواد مبدئيا ، وما هي هذه الاختيارات ؟ انها ذات نطاق فسيح جدا لانها تتعلق بنوع الطريق الذي يجب ان نسلكه لاستعادة هويتنا الحضارية واسترداد القدرة على تحمل الرسالة ، التي تطوق اعناق كافة المسلمين دون تحديد لجنس او زمان او مكان ومن بين الاختيارات المهمة من هذا القبيل :

1 — هل نختار سبيل التوقي من مؤثرات المذاهب والتيارات الفكرية الاجنبية ، فنوصد دونها الباب ، الا ما كان متفقا مع مقوماتنا وهويتنا الاساسية وهذا ما تفعله بعض المجتمعات الحديثة ، كالمجتمع السوفياتي ، والمجتمعات الشيوعية فى الغالب ام نسلك سبيلا اكثر ليبرالية ، فنفتح الباب على مصراعيه امام تيارات الفكر العالمي بدون تحديد على غرار ما هو جار به العمل فى العالم الرأسمالي الغربي ، والاقطار الاخرى التي تتفق مع الغرب فى بعض قيمه ومبادئه .

2 — هل نكتفي بالدفاع عن الاسلام امام التيارات الغربية التي تناقضه ، بحيث يبقى كل همنا الا ... الناشئة بمؤثرات هذه التيارات على نحو يفقدها ... تراثها الحضاري وقيمها الدينية ، ام نتجه ... من ذلك ، فنحاول نشر قيمنا عبر العالم ، ... بها الى افهام الشعوب ومشاعرها مثل ما يفعله ... حمل لدعوة او مسؤول عن اداء رسالة .

3 — هل من الحكمة ان نبقى متمسكين فى هذا المجال باساليبنا العادية فى الوعظ والارشاد ، ام من الضروري بهذا الصدد اعتماد تقنية دقيقة ، تقوم على اساس علمي وواقعي ما امكن ، وان كان ذلك ليس معناه تجريد الروح الدينية فى اذهان الناس من محتواها او اطارها الروحي الذي يقوم عليه جانب مهم من جوانب الفكر الديني فى اساسه ، وما فتئت الكاثوليكية الحديثة تعتمد على بعض المناهج من هذا القبيل ، القائمة على مواجهة حقائق العالم ومشكلاته الفكرية بوسائل اكثر علمية وواقعية كما يظهر ذلك فى الصحافة الكاثوليكية الصادرة بفرنسا ، وبعض الاقطار الاخرى فى الغرب . ولعله لا يوجد من اختلاف فى ان الدعوة الاسلامية الاكثر واقعية وموضوعية من اي دين آخر ، هي فى حاجة الى تقنية منظمة من هذا القبيل للتعريف بها وتقريبها لافهامنا نحن وافهام العالم ، واذا ما اغضبنا عن المؤتمرات الاسلامية التي غلبت عليها الصبغة السياسية اكثر من غيرها ، فاننا نجد مؤتمرات اسلامية اخرى كان للجانب الثقافي والتربوي فيها حظ أوفر ، ومن بينها مؤتمر «لاهور» الذي انعقد خلال سنة 1958 ودرست خلاله مواضيع مهمة جدا كالموقف الاسلامي امام التطورات الفكرية فى العالم المعاصر ، وما يمكن ان يساهم به الاسلام فى اقرار السلام بالعالم ، والاسلام وصلاته بالاديان الاخرى ، والاسهام الاسلامي فى تطور الثقافة والحضارة بالغرب والمفاهيم الاسلامية فى موضوع الدولة وغير ذلك مما كان اساسا لدراسات اسلامية مستفيضة وبالغة الاهمية ، الا ان مثل هذه المؤتمرات ما فتئت تغلب عليها الروح الجدلية والنظرية التي تتشعب تحت تأثيرها الاغراض ، وتتعدد المناحي دون ان يمكن ذلك من النفوذ الى وقائع حية وذات اثر ما على سير حركة اسلامية عالمية ممكنة لكن الذي يامله المرء ان تكون الندوات الاسلامية التي انعقدت فى خلال الشهور الاخيرة والتي ستعقد — ولا شك — فى غضون السنوات القادمة — اكثر قدرة على خلق بذور حركة اسلامية حقيقية ، واعطائها محتوى نظري وعملي متكامل يمكن اعتماده فى مواجهة المشاكل الانسانية والتنظيمية التي تواجه مسلمي اليوم .

سلا — المهدي البرجالي

المتبادلة وغيرها ، ولكن ليس من الممكن ــ بالمقابل ــ ان يقال حينئذ ان الرابط الاسلامي هو الذي كـــون بالفعل مثل هذه العلاقات وانه المؤثر في استمرارهـــا ونموها بمقدار ما هي تستمــر وتنمو ، وفي حالة فشل تضامن او تفاهم من هذا القبيل فان ذلك لا يعهم ايضا ان الفكرة الاسلامية هي التي فشلت لانها لا تعتبر من حيث المبدأ ــ عاملا مهما في هذا المقام ، ولم كل هذا ؟ لان الفكرة الاسلامية ــ بمفهومها التقدمي الايجابي ــ ليس لها وجود فعال الا بشكل ضيق الافق ومحـــدود جدا في الوطن الاسلامي الراهن ومن غير شـــــك فان المندوبين الذين يمثلون مجتمعاتهم في المؤتمـــرات الاسلامية العالمية ، هم من بين الذين يلمون بهــــذه الحقيقة البسيطة ، التي يغنـــي ذكرها عن تحليلهـــا وافاضة القول حولها ، فالتخلف العام ، هو من مميزات الاقطار الاسلامية باعتبارها جزءا من العالم المتخلف او العالم الثالث ، والسياسة القومية لكل هذه الاقطار او معظمها بالاقل ، تنصب في الدرجة الاولى علــــى مصاولة هذا التخلف ، واستصفائه مـــن الاساس ان ان امكن ذلك ، لكن الحالــة الخاصـــــة للتخلف اي التخلف الديني، لاتلقى معالجتها مقدارالاهتمام التي تلقاه ضرورات المعالجة في الميادين الاخرى ، ولهذا فقــد استمرت نسبة التخلف الاسلامي على ما هي عليه ، او زاد تركزها بصورة ملحوظة في اقطار اسلاميـــــة عديدة ، وان كانت هناك نهضة بهذا الشأن لا بـــأس بها في اقطار اسلامية اخرى ، والاحوال والمواقف التي ربما ينشأ عنها استمرار حالة التخلف هذه ، يمكـــن تصنيفهـــا الى ثلاثـــة :

1 ــ موقف التواكل وهو ناشىء عن الاعتقاد بان الفكرة الاسلامية هي بخير ، وليس من ضروره للعمل من اجلها لانها قائمة بالفعل ومتركزه في النفوس تركزا يجعل منها حقيقة جوهرية ثابتة .

2 ــ موقف اللامبالاة ، وهو ناجم عن حالة عدم الاهتمام بالامر مطلقا اما استخفافا به واما نتيجـــة للانغمار في مجالات اخرى قد تعتبر ذات اهمية اكثر .

3 ــ موقف المحاربة ، وهو يطبع بعض الاوضاع التي لا تأخذ الفصل بين الدين والدولة على انـــه عبارة فقط عن اتخاذ موقف سلبي نحو الدين بل ترى ان الامر يتجاوز ذلك الى درجة استبعاد التأثيـــــر الديني تماما عن الحياة العامة في البـــلاد ســـواء في الميدان الثقافي او المادي او غير ذلك ، ومناواة هـــذا التأثير ان اقتضى الحال في بعض الاحيـــان .

* * *

من السهل ان يلاحظ المرء حالة العزلة وضيــق الافق الذي تعيش فيه حركة النهضة الاسلاميـــة العالمية في الوقت الراهن، وعدم تفاعلهامع سواد الناس في العالم الاسلامي عكس ما عليه الحال بالنسبـــة لحركات اخرى كحركة القومية العربية مثلا ، ومـــا استعرضناه سابقا من مواقف واحوال يمكن ان يؤكد بالفعل وجود هذه الظواهر السلبية في حياة الجماعة الاسلامية العالمية ، فالامر في هذا المجال يتطلب ــ كما نقدم ــ كثيرا من الوضوح في الفكرة والوسيلة والهدف وابرز المشاكـــل التي لابد ان نبرز من خلال هـــذا الوضوح اذا توافرت اسبابه هي مشكلة الفكـــرة الاسلامية نفسها : ما حقيقتها في اذهان الناس من الناحية السياسيـــة والثقافية والاجتماعية ؟ مـــا ارتباطها باهتمامات الناس ونظرتهم الى الصلات فيما بينهم وعلاقتهم بالعالم والتيارات الكبرى التـــي تسود دنيانا المعاصرة ؟ ان الجمهور العادي في الاقطار الاسلامية لا يرى الامر من خلال هذه الزوايا مطلقـــا او حتى اذا ما رءاه فعلى نحو سطحي وتافه ، لا يرسم صورة ولا يلقي نورا ، ومن نتيجة ذلك ان الصلة بين الفكرة الدينية والمشاكل الحياتية تكاد تكون منعدمة عند الجمهرة الاسلامية بحيث نجد ان مسلميـــن يكادون لا يجدون رابطا مهما بين الانتساب للاسلام ، وضرورة اتخاذ موقف لصالح المطرودين من ارضهم في فلسطين ، كما اننا نجد كثيرا من الاقليـــات الاسلامية في اقطار ءاسيـــا وافريقيا ، وهي تعطي لمن يواطنها من المعتنقيـــن للاديان الاخرى ــ نظرة سيئة عن المفهوم الاسلامي وما يتصل به من نواح فكريـــة واجتماعية وغيرها ، ومن البديهي ان ايراد مثل هذه الحقائق لا يقصد به اثارة جو دراماتيكي حول القضية الاسلاميـــة او استنهاض الهمم لصالحها عن طريـــق الضغط على مصادر الانفعال عند الناس ، فلعلنـــا جميعـــا نلم بان جملة مشاكلنا المعقدة الراهنة لا رجاء حلها عن طريق من هذا النوع ، غير ان الذي يعنينا من كل ما تقدم ــ لهو الاقتناع بان سبيل الانبعاث الاسلامي يتطلب جهودا فكرية وتنظيمية واسعة الافق ، وذلك على الصعيد المحلي اولا ، وقبل كل شيء ثم علـــى مستوى الحركة التنسيقية العالمية بعد ذلك ، ويقوم هذا الاعتقاد على ملاحظة ان التفاهة التي تعيشهـــا الفكرة الاسلامية في ذهن الجمهور او في عقول اغلبية المتعلمين غير المتخصصين في الاسلاميات ــ هـــذه الحالة من التفاهة لا تمكن في الواقع مـــن تكوين رأي عام اسلامي يستطيع ان يتجاوب شيئـــا ما مـــع

الذين يستمعون القول ، فيتبعون احسنه ، اولئـك الذين هداهم الله ، واولئك هم اولوا الالباب » .

وسأتوجه بالسؤال الى سفارات اخرى وانشر اجوبتها ليزداد وجه ريني الحبشي ومن يغتر بسفاسفه اسودادا يوم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، ويزداد اهل الحق اغتباطا وابتهاجا .

اذا رضيت عني كـرام عشيرتـي
فلا زال غضبانا علـي لئامهـا

« ذكـر بقيـة شبهات الملحدين والرد عليهم »

يقول الاستاذ ليتريه : يظهر لي ان الاسبـاب الاوليـة التي خلقت الكون ذاتية فيه ، وانما هي التي تسمى بالنواميـس .

ونحن نلقي عليه اسئله فعليه ان يجيبنا عنهـا هو او من بنشر المبادىء الالحادية في هذه البلاد وهي: كيف ان المادة ، وهي عمياء صمـاء ، استطاعت ان تتكون هذا التكون البديع وتشكل هذا الوجود الضخم على تنوع كائناته ، وتباين موجوداته ؟

اننا نرى باعيننا ان المادة منقادة بواسطة قوانين ونواميس الى التشكل على حسب نسب مقدرة ، فكيف نتصور ان شيئا محروما من نعمة الادراك والتعقـل يتجه من نفسه الى غاية كمالية تدهش لها عقـول البشر ، وتحار لها مدارك الفكر ؟ كيف ان المادة المجردة من العقل والادراك تكون كائنات متمتعة بعقل وادراك كالانسان مثلا ، وكيف ان المادة تحكم نفسها بنواميس حكيمة ، وهي لا تعرف معنى الحكمة ولا تحس بها ؟ وكيف يسود النظام والوئام بيـن مكوناتهـا ، وهـي لا تعرف للنظام معنى ، ونحن نرى رقيا محسوسـا في مكوناتها من جماد الى نبات الى حيوان الى انسان ، [illegible] هذه الممالك الاربع في رقي مستمر الى غايـة [illegible] مما تتصور ؟ كيف ان المادة العمياء غيـر المدركة تتبع من نفسها خطة التدرج والترقي ؟ وكيف تخلق المادة هذه المبدعات في عوالم الجمادات والنباتات والحيوانات ، وتهبها كل ما تحتاج اليه من حيـل الحياة واسباب حفظ النوع ، واسباب البقاء والارتقاء والمادة في نفسها لا تعي ولا تدرك ؟ وكيف ان المـادة المجردة عن الشعور تتوصل الىخلق الحواس الحيوانية بهذه الدقة والمهارة ؟ ولماذا كل هذه الحواس مركبـة تركيبا يدهش له العقل ، ولم يوجد منها ما هو مختل الوظيفة «1» عبء ثقيل على صاحبه ؟ ولماذا لم تكـن الطبيعة ذات قوى مختلة ، ونظامات معتلة ، ونواميس متعاكسة ، يبطل بعضها اثر بعض ؟ ولماذا هذا التضامن بين النواميس ، وهذا التلاؤم بين قوى الوجود ؟

ليس للماديين على هذه المسائل اجوبة مقنعة ، واكثرها لا جواب له عندهم ، وكل ما لديهم الفـاظ فارغة نسردها على القارئين ليروا رايهم فيهـا .

نظريات الماديـيـن في نظـام الكون

الكون عند الماديين مادة ونواميس ، فان قلنـا لهم كيف نشأ هذا الوجود علىما فيه من جمال وابداع؟ قالوا ، نعم ، اسمعوا ، حصل كل ذلك بواسطة ناموس الانتخاب الطبيعي .. ما هو ياترى ناموس الانتخـاب هذا ؟ يقول معناه ، ان الطبيعة مندفعة .. للرقـي الدائم .. ومسوقة ، لان تنتخب الجيد الصالح مـن الكائنات وتبيد الردى الفاسد منها ، فهي تميل دائما من كامل الى اكمـل ...

هل هذا جواب ايها الحكماء ؟ ايحسن بـك ان تجيب من يسألك لماذا تسيـر الباخرة بقولك ، انها مدفوعة الى السير ومسوقة لقطع المسافـات .

لا يليق بنا في شرعة الانصاف ان ندحض هـذا الجواب حتى نعطيه كل ما يحتمله من قوة وسلطـان فنقول : قول الماديين ، ان الابداع الوجودي حـدث بواسطة ناموس الانتخاب الطبيعي الذي من مقتضـاه

ارجو من القراء الكرام الذين يتتبعون هـذهالمقالات ان ينعمـوا النظر بهـذا المقال والذي بعده ، فانهما يشتملان علىمحاسبة الماديين ومناقشتهمبحجج قاهرة خانقة ، لا قبل لهم بالجواب عنها ، فضلا عن مناهضتها . راجع خلقة العين وتركيبهـاالعجيب في سلسلة مقالات « دواء الشاكين وقامع المشككين » بقلم كاتب هذه السطور المنشور فيمجلة « دعوة الحق » ، الجزء الثاني من السنة الرابعة ، فانك اذا قرأت ما كتبه العالم «كريسي مورسن»في اسرار تركيب العيـن ، لا يخامرك اي ريب في ان من يقول بان العالم خلق بالمصادفة ، اما ان يكـونمكابرا يتعمد الكذب ، او يكون اجهل من حمـار اهله .

نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

- 9 -

تقدم ان اقوى دسيسة يتذرع بها المتهوسون بالدعوة الى الالحاد والتعطيل ، هي زعمهم ان الشعوب الاوربية والامريكية التي بلغت اوج الرقي فى العلم والمدنية ، والحضارة والحرية ، لم تبلغ ذلك الا الا بنبذ الدين ، قالوا : فاذا شئنا معشر المسلمين ان تبلغ ما بلغوا ، فعلينا ان نترك الاسلام ، وبدون تركه نبقى دائما متأخرين ، وهذه الحجة المزعومة ، ظلمات بعضها فوق بعض ، وبناء باطل على باطل ، وفاسد على فاسد ، كما يحكى عن بعض العجم انه ادعى التحقيق فى علم التاريخ والانساب ، فسئل عن الحسن والحسين فقال « هزا وازح خسن وخسين ، بنات معاوية ابن ابي طالب » يعني ، هذا امر واضح ، فالحسن والحسين ابنا معاوية بن ابي طالب . وقد بدات فى هدم بنيانهم من الاساس ، فبينت بالرقوم الدقيقة الرسمية من سفارات الامم الراقية ، كالولايات المتحدة وبريطانيا وسوسرا والمانيا الاتحادية والسويد والنرويج ، ان عدد الملحدين فى مجموع سكان هذه البلدان ، المتباعدة فى الاوطان ، المختلفة فى اللغات ، ونظام الحكم ، وغير ذلك من وجوه الخلاف ، اذا جمعت الملحدين فيها لا يكاد عددهم يبلغ واحدا فى المائة ، فتهدم الاساس الذي بنوا عليه كذبهم الوقح ، ومنهم من يزعم انه بلغ الغاية فى العلوم العصرية والفلسفة .

والحق انه لم يدرك منها الا الوتد ، وهو « سفه » وفاته السبب ، وهو « فل » فهل كان هؤلاء المتحذلقون المتهوسون الفاتنون المفتونون ، يعلمون هذه الحقائق وكتموها ، وحاولوا اثبات نقيضها ، غشا لشعوبهم ، وتدليسا ومؤامرة مع اعدائها ، واصطيادا فى الماء العكر، ام كانوا يجهلونها ، فان كانوا يعلمونها ، فحسبهم خزيا وعارا ، خيانتهم لقومهم واوطانهم ، وخيانة للعلم واضاعة للامانة . وان كانوا لا يعلمونها – مع انهم يزعمون – انهم يعلمون من احوال اوربا ما لا يعلمون من شؤون اوطانهم وقومهم ، فكيف خفيت عليهم هذه الحقائق ؟؟ ام ذهبوا الى اوربا وامريكا لتعلم الرقص وشرب الخمر ، والتزي بأزيائهم اكتفاء بالقشور ، ورجعوا بشهادات مزيفة يصولون بها على ابناء وطنهم ، ويتكبرون عليهم ويبتزون اموالهم ، ويبثون الفتن والبلبلة فى افكارهم، والتفرق فى صفوفهم ويسممون افكار الشباب ، لا يرقبون فيهم الا ولا ذمة، فبعدا للقوم المفسدين .

وقد شهد اربعة من اقطاب الادب والثقافة لهذه المقالات التي انشرها فى هذا الموضوع انها حق ، وهم الاستاذ العبقري المؤلف الطائر الصيت السيد عبد الله كنون . والاستاذ الطبيب النطاسي الدكتور المهدي ابن عبود . والاستاذ العالم الاديب السيد محمد الطنجي والاستاذ الصحفي القدير الاديب السيد عبد الكريم غلاب : وهؤلاء الاقطاب ادوا شهادتهم دون ان يسالها منهم احد . ولا شك ان هناك من فطاحل العلم والمعرفة فى هذا الوطن ، وفى غيره كثيرا من المعجبين بها امثالهم ، لو بحثنا عنهم وسالناهم عن ءارائهم ، فان ظن المفسدون ان الجو خلا لهم ليبيضوا ويصفروا وينقروا ما شاءوا ان ينقروا ، فقد اخطأوا فى حسابهم ، فلا يزال – ولله الحمد فى هذا الوطن المنكوب بأمثالهم – بقية باقية يفضحون دسائسهم ، ويأتون على بنيانهم من القواعد ، فيخر عليهم السقف من فوقهم ، ويأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون . اولئك رجال جمعوا بين الثقافتين، القرءانية والاوربية، ولم تشغلهم اوربا بزخارفها ، ولا اعشت اعين بصائرهم اشعة مدنيتها عن انتقادها نقد الدنانير والدراهم ، فأخذوا جيادها ، وتركوا زيوفها ، كما قال تعالى فى سورة الزمر « 17 – 18 فبشر عبـ

نوعه ، وان عقل حصول ذلك فى نوع من انواع الحيوانات ، فهل يعقل حصوله فى جميع الانواع على السواء ؟

هب انه يعقل ذلك ، فهل يعقل ايضا ان الاتفاق يرغم الانثى على تربية صغارها وتجشم الصعاب فى سبيل ذلك ، ويجبر الذكر احيانا ــ كثيرة لمعاونة الانثى فى هذا العمل الشاق .

هل لذلك « الاتفاق » عقل ادرك به ان ابداع هذا الميل فى قلوب الذكور والاناث ضروري لحفظ بقاء نوعها ، وما للضرورة وذلك ، بل اين هي من هذا الترتيب ، وهي لا تدركه ولا تعقله ؟

انا نرى انمار البلاد الباردة مغطاة بوبر ليحفظ فيها مقدارا كافيا من الحرارة ، فلا تهلك فى الشتاء وكذلك الحيوانات ، فانها محلات هنالك بفرو لتحميها من الزمهرير ، فهل يعقل ان الانفاق المجرد من العقل تصدر منه جميع هذه الاعمال الدالة على مقاصد وغايات حكيمة ؟

نقول انها تحلت بكل هذه الاعضاء الواقية بحكم « الضرورة » ومعنى ذلك ان تلك الاصقاع لم تكن باردة على الدرجة التي تشاهد عليها الان ، وكانت عائشة عليها تلك النباتات والحيوانات ، فلما احدث فى البرودة تدريجيا احست تلك الكائنات اللزوم دثار يحميها عوادي ذلك الجو البارد وباد من اشخاصها الضعيف المجرد من كل وبر ، وبقي القوي المحلى بشيء منه ، فنما وبره « بالضرورة تدريجيا » حتى اذا وصل الجو الى ما هو عليه الان وصل هو ايضا من التحلي بالوبر الى حالته الراهنة .

«فالضرور» هي التي اوصلته الى هذه الحال .
نقول ، ان امثال هذه التعليلات الكلامية لا تكفي لتفسير وجود الكون على هذا الابداع الباهر الذي اعجز عقل الانسان ، ولا نزال اكثر ءاياته غامضة لم تصل المدارك الى ادراك اسرارها المعجزة ، ومع ضعف هذا التعليل ووهن اركانه نرى ان الاحسن مجاراة الماديين ومقارعتهم عليه فنقول : انكم تقولون ، ان الضرورة هي التي تدفع المادة بتأثير الوسط للتحلي بكل ما يمكنها من البقاء فيه ، ولسنا نفهم لهذا الكلام معنى ، بل هو لا معنى له على الاطلاق ، واليك البيان :

سلمنا لكم جدلا ان المادة قديمة ، وان فيها نواميسها ، فهل ءاثار النواميس فى عرفكم الا حركات بسيطة ، كناموس الجذب يجذب الاجسام ، وناموس الدفع يدفعها ، وناموس الساكن مستمر على سكونه حتى تأتيه قوة تحركه ، والمتحرك مستمر على حركته حتى تأتيه قوة تقفه الخ . مما لم يخرج عن حركات بسيطة غير مركبة ، لا يمكن ان تفسر خلق اصغر الكائنات ، فضلا عن الكون وما فيه .

مكناس : الدكتور تقي الدين الهلالي

العلم وعدوله

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له : ينفون عنه تحريف القائلين ، وانتحال المبطلين ، وتاويل الجاهلين » .

ان لا يبقى الا الاصلح للبقاء «2» ، معناه : ان المادة لما كانت قديمة هي ونواميسها دائما الحركة والتشكل بمقتضى تلك النواميس ، فلنفرض ان قد حدث نوع من الحيوان ، فالمعروف ان كل اشخاص ذلك الحيوان لا تكون على درجة واحدة من النماء والقوة ، فيحدث ان الانمى والاقوى من افراد هذا النوع يسبقون الضعاف الى مظان الغذاء وينازعونهم البقاء ، فيزداد الاقوياء قوة على قوتهم ، ويزداد الضعاف ضعفا على ضعفهم ، فيلد الاقوياء افرادا اقوياء يكتسبون مع الزمن صفات جديدة ترسخ فيهم فتصير احوالا ، ويلد الضعاف ذرية ضعيفة تنحط عن اصلها درجات ، ثم ينتهي الامر بتلاشي الضعاف وبقاء الاقوياء ، فاذا تغير الوسط الذي يعيش فيه هؤلاء الحيوانات واشتد عليهم البرد ، او صعب عليهم الغذاء ، او احتاج لشيء من التحايل او التسلق او الجراءة مالت افرادهم الى مشاكلة الوسط الجديد فلا يقوى على ذلك الا افراد منهم بمجهود عظيم ، وبعد اجيال عديدة يكونون في ابنائها اكتسبوا صفات جديده صارت فيهم احوالا راسخة ، وربما طالت اعناقهم بعد ان كانت قصيرة ، ودقت سيقانهم بعد ان كانت غليظة ، وكسوا بوبر كثيف ، بعد ان كانوا مجردين منه .

ولما كانت النواميس عاملة ، والاوساط فى تغير مستمر ، فلا شبهة عندهم فى ان الكائنات تدخل من طور الى طور ، وتتنوع من حال الى حال ، وقد حدث ذلك حين انفصلت الارض عن الشمس «3» فى مبدا تكونها ، فنشات اولا الحياة فى خلية نباتية ، ثم اختلفت الفواعل والاوساط، فتشكلت تلك الخلية، ونشا من بعضها حيوانات،ومن بعضها نباتات مختلفة،وما زالت الاوساط تتغير والكائنات تتطور فى مئات الالوف من السنين، حتى نشا الانسان وبقي اكثر ما نشا قبل ذلك من نباتات وحيوان الى الان ، وباد كثير من انواعه كما يشاهد فى الطبقات الارضية « انظر جولوجيا » وكلمة حفريات .

فالوجود فى نظرهم كان على ما هو عليه اليوم لا بقصد ، بل بمجرد الاتفاق ، او كما يقولون«بالصدفة» فقد اتفق ان تكون آثار النواميس العاملة على المادة المتحركة بطبيعتها هي ما نشاهده من نباتات وحيوانات واتفق ان تكون الكائنات التي وجدت على المريخ او المشترى«4» او الدنياوات الاخرى على غير هذا الشكل

هذه نظريتهم فى كل قوتها وغاية ابهتها ، فلنرد عليها الان مطمئنين لا غالين ولا مقصرين : هب ان المادة ونواميسها قديمة ، اي موجودة من الازل ، فلا يعقل حتى مع هذا الفرض ان يخلق الكون بالاتفاق المجرد من العقل والاختيار ، لانه ان عقل ان يخلق بالاتفاق حيوان ما ، فكيف يعقل ان تخلق بجانبه بالاتفاق ايضا انثى تناسبه تمام المناسبة لاستدامة

«2» الاصول التي بنى عليها داروين نظرياته اربعة :النشوء والارتقاء ، وتنازع البقاء ، وبقاء الاصلح . فاما النشوء ، فقوله : ان جميع الكائنات الحية من انسان وحيوان ونبات ، اصله خلية واحدة لا تكاد تبصر بالعين المجردة ، وسنرى صفتها فى هذا المقال .
واما الارتقاء فقوله : ان الكون دائما فى رقي مستمر ، لا يمكن الرجوع فيه الى الوراء ابدا .
واما تنازع البقاء ، فمعناه عنده : ان انواع الحيوان والنبات تتنازع البقاء ، كل منها يسعى ليبقى ولو بفناء غيره ، فيبقى منها ما هو صالح للبقاء،وهم الاقوياء ، ويفنى منها الضعفاء الذين لا يصلحون للبقاء .

«3» قوله : حين انفصلت الارض عن الشمس . اعلم ان نظرية انفصال الارض عن الشمس لم يقم عليها اي دليل يقيني ، وانما هي افتراء وتخمين ،ولكن هذه النظرية ساعدها الحظ فانتشرت وشاعت اكثر من سائر النظريات ، حتى صارت عند العامة حقيقة لا تقبل الشك ، ولكن القول بهذه النظرية — على تسليمه — لا حجة فيه للماديين ،وانما هو وبال عليهم ، كما سياتي فى هذا المقال او فى الذي بعده عند البحث فى حدوث الحياة على وجه الارض .

«4» قوله : على المريخ او المشتري الخ. لم يثبت الى حد الان وجود اي نوع من انواع الحيوان فى المريخ ، ولا فى غيره من الكواكب السيارة . غير ان بعض علماء الفلك يظنون ظنا ، وما هم بمستيقنين ، ان فى النواحي الشمالية من المريخ بعض انواع النبات فى شكل بدائي ، والله اعلم .

ـي بلده ، وبيان ذلك في ترجمته من كتابنا
ـخصيات مغربية .

176 — في نفس الصفحة عني تعريف بهند ابنة الخس الايادية ضبط فيه اسم الخس بفتح الخاء وهو بالضم .

177 — في نفس المكان تعريف بالخضر عليه السلام ضبط اسمه بضم الخاء وسكون الضاد وهو بفتح الخاء وكسر الضاد ، وقال فيه « انه احد اولياء المسلمين رفعه القرءان فوق الانبياء ، باعتباره الدليل المعهود اليه بارشاد موسى » والقرءان لم يرفعه فوق الانبياء ، كيف والصحيح فيه انه انما كان من صالحي المومنين ، فكيف يكون فوق الانبياء ، وما ذكر من علمه في القرءان انما هو مزية ، والاتفاق على ان المزية لا تقتضي التفضيل ، ثم قال « وقد حظي عند الصوفيين بمركز ممتاز اذ ان كثيرا « كذا » ما ادعوا باتصالهم « كذا » المباشر به » وحظوته عند الصوفية لا جدال فيها لما اوتيه من العلم اللدني ، ولكن الاتصال به موضوع شك من العلماء لان الصحيح انه توفي ولو كان حيا لاتصل بالنبي «ص» قبل ان يتصل بغيره .

178 — في ص 178 ، ع ل تعريف بالشيخ محمد الحضري صاحب تاريخ الامم الاسلامية ضبط اسمه بكسر الحاء وسكون الضاد وهو على المعروف بضم الحاء وفتح الضاد .

179 — في نفس الصفحة عني تعريف باسعد الخطير بن مماتي صاحب كتاب قوانين الدواوين صحف فيه اسمه مماتي الى حماتي بحاء فميم وهو بميمين مفتوحتين ثانيتها مشددة .

180 — ص 179 ع ني ترجمة لابن خلدون المؤرخ الشهير قال فيها : « عينه ابو عنان سلطان تونس والي الكتابة » والصواب ابو عنان سلطان المغرب ، على ان في عبارة والي الكتابة ركاكة لا تخفى ، ثم قال : « لم يصلنا منه الا مقدمة كتاب العبر المشهورة بمقدمة ابن خلدون » والواقع ان ما وصلنا من تئاليفه اكثر من ذلك ، فالتاريخ نفسه زيادة على المقدمة وكتب اخرى له ، كلها موجودة ، وبعضها مطبوع ، كالتاريخ

181 — في نفس الصفحة عني تعريف بخلف الاحمر ضبط كنيته ابا محرز بكسر الميم وفتح الراء وفيما نعتقد هو بضم الميم وكسر الراء بصيغة اسم الفاعل ، وقال « تنسب اليه لامية العرب وقد نسبت ايضا الى الشنفرى » ولو عكست الجملة لكانت اصح ، فان المعروف ان لامية العرب للشنفرى وبعض النقاد يشك في نسبتها اليه ويقول انها مما صنع خلف الاحمر ونحلها الشنفرى .

182 — في ص 180 ، ع ني ترجمة لخمارية بن احمد بن طولون جاء فبها « اسرف الاموال » يعني اسرف في انفاقها .

183 — في ص 183 عني تعريف بقبيلة خولان جاء فيه انهم اعلنوا دخولهم في الاسلام وعادوا الى الوثنية ثم ارشدوا وساهموا في فتح مصر ، وهو يعني ثم اسلموا من جديد .

طنجة ـ عبد الله كنون

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ عبد الله كنون

- 6 -

حــرف الخـــاء :

167 — فى ص171 ، ع ني اثناء الكلام على اسرة الخازن اللبنانية يقول فى احدهم « من ثقات الامراء » وثقات جمع تصحيح تساؤل مطلقة فكتابته بالتــاء المربوطــة خطأ .

168 — فى نفس المكان تعريف بالخازن البغدادي صاحب التفسير جاءت تسمية التفسير فيه هكــذا «الباب التأويل» والصواب لباب التأويــل .

169 — فى ص 172 ، عل عند الكلام على خان حسيــة بحمص من سوريا قال : « امر بعمارهــــا السلطان سليــم » والصواب بعمارتها .

170 — فى ص 173، عل تعريف بامين الخانجي جاء فيه انه كتبي شهير نشر كتب عربية كثيرة . والصواب كتبا بالنصب . ومثل هذه الاخطاء اللغويــة والنحويــة وان كانت بسيطة لا يمكن التساهل فيهــا فى كراسي الاملاء والانشاء لتلامذة المدارس فكيف فى كتاب لغوي يسمى معجمــا عربيا ؟

171 — فى الصفحة المذكورة عني كلام على قبيلة خثعم جاء فيه قوله « وكان معبودهم « ذو الخلاصة » وبقطع النظر عن اللحن الواقع فى التعبير فان الصواب فى اسم الصنم ذو الخلصة محركا بدون مد . وقال : « انتصر زعيمهم انس بن مدرك على بني عامر بــن سعسة » وهو صعصعة بصاديــن .

172 — فى ص 176 عل ترجمــة للعلامــــة الخرشي صاحب الشرح المعروف على المختصــــر الفقهي لابي المودة خليل ، ضبط فيها اسمه بضــم الخاء وفتح الراء وقال انه ولد فى ابي خراش بمصر والمشهور فيه الخرشي بكسر الخاء وسكون الــراء وذكره فى التاج باسم الخراشي بالف بعد الراء على انه منسوب لابي خراش القرية التي ذكرها المنجد .

173 — فى الصفحة نفسها ، ع ني ورد ذكــر قصــي من اجداد النبي «ص» اثناء الكلام على خزاعة وضبط بفتــح القاف وهو بضمها علــى صيغـــة التصغيــر .

174 — فى عين المكان تعريف بما سماه الخزامة وكتب ازاءه بالحــروف الافرنجيــة قال فيه جزيرة صغيرة تخص اسبانية واقعة تجاه الريف فى المغرب ..الخ . وظاهر ان المراد مدينــة الحسيمة فى الريف ، وهي لا تخص اسبانيا ، وانمــا هي مدينة مغربية صميمة ، وهي ليست تجاه الريف ، ولكنها من الريف ، والعجيب فى اسم هذه البلدة كيف كثر عليه التغيير ، فان اصله المزمة وتصور الــى الحسيمة وها هو الان عند المؤلف يصيــر الخزامة .

175 — فى ص 177، ع ل ترجمة لضياء الدين الخزرجي صاحب القصيدة المعروفة بالخزرجيـــة فى علم العروض قال انه علي الساعدي وانه ولد ببينة وتسمى قصيدته الدائرة الشامية فى العروض والقافية ولا يصح من هذا كله شيء ، وهو يعتمد فى المعلومات التي ذكرها على ترجمة صاحب الخزرجية فى دائــرة المعارف الاسلامية ريني باسي وقد نبهنا فيمــا سبق من هذ االبحث على انه صاحب خبط كثير فى المــواد المغربية التي كتبها للدائرة ، ولنا بحث فى كشـــف اخطائه بها ، والذي حررناه فى صاحب الخــزرجيــة انه ضيــاء الدين محمد او عبد الله عــلى الخلاف فى كنيته بين ابو عبد الله او ابو محمد وانه خزرجــي انصاري سبتي ، وصل الى المشرق ولقب هنـــاك بضياء الدين وغاب خبره بعد رحلته عن عارفيه من

— 3 —

وقبل كل شيء احب ان انوه بان المغرب لا يجب ان يغفل عن هذه الرسالة ، ولا ان يدخر جهدا فى سبيلها .. انه لا يحسن به ان يفعل ولا يستطيع ذلك — بحكم طائفة من الضرورات الموجهة الحتمية — ان يفعله .. ان ذلك شيء اساسي فى كيانه وفى طبيعته وفى مستقبله ... من غير حاجة الى الابانة عن هذه الضرورة الملحة .

فاذا كان ذلك صحيحا — وهو صحيح لا يقبل الجدل .. وهو كذلك صحيح الى حد انه بملا على المفكرين تفكيرهم ويفرض وجودهم عليهم — فاننا نتساءل من جديد ، كيف نتابع رسالة المغرب فى هذا السبيل ؟ .. من الذي يضطلع بها ؟ وكيف ؟

— 4 —

يبدو لى — اول الامر — ان ذلك عمل يجب ان ينهض به قوى من صميم قوى المغرب التي لا تفكر فى مغرب اليو مفحسب ، ولكنها تفكر فى مغرب الامس ومغرب اليوم ومغرب الغد .. قوى من هذه المجموعة المتفتحة المتطلعة التي تعي امجاد المغرب فى الماضي ، وتفكر — على المدى البعيد — فى امجاده المستقبلة .. قوى كل الذين يلتقون على ان هذه الرسالة الحضارية للمغرب لا تتوقف ولا يجب ان تتوقف مهما تكن الظروف الداخلية .. ولا يمكن ان تتوقف اذا كنا نريد للمغرب مكانته الاصيلة المتفردة .

ومن الواضح ان فى المغرب قوى كثيرة .. بعضها نقابي وبعضها حزبي .. بعضها يعمل على صعيد الحياة السياسية وبعضها يعمل على صعيد الحياة الاجتماعية اليومية .. ان كل هذه القوى ليست هي المعنية بهذا الواجب .. ولكننا سنرى انها ليست بعيدة عنه .

القوى التي اعنيها هي القوى التي لا تفكر فى اليوم ولا فى واقعات اليوم ، ولا فى فوائد اليوم ، يوم ليس شيئا عندها ، فكثيرون اولئك الذين ... له .. ولكنه اليوم الاخر الذي تفكر فيه ... له .

هذه القوى هي الجماعات التي تعمل على صعيد الثقافية والحضارية .. هي قوى الجامعات والمعاهد العليا ، هي قوى الجماعات الاسلامية الصافية كانت هذه الجماعات .. دائرتها الاولى هي دائرة العلماء ورجال الاسلام والغيوريـن عليه فى اي تنظيم كانوا .. ودوائرها الاخرى من وراء ذلك كل الذين يؤمنون بالاسلام ومكانته على اية جهة كانوا وفى اي عمل .. فى نطاق التجار او فى نطاق العمال او فى نطاق المتصوفة الذين لا يشركون مع التصوف البريء .. فى نطاق الطلبة وفى نطاق الاساتذة .. انها هذه القوى التي تفكر فى الارتباط التام بين مستقبل المغرب وبين مستقبل رسالة الحضارية هذه فيما حوله من اقطار

— 5 —

ماذا تستطيع الدائرة الاولى ؟ .. ماذا يستطيع العلماء ان يفعلوا فى هذا السبيل ؟ .. ذلك هو السؤال التقليدي الذي يمكن ان يطرح هنا .. يطرحه — فى لهجة اسى وفى نوع من الاسى — اولئك الذين يعتذرون عن السادة العلماء .. ويطرحه العلماء انفسهم حين يجدون الطريق مغلقة بين ايديهم ، او حين تتراءى لهم كذلك .. ويطرحه البحث الموضوعي حين يحاول ان يخرج من بين ضباب الاسى والاسف الى نور الحقيقة .

ولعلي لا اكون مسرفا ولا متجنيا فى هذا الذي سأقوله .. ولكني اومن ان السادة العلماء يستطيعون من هنا ان يبدأوا عملا ضخما فى سبيل رسالة المغرب الحضارية .

ان مجرد البداية فى هذا ستتيح لكل القوى الاخرى الكامنة ان تتحرك فى طريق المساعدة والتعضيد القوى الرسمية والقوى الشعبية على السواء ، قوى الجماعات المتعلمة ، وقوى الاحزاب والنقابات .. قوى هذه الحقيقة العميقة : حقيقة رسالة المغرب فى هذا الجزء من العالم .

ان ذلك لا يحتاج ، اول الامر ، الا الى مجموعة اولى تجتذب اليها من وراءها .. مجموعة اولى تنطلق من الايمان وتحاسب الذين وراءها على هذا الايمان .. تسأل نفسها ثم تسأل من دونها : ماذا فعلنا من اجل ان نتابع هذه الرسالة .. ما دمنا مؤمنين بها .

ان الايمان هو المنطلق وهو الغاية .. وليس فى الدنيا عمل يبشر بالنجاح المؤكد كما تبشر بذلك الاعمال التي تتحد فيها منطلقاتها وغاياتها .. لان البدايات والوسائل والغايات تتلاحم تلاحما كاملا فلا تترك مجالا لتسرب الشكوك او اختلاف الانظار او تباين الطرق او تضاربها .

موضوع للمناقشة

رسالة المغرب الحضارية :
من الذي يضطلع بها ؟ وكيف ؟

للأستاذ الدكتور شكري فيصل

— 1 —

لم يكن احب الي وانا فى المترق من ان اعرف المغرب معرفة قريبة .. ان اتعرف اليه ان شئت قدرة اكبر من الدقة .. ان ازوره ، وان اتنقل فيه ، وان القى اهله — عنبت اهلي كذلك — واقف على جوانب الحياة منه ، مستبطنا لها ، متفاعلا معها ، مفيدا منها ، ما وسعني ان افعل .

ولم يكن ذلك الهوى وليد نزعة طارئة يمكن ان اتلهى عنها او ان استبدل بها غيرها ... لم يكن رغبة فى رؤية بلد شانه شأن اي بلد اخر من بلاد الدنيا، ولم يكن حبا فى الاطلاع على مجهول فى اكثر ما نجهل من ارض الله الواسعة .. وانما كان وراء ذلك كله احساس عميق ، نكون يوما بعد يوم ، واشتد فى كل مراحل العمر مرحلة بعد مرحلة .. وكان ينمو ويستحصد كلما اوغلت فى الدراسة وتتبعت اوضاع هذا الوطن الاسلامي الكبير .. حتى كان لهذا الاحساس فى اعماقي جذور ، وحتى كانت له فى حباتي اغصان واوراق .

هذا الاحساس يعود الى نقديري للمهمة الكبرى التي اضطلع بها المغرب عبر القرون الطويلة منذ ارتضى الاسلام واتخذه دينا ينافح عنه ويدافع دونه. فقد وقف شامخا — كجباله الشامخات — فى وجه العوادي الصعبة التي كانت تجتاح هذه المنطقة ، وينهض كالمنارة ، تمتد اشعتها من هنا وهناك ، ينشر انوار الاسلام الى هذه العدوة الاخرى فى الاندلس من نحو ، والى ما وراء الصحراء فى غرب القارة الافريقية ووسطها من نحو اخر .. وكان كالقلب ينبض دائما بالدم القوي النقي يبثه هنا وهناك على كل سنوات التاريخ .

— 2 —

هذه الرسالة الحضارية للمغرب التي يستطيع كل دارس للتاريخ او متتبع لاحداثه ان يدركها .. اعني ان يدرك خطورتها ومكانتها .. ماذا يكون من اثرها فى اتجاه المغرب اليوم ؟ ماذا تترك من انطباع فى سياسته .. او ماذا يجب ان تترك من انطباع ؟.. كيف نستطيع ان نعطى هذ الرسالة الحضاريه مكانتها فى حياتنا كلها .. فى حياتنا كافراد وفى حياتنا كمجموعات .. وبالتالى فى حياتنا كدولة فتية ترهقها اعباء التطور ومهمات النمو ولكنها لا تحب ان تتخلى عن رسالتها الاصيلة ؟

فى رأيي ان العاملين فى المغرب المؤمنين به برسالته .. الحاملين لامانته العظمى يستطيعون ان يعملوا من هذا النحو فى وجهتين اثنتين :

احداهما هذه الوجهة الداخلية الصرف .. والاخرى هذه الوجهات الخارجيات المختلفات . ومن الواضح ان الوجهتين لا تنفصلان .. وانما هما تتشابكان وتختلطان ، احداهما تنبع من الاخرى والاخرى تكمل الاولى .. فليس بينهما قط مثل هذا الفصل الحاد .. وانما هو — هذا الفصل — محاولة في تقسيم البحث وتذليل اطرافه امام الذين يحبون ان يخوضوا فيه .

اني لا اتحدث عن الوجهة الداخلية فى هذا المجال .. ذلك لانها من التشعب بحيث لا يتسع لها حيز محدود فى مجلة تحرص على ان يكون لها شيء من تنويع او تلوين رغم حرصها على طابعها العام . ولكني احب ان اتحدث عن الوجهة الخارجية . فكيف نستطيع ان نتابع رسالة المغرب فى هذا السبيل

في الحضارة المغربية

للأستاذ : عبد المجيد بن جلون

من النوافل ان نقول ان للمغرب حضارة عريقة – نسبيا – تقادم عليها العهد وان هذه الحضارة مستمدة من الحضارة الاسلامية ، وكانت وثيقة الصلة بالاندلس كما كانت على اتصال بحضارة البحر الابيض المتوسط ، وعلى اتصال بكثير من الدول العديدة التي كان يهاجر اليها التجار المغاربة ، ويحملون مع البضائع التي يجلبونها عادات تلك البلاد وبعض مظاهر حضارتها ليضيفوها الى الحضارة المغربية المزدهرة ، كان هؤلاء التجار يصلون الى الهند والصين واندونيسيا وكانوا يقيمون في بعض الدول الاوروبية في القرن التاسع عشر ، وظل الشعب المغربي محافظا على حضارته الخاصة ، كما ظلت الحياة المغربية محتفظة بكثير من طابعها الخاص حتى في قلب القرن العشرين .

وما لبثت الوسائل الحديثة ان تغلغلت في المغرب ، ولكن بالرغم من الاثر الكبير الذي ادخلته الى الحياة في هذه البلاد ، وبالرغم من التغيير الكبير الذي تركته في التفكير المغربي ظلت الحضارة المغربية واضحة المعالم ، صامدة في وجه الحضارة الغربية ، بل سخرت الوسائل الاوروبية كلها لارادتها واستفادت منها ، واذن فنحن نعيش في عصر تلتقي فيه حضارتان ، حضارة مغربية تعرف بتقاليدها الجميلة ، وعراقتها وفنونها وموسيقاها ورقصها وادابها ومعمارها ونظرتها الى الحياة ، مع الحضارة الغربية بوسائلها السريعة وتقاليدها وفنونها وموسيقاها ورقصها وآدابها ومعمارها ونظرتها الى الحياة هي ايضا .

فكيف يجب ان تلتقي الحضارتان ؟ او بسؤال آخر : كيف يجب تطعيم حضارتنا بالحضارة الغربية ؟ هناك من يرى الارتماء في احضان الحضارة الغربية بكل ما فيها من خير وشر ، لانها اصبحت حضارة العصر ، وغيرها تخلف ، وهناك من يرى ضرورة المحافظة على الحضارة المغربية بطابعها القديم مع الاكتفاء بالاستفادة من وسائل الحضارة الغربية ما نفعنا ذلك . والرأيان معا مبالغ فيهما .

ويحسن ان نشير هنا الى ان الحضارة المغربية حضارة مترابطة ذات عقلية وذوق ، فالطراز المعماري والزي والطبخ والآلات – مثلا – مترابط بعضه ببعض، وطريقة تناول الطعام منسجم مع اللباس ، فاذا ارتدى المرء الزي الاوروبي بدا غريبا وغير مستريح وهو جالس على الحشية الى المائدة الصغيرة ذات الارجل القصيرة .

ومثال اخر : كانت البادية مسرحا للرقص الشعبي ، حينما كان – ولا يزال – يصطف عشرات ومئات من النساء والفتيات على سفوح الجبال والهضاب والتلال وفوق قممها ، في لباسهن زاهي الالوان، يرقصن على نغمات الموسيقى التي يعزفها الرجال على الطريقة التقليدية ، وبين الجبال والهضاب والتلال تترامى السهول ، يزحف فيها الخيالة وهم يتصايحون ويطلقون نيران بنادقهم ، كل ذلك في صخب ما بعده من صخب ، ولكنه ضروري لان الاصوات تضيع في الهواء الطلق ، وفي الابعاد المترامية ، اما الآن فقد اصبحت لنا مسارح تتطلب اسلوبا جديدا لان عنصر الابعاد المترامية في المسارح قد اختفى ، وحل ضبط الصوت الذي يكتفي بالهمس بدل الضرورة الى التحدث بصوت جهوري .

وقد دعيت منذ فترة الى احدى الحفلات التي اقامها بعض الاصدقاء ممن يقيمون في شقة حديثة ، ولم يمض سوى وقت قصير حتى شعرت بانزعاج

فاذا كانت الخطوة الاولى من هذا الايمان، كان الطريق بعد ذلك كالمحجة البيضاء لا يضل فيها سالك .

— 6 —

اقدر ان هنالك من يقول ، وهو يقرأ هذا المقطع السابق ، انه دفقة حماس ، وان الكاتب ينسى شأن الحياة الجديدة التي تقوم — فى اكثر الانظمة المعاصرة على جهد الدولة وتستند اليها فى كل عمل او فى كل مخطط.

حسن جدا .. فهذه نقطة الضعف الكبرى بالقياس الى هذا الموضوع الذي نثيره .. ان الدولة توشك ان تكون فى الحياة الجديدة كل شيء .. ولكنها فى الواقع ليست كل شيء .. لم تبلغ .. ولن تبلغ ان تكون كل شيء فى اشد المجتمعات توجيها .. لنترك للدولة الاعباء الكثيرة التي تنهض بها والتبعات التي تتضخم امامها .. ولنفتش عن الساحات الاخرى الخالية نملأها .

وماذا تحتاج المشروعات عادة من الدولة ؟ .. انها فى حاجة الى شيئين : التخطيط والتمويل .. فهل نحن هنا فى حاجة الى الدولة فى ذلك ؟ هل رسالة المغرب الحضارية — فى الاتجاه الخارجي — فى حاجة الى تخطيط الدولة وتمويلها ؟ ..

من المؤكد اننا — فى الوجهة الداخلية — نحتاج الى الدولة حتما .. اننا حينذاك نكون ، مع اجهزتها ، كتلة واحدة او نكون نحن والاجهزة كتلة منها .. اما فى المجال الخارجي فلا .. وقد يكون البعد عن الدولة خيرا .. قد يكون من الافضل ، لكي يتخذ العمل كل مداه — فى كل ابعاده — من الحرية والانطلاق ان لا تكون الدولة مباشرة شريكة فيه او قائمة عليه .. ومن المؤكد انها ترضى عنه بل اقدر انها ترحب ان تقوم به لجان اهلية بالنيابة عنها .. انها — فى اسوأ التقديرات — لم تتحرج منه .

وبقي التمويل .. لقد استقر فى اذهاننا ان المال كل شيء فى كل مشروع .. غزانا هذا التفكير حتى اقعدنا واضلنا .. لم نعد نفكر بالمشاريع والاموال معا وانما نفكر بالاموال اولا ثم نحيط كل مشروع امام كل عقبة مالية ..

واذا كانت هذه نقطة خلافية كما يقول الاصوليون فلنسأل : هل يكون المال — اعني الحصول عليه — عقبة فى هذا السبيل .

الذي اعتقده ان مجرد قيام العمل ، مجرد ظهوره .. اعلانه عن نفسه فى نطاق من نظافة القائمين عليه ومباشرتهم للعمل فيه واولى خطواتهم فى طريقه — كفيل ان يجعل الايدي الاخرى تمتد اليه .

ان كل انسان من القادرين فى المغرب .. واعني استعمال التعبير الفقهي : ان كل مطلق لن يتأخر عن الاسهام المادي فى ذلك .. هنالك اعداد لا تحصى من كل الطبقات المؤمنة : غنية او فقيرة .. تفكر فى مغرب الغد والامس فى آن واحد ، وتحرص على رسالة المغرب ونحرص كذلك على ان تمد هذه الرسالة بما تستطيع

وحينذاك لن تكون هنالك عقبة اسمها المال نحبط كل مشروع حتى قبل ان يقوم .

— 7 —

انها دعوة من الاعماق تملأ كل جوانبي اين كنت فى المغرب .. بل اننا — فى المشرق — لننظر الى المغرب، من هذا النحو ومن انحاء اخرى ، فى كثير من الامل فيه ، والاعتماد عليه ، واليقين بانه سيستأنف رسالته الحضارية على اي حال .. وان مكانه من افريقية ، من افريقية الغربية على اقل تقدير يجب ان يكون مكان الريادة .. وان قولة الحديث الشريف — مهما تكن درجة الحديث — «لا يزال رجال من امتي فى الغرب ظاهرين على الحق الى يوم القيامة » فوالله ان نتخلف .

— 8 —

حين نقرأ فى الصحف ان رجلا فى نيجيريا — هو رئيس وزراء المنطقة الشمالية — يسلم على يديه الاف يجب الا يقعدنا ذلك بل يجب ان يدفعنا من نحو الى ان نشارك فى دعم هذه الرسالة من نحو ، وان نعمق هذا العمل من نحو آخر .. يجب حينذاك ان نذكر ان القضية ليست قضية مال وانما هي قضية رجال .

مرة اخرى : انها دعوة .. قد تكون قاسية فى بعض اسلوب الاداء ولكنها من القلب من قلب المشرق الى قلب المغرب .. قلب المغاربة الذين يفكرون فى مغرب الغد الكبير .. فان كان هنالك شيء من اندفاع او غلو فى هذا الحديث فليكن من ابسط ما ننتهي اليه ان نفتح باب المنافسة على اوسع مصاريعه فى هذا الموضوع.

هل نأخذ « دعوة الحق » بهذا فتخصص عددا او جزءا من عدد لهذه الناحية تستكتب رجال المغرب حول رسالة المغرب الحضارية من يعمل لها ؟ وكيف نعمل لها ؟!

— 9 —

لقد تحدثت فى الناحية الخارجية .. اما فى الناحية الداخلية فالحديث متشعب وانا ما اريد ان اخوض فى الجانب الداخلي .. لا لشيء .. ولكن لاني لست قادرا على ان اتعرف على كل شيء فى الحياة المغربية .. ومع ذلك فان الذين يخوضون فى الموضوع يملكون ان ينظروا فيه من وجهتيه كلتيهما .

الدكتور شكري فيصل
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
واستاذ الادب العربي بجامعة محمد الخامس

الجمهورية العربية المتحدة ، فقد هذب فيها الخبراء الرقص الشعبي تهذيبا اطيفا من غير ان يسلبوه طابعه الشعبي ، كما حدث نفس الشيء في الجمهورية التونسية الشقيقة ، حيث تحول الرقص الشعبي الى فن لطيف ، اما البارود والصياح وضرب الارض بالاقدام ، وحشر ما تسعه الجبال والسهول في مسرح صغير او مكان محدود بنفس العنف والصخب ، فجناية على هذا الفن نفسه ، وجناية على المسرح ايضا

ثم ان الرقص الشعبي المغربي يتسم ايضا بطابع الرتابة التي تبعث على الملل ، والرتابة قد تكون مستساغة حينما يتوفر المرء على وقت طويل من الفراغ ، وحبذا لو استقصينا كل انواع الرقص الشعبي ، وطعمنا بعضه ببعض ، واضفنا اليها حركات جديدة ، وخلقنا رقصا شعبيا متنوعا لطيفا ، ليكون في استطاعته ان يرقى الى مستوى المسرح .

وقد غرست فينا « العقلية السياحية » تقديسا لكلمة «تقليدي» ونحن لا نقلل من اهمية السياحة وضرورة تنميتها والتمكين لها ، ولكن يجب ان لايثبطنا هذا عن البحث عن آفاق جديدة في فنوننا المغربية الشعبية الصميمة ، واذا كانت الفنون التقليدية تجلب السواح فان الابداع يجلبهم ايضا ، ذلك ان ملايين السواح الذين يزورون باريس او روما او مدريد لاينصرف اهتمامهم فقط الى المتاحف والآثار ، كما لا احتاج ان اقول .

بأي مبرر يكون اهتمامنا بالقدم اكثر من اهتمامنا بالتطور والاستمرار .

الرباط — عبد المجيد بن جلون

كانت لهم اخلاقهم دينا

رسم وقفنا على رسم الوفاء له
نجيش بالدمع ، والاجلال يثنينا !
لفتية لا تنال الارض ادمعهم
ولا مفارقهم الا مصلينا
لو لم يسودوا بدين فيه منبهة
للناس ، كانت لهم اخلاقهم دينا !

مؤلم ، فقد انطلقت فرقة موسيقية اندلسية كاملة في غرفة مجاورة صغيرة تعزف بنفس العنف الذي تلجأ اليه فى دار مغربية كبيرة ، ذات « الحلقة » الكبيرة التي يمكن ان « تستوعب » هذا الصخب ، لان عنصر السماء جزء من الدار ، ولا ادري كيف كان شعور الجيران ... اما شعوري الخاص فقد ضقت درعا بكل شيء ، بل خيل الي فى بعض الاحيان ان الجدران ليست فقط مهددة بان تميل السقوط ، بل خيل الي ايضا ان الجدران والابواب والنوافذ مهددة بالانفجار ، لان حشر كل هذا الصخب فى شقة صغيرة امر يدعو الى الجنون ...

ونحن نعيش فى عصر السرعة احببنا ام كرهنا، والسرعة توفر الوقت كما يبدو ، ولكنها فى الواقع تخلق الاعمال ، ونمكن الانسان من ان يقوم فى يوم واحد باعمال اسبوع كامل ، ولذلك فان السرعة اصبحت تتطلب الوقت فى الواقع ، وكان فى استطاعة المغاربة فى الماضي ان يختلفوا راجلين الى هذه الحفلة او تلك ، ويقضوا فيها الساعات الطويلة وهم يتبادلون الاحاديث المختلفة ، والموسيقى الاندلسية ماضية في انغامها خلال معظم هذه الساعات ، وكان قدماء المغاربة لاينصتون فى احاديثهم الى هذه الموسيقى وانما يستانسون بها فى احاديثهم ، ولذلك لم يكونوا يملون رتابتها ولا طولها ، اما اليوم فان طابع السرعة قد افقد هذه الموسيقى جمالها ، فباتت فى حاجة بذلك الى اعادة النظر فيها ، لانه لم يعد فى استطاعة المغاربة ان يستانسوا فى احاديثهم ساعات طويلة بها ، لان الحياة لم تعد تمنحهم هذه الساعات الطويلة من الفراغ .

ويتسم كل ما فى الحضارة المغربية بطابع الراحة بالنسبة للحواس الخمس والجسم كله ، والاستمتاع بالحياة ، وتكفي الاشارة هنا الى ان المغاربة — او جل المغاربة — لايعرفون الجلوس فى منازلهم الى الآن — وكانوا لا يعرفونه بالامس حتى فى دور اعمالهم ودكاكينهم ومكاتبهم —. فالمغربي انسان يقضي يومه مستلقيا ومتكئا على مخدة وهي ظاهرة لاحظها سائح انجليزي زار المغرب منذ اكثر من قرن مضى ، ومما لاحظه على بائع رآه مستلقيا ومتكئا فى دكانه ، انه لم يكن يتحرك حتى بعد ان يتم الاتفاق مع زبون على ثمن شراء بضاعة مما كان يعرضه للبيع ، وانما اقتصر على ان يطلب من المشتري ان يضع النقود امامه وان يمد يده الى الرف ويأخذ ما اشتراه بنفسه دون ان يتحرك . فالميل الى الراحة شنشنة مغربية قديمة ما يزال اسلوب هذه الحضارة يعبر عنها الى الآن ،

ولكن التقاء الحضارة الغربية بالحضارة فى بلادنا سلبت — وسوف تزيد فى سلب — كثير من اسباب هذه الراحة .

واذا لم يعد فى استطاعتنا ان نظل سجناء الحضارة المغربية بعد ان تاثرت بوسائل الحضارة الغربية ، واذا لم يكن فى استطاعتنا ان نتخلص من حضارتنا لانها جزء لايتجزأ منا ولها تأثير على عقليتنا لا جدال فيه ، فما ذا يجب ان نعمل ؟ ان اجزاء من هذه الحضارة مهددة بالزوال ، فكثير من اصناف الاكل لايمكن ان نبقى ، وخصوصا تلك الاصناف التي يتطلب تجهيزها وقتا طويلا ، لان المرأة المغربية الحديثة شقت طريقها الى العمل الى جانب الرجل ، ولم يعد لها مجال لقضاء الساعات الطويلة فى المطبخ ، والطباخات والخادمات سائرات الى الزوال بسبب انتشار التعليم ، وستحل الاصناف التي لاتتطلب وقتا طويلا محل هذه الاصناف المغربية الشهية .

وهذا مجرد مثال ، والنتيجة التي اريد ان اصل اليها هى ان طبيعة الاشياء تأبى علينا ان لانساير الزمن والاوضاع الجديدة ، والا فان الزمن سوف يجرف كثيرا من مظاهر هذه الحضارة ان لم يجرفها جميعا ، وقد استطاع الفن المعماري ان يشق طريقه فى هذا السبيل ، فاصبحنا نرى دورا حديثة على الطراز المغربي الرائع ، وبذلك حقق هذا الفن اللحاق بالزمن

وهذا ما يجب ان يحدث فى سائر مظاهر هذه الحضارة وخصوصا فيما يتعلق بفن الرقص والغناء ، وقد تطور فن الاغنية الخفيفة ما فى ذلك شك ، ولكن الذي ننتظره هو خلق موسيقى اندلسية جديدة على اسس من الموسيقى الاندلسية القديمة ، فليس من المعقول أن نطرب الى الابد باغاني رددها اجدادنا ، وان يطرب احفادنا الى الابد بنفس هذه الاغاني ، وانما يجب خلق هذه الموسيقى الاندلسية الجديدة فى صورة تتناسب مع اوضاعنا الراهنة خالية من الرتابة والطول ومشتملة على المعاني الجديدة التي تسربت الى حياتنا منذ ان وضعت الموسيقى الاندلسية القديمة ، ، من اكثرها ، ونبقى هذه القديمة تراثا فنيا تاريخيا نحافظ عليه كما نحافظ على سائر اوجه تراثنا التاريخي .

ويقال فى الرقص التقليدي ايضا ما يقال فى الغناء ، اذ يجب تهذيبه وترقيته حتى يصبح فى مستوى المسرح ، واستخدام آلات موسيقية حديثة يتابعها الراقصون والراقصات ، على نحو ما حدث

ومن هنا حمل طه حسين على احمد زكي «باشا» في دعوته الى احياء امجاد العرب ، وحمل لواء تأكيد فرية حرق العرب لمكتبة الاسكندرية ، وعندما تحول الدكتور هيكل عن هذه المفاهيم ودعا الى احياء الفكر العربي الاسلامي كوسيلة من وسائل النهضة واعترف بأنه حاول ان يوقظ مصر والعالم العربي عن طريق الفكر الغربي ثم عن طريق الدعوة الفرعونية ففشل في كليهما ولم يجد سبيلا لليقظة الا عن طريق الفكر العربي الاسلامي ، عندما فعل هيكل هذا هاجمه طه حسين بعنف واتهمه بقصر النظر «1» .

* * *

ولقد كانت حملة دعاة التغريب على « تقديس التاريخ » لا تهدف الى تنقية التاريخ وانما التشكيك فيه ، وعلى اساس قانون الجرح والتعديل لا يدخل هؤلاء الدعاة في نطاق الموثوق بهم ، فقد كانت مؤلفاتهم كلها وكتاباتهم تنصب على اتهام الفكر العربي الاسلامي وانتقاصه . ففي « الشعر الجاهلي » سخر من القرآن والتوراة ، واعلن شكوكه في كثير من حقائق الاسلام والكتب المقدسة . وفي «حديث الاربعاء» حاول ان يصور العصر الثاني الهجري بأنه عصر شك ومجون ، وفي « هامش السيرة » حاول تغليب الاساطير على اصول السيرة ، وفي « مستقبل الثقافة » دعا الى الارتماء في احضان الغرب والاخذ بمذاهبه في الحياة والفكر « ما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب » فالكاتب الذي يحطم ايدي امة حين تمسك بتاريخها لتقاوم به الغزو الفكري العربي والنفوذ الاستعماري فيتهم تاريخها ويعلن ان التاريخ يجب ان ينظر فيه على اساس الشك والنقد واعتبار ابطاله اناس عاديون تجري عليهم ما تجري على الناس ، لا يستطيع ان ينال ثقة امه ولا يأخذ في فكرها مكانا عليا .

وقد هاجم رفيق العظم فكرة اعتماد الدكتور طه حسين على اخبار القصاص في تصوير العصر الثاني والثالث للهجرة بأنه عصر شك ومجون ، حين اشار الى ان مثل هذه من كتب القصاص وضعت في ظرف اراد به الخلفاء صرف الناس عن اخبار الخلافة والسياسة . ومثل الف ليلة وليلة وقصة عنترة العبسي وواضعها مجهول واخبار الفتوحات . وقد تنافس الرواة والقصاصون في تدوين الاخبار ووضعها تارة مجموعة وتارة متفرقة في كتب الادب كاخبار العشاق والشعراء والبخلاء والكرام وغير ذلك فكان منها الغث والسمين ومنها الملفق والقريب من الصحة — وقد غالى بعض الاخباريين في ايراد اخبار المجون والتهتك والانغماس في الشهوات مغالاة تكاد تشهد على نفسها بالغلو والتلفيق لما فيها من العبث بالاخلاق والتجرد من كل معنى الادب، ولا اظنني مخطئا اذا قلت ان ما نقل من هذا القبيل عن ابي نواس واضرابه من شعراء ذلك العصر — وهو ما اعتمد عليه طه حسين — انما هو تلفيق قصصي يراد به احد امرين : اما تشويه سمعة بعض الخلفاء العباسيين كالرشيد والمامون. واما سندهم العامة الى تلك القصص المخزية والروايات الملفقة . والذي جوز الشك في قصة ابن عبدوس يجوز الشك في صحة اكثر القصص والروايات التي نقلت عن ابي نواس وغيره من شعراء المجون وثبت انها قصص موضوعة ليس لها قيمة تاريخية فلا يصح ان تتخذ مثالا صادقا لذلك العصر «2» .

ولقد حفلت الابحاث التي كتبها المستشرقون والمبشرون ومن لف لفهم من كتاب الغرب باتهامات واثارات التاريخ الاسلامي والعربي تتعلق بشخصية النبي ومعاركه وحياته الاجتماعية وتتصل بمختلف اعلام التاريخ العربي الاسلامي ، وقد قامت هذه الكتابات المتعصبة على اساس من اتجاه كتابها ومفاهيمهم ، وقد اصبح هؤلاء معروفون في مجال الفكر العربي الاسلامي .

ولا يخفف من غلوائهم الا اننا نجد هناك من كتبوا عن التاريخ العربي بانصاف وتقدير .

ومقطع الرأي في هذا هو ان الدول الاستعمارية ذات النفوذ السياسي او الديني تحاول ان تجد من كبار الكتاب في الغرب دعاة لها وادوات لغزوها الفكري فتتيح لهؤلاء رحلات قصيرة الى الشرق ، وتكون وسيلة لكتابات مضطربة غامضة فيها حملات تتسم بالقصور عن الفهم والدرس ، لانها لم تمكن كتابها من تحقيق فكري او بحث علمي . وفي هذا يقول مستر جب في كتابه « المحمدية » ان مؤلفات المبشرين عن الاسلام والعرب تصدر عن اولئك الذين يحكم تفكيرهم الاعتقاد بان الاسلام دين منحط وان بعضهم جرى بقدم في فهم الاسلام ، ومع ذلك فلا تزال الاحكام السابقة والاراء المفرضة تلازم موقفهم من الاسلام .

1» مقدمة كتابه « منزل الوحي » .

2» اقرأ المعركة في كتابنا « المعارك الادبية »

ونحن لا ندعو الى تقديس التاريخ او وضعه فوق النقد وانما ندعو الى النظر المنصف الذي لا يحمل فى اعماقه الحقد او الخصومـة .

ولذلك فاننا نقبل نقد التاريخ العربي الاسلامي واعادة كتابته وتصفيته من كل ما علق به من زيوف ولكن ليس بايدي دعاة التغريب وانما بأيدي المنصفين، وهنا يبرز علم الجرح والتعديل فى معرفة الرجال الذين يتصلون بهذه الاعمال الخطيرة البعيدة المدى فى ارساء مقومات فكرنا العربي الاسلامي ، فاننا فى اســاس النظرة المنهجية تؤمن بالتحقيق العلمي الذي يجعل من اول مفاهيمه واكبر مقوماته « الرجل » الباحـث ومدى ايمانه بامته وفكرها فاذا كان من دعاة التغريب او فى تاريخه ما يشوب فان كل ما يقوله فى تاريخنـا يحمل على محمل الاتهام والجري فى ظل حركـات الشعوبية والتغريب .

ومن هنا كانت دعوة بعض دعاة التغريب الى النقد التاريخي تتصل اول ما تتصل بالكتاب الذين يحملون لواءها ، واذا كان امامي كاتبين احدهما مؤمن بالفكر العربي الاسلامي صادق فى نظرته ، لم يتأثـر دعوى التغريب والشعوبية وءاخر عرف بماضيـه فى متابعة مفكري الغرب والدعوة الى القضاء علـى مقومات فكرنا فى الدين او اللغـة او التاريـخ فعلينـا ان نقبل من الاول ونرد الثانـي .

ويقرر دعاة مذهب التغريب فى النظر الى التاريخ العربي الاسلامي ان مذهب تقديس السلف وتنزيهه عن الصغائر ، ومذهب اسباغ الدين على طور من اطوار التاريـخ خطأ ويرون ان الامم فى بعض ظروف ضعفها تحاول وهي بسبيل استرداد مجدها القديم ان تكبـر من تاريخها وماضيها وتجل اصحابه وتتخذهم مثـلا عليا . وعندنا ان هذا ليس عيبا وان مراحل الضرورة تحتاج فعلا الى استغلال التاريخ كقوة دافعة دون ان يكون ذلك على حساب حقائق التاريـخ نفسهـا او تحريفهـا .

ولكن دعاة التغـريب الذين يعرفون ذلـك لا يتوقفون عن الاسراع فى ضرب هذا الهدف من اهداف الامم التي تحاول ان تتخذ من تاريخها وامجادها قـوة لليقظة والحركـة ومقاومة الغاصب . واذا هـم يسرعون فيوجهون الضربات لهؤلاء الكتاب من ناحية ، ويقدمون صورا لها قوة الذيوع والانتشار تحمل صورة التدمير للعصور الزاهـرة والبطولات والمواقـف الحاسمة .

وهذا ما حدث بالفعل ، فاننا فى الثلاثيـات حاولنا ان نجعل من تاريخنـا العربي الاسلامي وسيلة لدفع الامة العربية والعالم الاسلامي الى اتخاذ بطولات تاريخه سبيلا لمقاومة الغزو ولاستعادة الثقة فى امتنـا وقيمنا ومقدراتنا ، بعد ان حاول النفوذ الفكري الغربي المجسد فى التغريب اتهامنا باننا لم نكن الا اممـا تجتاحها الدول من فرس وروم وعرب – اي واللـه والعرب اعتبرهم التغريب غزاة – .

هنا قام امثال الدكتور طه حسيـن فحاول ان يصور العصر الثاني والثالث للهجرة على انه عصـر شك ومجون : فاذا قام من يعارضه كالمؤرخ الاسلامي رفيق العظم هاجمه فى عنف ، وقال له ان التاريـخ منفصل عن الوطنية ومنفصل عن الدين . وان محاولة تقديسه محاولة مضللة وانه لابد من النظر الى التاريخ نظرة مجردة ، تشيـع فيها الشكوك والاتهامات .

والواقع ان الامم فى علاقتها بالتاريخ تمـر بمرحلتين «1» الضرورة والبناء وفيها يصبح التاريـخ وسيلة فعالة وسلاحا هاما ، وهذه هي مرحلة الضرورة التي تقاوم بها الامة الغزو الفكري والتغريب والشعوبية ونحن فى العالم الاسلامي والعربي نمر الان بهـذه المرحلـة .

2» مرحلة الاستقرار : وهذه يعاد خلالها النظـر فى التاريخ فيصفي من كل عوامل الخطأ والتزييف على النحو الذي يخلق منه تاريخا علميا .

ولذلك فان دعوة الامم الى طعن تاريخها وتمزيقه وتعريته واثارة الشبهات حوله فى ظل معركة البنـاء ومرحلةالضرورة ، لاشك انه عمل من اعمال الشعوبية، ونحن فى هذا ايضا لا نأخذ نظريـة مـن عشـرات النظريات فى الفكر الغربي لتكون قاعـدة نحكم علـى اساسها او تفرض علينا ، دون تقديـر لعـده عوامل ، اهمهـا : ان مقومـات الفكـر العربـي الاسلامـي تقـوم علـى اسـاس امتـزاج عناصر اللغة والدين والتاريخ والتراث ولا يمكن فصل عنصر منها ، فالدين مرتبط باللغة ، والتاريخ مرتبـط بالدين وكذلك شأن الثقافة والتراث وهذا الفصـل عمل وهمي اذ لا يمكن فعلا فصل القيم المتشابكـة الممتزجـة اساسـا .

1» مقدمة كتابه منزل الوحـي

دفاعا عن الكتب الصفراء

للأستاذ محمد الحمداوي

حدثنا ديورنت في مقدمة كتابه (قصة الحضارة) عن فتاح حوتب انه منذ خمسة آلاف عام قال : « انظر كيف يمكن ان نتعرض لمناواة الخبراء في المجلس ، انه لمن الحمق ان نتحدث في كل ضروب المعرفة) واحسن ديورنت نفسه القول حين قال « ومثل هذه المغامرة لاتستند على شيء من العقل » .

ومثل هذه الحكمة مذكورة عندنا في « الكتب الصفراء ، ولكن الاستاذ عبد الكريم غلاب حين دعا الى التخلص من ثقافة هذه الكتب الصفراء فهو لاشك قد اعرض عنها . ومن اعرض عن اخذ الحكمة من الكتب الصفراء التمست له الحكمة من الكتب البيضاء فمن قبل قال ابن تيمية « ومن ادمن على اخذ الحكمة والاداب من كلام حكماء فارس والروم لايبقى لحكمة الاسلام وآدابه في قلبه ذلك الموقع » . قال ذلك في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم » وهو والله مطبوع على ورق اصفر . ولو تخلص علماء شرقيون — وعلماء غربيون كذلك — من تاثير ثقافة الكتب الصفراء لما كتبوا ما كتبوا عن علم ابن تيمية وآرائه في السياسة والاجتماع المجلدات ، وعلى كل حال فاننا نفهم من هذه الحكمة التي نقلها ديورنت وهو عالم غربي جديد عن حكيم مصري متغلغل في الاقدمية حتى الصميم . نفهم منها ان الاستاذ عبد المجيد بن جلون كان على جانب كبير من الفهم و تقدير الاشياء والنفوس حين استهول النقد ، واستهول ما يتطلبه من معرفة استقرائية) بموازين النقد وادواته ، وبالناس وتاريخ الناس . ودوافع الناس للكتابة ، وبنفسية الناقد نفسه ، وما قد تكون تحمله هذه النفسية من (ذكريات راسبة او عائمة) تجعله يبطر الحق ويغمط الناس ، ونفهم منها ايضا ان الدكتور زكي المحاسني كان على شيء كبير من فقه الادب ، وفقه الاخلاق ، حين أثنى على آداب ابن جلون وثقافته ، ونفهم منها ثالثا ان الاستاذ عبد الكريم غلاب كان على شيء غير قليل من عدم تقدير الاشياء والنفوس حق قدرها حين نصب ميزانه يزن الناس واشياء الناس بغير موازن من اصول العلم وقواعد النقد ، وانا لا ادعي اني بمقالات الاخوان التي تعرض الاستاذ عبد الكريم غلاب لنقدها، بالاطراء او الاخفاء خبير ، ولكني بمقالي الذي كتبته نقضا — لا نقدا — لدعوى ان (ثقافة القرآن ثقافة عالمية) ان شاء الله خبير ، لذلك سأتعرض له بتلك المناواة التي حذر منها حوتب كل من يتحدث في كل ضروب المعرفة في كلمات معدودات .

لقد كانت بضاعتي غير راجحة في ميزان الاستاذ غلاب حين تحدث عنها فقال : « وفي قسم الدراسات الاسلامية من العدد مناقشة عن ثقافة القرآن والثقافات العالمية في جزئها الثاني وما يزال (1) الاستاذ الحمداوي فيها يناقش الاستاذ الوزاني عن معنى عنوان مقاله : هل يراد به كذا . . . او يراد به كذا . . . وسياق الحديث يقتضي كذا .. الخ متى .. متى يهدف الباحثون والكاتبون منا الى الهدف راسا دون مقدمات ؟ ومتى نتخلص من ثقافة الكتب الصفراء، التي ننفق معها عمرا من عمرنا ونحن نحاول ان نفهم معنى عنوان يتركب من مضاف ومضاف اليه ، هل الاضافة فيه معنوية ، او ليست محضة معنوية . . . ؟ » واحسب ان الاستاذ عبد الكريم غلاب حين زعم ان مقالي في جزءيه عبارة عن مناقشة لاتزال لم تتمم لعنوان مركب من مضاف ومضاف اليه ، احسبه انه وقع فيما وقع فيه ذلك الرحالة (2) المصري الذي زار المغرب منذ سنوات قبل الاستقلال فلما نزل الدار

---

1) الصواب لايزال

2) محمد ثابت

وفى الناحية الاخرى يبرز كتاب منصفون لا يتصلون بالنفوذ الاستعماري وادواته ، فيكتبون بناء على دراسة او بحث عميق ومن هؤلاء جوستاف لوبون واميل درمنجم وتوينبي وغيرهم « 1 ».

ولسنا هنا فى سبيل احصاء الاتهامات والاخطاء او الشبهات والشكوك التي واجه بها كتاب غربيون – واتباعهم من رعاة التغريب والشعوبية – التاريخ العربي الاسلامي وذلك له مكانه فى دراسة متخصصة ، غير انه يمكن رد هذه الاتهامات والشبهات الى عدة عوامل :

1 – القصور فى الدراسة او الاعتماد على مراجع شعوبية او تغريبية .

2 – التحيز لوزارات المستعمرات والخارجية فى الدول الاستعمارية .

3 – الموالاة لدعوات الغزو الفكري المنطوية خلف اليهودية العالمية او الشيوعية او الشعوبية والتغريب .

4 – محاولة خدمة نفوذ الاديان او الكنائس الغربية .

والمعروف ان هذه الجهات جميعها ترصد مبالغ ضخمة فى ميزانياتها كل عام لعمليات التبشير فى مختلف انحاء العالم الاسلامي وخاصة « اواسط افريقيا وجنوب شرق اسيا » وانها قد خدعت كثيرا من الكتاب فى العالم العربي لكتابة ابحاث لها طابع معين هدفا فصلا عن دعاتها واتباعها المنبثين فى كل مكان ، وما يصدر باسمهم من صحف زاهرة ، او مؤلفات انيقة .

«القاهرة» انور الجندي

1 » انظر كتابنا « الاسلام فى غزوة جديدة للفكر الانساني » .

كما هو في الطبيعيات ، قال « ان أولئك الذين يصوغون تفكيرهم في تعليل واحد للاشياء ، لـن يكـون لهم اي نصيب في ان يكونوا من رجال العلم المتضلعين ، واذن فقد أضاعوا كل شيء » ثم قال « اننا لا نستطيـع ان نعالج مشاكلنا الانسانية بفعالية حتى نحـذو حـذو العلماء الطبيعيين ، ونحفف من استمرارنا في تبسيط تعليل الاشياء » (1) انتهى منه بنصه وفي اصله (2) .

اخي غلاب ، اذا تساءلت قائلا « متى .... متى يهدف الباحثون والكاتبون ما الى الهدف رأسا بدون مقدمات » فاني اسالك وعلـى شاكلة اسلوبـك ، متى .... متى كانت الاهداف بدون أطراف ؟ متـى كانت المسببات بدون اسباب ؟ متى كانت النتائـــج بدون مقدمات ؟ بل ان حتى بعض النتائج قد تكـون مقدمات لنتائج أعلى منها كما قرر ذلك من زعموا أنـه المعلم الاول ، ان المقدمات يا اخـي مفروضة بسنـة التطور ، ان ربك لم يخلـق الارض قبـل ان يخلـق السماوات ، ولم يخلق الانسان قبل ان يخلق الارض ، ولم يخلق النطفة قبل ان يخلق التراب ، الخ .. الخ .. ولكن هل خلق ربك الميزان قبل ان يخلق عياراته ؟ ذلك ما اسالك عنه ياصاحب الميزان .

اخي غلاب ، لاتشفق على اخيك اذا (انفق عمرا من عمره مع الكتب الصفراء) . فان عالما اوربيا بـذل دمه في احدى قبائل صحراء شنقيط من اجل الحصول على كتاب واحد من هذه الكتب الصفراء ، ان هـذه الكتب الصفراء التي ازدريتها واحتقرتها ، ودعـوت التخلص مـن ثقافتهـا ، هـي تلك الكتب التـي تحدث عنها عالم بحاثة كبير ، ومؤلف منهجـي شهير هو الدكتور « صبحي محمصاني » حيـن قـــال «ومعلوم ان معظم هذه المناقب ان لم اقل جميعهـا مطبوعة طبعا قديما متلاصقا على ورق اصفر رخيص هذا الى ما فيها من الحواشي والهوامش ، قال : فكـان من نتيجة ذلك ان صعبت مطالعتها ، واورثت في بعض الناس ضجرا فتركوها ، او هجروهـا ، متأثريـن بالشكل الخارجي دون الجوهر قال : فانا خالفت هؤلاء وعشقت الكتب الصفراء لانها تختزن من الكنوز الفكرية ما يفوق التقدير ، ولانها تحوي ثمرة الجهود الجبـارة التي قام بها الاسلاف في هذا الميدان ، وزبدة الافكار القيمة التي تركوها «3» هـ.

ولو شئت الزيـــادة لزدت ومن النقل اطلت ، ولكني رأيت الاطالة هنا في غير طائل .

واذا رحم الله اقواما للتخلص من ثقافة هــذه الكتب الصفراء بالاصالة فان اقواما ءاخــريــن لا يسعهم التخلص منها وهم من ابنائها قـد رضعوا وفي احضانها قد نشأوا وفي بيئتها قد ترعرعوا ، اليس من قواعد الوراثة وعلم النفس المدونة في الكتب البيضاء ، ان من شب على شيء شاب عليه؟ وكيف يطلب التخلص من « بانيـر ثقافة الكتب الصفراء » وفيها ، فوق مـا فيها من كريم المصاحف ، وشريــف الاحاديـــث ، فيها من قواصم ابن العربي ما يقصم الظهور ، ومـن علم الشاطبي ما يعصم من الحشو ، ومن ردود ابـــن تيمية ما يدحض الشبهات ، ومن ادب ابن القيم ما يقوم الاسلوب ، « وعلى هذا «4» النحو فانج » .

وبعد ، فقد روي عن علمائنا الاولين انهم فيمـا الفوه في قواعد البحث العلمي قالوا « اذا كنت ناقــلا فالصحـة ، او مدعيا فالدليل » والاستاذ عبد الكريم حينما قال ما قال عن مقالي لم يأت بنقل صحيـح ، ولا دليل قاطع . ولذلك رددت عليه بما شاء الله ان ارد ، ورحم الله من علمائنا الاولين من قال « وما منـا الا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر » .

وخاتمة ، وهي ان الاستاذ عبد الكريم غلاب على كثرة ما دعا الى اتباع اسلوب البحـث العلمــي في « الدراسات الاسلامية » لم يكتب في يوم مـن الايام ، وحتـى يوم كان ينتقد « الرمضانيات » بحثا علميــا اسلاميـا يكون به قدوة لمـــن دعاهم الى اجتنـــاب اسلوب الوعظ ، واسلوب ثقافة الكتب الصفـــراء في كتابة الدراسات الاسلامية ، ولو انه فعل لنـــال الجزاء من الله والناس ، ولكل وجهة هو موليهـــا فاستبقـوا الخيـرات .

الدار البيضاء ــ محمد الحمداوي

---

1) ذكر الدكتور فرانتزروزنتال في كتابــه (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي) ان لفظة (انتهى) كانت من علامات الاقتباس عندهم ، وذكر ان ابن حجر قال انه كان دائما يستعمل لفظة انتهـى للدلالـة على انتهاء الكلام الذي نقله او اقتبســه ص 108

2) الترجمة العربيـة Huxley. Ends and means. 1951. Chatto and Windus. London

3) من مقدمة كتابه « فلسفة التشريع في الاسلام »

4) عنوان مقال لي كتبته في العدد الثاني من السنة الاولى من « دعوة الحق » استخلصت فيه اسس الادب من علم الكتــاب .

البيضاء ركب الحافلة الى (درب السلطان) وكانت الحافلة اذ ذاك تنزل الركاب امام وكر البغايا ، ولما نزل المسكين دخل ولم يخرج الا بعد ان لقي منهن ما لقي كما قال ، فظن انه قد غرر به وان الحافلة خاصة بحمل الركاب الى هذا المكان ، ولو انه اطال التجوال واكثر السؤال ، لعلم ان هذه الحافلة التي اقلته اقلت جميع ركاب درب السلطان . وان فيه من غير هذا المكان المساجد والمآذن ، والمستشفيات والمدارس ، والحدائق والمتاجر ، كذلك كان رحالتنا الناقد حين نظر الى الجزء فغاب عنه ادراك الكل وحين قصر النظر ، فأخطأ في الادراك ، وحين ضيق الحكم فما أصاب الصواب ، ومن يدري ان ذلك كان (الذكريات عائمة او راسبة) كما يقول الاستاذ عبد المجيد بن جلون . ولو انه سمح لنفسه ببعض التأمل ، لو انه أعطى لفكره — وهو صاحب (نبضات فكر) — بعض الوقت لينبض في النقد كما نبض في الانشاء ، لو انه فعل ذلك او بعضا منه لعلم ان مقالي في جزءيه لم يكن مناقشة لفظية لا تزال لم تتم لعنوان مركب من مضاف ومضاف اليه . حبا في التوسع في شرح الالفاظ ، وتمطيط الكلام ، فانا الذي قلت في المقال نفسه « لا مشاحة في الالفاظ اذا صحت المعاني » ولكنه كان نقضا لدعوى . ابتدأ في جزءيه بمقدمة وانتهى بنتائج، ابتدأ بشرح الالفاظ وانتهى باثبات معان ، ابتدأ بابطال احكام وانتهى باثبات احكام ، وبحجج من بينات الآي ، وصحيح الاحاديث ، وثابت الانقال ، ومقارنة النصوص، ومقابلة التعاريف ، ولو انه انصف لعلم ان في الانصاف الحسنى وزيادة ، لعلم انه في جزءيه حين استهدف لم يستهدف سوى (ابراز حقيقة الاسلام في عقيدته الاصلية ودفع الشبهات عنها) وذلك بعض ما دعا اليه هو نفسه في مقال له . ولعلم ان فيه النهي عن بعض ما نهى عنه هو وبالتصريح لا بالتلويح . فليرجع اليه والى مقاله في مجلة (الايمان) ان شاء . واذا ما قلب فيه اللفظ على جميع وجوهه ، وصرف الى جميع احتمالاته ، والتمس في دلالته على معناه بالمطابقة وبالتضمن والالتزام ، فانما كان ذلك لقطع معاذير في ادعاء دعوى والتماس معاذير في نقض دعوى ، وفي المقال قلت « وانما الالفاظ بمعانيها ، وانما المعاني بما يؤيدها من حجج العقل ودلائل الشرع » ، ودعوى الخطأ او الصواب في انتاج الناس ليس بالامر الهين يا اخي عبد الكريم ، فاذا ما رأيتني اطلت الشرح والتبيان . فانما ذلك لادرأ عن نفسي حدود الاتهام في دعوى الخطأ فيما ادعيت انه خطأ ، ودعوى الصواب فيما رأيت انه صواب ، والالفاظ يا اديب العرب بذاتها ، لابد من تناولها في دلالتها على معانيها حسب قواعد تركيبها في الالسن واللغات ، ومن ثم كان ناقدا بصيرا ذلك الذي قال : « ان معنى كلمة من الكلمات ليس بالامر السهل » وقال « ان لكل جملة معناها حسب تركيبها المنطبق على قواعد النحو والصرف » واطمئنك يا اخي عبد الكريم على ان قائل هاتين الجملتين ليس من اصحاب المضاف والمضاف اليه ، وليس من اصحاب نفاوة الكتب الصفراء ، انه ناقد انجليزي بقواعد النقد خبير ، انه لاسيل ابركرومبي، قال ذلك في كتابه (قواعد النقد الادبي) الذي ترجم الى لغة الضاد منذ عشرين سنة خلت، او يوشك ، انك في كتابة النقد غيرك في كتابة الانشاء ، انك في الانشاء انت ونفسك ، اما في النقد فانك مع غيرك ، ولئن كان من الشجاعة الادبية المرغوب فيها ان تقول للمصيب اصبت . وللمخطىء اخطأت . فان من الجرأة غير المرغوب فيها ان تقول ذلك بدون حجة ولا برهان، بل لي انصافا انني حملت كلامك في نقد مقالي فوق ما يحتمله كما قلت لي ذلك منذ اربع عشرة سنة خلت حين كتبت الي ، وبالضبط في اليوم الثاني عشر من شهر ابريل 1950 رسالة تعتذر فيها عن نشر مقال لي مع وصفك اياه بانه (مقال قيم) ، اتذكر ؟

ثم اذا ما بدا لك ان دعوى (ثقافة القرآن ثقافة عالمية) جملة لفظية مركبة من حروف وكلمات ، فقد بدت لمن يفقهها في اللفظ وفي المعنى انها قضية كبرى تحتوي على اصدار حكم قد يكون له من التبعات والعواقب الوخيمة على الفكر وعلى العقيدة ما اوجب تمحيصه قبل ان يدون ، واذا رأيت انت ان اطالة البحث والتقصي في معرفة الالفاظ الدالة ، والاحكام الصادرة والاحكام الناقضة ، من الاساليب البالية التي تركتها الكتب الصفراء تقليدا لمن قال ذلك قبلك ممن كانوا قد (دفنوا الماضي) من بعض الكتاب الشرقيين . فاني احيلك وارى ان ذلك أصبح من الاساليب الجديدة في الغرب الجديد ، كما كان من الاساليب القديمة في الشرق القديم وفي الفكر الصحيح من الشرق الجديد ، فلقد اثبت «الدوس هكسلي» في كتابه (الغايات والوسائل) (Ends and means) وهو يشرح ماهية التفسير The Nature of explanation اثبت ان العقل غير المنظم هو الذي يختصر ليسرع ، ويبسط ليرتاح ، ويجمع ليقرب ، وان العقل المنظم ، هو الذي يستشكل ليحل ، ويستصعب ليسهل ، ويعقد ليبسط ، ويشرح ليعلم الضار من النافع ، وطلب ان يكون ذلك في الانسانيات

الفرنسي والانكليزي والالماني والاسباني والايطالي قراناه مترجما فى اكثره فأعجبتنا منه بعض المعاني السامية والاخيلة الرقيقة ولكننا كنا نغص بهذا الاعجاب فلا نسيغه كله بسبب بعض الغرابة التي تبدو لنا في هذا هذا الشعر الذي يتصل بالاداب اليونانية القديمة او الاداب اللاتينية المنسوخة عنها على بعض التحريف كنا نأنس بهذه المعاني التي تتشابه مع المعاني الشرقية بصورة عامة ، والعربية بشكل خاص اعني بهذا الخيال المعتدل والتفكير المعقول ، اما هذه الاساطير المخترعة ، وهذه التجسيدات الدينية فلم تكن نعرف لها جمالا اللهم اذا اردنا ان نتظاهر بذلك لمقال عنا باننا متقفون واننا قارئون مطلعون ، او لان من ينكر تمثل مثل هذا الادب الغريب عنا البعيد منا كان يعد فى التافهين الجاهلين كانما الفهم وقف على هذا الادب المطعم الذي خصه الله بقول دون قول ، كما وزع الاشكال والالوان واللغات بين البشر.

ولو قرأت للامرتين الفرنسي او لغوته الالماني او لبيرون الانكليزي لرأيت عند هؤلاء المعاني القريبة المأخذ من ابناء العروبه ، فى اشعارهم التي يعبرون بها عن هواجسهم الشخصية وافكارهم الداخلية ويناجون الطبيعة والحبيب ، ويشكون من الحياة والاقدار ، وهذه الموضوعات كما ترى لا يختلفون فيها عما تحدث عنه شعراء العرب من العذريين والعباسيين وقبلهم الجاهليون ، ولكن العرب لم يتكلموا على طريقة القصص ، ولم ينظموا على النمط التمثيلي وهم فى هذا متباينون مع الغرب ، وهو ما يؤيد نظرتنا من حيث التفريق بين الشعر الغربي والشرقي يضاف الى هذا ان الاوزان الشعرية الغربية هي غيرها عند الشرقية ، وخاصة فى الشعر العربي والفارسي والتركي ، لان الوزن الشرقي قوي النبرات واضح النغمة لو قرانها بصوت مرتفع لاعطاك ما يشبه المشي المتزن الرتيب ، فى حين ان الوزن فى الشعر الغربي اميل الى الليونة والانسياب والتخلع بحيث لا تكاد تحس بانتهاء المقطع او بابتداء المفصل ، وهذا ما يجعل الشرقيين ضعيفي الالتفات الى الوزن الغربي الا بعد مران طويل والفة مديده ، وكثيرا ما يضطر ابناء الغرب انفسهم فى وزن الابيات الشعرية الى تعداد الاوتاد التي تتالف من الاوزان وهي التي تقوم مقام البحور فى الشعر العربي .

ولو زدنا على ما تقدم ان طبيعة الارض فى الشرق تختلف عنها فى اوربا مثلا لكان لنا فارق ءاخر يؤثر فى الشعر وبقية الفنون والاداب تأثيرا لا ينكر، فالشرق بلاد شاسعة واسعة تقل نسبة عدد السكان فيها وتصهر اجواءها الحرارة المتقدة ، ويخيم عليها جو من الجو والحرمان احيانا ، وجو ءاخر من صفاء الذهن والقريحة والسريرة فالعربي بصورة خاصة والشرقي بشكل عام ، اذا تحدث اليك كان حديثه واضحا وضوح هذه الصحراء الممتدة حواليه المحيطة به من كل جانب ، اما الغرب فجبال تختلط بها حراج وتشتبك فيها انهر وتشتجر بساتين ينحسر دونها النظر ويقصر عن مداها الطرف ، والمدن فيها كثيرة والقرى متعددة والمياه مختلفه ملونة متنوعة بين كل بلد وءاخر وبين كل قطر وقطر من هذه القارة القديمة الاوروبية ، لذلك فالفكر معقد والذهن غائم اشبه بهذا الجو المكفهر الذي احدق به واحاطه ، فاذا تحدث اليك فانما يتحدث متأنيا متباطئا منعمقا متتبعا للامور من اولها حتى ءاخرها بما يكد ذهنك ويرهق استماعك .

كل هذه الفروق التي عددتها لك تتناول التفكير الادبي والفني والفلسفي مما له علاقة بالتجريد العقلي وهذا لا يمنع من القول ان هنالك فكرا وءاراء عامة انسانيه ، وهي وان كانت معدودة الى انها مشتركة بين الامم قاطبة قاصيها والداني ، شرقيها وغربيها ، ولكن الفني ليس فكرا فحسب ، وانما هو فكرة ولفظة تنسجمان وتتساوقان فى تيار واحد ، بل انا لا ابالغ اذا اعتقدت ان الاداب ترتكز فى مادتها الاصلية على انها لفظ والاسلوب هو الرجل كما قيل ، اي ان الاديب يعرف بطريقته فى استعمال الالفاظ التي يعبر بها عن رايه ، وهذه الطريقة هي التي تفرق بينه وبين غيره من الكتاب فى حين نرى المعاني عند الادباء او عند اكثر الادباء مشاعا مشتركا يتناوله كل من اراد به ولا تخرج المعاني النادرة او الافكار الجديدة التي لا ينال لها الا على الافواه القليلة النادره من العباقرة الملهمين .

ولو اخذت اللغات الاوروبية الى جانب لوجدتها متشابهة فى النبرة ، والنغمة ، ومخارج الحروف ، ثم لو التفت الى اللغات الشرقية لوجدتها متقاربة من الجانب الاخر ولكنك ترى الفرق بعيدا جدا بين مجموعة اللغات الغربية ومجموعة اللغات الشرقية .

لذلك فان فهم الادب الغربي لابد له من مراس ومران واعتياد حتى يمتزج بالقرائح ويخالط الاذهان وفهم روح اللغة يحتاج الى ادمان سماعها والعيش فى جوها وادامة التحدث بها لتجري مع الدم ويعيشها الانسان كانه احد ابنائها ، الى ان يستشعر الالفة معها وينسى انه غريب عنها .

شرق وغرب

للأستاذ: أحمد الجندي
سكرتير المجمع العلمي العربي بدمشق

خلف هذا العنوان رأي اعتقدته منذ زمن بعيد ، اي منذ اليوم الذي اخذت اطلع فيه على كتب الادب فى اللغات الاخرى سواء ما ترجم منها الى اللغة العربية ، او ما قراته بلغتها الاصيلة ، اما هذا الراي فيتلخص فى ان الشرق شطر من العالم اوجدته الطبيعة ، وحباه الله بخصائص خاصة يمتاز بها عن سواه، وينحاز فيها لا يشاركه بها الشطر الاخر، وان الغرب ايضا شطر ثان تختلف الوانه واخلاقه وخطوط تكوينه عن الشرق ، وهذا الاختلاف ظاهر الاثار بين المعالم بحيث انك لو اردت طمسها لما استطعت او حاولت اخفاءها لما قدرت ولا خففت .

ولا يضير هذا الاختلاف الظاهر احد الشطرين ولسنا هنا بمعرض المفاضلة او المقارنة ، ولكننا نريد ان نقرر هذا الامر لمحاولة بعض الناس انكاره بدافع الانسانية المتسعة الجوانب وبتأثير النظرة العالمية التي لا تعترف بالحدود والمعالم ، ولقد سبق الى هذا الرأي وقرره علماء كثيرون وادباء معروفون فرأى المعتدلون الانسانيون فى ءاراء مخالفيهم مخالفة فاضحة للنظرة الشاملة فدب الخلاف بين الرايين وكنا دائما الى جانب اصحاب التفريق ولو كره الكارهون .

ولكن بعضا من المفرقين هؤلاء قد املى عليهم رأيهم التعصب الدميم بصوره المختلفة واشد انواع هذا التعصب هو اللون الاستعماري الذي يبرأ الانصاف منه ولا يتناوله الوجدان العلمي الذي لا يعرف غير الاخلاص سبيلا ، فردیار كبلنج الكاتب البريطاني المعروف قد قال كلمته المشهورة : الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » معتمدا فى ذلك على ان الغرب خير من الشرق ، وبالتالي فان هذا الغرب بما له من ميزات وتفوق ينبغي له ان يحكم الشرق وان يسيطر عليه للاخذ بيده ورفع مستواه على حد تعبير الفئة المستعمرة الباغية خدمة للانسانية وشفقة على الشرق المتأخر المتقهقر .

فالكلام فى مثل هذا النهج غير خالص لوجه الحقيقة والواقع . وانما هو راي تدفعه دافع من طمع وجشع وهو دافع يجعل كل رأي غير صحيح ، وكل قول غير حق ، وهذا الاستطراد قد لفتنا اليه ما قد يعتور الرأي الذي نقول به من اساءة الفهم او الظن ، فنحن لا نقصد الى هدف سياسي او تعصبي غير مبني على المنطق الصائب وانما نقصد الى الحق وحده لاننا نرى ونؤكد ان الشرق يختلف اختلافا بينا عن الغرب فى ميزاته كلها، واللون الشرقي بعيد عن الغربي فى كثير من الامور وخاصة فى الفنون ، وقد يقرب منه فى احيان قليلة ولكن الفرق لا يزول بين الجانبين على كل حال .

هذه هي الحقيقة التي نريد تقريرها فى حديثنا هذا .

والذي يهمنا فى الموضوع قبل كل شيء الاداب والفنون . فالشعر وهو الادب الذي نقصد اليه لون من الوان الحديث معروف فى كل لغات العالم تقريبا لانه مزيج من اللغة والموسيقى ، او هو الكلام المنغوم اذا اردت التحديد ، وهذا التنغيم هو الفرق الاساسي الهام بينه وبين النثر ، وربما وجدت بعض الجمل المتساوقة المنغومة فى النثر ، الا ان هذه الموسيقى النثرية قصيرة الامد ، مختصرة الجرس ، غير ظاهرة النبرة ، ولا واضحة النغمة ، والشعر ، هذا التعبير الموسيقي الجميل مبثوث فى العالم كله ، ولكنه منقسم الى شرقي وغربي ولقد قرانا الشعر

لغة الفرس

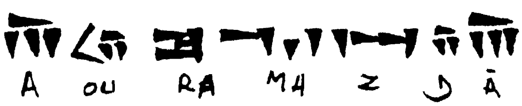
بين الماضي والحاضر

للدكتور عبد اللطيف السعداني

رغم ان الامة التي احتضنت اللغة الفارسية في قلبها والموطن الذي رباها في مهد ترابه يسمى ايـران يعني موطن الاريانيين النازحين من الهند (1) ، فاننـا نجد أن هذه اللغة تعرف بالفارسية ، كما نجد العرب يطلقون على هذه البلاد : فارس . ولكن الحقيقة هـي ان هذا الاسم الذي سميت به ايران كلها لم يطلق اولا من طرف اليونانيين الا على القوم الذين كانوا يسكنون منطقة بـارس Parsa جنوب ايران . اما اللغـة الفارسية فانها لم تسم بهذا الاسم الا بعد الفتح الاسلامي لهذه البلاد . فاللغة الفارسية اذن تنحدر من اللغات الهند الاوربية . وهي لذلك لغة آرية . لقد تخطت هذه اللغة مراحل في ميدان الزمن الى ان وصلت الى ما نعرفه عنها اليوم ، ويمكن تتبع خطواتها في وثائق مكتوبة خلال مدة تقرب من ثلاثة الاف سنـة .

1) الفارسيـة القـديمـة :

نسبت الى بارس موطـن قـوم بـارت PART (خرسان القديمة) وهي مـن اقـدم ما نعرف مـن النصوص الايرانية تتمثل في نقوش دولة الاكمينيين (2) وهذه اللغة محدودة المادة اذ انها ليست مسجلـة الا على الصخور والاحجار البنائية والمزهريات وبعـض الصفائح الفضية والذهبية ، وفعـلا لم يكتشف مـن كلمات هذه اللغة حتى الآن سوى 600 مفردة ، كتبت هذه اللغة بالخط المسماري وعدد حروفها 36 حرفا ، رغم التعقيد الموجود في هذه اللغة حيث ان للاسـم ثمان حالات تتميز عن بعضها بحروف تلحق آخـره ، كما ان تصريف الفعل صعب للغاية ، الا انها غنية جدا بمداول الكلمة الواحدة ، وبامكان التعبير عن مـراتب عديدة من موجات الخواطر الفكرية والنفسية ــ زيادة على التعبير عن الازمنة الثلاثة : الماضي ، والحـال ، والمستقبل ــ مثل الارادة والقصد والرغبة والامكـان وذلك بالحاق تفسير بسيط بنهايتها ، وهـذا مثـال للكلمة من هــذه اللغـة بالخـط المسمـاري :



«أورمـزدا» الاله الاعظم لدى الزردشتيين .

وقد ورد هذا الاسم في الكتب العربية القديمة بشكـل (هر ميس) .

2) الافستـا . Avesta

او الابستـاق نسبـة الى الكتـاب المقـدس الزردشتيين لانه المصدر الوحيد في الحقيقة لهـذه اللغة ، تعتبر هذه اللغة من اقدم لغات العالم حيث انها ترجع الى زمن نبي الزردشتيين زردشت يعني حوالي 1100 الف ومائة عام قبل ميلاد المسيح ، واذا اضفنا

---

1) كلمـة ايران في اللغة الفهلوية Ē Rān وفي لغـة الافستـا ai Rya وفي الفارسيةالقديمة a Riya وفي السانسكريتيـة ā Rya وهـي في الاصـل اسم لطائفة من الهند الاوربائية كانت تعيش في زمن قديم جدا ، ثم انقسمت الى قسمين كبيرين سكن احدهما الهند واستوطن الثاني ايـران .

2) دولة ايرانية ارست دعائم الحكم والحضارة في هذه البلاد من 550ق م الى سنة 331ق م وكانت نهايتها على يد اسكندر المقـدوني .

اما الموسيقى فامرها اعظم وقضيها اكثر تعقيدا وابهاما ، لان لغة الاداب والفكر اسهل على الفهم واشد وضوحا في حين ان لغة الموسيقى مهما تكن واضحة موسيقيا لابد ان تبقى مستغلقة ولا يتاتى فهمها الا على وجه التخمين والتقدير والتقريب ، والتعبير الموسيقي كما لا يخفى يستند الى الاصوات الصادرة عن الانسان او الالة ، ويختلف التغيير بسبب الازمان الفاصلة بين كل صوت وءاخر ، وقد تضيق هذه الفواصل احيانا كما انها تتباعد احيانا اخرى وقد امتازت الموسيقى الشرقية بتضايق هذه الفواصل لدرجة دقيقة جدا في حين ان الموسيقى الغربية ليس فيها الا الفواصل المتباعدة ، وهذا ما يجعل الاصوات الصادرة عن الموسيقى الشرقية متوازنة تنتقل بترتيب وبشكل منسجم متناسب في حين ان الحوار في الموسيقى الغربية تنتقل بما يشبه الوثوب من درجة الى اخرى بشكل ينبو على الاذن الشرقية المعودة على الرتابة والانتقال الهادىء الرزين.

فالموسيقى الغربية اذن لا تعني بالانتقال المرتب المتوازن وانما هي ترمز الى افكار معينة يهمها التعبير عنها في حين ان الموسيقى الشرقية لا تهمها الفكرة كثيرا بل يهمها ان تتاثر الاعصاب بالاصوات الرتيبة — المتساوقة ، ومن هنا اعتمدت الموسيقى الغربية على الانسجام الموسيقي « الهارموني » كما اعتمدت الشرقية على « الميلودي » .

بقيت هناك فكرة هي خلاصة هذا الموضوع وتتلخص في ان تطعيم الشعر الشرقي بالغربي غير جائز ، وكذلك في الموسيقى ، ولهذا فان بعض المتاثرين بالادب الغربي لم يتوفقوا الى الفن في حشرهم « الرمزية الفرنسية » في الشعر العربي كما لم يتوفق عبد الوهاب في اقحام الموسيقى الغربية على الشرقية ، لانك لا تستطيع ان تجمع بين النقيضين في حين واحد ، ولان خصائص الفن لا يمكن نقلها من فن لاخر في حين يمكنك نقل الشيء العام المشترك . ولان هناك فنا يسمى بالفن الشرقي ، وفنا ءاخر هو الفن الغربي ، ولا سبيل الى صهر الفنين في بوتقة واحدة لاختلاف مادتيهما .

اما الذي يكابر في هذ الموضوع فهو حتما غير واقف على الجهتين ولا متعمق او عارف بهما وانما يقول ما يقول عن سطحية بالغة ، وعن احساس مبهم غير واضح ، او يكون ممن يتحدثون بالشيء على سبيل التظاهر بالمعرفة . وهو تظاهر لا يؤدي بالنتيجة الا الى الراى الفائل والتفكير الفقير .

دمشق — احمد الجندي

سكرتير المجمع العلمي العربي بدمشق

الغزو العسكري ... والغزو الفكري

وجه الخطر في الغزو الفكري ، انه يستهدف روح الامة ، وجذورها ، فلا يلقيها الا وهي اشبه بثمرة امتص رحيقها،فلم يبق منها غير القشور والنوى ، وما ذلك الا لانه يمسخ شخصية الامة ، اي نبع الاصالة والابداع فيها فيشلها عن النمو والحياة ، بينما لا ينجح الغزو العسكري في اكثر من تخريب مظاهر السكن والعمران وهي امور يمكن تعويضها ، لانها لا تمس جوهر الحضارة ولا روح الامة .

الجديدة واضحا لذلك فقد ساعدت كلماتها على توضيح اصل الكلمات الفارسية .

2) الختنية نسبة الى ختن وهي واحة باحدى ايالات الصين تسمى « سين كيانك » تقع بها مدينة ختن ، تنتسب لغتها الى اللغات القديمة ، فللاسم فيها سبع حالات كما في الفارسية القديمة ، كتبت هذه اللغة بخط هندي .

3) الخوارزمية نسبة الى خوارزم وهي منطقة تقع في المجرى السفلي لنهر جيحون .

وشاعت كذلك لغات وخطوط كثيرة بايران في مختلف العهود اندثرت ولم يبق منها الا بعض اشارات في كتب المتقدمين ، فالفهرست مثلا يذكر بعضها ويعطي نماذج مختلفة منها .

4) **الفارسية الدرية** : او الفارسية الجديدة ، هي الحلقة الاخيرة من اللغات الفارسية وهي اليوم لغة ايران الرسمية ، سميت بالدرية كما ينقل ابن النديم عن عبد الله بن المقفع انه قال : « ... واما الدرية فلغة مدن المدائن وبها يتكلم من بباب الملك وهي منسوبة الى حاضرة الباب (6) والغالب عليها من لغة اهل خراسان والمشرق ، لغة اهل بلخ » (7) نشات هذه اللغة قبل ظهور الاسلام في عهد الساسانيين غير انها فيما يظهر لم تكن انذاك كاملة النمو ، ثم اخذت من اللهجة العمومية لمشرق ايران وفروعها ومن بقايا اللهجات الاخرى مثل الفهلوية الاسكانية ، وبالفتح الاسلامي اضيفت الى ذلك مادة غزيرة كستها الاهمية العظمى واحلت ادبها وثقافتها المكان الاسمى ، تلك هي اللغة العربية ، وقد تم الامتزاج كاملا بهذا العنصر الجديد ابتداء من القرن الربع الهجري اذ نلاحظ ان الشعر الفارسي قبل هذه الفترة يكاد يخلو من الكلمات العربية كما يلاحظ من جهة اخرى ان تاثير اللغة الفهلوية ظل مستمرا الى هذا القرن حيث الف كتب جديدة بتلك اللغة ، ثم دخلت اللغة الفارسية الجديدة بالتدريج عناصر اخرى فمثلا بدا استعمال كلمات تركية فيها منذ حكم السلاجقة لايران (431/577هـ) وتم ذلك في عهد المغول (616/756هـ) ومنذ زمان دولة القاجار (1209/1304هـ) دخلت الفارسية كلمات اجنبية مثل الفرنسية والانجليزية والروسية وغيرها .

ان عذوبة اللغة الفارسية ورشاقة تراكيبها ورقة اشعارها جعلتها تفتح طريقها الى قلوب سكان البلاد المجاورة لايران ، منذ ان استكملت هذه اللغة شخصيتها واستقام وجودها بعد ان اصبحت اللغة الرسمية الدولة السامانية في القرن الرابع الهجري، كما ان توسع سلطان الحكومة الايرانية ، وفتح الاقاليم المجاورة لايران نقل معه هذه اللغة الى ربوع تلك البلاد، ففي آسيا الصغرى كانت الفارسية هي لغة البلاط لدولة سلاجقة آسيا الصغرى شانها في ذلك شان سائر حكومات السلاجقة ، كما انتقلت هذه اللغة الى تركيا واثرت اثرا جليا في اللغة التركية وآدابها فكستها — بمساعدة اللغة العربية — مرونة ولطفا ، ولا زالت الالفاظ الفارسية مستعملة في التركية المعاصرة . وانتقلت الفارسية ايضا الى بلاد السند والهندعندفتح الدولة الغزنوية لها (367\598هـ) ثم بعد ذلك بواسطة المغول . ونرى مفعول هذا النفوذ ماثلا الى اليوم فان عامة مسلمي الباكستان والهند يتكلمون بالفارسية ويتمثلون باشعارها بل نبغ منهم الشعراء والادباء والعلماء بعدد اللغة في مختلف العصور كان لهم فضل كبير على اللغة والادب الفارسي حتى انه يحق القول بان الهند تكون مركزا مهما للادب الفارسي . اضف الى ذلك ان انتقال اللغة الفارسية الى الهند تمخضت عنه لغة اسلامية جديدة تكونت من مزيج من اللهجة المحلية لدهلي (دلهي) ومن الفارسية والعربية هي اللغة الاردية (الاردو) كما ان لغة اخرى نشات في بلاد افغانستان نتيجة مثل هذا التفاعل هي البشتو وهي اليوم اللغة الرسمية في افغانستان (8) ، وهناك لغة اخرى ترتبط باللغة الفارسية لايجب اغفالها في غرب ايران وهي اللغة الكردية ولهذه اللغة لهجات متنوعة في العراق وتركيا وسوريا (9) .

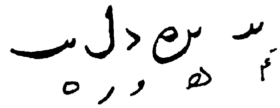
تعاصر اللغة الفارسية الجديدة اليوم كثير من اللهجات الايرانية في مختلف مناطق ايران ، وهي وان كانت تنضوي تحت وجود الفارسية الجديدة الا ان كل واحدة منها تحمل جزءا من خصائص لغات ايران القديمة .

* * *

---

6) در باللغة الفارسية هي الباب .
7) الفهرست لابن النديم صفحة 25 طبعة مصر .
8) لاتخرج هذه اللغة عن فصيلة اللغات الفارسيةالحديثة .
9) تعتبر الكردية من لهجات اللغة الفارسية الحديثة .

الى هـذه الميزة غـزارة مادة نصوصها حيث اكتشف منها حتى اليوم 6.000 ستة الاف مفردة يمكن القول انها هي التي حفظت لغة الفرس ، وقد تيسرت قراءة نصوصها بفضل خطها الكامل الذي سجل فى حروفه الاربع والاربعون كل الاصوات (3) وبفضل اعـراب الكلمات الذي يكتب معها ، وهذا مثال لكلمة مكتوبة بهذه اللغـة :

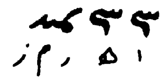


« اهـوره » اؤرمزدا : الالاه الاعظم .

3) **البهلويـة** Pahlani او الفهلـويـة او الفارسية الوسطى ، يقول عبد الله الخوارزمي فى كتابه مفاتيح العلوم : (الفهلوبة منسوبة الى فهلة اسم يقع على خمسة بلـدان هـي اصفهان والرى وهمـدان وماه نهاوند وآذربايجان) واصل الكلمة منسوب الى فهلو وهي معرفة بهلو باللغة الفهلوبة التى اصلهـا في الفارسية القديمة برتهيا Parthava يعني بات موطن قوم بارت ، واطلقت اصطلاحا على اللغـة التي كانت مستعملة ايام دولة الساسانيين ، وسميت بالفارسية الوسطى لانها تتوسط لغة دولة الاكمينيين (الفارسية القديمة) ولغة ايران بعد الاسلام (الفارسية الجديدة) تنقسم الفهلوية الى قسمين :

1) الفهلويـة الشمالية او الفهلويـة الاشكانيـة (نسبـة الى الدولـة الاشكـانيـة) وتعـرف ب . بـارتـي Parti

2) الفهلوية الجنـوبية او الفهلوبة الساسانيـة (نسبـة الـى الدولـة الساسانيـة) وتعـرف ب : بارسيـك Parsik بقيت هذه اللغة متداولة مـدة تسع مائة سنة تقريبا اي مـن سنـة 250 ق.م الى سنة 651 ميلادية (31 هجـرية) يعنـي الى وفـاة يزدجرد الثالث Yazdequerd III آخـر ملـوك الساسانيين ، ويضاف الـى ذلك القـرون الهجريـة الاولى حيث الفت بعد الفتـح الاسلامـي لايـران فى القرنين الثالث والرابع للهجرة كتب مهمة بالفهلويـة ، تعتبر هذه اللغة مـن اهـم مصادر اللغـة الفارسية الجديدة لانها ترتبط بها مباشرة ، ولان غزارة نصوصها انارت سبيل الاصل المفقود من كلمات وتعبيرات اللغة الفارسية فلا يقل ما اكتشف من هذه اللغة عن عشرة الاف مفردة ، ولولا صعوبة قراءة خطها الذي لا تتجاوز حروفه 14 حرفا لامكن ان يصل هذا العدد الى اكثـر مـن ذلك . وهذا مثال لكلمـة مكتوبة بهـذه اللغـة :



(اهرمز) « أؤرمـزنـا » الالـه الاعظـم .

ونشير هنا الى ان اللغة العربية نقلت مباشـرة عن هذه اللغة كثيرا من معارف الايرانيين ، كما نقلت بواسطتها ثقافة امم اخرى ، ونذكر على سبيـل المثال كتـاب : Pantcha-Tantra (4) الكتب الخمس او الحبل الخمس الذى نقل من اللغة السانسكريتية الى اللغة الفهلوية زمـان انوشيروان العادل مسمـى باسـم الثعلبين Damanaka, Karataka واطلـق عليه فى الفهلوية كليلك ودمنك التي التي اصبحت فى الفارسية كليله ودمنة ثم نقله الى العربية بهذا الاسـم الكاتب الايراني عبد الله بن المقفع فى القـرن الثانـي الهجرى . بالاضافة الى هذه اللغات التي كانت متداولة بايران قبل الاسلام توجد لغات اخـرى ذات اصالـة واستقلال وقد كان لها اثرها فى الفارسية الجديـدة ، غير ان ضآلة ما اكتشف منها افقدها الاهمية اللائقة بها ونشير هنا الى بعضهـا .

1) الصغدية كانت هذه اللغة متداولة فى بـلاد الصغد ، وهى منطقة فى آسيا الوسطى تمتد فى نهـر جيحون الى نهر سيحون كانت سمرقـند عاصمتها ، كتبت هذه اللغة بخطين متباينين يشبه احدهما خط اللغة الفهلوية (5) كان نفوذ هذه اللغـة فى الفارسيـة

---

3) نجد مثالا لهذه الدقة في التعبير فيما حكاه ابن النديم عن احدى اللغات الفارسية القديمة حيث قال (وللفرس كتابة اخرى يقال لها ويش ابيربه وهي ثلاثمائـة وخمسة وستون حـرفا يكتبـون بها الفراسة والزجر وخرير الماء وطنين الاذان واشارات العيـون والايماء والغمز وما شاكل ذلك ولم يقع لاحد قلمهـا ولا فى ابناء الفرس من يكتب بها اليوم ...) الفهرست ص 26 طبـع مصـر .

4) Pantcha-Tantra سانسكريتية مركبـة مــن Pantcha وهــي بالافيستـا Pancha وبالفهلويـه Panj وبالفارسية الحـديثـة Pandj يعنـي خمسه Tantra ولها معان كثيرة منها : فصل كتاب قوانين العلم والتربية الدينية ، او الموضوعـات الخمسـة التي تتعلق بقوانين الحيـاة . « بنجاتنترا » تحقيق وترجمة الدكتور Iduchikhar ص 5 طبـع طهـران 1961 .

5) انظر نموذجا لخط اللغة الصغديـة . الفهرست لابن النديم صفحـة 33 طبعـة مصـر .

معاملة الرسل والسفراء في الاسلام

للدكتور: محمد الرويفي

كان الرسول عليه الصلاة والسلام يحترم السفراء وكان يساويهم بنفسه ويبسط عليهم حمايته، ويمنع ان تصل اليهم يد بسوء . وهذه المعاملة التي كان يعامل بها السفراء الاجانب في عهد الرسول ليست الا بعض المظاهر والجوانب من روح التسامح التي اتسم بها الاسلام ، وانعكست من بعد الرسول في تصرف المسلمين في معاملتهم للرسل الاجانب في مختلف العهود للتاريخ الاسلامي .

ولقد سار المسلمون على خطى الرسول الكريم في سياسته واقتفوا نهجه في حسن معاملة السفير واكرامه واحترامه حتى انهم قد اعفوه من دفع الضرائب والمكوس عما يحمله من الامتعة على نحو ما يجرى تعريبا في العصر الحاضر . وكانوا يعرفون ما يسمى اليوم « بالحقيبة الدبلوماسية » فما كانوا يمسون اسماء السفير ولا وثائقه . وعرفوا ايضا « الحصانة الدبلوماسية » للسفراء التي تجعلهم يؤدون مهمتهم في امن وحرية ويعيشون في ديار الاسلام وكأنهم في بلادهم . ويبدو ذلك واضحا في ان قوانين الاسلام لا تطبق عليهم الا في حدود ضيقة ، فاذا اكل السفير حراما او شرب خمرا فسكر او ارتكب فاحشة فلا يقام عليه الحد . وقد كان الخلفاء المسلمون يستقبلون السفراء ويجعلونهم موضع احترام المسلمين منذ ان تطأ اقدامهم ارض الديار الاسلامية حتى يغادروها . وقد وصف المستشرق الفرنسي الكبير غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب استقبال العباسيين للسفراء فقال : ان بغداد عندما بلغت ذروة الرخاء في عصر هارون الرشيد وابنه المأمون وصارت اهم مدن الشرق ذاع صيت الرشيد فطبق الآفاق فارسلت بلاد التتر والهند والصين رسلا الى قصره وارسل الامبراطور شارلمان وفدا ليبلغ الرشيد اطيب تحياته ويلتمس منه الحماية لحجيج القدس وقد اجابه الرشيد الى سؤله ورد اليه وفده مع ثمين الهدايا .

ووصف المؤرخ العربي ابو الفداء استقبال احد العباسيين لسفير قيصر الروم عام 305هـ فقال : قدم رسل ملك الروم الى بغداد . فلما استحضروا عبئت لهم العساكر المصفوفون حينئذ مائة وستين الف ما بين راكب وواقف ، ووقف الغلمان ذووا الزينة الحجريه والمناطق المحلاة ، ووقف الخدام الخصيان كذلك وهم حينئذ سبعمائة حاجب والقيت المراكب والزوارق في دجلة بأعظم زينة ، وزينت دار الخلافة فكانت الستور المعلقة عليها ثمانية وثلاثين الف ستر ، منها اثنا عشر الفا وخمسمائة ستر من اعظم الديباج المذهب . وكانت البسط اثنين وعشرين الفا ، وكان في جملة الزينة ، شجرة من ذهب وفضة تشتمل على ثمانية عشر غصنا ، وعلى الاغصان والقضبان ، والطيور والعصافير من الذهب والفضة ، وكذلك اوراق الشجرة من الذهب والفضة ، والاغصان تمايل بحركات موضوعة ، والطيور تصفر بحركات مرتبة . وشاهد الرسل من العظمة ما يطول شرحه ، واحضروا بين يدي المقتدر ، وصار الوزير يبلغ كلامهم الى الخليفة . ويرد الجواب عن الخليفة . .

وكان خلفاء الاندلس لا يقلون عن العباسيين روعة في استقبال السفراء واحترامهم ، فكانت قصورهم العظيمة مقصد الرسل من سائر بلاد العالم ، وخاصة من بلاد الفرنجة ، فلما تأزمت العلاقات الدولية بين عبد الرحمن الناصر خليفة قرطبة وبين ملوك اوربا على اثر احتلال المسلمين لمقاطعات « البروفانس » و « الدوفنية » وجزء كبير من جبال

نـود وقد اتضحت لنا معالم اللغـة الفارسية وسمات وجودها ان نعرض لبعض خصائـص هـذه اللغـة فنلاحظ انهـا لغة زاخـرة بالاخيلـة والصور الشعرية . تسع الفاظها وتعبيراتها كلما ترسمه العاطفة البشرية والاحساس الانساني ، فهي ترانيم الاحساس وانشودة العاطفة حتى ليخيل لمن يسمع حوارا عاديـا بها ان لوحات فنية تتبادل بين المتحاورين ولهذه اللغة علاوة على ذلك اسلوب خاص لادب الحديث والمحاورة ارق واعذب يتدفق في رفق من ينبوع قلوب الايرانيين المفعمة بالصفاء ويجرى على السنتهم ليـروي لطـف ارواحهم . فاللغة الفارسية برقتها هذه تجسم هيكل ارواح الايرانيين الثقافية ، وعناق مشاعرهم وذوقهم الفني في جميع انواع الفنـون من موسيقـى ورسم (مينـاتور) وهندسة معمارية وفسيفساء وصناعـة الزرابي وآداب اجتماعية .

ثم ان اللغة الفارسية تتوفـر فـوق ذلك على رصيد كبير من المرادفات ، تستعمل كل واحدة منهـا في مكانها المناسب . وهذا ما يجعلها تمتاز بالدقـة في التعبير ، ورغم مترادفاتها الكثيرة فانها تضاعـف من امكانية التعبير فتجنح دائما الى تركيب الاسمـاء والصفات مع بعضها او مـع الافعال لصوغ المعانـي حية مشخصة تهتز لوصفها الكلمات . فهي اذا لغـة تركيبية وليست اشتقاقية كاللغة العربية . ثم انهـا تمشيا مع طبيعتها في الدقة تستطيع افعالها ان تخبـر عن حالات وازمنة مختلفة متعددة مثل الصفة الفاعلية واسم الفاعل . فقد لوحظ في الصفة الاولى حالـة الفاعل ولوحظ في الصيغة الثانية عمل الفاعل ، ومثل المصدر واسم المصدر وحاصل المصدر . فقد لوحـظ في الصيغة الاولى حدوث فعل منسوبا الى عمل مـا ، ولوحظ في الصيغة الثانية معنى الفعل من دون التفات الى الفاعل ولا افادة معنى التجدد والحدوث ، وجمعت صيغة حاصل المصدر جزءا من معنى المصدر وآخـر من معنى اسم المصدر فكانت شبيهة للمصدر في كونها متوجهة الى الفاعل ومخالفة له في كونها لاتدل علـى التجدد والحدوث . وشبيهة بهذا الاعتبار الاخيـر لاسم المصدر ، ومثل تقسيم المضارع (زمـن الحال) الى قسمين : 1) اخباري وهو الذي يخبر عن وقـوع الحدث في زمن الحال بطريق القطع ، 2) التزامي وهو الذي يخبر عن وقوع الحدث في زمـن الحال بطريـق الشك والتردد والترجي والجبرة وامثال ذلك .

وتقسيم الماضي الى ستة اقسـام : 1) الماضـي المطلق ، للدلالة على وقوع الحدث في الزمن الماضي من دون تقيد بوقت فيه ، سواء كان قريبا من زمن الحال ومتصلا به او بعيدا عنه . 2) الماضي الاستمـراري للدلالة على وقوع الحـدث في الزمـن الماضي بشكـل مستمر ومتكـرر . 3) الماضي النقلي الدلالـة على الحدث الذي لم تنقض نهائيا من الزمن الماضي ان كان الفعل يفيد معنى الثبوت ، فان كان يفيد معنى الحدوث فانه للدلالة على الحدث الذي انقضى نهائيا في الزمـن الماضي . 4) الماضي البعيد للدلالة على وقوع الحدث في الزمن الماضي في وقت بعيد عن زمـن الحـال . 5) الماضي الابعد للدلالة على وقوع الحدث في الزمـن الماضـــي مقيـــدا بكونـه في وقت بعيـد جـدا . 6) الماضي الالتزامي للدلالة على وقـوع الحـدث في الزمن الماضـي بطريـق الشك والتـردد والرجـي وامثـال ذلك .

كما ان افعال هذه اللغة واسماءها وصفاتهـــا تؤدي معاني مختلفة باضافـة حـرف واحـد قبلهـا سابقة او بعد Préfixe Sufixe لاحقـــة .

ولهذه اللغة خصوصية اخرى هي ان لغة الحديث لاتفرق شيئا عن لغة الكتاب لذلك فان الشعر الفارسي قد امتزج بعامة الناس فبادلوه عواطفهم وجـرى على السنتهم تراتيل عذبة الانشاد . واذا اضفنا الى هـذا ان اللغة الفارسية لغة شعرية امكننا ان نفسر كـثف ان الشعر يكون الجزء المهم والاكبر من الادب الفارسي وقلة النثر – نسبيا – في هذا الادب .

اما الخصوصية الكبرى لهذه اللغة التي تظهـر بقوة ووضوح ، هي ذلك الاحتضان الدافـيء الـذي تسمت بواسطته المواد الدخيلة من اللغات الاخرى وعلى الخصوص اللغة العربية ، مع احتفاظها في نفس الوقت بجوهرها الفارسي . فقد احكمت الجملـة الفارسية رابطتها بالكلمات والتركيبات العربيـة حتـى لتبـدو ملائمة لها كل الملاءمـــة .

ان هـدف محاولتنا لمعرفـة اللغـة الفارسية وادابها ما هو الا امل لايجاد نـوع من الترابط بيـن الامتين الاسلاميتين . العربية والفارسية راجيـن ان نحي المواقف التي خلدها هذا الامتزاج في الحضـارة الاسلاميـــة .

فـاس – الدكتور عبد اللطيف السعداني

شاعر النيل الأثيل حافظ ابراهيم

للدكتور جمال الدين الرمادي

فى صباح يوم باسم صعدت زغرودة من عوامة ترسو على شاطىء النيل ، كان يسكنها ابراهيم افندي فهمي احد المهندسين المشرفين على قناطر « ديروط » وزوجه الست هانم التركية الاصل ، وكانت هذه الزغرودة بشيرا بمولد محمد حافظ ابراهيم ، ورنا الاب الى ابنه فى شوق ولهفة وهو فرح بهذا المولود الجديد ، وظل يرقبه يوما بعد يوم حتى بلغ الطفل الصغير الرابعة من عمره ....

وعندئذ سلك القدر مسلكا آخر ، ولم يشأ أن ينعم الاب أكثر من ذلك بابنه ... ففاضت روحه الى بارئها ، وترك الابن اليتيم فى مفترق الطرق ... تتجاذبه ريح الزمن ذات اليمين وذات الشمال ...

وحملت الام ابنها الصغير الى القاهرة والامل يحدوها والرجاء يحركها، لتنسى آلامها وتغرق احزانها، وعند شقيقها محمد نيازي حطت الام عصا الترحال وتنفست الصعداء واعتقدت انه سيحمي فلذة كبدها من ارزاء الدهر ونوب الزمان ويسوق له تربية كريمة صالحة تبعده عن مواطن الزلل ، ومهاوي الشقاء ... ودخل الطفل المدرسة الخيرية بالقلعة ، وتعلم القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم وتلقن مبادىء الحساب، وظل يتنقل من معهد الى معهد حتى استقر فى المدرسة الخديوية غير ان خاله لم يلبث أن نقل من القاهرة الى طنطا فاضطر حافظ ابراهيم ان يتنقل مع خاله الى هناك ليلتحق بأحد مدارسها .

وفى طنطا كان حافظ ابراهيم يبلغ السادسة عشرة من عمره ، وكان كثيرا ما يذهب الى مسجد السيد البدوي ليؤدي فريضة الصلاة فيروعه هذا العدد الغفير من الناس الذين حضروا من كل فج عميق لزيارة السيد البدوي والتبرك بنفحاته الطاهرة واداء نذورهم فى صناديقه ! ... وكان كثيرا ما يبهج عينه بمنظر رجال الطرق الصوفية وهم يذرعون الطرقاتجيئة وذهابا وهم يحملون أعلامهم ويرفعون بيارقهم ويصلون على الرسول الكريم وصحبه الابرار فى غدواتهم وروحاتهم ، والناس حولهم متجمهرون متجمعون كأنهم فى يوم الحشر العظيم

ملأت هذه المناظر اعين الفتى فلم يشأ أن يترفع عن الشعب انما اندس بين القوم وهو يحاول أن يحس بمثل احاسيسهم ويضطرب بمثل مشاعرهم .

*

اخذ الفتى يعكف على دواوين شعراء العرب فى شغف ونهم ، وطفق يحفظ أشعار الفحول منهم فى آناء الليل واطراف النهار ، وانطلق يروض قلمه الصغير فى قرض الشعر ، وكان اذا انتهى من نظم بيت من الابيات اخذ يردده على لسانه فى نغم عذب وترنيم طروب ، فاذا آنست نفسه الى ما نظم استأنس برأي رفاقه فى نظمه فيعجب بعضهم بشعره بينما يقابله البعض الآخر بالاستهجان والنفور .

واخذت شاعرية الفتى تزداد مع الايام قوة واشتعالا ، وتلتهب حسا ووجدانا ، وتتأثر بما قرأ فى كتاب « الوسيلة الادبية » للمرصفي من عيون القصائد، وبدائع النظم ، واصبحت نفسه لا تطيق سلطان أحد عليه ، ولا تحتمل اهانات خاله له ولومه وتقريعه كلما داعب قطة أو لاعب كلبا ، وفى احدى الليالي تسلل الفتى حافظ ابراهيم تحت جنح الليل البهيم من بيت خاله ... وهو يعتزم أن يعمل لحساب نفسه ويرتزق من عرق جبينه ولا يكبد خاله مسؤولية الانفاق عليه .

وعن لحافظ ابراهيم ان يعمل فى المحاماة ويشترك مع أحد كبار المحامين فى اعداد القضايا ، ورغم انه لم يكن يحمل من مؤهلات المحاماة شيئا الا انه لم يجد عائقا يحول بينه وبين بدء نشاطه فى هذا الميدان ،

الالب وقيام المسلمين فى هذه الربوع بالدعوة الى دينهم ، خشي امبراطور جرمانيا اوتون الاول الكبير على ملكه واخذ يتقرب من عبد الرحمان الناصر ويسعى لتوطيد علاقاته معه ثم اخذ يدعي الدفاع عن حقوق المسيحيين ويعمل على ان يصبح حامي المسيحيين فى البلاد الواقعة تحت النفوذ الاسلامي ، وكان قد تلقى من عبد الرحمن الناصر رسالة يبين له فضل الاسلام على سائر الاديان ويدعوه فيها لتسهيل انتشار الاسلام فى الربوع المسيحية ، فاختار اوتون عام 956 م سفيرا يدعى « جان » وكان راهبا وبعث به اليه فسافر الى ديار الاسلام وبصحبته راهب ءاخر واخذ معه الهدايا وبعض النفائس فلما وصل طرطوشة وكانت اول ثغر للمسلمين اذن له عاملها بالمسير الى قرطبة ، فكان كلما حل وصحبه فى مدينة او قرية استقبلهم العرب وانزلوهم فى ضيافتهم واسبغوا عليهم من كرمهم المعهود حتى وصلوا قرطبة دون ان ينفقوا شيئا فى الطريق ، فاستقبلوا فيها بالحفاوة والترحيب وانزلوا على مسافة ميلين من قصر الخليفة ، وفى اليوم المحدد لاستقبال السفير ، اصطفت العساكر على الجانبين ووقف العبيد الصقالبة قابضين على الحراب ، وءاخرون على القسي وكانت الفرسان تلعب فى الميدان ، وعلى هذه الحال دخل السفير قصر الخليفة وفرش امام مدخل القصر البسط والديباج فما زال يتقدم حتى وصل الى البهو الذي فيه الخليفة فوجده جالسا على سرير الخلافة متربعا على عادة الشرقيين وعند وصوله اعطاه باطن يده « تمييزا له عن غيره من السفراء ، وتقديرا واحتراما لقدر موفده » فقبلها الراهب ثم امر له بالجلوس وبعد القيام بالمراسم المعتادة فى المجاملة اخذ الخليفة الناصر يطري بالثناء على اوتون ويبين للسفير ما بلغه من المقام السامي بين الملوك ويثني عليه مزيد الثناء ثم دار الكلام على موضوع الرسالة التي جاء بها الراهب والتي كان منها طلب الحد من غارات العرب على فرنسا وايطاليا وبلاد الجرمان فأجاه الخليفة بالنظر فى هذا الامر ، ثم ودع السفير بمثل ما استقبل فى حفاوة وتكريم .

وقد وصف ابن خلدون استقبال عبد الرحمن الناصر لرسول امبراطور القسطنطينية فقال « ركبت فى ذلك اليوم العساكر فى اكمل شكة ، وزين القصر بانواع الزينة، واصناف الستور، وحمل سرير الخلافة بين مقاعد الابناء والاخوة والاعمام والقرابة ، ورتب الوزراء والخدم فى مواقفهم ، ودخل الرسل فهالهم ما راوه ، وقربوا حتى ادوا رسالتهم ، وامر يومئذ الاعلام ان يخطبوا فى ذلك الحفل ، ويعظموا من امر الخلافة والاسلام ، ويشكروا نعمة الله على ظهور دينه واعزازه وذل عدوه فاستعدوا لذلك ، ثم بهرهم هول المجلس فوجموا وشرعوا فى القول فارتج عليهم ، وكان فيهم ابو علي القالي وافد العراق وكان فى جملة الحكم ولي العهد ، وندبه لذلك استئثارا فعجز فلما وجموا كلهم ، قام المنذر بن سعيد البلوطي ، من غير استعداد ولا روية ، ولا تقدم له احد بشيء من ذلك ، فخطب واستحضر ، وجلى فى ذلك القصد وانشد شعرا طويلا ارتجله فى الغرض ، ففاز بفخر ذلك المجلس وعجب الناس من شانه اكثر من كل ما وقع واعجب به الناصر وولاه القضاء بعدها واصبح من رجالات العالم واخباره مشهورة ، وخطبته فى ذلك اليوم منقولة فى كتب ابن حيان وغيره ، ثم انصرف هؤلاء الرسل وبعث الناصر معهم هشام بن هديل بهدية حافلة ليؤكد المودة ويحسن الاجابة ، ورجع بعد سنتين وقد احكم من ذلك ما شاء وجاءت معه رسل قسطنطين ثم جاء رسول من ملك الصقالبة ورسول ءاخر من ملك الالمان ورسول ءاخر من ملك الافرنجة من قاصية الشرق واحتفل الناصر بقدومهم وبعث مع رسول الصقالبة « ربيعا الاسقف » الى ملكهم ورجع بعد سنتين .

الرباط ــ الدكتور محمد الرويفي

لفيكتور هوجو . وكانت بينهما مزاحمة شديدة لمعرفة ايهما اجمل ، وكان كل منهما يدعي انه اجمل صورة من الاخر ، وتشتد الخصومة فى ذلك ، واخيرا يقول مطران لحافظ : اسمع يا حافظ ! لئن كنت انا اقبح انسان فأنت ولا فخر اجمل خروف ! ، ومرة احضر حافظ صورة جميلة اعجب بها واراد ان يشاركه الخليل فى هذا الاعجاب فاحضرها اليه وسأله رأيه فيها فنظر اليها الخليل مليا ثم قال : لا بأس بها على العموم ولكن الانف على ما يظهر مش ولابد ، ونظر اليه حافظ وقال : يا شيخ احنا قلنا لك بص للصورة مش للمراية ؟! ... ويرمي حافظ من هذا القول الى التهكم على انف خليل مطران التي كانت مثارا لانتقاد حافظ فى شتى المجالات .

وحدث ان كان حافظ والخليل فى لبنان يجلسان فى ظلال شجرة وارفة الاغصان ، فى احدى الحدائق الفيحاء ، وحلا الجو للخليل فانطلق لسانه يشدو ويترنم، وحينئذ أخرج حافظ منديلا أحمر ورفعه على عمود موجود هناك فلما سأله الخليل عن سبب ذلك قال : حتى يعلم الناس مصدر خطر الغناء .. فلا يصلون الى مكان الغناء !

وكان حافظ ابراهيم صديقا حميما كذلك لامير الشعراء أحمد شوقي ، ولكن الغيرة كانت كثيرا ما تتطرق الى صداقتهما ، وكان حافظ اذا جلس الى شوقي لوح له فى ثنايا حديثه انه أمير الشعراء وانه من رعاياه ولكنه كان اذا خلا الى نفسه أو الى نفر من رفاقه انكر هذا القول وقال : منه أمير ومنى أمير !

ودبت الجفوة بين الشاعرين فى فترة من الفترات ولا سيما عقب أن خصصت جريدة السياسة لصاحبها الدكتور محمد حسين هيكل خمسين جنيها لشوقي مكافأة له عن قصيدة نشرها بينما لم يربح حافظ من قصيدة له له فى نفس الغرض شيئا ، غير ان هذه الجفوة لم تبرح ان زالت واقيم لشوقي مهرجان تكريم عام 1926 ساهم فيه شعراء لبنان وسوريا والعراق وغيرهم من شعراء العالم العربي والقى فيه حافظ قصيدة عصماء من درر قصائده بايع فيها شوقي بامارة الشعر واستهلها بقوله:

امير القوافي قد أتيت مبايعا
وهذي وفود الشرق قد اقبلت معي

*

ومات حافظ ابراهيم قبل شوقي بثلاثة أشهر فبكاه بدمع هتون ونفث من أعماقه قصيدة يرثيه ضمنها لوعته وأساه .

كان حافظ فى المجالس الكبرى يعتز بأدبه وبما يحفظه ويعيده من نوادر تاريخية يلقيها احسن القاء ، ويسر السامعين، ويتقرب بهذا الى قلوبهم ويرفع الكلفة بينه وبين اكبر من فيهم ، ولهذا يجد طريقا الى الصدر فى كل مقام ولا يتحرج من مجالسة علية القوم دون تردد او احجام .

وكان حافظ فى مجالسه الخاصة ومواقفه العامة فصيحا متدفقا مترنما وكان يلقي رثاءه السنوي لمصطفى كامل عند قبره والحشد عظيم والجمع غفير ولكن صوته كان يجلجل فى ارجاء المكان جهوريا واضح النبرات قوي الرنين ليسمع القريب والبعيد على السواء ، وكانت له فى انشاده طريقة خاصة مطربة كما كانت لحافظ مطارحات ومساجلات مع غيره من الشعراء وكان يبرز فيها محفوظة ومنظومة دون كلال ودون ملال فى بديهة حاضرة تخلب الالباب .

وكان حافظ فى بيته سخيا مضيافا، يحب الضيافات الواسعة التي تقدم فيها الالوان الفاخرة الكثيرة ويحب أن يرى عليها الذبائح من ضأن وديكة وغيرها ، ويحب أن يرى القصاع الكبرى متدفقة الجوانب بالفطائر والحلوى والنفائس وكان اشد نهمه فى الطعام بنظره وكلامه لا بشدة بطشه .

روى خليل مطران ان حافظا كان شكورا بقلبه ، **فقد كنا ايام رحلته فى لبنان نجتاز مركبة قرية قد اشتد** الزحام فى ساحتها لانتخاب (العمدة) فيها وما كان لنا أن نفرق هذه الجموع لنستمر فى طريقنا الى المكان الذي نقصده البه ، ولكن اتفق أن احد الفتيان كان قد عرفني شبها فلما ابلغته ان حافظ ابراهيم فى المركبة التفت الى شيخ بجانبه ابيض اللحية طويلها ليستعين به على اسماع صونه وتنحية المزدحمين واخبره عن الضيف الموجود فى المركبة فلما سمع ذلك منه نظر نظرة المتفرس فى حافظ ابراهيم ثم قال لصاحبه « الحمد لله انني رأيته **قبل مماتي » فوقعت هذه الكلمات فى اذن حافظ موقعا** شهدت منه لاول مرة وجه حافظ وقد اخضل على سمرته بالدموع المتساقطة من عينيه ثم التفت الي وقال: اليوم قد كوفئت اجل مكافأة عن خدمة اديتها لقوم كرام وكان ذلك لان جميع الناس فى لبنان والشام يحفظون لحافظ مواقف شريفة له فى الدفاع عنهم ايام كانت تطرأ عليهم بعض المحن .. »

ويقول مطران يقصد بذلك ما كتبه حافظ ابراهيم دفاعا عن اهل الشام فى ليالي سطيح والى ما نظمه فيهم من شعر أخاذ :

فالتحق بمكتب المحامي محمد الشيمي بطنطا مرة وبمكتب المحامي محمد ابي‌شادي مرة أخرى، وبمكتب عبد الكريم فهيم تارة وبمكتب ابراهيم الهلباوي تارة اخرى .

وقد مكنته هذه الفترة من الاتصال بكبار المحامين وبايثار الاسلوب الخطابي فى الشعر ، والاتيان بالحجج البيانية والبراهين البلاغية من اجل الوصول الى الحقائق وفى سبيل ايسال الفكرة الى ذهن القارىء أو السامع

وسئم حافظ ابراهيم دنيا القضايا والمرافعات ، ومل المحاكم وما يدور فيها من منازعات وخصومات وتاق الى أن يقتفي اثر استاذه العظيم محمد سامي البارودي فيصبح مثله رب السيف والقلم !! ولكن كيف السبيل الى ذلك من غير الالتحاق بالمدارس العسكرية .

عول حافظ ابراهيم على الالتحاق بالكلية الحربية المصرية ولم يكن حينئذ يبلغ من عمره سوى سبعة عشر عاما . كان فتى غض الاهاب مفتول العضلات ، شامخ البنية ، حاد الاسارير . ولكن الامل كان يملا اعطافه ان يغدو ضابطا كبيرا فى الجيش عظيم المهابة قوى الشأن.

تخرج حافظ ابراهيم فى الكلية الحربية وهو فى العشرين من عمره ولم يلبث أن سافر الى السودان مع احدى الكتائب المصرية المسافرة الى هناك . غير أن الجيش لم يطب له فى السودان واشتكى مرالشكوى مما يكابده من شظف العيش وشدة الحرارة . وحدة القيظ، وكان يرسل الى الاستاذ الامام محمد عبده بعض الرسائل يشكو له فيها الامه هناك . ويظهر ان الحياة فى السودان فى هذه الفتره لم تكن من السعة والتقدم الى ما هي عليه الان ويظهر ان حافظ ابراهيم لم يكن راغبا فى هذا السفر ومن ثم اشتد ضيقه هناك واثار فى نفسه التبرم والسخط فقال يصف حاله :

جنيت عليك يا نفسي وقلبي
عليك جنى أبي فدعى عتابي
فلولا انهم وادوا بياني
بلغت بك المنى وشفيت ما بي
سعيت وكم سعى قبلي أديب
فآب بخيبة بعد اغتراب
وما اعذرت حتى كان فعلي
ذما ووسادتي وجه التراب
وحتى صيرتني الشمس عبدا
صيفا بعدما دمغت اهابي

*

وحدثت عام 1899 ثورة فى السودان واتهم فيها ثمانية عشر ضابطا ، كان بينهم حافظ ابراهيم فحوكموا واحيلوا الى الاستيداع ، فسافر حافظ الى مصر، وترك السودان وفى ذهنه افكار شتى نحوه سجلها فى كتابه « ليالى سطيح »

وصل حافظ ابراهيم الى مصر بعد ان اصطلحت عليه الاحداث فالحق بدار الكتب المصرية وظل بها حتى احيل الى المعاش بعد أن قام بالدار نحوا من عشرين سنة ، ولم تكن تلك الفترة خصبة فى قرض الشعر انما كان ينفق ايامه واعوامه فى دار الكتب لا يعمل شيئا ولا يقول شيئا وانما يكتفي بان ينفق صباحه فى الدار يعبث بالموظفين ويتندر عليهم أو تلقاه فى قهوة دار الكتب يدخن الشيشة فاذا حان المساء وهبط الليل انطلق الى أحد المنتديات أو المقاهي لينفق الصدر الاول من الليل فى ضحك وفرح وانشراح مع رفاقه واصدقائه .

وكان حافظ يخرج من دار الكتب عند الظهيرة تعبا مكدودا يتصبب العرق من جبينه ويسيل على هندامه ، والشمس شديدة الوقدة ، ويقف فى شارع باب الخلق ينتظر عربة سوارس ولا تقبل العربة حتى يرى الخيل قد خلعت عنها ارسانها وابت السير . وعندئذ تعاود حافظ روحه المرحة وينعي الفقر الذي الجاه الى هذا الذل رغم شيخوخته ، ويأخذ فى السير مع بعض اصدقائه فى شوارع القاهرة حتى اذا ما مروا على أحد البنوك تخلف حافظ ابراهيم عن رفاقه وتركهم وتقدم الى جندى البوليس الذى يحرس البنك وسلمه سيجارة بكل احترام ولما ساله اصدقاؤه على السر فى ذلك يجيب والمرح يملأ اعطافه : علشان ياخذ باله من القرشين بتوعى فى البنك ؟ !

كان حافظ يحب الجمال ويكره القبح ، وتهتز نفسه من الطبيعة الساحرة والوجه الطلق الصبوح وكلما رأى وجها وسيما تمتم فى نفسه او تمتم لاصحابه: ليس الوزر عليه انما الوزر على ابيه ، واذا سأله اصحابه وما هذا الوزر ؟ اجاب والضحكة لا تفارق ثغره وتدوي فى أرجاء المكان: لانه لم يؤد مهرا ... وفى هذا المعنى يتهكم عليه أحد رفاقه فيقول : ان والد حافظ ابراهيم تزوج على الطريقة الافرنجية فلم يدفع مهرا بل هو الذي اخذ الدوطة !!

وكان شاعرنا صديقا حميما للشاعر خليل مطران وكان يلازم احدهما الاخر ، وكانت لهما جلسات رائعة فى حانة اللواء مع الشيخ عبد العزيز البشري والبابلي ، وكان الشاعران شريكين فى البأساء والضراء ، وقد اشتركا سويا فى ترجمة كتاب « تاريخ الاقتصاد السياسي » كما ساعده مطران فى ترجمة كتاب البؤساء

نفسه من عواطف ، وما يضطرب بين ضلوعه من مشاعر وما يختلج به وجدانه من احاسيس وطنية وغير وطنية وقد زخر ديوانه بالضرب الرائع من شعره فى هذا الباب .

*

ويقول خليل مطران عن صديقه حافظ انه يتعب فى قرض شعره تعب النحات الماهر فى استخراج مثال جميل من حجره، وهو يؤثر الجزالة على الرقة وله فيها آيات، حاضر المحفوظ من أساليب العرب ، ينسج على منوالها ويتخير نفائس مفرداتها ، له غرام باللفظ لا يقل عن غرامه بالمعنى ، واذا فاته الابتكار حينا فى التصوير لم يفته الابتكار حينا فى التصور ، اولع بالاجتماعيات . فقال فيها واجاد ، وشعره شعر البيان وان من البيان لسحرا .

وقد وضعه الدكتور طه حسين مع شوقى فى اشعر العرب بعد أبي الطيب المتنبي وابى العلاء المعرى فقال : هما اشعر أهل الشرق العربي منذ مات المتنبي وابو العلاء من غير شك ...

وعندى ان حافظ كان يمتاز بحلاوة الموسيقى وعذوبة الاسلوب اكثر من أى شاعر آخر ، فموسيقاه، عذبة رخيمة لا تصل الى الاذان حتى تصل الى شغاف القلوب . ولا تصل الى شغاف القلوب حتى تشيع فى النفس انشراحا . وفى القلب انبساطا . وفى الروح انبعاثا ... فاذا القارىء أو السامع ينتشي من الطرب ويهتز من رخامة المبنى ، وحلاوة المعنى !

وكان حافظ يقرض الشعر فى كل مكان . يقرضه فى البيت ويقرضه فى المقهى ، ويقرضه فى القطار ، واذا طاف به وحي الشعر وجدت جبينه يتفصد عرقا ، ووجدته يهيم ببصره ، وقد ثبتت عيناه فى محجريهما فتحدثه وهو حاضر امامك فلا يجيب عليك انما يظل سابحا فى عوالم الخيال ، فاذا استقام له البيت اخذ يدندن به كما يدندن الموسيقى بلحنه فاذا اعجبه نظم القصيدة على غراره بعد ان كساها بثياب رائعة من الاسلوب .

وهو اشبه فى شعره بجامع الياقوت الابيض والازرق واللالي والدراري من أعماق المحيط يكابد المشقة والالام غير انه اذا ما بلغ بغيته شعر بالسعادة والانشراح ، واخذ يهذبه ويشذبه وينظمه فى عقد نظيم يبهر العين ويخلب الالباب .

وليس معنى هذا ان حافظا كان شاعر لفظ ، لا شاعر معنى ، فكم من معان عذبة اخترعها حافظ كالعذارى الابكار . وتهادت فى ديوانه كالعرائس فى ليلة الزفاف تختال بجمالها بثيابها ! وليس اكتشاف ذلك على دارس الديوان ببعيد !

كان حافظ حلو النكتة فى اشد الاوقات حرجا ، عذب المعشر ، حلو الحديث ، وكان يتبرم بالحياة الغربية التي تقيد الشخص باغلال « البروتوكول » .

ويروي صديقه الاستاذ راشد رستم ان حافظا ، عندما صحبه الى باريس كان يجيئهم يوما يجد فى مشيته ويدندن بصوت خافت عادته اذا ما نال راحته ، يقول انه عمل بنصيحة أمير الظرفاء صديقه الحميم محمد البابلي فقد كان يطالب طعامه فى غرفته بالفندق ثم يحكم اغلاق بابها ويخلع سترته ويلبس الجلباب ثم يجلس ارضا هو والمائدة ويأخذ راحته ويأكل على طريقته !!!

كما كان يجلس على احد المقاعد فى شارع الشانزلزيه بباريس لا يفعل شيئا سوى أن يحصي السيارات وهي تجري متتابعة ، ومتعارضة ، يقارن بين عددها فى الاوقات المختلفة من الزمان ، وكان كلما مرت غادة حسناء ترنم بابيات من الشعر محفوظة ، أما هو فلم ينظم فى الحب والغزل الا ابيات قليلة ، ولعل ذلك يرجع الى انه لم يذق حلاوة الحب ولم يمتحن بما يمتحن بها المحبون العاشقون من تباريح الهوى ، ولواعج الجوى ، وحلاوة اللقاء ، ومرارة الفراق . زد على ذلك انه لم يوفق فى حياته الزوجية مثلما وفق رفيقه شوقى . فقد تزوج شوقي وانجب ابناء وفرح بهم فرحا بالغا ، ونظم فيهم بعض بدائع شعره ، أما حافظ فانه فى عام 1906 بعد ان عاد من السودان تزوج من اسرة بحي عابدين ولكن لم يدم زواجه اكثر من اربعة اشهر فافترق الزوجان ولم يعقب منها ثم لم يعد بعد ذلك الى الزواج .

وربما كان هذا هو السر فى خلو ديوان حافظ بجراته من شعر الحب والغزل ، اللهم الا أبيات تعد على أصابع اليد الواحدة . لا تروي غلة ولا تنقع صدى ولا تعطينا صورة واضحة عما يختلج به قلبه ، أو يخفق به احساسه !

وقد حاول حافظ ان يستهل بعض قصائده بالغزل مثل مطلع قصيدته الى الخديو عباس عام 1911 ومطلع داليته فى البارودي ، وبائيته فى حرب اليابان ولكنه غزل تقليدي كلاسكي لا يصور عاطفة ، ولا يوضح

ماذا جفيت وما ضناه ابـوك
اظلمتهم يا مصر ام ظلمـوك
فبسمت للغرب الطموح واهله
ومنحتهم فوق الذي منحـوك
وعبست فى وجه الشام وانما
قطر الشام وان عبست أخوك

عاش حافظ ابراهيم طيلة حياته لا يأبه بالمال ولا يهتم بالمظهر ولم يكن راتبه عندما أحيل الى الاستيداع فى فترة من الفترات يزيد عن اربعة جنيهات وقد شاع روح الالم والبؤس فى شعره ، وشغلته الدنيا بنكباتها وحرمته مشهد اوقاتها فلم نسمع له مقطوعة تغنى ولا قصيدة تنشد ، ولا انشودة تلحق شأن البائسين المحرومين الذين طواهم البؤس بين اكنافه وعضهم الحرمان بأنيابه ! وقد قال فى صدر ترجمة كتابه « البؤساء » وهو يهديه الى الامام محمد عبده « انك موئل البائس ومرجع اليائس . وهذا الكتاب ايدك الله قد الم بعيش البائسين وحياة البائسين . وقد عنيت بتعريبه لما بين عيشي وعيش أولئك البؤساء من صلة النسب « كما قال فى المقدمة » وضعه صاحبه وهو بائس وعربه معربه وهو بائس وما عربه لولا اتحادنا فى الالم وتشابهنا فى الشقاء .

ويقول فى كتابه « ليالي سطيح » اديب بائس وشاعر يائس وهمته الكوارث ودهمه الحوادث فلم تجد له عزما ولم تصب منه حزما .

ولذلك كان حافظ جياش العاطفة . يحسن تصوير الالام والاحزان . لون الحرمان نفسه بالوان من الاخلاق لا تكاد تفارقه فهو لا يعرف المداهنة ولا المصانعه ، وهو يعجب بالبساط والسذاجة ، وينفر من الارستقراطية الكاذبة . غير انه لم يكن يغرق وانما فى بحر من الاشجان انما كان يبدو مشرق الوجه ، منبسط النفس ، منشرح الصدر ، لا تفارق الابسامة شفتيه ولا تبرح الدعابة ثغره ، لاحظ عليه صديق ايام كان يترجم روايه البؤساء انه يتشبث بارتداء بذلة قديمة طالت صحبتها له فغار لونها وبلى قماشها فسأله عن سر تمسكه بارتدائها فأجابه لان فيها صفتين من صفات الله عز وجل ، فلما سأله عن هاتين الصفتين اجاب : القدم والوحدانية .. !!

وكان حافظ سريع الحفظ ، حاضر البديهة يقول راشد رستم « سمعته مراهنا فائزا فى ضيعة للاسرة الاباظية الصديقة المثقفة فيأتي بالاحاكى متتالية دون تكرار طول الليل حتى مطلع النهار . وسمعته يتلو علينا من ذاكرته القوية القادرة فقرات مما كان يترجم للقسم الثاني من البؤساء يقرا الصفحة الفرنسية مرة او مرتين ولا يزيد ثم يدعها جانبا وقد رسخت فى ذاكرته ثم ياخذ فى الترجمة بادراكه وكأنه يكتبها على صفحات ذهنه فلا قرطاس ولا قلم ، ولا يقعد لها وانما يقوم بها وهو يؤدي شؤون يومه اذ هي فى الراس وليست فى الكراس ... » .

وكان حافظ يقرأ المقالة الضافية أو القصيدة الطويلة أو الكتاب الضخم فاذا به عقب الانتهاء من قراءته قد استظهر أكثر جمله أو كأنه يقرأ فى بديهته من كتاب أو يستوحي الغيب فلبس بينه وبين الغيب حجاب!

وكان المرحوم محمد امام العبد شاعرا خفيف الظل يحدث عن صديقه حافظ ابراهيم ويقول لكل من يقابله من الناس : انا اللي خلقت حافظ وعلمته الشعر ثم حدث ان تقابلا وبكى امام العبد الى حافظ كيف تحدرت به الايام حتى أوشك أن يبيت على الطوى ولا يجد لقمة من الخبز ليسد بها رمقه ، ولا يستطيع سداد ايجار منزله . ويطلب منه بعد ذلك فى رقة ودعابة أن يستدين بعض المال منه فيضحك حافظ ملء اشداقه ويضع يديه فى جيبه ثم يقول : يا امام انا آسف ... انا يا مولاي كما خلقتني ! ...

كان حافظ شاعرا ممتازا وقد نهض بالشعر العربي مع رفيقه شوقي الى عهود جزالته الاولى فى العصور الذهبية ولونه بالوان جديدة من الافكار والمعاني ، واستخدما الشعر فى مسايرة روح العصر غخاضا فى ميدان السياسة والاجتماعيات والوطنيات حتى يغنيا مشاعر الجماهير ، ويشتمل ديوان حافظ على مجموعة من القصائد السياسية مثل قصيدته فى وداع اللورد كرومر وقصيدته فى استقبال السيد غورست المعتمد الانجليزى بعد كرومر . وقصيدته فى تصريح 28 فبراير ، وفى رفع العلمين المصرى والانجليزي على الخرطوم ، كما يشتمل على مجموعة من القصائد الاجتماعية بقصائده فى جمعية الطفل وجمعية اعانة العميان ، وتعضيد مشروع الجامعة المصرية ، والجمعية الخيرية الاسلامية . وهو فى هذه الضروب من الشعر يحاول أن يرضى الجماعات الكثيرة من الناس التى تقرأ ديوانه أو تتلو شعره على صفحات الجرائد والمجلات ، ولذلك كان شاعرا ممتازا من شعراء الشعب ، يغني آلامه ويترنم بآماله ... ويصبو الى ما يصبو اليه الشعب من عزة ومجد ورفاهية .

وهكذا اخذ حافظ يتغنى بمشاعر المصريين ويحاول ان يكون شاعر الشعب الذي يتغنى بما يجيش فى

قضية الشعر

للأستاذ: عباس الجراري

الحديث عن قضية الشعر – واعني قضيته بين القديم والجديد – حديث طويل يحتاج الى دراسة متسعة الجوانب والحلقات، لا يفي بموضوعها ما تتيحه المقالة الادبية من مجال ضيق محدود، وهو بالاضافة الى طوله دقيق وصعب، يقتضي من الباحث غير قليل من المهارة والاحتراس في تتبع مراحل القضية ومحاولة الكشف عن خطوطها البارزة ومعالمها المميزة. ولعل مصدر هذه الدقة والصعوبة يرجع فيما اعتقد الى ان ملامحها لم تكتمل بعد حتى تتضح، شأنها في هذا شأن كل قضية تساير ظاهرة التطور في جميع احوالها سواء الى صعود او هبوط.

وعلى الرغم من ذلك، فهي لخصوبتها لا تلبث ان تستهوي الباحثين والنقاد وتستدرجهم لدراستها ودراسة كثير من الموضوعات الجانبية التي ربما لا تمت بصلة للشعر.

ومع ان الحافز قوي، فما كنت لاخوض في الموضوع في هذا المقال القصير لولا ملاحظات سمعتها من افواه بعض جمهور الامسية الادبية التي اقامتها كلية آداب الرباط للشاعر السوري نزار القباني في قاعة كلية العلوم الكبرى، والتي القى فيها الشاعر حديثا موجزا عن قضية الشعر اردفه بقراءة بعض قصائده. فقد كانت هذه الملاحظات تشير الى ان الشاعر « لم يشرح القضية في وضوح، وان ما القاه لم يكن محاضرة وانما مجرد كلام جميل يكاد لكثرة ما فيه من الزخرف والتزويق والتنميق ان يكون شعرا ينفذ الى القلب ويؤثر على العاطفة بعيدا عن روح البحث ونحو الفكر ». ولست اقصد في هذا المقال الى نقد محاضرة القباني – وبالود لو تنشرها الكلية حتى نستطيع نقدها لمن اراد – وانما اقصد الى القاء بعض الضوء على حقيقة المشكل الذي يعانيه الشعر العربي المعاصر، في غير تحيز لقديم او جديد، وباكثر ما يمكن من بساطة ووضوح، متجنبا كل النقاط الفرعية التي لا تمس المعركة في الصميم.

وما من شك في ان هذه المعركة ليست غير لون من الوان المعارك والخصومات التي تقوم بين القديم والجديد في كل المجتمعات وفي مختلف مظاهر الحضارة وقيمها، طالما ان في هذه المجتمعات حيوية وحفزا للتطور والنهوض والحركة، وما من شك كذلك في انها ليست غير امتداد لمعارك سابقة عرفها الشعر العربي في مراحل مختلفة من حياته. والمتصفح لتاريخ الشعر لا بد ان يلاحظ مثل هذه الهزات تزعزع كيانه كلما مر المجتمع العربي بمرحلة حضارية جديدة، وكلما كان هذا المجتمع حيا ناهضا قابلا للتطور والتغير.

ففي العصر العباسي، ظهر شعراء مجددون امثال بشار وابي نواس وابي العتاهية، جددوا في المضمون فبعثوا القديم في صور مستحدثة تلائم العصر والحضارة والعقل المتفلسف الجديد، وجددوا في الشكل فنظموا المسمطات والمخمسات وحاولوا النظم على اوزان جديدة، وبرزت المحاولة على ضعفها التجديدي في رفض الوقوف على الاطلال واستبداله بذكر الخمر، على حد قول ابي نواس وهو من زعماء هذه الدعوة.

صفة الطلول بلاغة القدم
فاجعل صفاتك لابنة الكرم
تصف الطلول على السماع بها
أفذو العيان كأنت في الحكم

فلم يكن من انصار الاطلال الا ان رموه بالشعوبية.

وجاء بعد ذلك البحتري وابو تمام مختلفين حول عمود الشعر، وقامت حولهما خصومة عنيفة اخذ فيها على ابي تمام مخالفته لهذا العمود، فقد كان يولد الافكار، ويأتي بنوافر الاضداد، وبالاقيسة المنطقية يحولها الى اقيسة فنية، ويسرف في تطبيق البديع، ويتبع معانيه ويعمقها تأثرا بثقافته الفلسفية

شعورا غير ان عاطفته الوطنية والاجتماعية كانت تسد الفراغ الذي شغره فى هذا الباب .

وذات يوم دعا حافظ ابراهيم لفيفا من اصدقائه لتناول العشاء ، وحضر الاصدقاء ، وكان كل شيء معدا الاطباق مرصوصة والطعام يسيل له اللعاب ، الا ان حافظا لم يستطع أن يشارك اصدقاءه الطعام ... بل ظل يجالسهم وهم يأكلون ... ويضع يده فوقصدره بين الحين والحين اذ كان يشعر بحمل ثقيليجثم علىصدره، الا انه تحامل على نفسه ، واخذ يتحدث الى صحبه كأن شيئا لم يحدث .

وانفض عقد القوم ، ورفعت المائدة ، وآب حافظ ابراهيم الى غرفة نومه الا انه شعر بهذا الحمل يثقل عليه شيئا فشيئا ، والضيق يملا جوانحه رويدا رويدا.. فأسرع الخدم باستدعاء الطبيب .. ولم تمض دقائق حتى كان حافظ قد لفظ انفاسه الاخيرة وصعدت روحه الى بارئها ، وانطوت حياة شاعر النيل الاثيل ... !!

جمال الدين الرمادي

وكما خرج الشعر الجديد على تناسق التفعيلة، فقد خرج على تناسق القافية فنوع في تشكيلات اواخر الابيات دون التقيد بنهاية معينة.

وليس هذا التغيير الشكلي هو كل ما في الشعر التفعيلي من جديد، وانما الجديد فيه كذلك رؤية الشاعر المتجددة للحياة، ووعيه الناضج لمشكلات عصره، وعمق احساسه بمجتمعه، وصدق تعبيره عن كل ذلك في تجاوب تلقائي مع الواقع المادي الذي يعيشه كل يوم. وليس معنى هذا ان يصف الشاعر ما يستحدث من مخترعات، فليس ذلك من التجديد في شيء، كما انه ليس من التقليد وصف الاماكن القديمة، وانما التجديد ان تنعكس هذه الاشياء في نفس الشاعر كمظهر من مظاهر العصر الحضاري ويتأثر بها ويتخذ موقفا واعيا لا تزييف فيه ولا خداع.

ومن هنا نستطيع ان نستنتج شيئا ربما لن يرضى عنه الغلاة من انصار التجديد، وهو انه لا يشترط في الشعر الذي يعبر عن هذا المضمون ان يكون حرا تفعيليا، فهو على طريقته التقليدية او العمودية قادر على مثل هذا التعبير اذا ما توفرت للشاعر نفس الرؤية ونفس الاحساس. فليس كل شعر عمودي تقليديا وليس كل شعر حر تجديديا وبالتالي فليس كل شعر عمودي رديئا ولا كل شعر تفعيلي جيدا، بل ان كثيرا من النماذج الشعرية التي نقرأها في الصحف والمجلات والدواوين، سواء منها ما هو موزون مقفى، وما هو متحرر من الوزن والقافية، لا تستحق اسم الشعر. ثم ان هناك حقيقة اخرى لا ينبغي اغفالها، اعني ان تصمد القصيدة التقليدية او بالاحرى ان تتفوق لتمثل بين انصار الشعر الجديد، وهي ان هذه القصيدة لم تعد اليوم كما كانت بالامس، فلو ورثت في قراءتها او كتبتها حسب المعاني وحسب الطاقة النفسية (تفسح الخ) لبدت وكأنها من شعر التفعيلة. ولا غرابة فكثير من الشعر الذي يظل حرا يبدو رؤيته مكتوبا او عند سماعه مقروءا هو في واقعه شعر موزون مقفى، ورتبت تفاعيله توزيعا جديدا.

واذن فليست المسألة مسألة قديم وجديد، وانما هي مسألة اصالة شعرية يلزم اعتبارها حين ندرس نماذج من الشعرين، وما احوج المعركة الى مثل هذه الدراسة الموضوعية لتبين مواطن الجودة والرداءة في كل منهما، ففي القديم كما في الجديد جيد ورديء، ومن طبيعة الجديد، لحداثة ممارسته للتجربة، ان يكثر فيه الرديء. ومع ذلك فدعوته على ما فيها من ثغرات واخطاء تفتح باب الامل واسعا امام الشعر العربي لينمو ويحيا وينفض عنه غبار العقم والتحجر والتزييف. ولعلي هنا ان انصف انصار الجديد كما انصفت من قبل انصار القديم، فالبداية في كل تجديد تملأها الاخطاء والانفعالات والتأثرات الشخصية، والخصومة في هذه المرحلة تكون دائما مفيدة للجديد، فهي تحد من غلوائه وتزيل عنه الشوائب وتصفيه وتهيء النفوس وترهفها لتقبله. ولن يؤثر في دعوته ان يكثر له المتحيزون او يقل انصاره ما دام الذوق العام هو وحده الحكم الفصل في المعركـــة.

ومن الخير لقضية الشعر، بدلا من التحمس المطلق لهذا اللون او ذاك، ان ينظر لها النقاد من زاوية جديدة لا يبدو من خلالها في قيام التجديد غير استمرار العنصر الحي الدافعة من تراثنا الشعري والمحافظة عليها من الجمود والموت. فالادباء الاحياء، كما يقول الشاعر الانجليزي اليوت: هم الذين يبقون الموتى احياء. ومن الخير لها كذلك ان يدرك النقاد مبدأ قيام هذا التجديد ــ واي تجديد ــ وان يأخذوا في تشجيع وسعة صدر بيد الذين صدقت شاعريتهم وان ييسروا لهم السبيل ويرشدوهم لما يساعدهم على صقل محاولتهم من عناصر الزلل والضعف، وهم يلتمسون الطريق لاسلوب شخصي جديد. وكما نريد من حركة التجديد ان تستوحي عناصر القديم الحي في تنمية نفسها، فاننا نريد لها ان تفتح عينيها على التراث العالمي وتسترشد به. وبعبارة اخرى، على النقاد ان يوجهوها على ضوء الثقافات الجديدة وما تزخر به من مذاهب وفلسفات في التصورات الجمالية والفنية.

ولن اغالي بعد هذا اذا قلت انه يكفي ان يكون في الشعر الجديد نموذج واحد جيد ليثبت وجوده ويصبح مقبولا له كامل الحق في ان يقف على قدميه. ومن يدري فقد لا يكون الشكل الحالي لهذا الشعر هو وضعه النهائي، وقد يتطور الى قالب آخر تكون التجربة قد تبلورت فيه اكثر. ومع ذلك، فيوم يتسم الجو للشعر الجديد في تفاهم نفسي واستعداد ذهني يجعلان الجمهور ينفعل به ويتأثر له، ويوم يتهيأ له من قرائه من يتذوقه ويبدع فيه، ويوم يدرس النقاد نماذجه الجيدة ويناقشون اتجاهاته، يومئذ سيبدأ احتفال من الشعراء في تقاليده، ويومئذ كذلك سيصبح هذا الجديد بدوره قديما تثور الشعراء عليه، وتلك طبيعة الآداب والفنون، بل تلك طبيعة كل المظاهر الحضارية والقيم الانسانية في كل زمان ومكان.

الرباط ــ عباس الجراري

الواسعة ، ويخرج بذلك صورا يصفها الآمدي بالقبح لمجرد انها غير مألوفة ، كقوله :

رقيق حواشي الحلم لو ان حلمه
بكفيك ما ماريت في انه برد

وكانت الصورة القديمة .

احلامنا تزن اجبال رزانة
وتخالنا جنا اذا ما نجهل

وفي الاندلس ، يوم كان المجتمع الاسلامي يكيف نفسه مع معطيات الارض الجديدة ، ثار الشعراء على تقاليد القصيدة العربية واخترعوا الموشحات والازجال ، حيث نظموا على اوزان جديدة (لا يحتاج الى وزنها بميزان العروض) كما يقول ابن سناء الملك . وما نظموه على الاوزان المألوفة عمدوا الى كسره لدرجة جمع الاعمى التطيلي مائة وسبعة واربعين وزنا دون ان يستقصي جميع الاوزان . وغيروا في هيكل القصيدة فجعلوا الموشحة تتكون من اقفال وابيات (1) كل منها تتركب من اجزاء تتفق في الاقفال وزنا وقافية وعددا ، ولا تتفق في الابيات الا في غير القافية ، ووضعوا للموشح خرجة هي القفل الاخير ، واشترطوا في اغلبها ان تكون ملحونة غير معربة ، بل استحسنوا ان تكون باللفظ العامي او العجمي كما في بعض الخرجات الاندلسية التي وردت بالرومانية . اما الازجال فما تتمتع به من حرية في تشكيل قوالبها اوسع من ان نحصيها في هذا المجال .

واذن فليس بدعا ، والامة العربية تطور اليوم نفسها في مختلف المجالات الاساسية وتنفض عنها غبار الخمول الذي تراكم على ظهرها طوال قرون الانحطاط ، ان تنظر في تراثها الشعري بمنظار جديد ، ربما فيه من الحدة والقسوة ما لا يليق بهذا التراث ، ولكنه مع ذلك قابل للدراسة والفحص ، ولعله نافع مفيد . فما هو هذا المنظار ؟ وما هي الرؤية التي تبدو من خلاله ؟ وما ذا عسى ان يكون في ذلك من نفع وفائدة ؟ .

في البدء عند الشعراء المجددين ، ان الاطار الشكلي للقصيدة العربية في قالبها التقليدي غدا اضيق من ان يستوعب صور الواقع الحقيقي لحياة العصر وما يتركه هذا الواقع من اثر كبير في نفس الشاعر . ولعلنا ابتداء من هذه النقطة نستطيع ان نرجع بفكرة التجديد التي برزت منذ حوالي ربع قرن الى اصولها الاولى ، وخاصة الى الحركة الرومانسية وما حاولت من تغيير في القصيدة العربية سواء في الشكل او المضمون . ولعلنا ابتداء من هذه النقطة كذلك نستطيع ان نفسر اتجاه بعض الشعراء المندفع امثال ناجي وطه الى الثنائيات والرباعيات والخماسيات .

ولكن يبدو ان هذا المنطلق نفسه لم يعد يقنع بعض الشعراء الذين اصبحوا يبحثون عن مجال اكثر حرية لاداء وظيفة الشعر الجديدة ، فظهرت محاولات للشعر المرسل عند شكري والزهاوي وابو شادي لم تلبث ان تبلورت في حركة تجديدية عند بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور ، محورها ان للشاعر كامل الحق في تجديد شكل القصيدة وان من الضروري اعادة النظر في التراث لتقييمه على ضوء مستحدثات العصر وفهمه وعقلنته .

وذهب بعض الغلاة من انصار التجديد الى ان الشعر العربي عامة يدور في فلك الجمود والتكرار والانعزال ، يلوك نفس المعاني ، ويعبر عن نفس العواطف ، ويتحد نفس المواقف من تجارب الحياة ، والى انه لجأ في اخفاء هذه العيوب الى التمسك بنغمة الرتيب وقرعه الرنان . وعند هؤلاء ان هذه الموسيقى المطردة اشبه بقرع الطبول الغليظة ، وانها تزعج الاذن الحساسة وتؤذي السمع المرهف وتقلق الذهن الناضج ، وانها بذاتها لا تلائم مع الحس المثقف المرهف الذي لا يرتاح لغير النغم الخفي المتنوع الذي يتجاوب وحنايا العاطفة معبرا عن كل ما فيها من ظلال والوان ، تساعده اصداء وصور حملها لا تقل عن الايقاع في اثارة الاحساس . والشعر العربي لم يعد كما كان في عصوره الاولى وقبل اختراع الطباعة يصل الى الجمهور في المجالس والاسواق جهارا وبطريق الخطابة حتى يحتاج الشاعر الى شد المستمعين بايقاع معين ونغمة مكررة ، وانما اصبح الشعر الحديث يصل الى الفرد في صحيفة او مجلة او كتاب ، يقرأه وحيدا في خلوة هو اكثر ما يكون حاجة فيها الى الهمس الخافت والتأمل الهادىء .

وبعد ان كان البيت هو الوحدة التي تبنى عليها القصيدة العربية ، اصبحت التفعيلة هي الاساس دون التقيد بتفاعيل معينة ودون الخضوع في توزيعها لغير ما يمليه المضمون ، ومن هنا سمي هذا الشعر بالتفعيلي .

وقد تقسم التفعيلة الاخيرة في البيت جزءين ، احدهما يختم به البيت والثاني يبدأ به البيت التالي ، وهذا يدل على ان القصيدة اصبحت كانها وحدة متكاملة الاجزاء لا استقلال فيها للبيت الواحد ، كما يدل على ان التفعيلة نفسها على الرغم من انها الاساس لا تعني فيها غير التقارب او ما يمكن ان نوسع فيه ونجعله تطاول ما نسمي عروضيا بالاسباب والاوتاد والفواصل (السبب الخفيف حركة وسكون ، والسبب الثقيل حركتان ، والوتد المجموع حركتان بعدهما سكون ، والوتد المفروق حركتان بينهما سكون ، والفاصلة الصغرى ثلاث حركات بعدها سكون ، والفاصلة الكبرى اربع حركات بعدها سكون) وقد احملها الخليل في هذه الجملة : « لم ار على ظهر جبل سمكة » .

---

1) انظر بحث الكاتب عن الموشحات ــ مجلة دعوة الحق ــ السنة الخامسة (1961 ــ 1962) ــ الاعداد 2 ــ 3 ــ 4 .

الاسفاف ، فانها تخلق الجو الذي قد تقدح فيه الشرارة الشعرية، وتثير من المسابقة والمنافسة ما يخرج بنا في النهاية الى رحاب القريض الجيد المبدع ٠

الا انني ارى من الواجب كذلك ان لا ندع انفسنا ننساق في طريق السهولة والتساهل ، فنحسب الشحم فيمن شحمه ورم ، كما يقول المتنبي ، ونقنع بالقوالب والصياغات الشعرية ، وان كانت خلوا من الشعر ، فكثير من الناظمين يعتقدون مخلصين انهم شعراء لمجرد كونهم استطاعوا ان يرصفوا كلمات مصفوفة يصفون فيها زرقة عين الحبيبة او ضفرة شعرها او يستحضرون صورة القمر على شاطيء او جمال الربيع في روض مونق٠ وآخرون بعد ان قرأوا نماذج من الشعر المعاصر راحوا يجمعون من كلمات متنافرة ومعان متباعدة ظانين باخلاص انهم اهتدوا الى الطريق ودخلوا الى جنة عبقر ٠

ولكن هيهات ان ينحصر جوهر الشعر في هذه التشكلات والعمليات التركيبية والقوالب الجاهزة والمفاجئات التعبيرية ٠ تقول شاعرة العراق ، « نازك الملائكة » ٠

« الابهام ليس مقصودا لذاته ، وانما هو صورة من صور الحياة ، ولذلك ندر ان نجد شاعرا كل شعره معقد ملتو ٠ اما الذين يتعمدون تعقيد شعرهم فقد يكون « الدوس هكسلـــي » الممس لهم بعض العذر حين قال ، « ان المعاصرين يهربون الى الابهام خوفا من الوضوح الذي هو الصفة الاساسيـة في الادب العاطفـــي » ٠

نعم ، ان الشعر امر صعب لأنه لا يقف عند الكلام المركب المفيد ، كما يقول ابن آجروم ، بل هو تعبير عن حياة زاخرة العباب ، مكسوة بالاحاسيـس والمعانـي ، مدججة بالمشاعر والاسرارات وهذه التجربة الواسعة العميقة التي يجب ان يتوفر عليها الشاعر لا يقتصر دورها على خلق الاستعداد لدى الانسان ليصبح شاعرا حقيقيا ، بل انها تتجاوز نطاق ذاته ليكون لها اثرها البين في التعبير الشعري نفسه ٠

فكل الناس متفقون على ان للشعر لغة خاصـة ، وعلى ان الكلمات التي نستعملها في النثر عند ما تنقل الى القصيدة تجدد ثوبها وتتسع قوة ايحائها ٠ فكأن الالفاظ المتداولة منذ القديم تسترجع انفسها شبابا وطراوة ، وكأن التعابير قد ولدت لاول مرة في صورة لم تكن معروفــة ؛ ومن السهـل علينا ان نعزو بعض الطراوة الايقاع الشعري ولموسيقى الابيات ٠ ولا شك ان لهما في ذلك نصيبا ملحوظا ٠ ولكن النصيب الاوفر يرجع الى ذلك الفيض الشعري الذي يأتي به الشاعر من اعماق نفسه اي الى ما يحمله الشاعر بين جنبيه من رؤى مختلفة، وما يحتضنه في الذاكرة والخيال من مشاهد وتأثرات واهتياجـات احتفظـت بنفسهـا وقوتها ٠ فالتعبير الشعري ، ان صـح هذا القول ، هو تركيب مزجي تجمعت خلاصة خطرات كثيرة مرت بالنفس ٠ انه لحن تلتقي فيه آلاف الاصداء من الماضي والحاضر او هو رسم تتماوج فيه شتى الاشكال والالوان والانوار والظلال ٠

وهذا لا يعني انه تركيب مصطنع يقصد فيه الخلط قصدا او تلتقط عناصره من كل ناحية لتترتب في شكل هندسي رائق ٠ فعمل الشاعر يقع تماما في طرف نقيض لعمل صانع الزليج، مثلا، او اصحاب الموزييك والتوريق ٠ لأن الامر يتعلق هنا بتركيب طبيعي عضوي يوازي التركيب الذي نشاهـده في واقـع الحياة ويحاول ان يقوم بتشخيصه ٠ فالحياة لا تقـدم لنا الا الاشيــاء المركبة والمعقدة ، ولا نشاهد فيها شيئا بسيطا خالص العنصر ٠ والعالم او الفيلسوف لا يني في بذل مجهوده لتحليل هذا المركب او الخليط او الركام الذي نسميه الواقع ، تـارة ، والحيـاة ، طورا ، والوجود تارة ٠ وينتهي بـه الامر الى تمييز العناصـر المفردة عن بعضها ٠ الا ان العملية التجريدية التي يقوم بهـا للوصول الى هاته الغاية تقدم لنا في الاخير اشياء ميتة ، هامدة ، لأنها حينما فقـدت عضويتهـا في المجموع التركيـبي ، فقدت حيويتها ومعناها مثل العضو المفصول عن الجسد ٠

ولكن شتان بين اتجاه العالم والفيلسوف واتجاه الشاعر؛ فهذا الاخير يريد ان يقدم لنا الاشياء حية في غليانها وفورانها وتني ابتعاضها الحقيقية ٠ ولذا ، فهو يتشبث بالتركيب الطبيعي الموجود في الحياة المباشـرة ، وبهذا المعـنى ، فان التعبيـر الشعري يزداد قوة وكثافة بقدر ما يتغذى من تجربـة الشاعـر الحقيقية ٠ وكلما كانت هذه التجربة كبيرة ، وكلما اكتملت الرجولة في الشاعر ، كان التعبير اعمق واوفى ٠ وهذا ما يفسر لنا ان الشعر لا يمكن ان نقرأه كغيره من انــواع الكلام وانـه يتطلب قدرا كبيرا من التأمل والتروي ٠ بل ان كل كلمة في القصيدة تستوقف القاريء ، فيمعن فيها النظر وينصت اليهـــا ويزنها كما يزن الذهب ، ويعود اليها المرة بعد الاخرى ، وفي كل مرة تنكشف له عن معنى جديد ، وتنشر به نحو افق آخر ٠ فهو من وراء الالفاظ يحاول ان ينفـذ الى سـر الشاعـر ، الى كوامنه ، الى تجربته الذاتية ٠

ولست استطيع ان اعبر عن هاته الافكار بأحسن مما عبر به الشاعر النمساوي الكبير « راينر ماريا رلك » حينما قال :

« ان الابيات ليست كما يعتقد البعض عواطف (فالعواطف يعرفها الانسان في سن مبكرة) ، بل هي تجارب ٠ ولكي يكتب المرء بيتا واحدا ، فلا بد له من ان يكون شاهد كثيرا من المدن والناس والاشياء ، ولا بد له من ان يكون قادرا على ان يستحضر في ذهنه طرقا في بلاد مجهولة ، ورحلات طالما ظل ينتظر قرب موعدها ، واياما صبا لم ينكشف له بعد سرها وليالي سفر ٠٠٠ ؛

وليس يكفيه ان تكون لديه ذكريات ، بل عليه ان يعرف كيف ينساها حينما تتكاثر لديه وان يصطبر كثيرا في انتظار

منابع الشعر وحقيقة الشاعر

للأستاذ : محمد ربيع

- 2 -

هنالك ، اذن ، تمزق سطحي يأتي عن طريق التقليد والمحاكاة المبتذلة والانسياق وراء تيار فكري او اكتشاف جمالي انعطفت نحوه الافكار ظفره وتحدثت عنه الالسنة في كل مكان وتهافتت عليه مجمعات الصالونات الانيقة حتى اصبح احدوثة الوقت وموضة العصر ومادة جديدة تستهلك في احاديث الاسمار والسهرات . وبهذا المعنى كان كثير من الناس رومانسيين وقت الحركة الرومانسية ورمزيين وقت التيار الرمزي، وسرياليين وقت بروز المدرسة السريالية ، ووجوديين مع الوجودية . بل لربما كان لذلك اثر في هيئتهم ولباسهم ومشيتهم وتقصيص شعرهم ونوع حياتهم واسلوب كلامهم . ومثل هذه المواقف التي تقتصر على المحاكاة من خارج لا يمكنها ان تفتح اي افق جديد امام الشاعر ، بل لربما عطلت فطرته السليمة ، وعزلته عن منبع الحياة الغزيرة وتيارها الطامي، لتضعه في قفص من ذهب ، وانحرفت بحدسه نحو الابواب الضيقة ، والتوت بتعبيره نحو الغموض العقيم الذي لا يرى من ورائه الا الفراغ .

وهنالك ، تمزق حقيقي يعلن عن نفسه بصدقه واصالته . اذ له اصله الثابت في حياة الشاعر دائما ، في حواره المستمر مع نفسه ومع المجتمع ، في تقلبه بين اليأس والامل ، وبين الاستئناس بالغير والانعزال ، في مواجهته لهذا العالم الذي لم يختره اختيارا والذي يفرض عليه نفسه ويكشفه من كل جانب . فهو خلاصة تجربة واسعة عميقة لا تقف عند اي حد . الا انها تجربة تتطلب نوعا من الاقدام والصدق . فالشاعر لا يحاول ان يموه على الغير ليفوز باللقب ، بل هو يريد الحقيقة لنفسه ويريد ان يقنع نفسه قبل اي احد .

وهذا ما يفسر شعوره بالشك ، احيانا ، وبعدم الارتياح الى ما يكتشفه . فهو دائما بصدد البحث عن شيء ما يكاد يطمئن انه امسكه حتى ينفلت منه وحتى يجد نفسه عاد الى نقطة الابتداء، الى الفراغ الاول . ومن هذا البحث الدائب المخلص ، ومن هذا « الارتعاش » كما يقول (اندري جيد) ، ومن هذا التمزق ينفجر ينبوع الشعر كالزلال من الصخر ، رقراقا صافيا متلألئا .

والواقع ان اجدادنا لم يبتعدوا عن هذه الحقائق حينما ادركوا بفطرتهم السليمة ما بين الفن الشعري وصدق الشاعر من علاقة متينة وطيدة .

وتعجبني هنا كلمة للناقد المصري الدكتور عز الدين اسماعيل ، يقول فيها :

« الكلام عن الحزن ليس هو الحزن ، تماما كما ان حديثي هنا عن ظاهرة الحزن لا يعني انني حزين . فالقصائد التي تتحدث عن الحزن نفسه لا تقدم لنا الموقف الحزين . ولكننا نحس بهذا الموقف في قصائد اخرى هي في ظاهرها ابعد ما تكون عن موضوع الحزن . صحيح ان الصور التي عرف بها الشعراء الحزن نفسه ، كالقول « انه نظرة بلا اهداب » او انه « كاللص في جوف السكينة » او انه « نعرفه الساكون في صمت عميق » هذه الصور وامثالها قد تفيد تحليلها في معرفة مدلول الحزن بالنسبة للشعراء انفسهم ، لكن هذا آخر شيء يهمنا منهم ، لأن ما يهمنا في الحقيقة هو الحزن كما عاشوه ، لا الحزن كما عابوه » .

الصورة التي انجلت لنا الآن عن الشاعر في حقيقته نستخلص منها ان الشعر ليس بالامر السهل ، كما يتصور البعض ، فما اكثر الذين نظموا الشعر وما اقل الذين كانوا شعراء ! وما اعلى المستوى الذي يجب ان يرتقي اليه الانسان ، وما اعز الصفات التي يجب ان تتوفر فيه ليستطيع النطق بالكلمة الشعرية !

ولست اقول هذا لأثبط عزائم الشعراء الناشئين عندنا او لأصرف ذوي الطموح الادبي عن هذا الميدان ، بل انني ارى من الواجب علينا في هاته المرحلة الاولى من انبعاثنا ان نرحب بكل المحاولات الجديدة ، لأنها مهما قصرت ، ومهما بلغت من

المذاهب الفلسفية والأدبية
وأثرها في الرواية الأوربية

للأستاذ : محمد الأمري

- 2 -

يذكر بعض علماء الغرب بأن الفيلسوف الاندلسي ابن رشد كان اكثر اهمية في الفلسفة المسيحية منه في الفلسفة الاسلامية ، فهو بالنسبة لهذه نهاية طريق مغلق بينما هو بالنسبة للأولى بداية الطريق (1) ، وذلك منذ ان ترجم الى اللاتينية من لدن «ميخائيل سكوت» في مستهل القرن الثالث عشر ، فكان له تأثير قوي لا على الفلسفة « الاسكولائيه » اي المدرسية وحدها ، بل وعلى احرار الفكر من غير المحترفين الذين اطلقوا على انفسهم اسم « اتباع ابن رشد » ، في الوقت الذي كانت جامعة باريس تضم اكثر المعجبين به من الفلاسفة المحترفين . « تومـا الاكويني » الذي يعد من اعظم الفلاسفة الاسكولائيين لم يسلم من التأثر بالفيلسوف المغربي على الرغم من اعلانه القيام بدور تصحيح فلسفة ارسطو مما الم بها من الخطأ في اعتقاده عن طريق ابن رشد واتباعه من المسيحيين ، معتمدا في هذا التصحيح على الترجمة من اليونانية بفضل صديقه « ولـيم الموربكي » وهناك ايضا الاسكولائي الانجليزي « روجر بيكون » الذي انتقد المترجمين من معاصريه عن اليونانية والعربية معا ، مثلما كان ينتقد بناء الحجة على ما اعتقده الاسلاف بينما نراه بالرغم من ذلك لا يتورع عن اقتباس آراء بعض الفلاسفة ، من بينهم ابن رشد وابن سينا كذلك (2) .

اذا ، فقد كان ابن رشد بداية الطريق في الفلسفة الاوربية التي ستراها تغتني بالعديد من المذاهب الفلسفية والادبية والعلمية يتداخل بعضها في بعض ، ويناقض بعضها الآخر ولم يكد يحل القرن السابع عشر حتى رأينا عناية فائقة بالمنهج ، فظهرت عدة كتب في هذا الموضوع لفلاسفة مشهورين مثل « فرنسيس بيكون » صاحب كتاب « الأرجانون الكبير » و « ديكارت » صاحب « المقال في المنهج » و « اصلاح الذهن » لسبينوزا ، وقد كان بيكون في مقدمة فلاسفة المذهب التجريبي المناهض للمذاهب العقلية الصرفة . في حين نرى « ديكارت » من اعلام المذهب العقلي . فاذا انتقلنا الى منتصف القرن الثامن عشر الفينا المدرسة الصورية او المثالية في اوجها على يد « عمانويـل كانـت » واتباعه من مثل « فخته » « وشلينغ » « وهيجل » فيما بعد ، حاعلين نصب اعينهم معارضة المذهب التجريبي ثم التشككي الذي تزعمه « دافيد هيوم » .

اما في منتصف القرن التاسع عشر فان نظرية « داروين » في النشوء ، ولم تكن في الحقيقة سوى نظرية بيولوجية لم تلبث ان تحولت الى مذهب فلسفي قام على يد البيولوجي الالمانـي هيكل (1834 ـ 1919) يطلق عليه المذهب « المـادي » او «مذهب الطاقة» ، كما نرى حملة جديدة ضد المذهب «التجريبي» ونظرية التطور يتزعمها في انكلترا « ت . هـ . جرين » تحت اسم المذهب المثالي المطلق او كما سماه البعض « بالكانتنيـة » او « الهيجلية الجديدة » ، ويتزعم هذه الحملة في فرنسا « لاشلييه » و « رويس » في امريكا .

فاذا اشرف القرن على نهايته ، رأينا في فرنسا رد فعل قوي للنظرية الآلية العلمية بلـغ دورتـه في مذهب التطـور الابداعي الذي يمثلـه الفيلسوف الفرنسـي الشهير « هنـري برجسون » يقابله في المانيا « هانس درينش » و « ليم جيمس» في امريكا تحت اسم « البراجمانزم » وعليه بنى « جون ديوي» فلسفة الذرائع ، لنخلص فيما بعد الى المذهب الواقعي المتفـق مع الروح العلمية الحديثة، والنتائج العامة التي وصل اليها العلماء، وقد ظهر على يد الفيلسوف البريطاني « صمويل الكسنـدر »

1) تاريخ الفلسفة الغربية « لبرتراند رسل » ترجمة الدكتور نجيب محمود ص 196 ج 2 .

2) نفس المصدر ص 253 من الكتاب الثاني .

عودتها . لأن الذكريات نفسها لا زالت لم تصر شيئا ناضجا . وحينما تتحول فينا الى دم ، ونظرة واشارة ، وحينما لم يعد لها اسم ولم تبق تتمايز عنا ، حينذاك فقط ، وفي ساعة نادرة قد تنبعث من بينها الكلمة الاولى في بيت شعري » .

كل هذه الصفات والمزايا التي ينفرد بها الشعر في شكله ومضمونه تبين لنا في النهاية ضرورة التعبير الشعري في الحياة ، في ادراك الاشياء ولمسها . فالشعر اذا نظرنا اليه من احد جوانبه المتعددة هو ايضا يمثل نوعا من المعرفة ، نوعا يصعب تكييفه وتحديده ، ولكنه يتصل مباشرة بالوجدان حيث يشعر بحضوره الحي . وهذا يخالف بعض الآراء التي تعتبر الشعر لونا ترفيا وكماليا في الحياة الفكرية والثقافية . ولكن الذين عالجوا الكتابة في شتى الفنون والاغراض يدركون جيدا ان له دورا حيويا في الميدان الثقافي ، بصفة عامة ، وفي تطور اللغة والتعبير ، بصورة خاصة . ولن اجد هنا ما يكفي من الوقت لاعرج على مشكلة اللغة التي الفت فيها عشرات الكتب ولا زالت تشغل بال الفلاسفة الى اليوم .

ويكفي ان اقول ان اللغة ما هي الا آلة في يد الانسان لم يصنعها بنفسه ، وانما وجدها في المجتمع وصار يستعملها في حاجياته . وهي ككل آلة ليست لها اية قيمة مطلقة في حد ذاتها . يدل على ذلك كونها تتطور وتتكيف وتعجز احيانا عن اداء المعاني المتنقلة في الضمير . ومهمتها الحقيقية هي ان تعبر عن هذا الواقع ، عن هذا الكائن الذي له هو ، بالعكس ، قيمة مطلقة . هنالك ، اذن تفاوت كبير في الدرجة والنوع بين الوسيلة وغايتها . حقا ، ان الانسان لا زال لم يتوصل الى معرفة الكائن ، كما يقول الفيلسوف « هايدجير » . ومن السخافة ان نطالب اللغة بأن تسبق الفكر الى ميدان لا زال لم يكتشف . ولكن الانسان يستطيع ان يدرك وجوده في نطاق عالمه المتكون من اهتماماته ومشاغله وانعكاساته الذاتية على الاشياء . وهنا تستقر في عقله وشعوره مدركات وصور ومعان محلقة . وهذا هو الميدان الطبيعي الذي يمكن ان تغزوه اللغة ، اذا سلمنا بأنها تسير موازية للادراك الانساني في جميع حركاته والتفاتاته . فالمطلوب من اللغة هو ان تعبر ، في حدود المعرفة الممكنة ، عن الكائن كما يتمثله الانسان في فكره وكما يستقر في ذاتيته . وهنا توضع امامنا المشكلة . فنحن نشعر دائما وبصورة تدهشة عند الكلام بأن تعابيرنا غير قادرة على استيعاب مدركاتنا في حجمها وفي كثافاتها وفي اتجاهاتها الافقية والعمودية . وانها لتجربة نقوم بها في كل وقت تجربة قصور اللغة .

ومع ذلك ، فاللغة تظل هي افضل مكسب توصل اليه الانسان واحسن وسائله في الحياة . وبفضل قوتها الايحائية ، فانها تستطيع عند تصوب الادراك وبرودة الاحساس ان تخصب ما في النفوس من مشاعر كامنة وانطلاقات راكدة وان تزيح عن البصائر والأبصار كل الحجب المصطنعة او المفروضة فتفتح لها نوافذ نحو الآفاق الرحبة ، الآفاق التي تستطيع منها الروح ان تستمع نحو سها الكامنة .

(يتبع)

سلا : محمد زنيبر

شعـر في ثقيـل

قل للبغيض أخي البغيض ابن البغيض ابن البغيضة
ضاقت على الثقلين من بغضائك الارض العريضة
ودعت ملائكة السماء عليك دعوى مستفيضة

الروماطيقية (7) ولم تخل آثار ادباء انجليز « كجورج اليوت، ونيومان ، وكارليل » وغيرهم من ثمار الروماطيقية ، وان كانت « جورج اليوت » تمتاز بالتزامها الواقعية وتطبيقها تطبيقا علميا على عقول شخوصها (8) .

وظهرت « السريالية » لتهدف الى استعادة جميع الطاقات غير المعترف بها ، مرتكزة حسب رأي « اندريه بريتون » على « الايمان بالحقيقة العليا لبعض اشكال التجمعات التي كانت مهملة قبلها ، وعلى قوة الحلم العظيمة ، والحركة النزيهة للفكرة» ومن المسلم به ان السريالية تخرج عن نطاق الادب ، بالنظر الى انها تهدف الى اعماق الانسان من مدنيته بالغة التعقيد والنفعية الا انها بالنظر الى ان افضل وسيلة للاعراب عن الحالات النفسية هي الفن ، فقد لجأت الى تقسيم الانتاجات من الناحية الجمالية فقط (9) ، والفن عند السرياليين اذن ليس سوى طريق موصل الى السريالية ، وصحيح ان السريالية افادت الشيء الكثير من كشوف « فرويد » النفسانية ، الا انها تخطت التحليل الى تحقيق ما اكتشف من الثروات الداخلية للانسان ، وهذا يعني انها تجمع النظرية والتطبيق ، وبالنظر الى ان السريالية كانت في الواقع ثورة على الروماطيقية لأجل اكتشاف عالم آخر ، فانها من جهة تعارض ذاتية الروماطيقية التي لا تعترف الا بحقيقة انسان مفكر عاقل ، كما ترفض من جهة اخرى ذاتية التأثيرية (IMPRESSIONNISME) التي تقضي بابقاء التأثر على النحو الذي وقع الشعور به . والسريالية تعتبر الشعر اكثر جدارة لانه التهاوي السريع من الشعور بالنظر الى قدرته بسرعة الاعراب عن تتابع الافكار في الروح المودعة نفسها ، ومن ثم تقدح ، « اندريه بريتون » بممارسة الشعر للوغ الالهام السامي ، ومن اجل ذلك نرى ان السريالية وجدت مجالها الفسيح في الشعر اكثر من اي فن ادبي آخر . الا انها مع ذلك لا تتجاهل ما للحوار من تناسب مع اشكال اللغة السريالية بالنظر الى انه يبدع صورا عفوية شريطة عدم اللجوء الى اسقاط معنى جاذبه من احد الطرفين وفرضها على محادثيه ، ومعنى هذا ان السريالية تجري محاسبة العالم الواقعي لتقحم عالم الرؤى والاشباح ، وهذا الجو اللا واقعي هو الذي نعثر عليه في الروايات السوداء للقرن الثامن عشر بانكلترا والتي قوبلت بنجاح كبير ، فرواية « الراهب » للويس التي ترجمها « انطونان ارتو » تعد ان اشهر تلك الداخلة النابتة السحر والشعوذة في الحياة الواقعية نرى فيها بريتون « رغبة التخلص لأبطال معتقين من كل مضايقة وقيد ، ولا نطري الا ما يوحي من الروح ترك الارض » ومثل ذلك يمكن ان يقال عن رواية « هويسمان » (على الطوف) ورواية « المدس ذو الشعر الابيض » التي يصف فيها (بريتون) احد قصور الاحلام . ورواية « قصر اوترانت » التي استلهمها « هوراس والبول » من احد الاحلام .

ان السرياليين يعتقدون ان الانسان اسير احلامه ، في حين نرى ان الطبيعيين يعطون للمواقف اليومية اهمية في حياة الانسان الذي يتفطن لها دائما ، ولم كان يحدو هؤلاء الرأي القائل : « ان مصير الانسان هو وسطه » عكس الآخرين الذين يقولون : « ان مصير الانسان هو خاصته » .

واذا كان « اميل زولا » مؤسس الاتجاه الطبيعي في الرواية اعتمد بالدرجة الاولى على الجانب الفيزيولوجي ، فان تلامذته تجهوا الى الجانب الاجتماعي بالنظر الى ان الفرد يعكس الوسط الاجتماعي ، الا ان هؤلاء انقسموا فيما بعد الى تيارين اساسين في المذهب الطبيعي (10) ، اولهما يهتم بوصف البيئة الاجتماعية بشكل وثائقي ان صح التعبير ، في حين يهتم التيار الثاني بعرض القضايا الاجتماعية وفضحها ، وكذلك القضايا الاقتصادية ، والرواية الامريكية تعطينا نماذج من التيارين معا ، على ان ابرز من يمثل التيار الاول « جيمس فاريل » بينما يمثل التيار الثاني « دوس باسوس » ومع ذلك فان من الخطأ الاعتقاد بأن الطبيعيين من كتاب الرواية تقيدوا دائما بأسس هذه المدرسة ، « فزولا » نفسه وغير مؤسسها يؤكد لنا في « جيرمينال » هذا الرأي حيث تحلق في اجواء الخيال الفسيحة بشكل يذكر بالملاحم ومثل ذلك يقال عن « فاجنر » .

اما الوجودية فبالرغم من انها فلسفة قوامها الفرد بنزعاته ورغباته وبذلك القلق الحاد الذي يسود غالبية جيل العصر ، بل وطلاسم الحياة نفسها ، فمن الصعب تأطيرها كمذهب فلسفي مغلق ، ذلك لسبب وجيه هو انها مذهب حياة ، والحياة معقدة وغنية بالمفاجآت ، ومن ثم اختار الوجوديون لأنفسهم طريقة العرض الروائي والمسرحي والقصصي لنظرياتهم الفلسفية ، وهي تعارض كل ما يندرج تحت العموميات والقوانين الكلية ، وبصفة عامة جميع المذاهب التي تقضي بذوبان الشخصية كمذهب «هيجل» الالماني مثلا .

واذا كان « كير كجورد » (1813 ـ 1855) يذكر دائما على انه ابو الوجودية ، فمن الخطأ الاعتقاد بأنها لم تخطر ببال احد قبل ذلك ، « فتوما الاكويني الاسكولائي » ادرك هو

7) القصة في الادب الانجليزي للدكتور طه محمود طه مجلة « القصة » عدد 2 السنة الاولى .
8) نفس المصدر ص 108 .
9) السريالية « لأدولف دوبليش » ترجمة بهيج عثمان .
10) « خواطر حول جنوح المذهب الطبيعي الى الزوال » بقلم (فليب راف) مقال نشر « بمجلة الآداب البيروتية العدد 11 السنة الاولى .

الذي اعتمد على الزمان والمكان او الكون الزماني المكاني ذي الابعاد الاربعة ، والمعتمد على الحركة المحة (اي الانتقال من نقطة زمانية مكانية الى نقطة اخرى) (3) .

واذا كنا لم يخطر ببالنا قط محاولة التعرض الى جميع المذاهب الفلسفية الغربية التي ظهرت خلال القرون الاخيرة ، بسبب ان ذلك قد ينحرف بنا عن القصد الذي نرمي اليه ، فاننا تحرينا الاشارة الى البعض منها مما قد تكون له مداخلة مع بعض المذاهب الادبية التي كان لها ابعد الاثر في الرواية الاوربية ، على اننا لا نغفل هنا الالماع الى اثر بعض المذاهب السيكولوجية والاجتماعية ، والكشوف العلمية في الموضوع ، فنظرية « فرويد » تسري مثيلاتها من تبني المذهب « البرغماتي » مثلا « ووليم جيمس » وهو العالم النفساني كان له ابعد الاثر في نتاج اخيه الروائي « هنري جيمس » ، وكان لبعض الاختراعات اثر لا ينكر في الرواية كذلك ، فاختراع الكاميرا مثلا قد بدأ اثره على الرواية في العناية بالحركة الخارجية وتسجيلها بدلا من الاهتمام بالدوافع النفسية ، والاعتماد على العقل الباطني .

وقبل التعرض الى بعض المذاهب الادبية واثرها في الرواية الاوربية يجب الا نغفل الاشارة الى تدخل مختلف العوامل السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية في نشوء تلك المذاهب بحكم النزوع الحي الى محاولة ايجاد الهياكل المثلى لتبيان الاجتماعية والسياسية والثقافية والادبية .

واذا كان الشرق الاسلامي لم يستلفت نظره من التراث اليوناني الا الفلسفة والطب والهندسة وغيرها من العلوم دون الاهتمام بالجانب الادبي والفني من ذلك التراث ، فان الفكر العربي الذي عرف كثيرا من ثبات العلوم عن طريق الفكر الاسلامي اقبل يتعرف على التراث الادبي اليوناني بواسطة المترجمين الذين نشطوا خلال القرن الثاني عشر ، حيث كانت المراكز الرئيسية لنشاط الترجمة بصفة عامة هي القسطنطينية والبرمو ، وطليطلة ، وهذه الاخيرة كانت اهمها حيث انشأ رئيس الاساقفة « ريموند » كلية للترجمة (4) ، وهذا ما جعل معظم الادباء يتجهون نحو الادب اليوناني ويتأثرون به جد التأثر ، ومن ثم كان في معظمه كلاسيكيا الى ان ظهرت الرومانطيقية ، وكان من حظ الرواية ان تحتضن هذا الاتجاه الادبي قبل غيرها في الشعر والمسرح ، اي منذ 1802 حيث اصدر الكاتب الفرنسي « شاتوبريان » روايته « رينه » التي تدخل في نطاق الرواية السيكولوجية ، وقد اصطبغت بها الرومانطيقية في بدء ظهورها ، شأنها في ذلك شأن روايتي « مدام دي ستايل » « ودلفين » « وكورين » ورواية « اعترافات في العصر » (لألفريد دي موسيه) وان كان التعبير هاهنا اكثر اتساما بميزات الرومانطيقية ، فهو ملتهب وفصيح وعاطفي يحمل التحليل بحركة مستعجلة لاهثة (5) ولا نكاد تظهر روايات « ستندال » حتى نرى الروح الرومانطيقية قد تطورت بشكل يعاكس ما رأيناه في « رينه » (لشاتوبريان) ، «واعترافات في العصر » (لموسيه) ، وان كان هذا لا ينفي ان مشاغل ابطال « ستندال » كانت نفس مشاغله هو ، مع شيء من الاهتمام بالاشخاص الثانويين ، واتساع المجال امام المخيلة ، مع تعقيد الدراما . ولم تلبث الرومانطيقية ان اتخذت التاريخ مصدرا لها بحكم النزوع الى التخصيص الذي اضيف اليه فيما بعد ذوق التجريد والحقيقة الخارجية التي هي احد الخطوط الرئيسية في الرومانطيقية (6) وكان ذلك ايضا على يد « شاتوبريان » في ملحمة « الشهداء » LES MARTYRS التي ظهرت سنة 1809 على ان « الكسندر دوماس » استطاع ان يوفر للرواية التاريخية ما اتسمت به من شعبية بقطع النظر عما وجه اليه من انتقادات لا مجال لذكرها هنا ، وفي هذا الصدد ينبغي الا نغفل عن ذكر رواية « نوتردام دي باري » (لفيكتور هيجو) التي ستتخذ الرواية الرومانطيقية على يده اطارها الاجتماعي في « البؤساء» LES MISERABLES دون ان نتجاهل تأثيره بالروائي سو SUE ولا سيما في روايته « اسرار باريس » .

اما الرواية الواقعية ، وهي من مواليد الرومانطيقية كذلك ، فكان رائدها المبرز بدون جدال « بلزاك » في رواياته الخمس والتسعين التي جمعها تحت عنوان « الكوميديا الانسانية » LA COMEDIE HUMAINE ، بالمقابل تتمثل الرواية العاطفية عند « جورج صاند » ويمكن القول ان الرواية استفادت من الرومانطيقية عمقها واتساعها ، وكانت اول الفنون الادبية احتضانا لهذا المذهب الادبي الذي قام على انقاض الكلاسيكية التي كانت الى القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر مسيطرة على الجو الادبي ، وانعكس على الرواية ما تتسم به الرومانطيقية من احلام واوهام وتعلق بالامور المعقدة ، وميل الى الحزن ، والتفكير في الموت ، والاغراق في الخيال ، والاستسلام للمصادفات ، والولع بالفروسية ، والهيام بالبطولات وهي جميعها خصائص الرومانطيقية .

هذا في فرنسا ، اما في انجلترا فقد ظهرت الرومانطيقية في قصص الغموض والخيال بظهور « قلعة اترانتو » (لهوراس والبول) ، وقد نشرت سنة 1764 . اما روايات « السير والتر سكوت » فيمكن ان تعتبر كمال للرواية التاريخية

3) فلسفة المحدثين والمعاصرين لـ : « ا . وولف » ترجمة الدكتور ابو العلاء عفيفي ص 115 .

4) تاريخ الفلسفة العربية « لبوير ادرسل » الكتاب الثاني ص 216 .

5) الرومانطيقية « لفان تيغم » ترجمة بهيج عثمان .

6) الرومانطيقية للمؤلف والمترجمين السابقين .

لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب ...

للأستاذ : الراجي التهامي الهاشمي

اطلعت صدفة اثناء قراءتي لمجلة « الاديب » البيروتية لشهر اكتوبر المنصرم فى ركن « بريد الاديب» على مراسلة الاستاذ عبد الخالق عبد الرحمن فى فى تعقيبه على مقال للاستاذ حسن الكرمي . الذي نشر فى عدد يوليو 1964 من نفس المجلة .

اشار الاستاذ حسن الكرمي فى مقاله المومأ اليه اشارة خفيفة الى لغة القرءان حيث قال : « وعلى هذا جاء القرءان الكريم بلغة قريش التي اجمع عليها العرب وجاء قرءانا عربيا مبينا ، ولم يأت غريبا ولا فى لهجة من اللهجات » .

دفعت هذه الاشارة الخفيفة بالاستاذ عبد الخالق عبد الرحمن الى مراسلة المجلة المذكورة رادا على زميله الكرمي بقوله :

« والحقيقة والواقع يثبتان خلاف ذلك . فالقرءان لم يكن بلغة قريش فحسب بل فيه من غيرها ، فقد ورد بلغة هذيل وكنانة ، وطيء ، وجرهم ، ومذحج وقيس عيلان وغيرها » .

وانا لا ادري هل الاستاذ الكرمي يريد ان يقول انه لا يوجد فى القرءان الفاظ من اللهجات الاخرى غير لهجة قريش ام انه يقصد فقط ان القرءان عربي مبين نزل فى معظمه بلغة قريش ، ووجود الفاظ من اللهجات الاخرى لا يؤثر مطلقا فى بيانه الناصع ولا فى قرشيته ، لان عبارة الاستاذ الكرمي مختصرة اشد الاختصار ، لم تهيئها عبارات سابقة كما لم توضحها عبارات لاحقة . فالحكم على اعتقاد الاستاذ الكرمي فيما يخص لغة القرءان حكم سابق للاوان .

غير ان الاستاذ عبد الخالق عبد الرحمن رد عليه بما سمعتم . وأحال قراء مجلة الاديب على كتاب له فصل فيه ذلك ، وعنوانه « «فضل القرءان على العربية » ولا شك انه كتاب مفيد سيسد ان شاء الله هذا النقص الذي نعانيه فى مثل هذه الدراسات .

الا ان الكتاب لم توضع له مقدمة بعد ، كما اخبرنا بذلك مؤلفه ، ولا زال لم يسلم للمطبعة حتى الان، وقد يطول انتظارنا له ، فمن يدري؟ ولهذا احببت — فى انتظار ظهور هذا الكتاب ان اطلع اخواني القراء فى المغرب — ولو بشكل مختصر جدا — على اللهجات التي وردت فى القرءان الكريم من غير لغة قريش . وانا لا ادعي انني ارد بهذا على الاستاذ الكرمي — فما احوجني الى علمه — اذ لا اعرف بالضبط هل يعتقد ما نسب اليه صديقه الاستاذ عبد الخالق . كما انني لا ادعي انني سأغني القارىء الكريم عن قراءة كتاب « فضل القرءان على اللغة العربية » الذي اتمنى ان يصلنا قريبا . ولكنني ءامل ان يعرف قراؤنا ان فى العزيز لهجات كثيرة وانه لم يقتصر على لغة قريش وحدها .

وانا لا ادخل فى هذا العرض البسيط الى التفاصيل والخلافات والابتكارات التي وصل اليها بعض الباحثين المعاصرين فى هذا الباب ، وانما اقتصر هنا على ذكر ما اتفق عليه المفسرون القدماء .

ولقد عددت اثناء تلاوتي للقرءان الكريم ، معتمدا فى ذلك على شرح العلامة الورع الزمخشري المسمى بالكشاف وعلى ما ورد فى ذيل تفسير القرءان للامامين محمد بن احمد المحلي وابي بكر السيوطي من لغات قبائل العرب لابي قاسم بن سلام ، اقول عددت 45 لهجة . وقد اكون نسيت اخرى ، ولعل بعض الفضلاء يدركون ذلك بعدي ويطلعوننا عليه مشكورين .

ايضا قبل « كبر كجورد » ان المجرد غير موجود ، وان التجريد يرتكز على الفرد ، وان هذا الفرد هو نقطة الانطلاق » (11) .

ووجود الفرد سابق على ماهيته من وجهة النظر الوجودية. ويكمن هذا الوجود فيما يقوم به الفرد من اعمال، وما يتخذه من مواقف ، ومن ثم كان عليه ان يجعل لوجوده نكهة وجدة ، وهذا يعني الانتقاء ، وهذا بدوره يعني الحرية والمسؤولية في آن واحد ، على ان نتجاوز هذه المسؤولية الشعور بالحرية في اختيار المصير الى اتخاذ هذا الفرد موقفا مما يدور حوله في هذا الكون ، فهو مسؤول عن كل شيء « مسؤول عن الحرب كما لو كان هو الذي اعلنها » على حد تعبير « سارتر » في « الوجود والعدم » .

هناك فكرة تطبع ادب العصر حسب رأي « جورج برنانوس» هي ان « كل شيء ينبغي ان يعاد ويبدأ من جديد (12) » اذ ان الانسان يلقي نفسه وحيدا امام نظريات جاهزة يرفضها ويحمل مسؤوليته في وحدته هذه . ومن ثم يشتد قلقه وحيرته ، وتتضاعف مسؤوليته ، وهذا هو القاسم المشترك بين آثار كل من « برنانوس » و « مالرو » و « كراهام كرين » و « البير كامو » ، وصحيح اننا نلمس منذ بداية القرن العشرين ان « الحياة كفت عن ان تكون جاهزة » (13) نلمس ذلك عند « بيجي » و « اندري جيد » ، وصحيح ايضا ان « الحرية » و « الوعي » يأخذان مكان الصدارة في آثار «جيد» و «كوكتو» و « رال بغيه » بالقدر الذي جعل بطل الاول « لافكاديو » وبطل الثاني « توماس » المشعوذ ، ومن ابطال الثالث سكارى مراهقين لا يؤمنون بغير اهوائهم وحريتهم المبتة ، ولكن المأساة الانسانية تبدو عند « مالرو » و « كامو » اكثر جسامة حين يواجه الانسان مصيره وقدره ، في حين تتحول الوعي والحرية عند « روكانتان » بطل رواية « الغثيان(LA NAUSEE) « لسارتر » الى ضرورة قاسية وفاجعة (14) .

وفي قصة « ضباب » (لميجل اونامونو) الفيلسوف الوجودي تتجلى ظاهرة القلق الحاد من اجل المصير ، فلا يتورع « اونامونو » عن التدخل حينما قرر البطل الانتحار لينخرط معه في حوار عن الموت ، وحينما يموت البطل يحاول الفيلسوف الوجودي ان يبعثه مرة اخرى ، وفي الحلم تخاطبه البطل قائلا : « ان الذي يموت مرة لا يستطيع الخالق ان يبعثه ، لأن احدا لا يرى حلما واحدا مرتين » والحياة غير مبررة ، والشعور بهذا يتبدى لنا عند بطل « كامو » في قصة « الغريب »(L'ETRANGER)

ثم ان هناك نظرية تعني عدم الكفاية للقيمة الخارجية والاجتماعية لبناء حياة اخلاقية حقيقية ، وصدق انسان حقيقي وان لا قيمة للرضى الصادر عن الشهرة ، وصحيح ان هذه النظرية وردت على لسان « بوسويه » و « باسكال » الا انها اخذت مكانة اكبر فيما بعد عند « جيد » و « مالرو » و « بيراندللو » و « أنوي » واذا كان لهذا الاتجاه من معنى فهو تحد للقيم المندرجة تحت حضارة متجمدة يخيم عليها الرياء والطمأنينة ويعدم فيها عنصرا الاخلاص والقلق ، ومن ثم فان الاتجاه الفلسفي «لسارتر» يرتكز « على الصراحة والاخلاص ، والوعي ، والمسؤولية العارية دون اعتبار للقيم الجماعية والاخلاقية » (15)

والوعي بحاجة الى شيء يوعى او بعبارة « سارتر » نفسه « ان كل وعي هو وعي شيء ما » ، اما الاشياء بحد ذاتها فهي لا تحتاج في وجودها الى شيء ، فهي كثيفة ليس لها من عبثه ، وكذلك تبدو في « الغثيان » ، ولأنها موجودة بذاتها ، فقد اطلق عليها « سارتر » اسم الوجود ، ولكنها بالرغم من ذلك ليست شيئا دقيقا واضحا ، وانما الذي يضبطها ويكسبها معنى هو الوعي الذي يقطع شيئا من اشياء ، وهذا يعني انكار جزء من العالم اي ان الوعي يتجه نحو العدم الذي هو في الطرف المقابل، وهو عدم في نظر « سارتر » لا يهوي بالوعي وانما يرفعه ، ومن ثم فان الانسان ليس الا وعيا ينفصل عن الاشياء ويعطيها معنى .

وطبيعي اننا لن نستطيع في هذه العجالة الالمام بمختلف التأملات التي تطرحها الفلسفة الوجودية غالبا في صورة مواقف لأبطال روايات ومسرحيات ، وما اشرنا اليه منها ، وبالنسبة كذلك لما سبقها من المذاهب الفلسفية والادبية كان قصدنا منه بالدرجة الاولى تأكيد الحقيقتين التاليتين :

1) تدفق المجاري الثقافية المشبعة بروافد مختلفة في اوربا وتجددها وحيويتها .

2) مسايرة الرواية لهذا التدفق والتجدد والحيوية ، واحتضانها لكل جديد ، هذا في العالم الاوربي ، اما في الشرق العربي فذلك ما سنحاول التعرض له في مقال قادم حول الله .

الرباط ـ محمد الامري

---

(11) « الصراع في الوجود » (لبولس سلامة) ص 456 .

(12) « سارتر والوجودية » لـ : (ر . م . البيريس) ترجمة الدكتور سهيل ادريس ص 18 .

(13) نفس المصدر ص 17 .

(14) نفس المصدر ص 35 .

(15) نفس المصدر ص 66 .

12 — « وليجة » في سورة الانفال الايـــة 16 ومعناهـــا بطانـــة واوليـــاء .

13 — « عيلة »سورة التوبة الاية 28 ومعناهـــا الفاقة ونطق بها بعض القـــراء بالهمز بمعنى المصـــدر كالعافيـــة .

14 — انفروا « الكائنة في سورة التوبة » الاية 38 وجميع الكلمات التي تستق منها كـ «الاتنفـــروا» في نفس السورة الاية 39 .

15 — « السائحـــون » التي بمعنى الصائمون الموجودة في سورة النوبـــة الاية 112 .

16 — « غمه» في سورة يونس الاية 71 ومعناها في هذه اللهجة التي نتحدث عنها شبهـــة .

17 — قوله جلت قدرته في سوره يونس الايـــة 92 التي يقول فيها الفرعون اللعيـــن ، يوم غرقـــه في البحـــر : « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفـــك ءايـــة وان كثيرا من الناس عن ءايتنا لغافلون » .

فلفظة بدنك الوارده في هذه الاية الشريفة هي مـــن هذيل ومعناها الدرع . ولقد قراها ابو حنيفه بابدانك يريد بدروعك . وعندنا شاهد ءاخر من الشعر العربي يظهر ان لفظة بدن نفسه تحمل معنى الدرع رمنـــــا لبس بالقصيـــر وكانت معروفـــة متداولة بيـــن الناس
اعادل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد

ويحكي لنا الرواه تعقيبا على هذا البيت ان هذا الشاعـــر كان يملك درعا من ذهب وهو هنا يفتخر به وبسيفه وبفرسه المكتنز اللحم .

18 — «حصيد» ولها معنيان ، اولاهما «منحدر من الارض » بلهجة العمالقة ، وثانيهما « ما سوى مـــن الارض » بلهجـــة قبيلتنا هـــذه التـــي نتحدث عنها . وتوجد هذه اللفظة في سورة هود الايـــة 100 .

19 — لفظة « ظل » الموجوده في سوره النحـــل الاية 58 ومعناها صار ورغم ان في الايـــة اشارة الـــى القبيلتيـــن خزاعـــة وكنانـــة اللتـــان كانتا تقولان ان الملائكة بنات الله : « ويجعلون لله البنـــات سبحانـــه ، ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهـــه مسودا وهو كظيـــم . » فان هـــذه المفردة هذلية لا جدال فيها ، هذا من جهـــة ومن جهـــةاخرى فـــان المعنى الاجمالي للاية لا يستقيـــم اذا اعتبرنا ظل بالمعنى المعروف المتداول بيننا الان في لغتنـــا .

ولقد خبط الذين تعرضوا لهذه الاية بالشرح خبط عشواء لم يخرجوا منها الا بالتأويلات البعيدة .

اما الزمخشري ، وهو اللغوي المحنك فقد غاص مع المفردة الى الاعماق وقال في شرحها : « ظل بمعنـــى صـــار »

لكن العلامة احمد بن المنير رد عليه في كتابـــه المسمى بالانتصاف بما لا يمكن ان يقوم حجة ضـــد ما ذهب اليه جار الله ، تلك المعنى التي اثبتناها اعلاه. قال : « جاز ان يراد الظلول نهارا لقصـــد المبالغـــة في وصفهم بالعنـــاد والاصرار وانهم لو عرجـــو نهـــارا في الوقت الذي لا تتغابى على البصـــر فيه شيء الـــى السمـــاء لتمادوا في كفرهم وتكذيبهم والله اعلم » .

20 — المبذرون: ومعناهاالمسرفون وهي موجودة في سورة الاسراء الايـــة 27 .

21 — شاكلته : وهي بمعنى ناحيته في اللهجـــة الهذلية وتوجد في سوره الاسراء الايـــة 84

22 — قوله عز وجـــل : « رجمـــا بالغيب » اي ظنا في الغيبة وتوجد هذه اللفظة في سورة الكهـــف الايـــة 22

23 — قوله تبارك وتعالى : « ملتحدا » ومعناه ملجأ ، وتوجد هذه المفردة بسورة الكهف ايضـــــا الايـــة 27 .

وقد يظن ظان ان لفظة « الكلمات » الموجودة في هذه الايـــة الشريفـــة معناها « اللفظ » . واعتقـــد — والله اعلم — ان المقصود ب «لكلمته » هي الايـــات القرءانيـــة ، وحجتنـــا على ذلك قولـــه تعالى : « واذا بدلنا ءاية مكان ءاية» وقولـــه كذلك : «ايت بقـــرءان غير هذا او بدله » فقال له ربه : واتل ما اوحي اليـــك من كتاب ربك لا مبدل لكلمته ، ولن تجد من دونـــه ملتحـــدا » .

24 — « يرجـــو » الموجودة في ءاخر ءايـــــة من سورة الكهف ورقمها 100 ومعناها يخاف بلغـــة هذيـــل .

« يتبـــع »

الراجي التهامي الهاشمي

واعتقد ان من المفيد جدا ان ارتب لك هذه القبائل حسب اهمية عدد مفرداتها الواردة فى كتاب الله العزيز .

واول قبيلةحظيتبقسط وافرمن المفرداتفى القرءان هي هذيل ، وقد احصيت لها 46 لفظة يقول المهتمون بهذه الدراسات انها من لهجة هذيل ، وزعت فى القرءان على الشكل الآتي :

1 — « بئسما اشتروا » : معناها باعوا بلغة هذيل وتوجد فى سورة البقرة الاية 90 .

2 — « لاعنتكم » الموجودة فى سورة البقرة الاية 200 ومعناها الاثم .

ويخيل الي ان اول من شرح هذا اللفظة بهذا المعنى هو المنذري ، روى عنه هذا ابو الهيتم . حين قال :

« العنت فى كلام العرب الجور تم فقلت له التعنت من هذا لا قال نعم . »

واعتقد ان هذا المعنى يوافق ما جاء فى حديث الرسول عليه الصلاة والسلام : «الباغون البراء العنت»

ومعلوم ان جميع الكلمات المشتقة من العنت هي كذلك من لهجة هذه القبيلة التي نتحدث عنها ، هكذا يوجد بآل عمران « وما عنتم » الاية 118 ، اما بالنساء فنقرأ بالاية 25 « والعنت منكم » وبالتوبة «وما عنتم» ونتلو بالحجرات « ولعنتم » وكلها بالمعنى الذي ذكرنا .

3 — « عزموا الطلاق » ومعناه حققوه — سورة البقرة الاية 217 .

4 — لفظة « صلوا » الكائنة فى سورة البقرة الاية 264 ومعناها نقبا .

5 — قوله : «ءاناء» الليل — سورة ءال عمران الاية 113 ومعناها ساعات .

6 — كلمة « فورهم » بسورة ءال عمران الاية 125 ، ومعناها حالا ، وعكسها التراخي كما قال الامام ابو حنيفة رحمه الله : « الامر على الفور لا على التراخي » ويرى الزمخشري «1» انها مشتقة من « فارت القدر ، اذا غلت » .

ويرى فقهاء اللغة ان هذه المفردة هي ايضا لهجة قيس عيلان وكنانة .

7 — مراغما . سورة النساء الاية 100 ومعناها مهاجرا ، وطريقا يراغم بسلوكه قومه ولا شك ان كل مشتقاتها من لهجة هذيل . كـ « على رغم انوفهم » والرغم الذي بمعنى الذل .

وراغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره هذا الفراق .

ويرى الزمخشري «2» : « واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب » .

8 — قوله عز وجل : « وجعلكم ملوكا » سورة المائدة الاية 20 . نلاحظ هنا ان المفسرين اختلفوا فى معناها . اما الامامان محمد ابن احمد المحلي وابو بكر السيوطي فيريان انها بمعنى احرار . اما الزمخشري فبعد ان يأتي برايه فى شرح الكلمة يقول : « ملكهم بعد فرعون ملكه » ثم يذكر ما ذهب اليه الشراح فى هذا الصدد فيقول «3» : « وقيل كانوا مملوكين فى ابدي القبط فانقذهم الله . فسمي انفاذهم ملكا ، وقيل : الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار . وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق .

9 — قوله عز وجل : « وما مسني السوء » سورة الاعراف الاية 188 ومعناها الجنون .

ولقد جاءت بنفس هذا المعنى فى سورة هود « بعض ءالهتنا بسوء » .

10 — لفظة « فرقانا » الموجودة فى سورة الانفال الاية 29 : « يا ايها الذين ءامنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم .

11 — قوله : « خرض » فى الاية 64 من سورة الانفال ، وقد جاءت فى هذه اللغة بمعنى حض.

1» الكشاف الجزء الاول صفحة 316 الطبعة الثانية — القاهرة 1953 .
2» المصدر السابق صفحة 431
3» المصدر السابق صفحة 482 .

ولولا ربنا كنـــــا نصــــارى
مع الرهبان فى جبل الجليـــــــل
ولكنا خلقنـــــا اذ خلقنـــــا
حنيفا ديننا عن كل جيــــــل
نسوق الهدي ترسف مذعنـــات
مكشفة المناكب فى الحلـــول

والواقع ، أن قيس بن الاسلت ، كان من الشعراء العقلاء ، فلم يرض عدوان قريش على محمد ومن تبعه، وكان يغضب أشد الغضب ، عندما يسمع اقذاع شعراء المشركين ...

سجل هذا الشاعر العظيم ، أمانيه فى ايقاف العداء فى قصيدته الطويلة :

ايا راكبا اما عرضت فبلغـــا
مغلغلة عني : لؤي بن غالب

وفيها يقول بعد أن يمدح قريشا ، ويصف ما تمتاز به من رجاحة العقـــــــل :

أقيموا لنا دينا حنيفا فأنتـم
لنا غاية ، قد يهندى بالذوائب

ولقد قال كعب بن مالك قصائد كثيرة فى هـــذا الصراع الدائر بين المسلمين والمشركين كان أكثرها فى الرد على ما تسول له نفسه من هؤلاء المعاندين ..

قال ضرار بن الخطاب وهو من شعراء المشركين فى غزوة بــــــدر :

عجبت لفخر الاوس ، والحين رائد
عليهم غدا . والدهر فيه بصائـــد

فرد عليه كعب بن مالك بقصيدة على نفس الروى:

عجبت لامر الله ، والله قـــادر
على ما أراد . ليس لله قاهـــر

*

شهدنا بأن الله لا رب غــيره
وأن رسول الله بالحق ظاهـــر
وقد عريت بيض خفاف كأنها
مقاييس يشهرها لعينيك شاهـــر
بهن أبدنا جمعهـــم فتبـــددوا
وكان يلاقي الحين من هو فاجر

ولما انتهت هذه الغزوة ، والقى من القي من الكفار فى القليب من قتلى المشركين ، وقف حسان بن ثابت ، والقى قصيدة طويلة ، يعدد فيها مزايا الاسلام ويبدي الشماتة بالكافرين :

... ...
... ...

يناديهم رسول اللـــــه لمـــا
قذفناهم كباكب فى القليـــب :
الم تجدوا كلامي كان حقـــا
وأمر الله يأخـــذ بالقلـــوب
فما نطقوا . ولو نطقوا لقالوا :
صدقت وكنت ذا راي مصيـــب

ولحسان فى هذا المبدان قصائد كثيرة . استقـى معانيها من معين الاسلام ، ودفعه حبه للدعوة الكريمة الى الدفاع عنها ، والذود عن حياضها بهذا الصنف من الحراب التى كان يشهرها المشركون فى وجه المسلمين ، كلما أعوزتهم الانتصارات . أو باءوا بالخسران والبهتان.

وليس أدل على صدق حسان من هذه الصـــورة الرائعة المنتزعة من نفسه حينما رثى الرسول الكريم :

بطيبة رسم للرسول ومعهـــد
منير . وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تنمحي الايات من دار حرمة
بها منبر الهادى الذي كان يصعد
وواضح آثار . وباقي معالم
وربع لها ، فيها مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها
من الله نور يستضاء ويوقـــد

*

ناهت وصاة المسلمين بكفــــه
فلا العلم محبوس ولا الراي يفند
أقول ولا يلقى لقولي عاتـــب
من الناس الا عازب العقل مبعد
وليس هوائي نازعا عن ثنائه
لعلي به فى جنة الخلد اخلـــد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره
وفى نيل ذاك اليوم اسعى واجهد

هل سائر الشعر الدعوة الاسلامية

للاستاذ : أبو طالب زيان

يخطىء من يظن أن الشعر ، لم يقف جنبا الى جنب فى الدفاع عن الرسول الكريم ، يوم جهاده الاكبر فى الدعوة الاسلامية .. فقد كان للشعر فى هذا الصراع العنيف مجال أي مجال ...

كان الشعر الجاهلي يتحدى الرسالة المحمدية بمختلف الاساليب ، وأقذع الكلمات ، على حين كان القرآن العظيم يهون من أمر الشعر ، ويخضد من شوكة الشعراء فى آيات كثيرة ...

ولكن هل كان الرسول الكريم ، يكتفي بتحدي القرآن لهؤلاء ، ووعيدهم الوعيد الاكبر ؟؟ ...

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يطلب من شعراء المسلمين أن يردوا على شعراء المشركين بما يفحمهم ويقضي على قولهم حينما يرى شعر : عبد الله بن الزبعرى ، وعبيدة المخزومي ، وأمية ابن أبي الصلت ، يذاع بين الناس ، ويفعل فعله فى النفوس !!

روى مسلم فى صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت : «أجب عني : اللهم أيده بروح القدس» وروي كذلك ان النبي عليه السلام ، قال لكعب بن مالك: « اهجهم : فوالذي نفسي بيده ، لهو أشد عليهم من النبل » ..

وليس ريب ، فى مدى تأثير الشعر على النفوس ، وما كان للشعراء الاسلاميين ولشعرهم من آثار ملموسة فى تأييد الدعوة الاسلامية فى مبدا أمرها ... حاول هؤلاء الشعراء ... ان يوجدوا علاقة ما بينه وبين ما يدعونه بشياطين الشعراء ولاسيما عندما جاء سواد بن قارب ينشد شعرا أمام الرسول الكريم ، يؤيد فيه دعوته ، ويعلن أنه قد الهم هذا الشعر ، وفكر بعض الشعراء فى أمر هذا الوحي ، الذى احدث تلك الهزة الكبرى ، نتيجة للدعوة الجديدة :

أتاني نجى بعد هدء ورقدة
ولم يك — فيما قد بلوت — بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة :
أتاك نبى من لؤي بن غالب
فرفعت أذيال الازار وشمرت
بي العرمس الوجنا هجول السباسب
فاشهد أن الله لا شىء غيره
وانك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة
الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك من وحى ربنا
وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة
بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

على ان هذه الدعوة الدينية الجديدة ، قد أحدثت حركة فكرية عند بعض الشعراء ، وحيرة فى الاهتداء الى طريق تستريح اليه النفس ..

غير ان قيس بن الاسلت ، استطاع أن يسجل هذه الخلجات فى هذه الابيات :

أرب الناس : أشياء ألمت
يلف الصعب منها بالذلول
ارب الناس : أما ان ضللنا
فيسرنا لمعروف السبيل
فلولا ربنا كنا يهودا
وما دين اليهود بذي شكول

عمليات السبر
أو مفحصة القرن العشرين

للأستاذ : عبد اللطيف خالص

- 2 -

وقد تعددت المنظمات المهتمة بهذه الابحاث في فرنسا منذ الحرب العالمية الثانية حيث شملت القطاعين العام والخاص وان كانت المنظمات والمعاهد ذات المصلحة العمومية لم تعرف الطور المنشود الا بعد مرور الاعوام وكر السنين . فقد بدأت هذه المعاهد العمومية بخطوات وئيدة لانها لم تجد من الدولة العناية اللازمة والرعاية الشاملة ولكن التطور الذي عرفه التخطيط بعد الحرب العالمية الثانية والنمو الديمغرافي الذي شهده العالم بعد توقف الحرب وانتشار السلام والازدهار الاقتصادي السريع الذي عرفته اوربا والاتصال المكين بين اقطار السوق الاوروبية المشتركة ادى الى تقدم هذه المعاهد العلمية اذ دفع بالدول والحكومات الى الاهتمام بها واعطائها ما تستحق من الرعاية .

فقد تكاثر عدد هذه المعاهد في فرنسا بكيفية عجيبة اذ اقبلت مختلف الوزارات والادارات والمصالح العمومية على انشاء معاهد مختلفة تعمل لحسابها . وهكذا فقد تأسس المعهد الوطني للاحصاء والدراسات الاقتصادية التابع لرئاسة الحكومة كما ظهر في الوجود المعهد الوطني للدراسات الديموغرافية الملحق بوزارة الصحة العمومية والسكان ومركز الابحاث والوثائق الخاصة بالاستهلاك التابع للمندوبية السامية في التصميم . ويبدو من الاسماء التي تحملها هذه المعاهد المختلفة ان مهمة كل منها محددة لايمكن الخروج عنها وان فروع هذا الاختصاص متعددة نستطيع ان نذكر منها الدراسات الاقتصادية بمختلف وجوهها والديمغرافية وهي علم يتعلق بدراسة السكان واسباب نمو عددهم وانخفاضه وتطور اساليب حياتهم وتأخرها كما نجد من بين اختصاصات هذه المعاهد الاهتمام بالصحة والوقاية وطرق الاستهلاك . ومن الطبيعي ان ينشأ بين هذه المعاهد تعاون مثمر ونشاط مستمر لان عمل كل منها يكمل عمل الآخر . وتعمل هذه المعاهد لحساب مصلحة من المصالح العامة كما تجعل نفسها في بعض الاحيان رهن اشارة منظمة عالمية او قطاع مؤمم . وقد تتعاون هذه المعاهد في كثير من الاحيان مع هيأة مهنية اذا كان الامر يتعلق بقضية تمس الصالح العام . ولا يمكن لهذه المعاهد ان تعمل مباشرة لصالح الشركات الحرة ولكن هذا لايمنعها ان تعمل لصالح هذه الشركة اذا طلبت منها القيام بذلك نقابة ارباب معامل السيارات او نقابة السائقين العاملين باحدى شركات التاميم . وقد سبق المعهد الوطني للابحاث الديمغرافية ان لبى طلب المنظمات النقابية القيام بمثل هذه الابحاث ولكنه لم يعمل حتى الآن لصالح شركة من شركات السيارات او مؤسسة معلومة من مؤسسات التامين وتعتمد هذه المعاهد في نشاطها على طرق السبر الجديدة السائدة في الاقطار الانجلوساكسونية . وقد تتكلل هذه الابحاث بنجاح كبير لانها تجرى على اشخاص ينتمون لمختلف طبقات المجتمع . ومما لاريب فيه ان هذه الاعمال مخالفة تمام المخالفة لما يجري في عمليات الاحصاء التي تكلف المشرفين عليها اعمالا شاقة ونفقات باهظة كما تختلف عن الابحاث الادارية التي لاتستطيع الخروج عن ميدان عملها المحدود . ومن جملة ما تمتاز به عمليات السبر انها العمليات الوحيدة التي يمكن ان تاتي بنتائج ايجابية في كل ما يتعلق بالاتجاهات والآراء والنظريات والمواقف

ومن مميزات هذه العمليات وفوائدها التي لا تتوفر عليها لا عمليات الاحصاء ولا الابحاث الادارية انها تتم بثمن مناسب حيث لاتتطلب ازيد من عشرات

ودون ما شك ، فقد لعب الشعراء الاسلاميون ابان الدعوة الاسلامية وفى أثنائها دورا خطيرا ، يتضح من شعرهم ، وينضح من ذلك المعين الكريم ..

لقد كان الهدف الاول لهذا الشعر حماية هذه الدعوة الاسلامية ، وتأييدها وتقريع خصومها ، فمشى بجانب القرآن يسانده ، ويرد عنه الكيد ، ويمنع عنه ما يراد به فى العلن والسر ، حتى كتب الله النصر ، واظهر الحق ، وأزهق الباطل ...

والواقع ، أن الشعراء على اختلاف العصور ، قد ذهبوا فى تناولهم للرسول مذاهب شتى ، تتمشى مع شخصية الشاعر نفسه ، ومدى كفاءته ، وان كانت تنطبع بالذوق الفني العام للعصر الذى قيلت فيه ، وتقتصر أحيانا على ابراز صفات النبي الكريم الخلقية والخلقيه وعاداته وأخلاقه ، وأحيانا تتناول حروبه وغزواته وكفاحه فى سبيل الدعوة ، كما تتناول سماحة الاسلام ، ومزايا تشريعاته .

وبعض الشعراء يقتصرون على ذكر السيرة النبوية وصفات النبى الكريم وشمائله وكفاحه وسمو تشريعاته وعلو تعاليمه .

أما فى العصر الحديث ، فان الشعراء لا يكتفون بذلك ، بل يربطون بين الماضي والحاضر ، ويدعون المسلمين الى الاقتداء بما فى السيرة النبويه من بعث وقوة .

ولا جدال فى أن هذا التطور الذى أصاب الشعر فى فتراته المتباعدة ، قد لون هذه المدائح بألوان مختلفة ، أصابت الشعر نفسه ، وحصرته فى الصناعات اللفظية ، وظهر اثر التكلف عليه ، وان كان فى فترات أخرى ، اخذت حقائق الاسلام تظهر بفضل جهود العاملين المصلحين ، وتنبه المسلمون الى ما ينبغي أن يكونوا عليه وبخاصة عندما برزت رسالة الاسلام السامية ، وشعر المسلمون بالمطاعن التي يوجهها اليه خصومه ..

ولقد لا نعدو وجه الصواب ، اذا قلنا : ان هذه الحقائق ظهرت فى مزايا الاسلام ، فاتخذها الشعراء مغنما لاذاعة البطولات والجهاد ، واستنهاض همم المسلمين ، ورسم المثل العليا ، وتبصير الناس بالسياسة التي ينبغي ان يسيروا عليها ، اقتداء برسول الاله الكريم صلوات الله عليه ...

والواقع ، ان الشعر الديني ليس مقصورا على نوع من الشعراء دون آخرين ، يظهر عند المحافظين وعند المجددين ، متأثرا بعاطفة التدين التى تعيش عليها الجماعة وان كانت بأقدار متفاوتة تتناسب وحظ كل شاعر من حاسة التدين ، ومدى اهتمامه بشؤون الجماعة التي يعيش فيها من الوجهة الدينية ..

لذلك كان هذا الشعر الديني مسايرا لاحداث الاسلام وتطوراته : نشأ فى ظل الاسلام يدافع عنه ، ويقف بجانبه ، ويسير جنبا الى جنب مع التعاليم الدينية ، ويحرض الشعراء على رد العدوان الذي كان يأتيه المشركون ازاء الدعوة الاسلامية الكريمة .

وساير الشعراء جميع النواحي الدينية ، والصراعات التي أحاطت بالاسلام فى كل العصور ، ووقفوا فى كل موطن من مواطن القوة أو مواطن الضعف التي وقف فيها الاسلام مواقف عدة : يدفع عن نفسه مرة ، ويدفع عنه هؤلاء مرات ...

على أن المتتبع لشعر هؤلاء الشعراء الاسلاميين فى كل مراحله ، يرى ان ينبوعه الاول ، ذلك الصراع العنيف بين عقيدتى التوحيد والشرك ، وقوة الدفع التى تمثلت فى كلام النبي ورضاه عن هذا السلاح البتار ، ودعائه لحسان وصحبه بالتأييد والنصر ...

القاهرة : أبو طالب زيان

والصناعة ما يضمن نجاح منجزاتهم واختراعاتهم وما يطمئن تخوفاتهم ويهدىء ترددانهم .

ومن الطبيعي ان تتطور هذه العمليات في الاقطار التي يتقدم فيها العلم بخطوات جبارة الى الامام والتي لايبقى فيها مجال للارتجال والتقديرات الفارغة والمعلومات الواهية والتي ترتكز على قواعد علمية ومسطرة تقنية اسها اتقان العمل ودعامتها التدبر قبل اخراج اي مشروع الى الوجود حتى تعرف حظوظه من النجاح او الفشل وجدارها التسلح بالارقام الدقيقة والضمانات الكافية .

اما في البلدان النامية فان هذه العمليات لازالت لم تجد المقام اللائق بها بين مختلف الوسائل العملية المعتمدة في هذا الميدان لان الارتجال يسود معظم هذه الاقطار ولان الاطارات الفنية المتمعة لا زالت لم تجد المكان الخصب لتجربة معلوماتها والحرية الكاملة للعمل حسب الوسائل التقنية التي وقفت عليها في عهد الدراسة والتحصيل وحسبنا ان نرى مايجري في مختلف الاقطار التي لازالت تسير بخطوات وئيدة في طريق النمو والتقدم لنعرف ما تفعله هذا الارتجال وعدم الاعتماد على الحقائق العلمية المجردة عن الاهواء والعواطف في مختلف القطاعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية .

فما هو حظ عمليات السبر في ميدان التطور الاجتماعي ؟ وما هي القواعد العلمية والحقائق الفنية التي تعتمد عليها هذه العمليات ؟ وما هي مصادر قوتها وضعفها ؟ وما هي طرق نجاحها والوسائل الكفيلة بتطبيقها ؟ وما هي وجوه استعمالها عند اصحابها ؟

تلك باقة من الاسئلة العديدة التي يضعها جميع الذين يتتبعون تطور هذه العمليات منذ نشأتها والذين يواكبون سيرها عبر العقود المختلفة من حياتها القصيرة والذين يومنون اشد الايمان بانها من انجع الوسائل واحسن الطرق لضمان نجاح مختلف المشاريع العمرانية والاقتصادية في مجموع اطراف الكرة الارضية .

وسوف لانعدو طور الحقيقة اذا قلنا بان تطبيق هذه العمليات في مختلف القطاعات والميادين خير لنا من الاعتماد على احصائيات قد لاتفي في كثير من الاحيان بالنتائج التي تعطيها والتي لاتخلو من اخطاء رغم اثمانها المرتفعة الباهظة وقد لا نصل الى هذه الحقيقة الصادقة الا بعد الوقوف على الاجوبة الخاصة بالاسئلة السابقة لان هذه الاسئلة ستزيدنا ايمانا ورسوخا بصدق هذه العمليات وصلاحية تطبيقها في مختلف الميادين . وذلك ما سنحاول القيام به في الجزء الاخير من هذا البحث .

للبحث بقية

الرباط : عبد اللطيف احمد خالص

الدراهم عن كل شخص كما تسمح بالحصول على نتائج فى اقرب الاوقات حيث لاتتعدى مدة بعض الدراسات المتعلقة بالاسواق بضعة شهور .

وتنفرد عمليات السبر بميزةخاصة لا تقل اهمية عن المميزات السابقة ذلك انها تسمح للمشرفين عليها بالحصول على عدد من الملاحظات حول الاشخاص الذين شملهم البحث وتوجهت اليهم الاسئلة التى يتعين الجواب عنها . ولنضرب لذلك مثلا بقضية تامين الحياة التى جرى بها العمل فى اوربا . فالاحصائيات التى نظمت فى هذا الشان لم تزد شيئا على احاطة المشرفين عليها علما بعدد الافراد الذين وضعوا تامينا لحياتهم ومبلغ الرأسمال الذي تم به التامين بينما اعطت عمليات السبر التى نظمت لنفس الغاية والتى شملت مجموعة من رؤساء العائلات على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية معلومات دقيقة عن وضعية هؤلاء الاباء تعرف مدخولهم المادي ومهنتهم وسنهم وعدد الاطفال الذين يعيشون تحت كنفهم وحقوقهم فى التقاعد اذا كانوا موظفين او مستخدمين زيادة على نوع التامين ومبلغ الراسمال .

ومن البديهي ان هذه المعلومات ستمكن من معرفة عدد رؤساء العائلات الذين يتوفرون على تامين مناسب او على تامين ناقص كما يسمح باعطاء بيانات وافية عن الافراد الذين لم يعملوا على تامين حياتهم رغم توفرهم على ضرورات التامين والاشخاص الذين امنوا انفسهم رغم عدم وجود اسباب تدفعهم للقيام بعمليات التامين . وهكذا فبعد تحليل دقيق لايخلو من صعوبة ورعونة تدخل فيه خمسة اعداد متحركة او ستة يتوصل المسؤولون عن هذه العملية الى نتيجة بسيطة تجمع عددا من المعلومات والبيانات الكاملة .

وبازاء هذه المعاهد الرسمية توجد معاهد حرة جعلت هدفها القيام بهذه العمليات بكل حرية ولصالح كل فرد تقدم اليها بطلب فى الموضوع . وتتعدد هذه المعاهد والمؤسسات الحرة بتعدد الاختصاصات من دراسات المنتوجات وابحاث حول السوق والتوزيع لمختلف المواد والدراسات المتعلقة بالاحصائيات وقضايا الاعلانات والاشهار والابحاث الخاصة بالجانب الاجتماعي . وسواء اكان الامر يتعلق بعدد التلاميذ الذين يرتدون سراويل قصيرة او سراويل طويلة فى الاقطار الستة باوربا او كان يتعلق بمدى فعالية الاشهار لنوع من انواع الادوية القاتلة للحشرات او كان الامر يدور حول توزيع الحوامض فى فصل من فصول السنة ــ اقول كيف ما كان الامر فان فى استطاعة اي فرد واية مؤسسة تجارية او ثقافية او صناعية ان يتقدم بطلب القيام بهذا النوع من الابحاث الى هذه المعاهد الحرة قبل الشروع فى انجاز السراويل الطويلة او فى صنع الدواء القاتل للحشرات او فى تصدير الحوامض .

ويمكن ان نذكر من بين هذه المعاهد المعهد الوطني للراي العام الذي اختص بالقيام بعمليات واسعة فى ميدان السبر والذي اسسه كل من السيدين سطوينزيل والفريد ماكس منذ سنة 1938 . ويقوم هذا المعهد بتنظيم اغلبية عمليات السبر فى فرنسا سواء طلب منه ذلك اشخاص احرار او ادارات عمومية وذلك فى مواضيع تختلف اهميتها من حين لآخر . فقد سبق للمشرفين على هذا المعهد ان نظموا عمليات كبيرة لسبر اغوار الرأى العام الفرنسي فى مواضيع شتى تتعلق بالسياسة الداخلية والوضعية الدولية والدفاع الوطني والوضع الاقتصادي والشؤون الاجتماعية كالصحة العمومية والشباب .... وغيرها ....

واذا كان الوضع الحالي يحاول ان يجعل الناس يعتقدون ان عمليات سبر الرأي العام الفرنسي لم تتطور الا فى احضان الجمهورية الخامسة فان الواقع يشهد بان الرأي العام الفرنسي عرف هذه العمليات قبل سنة 1958 حيث نظمت ابحاث مهمة فيما قبل حول المنظمة الاوربية للدفاع وسقوط حكومة السيد منديس فرانس والهجوم الذي على قنال السويس وحركة بوجاد والمنظمة الاوربية للفحم والفولاذ ومشكلة السارد وقد سبق للكاتب الفرنسي الكبير اندري مالرو ان طلب من المعهد الوطني للرأي العام ان يقوم فى سنة 1945 عندما كان مالرو وزيرا للانباء بعمليات سبر متعددة فى قضايا سياسية مختلفة .

كل هذه الاشياء تبين لنا بوضوح كامل الدواعي الظاهرة والخفية التى جعلت هذه العمليات تكتسي اهمية عظمى حتى اصبحت الادارات العمومية والمصالح الادارية والدور التجارية على اختلاف مستوياتها تعتمد عليها قبل الاقدام على انجاز اى عمل من الاعمال او تحقيق مشروع من المشاريع . وقد دفعت هذه العمليات بعض الافراد من كتاب وعلماء اجتماعيين واقتصاديين الى الاعتماد عليها فى مختلف اعمالهم الفكرية والعلمية المحضة ذلك انهم وجدوا فى هذه العمليات ما يبرر تاويلاتهم ويعلل تخميناتهم ويثبت معلوماتهم كما وجد فيها رجال الاقتصاد والتجارة

وملابسات . وفي ذلك تأكيد لكون حكمة الله شاءت ان يكون لنا جانبنا الحيواني المحتاج الى الشبع والري ، وجانبنا الانساني المتالي الذي يعيش على روائع الفن .

ونعود على بدئنا ، باحثين عن وسائل تكوين الملكة الفنية . وهنا اود ان اقف وقفة غير قصيرة عند كلمة «تكوين» التي ربما كان وقعها على اذان بعض الناس غير جميل ، ومدخلها الى نفوسهم غير محمود الاثر ، اقتناعا منهم بان الملكة الفنية ان هي الا موهبة فطرية ، اذا لم توجد في الشخص بحكم استعداده الطبيعي ، فلا سبيل الى تكوينها . وفي هذا خلط صريح بين الموهبة والملكة . وحقيقة الامر ان الملكة الفنية ترتكز من حيث الاساس على الموهبة الفطرية ، ولكن ليست اياها . فالموهبة نوع من الاستعداد الطبيعي للنبوغ في الادب والفن ، ولكن هذا الاستعداد يحتاج الى التهذيب والتربية الفنية ، حتى يرقى الى مستوى « ملكة فنية » يقدر بها صاحبها على تذوق الادب وانتاجه . واصدق دليل على ما نقول هو ان كثيرين من المثقفين يرتاحون لقراءة روائع الادب والاستماع اليها لكونها تتفق واستعدادهم النفسي والفكري ، ولكنهم لا يستطيعون ان ينتجوا الادب ، لكون مواهبهم بقيت عاطلة ، ولم تؤخذ بالتجارب الادبية لتتبلور في ملكات فنية . واذن فوجود الموهبة ضروري لوجود الملكة الفنية ، ولكن ليس من الضروري للموهوب ان يكون صاحب ملكة من هذا النوع ، ما دام لم يستغل موهبته ويتجه بها نحو القوة والنضج والفعالية . فالموهبة هنا شبيهة الى حد ما ببذرة الورد ، فالسر الوردي كامن فيها ، ولكن لكي يتسق ويتألق ، في حاجة الى تربة صالحة ، وهواء موالي ، وماء منعش ، وجو مناسب .

بعد ازالة هذا الالتباس نجد انفسنا وجها لوجه امام وسائل تكوين الملكة الفنية . وهي وسائل كثيرة متنوعة تنوع نواحي الحياة ومجالاتها ، من اكبر كبير الى اصغر صغير ، الامر الذي يجعل الاحاطة بها متعذرة ولو سودنا في ذلك عشرات الصفحات ، مما يضطرنا الى ان نكتفي بالوسائل الاكثر فعالية وتأثيرا .

من هذه الوسائل ما هو راجع الى اسلوب العيش ونمط الحياة التي نحياها . ومنها ما هو راجع الى وسائل التثقيف المعروفة ، والاولى اشد تعقيدا من الثانية ، لاتصالها بالحياة في مختلف دروبها ومنعرجاتها وواجهاتها ، فنحن عند ما نقول «الحياة» تنصرف اذهاننا الى كل خلجة من خلجات النفس ، وكل ارتعاشة من ارتعاشات الروح ، وكل خفقة من خفقات القلب ، تحت تأثير شتى الظواهر التي تحيط بنا من اهل واصدقاء واعداء ، ومآسي ومسرات واحداث وحروب ، وليل ونهار ، وبحر وجبل وسهل ، وحرارة وبرودة وكل ما هو من هذا القبيل ، ونحن خلال هذه الظواهر لابد ان يكون لنا اسلوب في الحياة نسير عليه ، وننظم شؤوننا وناتي ما ناتي وندع ما ندع وفق طبيعته . ونحن قد لا نستطيع ان نحيد عنه بحكم العادة الراسخة التي يعطيها مرور الايام صفة الثبوت ، وما دام الواحد منا اسير اسلوب حياته ، فان ملكاته وقواه النفسية والعقلية لابد ان تتأثر بهذا الاسلوب بكيفية او باخرى . وهكذا نجد ان الانسان المتعود على النظام في حياته — مثلا — غالبا ما تأتي افكاره وآراؤه منظمة ، على حين ان من تكون حياته فوضى غالبا ما تكون افكاره وآراؤه صدى لها ، وذلك للاتصال المتين الموجود بين حياتنا المادية وحياتنا الفكرية ، اذ ان كلا منهما تتأثر بالاخرى وتساهم في صياغتها وتكوين طبيعتها . والانسان القذر في جسمه وثيابه والجو المحيط به ، غالبا ما يجيء ادبه — ان كان اديبا — غير جميل ، ما دامت الاناقة الادبية تمت بصلة كبرى الى جمال الشخصية في محيطها الواقعي . لذلك كان الفنانون الكبار والادباء العظام حجة في السلوك الجميل والتصرف الجميل ، ولا يقدح في صحة هذه النظرية كوننا نجد احيانا بعض رجال الفن الذين لا تطابق بين فنونهم وانماط حياتهم ، بحيث تجد الواحد منهم يتسامى حين يشتمل عليه جو الخلق والابداع ، ولكنه ينحط الى الدرك الاسفل عندما يعود الى ظروف حياته العادية ، فقد قيل عن ابي الفرج الاصبهاني صاحب الاسلوب الشيق والعبارة الانيقة انه كان غير جميل الشكل ، بل هو اقرب الى القذارة منه الى النظافة ، وقيل عن ابي حيان التوحيدي الذي اسكرنا بفقراته الجميلة حتى انتشينا انه كان زري الهيئة . وقيل هكذا عن غيرهما من رجال الادب والفن . وما احسب هؤلاء الاشواذ من الناس لا يقاس عليهم . فعهدنا بالزهور انها تنتشر في الخمائل الحالمة ، ولكن هناك الزهور المتوحشة التي تنبت في البراري بين صخور واشواك !

وما دامت العلاقة قوية بين حياتنا العملية ، وملكاتنا العقلية والروحية فلابد ان يكون لاسلوب حياتنا اثر في تكوينها . واذن فأول ما يتعين على المتادب فعله ، ان يجعل من حياته جوا صالحا لظهورها وذلك قبل ان يتخذ نمط حياته قالبه النهائي ،

الملكة الفنية

للأستاذ عبد العلي الوزاني

- 2 -

ما اروع ان يجاهد المتأدب فى سبيل تكوين ملكة فنية ! ! انها رياضة الفكر والذوق والعاطفة ، واخذها بكثير من التجارب الفنية التي تكشف عن اسرارها البعيدة ، وتستغل ما ركب فيها من مواهب ، قصد استثمارها والتدرج بها فى مراقي الفن . وجميل جدا هذا التحول الذي يجعل نفوسنا غنية ثرية بمواهبها ، قادرة على ان تهب الحياة مخلوقات جديدة فى اشكالها وطبائعها . وعلى ان تعطيها معاني كلها روعة وفن . الامر الذي يزيد الحياة عمقا ويجعلها جديرة بان تعاش . فما من مرة قرانا فيها لشاعر كبير او كاتب موهوب ، الا احسسنا اننا اشد رغبة فى الحياة ، واستزادة من العيش . ذلك ان المعاني الجميلة التي يضعها ارباب الملكات القوية فى شتى مظاهر الحياة . تجعل كل ما حولنا ينبض ويتحرك ، ويتكلم بالف لسان ، ومن ثم تزداد صلتنا بما حولنا قوة وعمقا، وهكذا نستمد مما يحيطنا من منازل وشوارع ، او جبال او بحار اصدقاء لنا ، نبادلهم الحديث ، ونبثهم النجوى ، ونحن اليهم حنين الاخوة الاشقاء بعضهم الى بعض ، متى فصلتنا عنهم عوادي الزمن ، وترامت بنا صروف الايام هنا وهناك .

رحلة ممتعة ان نطوي مراحل العمر صحبة فنانين اقوياء بطبائعهم وملكاتهم ، اذ يفتحون اعيننا على عوالم كبيرة ، ويستلون من بصائرنا خيوطا من نور وهاج ، تهدينا الى الخير والحق والجمال ، وتنير لنا الطريق فى مدلهمات الليالي ، وتضيء ما خفي علينا من اسرار نفوسنا ، فنرى انها دنيا من المشاعر والاحاسيس ، تفتحت تحت اشراف الفن الجميل ، وتلك هي المزية الاولى للمواهب والملكات الفنية ، والا لما استحقت منا كل هذا النضال ، من اجل تفتحها واشراقها ، وما من مرة احتفلت ربات الفن بميلاد ملكة فنية جديدة الا كان ذلك كسبا للحياة الانسانية فى مستواها المبدع ، اذ ان الملكة الفنية ليست الا القدرة على التجديد والابتكار . وما من فنان يحمل هذا اللقب عن جدارة الا كان مجسما لاسمى ما ركب الله فى نفس الانسان من قدرة على الانشاء والتكوين .

ولكن لم كل هذا الكلف بالانشاء والتكوين من طرف عشاق الفن ؟

لم كل هذا الشغف بالخروج على الروتين المالوف ؟

اذا اردت ان تصل بنفسك الى الجواب المريح عن هذا السؤال ، فهب نفسك لعمل فني فيه ابداع ، واتركها تحت سحره مدة تقصر او تطول ، وعشه بكل ما اوتيته من روح ووجدان ، ثم عد الى نفسك لتبادلها الراي حول ما رايت وماسمعت وما احسست فستجد انك لم تخرج من العمل الفني كما دخلت : روحك نشوى ، وقلبك شاعر ، وعينك حالمة ، واذنك سكرى . وخيالك شعلة من نور . فكان فتون العمل الفني بدلك انسانا آخر ، ولكن المأساة هي ان هذا الجو الذي يشتمل علينا تحت سلطان الاعمال الفنية الكبرى ما تلبث شؤوننا الصغيرة ان تنتزعنا منه لنعود الى حالتنا العادية، فتخبو الشعلة وتبرد العاطفة، وينقشع ضباب الاحلام ، لنواجه حقائق حياتنا وجها لوجه ، ونسلم انفسنا لدوامة مصالحنا المادية وكان شيئا لم يكن . ونحن لا نستطيع ان نجعل حياتنا كلها احلاما شعرية مذهبة الحواشي ، وليس فى وسعنا الا ان نكون بشرا من البشر ، نسف تارة ونسمو اخرى ، حسب ما يحيطنا من ظروف

طويلة الامد ، ولكنها غير ذات عرض وعمق ، لوجدت ان لا وجه للمقارنة بين الحياتين ، اذ الاولى قوة وابداع واضافة خصبة الى الحياة الانسانية ، على حين ان الثانية عدد من الارقام ، ويوم واحد متكرر لا يرمز الى رصيد فكري أو روحي يكون له وزنه في اعطاء حياة الانسان معنى الانسانية المثلى

اذا نحن استفدنا من الحياة على الوجه الذي شرحناه ، كانت امامنا كتابا مفتوحا نقلب صفحاته التي لا نهاية لها ، لانها من صنع اعظم قوة في الوجود ، قوة لا حد لارادتها وعبقريتها فيما ابدعت وما تبدعه كل يوم من مشاهد الحياة وتقلباتها . ونحن عندما نتأمل هذا الكتاب ، فالحقيقة اننا نتامل انفسنا ، اذ نجد خلجاتها وعواطفها منعكسة على المرئيات والمسموعات . ومعنى ذلك اننا نعيش انفسنا الى ابعد اعماقها ، ونفسح لها المجال الواسع للتفتح والاشراق

ولكن لكي نحيا حياتنا بهذا الشكل ، يجب ان نستعد لتحمل التضحية التي يفرضها هذا الاخلاص الشديد للحياة . ففي استغراقنا لمعطيات الحياة كثير من الدموع والاحزان ، الى جانب البسمات والمسرات . نعم كثيرا ما يكون ثمن التجربة الحياتية الفنية بالمعاني دمعة تترقرق في المآقي ، ونارا تتلظى في الفؤاد ، وحريقا يسري في الاعصاب ، فالذي يعش الحياة مندفعا نحوها بكل قواه ، لابد ان يوطن نفسه على تقبل حلوها ومرها ، نعيمها وجحيمها ، ما دام كل شيء في هذه الحياة نسبيا وموقتا ، فهي ما ان تسعدنا حتى تعود فتشقينا ، وما ان تسقينا كؤوسا مترعة بما لذ وطاب ، حتى تبادرنا بكؤوس اخرى تفيض مرارة ، فتجتاحنا مشاعر عنيفة شديدة الوطأة على نفوسنا ، حتى لتخرجنا احيانا عن طورنا ، وترمي بنا في دوامة لا ندري ما يترصد لنا فيها من اهوال . وكم اديب مرهف الحس حاد المزاج اوردته هذه المشاعر موارد الهلاك ، وكانت نهاية حياته اما بالجنون او بالانتحار . وحتى اذا ردت الينا نفوسنا بعد هذه المعارك النفسية العنيفة ، فهي لا ترد الينا سالمة معافاة ، بل تصيبها كثير من الجروح الدامية التي قد تلازمنا ءاثارها مدى العمر ولكن يعزينا عن مصابنا الحزين المؤلم ، ان ملكاتنا الروحية تتوهج وتنتفض وتشرق لتكون لنا مصدر ثروة لا ينفذ لها معين ، واننا نكتسب القدرة على ان نضاعف صور الاشياء التي تنطبع على صفحات نفوسنا ، وعلى ان نهب الحياة اشياء لم تكن فيها فالادباء والشعراء الذين تقرأ لهم فينفذون الى اعماقك

ويثيرون فيك اسمى العواطف ، وينقلونك من جوك الخاص الى اجواء تختلف في مناخها الروحي ، وتتحد في قدرتها على الاعجاب والامتاع . هؤلاء لم يستطيعوا ان يصنعوا بك ما صنعوا ، الا بعد ان ادوا الثمن غاليا من دمهم واعصابهم وعصير حياتهم . فما اكثر ما تألموا او سهروا واحترقوا من اجل ان يرفعوك الى سماء احلامهم الجميلة ، وان يذيقوك نشوة الفن ، ويصلوك بما لم تر عيناك من عوالم الكون الذي تعيش فيه .

مما تقدم يتضح ان المعاناة الشخصية تعتبر من اهم وسائل تكوين الملكة الفنية ، ولكنها المعاناة المصحوبة بتفتح في الذهن ، ونشاط في الخيال ، وعمق في الاستجابة ، وحيوية في الحواس والجوارح ، الامر الذي يعطي للمعاناة معناها الدقيق ، ويبعد بها عن ان تكون تجربة عقيمة . فكلنا نعاني الحياة في مختلف نواحيها ، ولكن منا من تنزل معاناته الى حدود التجربة الحيوانية ، ومنا من ترقى معاناته الى مستوى انساني ممتاز ، وبين المنزلتين منازل تتفاوت تفاوت الطبائع البشرية ، واختلافها في الميول والاستعداد والاجهزة النفسية والعصبية . والمعاناة التي نريدها هنا ، والتي تساعد على تكوين الملكة الفنية ، هي المعاناة الحية الفاعلة الواعية التي ترقى الى مستوى الايحاء ، وربما الالهام .

وبعد ، فماذا يحدث لمواهبنا الفطرية عند ما نعاني الحياة في اعوص مشاكلها ، واخطر قضاياها وادق نواحيها واغناها بالمفارقات ؟ الذي يحدث هو اننا نهتز من الاعماق ، ولا شيء يبعث الطبائع الفنية ويثيرها ويتحداها كهذا الاهتزاز ، حيث تخرج النفس عن طورها العادي ، وتشملها انتفاضة قوية تحرك الكوامن ، وتنثر الرواسب ، وتكهرب ما استقر في اعماقنا من مآتي الفطرة . حتى لنكتشف في نفوسنا جوانب كانت خافية علينا ، فكشف النقاب عنها شفوف الاحساس .

وليس من الضروري للمعاناة القوية ان يكون الباعث عليها صاخبا تصحبه ضجة عنيفة ، فربما كانت الظروف المحيطة بنا لا توحي في ظاهرها بصخب ولا عنف ، ولكنها تعني لدينا الشيء الكثير . كما ان المشاعر نفسها ليس من الضروري ان تكون من النوع الصاخب ، لتثير المواهب وتستدعي الملكات ، فرب شعور لطيف رقيق هادىء ، تنتشي به الروح ، يستطيع ان يتسلل الى مكامن الفن في نفوسنا لينشر فيها الدفء ، فتنتفض وتستحيل الى كتلة من نور .

فيتعذر عليه ان يغير ما عملت الايام الطويلة على استقراره ورسوخه . والصفة الجامعة لمحاسن الحياه التي تهيىء لظهور الملكة الفنية هي « الجمال » وهي كلمة غزيرة المعاني والصور ، ففن جمال في الخلق الى جمال في العمل ، الى جمال في طريقة تناول الاشياء المادية او المعنوية ، الى جمال في الثوب والمسكن ، الى جمال في الكلمة ، الى غير هذا مما لا نحصي عددا . كلها مجتمعة تطبع حياتنا بطابع جميل . والجمال ليس منحصرا في الهدوء ولين العريكة ، ولطف الشمائل كما قد يتبادر الى الذهن، فمن الجمال ما هو اقرب الى الاقتحام والشدة والهجوم في غير ظلم ولا اجحاف . فالفنانون الثائرون المجاهدون انتصارا للحق وازهاقا للباطل ، الشجعان في رايهم وعبارتهم ، هم ايضا في عنفوان جمالهم المعنوي والعملي . فالاسد جميل حتى وهو مفترس لا يرحم . والبركان القاذف بشهب النار جميل ، وان كان لا يبقي ولا يذر ، والبحر العاتي الجبار هو ايضا جميل ، بالرغم من جبروته القهار . الجمال قوة ، والقوة قد تظهر في شكل وديع لطيف ، وقد تظهر في شكل جهم عنيف .

فاذا استطعنا ان نجعل حياتنا جميلة بالمعنى الذي تقدم ، فعلينا ان نحياها بكل جوارحنا ومشاعرنا منغمسين فيها من فرع الراس الى اخمص القدم . نلتقط ونسجل ونرقب ونلاحظ ، مفتحي الوعي حاضري الخاطر ، متخذين من حياتنا الخاصة نقطة انطلاق نحو الحياة في نطاقها الواسع الشامل لنحياها ملء كل جارحة من جوارحنا ، ستنطق الاماكن ، ونستوحي الحوادث ، ونستلهم التجارب ، دون ان يكون عندنا فرق بين الحادث الكبير والحادث الصغير ، والتجربة البعيدة المدى ، والتجربة الضيقة الحدود ، اذ كلها تستوى في تنبيه مواهبنا ، واثارة ملكاتنا ، وصياغة احساسنا الفني ، وردة ذابلةداستها الاقدام ، نقف عندها لنتاملها لحظة ، قد تصلنا بما لا نحصى من الخواطر والاحلام . وجدار متهدم نهبه انفسنا برهة ، لنقرأ ما خطت عليه يد القدر ، قد يقوم لنا منه الف خطيب ، ليحدثونا عن عجائب الحياة وعبر الايام . وكذا قل بالنسبة لكل الاشياء التي نعدها صغيره ، والتي قد نمر بها فلا نعيرها ادنى اهتمام ، مع ان فيها ذخائر للعقل والروح ، كفيلة بان تقدم لمواهبنا غذاء صحيا لو اننا فسحنا لها من صدورنا جانبا . وفتحنا اذاننا وعيوننا وبصائرنا لما تفيض به من بليغ الحكمة ، وروائع المعاني وعميق الاسرار .

ولكن هي العادة !! اعدى عدو للروح المتجددة ، والفكر المتطور ، والمواهب المتوثبة ، فالعادة تقتل في كل ما يحيط بنا معاني الحياة التي فيه ، وتخنق فيه الانفاس ، فلا يلبث ان يصير بالنسبة الينا تافها بسيطا خاليا من اي مغزى ، واذا بنا اذ نمر به نحملق فيه كالبلهاء ، ا وقد لا نلتفت اليه على الاطلاق ، واكبر علامات افلاس الانسان شعوريا وفكريا ان تموت الاشياء التي تحيط به بالنسبة اليه ، فتفقد كل معنى وتتوقف عن الايحاء . كما ان من اكبر علامات حيويته وقوة استجابته ان يرى ما يحيط به كل يوم جديد او كانه يراه للمرة الاولى . فالشمس التي تشرق على بيته كل يوم ، نحمل اليه في كل صباح هدية جديدة . وشارعه الذي يمر به يتكشف له دائما عن صور جديدة للحياة ، ونافذته التي يفتحها مع مطلع كل شمس تريه الدنيا كل يوم في شكل جديد . ولكن ما اسق ان يخرج عن سلطان العادة ، لتكون صلته بالاشياء على هذا النحو المتطور المتجدد .

ووسيلتنا الى مجاهدة العادة ، العدو التي تترصد لنا في كل نواحي الحياة ، هي تفتح الذهن بكيفية دائمة لتعليل كل ما يحيط بنا وتفسيره ونقده والخروج منه بفكرة ، ثم القراءة الفعالة الهادفة التي تهيئنا للاستفادة من الحياة ، وتفسر لنا الغازها واسرارها ، وتدفع بنا الى الفضول الفكري الذي لا يقتنع بشيء . فبذلك تحارب الركود الناشىء عن العادة . ونكون دائما متحفزين لانطلاقة جديدة . نحو اكتشاف المجهول . والبحث عن اسرار الاشياء .

فان نحن تذوقنا الحياة على هذا النحو ، وضعنا ايدينا على ذخائر لا تنفد من المعاني والمغازي الناشئة عن ادراك العلاقات الموجودة بين الاشياء ، وتأتي لمواهبنا ان تتبلور وتنفى عنها الزيف لتبرز على حقيقتها . وكل يوم نذوقنا للحياة فيه طعما جديدا، او لمحنا فيها معنى طريفا ، او مررنا بتجربة من تجاربها الغنية العديدة ، كان ذلك تدعيما لهذه المواهب ومدعاة لصقلها وتهذيبها وتطورها فتشرق بين جنباتنا وتكون لنا نبراسا نسير في حياتنا على هديه ، فنشق طريقا نحو الهدف الذي خلقنا من اجله، صادرين عن طبائعنا الخاصة ، والانسان الغني بتجاربه هو اوسع الناس افقا ، وارحبهم نفسا واكبرهم قلبا ، اذ انه يستمد من كل خطوة يخطوها مادة للفكر ، ويستلهم من كل رعشة يرتعشها غذاء للروح فتكون حياته غنية خصبة مثمرة ولو لم تمتد في عمر الزمان طويلا ، لكونها تقاس بما فيها من خصب وانمار ، وما تستطيع اضافته من جديد ، ولو قارنتها بحياة اخرى

سريعة ، فقد عوضتنا عن ذلك بعدا في عمقها ، عنى في ايحائها حتى انها لتزري بايام من حياتنا قد نستوحيها من روائع الفن ما يقاوم الزمن ، يخلد على الدهر ما بقي الدهر ، فاروع ما ابدعت بشرية الانسان من فنون وءاداب ، انما كان هبة من عبات هذه اللحظات الخاطفة .

وهنا اجدني امام مسألة هامة ، من حيث ان لها دخلا كبيرا في تعبئة مواهبنا الفطرية وتهذيبها والنهوض بها الى مستوى الملكات الفنية ، بالاضافة الى العوامل السابقة ، تلك هي الا يبقى المتأدب مجرد منفعل بالحياة ، بل يجب ان يكون فاعلا فيها ايضا . ساير بظروفها واحداثها ويؤثر فيها . فالانفعال يحرك المواهب ويثيرها ، والفعل يدربها على الممارسة والاحتكاك الايجابي بماجريات الحياة ، فتكتسب قابلية للتطور ، وتأخذ في التبلور والتحصن ضد كثير من الآفات التي تترصد لها . فاذا شعر المتأدب بجمال شيء ما — مثلا — فعليه ان يحاول اشعار الآخرين به . واذا ثار بينه وبين نفسه غيرة على حق مهضوم ، وجب ان ينقل هذه الثورة الى من يحيط به، واذا تعرض لاية تجربة نفسية قاسية او سارة اوصلها الى الاخرين لاشراكهم فيها . وهو يفعل كل ذلك سواء بأقواله او كتاباته . فالمهم هو الا يقتصر على تلقي معطيات الحياة . فذلك قد يؤدي به الى نوع من السلبية . تجعل مواهبه في ركود ، وانما يحاول ان يصدر تلك المعطيات الى من حوله من الناس ، بعد ان يلقي عليها ظلالا من استجابته الخاصة . فرق كبير بين من يكتفي بتذوق فن الرسم ، ومن يحاول ممارسته احيانا ، وبون شاسع بين من يكتفي بتذوق فن الادب ، ومن يتذوقه ويساهم فيه بشيء من انتاجه فالمواهب لكي تصقل وتهذب وتتسامى . لابد من استخدامها بكيفية مستمرة . الامر الذي يكشف عن جوهرها الاصيل . وينفي عنها كل زيف ، وجميع الطفيليات العالقة بها .

وهنا قد يعترض معترض بان الموضوع هو « وسائل تكوين الملكة الفنية » اي ايضاح العوامل التي تؤدي الى حصول المتأدب على قوة فكرية وروحية يقدر بها على الانتاج الادبي ، على حين انني اجعل الانتاج من وسائل تكوينها ، اي انني اجعل الغاية وسيلة . والجواب على هذا الاعتراض ، هو ان الانتاج اذا كان نتيجة تكوين الملكة الفنية من جهة ، فهو باعث على ايجادها من جهة اخرى . فالغاية النهائية لا وجود لها في هذه الحياة، اذ الشيء يكون علة لشيء ونتيجة لشيء ءاخر في ءان واحد . وعلى هذا فمحاولتنا ان ننقل الى الاخرين ما عندنا من شعور واحساس ، يجعل مواهبنا تمر بدور الاختبار والتجريب والتمرين . ونحن في هذا الصدد شبهاء بصغار الطير حينما تشرع لاول مرة في استعمال اجنحتها الضعيفة الواهنة ، فما ان تقوم بهذه العملية عدة مرات ، حتى تقوى على ان تطير ، ثم على ان تحلق في الاجواء العليا ، فالنسر المحلق في عنان السماء كان يوما عاجزا عن الارتفاع عن وكره ، ولكن هي التجربة التي جعلت منه سيد الاجواء دون منازع .

والعملية التي تحدث لمواهبنا عند ما ننتج — ايا كانت قيمة هذا الانتاج — هي انها تخرج من طور الغموض والابهام الى طور الوضوح . فقبل ان نزاول عملية الكتابة كنا نتجاوب مع الادباء والشعراء الذين يعبرون عن عواطف شبيهة بعواطفنا ، ونرتاح لمظاهر الجمال بقدر ما ننفر من مظاهر البشاعة ، ويدعونا هواتف الوجدان الى ان نعير حواسنا لآيات الجمال في الكون والطبيعة ، ونتعشق لحظات الصفاء الروحي ، حيث نخلو الى نفوسنا لنبثها النجوى ونطارحها رقيق الاحاديث . ولكن كل هذا يكون مصحوبا بغموض في هذا السر الذي بين اضلعنا . والذي نصدر عنه في اعجابنا بالجمال الطبيعي والابداع الفني ، دون ان نستطيع له تحديدا ولا ان نفهم طبيعته وما خلق له . نعم قد نعرف اننا خلقنا للادب ، وان لنا موهبة ادبية ، ولكن ما مدى قدرة هذه الموهبة على ان تبدع ؟ ما قيمة ما يمكن ان تهبه ؟ ما مبلغها من القدرة على التطور ؟ ما هو الفن الادبي الذي ينسجم مع طبيعتها ؟ اهو الشعر ؟ او هو القصة ؟ اهو المسرحية ؟ تلك اسئلة لا يملك المتأدب الاجابة عنها الا اذا حاول ان يختبر موهبته ويحملها على الانتاج الادبي ليرى مدى فعاليتها واستعدادها للابداع والانشاء . ويزيد الامر وضوحا كون الانتاج الادبي ليس مسألة موهبة فقط ، بل هو ايضا مسألة صناعة لها اصولها وقواعدها التي تتسع لجميع المواهب على اختلاف اصنافها . وهو — اي الانتاج الادبي — ما دام صناعة ، كان لزاما على ابناء الحياة الادبية ان ساهموا فيه منذ وقت مبكر ، حتى يكون عندهم مجال للاختبار المتواصل المقوي للفكر ، الباعث على التطور ، والمؤدي اخيرا الى صنعة الكتابة الادبية، وهذا يقودنا الى هذه الحقيقة البديهية ، وهي ان الانتاج الادبي ليس مجرد مواد خام من العواطف والاخيلة والافكار والخواطر والكلمات ، ولكنه ايضا قوالب فنية لابد من ان تراعى في صياغة تلك المواد .

والمعاناة المغذية للمواهب الفطرية لا تعـــرف ميدانا دون ميدان ، او لونا مــن الحيــاة دون ءاخر ، فمجالها هو الحياة كلها طولا وعرضا وعمقا ، فهـي في ميادين الفنون مثلها في الميادين الاخرى التي قد لا يكون للفن صلة مباشرة بها ، فالمهم هو صـــــدف الاستجابة ، وعمق التلقي ، وسواء بعد ذلك ان تكـون المعاناة متصلة بهذه الناحية من الحياة او تلـــك ، فانتظارنا الطويل لصديق غائب ، او فشلنا في حـل مشكلة حسابية ، او نجاحنـا في امتحان ، او فرحنـا بسبب حللنا به حديثا ، او ذهابنا الى محطة القطـــار بعد خروجه منها ببضع ثواني ، او وقوفنا امام رسم جميـل ، كل ذلك سواء ، ما دامت العبرة بالاستجابة ذاتها ، بقطع النظر عن الباعث عليها . فكم من حـدث يضطرب له الناس من حولنا ، فيذهبون ويجيئـون بانبائه وعجائبه ، لا يثير في بعضنــا ما فـــــد يثيره قطة اغلقنـا عليها باب حجرتنا سهوا يوما او بعض يوم ، فحرمناها نعمة الحريـة ، فلما افرجنـا عنها صرنا نهبا لعدد من الانفعالات المتصارعة . وكثيرا ما نكون وسط مجموعة من الناس ، فيظهر علينا مـن سكون الاوصال ، وهدوء النظرة ، ما يخيل اليهـم معه انا في سلام مع انفسنـا ومـع ما يحيط بنـا ، على حين اننا قد نكون مرجلا يضطرب بشتـــى المشاعر ، وضروب الانفعالات .

هذه المعاناة تجعلنا نحس الادب في مادته الحية المتجددة المتطورة كما تقدمها لنا الحياة في المواقـف وسلسلة الافعال والتصرفات والمشاكل والازمـات والافراح والمسرات . فلنا في كل منعطف من منعطفاتها عالم من المعاني ، ولنا في كل زاويـة من زوايـاهـا دنيا من الاسرار . ومن لم يتذوق الادب في اطاره الحي ضمن ملابسات الواقع ، واقع الحياة وواقع النفس ، كان بعيدا عن المنبع الاول للادب ، وعن اصوله الحيـة التي يرجع اليها الشعراء والفنانون ليأخذوا منها مادتهم الخام ، هذه التي يلمسونها في نفوسهم فاذا بها فتنـة للناس ، تنال اعجابهم وتهيمن على قلوبهم فلا يملكون الا ان يقولوا ما اروع وما ابدع ! ! ولو التفتوا الـى نفوسهم وغاصوا في اعماقها ، وانغمسوا في جمـــال الحياة وتأملوا مواقفها وقضاياها ، لرأوا ان ما فتنهـم في ادب الادباء وشعر الشعراء ، له اصول في نفوسهـم وفيما حولهم من الظواهر والاحداث ، فكم تقدم لنـا الحياة من ءايات الفن في الطائر الفريد ، والزهــرة المنفتحة ، والقمر الحالم ، والغصـن الميــاس ، في النسمة المنعشة ، في خرير المياه ، في حفيف الشجر ، في كل ما هو من هذا القبيل من فتون الحياة فما علينا الا ان نصغي ونرقب ونتامل ، ونترك نفوسنـا تحت سلطان جمال الكون، ليتغلغل في طياتها ، ويسكب فيها من عصيره ما يتسامى بها الى ءافاق علويـة كلها روعـة واشراق .

ولكن لحظات الاشراق في حياتنا الروحيـة سريعـة الانطفاء ، تومض في ءافاقنا ومض البـرق لنعود الى حالتنا العادية ، فتتخطفنا همومنا الصغيـرة وتلك مآسينا التي لا مفر منها ، لانها قدرنا كبشر ظروف حياتهم اقوى منهم ومن مواهبهم مهما سمت . صيحة طفل تفسد علينا جمال الاحلام الشعرية ، وطرقة على باب غرفتنا تنتزعنا من دنيا فتوننا ، لتلقي بنـا الى الواقع البارد الجامد . وهاجس مـن هواجس النفس ، يطوح بنا بعيدا عن دفء العاطفـة المتاججة ، الى حيث نعيش اخس ما في حياتنـا مـن مشاغل ، باسلوب روتيني مقيت ، وكأن شيئا لم يكن !! وسر المأساة هو اننـا لا نعرف كيـف نحتفـــظ بيمانـا في لحظات الاشراق الروحي مــدة تطول . ليست لنا قدرة على ان نمددها كما نشاء ، حتـى نتملى من محاسنها الرائعات . فالامر ليس بيدنـا وانما بيد ما يكتنفنا من عوامل ومؤثرات ، فهي التـي بيدها ان تطيل لحظة الاشراق او تقصرها ، على حين اننا نحن الذين يهمهم الامر اولا وبالذات ، لا دخـل لارادتنا في الامر . ولعل هناك سرا في عجزنا في هـذا المضمار ، ومن يدري ، فربما اذا املكنا مقاليد نفوسنا، نرفعها الى سماء الالهام عندما نشاء ، ونخفضها الـى ارض الواقع البارد عندما نريد ، نفسد على نفوسنـا جمالها واسرارها ، ما دام سحر هذا الاشراق كامنـا في كونه لا اراديا ، وانما يجيء عفو الخاطر . ولـو اننا ملكنا تصريفه طبق ارادتنا لفقد كل سحره وفتنته اذ من طبع الانسان ان يقتل روح الاشيـاء التـي تخضع لارادته ، ويعطيها معنى الامور الجاريـة مجرى العادة ، ومن جهة اخرى لو ان ذلك كان خاضعـا لارادتنـا لمات فينا الاشواق الشعريـة ، التي تعطي لانتظارنا للحظات الاشراق الروحي معنى جميلا بشكل لا سبيل الى وصفه ، وتكون النتيجـة ان هواتف الفن لا تتجاوب بها حنايانا ورحاب نفوسنا ، لكوننا فقدنـا روعـة الانتظار ، وسحر الشوق الى التفوق علــى الذات ولو الى حيـن .

فلعل هذه هي حكمة الطبيعة فيما صنعته بنـا ازاء قوانا الادبية ، ولئن كانت قد حرمتنا السيطـرة على لحظات الاشراق والابداع ، وجعلتها خاطفـة

المناهج التعليمية عند ابن خلدون

للأستاذ محمد الأمين الدرقاوي

لاشك ان ابن خلدون رجل قد اوتي ملكة نادرة في ادراك الاشياء وتصورها تصورا ليس له نظير ، فالرجل كما نرى يتحدث عن كل قضية من القضايا الانسانية ويحللها تحليلا وافيا ثم يردها الى اصولها واخيرا ينتقد منها ما هو احرى بالنقد ويترك منها ما يجب ان يترك او يقترح ما ينبغي ان يقترح .

يتحدث ابن خلدون عن التاريخ ويلم باصوله وبالمذاهب الفاسدة منه او الصالحة ، ويتحدث عن السياسة ، فيلم باصلها وما قيل فيها من ممدوح او مذموم ، ثم ينقد منها ما ينبغي ان ينتقد ويقترح ما يجوز ان يقترح وهكذا في كل فن من الفنون ، فالرجل يكاد يكون فريدا في طريقته لا ينتقد لذات النقد او يهدم كما يقولون ، ثم يمضي الى حال سبيله ، ولكنه لا يكاد يدحض قضية من القضايا او امرا من الامور حتى يأتي بأحسن منه او بالاحرى يعرض عدة وجوه غير التي انتقدها ، ثم اذا هو انتقد لا يكتفي بالعموميات بل هو يعطي المثال فيما انتقده واكثر من ذلك انه في كل قضية يبين لم انتقدها ، ولهذا سنتعرف في هذه العجالة على رأيه فيما يتعلق بالتعليم وما هي الوسائل التي ينبغي ان ينهجها المتعلمون لذلك وما ينبغي لهم ان يتجنبوه في ذلك .

ان التعليم عند ابن خلدون غايات ووسائل ، اما الغايات فهي قسمان : غاية ترتجى من كل فن ، وغاية عامة ترتجى من جميع الفنون ، لافرق بين فن واخر .

اما الغاية التي يسعى اليها كل متعلم من اي فن والتي هي الاصل من تعلم ذلك الفن خاصة فهي **الملكة** فهو لذلك يقول عن ابن هشام « مثل ما وصل الينا بالمغرب لهذا العهد من تاليف رجل من اهل مصر يعرف بابن هشام ظهر من كلامه فيها « العربية » انه استولى على غاية من **ملكته** » وفي موضوع اخر يقول : « **فالملكة** الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات اذا تم على سداده ولم تعقبه افة فهي ملكة قاصرة عن الملكات » وفي موضوع اخر يقول : « وعند ذلك يحصل له **ملكة** في ذلك العلم » فنحن نرى كما ذكرنا ان الغاية عند ابن خلدون من تعلم اي فن انما هي حصول **الملكة** في ذلك الفن .

واما الغاية التي يسعى اليها المتعلم بصفة عامة اي متعلم كان في اي فن من الفنون فهي حصول الفضيلة ، وفيها يقول مبينا نتائج الشدة « وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها فارتكس وعاد في اسفل السافلين » فالغاية من التعليم او كما نسميه نحن الثقافة هي الفضيلة والايغال بالنفس في انسانيتها اي ما نسميه نحن بالمثل التي يسعى اليها الانسان من ثقافته وتكوينه .

تلك هي الغايات القريبة والبعيدة عن ابن خلدون من الثقافة ، واما الوسائل لذلك فيعرضها ابن خلدون عرضا كافيا غير انه يعرضها عرضا مختلفا ما بين ايجاب وسلب او ما بين مرغوب فيه كوسيلة للتعلم ومرغوب عنه كوسيلة للتعلم ايضا ، وهكذا قسمنا راي ابن خلدون في هذه الناحية الى قسمين :

1 » قسم عرضنا فيه الاشياء التي رفضها ابن خلدون كوسيلة من وسائل التعليم .

2 » وقسم عرضنا فيه الاشياء التي يقترحها او يرى حتميتها كوسائل للتعلم .

ونحن عندمـــا ننتج الادب ، نأخذ فى تحول فى التفكيـــر ــ والموهبة تمت بصلة الى الفكر ــ ذلـــك اننا نتمرن على ان نركب الافكار ، ونبني النظريات ، بعد ان كانت هذه تلقى الينا جاهزة من طرف الادباء الذين نقرأ لهم . معنى ذلك اننا بدأنا نعاني عمليـــة التكوين بكل قوانا الفكرية والروحية ، فنسر اذا كونا مخلوقات سوية جميلة ، وننقبض اذا كونا مخلوقـــات شائهة واهنة ، ونحن مستفيدون فى كلتا الحالتيـــن ، فاذا نجحنا ازددنا ثقة بالنفس ، وتصميما على السير الحثيث ، واذا فشلنا استفدنا من اسباب فشلنـــا . فالمعاناة فى حد ذاتها ، ومهما كانت النتائـــج التي ادت اليها ، هي محك موهبة المتأدب .

ونحن عندما نتعلم كيف نعطي ، كما تعلمنا كيف نأخذ ، نخلق لنا ابعادا جديدة، فنمتد الى خارج ذواتنا لنعيش ضمن ما نبدعه من آداب وفنون ، ولذلك يكون لنا وجود ثاني نركز فيه انتصاراتنـــا الادبيـــــة ، وفتوحاتنـــا الفنية ، ونعكس عليه مآتينـــا الروحيـــة والفكرية فيملانا الاحساس بكثافة الرصيد ، وتراكـم الثمار الادبية ، وفى هذا دعامة للمواهـــب ، لتأخـذ فى التطور .

فالمتأدب المباشر لعملية الكتابة الادبية ، يجـس نبض احساسه الفني ، ويختبر طاقته الروحية ومدى ما تستطيعه ، ويعرف ما فى تكوينه الادبي من نواحـي القوة ونواحي الضعف ، فيتعهد الاولى لتزداد قـوة ، ويأخذ الثانية بالتهذيب المناسب حتى تقوى بعـــد ضعف ، فيكون هناك انسجام بين القوى المبدعــــة فى المتأدب . فاذا تكررت التجارب الفنية يتمـــم بعضها بعضا ، متلاحقة متآزرة متعاونة ، كان ذلـك دافعا للمواهب لتساير هذه العمليات فى تطورهـــا وتبدلهـــا .

وهكذا لا تمر على المنتج بضع سنين ، حتـــى يشعر بان عنده شيئا يعطيه ، شيئا يختلف عمـــا يستطيع اعطاءه الاخرون ، لانه اصبح ذا ملكة فنيـــة مستقلة فى طبيعتها واستعدادها ، تضعه فى مكانـــه المناسب بين اهل الادب والفن ، قد تكون محاولاتنـــا الاولى فى الانتاج الادبي سطحية ، وقد تكون تافهـــة ، ولكنها مفيدة اذ تضعنـــا امام امكاناتنا الادبية وجهـــا لوجه ، فنعرف ما نستطيـــع وما لا نستطيع ، وبذلك نحس بالنقص ، وهذا الشعور هو محرك قوانـــــا المعنويـــة لتأخـــذ فى التحســـن .

وشيء ءاخر له اثره القوي فى تطوير المواهـــب لتتبلور فى ملكات ، وهو النشوة التي تحصل لنا عندما نشرع فى استخدام الحرف والكلمة ، لايصال خواطرنا ومشاعرنا وافكارنا الى الاخرين ، مهما كانت قيمة هذا الذي نوصله اليهم . فحسبنا اننا خرجنا عن صمتنا وان خيطا رفيعا امتد بيننا وبين مجموعة مـــن الناس قد تنفر هذه المجموعة منا ، وقد تعتبرنا ثقـــلاء ، لا نستحق الوقت الذي تقضيه فى قراءتنا ، وقد تهاجمنا احيانا وترى اننا متطفلون على مائدة الادب ، ولكـــن بالرغم من كل ذلك ، فنحـــن نشعـــر بسعادة لكوننـــا استطعنا ان نثير فيها نوعا من المشاعر قد تكون معادية او مصادقة ، بيد انها نوع من الاتصال بيننا وبينها قد نمتنه الايام ، وتكـــون منـــه ضربا من الصداقة التي لا سبيل الى فصم عراها . وبيت القصيد هو ان النشوة الحاصلة لنا من ايصال انفسنا الى الاخرين ، تشتمل علينا من فروع رؤوسنـــا الـــى اخمـص اقدامنـــا ، فتتفتح شهيتنا وقابليتنا لتكرار نفس المحاولة ، وهذه تعقبها محاولات ، وهكذا الى ان تصير الكتابـــة مـــن لوازم حياتنا . قد نتوهم اننا ادبـــاء مجيدون ، وان عندنا ما نقوله للناس ، وان كانت الحقيقة خلاف ذلك ، فيكفينا اننا نعيش فى وهم جميل ، ونشـــوة روحية ، مصدرهما اننا نمارس عملية الخلق فنؤلف بين اشياء نراها فى الحياة متناثرة ، كان نجمع بين القد والغصن ، والوجه الجميل وفلق الصبح ، والليل البهيم والزنجي الاسود وما الى ذلك . قد يكون هذا من محفوظاتنا ، لا يحمل ابداعا ولا طرافـــة ، ولكن بالرغم من ذلك فان مجرد ترديد هذه الصور الفنية ينبه مواهبنا الخاملة ، ويحرك وجداننـــا الفني . ولاشك ان جميع الفنانيـــن بدأوا معجبين بصور الفن الرائعـــة ، وكزبنـــاء لها ، ولكن الاعجاب كان مبدأ التماس الطريق ، وكان الشعلة التي اضاءت ما بين الحنايا ، ثم جاء صور الابـــداع والابتكـــار .

فاس ــ عبد العلي الوزانـــي

تطويل الجلسات واعطاء الدروس مفرقة ، والعلة في ذلك كما يذكر ان تفريق الدروس يؤدي الى النسيان وانقطاع مسائل الفن عن بعضها البعض لان الملكات كما يقول انما تحصل بتتابع الفعل وتكراره وكان طبيعيا ان يقول ابن خلدون بهذه النظرية فبعدها قال بالبدء في التعلم بالمسائل المجملة جره ذلك الى القول بتتابع الجلسات في التعلم والا فان المطولات لا يناسبها مثل هذا الاسلوب في جميع الجلسات العلمية

6 ـ ابعاد صناعة المنطق : ومن الامور التي ينتقدها ابن خلدون كوسائل للتعلم صناعة المنطق وهو يقول عنه : « فالمنطق امر صناعي مساوي للطبيعة الفكرية ومنطبق على صورة فعلها ولكونه امرا صناعيا استغنى عنه » والمنطق كما يقول يحتاج الى معرفة للالفاظ الدالة على المعاني ثم ترتيب المعاني للاستدلال في قول لبها المعروفة في صناعة المنطق ، كل هذه الاشياء يحتاج الى معرفتها اذا هو اتخذ المنطق وسيلة للتعلم وكيف يتقبل هذه التعاريف المنطقية وتعقيدات الالفاظ وهو بعد ما يزال في بداية التعلم لذلك يقول ابن خلدون في تعليل رفضه لهاته الطريقة : « بل ربما وقف الذهن في حجب الالفاظ بالمناقشات او عسر في اشتراك الادلة بشغب الجدل والتشبهات وقعد عن تحصيل المطلوب » فهذه هي الاسباب التي جعلت ابن خلدون يرفض طريقة المنطق في التعلم حتى قال عنه : « فاذا ابتليت بمثل ذلك وعرض لك ارتباك في فهمك او تشغيب بالشبهات في ذهنك فاطرح ذلك وانتبذ حجب الالفاظ واترك الامر الصناعي واخلص الى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه » ولا يقف ابن خلدون عند نقد هذه الاشياء بل يمتد حتى لنقد اولئك الذين يعتقدون المنطق وسيلة التعلم ولعل ابن خلدون لا يقف هذا الموقف من المنطق الا لكونه متشعب اللفظ في الدلالة على المعنى مما يجعل المتعلم يسبح في بحر زاخر من الكلمات الغامضة ، بينما الغاية التي يراها ابن خلدون كما سبق هي الحصول على الملكة في فن باخصر طريق واقرب وسيلة .

7 ـ الشدة على المتعلمين : ومن الامور التي ينتقدها ابن خلدون ويرفض ان يكون شيء منها في التعليم الشدة على المتعلمين وخاصة منهم الصغار ، فالشدة عنده تخلق عند المتعلمين وغيرهم اشياء غاية في القبح ، واولها التضييق على النفس في انبساطها والذهاب بنشاطها فيدعوه ذلك الى الكسل ويحمله على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره اي النفاق والمكر والخديعة غير النفاق ويصبح فيه ذلك امرا جبلا وبذلك تفسد المعاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن وتضعف نتيجة لذلك شخصية المتعلم فيصير كما يقول ابن خلدون : «عيالا على غيره» واكثر من ذلك ان الشدة تؤدي بالانسان الى الانصراف عن الغاية من التعليم بصفة عامة وهي الفضيلة ولهذا يقول : « بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت غايتها في مدى انسانيتها فارتكس وعاد في اسفل السافلين . اما الامثلة لذلك فهي عند ابن خلدون كثيرة فهو يمثل بالجماعات باعتبار ان نتيجة الضغط واحدة سواء بالنسبة للفرد او الجماعة والامثلة في هذا الباب اليهود وما هم عليه من مكر نتيجة لما تعرضوا له من ضغط عبر التاريخ اقبح ذلك فيهم جبلة .

وابن خلدون كرجل عقل يقدم هذه الاشياء ثم هو بالاضافة الى ذلك يعزز نظرياته في الموضوع باشياء ينقلها فهو ينقل كلام الرشيد لمعلم ولده محمد الامين ويقول : « فقال يا احمد ان امير المومنين قد دفع اليك مهجة نفسه » الى ان يقول : « من غير ان تحزنه فتميت ذهنه» فالشدة عند ابن خلدون امر مذموم في التعليم سواء بالفهم كما في قوله « وقد قال محمد بن ابي يزيد في كتابه « لا ينبغي لمؤدب الصبيان ان يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه في ثلاثة اسواط » او بالاكثار كما يقول الرشيد لاحمد مؤدب ولده « ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده فيها من غير ان تحزنه فتميت ذهنه » ومع ان ابن خلدون لا يرى الشدة مباحة الا انه يقول بالتسامح الكلي مع المتعلمين فهو يبيح الضرب الذي لا يزيد على ثلاثة اسواط كما نقل عن محمد بن ابي يزيد هذا ما يرفضه ابن خلدون ، اما ما يقترحه على عادة الناقد الذي يهدم ويبني فسنتعرف عليه في المستقبل .

الرباط ـ محمد الامين الدرقاوي

وبدات بالقسم الاول الذي رفضه ابن خلدون باعتبار ان ابن خلدون لم يكن باديء ذي بدء يريد ان يقترح منهجا ما وانما كان يهدف بنفس المناهج والطرق التي كان يرى فسادها كوسائل للتعلم فجره ذلك لان يقترح اشياء يقترحها الناقد المنصف الذي لا يمس بالنقد قضية من القضايا حتى يأتي بمثلها أو باحسن منها ، وهكذا بدأ ابن خلدون فرفض كوسائل للتعلم :

1) كثرة التاليف :

« اعلم انه مما اخر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التاليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها » .

فابن خلدون كما نرى يجعل التعليم وسيلة لا غاية في ذاته يفني فيه المتعلم العمر ، وابن خلدون من جهة اخرى انما ينتقد كثرة التاليف لانه ينشأ عنها اختلاف في الاصطلاح وعن الاختلاف في الاصطلاح ينشأ امر ثالث هو تعدد الطرق مع مطالبة المتعلم باستحضار ذلك كله من اصطلاحات لمختلف المؤلفات وطرق هذه المؤلفات مع ان النتيجة واحدة هي الحصول على العلم مهما اختلفت الطرق الموصلة لذلك ، وهكذا يمضي المتعلم العمر كله دون ان يحصل على صناعة واحده وبذلك تضيع الغاية من التعلم التي هي ادراك العلم الذي هو الغاية لا وسائله الموصلة اليه من طرق واصطلاحات ، ويعطي ابن خلدون امثلة صريحة لفساد هاته الطريقة فاما كثرة المؤلفات فيقول عنها : « ويمثل لذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بالكتب المدونة وما كتب عليها من الشروح الفقهية مثل كتاب ابن يونس وابن بشير والتنبيهات » واما تعدد الطرق فيقول عنه « ثم انه يحتاج الى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصريه وطرق المتاخرين عنهم والاحاطة بذلك كله » ومثل ذلك عن طرق البصريين والكوفيين في النحو مما يسوقه ابن خلدون كشواهد على فساد هذه الطريقه مع ان الفقه في جوهره واحد مهمااختلفت الطرق الموصله اليه وكذا النحو وكل انواع العلوم الاخرى .

2 — كثرة الاختصار : وكثرة الاختصارات من الوسائل التي ينتقدها ابن خلدون كوسائل للتعليم وفي هذا يقول : « ذهب كثير الى اختصار الطرق والانحاء في العلوم يولعون بها ويدونونها برنامجا مختصرا في كل علم » الى ان يقول: « صار ذلك مخلا بالبلاغة وعسر على الفهم » اذن فابن خلدون يرى ان هذه الطريقة انما جاءها الفساد من كونها تعرض العلوم في عبارات عسيرة الفهم مما يؤدي اليه الاختصار عادة والذلك يفسر السبب في فساد هذه الطريقة « طريقة الاختصار » بقوله : « ثم فيه مع ذلك شغل كبير بتتبع الفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها » الى ان يقول : لان الالفاظ المختصرات تجدها لذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت » واما الامثلة التي يعطيها ابن خلدون في هذه الناحية وفساد منتحليها فيقول فيها : « كما فعله ابن الحاجب في الفقه وابن مالك في العربية « النحو » ولا ينسى ابن خلدون ان يذكر ان النتيجة فيما فعله هؤلاء المختصرون جاءت عكس ما قصدوا فهم يريدون كما يقول ان يسهلوا الحفظ على المتعلمين فكانت النتيجة ان اركبوهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات اي انهم ابعدوهم عن المقصود من حيث ارادوا التقريب.

3 — التحذير من البداية بالمسائل المقفلة :

ومن المسائل التي تحذر منها ابن خلدون ويجعلها كوسائل يجب تجنبها في التعليم البداية بالمسائل المقفلة ذلك ان المتعلم في بدايته تكون غير متفتح للتعليم فلا يستسيغ الاشياء العامية فاحرى به ان يدرك هذه الامور المقفلة وكل ذلك انما يسوقه ابن خلدون في شكل نقد لما يسير عليه بعض المعلمين « وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي ادركناه يجهلون طرق التعليم وافادته ويحضرون للمتعلم في اول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه باحضار ذهنه في حلها » ولكل سيء عند ابن خلدون علة وسبب فحتى هذه الطريقة يعلل ابن خلدون فسادها بان التعلم انما يكون بالتدريج اولا وذلك امر طبيعي من التعلم جرت عليه عادة المتعلمين لما يوجبه امر التدرج اولا ولانه يؤدي الى اغلاق الذهن اذا القيت المسائل في الاوائل جملة واحدة .

4 — عدم الاقتصار على كتاب واحد :

ومن الوسائل الفاسدة في التعليم في رأي ابن خلدون ان يزيد المعلم متعلمه ان صح التعبير على فهم الكتاب الذي اكب على التعلم منه وذلك عنده قسمان : اما الزياده على ما في الكتاب من مسائل من حيث الموضوع واما الاخذ من جهة اخرى غير الكتاب الذي يدرسه ولو انها تتشابه مع ما في الكتاب من حيث الموضوع فالمهم عند ابن خلدون الاقتصار على الكتاب الواحد من حيث الطريقة والمضمون .

5 — تطويل الجلسات : ومن الوسائل التي ينتقد ابن خلدون اتخاذها كاساليب في التعليم ،

وقبل ذلك تولت افتتاحية العدد تحليلا للدور الذي اداه المؤتمر في تصفية الجو العربي مما كان يخيم عليه من سحب ؛ كما اشارت الى الميزة الجديدة التي امتاز بها هذا المؤتمر عن غيره تلك هي محاسبته لنفسه على اعماله وقيامه بالنقد الذاتي لمواقفه ومعالجته لمشاكل الامة العربية ، مشيرة بصفة خاصة الى الكلمة الذهبية التى سجلها جلالة الملك في خطاب الافتتاح اذ قال : « ليس العيب ان نختلف في طرق الاجتهاد للحصول على الراي الصائب ، لكن العيب ان نجتمع ، وعلى هذا المستوى ، ثم نفترق والخلافات كما كانت او تزيد » .

وسجلت المجلة حدثين هامين آخرين هما الزيارة الرسمية التي قام بها الرئيس عبد الناصر للمغرب بعد انتهاء مؤتمر الدار البيضاء وزيارة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة .

واننا اذ نغتبط بما نشاهده من تدعيم وشائج القربى بين المغرب وبين شقيقاته العربيات . لا يسعنا الا ان نبارك تسجيل المجلة لهذه الاحداث العربية الكبرى التى كانت ارض المغرب مسرحا لها .

وننتقل الآن الى قسم الدراسات الاسلامية واول ما يطالعنا فيها مقال « نظرات الاسلام في اكتساب المومن الفضائل » ومع تقديرنا لجهود مؤلفه فاننا نرى ان الاجدر ان يخاطب به الجمهور في صحف يومية سياره او مجلات دينية اسبوعية واسعة الانتشار بين الطبقات الشعبية ليكون نفعه اعم .

ويأتي بعد ذلك بحث الثقافة الاسلامية تربية ومنهاجا وهو دراسة قيمه وتحليل عميق لاوضاع الشعوب الاسلامية ، وعوامل تفككها ، أفعم نفسنا املا بننا سنعثر في خلال البحث على تخطيط عملي للنهوض بالمسلمين من وهده التخلف والتفرق التي هم عليها . ولكن الاستاذ الباحث اكتفى في هذا المجال بعرض موجز وبتساؤلات لاتقدم حلولا ناجعة ، وبفقرات نقلها عن بعض الاساتذة الغربيين . وكانما شعر بما سيعتري القارىء من خيبة ، بعد العنوان الضخم والمقدمة التى فتحت امامنا باب الامل ، فاعتذر في الاخير بانها كانت لمحات خاطفة وانه عالج احد شطري العنوان : التربية الاسلامية تربيه ومنهاجا . فذكر لمحة عن التربية ووعد بمعالجة المنهاج . ولعلنا نطلع في عدد قادم على بحث مفيد ، وان كان الموضوع اوسع واعمق من ان يعالج في بضع صفحات على اعمدة الجرائد والمجلات .

اما بحث الدكتور الهلالي في نقد مقال العوائق النفسية فاولى به — كما لوحظ في اعداد سابقة من المجلة — ان ينشر في كتاب، اذ انه يعني قلة من الباحثين، بالاضافة الى انه ينشر على اجزاء متفرقه .

ومن الدراسات الاسلامية ، ننتقل الى دراسات في اللغة والفكر والادب وأول هذه الابحاث التحقيق القيم الذي ينشره الاستاذ عبد الله كنون عن منجد الآداب والعلوم وهو من المواضيع المفيدة للطلاب التي ترشدهم الى وجوب التحري في قبول ما تقدمه تلك المعاجم من معلومات لاتخلو من اخطاء .

ومن الدراسات القيمة التي احتواها هذا العدد، البحث الممتع الذي عالجه الاستاذ احمد الجندي حول موقفنا من الفكر الغربي هذا البحث الذي يمثل موضوع الساعة في المجتمع العربي والاسلامي بعد الغزو الذي سيطر على لغتنا وفكرنا عن طريق الثقافة الغربية التى فرضها علينا الاستعمار . وحاول ان يفرق بها بيننا وبين جوهر ثقافتنا المنبثقة عن تراث ضخم مجيد ، مبني على اساس الجمع بين مطالب المادة والروح . واعتبار القيم الخلقيه اساسا لكل تطور وتقدم ، في السياسة والاقتصاد والاجتماع ؛ فهي الجوهر لها كلها والحاجز الحصين دون التردي في هوة المادية التى تقوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة، بما فيها من اباحة صريحة و قانونية لكل الموبقات السياسية والاجتماعية التى يتردى فيها الغرب من استعمار واستغلال للشعوب ، ومناداة صريحة بتشريع الميز العنصري الذي لايقل فظاعة عن قانون الرق الذى كان سائدا في العصور الوسطى .

لقد حلل الاستاذ الجندي بطرق علمية الاسس التى قامت عليها الثقافة الاسلامية وكيف ان الحضارة الغربية مهما بلغت من الرقي والمعرفة ، فانه ينقصها الجوهر ، وهو الناحية الروحية التى لاتسير في توازن مع مستوى التقدم العلمي والمادى ، حتى يكون هناك تكامل اجتماعي وموازاة بين قوى المادة والروح . واذا كان الاستاذ الجندى يتحدث عن الغزو الفكري الاوروبى الذى سيطر على الشعوب العربية والاسلامية في الحقب الاخيرة ، فاننا هنا في المغرب نحس بهذا الخطر الجاثم على عقولنا وافكارنا بصفة مهولة ، ويكاد — ان لم نتدارك الامر بتخطيطات عملية مدروسة — ان يقطع الصلة ما بين ماضينا الاسلامى العربى وحاضرنا . فان الاجيال الصاعدة لاتكاد تعرف النزر اليسير عن هذا الماضى المجيد العلمى والحضارى بمقدار ماعرفت

العدد الماضي في الميزان

للاستاذ عبد الهادي الشرايبي
مدير القسم الثقافي بوزارة الشؤون الخارجية

انها سنة حميدة خطتها المجلة لنفسها اذ درجت على تكليف طائفة من الكتاب بتقييم كل عدد يصدر منها ، هادفة من وراء ذلك الى المحافظة على مستوى معين المجلة ، والسير بها في طريق التدرج في الرقي ، حتى ما اذا تبين من ملاحظة ناقد انها قد انحرفت في احد ابوابها او مباحثها عن الخطة التي التزمتها ؛ عملت على تلافي ذلك في فرص موالية .

بيد ان من الصعب على اي كان أن يدعي لنفسه هذه الصلاحية لتقييم انتاج الناس والحكم لهذا باصابة المحج ، ولغيره بعدم التوفيق .

خاصة بعدما لوحظ في نفس العدد وفي اعداد سابقة من ضيق عطن بعض الكتاب والادباء وتضايقهم من النقد الادبي . مع ان هؤلاء الناقدين يصدرون في احكامهم او ملاحظاتهم فيما اتصور عن نوايا حسنة ، تهدف الى بيان الانطباعات التي تركها في نفوسهم مقال الكاتب او قصيدة الشاعر ، او تصحيح ما قد يلاحظونه من خطأ . ولا اعتقد ان اي كاتب يدعي لنفسه العصمة من الوقوع في الخطأ . وحتى اذا لم يحالف التوفيق الناقد — فيما يراه الكاتب — فاي من الخير ومن قواعد الزمالة ان يرد عليه في لغة مؤدبة خالية من الاستعلاء والتجريح بله التهزيء ؛ والا فسيؤدي الامر الى مهاترة وتضييع للحقيقة في خضم المعارك القلمية ان جنح كل للثأر والدفاع عن الكرامة . وساحاول في هذه الكلمة بيان الانطباعات التي ارتسمت في ذهني بعد تصفح العدد .

ولنلق الآن نظرة على محتويات هذا العدد ، وسنجد انه جمع اطباقا شهية من المعرفة ، في مختلف مبادئها وفروعها ، فمن الدراسات الاسلامية الى الابحاث الادبية الى ديوان المجلة ؛ وما تخلل ذلك من مباحث قيمة ، سائغة ومتنوعة ، ولو انه لم يحافظ على مستوى معين وذلك طبيعي من حيث اختلاف طبيعة الدراسات وطبيعة الكتاب والباحثين انفسهم . وكنا نود ان لو عني هؤلاء الكتاب باختيار المباحث الصالحة لمجلة سيارة في مستوى دعوة الحق التي شقت طريقها الى المجتمعات العلمية في الخارج ، واصبحت سفيرة الفكر المغربي لدى كثير من الاقطار. وان مما يدعو للغبطة ان اغلب الدراسات التي عالجها هذا العدد كانت بأقلام مغربية ، مما يبشر باننا آخذون باسباب نهضة فكرية شاملة ، وذلك الى جانب الترحيب بما يسهم به اخواننا في المشرق العربي.

بدأت المجلة بتسجيل حدث تاريخي هام كانت الدار البيضاء مسرحا له ، هو مؤتمر القمة العربي الذي انعقدت عليه الآمال في ان يكون انطلاقة كبرى في دنيا العروبة ، اذ اتسمت مداولاته بالصراحة ومعالجة القضايا العربية في جو مفعم بالاخوة والبحث عن الحلول الناجحة لمشاكل الامة العربية ، بعد ان وضعت هذه المشاكل على وجهها الصحيح ، ووضعت الاصابع على موطن الداء منها .

واستغرق تسجيل هذا الحادث العظيم ست عشرة صفحة . كان من بين الوثائق الواردة فيها خطاب جلالة الملك والرئيس عبد الناصر اللذان كانا بمثابة الضوء الاخضر لوثبة جديدة نحو مستقبل افضل في حياة امتنا العربية المجيدة .

وصانته من الضياع وانما يشير الى محاولات المجامع اللغوية احياء اللغة عن طريق التنقيب عن الفاظ ميتة، وغريبة الوقع احيانا على السمع ، لاطلاقها على بعض الادوات والمخترعات الحديثة ، وهي محاولات منيت بالفشل فى كثير من الاحيان ، اذ ان بعض هذه المفردات المهجورة لم يستطع السمع والذوق والاستعمال ان يستسيغها مثل الارزيز للتلفون وغيره ، فبقيت راقدة حيث كانت ، ومن جهة ثانية ، لم يعمل المجمع اللغوي على اذاعتها وفرض رواجها على جمهور الكتاب والقراء ، بل ظلت اكثر مقرراته محفوظة فى مجلة المجمع التي لا يستفيد منها الا الخواص ، بل خواصهم ، ومن المؤسف ان هذه المجامع لم تؤد الرسالة المنوطة بها فتقدم للعالم العربي مفردات حية وتراكيب سائغة لهذه الالاف من المخترعات العلمية والحضارية التي تغزونا كل يوم فى بيوتنا ومعاملنا ومكاتبنا ، فنضطر — امام تقصيرها فى تقديم معاجم سهلة التناول والاستعمال وبحكم ضرورة التخاطب الى استعمال الاسماء الاجنبية وادخالها فى لغتنا اليوميه ، ان لم يكن فى لغة الكتابة والتحرير . والى وقت قريب كانت السوق خالية من المعاجم اللغوية الحديثة التي تسد حاجات الطلاب والباحثين باستثناء معاجم اليسوعيين التي سدت هذا الفراغ الى حد ما . وهي جهود مشكورة بالرغم مما فيها من اخطاء كشف عن بعضها الاستاذ عبد الله كنون فى ابحاثه عن منجد الاداب والعلوم ذلك انها جهود فردية .

ولا اظن ان الاستاذ ابن جلون يقصد الاستغناء عن معاجمنا اللغوية التي هي الحصن الحصين لها من الدخيل الذي يطغى عليها، وهي الملاذ عند المعضلات

وننتقل بعد ذلك الى بحث قيم للاستاذ الجراري تحدث فيه عن تاريخ القضاء بالمغرب ، وكنا نتصور كما يفهم من العنوان ان يعالج الاستاذ هذا التاريخ الخطير والحافل بجلائل الاعمال منذ اقدم عصوره ولكنه بدأه فقط منذ عهد الحماية ، واقتصر فيه على الحديث عن كيفية مرور القضايا فى مجلس الاستيناف. وانا لنود ان يعنى الباحثون بهذا الجزء المهم من النشاط الفكري الذي يعد مفخرة للمغرب الذي كان له قصب السبق فيما انجزه رجاله من دراسات وتحقيقات خلدوها فى تاليفهم الحافلة فى هذا الميدان ، وخاصة فى كتب النوازل التي انفرد المغرب بتسجيلها وترك علماؤه فيها موسوعات ضمت بين طياتها عصارة ما انتجته قرائحهم الخصبة ومداركهم السامية .

ومن مباحث العدد البحث التاريخي الذي كتبه الاستاذ سعيد اعراب عن « كتاب الجمان فى مختصر اخبار الزمان » الذي صحح به ما وقع فيه المؤرخ المصري الكبير الدكتور علي ابراهيم حسن من اخطاء فاضحة ، ونود بهذه المناسبة ان نسجل هنا ما نلاحظه من تهاون وتقصير من بعض الكتاب والمؤرخين الشرقيين الذين يتولون معالجة قضايا مغربية ، فى تهاون وعدم اكتراث ، ولا يكلفون انفسهم عناء البحث الدقيق واستقراء الوثائق والمصادر ، فيختلط عليهم الامر ويصدرون احكاما واستنتاجات بعيدة عن الحقيقة ، او فيها تشويه كبير لها .

وكنا نلتمس لهم بعض العذر عندما كانت المواصلات بيننا منقطعة او تكاد . اما الان وبعد هذا الاتصال المتين بينهم وبين خزائننا ونفائس مدخراتنا ، والتبادل الفكري الموجود حاليا بين مشرق العالم العربي ومغربه ، فلم يعد هناك مبرر للتحريف او التهاون فى معالجة القضايا التي تمس تاريخ امم أخرى بنفس السهولة والتهاون المعتادين .

ونلتقي بالاستاذ الريسوني فى بحثه عن الادب النسوي فى الاندلس . لنجد انه قطع ثلاث مراحل طويلة فى الحديث عن ادب المرأة فى العصر الجاهلي والاسلامي الاول دون ان يصل بعد الى الاندلس والى الحديث عن الادب النسوي فى هذا الفردوس الذي كان يزخر بالاديبات . والشواعر المبدعات .

وفى ذكريات الاستاذ المحاسني « المريرة » عن عهد الشباب والدراسة . يحكي لنا قصة عذبة ، ولو انها أحيت ذكريات كانت مريرة فى أول الامر ، قبل ان نعرف ظروفها التي عادت بالذكريات الى عهد قدس ورفاقه . وارينا فى القرن العشرين من الوان العشق والهيام ما لا يقل فى روعته وجلاله عما الفناه فى ايام العرب الاولى .

ونخلص فى الاخير الى ديوان المجلة الذي اشتمل على ست قصائد ، وقد احسنت المجلة اذ حافظت على هذا الفصل الذي يمثل جزءا من نشاطنا الادبي ، ولو انه لا يعكس حقيقة القرائح الشعرية المغربية ، فمن المؤكد ان لدينا شعراء مجيدين ، ولكنهم — لسبب او لاخر — لا يريدون له ان يرى النور ويأخذ حظه من الهواء الطلق !

ويبدأ الديوان بقصيدة طويلة للشاعر عبد الكريم التواتي عن « لقاء البطلين » انشدها بمناسبة

فيه من الاحاطة بفنون الثقافة الغربية الحديثة علما وتاريخا وادبا .

وننتقل بعد ذلك الى طبق آخر شهي من الابحاث الادبية التي نزخر بها المجلة فنجد الاستاذ الدباغ في حديثه عن الشعر بين التكلف والابتذال ، يبدع في تصوير انطباعاته عن رسالة الشاعر التي يجب ان تهدف الى تصوير العواطف الانسانية واخراجها في قالب يتميز بجمال الموسيقى الشعرية ، والايقاع العذب والنغم الحلو في انسجام تام بين اللفظ والمعنى ، حتى يخلق منهما صورة جميلة ، لاتقل روعة وتاثيرا في النفس عما يحدثه رسم فنان عبقري في النفوس الشاعرة المتذوقة لما في تلك الصورة من انسجام بين الخطوط والالوان ، اخرجها للناس تحفة فنية رائعة.

وانا لنحمد للكاتب غيرته على الشعر العربي الاصيل ودعوته الى تطوره وتجدده في نطاق الحفاظ على هذه الاصالة .

وناتي بعد هذا محاضرة الاستاذ زنيبر عن منابع الشعر وحقيقة الشاعر ، حاول الاستاذ ان يعالج فيها رسالة الشاعر في الحياة ، والمنابع التي يستقي منها ، مبينا ان الشاعر انما يستلهم من نفسه الشاعرة وروحه الفياضة ، وانه اذا كان هناك التزام فانما يلتزم بما توحيه اليه احاسيسه ونوازعه البشرية . لا بما يريد الناس ان يلزموه اياه . وبالرغم من انه نفى ان تكون قصده التحدث عن الالتزام في الشعر ومسائله المختلفة، الا ان التفسير الذي اراد ان يعطيه لحقيقة الشاعر يبين بجلاء ان الشاعر انما يصدر عن وحي ضميره والهامه ، وعن انفعالاته مع نفسه ، وتفاعله مع مجتمعه وهي حينذاك انعكاسات صادقة لزوايا الشاعر النفسية . وصور طبق الاصل من فهمه للحياة ، وتصوره لجوانبها المختلفة ، وسبحات روحية في عالم الجمال والطبيعة ، ولقطات لسحر هذا الجمال في مظاهره المختلفة .

بقي ان نقف وقفة عند تساؤله هل لدينا شعر؟ هذا السؤال الذي نجد انفسنا مضطرين الى القول بانه تهرب في الجواب عنه وكان الاجدر بالاستاذ الكبير الذي حاضر عن الشعر ، في مدينة الجمال والسحر ، وسط عصبة مختارة من ادباء الشمال ان يعالج الجواب على هذا السؤال الذي تلح الضرورة القصوى على معالجته ، حتى نعرف نوع البضاعة التي لدينا ، هل هي من النوع الجيد الذي نجرؤ على طرحه في الاسواق العالمية ، وهل لنا شعراء يكرعون من ينابيع ثرة صافية ، تصقل النفس فتخرجها صورا مشرقة، ام انهم يغرفون من منابع راكدة آسنة فتخرج الصورة الشعرية ، وقد خيمت عليها ظلال الركود والفقر الفني

لقد اعترف الاستاذ زنيبر نفسه بان هذا سؤال – من بين اسئلة اخرى – يستحق مناكامل الالتفات والانتباه . الحقيقة ان الامر شائك ، وقد لمح الاستاذ الى انه سيسلك في بعض الاحيان سبل التعقيد والابهام

ونمر بعد ذلك مر الكرام على التعليق على النقد، والمنافسة بين الاستاذين السايح وزنيبر وقد تمنيت في بداية هذا التعليق ان يتجنب الزملاء الالفاظ والعبارات الجارحة ، ويلتزموا النقد البناء ، والبحث عن الحقيقة المجردة في نزاهة وترفع عن لغو القول .

ومن الدراسات القيمة في هذا العدد الترجمة او التحليل الضافي الذي قدمه الاستاذ البوسرغيني الفقيد الادب العربي الدكتور محمد مندور ، فبالرغم من انه اطال النفس حتى استغرق بحثه حوالي عشر صفحات ، الا انه كان دراسة شيقة لا للدكتور مندور فحسب بل لفترة كاملة من المراحل التي مرت بها حركة النقد الادبي في ربع القرن الاخير .

وفي خضم هذه المعارك الادبية ، ينقلنا السيد رئيس تحرير المجلة الى عالم الارقام والاحصائيات ، و « السبر والتقسيم » في مقال الاستاذ خالص، ويتجول بنا في مراكز السبر في مختلف عواصم العالم . ولقد بذل فيه الكاتب مجهودا مشكورا حيث عرف بهذه البدعة الجديدة التي اصبحت تحتل درجة ممتازة في الحياة بجوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وحينما وضع الاستاذ غلاب العدد الماضي في الميزان ، تحمل مسؤولياته بشجاعة وامانة ، وابدى آراء صائبة بصدد بعض الدراسات التي تناولها في الشكل او في الموضوع .

بيد اني ساقف قليلا عند نقده لمقال الاستاذ ابن جلون حول توحيد اللغة العربية الذي يقول فيه: «ان اللغة لا يضعها المدونون ولا يبحثون عنها في المعاجم القديمة ، بينما تسيطر علينا نحن فكرة احياء الالفاظ القديمة ، والتنقيب عليها في بطون معاجم ، مرت على وضعها مئات السنين ، بالضبط كما لو كنا نبحث عن مواليد في مقبرة .!

اعتقد ان الاستاذ ابن جلون لا يريد ان ينكر بهذا فضل المعاجم التي حفظت لنا هذا التراث الضخم ،

أصل البشرية في المغرب

بقلم : إيميل اينوشي
الأستاذ بكلية العلوم لجامعة محمد الخامس
تعريب الاستاذ : احمد الاخضر

من المعتقد اليوم في اوساط علماء الاحاثة ان افريقيا كانت مهدا للبشرية واطارا تاما لمراحلها المختلفة

فقد عثر في ناحية واحة الفيوم بمصر على اقدم الآثار المعروفة الى حد اليوم نسبها العلماء لا الى الانسان بمعناه الكامل بل الى ما قد ينتسب الى سلفه الغابر

وبعد ذلك العهد انتشرت تدريجيا افواج متتابعة للجنس البشري احتلت القارة الافريقية كلها .

واي فرق بين بقايا الفيوم المتحجرة وبين سائر البقايا التي عثر عليها في نواح اخرى ؟

تنتمي كلها في الحقيقة الى رتبة الرئيسيات تميز منها الانسان باكرا بانتصاب قامته ، ونمو دماغه . وقدرة عقله التي ساعدته منذ البداية على ان يدافع عن نفسه ، وان يقتات ، وان يصنع من الحجر الصلب الحاد اسلحة وادوات .

وقلما تبقى في باطن الارض عظام الانسان هي هي سليمة ما لم تتحجر بعامل تلك الظاهرة السائدة التي تعتري العظام في احوال خاصة فتحفظها طويلا . وبصفة عامة فانها تنفسخ في الارض وتتحلل فتغدو غبارا مندمجا مع التراب من جديد . واذا توفرت اثناء اندفاعها وانطمارها بعض الشروط، ولم تعمل فيها الراجبات عملها المخرب ، دام الهيكل تاما وفرغت خلايا عظامه من مادتها العضوية وامتلأت باملاح معدنية محيطة بها واصبحت العظام متحجرة مما يجعلها اكثر ثقلا واشد صلابة . والكشف عن مثل هذه العظام امر صعب لما يتسبب عنه من مشاكل وتدابير خاصة .

لذلك فان العثور على بقايا الانسان المتحجر لقليل جدا من الناحية الجغرافية ، ولمتباعد في الزمن من الناحية الجلوجية مما يوهم بالبتر والفراغ بين مختلف المراحل البشرية . بينما ليس هناك اي بتر ولا اي فراغ من الناحية النظرية ، لان الانسانية تطورت باستمرار دائم متواصل . وحتى التحولات والتبدلات الفجائية التي طرأت على تطور البشرية منذ الانسان الاول وحتى « الانسان الحكيم » الحالي فانها كانت متعددة متنوعة ودقيقة غير محسوسة في آن واحد ؛ تذكرنا في ذلك باشرطة سينمائية تظهر لنا صورها مستمرة متواصلة غير منقطعة لسرعة تتابعها وخفة تلاحقها وقلة الفروق بينها .

ومع ذلك فللمغرب في هذا الميدان منزلة ممتازة لما يتوفر عليه من مظاهر احاثية حددت اهم مراحل هذا التطور بصفة واضحة .

1 — فاول مظهر احاثي اكتشف في هذا الصدد هو للنوع الجنوبيقردبات . سمي بذلك للعثور عليه في افريقيا الجنوبية ولكونه صنفا اول ما صنف في النوع القردي . وجدت عظام هذه الاشخاص المتكثرة يوما بعد يوم في افريقيا الجنوبية والشرقية وفي التشاد . ومعالمهم التشريحية ووجود احجار منحوتة ازاء جثثهم ، نحتوها هم بلا شك ، لما يدل على انهم كانوا

زيارة الرئيس الحبيب بورقيبة للمغرب ولقائه مع اخيه جلالة الحسن الثاني فى حفلة توأمة فاس والقيروان واذا كان لنا من رجاء عند الشاعر فهو ان يعنى بتصحيح التراكيب ، والتعابير التي تحتاج الى بعض التكلف فى تخريجها على الاستعمال العربي السليم ، من ذلك قوله : ابو رقيبة الاغزى نفوس عداته — وجدتكما للعالمين هداية . ولافريقيا نبراسا ينير الدياجيا — فقودوا شعوبينا الى الخير .

والقصيدة الثانية للاستاذ المقدم وهي قطعة لطيفة حيا فيها جلالة الملك المعظم وهناه بالمولودة الجديدة التي ازدان بها البيت الملكي العامر .

وننتقل الى قصيدة الاستاذ عبد الملك البلغيثي فى وصف مشكلته مع الحجام ، وهي من الشعر الخفيف المرح يقدم فيها صورا من حياتنا الاجتماعية التي قلما يعالجها شعراؤنا فيقدمون صورا رائعة نابضة بالحياة والحركة ، بينما نجد اغلبهم على العكس من ذلك لا تتفتح قرائحهم الا عند المناسبات ، ان القصيدة جاءت رسوما حية متلاحقة فيها تجدد وابداع ، جعلتنا نعيش معه محنته مع الحلاقين الذين نقدهم فى بعض قصائده ، فصاروا ينظرون اليه شزرا ، وكان عهده بهم لا يقرأون : لقد حل الصيف بزمهريره ، وندلى شعره على قفاه ، ويعتزم دخول قاعة حلاق ولكنه يخشى من غيظهم ومكرهم ، ويستنجد بالناس ليدلوه على مخرج من محنته .

ان هذه القصيدة بخفة دمها تذكرنا بشعر المرحوم ابن ابراهيم ، وخاصة منه مقطوعته الخفيفة التي يغازل فيها انيسه الوحيد فى حجرته « الفأر » الذي يقتحم عليه مأواه ويؤنسه بوشوشانه ووثباته .

اما قصيدة فاتح اكتوبر فقد قدم لنا الشاعر فيها تحقيقا صحفيا منظوما من افتتاح المدارس ووصف التلاميذ الذاهبين اليها متأبطين كتبهم ومحابرهم ومساطرهم ، ثم يختم هذا التحقيق بجمل وعظ وارشاد عن فوائد العلم والتمسك بالاخلاق

واختم هذه الارتسامات بالقاء نظرة على قصيدة « لقاء » التي وان احتفظت بتفاعيل الشعر وقوافيه ، فانك لا تكاد تحس وانت تقرأها بتلك الحرارة الدافقة التي نلمسها عادة فى الشعر من خلال تعابيره ومقاطعه . كما لا تجد تلك المتعة التى نتذوقها فى انغامه المنسابة بين ثناياه كخرير المياه المنحدره بين الجداول والغدران . بالرغم من ان الموضوع حي وشيق من شأنه ان يبعث فينا الحنين الى ماضي اشبيلية الحافل بالامجاد ، وبالذكريات العذبة لادب المعتمد بن عباد .

عبد الهادي الشرايبي

د ـ الانسان الحكيم المتحجر :

لقد عثر على بقايا للنوع البشري الحالي فى حالة تحجر وتحصل هذه الحالة للعظام فى باطن الارض بعد مكوثها به اكثر من عشرة ءالاف سنة . ويسمى هذا النوع فى المغرب بانسان مشتى العربي . وفى الواقع التبس عليهم نوعه بنوع كرومانيون فى اول الامر فاصبحوا اليوم يميزونه عنه تلافيا لذلك الالتباس ويقاربونه بنوع الغونش « بفتح الغين والواو وتسكين النون » الذي عثر عليه بالجزائر الخالدات « كاناري » .

ولقد اكتشف المؤلف قرب الرباط بدوار الدبغ سنة 1951 فكا سفليا تاما ، وحطمة حنك ، وعظاما جمجمية غليظة ولا سيما العظام الجدارية منها . وبعد ذلك اكتشف من جهته الرئيس الكنيسي « روش » هياكل عديدة قرب مدينة وجدة فى مكان تافوغالت سنة 1953 . ولم نستطع الى حد الساعة تحديد تاريخ هؤلاء الناس الا انه اذا تبين انه يتناسب مع طبقة دار السلطان العلوية سيكون مقدرا باربعة عشر الف سنة تقريبا . وقد عاش انسان المشتى العربي قبل اواخر العهد المطري الاخير اي منذ احد عشر الف سنة .

اولائك هم الرجال المتحجرون الذين سبقونا بالمغرب . ومما لاشك فيه ان تشجيع مثل هذه الابحاث لمن شأنه ان يساعدنا على رفع الغطاء عن مطامر اخرى ومعرفة جدد اخرى فى مراحل التطور البشري .

فالرجال المتحجرون لم يعرفوا طوال مدة جيلهم التي تقدر بمليونين من السنوات اسلحة غير الاسلحة الحجرية وادوات غير الادوات المصنوعة من الحجر المقدود المنحوت . وفى ظرف عشرات السنين ارتقت الانسانية من مرحلة الصناعة اليدوية الى الصناعة الالية ثم الى الصناعة التلقائية ويخيل الينا بالنسبة الى تلك الوثبات الشاسعة المدى التي اجتازتها الانسانية فى هذه الظروف القصيرة الزمن . اننا نعيش فى مدنيات اخرى . وفعلا لقد نشأ عالم جديد تحت اعيننا المشدوهة المبهوتة من وجود عالم جديد يصرخ بنا ان عهد النواة والفضاء قد بدأ انطلاقته الكونية . فماذا سيكون للانسان منه فى الدهور المستقبلة يا ترى ؟

الرباط ـ احمد الاخضر .

اناسا صفارا . فهم اول البشر . ولم نعثر فى المغـــرب على عظام لهم متحجرة ، الا ان اثر مرورهم بالمغـــرب يوجد فى بعض انحاء الغرب بوجود تلك الاحجار الكليوبة الشكل الخشنة الطرق او النحت والتى تسمى « بيبل كولتور » . ويرجع عهـد الجنوبفرديات الاولبــن الى 1750 الف سنة والدين اكتشفوا فى التشاد وهـــم احدث عهدا يرجع تاريخهم الى 700 او 800 الف سنة

ب ـ والجيل الثانى هو جيل « الفردبنسانيات »، اشير الى وجودهم لاول مرة فى جزيرة « جاوا » كانــوا اناسا فرودا الا ان الاكتشافات الحديــثة بينت انهــم كانوا اناسا حقيقييــن اطول قامة وارقى تطورا مــن الجنوبفرديات . فاسلحتهم الحجريـة اجـود اتقــانا تتكون من احجار منحوتة لوزية الشكل يظهر عليها انــر الطرق من الجانبين قصـد جعلها حادة من الحافتيــن ، ويطلق عليها اسم ذوات الواجهتين او الملائم الاشولبـة (من مكان بهذا الاسم بفرنسا)

ومــن اجمل ما وجد من الوثائـق الاحاثيـه تلك المجموعة المكونة من الفكوك السفلية والشظايا الجمجمية عثر عليها الاستاذ آرامبورغ قــرب الحــدود المغربيـة الجزائريـة فى تيريفيــن (معسكره) والتــى تسمــى بالاطلـنتيـسانيات الموريطانية .

ولقـد عثر فى المغــرب على بقايا لهـؤلاء الناس فى مدينة الرباط . فالرجـل الرباطـي اكتشفـه العالــم « مارسي » فى الحث التلـى للشاطىء الرباطي سنـة 1934 . الا انه مع الاسف لم يبق منه الا الفك السفلي وشظية من الحنك . اما عظامه الاخرى فقـد انكسـرت وضاعــت .

ومما ينتمي الى هذا النوع 1) حطـام عظاميـة لفكوك سفلية كشف عنها العالم « بيبرسون » سنــة 1955 بمحجر سيدي عبد الرحمن قرب الدار البيضاء وفك سفلي عثر عليه العالم الرئيس الكنيسي « روش » سنة 1956 قرب قرية تمارة يظهر انه لاطلسينسانـي متطور المعالم مما يجعله يقارب النـوع النياندير طالـي (من اسم مكان بالمانيـا) .

وتاريخ كل هؤلاء القردينسانيات يتراوح ما بيــن ثلاثمائة الف وخمسمائة الف سنة . وهناك اشكـــال منها يعود اصلها الى النوع السابق او النوع اللاحق بها

ج ـ وكـان ينقص المغـرب اثـر مــن الجيـــل النياندير طالي الا ان الاستاذ ايونوشي صاحب هـــذه السطور مـلأ فراغه باكتشافه فى جبل ايغود جماجـم لهذا النوع اعلن عليها منذ سنة 1962 : وهي جمجمـة اولى بدون فكها السفلي عظيمة واسعة مميزاتها اقواس حجابية ناتئة فى شكل مكيت بيــن طرفي الجبهـــة . والجمجمة الثانية عديمة الوجه ، وعثر المؤلف كـذلك على حطمة للعظم الجداري من جمجمـة ثالثة ، وقـــد ساعدنا الحظ فنعثر على قطع اخرى فى المستقبـل ان شـاء اللــه .

والغاية من النياندير طاليين الذين مافتيء المؤلف يبحث عنهم فى المغرب منذ ما يزيد على عشرين سنـة هي اثبـات هذه المرحلـة الثالثة مــن تطـور البشرية علــى الارض .

وتتجلي اهميــة المطمر الاحاثـي المشار اليه فى جبل ايغود فى العثــور على جائلـة حيوانية فيهـا عظام الكركـدن والحمار الزرد او العتابى . والبقر العملاقي والظبي والغزال والنعامة يربو عددها على الالف وفــي العثور على صناعة كبيرة الادوات من النوع الموستيري (من مكان بهذا الاسم) وهو نوع لم يكن معروفا بالمغرب الى حــد الآن . والمطمر هدا كان معمــلا لقد الحجـر وتحـيه بالاضافة الى انه كان محل سكنـى . لما وجـد فيه من اثر النار فى عظامه واحجاره . ويمتاز الصناعه الموستيريه بحدود صغيرة لسهـام لوزيـة الشكــل مصنوعه من حجر الصوان الاسود والاسمر والاشقـر والسفاف ومنحوتة من جانب واحد كما انها تمتـــاز بادوات للحـك والكشط والحفـر والثقب الـخ ... ومطمر ايغود فريد من نوعه فى افريقيا . وهناك مطمر آخر فى ناحية طنجة بالمغارة العالية اكتشف فيه العالم « كوون » عظاما بشرية تبين من بحثهـا ومــن خلـط طبقية ارضها انها ليست من النوع النياندير طالي فــي شـــيء .

بيد ان وجود صناعه احدث عهــدا تسمـــى بالصناعة الاتيريــة وتتكون من سهام فى شكل رمــاح ذات معاليق لما يجعلنا نفتــرض ان النياندير طالييــن تواصل نسلهم فى شكل متطور بحيث ان عهدهـــم لا يتعدى مائة وخمسيــن الف سنة بالنسبة الى اوائلهم ولا يفوت ثلاثيــن الف سنة بالنسبة الى ذريتهـم القريبة منـا . ولاشك انه سيعثر يوما ما على اشكال عبوريــة تنتمي الى القردينسانية وعلى اشكـال اخرى مجاورة للانسان الحكيـم . ولم نؤرخ صناعة عيـن قريتيسة الاتيرية النوع بينما يرجع تاريخ صناعـة دار السلطان « قرب الرباط » الى ثمان وعشريــن الف سنة حسب تحاليل « كلارك » .

بنصره ، وعامله بتأييده ، الى الشيخ الولي ابي جعفر اسحاق ابن الشيخ الولي ذي المئاثر الشريفة ، والمراتب الدينية المنيرة ، المشرفة بالسعادة الدنيوية والاخروية ، ومغارس الكرامة العظمى ، والسجايا العلوية الجسمانية ، المذهب للظلم باعراب عن سلفه المنتمي بالبنوة الى مراتب النبوءة ، قطب المدار ، اسماعيل ءامفار ، المتبرك به نفعنا الله به .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد حمد الله العظيم والصلاة على نبيه المصطفى الكريم وعلى ءاله بعم الال والرضى عن مصابيح الاسلام اصحابه البررة اهل الدين المستقيم ، وعلى الائمة الخلفاء الراشدين موصلين الحق الى اهله الى غاية التبيين والتعظيم . فاني كتبت اليكم معلما بما في جأشكم من الاعتقاد وخلوص المحبة وجميل الوداد ، وباني ارى راغبا بان استظل في ظل عنايتكم ، واحظى ببركاتكم موفيا بعهد الله في مرضاتكم ، طالبا من الله الثبات على سبيل طريقكم ، خائفا منه الطرد والحرمان عن بابكم . واني بحول الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم رايت ان افضل ما يقربني اليه خلوص محبتكم وتوقيركم على الدوام والاستمرار وقطبانيتكم الظاهرة ربطت رعيكم المأمول ، واستظهرت جانب البر والقبول ، والخير المستمر الدوام الموصول ، وصرفت عليكم الزكاة والاعشار لتفرقوها على ايديكم من الاغنياء الى المساكين لصدقكم في ذلك . ونحروا الغرباء والجيران ، والشركاء والاصهار ، الى غير ذلك .

والمعسرون منهم فلا حرج عليكم ولا تثريب على احد منهم فيما تقدم ، ولهم من الصفح الشامل ، والعفو السابغ الكامل ، ما يستقرون به في مهاد العافية ، ويوردهم من ءامالهم الموارد الصافية ، وليكونوا موقنين بما ستقبلونه من الدعة الضافية الجلباب والاسباب ، التي يعرفونها بحول الله دائمة الاستحباب هم اعينهم ولهم سمائها ، وفيهم رغبة في الاتصال بكم والتكفل بخدمتكم ، والتمسك بكم ، التماسا لحرمتكم ، وبركاتكم ، والله سبحانه ينفع المسلمين ببركاتكم ، ويسقينا من سمائكم ، سحائب الرضى المأمول والرحمى . والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته، وكتبه تميم بن زيري اه» لفظه من كتاب محمد بن عبد العظيم الازموري المسمى «تنفيح الاخبار » .

ثم بعد انهزام تميم تم لحمامة ملك فاس واحوازها وكثير من اعمال المغرب ، الى ان توفي في سنة 440 فكانت ايامه 18 سنة ، وتولى الملك بعده ابنه دوناس الذي كانت ايامه ايام هدنة ورخاء ، وفيها عظمت فاس وعمرت ، وقصدها الناس والتجار من جميع النواحي ، فادار السور على ارباضها «قصباتها» وبنى المساجد والحمامات ، وفنادق التجارة ، فصارت حاضرة المغرب ، ولم يشتغل من يوم ملك البلاد الا بالبناء والتسييد حتى ازدهرت اقتصاديا واجتماعيا وعمرانيا الى ان توفي سنة 452 .

وهذا هو السر في ذكر الدولة المغراوية لان مدينة فاس عظمت في ايام هذا الملك دوناس ثم ولي الملك بعد وفاته ولداه الفتوح وعجيسة ، وتولى كل واحد منهما عدوة فاستولى الفتوح على عدوة الاندلس فبنى باب الفتوح ، وسماه باسمه وبنى قصبة منيعة بالكدان ، كما بنى عجيسة بابا بعدوة القرويين سماه باسمه باب عجيسة وبنى قصبة منيعة بعقبة السعتر ، واستمر القتال بين الاخوين طوال ايامهما ، وظفر الفتوح باخيه عجيسة، فقتله واستمر الفتوح ملكا بفاس الى ان دخلت عليه لمتونة فانجلى عنها ، فكانت ايامه بها 5 اعوام وخمسة اشهر ، وفي جلاء الفتوح عن فاس بايع اهلها معنصر بن المعز ابن زيري في شهر رمضان سنة 451 فاستمر بها الى سنة 462 فدخل عليه المرابطون .

الرباط — عبد الله الجراري

ظهير فريد .. في دولة مغراوة

للأستاذ : عبد الله الجراري

اول ملوك هذه الدولة زبري بن عطبة بن عبد الله الزباني المغراوي الخزري، تولى ملك زناتة سنة 368 فى حال كونه قائما بدعوة هشام المؤيد ملك الاندلس على يد المنصور بن ابي عامر حاجبه ولكن الجو لم يصف بينهما فى الابتداء الا انه بلغه عنه ما يسوء من القول فى حقه من كونه حجر سلطانه هشام المؤيد . فاغتاظ لذلك ووجه ولده عبدالملك المظفر بجميع عساكر الاندلس . وامره بمحاربة زبري وانتزاع المغرب من يده ووصل المنصور بنفسه من قرطبة الى الجزيرة الخضراء مشيعا ولده عبد الملك لما ذكر من الفرض فالتقا الجمعان باحواز طنجة فهزم عبد الملك الامير زبري بن عطبة شر هزيمة وانكسر ما كان معه من الجيش وانتهى امره بالفرار الى ابواب فاس وترك معسكره وذخائره غنيمة لعدوه فسد اهل فاس ابواب المدينة فى وجه زبري ، فطلب منهم اخراج عياله واولاده، ففعلوا، واعطوه زادا فذهب فارا بنفسه الى الصحراء ودخل عبد الملك مدينة فاس ءاخر شوال عام 387 وكتب لوالده المنصور معرفا بالفتح، ففرىء كتابه بذلك على منبر جامع الزهراء من مدينة قرطبة ، وبعث لولده المظفر بولاية العهد على المغرب . وقرىء كتابه بذلك على منبر القرويين وقد ذكر نصه ابن خلدون فى تاريخه العبر ، فاستقر عبد الملك بمدينة فاس وعدل فى اهلها عدلا لم يروا مثله فيمن قبله من الولاة : ولما توفي زبرى سنة 391 بايعت قبائل زناتة ولده المعز بن زيرى فضبط ملكه ، وقام به اتم قيام ، وصالح المنصور بن ابي عامر ، وقام بدعوته ورجع الى طاعته ، واستمر فى عمله الى ان توفى المنصور ، فبايع المعز ولده عبد الملك المظفر ودعا له على المنابر وشرط عليه شروطا قام بالوفاء بها فى كل سنة ، واعطاه ولده معنصرا رهينة «1» على الطاعة فبقي بقرطبة الى ان قامت الفتنة ببلاد الاندلس ، وانقرضت الدولة العامرية فانصرف معنصر الى والده بالمغرب ولم يزل بلاد المغرب فى ايام المعز فى غاية الهدنة والعافية — الى ان توفي فى جمادى الاول سنة 422 فخلفه على الملك ابن عمه : حماما بن المعز بن عطية وهذا هو الذى قام عليه الامير تميم بن زيرى الزناتي بمدينة شالة وزحف اليه الى مدينة فاس فى قبائل مغراوة فكان بين القطرين قتال عظيم انهزم حمامة امامه الى مدينة وجدة ودخل تميم الى مدينة فاس فى شهر جمادى 2 سنة 424 فاوقع باليهود وقعة فظيعة اذ قتل منهم 6 ءالاف . وأقام بفاس سبعة ايام فجمع حمامة قبائل مغراوة من نواحي تلمسان واقبل بهم الى مدينة فاس، ففر تميم منه الى شالة وذلك سنة 431 ، والى القارىء نص ظهير «2» تميمي يبرهن لنا عن المكانة التي كان الاشراف العلويون يتمتعون بها فى دولتهم رغبة فى التيمن بانتسابهم الى الرسول الاكرم والتماس البركة من افاضلهم ، مع ما توحي به الحركة الادبية وما كان لاقلام الكتاب فى فن الكلام من اساليب رصينة لا تخلو من متانة وروعة .

بعثه الى الشيخ ابي جعفر ءامغار رضي الله عنه . ونصه بعد سطر الافتتاح : من عبد الله المتوكل عليه المفوض امره اليه الامير بن الامير ايده الله

1» كانت هذه عادة لدى بعض الدول والرؤساء تونقا منهم بالوفاء ، واخذا بالحيطة لانجاز الوعود .

2» وهو اهم ما قصده الكاتب من هذا المقال .

وقبل ان اناقش الكاتب الحساب ، اود تصحيح بعض ما ورد في مقاله وضعا للامر في نصابه : ما ذا يقصد بالامبراطورية العربية ؟ هل كانت هناك امبراطورية عربية واحدة شاملة يحكمها امبراطور او خليفة واحد ، ويمثل المشرق جزأها الشرقي ، والمغرب جزأها الغربي ؟

يحدثنا التاريخ ان العرب في هذه الفترة لم يكونوا دولة او امبراطورية واحدة مثلما كانوا في عهد بني امية مثلا .

اذن فعبارة (الجزء الغربي من الامبراطورية العربية) غير صحيحة تاريخيا ، لان الامبراطورية العربية كانت قد تجزأت ، ففي منتصف القرن الثالث عشر كانت دولة الايوبيين 1171 / 1250 في مصر والشام . وقد جاهد الصليبيين المغيرين ، وطردهم صلاح الدين من الاراضي المقدسة ، وقد حلت دولتهم دولة المماليك 1250 / 1517 التي انشأها وحكمها العبيد على حد تعبير (روم لاندو) ، وفي ذلك العهد كان الخلفاء العباسيون في بغداد يملكون ولا يحكمون ، وكانت سلطتهم روحية اكثر منها زمنية ، وقد هاجم عاصمتهم ودمرها سنة 656 هـ / 1258 م زعيم المغول هولاكو مقضي على الخلافة العباسية ، وواصل زحفه على دولة المماليك ولكن قائدهم السلطان قطز تمكن في معركة عين جالوت 1260 م من صد العدوان الذي قام به المغول والصليبيون المتحالفون ، وردهم على اعقابهم .

اما المغرب فكان يحكمه الخلفاء الموحدون فبلغ على ايدي عبد المومن بن علي وابنه يوسف وحفيده يعقوب اوج عظمته ، اما في منتصف القرن 13 م فكان على عرشه ابو حفص عمر المرتضى 48 ــ 1266 الذي كان في عهد ضعف وتراجع سياسي وحروب داخلية مع قوة المرينيين النامية .

فالعالم العربي ــ اذن ــ لم يكن امبراطورية واحدة يحكمها امبراطور واحد ، حتى يصح ان نقسمها الى جزء شرقي وآخر غربي ، ثم ما بال الكاتب لم يأت بأي دليل يرينا فتك الموحدين بالعلماء،وقتلهم اياهم بلا رحمة ولا رأفة،وما باله لم يرنا كيف آل الامر الى اوربا فانقذ ما امكنها انقاذه ؟ الم يكن عرب المغرب والاندلس هم الذين حملوا مشعل الحضارة يوم كانت اوربا جاهلة لا يقل اعظم اباطرتها الموقع باسمه ؟ وقبل ان تنقذ اوربا الحضارة ، من كان انقذها وصانها لها من العبث والفساد او الاضمحلال والفناء ؟ هذه اسئلة كان يجدر بالكاتب المحترم ان يسائلها نفسه قبل ان يرمي الكلام على عواهنه .

وقبل ان اعود الى موضوع الموحدين المفترى عليهم ، اريد ان اذكر القارىء الكريم ــ والذكرى تنفع المومنين ــ بالدور الوحشي الذي لعبه المغول في المشرق وفي بغداد بالخصوص ، لتمكن مقارنته بالدور الذي قام به الموحدون في المغرب .

يقول المؤرخ سيد امير علي : (ويحتاج وصف تدمير مدينة بغداد الى براعة مؤرخ مثل (غيبون) : والنساء والاطفال الذين خرجوا من بيوتهم يحملون المصاحف على اكفهم ، ويتضرعون الى الجنود كي يبقوا على حياتهم ، وطئت اجسادهم بحوافر الخيل ، والنساء المدللات اللواتي لم يألفن رؤية الجماهير ، اجبرن على السير في الشوارع العامة ، وتعرضن لأبشع ضروب الاذى والاهانة ، اما الكنوز الفنية والادبية التي جمعها الخلفاء المتعاقبون بكثير من المشقة والعناء ، مع بقايا المدنية الفارسية ، فقد دمرت تدميرا في خلال بضع ساعات ، وغرقت شوارع المدينة طوال ثلاثة ايام بالدماء ، واصطبغت مياه دجلة بالحمرة عدة اميال .

واستمرت اعمال التخريب والتقتيل ستة اسابيع ، فدمرت القصور والمساجد والضرائح اما بالنار او بالمعاول بغية الحصول على قبابها الذهبية ، واعمل السيف في رقاب المرضى في المستشفيات والطلاب والاساتذة في الكليات . وفي الضرائح نبشت قبور الاولياء والائمة الصالحين ، وفي المجامع العلمية التهمت النيران تآليف كبار العلماء ، والقيت الكتب طعمة للنيران او مياه دجلة ، وهكذا فقدت الانسانية تلك الكنوز التي تجمعت خلال خمسة قرون ، وفنيت زهرة الامة فناء تاما .

وبعد ان دامت تلك العاصفة اربعة ايام ، امر هولاكو بضرب المستعصم (الخليفة) واولاده وكبار افراد اسرته ، فضربوا حتى فارقوا الحياة ، ولم ينج من الهلاك سوى عدد ضئيل من افراد بني العباس المعمورين ، وتدمرت الى الابد مدينة بغداد ، موطن العلم ، ومركز الثقافة ، وحاضرة العالم الاسلامي . كان عدد سكانها قبل تلك المأساة مليوني نسمة ، ويقول ابن خلدون . ان مليونا وستمائة الف شخص هلكوا في المذبحة التي دامت ستة اسابيع) . (4)

ذلك هو الدور الذي قام به المغول في الشرق ، فهل قام الموحدون بشيء من هذا القبيل ؟ هل قتلوا ، او احرقوا ، او اغرقوا او دمروا ، او خربوا مثلما فعل اولئك ؟ كلا وايم الله . بل كيف يتصور الانسان ان تقوم دولة الموحدين على دعوة دينية فلسفية ، وتعمل في نفس الوقت على تقويض دعائم الحضارة العربية ؟ ام كيف يصح في الذهن السليم ان نضع الموحدين في صف المغول الوثنيين ، ونجمعهم معا في صعيد واحد ؟ ام كيف يجوز لمواطن عربي ان يقذف بهذه التهمة الشنيعة ، ويصم بها جبين هذا الشعب المغربي النبيل ؟ .

---

4) سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب (ترجمة عفيف البعلبكي) ص 346 ــ 347 .

الموحدون والحضارة

للأستاذ: عبد الله العمراني

قامت دولة الموحدين بالمغرب على انقاض دولة المرابطين، وعلى يد مؤسسها الاول محمد ابن تومرت الذي ادعى المهدوية ابتداء من عام 515 هـ 1121 م ، واذا قلنا (المهدوية) فمعنى ذلك ان هذه الدولة قامت على فكرة دينية ، شأنها في ذلك شأن كثير من الدول التي سبقتها او لحقتها ، بل ان دولة الموحدين قامت على فكرة اخرى فلسفية ايضا ذلك ان الموحدين كانوا يهدفون الى تخليص العقيدة الاسلامية بالمغرب من كل ما يشوبها — في نظرهم — من مظاهر (التجسيم) الذي كان المهدي ابن تومرت وانصاره يرمون به المرابطين من قبلهم ، ويقول ابن خلدون معللا تسمية الموحدين بهذا الاسلام : (وكان — يعني المهدي — يسمي اصحابه بالموحدين تعريضا بالمموية — يعني المرابطين — في اخذهم بالعدول عن (التاويل) وميلهم الى التجسيم (1) . ويقول روم لاندو . (وكان — اي المهدي — يعلق على مفهوم وحدة الله المطلقة اهمية بالغة الى درجة جعلته يطلق على اتباعه اسم الموحدين) (2) .

كتب النصر للموحدين ، فأسسوا دولتهم التي استلمت زمام الحكم في المغرب ، فلم تلبث ان صارت لها مقاليد الزعامة في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ، لا ينازعها في ذلك منازع ، اذ استطاعت ان تنشر الويتها على الربوع الممتدة من المحيط الاطلسي حتى حدود مصر الغربية ، ومن الصحراء الكبرى حتى قلب شبه جزيرة ايبريا ، وكانت عاصمة الدولة هي مدينة مراكش .

ان هؤلاء الموحدين الذين اسسوا ملكهم على تقوى من الله ورضوان ، ونشروا نفوذهم السياسي على رقعة واسعة من افريقيا واروبا ، لم يكن يعوزهم روح العمل الجدي ، ولم يقف اي عائق في سبيل نشرهم للحضارة ورعايتها .

ومن المؤسف حقا ان نجد في الشرق العربي من لا يزال يجهل او يتجاهل هذه الحقيقة الناصعة ويحمل على المغرب العربي حملته الشعواء ، بين الحين والاخر ، مدفوعا الى ذلك باحد امرين :

1) الجهل وعدم الاطلاع على تاريخ المغرب وثقافته وحضارته ، وينبغي لهؤلاء الا يبقوا في غيهم يعمهون .

2) التأثر بما كتبه او يكتبه بعض المتوربين او المغرضين من كتاب الغرب الذين قد يحاولون الاساءة الى ماضي المغرب بطريقة او باخرى ، وعلى كل فالواقع والتاريخ المغربيان صامدان لكل من تسول لهم انفسهم ان يشوهوا ، ومحاسبان لتزهاتهم كل حساب .

اقول هذا بمناسبة الرأي الغريب العجيب الذي قرأته مؤخرا ضمن سلسلة (الجراحة عبر القرون) ، والذي دبجته براعة الكاتب داود كرم (3) ، قال بالحرف الواحد .

(... جاء بعد ابن سينا طبيبان عربيان آخران ، حذوا حذوه ، واحتلا مكانة رفيعة في عالم الطب ، هما : ابن رشد « 1126 — 1198 » وموسى بن ميمون « 1135 — 1204 » .

الا ان حضارة العرب في القرون الوسطى لم يقدر لها ان تعمر طويلا بعد ابن سينا ، فما ان انتصف القرن الثالث عشر حتى خبا نور تلك الحضارة ، ودكت اركانها على ايدي جحافل المغول الزاحفة من الشرق ، وعلى ايدي الموحدين في الجزء الغربي من الامبراطورية العربية ، فامتدت يد الخراب والتدمير على كنوز العلم والمعرفة ، وفتك العاضون بالعلماء وارباب المعرفة ، وقتلوهم بلا رحمة ، وآل الامر لاروبا لكي تنقذ ما يمكن انقاذه من تراث عصر ذهبي سطع فيه نجم العرب عاليا في ميدان الطب وغيره من العلوم) .

---

1) كتاب العبر ج 6 ص 229 .

2) العرب والاسلام (ترجمة منير البعلبكي) ص 143 .

3) راجع مجلة (العالم) الصادرة ببيروت ، عدد سبتمبر 1965 .

والفلاسفة ذهبوا فيما بعد الى ان عقيدة العامه ينبغي الا تزعزع والا ترفع الى مستوى المعرفة العقلية ، بل ارادوا ان يفصل مجال الدين عن مجال الفلسفة فصلا تاما

(وكان للموحدين عناية بالمذاهب الكلاميه ، ولكن ابا يعقوب وخلفه ابدوا ــ بقدر ما كانت تسمح الظروف السياسية ــ عناية بالعلوم العقلية ، حتى أبيح للفلسفه ان تزدهر في قصورهم) (8) .

فما رأي القارئ فيمن كانت هذه صفتهـم ؟ افكـار من الممكن ان ينقلبوا بين عشيه وضحاها ، فيقلبوا ظهر المجن لهذه العلوم والفنون والآداب ، ويقبروها لغير ما سبب ظاهر ، بعد ان شجعوها ؟ ان هذا لا يجوز في العقل ولا في الشرع ولا فـي العاده . بل كيف يجوز في عقـل الباحـث المدقق ان يعمـل الموحدون يد التخريب والتدمير في التراث الحضاري العربـــي وغير العربي ، ونحن نرى طابعهم والمؤسس الحقيقي لدولتهم ابا محمد عبد المومن بن علي ، يعطف على الحركات العلميـــه والادبيه ، ويتزعمها ، فيشجع الشعراء ؟

يذكر التاريخ الادبي انه حينمـا عبر عبد المومـن الى الاندلس لاول مرة ، ونزل بجبل طارق الذي سماه هو (جبل الفتح) تقاطر عليه الشعراء من كل حدب وصوب ، وانشـــده شعراء عديدون ، منهم شاعر فاس ابو عبد الله محمد بن حبوس ، الذي انشده قصيدة جاء فيها :

بلـــغ الزمـــان بعدلكـم ما امـــلا
وتعلمـــت ايامـــه ان تعـــدلا
وجـــه ان كـــان ميثـــا فاســلا
وحـــد الهدايـــة صـــوره فتكـــللا

وانشده احدهم قصيدة افتتحها بقوله . ما للعدا جنة اوقى من الهـــرب .

فصاح عبد المومن بصوت مرتفع وهو الاديـب الحصيف الرأي المتذوق للشعر الى اين ؟ الى اين ؟ اى الى ابن الفر .
فأجاب الشاعر مسترسلا : اين المفر وخيل الله في الطلب

واين تذهـــب من في رأس شاهقـــة
وقـد رمتـه سمـاء الله بالشهـــب ؟
حدث عن الـــروم في اقطـــار اندلـــس
والبحـــر قـد مـــلأ العبرين بالعـــرب

الى آخر القصيدة الرائعه التي اعجب بها عبد المومن ايما اعجاب ، وقال : بمثل هذا تمدح الخلفاء .

ويعف الاديب المغربي المعاصر للموحدين (عبد الواحد المراكشي) قائلا : انه سمي، منذ ذلك اليوم باسم الخليفه . فاذا كان ذلك صحيحا ــ وهو صحيح لا محالة ــ افلا يكون لربـــة الشعر بهذا المهرجان الادبي فضل في التسمية وايحاء بها ؟

ومما يدل على الذوق الادبي الرفيع ، وروح النقد النزيه، اللذين كان يتمتع بهما هذا الخليفه الحكاية التالية : انشده في ذلك اليوم رجل من اشبيلية يعرف بابن سيد وقال :

غمض عن الشمس واستقصر مدى زحـــل
وانظر الى الجبل الراسي على جبـــل
انـــي اسفـــر بـــه انـــي استقـــل بـــه
انـــي رأى شخصـــه العالـــي فلـم يـــزل

فقال له عبد المومن: لقد اثقلتنا يارجل ، وامر به فأُجلس ويقول الرواة : ان هذه القصيدة كانت من خير ما مدح به عبد المومن في ذلك اليوم ، بيد ان صاحبها تكلف فيها اوجه البديع بحثا عن براعة استهلال ولكنه لم يوفـق في البحـث ، فأثقـل المجلس ، وكدر صفو هذا الجو الادبي اللطيف .

وانشده في ذلك اليوم الوزير الكاتب ابو عبد الله محمد ابن غالب البلنسي المعروف بالرصافي ، (وكانت سنه حينئـــذ قرابة عشرين عاما فقط) قصيدة طويله (9) استهلها بقوله :

لو جئت نار الهدى من جانـب الطـــور
قبســـت ما شئـــت من علـم ومن نـــور
من كـــل زهراء لم ترفـــع ذوائبهـــا
ليلا لسار ، ولـــم تنتبـــب لمقـــرور
قضيبـــة القدح من نـــور النبـــوءة او
نـــور الهدايـــة تجلـــو ظلمـــة الـــزور

الى آخر ما ورد في القصيدة من ابيات عامرة .

وبحقول ما الوقت لو اردنا تتبع ما قيل في عبد المومن وخلفائه من الشعر ، وما قاله عبد المومن نفسه وقد كان شاعرا . كل هذا يدل على ان خلفاء الموحدين كانوا يتذوقـــون الادب والعلم ويشجعون الشعراء ، واهل الفن ، ومن كانت تلك سجيتهم فمحال ان يكونوا معاول هدم وتخريب لمعالم الحضارة . ومحال كذلك ان يكونوا من اولئك الغاضبين الذين يفتكون بالعلمـاء وارباب المعرفه ويقتلونهم بلا رحمة .

ــ يتبـــع ــ

تطـوان : عبـد الله العمراني

8) ارجع الى كتابه القيم : تاريخ الفلسفة في الاسلام (ترجمة ابو ريدة ونشر مكتب التبادل الثقافي في مصر ص ــ 248 .
9) راجعها في كتاب : (المعجب في تلخيص اخبار المغرب) ص 129 ــ 132 لمؤلفه عبد الواحد المراكشي .

ان هذه الدعوى الباطلة التي اتى بها كاتب المقال ، لهي في حاجة ماسة الى دليل واحد يسندهـا ، بل جميع الشواهد والقرائن والملابسات تشجب هذا المجني ، وتدين ذلك الرأي القائل ، وتبين – في جلاء – ان عصر الموحدين كان عصرا ذهبيا بشهادة العرب والعجم على حد سواء ، عصرا ذهبيا في جميع الميادين : السياسيه ، والاقتصاديه ، والاجتماعيه ، والادبية ، والعلمية ، والفلسفيه ، والطبيه وما الى ذلك .

يقول اديب اسبانيا « المعاصر عنما لبث بالنثيـا » (5) :
(... ولم يلبث الموحدون ان احتلوا ما بقي في ايدي المسلمين من الاندلس ، ولم يتوقف تقدم الآداب في اثناء ذلك كله ، بل بلغ من كثرة الشعراء الذين هنأوا ابا يوسف يعقوب المنصور بقصائد من الشعر الفصيح او الزجل الدارج ان امر بالا ينشدوه الا البيتين الاولين من قصائدهم) .

ويقول محمد بن الحلاب الفهري مؤلف كتاب روح الشعر :
(ان امير المؤمنين يعقوب المنصور ، لما قفل من غزوة الاراك المشهورة (وكانت يوم الاربعاء 9 شعبان 591 هـ 1194 م) ورد عليه الشعراء من كل قطر يهنئونه ، فلم يتمكن لكثرتهم ان ينشد كل انسان قصيدة ، بل كل يخص منها بانشاد البيتين والثلاثة المختارة ، فدخل احد الشعراء فانشده :

ما انت في امراء الناس كلهم
الا كصاحب هذا الدين في الرسل
احييت بالسيف دين الهاشمي كما
احياه جدك عبد المومن بن علي

فامر له بالفي دينار ، ولم يصل احدا غيره لكثرة الشعراء ، واخذ بالمثل : منع الجميع ارضى الجميع . قال . وانتهت رقاع القصائد وغيرها الى ان حالت بينه وبين من كان امامه لكثرتها) . (6) .

فأين يمكن ان يحصل هذا الان ، على كثرة الادباء والشعراء ، وتوافر وسائل التثقيف لهم ؟ ان هؤلاء الشعراء كانوا حينئذ بمثابة الصحفيين في الوقت الحاضر ، مع فارق بسيط ، هو ان هؤلاء يكتبون النثر السهل الميسر ، واولئك كانوا يقرضون الشعر وهو ذلكم الفن الصعب الممتنع الذي مر بالشاعر العربي الفحل (الفرزدق) فترات كان فيها خلع ضرسه اهون عليه من قرض بيت واحد منه .

افيجوز بعد هذا ان يقول قائل بان الموحدين كانوا برابرة متوحشين ، قضوا على الثقافه ، وخربوا معالم الحضارة ؟ ان هذا لا يجوز مطلقا ، وان قائله لمخطئ ومجن معا ، فالموحدون لم يدمروا ولم يخربوا كما فعل المغول في الشرق ، فلا يصح بتاتا ان نقارن بين الفريقين . اسمعوا الى عالم اسباني آخر اذ يقول :

(وبينما الشرق – نعيد القول – كان يهلك نتيجه اعاصير من الوحشيه ، فان عرب اسبانيا كانوا ينمون الثروة الروحيه لأسلافهم ، ويقدمونها للعالم كله دون تمييز بين الاجناس والعقائد (7) . ويقول كذلك مقارنا بين حوضي البحر الابيض المتوسط :

(وعندما توقفت الحركة العلميه في طرف من حوض البحر الابيض المتوسط ، نجت في الطرف المقابل ، كتعويض عن ذلك ، حركه انتعاش اشد تألقا ، وانبعث المدارس والعلماء الذين اضفوا – في كماله منافسة وموازنه – على القرن الثاني عشر مثل هذا الامتياز ، الذي يمكن معه ان يعتبر بحق اعظم قرن في تاريخ العلوم الاسلامية باسبانيا . (7)

هذه شواهد ادلى بها علماء وادباء اسبان وعرب ، وكلها تدحض فكرة هذا الكاتب ومن لف لفه من المتعنتين او الأغرار الذين تخدعهم كتابات بعض المغرضين ، فيرمون اخوانهم بما ليس فيهم ، ويخربون بيوتهم بأيديهم .

ولا يتوهمن احد ان هذه الشواهد التي اوردتها ، انما هي من باب (وشهد شاهد من اهلها) ذلك انه في الامكان الاستشهاد بغير اولئك من العلماء العرب او العجم ، والاتيان بحجج دامغة تثبت صحة ما ارمي اليه ، ولكن الدليل الثاني في فرع من فروع الفلسفه . ومعلوم ان الفلسفة في هذا العصر الذي نحن بصدده كانت واسعه المدلول تشمل معارف عديدة ، كما ان كثيرا من الفلاسفه كانوا مشاركين . اي انهم كانوا – الى جانب فلسفتهم – يمارسون الطب والادب والفقه والموسيقى احيانا .

يقول مؤرخ الفلسفه ت. ج. دي بور : (اتى الموحدون بابتداع كبير في علم الكلام ، فادخلوا مذهب الاشعري ، ومذهب الغزالي في المغرب ، بعد ان كانا حتى ذلك الحين ، موسومين بالزندقه وكان هذا مؤذنا بدخول النزعة العقليه في مذاهب المتكلمين ، وهو امر لم ينل تمام الرضى من جانب المتمسكين بالعقيدة الاولى ، ولا من جانب المفكرين الاحرار . ولكنه استطاع ان يحفز الكثيرين الى التفلسف . وكان كل نظر عقلي في امور الدين حتى ذلك الحين امرا ممقوتا . على ان كثيرين من الساسة

5) في كتابه : تاريخ الفكر الاندلسي (ترجمة حسين مؤنس) ص 23 .
6) المصدر السابق – ص 126 – 127 .
7) انظـر 74 ،

واتصالهما بعدد من اعلام ذلك العصر ، ومناظرتهما الشهيرة للامام الكبير تقي الدين ابن تيمية ، تلك المناظرة التي كان لها شان عظيم في المحافل العلمية اذ ذاك حتى قال بعض المؤرخين ان ابني الامام ظهرا فيها على ابن تيمية (5) ...

ويحدثنا المقري انه حضر مجلسين علميين من المجالس التي كان يقيمها السلطان : ابو تاشفين عبد الرحمن بن ابي حمو في تلمسان (718 هـ ـ 737 هـ) الى جانب شيخيه الاخوين ابي زيد وابي موسى ابني الامام . وشيخه ابي موسى عمران المشذالي ، وشارك بآرائه في المناظرة العلمية التي دارت في حضرة السلطان بين العلماء .. ! وعلق على ذلك بانه كان اذ ذاك حديث السن (6) .. ! ونحن نعلم هذه الحداثة من القرائن التاريخية ... اذ انه كان في الغالب ما يزال في اوائل العقد الثالث من عمره ..

وتتميما للعلاقة بين المقري وشيخيه ابني الامام نذكر انه انقبض عنهما وحاول الابتعاد عن الانتساب اليهما عندما رحل الى الشرق ودخل مدينة بيت المقدس ، ولكنه فوجئ بما للراحلين من سمعة وشهرة هنالك بين العلماء فاضطر الى العدول عن رأيه ، وقبول نصيحة المغربي الذي عرفه سوء مغبة الابتعاد عن الانتساب الى شيخيه اللذين ادركا شهرة لا يؤثر فيها انقباضه او ابتعاده .. ، منشدا شطر البيت الشهير « وليس لما تبني يد الدهر هادم (7) » .

وقائمة شيوخ المقري في تلمسان طويلة الذيل ، ذكرها ابن مريم في « البستان (8) » وابن فرحون في « الديباج » وابن الخطيب في « الاحاطة (9) » وابن خلدون في « التعريف (10) » ، مع ما ذكره صاحب نفح الطيب (11) ... خلال ترجمته لجده ...

ونلاحظ ان صاحب البستان يجعل ضمن هذه القائمة اثنين من المرازقة ، وهما الاخوان : ابو عبد الله محمد وابو العباس احمد ابنا ولي الله محمد بن محمد ابن مرزوق العجيسي ، وليس احدهما ممن يعرف عند المؤرخين بابن مرزوق الجد ، ولا بابن مرزوق الحفيد ، بل ان ابا العباس المذكور هو والد ابن مرزوق الجد ... اما اخوه ابو عبد الله ، فهو عم لابن مرزوق الذي يعرف بالجد .. وهذه الملاحظة سوف نشير الى اهميتها فيما ياتي :

اما ما درسه المقري على هؤلاء الاعلام فهو ما كان معروفا في ذلك العصر من علم يرجع الى العلوم الشرعية : الاصول والفقه والتفسير والحديث ، مع ابحاث علم التوحيد التي تتجاذبها العقليات والسمعيات ... او علم يرجع الى العلوم العقلية : المنطق والجدل وفلسفة الملل والنحل ... او علم يرجع الى اللغويات والادبيات : من نحو وصرف وبيان وعروض ولغة ...

وكان لثقافة العصر طابع الربط بين مناهج العلوم العقلية والشرعية والادبية من جهة وبين الاشواق الروحية والاذواق الصوفية من اخرى حتى ان الباحث في محصول الفكر الاسلامي في هذا العصر ليخيل اليه ان الفكر الصوفي غزا النحاة والشعراء والفقهاء والقضاة والمؤلفين على اختلاف مشاربهم .. !

ففي الاندلس واقطار المغرب العربي رغم ان الصولة والدولة والنفوذ كانت الى جانب المالكية في الفقه والتشريع .. والاشاعرة في التوحيد والعقائد ... فان هؤلاء واولئك لم يكونوا بمعزل عن الذوق الصوفي والمساهمة في الادب الروحي ... بل اننا نجد منهم من اذا قرأنا شعره او نثره من دون ان نعرف ترجمته الشخصية ووظيفته الاجتماعية ظنناه صوفيا متجردا نفض يده من الدنيا وما فيها ومن فيها .. !

وصاحبنا ابو عبد الله المقري ابن عصره يتسم بهذه السمة ويحمل هذا الطابع فهو الى جانب علمه الغزير وثقافته الواسعة في المعقول والمنقول لا يأبى الا ان يذوق من خمرة الحلاج ، والجنيد ، ورابعة ، والسري السقطي وابن الفارض ، وابن عطاء الله ...

واذا قرأنا قصيدته التائية البديعة (12) التي عارض بها تائية ابن الفارض خيل الينا انهما يشربان من معين متحد الخصائص والصفات ويحلقان في جو متشابه المبادىء والغايات.

---

(5) نفح الطيب ج 3 ص 116 .

(6) نفس المصدر السابق ص 117 .

(7) نفس المصدر السابق .

(8) البستان في الاولياء والعلماء بتلمسان ص 156 طبعة الجزائر سنة 1901 م .

(9) الاحاطة ج 2 ص 143 .

(10) ص 60

(11) ج 3 ص 116 وما بعدها .

(12) اقرأها في نفح الطيب ج 3 ص 168 ، وفي الاحاطة ج 2 ص 146 .

المقري الجد

للأستاذ عبد القادر زمامة

اذا كان ابو العباس المقري صاحب نفح الطيب المتوفى بالقاهرة سنة 1041 هـ قد اخذ مكانته في عالم الشهرة عند الباحثين ولا سيما منهم عشاق الادب المغربي والاندلسي .. فان جده الامام ابا عبد الله قاضي فاس . ونابغة تلمسان وفقيهها . قد وقفت به شهرته في حدود المعاجم والفهارس الخاصة . ولم تنل في عصرنا هذا حظه من الدراسة والبحث ـ فيما نعلم ـ ولعل ذلك يرجع الى ان مؤلفاته ظلت قليلة التداول بين الناس منذ اجيال . رغم اهميتها العلمية . ورغم ان مؤلفها كان في عصر ما فارس ميدان العلوم الاسلامية المعقول منها والمنقول . وصاحب فكر موسوعي لا يعرف في الثقافة اختصاصات ولا حدودا ... وصاحب عارضة قوية وتضلع من معارف عصره قدرهما تلامذته . ابن الخطيب ، وابن خلدون (1) والامام الشاطبي ، وابن عباد الرندي . وغيرهم من الاعلام في المغرب والمشرق والاندلس .

عاش ابو عبد الله المقري في عصر بلغت فيه الثقافة الاسلامية اوج نشاطها وذروة عزها في بلاد المغرب العربي والاندلس وظهرت عبقريات في ميادين المعرفة المختلفة ... رغم الصورة الشوهاء التي رسمها ابن خلدون في المقدمة لانقطاع سند العلم ـ في عصره ـ في كل من المغرب الاقصى والاندلس ..

اذ ان الباحث المطلع على النشاط العلمي والادبي وقائمة الهيئة العلمية واخبارها ورحلاتها ومؤلفاتها ومدارسها ، لا يسعه استنادا على ذلك ، الا ان يعتبر رأي ابن خلدون ـ في الباب ـ بمعزل عن الحقيقة التاريخية ، او على الاقل مجرد وجهة نظر ...

ورأى المقري نور الحياة في مدينة تلمسان في تاريخ لم يحدده هو ولا من تولوا ترجمة حياته .. ! وقد سئل عن تاريخ ميلاده فأجاب بروايه خبر مسلسل معنعن بالاشياخ الى الامام مالك .. وقد سأله الامام الشافعي عن سنه .. فأجابه : اقبل على شأنك ... ليس من المروءة للرجل ان يخبر بسنه (2) .. على ان المقري تذكر في نفس الجواب : انه ولد على عهد السلطان : ابي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن الذي حكم تلمسان بعد فك الحصار المريني الطويل عنها ... وقد كان حكم ابي حمو هذا ما بين سنة 707 هـ و سنة 718 هـ (3) .

وقد وجد المقري نفسه تعيش في مدينة توالت عليها الفتن واهوال الحرب والحصار ، واسرة لها ماض في التجارة والثروة والجاه ، غير ان اهلها تنكر لهم الزمن وبدلت بهم الاحوال الامر الذي جعل المقري يقول : « فلم تزل حالهم في نقصان الى هذا الزمان .. فها انا لم ادرك من ذلك الا اثر نعمه ، اتخذنا فصوله عبثا ، وأصوله حرمة .

ومن جملة ذلك خزانة كتب كبيرة واسباب كثيرة تعين على الطلب فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة » (4) ويزيد قائلا عن نشاط في الدراسة والتحصيل .. « فاستوعبت اهل البلد لقاء واخذت عن بعضهم عرضا والقاء . سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن » واخذ المقري في بواكر شبابه عن العالمين الشهيرين ابي زيد وابي موسى المعروفين في كتب الطبقات والتاريخ بابني الامام . وكانت لهما شهرة عظيمة بالعلم والاطلاع في المغرب والمشرق لا سيما بعد رحلتهما الى الشرق

---

1) يتحفظ ابن خلدون في شأن تلمذته لأبي عبد الله المقري . فرغم انه يذكره في قائمة الشيوخ الذين اخذ عنهم فانه يعبر عنه بقوله : « صاحبنا » تارة . وبقوله : « قاضي الجماعة بفاس ، وكبير علماء المغرب » انظر ذلك في كتاب « التعريف » ص 59 و ص 247 من طبعة لجنة التأليف سنة 1951 م .

2) الاحاطة ج 2 ص 164 الطبعة الاولى .

3) روضة النسرين ص 51 طبعة الرباط .

4) الاحاطة ج 2 ص 138 .

وقد استغرقت هذه الرحلة ما يقرب من ثلاث سنوات رجع بعدها الى مسقط رأسه ليجد وضعا سياسيا جديدا نشأ عن الاحداث الكبرى التي تعرض لها السلطان ابو الحسن المريني في تونس ، والنكبات التي تعرض لها جيشه واسطوله ... الامر الذي جعل ولده ابا عنان يقوم بالدعوة لنفسه ليتبوأ عرش ابيه المنكوب اثر الاخبار المتضاربة التي وصلته عن مصير الجيش البري والاسطول وثورة الاعراب بزعامة بعض احفاد الملوك الموحديين ...

ورغم هذا الوضع فان المقري عزم اول الامر على ان يمسك بحظه في الانقطاع الى العلم والمعرفة وسار في هذا السبيل خطوات لولا ان الاحداث اخذ بعضها برقاب بعض فدخل ابو عنان تلمسان ، وانتهت مأساة ابي الحسن ... ووقع اختيار ابي عنان على المقري ليكتب بيعته ويرافق ركابه الى مدينة فاس ليتولى قضاء الجماعة بها وذلك سنة 749 هـ (18) .

وفي مدينة فاس اصبح المقري عمدة في القضاء والتدريس ونال الشهرة والجاه والقبول وازدحمت على ابوابه وفود الطلبة وطوائف اهل العاصمة المرينية على اختلاف مشاربهم واهوائهم لافادة علم او نيل حظوة او الفوز بوساطة ... وقد اشتهر عن المقري انه كان صارما في احكامه عدلا قاطعا (19) ... كما اشتهر عنه في تدريسه انه كان متبحرا واسع الافق ، قوي العارضة ، فصيح اللهجة ...

وكانت ايام ابي عنان في فاس اياما مشهورة في التاريخ المغربي لا حاجة بنا الى تكرار القول فيها وقد حفلت كتب التاريخ والتراجم اعلامها من امثال ابن خلدون وبني رضوان وبني الحضرمي ... وبني القشتالي وبني ابي مدين وابن الاحمر .. وغيرهم .. وكانت هناك اتصالات بين المقري وبين هؤلاء الاعلام . كما ان المقري اتصل بمن كان يفد على السلطان ابي عنان من سفراء وزائرين من الاندلس والشرق .

وقد بنى ابو عنان المدرسة العظمى الحاملة لاسمه في فاس وكان مدرسها الاول ابا عبد الله المقري ، كما ان مجالس العلم والمناظرة التي كانت تقام في حضرة ابي عنان كان يتصدرها المقري ، ويملي فيها دروسه ومحاضراته .

واشتهر عند المؤرخين موقفان للمقري في مجالس ابي عنـــــان .

الاول : امتناع المقري من الوقوف اجلالا لنصف الشرفاء وقد كانت العادة ان يقف له السلطان فمن دونه .

الثاني : تقريره حديث « الائمة في قريش وغيرهم متغلب (20) ...

وظل المقري اثيرا عند ابي عنان الى ان سخطه لبعض التصرفات الملوكية على حد تعبير ابن خلدون (21) واخره عن القضاء سنة 756 هـ وكان ابن خلدون شاهد عيان لهذا السخط وهذا التأخير ..

واستعمل المقري بعد ذلك في السفارة الى الاندلس ودخل غرناطة سنة 757 هـ ، وهناك اتصل به ابن الخطيب (22) اتصالا وثيقا واخذ عنه كما اخذ عن عدد كبير من اهل غرناطة ، وفيهم ابو اسحاق الشاطبي وطبقته ...

وحينما ادى واجبه في السفارة عزم على الاستيطان بالاندلس والانقطاع عن العمل السياسي الى جانب ابي عنان .. الامر الذي هاج ثائرة ابي عنان فارسل الى ابن الاحمر رسالة في الموضوع طالبا رد سفيره .. وبعد مراسلات (23) بين بلاط غرناطة وفاس من انشاء وزير الدولة لسان الدين ابن الخطيب في شأن تأمين المقري واخذ الضمانة على اعفائه من كل مؤاخذة ... رجع المقري صحبة قاضي غرناطة ابي القاسم الشريف والشيخ ابي البركات ابن الحاج البلفيقي ... الى فاس وشاهد ابن خلدون هذا الرجوع وارخه .. وقال : « واسعف القاضي المقري في مكانه بباب السلطان عطلا من الولاية والجراية ... وجرت عليه بعد ذلك محنة من السلطان بسبب خصومة وقعت بينه وبين اقاربه امتنع من الحضور معهم عند القاضي الفنشالي ، فتقدم السلطان الى بعض اكابر الوزعة ببابه بأن يسحبه الى مجلس القاضي حتى انفذ فيه الحكم ، فكان الناس يعدونها محنة (24) »

ثم ولي قضاء عسكر ابي عنان في رحلته الى قسنطينة ورجع الى فاس آخر سنة 758 مريضا ، وبها اسلم روحه سنة 759 هـ ودفن بها لمدة سنة، ثم حمل الى مسقط رأسه تلمسان ، واقبر بها رحمــــه الله .

---

(18) الاحاطة والنفح ج 3 ص 145 ، و « التعريف » ص 60 .
(19) حضر ابن الخطيب بعض مجالس حكمه : الاحاطة ج 2 ص 130 .
(20) انظر ذلك في نفح الطيب في ترجمة المقري من الجزء الثالث .
(21) « التعريف » ص 60 .
(22) الاحاطة ج 2 ص 139 .
(23) انظر نصهـــا في نفـح الطيـب .
(24) « التعريف » ص 61 .

واذا قرأنا رسالة الحقائق والرقائق خيل إلينا ان صاحبنا صنو ابن عطاء الله صاحب « الحكم » الشهيرة ...

وينقل صاحب نفح الطيب اخبارا عديدة عن شيوخ جـده ابي عبد الله وكلهـا تصور لنا فيهم طابـع العصر في الـذوق الصوفي والرياضة الروحية واحتقار الحياة المادية احتقار ايمان وزهد ونفس ... ومن اجل ذلك لا نعجب اذا رأينا المقري يتحدث عن رقعة المتصوف التي ألبسه اياها احد اشياخه وهو محمد ابن محمد ابن مرزوق (13) العجيسي ... وسندها الى الرسول عليـه السـلام .

هذه ثقافة المقري وهذه عناصرها الاساسية وهذا هو الجو الفكري الذي عاش فيه في فترة من الزمن كانت فيهـا تلمسان تعيش في نوع من الاستقرار السياسي بين حصار ابي يعقـوب المريني الذي دام اكثر من ثماني سنوات ، ولم ينته الا بعـد اغتياله سنة 706 ، وبين دخول السلطان ابي الحسن سنة 737 هـ .. فهذه المدة التي تبلغ ثلاثين سنة فيها ولد المقري وفيها تعلـم وفيها اصبح شابا مستقيم الخلق مهذب النفس واسع المعرفـة والشهـرة ...

ورحل عن مسقط الرأس بعد دخول الجيش المريـني وسقوط دولة بني عبد الواد ، وحط رحاله اولا بمدينة بجايـة وكانت في ذلك العصر مدينة علم وادب وحضارة فاتصل باعلامها واخذ عنهم ... ثم حط رحاله ثانيا بمدينة تونس وهي في ذلك الظرف عاصمة الحفصيين ، ومساجدها ومعاهدها مثابة العلمـاء والنبغاء في ضروب العلوم والفنون ، فاخذ عن كثير من اعلامها ونافس وناظر وأفاد واستفاد .

ولعل هذه الرحلة القصيرة كان يقصد منها المقري الابتعاد عن الاحداث التي قلبت الاوضاع في تلمسان ، فقتل السلطان ابو تاشفين عبد الرحمن ... كما قتل الشيخ ابو عبد الله السلاوي شيخ المقري وعمدته لجريمة سياسية قدمهـا كان ابـو الحسن يعدها عليه وينتظر الفرصة للانتقام منه (14) بسببها ...

ورجع المقري الى تلمسان ليحظى بمجالس شيخ العلوم العقلية ابي عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلي الذي رافق ركاب السلطان ابي الحسن الى تلمسان ... وكان الآبلي هـذا من رجال الفكر الذين اخذ عنهم ابن خلدون وتحدث عنهم باعجاب كبيـر ...

ومن تلمسان رحل المقري الى المغرب الاقصـى ، فزار مدينة فاس واتصل باعلامها واخذ عنهم وجال في المغـرب من الشمال الى الجنـوب ... من سبتـه الى اغمـات ، وقـال : « فاستوعبت بلاد المغرب ، ولقيت بكل بلد من لا بد من لقائه ، من علمائه وصلحائه ، ثم قفلت الى تلمسان فاقمت بهـا ما شاء الله تعالى » (15) .

وهكذا سلم ابو عبد الله المقري من الرواجف والروادف السياسية التي اصيب بها غيره وظهر امام الملا بمظهر العالم الذي يعمل بعيدا عن دنيا المطامع والمطامح ، باحثا عن عالم يستفيده ، او كتاب يقتبسه ، او شيخ ياخذ عنه ...

وبعد رجوعه من رحلته الى المغرب ومكثه بتلمسان « ما شاء الله تعالى » على حد قوله السالف رحل الى المشرق مارا في طريقه الى مكة بمصر حيث لقي عـددا من اعلامهـا ... وفي مقدمتهم اثير الدين ابن حيان الغرناطي النحوي الشهير صاحب التفسير المعروف بالبحر ...

وحج سنة 744 هـ ، وكان وقوفه بعرفة يوم الجمعـة (16) ولقي بالحرمين عددا من العلماء فأخذ عنهم واستفاد منهم وتحدث معهم باعجاب وفخر ... وعرج على مدينة دمشق فاتصل بالامام شمس الدين ابن قيم الجوزية العالم السلفي الشهير وأخذ عنه .. كما مر على القدس واتصل بشيوخه واخذ منهم ...

وكانت هذه الرحلة تعريفا بقيمته العلمية لدى اعـلام المشرق ، وربطا لأسانيد اهل المغرب والاندلس بأسانيد علماء الشام ومصر والحجاز ... فنجـد في فهارس اهـل المغـرب والاندلس الذين اخذوا عنه او اخذوا عمن اخذ عنه يجعلونـه واسطة في رواياتهم واجازاتهـم واسانيدهم العلميـة الى شمس الدين بن قيم الجوزية مفخرة دمشق واثير الدين ابن حيان امام النحو . وغيرهما ممن اخذ عنهم المقري في رحلته هذه ... كما ان كتب الطبقات التي الفت في المشرق في القرن الثامن وما بعده لم تهمل ترجمته والتعريف بمكانته العلمية ...

ولو وصلتنا فهرسـة شيوخـه كاملة وهي التي سماهـا . « نظم اللآلي (17) في سلوك (الامالي) » لعرفنا الشيء الكثير عن شيوخه المشارقة وما اخذه عنهم وارتساماته وملاحظاته ومشاهداته في رحلته الى المشرق ... وقد اطلع على هذه الفهرسـة حفيده ابو العباس المقري وروى لنا شيئا منها في نفح الطيب .

---

13) نفح الطيب ج 3 ص 128 .
14) انظر « التعريف » لابن خلدون ص 60 .
15) نفح الطيب ج 3 ص 133 .
16) نفح الطيب ج 3 ص 145 .
17) فهرس الفهارس ج 2 ص 92 ، ويلاحظ ان المقـري في النفح سميها منسخة وان صاحب فهرس الفهارس يسميها رحلة انظـر ج 1 ص 201 .

أساتذة الهندسة في المغرب السعدي ومؤلفوها

للأستاذ : محمد المنوني

شهد المغرب فى العصر السعدي انبعاثا علميا وصناعيا جديدا ، وظهر هذا ــ بصفة خاصة ــ في عدد من العلوم الرياضية وفى الهيئة والطب ، كما ظهر فى صناعات عسكرية واقتصادية وغيرها (1) ، وكان للمنصور احمد السعدي فضل تشجيع هذا الانبعاث ، وفى هذا الصدد يسجل ابن القاضي (2) انه ظهر فى ايام هذا السلطان علوم وصناعات مهمة لم تكن قبل فى المغرب ، ويذكر من بين ذلك الحساب والهندسة والمساحات .

وقد غذى هذا الانبعاث ــ ايضا ــ ما تجدد فى هذا العصر ــ بين المغرب والشرق ــ من صلات افادت اليقظة الجديدة افادة ملموسة ، وفى خصوص الهندسة التي يترجمها هذا المقال، يذكر مهندس مغربي ان من مصادر ثقافته ما تلقاه من استاذه ميقاتي القاهرة محمد ابن محمد الميقاتي الشهير بالطحان «3» .

يضاف لهذا وذاك ، الرصيد العلمي والصناعي الذى تبقى من عصور المغرب المزدهرة ثم آل لهذا العهد حيث انبعث من جديد مطبوعا بطابع هذا العصر .

ونذكر هنا ان هذه الحركة الجديدة تناولت علم الهندسة نفسه ، كما تناولت بعض فروعه من مساحة ومناظر ، وهكذا عادت هذه المواد للظهور فى برامج التثقيف المغربي، فى ميداني التدريس والتأليف وهذا يتبين من الاسماء والمؤلفات التالية :

1» محمد بن محمد بن احمد ابن ابي العافية الشهير بابن القاضي الفاسي المتوفى عام 981هـ 1573–1574م . اخذ عنه ولده احمد صاحب الجذوة وغيرها اوائل الاصول لاوقليدس«4» : بعض المقالة الاولى منه (5) .

2» ابو العباس احمد بن التقلتي ، كان بقيد الحياة عام 999 هـ 1590 ــ 1591 م ، ووردت ترجمته فى « درة الحجال » (6) هكذا : «عارف بالحساب والتعديل والمساحات وبعض مبادىء الهندسة ، وهو شيخ جماعة هذه الفنون بمراكش » .

3» عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الدكالي السنتراني ثم الفاسي المعروف قبيله بابن ابراهيم ، بقي بقيد الحياة الى اواخر عام 1011 هـ 1603م .

---

1) توجد التفاصيل فى هذا المقال والمقالات التالية .

2) « المنتقى المقصور ، على مآثر الخليفة ابي العباس احمد المنصور » لابي العباس احمد ابن القاضي ــ الباب 14 .

3) انظر الحديث عن رسالة « فتح المبدىء ... » اثناء هذا المقال .

4) يسمى ــ ايضا ــ كتاب اوقليدس و « كتاب الاركان » انظر التعريف به فى (مقدمة) ابن خلدون طبع المطبعة البهية المصرية ص 424

5) هذا ذكره فى « درة الحجال » رقم 648 وتوجد ترجمة محمد ابن القاضي ومراجعها فى « السلوة » ج 3 ص 58 / 59 .

6) رقم 215 .

اما مؤلفاته فهي : كتاب القواعد الشهير في الفقه ، وكتاب الطرف والتحف ، وكتاب عمل من طب لمن حب ، وكتاب المحاضرات ، ونظم اللآلي في اسلاك الامالي ، وكتاب الحقائق والرقائق ...

ولعل في احياء بعض آثار هذا الامام ما يؤدي بعض الواجب نحو رجل كان من صميم تلامذته الامام الشاطبي مؤلف الموافقات والاعتصام ... وابن الخطيب الوزير الشهير .. وابن خلدون اسناد علم الاجتماع ... وابن عباد امام اهل التصوف

وألف في ترجمة حياته الامام ابن مرزوق الحفيد كتابا سماه « النور البدري (25) في التعريف بالفقيه المقري » وكذلك الونشريسي كما في النفح .

فاس – عبد القادر زمامة

---

(25) نفح الطيب ج 3 ص 110 وما في فهرس الفهارس ج 2 ص 92 من ان التأليف المذكور لابن مرزوق « الجد » مجرد سبق قلم ، وانظر مناقشة هذه التسمية وكلام صاحب النفح في ضبط كلمة « المقرى » بالتشديد او التخفيف ، والخلاف ، في ذلك شهيـــــــر .

بـ « الاكسير ، فى صناعة التكسير » ، من نظم ابي عثمان سعد بن احمد بن ابراهيم بن ليون التجيبي الاندلسي المري المتوفى عام 750 هـ ــ 1349م (19).

الفه استجابة لبعض اخوانه من المتضلعين فى التعاليم وصناعة البرهان وجعله ــ طبق رغبة مقترحه ــ شرحا وجيزا : يحل الفاظ الارجوزة ويبين تراجمها واغراضها ووضحه برسوم هندسية ، شرح فى تاليفه يوم الاحد 10 شوال عام 1017هـ ، وفرغ منه يوم الاثنين 5 ربيع النبوي عام 1018 هـ .

توجد منه نسختان بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2189د ورقم 1070 ك ومنه نسخة نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 5455 ، وهي تقع فى 70 ص ، مسطرة 25 ، مقياس 180ــ135 . مكتوبة بخط مغربي لا بأس به ملون ، ويتخلله تصحيف مع بياض فى مواضع بعض الرسوم .

وقع الفراغ من الانتساخ عشية الاثنين 21 رجب عام 1228 هـ على يد محمد بن الهاشمي ــ لا ذكر لهذا التاليف فى ترجمة ابن القاضي .

هذا وهناك رسالة خالية من اسم المؤلف ، وتحمل العنوان التالي : « فتح المبدي ، فى جمع بعض اصول الهندسة للتبذى والمبتدي» ، وقد وضعها جامعها برسم السلطان احمد المنصور السعدي ، وذكر اثناءها اسم احد اشياخه : ابي العباس احمد بن علي ابن عبد الرحمن المنجور (20) ، فهل تكون هذه الرسالة من تاليف احمد ابن القاضي الآنف الذكر ؟ هذا ما لا يستبعد ، سيما وهو يذكر فى خطبة الرسالة عن احمد المنصور : انه ظهر من العلوم فى دولته ما لم تكن قبلها ، وهو بهذه الفقره بعيد الى الاذهان فقرة اخرى قريبة الشبه اوردها احمد ابن القاضي فى «المنتقى المقصور» (21) ، وفى الموضوع ذاته .

ويشرح المؤلف فى مقدمة الرسالة الحافز له على وضعها ، ويذكر ان علم الهندسة ــ فى زمانه ــ صار من اخمل العلوم ذكرا ، حتى نضب ماؤه ، وصار خيالا بلا اثر ، فالف ــ لاحياء هذا العلم ــ اوراقا تشتمل على بعض اصوله وقواعده فقط ، واعتمد فى هذا الصدد على مصدرين اثنين : الاول : ما استفاده من عبارة شيخه ميقاتي القاهرة ، الشريف محمد بن محمد الميقاتي الشهير بالطحان ، والثاني : ما قراه فى بعض كتب هذا الفن للبيروني وغيره .

وهو لا يورد شيئا من الاعمال المبسوطة فى المطولات وانما يهتم بالقواعد التي ضم بعضها الى بعض ونسقها على هيأة لا توجد فى تلك المطولات، كما وضحها بالرسوم الهندسية المطلوبة .

اما تصميم الرسالة فقد جعله مرتبا على ثلاثة اقسام وخاتمة : القسم الاول : فى حد الهندسة وموضوعها وفائدتها ، ومعرفة النقطة والخط والسطح وبعض ما يتنوع اليه من الالقاب ، الثاني : فى معرفة حد الجسم وبعض ما يختص به من الالقاب ، الثالث : فى امور كلية عددية يحتاج اليها فى هذا الفن ، الخاتمة : فى نوادر ونكت مستطرفة .

هذا هو تصميم الرسالة التي لا يبعد ان تكون هي التي وردت ضمن مؤلفات ابي العباس ابن القاضي باسم « المدخل » .

توجد نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط ، وتقع ضمن مجموع يحمل رقم 2215د : من ص 301 الى ص 318 ، مسطرة مختلفة ، مقياس 210ــ155 ، خط مغربي رديء فاحش التصحيف

9» ومن المؤلفين فى الهندسة فى هذا العصر محمد بن ابي القاسم ابن القاضي الفاسي المتوفى عام 1040هـ ــ 1631 (22) .

الف « التيسير ، لمعرفة صناعة التكسير » ، وهو رسالة جعلها كالشرح على رجز ابن ليون السالف الذكر ، وبين فيها ما لابد من بيانه ، ووضحها برسوم هندسية ، فجاءت مكملة للارجوزة .

---

19) ترجمته فى مختصر الاحاطة للبقني ج 2 مصور الخزانه العامة رقم 1582 د وفي « نيل الابتهاج » ص 123\124 ، و « درة الحجال »مع مقدمة فتح الخبير وغيرها ، اما ارجوزته فتوجد نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع يحمل رقم 1588 د ، واصلها لابن البناء .

20) ترجمته ومراجعها فى : « السلوة » ج 3 ص 52/60

21) المنتقى المقصور ــ الباب 14 .

22) ترجمته ومراجعها فى السلوة ج 3 ص 287 .

كانت له مشاركة في الهندسة والتنجيم وغيرهما (7) ، ويذكر ابو العباس احمد بن عبد الله بن ابي محلى السجلماسي : انه قرا عليه شيئا يسيرا في اوائل كتاب ابن الهيثم في الهندسة او الهيئة (8) ، هكذا بصيغة الشك في موضوع الكتاب الذي يترجح انه كتاب (المناظر) للحسن بن الهيثم (9) اشهر من الف في علم المناظر الهندسية من الاسلاميين ، على حد تعبير ابن خلدون في المقدمة (10) .

4» محمد بن احمد الصباغ العقيلي المكناسي ثم الفاسي ، المتوفى عام 1076هـ 1665 م (11) .
استاذ ابي زيد عبد الرحمن بن ابي السعود الفاسي الفهري آتي الذكر في المساحات والهندسة وغيرهما ، وهو يذكر هذا في الرسالة التي كتبها عن حياته (12) هكذا :

« .. ولازمت شيخنا ابا عبد الله محمد بن احمد الصباغ في التوقيت والاسطرلاب والربع المجيب والروضة ، ومختصر الرقام في التكسير ، وارجوزة ابن ليون في التكسير ، واصلها لابن البنا ، وطرف من الاركان اختصار اوقليدس لخوجة نصير الدين الطوسي »

5» عبد الوهاب بن ابي حامد محمد العربي الفاسي المتوفى عام 1079 هـ 1668 م .

جاء في ترجمته (13) ان من بين العلوم التي اخذها عن والده ابي حامد مواد الميقات والهندسة والهيئة .

6» على ان المع شخصية هندسية في هذا العصر، هو ابو العباس احمد بن محمد ابن القاضي مار الذكر ، وصاحب الجذوة والدرة وغيرهما ، توفى عام 1025 هـ 1616 م (14) .

فقد كان ــ على حد تعبير « روضة الاس » (15) ــ لا يجاري في علم الفرائض والحساب والهندسة ، وممن درس عليه هذه المادة الاخيرة .

7» ابو علي الحسن بن احمد المسفيوي المراكشي (16) ، كما تدارس مع :

8» السلطان احمد المنصور الذهبي كتاب اوقلبدس (17) ، الذي كان يتولى قراءته بين يديه ابو علي الحسن المسفيوي (18) آنف الذكر .

* * *

وابن القاضي هذا يفتتح لائحة المؤلفين السعديين في هذا الفن ، وله تاليف سماه : « فتح الخبير ، بحسن التدبير ، لفك رموز الاكسير ، في صناعة التكسير » ، وهو شرح على الارجوزة المعنونة

---

7) « روضة الاس ، العاطره الانفاس » لابي العباس احمد المقري ، ط المطبعة الملكية بالرباط ؛ آخر ترجمته ص 336 / 338 ، وتوجد معلومات قليلة عنه في « درة الحجال » رقم 1008 ، وفي « الاصليت » لابن ابي محلى نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم 100 .
8) « الاصليت » النسخة الانفة الذكر ، وانظر ترجمة ابن ابي محلى ومراجعها في الاعلام للقاضي عباس بن ابراهيم ج 2 ص 91/83 .
9) انظر عن ابن الهيثم وكتابه « المناظر » « العلم عند العرب » تاليف الدوميلي ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى ــ ص 210/206 .
10) ص 425 .
11) ترجمته ومراجعها في « السلوة » ج 1 ص 239 .
12) توجد مقتبسات من هذه الرسالة في طالعة الاملبات الفاندية من شرح العملبات الفاسية) لابي القاسم بن سعيد العميري « نسخة خاصة » .
13) « عناية اولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد » ص 34 ، وتوجد ترجمته ــ ايضا ــ ومراجعها في « السلوة » ج 2 ص 325/324 .
14) ترجمته ومراجعها في « السلوة » ج 3 ص 135/133 .
15) ص 239 .
16) « روضة الاس » ص 173/172 .
17) المصدر الاخير ص 35
18) نفس المصدر ص 164 .

الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ : محمد المنتصر الريسوني

-4-

نشاة الشعر الاندلسي :

لنا وقفة قصيرة مع الشعر الاندلسي فى ولادته الاولى الى ان يستوي عودا اخضر بندفق حياة وروحا فيورق وبجود ، وننباين وريفاته مرهصة بميلاد شذى جديد ، لنا هذه الوقفه لنعرف الجذور التي انبتت غصونا رطبة زاهية .

ليس خافيا على دارس .. تاريخ الاندلس .. ان فترة الولاة كانت فترة حروب وعراك ، النسىء الذي جعل القلق والخوف يدب فى اوصال المجتمع الذي كان مقسما الى عرب وبربر واسبان ، فهو يحيا حياة قلقة بألوان من الاهتزاز الحسي والنفسي .

وفى هذا الجو تكونت الخيوط الاولى للشعر الاندلسي ، ذلك ا نالعرب الوافدين على الاندلس كانوا من بين من يقرضون الشعر ، وان المصادر لتحدثنا عن بعض اسماء هؤلاء ونذكر منهم : ابا الاجرب جعونة ابن الصمة المشهور بهجائه للصميل بن حاتم رئيس القيسية هنالك والذى اشتهر فيما بعد بمدحه حينما عفا عنه، وهو فى مرتبة جرير والفرزدق كما قيل، ولو انصفه العلماء لاستشهدوا بشعره ، والباحثون لم يتوصلوا الى ما خطه قلم هذا الشاعر من نتاج الا القليل النذر ومن قوله :

ولقد اراني من هواي بمنزل
عال وراسي ذو غدائر افرع

والعيش اغيد ساقط افنانه
والماء اطيبه لنا والمرتع

وابا الخطار حسام بن ضرار وهو من علية القحطانيين بالاندلس كان شاعرا شجاعا مقداما فارسا لقب « عنترة الاندلس » لم يصلنا ـ هو ايضا ـ من شعره الا القليل ومن قوله حينما ثأر لانسان عزيز من قومه :

فليت ابن حواس يخبر انني
سعيت به سعي امرىء غير عاقل

قتلت به تسعين تحسب انهم
جذوع نخيل صرعت فى المسايل

ولو كانت الموتى تباع اشتريته
بكفي وما استثنيت منها اناملي

وبكرا الكناني الذي سأل عنه ابو نواس عباس ابن ناصح كما سأل عن جعونة ابن الصمة السالف الذكر «1» .

ومما ينبغي ان نلفت اليه الانظار ان هذه الفترة كانت تتوفر على شعراء ءاخرين ضاع شعرهم وانمحى وجودهم مع ما انمحى من التراث الاندلسي ولاسيما فى تلك الحقبة المضطربة التي انعدمت فيها المقاييس السياسية والمعايير النظامية .

وخصائص الشعر فى هذه الفترة الزمنية هي فى الواقع لم تكن لها شخصيتها المستقلة ، بل كانت امتدادا كليا لخصائص الشعر المشرقي اذ ان قائليه مشارقة قدموا الاندلس ، فهو يجري بطبيعة الحال فى التيار المحافظ الذي كان متعالما شائعا فى المشرق ، وقد حذا التقليد بالاندلسيين الى ان يسموا اتباعهم باسماء المشارقة ، فقالوا : ابن هانىء متنبي المغرب ، وابن خفاجة صنوبري الاندلس وابن زيدون بحتري الاندلس ، ومحمد بن سعيد الزجالي الاديب الحافظ اصمعي الاندلس ، وحمدة بنت زياد خنساء المغرب وابن دراج متنبي الاندلس .

1» نفح الطيب للمقري ج 2 ص 156 .

يوجد منها نسختان بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 53 ورقم 5296 ، وتقع النسخة الاولى ضمن مجموع كتب فيه « التيسير » واغلب المحتويات الاخرى بخط المؤلف ، وهو خط مغربي مليح مدموج ، خال من تاريخ التاليف والنسخ ، ص 12 مسطرة 26 ، مقياس 220 — 170 .

وقد كتب اعلى الصفحة الثانية من النسخة الثانية اسم هذه الرسالة هكذا « التيسير ، لمعرفة صناعة التكسير » .

وورد ذكرها ضمن آثار المؤلف .

10» ابو العباس احمد بن الفقيه الموقت محمد ابن يوسف الولتي المراكشي المتوفى بها عام 1061هـ (23) 1650 — 1651 م .

وضع شرحا محاديا على ارجوزة ابن ليون المتكررة الذكر ، وخلله برسوم هندسية توضيحية منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط ، وهي تقع ضمن مجموع يحمل رقم 2231 د من ص 95 الى ص 135 ، مسطرة 23 ، مقياس 190—145 ، خط مغربي سوسي متوسط ، خال من تاريخ التأليف والنسخ واسم الناسخ . لا ذكر لهذا التاليف فى ترجمة المؤلف .

11» ابو زيد عبد الرحمن بن ابي السعود عبد القادر الفاسي الفهري المتوفى عام 1096 هـ — 1689 م (24) ، الف :

ا — النتائج الحدسية ، فى العلوم الهندسية . ؟
ب — تحفة الانبر ، فى علم التكسير ؟ .
ج — شرحها .
د — عروس الصباحة ، فى علم المساحة .
هـ — الترجسة ، فى علم الهندسة . (25)
و — مختصر اوقليدس . (26)
ز — وقد ضمن موسوعته المنظومة : الاقنوم ، فى مبادىء العلوم (27) عددا من فروع هذا العلم موزعة على عدة ابواب ومنها :

— علم التكسير فى 50 بيتا .
— علم الهندسة فى 148 بيتا .
— علم مساحة الارض فى 15 بيتا (28)

12) محمد بن محمد بن سليمان الروداني نزيل الحرمين الشريفين ، والمتوفى عام 1094 هـ (29) 1683 م .

كان — حسب خلاصة الاثر (30) — يتقن فنون الرياضة : اوقلبدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي .

* * *

والى هنا يكون هذا المقال قد استعرض — في نطاق نشاط الهندسة بالمغرب السعدي — 12 مهندسا مع 11 تاليفا ، وهي ظاهرة توضح احد خطوط الانبعاث العلمي فى هذا العصر .

ويلاحظ ان هذا الانبعاث وقع فى عصر انحدار الثقافة الاسلامية ، ولذا لم يقع تعمق فى الاشتغال بالهندسة ، حيث لم يمس — فى الغالب — غير مبادىء هذا العلم ، ولم يقع تجديد فى التاليف ، او ابتكارات هندسية ، وهذا — ايضا — احد الاسباب لفتور هذا النشاط بعد ، والله — سبحانه — ولي التوفيق .

الرباط : محمد المنوني

---

23) ترجمته ومراجعها فى « الاعلام » لابن ابراهيم ج 2 ص 115/116 .
24) ترجمته ومراجعها فى السلوة ج 1 ص 314/316 .
25) هذه المؤلفات الخمس وردت فى الرسالة السالفة الذكر التي كتبها ابو زيد الفاسي عن حياته ، كما وردت ببعض مخالفة يسيرة وتكرار فى لائحة تآليف ابي زيد الفاسي ، كما ذكرها ابنه ابو عبد الله فى كتابه « اللؤلؤ والمرجان » — مقال للاستاذ محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس ، مجلة هسبيريس HESPERIS سنة 1942 ، عدد 29 ص 65/78 .
26) لائحة تآليف ابى زيد الفاسي الانفة الذكر .
27) لايزال مخطوطا فى خزائن خاصة وعامة .
28) « التراتيب الادارية » ج 2 ص 196/197 .
29) ترجمته ومراجعها فى الاعلام لابن ابراهيم ج 4 ص 334/359 .
30) ج 4 ص 207 .

احيانا الى الاسفاف ، ومما يثير الانتباه ان الالفاظ الاعجمية لم تستعمل فى شعرهم استعمالها فى شعر المشارقة ، وتعابيرهم التشبيهية لا تحصى مع قلة الاحتفال بالمحسنات البديعية من تورية وجناس وطباق وغير ذلك .

وفيما يتعلق بالاوزان ، فالشاعر الاندلسي قد حاك على نول الشاعر المشرقي ، غير انه كان يميل الى الاوزان الخفيفة ، التي تتلاءم وحياتهم الناعمة المترفة بالغناء والموسيقى ، فادى ذلك الى ابتكار فن الموشح «1» ثم الزجل .

هذه هي الملامح الفنية عموما التي تميز الشعر الاندلسي وتعطيه صورته البينة الواضحة

والموضوعات نجدها عند الشاعر الاندلسي تقليدية فى بعضها كالمدح والغزل والخمريات ، وقصر فى بعضها الاخر كالحكمة والزهد ، ونفوق فى الاخرى كالوصف ، بيد ان الاغراض الجديدة التي امتاز بها النتاج الاندلسي هي ما يلي :

رثاء الممالك : وذلك حين تقلص ملك المسلمين كقول صالح بن شريف الرندي يرثي الاندلس فى نونيته المشهورة بقوله :

لكل شيء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان

وقصيدة ابن عبدون فى رثاء بني الافطس ملوك بطلبوس التي يقول فيها :

الدهر يفجع بعد العين بالاثر
فما البكاء على الاشباح والصور

ثم الاستنجاد بملوك المسلمين والاستغاثة بالرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن اشهر القصائد فى هذا المضمار قصيدة ابي عبد الله ابن الابار التي استنجد فيها بابي زكرياء بن حفص صاحب افريقية سنة 635هـ والتي يقول فيها :

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا
ان السبيل الى منجاتها درسا

كما انهم تفوقوا فى الشعر التعليمي فوضعوا منظومات علمية فى التاريخ والنحو وغيره ، ومن ذلك ارجوزة ابن عبد ربه فى التاريخ وارجوزته فى علم العروض التي يبتدئها بقوله :

بالله نبدا وبه التمام
وباسمه يفتتح الكلام «2»

والفية ابن مالك فى النحو وهى اشهر من نار على علم ، واللامية والرائية للشاطبي فى القراءات ورسم المصحف ، وهكذا توالت المنظومات العلمية فى شتى الفنون والعلوم فى التاريخ والنحو ، والبلاغة ، والفقه والمنطق والرياضيات والتوحيد «3» .

ولم يقتصر تفننهم على هذا الميدان بل خرجوا بالشعر التعليمي من جفافه الى لون من اللطافة ، اذ مزجوه بالغزل فعرفوا كيف يقومون بعملية المزج ، من ذلك قول ابن فرح «4» فى مصطلح الحديث :

«1» يرى الاستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي رحمه الله فى كتابه « تاريخ آداب العرب» 3 ص 163 ان سبب اختراع الموشح هو الغناء لا غير عكس ما يذهب اليه ابن خلدون . ثم انظر ما قاله الدكتور مصطفى عوض الكريم فى كتابه « فن التوشيح »ص 99 طبعة دار الثقافة – بيروت . وانظر ايضا تاريخ الادب الاندلسي – عصر الطوائف والمرابطين للدكتور احسان عباس ص 220 . ثم انظر «الفن ومذاهبه فى الشعر العربي» للدكتور شوقي ضيف ص 450 الذى زعم ان الموشحات والازجال هو تجديد شكلي اضطرتهم اليه الظروف ، وقد غاب عن ذهن الدكتور ان الشكل والمضمون يعملان معا على ابراز العمل الادبي فى صورته الجيدة الرائعة ويشم من كلام الدكتور فى ص 451 انه يريد ان يثبت ان الموشحات والازجال نشات مع زرياب وغيره من مغني الشرق ، وهو بذلك يتعصب على الادب الاندلسي ليبرز تبعيته حتى فى الموشحات والازجال ، وهذا ظاهر البطلان فلا يحتاج الى رد .

«2» انظر العقد الفريد ج6 ص 240 لابن عبد ربه – تحقيق محمد سعيد العريان – مطبعة الاستقامة القاهرة 1953 .

«3» لا يعزب عن الاذهان ان الاندلسيين لم يكونوا السابقين الى الشعر التعليمي .

«4» ابن فرح : هو شهاب الدين ابو العباس احمد بن فرح بالحاء المهملة ولد سنة 625هـ وتوفى سنة 699 هـ

وبانقضاء فترة الولاة نتصفح وجه الحياة فنلفي ان اهم مظهر من مظاهر المجتمع الاندلسي بـــروز شخصية المرأة في مجال الفن ، ذلك ان عبد الرحمن الداخل استقدم بعض الفنانات المشرقيات وانشأ لهن دارا عرفت بدار « المدنيات » لان اغلبهن من المدينة التي عرفت في التاريخ بانتشار الحركة الموسيقية والغنائية .

والمراة بعد هذا كانت تختلف الى المسجد الجامع بقرطبة وغير المسجد الجامع من مراكز الاشعـــاع الفكري فتتحلق حلقات لتنهل من مناهل المعرفة . ومن اجل ذلك نبغت سيدات من بينهن المحدثـــات والكاتبات والشاعرات والفقيهات والطبيبـــات ، واستطاعت مسايرة الركب الحضاري في تحفظ نسبي ومواكبة التيار التقدمي في تدبر ، اذ لم تكن تتهالـك على معاقرة الخمر ، ولم تسع الى اماكن الرذيلـــة والفجور تماما كاختها في العراق التي اندفعت اندفاع الاتي مطلقة لنفسها العنان ، منفلتة من عقـال العفة والمواضعات الاسلامية تنتظر حتى اذا جن الليـــل واظلم وجه الكون فتلف ثيابها وتضعها في فراشها لتوهم انها ما تزال فيه ثم تسرع في خفة ظبي غرير الـــى حبيبها لتتساقى معه كل ما لذ وطاب .

وهكذا بات المجتمع الاندلسي بعد انتظـــــام القوالب السياسية يعيش عيشة اسقرارية آمنـــة تحت ظل حكومة قوية تشجع وتشيد وتعمل آنـــاء الليـل واطراف النهار لصالح المواطنيـن ، ومن اجل اعادة مجد الامويـين الذي افل نجمه في المشرق .

وليس من شك في ان شعلة الثقافة الاندلسيـــة ذكت عند قدوم كثير من الامويين واشياعهم الذيـــن كان على قدر كبير من الثقافة ، وليس مـن شك ايضا في ان وفودهم على الاندلس وطأ للثقافة سبـــــل الانتشار والذيوع ، واضف الى هذا كله رجوع اول فوج اندلسي درس بالمشرق فحمل معه النفحـــات المشرقية التي تتمثل في كتب اللغة ، ككتب الاصمعي والكسائي والفراء ، وفي العروض والمنطق والنفـــد للخليـل ويعقوب بن السكيت وابن قتيبة .

ولا ننسى في هذا الصدد تشجيع الخلفاء للنهضة العلمية والادبية وما نقله ابو علـي القالي من كتب في الادب الجاهليين والامويين كشعر ذي الرمة والحط والنابغة الجعدي وعلقمة وجميـــــل والاخطـــل ومجموعات شعريـــة كالمفضليات والنقائض وكتب الاخبار والفنون المختلفة ، كل ذلك كان له اثره الف في نفوس المثقفـــن .

وحينذاك يظهر جيل من الادباء كما تظهـــ الاديبات ، وفي نفس الوقت تتفتح البراعم الاولى للا الاندلسي الذى سيترعرع على مرور الايام وتنحسر عنه موجات التقليد فيتميز بخصائصه التي تض عليه صفة الاستقلال والتحرر فلا يـعود وقفا عل الوافدين من المشرق .

فالشعر الاندلسي سار فترئذ في التيار المحا المتمثل في الاحتفال بالموضوعات التقليدية من مــ وهجاء وفخر كما سار على منهج الاقدمين في بنـ الهيكل القصيدي .

وبعد ذلك نجد الشعر الاندلسي يتسم بسـه خاصة كالتجديد الموضوعي الذى يتجلى في طـــ موضوعات جديدة او معالجة مضامين لم تكن تعال من قبل «1» ثم التجويد الفنـي والتركيز العاطفي وذلك في عهد تأسيس الامارة .

تلك هي خطوط دقـــاق عـــن نشأة الشعـــ الاندلسـي .

خصائص الشعر الاندلسي :

لا غرو ان للشعر الاندلسي خصائصه ، هـــ الخصائص تتجلى بوضوح تام في المعاني والاخيلـــ والالفاظ والاساليـب .

اما في المعاني والاخيلة ، فان معاني الاندلسيـ واضحــة سهله لا صعوبة فيها ، وليست عميقـ تحتاج الى التدبر واعمال الفكر ، خلوة من الصـــ الفلسفـــة العويصـــة والتعابير المنطقية الملتوية « وهي يرفدها طرافة الخيال وطراءة الصور التـــ استمدت من منحف الطبيعة الفاتنة الغنـــاء .

اما الالفاظ والاساليب ، فان الفاظهم سهلـ تعبـــر عن ليـــن طبعهم ودماثة خلقهم لحد انها تـــؤ

«1» انظر قطعة شعرية لابي المخشي في فقدان البصر اوردها ابن الخطيب في كتابه الاحاطة وهو في مخطوط بالاسكوريال رقم 1673 ورقـــة 351 – 352 .

«2» ذكر صاعد الاندلسي ابياتا لبعض المشتغليـــن بعلوم الحكمة في كتابه « طبقات الامم » وقد نجد غير هذا في مصادر اخـــرى .

شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم

للأستاذ: التهامي السكيتي

في مستهل سنة ألف وثلاثمائة وثمانية عشرة 1318 ـ 1900 ولد شاعر الحمراء تحت أفق مراكش المشرق الدافيء ، في ظروف تلبد فيها جو المغرب السياسي بغيوم حالكة ، لم يعرفها منذ ثلاثة عشر قرنا ، فقد صادف مولد الشاعر ، قرب دخول المغرب تحت عهد الحجر والاستيلاء ، حيث تمالأت دول اوربا على استغلال الشعوب المحافظة على سر الركب . وكانت كل العوامل متوفرة لفرنسا لاكتساح المغرب عن طريق تونس والجزائر ، وقد وقفت في ترصد الدول المنافسة لها . واستولت على المغرب سنة ألف وثلاثمائة وثلاثين ـ 1912 بسبب تخاذل ابنائه وتناحرهم ، وكان يهمها بعد هذا الاستيلاء ، توجيه المغرب في خدمة مرافقه حسب ارادتها لتضمن لها ادماجه في الامبراطورية ، وكان يهمها اولا وبالذات سر التعليم الذي هو اساس التقدم والنهوض . ولكنها كفت نماء هذا التوجيه ، حيث وجدت التعليم المغربي لا زال عقيما يعتمد على اسسه الاولى لا تمس تقدما في العلوم التقنية او الصناعية ، فأبقته على صبغته الدينية ، وفرضت عليه رقابة من ابنائه انفسهم ، والتفتت الى ناحية اخرى من جوانبه تجعل منه هيكلا خاليا من مقوماته الوطنية الذاتية ، ففرضت لغتها فرضا ، وفتحت لها المجال في الادارات والوظائف لتصرف الشباب عن كيانه ولغته .

اما سير الادب في هذه الفترة ، فقد بدأ يتطور ويخطو الى الامام ، نظرا للنشاط المطبعي الذي حل بالشرق ، وتوارد المؤلفات والنشرات الادبية على المغرب ، ولكن الحماية وقفت بالمرصاد لكل الكتب المستوردة ، اذ كانت تحمل طابعا سياسيا او تقدما علميا ، وهكذا احتفظت دولة الحماية بالتعليم القديم ، ثم تعقمه ، ليضمن بقاء الجمود الثقافي المغربي ، والجأت النشء الى لغتها لمصلحتها ، ولم تجد العائلات المغربية بدا من الاستمرار في توجيه ابنائها بهذه الطرق الروحية العتيقة ، ومن الجأت ابناءها الى لغة الدخيل كانت في اول الامر موضع نقد وسخط شديد لدى عامة الشعب لاقترافه جرم تعلم لغة المستعمر المعتدي .

وفي هذا الجو القاتم طل شاعر الحمراء على الحياة ، وفي وسط عائلة محافظة ، فكان حظه منها او من ابيه على الخصوص ان يوجه ابنه توجيها دينيا ، حيث كان للآباء السلطة المطلقة في توجيه ابنائهم ، حسب الاعراف والعادات التقليدية المغربية ، وكان الذي اكد رغبة الاب في هذا الاتجاه ايضا ما كان يشاهده وهو يتردد على حلقات الدروس الدينية بمختلف مساجد مراكش ، فهو يريد من ابنه ان يصبح كأحد هؤلاء العلماء الذين يلقون اجلالات التقدير والاكبار ، وتملأ الايدي ظاهرا وباطنا من لدن الطبقات الشعبية ، وفي صباه ارسله الى المكتب لحفظ القرآن وترتيله ترتيلا ، وبعد ان استظهر حفظه ، اخذ في حفظ متون العلوم ، ليدخل الى جامعة ابن يوسف ، وانتقل منها الى جامعة القرويين بفاس ، وحين رسخت قدماه في العلوم الشرعية من فقه ونحو وبلاغة وتفسير وحديث ظهر ميله فجأة وفي سن باكر لشغف الادب وتعاطيه ، فعكف عندئذ على دراسة النصوص الادبية ودواوين الشعراء وظهر مع هذه الميول مباشرة تخوف ابيه الذي لم يأل جهدا في تقويم ابنه واتجاهه نحو ما يراه صالحا . ولكن الجاذبية الادبية استهلت الابن ، وراح يقتني دواوين الشعراء ، وكتب الادب . فكان ضمن خزانته الصغيرة ديوان المتنبي والبحتري ولزوميات المعري وديوان ابن هاني وغيرها وجاشت نفس الشاعر بالادب ، فرددت قطع شعره في المحافل الادبية ولم يكن للاب حول على تحول ابنه ، فاذعن للواقع ، طاوي النفس على الم وحسرة ، الى ان وفاه الاجل المحتوم ، وعندئذ تنفس الشاعر الصعداء لا تحللا من حياة والده ولكن من الرقابة الصارمة التي فرضها عليه طبقا للبيئة المغربية التي بقي اثرها جليا في زي الشاعر التقليدي فلم يبارح جلبابه وعمامته ولحيته مدى الحياة ، وهكذا انطلق الشاعر ينظم الشعر ،

غرامي صحيح والرجا فيـك معضل
وحزني ودمعي مرسل ومسلسل «1»

الى ان يقول فى آخر القصيـدة :

فخذ اولا من اخر ثـم اولا
من النصف فهو فيه مكمل «2»
ابـر اذا اقسمت انـي بحبه
اهيـم وقلبـي بالصبابـة مشعـل

وكيف ما كانت الحال فتلك حكاية الشعـر الاندلسي منذ نشأته الاولى الى ان استقام عوده ، بعد ان عبر البيد والصحارى محملا باللفحات الى بلاد الموسيقى والاريج والعبق فوجد نفوسا رقيقة خصبة ، وقرائح موهوبة معطاء ، ومناخا ناعما ، فنما واينع ، ومد الظلال الوارفة التي اكسبته شخصية ، رغم انه ظل فى بعض الاغراض الشعرية الاخرى متقمصـا شخصية الادب المشرقى، وذلك طبعي فالابن الشرعي دوما يعترف للاب بالايادي البيضاء ، ولكن فى غيـر مع لاه تنعدم معها الذاتية التي تنبـه الاذهان الـى الخصائص المميزة التي تمهد لها من القيمـة مكانـة الصـدارة .

تطـوان ـ محمد المنتصر الريسوني

1» الصحيـح والمعضل والمرسل والمسلسل كلهـا القاب حديثية راجعها فى مصادرها .

2» البيت يبين فيه الناظم كيف تتوصل لان نعرف رسم من يتغزل فيه وهو ان تاخذ فعل ابـر واهيـم فيصبح ابراهيـم وذلك فى البيت الاخيـر .

رائحة الاماني

قال ابن عتيق لامرأته : تمنيت أن يهدى الينا جدي مسلوخ . فنتخذ من الطعام لون كذا وكذا .

فسمعته جارة له . فظنت انه أمر بعمل ما سمعته ، فانتظرت الى وقت الطعام ، ثم جاءت ، فقرعت الباب ، وقالت : شممت رائحة قدوركم ، فجئت لتطعموني منها !!

فقال ابن ابي عتيق لامرأته :

« ليس لنا مقام فى هذه الدار التي بتشمم جيرانها رائحة الاماني !! »

بمحنته وتقديرا للادب والوفاء له ، وفي اول عهد التحرير برزت احدى المجلات تحمل طابعا حياديا عن النزعات السياسية خدمة للثقافة العربية وادبها وراحت تبحث عن انتاج شاعر الحمراء ، والتمست عن طريق الصحف والمجلات والاذاعة عزمها على نشر هذا الانتاج ، طالبة من هواة الادب ، ومن لهم صلة بشعره ان يوافوها به ليتيسر خدمة للادب ، وحفظا لهذا التراث الفني التليد ، ولبى الناس هذا النداء باحثين عن قصائده ، وقطعه الشعرية ، من مختلف الجرائد والمجلات القديمة والحديثة وممن يحفظ شعره من اصدقائه ، وقد اجتمعت كمية من شعره تقل عن نصف شعره اذا قيست بالمواقف والمناسبات التي اتحفها بشعره واقتصرت المجلة التي اعتنت بهذا التراث وكذ الصحف التي نشرت بعض القطع منه على نشر هذا الشعر دون تعليق او تذييل مكتفيـــة بجوهر القصيدة التي تمكن القارىء من اخذ نظرة عن هذا الشعر في غير احتياج الى شيء .

وبعد هذا رأى بعض المتأدبين ان يستغلوا هذا الانتاج ويقدموا انفسهم للناس على حسابه في مقدمات سخيفة ملؤهـــا البغض والكراهية لشخصية الشاعر ، رائدهم في هذا التقديم حب الانتقام والتشفي ، ولو بعد الموت فوصفه بعضهم بشاعر الاقطاع ، ومات ابن ابراهيم وحيدا غريبا من الاهل والمال لم يخلف الا تحفة فنية ادبية ضاع جلها وليس هـــذا من شـــأن الاقطاعيين واذنابهــــم .

فانبرى آخر من هؤلاء المتأدبين ليجمع ما نشرته تلك المجلات والصحف بالحرف ويسودها في مقدمة عقيمة اختلط عليه فيها النقد الشخصي بالنقد الادبي ، ولعل المتحدث الكريـــم كان بعيدا عن معرفة اصول النقد الادبي ولم يع منها شيئا الا لفظـــة الشخصية ، وجملا تافهة من هذا القبيل ليعت بها شاعر الحمراء دون ان يعرف ما يعني نقاد الادب بهذه الالفاظ ولعله يرى ان الشاعر كان يجب عليه ان يكون دارسا لبعض ظروف المجتمـــع المتشاعر حتى لا يرمي تهمة بالسطحية ، وهذا عقوق سافـــر للادب وذويه ، بل تخلص من كتب النقد ولم يكن صفة الحقـــوق طارئة عن المجتمعات بل هي نادرة نفسانية اجتماعية تتحلى به بعض النفوس الغير الصائنة لاصل وراثي او كسبي ولا غرابة في التحلي بها ، فقد نما من الخطيئة اماله وعسرته ، وتمنى امه بعد ان ارضعته من لبانها واستفاد من نرجسيتها فاقبل عليها يقول .

أعـــــــــــز الا اذا اسود عـــــــــــــــــرا
وكانونـــــــــــا عـلـــــى المتحدثينـــــــــا

وقد حاول احد كبار كتاب المغرب بعد هذا الظلم الغاشم ان ينصف شاعر الحمراء من ظالميه ، فاعتمد تلك النماذج التي نشرت مكتفيا بتحليل بعض منها على ضوء ميزان النقد الادبـــي الصحيح ، ولكن الكاتب الاديب تأثر عن قصد او عن غير قصد بتلك المقدمة السخيفة التي اعتمدها فرماه هو ايضا بعدم اجادته لصنعة الشعر مع ملاحظة ركاكة الاسلوب معللا ذلك بضيق افـــق الشاعر لعدم اطلاعه على ادب الغرب وجهله باللغات الاجنبية .

وهذا راي شخصي آخر يعبر عن رأي الكاتب الخاص دون ان يكون نقدا يتفق وآراء الادباء ولم يتفق ابدا مع الصبغة التي سلكها شاعر الحمراء في قرض الشعر اذ لم يشتهر شعره ولم يكسب له التفوق الا من حيث سلاسة الفاظه وعذوبة معانيه وخلـــوه من الركاكة مع الالتزام التام لصناعة الشعر العربـــي ، اما تحديـــد ثقافة الشاعر وعدم تزوده من آداب الغرب فهو اكبـــر برهـــان منطقي على موهبة الشاعر وذكائه الحاد فكم حاول غيره ادراك شأوه فارهق سمعه وبصره بآداب الشرق والغرب بمطالعـــة وحفظ آداب الشرق والغرب ولكن الانتـــاج جف كسحابـــه ، لا شرقية ولا غربية يتبدد بعد نشرها بيسير لما تحمله من طابع التقليد اللفظي والركاكة المعيوبة .

وهناك ظاهرة اخرى اخذها الناقد على شاعر الحمراء وهي اقحامه للالفاظ المبتذلة التي تخللت بعض المواضع من شعره قـــد تصل احيانا الى الدارجة المغربية ، والحق ان هذه الظاهرة هي التي كانت صلة وصل بين الشاعر وبين الطبقة الشعبية ، وموضع اعجاب واكبار من لدن الطبقة الادبية الارستقراطية ، فقد كان الشاعر المقتدر يصعد في سلمه الذهبي الى تلك الطبقة العليـــــا ليلقي شعره بين يديها فينتزع منها التقدير والاعجاب وتقاطع اساحة بالتصفيق الحاد وتسابق مديري الجرائد والمجلات لتتحف اعمدتها باسم شاعر الحمراء ثم ينزل من سلمه ليحيي الطبقـــة الشعبية التي كان يجد سلوة في الحديث بين افرادها حيث كان يهيم في نفسيته وسير حياته ، ثم ينشدها قطعا شعرية لا تخرج عن نطاق الشعر العربي في قالب ينفذ الى قلب الامي الصـــرف لسلاستها وقرب مأخـــذ لفظهـــا ودون ان يجد عناء في حفظهـــا فيصبح هو ايضا راوية من رواة شعره

هذه نظرة وجيزة حول نقد ابن ابراهيـــم المقلديـــن الذين تراكموا على ترقيم القراع ، فشعر ابن ابراهيم لا زال لم يجمع كله ، ولم يقع تحليله حتى نحكم عليه . ولكن هؤلاء النقاد اشتهروا بحرية القـــول والتعبيـــر والنقد والنشر الادبـــي فراحوا يهدمون المقومات الادبية في غيـــر مراعاة ، وانصـــاف لاربابها ، واذا كان برهان الفضل وآيته ان يجد المرء نقادا يشرفون بنقد نزيه لا ساحة فان شاعر الحمراء لقي اعداء وحسادا سعوا لفظاته الشخصية ليمسخوا بها الساحة الادبي ورغم ذلـــك فلم يفقد اصدقاءه وانصاره والمقدرين لادبه وثقافته من المنصفين للادب والادباء فعسى ان تتضامن جهود هؤلاء المنصفين ويجدوا في البحث كي يتأتى تدوين انتاجـــه تدوينـــا صحيحا يليـــق وعبقرية شاعر المغرب الاول الذي ترددت اصداؤه في الداخل والخارج لا لشهرة تلفائية ولكن لأدبه الجزل الذي تبوأ بـــه الذروة في عالم التجديد للشعر العربي .

مراكش — التهامي السكيتني

وينشد به في المنديات ، وبين اصدقائه ، الى ان اشتهر شهرة تجاوزت حدود المغرب ، فكان لهذه الشهرة صدى بعيد في الاوساط السياسية ، تمخضت عن اقتناص الشاعر ، والوقوع في حبالة التهامي الكلاوي فكان طبيعي ان يختنق الشاعر ، وان يسلك اتجاها خاصا في شعره ، حسبما تمليه ظروف الحماية ، فراح يتردد على بيت الكلاوي ، وهو الشاعر العاطل ليستفيد من نواله وثروته الهائلة ، واتخذ من الشعر حرفة التكسب التي اقترفها عدة شعراء قبله ، فهذا احمد المتنبي مدح كافور الاخشيدي لنفس الغاية ، ومدح شوقي باشوات الاتراك اقتفاء بسابقيه ، واذا كان هناك فارق اجتماعي وسياسي بين الشعراء الثلاث ، فلا ينبغي ان نغفل الحدود والظروف التي عاشها شاعر الحمراء ، ففرنسا اقتطعت مدينة مراكش لمطاوعها الكلاوي وهي العاصمة السياسية الاولى لتاريخ المغرب ، ومنع عقد الحماية المشئوم ، فيجب عليه اذن ان يضمن بهذه المدينة كل بادرة او حركة سياسية وضمنها رقابة الشاعر الذي اشتهر وهو ذو اللسان الحاد ، الذي يمكنه ان يسلق به طائفة ويرتفع باخرى الى العلياء ورغم انسياق الشاعر في اطار سلبي فان كوامن باطنيه كانت تختلج وراء جوانحه وداخل فكره ، لم يستطع التعبير عنها نظرا للهوة السحيقة التي تردى فيها ، فلم يجد امامه سوى المجون واللهو ، فانطلق نحو نجواه ، وما تواردعلى خاطره من القوافي ، فوصف الخمر ، وما توحيه الخمر من فجور ونعت ، على ان الشاعر لم يفته استغلال حصانة الكلاوي عند ما تحبس له الفرصة ، وترسخ الكلاوي رضى لفرنسا ، فقد قال الشعر في اكبر موقف وطني ، ومدح محمد الخامس قدس الله روحه ، عند تدشين قنطرة تاسيفت بقصيدة انبعثت من اعماقه حتى كادت تخرج عن المدح والوصف الى التغزل ، كما هجا باشا فاس بوشتة البغدادي وهو رب الكلاوي في المؤامرة الاستعمارية اثر محاولة تطبيق الظهير البربري المشهور .

واذا كانت هذه المواقف قد تعبر سبيلا نحو ابها الشاعر من نافذة الكلاوي ، فهناك موقف آخر في حياة الشاعر يعتز به كمغربي ، يغار على بلاده مهما رمت به يد الاقطاعيين ، فقد تملص الشاعر من طاعة الكلاوي ولم تمالك كبت ما تحس به ضميره عند ما نظم الاحرار المراكشيون مظاهرة سنة الف وثلاثمائة وستة وخمسين 1356 — 1937 م ، احتجاجا على البؤس والظلم والوضعية التي يعيشونها ، وقد اتخذتها فرنسا وسيلة لمد يدها لنخبة من علماء المدينة وزعمائها ، والقت بهم في غياهب سجن باروداست مع الزامهم باشق الاعمال واضناها ! وكان شاعر الحمراء من بين هذه النخبة التي نالت شرف السجن الوطني نتيجة اعلان تضامنه مع نقبة اخوانه ، كما ساهم بقريضه في حوادث انسانية ، فندد بزعيم النازيين في الحرب البشرية الثانية ، وبوعد بلفور الانجليزي ، واغتصاب بني صهيون لفلسطين السليبة ! !

هذه نظرة وجيزة عن الحياة التي عاشها شاعر الحمراء وعاشها غيره من الادباء في هذه الفترة الدقيقة من حياة المغرب المحتل ، ولكن شاعرية ابن ابراهيم لفتت الانظار اليه ، فتتبع الناس خطاه ، واحصوا انفاسه .

ولنرجع الآن الى شاعريته وحياته الادبية . لقد تناول في شعره المدح والهجاء والغزل والاجتماع ، ويعتبر اول شاعر اخرج الشعر المغربي من تلك البيئة الضيقة ، التي سلكها شعراء المغرب قبله ، وحتى المعاصرين له متأثرا بشعراء النهضة الحديثة في الشرق العربي ، كحافظ وشوقي وخليل مطران والبارودي ، وغيرهم من الذين وجهوا الادب توجيها يتفق مع الاحداث المعاصرة والخروج به من محيطه التقليدي الضيق الى واقع الحياة المتطورة ، وقد احتفظ ابن ابراهيم مع هذا التجديد بالصبغة المغربية التي ميزته عن باقي معاصريه ، ولهذه الظاهرة تلقت الصحف والمجلات آنذاك شعره بشوق وشغف وتسابقت على اول اعمدتها احتفاء به وقصد المزيد من رباتها الذين كانوا يترقبون عن كثب نشر هذا الشعر ، حيث كان ينفذ الى اعماقها فتلمس فيه العذوبة والتجديد والابتكار ، وقد اطلقت بعض هذه الصحف على الشاعر اسم شاعر المغرب الاول او شاعر افريقيا ولهذه الشهرة غير المتفائيه ردد هواه الادب والمعجبين بفنه على منزله ، وعن المنتديات التي كان يرتادها فكان يسحرهم بقطعه الشعرية الارتجالية ونكته الدقيقة اللاذعة التي كانت تنبئ عن حدة ذكائه ، وقوة ذاكرته .

وهكذا احدث ابن ابراهيم ضجة مدوية في الاوساط الادبية ، وقد تعرض الشاعر اثناء هذه الشهرة لعقدة نفسية على اثر السخرية التي كانت تلحقه من جراء سلوكه الشخصي رغم اكباره وتقديره من لدن الاوساط الادبية ، وقد ادرك هذه الوضعية التي يعيشها فسخط على نفسه ودعا عليها .

والذي يهم من حياة هذا الاديب المغربي المسلم دراسة شعره وادبه كنموذج للشعر المغربي المعاصر وكمرآة لظروف استثنائية عاشها المغرب . على ان انتاج هذا الشاعر التعيس الحظ لم يقدر له ان يجمع في حياته رغم اهتمامه بترتيب ديوانه طبقا للعهود التي كان يعقد بها اصحابه واصدقاءه المعجبين بفنه الادبي ، وشاء القدر ان يعاجل المنية شاعر الحمراء قرب انفراج الازمة المغربية ، وانقضاء عهد الحماية سنة الف وثلاثمائة وثلاث وسبعين 1373 — 1955 ، وكان انتهاء حياته بداية عهد جديد في المغرب ، وراح كبار الادباء والشعراء يتحدثون على شاعريته ، والمحنة التي تخللت حياته ، ويود كل واحد منهم ان يرى شاعر الحمراء في هذه الظروف التي اقضي فيها الاستقلال البشري ، وما عسى ان يقول وهو الشاعر الفحل الذي يعرفونه ، وانطوى اصدقاؤه عن الحزن والاسى على الطرف الحالك الذي اختفى فيه هذا النجم اللامع ، ونسي ذووا الاحقاد احقادهم رأفة

2 ـ تعليل الظروف التي ساعدت على الفتح الاسلامي للمغرب «ص 90»

3 ـ استنتاج ان المغرب في عهد الادارسة عرف مذاهب متعددة «ص 128»

4 ـ تعليل ضعف الحركة الفكرية ايام الادارسة «ص 138»

5 ـ تقدير التدخل الزناتي في القرن الرابع بكونه كان وقوفا في وجه الدعوة الشيعية «ص 158»

ولا اريد ان اطيل بسرد الامثلة اذ لا توجد حركة سياسية او فكرية او اجتماعية او غيرها لم تحظ بقدر قليل او كثير من الاستنتاج والتعليل في فصول الكتاب وذلك في دائرة امكانيات المؤلف وجهده المحدود..

وعن الملاحظة الثالثة، فلا يخفى ان موضوع الحياة الاجتماعية والاقتصادية ليس الا جزءا فقط من المواضيع المطروقة. وهكذا ينبغي ان ينظر اليها على انها مظهر من مظاهر الحياة العامة التي يدخل فيها نظم الحكم والادارة والحياة الدينية والحركة الفكرية والعمرانية وما الى ذلك. ثم ينبغي ان نعرف ان معالجة الحياة الاقتصادية بالمغرب من الناحية التاريخية امر من الجرأة بل الخطورة بمكان وعلى الخصوص بالنسبة للدول التي أرخ لها في هذا الجزء، فلا توجد ابحاث او كتب خاصة بهذا الموضوع لكل من الدول المشار اليها. واهم المراجع في العصر الاسلامي الى نهاية الموحدين. ما كتبه على الخصوص بعض الرحالة كالادريسي والبكري، ونفس الامر تقريبا يقال عن الحياة الاجتماعية وحتى النبذ الهزيلة والسطور القليلة التي خصصها بعض المؤرخين الاجانب للحياة الاجتماعية والاقتصادية، ليست بطبيعة الحال الاستنتاجات مما جاء في كتب هؤلاء وقليلا مما ورد عفوا في جمل او فقرات في مصادر قديمة تاريخية. فكان من حق الاخ الناقد ان يرشدنا الى مصادر خاصة او مفيدة في هذا الباب. ثم يبقى من حق المؤلف ان يقوم هذه المصادر او يقر بصلاحيتها وفائدتها.

وعن الملاحظة الرابعة، فمجموع ما تضمنه الكتاب :

1 ـ احداث معلومة عادية مجمع عليها من طرف المؤرخين على اختلاف مذاهبهم «تاريخ سياسي ادبي الخ» وهذه لا فائدة في الاشارة اليها لانها تقرأ في كل مرجع وقد تعرف من كل قارىء مثل ان نقول فلان مات سنة كذا، او ان المرابطين لم يدخلوا الى طليطلة او ان الرباط اسسها المنصو رالموحدي.

2 ـ رد على نظريات وءاراء اجنبية وهذه يذكر بطبيعة الحال اصحابها ومصادرها وكذا الامر فيما يخص الرجوع الى هذه الاراء والنظريات وحتى مجرد الحقائق المقررة «انظر مثلا : ص 17 «المرجع مذكور في فهرس المصادر» 18، 22، 23، 25، 28، 50، 56، 90، 107، 167، 179 الخ»

وهكذا ايضا تنسب المعلومات المستقاة من مراجع عربية الى اصحابها، ولا يمكن ان يذكر في نهاية اقسام الكتاب مرجع لم تسبق الاشارة اليه.

3 ـ استنتاجات خاصة بالمؤلف، وهي كثيرة وليس من المعقول ان نتكرم باسنادها الى احد ما دامت ملكا حلالا له مهما بلغ من تفاهتها او قيمتها، فاذا تبين ان هناك فكرة لاجنبي اسندها المؤلف الى نفسه، فلا بأس بتحديدها وبيان مكانها مثلما يطالبني الاخ الناقد من جهة ببيان المراجع في ابانها وهو ما فعلته «الصفحات المشار اليها ءانفا»

ومن الطريف ان المؤرخين الغربيين الذين رجع اليهم المؤلف، قدر جدا ان يشيروا الى مراجعهم بنفس الطريقة التي نبه عليها الناقد وطبقتها في كتابي، فهم عادة، يذكرون مراجعهم في اول ابحاثهم، ثم يذكرونها مجتمعة في نهاية الكتاب وقد يسجلونها في اوله.

وحسب استنتاجي في هذا الباب ـ والله اعلم ـ ان تدخلاتهم الخاصة في مناقشة الاحداث وتعليل الظواهر العامة والخاصة تطغى على اهتمامهم بالحقائق المسلمة والوقائع التي سبق عرضها مرارا من طرف مؤرخين قدماء. فهم يعرضون هذه الوقائع لا لذاتها ولكن ليستنتجوا فكرة معينة على طريقتهم الخاصة.

والملاحظة الاخيرة جديرة بالتسجيل كسائر الملاحظات التي ابداها السيد الناقد، وهي عدم الاكثار من المصادر، وهنا يؤسفني ان اسجل ان الاخ السائح لم يدل بقائمة المراجع التي كان ينبغي ان تضاف الى المصادر التي رجع اليها المؤلف، وعلى الرغم من ان هذه المصادر ليست بالكثرة التي تتناسب والموضوعات المطروقة لتنوعها فان العبرة ليست بالكم، **بل بالمحتوى** اي بمحتوى المراجع التي لم يعتمدها المؤلف وكذلك بطريقة الاستفادة من الكتب المعتمدة.

حول كتاب

المغرب عبر التاريخ

رد على تعليق الأستاذ حسن السايح

تكرم صديقي الاستاذ حسن السائح فابدى ملاحظاته تلقائيا على كتابي « المغرب عبر التاريخ » واني اذ اكبر فيه هذه الروح النقدية التي تؤكد اهتمامه الحقيقي بالانتاج الفكري في المغرب الذي نحن معا ، منه واليه ، اود ان ابدي وجهة نظري حول ملاحظاته القيمة التي استسمحه في اجتيازها كما يلي:

1 ـ ان الكتاب لم يخرج عن الاحداث الحربية والسياسية .

2 ـ ان المؤلف لم يربط الحوادث بعضها ببعض ولم يبحث عن الدوافع الخفية للحركات الظاهرة .

3 ـ الفصول الاقتصادية والاجتماعية ينقصها التبسط والتفصيل

4 ـ المصادر غير مذكورة في اسفل الصفحات

5 ـ المؤلف لم يستوعب المصادر الكافية

اما عن الملاحظة الاولى فيكفي مجرد القاء نظرة على صفحات الكتاب للتثبت من ان العكس هو الذي حدث ، وحتى اذا لم يقبل السيد الناقد هذه الحقيقة فقد يوافق على ان هناك جهدا في ضمان توازن بين الفصول السياسيه والفصول المتعلقة بالحضارة امثلة :

الرومان «سياسيا» : 9 صفحات ـ حضاريا : 15 صفحة

الادارسة «سياسيا» : 12 صفحة ـ حضاريا 17 صفحة .

المرابطون «سياسيا» : 35 صفحة ـ حضاريا: 53 صفحة

الموحدون « سياسيا » : 66 صفحة ـ حضاريا : 77 صفحة .

واذا قلت ان هناك توازنا بين الجانبين السياسي والحضاري على الرغم من كثرة صفحات القسم الثاني التي تطغى على القسم الاول فذلك لان مظاهر الحضارة متعددة متنوعة ، بينما النشاط السياسي والحربي ليس الا عنصرا خلافا لهذه المظاهر ، والجانب السياسي كما يقرر توينبي، يجب ان لا يشغل من اهتمام المؤرخ الحديث الا قدرا ضئيلا حتى يتفرغ للجوانب الاخرى التي هي اهم .

وعن الملاحظة الثانية ، فان السيد الناقد لم يضرب لذلك مثالا على الاقل مع وجاهة ملاحظته كمبدأ يرتكز عليه المؤرخ ، واذا كان مقصوده ان الاحداث السياسية قد صيغت بشكل مضطرب فهذا قد يرجع الى حقيقة وقوعها او عدم اتفاق المؤرخين على طريقة سيرها ، وكيفما كان الامر فلابد من تحديد الامثلة وبيان الطريقة المثلى في علاجها ، واما اذا كان قصد ان الاحداث المعروضة ينقصها تعبير واضح التعليل ورد الاسباب الى المسببات ، فهذا موضع نظر، فهناك فصول خصصت لتعليل الاحداث وقيام الدول وسقوطها مما لا حاجة الى الاستشهاد له ما دام الفهرس موجودا ، فضلا عن نبذ خصصت لتقدير اعمال الدول والحكم لها او عليها ، ومن حقي ما دمت في موقف المدافع ، ان اقول ان تحليل الاحداث وبيان الاسباب العميقة لهذه الظاهرة او تلك يكاد يشغل كل فصل من الكتاب كلما كان ذلك ضروريا ، من ذلك على سبيل المثال :

1 ـ بيان الاثر الوثني في بربر الريف عن طريق السحر والتنجيم اثناء الفتح الاسلامي وبعده «ص68»

مع البحر

للشاعر حسن محمد الطريبق

« ومع انني تعودت ان اقف في الشاطىء ، فان هذه الوقفة كانت تختلف عن كل وقفة اخرى .. »

ومطاف افقك في مدى قلبي مداه ألقاه في صدري وفي نفسي اراه
فيه المياه تظل هائجة . وفي قلبي اصيخ الى هدره او صداه
في وجهه الامواج تلطمها العوا صف ثم ترمِها هناك على رباه
وانا احس بها تدمدم في دمي في عمق هذا القلب . في اقصى مداه
في جوفه خوف . وفي جنبانه ليل كئيب . قاتم تعلو سماه
من عمقه تجري الغمام وترتمي مثل الدموع عليه يندب ما دهاه
وظلام روحي لف احلامي وحـ ـجبها ، وهام الخوف في نفسي وتاه
ودواخلي تعلو مداها غيمة تبكي على قلبي .. على اغلى مناه
لا فرحة تهمي على سناؤها او كوكب امشي هناك على سناه
فكأنني شبح ، واحلامي مبعـ ـثرة ، واشجان ، وانات ، وءاه
او انني كهف قد ارتطمت دواخـ ـله مع الصخاب وانزعزت ذراه

* * *

يا بحر ، كم تهاجني وتثيرني زفرات قلبك حين تصطفق المياه
يا بحر ، يا مهد الخيال وسره يا مقلة الاوهام ، يا لغز الحياه
يا بحر ، انت انا ، كلانا واحد ما غاب مني فيك منطرحا اراه
ووجوم شاطئك الجذيب اراه في صدري ، وابصر في جوانحه لظاه
حصباؤه تحكي شرود خواطري ورضابه مثلي يضيع على ثراه !

العرائش — حسن محمد الطريبق

فتاريخ المغرب كتبه احد ثلاثة :

1 ــ مؤرخون مغاربة اكثرهم اكتفى بتاريخ الدولة التي عاصرها وفيهم مجهولون لا نعرف هويتهم. وما كتبوه قليلا جدا بالقياس الى عظمة المغرب ونشاطه السياسي وغير السياسي .

2 ــ مؤرخون مسلمون ، عرب وغيرهم ، كتبوا عن المغرب وعاشوا فيه عن كثب او بعيدين بالمرة عن المغرب ، مثلما كتبه ابن الاثير وابن خلدون .

والى كلتا الطائفتين رجعت بما فيه الكفاية ، لان التطويل يضخم حجم الكتاب مما لا تطيقه ناشر بالمغرب ، كما ترتفع تكاليفه على القارىء . مع العلم ان المجلد القادم لا مناص من اخراجه في حجم اضخم اذا تيسر نشره .

3 ــ مؤرخون اجانب ، وهم يعدون بالعشرات ولكن اهتمامهم ينصب في معظمه على الفترة الواقعة بعد الموحدين . ويطغى هذا الاهتمام خاصة بالنسبة للفترة التي سبقت الحماية الفرنسية مباشرة وتمتد الى عهد الاستقلال . وفي جميع الاحوال ، فليس كل ما كتبه الاجانب قيما من جهة ولا موثوقا به من جهة اخرى ، بل ان القليل فقط ، يمتاز بالرصانة والرجوع الى المظان الحقيقية وهؤلاء قد لا يبلغون اصابع اليدين عدا فيما يرجع الى تاريخ الفترة السابقة للمرينيين . وقد رجعت الى ابرزهم من مؤرخين واثريين وغيرهم ، وبعبارة موجزة ، فمعظم ما كتبه الاجانب اما مجرد معلومات عن وضعية بالمغرب كانت تسوغ اقرار الحماية الفرنسية في نظرهم. واما تبرير التصرفات والخطة التي سلكها ممثلو الحماية بعد اقرارها .

وينبغي ان لا اترك هذه الفرصة تمر ، دون ان اشير الى ان كتاب « المغرب عبر التاريخ » لا يتمثل فيه الكمال بحال ، فهناك بعض النقط التي يمكن اضافتها في طبعة قادمة ان شاء الله ، وقد تؤثر بزيادة قليلة او كثيرة في مادته ، وهذه النقط قد بدات تسجلها منذ شهور ونرجو الله ان يغلبنا على كل الصعاب، ولكنها لا تعتبر اساسية او لها اثر على منهاج الكتاب الحالي .

وقد لاحظ الاستاذ عدم حديث المؤلف عن الحركة الفكرية في عصر الولاة ، وهو العصر الذي لم يكن الاسلام فيه قد ثبت اقدامه بالمغرب ، فأي حركة فكرية هذه التي يمكن ان يتحدث عنها مؤرخ هذا العصر المضطرب الذي كانت الوثنية تضرب فيه اطنابها في مختلف ارجاء المغرب ؟ فاما ان كانت هناك اسماء بعض البربر الذين تلقوا العلم فهذا لا يعني ابدا وجود حركة مزدهرة في وقت لا يزال الاسلام يبحث فيه عن طريقه الى المغاربة ولم يكن المغرب الا مقاطعة تابعة للادارة الاقليمية بالقيروان . فهل بنيت مدارس؟ هل اسست خزائن ؟ هل الفت كتب ، هل دونت اشعار ؟ ماذا نعرف عن ذلك كله مما يستحق بحثا ضافيا ؟ ما هو نشاط الفئة القليلة من رجال العلم الذين ظهروا في هذه الحقبة ؟

لا يكون اثر حتى يوجد مؤثر ، فهل اثر عصر الفتح الاسلامي الذي سماه الاخ السائح عصر الولاة في ميدان الفكر بالمغرب ؟ اما انا فأؤكد ان لا ، لان توطيد الاسلام لم يتم على يد العرب وحدهم ، بل لم يتم بالتأكيد في كل المغرب الا على يد المرابطين . وما دام اثر الولاة ضعيفا في الاسلام بهذه الديار . فمن الثابت قطعا ، ان اثرهم كان جد ضعيف في الميدان الفكري .

وتحيتي وتقديري للاستاذ السائح واعترافي مرة اخرى بوجاهة ملاحظاته كمبدأ وخطة .

الرباط ــ ابراهيم حركات

في محراب الذكريات

الروض المهجور

للشاعر: عبد الكريم التواني

« يقترن اسم روض ابي الجنود او منتزه ابي الجنود بفاس ، وعلى الدوام من افكار الرعيل الاول للحركة التحريرية بالمغرب ، وخاصة اولئك الذين قدر لهم ان يعيشوا لفترات طويلة بفاس ، يقترن بكثير من الذكريات فيها الحلو المغري المضحك ، وفيها المر المؤسف المحزن ، وكان هذا المنتزه ملتقى الادباء والشعراء والسياسيين الذين كانوا يتخذون من مفاهيمه المنتشرة على ضفاف فروع وادي الجواهر المارة من هناك نوادي ومجالس .. ولم اشاهده منذ سنوات ، وقدر لي ان اشهد – وفي شهر نوفمبر من سنة 1965 – وانا امر من هناك عمالا يروحون ويجيئون فدعتني حركتهم لزيارته ، فشاهدت بركته الرائعة وقد جف ماؤها ، ورأيت الخمائل الجميلة قد صوح نبتها ، والخيزران الباسق الاغصان يتناوح على مصيره ، فلم املك الا ان اسجل هذه الارتسامات ، واني اهدي هذه القطعة لارواح الذين قد رلهم في يوم ما ان زاروا او سيزورون هذا المنتزه الجميل »

عبد الكريم التواني

فردوس فاس وقاك الله ارهاقا ... وطاب ربعك ابناسا واشراقا
يا مرتع الذكريات الغر طافحة ... بالانس والبشر ، لا اعدمت ارفاقا
« وادي الجواهر » في احنائك كوثره ... يجري فينعش ارواحا واحداقا
والسرو ، والخيزران الرابضان على ... اقداس عرشك صانا منك آفاقا
يجوس ابعادها العشاق هائمة ... ارواحهم ، تتملى النور خفاقا
كانما انت ، و « الاجساد » حانية ... عليك نرعاك ، لا تالوك اشفاقا
جنات عدن ، بها الاملاك محتفة ... تختال في برد ، تختال ابراقا

* * *

يا موطن اللهو ، والايام ريقة ... والحب عذب الجنى ، ريان رقراقا
زهت بحسنك فاس، وانتشت فرحا ... وهيج الشوق « بطحاها » وعشاقا
ما عرس روضك ، والازهار طائعة ... والطير يصدح الحانا واشواقا
والعطر ينشر في ارجاك خمرته ... فينتشي الروض ادواحا واعراقا
والدوح يرقص ، نشوانا ، غدائره ... فتلثم الماء تحنانا وتياقا

دمعة الشاعر

للأستاذ الشاعر : عبد المجيد بن جلون

غن واصدح في الوجود الزاهر
انعش الكون بلحن ساحر
انسه معنى الاسى يا شاعري
واختصر عالمنا في نغمة
واعتصرها من شقاء ونعيم

غن لليل وللفجر الوليد
غن للزهر وللطير السعيد
غن للاتي وللامس البعيد
مثل طير سابح في روضة
يذرع العمر .. يغني ويهيم

لقن الادهار لحنا لا يزول
وليعش صوتك في الكون الجميل
خالد الالحان جيلا بعد جيل
وتألق في سماء الشهرة
نجمة ساطعة بين النجوم

آه لكن .. اختبر هذا النغم
ايه اصدق ؟ انغام الالم ؟
لب شعري او ترانيم الحكم ؟
او لحون صغتها في اللوعة
او لحون الوصف للكون العظيم

لا .. فهذا كله نمقته
انما اصدق ما رددته
انما اروع لحن صغته
دمعة ترسلها في الظلمة
صامتا في حلكة الليل البهيم

الرباط : عبد المجيد بن جلون

اسطورة انسان

للشاعر عبد الكريم الطبال

سيان عندى ان انزو فى صفاء   الحلم كالقيثار . كالنهر الغرير
او اسكن الى الاسى فى وحشة   الادغال . فى صمت الاماسى والقبور
ضحكى وحزني غيمة تمضي بلا   ماء على صحراء صيف كالسعير
وانا حجارة ضائع سرى الاسى   قبر بلا صخب كموجات العبير
قدرى : ظلال راعشات تحت غصن   الوهم . اصداء مهلهلة نسير
اشباح ليل عاصف لا تستبين   لفكر مجنون النوازع والشعور
احلام اطفال مذهبة الرؤى   هى رغوة تنساب فى ساح الغدير
صور بلا لون بلا ظل لها   سر الحقيقة فى خيالات الضرير
فلم الجنازة يا ترى والعمر   والانسان والاحلام اوهام تطير ،
فلم الكآبة والشرور وعالمي   كالثورة البيضاء فى كأس يفور ،

عبد الكريم الطبال

والغيم وسنان بوحي النهر اغنية ... تنساب منه خرير اللفا ، تاقا
الا نسائم من معناك ناشرة ... على البسائط بتراها ، واطواقا
يا روض ، اي عتي السافيات اتى ... على معانيك ، اقواء ، واطباقا
اضحت معالمك اللاتي انسنا بها ... ازمان ، لد الهوى صفوا واشراقا
قفرا ، يدمدم في ارجاء جنتها ... بوم ، وينعق أرعادا وابرافا
ينعي روابي ، كانت للهنا سكنا ... وللصفاء ملاذا شاق مشتاقا
ويبكي دوحك ، والحسون هاجرها ... حزنا ، احست له الازهار ارهاقا
قد غاض نهرك واجتنت طحالبه ... وغام سفوك ، واستبدلت اطواقا

* * *

وصوح الزهر ، وابؤسا لمنظره ... والريح بعره ، جذعا واوراقا
اما الخمائل ، فالاعصار ارهفها ... فأصبحت بلقعا غفلا ، وانفاقا
تناوحت ، في رباها ، الريح عاصفة ... ففوضت من حماها ، الاس والساقا
وفي سواقيك ، للالام دمدمة ... لها النواعر تجري الدمع مهراقا
تسر للنهر في ياس وزمجرة ... اقصوصة الكون ، انجاحا واخفاقا
وسمع الطير نجواها ، فيرسلها ... شجوا يزعزع اغصانا واوراقا
فترسل النوح لا ترقى بما جرعت ... من خمرة الطل ابساسا واغداقا

* * *

كانت رحابك للعشاق منتجعا ... وللندامى امانيا واشواقا
نرتادها ، وسرور الانس يسكرنا ... طربا ، ويغمرنا فنا واذواقا
فاصبحت جرزا ضنكا معالمها ... خرسا ، وكانت بها الايام احداقا
اين الصبايا الملاح الدل والهة ... قلوبهن هوى غضا واشواقا
يسبحن في البركة القوراء في دعة ... ويرتجزن نشاوى والهوى راقا
اين المسارح ، والارام طاب لها ... بها ، الفنا ، فاقامت فيه اجواقا
في كل زاوية اصداء اغنية ... تشجى الحنايا وتوحي القلب اشراقا
اين المقاهي وقد كانت مرابعها ... للهو المسعر ، للالحان اسواقا
لا شيء ، الا خيالات بكت ندما ... على زمان ، قضى هما وارهاقا
تلك الحياة ، وما يرجى لها رشد ... وليس تحفظ للانسان ميثاقا

فاس — عبد الكريم التواتي

ابتعدت الطفلة عنه تعدو ، وكأنها قد فخرت بنفسها ، لانها ليست بقدم واحدة مثله ، وكانت قد وصلت بالقرب من كومة حجارة ، فالتقطت حجرين وقذفته بواحد منهما اصابته في بطنه تقريبا ، وتألم ، وكان ذلك ملاحظا من وضع يده بشدة على بطنه ثم صرخ بالفتاة ان تكف عن ذلك ، الا انها ابتعدت عنه قليلا وهي ما تزال تضحك ، ثم قذفته بالحجر الثاني الذي اصاب صدره بقوة اعنف من السابق .

كنت هذه الاثناء اتألم للطفل كثيرا ، ووددت مرة ثانية لو استطيع الحراك لابعدت هذه الطفلة عنه ، وتساءلت حينها : « ترى .. بماذا يفكر الطفل من الداخل ..؟ هل يتألم كما اتألم انا ؟ هل يفكر كما افكر انا ..؟ ثم ما الاسباب التي واجهته حتى اصبح بقدم واحدة لا يستطيع ان يلعب كما يلعب الاخرون. يا للمسكين .. »

كانت الطفلة قد عادت اليه مرة ثانية وقد ملات يديها بحجارة صغيرة ثم راحت تقذفه بها الواحدة تلو الاخرى ، وكان قد لذ لها ، انه لا يستطيع مقاومتها او اللحاق بها ان هي فرت .

وكانت قوة احتماله ، قد نفذت على ما يبدو ، فاذا به ينحني نحو الارض ويلتقط بعض الحجارة بغفلة من الطفلة وينتظر .

وتساءلت : « ترى .. ماذا سيفعل ..؟ هل يضرب الفتاة ..؟» ولذ لي ان اراقبه عن كثب لاجد ماذا هو فاعل ...

كانت الطفلة قد بدأت تلتهي باشياء اخرى ... فاذا به يتقدم منها على حذر شديد .. حتى انه كان يحاول ان لا يسمع لعكازه صوت ، ولما اقترب منها كثيرا صرخ في وجهها : «لماذا كنت تقذفينني بالحجارة يا ملعونه » فوجئت الطفلة وبان على وجهها الرعب .. اذ ذاك بدأت تتراجع حتى التصقت بالجدار .. كانت يده مرتفعة وفيها الحجارة كأنه يود فعلا ان يقذفها بها .

ولما اصبح قريبا جدا منها انتحب بمرارة وراحت تصرخ : «دخيلك . ابوس رجلك » ابتسم الطفل ابتسامة المنتصر وقال لها بهدوء استطعت ان اسمعه : « اي رجل .. قالت : «هذه» واشارت الى المبتورة . فقال لها « هيا قبليها » ولما حاولت ان تفعل ما امرها به .. اذ به يبتعد عنها ويقذف بالحجارة الى الارض .. ثم يحط برأسه الى الجدار ويبكي بمرارة .

خنقتني العبرة ، وكادت دموعي ان تطفر من عيني ، لولا انني تماسكت وظللت اتابع تلك المصيبة .

كان الالم قد ظهر مليا على وجه الطفلة ، فتقدمت على مهل ، وربتت على ظهره بيد حنون ، ولما التفت نحوها ، كانت عيناه تنضحان بالدموع ، ولكنه حاول ان يبتسم .. ثم حمل يده ولمس شعرها الذهبي بلطف وايناس ، فاذا بها تلتقط حجرين وتمد يدها بهما اليه ، وتقول بسذاجة : « خذهما .. اضربني ... الله يخليك » فقال وكأنه شيخ من ينصح ابنته « لا .. لا .. انا لا اضرب احدا وانت يجب ان تكوني مثلي » فقالت بنفس السذاجة : «واللهما عدت اضرب احدا ابدا .. » ثم راحت تبتعد عنه وهي تلتفت اليه بين لحظة واخرى.. وفي عينيها نظرات ملؤها الاسف والاعتذار حتى التوت من فم الزقاق وغابت عن الانظار .

انتظر الطفل قليلا ، ثم ذهب خارجا من الزقاق وهو يطرق بعكازه الارض طرقات مخيفة ، كانت ترن في راسي كضربات مطرقة حداد .

عدت الى نفسي كأنني كنت اعيش هذه المصيبة، وتاملت ما حدث لي ، فشعرت ان مصيبتي تافهة ، وصغيرة جدا بالنسبة لمصائب الاخرين ، فهان الامر علي ، طالما ليس هناك من يسخر مني كما سخرت تلك الطفلة من صاحب القدم المبتورة ، وكم اعجبت بمعاملته لها وكيف اعتذرت له بتلك السذاجة اللطيفة.

كان علي منذ تلك اللحظة ان اعتبر ان مصيبتي لم تكن بالنسبة لتلك المصائب التي ترخر بها حياتنا الانسانية المتعبة الا مصيبة صغيرة .. صغيرة جدا ، وقد تطول حياتي او تقصر ، وقد يستمر مرضي او اشفى ، الا ان عقلي يجب ان يفكر دائما بحياة فاضلة ، وكانني واعظ اعظ نفسي : « يجب ان اعتبر كل مصيبة تمر بحياتي تافهة بشكل لا يستحق التفكير بها .. حتى استطيع التغلب عليها .. »

ان الطفل ذا القدم المبتورة يستطيع ان يعلمني: « ان الانسان شجاع وعلى شجاعته يستطيع ان يبني تعاسته او سعادته » .

اذ ذاك اسلمت رأسي للوسادة ، واغمضت عيني لاروح في رقاد طويل .

بيروت ـ ياسين رفاعية

المشلول

للاستاذ ياسين رفاعية

افكر احيانا ان اقذف بنفسي من النافذة المطلة على الزقاق ، وقد رسمت الخطة اكثر من مره ، بان امد راسي منحنيا واهوي . فاسقط عليه وينتهي الامر .. فهذا هو الشهر الثالث وانا على هذه الحال ملقى فوق فراشي لا استطيع الحراك ، مصاب بشلل في القدمين والظهر ، والطبيب ليس متاكدا من النتائج التي يحاول الوصول اليها .

ونقمت على الحياة الى حد الحقد ، فانا ما زلت شابا يافعا لم اتجاوز من العمر الخامسة والعشرين ، وقد ساءني جدا ان اجد نفسي مشلولا وانا في هذه السن لم انل من الحياة ما كان يجب ان اناله .

وكم اشعر بالالم العنيف عندما يدخل علي بعض اصدقائي الذين كنت اقضي معهم ليالي ممتعة لا تنسى ذكرياتها قط .

وكانوا يدخلون علي يحاولون تسليتي ، ومشاركتي شعوري فيجلسون عندي بعض الساعات ثم يتحدثون امامي عن كيفية قضاء سهرتهم .

وكان الالم في تلك اللحظة يمزق روحي رهيبا ، وكنت انظاهر بان مصيبتي هينة ولابد من شفائي في يوم ما ، الا انني ضمنا لم اكن اومن بكل هذه الاشياء بل على العكس كنت اشعر باني اسير من سيء الى اسوأ .

كان الزقاق يمتد امامي كنفق قطار يدخل اليه النور من خلال المنازل المتداخلة في بعضها من فوق ، كانها كتلة واحدة من الطين والتراب ، كانت ارضيته فيها بعض الانساع الا ان حصته من السماء والنور لم تكن كذلك ابدا ، ومن هذا اصبح الزقاق مرتع الاطفال ، لان المطر لم يكن يستطيع التسرب الى ارضيته .

كنت احاول ان اتسلى بالنظر من عل الى الاطفال الذين يلعبون لعبات تذكرني بطفولتي التي اتمنى لو تعود . فيرتد ذلك من المي بشكل حزين .. حزين.

واليوم الجمعة . وكان الاطفال فيه كثرا وقد الفت وجوههم لتكرار مشاهدتي اياهم ، الا انني رايت هذا اليوم طفلا جديدا لم الحظه من ذي قبل ، كان قد وقف منفرجا مستندا الى الجدار . وكانت **قدمه اليمنى مبتورة** وقد استند على عكاز حمله تحت ابطه ولم يتجاوز على ما اظن الثالثة عشر من عمره ، تاملت وجهه فاذا بالكآبة تعلوه كانه شبح مسن مرت عليه اهوال مجحفة .

كان الاطفال يلعبون لعبة مسلية مضحكة ، الا انه لم يكن يبتسم على الاطلاق فهو ينظر اليهم بشرود ووجوم وفي جبينه تقطيبة قاسية ، كانه يتالم من وضعه في هذه الانباء ، تقدمت منه طفلة احسبها تصغره بعامين وصرخت في وجهه بصوت عال : اين قدمك الثانية ؟

شعرت بالجرح بدل الطفل ، حتى ان العرق راح يتصبب من جبيني بغزاره وتمنيت لو كنت واقفا اسفل لصفعتها وابعدتها عنه . ولكن الطفل ابتسم لها كانه سئل مثل هذا السؤال اكثر من الف مرة .. ثم ربت على كتفها ولم يجب .

تونس في عهد الحماية من 1881 – 1934

وهو عبارة عن محاضرات القاها الدكتور (نقولا زياده) على طلبة قسم الدراسات التاريخية والجغرافيه .

البهائيــة حــزب لا مبدأ

وهذا الكتاب من جملة الكتب الصادرة من سلسلة منابع الثقافة الاسلامية . وقد ألفه السيد احمد الفالي احد المدرسين بكربلا ، وله مكانه علميه مرموقة بين المدرسين .

وقد عرض السيد المؤلف بايجاز للبهائيه هذا الحزب السياسي الذي اسسه الاستعمار باسم الدين لضرب به الحركات الاسلاميــة .

كما عرض لتاريخ زعماء البهائيه ، وقادتها وحماتهم باختصار ، ويذكر بعضا من صلاتهم الوثيقه بالمستعمرين ، وانهم كيف ادعوا ما ادعوه ، وهم يجهلون حتى اللغه وابسط الاشياء .

المؤتمر الثانــي لمجمع البحوث الاسلاميــة

نشرت (اضواء) مقالا بقلم حسن الدجاني عن المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلاميه جاء فيه :

انعقد في العام الماضي اول مؤتمر لمجمع البحوث الاسلاميه بعد صدور قانون تطوير الازهر الشريف وتشكيل مجمع البحوث الاسلاميه ، واستضافت القاهره طلائع علماء المسلمين الذين وفدوا من قرابه اربعين دوله اسلاميه من شتى ارجاء العالم ليشاركوا في وضع قواعد البحث المشترك والفهم المتطور في الفقه الاسلامي وعلوم القرآن الكريم والسنه النبويه تحقيق التلاؤم بين واقع الدنيا واصول الدين في غير جمود او تحلل .

وقد اجتمع في صيف هذا العام مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية في دورته الثانيه بمدينة القاهره ايضا وانعقد المؤتمر على فترتين : الاولى من يوم الخميس 12 من المحرم سنة 1385 الموافق 13 من مايو 1965 ، والثانيه من يوم الاربعاء 25 من المحرم سنه 1385 الموافق 26 مايو 1965 الى تاريخ الجلسه الختاميه للــدورة .

وحضره عدد وفير من علماء المسلمين ومفكريهم من مختلف البلاد الاسلاميه في افريقيا وآسيا واوربا يمثلون اكثر من 35 دولة على النحو التالي :

مــن افريقيــــا :

ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب – السودان – نيجيريا – السنغال – مالي – غينيا – سيراليون – توجو – اوغندا – كينيا – جنوب افريقيا .

ومــن آسيــا :

العراق – اليمن – الكويت – عمان – الاردن – لبنان – فلسطين – البحرين – افغانستان – باكستان – الهند – اندونسيا – سيلان – الفلبين – ماليزيا – اليابان – تركيا .

ومن اوروبـــا :

المجر – روسيا – اليونان .

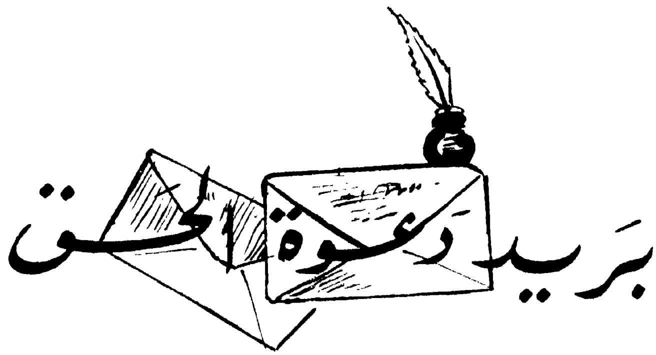
وتضمنت كلمات الوفود جوابا سنيا من رسالة المجمع في العمل على دعم الاسلام والدعوة اليه ، ورفع مستوى المسلمين وتوحيد صفوفهم لمواجهه المشاكل والقضايا الاسلاميه الراهنة ، كما عكست صورة الآمال التي يعلقها المسلمون في كل مكان على قيام هذه المؤسسه الاسلاميه العظيمة . وقد اكدت كلمات المتحدثين جميعا ضرورة العمل الاسلامي الموحد من اجل تحرير فلسطين بوصفها قضيه المسلمين جميعا ، كما اشادوا في كلمتهم بالدور القيادي الذي تقوم به الجمهوريه العربية المتحدة معقل العروبة وموطن الازهر في هذا السبيل .

هذا وقد تضمنت بحوث المؤتمر الموضوعات التالية :

1 – العقيدة الاسلاميه كما جاءت في القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد ابي زهره .
2 – الزكاة لفضيلة الشيخ محمد ابي زهرة .
3 – تنظيم الاسرة وتنظيم النسل لفضيلة الشيخ محمد ابي زهرة .
4 – استثمار الاموال في الاسلام للدكتور محمد عبد الله العربــي .
5 – المعاملات المصرفيه المعاصرة ورأي الاسلام فيها للدكتور محمد عبد الله العربي .
6 – شبابنا المثقف امام الايمان والدين لفضيله الشيخ نديم الجســر .
7 – تربية الشباب على مبادئ الاسلام للاستاذ عبد الحميد حسن .
8 – اثر الحضاره الاسلاميه في رقي البشرية وسعادتها للاستاذ محمد خلف الله احمد .
9 – مكانه المرأة في الاسلام للدكتور ابراهيم اللبان .
10 – المعاملات المصرفيه للاستاذ توفيق القصار .
11 – فلسطين واسرائيل للدكتور اسحق الحسيني .
12 – مقومات الحضارة الاسلاميه للدكتور سليمان حزين .
13 – التأمين لفضيلة الشيخ علي الخفيف .
14 – موقف الاسلام من الرق في العصر الحاضر للاستاذ عبد الله كنون .
15 – الصدقات في الاسلام للدكتور محمد مهدي علام .

وكان اهم ما اوصى به المؤتمر خلال الفترة الاولى من انعقاده التالي .

1 – ضروره وقوف الدول الاسلامية صفا واحدا في كل ما يمس مصالح المسلمين في حياتهم الدينية والدنيوية
2 – المسارعه في تحديد الوسائل العلمية لنشر الاسلام وكيفية تمويل هذه الوسائل .
3 – اعتبار قضية فلسطين قضيه المسلمين جميعا مع ضرورة اعطائها كامل اهتمامهم ومطالبة الدول الاسلامية



توصل بريد المجلة خلال هذا الشهر بعدد غير قليل من الكتب والمجلات والنشرات والرسائل من مختلف انحاء العالم ، وقد احببنا ان نشرك قراءنا في قراءتها .

وهكذا فقد بعث الينا الدكتور « نقولا زياده » استاذ التاريخ العربي الحديث بالجامعة الامريكية في بيروت طائفة من كتبه القيمة عن الزيارة التي كان قد قام بها الى وطننا في الصيف الماضي . ومن هذه الكتب

(لمحات من تاريخ المغرب)

وقد استهل هذا الكتاب بمقدمة قصيرة ولعلها تصور اصدق تصوير مضمون الكتاب فقد جاء فيها

« ما اكثر ما في التاريخ العربي من قاعات قل من دخلها، وسبل قل من طرقها ، وزوايا قل من ولجها ، وفيها كلها خير كثير لو انصفها الناس .

هذه اللمحات التي اقدمها اليك هي ثمرة جهد في سبيل التعرف الى بعض تلك النواحي من تاريخ العرب .

ولقد لقيت في جمعها متعة وافادة ، رأيت ان لا احرمك منهما ، وآمل ان اوفق الى اثارة رغبتك في الكشف عن نواح اخرى ...) .

وقد ضم الكتاب اقساما ثمانية :

فالقسم الاول خصه بالمجتمع العربي ، والقسم الثاني تحدث فيه عن العرب في جزر البحر الابيض المتوسط ، والثالث عن ديار الشام كما عرفها ، والرابع عنونه ب اندلسيات ، والخامس « صفحات من تاريخ العرب » ، ثم في القسم السابع « الشرق العربي في صبح الاعشى » وفي القسم الثامن «مغربيات»، وقد تحدث في هذا القسم الاخير عن مدينة وليلي قلب المغرب ، « والتجاني في طرابلس الغرب » ، و « التونسي المغربي » ، و « الشيخ محمد قباد » العلامة التونسي الكبير الذي تنمي اجداده الى مدينة طرابلس ...

الجغرافية والرحلات عند العرب

وهو من جملة الكتب التي اتحف بها جرايتنا الدكتور (نقولا زياده) ، وهذا الكتاب قد تم طبعه على مطابع دار الكتاب اللبناني . وقد احتوى الكتاب على اقسام ثلاثة :

خصص القسم الاول منه على التحدث عن « العرب والجغرافية » وتحت هذا القسم تكلم عن المدرسة اليونانية العربية ، والمدرسة العربية ، كما خصص الفصل الرابع عن خاتمة الجغرافيين الكبار من المدرسة العربية التي بلغت اوجها في القرن الرابع (القرن العاشر) ابي عبد الله محمد بن ابي بكر البناء ، المعروف بالمقدسي ، وفي الفصل الخامس حديث عن « المعاجم الجغرافية » .

والقسم الثاني من الكتاب يشتمل على «ادب الرحلات» وقد تحدث فيه الدكتور (نقولا زيادة) و باسهاب عن طلائع الرحالين ، كالمسعودي الذي يعتبر علما من اعلام الفكر العربي الاسلامي في عصر نضجه .

وقد عقد فصولا تحت هذا الباب ذكر منها : « رحالين من المشرق » و « رحالة من المغرب » ذكر منهم ثلاثة خصهم بترجمة وافية ، وهم ابن جبير ، وابن سعيد ، والعبدري .

والعبدري هذا هو محمد بن محمد بن علي وينتسب الى عبد الدار، واسم العبدري مرتبط بمناسبة من حيث اسرته وبالصويرة.

وفصل آخر عن رحالة عالم وهو عبد اللطيف البغدادي ، وعن شيخ الرحالين ابن بطوطة ، ثم ابن فضلان ، والتجاني التونسي .

عائلة مغربية ضروري لكن دون اللجوء الى عمليات الاجهاض ، انما بالاعتماد على الطب ...

وتحدث الاستاذ السيد محمد القباج عن تحديد النسل بان ناخذ المشكل بالاعتبار التربوي ، ونحن لم نصل في المغرب لدرجة التشاؤم لان لنا امكانيات ، وتحديد النسل بالنسبة الينا معناه التربية .

وقالت الآنسة ربيعة الادريسي : ان تحديد النسل في المغرب يجب النظر فيه على اساس انه طريق فقط من الاصلاحات التي تتطلبها البلاد .

وتطرقت السيدة زهور الازرق الى المشكل فقالت : (ان تنظيم النسل لا يخالف الشريعة الاسلامية لان ما ندعو اليه هو غير الاجهاض .

ولا بأس بان نعطي وجهة نظر الاسلام في الموضوع ، فكتاب الله في صراحته ووضوحه لا يوافق على هذه البدعة التي ابتدعها ادعياء هذا العصر النكد ، وهي بدعة تحديد النسل .

ان الذي يتأمل القرآن يرى انه قد ورد فيه ذكر الذرية على انها نعمة من نعم الله تعالى ، فلقد امتن سبحانه على نبيه زكرياء بولادة يحيى فقال سبحانه : (ووهبنا له يحيى) فكان الولد هبة من الله .

وبين ان الذرية من زينة هذه الدنيا وانس بنيها بصنعة الانسان ، كما تصنع الآلة والمتاع ، فقال تعالى : (يهب لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور ، او يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما)

وقد ذم القرآن الكريم الذين يقتلون اولادهم خشية الفقر ووصفهم بالخسران والسفه ، فقال سبحانه : (قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم) ، وهذا حكم على اعمالهم .

وسنة النبي (ص) في وضوحها وجلائها تسفر عن ساعدها لتسير بالمسلم سبيل الظهور .

وقد تواترت احاديث كثيرة في هذا الباب .

والنبي يدعو الى اكثار النسل لتكثر بذلك امة التوحيد ، وتزاحم امم الشرك ، وتعلو بها على سلطان الارض فتعلو كلمة الله ...

(ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

وفي الوقت الذي نريد ان نضاعف فيه من انتاج الارض ، وعمر الارض لنستقبل الاجيال القادمة ، ندعو الى قطع الطريق على الاجيال القادمة ، واذن ، فلم الارهاق الذي نعانيه ، ولم بناء هذه السدود ؟ واستصلاح الاراضي ، اذا كان ادعياء هذا العصر قد هدونا الى الحل الصحيح ؟ بتحديد النسل ؟ ان الامم الصليبية قد ارعبها كثرة المسلمين وتزايدهم ، وقد الف مستشرق غربي كتابا قال فيه : (ان المستقبل للمسلمين) وعلل ذلك بعامل شتى .

ومن هذه العلل قوله : (وزيادتهم المطردة التي سمح بها دينهم بتصريحه للمسلمين ان يتزوج اكثر من واحدة ، وينجب ذرية اكثر ، فقال (ان هذه الزيادة مستمرة حتى تصل بهم الى حد يتفوقون فيه على غيرهم) .

* * *

مع الاستاذ السيد عبد الكريم غلاب

(العدد الماضي في الميزان) الذي كان قد كتبه لمجلتنا الاستاذ السيد عبد الكريم غلاب اثار عدة ردود من مختلف الجهات ، وقد توصلنا بعدة نقود سواء في موضوع الدراسات الاسلامية او في ديوان المجلة .

ونحن ارجأنا البعض منها الى اعداد مقبلة لا سيما في موضوع (الديوان) ديوان المجلة نظرا لوفرة المواد التي بين ايدينا ، وقد نشرنا مقالا في غير هذا المكان من هذا العدد للاستاذ السيد محمد الحمداوي .

وقد اتصل بنا السيد عبد القادر القادري فكتب الينا هذه الرسالة التي الح علينا في نشرها ، قال السيد القادري :

(.... فقد قرات بعمق كبير ما كتبه الاستاذ السيد عبد الكريم غلاب في العدد الاول من مجلة « دعوة الحق » لسنتها الثامنة ، وقد استوقف نظري نقطة خاصة المآخذ التي اخذها على مجلة « دعوة الحق » وعلى كاتبها الناقد المذكور .

ولا يخفى على هذا الاخير ان مجلة « دعوة الحق » هي مجلة دينية قبل كل شيء ، ومصدرها وزارة دينية موردها من مال المحسنين الذين ارادوا الحفاظ على قيام الشعائر الدينية في هذا البلد المسلم .

والدين كما هو معلوم سواء كان اسلاميا او مسيحيا او يهوديا يامر بالمرغب والمرهب ويخاطب جميع طبقات الشعب لا طبقة دون اخرى باللغة التي يفهمها الجميع ، وعلى هذا فكل ما يجيء في مجلة « دعوة الحق » من مقالات وعظية او خطابية هو في محله ، « فدعوة الحق » ليست مجلة اختصاص .

ومن العجب — يقول السيد القادري — ان لا ينوه الناقد المذكور بقصيدة الابطال الثلاثة التي نظمها الشاعر المدني الحمراوي في مدح ابطال مسلمين جاهدوا في الله حق جهاده ، وغفل العرب والمسلمون عن ذكر احدهم وهو الشيخ شامل القوقازي بطل الثورة القوقازية .

اما المقالات العادية التي يكتبها كتاب عاديون ، فيكتبها هؤلاء حينما يروا ان الكتاب الكبار لم يتطرقوا بعض المواضيع التي هي في حاجة الى التعريف بها ، وقديما قالت العرب : يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر .

ولولا تشجيع المجلات المصرية « كالهلال » و « المقتطف » و « الرسالة » للكتاب الناشئين لما ظهر طه حسين ، والعقاد ، وتوفيق الحكيم ، وعلي الطنطاوي ، وغيرهم كثير) .

التي اعترفت بحكومة اسرائيل بسحب اعترافها ، ومطالبتهم بتنفيذ قرارات مؤتمري القمة العربيين ومؤازرة منظمة التحرير الفلسطينية .

اما القرارات والتوصيات التي وصل اليها المؤتمر في الفترة الثانية من انعقاده فمنها ما يتعلق :

1 — بالشؤون المالية والاقتصادية . كالتأمين والمعاملات المصرفية واستثمار الاموال والزكاة وصدقات التطوع .

2 — ومنها ما يتعلق بشؤون الاسرة والشباب : كشؤون تعدد الزوجات والطلاق وتحديد النسل وتربية الشباب تربية دينية كافية . ومنها ما يتعلق اخيرا :

3 — بالشؤون الاجتماعية والحضارية . كموقف الاسلام من الرق الفردي والجماعي ومقومات الحضارة الاسلامية وآثرها في سعادة البشرية ورقيها ، ومطالبة السلطات التعليمية في كل بلد اسلامي بضرورة تقرير دراسة الحضارة الاسلامية مادة اساسية في الجامعات ومعاهد التعليم .

هذا وستقوم الامانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية باصدار كتاب جامع يسجل بتفصيل كل ما قيل وما كتب من بحوث وما دار من مناقشات والقرارات التي اتخذت خلال الدورة الثانية للمؤتمر لتوزيعه على جميع الشعوب والهيآت العلمية الاسلامية وعشرها ليرى المسلمون على هداه طريقهم الى الحق والخير والحياة الكريمة .

★ ★ ★

مجلة «المغرب»

اصدرت وزارة المسل الشخصي لجلالة الملك العددين السادس والسابع من مجلة « المغرب » الغراء ، وقد اشتمل العددان على المواضيع التالية

فاس من خلال المخطوطات التونسية بقلم العلامة الاستاذ محمد الفاضل بن عاشور .

« دور القرويين في جعل مدينة فاس احدى العواصم الكبرى » للاستاذ محمد الفاسي .

« رسالة ابن ابي زيد القيرواني وآثرها في تدريس الفقه المالكي بالمغرب » بقلم الاستاذ مولاي عبد الواحد العلوي .

«المخطوطات التونسية بالمغرب » بقلم الاستاذ محمد المنوني .

وقد اشتمل العددان على صور بمناسبة زيارة السيد الحبيب بورقيبة و « ريبورتاج » عن الاستعراض الرائع للقوات المسلحة الملكية بمناسبة عيد الاستقلال ، كما تضمن العددان تسجيل اللقاء العربي الكبير في الدار البيضاء لمعالجة القضايا التي تهم الشعوب العربية حاضرا ومستقبلا .

الوحـــدة

« الوحدة » مجلة تصدرها وزارة شؤون موريطانيا والصحراء المغربية ، وقد صدر العدد الخامس من هذه المجلة بالدراسات والابحاث .

وقد جاء في احدى المقالات التي تحدثت عن موق المغرب من موريطانيا قولة مؤمنة لصاحب الجلالة تبين بو بان المغرب لم يتغير موقفه من قضية موريطانيا والصحراء :

لقد التقى احد الصحفيين اللبنانيين الذين اتوا الى ا مؤخرا سؤالا على عاهل المغرب في مقابلة صحفية تناولت جوانب من الحياة السياسية والاقتصادية في المغرب ، وكان ج صاحب الجلالة اعزه الله واضحا حين قال في موضوع موريطا

(كلا ابدا ، واني احيلكم على نص البيان المنب لمؤتمر القمة بالدار البيضاء هذا البيان الذي يعارض بشدة محاولات التجزئة في العالم العربي ، وعند ما تقدم المستر بهذا الاقتراح الذي ادهشني ، ذكرته بان موريطانيا جز يتجزأ من المغرب مثلها في ذلك مثل اكراد كردستان .

هذه حقيقة تاريخية ، والمعتقد انها — يقول صاحب الج قد غابت عن اذهان بعض الدول العربية الشقيقة التي اعتر بنواكشوط) .

★ ★ ★

شـــــروق

« شروق » مجلة نسائية دورية تعنى بشؤون ال والفكر ، وقد صدر العدد الثاني من سنتها الاولى حافلا بال والتراجم والدراسات الادبية والقصائد .

وقد استهلت (شروق) عددها الثاني بندوة دارت موضوع تحديد النسل ضمت مجموعة م الشبان والشابات ، وقد شارك في الندوة ابتداء الاخوات والا الانسة ربيعة الادريسي ، خريجة كلية الحقوق ، الانسة د الازرق ، السيدة حسنة العلوي والسيدة مليكة الملماني والا محمد الداودي خريج كلية الاقتصاد بلندن ، محمد الدردا خريج كلية الحقوق ، السيد محمد الفلاح خريج كلية ا بالرباط ، السيد احمد بلقاب خريج كلية الحقوق بجامعة الخامس

قال السيد الداودي . (ان مسألة تحديد النسل في ا امة مرتبطة بعدة عوامل تتوقف على نوعية الشعب) .

وقالت السيدة مليكة الملماني (ان تحديد النسل عن بالنسبة للمرأة في ظروفها الحالية) .

وقال السيد احمد بلقاب : (ان موضوع تحديد النسل المغرب ، لن يطرح بنفس الصيغة التي طرح بها في بعض ا التي تشكو من خطورته ... ان الاقلال من النسل بالنسبة

وترجع اسباب هذه الزيادة العظيمة الى الجهود المبذولة من طرف الوزارة فيما يرجع لخدمة اشجار الزيتون من حيث التجفين ، والتسميد ، والتقليم ، والحرث ، كما ان الامطار التي سقطت فى شهر سبتمبر الماضي اعانت على الحصول على هذه النتائج .

كما وقعت مراقبة من طرف اللجنة على غابة الكلبتوس بزرهون ، وتبين ان اشجارها فى حالة جيدة من حيث النمو .

وتم الوقوف على غابة الزيتون الحديثة العهد بسهب الحدادة لمشاهدة نتائج حرثها بالتراكتور ، وحالة حبوب الزيتون الناضجة فى اشجارها ، والجدير بالملاحظة ان هذه الغلة الجديدة بيعت هذه السنة بزيادة مائة فى المائة عن السنة الماضية ، كما انها ستبلغ الملايين فى السنين المقبلة باذن الله .

وقد تأكد من خلال الجولة التي وقعت بجنان باب القزدير ان الاعشاب المضرة التي كانت منتشرة على هذه الارض تم القضاء عليها ، كما ان اشجار البرتقال ، والمشمش ، المغروسة فى السنة الماضية والتي قبلها توجد فى حالة جيدة ، وسيقع غرس اشجار اخرى من نوع البرتقال والسفرجل فى السنة المقبلة، وكذلك مطرح تربية نقلات البرتقال، وبما ان الارض محتاجة الى الحرث فقد وقع الاتفاق على نقل الجرار الحبسي من زرهون الى مكناس .

اما النتائج الاولية التي تحصلت بواسطة السمسرة العلنية فتنحصر فيما ياتي بالنسبة لبيع غلة الزيتون :

النظارات	1964	1965
القرويين	20 000	30 000
المرستان	13 000	40 000
فاس الجديد	2 000	10 000
احواز فاس	42 934	446 558

اما بالنسبة لنتائج الجولة التفقدية التي اجريت بنظارات : القرويين ، المرستان ، احواز فاس ، صفرو ، فقد تم تسليم الاراضي المغروسة من طرف ادارة المياه والغابات بفاس الى كل من نظارات : القرويين ، والمرستان ، وفاس الجديد ، وهكذا فستصبح عمليات الحرث والتجفين والتقليم والتسميد منوطة بالنظارات الانفة الذكر .

وتم الطواف فى ناحية صفرو على جميع الاراضي التي غرست مباشرة : ككدية السلطان ، وبونبران ، وسهب المساكين ، وحفرة بن البرفوف ، وقد لوحظ ان اكثر من تسعين فى المائة من الاشجار المغروسة حديثا قد نجحت بفضل العناية الفائقة التي خصصت

وفى يومي الاثنين والثلاثاء 22–23 نوفمبر الماضي من 1965 . اجريت بوزان جولة تفقدية ، قام بها مفتشون من طرف الوزارة للاطلاع على النشاط الذي يقوم به المسؤولون فى تلك الناحية .

وهكذا فقد وقعت مراجعة ملفات المفارسات ومقارنة المعلومات المدرجة فيها بالتي سجلت فى دفاتر المداخيل الفلاحية . وقد وقع العثور على كثير من المفارسات القديمة التي لم تدرج فى هذه الدفاتر .

وقد تم الوقوف على ارض سيدي محفوظ قرب سيدي ابي سلهام دائرة سوق الاربعاء مساحتها 32ه بمحضر رئيس دائرة سوق الاربعاء ، وقائدين ، ورئيس الجماعة القروية ، ووقع الاتفاق على تاخير مشروع التشجير المعد لناحية الغرب نظرا لرغبة السكان المجاورين لهذه الارض فى استغلالها لاجل الرعي .

وقد شاهدت اللجنة الانفة الذكر حالة جدران ضريح سيدى ابي سلهام التي بنيت من طرف الجماعة القروية خلافا لما وقع عليه الاتفاق سابقا من كون الاحباس هي التي يناط بها بناء هذه الجدران ، كما تم الوقوف على الارض التي تقرر تشجيرها باشجار الكلبتوس فى سنة 1966

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تدشيــن مسجــد قصبــة بن دبــاب

توجه معالي وزير عموم الاوقاف والشــؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش الى مدينــة فاس لتدشين المسجد الذي شيد بقصبة بن دباب .

وقد ادى معاليه صلاة العصر بمحضر العامل ورجال السلطة المحلية ووجهاء المدينة ، والقى – معاليه – فى الحاضرين كلمة توجيهية اشاد فيها بالدور الذي يقوم به المسجد فى تربية المواطنين منذ القديم والحديث ، وكان لكلماته الجامعة اثر كبير فى السادة الحاضرين ، وختم هذا الحفل الدينـي بالدعاء والتأييد لمولانا المنصور بالله جلالة الحسن الثاني حفظه الله .

وقد اغتنم معاليه وجوده بالعاصمة العلميــة لدراسة بعض القضايا الحبسيــة فى عين المكان مع ممثلي وزارته بهذه المدينة .

انجاز المجموعة الاولى من المساجد باقليم فــاس

– توجه معالي وزير عموم الاوقــاف والشؤون الاسلامية الى مدينة فاس قبل شهــر رمضان المعظم حيث التحق منها صحبة عامل الاقليم ونظار الاوقاف الى دائرة تاونات وقرية ابا محمد لتدشين المساجد التي اعيد بناؤها .

وقد جرت حفلتان لتسليم مفاتيح ثمانية عشر مسجدا تعتبر المجموعة الاولى من المساجد التي قررت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تشييدها بقبائل احواز فاس وذلك بمحضر رجال السلطــة المحليــة والجماعات المنتخبة ووجهاء تلك القبائل .

وقد بلغ مجموع المساجد التي اعيد بناؤها باقليم فاس فى السنوات الاخيرة 66 مسجدا .

ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تعتــزم اعادة بناء 15 مسجدا اخر خلال سنة 1966 ، وبذلك سيصل مجموع المساجد التي اعيد بناؤها واحــدا وثمانين 81 مسجدا .

ولقد صرح مولانا الامام امير المومنيـن ، حامي حوزة الوطن والدين ، جلالة الحسن الثاني نصره الله على ان تكون تلك المساجد جاهزة قبل حلول شهـر رمضان المعظم حتى يتسنى المواطنيـن ان يعمروا مساجد الله التي اذن ان ترفع ويذكـر فيه اسمه .

تدشيــن ((مسجد الحسن الثاني)) باصيلا

وفى صبيحة يوم الاربعاء 22 من شهر دسمبــر توجه معالي الوزير الى مدينة اصيلا بامر من صاحب الجلالة حفظه الله لتدشيـن المسجد الذي شيدتــه الوزارة بهذه المدينة ، وحمل هذا المسجد الاســم الكريم لصاحب الجلالة . .

وقد جرت حفلة دينية حضرها العلماء والنظــار وباشا المدينة والسلطات المحلية وجمهور من الشعب الاصيلي المومن حيث القى معالي الوزير خطبة ابان فيها ما للمساجد من اثــر كبيــر فى تربيــة المواطنيــن ، وتهذيبهم ، ختمها بالدعاء لمولانا الامام دام له النصر والتاييــد .

جولة تفقدية : بزرهون ، ومكناس ، والقرويين ، والمرستان ، وفــاس

شكلت الوزارة لجنة تفقدية من المفتش العام للوزارة وبعض المساعدين ، وبمشاركــة النظار والخبــراء الفلاحيين التابعين لها ، للقيــام بجولة تفقدية ، اجريت بنظارات زرهون ومكناس والقرويين، والمرستان وفاس

وقد خلفت هذه الزيارة التفقدية نتائج طيبة .

فلم تعرف وزارة عموم الاوقاف نتائج حصلت عليهــا مثل مــا حصلـــت عليــه فى سنــة 1965 حيث كـــانت نتائـج بيـع المنتوجـــات الفلاحية مرتفعة جدا ، كما سيتضح ذلك بالارقـــام عندما ينتهي النظار من اجراء السمسرة .

جدول توزيع الوعاظ فى اقاليم المملكة

اسم العمالة او الاقليم	عدد الوعاظ الملازمين	عدد الوعاظ المتجولين
عمالة مدينتي الرباط وسلا	14	1
عمالة اقليم القنيطرة	19	1
عمالة مدينة الدار البيضاء	24	1
عمالة اقليم الدار البيضاء	29	1
عمالة اسفي	14	1
عمالة اكادير	29	1
عمالة طرفاية	2	1
عمالة مراكش	29	1
عمالة اقليم ورزازات	9	1
عمالة قصر السوق	24	1
عمالة بني ملال	14	1
عمالة مكناس	19	1
عمالة فاس	24	1
عمالة تازة	14	1
عمالة اقليم وجدة	19	1
عمالة الناضور ومليلية	19	1
عمالة اقليم الحسيمة	19	1
عمالة مدينة طنجة	9	1
عمالة تطوان	31	1

اما فيما يرجع لعملية التجزئة التي وقع الاتفاق على انجازها منذ سنتين ، فهي على وشك التطبيق بمؤازرة ارباب السلطةالمحلية، وممثلي الجماعة القروية، التي تقترح من جهة اخرى ، بناء فران ، وسوق للخضر

ولقد اصبح توسيع نطاق الغرس المباشر ضروريا لوجود اراضي شاسعة بنيابة ارهونة تبلغ مساحتها من 40 ه الى 1500ه .

وقد تأكد شراء سيارة « جيب » لاجل التنقل في هذه القبائل قصد البحث عن الاراضي التي وقع الترامي عليها، واعمال اللازم في اكرائها بعد استرجاعها بواسطة السلطة المحلية او المحاكم ، وستستعمل هذه السيا ة ايضا لاجراء سمسرة كراء الاراضي التي لم يرغب فيها احد اثناء الفترة الاولى من عملية السمسرة ، وهي كثيرة جدا .

كما ستسمح بواسطتها مراقبة المفارسات الكثيرة التي لم يتمكن الوقوف عليها بحسب امتناع ارباب السيارات العمومية من التنقل في الاراضي الوعرة .

وهكذا فقد تم الاتفاق مع الناظر على اسناد مهمة خبير فلاحي لكل نائب حتى يشعر هذا الاخير بالواجب الملقى على عاتقه في هذا الميدان .

وسيعمل هذا الخبير دوما على تحسين المداخيل الفلاحية ، مقدما في كل ثلاثة اشهر تقارير عن النتائج المحصل عليها ، كما ان الناظر من جهته حينما يصبح متوفرا على سيارة « الجيب » يتنقل باستمرار الى القبائل لمراقبة الاعمال المنجزة من طرف النواب .

« مساهمة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في موسوعة المغرب العربي »

وجهت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية منشورا عاما لسائر نظار الملك تهيب بهم فيه الى مد يد المساعدة لشعبة المغرب في هيئة موسوعة المغرب العربي هذه الموسوعة التي تضم معلومات مدققة عن المدن والقرى المغربية وسكانها وعناصرهم كما تشتمل على بيان القبائل والمعالم الحضارية بما في ذلك المساجد والمدارس والكتاتيب ، وكل ذلك مساهمة من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في هذا العمل العلمي الكبير الذي لا تخفى اهميته وجدواه في المغرب العربي.

من نشاط قسم الشؤون الاسلامية

من المعلوم ان مصلحة احياء التراث الاسلامي بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تعكف حاليا على اعداد وتصحيح كتاب التمهيد لحافظ المغرب المحدث ابي عمر يوسف بن عبد البر . والكتاب قد لا توجد منه نسخة مجموعة في مكتبة واحدة . وانما هي اجزاء مفرقة في شتى المكاتب بالعالم . والمصلحة جادة في البحث والتنقيب عساها تتوفر على نسخ تامة ومكررة للمقابلة والتصحيح . وفي نطاق عملها هذا انعقدت جلسة عمل في الوزارة يوم الجمعة 10–12–65 حضرها كل من الاساتذة السيد محمد ابن العباس القباج ، والسيد عبد الكريم بن المدني الحسني والسيد عبد الرحمان الدكالي والسيد البكري محمد والسيد مصطفى العلوي .

وقد تداول الاساتذة الاراء حول الاساليب التي يجب اتباعها في اعداد وتصحيح الكتاب المذكور وطبعه وانتهت الجلسة بنتائج حسنة سوف يظهر اثرها قريبا عند طبع الكتاب بحول الله .

تنظيم حملة الوعظ والارشاد الديني خلال شهر رمضان المعظم

أصدر صاحب الجلالة امره المطاع الى وزارتنا للقيام بحملة وعظ وارشاد ديني خلال شهر رمضان المعظم في سائر انحاء المملكة .

وهكذا فقد نظمت الوزارة حملة مباركة في مختلف مساجد العمالات والاقاليم بمشاركة نظار الاوقاف والقضاة الشرعيين والعلماء والسلطات المحلية .

وهذا جدول يبين توزيع الوعاظ الملازمين والمتجولين في اقاليم المملكة :

* احتفلت جريده « العمل » التونسية بالذكرى الثالثة والثلاثيـــن .

* حولت الحكومه التونسية كنيسة مسيحيـــة الى متحف اثري بموجب اتفاق بين الفاتكان والدولـــة التونسيـــة .

* عقد مؤتمر مغربي لمكافحـــة الامية في تونس . وقد صادق المؤتمـــر على تقرير عام يوصي بانشـــاء لجنة مغربية دائمة مكلفة بتنسيق جهود البلـــــدان الاربع في مكافحة الامية . وستجتمع هذه اللجنة كل سنة على الاقل في احدى بلدان المغــــرب العربـــي ، وسيتم تعيين سكرتير عام للجنة ومقر لها من طـــرف الوزراء المعنيين بالامـــر .

* انشأت الحكومة التونسية معهدا للدراسات المسرحيـــة العليا . وسيفتتح ابوابه لجميع الطـــلاب العرب ومن يتقدم من ابنـــاء البلاد الافريقية . وقـــد اكتتبت فرنسا بمنحة في تكوين هذا المعهد ، كمـــــا شارك المعهد الدولي للمسرح في تنظيم واعداد المـــواد للمحاضرات التي ســـتشمل التاحيتين النظرية والعملية وستكون الدراسة في هذا المعهد مجانية ، كمـــا ان المعهد سيقدم للطلاب الطعام والمسكـــن اثنـــاء الفتـــرة الدراســـية التي تبدا من اول مايو وتنتهـــي في ءاخر يوليـــو .

* فرنسا تصدر في تونس كتاب « منهاج البلغـــاء وسراج الادباء » لابي الحسن حازم القرطاجني المتوفى سنه 684هـ بتونس قام بتحقيقه وتقديمه الدكتـــــور الحبيب بلخوجة . وهو كتاب يشتمل علـــى قوانيـــن الشعر العربي ناقش فيه صاحبه نظريات علمـــــاء الشعر والبلاغـــة في العربية ، كما اعتمد نص كتاب الشعر لارسطو ينقل فصولا منه عن طريق ترجمـــات ابن سينا والفارابي وهو يحيل عليها ويوجه بها عمـــل النقاد . وهو كما يصرح بذلك قد ابتدع في هذا العلم جوانب تجعله من اجل ذلك يعتبر اهم مرجع واكمـــل تاليف في هذا الغرض يدل على ذلك بحث الكتـــاب وتحليله والتقديم لهوشهدات المتقدمين امثال الزركشي في كتابه علوم القرءان ، وابن رشيـــد بما تحدث بـــه في رحلته ناقلا عن ابن القويع .

* اعلن السيد رئيس وزارة نيجريا الوسطى ان مـــا يقرب من نصف مليون نيجري قد اعتنقوا الاسلام في بحر اثنتي عشـــرة ســـنة .

* كان عدد سكان افريقيا سنة 1690 يقدر بـ 100 مليون نسمة ، اي ما يعادل نسبة 3ر8٪ مـــن مجموع سكان العالم ، وفي سنة 1800 كان عـــــدد سكانها 90 مليون نسمة ، اي بنسبة 9ر9٪ من مجموع نسبة ثلاث مرات في حين ان سكان افريقية لم يزيدوا باكثر من 20٪ .

* مؤلف ايراني كتب بالايطالية كتابا عـــــن الفيلسوف والطبيب العربي ابن سينـــا .
عنوان الكتاب « فيلسوف عربي لا ينسى » ويقـــول المؤلف ان نظريات ابن سينا جميعا قد ثبتت صحتهـــا على مـــر العصـــور .

* « الاتجاهات الحديثة في الادب العربي » كتاب جديد تصدره جامعة الدول العربيـــة .

* احتفل المجلس الاعلى للاداب في القاهرة خلال شهر نوفمبر الماضي بالذكرى المائوية السادســـــة للمقريزي المؤرخ العربـــي الكبيـــر .

* كتاب « الايام » لطه حســـين ترجم الـــى الالمانية ، وكان من قبل قد ترجم الى الفرنسيـــــة والروســـية والاسبانية ، كما كان طه حسين قد قضى العام الماضي في ايطاليا لكتابة الجزء الثالث من قصـــة حياتـــه .

* « الادب المعاصر في كربلاء» تاليف صـــــادق الطعمه يصدر قريبا في العـــراق .

* انهى الشيخ محمد حسن ءال ياسين مـــن جمع وتحقيق ديوان الشاعر العراقي « حبيب بن طالب الكاظمي » المتوفى ســـنه 1269هـ .

* صدر في بغداد كتاب « شاعرية ابي المحاســـن ـ دراسة ادبيـــة » في 140 صفحة تاليف خضر عباس الصالحـــي .

* صدر في القاهرة كتاب « حياة مطران » للطاهر احمد الطناحـــي .

* الترجمة الذاتية في الادب العربي حتى ءاخـــر القرن الثامن عشـــر » عنوان رسالة الماجستير التـــي التي قدمها يحيى ابراهيم عبد الدايم المعيد في كليــــة ءاداب جامعة عين شمس .

أنباء ثقافية

* بمناسبة زيارة فخامة رئيس الجمهورية التونسية السيد الحبيب بورقيبة للمغرب ، اصدرت وزارة الممثل الشخصي لجلالة الملك عددا خاصا من مجلة « المغرب » عن بوابة فاس والقيروان شارك فيه الاساتذه : عبد الهادي التازي ، الحسن السائح ، عبد السلام ابن سعوده ، الحاج محمد بنونه ، عبد المجيد ابن جلون ، عبد اللطيف احمد خالص ، عبد القادر زمامة ، العربي العمروي . وقد جاء حافلا بالدراسات المفيدة والابحاث الشيقة في اخراج انيق .

* انعقد بطهران مؤتمر وزراء التربية الوطنية الذي نظمته اليونسكو من 8 الى 19 سبتمبر بدعوة من صاحب الجلالة شاه ايران لبحث محو الامية وضم المؤتمر مندوبي 88 بلدا من بينهم 38 وزيرا للتربية .

وقد مثل المغرب معالي وزير التربية الوطنية مصحوبا بمساعديه الافريين .

وقد انتخب الاستاذ السيد احمد الاخضر مقررا عاما للمؤتمر .

* في شهر اكتوبر انعقد بتونس وعلى صعيد المغرب العربي ملتقى حول محاربة الامية ، وتربية الكبار وقد مثل المغرب في هذا المؤتمر الاستاذ السيد احمد الاخضر والسيد محمد بن شقرون رئيس قسم الوسائل السمعية والبصرية .

* غادر المغرب متوجها الى بغداد الاستاذ السيد عبد الله كنون لحضور اجتماع المجمع العلمي الذي ينعقد في عاصمة العراق .

* قام الشاعر السوري عمر بهاء الدين الاميري بالقاء مختارات من شعره في مهرجان نظمه اتحاد كتاب المغرب العربي في مقره .

* نظم بالرباط مركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربيه لليونسكو برئاسة الاستاذ محمد الفاسي رئيس الجامعة المغربية ، ورئيس المجلس التنفيذي لليونسكو ، معرضا هاما للصحافه العربيه بمبنى كلية العلوم في غضون الشهر الماضي . وشارك في هذا المعرض الهام جميع البلدان العربية بصحفها ومجلاتها ونشراتها . والى جانب المعرض نظم المركز سلسلة من المحاضرات عن الصحافة العربية .

* بدعوة من اتحاد كتاب المغرب العربي قام الشاعر السوري نزار قباني بزيارة للمغرب للتعرف على نشاطه الفكري . وخلال زيارته له قام بالقاء عده محاضرات كما انشد بعض قصائده في كبريات المدن المغربية . وقد كان الشاعر محل حفاوه وتكريم من لدن الهيئات الفكرية في المغرب .

* سافر الاستاذ السيد محمد الفاسي ، رئيس الجامعة المغربية الى امريكا ليتسلم الدكتوراه الفخرية من جامعة بريدج بورت في كانتوكين .

* يقدر عدد سكان المغرب حسب ما اوردته المصلحه المركزية للاحصائيات مؤخرا بـ 000 959 12 نسمة في نهاية 1964 .

ويوزع العدد على الشكل التالي :

5 842 300 شخصا وعمرهم اقل من 14 سنة .

6 374 100 شخصا تتراوح اعمارهم ما بين 14 و60 سنة .

412 600 تتجاوز اعمارهم 60 سنة .

وتجدر الاشارة الى ان عدد سكان المغرب قد زاد خلال الفترة ما بين 1960 و1964 نسبة 12٪

* سافر وفد مغربي برئاسة السيد بدر الدين السنوسي نائب كاتب الدولة في الشؤون الادارية للاشتراك في المؤتمر العربي للعلوم الادارية .

* يصدر قريبا فى بغداد المجلد الثاني من كتاب « اللغة العامية البغدادية » للشيخ جلال الحنفي ويقع فى 450 صفحـة .

* يقوم البحاثة العراقي يوسف نسكوني بنشر تحقيق ثلاث رسائل : فى « نمام فصيح اللغة لابن فارس » و « فى حدود النحو » وفى منازل الحروف » وهما للرماني . وسيقدم لهذه الرسائل الدكتور مصطفى جواد .

* قدم كامس خميس الى المطبعة مجموعة قصائد الشاعر العراقي الفقيد عبد القادر رشيد الناصري .

* يصدر قريبا فى مطبوعات المجمع العلمي العراقي : تأريخ الخط العربي لناجي زين الدين و « تأريخ التفسير لقاسم القيسي » و « الدرهم العراقي لناصر النقشبندي » و « العين للفراهيدي »

* كتاب « نهاية الرتبة فى طلب الحسبة لابن بسام » يصدر قريبا فى بغداد من تحقيق حسام السامرائي المعيد بجامعة بغداد وعواد معروف .

* الاديب والشاعر العراقي احمد حامد الصراف جمع شتات ذكرياته عن استاذه الشاعر جميل صدقي الزهاوي لطبعها فى كتاب .

* ترجم الدكتور صفاء خلوصي كتاب « تاريخ العرب الادبي » للبروفسور رينوالد نكلسن مع اضافة المصادر التي فات المؤلف ذكرها . وسيصدر الكتاب قريبا فى بغداد فى جزء ضخم .

* افتتحت مؤخرا فى الكويت حلقة دراسية للبحوث القانونية والعلوم السياسية للدول العربية بحضور ممثلين عن الكويت ، والجمهورية العربية المتحدة ، والعراق ، والاردن ، ولبنان ، ، والجزائر ، والمغرب .

* رفض الكاتب الانكليزي ولسن زيارة « اسرائيل » قائلا : ان صداقة العرب تعني بالنسبة له الشيء الكثير .

* ما زال المسرح الالماني يقدم المسرحيات الفرنسية ، فبالاضافة الى تمثيليات المؤلفين الفرنسيين المعروفين من كلاسيكيين ومعاصرين ، ستقدم المانيا فى موسمها الجديد : موليير ، بورماسية ، انوى كلوديل جيرودو ، ايونسكوبيت ، كورناي ، ديرو ، لابيش ، وغيرهم .

* منحت الاكاديمية الملكية للعلوم بالسويد جائزة نوبل فى الفيزياء لسنة 1965 لثلاثة من العلماء هم : البرفسور سين اتيروطومناغا من جامعة طوكيو باليابان ، وللاستاذين جولبان سفينجر من جامعة هارفود بالولايات المتحدة ، وريشار فينمان من معهد العلوم بولاية بسادنيا بالولايات المتحدة كذلك ، وسيتم تقسيم الجائزة بين الثلاثة .

* عصر فولتير كتاب جديد للمؤرخ العالمي ويل ديورانت صدر مؤخرا فى 898 صفحة . زوجة المؤرخ اريل ساعدت زوجها فى انجاز الكتاب .

* اهدى رئيس الجمهورية الايطالية وسام الاستحقاق الايطالي من رتبة كوماندر الى الدكتور جميل جبر ، رئيس تحرير مجلة (الحكمة) فى بيروت. وكان الدكتور جبر قد نال فى العام الماضي وسام جوقة الآداب والفنون من وزارة الثقافة الفرنسية .

* اخرج المستشرق البلغاري بوريس نيتكوف دراسة عن الجغرافي المغربي « الادريسي » .

* يصدر قريبا فى موسكو مذكرات ستالين ، مختارات من مؤلفات ستالين ، تترقب الدوائر الادبية العالمية باهتمام بالغ هذه المذكرات . وكانت اللجنه المركزية للحزب الشيوعي قد عقدت اجتماعا سريا . وبعد مناقشات طويلة قررت اللجنة نشر بعض مؤلفات ستالين بالرغم من الحملة القديمة التي قادها خروشوف لتحطيم أسطورة ستالين .

* اعلن العلماء فى موسكو انهم انتهوا من وضع خريطة للقمر عرضها 7 امتار وضعت عليها تفصيلات عديدة عن سطح القمر .

* قال البوموزافيا : ان انتاج ـ شولوخوف الذى حصل على جائزة نوبل للاداب لهذه السنة جزء من التراث الروسي العالمي .

* نظمت وزارة الثقافة بالاتحاد السوفيتي مهرجانا ثقافيا بمسرح بولشواي بموسكو ، بمناسبة الذكرى المائوية السابعة لوفاة الشاعر الايطالي دانتي،

* حلاق في القاهرة اسمه فاروق لوقا الف كتابا عنوانه « اضواء على مدارسنا الادبية » قدم له يحيى حقي . الكتاب يناقش نظريات واتجاهات 8 من كبار الادباء .

* اطلقت وزارة الثقافة اسم « يوسف وهبي » على مسرحها بالانفوشي بالاسكندرية تقديرا لجهاده الفني في عالم المسرح .

* الاديب والباحث السوري الدكتور ممدوح حقي اعد للطبع قاموسا للحقوق ، ويشمل المصطلحات التجارية والدبلوماسية . يضم 36 الف جذر ، ويقع في جزان عربي فرنسي ، وفرنسي عربي في 1500 ص

* « المعلم داود قسطنطين الخوري : تراثه الكامل في الرواية والشعر والادب » كتاب يقع في 502 صفحة من الحجم الكبير صدر اخيرا في دمشق .

* صدر في دير الزور بسورية كتاب « الانية والمواعين في دير الزور » للمحامي عبد القادر عياش في سلسلة مطبوعات مركز الدراسات التاريخية والجغرافية بدير الزور .

* يعد الشاعر السوري علي الزيبق للطبع ديوانه الجديد « الوتر الذبيح » وهو ثالث مجموعة له بعد « سامبا » و « النبعة اليتيمة » .

* قامت الشاعرة البلغارية البرابيت باغريانا بترجمة ديوان الشاعر السوري احمد سليمان الاحمد تحت عنوان « منتخبات » .

* صدر في دمشق كتاب فوق الحدود والسدود للادب الدمشقي وجيه جبر ، استعرض فيه تاريخ سوريا الحديث والقضايا القومية . وقد قدم نظرية دستورية تتيح للمراة التمتع بكامل حقوقها في ميادين السياسة والادارة والمجتمع .

* تصدر قريبا في بيروت ديوان شعري جديد لصلاح عبد الصبور .

* احتفل في النبطية بلبنان بذكرى مرور 70 عاما على ولادة المخترع اللبناني حسن كامل الصباح واقيمت بهذه المناسبة حفلة خطابية وافتتح معرض خاص لآثار المخترع الكبير .

* ثلاثة من الكتاب السوفيتيين اعتقلوا اخيرا بسبب عملهم على نشر مؤلفاتهم في الغرب . ويعرف منهم لحد الان الكاتب ابرام تيرتز ، وكاتب آخر يدعى دانييلو ، وكاتب ثالث لم يعرف اسمه .

* يشتغل الاستاذ منير بعلبكي في اعداد قاموسه الانجليزي العربي الجديد الذي سيصدر في العام القادم .

* كتاب خليل حاوي عن « جبران خليل جبران» الذي صدر بالانجليزية ونال عليه الشاعر الدكتوراه من جامعة كمبردج سيعاد طبعه من جديد ، بعد الطلبات التي انهالت عليه من الجامعات الاميركية .

* الدكتور قسطنطين زريق الاستاذ في الجامعة الامريكية ببيروت ، انتخب رئيسا للمنظمة الدولية للجامعات للسنوات الخمس المقبلة 1965 — 1970 وقد جرى هذا الانتخاب بالاجماع في المؤتمر الذي عقدته هذه المنظمة في طوكيو مؤخرا . وسيعمل الدكتور زريق في العام الدراسي المقبل استاذا زائرا في احدى جامعات الولايات المتحدة .

* باشرت لجنة تخليد ذكرى الاميرين شكيب وعادل ارسلان ، باقامة ضريحين لهما في الشويفات بلبنان . ويجري العمل باشراف المهندس خليل ورنيني .

* وجهت لجنة امين الريحاني التابعة لمجلس المتن الشمالي للثقافة بلبنان ، كتابا الى وزارة البريد والبرق ، تقترح فيه اصدار طابع بريدي يحمل رسم امين الريحاني لمناسبة المهرجانات التي اقيمت احتفاء بذكرى مرور 25 سنة على وفاة فيلسوف الفريكة .

* توفي في بيروت الاستاذ حسيب مروه «37 سنة » وكان يعمل استاذا للتربية في كلية بيروت للبنات وفي الجامعة الامريكية . وكان الفقيد في الحقبة الاخيرة قد انصرف عن التدريس للعمل في شؤون التربية بمؤسسة فورد .

* اصدر انور الجندي في القاهرة دراسة جديدة في موسوعة معالم الفكر العربي المعاصر . موضوعها الثقافة العربية المعاصرة في معارك قضاياها مع التغريب والشعوبية » البحث يضم 75 قضية ومعركة ومساجلة .

* اصدرت سلطات البريد الايرانية طابعا تذكاريا احتفالا بالمؤتمر الدولي لمكافحة الامية الذي انعقد في طهران في الفترة من 8 الى 19 سبتمبر 1965 .

* توفي في القاهرة الكاتب والشاعر المصري المعروف كامل الشناوي عن 55 سنة

* صدر في الاتحاد السوفياتي قاموس صغير باسم « القاموس المرجع » ، وهو عبارة عن انسكلوبيديا صغيرة تضم 200 مقال مليئة بالمعلومات عن المؤلفات، والتعليم ، والدين ، والموسيقى ، والاذاعة ، والمسرح ، والتليفزيون في الاتحاد السوفيتي .

* توفيت مؤخرا المستشرقة السوفييتية كلاندا اود فاسيليماما عن 72 عاما .

وكانت كلاندا قد نشرت عدة مؤلفات علمية من بينها كتاب يحتوي على مجموعة من نماذج الادب العربي الحديث ، كما قامت بتعريف الشعب السوفييتي على الادب العربي الحديث ، وبعض المؤلفين المصريين ، والسوريين ، واللبنانيين .

* رفع الكاتب المصري نجيب محفوظ دعوى على دار للنشر في لبنان ، لنشرها روايته « الشحاذ » بدون اذنه . وقد سبق لنجيب محفوظ أن رفع دعوى مماثلة على دار لبنانية ، وسحب الدعوى .

* احتفل في امريكا وبريطانيا وفرنسا ببلوغ الشاعر ازرا باوند الثمانين من عمره .

* وجهت حركة مقاومة الميز العنصري في افريقيا الجنوبية نداء الى جميع المثقفين في العالم ، راجية المعاضدة ضد زيف الوضع هناك . ووجه زعماء الحركة المعروفون مثل البرت لوتولى الحائز على جائزة نوبل للسلام ، والروائي آلان باتون النداء الى جميع المثقفين لكي لايسمحوا الوضع بالسماح لانتاجاتهم أن تتداول في جنوب افريقيا حيث التعسف والجور .

مؤلف الكوميديا الالهية . وقد القيت بهذه المناسبة عدة خطب أكد خلالها الخطباء أثر الشاعر الايطالي الكبير على الشعراء الروس مثل بوشيكي . وحضر هذا المهرجان وزير الثقافة السوفييتي واعضاء اتحاد الكتاب السوفييت . وعدة شخصيات تنتمي الى عالم الفن والثقافة .

* احتفل المسرح الواقعي فى تشيكوسلوفاكيا بمرور عشرين سنة على تأسيسه . وقد قدم بهذه المناسبة مسرحية « رجال وفئران » للكاتب الامريكي جون ستاينبك .

* قررت لجنة جائزة نوبل للسلام ، منح جائزتها عن هذه السنة ، الصندوق الخاص بالطواريء التي يتعرض لها الاطفال فى العالم وهو صندوق تابع للامم المتحدة .

* اقيم بمسرح محمد الخامس معرض ثقافي تونسي استمر اسبوعا كاملا بمناسبة زيارة الرئيس التونسي للمغرب . وقد اشتمل هذا المعرض على رسوم زيتية لاشهر الرسامين التونسيين ، وصورا فوتغرافية لتونس بين الامس واليوم ، ومظاهر الصناعه التقليدية .

* 700 مليون امي لايعرفون القراءة والكتابة . والف مليون يعرفون قراءة كلمات قليلة . اعلن هذا مؤتمر اليونسكو لمكافحة الامية الذي انعقد فى طهران

* امكن جمع مبلغ 16,000 دولارا من مبيعات تسجيلات « مهرجان البيانو العالمي » وسيخصص هذا المبلغ للانفاق على منهجين تدريبيين يحضرهما ستة عشر طالبا من ابناء اللاجئين الفلسطينيين فى مركز من المراكز التدريبية العشرة التى تدبرها وكالة الاعمال والاغاثة التابعة للامم المتحدة .

وتتألف هذه التسجيلات من الحان لكل من بيتهوفن ، وشوبان ، وليست ، وموزار ، وشوبير ، وشومان. وتولت الوكالة بيع هذه التسجيلات لصالح اللاجئين فى جميع انحاء العالم .

* تدل الاحصاءات على أن عدد الاجهزة التليفونية التى كانت موجودة فى العالم خلال عام 1954 لم يزد على 90 مليون جهاز ، فى حين يقدر الآن عددها بحوالي الضعف ، اذ تبلغ 170 مليونا والمتوقع فى نظر الاحصائيين ان تصل عام 2000 الى 600 مليونا

* تدرس القاهرة الآن مشروعا بانشاء متحف، وضع فيه مركب عتيق يرجع تاريخه الى 4,000 سنة ، عثر عليه عند سفح الهرم الاكبر .

ان طريقة عرض هذا المركب التاريخي الفريد فى نوعه ، ووسيلة الاحتفاظ به سليما من السوء مشكلة دقيقة يبحثها الخبراء المتخصصون . وهي مشكلة عسيرة تعود صعوبتها الى أن هذا المركب القيم مصنوع من مادة قابلة للعطب والفناء ، فهو مركب خشبي .

واستجابت هيئة اليونسكو لدعوة الحكومة المصرية فاوفدت خبيرين هما بلندريلت ، مدير المركز الدولي لابحاث المحافظة على التراث الثقافي فى روما ، وبرنابوبربا ، المشرف على الآثار فى صقلية الشرقية .

اما هذا المركب المصري فقد عثر عليه ، عام 1954 فى حفرة جنوبي هرم خوفو ، مؤسس الاسرة الرابعة .

وهي حفرة منحوتة فى الصخر يحميها سقف وطبد قوامه احجارا من الاسمنت وجد فيها المركب سليما كاملا ، ولكن اجزاءه وجدت مفككة معقودة معا فى حزم مربوطة ، وانفق علماء الآثار المصريون عامين كاملين لاعادة تركيب المركب الذي بدا لهم عند ذلك اكبر حجما من الحفرة التى عثر عليه فيها . ولا يدري العلماء حتى الآن اذا ما كان هذا من المراكب المقدسة . وان بدا واضحا انه قد استخدم فعلا فى الملاحة النيلية ويدل المظهر الخارجي للمركب ، وتكوينه الداخلي ، وطريقة تشكيل اجزائه المختلفة (سواء جسر المركب او قمرته الملكية الفاخرة) .. يدل كل ذلك على المستوى الفني الرائع الذي بلغه المصريون منذ الاسرة الرابعة .

* تعمل دار النشر الدولية « كرياتزيوني جرافيتشي انترناتزيونالى » فى روما على جمع الاقاصيص التى يكتبها اطفال ، من البنين والبنات ، قبل سن الثانية عشرة لتؤلف منها ديوانا عنوانه « اطفال العالم » سوف ينشر بعدة لغات .

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثالث – السنة التاسعة رمضان 1385 – يناير

خاص

بمنجزات
وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية
في عشر سنوات من عهد الاستقلال

ثمن العدد درهم واحد



تتقـــدم وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، بقلب مفعم بالحب ، والولاء الى حضرة صاحب الجلالة والمهابة الملك المنصور بالله الحسن الثاني ، بمناسبة الذكـرى الخامسة لتبوئه عرش أجداده الأمجاد ، راجية من المولى أن يحفظه لشعبه ولوطنه ، ويقر عينيه بسمو ولـــي عهده ، الامـيـر المحبوب سيدي محمد وسائر انجالـــه ، وجميـــع افـــراد اسرتـــه الكريمـــة .

العــددالثالث
السنة التاسعة
رمضــان 1385
ينـــاير 1966
ثمن العدد درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

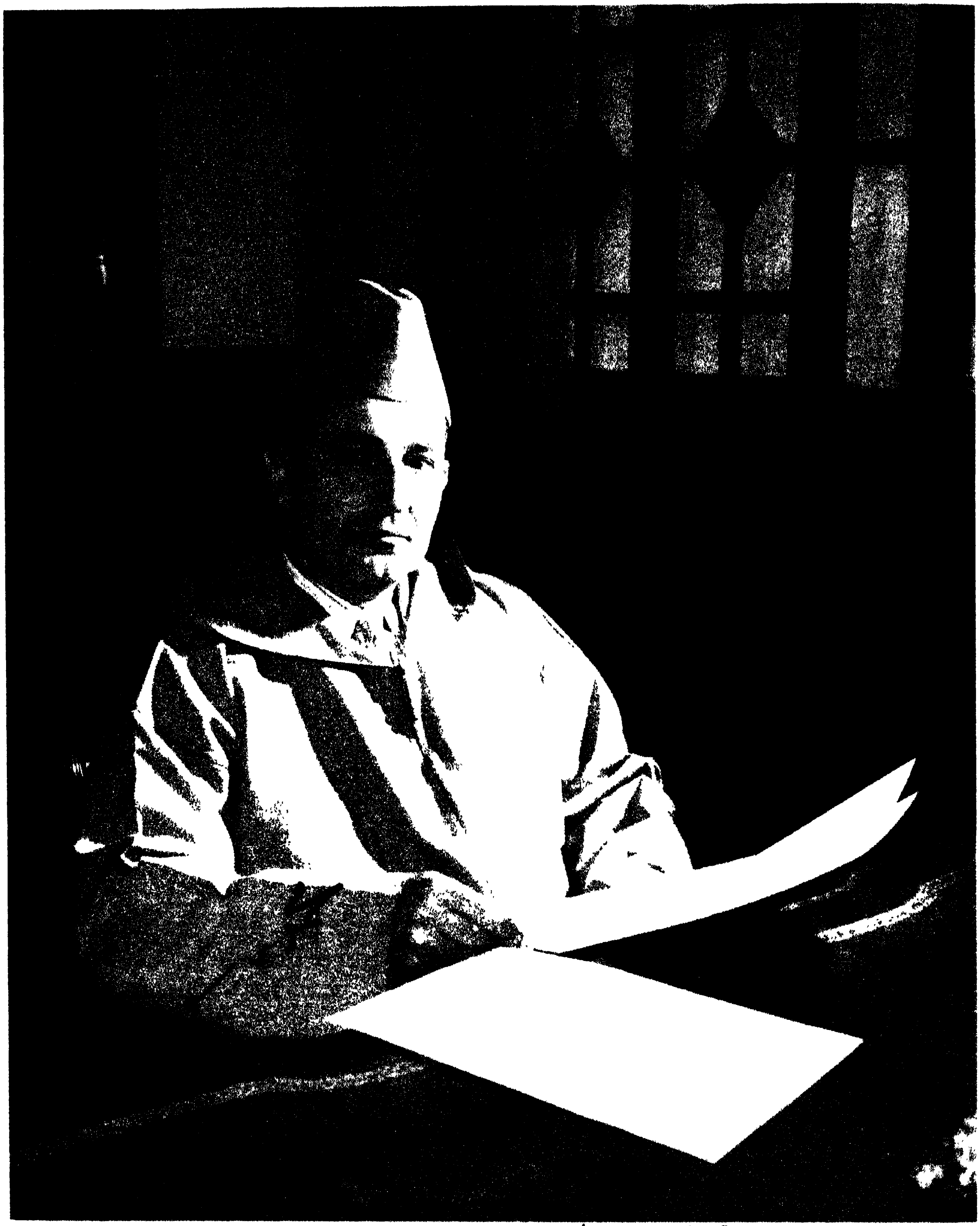
Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط



إلى وزارة عموم الأوقاف تقديرا لمجهوداتها للإصلاح في الميدانين الديني والاجتماعي

في 4 جمادى الثانية 1376 الموافق 6 يناير سنة 1957

ولكى نعيد للاوقاف الاسلامية مركزها الرئيسى فى التوجيه الروحى نظمنا دروس الوعظ والارشاد ووجهنا الخطباء الدينيين نحو تجديد أساليبهم وشكلنا هيئة من العلماء لاعطـــاء دروس دينية وفقهية فى جميع أنحاء المغرب الحاضرة والبادية علـــى السواء ومن الجهة الاجتماعية فقد اهتمت وزارة الاوقـــاف بتحسين أجور الموظفين الدينيين تحسنا ملموسا وتبنت تبعا لما أمرناها به عائلات الشهداء الذين أعدم آباؤهم أو عائلوهـــم فى سبيل القضية المقدسة وساهمت فى اسعاف طلبـــة المعاهد الدينية

من خطاب جلالة الملك المرحـــوم
محمد الخامـــس فى خطـــاب العـــرش
سنـــة 1956



ففي الميدان الروحي عكفت الوزارة على اصلاح وترميم المساجد القديمة سواء في كبريات المدن او في القرى والمداشر والبوادي كما أنها قامت بتشييد مساجد جديدة في عدد من الاماكن المفتقرة لها في الاحياء الجديدة التي كان يسكنها الاوروبيون والتي كانت في عهد الاستعمار تتوفر على الكنائس ولا يوجد فيها مسجد يذكر فيه اسم الله فانبثقت المساجد بعناية الله في هذه الاحياء وارتفعت مئاذنها في السماء تنادي المومنين لتلبية نداء ربهم الكريم كما شيدت مساجد جديدة انيقة في القرى والمداشر في جميع الاقاليم القاصي منها والداني وبرنامج بناء المساجد سائر في طريقه حسب تصميم شامل وضعته الوزارة طبقا للتعليمات السامية لحضرة مولانا صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني دام له العز والتمكين .

كما ان الوزارة اعادت النظر في اساليب الوعظ والارشاد فزودت المساجد بوعاظ ومرشدين يتوفرون على الكفاءة في العلوم الدينية ومنحتهم مرتبات لا باس بها فصارت دروس الوعظ تلقى في بيوت الله كل يوم حسب برنامج محدد كما أنها وظفت بعض الوعاظ المتنقلين واسندت لاخرين مهمة القاء دروس وعظية في السجون لانتشال المقترفين للجنح والجرائم من وهدة الغواية والضلال وسهر الوزارة بعناية خاصة على حملة الوعظ في شهر رمضان المعظم حيث تكتظ رحاب المساجد بالمومنين الذين يستمعون الى دروس الوعظ التي تلقى عليهم في اغلبية مساجد المملكة كما تشرف على تنظيم محاضرات دينية اذاعية يقوم بكتابتها والقائها اكابر علماء المغرب .

كما ان الوزارة تقوم منذ سنتين بحركة واسعة النطاق تهدف الى احياء المدارس العتيقة بالبادية المغربية ، وهكذا وقع فتح العشرات من هذه المدارس حيث أعيد بناء البعض منها وشيدت مدارس جديدة ، فصارت تضم المئات من الطلبة يتلقون فيها التعليم القرآني بالقراءات السبع مع مبادىء العلوم الدينية والعربية، والشؤون الاسلامية التي تشرف على هذه المدارس العتيقة لا تألو جهدا في تنميتها

تقديم ...

لمعالي وزير عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية
الحاج احمد بركاش

مرت عشر سنوات على احراز بلادنا على استقلالها ، وحلت الذكرى العاشرة عن اعلان هذا الاستقلال بفضل المجهودات التي بذلهـا محرر الاوطان ، وابو الامـة المغربية ، صاحب الجلالة الملك المعظم سيدي محمد الخامس طيب الله نراه ، واسكنه فسيح الجنان ، وبفضل ما اسداه للمغرب ابنه البار صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني ايده الله ونصـره .

وقد كان للتجاوب الروحي الحاصل بين الامة المغربية والعرش العلوي المجيد، اثره الفعال فى بناء صرح الاستقلال ، وتركيزه على دعائم راسخة البنيان ، مما ادى الى انطلاق المغرب فى مختلف الميادين ، باحثا عن الانعتاق مـن كل مظاهر التخلف ، ومتوخيا الطريق المثلى التي تصل به الى شاطىء النجاة ، حيث السعادة والازدهار والاطمئنـان .

وان وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية التي كرست جهودهـا منـذ بزوغ فجر الاستقلال على الاضطلاع بالمهام المنوطـة بها ، لفخورة ان نصدر بمناسبـة هذه الذكرى السعيـدة هذا العدد الممتاز المتضمن للمنجزات التي حققتها فى هـذا العهد السعيد طبقا للتوجيهات الرشيدة لمولانا الملك المنعم محمد الخامس نغمده الله برحمته ولخلفه ووارث سره صاحب الجلالة والمهابة مولانا الحسن الثاني اطـال الله عمره حتى يرى شعبه الوفي يرفل فى حلل المجـد والسعـادة .

فاليك ايها القارىء الكريم هذه البيانات التي تتضمن مختلف اوجه نشـاط وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية تتخللها بعض المقالات التحليلية للوقف فى معنـاه ومبنـاه .

وان الوزارة اذ تصدر هذه البيانات المعـززة بالصور والارقام تتوخى مـن وراء ذلك القاء الاضواء على ما تقوم به فى مختلف ميادين عملها سواء من الناحيـة الروحية الدينية او من الناحية الاقتصاديـة والاجتماعيـة ، وقـد قطعت الوزارة والحمد لله منذ بزوغ فجر الاستقلال اشواطا بعيدة فى مختلف ميادين نشاطها .

تاريخ الوقف في الاسلام واهتمام العلويين به

لا مراء فى ان مؤسسة الوقف لعبت دورا هاما
ـ جميع الاقطار التي برزت فيها ، بعد ان بلغتها
ة الاسلامية ، واضاءت اغوارها ونجودها انوار
عة المحمدية الغراء ، فبينما نرى معالمها فى
ن الامصار النائية عن منزل الوحي ، كأندونيسيا
ستان ، وروسيا ، ويوغوسلافيا واقطار الشمال
ني ، نجدها كذلك فى الشرقين الادنى والاوسط
ما .

فكيف نشأت فكرة الوقف فى الاسلام ، ومن هو
حبس ، وما هي الغاية التي كانت تقصد من
؟

يقول كثير من الباحثين ، اعتمادا على راي
ـ فى الموضوع ان اول وقف كان فى الاسلام وقف
صلى الله عليه وسلم لاراضي مخيريق التي
بها اليه .

فقد جاء فى سيرة ابن هشام ان مخيريق هذا
برا من احبار اليهود ، وعلما من اعلامهم في
الغنى والثراء العريض ، وانه كان يعرف النبي
سلام بأوصافه التي قراها عنه ، ولما فتح
يرته للاسلام ، وخالطت بشاشته قلبه ، جاء
ا سلاحه الى احد ، للاتصال برسول الله
ـ الله عليه ومشاركته فى غزوتها ، وقاتل في
ـ الفئة المومنة المجاهدة من اجل عقيدتها حتى
الشهادة ، وكان قبل استشهاده قد اوصى
الى رسول الله « يصنع فيها ما اراه الله »
عليه السلام عندما آلت اليه .

قد افاد الحافظ ابن حجر العسقلاني فى كتابه
ـبة » ان هذه الاموال كانت عبارة عن سبعة

حوائط « اي بساتين » تدعى الميثب والصائفة والدلال وحسنى وبرقة والاعواف ومشربة ام ابرهيم وان النبي صلى الله عليه وسلم جعلها صدقة .

هذا — فيما يذكر الباحثون — هو اصل الوقف فى الاسلام ، ولعل فى قوله عليه السلام ، فى الحديث الذي اخرجه الامام مسلم فى صحيحه : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ، صدقة جارية او علم ينتفع به ، او ولد صالح يدعو له » اشارة واضحة الى ما فى الوقف من فائدة مستمرة لا تنقطع ، فقد ذكر حجة الاسلام ابو حامد الغزالي ان الصدقة الجارية فى هذا الحديث الشريف لا تعني سوى الوقف .

واذا كان التحبيس سنة من سنن الرسول صلوات الله عليه بالقول والفعل ، فلا غرو ان نرى الصحابة الكرام الذين شرفهم الله باتباع خطاه واقتفاء آثاره يتسارعون فى وقف اموالهم على الفقراء والمساكين وفى سبيل الله ، لعلمهم انه زيادة على ما فى هذه السنة الكريمة من قربة وعمل صالح تنطوي على مغزى انساني عظيم الاهمية جم الفوائد، لما تيسره من اسباب التضامن ، وتوفره من مجالات العمل من اجل اسعاد جماعة المسلمين ، والتخفيف من لاواء طبقة المحرومين . فهذا الفاروق عمر بن الخطاب يأتي مستفسرا النبي صلىالله عليه وسلم عما يفعله بالارض التي غنمها فى خيبر فيشير عليه النبي بوقفها على الفقراء .

جاء فى صحيح الامام البخاري فى « باب الوقف كيف يكتب » ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اصاب بخيبر ارضا ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

حتى تعم جميع انحاء المملكة كما تقوم في نفس الوقت بطبع المخطوطات القيمة التي دبجها يراع جهابذة العلم المغاربة والتي لم يسبق طبعها وبذلك تسهم الوزاره بحظ وافر في بعث التراث العلمي الاسلامي .

وفي ميدان التنمية تقوم وزارة عموم الاوقاف :

اولا ـ ببناء الدور والعمارات والحمامات وغيرها من الاملاك ذات المدخول وتستعمل لتمويل هذه المشاريع ما لديها من دراهم معاوضة الاملاك الحبسية التي قل أو تعذر نفعها كما تقتني في بعض الاحيان املاكا جاهزة .
والغرض من هذه التنمية الحفاظ على ارادة المحبسين كما تقتضي ذلك النصوص الشرعية والضوابط الحبسية ومواجهة الالتزامات والمصاريف التي تكثر بكيفية مطردة نظرا لتكاثر المساجد والزيادة في اجور الموظفين الدينيين .

ثانيا ـ باستصلاح الاراضي الحبسية بحرثها وتسميدها وغرسها وهكذا شملت عملية التشجير عشرات الالاف من الهكتارات وتكون هذه الاراضي التي تم تشجيرها محل عناية خاصة من الاحباس حيث ستصبح بعد حين موردا لا يستهان به لرفع مستوى دخل الاوقاف .

وفي الميدان الاجتماعي تقوم الوزارة بتخفيف وطأة الفقر والحرمات عن آلاف من الموظفين الدينيين وسدد لهم منحا وقعت الزيادة فيها مرارا منذ بزوغ فجر الاستقلال كما انها توزع الاعانات على المعوزين من احباس الضعفاء وتشغل اليد العاملة في أوراشها بمختلف انحاء المملكة وتحافظ على التراث الفني المغربي الاصيل .

ومن هذه الخلاصة يتبين أن وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية لها ميادين فسيحة في العمل وانها تكون عنصرا حيويا في جهاز حكومة صاحب الجلالة الملك المعظم وانها بالاضافة الى ما تقوم به في الميادين الروحية تعمل جادة للاسهام في رفع رفع مستوى الدخل القومي .

هذا واننا نستلهم كل اعمالنا وكل ما نقوم به في نطاق اختصاصاتنا من التوجيهات السامية التي ما فتىء مولانا الملك المعظم الحسن الثاني ايده الله ونصره يمنحنا اياها اذ يعطي دوما بسخاء من وقته الثمين ما يكفي لدراسة شؤون الاوقاف والشؤون الاسلامية واعطائها الحلول الناجعة الكفيلة بنجاح ما تقوم به من مشاريع حفظ الله مولانا الملك المعظم وابقاه دخرا وسندا لهذه الامة حتى يراها ترفل فيما يحب لها من عز وسودد ورفاهية واطمئنان واقر عينه بولي عهده صاحب السمو الملكي الامير الجليل سيدي محمد .

منعا كليا مخافة ان يقع فيها بعض التلاعب ، وان المولى عبد الله انشأ نظارة عامة للاحباس هـي مايوازي الآن وزارة الاوقاف ، سميت وقتئذ باسم نظارة النظـــار انسياقا مع اسم « امانة الامناء » الذي كان يطلـق فى عهده على وزارة المالية واسم قاضي القضاة الذي كان يقصد به وزير العدل ، وان المولى عبد العزيز أعطـى تعليمانه لممثليه فى مؤتمر الجزيرة الخضراء بعدم اقحام مسالـــة الاحبـــاس فى هذا المؤتمـــر

وما كان اهتمام المغفور له محمد الخامس بشؤون الاوقاف بأقل من من اهتمام اسلافه العظام ، ولا يتسـع المجال فى هذه العجالة لتعداد جميـــع الايادي البيضاء التى اسداها رحمه الله الى هذه المؤسســة الجليلة .

ويكفي ان نشير هنا الى المواقف التاريخية التي كان جلالته يقفها عند ماكانت سلطات الحماية تحـــاول المس بحرمة الاحباس ومصالحها بوسيلة من الوسائل، متجاهلة ما ورد فى معاهدة الحماية نفسها من التزامها باحترام جانب الاحباس وعدم مسه بسوء ، فقد كـــان ــ نور الله ضريحه ــ طيلة عهده بمثابة الصخرة الشماء التى تتهشم عندها انـوف المغيرين على المقـــدسات الحبسية ، ويكفيه فخرا ان يكون قد استطاع بفضـــل ذبــه عن حوزة الاوقاف ان يحبط مكايـــد الكائدين ، ويحيط حرمة الاحباس بسياج من الرعاية متين ، هذا الى جانب ما كان يبذله ويبديه من نصائـــح شتـــى وتوجيهات سامية كانت السبب الاول فيمـــا ادركتـــه المنشات الحبسية من تقدم وازدهار

وها هو ولده ووارث سره جلالة الحسن الثاني يبـــدي نفس الحرص ونفس الاهتمـــام بالاوقـــاف ومؤسساتها سائرا على نفس النهج الذي سلكه سلفه الصالح فى السير بالاوقاف قدما الى الامام ، وتوجيـــه وزارتها نحو الغاية المثلى التي توخاها المحبسون مـــن تحقيق جلائل الاعمال فى الميادين الدينيـــة والثقافيـــة والاجتماعية والانسانية

ولا نشك فى ان المؤسسة الوقفية ستبلـغ فى عهد جلالته وبفضل ارشاداته النيرة الحكيمة ماتصبو اليه من اداء رسالتها كاملة فى جميع ميادين نشاطها .

ومن الله جلت قدرته نستمد العـــون ، والله في عون العبد ما دام العبد فى عون اخيه .

تنظيم الاوقـــاف في عهد الدولة العلوية الشريفـــة

في عهد السلطان المولى عبد الله ابن المولى اسماعيل (أي فى منتصف القرن الثاني بعد الالف للهجرة) كانت النظارة العامة للاحباس من الوظائف العليـــا في الدولة المغربية ، وكان يطلق عليها وقتئذ اسم نظـــارة النظـــار .

وفي عهد السلطان المولى يوسف ابن الحسن الاول تاسست بالمغـــرب اول وزارة للاوقاف ، واسندها جلالتـــه الى المرحوم السيد أحمد الجـــاي وكان ذلك بمقتضى ظهير 23 رمضان 1333 .

وفي 7 دجنبر 1955 تاسست أول حكومة مغربية بعد رجوع جلالة المغفور له محمد الخامس من منفاه ، وتبشيره بانتهاء عهد الحجر والحماية وبزوغ فجـــر الحـــرية . وقد تضمنت هـــذه الحكومة وزارة للاوقـــاف .

وفي 19 غشت 1960 أسند جلالة المغفور له محمد الخامس وزارة عمـــوم الاوقاف الى معالي السيد احمد بركـــاش وزيـــر الاوقـــاف الحالـــي .

اصبت ارضا لم اصب مالا قط انفس منه ، فكيف تأمرني به ؟ فقال عليه السلام : ان شئت حبست اصلها وتصدقت بها ، فتصدق عمر — انه لا يباع اصلها ولا يرهب ولا يورث — في الفقراء .

افاد الحافظ ابن حجر في كتابه « فتح الباري» عند شرحه لهذا الحديث انه جاء في رواية صخر بن جويرية — والروايةفي البخاري نفسه في ابواب اخرى — ان الارض المذكورة تسمى ثمغ وان قوله عليه السلام لعمر ان شئت حبست أصلها وتصدقت بها معناه تصدقت بثمرتها ومنفعتها على الفقراء .

وهذا ذو النورين عثمان بن عفان يشتري من ماله بئرا ويسبلها على جماعة المسلمين .

روى الحافظ ابن عبد البر في كتابه « اسد الغابة » ان عثمان رضي الله عنه اشترى بئر رومة — وكانت ركية — اي بئرا ذات ماء — يملكها يهودي يبيع المسلمين ماءها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها مشرب في الجنة ؟ فأتى عثمان اليهودي فساومه بها ، فأبى ان يبيعها كلها ، فاشترى عثمان نصفها باثني عشر الف درهم فجعله للمسلمين ، متفقا مع اليهودي على ان يستغل المسلمون البئر يوما ويستغلها اليهودي يوما آخر دواليك ، ثم بعد مدة جاء اليهودي عند عثمان واقترح عليه شراء النصف الاخر ، فاشتراه عثمان بثمانية آلاف درهم وجعل بذلك البئر كلها خالصة للمسلمين .

والى ذلك اشار البوصيري رحمه الله بقوله في همزيته معددا مناقب عثمان :

حفر البئر ، جهز الجيش ، اهدى

الهدى ، لما ان صده الاعداء

وهذا اسد الله خالد بن الوليد يحبس ادرعا وافراسا في سبيل الله كما في صحيح البخاري .

ثم هؤلاء الزبير بن العوام ومعاذ بن جبل وزيد ابن ثابت وعائشة ام المومنين واختها اسماء ذات النطاقين وام سلمة وام حبيبةوصفية بنت حيي وسعد ابن ابي وقاص وجابر بن عبد الله وعقبة بن عامر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير — وغيرهم من الصحابة كثير — يقتفون هذه الخطى وينسجون على هذا المنوال فيحبسون لفائدة السائل والمحروم ولذي القربى وفي سبيل الله وابن السبيل ابتغاء مرضاة الله ، واسهاما في نفع المسلمين .

ثم اخذت هذه السنة الجليلة والمأثرة السنية الكريمة تتسرب ضمن تشريعات الاسلام المثلى ومبادئه السامية الى الاقطار التي حظيت برسوخ قدمه فيها .

وكان في طليعة هذه الاقطار بلادنا المغربية التي سارع فيها السلف الصالح الى الاهتداء بهدى الرسول واحتذاء حذو الصحابة والتابعين ، في الاكثار من التحبيس في وجوه البر والتضامن الانساني ، فحبسوا على ائمة الدين ، والمبلغين للدعوة الاسلامية الشارحين لاسرارها ومراميها ، كما حبسوا على كراسي العلم في المساجد والمعاهد ، وعلى تنبيه المصلين لتعديل الصفوف ، وعلى المجاهدين في سبيل الله وحراس ثغور الاسلام ، وعلى افتكاك اسرى المسلمين من يد الكفار ، الى جانب التحبيس على المرضى والنوكى والمعوزين وانارة الدروب والحارات المظلمة تجنيبا للسابلة من آفات الطرق واخطارها ، بل ان هذا الشعور الانساني المرهف الذي كان يعتمل في نفوسهم النبيلة قد دفع بهم الى الرفق بالحيوانات فوقفوا من املاكهم ما وقفوا على معالجة بعضها والبرور بها ، وفي مدن الرباط وسلا وتطوان وفاس ومراكش مثلا اعظم شاهد على ذلك .

واذا كان افراد الشعب المغربي قد تفننوا ما شاءت لهم اريحيتهم وانجذابهم مع دواعي الخير والاحسان في انواع التحبيس فان الدول التى تعاقبت على دست الحكم في المغرب جعلت هجيراها الحفاظ على تراث الاحباس واحاطة رغبة المحبسين بهالة من الاكبار والتقديس ، فازدهرت بذلك شؤون الاحباس ازدهارا عظيما في عهد الدولتين الموحدية والمرينية ، وجاءت بعد ذلك الدولة العلويه فانبرى سلاطينها لبذل قصارى الجهود في تنظيم الاوقاف وسلوك طريق التبصر في السهر على حقوقها ومصالحها واستثمار ثروتها ، وكان ملوكها في بداية الامر يعتبرون النظر في شؤون الاحباس من اختصاص قضاة الشرع دون غيرهم من بقية الحكام تقديرا من جانبهم لحرمتها وحرصا على سلامتها

ومن دلائل اهتمامهم بالاوقاف ان المولى اسماعيل اصدر اوامره لجميع نظار مملكته باحصاء الاملاك الوقفية وتدوينها في سجلات خصوصية هي ما يعرف الآن بالحوالات الحبسية ؛ وان المولى عبد الرحمن وابنه المولى محمد كانا يمنعان المعاوضة في الاوقاف

النشاط الروحي

نظـرا للدور الثقافي والاجتماعـــي والحضاري الذي لعبه المسجد فى حياة المسلمين عموما والمغـرب والمغاربة بصفة خاصة ، حيث انبثقت مختلف تيارات الفكر الاسلامي فى هذه الخلية التي يؤمها المسلمـــون العبادة فيتلقون مبادىء دينهم ، ويرتوون من ينابيـع المعرفة التي تلقى فى حلقـــات الدروس ، فقـد عنيت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية منذ فجر الاستقلال بتوفير المساجد التي يأوى اليها المسلمون لعبادة ربهم، ويتعلمون فيها الايمان بمجتمعهم ، فقامت بتفريشهـا وتابينها ، وتعهدتها بالاصلاح والترميم ، ودفع اجـور الموظفين الدينيين القائمين باعمال العبادات .

وقد قامت الوزارة الى جانب تعهد المساجـد بحملة واسعة فى ميدان الوعظ والارشاد والعمل على يقظة الوعي الاسلامي بمختلف انحاء المملكة لانارة الراي العام الذي يحتاج الى هداة مرشدين يقومون بعمليـة التوجيه الديني الصرف الذي يصلح من امور الديـن والدنيا .. وقد تبلغ تلك الدروس النافعة التي يجـد فيها المواطنون برد اليقين وحرارة الايمان ، فى شهـر رمضان قمتها ، حيث تكتظ رحاب المساجد فى المملكة بالمومنين الذين اخلصوا دينهم لله ، وقالـوا ربنا الله ثم استقاموا ، فيستمعون الى اساتذة مبرزين تنتدبهم الوزارة ، ويتمتعون بسمعة طيبة وحسن احـدوثة ، ومستوى ثقافي محمود . وتمنحهم الوزارة مكـافات بهذه المناسبة ، وكانت حملة الوعظ والارشاد فى شهر رمضان المعظم الاخير اعظم حملة قامت بهـا الوزارة ، فقد بلغ عدد الوعاظ 473 ، وعدد الدروس 13.686 ، وعـدد المساجـد 427 .

وبجانب هذا النشاط الذي يقام فـي رحـاب المساجد تقوم الوزارة بحملة توجيهية خلقية واجتماعية تذاع على امواج الاذاعة ، فيكلف نخبـة من العلمـاء الافذاذ المبرزين بالقاء محاضرات اذاعية تتناول شتى المواضيع التي تهتم بتعاليـم ديننـا الحنيف وشئون الحيـاة الحاضـرة

وقد حرر قسم الوعظ والارشاد فى عدة مناسبات خطبا نموذجية تتناول موضوعات تهم المجتمع المغربي وزعتها النظارات التابعة للوزارة على خطباء المساجـد فى مختلف مـدن المغرب وقـراه

وقد هدفت الوزارة فى برنامجها هذا الى تكويـن وعاظ وخطباء وائمة قادرين على بث الروح الاسلامية الحق والوعي الخلقي ، وبعث الضميـر فى نفـوس المواطنين واظهار الروح الاسلامية فى نصاعته ووضوحه

اما فى الميدان العلمي والتثقيفي فقد دابت الوزارة فى نطاق اعمالها التى خطها لها صاحب الجلالة علـى احياء الكتاتيب القرانية ، والمدارس الدينية واصلاحها وترميمها ، حتى يبقى كتاب الله محفوظا فى قلوب هذا الشعب الذي ارتضى الاسلام دينا ، فآمن به ، وكافح دونه ، يتلونه بقراءاته على اختلاف انواعها ، كما عرفها الصدر الاول خالية من كل لبس ، واضحة عـن كـل غموض ، لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ولا يخفى الدور التثقيفي الذي تقوم به مجلـه دعوة الحق التي تعنى بشئون الفكر والثقافة وقد طبقت شهرتها العالمين العربي والاسلامي ، ويكفي انها اصبحت من المجلات الاسلامية الكبرى التي يترقبها المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها

وفي نطاق الميدان الروحي الذي تقوم به الوزارة فانها تعنى بشئون اجتماعية حيث تقوم بدور اجتماعي على جانب كبير من الاهمية ، فهي تساهم فى اسعـاف المعوزين الذين اخنى عليهم الدهر ، واناخ عليهم بكلكله، فتخفف عنهم وطأة البؤس والفقر ، وتقلل من حدتـه وقسوته . فتمد بعض الجمعيات الخيرية بالمغـرب بمبالغ جد ثمينة بالاعتبار ، كما تقوم باكساء بعـض الموظفين الدينيين كالمؤذنين وغيرهـم ، عـلاوة على المشاهرات المنظمة التي تؤدى لبعض العائلات المحتاجة التي يحسبها الجاهل اغنياء من التعفف

وقد تبنت الوزارة ـ بامر من المغفور له محمد الخامس ـ بعض عائلات شهداء الاستقـلال الذيـن منحوا صدورهم لرصاص الاستعمار فنفذ فيهم احكام الاعدام خلال الفترة التي تتراوح بين ابعاد جلالة الملك محمد الخامس واسرته الكريمة ورجوعه من منفاه .

والى جانب هذه الاعمـال فان الوزارة تهتـم بتشغيل كثير من اليد العاملة حيث توفـر اسبـاب

نشاط وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .. في الميدان الروحي .. وواجباتها وأهدافها .

يسر وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية بمناسبة مرور عشر سنوات على احراز الاستقلال ان تقيم هذه الذكرى الخالدة بتقديم عرض موجز عن نشاطها خلال هذه الفترة القصيرة التي تعد بحق فترة بناء وتشييد

وهو عرض ملخص يقدم فى هذا العدد الخاص من مجلة دعوة الحق ليعرف الجمهور في الداخل والخارج الدور الخطير الذي تقوم به وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية في مختلف الميادين الروحيةوالدينية ، والشئونالاجتماعيةوالعلمية والثقافية ، كما تقدم بيانات عن الاوقاف التي تتوفر في جميع انحاء القطر على احسن الاراضي والعقارات علاوة على الغراسات الثرية

وهكذا فوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية تكون ركنا هاما وقاعدة اساسية فى كيان الامة المغربية حيث تحتل مكانة مرموقة لايستهان بها فى حياة المجتمع المغربي

فهي من اكثر مؤسسات الدولة فعالية واشعاعا ، ويعود ذلك الى تغلغل عملها فى جميع الاوساط المسلمة فى المملكة المغربية ، وترجع هذه الظاهرة الى ان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية هي الجهاز الحي الفعال الذي يسهر على القيم الروحية للامة المغربية طبقا لما تمليه تعاليم الشريعة الاسلامية السامية ، واصولها العامة ، واداة مضمونة لنشر الاصلاح الاجتماعي في غاياته المتعددة ، وذلك باقامة الشعائر الدينية ، وتوفير المساجد وبيوت العبادة ، وتجهيزها والسهر عليها ، والقيام بنشر المبادىء الاسلامية للمحافظة على سلامة التربية ، وحماية العقيدة من شياطين الضمائر استجابة لرغبة مولانا صاحب الجلالة نصره الله ، وذلك عن طريق الوعظ الناصح ، والتوجيه الديني الخالص ، وتنظيم حلقات الارشاد ، وتعليم المومنين امور دينهم واصلاح دنياهم

ونظرا للدور الخطير الذي تقوم به وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، فانها تعد بحق من العناصر الفعالة فى تثبيت دعائم بنيان مجتمعنا الحاضر وتدعيم ركائزه الثابتة
ونظرا لتعدد نشاطاتها ، فيمكننا ـ توخيا للايجاز ـ ان نقسمها الى قسمين رئيسيين بارزين :

القسم الاول :

وينحصر فى المجهودات التي تقوم بها الوزارة فى الميدان : الروحي ، والديني ، والخلقي

والقسم الثاني :

يتعلق باعمال الانشاء والبناء ، والاستثمار ، والاستغلال ، وتمويل المشاريع ، والسهر على احكام النظام الاداري

الالفين وفي السنة الماضية بلغ عددهم : 7.486. حاجا فهي في كل موسم تهيىء مختلف الوفود الدينية والصحية ، والادارية ، والامن ، حتى يجد حجاج بيت الله الحرام كل حاجياتهم المادية والروحية في متناولهم بايسر وسيلة .

الاهلـــــة :

وتبذل الوزارة جهودا محكمة التنسيق والتنظيم لمراقبة الاهلة باستمرار ، فعلاوة على البلاغ الذي تصدره الى القضاة بواسطة الاذاعة الوطنية ، فانها تكلف مسؤولين سامين لتلقي المكالمات التليفونية من مختلف الانحاء ، على ان هؤلاء المسؤولين لايكتفون بانتظار المكالمات بل انهم يتصلون ايضا بمختلف قضاة الجهات التي هي مظنة رؤية الهلال

ويحدث كثيرا ان يبقى اولئك المسؤولون في الوزارة الى منتصف الليل

وتستخدم الوزارة الطائرة لمراقبة الهلال في شهري رمضان وعيد الفطر حتى تستنفد اقصى الجهود في هذا الميدان

المنجزات الثقافية بقسم الشؤون الإسلامية

اما عن خلاصة المنجزات الثقافية الاسلامية بقسم الشؤون الاسلامية فهي تنحصر في :

1) التاليف والنشر
2) احياء التراث الاسلامي
3) ربط العلاقات بالمنظمات الاسلامية

1) التاليـف والنشـر :

ففي ميدان التاليف والنشر فقد تم طبع الكتب الآتية باشراف وتحقيق مصلحة قسم الشؤون الاسلامية وهي كما يلي .

— «اربعون حديثا في اصطناع المعروف» تاليف ابي محمد عبد القوي المنذري : وشرح ابي زيد عبد الرحمان الثعالبي ، تعليق وتقديم الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، والكتاب يقع في نحو 100 صفحة من الحجم المتوسط ، انجز طبعه سنة 1962

— كتاب (ماضي موريطانيا المغربي) ، تاليف الانسة اوديت دوبيكودو ، وهو بالفرنسية في حجم صغير 110 صفحة ، طبع سنة 1962

— الجزء الاول من كتاب (مختصر العين) تاليف ابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي ، قوم نصه وعلق على حواشيه وقدم له ، الاستاذان علال الفاسي ، ومحمد بن تاويت الطنجي ، والجزء في 80 صفحة من الحجم الكبير ، طبع سنة 1963

— كتاب (الاعلام بحدود قواعد الاسلام) ، تاليف ابي الفضل القاضي عياض اليحصبي رحمه الله ؛

— الجزء الاول من كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك) لمعرفة اعلام مذهب مالك ، تاليف ابي الفضل القاضي عياض اليحصبي السبتي رحمه الله ، تحقيق وتعليق وتقديم الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، طبع في حجم كبير 216 صفحة سنة 1965

— كتاب بعنوان (بقيت وحدي) وهو مسرحية شعرية في اربعة فصول : تاليف الاستاذ ابي بكر اللمتوني ، مطبوع في حجم صغير نحو 150 صفحة : انجز طبعه سنة 1962

— كتاب (الاسلام دين ودولة) تاليف الاستاذ عبد الحي بن الحسن العمراني ، طبع سنة 1962 في حجم متوسط يقع في 280 صفحة

والكتب التي تشتغل المصلحة الآن باعدادها للطبـع :

— كتاب (التمهيد لما في الموطا من المعاني والاسانيد) تاليف الحافظ الحجة الامام ابي عمر يوسف بن عبد البر النمري الاندلسي المتوفى سنة 463 هـ رضي الله عنه ، وهو كتاب ضخم يقع في نحو 12 سفرا مخطوطا يتوقع ان يخرج في نحو 20 جزءا بحول الله وحسن عونه وتوفيقه .

— بقية كتاب (ترتيب المدارك) للقاضي عياض

— كتاب (شرح حديث ام زرع) تاليف القاضي عيـاض

— كتاب (الاحكام الصغرى) تاليف ابي محمد عبد الحق الاشبيلي

— كتاب (البيان والتحصيل) تاليف الشيخ الامام القاضي ابي الوليد محمد بن احمد بن رشد

تلك هي الكتب التي انجز طبعها والتي هي تحت الدراسة لاخراجها وطبعها قصد تحقيق الهدف المنشود من وجود ادارة الثقافة الاسلامية ومصلحة احياء التراث الاسلامي

ومن مشاريع الوزارة كذلك طبع القرآن الكريم تنفيذا لرغبة مولانا امير المومنين دام له العز والتمكين، وذلك بخط مغربي ممتاز ، وقد وجهت الوزارة عنايتها لانجاز هذا المشروع الذي تعكف عليه لجنة من الخبراء في رسم المصحف ومن الفنيين في الطباعة حتى يبرز في حلة تليق بمقام كتاب الله العزيز ، وسيحمل اسم : **(مصحف الحسن الثاني) .**

لالاف من الاسر والعائلات فى مختلف انحاء المملكة بما نهيئة لاوليائها من مجالات العمل وتفتح فى وجوههم مختلف الميادين سواء عمرانية او فلاحية

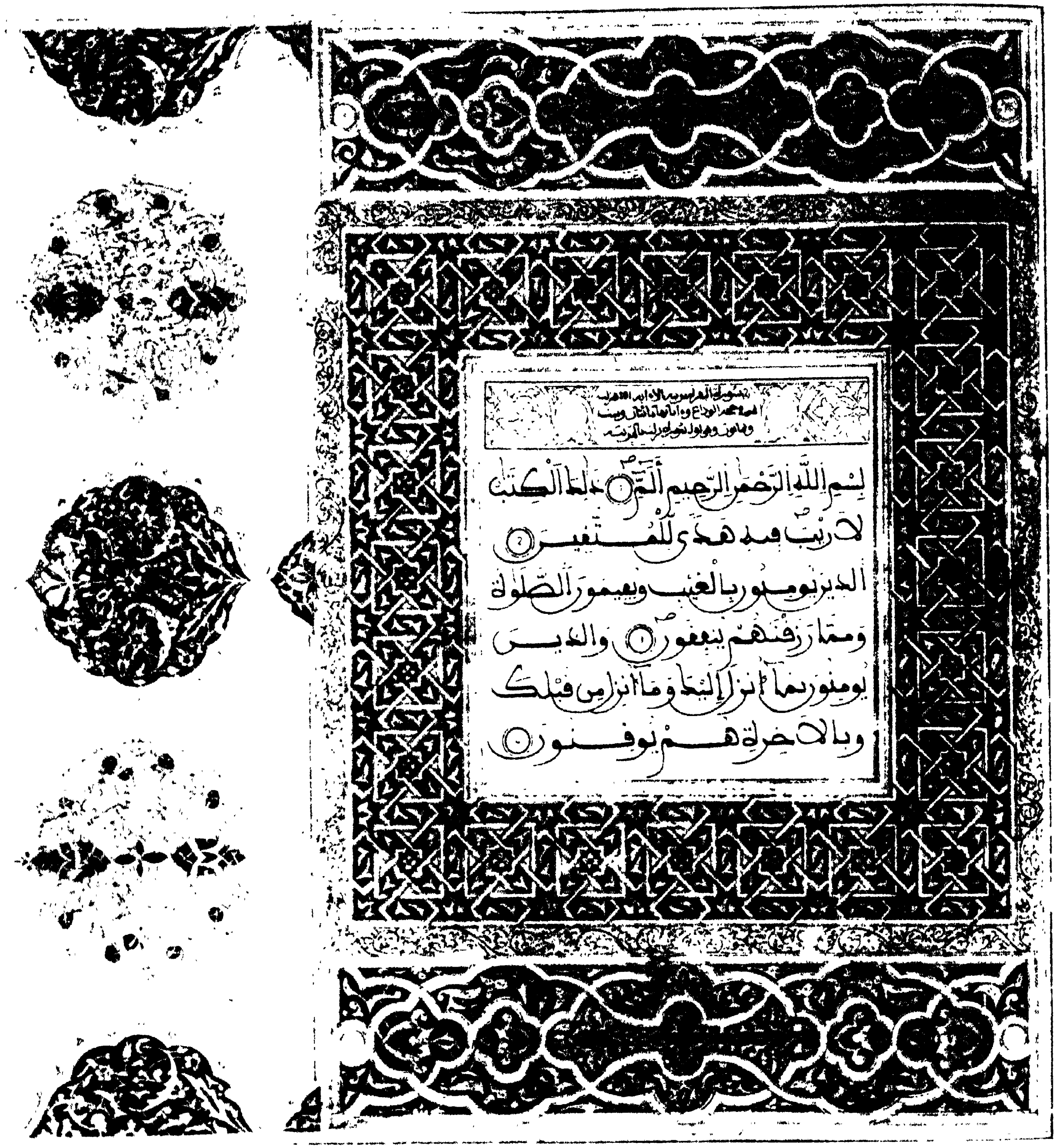
ومن جهة اخرى فقد اهتمت الوزارة بالمعتنقين للاسلام ، وقد بلغ عدد المعتنقين له خلال السنوات العشر الاخيرة (1955 ـ 1965) فى مختلف انحاء المملكة 756 ذكورا واناثا من مختلف الجنسيات دخلوا حظيرة الاسلام عن طواعية واختيار ، وللوزارة اتصالات متوالية باصحاب الفضيلة قضاة المحاكم الشرعية لفسح المجال بأوسع معانيه امام كل عازم على اعتناق الاسلام

وقد صدر منشور خلال سنة 1961 وبمقتضاه يمكن للسادة القضاة ان يتلقوا الاعتراف بالاسلام دون الرجوع الى الوزارة

الجنسيات	1955	1956	1957	1958	1959	1960	1961	1962	1963	1964	1965	المجموع
اتراك	–	1	1	–	–	–	–	–	–	–	–	2
اسبانيون	–	34	46	18	23	13	12	18	12	22	11	209
المانيون	3	9	4	5	4	4	5	2	3	4	4	47
امريكيون	–	–	4	2	2	2	3	1	2	6	7	29
انجليزيون	–	1	1	–	1	–	–	1	–	1	2	7
ايطاليون	8	6	1	3	–	–	–	1	2	3	2	26
برتغاليون	3	3	2	4	–	2	1	2	4	–	1	22
بلجيكيون	1	9	–	–	1	1	1	1	4	–	1	19
بولونيون	–	1	–	–	–	–	1	–	1	1	1	5
تشيكوسلوفاكيون	1	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	1
دانمركيون	–	–	–	–	–	–	–	1	2	–	1	4
روسيون	1	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	1
سودانيون	–	–	–	–	–	–	1	–	–	–	–	1
سوريون (مسيحيون)	1	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	1
سويديون	1	–	–	–	–	–	–	–	–	–	1	2
سويسريون	–	2	2	1	1	1	1	2	–	2	–	12
صينيون	–	1	1	–	–	–	–	–	–	2	–	4
فنلانديون	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	1	1
فرنسيون	30	40	23	16	22	16	5	7	18	23	19	2
لبنانيون	–	1	–	–	–	–	1	–	–	–	–	219
مصريون (اقباط)	–	–	–	–	–	–	–	–	2	–	–	2
مغاربة (يهود)	12	19	16	7	5	7	10	15	14	8	8	121
نرويجيون	–	–	–	–	1	–	–	–	–	–	1	2
نمساويون	–	1	–	–	–	–	–	–	–	–	–	1
هنغاريون	1	–	–	–	–	–	1	–	1	–	–	3
هولنديون	1	–	–	–	–	–	–	–	1	–	1	3
يوغسلافيون	1	2	–	–	1	–	–	–	1	–	3	7
يونانيون	–	–	1	–	1	–	–	–	1	–	–	3

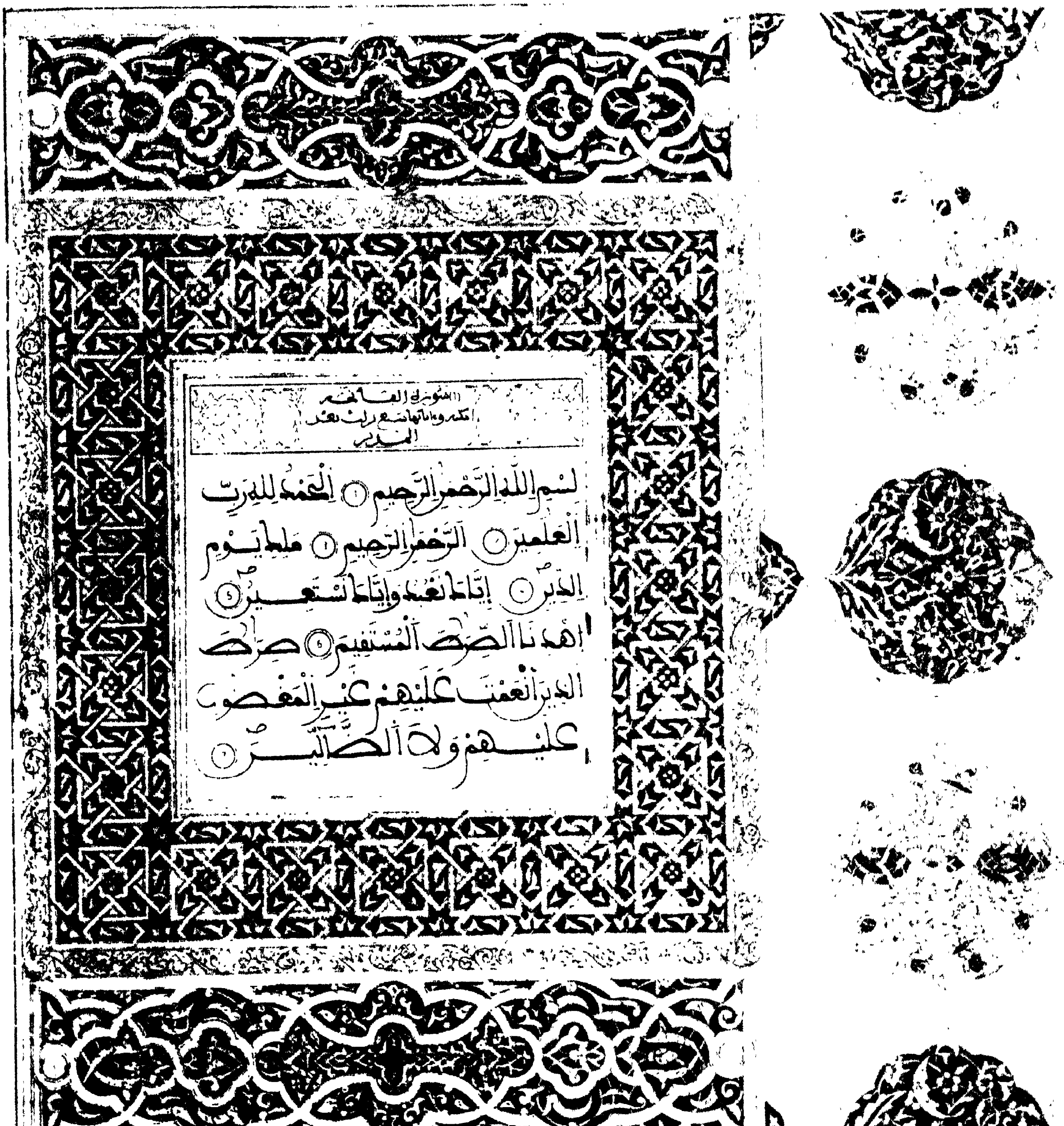
الحج

وفي موعد الحج تعقد الوزارة جلسات مع مندوبي الوزارات التي لها علاقة بالموضوع ، ثم مع مندوبي شركات البواخر والطيران ثانيا ، لدراسة جميع الوسائل التي من شانها ان تسهل اداء فريضة الحج للمومنين سواء من الناحية المادية ام من الناحية المعنوية ، ويلاحظ ان عدد الحجاج قد تزايد كثيرا ففي السنة الاولى بعد الاستقلال بلغ عدد الحجاج نحو



« انا نحـــن نزلنا الذكـــر ، وانا لـــه لحافظـــون »

صدق الله العظيم



بسم الله الرحمن الرحيم ١ الحمد لله رب
العلمين ٢ الرحمن الرحيم ٣ ملك يوم
الدين ٤ إياك نعبد وإياك نستعين ٥
اهدنا الصرط المستقيم ٦ صرط
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين ٧

الصفحتـــان الأولـــى والثانيـــة مـــن مصحـــف « الحســـن الثانـــي »

الـــذي ستصدره وزارة عموم الاوقـــاف والشؤون الاسلامية في بحـــر هذه السنـــة

بيان نشاط القسم المكلف بالمدارس العلمية والقرآنية والكتاتيب النموذجية

ـم الاقليـــم او ـعمالـــة	اسم المدينة او القرية التي انشئت فيهـا مدرسـة علميـة او للقراءات او كتـاب نموذجي	نـوع المدرسة	عدد الاساتـذة فى كل مدرسة او كتاب	عدد الطلبة	مبلغ الاعتماد لكل مدرسة او كتاب فى الشهـر
ـة الرباط وسلا	يعقوب المنصور 110 واليوسفيـة 250 ،	كتاب نموذجي	7	250 + 110	2·000 درهم
	تابريكت ـ بسلا	كتاب نموذجي	3	50	900 درهم
ـ القنيطرة	الخميسات	قرآنية ـ دينية	3	30	1·800 درهم
	تيفلت	كتاب نموذجي	1	50	300 درهم
	وزان	كتاب نموذجي	1	50	300 درهم
ـة الدار البيضاء	مدينة الدار البيضاء	كتاتيب نموذجية 3	5	عين الشق 80 سيدي عثمان 63 حي المحمدي 350	1·400 درهم
الدار البيضاء	القواسم	تعليم القراءات	5	50	2·930 درهم
	الجديدة	كتاب نموذجي	4	85	1·000 درهم
	خميس الزمامرة	مدرسة دينية	5	55	2·800 درهم
مراكش	مدينة مراكش	كتاب نموذجي	4	6 علم التوقيت	1·470 درهم
	سيدي الزوين	لتعليم القراءات والعلوم الدينية	7	87	4·710 درهم
اسفي	زاوية سيدي كانون بعبدة	لتعليم القراءات والديـن	3	40	2·300 درهم
	سيدي على امعاشو		7	91	4·630 درهم
	مدينة اسفي		6	45	2·750 درهم
	احمر الشماعية		7	93	4·690 درهم
أكادير	سيدي وفاق	مدرسة دينية	2	68	960 درهم
	سيدي عبد الله		1	15	600 درهم
	تنالـت	كتاب نمودجي	8	150	1·600

2) احيــاء التراث الاسلامي :

وكان في مقدمة الاعمال الخالدة التي انجــزت لاحياء التراث الاسلامــي : (دار الحديث الحسنية) التي تقوم بالدراسة الاسلامية العليا بواسطة اكابــر الاساتذة والعلماء ذوي الخبرة والمعرفة باصول الدين قرآنا وحديثا واصولا

وهي تهيىء طلابها لنيل شهادة الدراسة العليــا في الشؤون الاسلامية في ظرف اربع سنوات وتقــوم الوزارة باستمرار بجهود جبارة لتقوم (دار الحديث الحسنية) التي امر بتاسيسها امير المومنين صاحب الجلالة نصره الله ، لتؤدي رسالتها على اكمل وجــه وانم صورة ، وهــي تسير الان تحت اشراف هــذه الوزارة ووزارة التربية الوطنية

وقامت الوزارة ايضا بانشاء مدارس للقراءات والدين وكتاتيب نموذجية ؛ كمــا عملت على تسهيل الوسائل لفتح الكتاتيب القــرآنية الحرة التي بلغت 180 .

ولا يخفى ما لهذه المدارس القرآنية من اهميــة عظيمة حت يعتبر وجودها فى الظروف الحالية امتدادا لحفظ القرآن الكريم برواياته المتعددة من ابناء هــذا الوطن العزيز الذي عرف ابناؤه باستظهار كتاب الله ، والتمسك باذياله حتى يبقى هذا الكتاب في حرز حريز، انجازا لوعد الله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظــون) :



منظر داخلي لمدرسة سيــدي علي امعاشــو القــرآنيــة

3) ربط العلاقات بالمنظمات الاسلامية :

كما قامت باتصالات متوالية بمختلف المنظمات الاسلامية وخصوصا فى افريقيا ، واستقبلت وفودا اسلامية من مختلف المنظمات الاسلامية

واهتمت الوزارة بانشاء خزانة للكتب والمستندات ، تضم فيها امهات الكتب التي تعتبر مصادر حيوية للتراث الاسلامي والعربي ، سواء باللغة العربية او الاجنبية وذلك لاظهار اثر الاسلام فى تطور الانسانيه وتقدمها ، كما تحتوي على كتب تتناول مختلف التطورات التاريخية والسياسية والفكرية والاجتماعية فى العالم .. مما له علاقة باهداف الوزارة واغراضها ، كما انها مرجع العاملين بالوزارة فى انجاز واجباتهم ، اضف الى ذلك ان قسم المستندات تحفظ فيه كل الوثائق والمقررات الرسمية الصادرة عن هياة ادارنها ، او الواردة عليها من مختلف الوزارات

كما عملت الوزارة ايضا على جمع كل المطبوعات الصادرة عن مختلف الوزارات ، وذلك لتكوين مراجع من اهم مصادر تاريخ بلادنا الاجتماعي والاقتصادي والفضائي والعمراني والادبي .. كما اهتمت بحفظ كل المنشورات الصادرة عن السفارات الاجنبية في بلادنا

وبخزانة الكتب اليوم (من مشتريات الوزارة) ما يقرب من 1.300 مجلد ، وتنوي الوزارة تنمية ذخيرتها حتى تصبح من اهم المصادر فى العالم الاسلامي ، وترد على المكتبة كتب ومجلات من مختلف البلاد العربية والاسلامية تزيد المجموعة الموجودة ثروة وغنى

وبها ثلاثة فهارس : الاول للمؤلفين ، والثاني للعناوين ، والثالث للمواد

ويعمل (قسم خزانة الكتب والمستندات) على الاتصال بكل الهيئات والمنظمات الثقافية فى العالم الاسلامي وفي اوربا وامريكا وآسيا ، وذلك عن طريق تبادل المطبوعات ، وتزويد مختلف المكتبات بالانتاج المغربي فى مختلف الفنون ، وفي هذا الصدد وزعنا آلاف النسخ من المجلات والكتب الصادرة عن وزارتنا على مختلف المكتبات فى معظم اقطار افريقيا وآسيا واوربا وامريكا

وفيما يلي نذكر على سبيل المثال بعض المؤسسات الثقافية والمنظمات الاسلامية التي لنا علاقة بها :

ففي الداخل : جمعية حفظة القرآن الكريم بصفرو . جمعية البعث الاسلامي بتطوان . جمعية الوعظ والأرشاد بالدار البيضاء . جمعية شباب النهضة الاسلامية بسلا . جمعية حفظة القرآن الكريم بالدار البيضاء

وفي الخارج . رابطة العلماء الجزائريين بالجزائر . الاتحاد الثقافي الاسلامي بدكار . الجامعة العربية . جامعة القاهرة . جامعة الاسكندرية . جامعة دمشق . جمعية التمدن الاسلامي بدمشق . جمعية الهداية الاسلامية بدمشق . جامعة مبلغين اسلامي بطهران . جمعية الدعوة الاسلامية بطهران . الاكاديمية الاسلامية بنيويورك . المؤسسة الاسلامية بنيويورك . المركز الاسلامي بشيكاكو . مؤسسة المساجد الاسلامية بكاليفورنيا . الجمعية الاسلامية الخيرية الكندية . الشباب العلوي والجمعية الاسلامية بالارجنتين . الجمعية الانجليزية العربية بلندن . المعهد الملكي للشؤون الدولية بلندن . الجمعية الانجليزية التركية بلندن . الجمعية الانجليزية العراقية بلندن . مركز دراسة مشاكل العالم الاسلامي المعاصر ببروكسيل . معهد الدراسات الاسلامية العليا بباريز . معهد الدراسات التركية بباريز .

وما زالت وزارة الاوقاف تواصل نشاطها فى خدمة الدين الاسلامي واللغة العربية ، وتساهم في الاعمال الاجتماعية والعمرانية ، وقد بنت فى هذه السنة عدة مساجد واصلحت اخرى ، كما بنت قرى ومتاجر وشجرت مئات الهكتارات من الاراضي الحبسية ، وهي الآن بصدد انشاء مدارس لتلقين احكام الدين وقواعد العربية وتكوين الموظفين الدينيين .

من خطاب صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه في عيد العرش الميمون لسنة 1960

تـابـــع للجـــدول السابـــق

ـسم الاقليـــم او العمالـــة	اسم المدينة او القرية التي انشئت فيهـا مـدرس علميـة او للقراءات او كتـاب نموذجي	نـوع المدرسة	عدد الاساتـذة فى كل مدرسة او	عدد الطلبة	مبلغ الاعـ مدرسة او الشهـ
قليم وجدة	مدينة وجدة	كتاب نموذجي	1	25	1·650 د
	تاوريـــرت	مدرسة دينية	1	26	1·080 د
	نيكيـــك		1	49	1·770 د
	بركـــان		1	26	1·080 د
قليم تازة	مدينة تازة	كتاب نموذجي	3	70	700 د
قليم الحسيمة	تركيست	مدرسة دينية	1	30	1·200 د
قليم الناضور	تلعـــــة	مدرسة دينية	3 + 1 واعظ متجول	50	2·120 د
	الوطـــا		2	46	2·130 د
	مضـــر		3	50	2·430 د
قليم تطوان	مدينة تطوان	مدرسة دينية	3	30	1·800 د
	مدرسة الشرافات		2	25	1·350 د
	مدرسة بني عروس		2	25	1·350 د
قليم طنجة	دار زهيرو	مدرسة للقراءات	6	49	3·905 د
قليم فاس	تاونـــات	مدرسة دينية	3	40	2·100 د
قليم مكناس	خنيفـــرة	مدرسة للقراءات	4	21	1·730 د
	ايفـــران	واعظ مقيـــم	1		300 د
	عين اللـــوح	كتاب نموذجي	1		300 د

وهذه المدارس المذكورة فى الجدول اعلاه يتقاضى مدرسوها وطلابها اعانة نقدية شهرية من ميزانية وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية .

كما خصص فى هذه السنة اعتماد مالي لمواجهة النفقات التي تتطلبها تلـك المدارس من ناحيتي التسيير والتجهيز .

والى الاحتلال الالماني عام 1941 كان هنالك مجلسان اقليميان يتركبان من ممثلين جهويين ، ينتخبون لاربع سنوات ، من طرف جميع المسلمين الذكور البالغين ، ويجتمع هذان المجلسان مرتين فى السنة للمصادقة على الميزانية وعلى القرارات الخاصة بالاوقاف ، وينتخب كل مجلس لجنته التنفيذية والادارية ، وفى كل اقليم وكل قرية تسير شؤون الوقف مجالس ينتخب اعضاؤها لاربع سنوات . وريع الاوقاف هام فى يوغوسلافيا ، لان معظم المدارس الاسلامية تتعيش منه . وفى عهد تيتو صارت لجان شعبيـة خاصة تتعهد المساجد . ولجنة العاصمة هي التي قامت بترميم مسجد بلغراد الذي تضرر من الغارات الالمانية .

وفى المملكة العربية السعودية ، لاتوجـد ادارة للوقف ، الا فى الحجاز حيث تشرف ادارة عامـة على شؤون الوقف وتصرف ريعه على المساجد ، وعلى الائمة والمؤذنين الذين تعينهم الادارة المذكورة ، باقتراح من قاضي القضاة . وهذه الادارة التي لها فروع فى جدة والمدينة ، والطائف ، يوجد مركزها بمكة ، وتتمتـع باستقلال مالي ، ويمنحها الملك اعانة خاصة عنـد الاحتياج . وهنالك نظار للاوقاف المعينة كما فى المغرب. كما تتشابه فى البلدين مسطرة كراء الاملاك الحبسيـة حيث يوجب القانون المزاد العلني ويحصر المدة فى ثلاث سنوات على الاكثر « يمكن تجديد هذه المدة فى المغرب لست ثم تسـع » .

وفى تركيا الغت الجمهورية الوقف المعين ، وفرضت مراقبة دقيقة على الوقف العمومي ، الذي ارتبـط مصيره بالشؤون الدينية . وفى عام 1924 صدر قانون انشئت بموجبه وزارة للشؤون الثقافية تابعة لرئاسة الحكومة ، يشرف المسؤول فيها على المساجد والمعاهد الدينية ، كما الغى نفس القانون وزارة الاوقاف ، واحدث ادارة عامة مهمتها « تنظيم الاوقاف بصورة تتلاءم مع المصلحة الحقيقيـة للامـة » .

وفى مصر كانت نظارات الاوقاف مبعثرة ، الى ان وحدها محمد علي تحت اشراف ادارة عامة ولكن الاصلاح لم ينجح ، الى ان اعاد الكرة الخديـوي عباس الاول ، الذي قصر اختصاصات الادارة المذكورة ، على مراقبة سير النظار ، واستعزال القاضي لكل من ثبت عليـه اهمال او رشوة منهم . وقد اسس الخديوي اسماعيل وزارة الاوقاف ، وعوضها الخديوي توفيق بادارة عامة ، تخضع للسلطان مباشرة ، ذلك مخافة تدخل انجليزي فى شؤون الوقف ، اذا ظل تابعا للحكومة ابان الاحتلال.

وقد اعيد نظام وزارة الاوقاف عام 1946 كمـا اصبح « المجلس الاعلى للاوقاف » متركبا من وزير الاوقـاف كرئيس ، وشيخ جامع الازهر ، ووزير الاشغال العمومية ووزير الصحة ، ووزير المالية ورئيس لجنة النزاعـات التابعة للدولة ونائب كاتب الدولة فى وزارة الاوقاف ، ومفتي مصر . وهذا المجلس هو الذي يتكفل بتحضيـر الميزانية ، وتقرير الاعتمادات والمصادقة على اعمـال الترميم والبناء والتجديد والاقتناء والبيع والعقود التي تزيد قيمتها على 500 1 جنيه . وللوزارة مصلحتان : فى مكة والمدينة لمراقبة احباس الحرمين ، وقد بلغت مداخيل الاحباس المصريـة 180 163 4 جنيـــه ومصاريفها 420 192 3 جنيه عام 1950 « فى حين ان مداخيــل الميزانيــة العامــة ومصاريفها تبلـغ 000 800 157 جنيه و 000 000 187 » وتتعهـد الوزارة ببعض المستشفيات وملاجىء العجزة والايتام ، حيث كانت تتبنى فى القاهرة وحدها 600 يتيم كمـا تخول منحا لطلبة الازهر ومنذ عـام 1943 اصبحت تقرض ذوي الحاجات بدون فائدة .

وفى سوريا تشرف على الوقف ثلاث هيئـات : هي الادارة العامة للاوقاف ، ومجالس منتخبة خاصة فى المحافظات والنواحي ، والمجلس الاسلامي الاعلى الذي يوجد مركزه فى العاصمة . امـا مجالس المحافظات ، فانها تتركب من ستة اعضاء فيهم عالم ، وتاجر ، وملاك ومتول ، ومهندس ، وخبير فني ، ومحام ، وكلهـم منتخبون . وقد بلغت ميزانية عام 1949 : 000 100 2 جنيه سوري « وهو يساوي 160 فرنكا » وقد منحت الدولة للاوقاف فى نفس السنة 000 544 جنيه .

وفى لبنان يوجـد وضع خاص ، نظـرا لتشعب الملل والنحل هناك . ولكن حكومة لبنان اقتبست عـام 1947 من النظام المصـري .

وفى الاردن تأسست عام 1946 ادارة مركزيـة للاوقاف مستقلة عن الهيئة المركزية للشؤون الدينية ، وهي تابعة لرئاسة الوزارة ، وهي تتركب من مجلـس اعلى ، ومدير عام ، ومراقب عام للحسابات ، وامين ، وموظفيـن ولجـان محليـة .

وفى العراق كذلك تشرف على الاوقاف هيئة يرأسها مدير عام ويعينه مفتش عام مكلـف بالشؤون المادية والادارية ، الا ان بجانب هـذه الادارة العامـة ، منظمة للاوقاف تتركب من مديرين محليين فى «14» ولاية ومامورين للاوقاف . وللاوقاف ميزانية خاصة

الأوقاف في العالم الإسلامي

للأستاذ: عبد العزيز بنعبد الله

عرفت الاوقاف فى العالم الاسلامي ازدهارا خاصا، ولعبت فى مختلف العصور دورا اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ، كان له اثره فى تكييف الاجهزة المسؤولة فى الدولة ، وتخفيف الوطأة الى حد بعيد على الميزانية العمومية .

ولن اتحدث فى هذه العجالة عن ماهية الوقف ، وتعريفاته القانونية ، واطاره الشرعي ، وما انير حول ذلك من خلافات تند احيانا عن روح الموضوع واهداف المشرع التي هي اهداف انسانية فى ذرائعها وغاياتها وانما اريد ان ارسم لوحة مصغرة عن المظاهر التي اتسمت بها هذه المؤسسة فى مختلف الاعصار والامصار الاسلامية .

واهم ما يسترعي نظرنا فى هذا الهيكل المحكم ، هو ان الوقف لم يتخلف تقريبا فى اقليم من الاقاليم التي غزاها الاسلام ، بمبادئه السامية ، وتشريعاته المثالية، فحتى فى اقصى بخارى والتركستان تفرعت الهيئات الحبسية ، وتضخمت مواردها طوال قرون ، الى ان انهزم التتر عام 1552 فاغتصب الروس هذه الاموال ، واستمرت الحال على هذا المنوال الى ان قرر الحزب الشيوعي عام 1921 تاميم الاوقاف ـ باستثناء ما يمس المساجد ـ وتسليم الاراضي الحبسية الى الفلاح المسلم وغير المسلم ، وتحظير كل وقف جديد .

وفى الافغان امم الامير عبد الرحمن الذي توفى اوائل القرن الميلادي الحالي قسطا كبيرا من الاوقاف ، وادرجها فى ميزانية الدولة ، واصبح الائمة المؤذنون يحتسبون اعمالهم لله بدون مقابل، الا اكتتاب المصلين، وتساهم الحكومة والبلديات فى تعهد المساجد .

اما فى اندونيسيا فانها تمتاز بظاهرتين اثنتين : **اولا** قلة الاوقاف العقارية نظرا لانعدام الملكية الفردية فى معظم النواحي، وشيوع ملكية الجماعة اوالقرية، بحيث لا يملك الافراد حق التوقيف . **ثانيا :** لا توجد ادارة مركزية للاوقاف .

وفى الباكستان تكثر الاوقاف خاصة فى القسم الشرقي الذي هو البنكال ، حيث يشرف رجال الافتاء على الاوقاف باعانة لجنة يشارك فيها مندوب عن الحكومة اذا كان الوقف مهما . ورجال الدين مستقلون عن السلطات العمومية ولا توجد اية هيئة مركزية تنسق المسائل الدينية ، والواقع ان دولة الباكستان الفتية ما زالت فى طور الاختمار والاصلاح فقد اصدر المجلس التشريعي فى البنجاب اوائل 1952 قانونا ينص على صرف ريع الاوقاف « لصالح التقدم والصحة وضمان انفاق موارد الاحباس فيما وضعت لاجله » .

وفى اليمن يرجع امر الوقف لبيت المال الذي يتحمل نفقات المؤسسات الدينية، اما الاوقاف المعينة للاضرحة فان عليها نظارا خصوصيين يعينهم جلالة الامام ويسمون « نظار التراب » .

وفى يوغسلافيا كانت الاوقاف خاضعة منذ الاحتلال النمسوي اي عام 1884 الى ادارة تتركب من مسيرين عن الحكومة ، ولجن استشارية ، وكانت الموارد تنفق بالاخص على المعاهد الدينية . على ان انقلابات شتى طرات فى العقود الاخيرة الى ان صدر فى 5 نونبر 1936 «دستور الجامعة الاسلامية» بيوغوسلافيا الذي ضمن الجالية المسلمة فى البلاد ، استقلالا دينيا يكاد يكون تاما داخل البلاد وخارجها، فاصبحت هذه الجامعة منذ ذاك تتصرف فى الاوقاف ، لها ميزانيتها المستقلة ، وادارتها الخاصة .

الاوقاف. وأقسامها وتنظيمها ودورها قديما وحديثا

الاوقاف في المملكة المغربية تحتل مكانة عظيمة وتشغل حيزا لا يستهان به في حياة المجتمع،وقد ازدهرت موٴسسات الاوقاف منذ عهد المرابطين والموحدين والمرينيين ، يدلنا على ذلك ما نجده في المدن العتيقة من المساجد والمعاهد الدينية والمدارس العلمية والمارستانات ، والذي يلقي نظرة على هذه الموٴسسات يجد ان الذين انشاوٴها استعملوا في تصميم بنائها وتنميقه كل ما يملكون من رغبة في الاتقان ، وحاسة فنية ، وهذا هو السر في بقاء هذه الدرر الفنية الرائعة الى هذا العصر رغم تقادم العهود

الاوقـــاف في المغـــرب

الاوقاف في المغرب تنقسم الى قسمين :

1) **الوقف العمومي** : وهو الوقف الذي بمقتضاه يتخلى شخص لفائدة موٴسسة دينية او اجتماعية عن املاك او عقارات ، وقد كان للملوك والامراء الحظ الوافر في هذا النوع من الاوقاف حيث كانوا يحرصون على تمتين عرى الدين في البلاد ، فبنوا المساجد والمعاهد والمدارس ، وحبسوا عليها املاكا عديدة مهمة تساعد على تسييرها ، وتقف دون تدهورها وتلاشيها ، وهكذا ازدهر الدين في البلاد وامتلأت المساجد بالمصلين وكثرت حلقات التدريس وتاسست الجامعات العلمية ، كجامعة القرويين التي تعد من اقدم جامعات العالم ، وكان الطلاب يتواردون عليها من كل حدب وصوب ، للكرع من معين العلوم الاسلامية ، كالحديث والفقه والاصول والتفسير والتوحيد ، او العلوم اللغوية كالنحو والصرف والادب

وقد اشار الموٴرخون الى طلاب مسارقة واوربيين تهافتوا على القرويين ايام كانت تدرس فنونا لها اتصال بالريضيات والحساب ، ومن هوٴلاء رجل تلقى دروس الهندسة في القرويين وادخل الارقام العربية الى اوربا وانتخب بعد ذلك بابا في روما

والشيء الذي يقف الفكر مشدوها امامه هو الدور الذي قامت به الاوقاف في البدية حيث كانت توجد نوع من الالتزامات قريبة الشبه بالتعقيب الحبسي ، انفق ريعها الطائل في تنظيم مدارس ومعاهد في اعماق البادية جنوبا وشمالا ، وقد بلغ عدد هذا النوع من المدارس في الجنوب وحده نحو المائتين ، كان يتخرج منها منذ القرن الخامس الهجري الاف العلماء في مختلف الفنون ممن كان لهم صدى في الميدان الفكري داخل المغرب وخارجه ، ولم يبق من تلك المدارس الا نحو الثلاثين ، وهي في حالة تدهور وتبعثر ، ونحن نعتبر بعث هذا النوع من الدراسات الاسلامية في اعماق البادية وسيلة فعالة لاحياء التراث الاسلامي وتحقيق النهضة الروحية التي تعتبر السند الجوهري والدعامة الاساسية لكل تطور وارتقاء على اننا نفكر ايضا في توسيع نطاق الحركة العلمية الاسلامية العربية حتى في المدن التي تقلصت فيها الدراسات الاصلية حتى اصبح المغرب في طريق فقدان الاطار الصحيح للاشراف والتسيير في ميادين حيوية شتى

وتاسست المدارس لايواء الطلبة الافاقيين ولعبت الاوقاف في هذه الحقبة من تاريخنا دورا اساسيا حيث

تصادق عليها البرلمان مثل الميزانية العامة . وقد بلغت ميزانية الاوقاف 000 472 دينار عام 1951 بينمـــا بلغت الميزانية العامة 25 مليون دينار .

وفى ايران توجد بوزارة المعارف ، ادارة عامـــة للاوقاف ، وفى الاقاليم والولايات مديرون . وتندرج ميزانية الاوقاف فى ميزانية المعارف العمومية ويراقبها المفتشون العامون التابعـون لهذه الوزارة .

اما فى المغرب العربي ، فان الانظمة تتسم كذلك بطوابع خاصة ، ففي طرابلس توجد ادارتان جهويتان للاوقاف ، وفى كلا الاقليمين ، مجلس يتركب من رئيس وثلاثة مستشارين، ومدير، تعينهم السلطات الحكومية بعد استشارة القاضي ، وتتصرف هـذه المجالس فى شؤون الاحباس تحت مراقبة المحاكم الشرعية ، ولكل مجلس ميزانية مستقلة ، تصادق عليها الحكومة وتراقب تنفيذها مصالح الماليــة الحكوميــة .

وفى الجزائر «الشمالية على الاخص» ادمجت الاملاك الحبسية ضمن املاك الدولة بعد الاحتلال ، واصبحت الدولة الفرنسية تعتبرنفسها الوارثالنهائي الذيترجع اليه الاوقاف المعينة بعد اندراس المعقب عليهم . ورغم ما تقرر عـــام 1947 من فصل الشؤون الدينيـــة عـــن شؤون الدولة ، فانه لم يحدث لحد الان اي جديد فى الموضـــوع .

وفى تونس ادمجت الاوقاف فى ميزانية الدولة بعد اعلان الاستقلال وكانت ادارةالاحباستتركب من مجلس اداري وادارة مركزية ، وادارة محلية ومتصرفيـــن في الاوقاف . والكل يخضع لمراقبة المجلسالاعلى للاحباس

وكان يشرف على الادارة الحبسيـــة منذ 1944 رئيس المجلس الاداري ، الذي يعينه نائبان ، احدهمـا يسير المصالح الادارية ، والاخر المصالح المالية ، وينقسم الجميع الى عدة مكاتب ، مثل المكتب العقاري ، ومكتب النزعات ، ومكتب التسيير ، ومكتب الزياتين ، ومكتب الاحباس المعينة ، ومكـاتب الحسابات ، والميزانية ، والاحصاء والتوزيع والاصلاحات والترميمات .

وكانت الادارة المحلية تحتوي على 14 مفتشا او نائبا يمسكون سجلات الاملاك الحبسيـــة .

ومن هذه العجالـة ، تتضح الاهمية القصوى ، التـــي تتسم بها الاوقاف فى مختلف مناحي العالـــم الاسلامـــي .

عبد العزيـز بنعبد اللـه

ولما فرضت الحماية على المغرب سنة 1912 اعترف للاوقاف باستقلالها في صلب المعاهدة نظرا لصبغتها الدينية حيث نصت هذه المعاهدة على ان فرنسا تلتزم باحترام المؤسسات الدينية كالاحباس ، وقد جاء في الفقرة المتعلقة بذلك ما نصه : (وتحفظ بهذا النظام الحالة الدينية ومراعاة العوائد المخزنية وقيام دين الاسلام ومؤسساته الدينية وبالخصوص ما يرجع لجانب الاحباس من هذا القبيل)

وقد ظهرت في هذا العهد عدة ظهائر لتنظيم الاحباس اهمها ظهير 26 يونيو 1913 الذي نص على تاسيس ادارة الاوقاف التي تعمل تحت اشراف جلالة الملك للنظر في جميع شؤون الاحباس يعينها في ذلك مجلس من العلماء وتتفرع هذه الادارة عن المصالح المحلية للنظار والمراقبين المغاربة والذي يتصفح النصوص التشريعية والضوابط التي صدرت في هذا العهد يتبين انه لا يوجد من بينها ما من شانه ان يعطي اي حق لتدخل الادارة الفرنسية في شؤون الاوقاف او يبرر اي تصرف من طرف هذه الادارة في توجيهها العام

الا انه جريا على عادة الحكم المباشر ونزع السلطة الفعلية من يد الدواليب المخزنية فان الاقامة العامة سرعان ما انساقت مع ميولها الطبيعية في هذا المضمار وكونت بادرة الشؤون الشريفة قسما خاصا بمراقبة الاحباس اطلقت عليه اسم مراقبة وزارة الاوقاف وجعلته موازيا لهذه الوزارة ، وقد تسرب موظفو هذه الادارة شيئا فشيئا الى جميع ميادين الوزارة حتى اصبحت لهم بعد قليل اليد الطولى في شؤون الاوقاف العامة والخاصة وصار لا ينجز اي امر مهما كان شانه الا بعد موافقتهم عليه خصوصا وان ميزانية الاوقاف اصبحت تحت تصرفهم بحيث لا يمكن للوزير ان يقرر اي اتفاق او ينفذ اية حوالة الا بعد تاشير المراقب العام ، كما ان الادارة الفرنسية اصبحت تتدخل في تعيين موظفي الاوقاف وحتى الساهرين منهم على اقامة الشعائر الدينيـــــة

وهناك جانب من نشاط الوزارة احتكرته الادارة الفرنسية احتكارا تاما وهو الجانب المتعلق بالتصميم والبناء حيث ان المهندسين الفرنسيين هم الذين يقومون وحدهم بوضع التصميم الهندسي للبناءات الحبسية ويضعون تقويمها ويشرفون على انجازها وينفذون المبالغ المالية للمقاولين المكلفين ببنائها وكثيرا ما يقوم بعض المهندسين بتجارب يصفونها بانها فنية لاحياء تقاليد القرون الوسطى في البناء على كاهل مال الاحباس مما يؤدي احيانا الى البناء ثم النقض ثم اعادة البناء دون اية مراقبة ولا وازع ، ويكفي ان هذا النوع من الهندسه استهلكت في محكمة بشا الدار البيضاء ما يزيد على 300 مليون فرنك ، ومن حسن الحظ ان المهندس حبسي ، ولكن المال من غير مال الاحباس

ويجدر بنا هنا ان نذكر ان الاوقاف انجزت خلال هذا العهد بنايات عديدة للسكنى والتجارة في مختلف المدن المغربية ، وانها شيدت خصوصا في عهد صاحب الجلالة محمد الخامس رضوان الله عليه مساجد عظيمة تجلى فيها فن الصناع المغاربة ومهارتهم كالمسجد المحمدي بالدار البيضاء وغيره

وقد وقع تحويل هذه المنشئات المعمارية من المعاوضات التي قامت بها الوزارة ولا شك ان هذه المعاوضات ان ساعدت في بعض الاحيان على القيام بمشاريع معمارية مهمة ، فان بعضها وقع فيه حيف واجحاف للاحباس حيث ان عددا عديدا من القطع الارضية الواقعة في اهم شوارع المدن المغربية وقع تفويتها ، ولو بقيت للاحباس لتضخمت ثروتها اضعافا مضاعفة

ومن ناحية اخرى فان المهندسين الساهرين على وضع التصميمات المعمارية لا يتبعون روح العصر في عملهم ويجتهدون في المحافظة على الاساليب البالية التي تنقصها الاناقة والاقتصاد في المصاريف واستغلال البقعة بكيفية منطقية ، ومن المهندسين من كون لنفسه سمعةفنية على حساب الاحباس تاركا وراء ظهره المصلحة الحقيقية للاوقاف

اما الاملاك الفلاحية فانها تكون ثروة هائلة منبثة في جميع انحاء القطر ، وتتكون هذه الاوقاف من الاراضي الزراعية ومزارع الزيتون والبرتقال والاشجار المتنوعـــــة

هذا وان الاوقاف ان وقع تنظيمها من الناحية الادارية والفنية وزادت في قائمة املاكها بنايات

كانت تنسق اعمال القائمين بالشعائر الدينية والمكلفين بالسهر على حفظ وازدهار الثروة العلمية الاسلامية والقائمين بشؤون الاسعاف

2) الوقف الخاص او الوقف المعقب :

هذا النوع من الاوقاف من الاملاك المحبسة على اشخاص معينين ، ولا يكون الحق للاوقاف العامة في التمتع بها واستثمارها الا بعد انقراض اخر شخص من الاشخاص الذين حبست لفائدتهم

هذا ونجد ان الدولة العلوية اجتهدت منذ نشاتها في تنظيم الاوقاف ، وسلوك طريق التبصر في السهر على املاكها واستثمارها ، وكانوا في بداية الأمر يعتبرون النظر في شؤون الاحباس من اختصاص القضاة الشرعيين فكان النظار في الحقيقة يسيرون الاحباس تحت اشراف ومسؤولية القضاة ، وقد اهتم المولى اسماعيل بكيفية خاصة بتنظيم الاوقاف ، فامر النظار في جميع انحاء البلاد باحصاء الاوقاف وتسجيلها في دفاتر خصوصية تكون وثائق قانونية وتاريخية ، فكان من هذه الوثائق ما يسمى بالحوالات الاسماعيلية

وفي عهد المولى عبد الله كانت النظارة العامة للاحباس من الوظائف العليا في الدولة المغربية ، وكان يطلق عليها اسم نظارة على نسق امانة الامناء ، وهي وزارة المالية وقاضي القضاة الذي كان عبارة عن وزير العدل ، ونذكر هنا على سبيل المثال ظهيرا اصدره المولى عبد الله سنة 1143 اسند به ولاية النظارة العامة الى احد الافراد المخلصين النزهاء ، ونص هذا الظهير : (كتابنا هذا اسماه الله واعز نصره وخلد في دفاتر المجد امره وذكره بيد خديمنا الارضى الاخير الاقرب السيد بلقاسم المسطاسي ، ويتعرف منه بحول الله وقوته وشامل يمنه العميم ونصرته اننا جددنا له به ما كان عليه من النظارة في امور الاحباس في جميع الاقطار والمدن والبلدان والقرى والمداشر وبسطنا له اليد الطولى على جميعهم بحيث لا يقصر عن البحث والتفتيش في الادنى والاقصى وجعلناه العوض منا في ذلك ، واني بفضل الله تعالى وقوته اقمته هذا المقام على مر الليالي والايام فعليه بتقوى الله ومراقبته في سره وعلانيته وعليه بمحاسبة النظارة واهل التصرف في هذا الامر حتى يترك من اراد ويولي من اراد ومنا اليه في التقصير وعلى الله المعول وهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير ، وفي منتصف جمادى الثانية عام ثلاثة واربعين ومائة والف)

ومن هذا الظهير يتضح لنا ان وزارة الاوقاف كانت موجودة منذ بداية عهد الدولة العلوية وانها كانت مشرفة اشرافا تاما على جميع الاوقاف وانها كانت تقوم بمحاسبة النظار وتنسيق عملهم ، وقد كان عدد النظار كثيرا في هذا العهد حتى انه كان في بعض النواحي لكل وقف ناظر الا ان الملك سيدي محمد بن عبد الله قرر جمع اوقاف كل مركز من المراكز في يد ناظر واحد او ناظرين وذلك لتيسير حراستها

ومما هو جدير بالذكر في هذا المضمار ان المولى عبد الرحمن اصدر امره بمنع المعاوضة في الاوقاف منعا كليا وذلك خشية منه لما يمكن ان يقع من تلاعب بالاملاك الحبسية ، وقد اقر ذلك ابنه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن واصدر امره الى مندوب الخارجية بطنجة لتطبيق منع المعاوضة بذلك الثغر

ويمكننا ان ناتي بعدة امثلة لابراز مقدار اهتمام ملوك الدولة العلوية بالاوقاف واعتبارهم اياها تراثا خاصا لجماعة المسلمين حتى ان الممثلين المغاربة في مؤتمر عقد الجزيرة تلقوا تعليمات من جلالة السلطان لعدم تسجيل قضية الاحباس في جدول اعمال المؤتمر ، وقد اثارت هذه القضية اخذا وردا لان فرنسا ارادت ان نسحب تدخل الدول حتى في هذا النوع من التراث الذي شعر الجميع بانه يتصل بالعروق النابضة في مختلف ميادين الامة الحيوية

وكان الملوك يخصصون مداخيل الاوقاف واوفارها للقيام بشعائر الاسلام وتعليم الدين ومواساة البؤساء والغرباء . فكانت تنفق على المساجد والمدارس والملاجيء والمارستانات واحيانا ينفق منها على تحصينات الثغور وانارة الدروب وتنظيف الشوارع وتوزيع المياه العذبة وكانوا ياذنون بالانفاق من احباس جهة على جهة اخرى متى كانت المصلحة الاسلامية تقتضي ذلك ولا سيما اذا طالبت به جماعة المسلمين ، وكانوا فوق ذلك كله ينفقون من بيت المال الذي هو مال الرعية على كل ما يصلحها ويصون دينها من الانحلال والبوار ، وهكذا بنيت المساجد والمدارس ، ورمم المتداعى منها ، ووضعت الاوقاف في حصن حصين تسهر عليها عين الدولة وتمنع من ان تعبث بها الايدي

الاصلاح الاداري للوزارة

لقـــد استلزم تركيـــز المسئولية في الوزارة ، وانتزاعها من سلطات المراقبة ، اعادة النظر في اساس النظام الذي كان العمل جاريا به قبل تسليم مفاليـــد هذه الوزارة

ولقد ادخل اسلوب عصري بعد الاستقلال على جميع المرافق الجديدة لوزارة الاوقـــاف التي ورعت الى اقسام مختلفة يشرف عليها رؤساء مسئولون في التحرير والحسابات والتصميم والبنـــاء والهندســـة والمراقبة الفعالة للموظفين المحليين .

ا ــ مراقبة المداخيل وضبطها :

عملت الوزارة منذ اعلان الاستقلال على صيانـــة ممتلكات الاحباس وحفظ ماليتها ، اذ هـــذه الماليـــة تتكون مما يتحصل من مستفـــاد العقـــارات المبنية والاراضي ، والغلل الحبسية

ونظرا لتشعب طريق هذا المستفاد فقد اهتمت الوزارة منذ نشأتها بدراسة مختلف الوسائل الكفيلة بتحصيله على الوجه المطلوب ، وكان من نتيجة ذلك ان توصلت الى وضع نظام محكم يضبط المداخيـــل ويراقبهـــا مراقبة دقيقـــة

وقد انشيء قسم جديد يحمل اسم : (ضبـــط المداخيل ومراقبتها) لتطبيق هذا النظـــام بكيفيـــة مستمرة مستديمة مضبوطة ، وعهد اليه بالسهر على تطبيق التنظيمات المقررة لضبط المداخيل ومراقبتهـــا كما تتضح بيان ذلك في الجدول الآتي :

المصاريـــف	المداخيـــل	السنه
6.065.059ر54	6.578.131ر55	1955
5.778.654ر63	8.018.064ر98	1956
10.783.762ر80	10.191.705ر10	1957
11.517.164ر80	12.844.567ر94	1958
12.083.520ر60	11.788.281ر52	1959
13.867.549ر17	12.865.242ر83	1960
12.303.971ر59	13.618.477ر94	1961
13.344.105ر61	14.122.339ر58	1962
14.027.531ر98	15.166.371ر79	1963
14.308.518ر60	14.885.814ر84	1964
16.436.000ر00	16.436.000ر00	1965
130.515.769ر32	136.514.998ر07	

فهذا الجـــدول يتضمن مداخيل ومصاريـــف الميزانية الخاصة بوزارة الاوقاف من سنة 1955 الى متم دجنبر 1965 ، ويتجلى من خلال دراسته التطور التصاعدي الذي عرفته هذه الميزانية والتقـــدم الهام الذي تنطق به هذه الارقام .. رغم ازدياد المصاريف التي ترتفع ارتفاعا مستمرا ، والتكاليف الجديدة التي تتعلق بالتجهيز والزيادة في اجور الموظفين .

ب ــ احداث اطار اداري للنظار :

من جملة الاصلاحات التي تم ادخالها على الجهاز الاداري بالنظارات اي الاجهـــزة التي تهتم بالمصالـــح الخارجية التابعة للوزارة الغاء العمل بنظـــام اجـــرة القبض بالنسبة للنظـــار .

واجرة القبض نظام عتيـــق اصبح في العهـــد الجديد المنظم لايتلاءم مع الانظمة العصرية الادارية .

وقد درست هذه القضية من جوانبها المختلفة ، وتوجت، باعداد اطار جديد للنظـــار روعيت فيـــه صالحهم ، وكفل لهم سائر الحقوق التي يتمتع بهـــا موظفـــو الدولـــة .

وعمارات جديدة فانها لم تقم بالمهمة الحقيقية التي است من اجلها قياما تاما حيث ان جل ميزانيتها ينفق على موظفي التسيير بينما الموظفون الدينيون كالائمة والخطباء والوعاظ والمؤذنين ومقرئي الحزب والمنظفين الذين يتقاضون اجورا رمزية لا تتفق مع كرامة مهمتهم الدينية والانسانية ، وهكذا لما استلمت وزارة الاوقاف مهمها في هذا العصر الجديد وجدت نفسها امام سلم منمق مزركش يؤدي الى ابهاء خربة متداعية تحتاج الى التدعيم والاصلاح ، وتستلزم مقدارا عظيما من الروح الدينية والانسانية لارجاع الامور الى نصابها وتنفيذ ارادة المحبسين الاجلاء الذين حينما خرجوا عن املاكهم للمصلحة الاسلامية العامة كانت تحدوهم في ذلك عاطفة دينية متأججة وكانوا يحرصون قبل كل شيء على ان يبقى الدين يؤدي رسالته الخالدة على الوجه الاكمل ولذا فان الوزارة جادة في انهاء اعداد برنامج عام للعمل ياخذ اساسه من استغلال ثروة الاوقاف استغلالا واقعيا وعصريا وتنمية هذه الثروة حتى تتمكن هذه الوزارة من اداء مهماتها الدينية والاجتماعية وتصير قادرة على المساهمة في النهضة الاسلامية والاقتصادية التي يتطلبها الشعب المغربي في هذا العهد الجديد

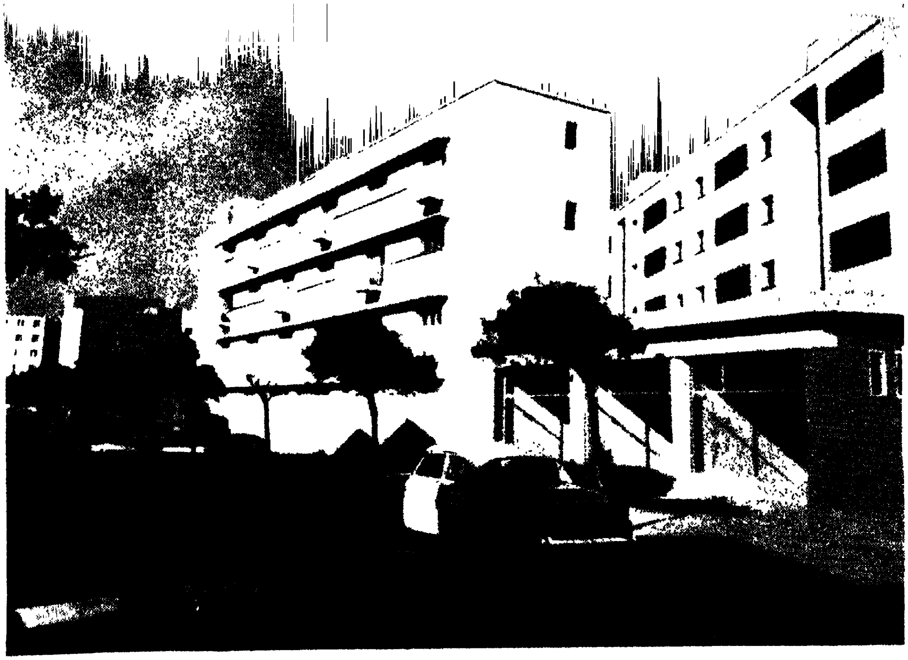
وللوصول الى هذه الغاية قامت الوزارة بدراسة للضوابط الحبسية الموجودة فرات انه من بين هذه الضوابط ما يجب الاحتفاظ به ومنها ما يجب تعديله وبالفعل اصدرت عدة منشورات تتعلق بالخصوص بمسطرة انجاز اعمال البناء واجراء السمسرات العامة ، وهي جادة في هذا الدور الاستطلاعي في وضع الخطوط الرئيسية التي يجب ان يرتكز عليها نشاطها ، وهذه الخطوط الرئيسية يمكن ان نلخصها في النقط الاتية :

1) النشاط الديني : لايخفى ان نقطة ارتكاز نشاط وزارة الاوقاف تتجسم في اقامة السعائر الدينية وجعلها تؤدي المهمة التي يفرضها الانبعاث الروحي في البلاد فقد ان الاوان ليخرج المغرب من غفوته وينهض من كبوته ويفهم الناس الدين على حقيقته ويجرد مما علق به من خرافات المشعوذين واباطيل الدجالين ، وتظهر مزاياه الكامنة في مبادئه السامية ولا ينسنى ذلك الا باسناد مهمة الوعظ والارشاد والامامة والخطابة الى رجل يمثلون الفضيلة ويتوفرون على مواهب يمكن ان تنبثق منها وسائل هذا الانبعاث المقصود ومما لا شك فيه اننا اذا كنا نطلب من الوظيفة الدينية ان تؤدي رسالتها المثلى فعلينا ان نرفع من المستوى الاجتماعي للقائمين بهذه الوظيفة ولا نتركهم يتقاضون اجورا لا تسمن ولا تغني من جوع ولا تتفق وكرامة الدين والانسانية ، ولذا فان الوزارة جعلت على راس قائمة مشاغلها اعدة النظر في امر هذه الاجور ورفعها الى مستوى يكفل الحياة لاصحابها ويجعلهم يحتلون رتبة اجتماعية محترمة

2) النشاط الاجتماعي : الى جانب النشاط الديني فكرت الوزارة في خلق عمل اجتماعي جديد تضيفه الى الاعمال الموجودة الان في هذا الميدان

ومن جملة الاعمال التي تسترعي اهتمامنا احياء تراث الاحباس الفكري وذلك بنفض الغبار عن الصكوك والحوالات الحبسية والمخطوطات القديمة فهذه الاثار تكون مادة غزيرة للتاريخ ويمكن باخراجها الى الوجود ان نزيح اللثام عن بعض الجوانب الغامضة في تاريخنا اذ ان اسلوب البحث التاريخي الحديث يستلزم تصفح مثل هذه المستندات التي يكون لها في غالب الاحيان اتصال بالحياة الواقعية الملموسة ويكون الواضعون لها لم يقصدوا منها توجيها او دعاية وبعلمنا هذا نكون قد ادينا للبلاد خدمة جليلة وساهمنا في احياء التراث الاسلامي المجيد ، وقد اسسنا مكتبا للمخطوطات والصكوك الحبسية عمل على تركيز وتسيير الخزائن الوقفية في جميع ربوع المغرب واخذ صور للكتب النفيسة النادرة من اجل تحقيقها وطبعها

* * *



عمـــارة
ســـارع مدغشقـــر
بالربـــاط



عمـــارة ساحـــة
16 نـــوفمبـــر
بـــالبيضـــاء
الـــذي يجـــري العمـــل
فـــي انشائهـــا حـــاليا

التصميم والبناء والفلاحة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

غايـــة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية رفع المستوى الروحي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي للبلاد ، وهـــي اعمال تتطلب المال

وميزانية وزارة الاوقاف كانت فيبداية الاستقـلال ليست كمـــا يتصورها الكثير ، فمداخيلها محدودة لا يمكـن ان تفي بجميـع الاغراض والمقاصــد والتي تحتاج الى اعتمادات ضخمة ، وهي فـيذات الوقت تريد ان تستثمـــر مواردها احسن استثمار ، وان تجـــدد اسلوبهندستها المعمارية حتـى توفـــر للطبقة الكادحة بناء احياء تتوفر فيهــا الاناقـــةوالبساطة ورخص الاثمان .

وكانت الوزارة ـ ولا زالت ـ ترمي الى هدفيــن :

أ ـ تشغيل اليد العاملة المغربيـــة ، وذلك بفتح اوراش حبسية لتشييد احياء انيقة رخيصة الثمن للعملة انفسهـــم ، ولباقي افراد الشعب المعوزين ، وبنـــاء عدد كثير من المساجـد

ب ـ بناء عمارات حديثة عصرية ، وذلك باستغـــلال الاراضي الحبسيـــة الشاسعة الموجودة في المدن ، ولا سيمـــا منها الدار البيضاء

ولا شك ان هذه الوسيلـــة كانت ناجعة وفعالة في رفـع مستوى اجـــور الموظفين الدينيين ، وتشغيل واسكـــان الطبقات الكادحـــة وترويج الحركـــة الاقتصادية في ميدان البنـاء

ويمكـــن ان نقسم هذا الباب الى اقسام ثلاثـــة :

1) تملك العقـــارات واصلاحهـــا.
2) في الميـــدان الفلاحـــي .
3) المساجــــد .

تملك العقارات واصلاحها

أ) تملك العقارات واصلاحها :

منذ قيام وزارة عموم الاوقاف في فجر الاستقـلال وهي تسعى جاهدة لتنمية مواردها ، لتحقيق المشاريع الضخمة التي كان يتطلبها العهد الجديد حتى تصبـح قادرة على مجابهـة المصاريف التـي ترتفع ارتفاعـا مطردا تتعلق بالتجهيز والتوظيف

وقد قامت الوزارة ببناء امـلاك جديـدة واشترت عقارات جاهزة مهمة في مختلف المدن ، بل ان الوزارة بادرت كذلك الى بناء عدد لا يستهان به من المساجد ، والعمارات والحمامات ، والمخازن التجارية ، وقـد رصدت لكل ذلك اعتمـادات ضخمـة تقدر بعشـرات

الملايين من الدراهم ، تساهم بذلك في خلق جو من الحركة والنشاط الاقتصادي ، وتنشيط حركة مواد البناء من جهة ، وبتشغيل اكبر عدد ممكن من الايدي العاملة في اوراش متعددة للعمل

ويشرف على هذه الاعمال قسم التصميم والبناء الذي كلف بالنظر في جميع المسائل المتعلقة ببناء الاملاك الحبسية او الواقعة تحت رعاية الاحباس واصلاحها وترميمها وتزويدها بالماء والكهرباء كما انه يعطي رايه في جميع التصميمات التي تعرض على الوزارة من طرف مساعديها المهندسين

ويشرف ايضا على انجاز اعمال البناء والترميم والتجهيز ، سواء تناولت المساجد او اماكن السكنى والمخزن التجارية والحمامات والافران ، وسائر الموسسات العمومية الحبسية

وهكذا فقد انشئت عمارات وقرى واهراء منذ عهد الاستقلال الى متم سنة 1965 تدل على عناية الاوقاف بتوظيف اموالها وصيانة رباعها حفظا لها من التلاشي والاندثار

فقد بنت في الرباط مقر الوزارة الذي يقع بالمشور السعيد ، وشيدت عمارة ضخمة تقع بحي مدغشقر ، وبنت نزل كابتول

وفي الدار البيضاء عملت على تشييد قرية بوزنيقة التي تشمل على 26 محلا للسكنى ، وعمارة مهمة بنهج سيدي عقبة كما انشأت اهراء تقع بشارع الجيش الملكي ، وبنت عمارة جد مهمة تقع بساحة 16 نونبر .

اما في مكناس فقد بنت مجموعة من المساكن والمتاجر بالمرس ، وفي فاس عمارة بحي الاندلس ، وفي الناظور قرية الاحباس التي تشتمل على عدة مساكن ، وكذلك في مدينة الحسيمة التي بنت الوزارة بها قرية تشتمل على ما تحتاجه القرية من مرافق حيوية بالنسبة للسكان

اما الاملاك التي اشتريت منذ الاستقلال ، واقتنتها الوزارة قصد تنمية مداخيل الاحباس العامة والخاصة ، فقد تبلغ عدة عقارات مهمة تقع في مدن مختلفة ونذكر منها بمدينة :

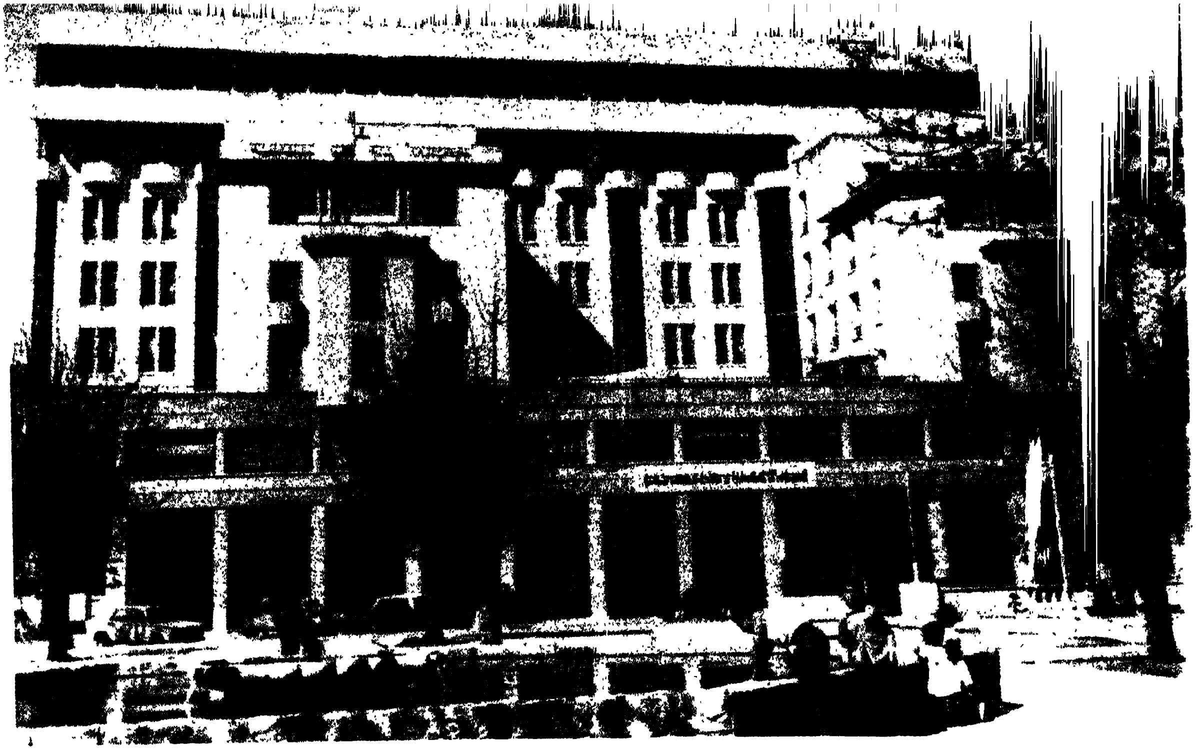
فاس : وبها ست عمارات ، لفائدة النظارات التي تشمل القرويين ، والمارستان ، والحرم الادريسي ، وفاس الجديد ، والقبائل التابعة لعمالة فاس

الرباط : بها اثنا عشر عمارة ، منها ما هو للاوقاف ، ومنها ما هو للمعقب ، او لاحباس الضعفاء

مراكش : به عقار مهم لصالح صغرى مراكش

مكناس : به عمارتان لصالح كبرى مكناس

وتضمن هذه العمليات الانشائية والعمرانية التي تقوم بها الوزارة ميزانية تتناسب وما تتطلبه التكاليف والاعباء التي اصبحت تجابه الوزارة امام متطلبات الحالة الاقتصادية الحالية



المنظر الرئيسي لعمـــارة الأوربـــاي بالمدينة الجديـــدة
بفـــــاس



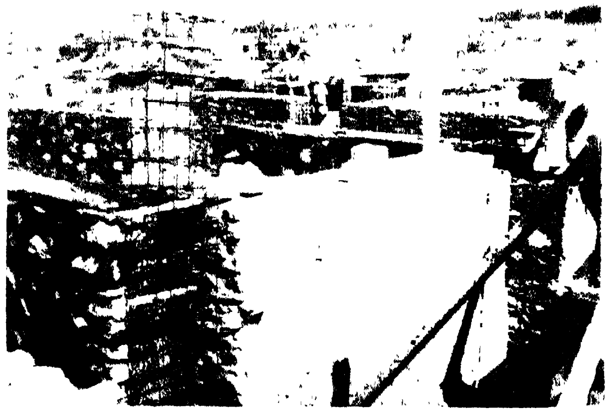
عمـــــارات
مـــدغشقـــر
بالربـــاط



منظـــر لعمـــارة
ســـويقـــة
الانـــدلـــس



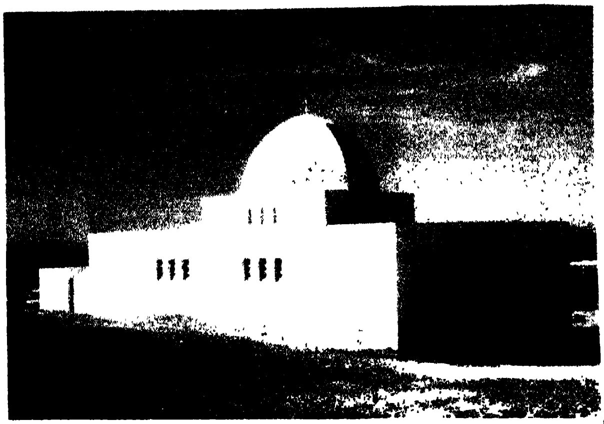
الواجهـــة الرئيسية لعمـــارة
شـــارع الحسن الثانـــي
بالمدينـــة الجديـــدة بفـــاس



حمـــام ننجزه الوزارة قريبـــا

منظـــر لعمـــارة سويقـــة الاندلس
بفـــــاس





حمـــام حـــي الصفـــا

قبة حمام حي الصفـــا

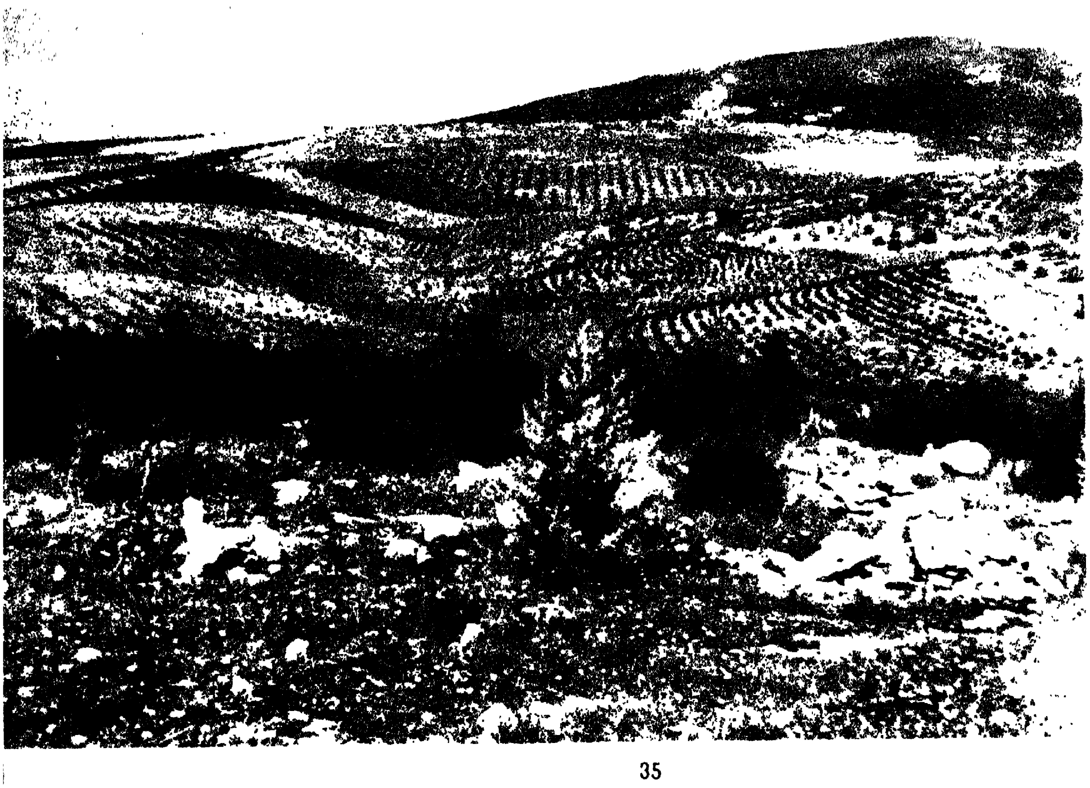




منظـــر لعمـــارة سويقـــة
الانـــدلس بفـــاس



نتائج عمليات السقي والحرث بين الاشجار
والتحقم بمغارسة جنان امصنجي بمراكش



غرس
اشجار
الزيتون
بزرهون

في الميدان الفلاحي

ب في الميـدان الفلاحـي :

لقد أولت الوزارة منذ قيامها في فجر الاستقلال عناية خاصة في الميدان الفلاحي ، اذ الاوقاف تتوفـر في جميع انحاء المملكة على احسن الاراضي واجودها، علاوة على الفراسات النربة التي تشغل اراضي خصبة شاسعة كما شاركت في مشاريـع ازدهـار البادية المغربية وذلك بتشغيل اليد العاملة في البادية المغربية، لتوفيـر الانتـاج ، وتيسيـر المعيشـة ، وترويج النشاط والحركة التي تضمن للعائلة الفقيـرة دخلا محترما يقيها عاديات الدهر ومصاعبه ، وبهـذه المشاريع الفلاحية تخف وطأة الهجرة الوافدة الى المدن التي اصبحت تكتظ بالمهاجرين المدقعين واولادهـم الذين ينسربون اليها ، فيتخـذون الفقـر تجارة ، والتكفف حرفـة ، ويصبحون عالـة على المجتمع ، يتسكعون في الطرقات ، يذرعـون الشوارع جيئـة وذهابا ، وعلامة البؤس والفاقة بادية على وجوههـم ، يتكففون المارة باسمالهم الباليـة ، واطمارهم الرثـة الممزقة ، وامعاؤهم تتضور جوعا ، وتتلوى الما وحرمانا

ونتيجة لتشغيل اليد العاملة في الاراضي الحبسية الفلاحية بالبادية المغربية تزدهـر البادية ، ويحيـى موانها ، وتستوي سوقها ، وتصبح مروجها خصبـة ممرعة يانعة ، منضورة الجنبات .

والاقسام الفلاحيـة للاراضي الحبسية تنقسم اقساما ثلاثـة : 1) البـورية . 2) السقـوية . 3) الغابـات

وتستعمل الوزارة الوسائل الفنية الحديثة تحت اشراف خبراء ملحقين بالنظارات التابعة للوزارة .

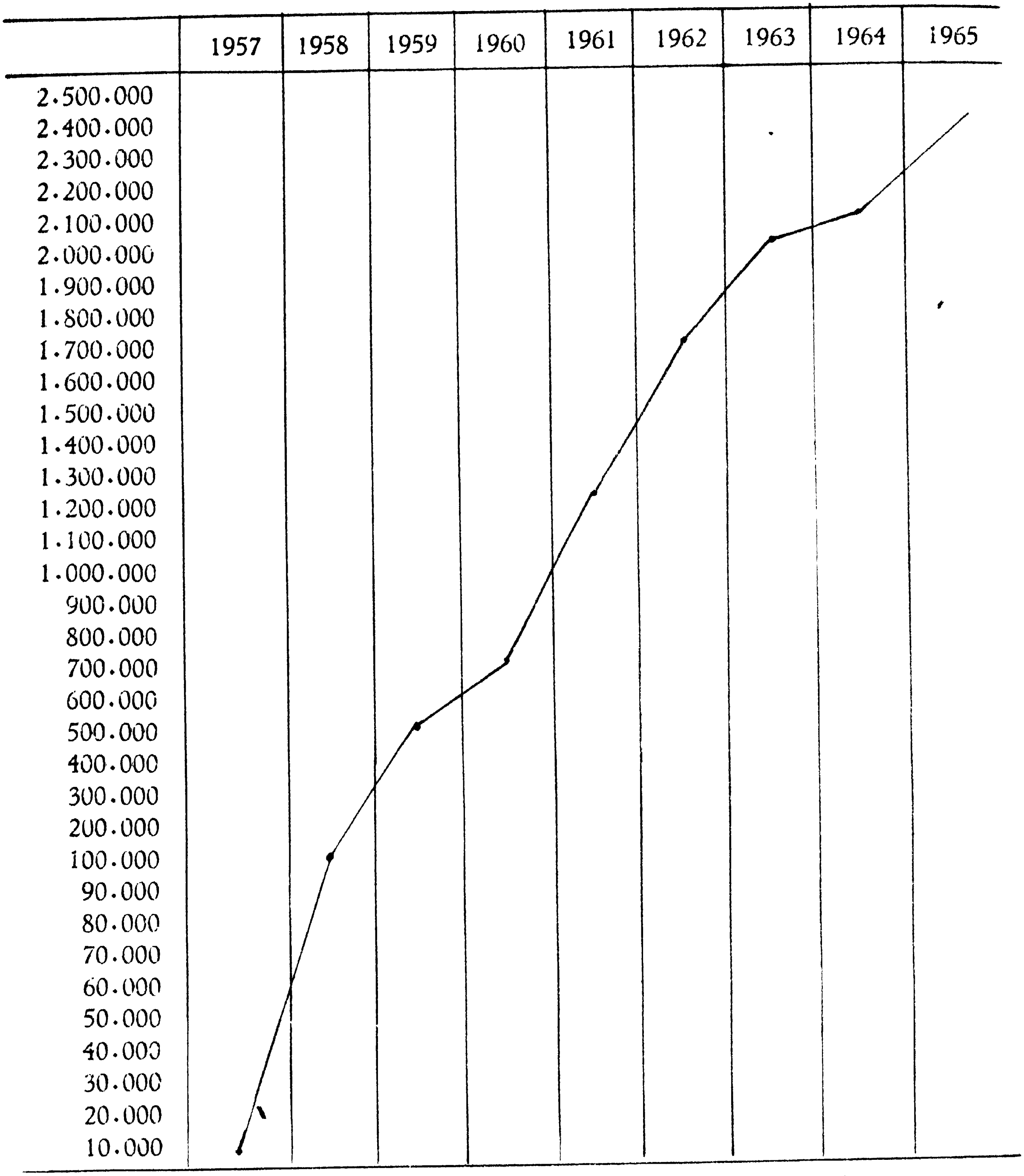
وقد نهجت الوزارة طريقة المفارسـة ، وذلك باعطاء قطع من اراضيها الفلاحية لبعض المزارعين الذين ثبتت كفاءتهم لديها وقدرتهم على الاستثمار والانتـاج بل قد تذهب الوزارة بعيدا مع هـؤلاء المزارعيـن ، فتملكه ـ مكافأة له وتشجيعا لغيره على تنمية ثـروة الاحباس الفلاحية ـ جزءا من رقبة الارض نفسها قد يبلغ ثلث القطعة او اكثر . .

ونظرا لعدم احصاء الاراضي الحبسية قبل عهد الاستقلال فقد قررت وزارة الاوقاف في سنة 1962 القيام باحصاء عام لجميع الاراضي الحبسية ، وذلك بالتعاون مع وزارة الداخلية والفلاحة والمالية ، وتقدر المساحة الكلية لجميع الاراضي الحبسية : 90.000 هكتارا في ضمنها الاراضي المحتلة من طرف الجماعات، والتي تكرى بثمن رمزي لايتعدى في غالب الاحيان درهما لكل هكتار وتقدر مساحتها بـ 17.232 هـ ، اما مجموع القطع الخالصة للاحباس والتي تستغل مـن طرفهـا فيقدر بـ : 130.000 قطعة .

وتتلخص نتائج هذه العملية التي انتهى العمل بها آخر سنة 1963 فيما ياتي :

المساحـة الكلية باستثنـاء الاراضي المحتلـة مـن طـرف الجماعـات	المساحة المحتلـة من طـرف الجماعـات	المساحـة الكليـة باضافة الاراضي المحتلـة مـن طـرف الجماعـات
72.768 هـ	17.232 هـ	90.000 هكتـار

وهكذا فقد اعطت الوزارة من اجـل تنميـة المداخل عنايتها الكبرى لاصلاح الاراضـي بالغـرس والتشجير ، وقد ازداد عدد الاشجار من سنة 1957 الى سنة 1965 زيادة هامة ويتضح من الخط البياني مدى الجهود المبذولة فى هذا الصدد :



وقـد كرست الوزارة جانبـا من اهتماماتها ، فانشـأت فى اراضيها غابات واسعـة مـن اشجـار الكالبتوس والصنوبر . تحت اشراف وبمعونـة ادارة المياه والغابات التي وجدت فى الوزارة خير متفهـم لفعالية وجدوى مشاريعها الرامية لصيانة الاراضـي وحفظها من التآكل والاندراس تحت تاثير السيـول



مغارسة
نيابة
شيشاوة
بضوحي
مراكش



مغارسة
ارض
الشعبية
بضواحي
مراكش



مغارسة
نيابة
شيشاوة
بضواحي
مراكش



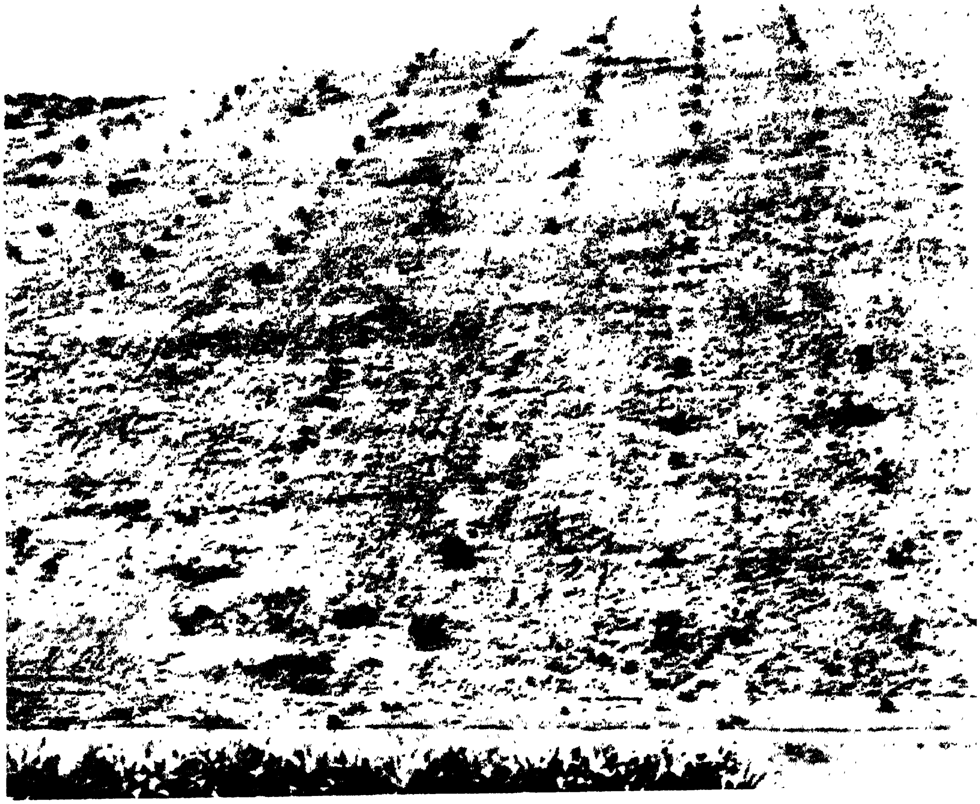
مغارسة
نيابة
شيشاوة
بضواحي
مراكش



مغارسة
نيابة
شيشاوة
بضوا حي
مراكش



مغارسة
نيابة
شيشاوة
بضواحي
مراكش



غــــرس
اشجـــار
الزيتـــون
والمشمـــش
بنـــاحيـة
زرهـــون



صورة للعمــال
الذين يشتغلون
بالتقليم بمفــارسة
اكــرات بالصويرة

الجارفة ، وانشاء غابات بجوار المدن المفتقرة اليها .

وهكذا انشئت مزارع نموذجية في جميع النواحي التي تتوفر على اراضي حبسية شاسعة وقابلة للتشجير ، فشيدت عليها بناءات فاخرة ، وجهزتها باجود الآلات الفلاحية الضرورية

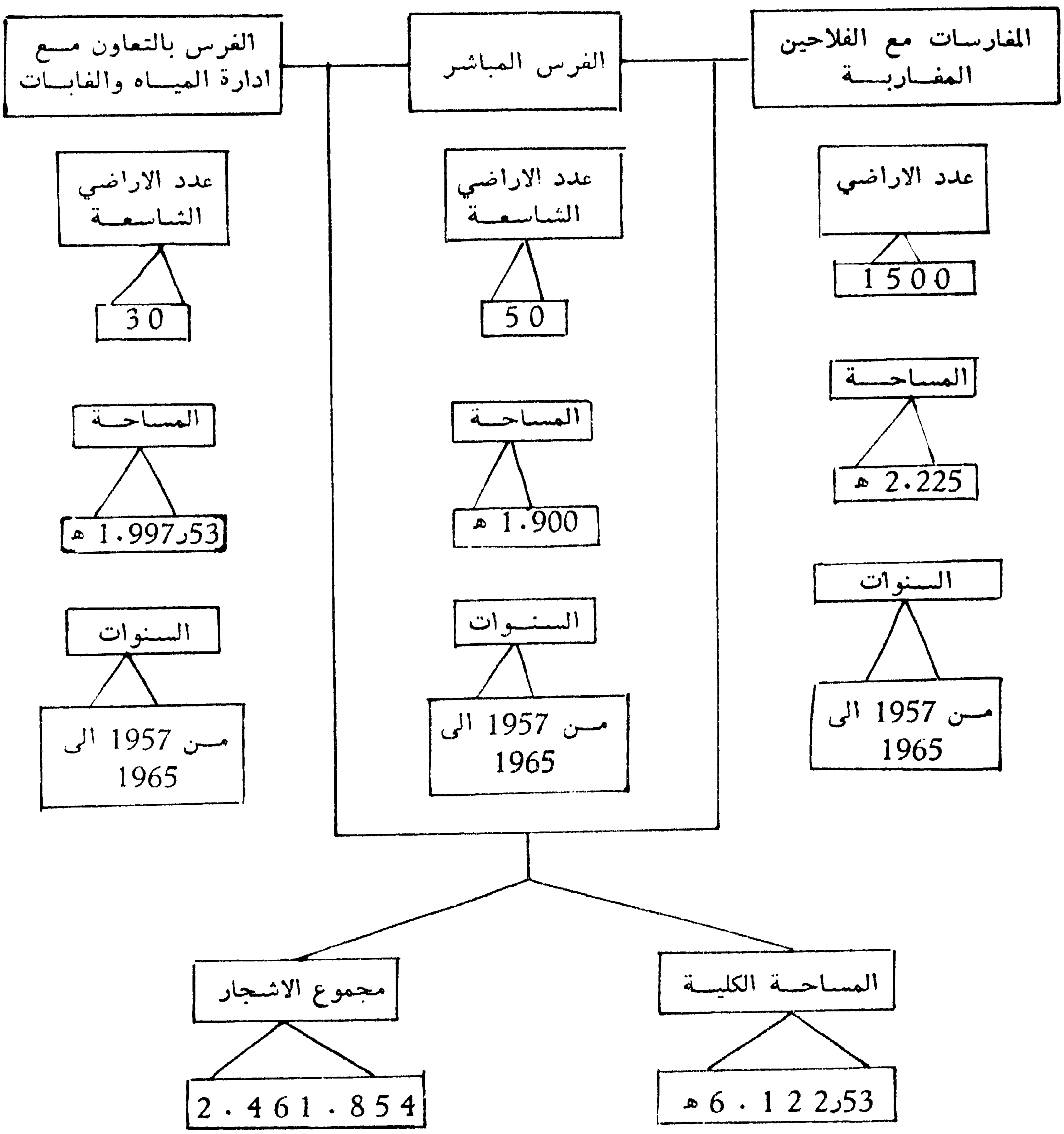
وللوزارة اساليب تستعملها في وسائل تشجير اراضيها الشاسعة :

أ ــ بطريقة التعاقد مع الفلاحين الراغبين في تشجير الاراضي الحبسية على اساس نصيب من الارض والاشجار

ب ــ بطريقة تعاقدية مع ادارة المياه والغابات .

ج ــ الغرس المباشر ، اي تشجير الاراضي الحبسيه الذي يقع تحت اشراف الناظر وبمعونة خبراء فلاحيين تابعين للنظارة .

ويتضح من الجدول الآتي العناصر التي ساهمت في تشجير الاراضي الحبسية وعدد الاراضي ومساحتها من سنة 1957 ــ 1965 ، وهذه الاشجار تشمل : اشجار الزيتون ــ المشمس ــ اللوز ــ البرتقال ــ الدالية ــ الكليتوس :



ومما يجدر ذكره انه قد انشئت مطارح حبسية في كل من زرهون ومراكش وفاس وصفرو وتافيلالت لاجل تموين جميع منجزات الغرس من النقلات للزيتون وقد بلغ مجموعها حالية : 300.000 نقلة

وقد بلغت نتائج عملية التشجير التي تسهم بها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية منذ سنة 1957 من حيث المساحة وعدد الاشجار رقما يشهد بالمجهود الذي يبذله في هذا الميدان الحبوي كما يتضح من هذا الجدول الآتي :

السنوات	المساحة بالهكتار	عدد الاشجار
1957	247ر44	24.722
1958	622ر60	218.500
1959	516ر91	288.316
1960	444ر50	247.417
1961	584ر66	448.256
1962	1.094ر02	529.016
1963	705ر51	265.303
1964	963ر89	164.130
1965	943ر00	276.194
الجمله :	**6.122ر53**	**2.461.854**

فبناء على هذه الارقام المسجلة في الجدول اعلاه يتبين ان عدد الاشجار من انواع الزيتون ، واللوز ، والكلبتوس ، والبرتقال ، والمشمش المفروسة منذ سنة 1957 تقدر بـ : 2.461.854 وان المساحة المعدة لهذا الفرس تقدر بـ : 6.122ر53 هـ

ولا تخفى على احد الفوائد التي تجنيها بلادنا من عملية تشجير هذه الاراضي الحبسية ، فهي ترفع من انتاج غلة الزيتون التي تعتبر قليلة في بلادنا كما تستفيد من دخلها العائلات البدوية كلما تعددت الاراضي المفروسة ، وللفوائد الهامة الناتجة عن غرس اشجار الكلبتوس التي وجهت الوزارة عناية بها ، وبفضل هذا النوع من الاستثمار حصلت على تنمية اراضي كانت ضعيفة لا تصلح لزراعة الحبوب

ولم ينحصر نشاط الوزارة في غرس الاشجار فقط ، بل تجسم كذلك في تهييء النقلات للفرس المعد للسنوات المقبلة

وهذا جدول عن عدد وانواع الاشجار التي غرست في سنة 1965 :

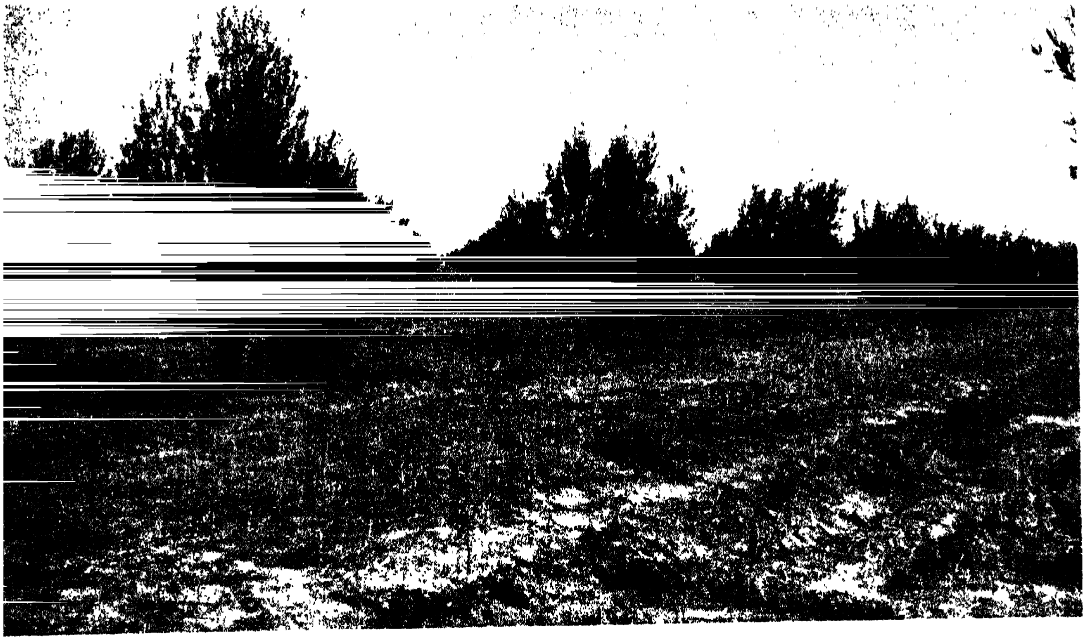
	الزيتون	الكلبتوس	اللوز	البرتقال	المشمش البرقوق
2) تازة	1.000				
3) القروين	12.000				
4) احواز فاس	27.600				
5) المرستان	3.500				
8) زرهون	7.000				
9) صفرو	4.000				
10) مكناس	1.200			600	150
16) وران	3.700			3.340	
18) العرائش	3.000				
22) الناضور			7.000		
24) الجديدة		146.600			
25) آسفي		32.000			
31) صفري مراكش		20.000			
32) ورزازات			850		
34) تافيلالت	1.200				1.300
	64.200	198.600	7.850	3.940	1.600
	642هـ00	198هـ000	65 هـ	26 هـ	12 هـ
مجموع الاشجار	276.194				
المساحة الكلية	943هـ00				
مجموع نقلات الزيتون في المطارح	200.000				



احدى أشجار
اللوز بمغارسة
اكرات بالصويرة



مغارسة
نيابة
شيشاوة
بضوحي
مراكش



عمليات الغـــرس والتشجيـــر بناحيـــة مراكـــش



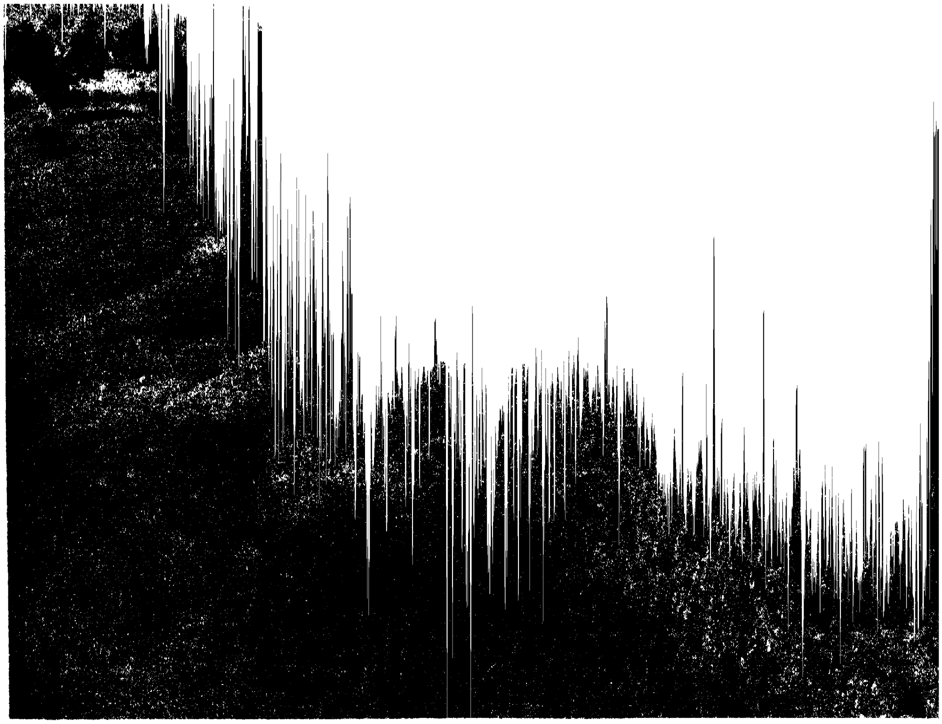
ارض
منحـــدرة
غـــرست
بالـزيتـــون
بمـــدينـــة
زرهـــون



جنــــان امصنجــــي بمــدينـــــة مراكـــــش

مغـــارسة جنـــان امصنجـــي بمراكـــش





جنـــان
السفياني
بضواحــي
مراكــش



عمليــــة
التشجيــر
بنيـابــة
شيشاوة
بضواحي
مراكــش

يمكن تلخيص ماسجل اعلاه فيما ياتي .

عدد اشجار الزيتون	64.200
عدد اشجار الكلبتوس	198.600
عدد اشجار اللــــوز	7.850
عدد اشجار البرتقـــال	3.940
عدد اشجار المشمش والبرقوق	1.600
مجموع الاشجار	276.194
مجمـوع المساحـات	943هـ

وانتهى قسم الفلاحة فى آخر شهر مارس 1965 من عمليات التشجير فى سائر انحاء المملكة المغربية وقـد اسفرت هذه العمليات عن نتائج هامة تتلخص فيما ياتـــي :

نظرا لوجود عدد كبير من الاراضي الحبسية التى لاترد نفعا جزيلا على الاحباس ، ونظرا لتوفرها على مساحات كفيلة كفبلة بانشاء مغارسات يتاتـى الوصول اليها كلما دعت الضرورة الى ذلك ، خصوصا اثناء اجراء عمليات الحرث والتجفين والتسميد . فقد صممت الوزارة على تشجيرها بالزيتون والبرتقـال والمشمش واللوز رغم كل ما يتطلب ذلك العمل مـن نفقات باهظة ، واتعاب وتنقلات مستمرة عبر طـرق وعـــرة

وقد واجهت الوزارة فى البداية مشاكل عديـدة فيما يخص الحصول على عدد وافر من النقلات يقـدر بـ 80.000 ، وذلك باستثناء العدد الضخم من اشجار الكلبتوس الذي تزود به ادارة المياه والغابات الاحباس ليغرس بعضه مباشـرة تحت اشراف النظـارة ، وليغرس البعض الآخر بواسطة الادارة المذكورة علـى حساب الوزارة ، باستثناء القدر من نقلات الزيتـون الماخوذة من المطارح الحبسية

وعلى اثر ذلك بدات الاستشارات مع عدة فلاحين ممن لهم المام وخبرة بشئون تربية النقـلات واخيرا تـم شراء هذا العدد من النقلات وغرسه باتمه ولا شك ان كامل العناية ستخصص له ان شاء الله فيما يرجع للمقابلة والتعهد

كما جهزت عدة نظارات بالآلات الميكانيكية الحديثة وبسيارات من نوع الجيب لاتساع نطـاق مشاريـع الغرس التى تسهر على انجازها .

وقد بلغ عدد الاشجار التى تم غرسها فى سنـة 1965 ماياتـي :

الزيتـــون	64.200
الكلتـــوس	198.600
اللـــوز	7.850
البـرتقـــال	3.940
المشمش والبرقوق	1.600
	276.194

وتقدر المساحة التي غرست فيها هذه الاشجار بـ 943 ه اي مايقارب الف هكتار

ولم ينحصر نشاط وزارة عموم الاوقـاف في غرس الاشجار فقط ، بل تجسم ذلك فى تهييء النقلات للغرس المعد للسنوات المقبلة ، وهكذا تقرر انشاء مطارح جديدة فى كل من نظارة فاس وصفرو وزرهون ومراكش ووزان قد تشتمل على اكثر من 200.000 نقلة مـن الزيتون وبهذه الطريقة سيسهل استقبالا انجاز كـل مشروع يتعلق بالتشجيـر

وتكبدت الوزارة فى الميـدان الفلاحـي نفقات ضخمة تجاوزت سنة 1965 خمسين مليـونا مـن الفرنكات وذلك باستثناء الصوائر التي تحملتها ادارة المياه والغابات لنفس الغاية والتي ستؤدى من طـرف الاوقاف اقساطا بعد انتاج الاشجار .

بلاد الرشاشيين بقبيلة اولاد عمران
المدفوعة لادارة المياه والغابات





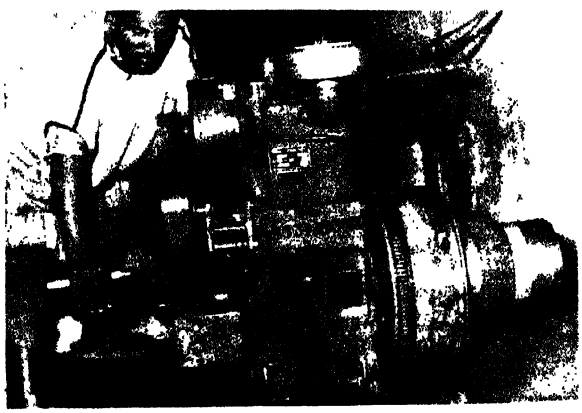
طريق عين عيشة غرست بالكلبتوس
بواسطة ادارة المياه والغابات

منظر البئر الجديدة بامصنجي
بمدينة مراكش





عملية حفر البئر
بامصنجي بمراكش



محرك آلي بجنان أمصنجي
بمراكش



اشجار الزيتون بشيشاوة
ضواحي مراكش



شجرة مباركة
بمغارسة أكران
بالشياظمة الشمالية



منظر لمغارسة أكرات بالصويرة

صهريج امصانجي الذي وقف عليه
مبعوث الوزارة السيد عبد الجليل
القباح والسيد الناظر

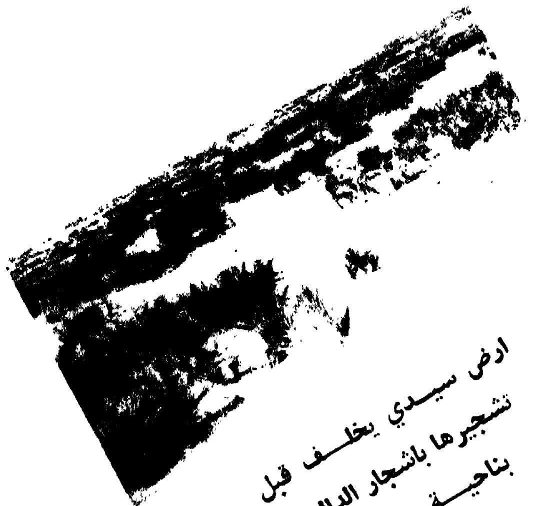


غابة الكلبتوس بالمعيدن
بالجديدة





منجزات الاوقاف
في ميدان الري



ارض سيدي يخلف قبل
تشجيرها باشجار الدالية
بناحية وجدة



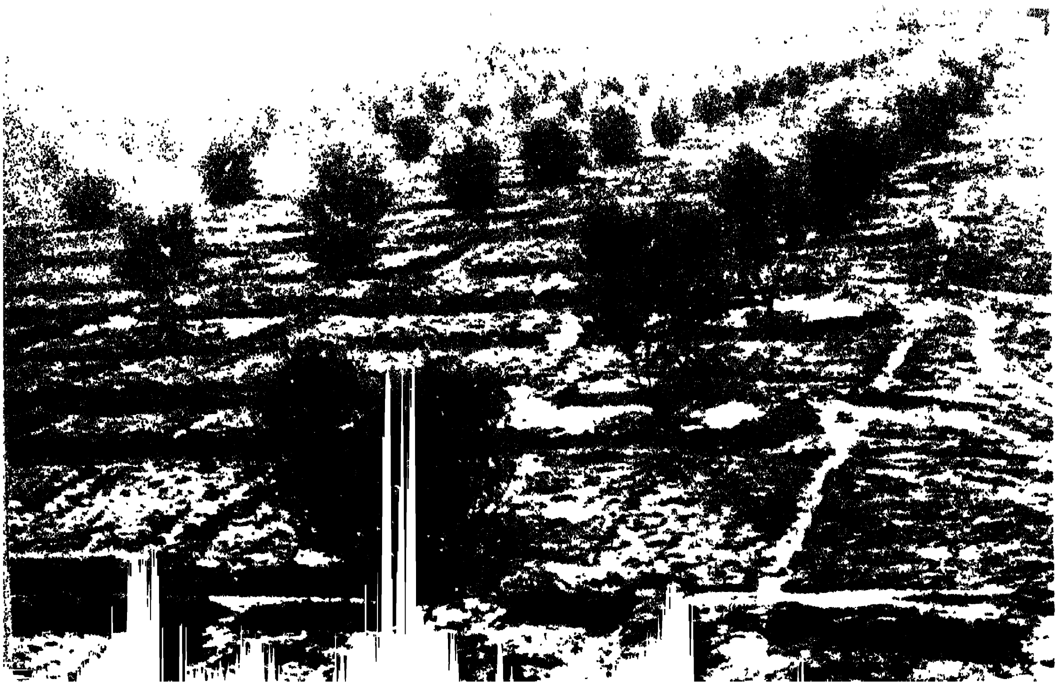
بلاد الرشاشيين التابعة
لقبيلة صنهاجة

غابة اوطي مصغر الكبير
بلمطا
غرست مباشرة بالزيتون





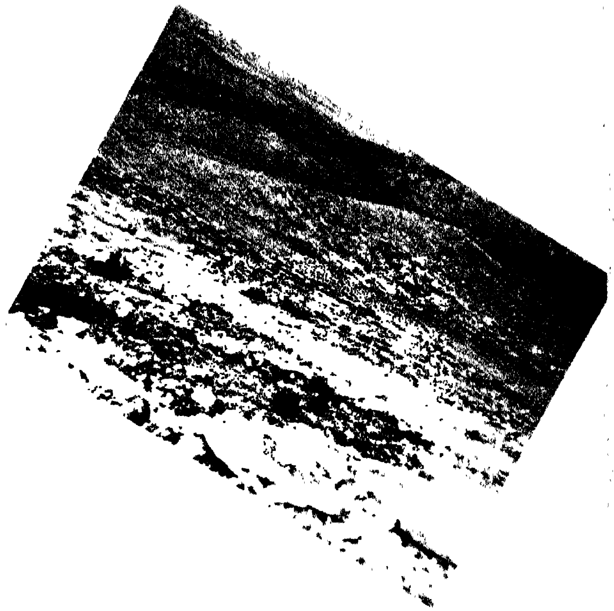
ارض منحدرة غرست باشجار الزيتون لحفظها
من الاضمحلال والتآكل بمدينة زرهون



بدا
استثمار
هذه الارض
ابتداء
من سنة
1964
في ناحية
مراكش



غــابــة الكلبتــوس بالسوينــة
الجــديــدة



ارض منحـــدرة
غرست بالاشجار لحفظها
مـــن الاضمحلال



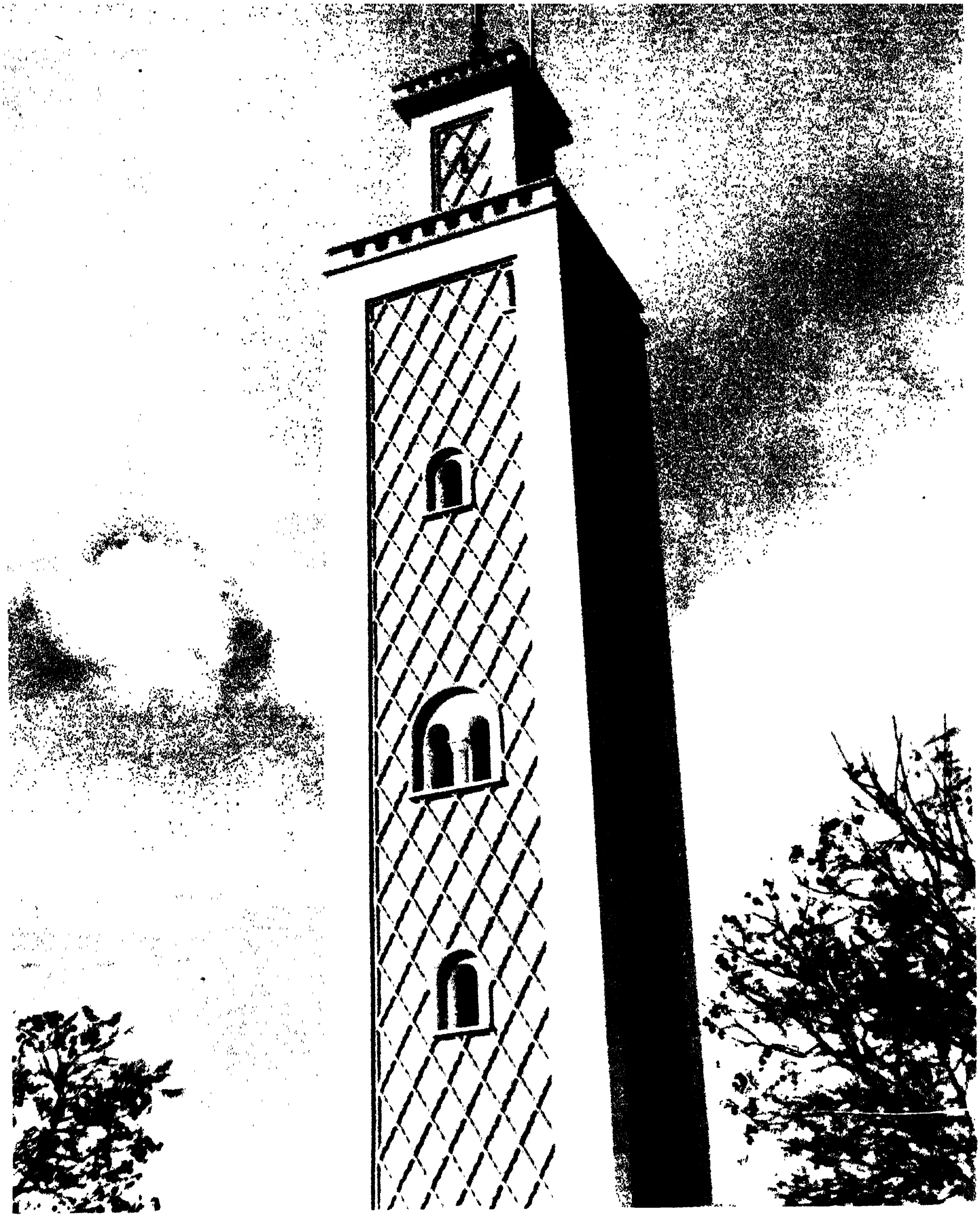
ارض سيــدي يخلــف
بعد الغرس بناحية وجدة
بعــد تشجيــرها



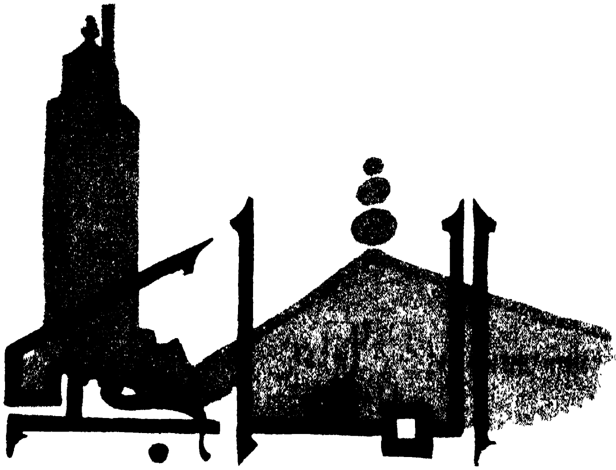
منظــر ساقية
وصهريـــج بالمصمودي
بنــاحيـــة مــراكــش

غــابــة بنـــت ابن الاحمـــر
في طريـــق سيدي حــرازم





صومعـــة مسجـــد الحسن الثانـــي بحمرية بمكناس



ج ـ المساجـــــد :

لقد قامت وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميـة منذ تحملت حظها من مسئولية الاستقلال باصـــلاح وترميم وتوسعة كثير من المساجد بلغ عددها لحد الان الالاف ان لم نقل عشرات الالاف فى جميع انحاء المملكة المغربية ، وخصوصا فى القبائل التى كانت كثير مــن المساجد بها قد وصلت ـ نتيجة للاهمال الذى كـانت متروكة له من قبل ـ الى درجة مزرية

كما قامت ببناء عدد لايستهان به من المساجـد خصوصا فى الاحياء الجديدة التى كانت خاصة بسكنى الاوربيين واصبحت بعد الاستقلال آهلة بالمواطنيـن المسلمين ، وكذلك فى القرى الصغيرة التي كنت ترى فيها من قبل كنائس ، ولا ترى فيها اثرا للمسجـد ، وكذلك فى النواحي التى كانت من قبـــل مسرحـــا للسياسة الاستعمارية تهدف الى كبث الروح الدينية فيها والى محاربة كل محاولة لتدعيمها او تقويتهـا ، وعلى سبيل المثال نذكر هذه المساجد التي اسست في الريف . بتزيوزلي ، واكنـول ، وبوريد ، واجديـــر ، والحسيمة ، والناظور ، وستة مساجد بالقسم المحرر من صحرائنا المغربية ، وكذلك فى الاطلس المتوسط بكل من آزرو ، والحاجب ، وخنيفرة ، ومساجد اخرى بكل من ولماس ، وتيفلت ، وتيداس ، والخميسات ، وهذا المسجد العظيم الذي اسس بايفـران ، ذلك المصطاف الجبلي الذي ظلت سلطات الحماية متعصبة طيلة عهدها البائد على ان لاتراه بجانب كنيستها الشامخة البنيان

وفيما يلي نذكر الاعتمادات التي خصصتها هذه الوزارة فى كل سنة من سنوات الاستقـــلال لاصلاح وتوسعة وبناء المساجـد :

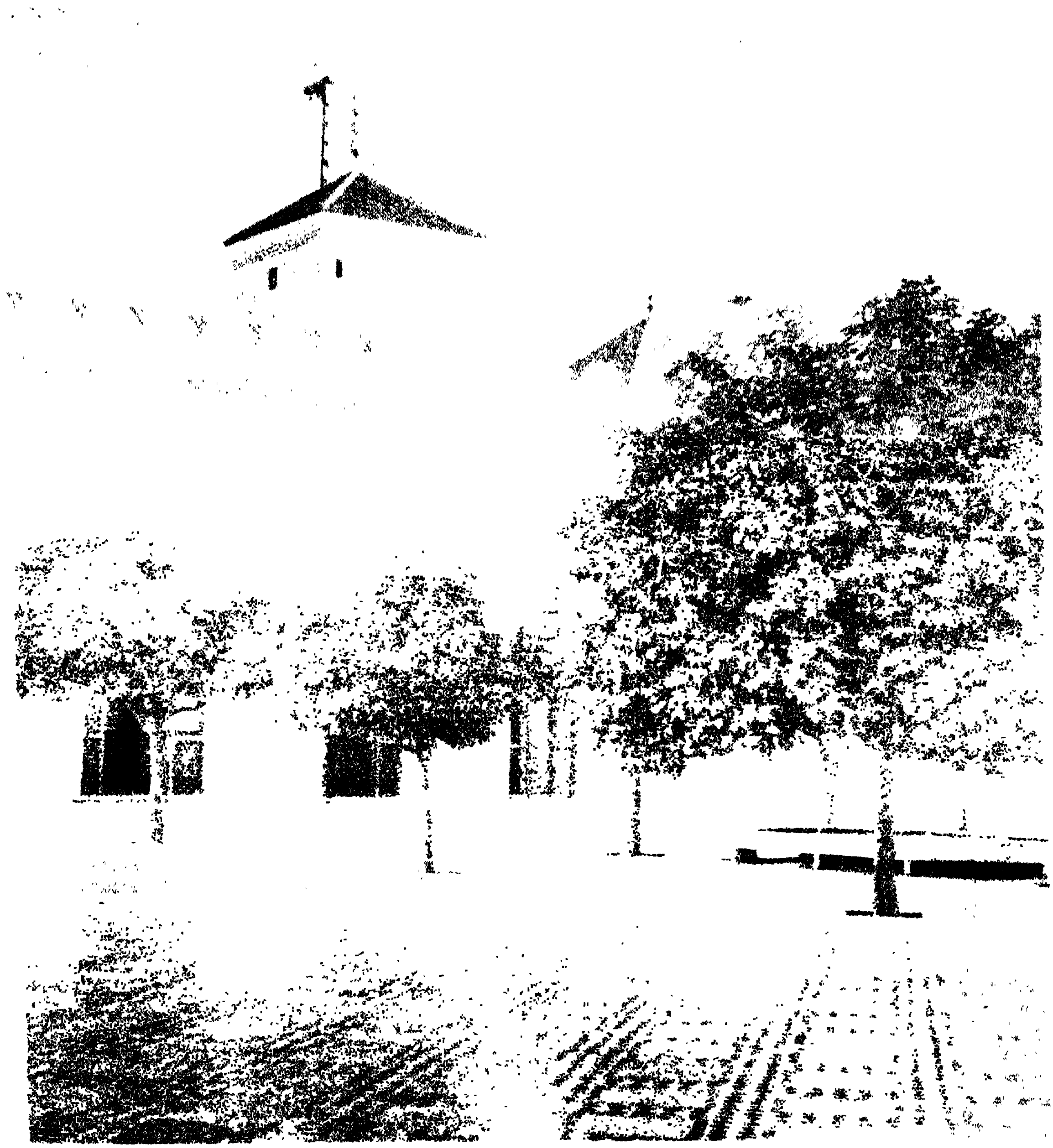
السنـة	المبالــغ
1955	565.284ر00
1956	257.441ر00
1957	412.790ر00
1958	577.284ر00
1959	713.190ر00
1960	752.597ر00
1961	907.692ر00
1962	1.297.308ر00
1963	3.848.151ر00
1964	3.962.977ر10
1955	5.030.000ر00

المجموع : 18.324.714ر10 درهما

وهذا المبلغ انفق فى بناء واصلاح المساجد فـــي مختلف العمالات سواء فى المدن او القبائـــل حسب التفصيل المبين فى الجدول حوله :

الاقاليم والعمالات	المدن التابعة للعمالات	بناء واصلاح المساجد بالقبائل: بناء واصلاح المساجد عن طريق السمسرة — عدد المساجد التي بنيت	عدد المساجد التي تم اصلاحها	بناء واصلاح المساجد عن طريق الغير مع اعانة من طرف وزارة الاوقاف — عدد المساجد التي بنيت	عدد المساجد التي تم اصلاحها	مجموع المساجد التي بنيت او اصلحت	مجموع التي سواء الف
وجدة					35	35	38
تازة		5	28		561	594	5
فاس	فاس — صفرو	69			1.689	1.758	8
مكناس	مكناس — زرهون						5
قصر السوق			93		49	142	42
ورزازات	زاكورة — ورزازات				426	426	51
أكادير	تارودانت	27			962	989	91
آسفي	الصويرة — أسفي				239	239	94
مراكش					1.101	1.101	56
الدار البيضاء	الجديدة / ونواحي البيضاء						59
الرباط وسلا							64
اقليم القنيطرة	وزان ونواحي القنيطرة				416	416	37
تطوان	القصر الكبير — تطوان		155		2.702	2.857	65
طنجة							50
الحسيمة					445	445	53
الناضور					362	362	64
بني ملال			46		28	74	75
عمالة الدار البيضاء							3
		101	322		9.015	9.438	40

الاقاليم والعمالات	المدن التابعة للعمالات	بناء واصلاح المساجد بالمدن: بناء واصلاح المساجد عن طريق السمسرة		بناء واصلاح المساجد عن طريق الغير مع اعانة من طرف وزارة الاوقاف		مجموع المساجد التي بنيت او اصلحت
		عدد المساجد التي بنيت	عدد المساجد التي تم اصلاحها	عدد المساجد التي بنيت	عدد المساجد التي تم اصلاحها	
وجدة		3				3
تازة		1				1
فاس	فاس — صفرو		40			40
مكناس	مكناس — زرهون	9	96			105
قصر السوق						
ورزازات	زاكورة — ورزازات	6	19			25
اكادير	تارودانت	2				2
آسفي	الصويرة — آسفي		55			55
مراكش		1	54			55
الدار البيضاء	الجديدة — ونواحي البيضاء	2	57			59
الرباط وسلا		3	61			64
اقليم القنيطرة	وزان ونواحي القنيطرة	5	16			21
تطوان	القصر الكبير — تطوان	4			4	8
طنجة		1	23		26	50
الحسيمة		2			6	8
الناضور		2				2
بني ملال		1				1
عمالة الدار البيضاء		3				3
		45	421		36	502



جانب من الساحــة الداخلية لجامع بريمــة بمدينة مراكش
حيث نـــرى الــجزء الاعلــى لصومعتــه

ولم تغفل الوزارة بالاضافة لما ذكر مسالة تحسين مستوى القائمين بالوظائف الدينية في تلك المساجد الذين اصبح عددهم كثيرا في عهد الاستقلال، بل عملت ــ في نطاق امكانياتها على الزيادة في رواتبهم اربع مرات منذ الاستقلال ؛ فبعد ان كانت الاعتمادات المخصصة لهذه الرواتب لاتتعدى سنة 1955 : 930 الف درهم بلغت في سنة 1965 مايزيد على ستمائة الف واربعة ملايين درهما ، وهذا الجدول البياني يوضح رواتب الموظفين الدينيين في عهد الاستقلال :

السنة	المبالغ
1955	929.695ر00
1956	1.598.780ر00
1957	2.887.330ر00
1958	2.493.000ر00
1959	3.601.936ر00
1960	3.619.870ر00
1962	3.820.932ر00
1963	4.307.127ر00
1964	4.480.000ر00
1965	4.600.000ر00

بنـــاء المساجـــد واصلاحهـــا

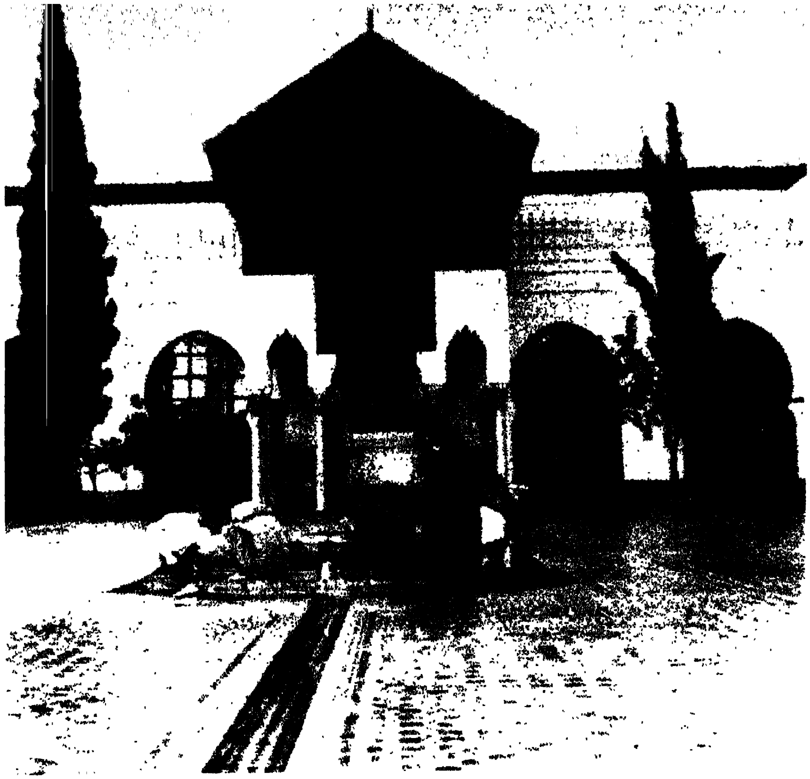
وفيما يرجع لنشاط وزارة الاوقاف اوفدنا وزيرنا فيهـا الى جـل الاقاليم للتعرف على احتياجات المواطنيـن في الميدان الدينـي . وعلى ضوء دراساته ومشاهدته امكن بنـاء عدد من المساجـد واصلاح وتجديد مئات اخـرى ، كمـا يوجد تحت الدرس مشروع بنـاء عدد من المساجـد في الاحيـاء العصرية التي تزايد سكانها المسلمون في السنـوات السبـع الاخيـرة .

توفيـر الوعـاظ والمرشديـن

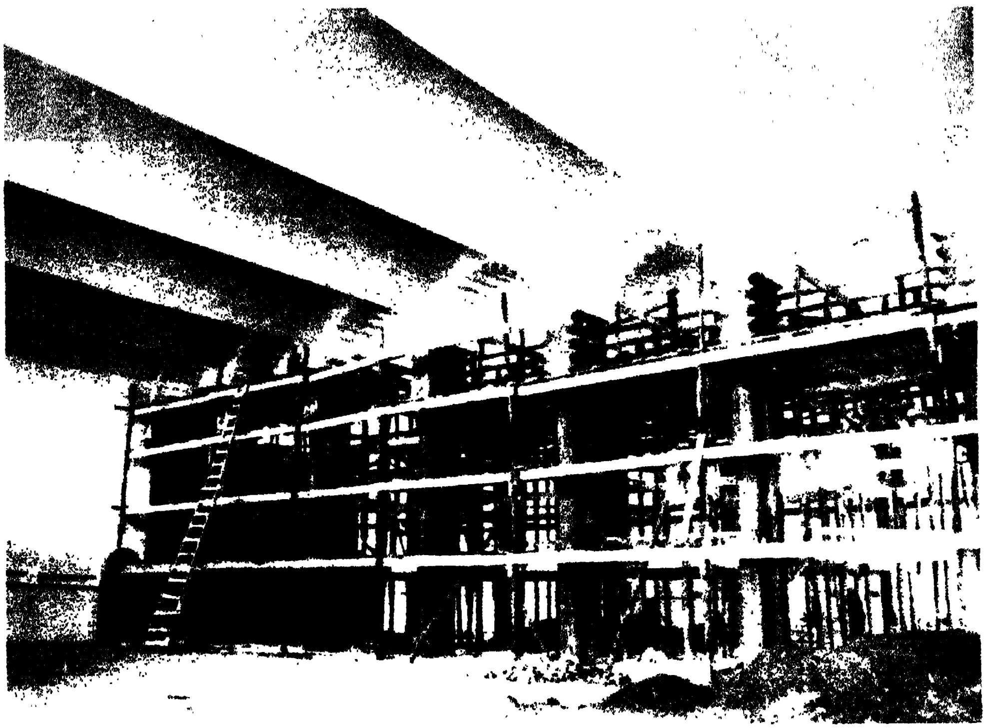
وقامت وزارة الاحبـاس ايضـا بتوفيـر العدد الكافـي من الوعـاظ والمرشدين لتزدهر بهم من جديد حلقات الثقافة الاسلامية ، ويكون المسلمون على بينة كاملة من شؤون دينهـم وآدابـه السامية واخلاقه العاليـة .

وتسهم الاحباس بالاضافة الى ذلك في الاعمـال العمرانيـة والاقتصاديـة والاجتماعية بما تشيد من بنـاءات ، وتغرس من آلاف الهتكارات .

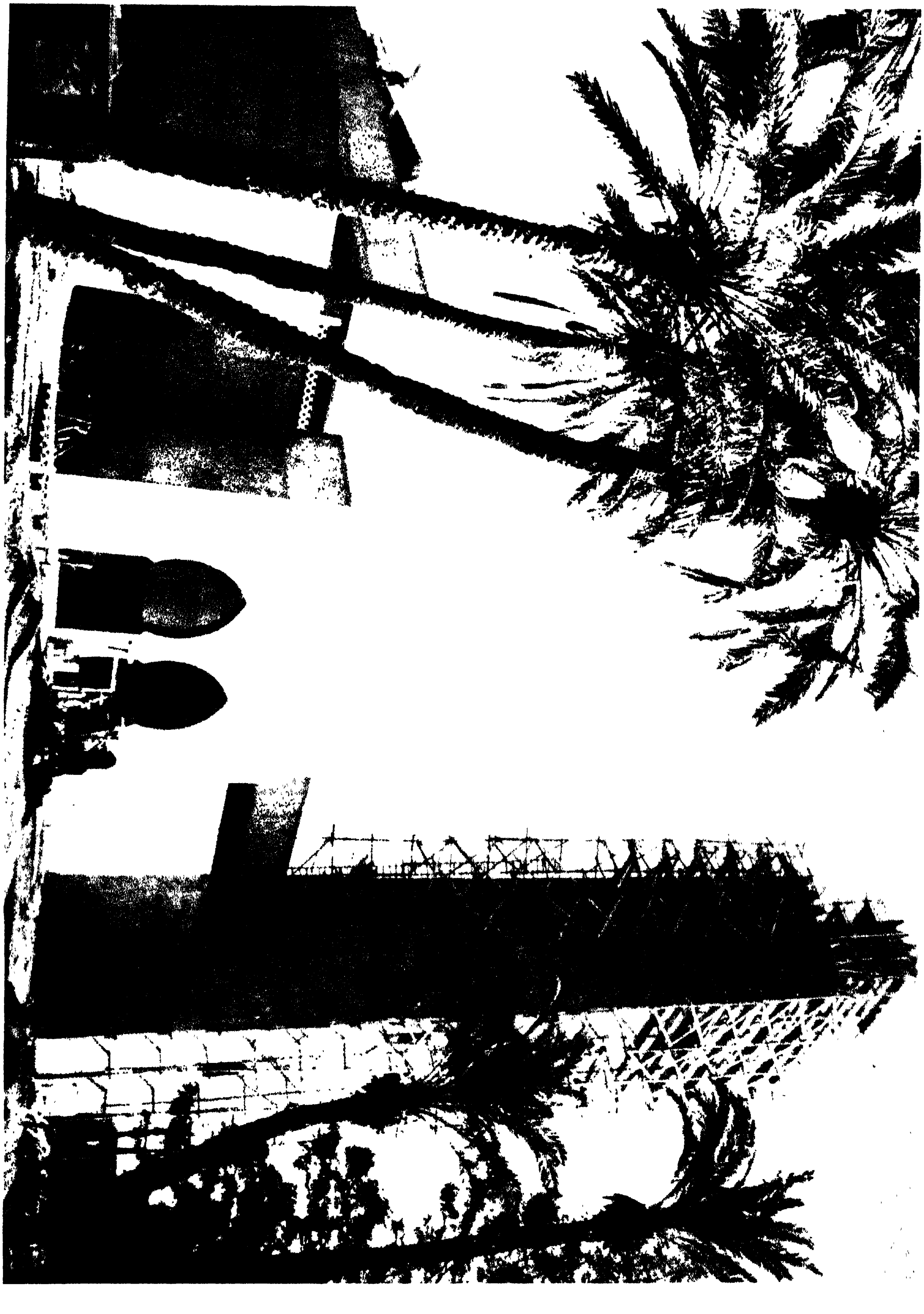
من خطاب صاحب الجلالـة الملك المعظم الحسن الثاني بمناسبة الاحتفال بـذكـرى عيـد العـرش سنـة 1963



بـــراح المسجـــد المحمـــدي بالبيضـــاء



مسجـــد جليـــز
بمـــراكـــش
الـــذي يجـــري
بـــه العمـــل
حـــاليا



من مآثرنا الخالدة

همم الملوك اذا ارادوا ذكرها
من بعدهم ، فبالسن البنيان
ان البناء اذا تقادم عهده
اصحى يدل على عظيم الشان

لقد اجرت الوزارة اصلاحات وترميمات في غضون السنوات الاخيرة على صومعه الكتبية التي تعتبر بحق من المآثر الخالدة التي تسهد على عناية الملوك المغاربه بالدين ، واهتمامهم البالغ بتثبيت اركانه ، في هده الربوع المغربية الطيبه :

وبهده المناسبة ، فاننا نقدم لمحة تاريخية عن تاريخ هذا المسجد العظيم ومناره الشامخ ، فمسجد الكتبيه ، وهو المسجد الذي اشتهر في الازمنة الاخيرة بعد ان كان يسمى من قبل : بمسجد الكتبيين فقد شيده : عبد المومن بن علي الكومي الموحدي صاحب المهدي بن تومرت ، حيما تم له الدخول الى مراكش سنة537 ه

وذلك انه لما دخل مراكش استقدم اعيان الموحدين ، فامتنعوا من دخولها ، وقوفا عند وصية امامهم : (لا تدخلوها حتى تطهروها) وسال فقهاءهم عن مغزى الوصية ، فاجيب ببناء مسجد فبناه بدار الحجر، قرب قصر الامارة وقد كانت العادة انه كلما قامت دولة قامت معها منابر ومدارس ، تبشر بالمبدا الذي تعتنقه الدولة وتلتزمه ، وتنبيء عن نشاطها وعظمتها ، كما كان الشان في الجامع الازهر ، على عهد الدولة الفاطمية ، وعبد المومن الموحدي هذا هو الذي حمل الناس في المغرب على مذهب ابى الحسن الاشعري في الاصول ، بعد ان كانت العقائد سلفية ، ولا تنكر عناية الموحدين بالمظاهر الفنية والعمرانية وبمعاهد العلم ، وخزائن الكتب ، حتى انه كان من سنتهم فيها ان لا يتولاها الا من جلس على دست المعرفة ، وثبت وقت التجربة .

وقد روى التاريخ ان الذين اشرفوا على بناء مسجد الكتبيين من المهندسين ابو الليث الصفار ، وابو الحسن علي بن ابي حفص عمر بن عبد المومن ، وان يد التجديد قد تناولته مرارا في عهد الدولة العلوية في عهد المولى عبد الرحمان وفي عهد المولى الحسن سنة 1307 ه

منار الكتبية

وفي سنة 953 شيد يعقوب المنصور حفيد عبد المومن مناره العظيم الذي لم يتيد مثله في الاسلام ، حتى قيل فيه انه العلم في الفلاة ، ومنزلته بين الماذن منزلة والى الولاة ، ولا تترك الوحدة المعمارية اي شك في انه من اثار المنصور الذي كان مولعا بالبناء والتشييد ، ومغرما بالابداع والتميز ومهتما كذلك بشعائر الدين ، فقد سن النداء في الاسواق بالمبادرة الى الصلاة وقتل احيانا زجرا على سرب الخمرة ، وكذلك تكون الحراسة والامانة .

هذا وقد كان بجانب المسجد المذكور خزانة عظيمة لمختلف الكتب العلمية والدينية ، امتدت اليها مع الزمان ايدي الحدثان ، ولم يبق من نفائسها الا ما قل مما اضيف الى مخطوطات خزانة ابن يوسف ، كما كان يكتنفه : سوق للكتبيين ، واليهم نسب المسجد فيما بعد ، وذلك من دلائل نهضته الفكرية والثقافية ، وان كانت الحياة الثقافية لا تتجلي الا ببسط تراجم القائمين بها وذكر بحثهم وتناجهم .

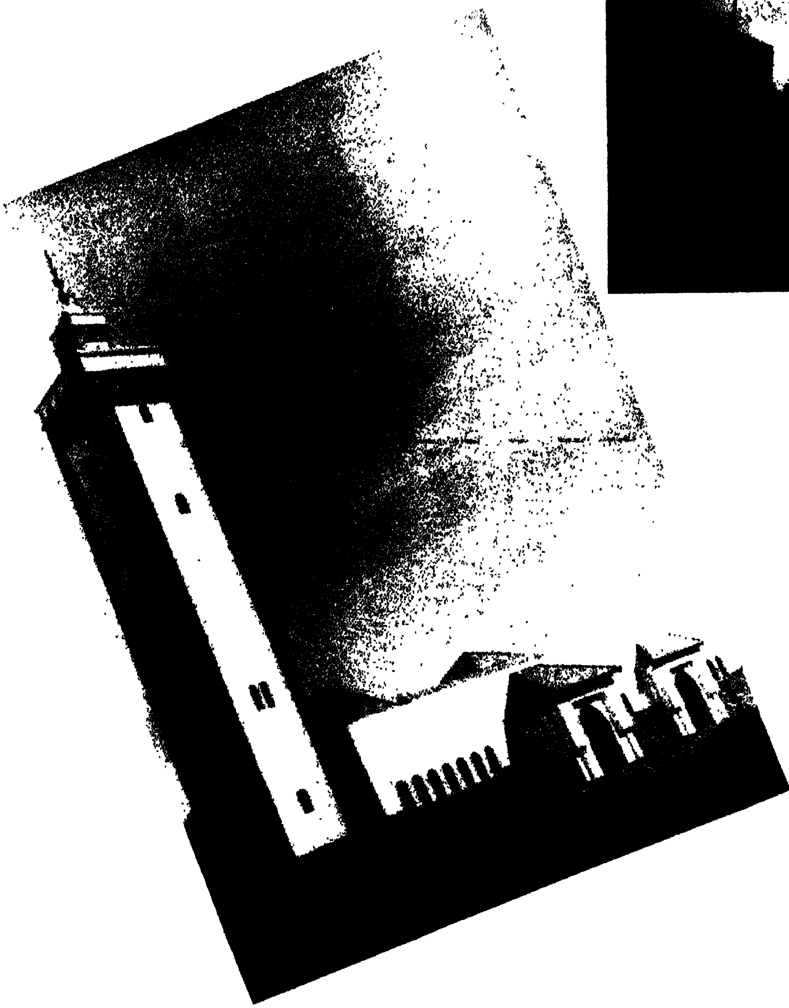


صومعة مسجد الكتبية

بمدينة مراكش الحمراء

صــــومعـــــة مسجـــــد
تيفلـــت

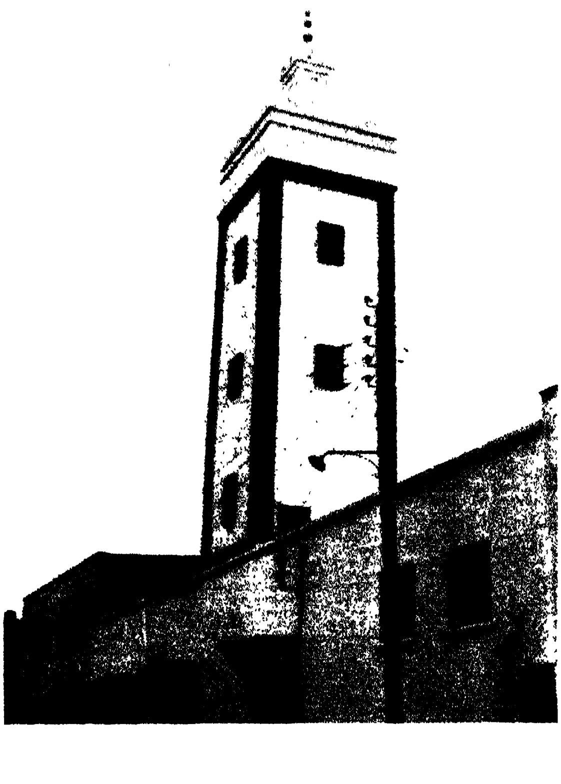




المنظر الخارجـــي لمسجد
مصطـــاف ايفــــران
الجميـــــــل
بالاطلـــس المتوســـط



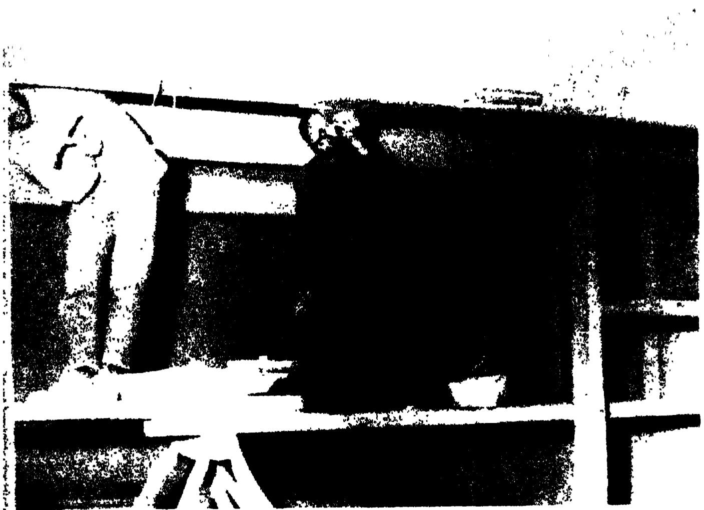
صومعة
مسجد الحمراء
بفاس



مسجد
الحاج بلعيد
بوجدة



صـــــورة
محـراب جامـع المواسيـن
بمراكـــش



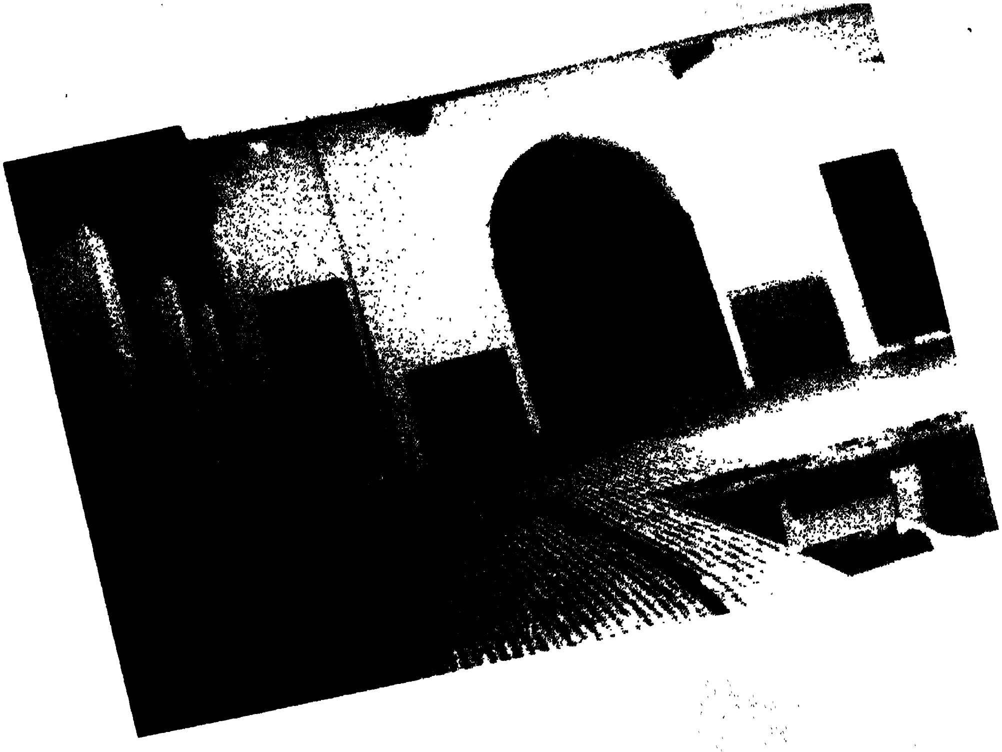
انهمـاك العمـال في بنـــاء
مسجـد الحسن الثانـــي
الـــذي شيدتـــه الوزارة
بمدينـــة اخنيفـــرة



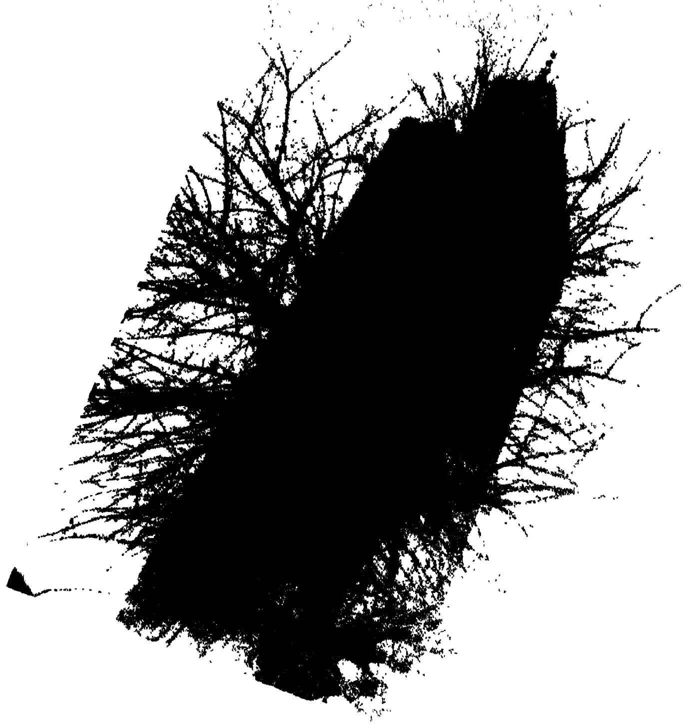
جانب من صحن
الجامع الاعظم
بسلا



مدخل للجامع الاعظم
بسلا

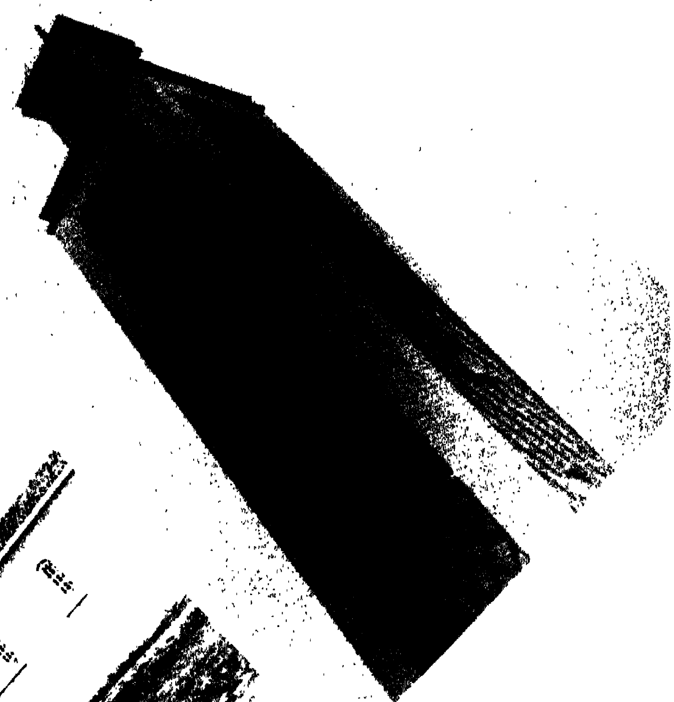


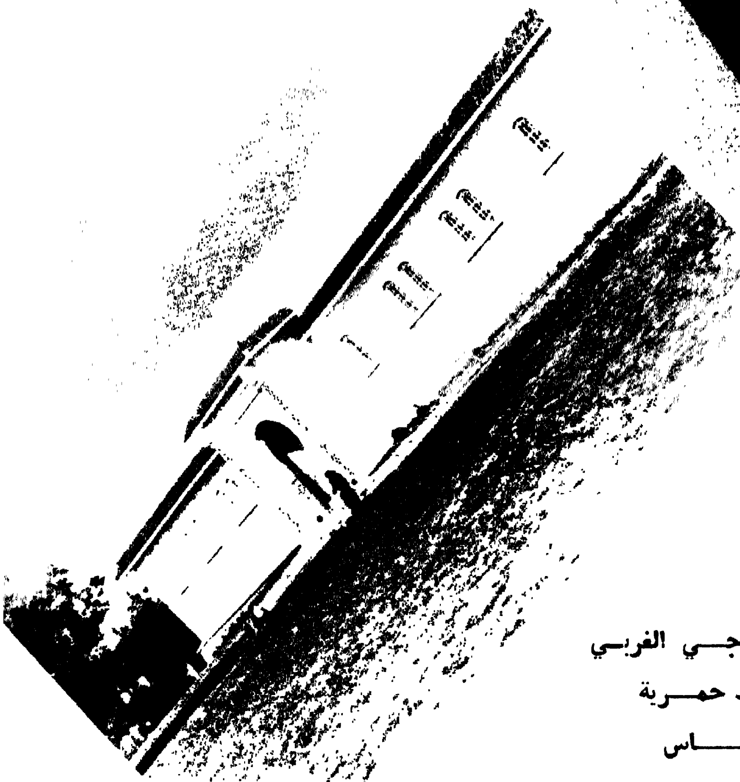
مسجد
مدرسة المشور
بفاس



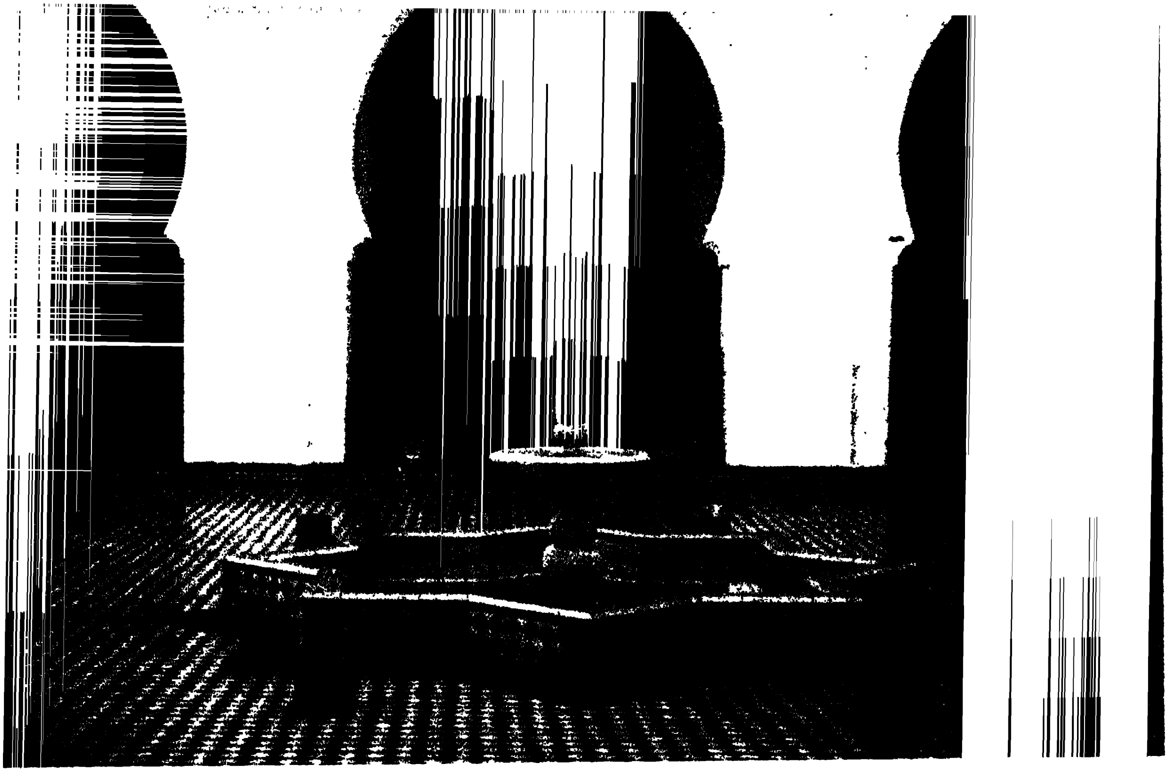
صومعة مسجد الزيتونة
بمكناس

صــــومعـــــة
مسجـــد حمرية
بمكنــــاس





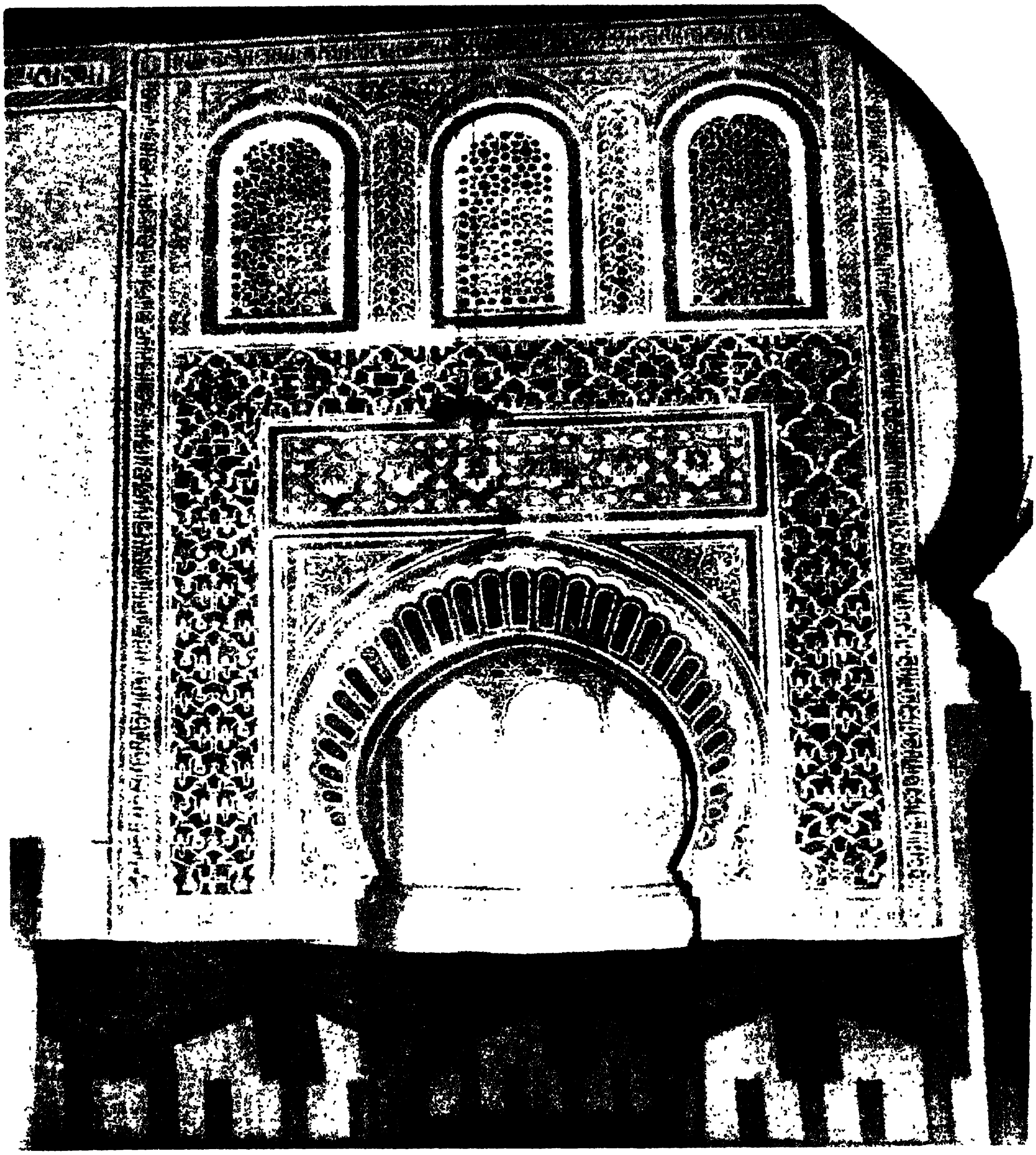
المنظــر الخارجـــي الغربـــي
لمسجـــد حمـــرية
بمكنـــــاس



منظر داخلي لمسجد
بـــوزنيقـــة



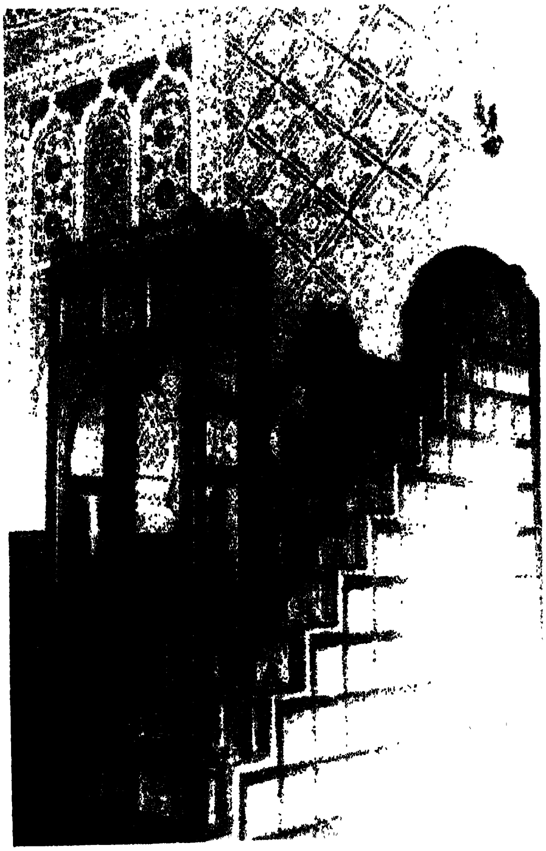
صحون تسافر فيها العيـ
ن ، وتحسر من بعد اقطارها
بـــراح مولاي ادريس
بفـــــاس



محـــــراب مسجـــد بـريمـــة
بمـــراكـــش

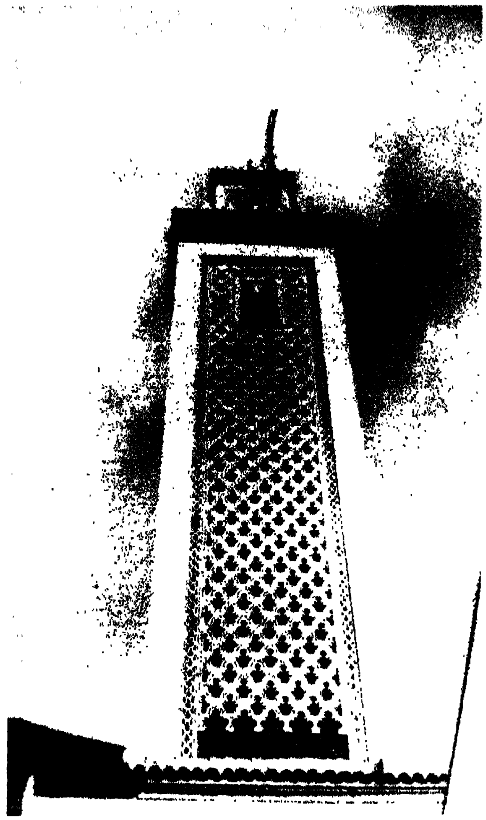
مسجــد الحسن الثانــي
بــوجــدة

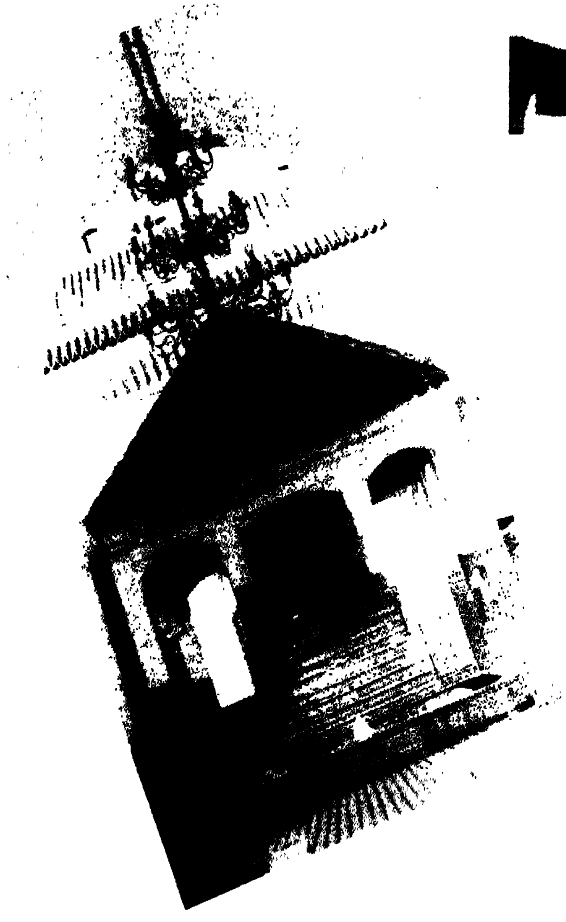




منبــر مسجـــد حمريـــة
بمكنـــــاس
آيـــة من آيـــات الابـــداع
الصانـــع المغربـــي

تراهـا اذا صعدت في السماء ، تعـود الينـا باخبارهـا
صومعة مسجـد ايفـران





أحـد المداخـل
لمسجـد الانـدلس
بفـاس

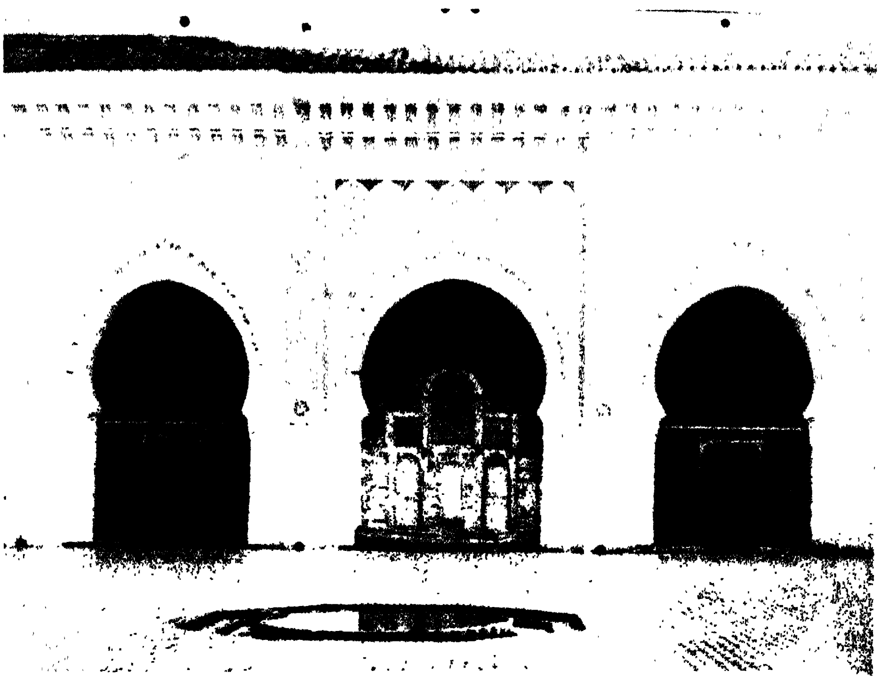


منبـــر جامـــع الفخاريـــن
بفـــاس



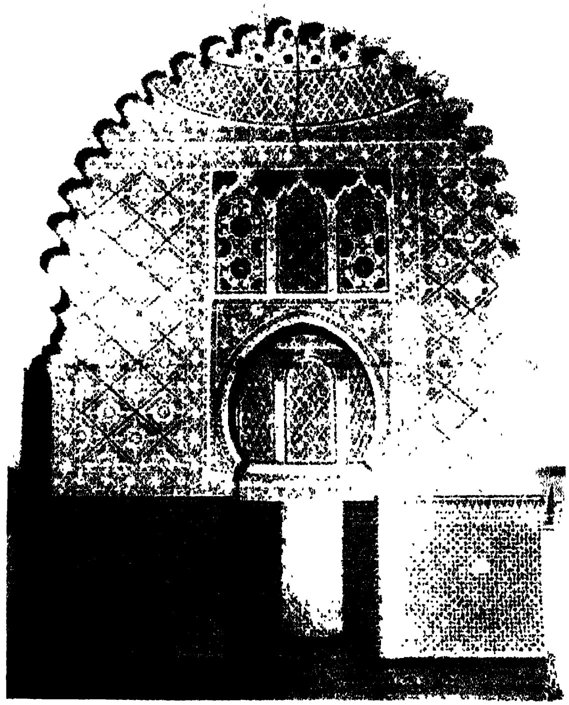
المنظـــر الداخلـــي
لمسجد الحسن الثاني
بـــوجـــدة

صحن جامع المواسين
بمراكش



احد المداخل الكبيرة
لمسجد القرويين
بفاس





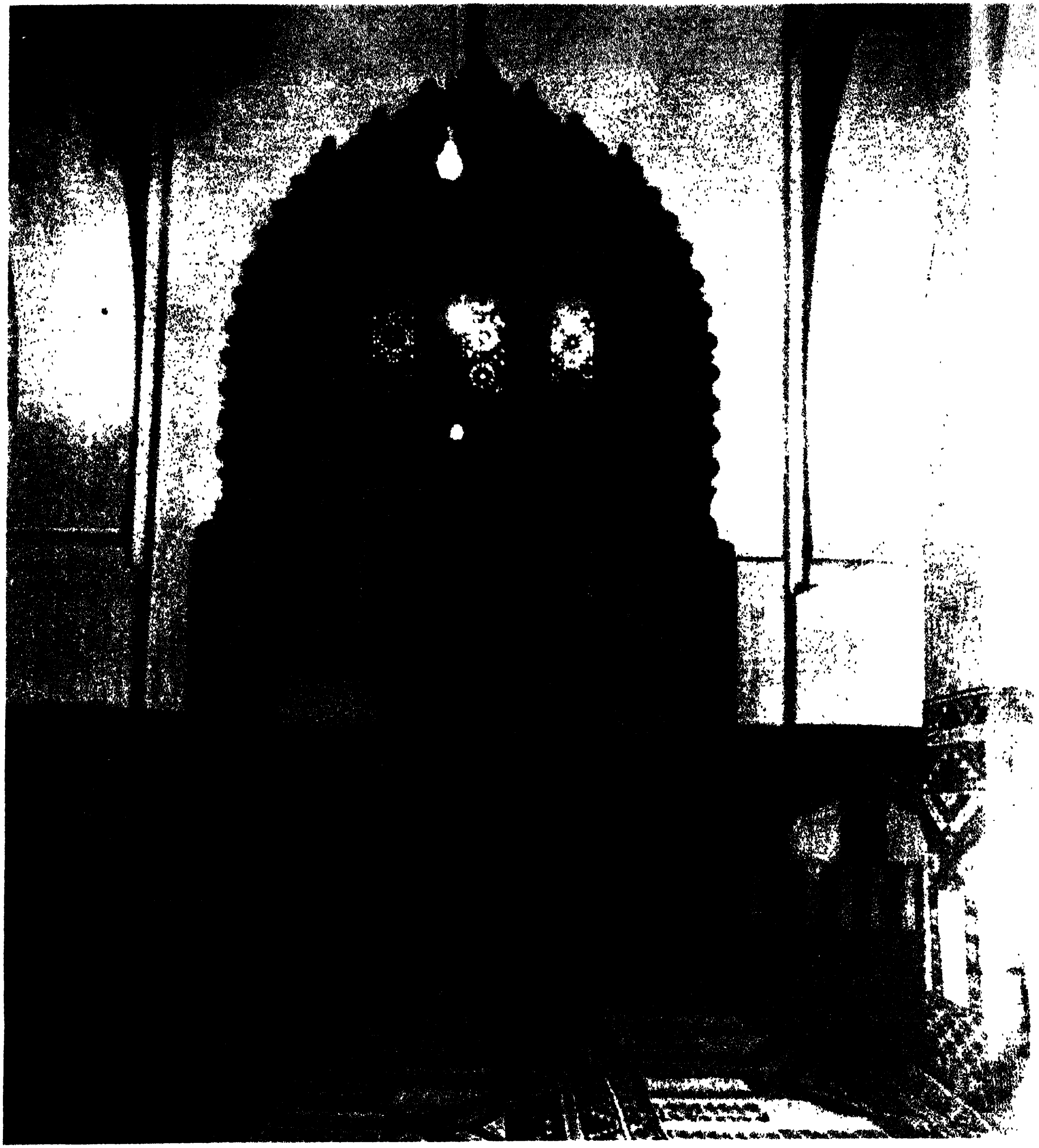
محراب مسجد حمرية
بمكناس



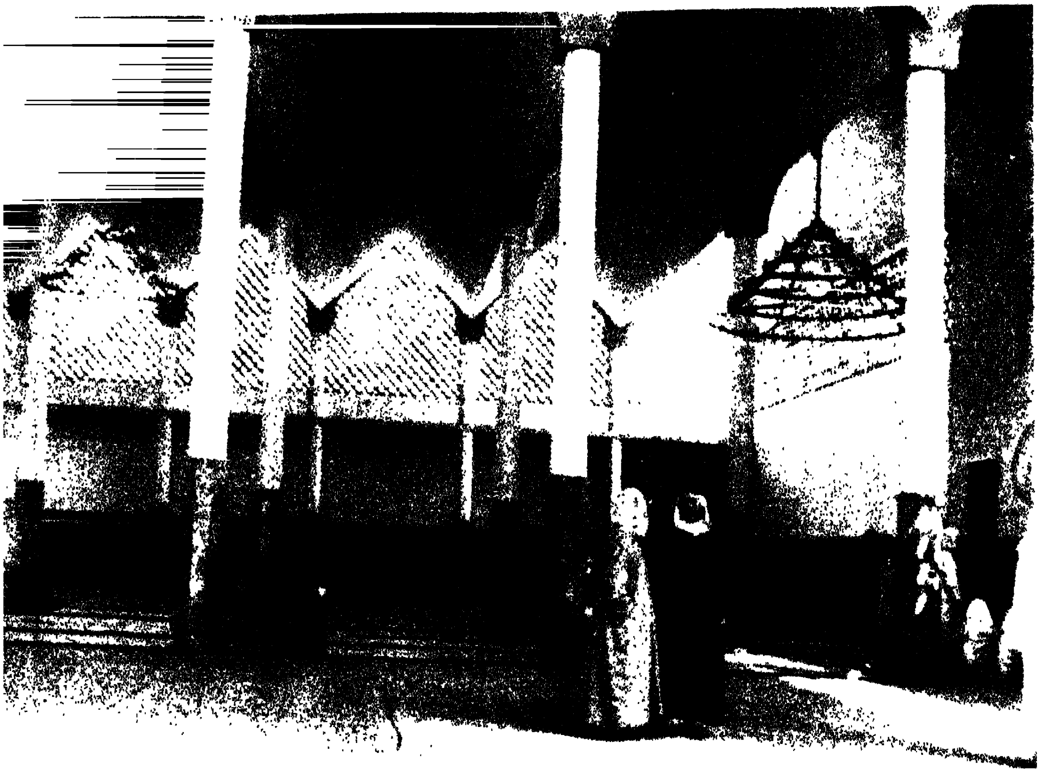
مسجـــد
الحسن الثاني
ببنى دباب
بفـــاس



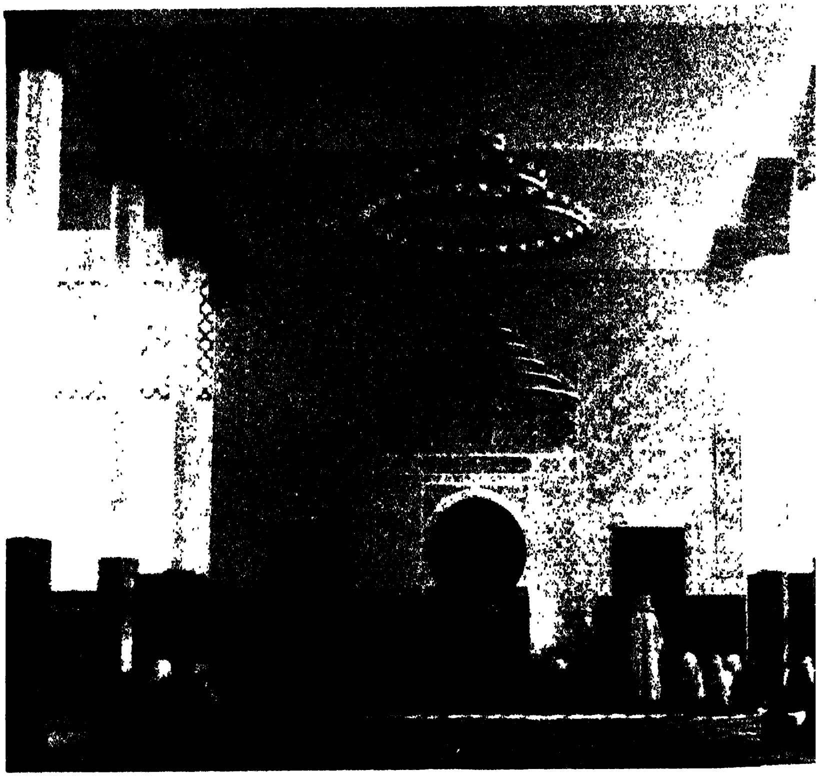
مسجد الحاج بلعيـــد
بـــوجـــدة



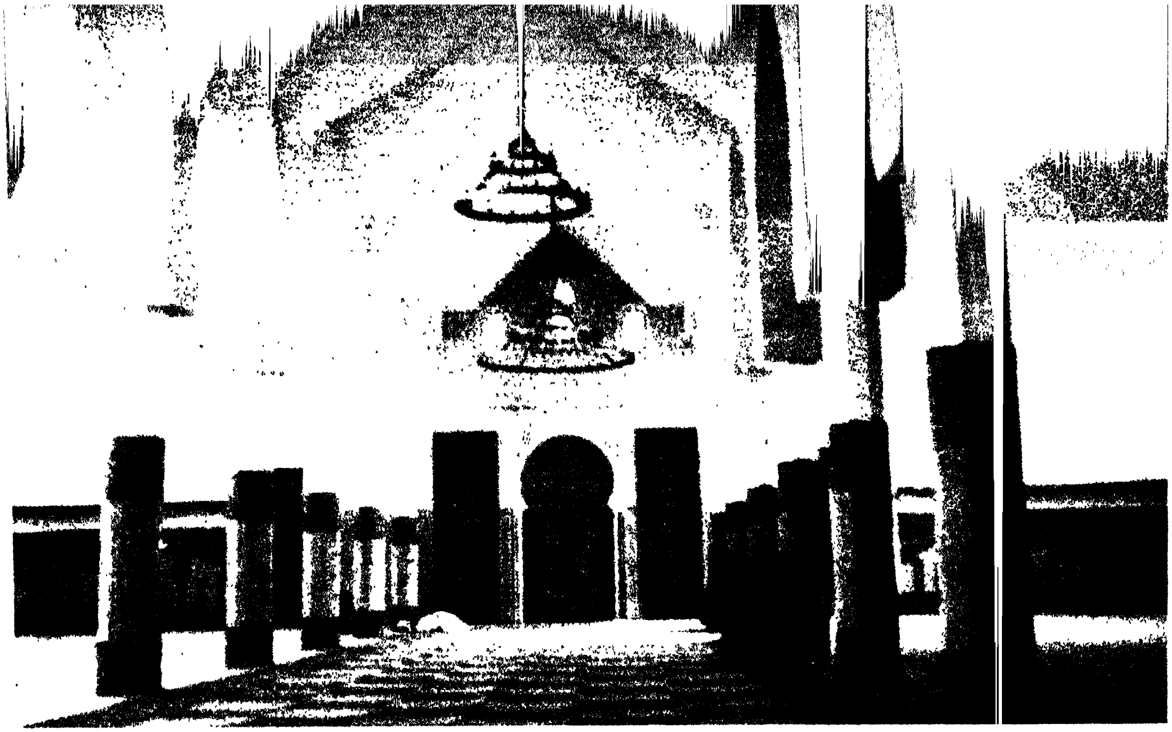
محراب مسجـــد الحمراء بفـــاس



منظـــر داخلـــي لمسجـــد القنيطـــرة



منظـــر امـــامـــي لمحـــراب مسجـــد القنيطـــرة ، حيث تشاهـــد المصليـــن يـــؤدون واجباتهـــم الـــدينيـــة



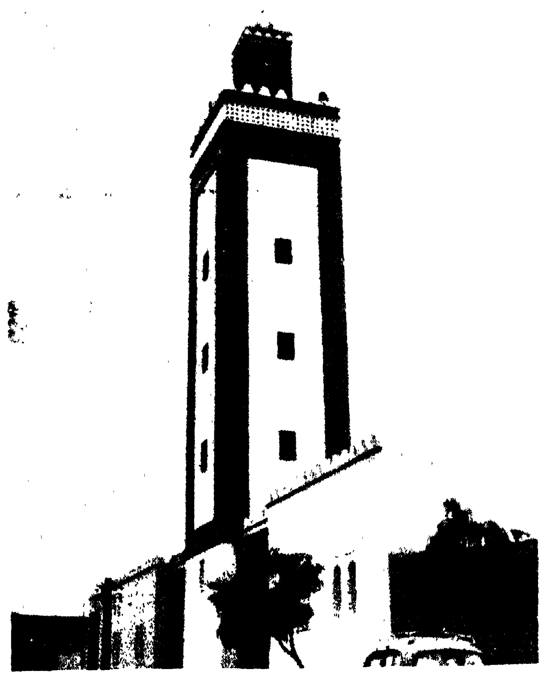
المنظـــر الـــداخلـــي لمسجـــد الشهبـــاء بســـلا



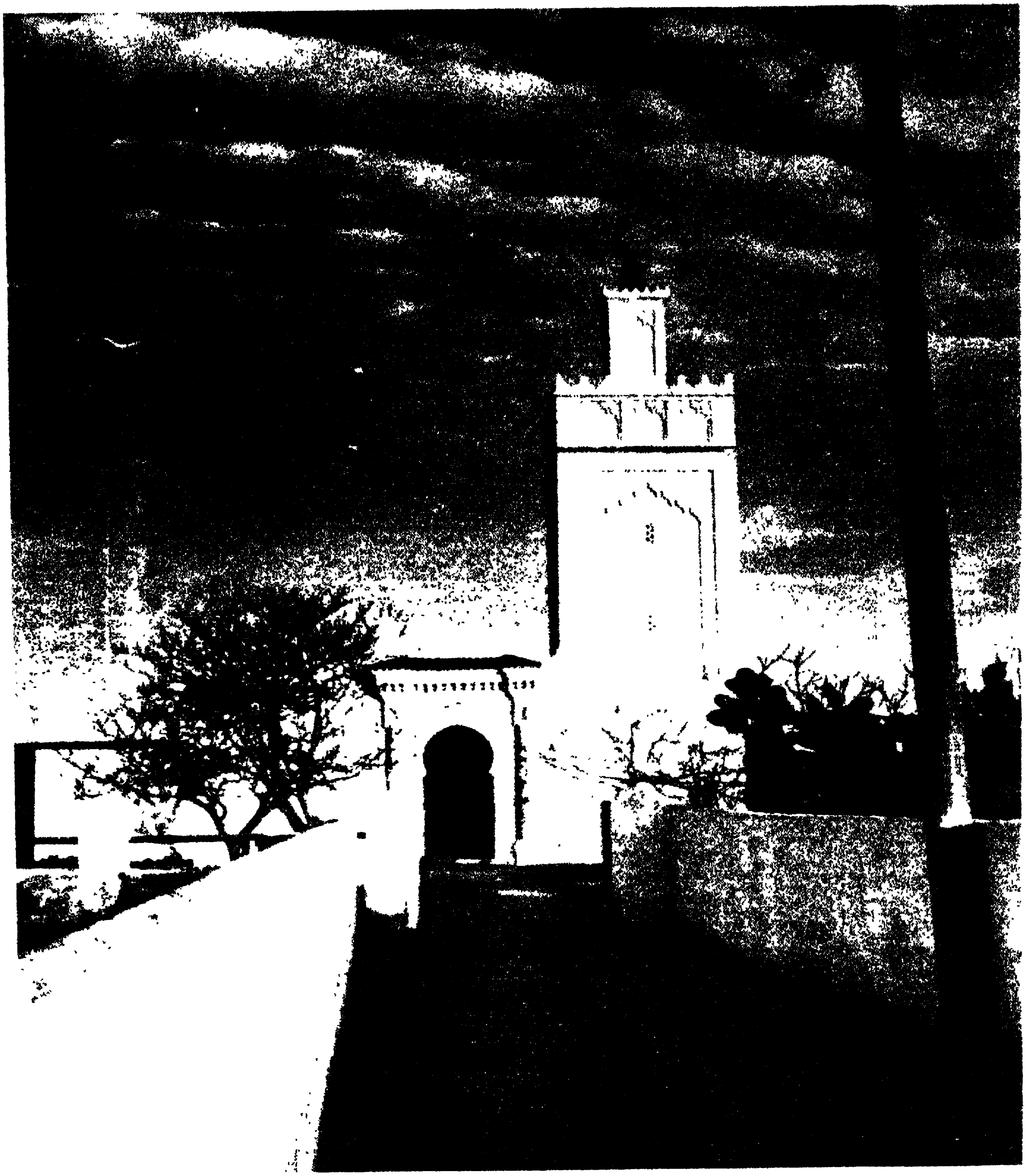
بـــراح المسجـــــد المحمـــدي
بـالـــدار البيضـــاء



مسجد الحسن الثاني ببن دباب بفـــاس



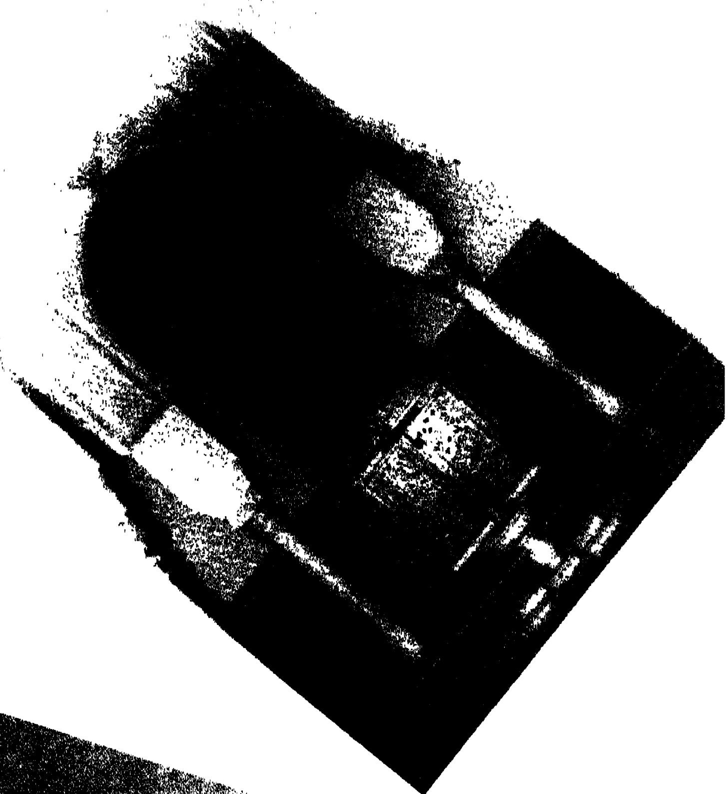
مسجـــد الحســـن الثانـــي
بـــوجـــدة



صــورة امــامــيــة لمدخـــل مسجـــد الفنيـــدق

بتطـــــــوان

احدى ساحـــات ضريـــح
مولاي اسماعيل بمدينة مكناس

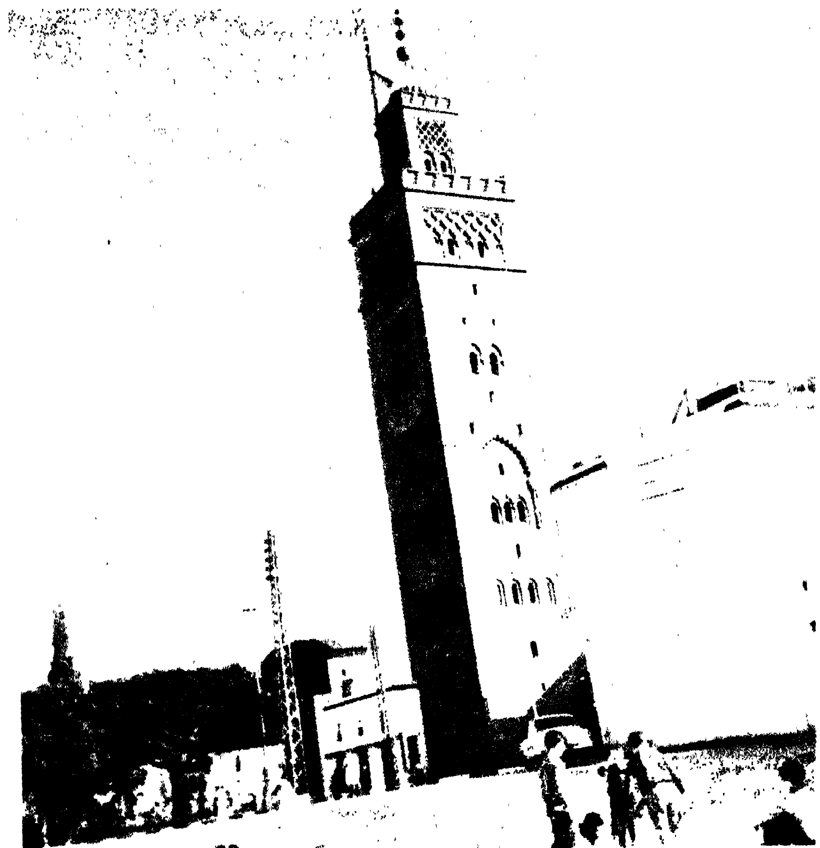




مسجـــد السنـــة
بفـــاس الجديـــد



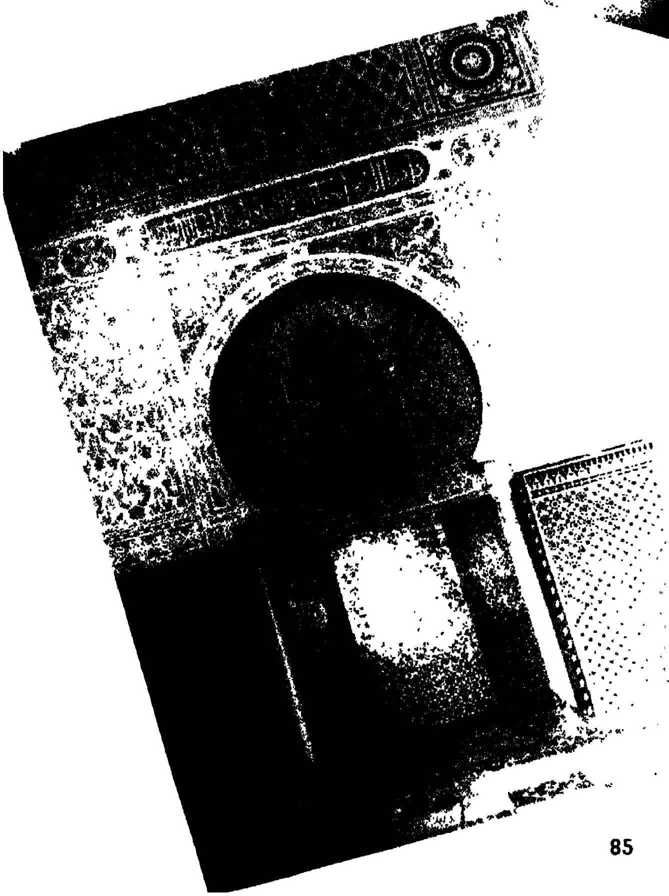
براح المسجد المحمدي
بالدار البيضاء



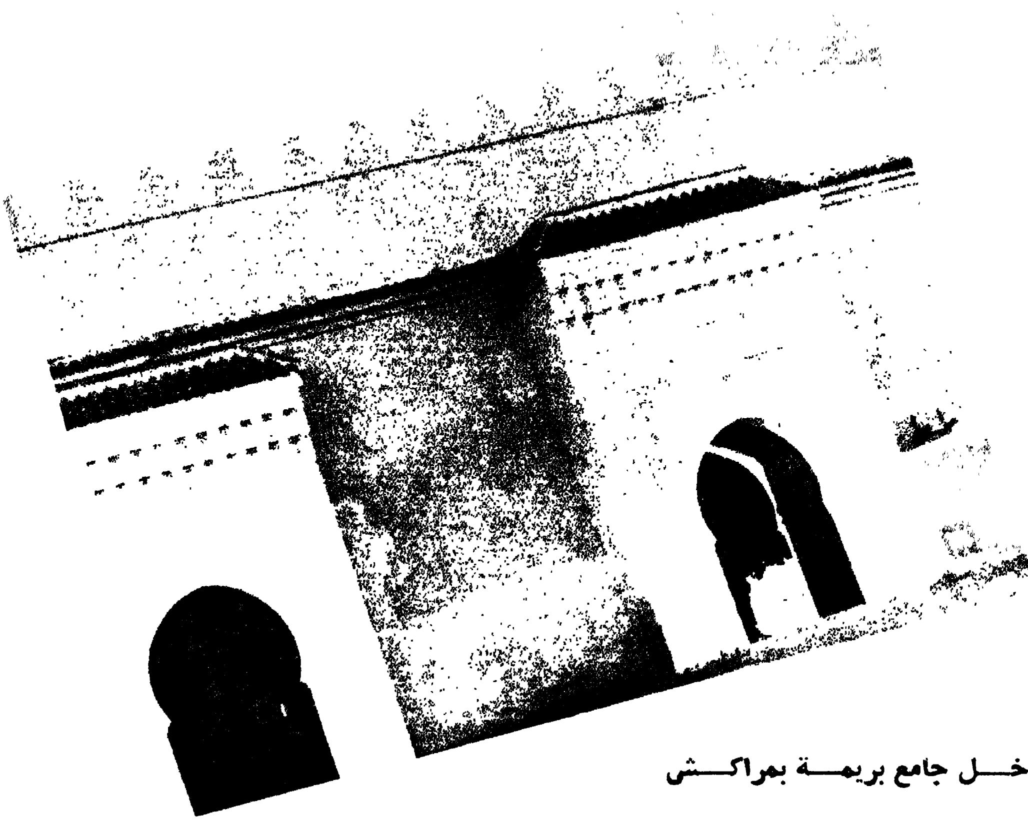
صومعة المسجد المحمدي
بالبيضاء

منظـــر جانبي لمنبر مسجد ايفــران
المصطاف الجميـــل

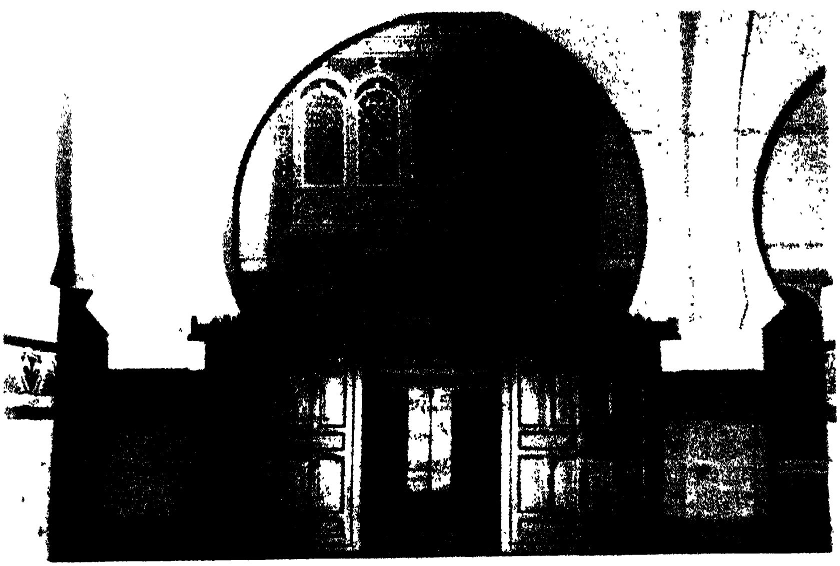




منظـــر امامـــي لمحـــراب
المسجد الجديد الذي بني اخيرا
بالقنيطـــره

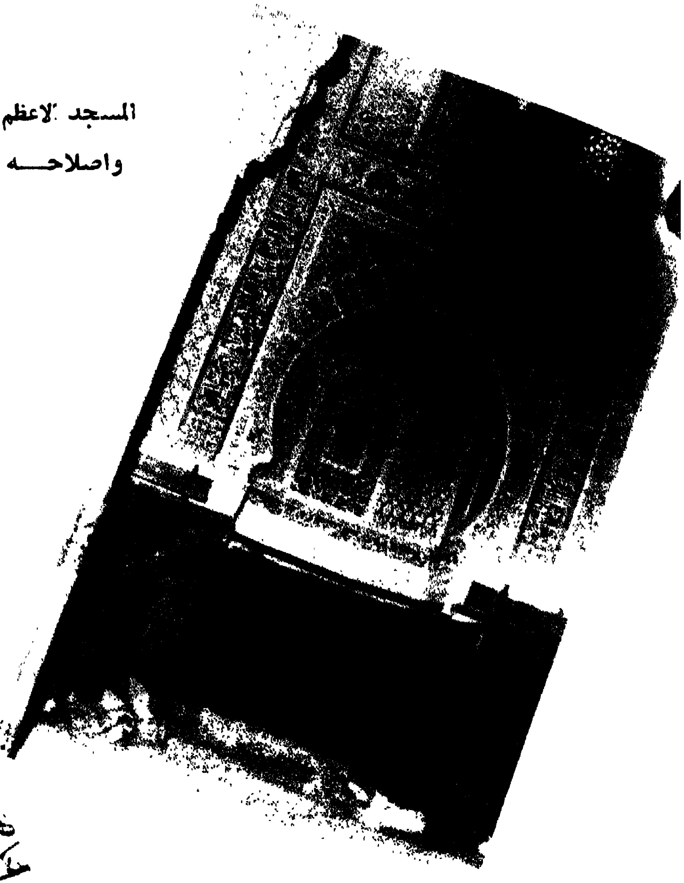


مدخـــل جامع بريمــة بمراكـــش



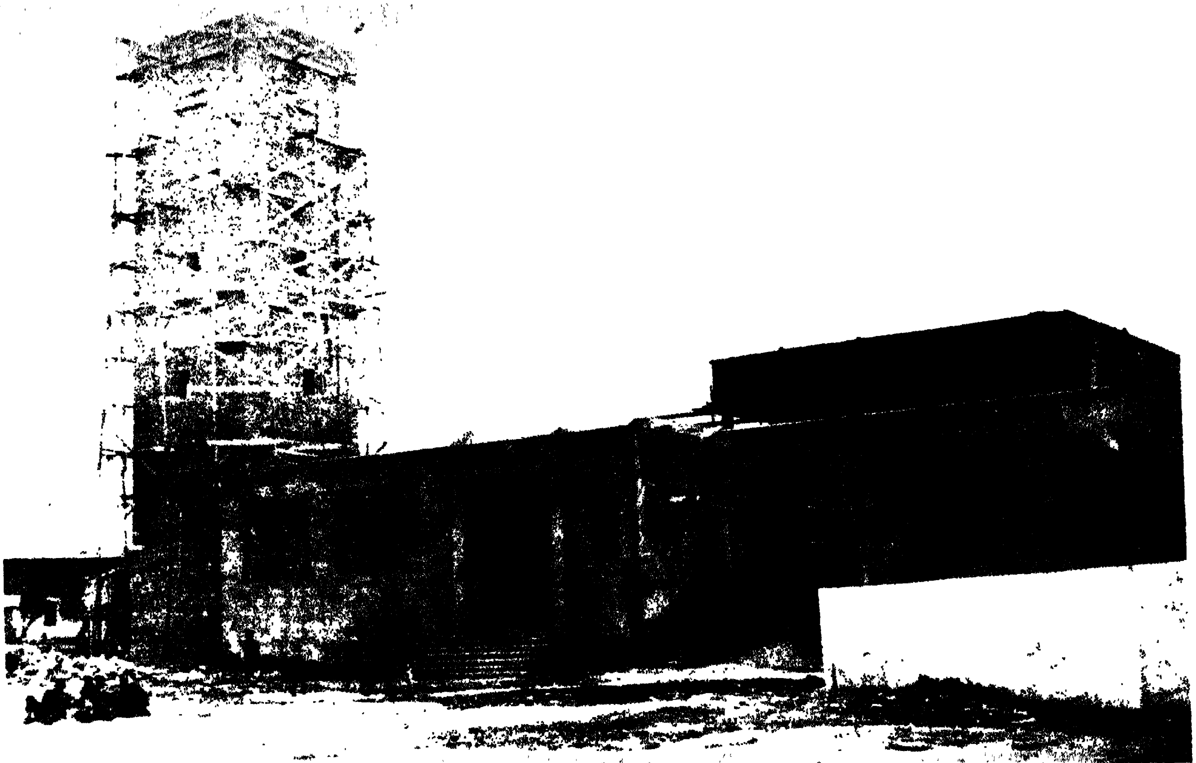
منظـــر امامـــي داخلـــي
لمسجـــد ايفـــران
الذي شيدته الوزاره اخيرا

المسجد الاعظم الـذي يجري ترميمه
واصلاحـه بمـدينـة تـازة



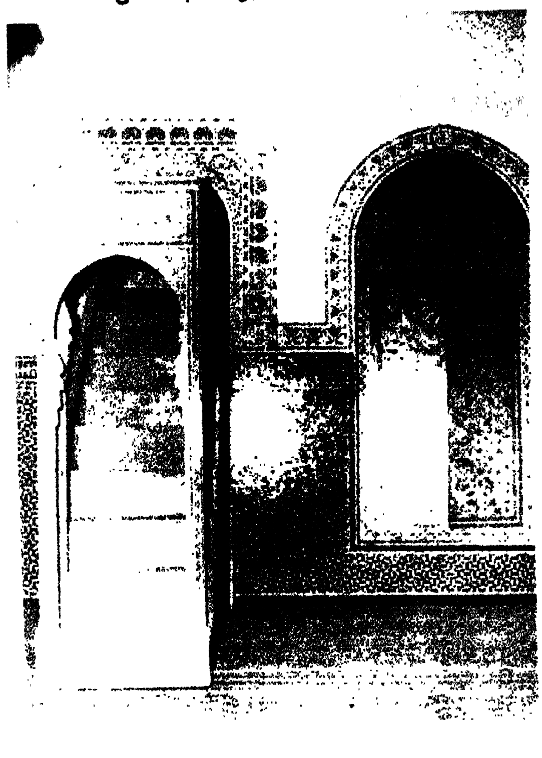


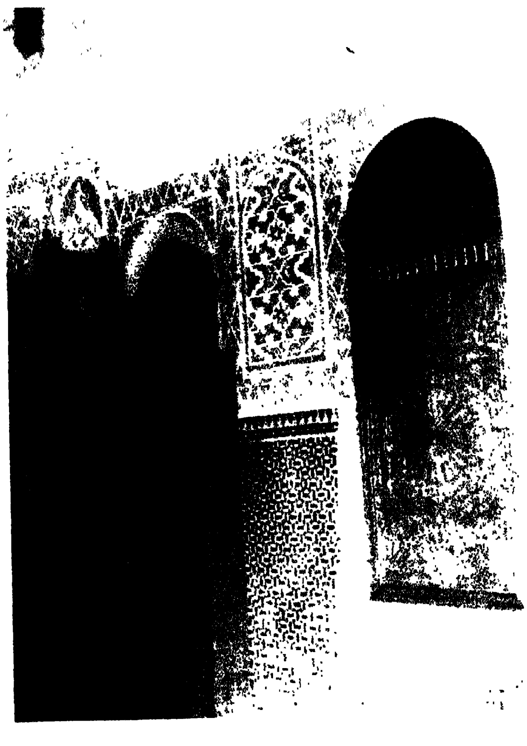
منظر يشير الى الاعمال
التي تقوم بها وزارة الاحباس
لبناء مسجـد بالحاجب



صورة لواجهة مسجد الحسن الثاني بالمدينة الجديدة بتازة

منبر مسجد بريمة بمكناس





منظر جانبي لمنبر مسجد حمرية بمكناس

موقفُ ملوك الدّولة العلَوية وَفخرها المولى إسماعيل من مؤسسة الأحباس

للأستاذ: محمد الطنجي

لابي النصر المولى اسماعيل بن الشريف العلوي ملك المغرب مواقف عظيمة وفخر تجل ماثرها عن الحصر ، تواكب شخصيته الفذة وعزيمته القوية ، وتوائم همته الملوكية ، واتساع افقه في الميدان السياسي والاداري الدي نتج عنه تاريخ حافل ، ترعرعت في ظله الدولة الفتية واستقر الامن ، وكثر العمران والازدهار وطالت مدة حكمه من سنه 1083 الى سنة 1139 هجرية الى ستة وخمسين سنة ، ومن القضايا التي استرعت اهتمامه وتجلت فيها مساعيه البيضاء قضية الاحباس الاسلامية في هذه المملكة التي كانت موضع اهتمام ملوك الدولة العلوية على العموم وعلى رأسها عظيمها المولى اسماعيل ولا سك ان نفسه الكبيرة انطوت على عوامل قوية تدفعه لرعاية الاملاك المحبسة

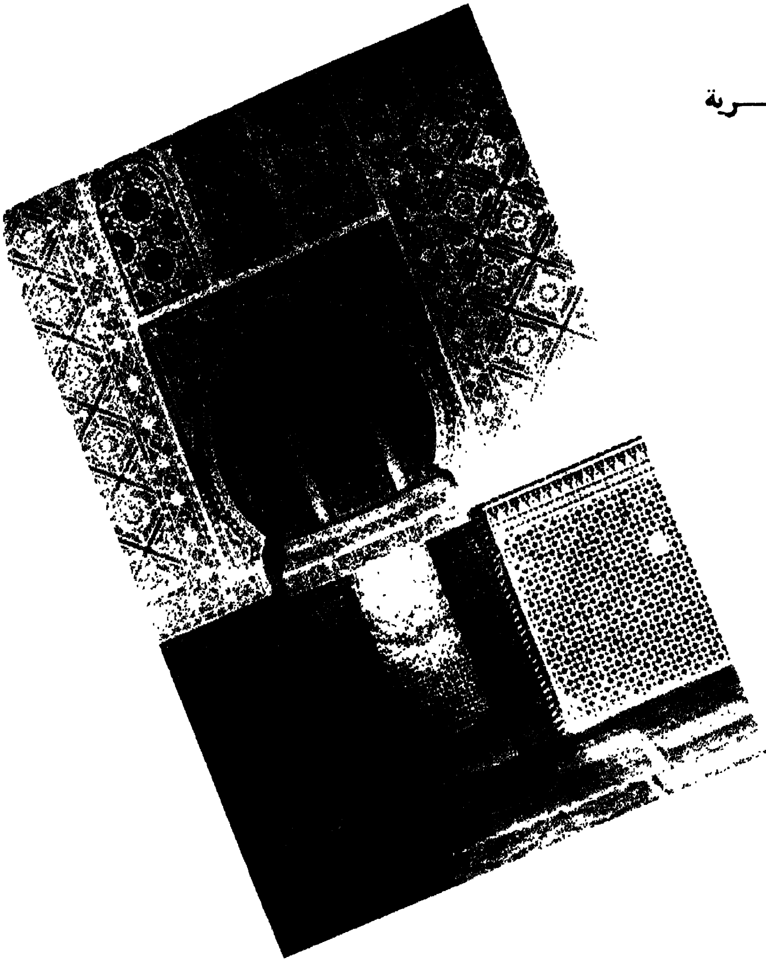
اولا : تدينه : فقد كان يحامي عن الاسلام وارض الاسلام بسيفه وقلمه ، فكان يدعو الرهبان بايالة المغرب للمناظرة بحضرته عسى ان يقتنعوا بدين الاسلام المبني على المنطق والحجة ، ولم يكتف بهذا بل كاتب روساء دول من اوربا ، يحاجهم في احقية دين الاسلام ويدعوهم اليه عسى ان يهديهم الله لاجابة دعوته وما عليه الا البلاغ

ثانيا: رغبته : في نشر العلم الديني والدنيوي واستشارته للعلماء في مهمات الدولة ، وهذه المساعي تتطلب العناية بالمؤسسة التي تسند امور الدين ، وتضمن استمرار الاقبال على تعلمه والقيام على وظائفه باماكن عبادته التي هي مساجد الله ، وتلك هي الاملاك الحبيسة

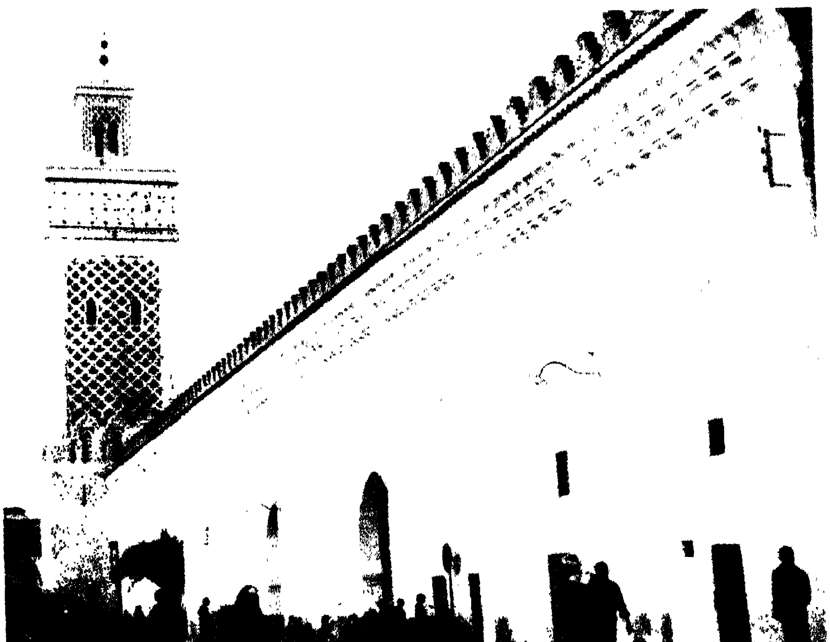
فقد كان للمولى اسماعيل ازاء الاحباس موقف عظيم ، حفظ الكثير من اوقاف المسلمين من الضياع والغصب ، والسرقة والنهب ، وذلك بالعناية بها والمساهمة القيمة في والنهب ، وذلك بالعناية بها والمساهمة القيمة في تكثيرها ، وانشاء الدفاتر الرسمية لتسجيل واحصاء املاكها .

والواقع ان العناية بمؤسسة الاحباس ابتداها مولاي الرشيد العلوي ابان استيلائه على فاس ثم وسع دائرة هذه العناية مولاي اسماعيل واستمر على هذه الطريقة عظماء الدولة العلوية الى وقتنا الحاضر .

فقد ذكر ابو القاسم الزياني في شرحه لألفية السلوك عند تعرضه لجلوس مولاي الرشيد على دست الملك بالعاصمة الفاسية ما معناه انه وجه للاستاذ ابي زيد عبد الرحمن بن القاضي الفاسي يستقدمه عليه لدار امارته فاعتذر بعدم القدرة لكبر سنه وملازمته لبيته ، فاتاه السلطان لعرصة قريبة من بيته من ثقب احدث في سورها فقال له السلطان جئت لاستشيرك فيمن اوليه بفاس من حاكم وقاض ومحتسب وناظر ، فقال له اما الحاكم فلا اتقلده ، والقاضي حمدون المزوار ، والمحتسب عبد القادر المركني الفلالي ، والناظر العدل مسعود الشامي . ولما خرج من عنده امر ان يبنى بالمحل الذي دخل منه باب وبقي طريقا فهو درب الدرج لم يكن قبله



محراب مسجد حمرية
الجديد
بمكناس



المنظر الخارجي
لمسجد المنصور بمراكش
وصومعته

عمارة المساجد على مر السنين ، فكان ذلك كله نظرا وصوابا ، وحسنة (بياض) مولانا ايده الله عند الله ثوابـــا)

وبعد هذه التفصيلات تذكر مقدمة الحوالة الحبسية استبشار المسلمين وكثرة دعائهم لحامي حمى الدين المولى اسماعيل ويظهر ان المولى اسماعيل اسند النظر في عموم الاحباس بعد الناظر القيسي الى السيد بلقاسم المسطاسي الذي كان بمنزلة وزيرها ينظر في جميـــع مصالحها ، ويولي ويعزل نظار الجهات مباشرة ، ففد وقفت على ظهير تجديد المولى عبد الله بن اسماعيـل للناظر العام السيد بلقاسم المسطاسـي ما كان عليـه من الولايه العامه على امور الاحباس ، نص الظهير المؤرخ بمنتصف جمادى الثانيه سنة 1143 هجريه ، بعد الحمد والصلاه على النبي والطابع العلوي الشريف : كتابنا هذا اسماه الله واعز نصره ، وخلد في دفاتـر المجـد امره ودكره ، بيد خديمنا وحبيب ابوابنا الارضى الاخير الاقرب السيد بلقاسم المسطاسي ويتعرف منه بحول الله وقونه وسامل يمنه العميم ونصرته اننا جددنا له به ما كان عليه من النظـارة في امـور الاحباس في جميـع الاقطار والمدن والبلدان والقرى والمداشر ، وبسطنـا له اليد الطولى على جميعها بحيث لا يقتصر عن البحث والتفتيش في الادنى والاقصى فان جل مهماتنـا هـذا الامر الاكيد وجعلناه العوض منا في ذلك واني بفضل الله تعالى وقونه اقمته هـذا المقـام على مر الليالـي والايام فعليـه بتقوى الله ومراقبته في سره وعلانيتـه ، وعليه بمحاسبه النظار واهل النظر في هذا الامر حتى يترك من اراد ويولي من اراد ، ومنا اليه في التقصير ، وعلى الله المعول وهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير) فصيغه الظهير بالتجديد تدل على ان هذا الناظر العام كان متوليا قبل ذلك

ويستفاد من مؤرخ الدولة العلوية العلامة السيد عبد الرحمن بن زيدان رحمه الله ان السيد الطيب ابن احمد بن غازي المكناسي كانت له رياسة وزارة الاوقاف المغربية في سائر الايالة العلوية والنظر التام والتصرف العام في جميع الاحباس على عهد السلطان مولانا عبد الله بن اسماعيل ، وان ابن زيدان وقف على محاسبة لناظر اوقاف الجامع الاعظم بمكناس سنة1149 هجرية

ولاحظ انه لم يكن يطلق على الناظر العام اسم الوزير

هذا وان المتتبع للحوالات الحبسية يجدها انشئت في عهود عدة ملوك علويين منها المحمدية ومنها السليمانية ومنها غير ذلـــك

وقد بقيت احباس بعض المدن دون تسجيل الى زمان مولاي محمد بن مولاي عبد الرحمن بن هشـام ففي مقدمه حوالة مدينه سلا حكاية عن جلالـة مولاي محمد بن عبد الرحمن ما نصه : وراي ايده الله وزاده بسطه في ملكه وجمع الخلائق في عقده المتناسق وسلكه الاوقاف المتوافرة الوافرة المقوية بمستفدها على زاد العبد للاخرة التي اوقفتها الامة الاسلامية ، واســـت بنيانها الدوله الهاشميه بالعز الجهادي الانور ، والركن المشيد الاشهر ، المسمى بمدينة سلا ، صانها الله من كل آفه وبلاء وحرسه بعينه التي لا تنام ، بجاه سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، وبلغه نصره الله وايده ، وادام رشده وسدده ، ان تلك الاحباس والاوقاف لا جامع لها ، ولا ضابط يصونها ، مع طول الزمان من الاتلاف. وانما هي بتقاييد وزمامات لا يتوصل الى تحقيق ما بقي منها وما فات الا من دفاتر ولاة امر النظر ، ولا يخفى ما في ذلك من الخطر ، وهذا هو العرف عندهم القديم. لا يقدرون له على تاخير ولا تقديـم ، امر ايـده الله واعزه وادام مجده وعزه قاضي الثغر المذكور حينـــه ووقته ، الفقيه الدراكة النقاد ، شمس سماء الفضائـــل وبدرها الوقاد ابا المحاسن ابا بكر بن المرحوم الفقيـه العلامه القاضي سيـدي محمد عـواد ان ينظر في تلـك الاوقاف السعيـدة نظر الرائـد ، ويعمل الجهـد في استنساخها ووصل الصلة بالعائد ، وتؤلف كلها بديوان جامع لاشتاتها ، ومحيط باجزائها وكليتها ، على نسق حوالة اهل فاس الغراء ، لانها عمل من تقادم من جهابذة العلماء والقـراء ، ويلتقط ذلـك من مظانـه الخفيـة والشهيرة ، ويبحث عما ابهم امره من اجزائه اليسيرة ، فكان من انعام الله على القاضي المذكور وتيسيره ، ان صادف الامر الشريف بذلك اول ولايته القضاء وتصديره، فافتتح به عمله السعيد بادي ذي بدء وشرع فيه مستعينا على حمل ذلك العبء وامتثـل امره الشريف العالـي بالله وشرع في ذلك كاتبه بالاذن الشريف والاستعانة بلاحول ولا قوة الا بالله حتى كمل الغرض المامور به كما امر،

ولما بلغ دار الامرة نفذ الامارة لسيدي محمد بن احمد الفاسي ، والقضاء للمزوار ، والحسبة والنظارة لمن ذكر . فامتنع السامي من النظارة فسجن سبعة اشهر، ولما ضاق به الامر اجاب على شرط ان لا يتعرض له قاص ولا وال ، لان الاحباس كلها حازهـا اللصوص والاسراف ايام الفتنة حتى كادت ان تستأصل كلها واستغل بالبحث عنها واستظهرها ، ومن اتهم بربع او ارض او جنان او دكان يحوز ما عنده من الربـاع ، فما ظهر رسمه رده له وما وجد مغصوبا او لا رسم عنده علم انه مغصوب فيحزوه للحبس حتى رد الاوقاف كلها وزاد عليها ما وجد مغصوبا من الوقف او غيره

ومن تتمة هده الاستشارة المبنية على الاخلاص من جانب السلطان مولاي رشيد ومن جانب الاستاذ عبد الرحمان بن القاضي ان القاضي المزوار اخذ يحكم بغير المشهور ، فكتب ابن القاضي لمولاي رشيد يقول له (ان من اشرت عليك بولايته له اصهار ، واصحاب تجار، ومخالط لاعيان فجار ، فاقلني من عهدته اقالك الله من عذاب النار ، فكتب له ان ينظر للقضاء من هو اهـل ، غريب الدار ، لا قرابة له ولا اصهار ، خامل الذكر ، فذكر له المجاصي الغياثي فولاه القضاء بفاس)

وعلى هذا الاجراء في الاحباس بعاصمة فـاس يكون الناظر النزيـه الكفء المثالـي السيد مسعـود السامي قد ضرب المثل في رعاية قضايا الاحباس ، ويكون المولى رشيد الذي قبل شرطه واسنده وقواه ، قد فتـح الباب لمن ياتـي بعـده ، حتـى تحفظ هذه المؤسسـة الاسلامية وتحاط بسيـاج من الحصانـة والاجـراءات الادارية والتشريعية التي تضمن استمرار ادائها لمهمتها الاسلامية السامية ومن الممكن جدا ان يكون التلاعـب باملاك الاحباس قد وقع في بلدان اخـرى غيـر فاس فكان ذلك من البواعث التي جعلت المولى اسماعيـل يتدارك بحزمه الاملاك الحبسية فيامر باحصاء عام لجميع املاكها على اختلاف انواعها في جميع انحاء المملكة المغربية ، التي وحدها تحت سلطـة العـرش العلـوي المجيـــد

ولقد تصفحـت عـدة حوالات حبسيـة عسـى ان اجد الامر بانشاء الحوالات الاسماعيلية الى ان وجدت في مقدمة حوالة تازة الجامعة التي كتبت في عهد مولاي اسماعيل بتاريخ 1116 هجرية اسناد نظارة الاوقاف العامة للكاتـب السيـد محمد القيسـي الفاسـي بامر المولـى اسماعيل ، وما قام به هذا الناظر في الايالـة المغربيـة فكان هذا الوجود سندا تاريخيا هاما ، ففي مقدمة الحوالة الحبسية لمدينة تازة بعد ثناء جم على المولى اسماعيل ما صورتـــه :

« وكان من جملة ذلك اعتناؤه ايده الله بعمارة المساجد وافتقاد احوالها بكـل ما يعرض لها من ناقص وزائد ، ولم يقتصر ايده الله ان قدم بنور هدايته لقضاء تلك المئارب ، وتشريف تلك المناصب خديمه الانصح الامين ابا عبد الله السيد محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله القيسي الاندلسي الفاسي المشهور بالكاتب لما راى ايده الله فيه من زيادة الاعتناء ، وممارسة لعظائم الامور وتقديرات البناء ، فقلده امورهـا على الشمول والاستغراف ، واطلق له في محاسبة احباسها على العموم والاطلاق فقام بحق ذلك بهذه الايالة السعيدة اي قيام واشتهر في اتقانه وضبطه اشتهرا لم يسبق به فيما تقدم من الايام حتى انتهى في انتشار بحرتـه الى حضـرة مدينة تازة ، ودشر الباهية ، وجمع من احباسها ما كانت واهية متلاشية ، وقام في ضبطها قياما ابدع في طرقـه ، واجاد في تهذيبه ونسقه ، وجمع من احوال احباسها ما افترق وتتبع من شواردها ما خرج عن حيزه وانطلق ، وضرب على يد من له فيه يد جائلة ، او عن سبيل البر والتقوى مائلة ، وحسب الجميـع حسابا لـم يدع فيـه شاذة ولا فذة ، ولا ترك فيها لذوي الشبهات علاقة ولا جادة ، وتقدم بنظره السديد ما تقوم به المساجد والمدارس والعلماء ما يستحقون ، بتعمير المساجد وملازمة المجالس حتى اتى ذلك بما ترضاه القلوب السليمة وترتاح به النفوس الحليمة ، لجريان ذلك على القوانين الشرعية وموافقته للاوامر العلوية ثم افتقد احـوال مساجدهـا الصغار واستدرك من انقالها ما اغفله غيره من النظار ، فاظهر لكل واحد من الاوقاف ما ينتسب اليه ، وناقش حساب من تصرف فيه او كان مقدما عليه ، حتى اتضح خراج جميعها واشتهر ، بحيث لا يجهل احـد عـده ، ولا يخفى قدره على محاسب بعده ، ثم كمـل كل سـر ذلك بتوقيعه في هذه الحوالة الكبيرة ، وجـرى نظره في ذلك على احسن طريقـة واكمل سيـرة ، وابقـى مصرف الجميع على غرض المحبسين وعلى ما تدوم به

الأوقاف الإسلامية ونظامها بالمغرب في عهد الدولة العلوية

للأستاذ عبد الله الجراري

ابتدا الوقف فى عهد الرسول الاكرم صلوات الله عليه ، وعهد صحابته الكرام ثم من بعدهم من الامم الاسلامية متتابعا الى عصرنا الحاضر . اخرج البخاري فى الادب ومسلم وابو داود والترمذي والنساءي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الرسول عليه السلام قال : اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث ـ صدقة جارية ، او علم ينتفع به ، او ولد صالح يدعو له .

فسر العلماء الصدقة الجارية بالوقف . وعن ابن عمر رضي الله عنهما : « ان عمر اصاب ارضا من ارض خيبر فقال يا رسول الله ـ اصبت ارضا بخيبر لم اصب مالا قط انفس عندي منه فما تأمروني؟ فقال صلى الله عليه وسلم ـ ان شئت حبست اصلها وتصدقت بها ، فلم يلبث عمر ان تصدق بها على ان لا تباع ولا توهب ولا تورث ـ فى الفقراء وذوي القربى والرقاب والضيف وابن السبيل ، لا جناح على من وليها ان ياكل منها بالمعروف ، ويطعم غير متمول .

والحديث يحتوي فوائد ـ منها ثبوت صحة اصل الوقف ، قال الامام النووي : وهذا مذهبنا ومذهب الجماهير ، ويدل عليه ايضا ـ اجماع المسلمين على صحة وقف المساجد والسقايات والمستشفيات والمستوصفات .

ولاجدادنا رحمهم الله ـ مبرات بالانسانية فى مختلف مظاهرها ، فى مقدمتها انهم وقفوا اوقافا كثيرة على جميع شؤون الدين ـ فالمدرسون والطلبة ، والخطباء ، والوعاظ والائمة ، والمؤذنون وقراء القرءان والاحزاب صباح مساء والقيمون على التنظيف والفرش ، وما الى هذا من مرافق تساعد على اداء طقوس العبادة فى سهولة ويسر ـ كل ذلك له حظه الاوفر من ثروة الاجداد المحبسة تسنده وتمده ـ ففي كل ناحية من مدن المغرب وقراه تجد مبرة من مبرات الجدود ـ بالدين وما يرجع الى الدين فكانوا نماذج تحتذى فى باب الاحسان الى الضعفاء والمساكين فأحباس الكسوة صيفا وشتاء ، والاطعام يوميا واسبوعيا وافرة فى مغربنا الكريم ، اضف الى هذا الملاجىء التي احدثوها فى غير ما جهة من جهاته خاصة بضعفاء الابدان وضعفاء العقول والعتهاء مجهزة مزودة بالاوقاف الكافية حتى لا تقف وتتعطل فائدتها فى ظرف ما .

ومثل هذا يقال ـ فى القلاع والحصون والابراج وخصوصا فى الثغور ـ فقد اسسوا معاقل لحراسة الاراضي الاسلامية وصد كل من يرومها بسوء متكفلين بامداد القائمين بها بالاحباس المقتطعة من اموالهم الخاصة حتى انهم تجاوزوا مبرة الاحسان بالانسان الى الاحسان بالحيوان والرفق به ـ فعندنا وقف من اسلافنا خاص بمداواة اللقلق «بلارج» ومعالجته عندما تصيبه آفة «1» لتصغ الان « جمعية الرفق بالحيوان » لهذه المزية التي سبق اليها اجدادنا قبل ان يدور ذلك بخلد ابنائها بل وهي لا تزال فى العدم بعد قرون .

لهذه المكارم الخالدة التي نستوحي اسرارها من مضامين اوقافنا الاسلامية ـ قام ملوك الاسلام ورؤساؤه بالعناية بها ورعايتها حفاظا على كرامتها وعرفها القدس القار ـ فهذا ابو النصر المولى اسماعيل العلوي نور الله ضريحه حينما راى كثرة الاوقاف بالملكة وخشي عليها الضياع والنسيان ـ

«1» كان ذلك لما له من المنافع للانسان فى تتبع الحشرات السامة من احناش وغيرها وتنظيف الاماكن والدور والمزارع من اخطارها .

وتم على احسن حال مستمر ، وجاءت الحوالة والحمد لله في احسن تقويم ، جارية على السند المرعي ، والنهج القويم ، سهلة المطالعة ، حاوية لما في غيرها من المقاصد، جامعة مانعة متصلة الاماكن والاجناس ، منظمة التراجم مبينة ما لجانب الوقف كلا او بعضا من غير احتمال ولا التباس ، معينا منها كل جزاء برسم مع تحديده وتعيينه بما له من وصف ووسم مسهودا على عينه بحوزه ، واستمرار التصرف فيه بانواع التصرفات الوقفية ، من غير مدافعة دافع او لمزه ، وبسبب ذلك لم تحصل مشقة لمطالعها حسبما يقف على ذلك ان شاء الله عقبه في اثنائها ، وتاريخ طلوعها طلوع البدر في التمام ، في عسر شعبان من عام خمسة وثمانين ومائتين والف هـ

ونريد ان نختم هذه النماذج من الحوالات الحبسية بامر مولوي صادر عن السلطان مولاي عبد العزيز قدس الله روحه لناظر الدار البيضاء بتاريخ 28 جمادى الأولى عام 1315 هـ يتعلق باحصاء كامل لأملاك الأحباس هناك ونصه : خديمنا الارضى ناظر الاحباس بالدار البيضاء حرسها الله وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ، فنأمرك ان تجعل تقييدا لجميع رباع الحبس الذي على يدك هنالك ، كل محل على حدته ، وتقييد ما بازائه اسم مكتريه ، وان كان رعية فنبه عليه ، وان كن حماية فكذلك ، واذكر اسم حاميه، وان كن اجنبيا فبين اسمه وجنسه ، وقيد امام اسم المكتري الكراء الذي يدفعه في ضلع ، وما يساويه اليوم كراء في ضلع ءاخر ، ومن كان متقاعدا عن الاداء نبه عليه ، وبين سبب تقاعده ثم قيد عقب ذلك المنفذ منها بدون كراء وبيد من هو وهل يعتمره المنفذ له او يكريه على يده وهكذا الى ان تاتي على جميعها على الوجه المذكور ووجه التقييد بها واصلا لحضرتنا الشريفة والسلام ، انتهى ويظهر ان القصد من هذا الاحصاء والتقييد الزيادة في الكراء والضرب على ايدي المتلاعبين باملاك الاحباس

هذه الكلمة العامة بسيطة بموقف الملوك العلويين من العناية بالاحباس قبل عقد الحماية ، اما بعد هذا العهد فلها مجال ءاخر

الرباط ــ محمد الطنجي

الاحبـــاس تواظب على أداء مهمتهـــا

وواظبت وزارة الاحباس على اداء مهمتها الدينيه ببناء المساجد وتجديدهـا وتنظيم دروس الوعظ والارشاد بها والقيام بخدمات في الميدان الاجتماعي بتحسين حالة الموظفين الدينيين ، وفتح أوراش التشغيل لمحاربة البطالة ، والمساهمة فـي الاعمال العمرانية بانشاء قـرى عصرية وتشجير الاراضي الحبسيــة .

من خطاب صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه فى عيـد العـرش السعيد لسنة 1959

اصدر امره الى النظار فى كل جهة من الجهات باحصاء الاوقاف وتسجيلها فى دفاتر خاصة تكون كوثائق قانونية وتاريخية بين أيدي الاجيال القادمة كي يترفعوا منها املاك الاحباس ، ومقاصد المحبسين ، وكان من ذلك ما يسمى : « بالحوالات الاسماعيلية » «1» .

وفى عهد المولى عبد الله بن اسماعيل — 1140 — 1727 — تأسست النظارة العامة للاوقاف « الوزارة الحبسية » من بين الوظائف العليا الموجودة فى الحكومة ، واصبح لها من الاختصاص والنفوذ العام كل ما يلزم ان يكون لوزارة حبسية حديثة — واصدر العاهل المذكور طيب الله ثراه — امره باسناد هذه الوظيفة الخطيرة العامة الى السيد بلقاسم المسطاسي بالنظر فى شؤون الاحباس فى جميع المدن والبلدان والقرى والمداشر ، اذ بسط له اليد الطولى على جميعها لما لمسه فيه من الكفاءة والنزاهة وذلك بتاريخ 1143هـ — 1730م .

من هذا نستنتج أن «وزارة الاحباس » ليست بدعا بل كانت موجودة منذ العهود الاولى للعائلة العلوية .

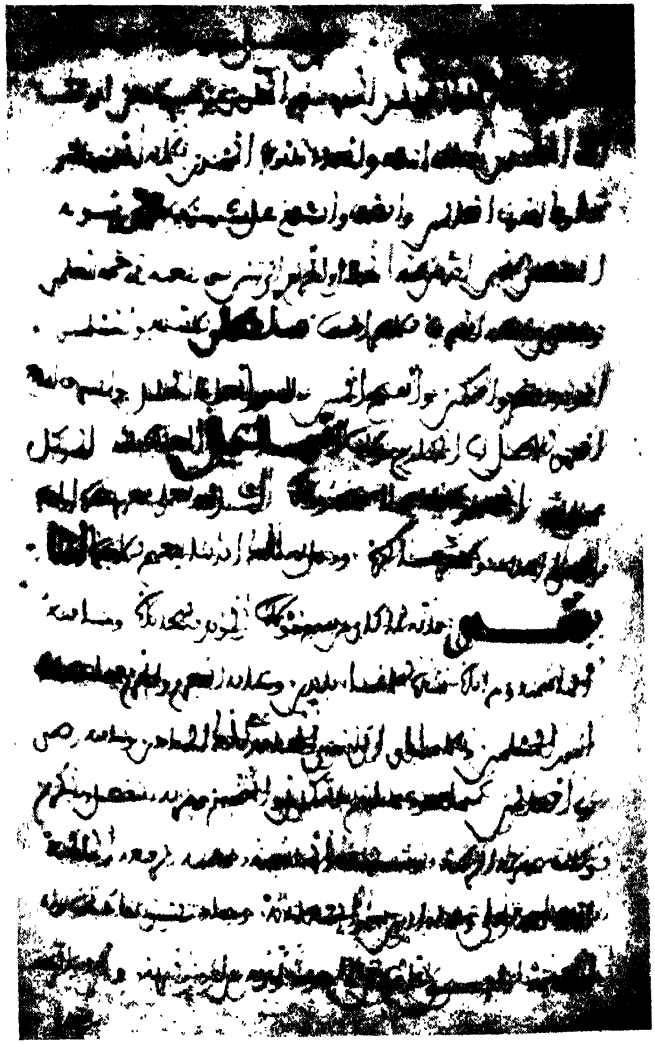
وفى دولة السلطان المقدس محمد بن عبد الله رحمة الله عليه . جعل بجمع اوقاف كل جهة على حده وبكلف بها ناظرا واحدا كسنة منه اقتدى به فيها المغفور له المولى عبد الرحمن بن هشام . فقلل عدد النظار وجعل فى كل مركز من المراكز ناظرا أو ناظرين على الاوقاف العمومية رغبة فى لم شعثها ورعايتها اكثر ما تكون الرعاية .

نعم عندما اخذت تشيع معاوضة املاك الاحباس بيسرها من الاملاك ، اصدر المولى عبد الرحمن اوامره الصارمة بمنع المعاوضة فى الوقف، وكلف الولاة والقضاة على الخصوص بمنع المعاوضة منعا باتا ، وعلى وتيرته سار ابنه المغفور له محمد الرابع ، مجددا اوامره الى العمال والقضاة والنظار بمنع المعاوضة الحبسية ، على ان هناك جماعة من العلماء من اجازوها بشروط كالمحافظة على اصل الملك وقيمته بحيث لو كان المحبس بقيد الحياة لطابت نفسه بالعوض . ولما كان ما يوجب تبديلا او تغييرا يترتب عليهما ما يترتب من معالة المحبس . ثم النظرية العامة التي كان ملوك الدولة العلوية الشريفة يطبقونها كمن قبلهم من ملوك الدولة المغربية — هي اعتبار الاوقاف الاسلامية تراثا خاصا لجماعة المسلمين ، ورصد مداخيلها واوفارها للقيام بشعائر الاسلام ، وتعليم الدين وما اليه من معارف ومؤاساة البؤساء والغرباء فكان دخلها يصرف فى المساجد والمدارس والملاجىء والمارستانات والمستوصفات واحيانا على تحصين الثغور وانارة الدروب ، وتنظيف الشوارع وتوزيع المياه العذبة وكانوا يأذنون بالانفاق من احباس جهة على جهة أخرى متى كانت المصلحة تقتضي ذلك، من ذلك ما قام به المولى محمد بن عبد الله من بناء المساجد والمدارس وتجديد أضرحة الاولياء فى مراكش وآسفي والدار البيضاء وفضالة « المحمدية » ورباط الفتح . ومكناس ، وتازة ، والعرائش ، وتاسيس مدرستين بمكناس ، ومدرسة بتازة والصويرة بما فيها من مساجد ومدارس « ضرورة انها من مؤسساته » .

وهكذا استمر ملوك الدولة العلوية الشريفة يرعون الاوقاف ويعيرونها اهتمامهم الخاص دفاعا عن قداستها واسترجاع ما اغتصب او يغصب من املاكها وعقاراتها .

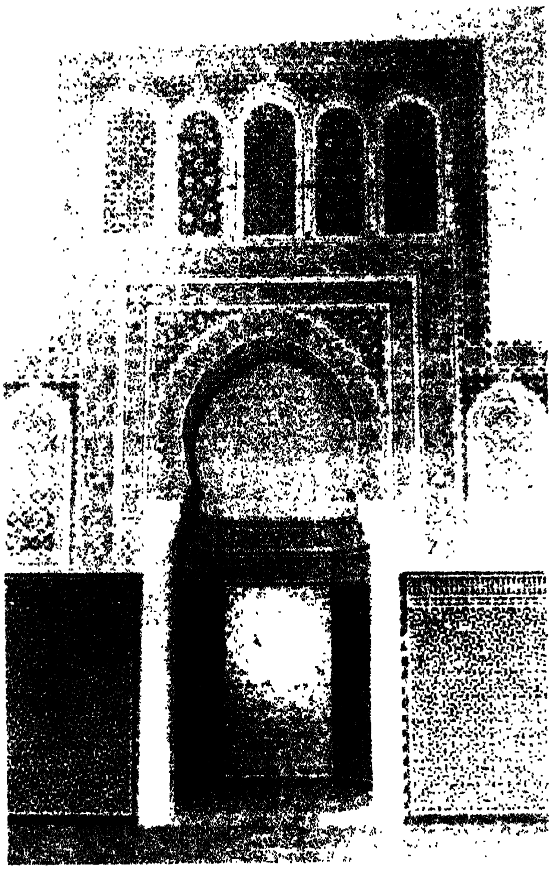
فعندما انعقد مؤتمر الجزيرة «1324هـ — 1906م» لدراسة الاصلاحات اللازمة للمغرب ، لم يدرس مسألة الاحباس ، ولم يدخلها فى جدول اعماله ، لانها قضية دينية لا صلة لها بالدول الاجنبية ، ولا حق فى بحثها والتدخل فى شؤونها لغير المغاربة والدولة المغربية — بيد ان المندوبين المخزنيين — انتهزوا الفرصة للدفاع عن املاك الاحباس التي اعتدى عليها الرعايا الاجانب ، وطالبوا باخراجها من ايديهم لصفتها الحبسية المقدسة فى الشرع الاسلامي ، ذلك ما جعل المؤتمر يقرر تكليف رجال السلك السياسي فى طنجة بان يضعوا حلا مرضيا للقضية بالاتفاق مع المندوب الخاص الذي بعينه جلالة السلطان ، وضمن المؤتمر هذا المعنى فى الفصل الثالث والستين من العقد العام الذي وقعت عليه الدول بتاريخ 7 ابريل سنة 1906م. وفى الاتفاق الواقع فى العهد الحفيظي مع حكومة الجمهورية الفرنسية — وقع التصريح فى فصله الاول باحترام المؤسسات الدينية والاحباس الاسلامية .

«1» الحوالات الحبسية — تعد مصادر هامة يستقي منها المؤرخ الباحث ما يساعده على تأييد الاحداث الاجتماعية وتحقيقها وما اليها من احسانيات ومبرات خلدها السلف للخلف عبر فترات التأريخ الامين



الورقة 1 من الحوالة الاسماعيلية المتضمنة لاسماء الاملاك والاجريه والفيوهات المائية والكتب

محــراب مسجــد بريمــة
بمدينــة مراكــش



منجزات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في السنوات العشر الأولى من الاستقلال

للشاعر: محمد بن محمد العلمي

انظر بكل المدن والارياف ... ما حققته وزارة الاوقاف

قد خففت من هجرة وبطالة ... وكفاحها في الحق ليس بخاف

وتعلم الفلاح من خدماتها ... بالجد درس سعادة وكفاف

فانظر مساعيها الحميدة قد زهت ... في اجمع الاصقاع والاطراف

وبساحة العمران طاب غراسها ... فاتى بخير نتيجة وقطاف

في كل ربع من ربوع بلادنا ... عدت لها الحسنات بالالاف

في كل ميدان لها احدوثة ... تحلو وتنعش مثل طعم سلاف

فوق المآذن نعمة قدسية ... اصداؤها فيض من الالطاف

هذي المساجد فتحت ابوابها ... للمومنين . نبيلة الاهداف

تسمو بهم للنور نحو هداية ... من نبعها العذب الزلال الصافي

ما اجمل القرءان عند تلاوة ... وتدبر يطغى على الاعطاف

فيه الرشاد لكل عبد تائب ... وسبيله امن من الاخواف

قد وطد الاسلام في اتباعه ... سر الاخاء، وحسم كل خلاف

والوعظ والارشاد يجلو ظلمة ... ويبث روح العدل والانصاف

وبه تفتحت البصائر بعد ما ... رتعت بليل الظلم والاجحاف

فوق المنابر حكمة مبثوثة ... كالجوهر المكنون في الاصداف

فالدين علمنا المساواة التي ... تسمو على النزعات والاصناف

والدين لولاه لاصبح عيشنا ... بحرا من البلوى بغير ضفاف

واهتمت الحكومة المغربية بتنظيم الاحباس تنظيما جديدا حيث صدرت بذلك ظهائر .

اما في عهد الملك الراحل محمد الخامس – قدس الله روحه – فقد نالت الاوقاف عنايتها الخاصة واصبحت تتسع دائرتها في شتى الميادين ، تأسيسا وتجديدا وترميما في سائر اصقاع المغرب من جنوبه الى شماله ، ومن شرقه الى غربه ، خاصة في عهد الاستقلال الذي حصلت فيه على عناية صادقة ، ورعاية كاملة تتفق وقداسة الوقف وقيمته الاسلامية.

فمنذ ثاني مارس سنة 1956 – اخذت تخطو خطوات بعيدة بما كان يبذله المغفور له محمد الخامس من رعاية صالحة بتوسيع نطاقها وتنميتها بواسطة وزارتها الحازمة والساهرة على مصالحها بكل ما اوتيت من جهود .

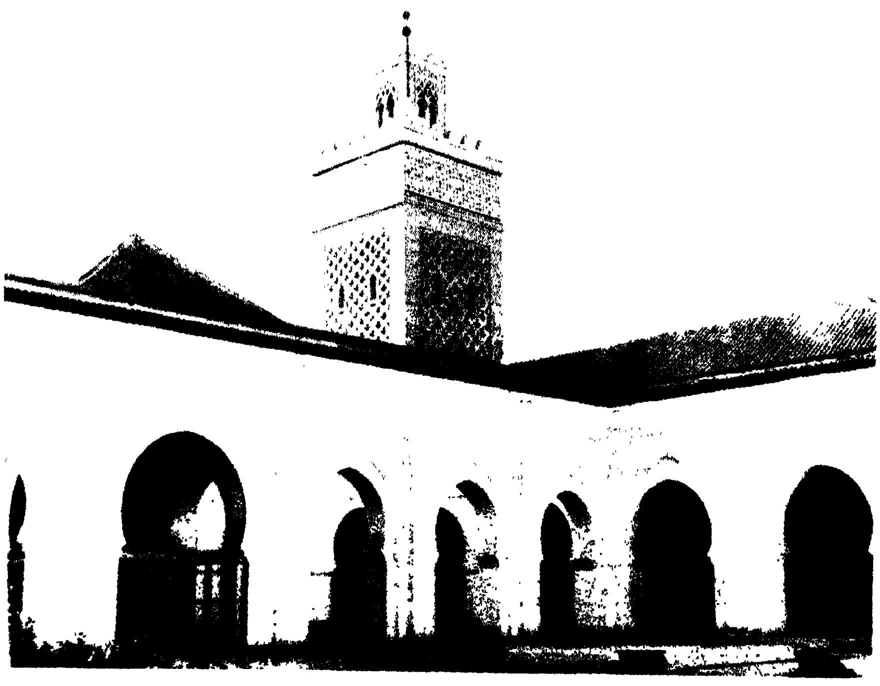
ولقد اثبت المؤرخ المرحوم ابن زيدان في كتابه : «الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة» فذلكة هامة من مآثر محمد الخامس طيب الله ثراه فليراجع .

وهذا ما نعيشه اليوم في عهد خلفه الطيب الحسن الثاني ايده الله – حيث لا تمضي فترة وشهور حتى نسمع ان وزير الاوقاف الحازم يضع الحجر الاساسي لمساجد بالجنوب واخرى بالشمال كما نسمع اليه يلقي خطابا مرة اخرى وفينة تلوها مدشنا مساجد انجزت وشيدت هنا وهناك – باصيلا ، بالعرائش ، بتيفلت ، بالبيضاء ، بالجنوب ، بسوس . وهكذا والمعابد الاسلامية ، والمساجد تترى مشيدة في اصقاع المغرب حسب اتساعه وفيض عمرانه ، والعمل في جد على رصد الوعاظ والمرشدين لاداء رسالة الانفاذ والتهذيب للشعب وابنائه بالاخص في رمضان المبارك .

وختاما لا اغفل عما حققته هذه الوزارة في ميدان «الدعوة الى الحق» ، بمجلتها السيارة التي نالت اعجاب المثقفين في الشرق والغرب – وها قد قطعت تسع سنوات وهي ماضية في اداء الرسالة لا تزيدها الايام والشهور الا تقدما في الفن في الموضوعات في الاختيار مما لا يفتأ يجذب ويشوق .

فلتسر وزارة الاوقاف موفقة في مشاريعها في ظل الملك الشاب الحسن الثاني ايده الله .

الرباط – عبد الله الجراري



المنظر الداخلي لجامع المنصور بمراكش

تطور الوقف في الاسلام

للأستاذ الحسن السايح

الوقف ظاهرة اسلامية انبثقت من الخلق الاسلامي الذي يسمو بالفرد سموا يحقق له الخلود في الدنيا والآخرة ، فالفرد المسلم انما يتسامى بشخصه ، وما يوليه من جهاد نفسي ليتعالى خلقه فوق الانانيات والماديات حتى يصبح انسانا (مطبوعا) على عمل الخير وخدمة الانسانية التي يتفاعل معها والتي بها يبلور سموه وتعاليه

ولذلك فالمسلم نراه (حيا) ميالا الى التقوى والعمل الصالح ، ونراه بعد مماته ساعيا جهده ان يستمر عمله الخيري ليحقق حديث الرسول العظيم « اذا مات المرء انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية الخ »

فالانسان المسلم في حياته يتصدق بما يملك ليسدي الجميل الى المحتاج ، وعندما يموت يستمر في صدقته ، التي تصبح جارية يحتسب ثوابها عند ربه .

فالوقف اذن نتيجة سمو الروح المسلمة وسعيها للخلود والتنعم في ظلال الرحمة الابدية ، ولذلك فهو يبدو في العصور التي تسود فيها الحياة الدينية ويسعى اليه المؤمنون الذين سمت ارواحهم وتعالت نفوسهم ، فآثروا الزهد في الدنيا عن التملي الزائد بنعيمها ، ووزعوا ما يملكون على المحتاجين الى مالهم واسعافهم وما يخدمون به المجتمع الانساني من عمل البر ، وصالح العمل

واذا جعلنا من موضوع الوقف مبحثا عن تطوع المجتمع الاسلامي من خلال سمو ارواح المسلمين فنحن نلاحظ ان العصور التي تزدهر فيها الثقافة الاسلامية ، وتسيطر على المؤمنين التوجيهات الروحية فان (التحبيس) على المنشآت الخيرية يزداد مضطردا ، ولذلك كثرت (المحبسات) في عصر بني مرين يوم انبعثت الحركة الاسلامية في المغرب لتقاوم الغزو المسيحي ، كما ازدهرت في (المدن) التي تركزت فيها المقاومة .... ويندر ان تكون هناك علاقة بتطور الاقتصاد والحبس ، لان كثيرا من رسوم الاوقاف والتحبيس يستفاد من مضمونها ، ان المحبس لايملك اكثر مما حبسه واوقفه ... لان الروح الاسلامية الواعية هي التي دفعته ان يعمل لتستمر (الصدقة) جارية ، امتثالا للحديث الشريف

والمحبسون توسعوا فيما يحبسونه ، وفي الاعمال الانسانية التي يوقفون عليها

فقد اوقفوا (الرباع) والعقارات ، والاراضي الفلاحية ، والسوائم الحية ، وكل ما يمكن ان يستمر وجوده قائما بعد وفاة المحبس ولو بطريق التناسل كالحيوان

كما وجهوا عنايتهم الى اسداء العون المادي والادبي للمحتاجين فقد بنوا المساجد ، واوقفوا الرباع ، ليستمر وجودها حيث يؤدي من ريعها على التجهيز والاصلاح والتوظيف ، كما بنوا المدارس والمارستانات لمعالجة المرضى والمجانين حتى يعنوا المريض الفقير على معالجة نفسه ، وينقذون (المجنون) من الشارع ليسهر الاطباء على علاجه

ووجهوا نفس العناية للبادية حيث اوقفوا على (الزوايا) مداخيل كبيرة لتستمر مؤدية رسالتها التعليمية والايوائية ولاحظوا مايعانيه المجتمع من سوء توزيع ثروة تجعل بين الناس الفقراء واليتامى فخفف المحبسون عنهم مايجدون من عناء (الحاجة) ولذلك اوقفوا (الرباع) على مشروعات احسانية تدعو اليها الحاجة ، كاعانة الطفل العامل الذي لايجد ما يسدد به ما يلحقه من خسارة بأثاث (معلمه) اثناء العمل ... شأن التعاضدية اليوم ، وايواء الزوجين الفقيرين في منزل مؤقت ايام الزفاف حتى يشعرا

والدين لولاه لكان سفيننا ... في لجة الدنيا بلا مجداف
والدين علمنا التضامن والهدى ... والسعي للاصلاح والاسعاف
والدين البسنا نقاء في الحشا ... والدين رمز محبة وعفاف
(دار الحديث) على الصلاح شهيدة ... تزهو بسنة سيد الاشراف
قد امها علماؤنا في همة ... تجلو الكنوز وعزة الاسلاف
حسناتها عطر يفوح عبيره ... وثمارها روح لكل شغاف
والفضل كل الفضل في احيائها ... لمليكنا من فيه طاب هتافي
اكرم به وبسعيه للدين والـ ... ـدنيا بعزم صادق كشاف
فهو الذي ينحو سبيلا لاحبا ... وفؤاده كالجوهر الشفاف
سلك الصراط المستقيم بشعبه ، ... بشمائل جلت عن الاوصاف
في (دعوة الحق) استبانت حجة ... وذخيرة من حكمة وقواف
فيها من التاريخ فيض زاخر ... وعرائس للشاعر الوصاف
فيها علوم ثرة ، ومسرة ... للعارفين ، ومتعة الايلاف
فيها من الفن الرفيع حدائق ... تحيي الفؤاد ، وطيئة الاكناف
ادت من الحق المبين رسالة ... مشكورة فيها السعود توافي
ما ذا عساني ان اقول نهاية ... في منجزات وزارة الاوقاف ؟ !

الرباط   محمد بن محمد العلمي

وزارة الأوقاف

امتاز المغرب بما حباه الله من طبيعة انيقة خلابه ، ومناظر وضيئة جذابة ، ومروج خضر ناضرة ، وجبال سم سمقه تناغي السحاب ، وسمس ساطعة دافئة تنفض تبرها على ارض الغنى والذهب ، ونجوم زهر تترجرج في اديم السماء ، ومياه عذبة صافيه تترقرق بين الجداول والانهار ، وتنساب بين الرياض والغياض والخمائل ، لتحمل الى النفوس الولهى رضى الرخاء والسعادة ، وملوح تجلل من الجبال وسطوح المنازل فتقف النفس امامها مبهورة لفرط الجمال والجلال

ولم يكن هدا وحده مما يتميز به المغرب ، بل ان هنالك الى جانب ما ذكر مميزات يكاد المغرب ينفرد بها ، وهي اصاله الفن وعراقه

فبعد ان استبحر العمران بالمغرب ، واستهدف الامر لولاته وحكامه ، واتسعت الحضارة بين جنباته واعطافه ، ورصع المغاربه من افاويق النعيم ، واستمراوا حياة الاستقرار والدعه ، اخذوا يتفننون في سنى الميادين التي تنم عن اصالة الحضارة فيهم ، فشيدوا قصورا سامقه ، وتفننوا في تشييدها ، وبنوا صروحا ممردة ، واضفوا عليها من ذوقهم الخاص ، بل ان فنهم امتد الى المساجد والمدارس والاضرحة والقبور مما شهد لهم بسلامة الذوق ، ورهافة الحس ، وبراعة اليد الصناع المغربية

وهكذا نجد ان للمغرب حضارة عريقة اثيلة ، جمعت بين القوة ، وسمو الفن ، مما يملأ شعاب النفس بالاعجاب والدهس

والفن المعماري المغربي ، ذو اثر بارز ، وطابع مميز ، وسمة ملحوظة ، فقد جمع بين حضارة الشرق ، وحضارة الاندلس ، واصبح ذا خصيصة واضحة يدركها الجميع ، ولعل مرجع ذلك يعود الى الاسلام الذي استطاع وحده ان يخلق في المغرب ما عجزت عنه قرطاجنه وروما ، كما اعترف بذلك علماء غربيون

وقد كيف المغرب حضارته وفنه المعماري الذي ينعم بسمو الذوق ، وروعة الابداع الذي يتجلى في جمال التناسب والتناظر والتنوع ما تقف النفس امامه مشدوهة مدهوشة ، وهي معجبة بسمو الفن الرفيع في ذاته ، وبراعه اليد الصناع في حقيقتها ، كما يتجلى ذلك في الرسوم الدقيقة ، والشكول المختلفه ، والتخاريم والزخرفه والفسيفساء الرائعه ذات الالوان والاصباغ الحيه ، والمادة الصلبه القوية المتينة

وبذلك امتاز الفن المعماري المغربي بطابعه الدي ميزه عن باقي الفنون المختلفة للدول والشعوب حتى ان فاسا كانت تنافس بغداد في علومها وفنونها ، وازدهار حياتها ، كما نافست مراكش مدنا اخرى في الشرق والغــــرب

بل ان القصور والمدارس والمساجد المغربية كانت تفوق في جمالها وروعتها قصور بغداد ايام كانت هذه تحمل مشكاة الحضارة والتقدم

ولقد استطاع الفن المغربي ان يغزو مدنا واقطارا خارج البلاد المغربية ، واعجب بعراقته واصالته كثير من الناس في انحاء المعمور فلقد توجه صناع مهرة مغاربة في الماضي البعيد الى مدينة بغداد لزخرفة وتنميق مسجد الامام الاعظم ابي حنيفة الذي كان يعد في تزيينه وزخرفته بالنقوش آية من آيات الابداع الفني الاندلسي الرفيع

بهاء حفلهما ، واستمرار المؤذن في الليل تاليا أدعيــة ليؤنس المرضى والغرباء ، وانشاء صنــدوق للقرض ، يستعين به (التجار) الذين يفلسون ، حتى يستعيــدوا نشاطهم التجــاري . . .

وقد تجاوزوا ذلك الى اشاعة فكــرة الاحسان والخير بين الناس فحبسوا على علاج (الطيور) التي تتكسر اجنحتها ولا تستطيع الطيران ، وعلى اعانــة المرأة الحامل (الذوافة) التي تشتهي اكــلا لاتجــد ما تؤدي بــه بغيتها

وهكــذا تتضح من هذا العــرض القصير مدى تسامي الروح الاسلاميه والخلق الديني في نفسيــة المحبســين ، حيث تنافسون في ابتكار وسائل اســداء الخير والعون ونفع الانسانية . . . .

على انــه اذا كانت هناك ظاهرة التحبيس عندما ترتفع الروح الاسلامية فان ظاهرة استغلال اعمــال المحبسين تظهر عندما تضعف هذه الروح ، وبالرجوع الى مصادر تاريخية قديمة كجذوة الاقتباس نلاحــظ « خصومات » عن (المحبسات) و (الاوقاف) ممــا ادى بكل الدول الاسلامية بعــد عصور الانحطاط ان تفكر في تنظيم الاحباس وتؤسس (ادارة) خاصــة برعاية المحبسات والسهر على ماليتها وتوجيهها لاعمال البر والخير وفــق روح عمــل المحبس ورغبتــه، واذا كانت الضرورة تفرض السهر على رعاية الاحباس فان اختلاف الاوضاع في الشعوب الاسلامية جعل كل حكومة تنظم الاحباس تنظيما خاصا وفــق تطورهــا وامكانياتها حيث يلاحظ ان البلاد الاسلامية عــرفت انظمات متعددة متغايرة ، حيث نلاحظ ان هناك مــن فرق بين الوقف المعين والوقف العمومي كتركيا ، ومن أمم المحبسات كروسيا وهناك من ترك تسييرهــا الى الجماعة الاسلامية كيوغوسلافيا ومن جعل الاشراف على الاوقاف مشتركا بين عدة هيئات كسوريا ، وهناك ايضا من تدرج ميزانيتها في التعلم العمومي كايــران على ان تنظيم الاوقاف بصفة استقلالية عرفته بــلاد المغرب وبلاد الجمهورية العربية ، وذلك لوفرة المداخيل ورعاية توجيهات المحبسين

والمهم بعد هذا العرض الوجيــز ان العالــم الاسلامي شاهد تطورا كبيرا بعد احتكاكه بالحضــارة الغربية التي لم يجد فيها مايمكن ان يقارن به عملــه العظيم ، ذلك لان اوربا تسودها المسيحية التي تسيطر على الممتلكات وتصرفها على انظمتها اكثر مما توجــه بها اعمال البر والاحسان ولذلك فقد أممت كثيــر من الدول الغربية ممتلكات (البابا) مما جعل الروسيــين لايفرقون بين الوقف الاسلامي ، وممتلكات الكنيســة ، مع ان الفرق بينهما كالفرق بين الاسلام والمسيحيــة فالاسلام لايتوفر على (الكليــروس) يمتلك الربــاع وانما هي اعمال شخصية خيرية تصرف للمحتــاج والضعيف والفقير ، لاتراعى في ذلك جنسيته أو لونه بل يراعى دينه فقط على ان بعض المنشآت الخيرية لم يراع فيها محبسوها الا العمل الانساني الصرف .

الرباط ــ الحسن السائح

وهذه المساجد والمعاهد والمدارس والقصور والماذن والاضرحة والقباب المنبثة في ربوع المملكة المغربية شاهدة على هذا فانت اذا دخلت اي مسجد من مساجدنا الموجودة في ربوع المملكة المغربية ، راعك ما تصادفه من اثر فذ فريد لليد الصناع المغربية ، ويبهرك جمال الفن المعماري العريق الذي وصل اليه الذوق المغربي الرفيع في التشييد ، والزخرفة والتنسيق ، وسرعان ما تدرك مدى اهتمام وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية التي تحافظ على الطابع الفني الابتكاري المغربي الذي يوحي بالجمال والجلال والروعة والذي امتازت به الحضارة المغربية عبر القرون

ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لا تالو جهدا في المحافظة على هذا التراث الفني الخالد ، الذي تنفق في سبيله اموالا طائلة ، وهي تبتغي من وراء ذلك احياء تراث الاباء والاجداد ، وضمان استمرار الصناعة المغربية من بناء ، ونجارة ، وحدادة ، والابقاء على اليد العاملة المنتمية للمهن التي لها وشيج للاتصال بفنوننا الجميلة المهذبة ، وتشغيل اربابها ، وتامين وسائل الحياة لهم

وما المسجد العظيم الرائع الذي يعد من اعظم المآثر الاسلامية بافريقيا السوداء ، بمدينة دكار الا شاهد على انتشار الفن المعماري المغربي في ربوعها ذلكم المسجد الذي كان المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه ، من اكبر المشجعين على بنائه ماديا وادبيا لتدعيم الكيان الاسلامي ، بتلك الربوع السينغالية الطيبة

فقد وضع تصميم هذا المسجد بوزارة الاوقاف المغربية ، وروعي فيه عند وضعه ، اخذ احسن ما في كل مسجد من المساجد الكبرى بالمغرب ، ثم تبارت يد الفنانين المغاربة ، الذين سافروا الى دكار ، لهذه الغاية في اظهار براعتها ، ومهارتها الفنية ، من نقش ، وزخرفة ، وتطعيم لهذا المسجد ، الذي جمع من المحاسن ما تفرق في غيره ، فجاء اية في الروعة والجلال

وبالاضافة الى ما ذكر ، فقد ساهم المغرب بهذا المشروع الاسلامي الجليل ، وفي شخص ملكه العظيم جلالة الحسن الثاني نصره الله باهداء خمسة وعشرين ثريا نحاسية من النوع الممتاز الذي يصنع بفاس على يد امهر النحاسين ، منها ــ ثلاث ثريات جاءت نسخة طبق الاصل من ثريات جامع القرويين النحاسية

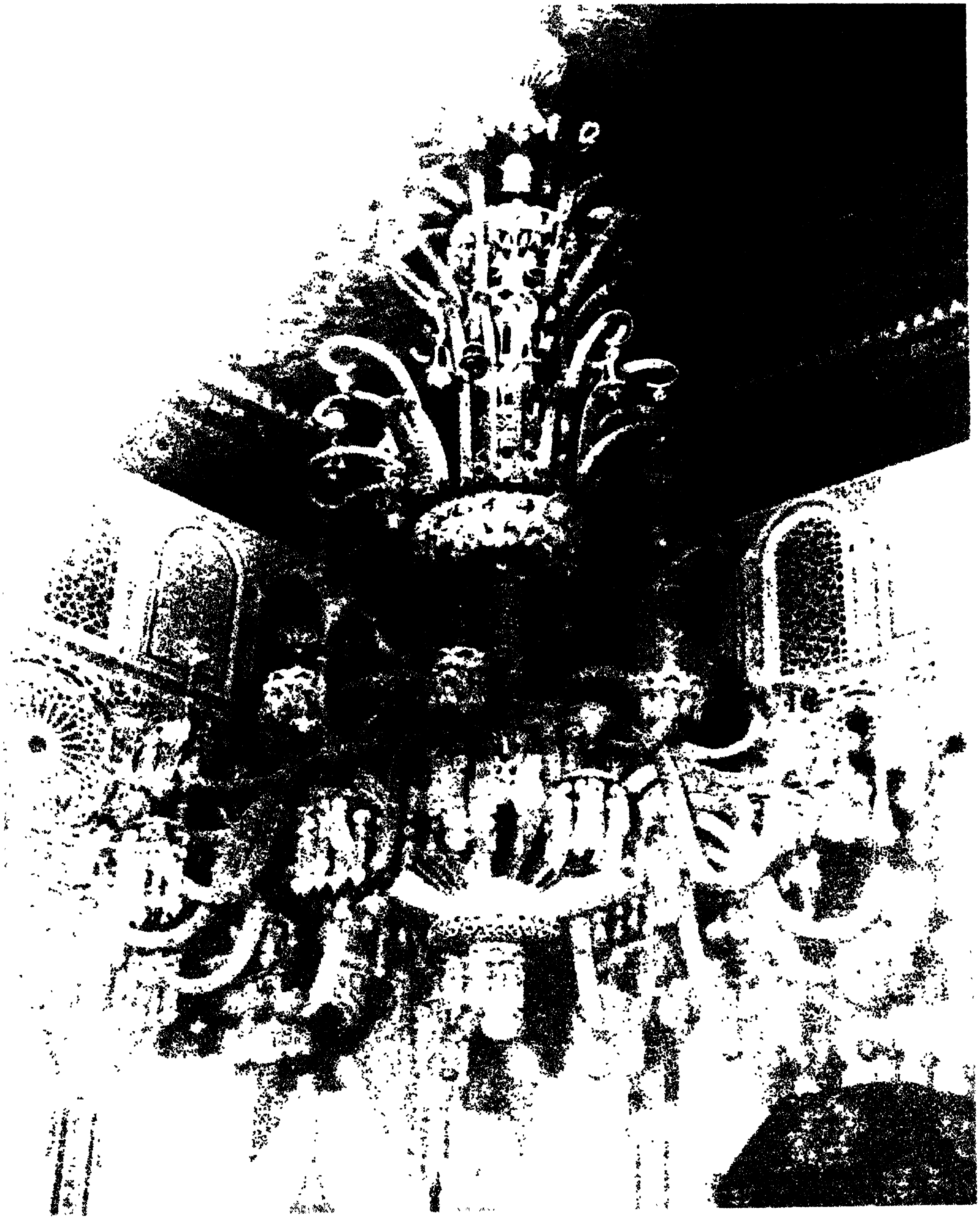
كما اهدى صاحب الجلالة ، منبرا فخما صنع من الجاموز والابنوس ، وعود الفرين الابيض الصلد ، والكل منحوت نحتا دقيقا بشكل انتزع اعجاب كل من رءاه

وهو على شكل منبر المسجد الاعظم بمكناس من ناحية الزخرفة والنقش ، غير انه اكبر منه حجما حيث يبلغ وزنه ما يقرب من ثلاثة اطنان ، واستغرق صنعه ما يزيد على السنتين

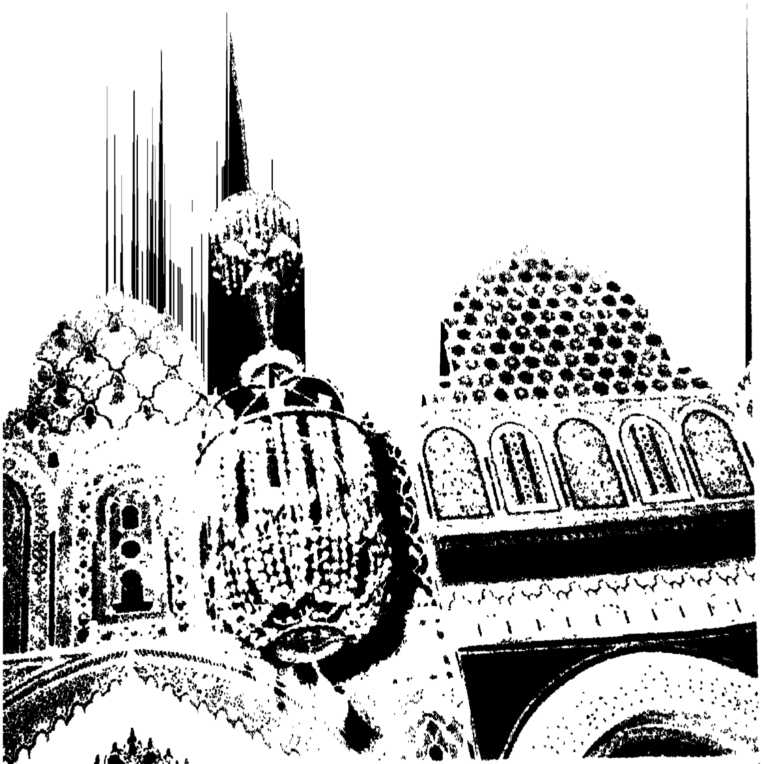
وعلاوة على التأثيث الذي قامت به وزارة الاوقاف المغربية لهذا المسجد ، فقد ابت اريحية سيدنا المعتز بالله الحسن الثاني نصره الله ، الا ان يهدي لهذا المسجد ليلة تدشينه ، كمية مهمة من الزرابي المغربية النفيسة الزاهية الالوان ، فتكاملت فيه عناصر الابداع والابهة ، وتم التناسق بين روائع الفن المغربي الرفيع

ودعوة الحق التي تصدرها وزارة الاوقاف،والشؤون الاسلامية هي ايضا تقوم بدور دعائي واسع في سبيل نشر الفن المغربي ، ففي كل عدد من اعدادها خلال الثماني سنوات تنشر صورا فريدة من الفن المعماري المغربي الاصيل على اغلفتها ، الذي يتمثل في القصور، والمساجد ، والماذن المزخرفة ، والنقوش البديعة التي تزدان بها

وهي بذلك خير سفير للتعريف ببلادنا في الميادين الثقافية والحضارية والعمرانية ، والفنية



ثــريــا مدلاة من احد سقوف مــولاي ادريـــس الازهـــر
حيث الروعـــة والجـــلال

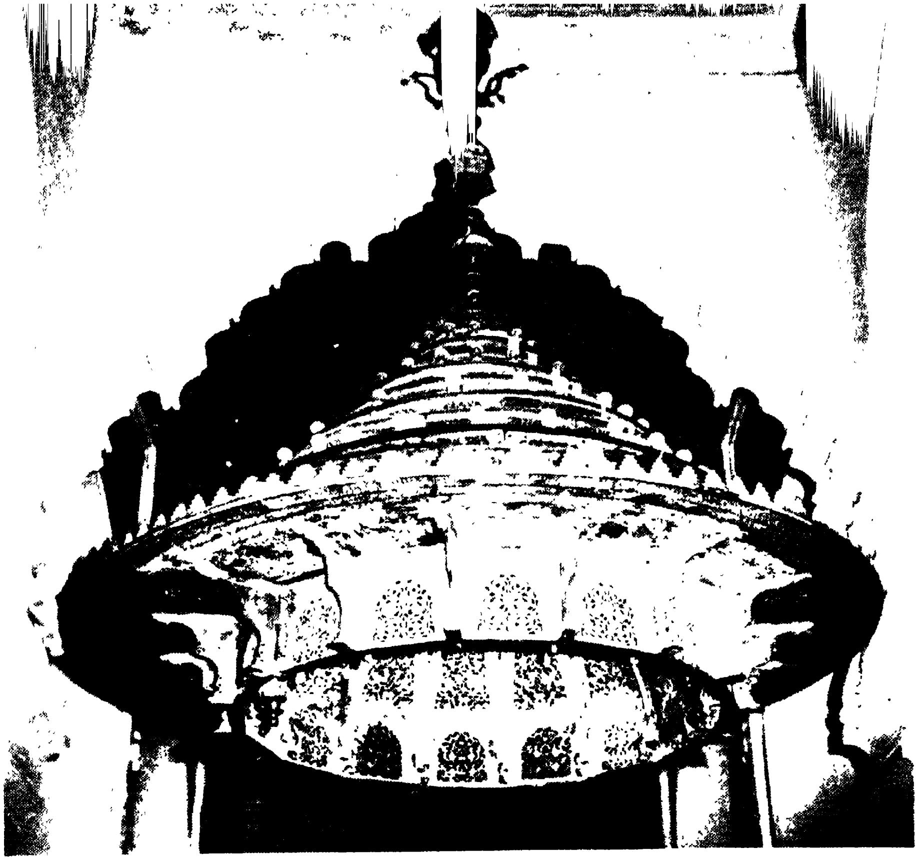


فـد يكــون تــرك الوصف
أبلــغ مــن الوصــف

زخرفــة بمـولاي ادريــس
بفـــاس



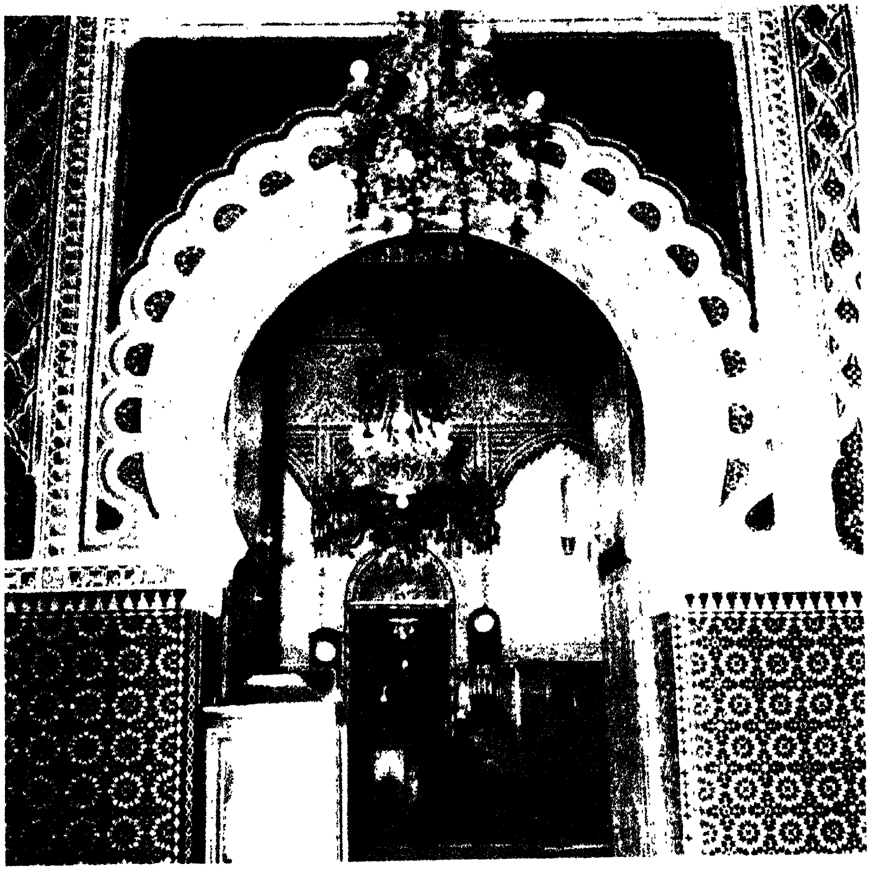
صــوره جانبيــة
لاحــدى الآيــات الفنيــة
التــي يـزخــر بهــا
ضريــح مـولاي ادريــس
بفـــاس



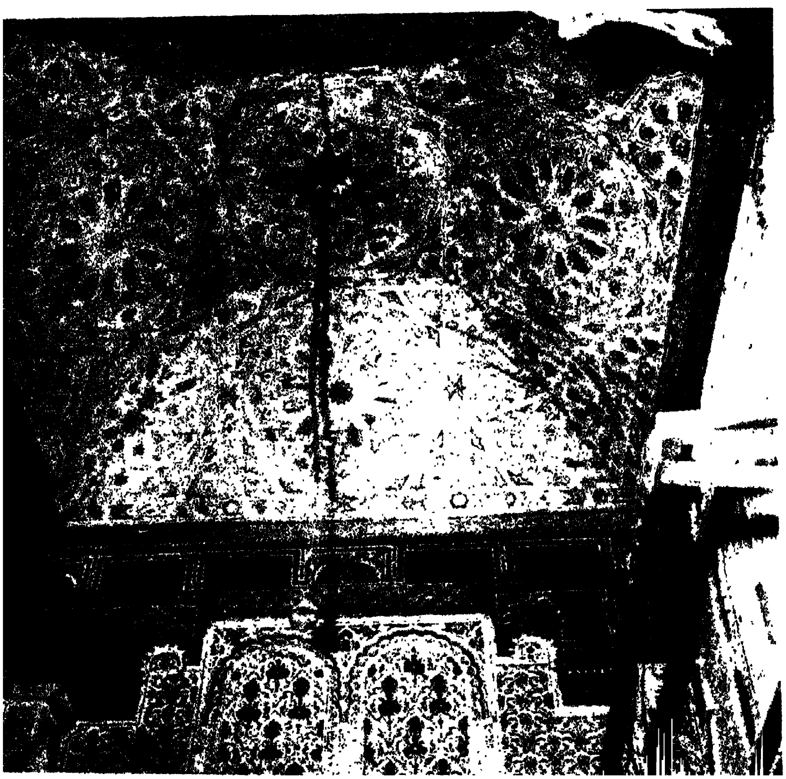
ثريا تتحدث عن نفسهـا

نريا المسجد الاعظم بمدينة نازا وهـي مصنوعة كلها من النحاس ، وتعد آية من آيات الابداع والزخرفة والجمال ، تنم عن مهارة صانعها وعن الاوج الذي بلغه الفـن المغربي في عهـوده المسرقـة .

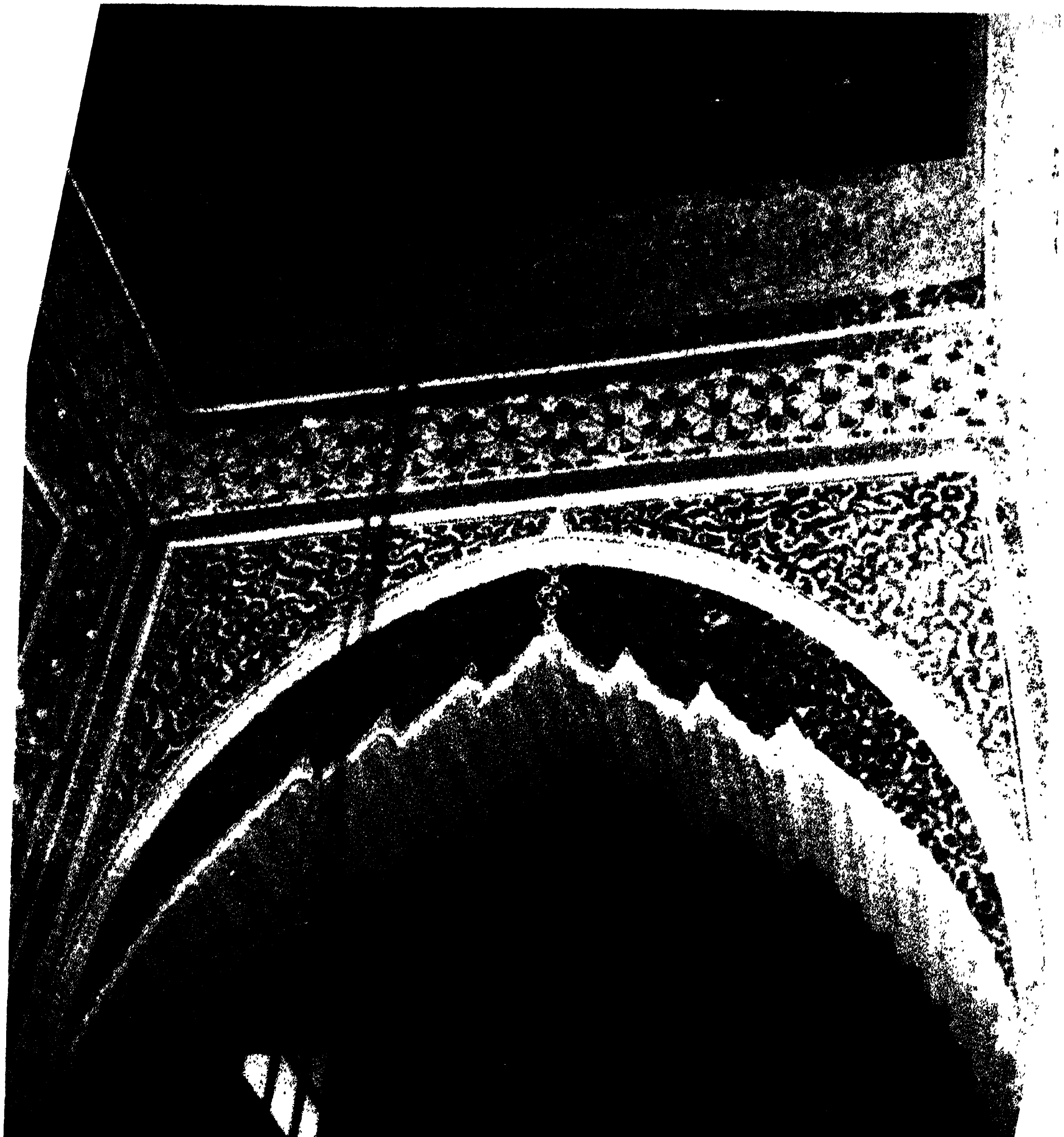
يا ناظرا فى جمالـي حقق النظـــرا ومتع الطرف في حسني الذي بهرا
انا الثريا التي « تازا » بي افتخرت على البلاد ، فما مثلي الزمان يـرى
افرغت فى قالب الحسن البديع كما شاء الامير أبـو يعقوب اذ أمـرا
في مسجـد جامع للناس ابدعـــه ملك أقام بعـون الله منتصـــرا
لـه اعتنـاء بديـــن الله يظهـــره يرجو به في جنان الخلد ما ادخـرا
في عـام أربعـة تسعون تتبعهـــا وستة من مئين فيه قـد سطـــرا
تاريخ هذي الثريا ، والدعا لأبــي يعقوب بالنصر دأبا يصحب الظفـرا



منظـر امامـي
لضريـح
مـولاي ادريس
بفـــاس



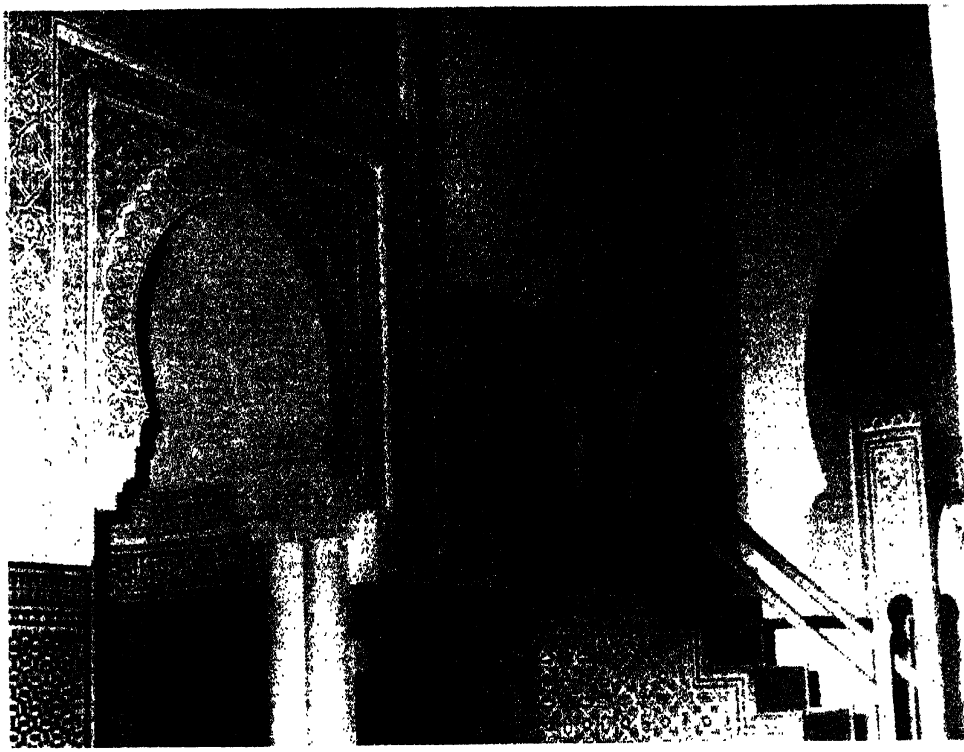
أحـــد سقـــوف
ضريح مولاي ادريس
بفـــاس



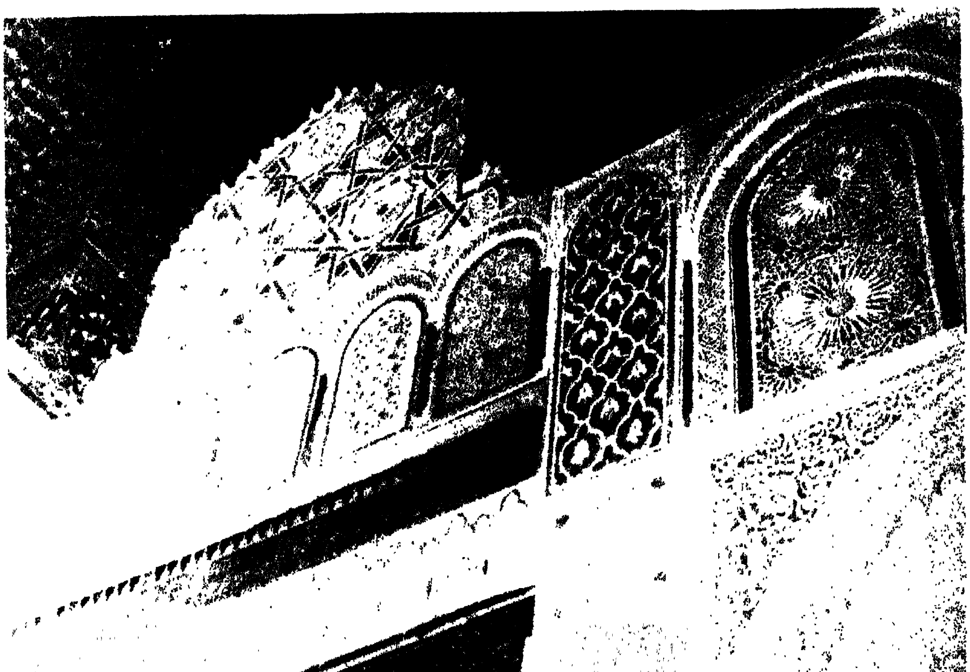
جـزء مـن منظـر علـو بجامع الحمـراء بفـاس



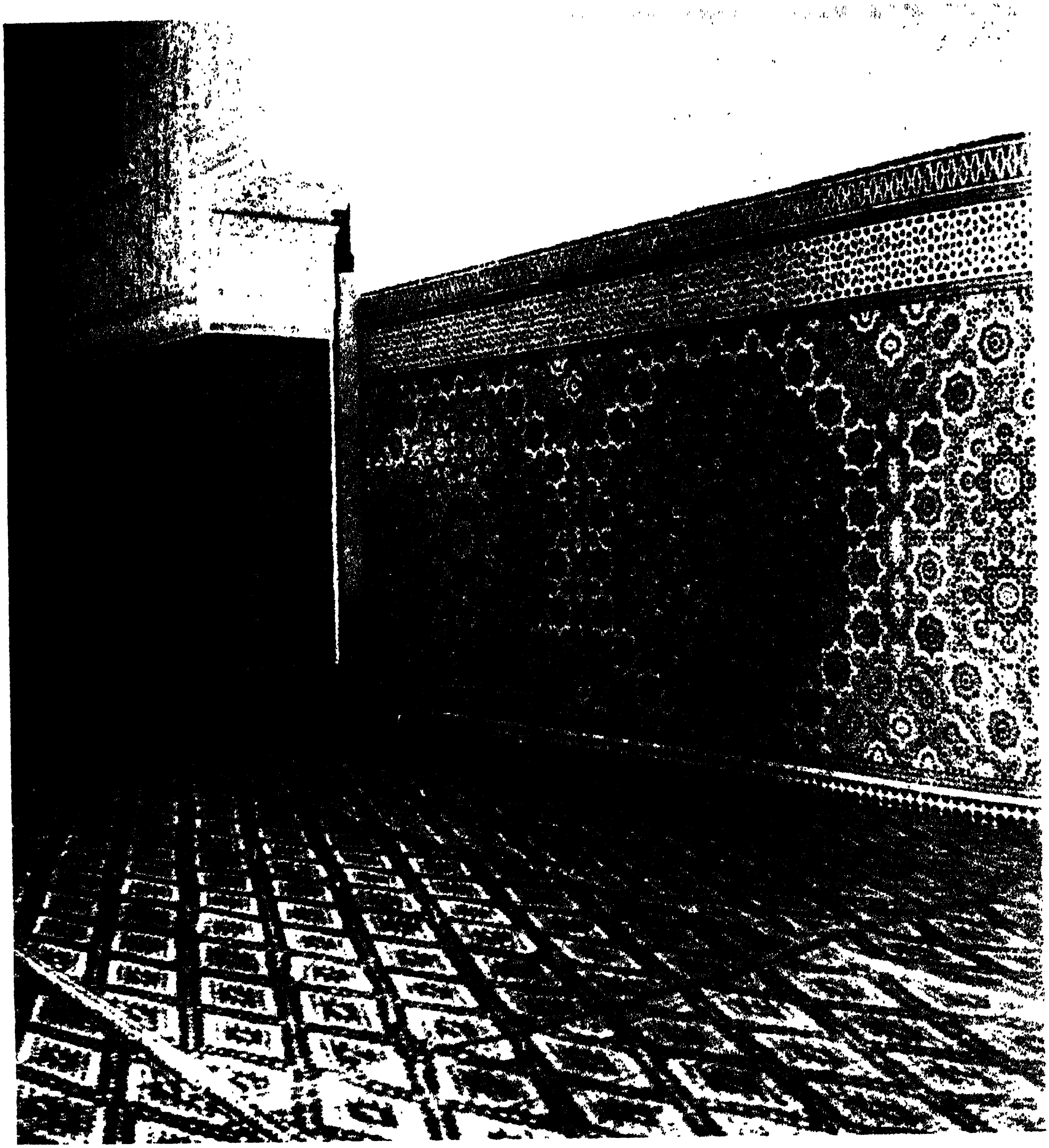
منظر بديع لاحدى النافورتين الجانبيتين لجامـع القرويين



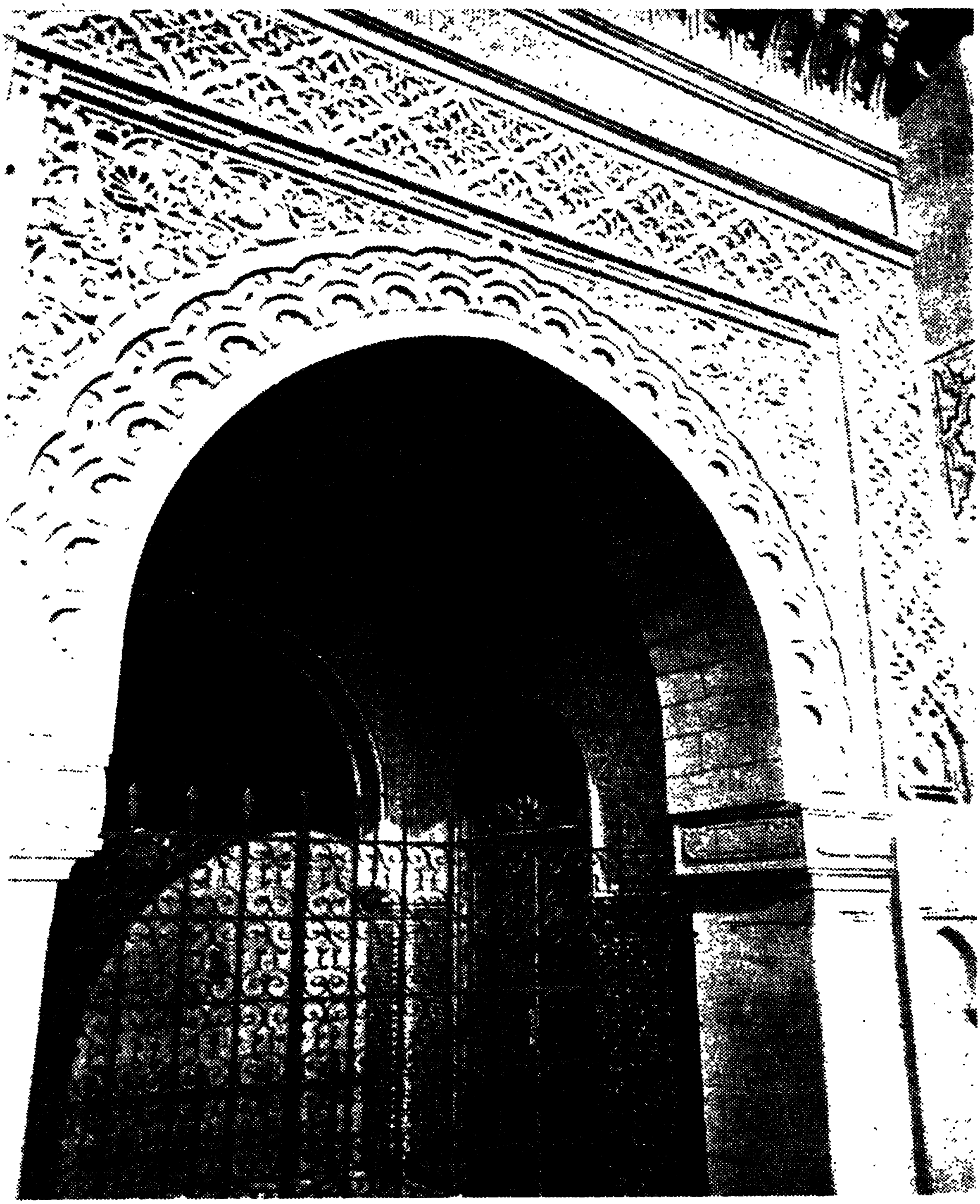
منبـــر ومحـــراب مسجـــد بريمـــة بمـدينـــة مكنـــــاس



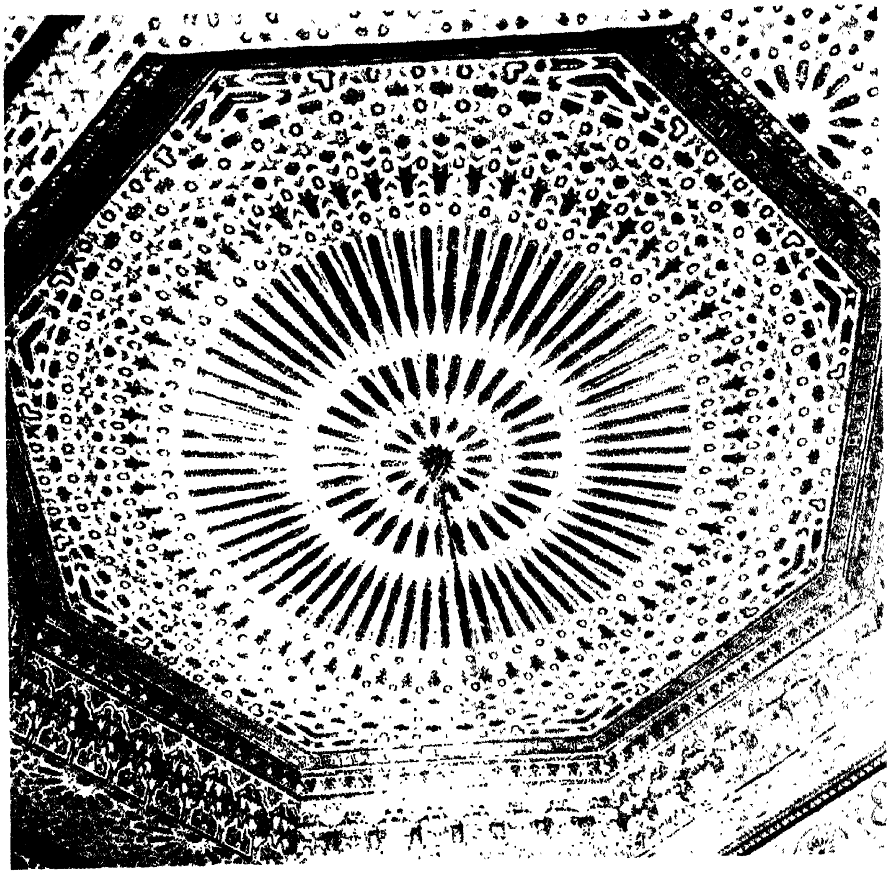
زخرفـة ونخريـ
بأحـد حيطـان
مسجد القرويين
بفـــاس



منظـــر جانبـــي لضريـــح مـــولاي عبـــد الله بفـــاس

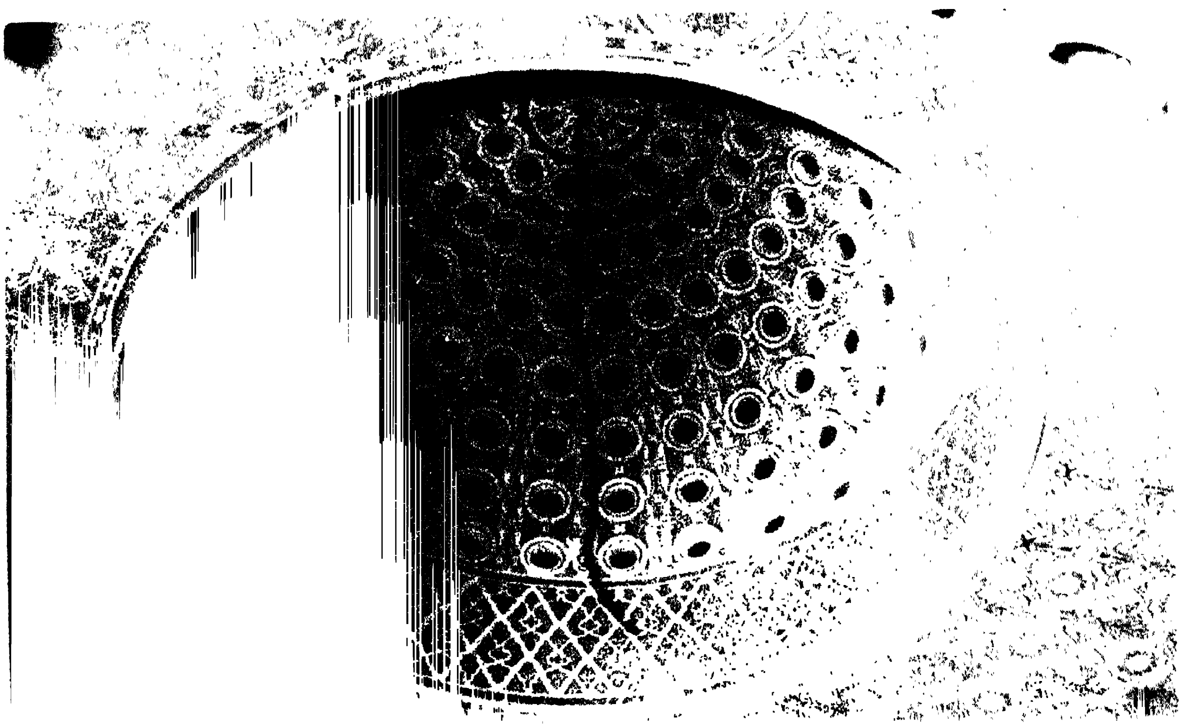


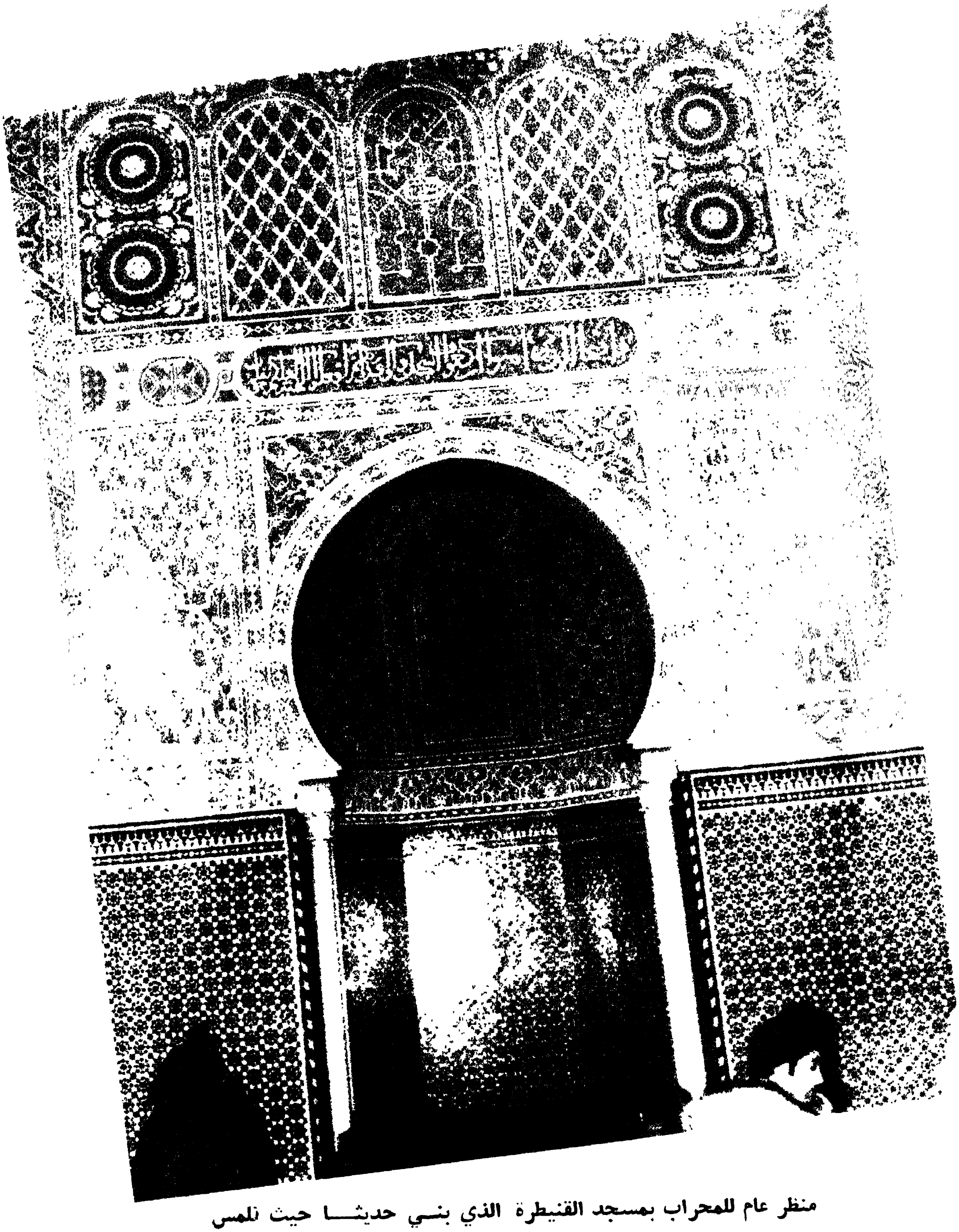
الباب الرئيسي لضريح الملك المعظم مولاي الحسن قدس الله روحه



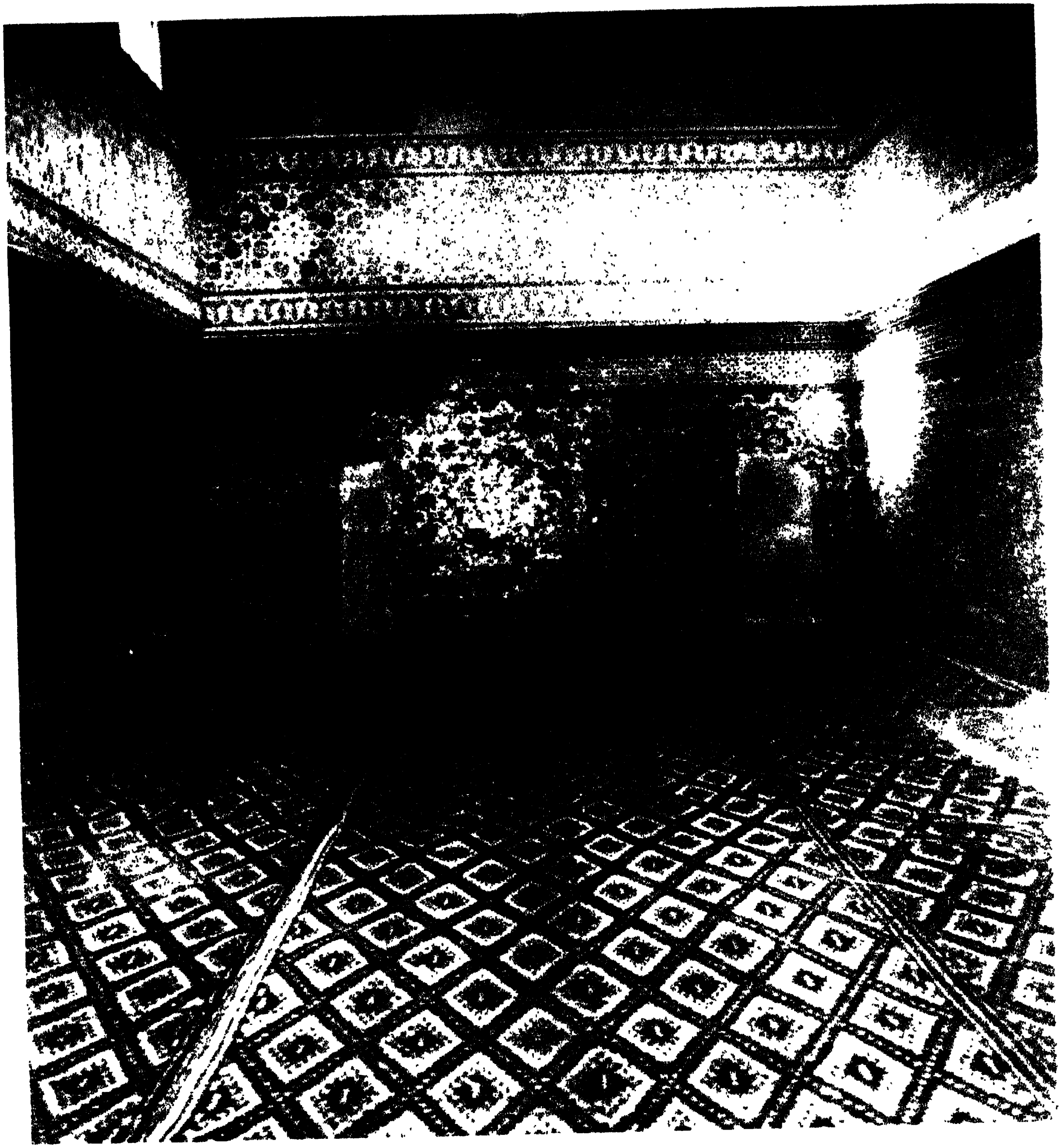
صورة
علوية
لسقف
ضريح
مولاي ادريس
بفاس

قبه مزخرفه
لمسجد الحمراء
بفاس

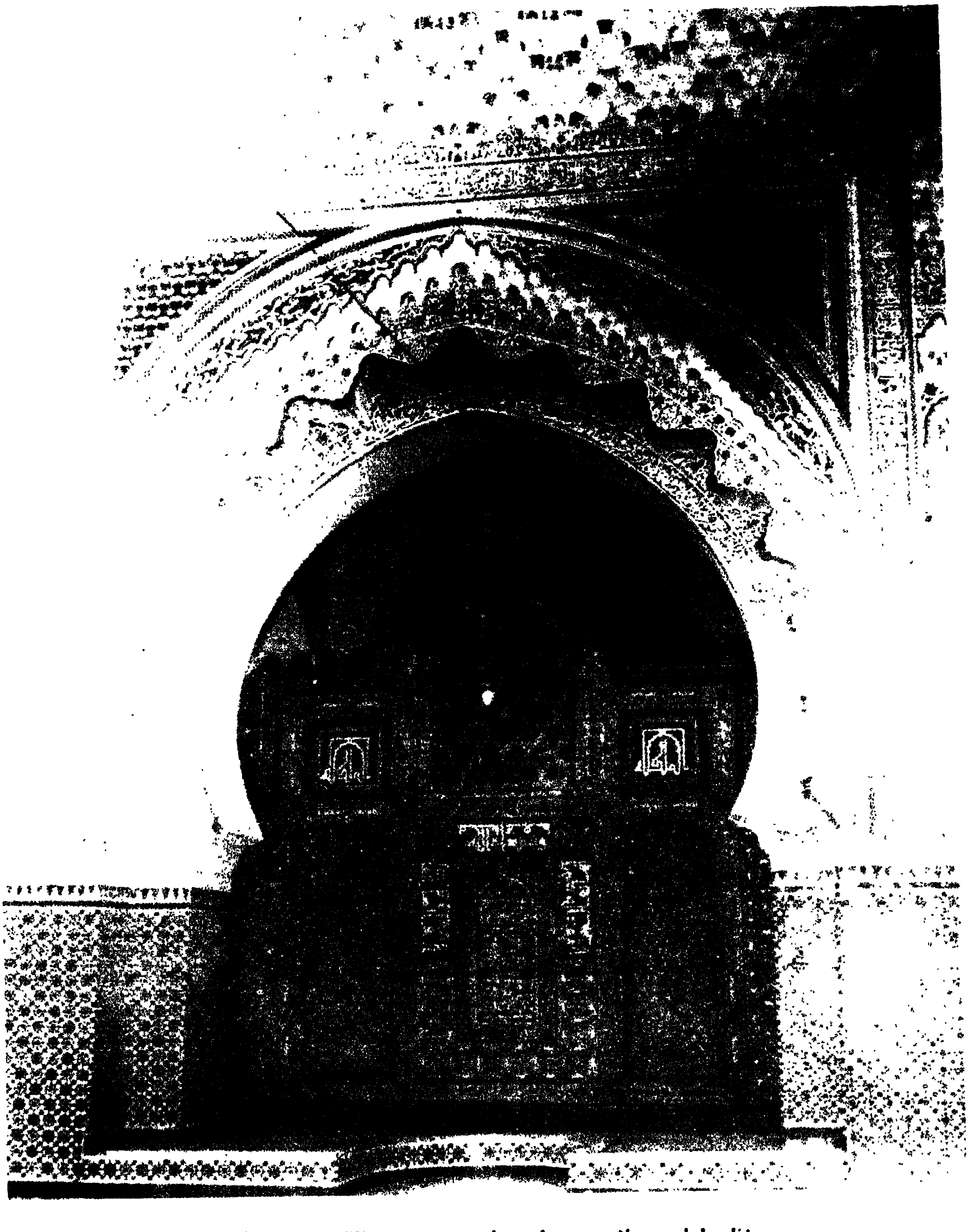




منظر عام للمحراب بمسجد القنيطرة الذي بني حديثا حيث نلمس
الجهد المبذول في ابراز هذه التحفة الفنية الخالدة



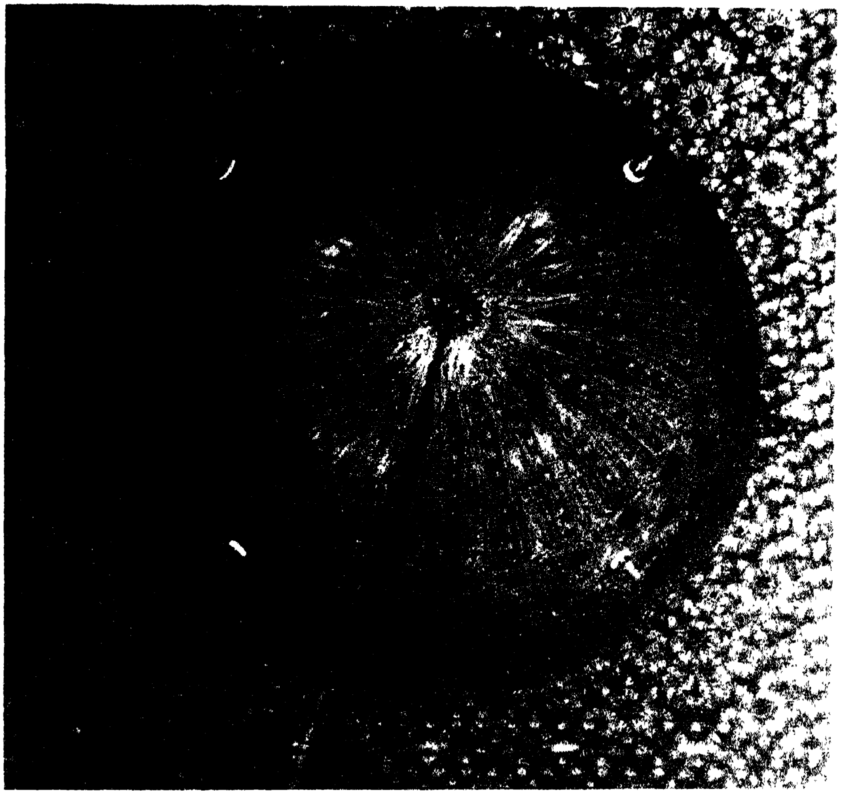
مــن روائــع الفــن في ضريــح مولاي عبــد الله بفـــاس



منظر امامـي لاحدى واجهـات مسجــد القرويين بفــاس



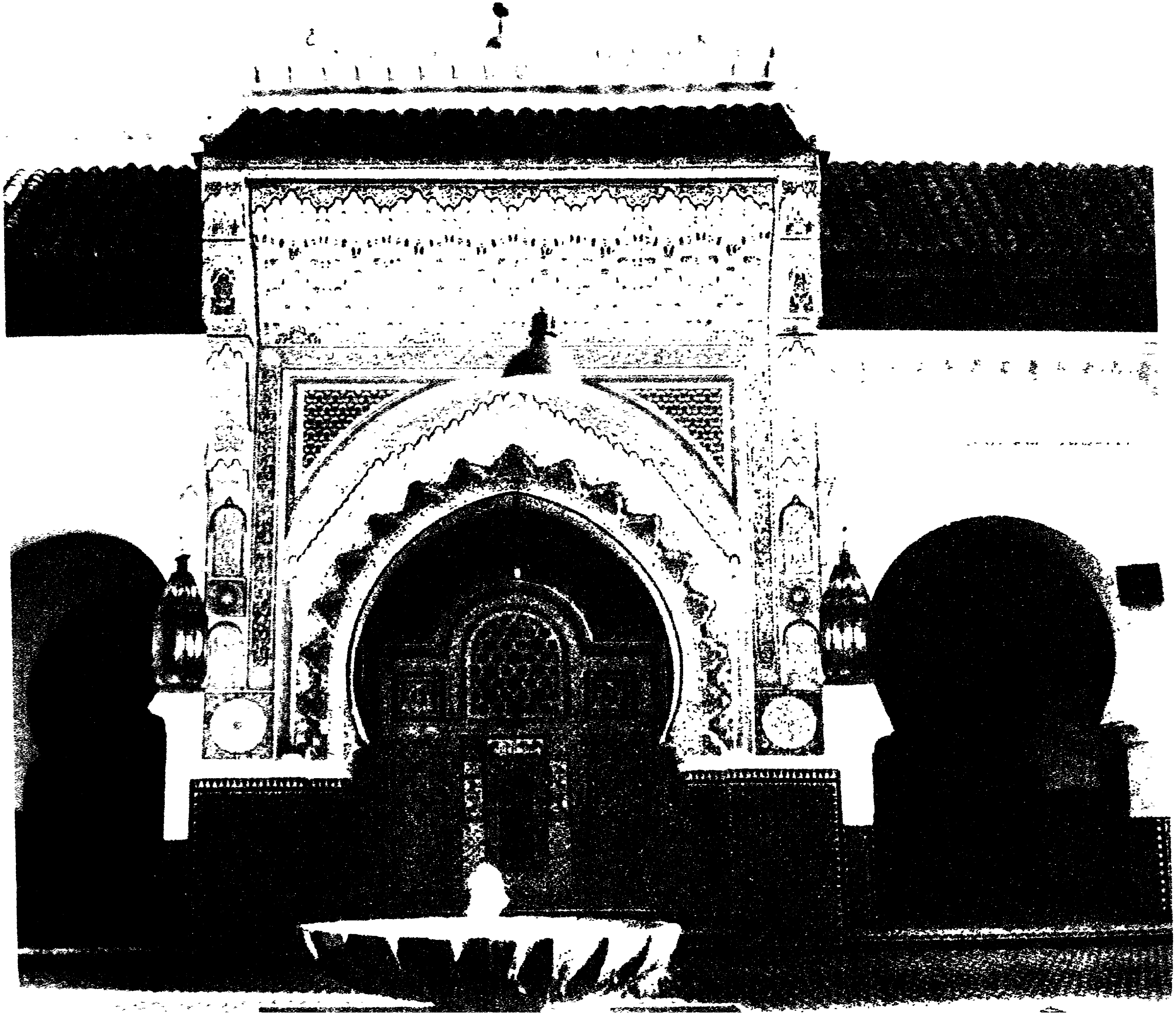
منظـــر لنافـــورة القـــرويـــين



ذوق ..
وفـــن ..
وابداع ..



يـــد الصناع المغربيـــة
تعمـــل في صمت
واتقـــان وتامـــل



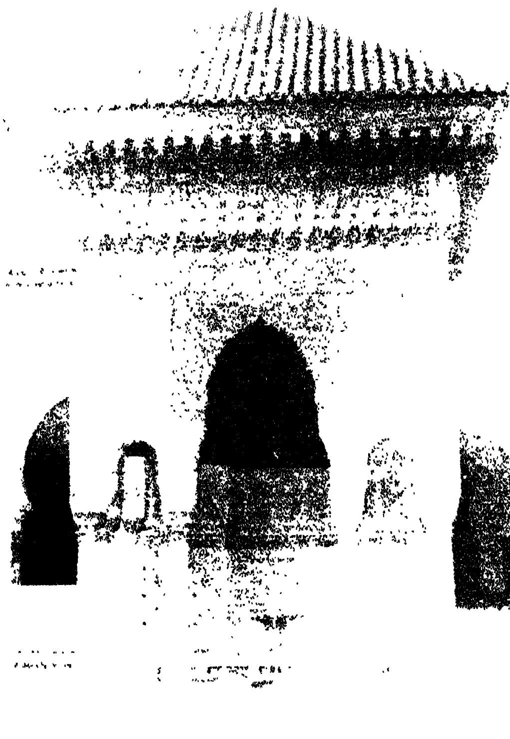
صورة لعنزة جامع القرويين بفاس





مسجد سيدي محمد بمكناس حيث يقوم العمال بزخرفة محرابه

نافورة مسجد الاندلس بفاس





سقف مزخرف لمسجد ايفران

دور الأحباس في تنظيم المكتبة المغربية

لما تعددت المكتبات في العالم وتوسع نشاطها بالكتب والنسخ والتجليد والتذهيب والقراءة والمطالعة اضطر الملوك ان يسندوا مهامها الى ديوان الانشاء وحافظوا بالاشراف والمراقبة عليها ، وعندما كثر توقيف الكتب من الملوك والامراء والعلماء وطبقات المجتمع اصبح امر اختصاص المكتبة منوطا به ((مجلس الاوقاف)) الذي كان ايضا من اختصاصه السهر على التعليم داخل المساجد الدينية التي هي جزء من مسؤولياته

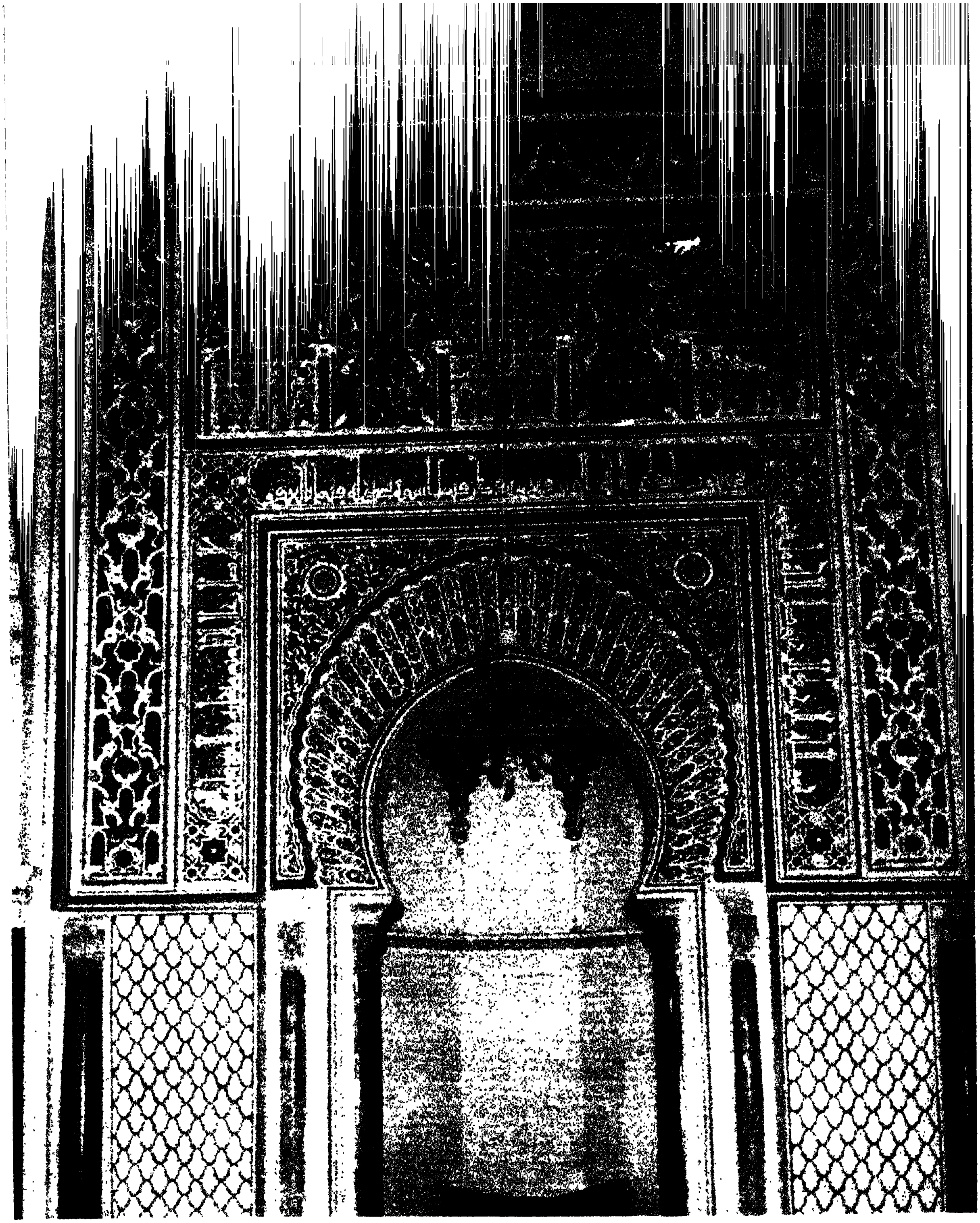
والمكتبة في المغرب قامت بمهماتها احسن قيام في كل مرحلة من مراحل العصور الاسلامية الزاهرة ، ولم يقف سيرها الا في فترة قليلة من سنة 27 ــ 1330 هـ 12 ــ 1915 م !!

ولما اعتلى المولى يوسف عرش اجداده الطاهرين كانت اول بادرة قام بها هي الاهتمام بالمكتبة ، وبعث نشاطها ، فامر آنذاك وزارة العدل باحياء هذا النشاط ومراجعة تنظيمه ، فاتصلت وزارة العدل بنظارة الاحباس في سائر المدن بالقيام بجمع شتات الكتب ووضعها بام المكتبات في كل مدينة ، وبالفعل ، نفذ امر السلطان ، وقامت حركة مباركة ، حدثت على اثرها المكتبة العامة بالرباط 1919 داخل معهد الدروس العليا المغربية ، وشيد مقرها الدائم سنة 1924 ، ثم بعد ذلك أصدر المولى يوسف رحمه الله ظهيرا بمراكش في فاتح نوفمبر 1926 ينص على ان المكتبة العامة هي مؤسسة عمومية يستفيد منها الخاص والعام ومركز لصيانة وثائق الدولة ، واثر صدور هذا الظهير تجند موظفوها لانقاذ التراث المغربي الذي نكبه الدهر وطمره فترة من الزمن

وابرم اتفاق بين ادارتي الاحباس والمكتبة العامة سنة 1930 حول تنظيم ما بقي من المكتبات العمومية الوطنية ، ورفع هذا الاتفاق الى صاحب الجلالة محمد الخامس قدس الله روحه فصادق عليه ، ثم صدر اثره ظهير شريف مؤرخ بتاريخ 7 رمضان سنة 1349 هـ ــ 27 يناير سنة 1931 م خول للمكتبة العامة الاشراف الفني والاداري على سائر المكتبات الحبسية، اما ادارة الاحباس فهي المسؤولة عنها ، وبالفعل فقد انبعث نشاط المكتبات من جديد ، وذلك بجهود الاوقاف التي كانت تمد المكتبة بكل ما تطلبه من حاجيات ، وشيدت بالرباط مكتبة عصرية كانت نواتها مجموعة التراث الاسلامي الموقفة على الجامع الكبير سنة 1936 م عرفت بالمكتبة الوطنية ، فبلغت رسالتها بما قدمته من ادارة الاحباس من كتب متنوعة (ومن كل فن طرف) وزادت في نموها وتوسيعها بعدما صدع الامام المقدس جلالة محمد الخامس ، في اول وثبة ثورته الجامحة لما نبه الشعب ، بالعلم والتعلم قصد نشر الوعي في المجتمع المغربي

ثم بعد ذلك فتحت ابواب مكتبتي القرويين بفاس وابن يوسف بمراكش وبعد حين طلب الملك بتوسيعهما نظرا لضيق نظامهما ووضع الحجر الاساسي لمكتبة القرويين في حفل بديع يوم 9 ماي سنة 1940 م وادت هذه المكتبة مهمتها احسن اداء

ثم في سنة 1948 م فتحت مكتبة الجامع الكبير بمكناس ، وفي هذه المرحلة خصت المكتبة العامة السلط المحلية بوزان وتازة وآسفي وغيرها من المدن بانقاذ ما هنالك من تراث مغربي مطمر بالزوايا ، وكان دور الاحباس في هذا العمل الايجابي جد مفيد



منظـــر عـــام لمحــراب جامــع المنصــور بمراكــش

نوادر المخطوطات الحبسية

مصحف كريم :

مجلد ضخم بالخط الكوفي فى رق الغزال يبتدىء من قوله تعالى « فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل » من آخر سورة النساء الى قوله تعالى « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه » من آخر سورة الكهف .

شذرات من كتاب الله العزيز :

كمل نسخها بمراكش سنة 654 هـ مكتوبة بخط عمر المرتضى آخر ملوك الموحدين .

كتاب الابانة فى الوقف والابتداء :

تأليف الشيخ ابى الفاضل محمد بن جعفر الخزاعي المتوفى سنة 408 هـ .

جزء من مصحف اندلسي : كتب بمالقة سنة 620 هـ . 590 . هـ .

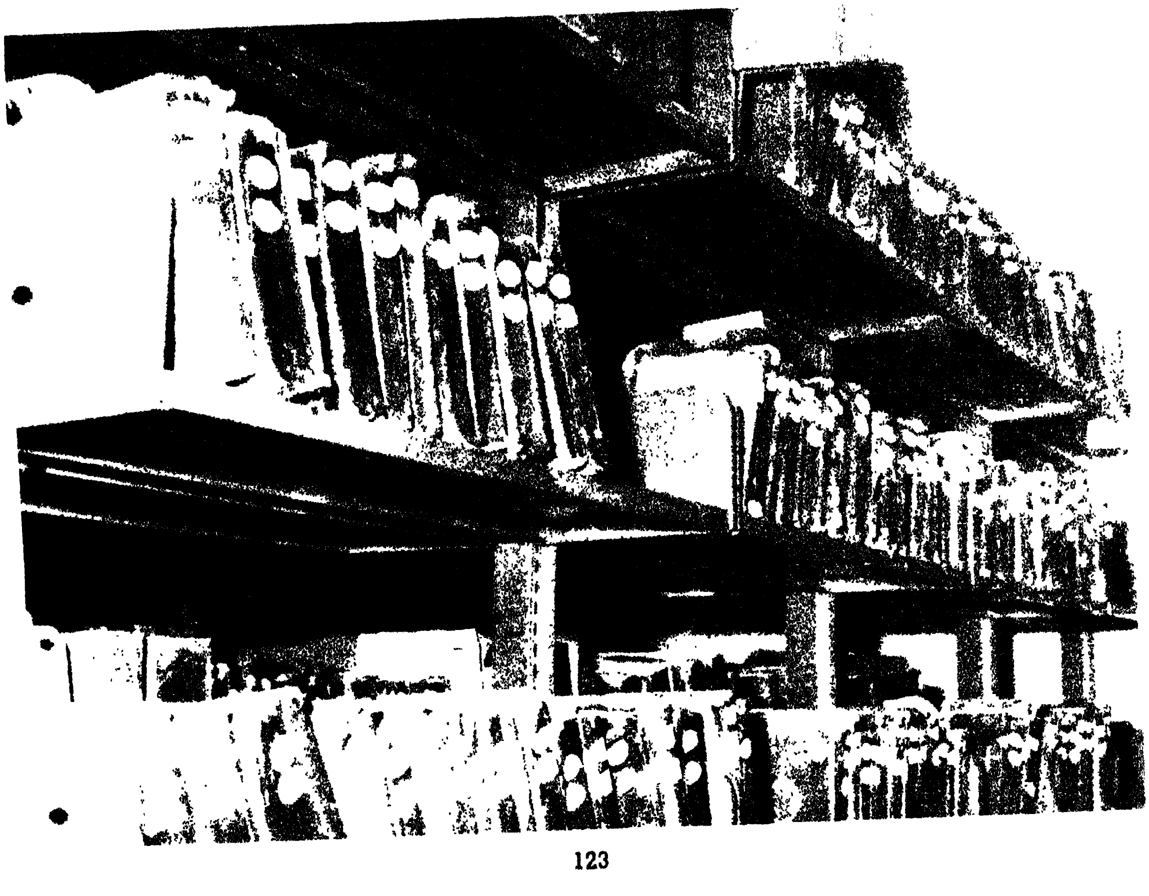
الموضح فى تعليل وجوه القراءات (شرح الهداية) :

كلاهما لابي العباس احمد بن عمار ابن احمد المقرىء المهدوي المتوفى سنة 440 هـ 1048 م .

شرح الدرر اللوامع لابن بري :

تأليف العلامة ابي عبد الله محمد بن عبد الملك القيسي المنتوري المتوفى سنة 834 هـ 1431 م .

من تحبيس ابي العباس المنصور عام 1011 وعليه خط يده .



ولما استقل المغرب واصلت المكتبة العامة بالرباط بفضل محافظها العام الحازم الاستاذ السيد عبد الله الركراكي تنقيبها فكشفت خزانة مهمة بزاوية تامكروت الناصرية في اقصى الجنوب المغربي ووجدت فيها مجموعة قيمة من أمهات الكتب في حالة مزرية فانقذتها بعملية التطهير في آلة خصوصية ، وردت الاصول الى الزاوية المذكورة واثر هذه العملية اصبحت تزود هذا الفرع بالكتب وجهزت المكتبة تجهيزا لائقا ، وتمدها بكل ماتحتاجه لوقاية ذلك التراث القيم ، واصبحت المكتبة هناك تلعب دورا هاما كما كانت في الماضي وهي قبلة السواح من كل الافاق والطلبة في تلك الناحية

وكشفت المكتبة العامة في الزاوية الحمزاوية المنسوبة لابن سالم العياشي صاحب « الرحلة » من نفائس المخطوطات، فطهرت كتبها من الارضة ، ثم سجلت من جديد وصورتها باجمعها . والاحباس التي كانت مسؤولة عن المكتبة والتعليم قديما قد حافظت لنا على هذا التراث المجيد ولم تسلمه الى المكتبة العامة الا بعد الاستقلال عندما تاكدت انها تقوم بالحرص والصيانة على ما كانت تفعله الاحباس ، ومع ذلك بقي الاتصال متينا بين وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية وادارة المكتبة

ومن خلال هذا العرض الوجيز يتضح لنا ان نظام الاحباس نظام كامل في كل مراحل العصور الاسلامية ، وقد لمسنا ذلك اخيرا من وثائق وحوالات تطوي اسرارا مهمة في سائر ميادين الاوقاف الاسلامية من مستندات ومشاريع عديدة ، دينية وعلمية واجتماعية واقتصادية وادارية

وجل هذه الحوالات ظلت مذخرة في وزارة الاحباس وغيرها بنظارات الاحباس المحلية ، وكثيرها عتيق جدا ، لكن البعض منها في زوايا بعيدة كادت تحطمه الرطوبة او تسربت اليه الحشرات ، ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لما ادركت هذه الخطورة اتصلت بالمكتبة العامة واقترحت عليها تطهير هذه الحوالات بالآلة الخصوصية الكائنة بالمكتبة وتجليدها من جديد وترميم اوراقها المتلاشية التي كانت على وشك الانهيار . وعدد هذه الحوالات والوثائق يربو على (64) كناشا باجزائها وكل جزء منها يبلغ عدد صفحاته ما بين المائة ، والمائة وخمسين صفحة ، وتمت العملية بمجموعة كتب الاوقاف الموجودة في الوزارة وفروعها بانحاء المملكة وعددها 1216 مخطوطا، وان المكتبة العامة لتقدر عناية وزارة الاحباس ومجهودها واهتمامها بهذا التراث المجيد الذي هو جزء من اعمالها الكثيرة قد حققته في المرحلة الاولى (عشرة اعوام من استقلال المغرب) وهذا ما يدل على ان اعمال الوزارة مدعمة بنشاط مجدي من خلال ما لمسناه من الوثائق المصونة التي يتجلى لنا من خلالها ان ميدان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية واسع وحافل بالنشاط الحي

وفيما يلي نورد قائمة ببعض نوادر المخطوطات الحبسيه الموجودة اما في خزانة القرويين بفاس ، أو في الخزانة العامة بالرباط حيث تحظى بعناية المسؤولين من حيث التسفير والتجليد والوقاية من مضار العبث والارضة .

وقع الفراغ من نسخه بمدينة مرسية في رجب عام 628 هـ .

من تحبيس السيدة عائشة بنت السيد المدني الحمومي بتاريخ عام 1276 هـ .

نسخة اخرى منه :

في عدة اجزاء من بقايا نسخهكتبت بالسواك في رق الغزال لخزانة امير المسلمين ابي الحسن علي بن يوسف ابن تاشفين اللمتوني .

مسند عبد بن حميد الكشي :

للامام عبد الحميد المعروف بعبد بن حميد المتوفى سنة 249 هـ 864 م .

من تحبيس الوزير ابي الحسن علي ابن يوسف الوطاسي عام 855 هـ .

صحيح البخاري :

جمع الامام ابي عبد الله محمد البخاري المتوفى سنة 256 هـ 879 م . السفر السابع . بآخره عدة سماعات وهو بخط ابي الحسن الحافظ طاهر بن مفوز الشاطبي بتاريخ سنة 481 هـ وكانت وفاة ابن مفوز هذا سنة 484 هـ .

المسند الصحيح :

لابي الحسين مسلم بن الحجاج المتوفى سنة 261 هـ 875 م .

نسخة اثرية بخط الكاتب الاديب عبد الرحمن بن عفير الاندلسي ، وقع الفراغ من نسخها سنة 573 هـ .

من تحبيس الخليفة بفاس مولاي عليابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله عام 1181 هـ .

نسخة اخرى منه :

في ستة اجزاء بخط الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1091 هـ 1680 م .

نسخة اخرى منه :

الجزء الاول فقط بخط اندلسي في رق الغزال كتبه الحافظ ابو محمد عبد الله ابن عيسى القلني .

من تحبيس ابي عبد الله محمد بن محمد البكري عام 845 هـ على خزانة القرويين .

الجامع الصحيح :

لمؤلفه الحافظ ابي عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة 279 هـ 893 م .

من تحبيس السلطان ابي الربيع على خزانة جامع الرصيف سنة 1217 هـ .

الجمع بين الصحيحين (البخاري ومسلم) :

لابي بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن زكرياء الجوزقي المتوفى سنة 388 هـ 998 م .

يعود تاريخ نسخه لشهر ذي الحجة سنة 581هـ على يد محمد بن ابي بكر بن يوسف الفرغاني .
من النوادر

ملخص الموطا :

لابي الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي القيرواني المتوفى سنة 403 هـ 1012 م .

من تحبيس السلطان سيدي محمد ابن عبد الله على خزانة القرويين ، صححه بخط يده .

مشتبه النسبة :

للحافظ ابي محمد عبد الغني بن سعيد الازدي المتوفى سنة 409 هـ 1019 م نسخة كانت في ملك زيدان بن احمد المنصور السعدي وعليها خط يده .
من تحبيس السلطان سيدي محمد ابن عبد الله عام 1175 هـ .

محاذي الموطا :

رواية وجمع المهدي بن عبد الله المصمودي ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين المتوفى سنة 524 هـ 1130 م .

جزء ضخم مكتوب بخط اندلسي في رق الغزال .

من تحبيس قائد السقيف ايام بني مرين ابي محمد عبد الله الطريفي عام 811 هـ .

تلخيص كتاب مسلم :

للامام المهدي بن تومرت المتقدم ، كتب بسجلماسة سنة 590 هـ .

غريب الحديث :

لابي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي المتوفى سنة 597 هـ 1201 م .

مختصر تفسير ابن سلام ابي زكريا يحيى التيمي :

المتوفى سنة 200 هـ 816 م لابي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي زمنين المتوفى بالبيرة سنة 399 هـ 1009 م فى سفر ضخم بخط اندلسي ، وقع الفراغ من كتابته عام 611 هـ .

من تحبيس احمد المنصور السعدي عام 1008 هـ

معاني القرآن :

لابي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، المعروف بالفراء ، المتوفى سنة 207 هـ 822 م .

آداب تلاوة القرآن وفضائله :

لابي عبيد القاسم بن سلام الهروي الازدي المتوفى سنة 224 هـ 838 م .

تاويل مشكل القرآن :

لابي محمد عبد الله بن قتيبة المتوفى سنة 276 هـ 889م نسخة اندلسية قديمة جدا .

جامع البيان عن تاويل آي الفرقان :

لامام المفسرين ابي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة 310 هـ 922 م اجزاء عشرة بخط اندلسي من كتابة القرن الخامس الهجري .

من تحبيس السلطان ابي عبد الله المنتصر المريني بتاريخ عام 827 هـ .

نسخة اخرى منه :

الجزء العاشر ، من تحبيس ابي عنان المريني على القرويين .

ديوان نزهة القلوب (تفسير غريب القرآن على حروف المعجم) :

لمحمد بن عزيز السجستاني المتوفى سنة 330 هـ 942 م

الهداية الى بلوغ النهاية فى علم معاني القرآن :

لابي محمد مكي ابن ابي طالب حموش بن محمد بن مختار الاندلسي القيسي المتوفى سنة 437 هـ 1045 م . يعود تاريخ نسخه لشهر ذي القعدة عام 998 هـ على يد مسعود بن الحسن بن اعزا الجزولي .

من النوادر

لطائف الاشارات :

لابي القاسم عبد الكريم بن هوازن ابن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري ، المتوفى سنة 465 هـ 1072 م . يعود تاريخ نسخه لشهر صفر عام 896 هـ .

المحرر الوجيز فى تفسير كتاب الله العزيز :

لابي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمان بن عطية الغرناطي الاندلسي المتوفى سنة 542 هـ 1148 م . يعود تاريخ نسخه لربيع الثاني عام 1105 هـ .

الناسخ والمنسوخ فى القرآن :

للامام ابي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري المتوفى سنة 543 هـ 1149 م . جزء متوسط بخط اندلسي عتيق متلاش مبتور الاوائل والاواخر ولغرابته وكونه ذخيرة مهمة يذكر هنا .

تفسير القرآن :

لابن ابي الربيع ابي الحسين عبيدالله بن احمد بن عبيد الله الاشبيلي ثم السبتي المتوفى سنة 688 هـ 1289 م . **وهذا الكتاب غريب لا تعرف منه نسخة اخرى فى مكان آخر .**

شرح غريب القرآن (ارجوزة) :

لمحمد بن احمد الصلتان .

وهي تشتمل على 3460 بيتا انتهى من نظمها فى شهر ربيع الاول سنة 785 هـ .

جزء من تفسير القرآن الكريم :
كتب بسبتة سنة 802 هـ .

اللباب من علوم الكتاب :

لابي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي النعماني الدمشقي .

من تحبيس احمد المنصور السعدي عام 1008 وعليها خط يده .

الموطأ :

للامام مالك بن انس بن مالك الاصبحي الحميدي المتوفى سنة 169 هـ 795 م فى جزء متوسط بخط اندلسي صحيح متقن .

سبعة اجزاء في مجلد كامل بخط المؤلف ، فرغ من تأليفه سنة 576 هـ وخرجه من مبيضته سنة 581 هـ .

منال الطالب في شرح طوال الغرائب :

لمجد الدين المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم المعروف بابن الاثير المتوفى سنة 606 هـ 1210 م .

يعود تاريخ نسخه لسنة 606 على يد ابن اخيه محمد بن نصر الله ، **وهو من النوادر الغريبة** .

بيان الوهم والايهام الواقعين في كتاب الاحكام :

لعبد الحق الازدي ، تأليف الحافظ ابي الحسن علي بن محمد بن القطان الفاسي المتوفى سنة 628 هـ 1231 م

مجلد ضخم يتركب في أصله من مجلدين يوجد منه في الخزانة المجلد الاول بخط مغربي وبهوامشه تعليقات لجماعة من العلماء في مقدمتهم ابو العباس احمد ابن مبارك السجلماسي .

من تحبيس والدة أبي العباس المنصور السيدة المسعودة بنت الشيخ احمد بن عبد الاله الوزكيتي على خزانة مسجدها بمراكش بتاريخ عام 1011

الكاشف في أسماء رجال الكتب الستة :

للحافظ شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد الذهبي ، مجلد متوسط تام بخط مشرقي ، كتبه بعض تلاميذ المؤلف ، وقع الفراغ من نسخه عام 803 هـ

من تحبيس احمد المنصور الذهبي على خزانة القرويين عام 1009 هـ وعليه خط يده .

شواهد التوضيح على الجامع الصحيح :

لسراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة 804 هـ 1401 م الموجود منه الجزء الثالث وهو بخط المؤلف وجميع ما بهامشه بخط تلميذه الحافظ ابن حجر العسقلاني .

فتح الباري في شرح صحيح البخاري :

تأليف شهاب الدين ابي العباس احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852 هـ 1448 .

من تحبيس السلطان ابي العباس احمد بن محمد ابن الشيخ الوطاسي عام 939 هـ .

المهد الكبير :

لابي علي بن الزهرا عمر بن علي العثماني الورياغلي كان حيا في أوائل القرن الثامن الهجري .

من تحبيس محمد بن ابي القاسم **ابن ابي مدين** العثماني عام 766 هـ .

الجامع الكبير او جامع الجوامع :

تأليف الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة 911 هـ 1506 م .

نسخة أثرية في اجزاء 7 بخط مشرقي **جميل** يرجع تاريخ نسخه احد اجزائها الى سنة 974 هـ .

الجامع الصحيح الاسانيد المستخرج من ستة مسانيد :

للسلطان الجليل سيدي محمد بن عبد الله المتوفى سنة 1204 هـ 1790 م في سفر متوسط بخط مشرقي جميل من احباس خزانة جامع الرصيف اشترى لها بتاريخ 18 محرم عام 1255 هـ .

نظم الدرر بآي احمد اجمل البشر :

رجز يبلغ تقريبا 6300 بيت لناظمه ابي الحسن الرهوني كان حيا في أواسط القرن السابع الهجري .

يعود تاريخ نسخه الى سنة 661 انتسخ لخزانة المرتضى ابي حفص احد ملوك الموحدين المتوفى عام 665 هـ .

الاحكام من آي خير الانام (في المعجزات النبوية)

لابي محمد حسن ابن الحافظ ابي الحسن على بن القطان من أهل القرن السابع الهجري .
الفه جامعه عن أمر امير المومنين ابي حفص عمر المرتضى من ملوك **الموحدين** .

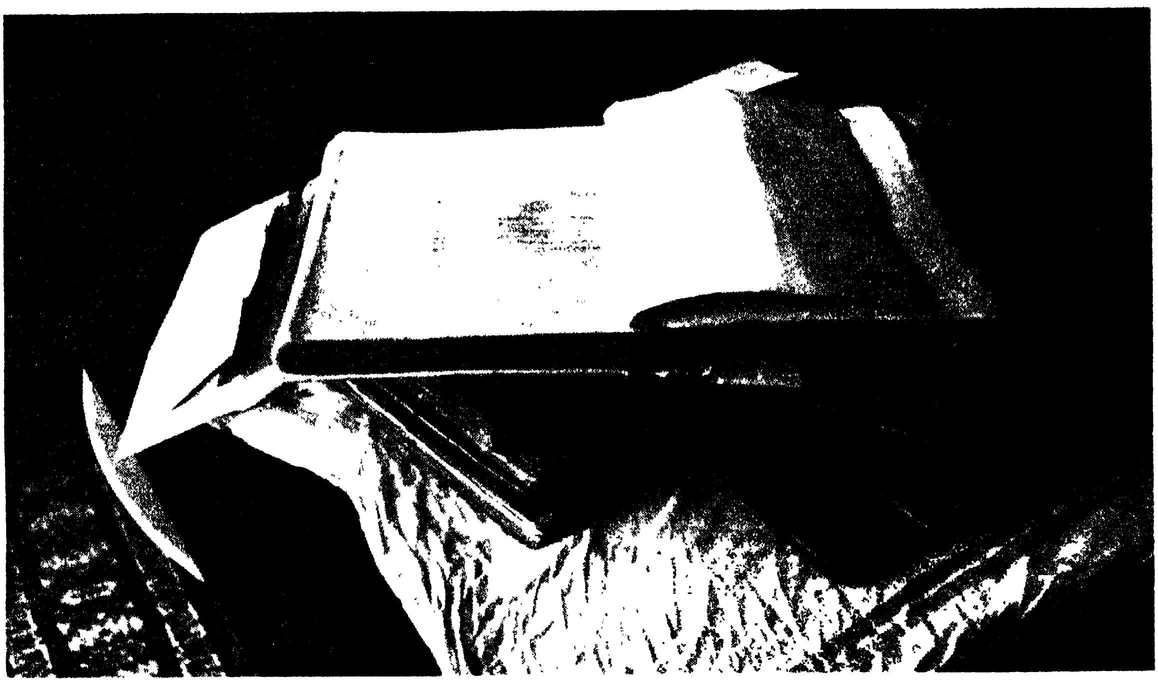
تنبيه الانام في بيان علو مقام نبينا عليه افضل الصلاة وأزكى السلام :

لابن عظوم محمد بن احمد القيرواني من عائلة ابن عظوم الشهيرة بالقيروان بخط مغربي جميل مزخرف بالذهب .

من تحبيس السلطان مولاي عبد الله على خزانة القرويين بتاريخ عام 1156 هـ .



أعــز مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب



محطوطات ثمينة ، وفريده من نوعها . انها بعض نفائس
مكتبه الزاوية الناصريه بوادى درعة ، وقد دخلت الزاويـــه
الناصريه بمقتضى ظهير شريف الى حظيرة عموم الاوقاف .

الامد الاقصى فى الاسماء الحسنى مع كتـــاب الافعال :

كلاهما للقاضي ابي بكر بن العربي المعافري المتوفى سنة 543 هـ 1148 م . **من النوادر**
مكتوب بخط محمد بن احمد القادري .

وهو من تحبيس المولى محمد بن عبد الله على خزانة الجامع الاعظم بآسفي فى 13 ذي الحجة سنة 1168 هـ .

الزهد والرقائق :

للامام الحافظ الزاهد ابي محمد عبد الله المبـــارك المتوفى سنة 181 هـ 798 م سفر ضخم بخط اندلسي وقع الفراغ من نسخه سنة 465 هـ **من نوادر الخزانة**

ملابس الانوار ومظاهر الاسرار :

لمؤلفه محمد بن قاسم بن داود السلوي الجزء الثاني منه فقط وقع الفراغ من نسخه او تأليفه عام 814 هـ ، خط مغربي جيد .

سير ابراهيم بن محمد الفزاري :

لمؤلفها ابي اسحق ابراهيم بن محمد الفزاري احد رجال الصحيح المتوفى سنة 186 هـ 802 م .

هذا الكتاب يشتمل فى الاصل على خمسة اجزاء الجزء الثاني الذي بين ايدينا منه مكتوب فى الرق وقع الفراغ من نسخه فى شهر ربيع الاخر سنة 270 هـ .

وعلى هذا الجزء خط الامام المؤرخ خلف بن عبد الملك بن بشكوال وخط مالكها عباس بن اصبغ المتوفى سنة 386 هـ وباقي الاجزاء الاربعة توجد ايضـــا فى الخزانة كثيرة التلاشي . وهذا الجزء من **اندر النوادر** بالخزانة من حيث قدم التاريخ .

المختصر الكبير فى الفقه :

لابي محمد عبد الله بن عبد الحكم احد فقهاء مصـــر المتوفى سنة 214 هـ 830 م قطعة منه تشتمل على ثلاثين ورقة مكتوبة فى الرق بخط اندلسي .

المدونـــة :

رواية سحنون بن سعيد التنوخي المتوفى فى رجب سنة 240 هـ 855 م مجلد ضخم بخط اندلسي**مكتوب بالسواك فى رق الغزال .**

التفريع فى الفقه المالكي :

لابي القاسم بن الجلاب عبيد الله ابن الحسين بن الحسن المتوفى سنة 378 هـ 989 م جزء بخط مغربي وقع الفراغ من نسخه عام 701 هـ .

وباول ورقة منه وثيقة تحبيس ابي عنان فارس سنة 750 هـ .

قطعة من كتاب النوادر والزيادات على مـــا فى المدونة فى موضوع الاقرار :

لابي محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني المتوفى سنة 386 هـ 996 م

وهو من **الذخائر العريقة فى القدم** ، كتب ومؤلفه ابن ابي زيد لا يزال بقيد الحياة ـــ ويوجد من هـــذه النسخة من كتاب النوادر ستة عشر جزءا فى رق الغزال

التهذيب لمسائل المدونة :

تأليف خلف ابن ابي القاسم البراذعي المتوفى سنة438هـ 1047 م .

اجزاء اربعة مكتوبة بالسواك فى رق الغزال .

وقع الفراغ من نسخ الجزء الاخير سنة 535 هـ

من تحبيس السلطان ابي المعالي زيدان بن احمد المنصور عام 1018 هـ وعليه خط يده .

الاعلام بنوازل الاحكام :

لابن سهل عيسى ابي الاصبغ الجياني القرطبي احـــد قضاة طنجة ومكناسة الزيتون وغرناطة المتوفى بها سنة 486 هـ 1094 م .

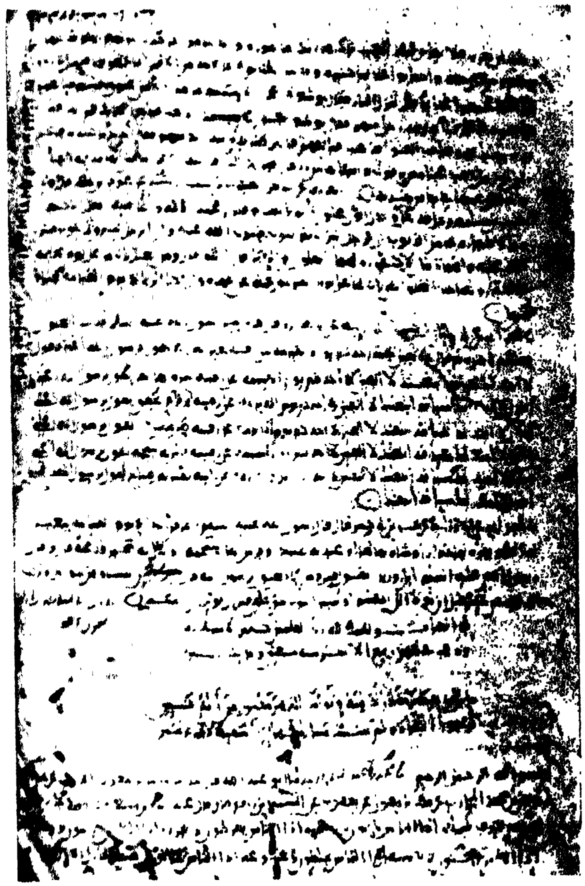
البيان والتحصيل لما فى فى المستخرجة من التوجيه والتعليل :

لابي الوليد محمد بن احمد بن محمد ابن رشد المتوفى سنة 520 هـ ـــ 1127 م . مجلد ضخم مكتوب بالسواك فى رق الغزال ، وقع الفراغ من نسخه عام 720 هـ .

من تحبيس ابي الحسن المريني على خزانة مدرسة عدوة الاندلس بفاس عام 728 هـ .

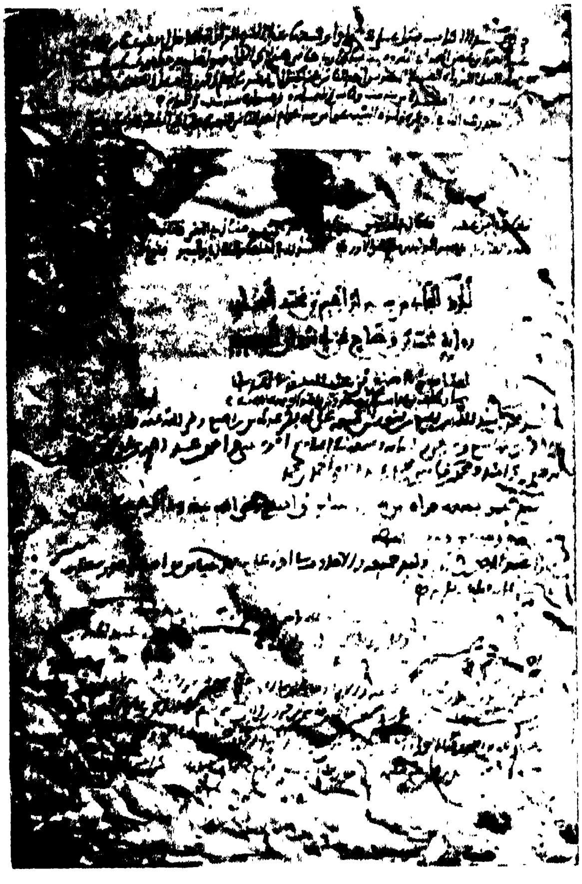
الاحكام الشرعية الكبرى :

لابي محمد عبد الحق بن عبد الرحمان ابن عبد اللـــه الاشبيلي المعروف بابن الخراط المتوفى سنـــة 581 هـ .



الصفحة الاولى من الجزء

الثاني من كتاب سير ابراهيم الفزاري



الصفحة الاخيرة

من الجزء المذكور

1185 م يعود تاريخ نسخه للخامس والعشرين من شهر شوال سنة 664 هـ .

تاليف فى الزكاة :

لابي بكر محمد بن عبد الله بن يحيى ابن الجد الفهري المتوفى سنة 586 هـ 1190 م مكتوب بخط اندلسي جيد على ورق شاطبي فى آخره ((كمل الجـزء فى 26 ذي الحجة عام 698 بسبتة حرسها الله)) . وهو من اندر النوادر .

شرح بيوع الفقيه ابي يحيى بن جماعة التونسي :

المتوفى سنة 712 هـ 1313 م — للفقيه الحافظ احمد صدور علماء فاس ابي العباس احمد بن قاسم الجذامي القباب المتوفى سنة 778 هـ 1377 م .

جزء صغير بخط احد اعلام فاس الصوفي الكبير العارف ابي عبد الله سيدي محمد بن عباد المتوفى سنة 792 هـ .

مجموع يحتوي على عدة تآليف :

لتقي الدين على بن عبد الكافي بن علي السبكي المتوفى سنه 756 هـ 1355 م مكتوب بخط المؤلف وعلى بعض هوامشه خط صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي المتوفى سنة 764 هـ .

تيسير المرام فى شرح عمدة الاحكام :

لمحمد بن احمد بن محمد بن مرزوق المتوفى سنة 871 هـ 1380 م يعود تاريخ نسخه لربيع الثاني عام 996هـ على يد منصور بن علي الحاج .

وهو من تحبيس أحمد المنصور الدهبي على خزانة كلية ابن يوسف بمراكش عام 1004 هـ وعليه خط يده .

طبق الارطاب فيما اقتطفناه من مسانيد الايمة :

للسلطان سيدي محمد بن عبد الله المتوفى عام 1204 هـ 1790 مبخط شرقي وقع الفراغ من نسخه عام 1204 وبأوائله تقريظان لعالمين من علماء مصر .

مما اشترى لخزانة جامع الرصيف بفاس عام 1255 هـ .

مجموع يشتمل على ما يلي :

1) **الموجز فى النحو** لابي بكر محمد ابن السري السراج المتوفى سنة 316 هـ 929 م .

2) **كتاب الموفقي فى النحو** لابي الحسن احمد بن محمد كيسان .

3) **كتاب الكتاب** لابي محمد عبد الله ابن جعفر بن درستويه .

4) **كتاب النحو** لابي علي الحسن ابن محمد المعروف بلغدة .

5) **كتاب الخط** لابن السراج المذكور

6) **شرح ما يكتب بالياء من الاسماء المقصورةوالافعال** لابن درستويه المذكور .

7) **مختصر المذكر والمؤنث** للمفضل ابن سلمة .

8) **المقصور والممدود** لغلام ثعلب

9) **كتاب العروض** لابن السراج المذكور

10) **كتاب القوافي** لابي القاسم الطبيب ابن علي التميمي

شرح الايضاح لابي علي الفارسي :

تأليف عبد القاهر ابن عبد الرحمان ابن محمد الجرجاني المتوفى سنة 471 هـ 1078 م .

الموجود منه عندنا الجزء الاول والثاني والثالث وعلى الصفحة الاولى لكل جزء منها شهادة بخط ابي الحسن علي ابن ابي طالب روح بن احمد النهرواني تاريخ 587 و 588 بقراءته عليه .

النكت فى تفسير كتاب سيبويه :

لابي الحجاج يوسف بن عيسى الشنتمري المعروف بالاعلم المتوفى سنة 476 هـ 1084 م .

وهو من الغرائب التي لا تكاد تعرف فى مكان آخر .

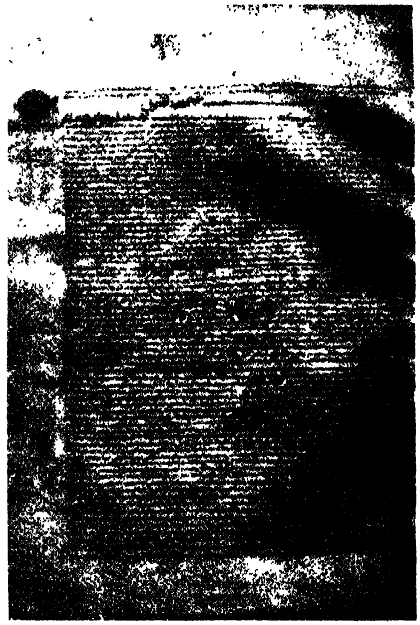
المسائل والاجوبة فى النحو :

لابي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي المتوفى سنة 521 هـ 1128 م .

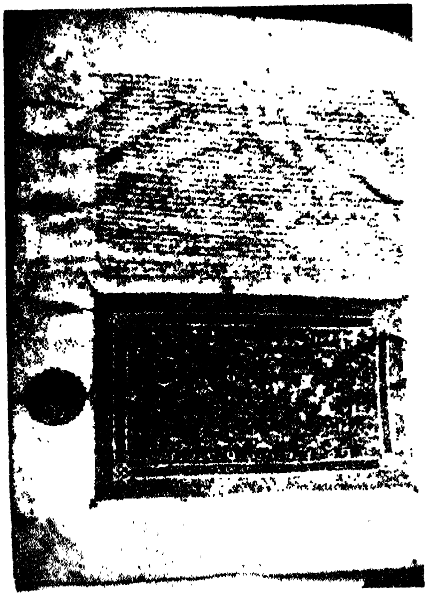
جزء ضخم بخط مغربي وقع الفراغ من نسخه عام 974 هـ .

شرح المقدمة الجزولية فى النحو :

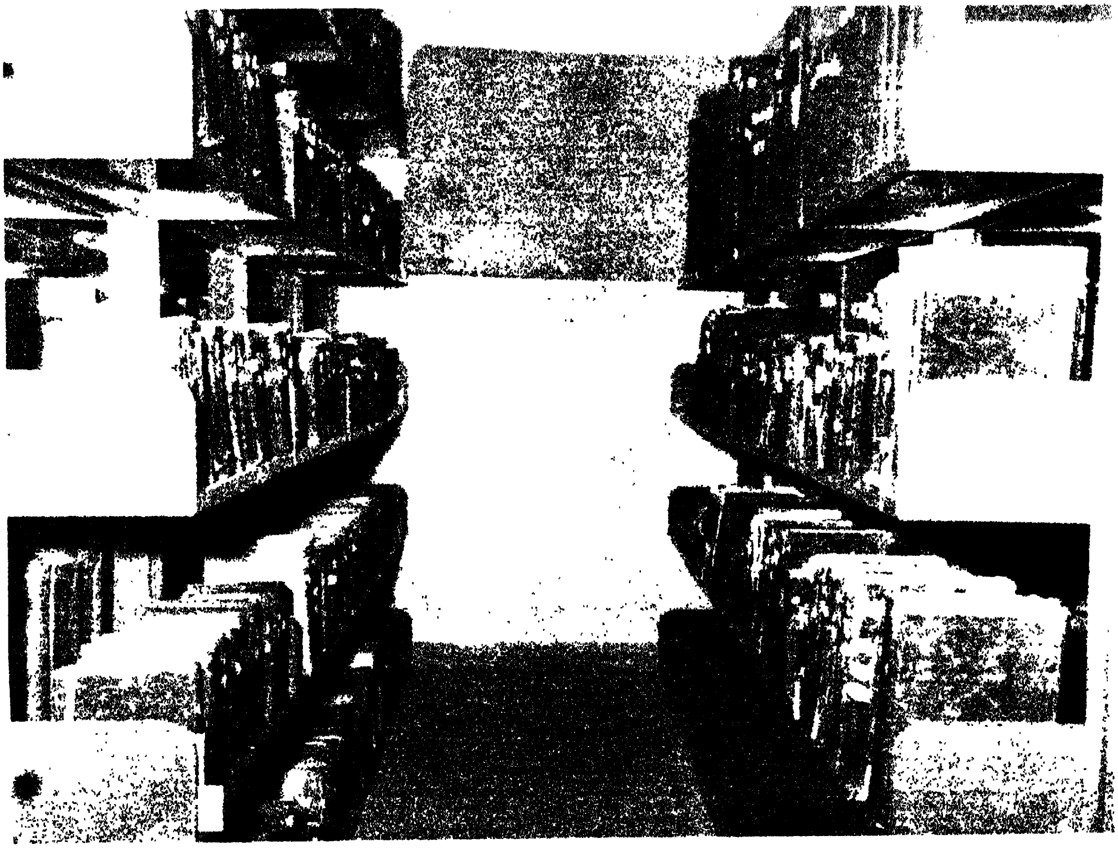
لامام النحاة بالاندلس ابي علي عمر الازدي الشهير بالشلوبين المتوفى سنة 645 هـ 1248 م .



احــدى صفحات كتــاب
البيــان والتحصيل
لابن رشــد



آخــر صفحة من كتــاب
البيــان والتحصيل
لابـن رشــد



ما تطعمت لــذة العيش حتــى صرت للبيت ، والكتــاب جليسا
ليس شيء اعز عنــدي من العلــم ، فمــا أبتغــي ســواه انيســا

المتوفى سنة 417 هـ 1026 م يعود تاريخ نسخ الكتاب المشار اليه لسنة 969 هـ على يد عبد الله بن عمر التدغي .

وهو من تحبيس احمد المنصور الذهبي على خزانة كلية القرويين العامرة وعليه خط يده .

خلق الانسان فى اللغة :

لابي محمد ثابت بن أبي ثابت عبد العزيز اللغوي وراق ابي عبيدة ومن أصحابه الجلة .
سفر ضخم بخط أندلسي صحيح مشكول .

وقع الفراغ من نسخه عند نهاية القرن السادس هـ

ديوان الحماسة :

لابي تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى سنة 231 هـ 846 م .

سفر ضخم بخط مغربي واضح وقع الفراغ من نسخه عام 1002 هـ كان ملكا للمستوضيء ابن أمير المومنين مولانا اسماعيل العلوي المتوفى سنة 1173 هـ وبأوله ورقة منه طابعه الخاص .

البرصان والعرجان والعميان :

لابي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ المتوفى سنة 255 هـ 869 م **لا تعرف من هذا الكتاب القيم نسخة فى أي بقعة من العالم على شدة عناية الناس بالتنقيب عن آثار الجاحظ .**

وقد اهدت وزارة التهذيب الوطني بالمغرب صورة من هذا الكتاب لمعهد المخطوطات بالجامعة العربية بعد ما أحضره الى الرباط من ابزو رئيس قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط **وكان لخبر العثور عليه دوي عظيم فى الاوساط الادبية .**

الامـالي :

لابي بكر محمد الحسن بن دريد الازدي المتوفى سنة 321 هـ 933 م .

يعود تاريخ نسخه لشعبان 641 هـ **وهو من اغرب الغرائب التي لا يعرف لها وجود فى مكان آخر .**

ديوان ابي فراس الحمداني :

لصاحبه الحارث بن سعيد بن حمدان الامير الشاعر المتوفى سنة 357 هـ 968 م نسخة جيدة صحيحة كتبت برسم خزانة احمد المنصور سنة 979 هـ على يد كاتبها علي بن منصور الشيظمي أحد رؤساء دولته

من تحبيس احمد المنصور على خزانة القرويين عام 1011 .

ديـوان :

لابي القاسم محمد بن هانىء بن محمد ابن سعدون الازدي الاندلسي المتوفى سنة 362 هـ 973 يرجع تاريخ نسخ الديوان المشار اليه لسنة 1002 هـ على يد الحسن ابن أحمد بن محمد الجثلني الجدميوي .

حلية المحاضرة فى صناعة الشعر وانواعه :

لابي علي محمد بن الحسن الحاتمي المتوفى سنة 388 هـ 998 جزءان ضخمان الاول والثالث فقط بخط مغربي وقع الفراغ من نسخ الجزء الاول فى شعبان عام 990هـ على يد ابراهيم بن محمد الغساني الشهير بالوزير .

قطب السرور فى وصف الانبذة والخمور :

لابي اسحاق ابراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق او ابن الرقيق المتوفى بعد سنة 417 هـ 1026 م حسبما ذكر الزركلي فى كتابه (الاعلام) وقال كحالة كان حيا سنة 388 ، وعند بروكلمان انه توفى سنة 383 .

خريدة القصر وجريدة العصر :

لابي حامد محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني المتوفى سنة 597 هـ 1201 م الخامس والسادس من نسخة اصلها فى ستة أسفار كتب السادس منها برسم خزانة المنصور الذهبي وعليه خط يده بالتملك له .

من تحبيس احمد المنصور المذكور عام 1001 على خزانة القرويين .

مختصر الاغاني لابيالفرج الاصبهاني :

تأليف ابي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المومن الموحدي المتوفى سنة 604 هـ 1207 م .

وهو من اغرب الغرائب التي ما سمع بها سامع ولا تحدث عنها متحدث .

الموجود عندنا منه الجزء الاول
يعود تاريخ نسخه لسنة 607 هـ .

من تحبيس ابي الربيع سليمان الدكالي على خزانة القرويين .

الايضـــاح شرح المفصل للزمخشري في النحو لجمال الدين ابي عمرو عثمان ابن الحاجب المتوفى سنة 646 هـ 1249 م .

كتب عليه انه بخط الاستاذ المحقق ابن حياتي المتوفى سنة 781 هـ .

شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو :

كلاهما لجمال الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك الطائي الجياني النحوي المتوفى سنة 672 هـ 1274 م .

من النـــــوادر

الهادي في الاعراب الى طرق الصواب :

لمحمد بن أبي الوفاء بن أحمد الموصلي المعروف بابن التبيصي من اهل القرن 7 هـ .

في اوله اجازة بخط المؤلف تؤذن بدراسته لناسخه خالد بن عمر بن محمود ابن محمد بن حمزة مؤرخة اواخر شهر ذي القعدة عام 626 هـ .

يعود تاريخ نسخه لليلة العشر الاولى من شهر ذي القعدة عام 612 هـ

لا ذكر له في كشف الظنون ولا في ذيوله ولا عند بروكلمان ، وترجم لمؤلفه القفطي في الانباه ج 1 ص 77 وقال انه كان بعد 580 والسيوطي في البغية 112 وقال: كان موجودا سنة 610 **ولا يبعد ان تكون نسختنا هذه هي النسخة الفريدة في الوجود من هذا الكتاب** ، وفي معهد المخطوطات بالجامعة العربية (الكافي في شرح الهادي في النحو والصرف) تأليف عز الدين عبد الوهاب الزنجاني ، فرغ من تأليفه سنة 654 .

فلعله شرح لهذا الكتاب .

شرح الجمل للزجاجي :

لابي اسحاق ابراهيم بن احمد الغافقي المتوفى سنة 716 هـ 1316 م .

وهو من الكتب المحبسة على طلبة مكناس .

التذييل والتكميل في شرح التسهيل (لابن مالك) :

تأليف اثير الدين ابي حيان محمد ابن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الاندلسي المتوفى سنة 745هـ 1344 م .

الالفاظ في اللغة :

لابي يوسف يعقوب بن اسحق الشهير بابن السكيت المتوفى سنة 244 هـ 859 م سفر ضخم اشتمل على جزاين بخط اندلسي في الرق .

التاج :

لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة 255 هـ 870 م اجزاء مكتوبة في الرق بخط اندلسي عارية عن تاريخ النسخ من بقايا نسخة تامة كانت بالقرويين .

من تحبيس السلطان ابي العباس احمد المريني على خزانة جامع الاندلس بفاس عام 792 هـ .

السماء والعالم :

تأليف النحوي اللغوي ابي عبد الله محمد بن ابان سيد اللخمي القرطبي المتوفى سنة 354 هـ 965 م .

الموجود منه عندنا السفر الثالث في اللغة وهو في مجلد ضخم مكتوب بالسواك بخط اندلسي .

من تحبيس الوزير ابي الحسن على ابن ابي الحجاج يوسف بن زيان الوطاسي بتاريخ عام 855 هـ .

مختصر كتاب العين :

للامام النحوي اللغوي ابي بكر محمد ابن حسن الزبيدي الاشبيلي المتوفى سنة 379 هـ 990 م .

نسخة تامة أثرية قديمة كتبت بالسواك في الرق تراجم عناوينها بالخط الكوفي المذهب وبهوامشها تعليقات وطرر بخط كاتب الاصل منقولة من نسخة الاستاذ ابي محمد بن السيد البطليوسي المنقولة من نسخة الحكم المستنصر بالله التي بخط المؤلف .

وقد طبعته وزارة الشؤون الاسلامية قوم نصه وعلق حواشيه وقدم له الاستاذان علال الفاسي ومحمد ابن تاويت الطنجي

الفصوص :

لابي العلاء صاعد بن الحسن الربعي الموصلي البغدادي

نزهة الابصار فى محاسن الاشعار :

لبهاء الدين زهير بن محمد بن علي المهلبي العتكي المتوفى سنة 656 هـ 1258 م .

لا ذكر له فى كشف الظنون ولا فى ذيوله ولا فى معجم المؤلفين .

ديــوان شعــر :

لانير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الاندلسي ، المتوفى سنة 745 هـ — 1344 م .

رفع الحجب المستورة فى محاسن المقصورة

(شرح مقصورة حازم القرطاجني التونسي) : للشريف ابي القاسم محمد ابن احمد السبتي المتوفى عام 760 هـ 1359 م

مجلد ضخم مغربي بلغ الغاية القصوى فى الجمال والزخرفة الفنية .

ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب :

تاليف ابي عبد الله محمد بن عبد الله لسان الدين بن الخطيب السلماني المتوفى بفاس سنة 776 هـ 1375 م

سفر واحد اشتمل على جزاين الرابع والخامس بخط مغربي ، وقع الفراغ من نسخه عام 1119 هـ .

من تحبيس السلطان ابي الربيع مولاي سليمان على خزانه جامع الرصيف عام 1217 هـ .

كتـــاب التاريـــخ :

لابي عمر خليفة بن خياط بن خليفة ابن خياط الشيباني العصفري البصري المتوفى سنة 240 هـ 854 م يبتدىء من ولادة الرسول وينتهي فى سنة 232 هـ .

رواية بقى بن مخلد بن يزيد القرطبي الاندلسي المتوفى سنة 276 هـ

يعود تاريخ نسخه لشهر ذي القعدة عام 477 هـ

وهو من الغرائب التي لا يعرف لها وجود فى مكان آخر.

البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب :

لابي عبد الله محمد المراكشي المعروف بابن عـــذاري المتوفى نحو سنة 695 هـ 1295 م .

الموجود منه عندنا الجزء الثالث الذي يبتـــدىء بحركة تاشفين لقتال الموحدين فى شهر جمادى الاولى من عام 533 هـ وينتهي بأخبار 664 هـ ،

يوجد من هذا الجزء ثلاث نسخ بالاسكوريـــال ولندرة وباريس ولكن هذه النسخة تشتمل على ازيد من مائة ورقة لا توجد فى اي نسخة اخرى

الذيل والتكلمة لكتابي الموصول والصلة :

لابي عبد الله بن عبد الملك قاضي مراكش المتوفى سنة 703 هـ 1304 م الجزء الاول مكتوب بخط اندلســـي ، انفردت به خزانة القرويين .

العبر وديوان المبتدا والخبر :

(تاريخ ابن خلدون) : لابي زيد عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون المتوفى بمصر سنة 808 هـ 1406 م

الثالث والخامس من النسخة ذات الاسفار السبعة التي حبسها ابن خلدون على خزانة جامعة القرويين بتاريخ شهر صفر عام 799 هـ وعليها خط يده .

وقع الفراغ من نسخ الجزء الخامس سنة 791 هـ على يد كاتبها عبد الله بن حسن الشهير بولد الفاخوري قال ناسخها وهو الاصل المعتمد لمؤلفه ابقاه الله تعالى وامتع به .

ورد الشهي العاطش فى فتح العرائش (ارجوزة)
لابي المحاسن يوسف بن محمد الشوذري فى آخرهـــا تقريظ عليها مؤرخ فى ثامن عشر ذي القعدة عام 1101هـ لمعاصر الناظم ابي اسحاق ابراهيم بن ابي بكـــر زد السوسي .

وترجع قيمتها الى ما بها من وصف تاريخـــي لاسترجاع مدينة العرائش والتقريظان اللذان بآخرها بخط صاحبيهما وهذه نسخة فريدة لا تعرف لها نظيرة بمحل آخر .

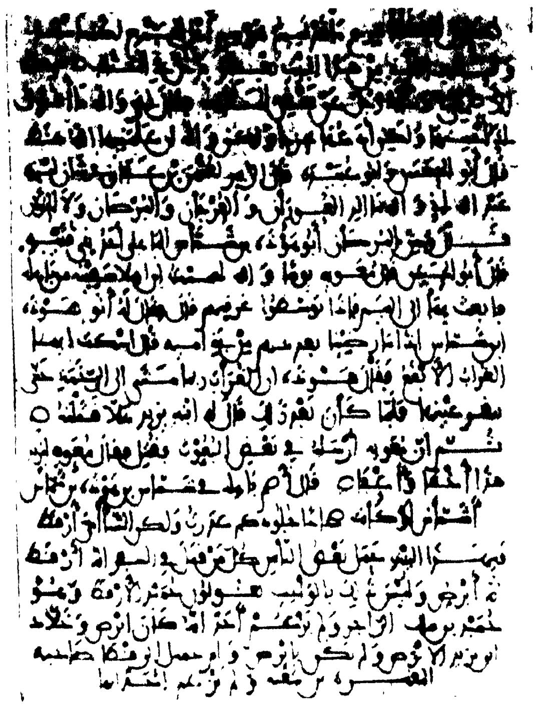
ديوان نسخ اصول املاك المرابيح :

جزءان ضخمان تضمنا وثائق قانونية فى شأن اصـــول املاك المرابيح من بلاد جير بارض البيض ثمة من قبل زوجة السلطان مولانا اسماعيل ام مولانا زيدان عام 1111 هـ وهما من الاصول المهمة فى وثائق الخزانة .



حذف من نسب قريش

للسروسي



صفحة من كتاب

« البرصان والعرجان والعميان »

للجاحظ

مناهج الفكر ومباهج العبر فى عجائب مبتدعات الصور وغرائب مخترعات الفطر :

لجمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى الانصاري الكتبي المعروف بالوطواط المتوفى سنة 718 هـ 1318 م

الجزء الرابع منه فى الفلاحة .

ورقات فى علم الفلك :

يظن انها من كتاب المجسطي الذي هو ام الكتب التي ألفت فى علم الفلك ، عددها 16 ورقة مكتوبة بالسواك على رق الغزال وفى ضمنها عدة اشكال هندسية رسمت بدقة واتقان .

الزيج القويم فى فنون التعديل والتقويم :

لمحمد بن ابراهيم لعله المعروف بالفزاري المتوفى سنة 180 هـ 796 م .

مقالة فى الادوية المضمونة المجربة :

لجالينوس ترجمة حسين بن اسحاق المتوفى سنة 260هـ 873 م يعود تاريخ نسخها لشهر جمادى الاولى عام 683 هـ .

الادويـــة المفردة :

لابي جعفر احمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الاشعث المتوفى سنة 365 هـ 975 م .

التيسيـــر فى المداواة والتدبيـــر :

لابي مروان عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر المتوفى سنة 557 هـ 1162 م .
الفه لامير المومنين عبد المومن بن علي الموحدي المتوفى سنة 558 هـ

القانون المفيد فى علاج الحصى بقول سديد :

لعبد الغني بن ابي سرحان مسعود الزموري .
الفه لاحمد المنصور السعدي

وذكر فى مقدمته انه ابتدا دراسة فن الطب على ابي محمد قاسم بن محمد الغساني الملقب بالوزير سنة 994 هـ .

الادوية المفردة :

لابي جعفر احمد بن محمد بن السيد الغافقي المتوفى سنة 560 هـ 1165 م فى جزءين ، عثر على الجزء الاول منه فى المكتبة الناصرية بتامكروت .

جامع مفردات الادوية والاغذية :

لابي محمد عبد الله بن احمد بن البيطار المالقي المتوفى سنة 646 هـ 1249 م وقع الفراغ من نسخه عام 800هـ بخط مغربي من تحبيس السلطان مولاي الرشيد على خزانة المسجد الاعظم بفاس عام 1082 .

منظومة رجزية فى علم الطب العام :

لابي بكر بن الطفيل محمد بن عبد الملك القيسي المتوفى سنة 581 هـ 1186 م رجز مرتب على سبع مقـالات يتجاوز عدد ابياته 7700 .

حذف من نسب قريش :

لمؤرخ بن عمرو بن الحادث السدوسي المتوفى سنة 195 هـ 810 م .

مجموع يشتمل على ثلاثة كتب :

لابي عمر يوسف ابن عبد البر القرطبي المتوفى سنة 463 هـ 1071 م :

1) من عرف من الصحابة بالكنية ولم يوقف له على اسم او اختلف فيه .

2) اسماء المعروفين بالكنية من التابعين ومن بعدهم.

3) من لم يوقف له منهم على اسم ولا عرف بغير كنية

وهو من اغرب الغرائب واندر النوادر وقد الف بعد **الاستيعاب** لانه يحيل عليه .

طبقات الفقهاء الشافعية :

لابي زكرياء محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووى المتوفى سنة 676 هـ 1277 م .

وهي ملخصة من طبقات ابن الصلاح وبعض اوراقها مكتوبة بخط الامام السبكي

طبقات القراء :

لمحمد بن احمد بن عثمان المعروف بالذهبي المتوفى عام 748 هـ .

وهي من اندر النوادر التي لا تكاد تعرف في مكان آخر بآخرها اجازة من المصنف بخطه لحميد الحافظ ابي الحجاج المزى .

الطبقات الكبرى :

لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة 771 هـ 1370 قطعة منها مكتوبة بخط **المؤلف .**

المسند الصحيح الحسن في مآثر ابي الحسن

(اي مآثر ابي الحسن على بن أبي سعيد عثمان المريني) :

لمحمد بن احمد بن مرزوق الخطيب التلمساني المتوفى سنة 782 هـ 1380 م كانت توجد منه نسخة فريدة في الاسكوريال قبل عثور الاستاذ ابراهيم الكتاني بتامكروت على نسختنا هذه ومما يلاحظ ان نسخة الاسكوريال تنقصها الورقة الاولى الموجودة في هذه النسخة . يعود تاريخ نسخها لشهر رجب سنة 1124 هـ على يد ابراهيم ابن عمر الهشتوكي .

نصيحة النساء المسلمات وذكر الموفقات منهن والعابدات :

لاحمد بن ابي بكر احمد الحنبلي القادري المتوفى سنة 844 هـ 1440 م ترجمة السخاوي في الضوء اللامع وقال انه يعرف بابن الرسام (ج 1 ص 249 — 250) نسخة بخط المؤلف اتم تخريجها من المبيضة سنة 844 هـ

الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة :

لزين الدين عبد القادر الجزيري الحنبلي كان حيا في أواخر القرن العاشر الهجري وقع الفراغ من تأليفه سنة 979 هـ

من تحبيس ابي العباس احمد المنصور عام 1001 هـ وعليه خط يده .

كتاب الاخلاق ويسمى ايضا نيقوماخيا :

لشيخ الفلاسفة والمفكرين ارسطو المتوفى سنة 322 قبل المسيح اشتمل على مقالات 11 ويلى المقالة الاخيرة منه مقالة في المدخل الى علم الاخلاق يظن انها لنيقولاوش كما بطالعة المدخل المذكور والكل بخط مغربي صحيح وقع الفراغ من نسخ الجميع سنة 619 هـ .

مقالة في الاسم والمسمى :

لابي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي المتوفى سنة 521 هـ 1127 م .

تاليف في السياسة :

لابي بكر محمد بن الحسن الحضرمي القروي يعرف بالمرادي المتوفى سنة 489 هـ 1096 م .

وقع الفراغ من نسخه عام 843 هـ بتونس على يد عيسى بن عبد الله العوسجي .

من تحبيس احمد المنصور الذهبي عام 1001 على خزانة القرويين .

كتاب في السياسة مما يحتاج اليه الملوك مع فصل في الخلافة :

لابي العباس وليد بن محمد التدمري

دعوة الحق

« دعوة الحق » من المشاريع البارزة التي نهضت باعبائها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في بداية الاستقلال . وهي اقرب الاعمال المبرورة الجليلة الى الخير الخالص المحض

و « دعوة الحق » سدت فراغا هائلا كان يشكوه المغرب بعد الاستقلال في الميدان الثقافي والفكري والادبي ، وتحمل المسؤولون عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في سبيل ابرازها من عالم الذهن الى دنيا الواقع صعوبات مادية وادبية ، ذللت عقباتها بفضل الهمم الكثيرة التي اذكت الشعلة ، وانارت السبيل ، فاصابت المحز ، ولم تخطىء شاكلة الرمي ، لانــــه :

مـا استعصـى على قـوم منـال

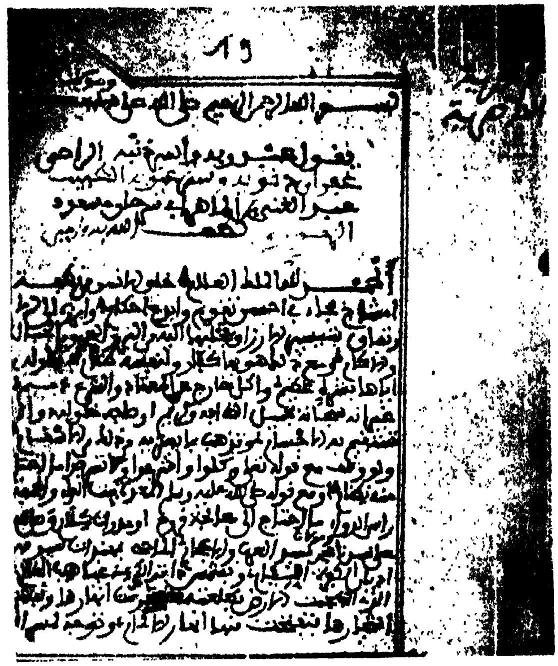
اذا الاقـدام كـان لهـم ركابـا

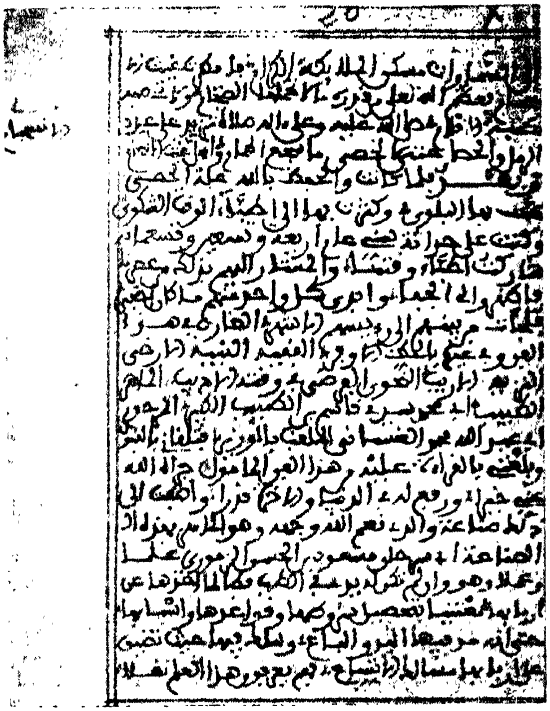
ولقد سلخت « دعوة الحق » من عمرها المديد ، باذن الله ثماني حجج ، عرف القراء عن طريقها النخبة الواعية المفكرة في هذه البلاد ، تلك النخبة المومنة التي يتسم نتاجها بالاخيلة الخصبة ، والعقول النيرة ، والابحاث الناضجة ، بل انها فتحت ذراعيها لجميع الكتاب والشعراء من مختلف الطبقات الذين يبعدون – طبعا – عن الثقافة الضحلة ، الى الدراسات الجادة العميقة التي تمتاز بالاسلوب المتفتح ، والسياق الواضح ، والمعنى الفحل ، فلا تقفل الباب دونهم ، بل انها تاخذ بضبعهم وتشجعهم ، فتفسح امامهم مجال الدراسة النافعة ، والبحث البحت ، حتى اصبحت بذلك كعبة لرواد الفكر والادب ، في الشرق والغرب ، ومثابة للناس وامنا

ولقد استطاع القراء ، في كل مكان ، ان يلحظوا مدى الجهد الموصول الذي بذل لجعل هذه المجلة ، التي بقيت على المستوى المعهود ، الذي يتسم باصالة الفقه ، وعمق النظر ، وغزارة الفائدة ، ملتقى اقطاب الفقه والادب ، الذين يتنامى عددهم للاسهام في حقولها ، مستشعرين الشجاعة في مواطن « الحق » وحين البأس ، لتصحيح الزائف ، وتقويم المعوج

ولا غرو ، فقد انبثقت هذه المجلة الى الوجود وهي تحمل « دعوة الحق » واست على الهدى من اول يوم ، وظلت اوسع دائرة للتثقيف والتوجيه ، تنير الاذهان ، وتهذب الافكار ، وتحمل سريرة طيبة صافية وقصارى جهدها ان تعمل على نشر اداب الاسلام ، واظهار حقائقه ، نقية من كل لبس ، واضحة من كل غموض ، تقذف « بالحق » على الباطل فيدمغه ، فاذا هو زاهق ، كما كان رائدها الكشف عما الحق بالدين من بدع ومحدثات ، مقررة حقائقه على وجهها الصحيح داعية الى الفلاح بالتي هي ارفق ، وادعى الى القبول.

وقد حرصت منذ ان كانت على تمتين الصلات الروحية والفكرية بين اعضائها في الشرق والغرب ، وهكذا ، فقد استقطبت حولها صفوة مختارة من الباحثين، ومجموعة من رجال الفكر والادب ، الذين اذكوا روح البحث والدرس في هذه البلاد ، وكشفوا للعقل افاق المعرفة ، ونهجوا للنفس طرائق الكمال ، محاولين انتشال هذا الوطن الغالي من ضروب التفسخ والانحلال





الصفحتان الاوليان من كتـاب « القانون المفيـد » لعبد الغني الزموري



نـوادر المخطوطات
الحبسيـه
المـوجـودة
بالمكتبة العامة
بالربـــاط

عاملين على حركة البعث والنشور ، فاجتثوا شجرة هذه الادواء ، او كادوا ، وارسلوها (كلمة طيبة ، كشجرة طيبة ، اصلها ثابت وفرعهـا في السمـاء) كانت غـذاء القلب ، وطمانينة الروح ، ومبعث حرارة تبعث الدفء في القلوب ، فتدفعها الى الامـام ، وتمـلأها بالامـل والرجاء ، مما شد لهذه المجلة ، التي تعمل لاقـرار الحياة الفكرية على قواعد ثابتة ، واصولمنتجة ، صرح مجدها خلال هذه السنوات التمان التي تعتبر تاريـخ نهضة ، وثرات فكر انساني خلاق

كما انها قاومت البدع والاوهام ، وما لفق ضـد الاسلام من ترهات واباطيل، وانكر من بديهات وحقائق، وكشفت الغطاء عن السرائر ، ممن بـدت البغضـاء من افواههم ، وما تخفي صدورهم اكبر ، فيذهب الباطـل زاهقا ، وتبقى كلمة « الحق » هي العليا

واهتمت بما يحيط بهذا العصر من مشكلات عقلية، ومعضلات ذوقية ، فحللتها تحليلا علميا على ضوء التفكير القوي القويم ، والتعبير الدقيق المهـذب ، اللذيـن يتمشيان وروح الاسلام ، ومقتضيات التطور ، حتـى لا يبقى الفكر الاسلامي في عزلة عن اية مشاركة في تيار الحياة العالمية ، لان احوال العالم ـ كما اراد الله ـ في تجدد مستمر ، وحاجات الناس في توسع مطـرد ، وعقولهم في نمو متكامل ، فشرائعهم لا تقف بهم عنـد وضع واحد ، والا كانت الحياة جامدة هامدة ، ولامر ما يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة امر دينهـــا

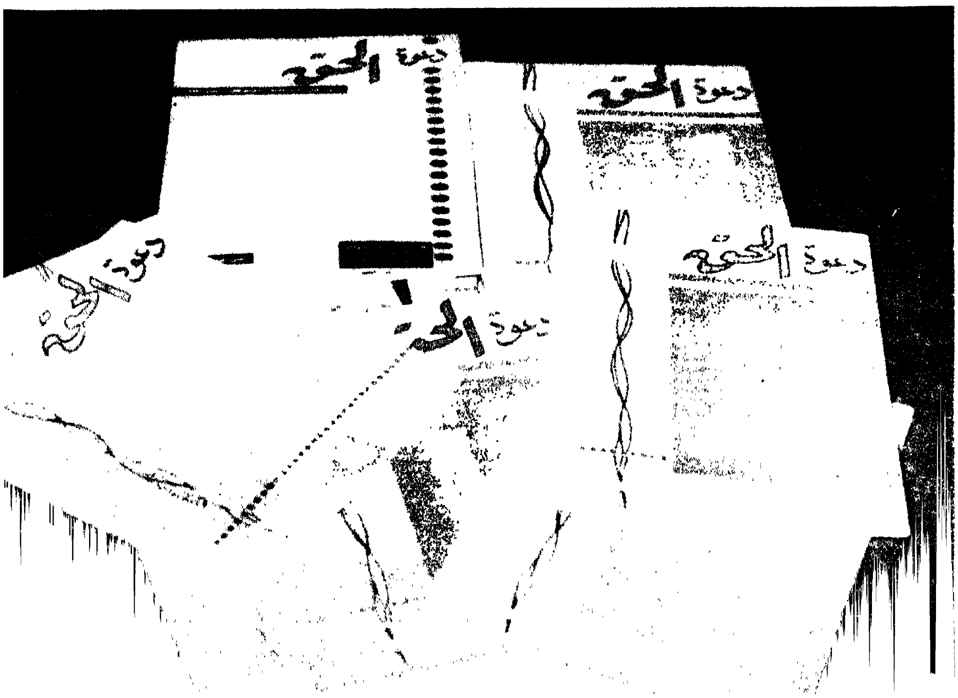
وما نشرناه ـ في غير هذا المكـان ـ من اشـادة وتنويه « بدعوة الحق » من مختلف العلماء والادباء ، ومن ستى الهيئات الرسمية وغير الرسمية في الداخـل والخارج لمما يشجعنا على مواصلة العمل ، ومضاعفة القـــوة

ومليحــة شهـدت لهـا ضراتهـــا
و « الحق » ما شهدت به « الاكفاء »

في حلتهـــا

القديمـــة





... والجديـدة

حبها الشديد للدين والعلم وما فيها من المقالات الرائعة والبحوث العلمية باقلام فحول العلماء ونوابغ الكتاب من العرب وغير العرب ، مما جعلني اتطلع الى اعدادها الاخـــرى)

* * *

ايــــران :

ومن ايران بعث لنا السيد مير عبد الواحـد بنـي ناظمي برسالة يقول فيها :

ان مجلة « دعـوة الحـق » التي تصدر من قبـل وزارة الاوقاف بالمملكة المغربية الشقيقة ، مجلة كاملة علمية اسلامية ، يفتخر بها كل عربي من المحيـط الـى الخليج ، كما يفتخر بها كل مسلم من المغرب الاقصـى غربي افريقيا الى اقصى ارجاء بلاد الصين شرقي اسيا

* * *

العــــراق :

ونشرت جريدة « الزمان » العراقية على الصفحة الاولى من عددها تعليقا على مجلة « دعوة الحق » جاء فيــــه :

« ومن نافله القول ان مجلة « دعوة الحق » التي تصدرها وزارة الاوقاف والشوؤن الاسلامية المغربية ويسهم في تحريرها اعلام الفكر ، جاءت مصداقا لروح المناضلة الطويلة من اجل الفكرة العربية وما يتصل بها من المواريث والامجـاد ، سيظـل الشاهد العـدل على سرمدية الامة العربية وخلودها

ولا تقتصر مجلة « دعوة الحق » على ان تكـون مرءاة صافيـة لوجه المغـرب العربـي بل عمـدت مشكورة الى ان تكون من افضـل الوسائل للتعريـف بتراث العرب في الاندلس ، ذلك التراث الذي لم ينل من اهتمام الناقدين والكتاب العرب حتى الان الا الحظ المحدود هذا مضافا الى انها جاءت ترجمانا صادقـا للاتجاهات الادبية في افريقيا العربية برمتها

ان جهد وزارة الاوقاف المغربية في نشـر هـذه المجلة الراقية يجب ان يكون محل اكبار ابناء العرب في جميع اقطارهم ، فنبارك لها هذا المسعى ونرجو ان تكون في عملها قدوة لغيرها من ادارات الاوقاف في هذه الارض العربية او تلك

ومن العراق ايضا كتب الاستاذ محمد رضا شرف الدين الاديب الشاعر العراقي المشهور ما يلي :

« دعوة الحق » مجلة ذات مظهر وذات مخبر ، وكلاهما في نسق واحد ، انها النغم في اللحن ، واللحن في الوتر ، انها الكلمة العذبة في معناها المؤثر

طبع واخراج ، تبويب وتلوين وتصويـر ، كـل ذلك ينطوي على ما يدور في غير هذا المحور مما ينسجم وايـــاه

لقي هذا الحرف قالبا لمعنى انزل فيه من غيـر فصول ، فالنظرة الثانية اليه كالنظرة الاولى لا تختلف بهجة ، ثم لا تلبث ان تشرك الفكر ببهجتها فيصدران معا في رواء مما نظرت العين ومما خبر الفكر

* * *

الكـويــت .

ـ ومن السيد عثمان عبد الحميد ، امين مكتبـة مدرسة الشويخ القانونية بالكويت :

(لقد كان من حسن حظنا ان اطلعنا على عدة اعداد من مجلتكم الغراء « دعـوة الحـق » فوجدناها تتناول من مجلتكم الغراء « دعوة الحق » فوجدناها على مستوى رفيع ، ووجدناها تتناول امورا هامة يجب ان يطلع عليها كل راغب في الثقافة)

* * *

روسيـــا :

من الاتحاد السوفياتي ـ اديسا :

وصلتنا رسالة من الاستـاذ محمد عيـش باوديسـا بالاتحاد السوفياتي ، يثني فيها على مجلة « دعوة الحق» التي اخذت باعجاب كثير من العلماء الذين اعربوا على انها منقطعة النظير في العالم العربي والاسلامي

* * *

يـوغسلافيـا :

ـ من رسالة للسيـد الحـاج سليمان كمـورا ، رئيس علماء الطائفة الدينية الاسلامية بيوغوسلافيا :

(انا وجدنا في مجلتكم الغراء « دعوة الحق» قيمة فريدة ونعدها من اجود المجلات التي تصدر اليوم في العالم الاسلامي ، ناخذ حرية ان نوجه الى سعادتكم رجاءنا لعلكم تامرون المسوولين في ادارة المجلة بايفادنا

تنويه وإشادة وتقدير

منذ ان صدر اول عدد من مجلة « دعـوة الحـق » وادارتها تتلقى رسائل عديدة ، تعبق بالثناء والعطر ، من شتى الطبقات المثقفـة بمختلـف الاقطـار العربيـة والاسلامية ، وحتى الاجنبية سـواء من افـراد لامعيـن مبرزين في دنيا الفكر والادب او من هيئات رسمية وغير رسمية وكل هذه الرسائل تنويه واشاذة،وتشجيع لنا على السير قدما نحو الرسالة المثلـى التـي تؤديها مجلـة « دعوة الحق » التي است على التقوى والخير المحض من اول يوم .

ويسرنا ان ننشر فيما يلي فقرات من رسائل لا تحصى تلقيناها من اصحابها خلال هذه الفترة من حياة المجلة ، وعمرها المديد ان شاء الله .

مـــن الفلبيـــن :

تسلمنا رسالة رقيقة من فضيلة الاستاذ محمد انور بشير مدير دار الكتب لمعهد مندانو العربـي بالفلبيـن يشكر مجلتنا على عنايتها بالدراسات الاسلاميـة التـي تقدمها باقلام علماء مختصين درسو حقيقة الدين الاسلامي، ثم قدموه في اسلوب واضـح مشـوق ، كما يثنـي على اهتمامنا باخواننا مسلمي الفلبين ، وبالاخص على طلبة العلم بمعهد مندانو العربي وفروعه التابعة لجمعية اقامة الاسلام كما تقول الرسالة بان الطلبة يستفيدون مما تنشره « المجلة » التي توضع في المكتبة العامة للمعهـد مدة شهر ، ثم ترسل الى المكتبات الفرعية ليعم النفع

ومن كيرالا الهنـــد :

كتب الينا الشيخ عمر فاروق مولوي رسالة يخبرنا فيها بان بكيرالا مدرسة عربية عالية ، تضـم كثيـرا من الطلبة والاساتيذ وقد اطلعـوا على مجلتنـا في بعـض المكتبات ووجدوها حافلة بالمقالات الممتعـة والبحـوث المستفيضة المتنوعة ، راجين منا ارسال بعض الاعداد حتى يتسنى لهذا البلد ان يطلع على احوال اخوانه المسلمين بالمغرب العربي

* * *

الهنـــد .. ايضـا ..

توصلنا من النادي الادبي بواسطة المعتمد الاستـاذ محمد ساجد برسالة تشير الى ان طلبة دار العلوم قـد اسسوا ناديا لهم منذ ثلاث سنوات تحت اشراف الاستاذ وحيد الزمان الكيرانوي ، ويضم هذا النادي 180 عضوا يجتمعون كل اسبوع لالقاء الخطب والمقالات وقالت الرسالـــة :

« لقد تمتعنا برؤية مجلـة « دعـوة الحـق » الغراء التي وجدناها عند بعض اصدقائنا طلبة افريقية فرغب جميع اعضاء النادي في الاستفادة بالمجلة ، نرجو من سيادتكم ان تتفضلوا بارسالها الى النادي »

باكستـــان :

* * *

ـ ومن السيد عبد الغفار حسن ، عميد جامعـة التعليمات الاسلامية بباكستان :

(رأيت عند احد الاخوان مجلتكم الغراء « دعوة الحق » التي تصدرها الدولة الفتية المراكشية فاعجبني

مجلتكم وارسالها الينا بالاستمرار ، وذلك لانها مع مقالاتها الفريدة ، واخبارها النادرة ، تفيدنا كثيرا في اعمالنا اليومية في هذه البقعة الاسلامية)

* * *

ومن سوريا :

الاستاذ ياسين رفاعية سكرتير تحرير مجلة « المعرفة » بالجمهورية العربية السورية كتب الينا رسالة رفيفة يقول فيها :

بعد غيب طويل اعود لاتصل بكم معتزا جدا بهده العودة ، واسمح لي ان اسد على يدك لهذا التطور القيم لمجلة « دعوة الحق » والتي ارجو لها دوام الازدهار

* * *

من سوريا ايضا .

كتب الينا الاستاذ السعر محمد احمد حيدر رسالة رقيمه تتضمن عواطف ومساعر نحو مجلتنا ، ويقول :

« اني لفخور جدا بهذه المجلة لكونها ذات نزعة اسلامية صرفه معتدلة ، وقد حققت هذه المجلة للعالم العربي في معربه ما يصبو اليه من نزعات دينية وادبية وعلميه وفكريه لذلك اطالع اكثر مقالاتها بشغف ، واسعر في اكبر الاحايين ، وكأني في ربوع المغرب العربي الحبيب اتنسم عبيره ، واتطلع الى جميع ما فيه كانما جمع في لوحه صغيرة واحدة ، وهذه اللوحة معلقة في دهني ، ويعلب عليها صفة التصور »

* * *

ومن دمشق :

وصلتنا رسالة رقيقة من فضيلة الدكتور زكي المحاسني مدير التراث القديم ، ودائرة المعارف في وزارة الثقافة والارشاد القومي بالقطر السوري يثني فيها على مجلتنا ، ومن جملة ما جاء في رسالته :

« طربت ولعب نظري على الالوان الجميلة الزاهية في عدد نوفمبر 64 من « دعوة الحق » في حلتها القشيبة الجديدة ، ولست اشك في ان هذا اثر من ءاثار التوثب فيها »

ونقتطف من هذه الرسالة العبارة التالية :

« اني لمست العمل الدائب وراء كل صفحة من صفحاتها اللوامع الجميلة واخراجها الانيق الرائع ، وموادها الغنية ، وقد صرت ارتقبها لافرح بوصولها ، فاخرجها بيدي من صندوق البريد »

* * *

لبنان :

– ومن الدكتور عبد الله الطباع رئيس مصلحة دار الكتب الوطنية بالجمهورية اللبنانية :

(اطلعنا على اعداد من مجلتكم الراقية « دعوة الحق » فوجدناها على كثير من الجهد في المادة والاخراج ، وتمتاز بما تحويه من الموضوعات ما يجعل لها طابعا فكريا متميزا في حقل الصحافة العربية ..)

* * *

وتحدث الاستاذ الشاعر بولس سلامة من لبنان عن رايه في النهضة الادبية بالمغرب وعن رايه ايضا في مجلة (دعوة الحق) :

فاجاب الاستاذ منكورا :

« النهضة الادبية المغربية تبشر بمستقبل باهر ، اما مجلتكم الزاهرة ، فقد اطلعت منها على عدد واحد ، فاذا صح ان الكتاب يقرأ من عنوانه فمجلتكم وكتابها في مستوى لا يتخلف ولا ينحدر عن المستوى الراقي في الاقطار العربية الصاعدة ، واني اتمنى لادباء المغرب الشقيق افضل ما يتمناه اديب محب لاخوته على بعد الديار

* * *

من الجمهورية العربية المتحدة ـ القاهرة :

حمل الينا البريد رسالة رقيقة من الاستاذ احمد انور الجندي ، يهنيء فيها مجلتنا واسرتها بمناسبة دخولها السنة الثامنة من عمرها المبارك

وفضيلته اذ يبارك خطوات المجلة العاملة في دنيا الاسلام والبحث والدرس (يرى انها ـ وهذا من لطفه حفظه الله ـ اعظم مجلات المغرب العربي ، بل انه لا يوجد في الشرق مجلة في مستواها من حيث جمعها للفنون المختلفة ، وللكتاب القادرين ، وتنسيق ذلك كله في باقة رائعة) احمد الجندي

* * *

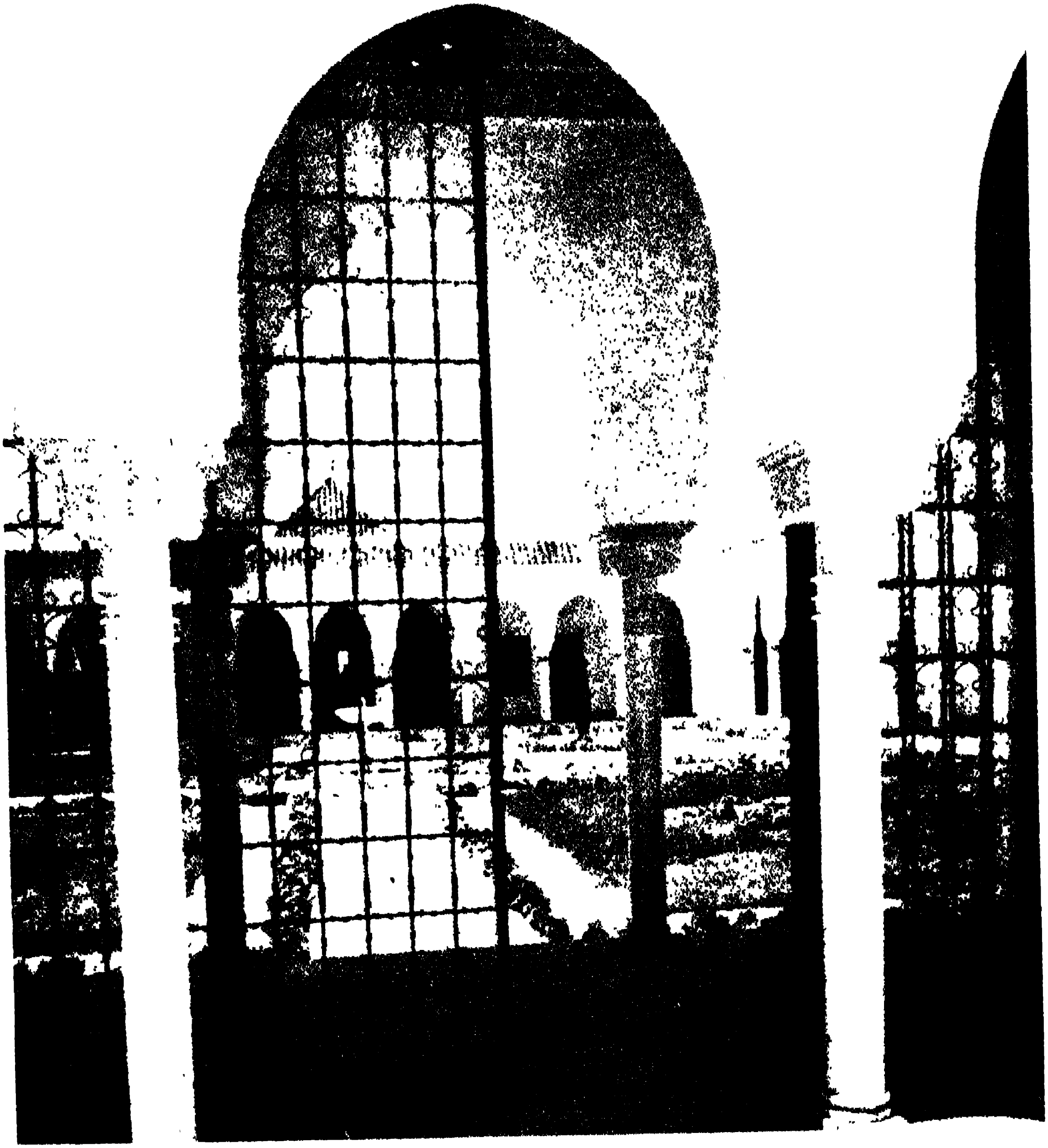
ومن القاهرة ـ ايضا ـ من رابطة مركز ابو تشت جاء في رسالتها :

اهدت الينا سفارة المملكة المغربية بالقاهرة ، عددا من مجلة « دعوة الحق » الغراء ، فسررنا بهذا العدد



اعداد من المجلة
لسنتيها الثامنة والتاسعة

مدخل مدخــل وزارة عموم الاوقاف والشــؤون الاسلاميــة



سرورا لا يقدر والحق يقال ، انها مجلة رائعة جديرة بالقراءة ، تحمل مشعل الحق ، وعبير التقديس ، وتنطق بالقيم الرفيعة ، والافكار النيرة ، والموضوعات الحية الدسمة ، وفوق هذا فهي قوية في الاخراج ، وفي المادة ، ذات ورق جذاب وطباعة اخاذة شيقة رائعة .

* * *

ومن القاهرة - ايضا - بعث لنا السيد احمد عبد الرحيم السايح برسالة نقتطف منها ما يلي :

مجلة « دعوة الحق » مجلة جديرة بالتقدير والاحترام والانتشار ، فهي رائعة في اخراجها ، وجمال تنسيقها ، وحسن طباعتها ، وقوة موضوعاتها لذا فاني في حاجة الى مجلة « دعوة الحق » لانهل منها وارتشف من رحيقها ، واغترف من بحرها ، فزداد معرفة وارتـــواء

* * *

- ومن الدكتور محمود علي مكي :

(يسرني ان تقدم اليكم بالتهنئة الخالصة الحارة على التقدم العظيم الذي تحرزه مجلتكم في كل عدد يصدر منها ، حتى انها تعتبر بحق من اعظم المجلات الفكرية في العالم العربي كله .)

* * *

من فرنسا ... اكس

توصلنا من مدير مركز الابحاث عن بلدان البحر الابيض المتوسط الافريقية برسالة رقيقة تتضمن مشاعر طيبة نحو مجلة « دعوة الحق » مخبرا فيها بان مركز الابحاث عن بلدان البحر الابيض المتوسط الافريقية قد اسس قسما عربيا يهتم بكل ما يخص هاته البلدان (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب) كما يعتني بكل ما ينشر ويصدر في هاته البلدان من جرائد وكتب ومجلات باللغة العربية

وادارة مجلة « دعوة الحق » ستزود القسم العربي بالمركز المذكور بما لديها من اعداد المجلة ، التي صدرت في السنوات الماضية الى الان

* * *

ومن كينيا .

كتب الينا الشيخ علوش قاسم مدير مدارس مركز الدعوة الاسلامية بكينيا رسالة تعبق بالطيبة والفضل مثنيا على الجهود التي تبذلها المجلة في تنوير الرأي العام الاسلامي قال : « لقد اطلعنا على اعداد من مجلة « دعوة الحق » التي جذبت انظارنا اليها ، واخذت بقلوبنا بما فيها من مقالات ممتعة وبحوث مستفيضة متنوعة ، وتحليلات لمشكلات اسلامية

انها مجلة للعالم الاسلامي ، ومجلة للمتعلم ، ومجلة لمن يريد ان يستذكر لما فاته من العلم ..

* * *

من ابادان - نيجريا :

كتب الينا الاستذ الحاج كامل حسين الاووي رئيس المركز الاسلامي ، ومدير مركز الدراسات العربية الاسلامية رسالة مؤرخة بهذا التاريخ 31-12-64 جاء فيها :

الى المسؤول عن مجلة « دعوة الحق » المكرم بعد التحية والتقدير والاحترام

يسرني جدا ان انهي الى حضرتكم ابان اعداد مجلتكم القيمة التي تتشرفون باصدارها لخدمة الاسلام الحنيف ، وبث دعوته في ربوع العالم العربي والاسلامي والتي تزودوننا بعدد من نسخها النهرية ، قد لقيت في مكتبه مركزنا الدراسي كل الاقبال لدى مثقفي اللغه العربية في هذه البلاد ، وما زلتم تواصلون هذه الخدمه تجاه الاسلام واحياء تراثه المجيد الى الغاية المثمرة والى الاهداف المطلوبه ، ولا سيما لما رأيت بام عيني نسخة منها في (مكتب رابطة العالم الاسلامي) حينما تشرفت بزيارتها في مكة المكرمة ، وذلك في نطاق زيارتي للبلاد العربية على رأس وفد نيجريا لتعزيز علاقات مسلمي نيجريا بالعرب

* * *

وفــي المغــرب :

يقول الاستاذ عبد الكريم غلاب :

ان الابحاث الادبية تمتاز عادة في (دعوة الحق) بقوتها ومتانتها وتوفر الباحثين فيها على كل عناصر البحث واسلوبه ، فهي تمثل في الغالب ما يمتاز به الباحثون المغاربة في شؤون اللغة والتاريخ والادب من صبر ومجالدة على المراجعة والبحث ولو نقصتهم احيانا جدة الاستنتاج . وتقديم شيء جديد الى العلم

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

دعوة الحق

العدد السادس والسابع – السنة التاسعة – ذو الحجة – محرم 1386 – ابريل – ماي 1966

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

لقاء بطلين في ظلال الأخوة الاسلامية

.. قام جلالة الامبراطور شاهنشاه رضا بهلوي ملك ايران بزيـــارة رسمية لبلادنا بدعوة من أخيه جلالة الملك المعظم الحسن الثاني حفظه الله .

ولقد استقبل المغرب ، ملكا ، وحكومة ، وشعبا ، جلالة شاه ايران استقبالا رائعا ، امتاز بحرارة اللقاء ، وضج بالاهازيج والاغاني ، ونم عن وحدة الشعور ، ومدى التقدير الذي يكنه الشعب المغربي المسلم ، لشقيقه الشعب الايراني المسلم ، وبعث الآصرة الاسلامية المتينة التي تبشر باتحاد الوجهة ، واجتماع الكلمة ، وتعيين الغاية .

كما وقف جلالة الضيف الكريم على أحوال بلادنا ، ولمس مـــدى الخطوات التي قطعها المغرب الناهض فى ميادين النماء والتطور ، خلال عشر سنوات ، قضى اثناءها على مخلفات العهود السود، وتركات الاجيال المريضة بفضل القيادة الرشيدة لجلالة مولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله .

وان هذه الزيارة الميمونة التي قام بها بطل من أبطال الاسلام الى بلادنا فى الظروف الحالية لتحمل أكثر من معنى ..

وان الامة الاسلامية ، فى مشارق الارض ومغاربها ليثلج فؤادهـــا ويفعم صدرها ، أن ترى اقطابها الاوفياء ، وقادتها المخلصين يجتمعـــون للذياذ عن كيانها ، وتحقيق مطامحها ، واشباع اشواقها ، وابراز الاخـــوة والتعارف والتعاطف فى أسمى معانيها ، لتركيز المستقبل الواعد ، علـــى أسس من الماضي المشترك ، الحافل بالامجاد .

فما اقدر الله أن يدني على شحط   من داره الحزن ، ممن داره صول

وان الاسلام الحنيف ـــ يقول صاحب الجلالة ـــ الذي انبثق من جزيرة العرب ، وأينع غرسه فى مشارق الارض ومغاربها ، وترعرعت الحضارة فى ظله الوارف ، دين يعتبر المومنين اخوانا ، ويدعو الى التعارف والتعاطف بين شعوب الارض كافة ، ومن آكد الواجبات الملقاة على عاتق أولي الامر من المسلمين ، وان بعدت بهم الديار ، وشط المزار ، ان يوجهوا كبيـــر اهتمامهم الى شؤون اخوانهم فى العقيدة ، ويعملون على اصلاح احوالهم ، ورعاية مصالحهم .

وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم .

دعوة الحق

العدد السادس والسابع
السنة التاسعة
ذوالحجة - محرم 1386
ابريل - مـاي 1966
ثمن العدد درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :

مجلة ((**دعوة الحق**)) ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ــ المغرب . الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حسـاب :

مجله ((**دعوة الحق**)) رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :

مجلة ((**دعوة الحق**)) ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

((**دعوة الحق**)) ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تليفـون 308.10 ــ 327.03 ــ الرباط



الحضارة في ظلاله الوارف دون تمييز المؤمنين اخوانا وتدعو الى التعارف والتعاطف بين شعوب الارض كافة ومن آكد الواجبات الملقاة على عاتق أولي الامر من المسلمين وان بعدت بهم الديار وشق بهم المزار ان يوجهوا كبير اهتمامهم الى شؤون اخوانهم في العقيدة ويتعاونوا على اصلاح احوالهم ورعاية مصالحهم .

شعب متمسك بالعرش

صاحب الجلالة لقد استرجعت مملكتنا استقلالها منذ عشر سنوات بفضل جهاد والدنا رضوان الله عليه وكفاح شعبنا الوفي الذي استرخص كل غال ونفيس تمسكا بالعرش العلوي المتين واخذت على نفسها منذ ذلك الحين عهدا قوامه الاحترام المتبادل بين سائر الدول وان اختلفت انظمتها السياسية وتباينت مذاهبها الاجتماعية والالتزام بعدم التدخل في شؤونها الداخلية لغيرها من الدول المستقلة ايمانا منها بقداسة هذين المبدأين وبرا بالمواثيق الدولية وحفاظا كذلك على سلامة العلاقات بين الشعوب واذا كانت العلاقات بين الشعوب مبنية على الاحترام المتبادل واجتناب التدخل في الشؤون الداخلية وسادت هذه العلاقات روح التفاهم وعمتها أسباب السلامة امكن كل دولة من الدول أن تنصرف آمنة مطمئنة الى تحقيق اهدافها وبلوغ مقاصدها .

ان ديننا الحنيف يأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الاثم والعدوان ويحض على التعاون في سبيل البر والتقوى والتآلف والتعاطف في السر والنجوى .

سير على مبادىء قويمة

ان من توفيق الله لجلالتكم ولنا ان سرنا على هذه المبادىء القويمة واعتمدناها دعامة ترتكز عليها سياستنا وسلوكنا وان هذه الخطة التي التزمناها لهي درعنا الواقية لعدتنا العتيدة الباقية في عالم تتضارب فيه الاهواء وتتعارض فيه المصالح ولا يلتجأ فيه الى التبصر والاناة والحكمة والعقل الا في قليل من الاشياء .

صاحب الجلالة يسعدنا ونحن نجدد الترحيب بجلالتكم أن نعبر عن ابتهاج شعبنا بمقدمكم السعيد ومقامكم الحميد وان نعرب عما نتمناه لجلالتكم من عظيم التوفيق وكامل النجاح في سبيل النهوض بالشعب الايراني الشقيق والسير به في أقوم طريق بقيادتكم وتحت رعايتكم لتحقيق ما يصبو اليه من رفاهية وسعادة .

ايها السادة يطيب لنا أن ندعوكم لتقفوا معنا تقديرا واكبارا لجلالة الامبراطور شاهنشاه ايران راجين له العمر المديد والصحة الدائمة وللامة الايرانية توالي النعم وكامل الرخاء في عهد جلالته المبارك الميمون .

والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب جلالة الملك الحسن الثاني

تفضل صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني فأقام مساء يوم السبت 11 يونيه عام 1966 مأدبة عشاء في قصر الرياض ، اكراما لضيفه العظيم جلالة شـاه ايران

وقد تبادل العاهلان الكبيران خطابين بهذه المناسبة . وفيما يلي نص الخطابين الملكيين ..

ترحيب .. واستبشار

ان المغرب ليستقبل بكامل المسرة والابتهاج شخص جلالتكم واننا وحكومتنا وشعبنا لنحيي شخص جلالتكم الكريم رمز العظمة والمجد للمملكة الفارسية ايـــران الاثيرة المجيدة عبر القرون والباعث لنهضتها العتيـــة الشاملة الصديق الذي استحكمت بيننا وبينه صلات الود والصفاء وتوثقت بين بلاده وبلادنا وبين شعبه وشعبنا عرى التعاون الوثيق فباسمنا واسم شعبنا نرحـــب بجلالتكم أصدق الترحيب وأطيبه ونعرب لكم عــــن استبشارنا لحلولكم حلول يمن في هذه الديار وعن آمالنا الوطيدة أن يكون هذا اللقاء السعيد سببا جديدا لتعزيز روابطنا المتينة وتقوية التعاون بين بلادينا لخدمة شعبينا واسعادهما السير بهما حثيثا في مضمار التقدم والرقي ..

روابط تاريخية ودينية

صاحب الجلالة ان مملكتنا التـــي تربطهـــا بامبراطوريتكم الصديقة الروابط الدينية والتاريخيـــة المعروفة لترقب عن كثب باهتمام بالغ وتقدير فائـــق الخطوة الواسعة التي تخطوها بلادكم بقيادة جلالتكـــم الرشيدة والجهود الموفقة التي تبذلها سعيا منهـــا وراء تحقيق اعز الاهداف واجمل المقاصد لتيسير أسبـــاب العيشة الراضية والرخاء للشعب الايراني الشقيق في ظل الامن والاستقرار والعدالة والحق والمشروعية .

استخلاص العبر من استعراض تجاربنا

ان زيارة جلالتكم لمملكتنا ستتيح لكم الفرصـــة للوقوف على بعض ما انجزناه من أعمال وحققناه مـــن آمال وستكون مناسبة لنا لاستعراض تجاربنا ومقارنة نتائج أعمالنا في المغرب وفي ايران ولا يخامرنا شك في اننا سنستخلص العبر المفيدة النافعة لشعبينا من هذا الاستعراض وهذه المقارنة .

آفاق المستقبـــل

وعلاوة على هذا فان اتصالنا المباشر وتبـــادل الوفود وعملنا الدؤوب لاحكام صلات التعاون المثمر بين قطرينا في مختلف المجالات وكثير من الميادين كل هـــذا سيكشف لنا آفاق المستقبل ويزيح عن سبيلنا كل عارض يحول نحو الانطلاق بعزم لا يلين وجهد لا ينقطع نحـــو اسمى الغايات واحسن المقاصد والاهداف .

نشر ثقافتنا الاسلامية الاصيلة

ولا ريب عندنا يا صاحب الجلالة أن الاتفاقيـــات التي سنبرمها خلال زيارتكم لبلدنا والتي تنتظم مجالات شتى ستكون من أقوى العوامل على اتساع نطـــاق تعاوننا هذا التعاون الذي سيعود باحسن النتائج على شعبينا ويصبح بعون الله من أرسخ الاسس القائـــم عليها ميدان الصداقة المغربية الايرانية التي لا مراء في عظيم نفعها وعزيز فائدتها لشعوبنا قاطبة ويبلغ تأثيرها في بعض حضارتنا المشتركة ونشر ثقافتنا الاسلاميـــة الاصيلة وبذلك يتسنى لنا من جديد أن نكتب صفحات غراء يزدهر بها تاريخنا وتفخر بنا الانسانية جمعاء .

دين يدعو الى التعاطف والتعارف

ان الاسلام الحنيف الذي انبثق من جزيرة العرب وأينع غرسه في مشارق الارض ومغاربها وترعـــرت



أمل ... ورضى ... وتطلع الى المستقبل الباسم

خطاب جلالة الامبراطور شاهنشاه إيران

شعور بالغبطة والرضى

أشكر جلالتكم عظيم الشكر على العبارات الودية التي تفضلت جلالتكم بالاعراب عنها نحو بلادي وشخصي

ولا يمكنني أن أعبر لجلالتكم عن مدى الغبطة والارتياح والسعادة التي اشعر بها لزيارة بلدكم الجميل الذي تربطنا به روابط شتى والذي أزوره للمرة الثانية .

اسرة اسلامية كبيرة

صاحب الجلالة

انني أشعر بزيارتي للمغرب هذه انني اقوم بزيارة لعائلتي واسرتي تلك الاسرة الاسلامية الكبيرة التي ننتمي اليها جميعا .

وقد كان لشعبينا اتصال وثيق وربطت بينهما الاخوة الاسلامية على مر القرون رغم بعد المسافة الجغرافية التي تفصل بينهما .

وقد استقبل بلدنا خلال القرون الماضية طلبة عديدين كانوا يتحملون عبء السفر وقطع هذه المسافات الطويلة طلبا للعلم فى المغرب أو فى ايران وعلاوة على الطلبة فقد اوفدتم الى بلادنا فى القرن الثامن للهجرة أشهر رحالة فى الاسلام الا وهو الرحالة ابن بطوطة الذي يرجع له الفضل فى اعداد اجمل الصفحات التي كتبت حتى الان عن بلادنا .

أقدم جامعة اسلامية

ومن حقكم يا صاحب الجلاله أن تفتخروا بثقافة بلادكم التى أسست فيها أقدم جامعة اسلامية لان اشعاعها الفكرى ما يزال ينير الافاق .

علاقات تقليدية عريقة

ان الامر لم يعد يتعلق بروابط ثقافية فحسب ولكن ايضا بعلاقات سياسية واقتصادية واجتماعية لان دولتينا اختارتا سبيلا مشتركا لنموهما وتطورهما وضمان المستقبل الاسعد . اختارتا الطريق التى تضمن التقدم الاجتماعى والاقتصادى والصناعي ورفع المستوى المادى والمعنوى من دون أن يؤدي ذلك الى التضحية والمجازفة بالحريات الاساسية المتمثلة فى حقوق الانسان التى نعتبر أساسا للمبادىء الاسلامية السامية .

محو عار الامية

انني اهنئكم يا صاحب الجلاله على الدور البارز الذى لعبته بلادكم عن طريق الوفد المغربى فى المؤتمر العام الذي عقدته منظمة اليونسكو بباريس سنة 1964 حيث كان الوفد المغربى خفاقا الى تقديم توصية حول عقد المؤتمر الدولي لمحاربة الامية وذلك بطهران فى شهر شتمبر سنة 1965 وقد صادق هذا المؤتمر على قرار يسجل فى تاريخ الجهود الانسانية فى هذا المضمار حيث دعا جميع دول العالم الى تخصيص جزء مهما كان

نص البلاغ المشترك الصادر عقب المحادثات الرسمية التي دارت بين جلالة الملك المعظم والامبراطور شاه ايران في زيارته الرسمية للمغرب .

قام حضرة صاحب الجلالة محمد رضا بهلوي اريامهر شاهنشاه ايران المعظم بزيارة رسمية للمملكة المغربية من يوم السبت 21 صفر الى يوم الاربعاء 3 ربيع الاول عام 1386 الموافق للفترة الواقعة ما بين 11 و22 يونيه 1966 ، وذلك تلبية للدعوة الرسمية التي تلقاها من صاحب الجلالة اخيه الحسن الثاني ملك المغرب .

وخلال هذه الزيارة الميمونة جرت بين جلالة الامبراطور شاهنشاه ايران وجلالة الملك الحسن الثاني محادثات دارت في جو من المودة والصراحة والاخوة وتناولت العلاقات الودية القائمة بين بلديهما بصفة خاصة . كما تناولت الوضعية في الشرق الاوسط والقضايا الدولية بصفة عامة .

ففي مجال العلاقات الثنائية بين البلدين الشقيقين ابدى العاهلان الكريمان ارتياحهما لجو المودة والاخوة الذي يسود هذه العلاقات ووطدا عزمهما على مواصلة دعمها وتقويتها بما يعود بالخير والفائدة على الشعبين المسلمين الشقيقين .

واثناء هذه الزيارة تم التوقيع على الاتفاقيات التالية بين البلدين وهي :

معاهدة الصداقة

الاتفاق التجاري

الاتفاق الثقافي

اتفاق التعاون العلمي والتقني

اتفاق بالغاء تأشيرة الدخول بين القطرين.

وقد وقع هذه الاتفاقيات عن الجانب الايراني معالي السيد عباس ارام وزير شؤون خارجية ايران ، وعن الجانب المغربي معالي السيد محمد الشرقاوي وزير شؤون خارجية المملكة المغربية .

وبالاضافة الى هذا تم بين الجانبين الاتفاق على اقامة تعاون متين بينهما في الميدان الصناعي وبالاخص في مجال الصناعة البترولية الكيميائية وصناعة الاسمدة ، كما اتفقا كذلك على اقامة تعاون بينهما في الميدان الفلاحي ، وعلى تبادل الخبرات الفنية بين بلديهما .

ويسر العاهلين الكريمين ان يسجلا ان ابرام هذه الاتفاقيات واقامة هذا التعاون بين بلديهما يعدان خطوة ايجابية مهمة من شأنها ان تزيد في تمتين روابط الاخوة بين القطرين الشقيقين وذلك في دائرة احترام الالتزامات الخاصة لكل منهما .

اما في مجال القضايا الدولية الهامة فقد اسفرت محادثات العاهلين الكريمين عن الاتفاق التام في وجهتي نظرهما فيما يتعلق بالاوضاع الدولية بصفة عامة وفيما يهم الاقطار النامية بصفة خاصة ، وقد اكدا في هذا الصدد تمسكهما التام بمبادىء ميثاق الامم المتحدة واهدافه وعزمهما على مواصلة تأييدهما الفعال لمنظمة الامم المتحدة بوصفها اداة لحفظ السلم في العالم واشاعة التفاهم والتعاون بين شعوبه .

وفي هذا المجال ايضا فانهما يعلنان تشبثهما بمبدا حق تقرير المصير لسائر الشعوب كما يؤكدان استنكارهما لسياسة الميز العنصري ويهيبان بالضمير العالمي ان يكثف جهوده لمحو هذه السياسة المقيتة

بسيطا من مصاريفها العسكرية للمساهمة فى محو عار الامية وقد كانت بلادنا أول من أعطى المثل فى الاستجابة الى هذه الرغبة .

وتحدث جلالة الشاه عن الزيارة التى قام بها أخيرا للمغرب الوفد الاقتصادي الايراني فقال ان هذا الوفد حمل معه اطيب الذكريات فقد اطلعني وحكومتى على المنجزات العظيمة التي حققتها بلادكم فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية وغيرها وهذا ما يبعث فعلا على الارتياح لانكم تعلمون يا صاحب الجلالة كما نعلم نحن ان الازدهار والتقدم الاقتصادى فى عالمنا الحديث يكونان الاسس الحقيقية لاستقلال السيادة لكل دولة وقد اطلعتم وفدنا الاقتصادي على تصميماتكم وانجازاتكم ومشاريعكم الاقتصادية وانتم كذلك على علم بمشاريعنا ومنجزاتنا ومخططاتنا واعتقد ان ذلك من شأنه ان يضمن تعاونا مثمرا بين بلدينا واني مقتنع يا صاحب الجلالة ان بلدينا سيتعاونان أكثر فأكثر فى المستقبل سواء فى الميادين الثقافية والاقتصادية والاجتماعية او غيرها وانهما سيؤديان مهمتهما النبيلة فى خدمة السلم والتفاهم بين البشر وفى تحقيق الازدهار والسعاده فى العائلة الاسلامية الكبرى .

الحسن الثاني .. وطنية صادقة

وان المزايا والخصال الحميدة السامية التي كان يتحلى بها جلالة والدكم العظيم محمد الخامس رضوان الله عليه والاخلاق العالية الفاضلة التي تتحلى بها جلالتكم الان من حيث الرزانة والتعقل والادراك الواسع والراي الثاقب ووطنيتكم الصادقة والجهود التي تبذلها جلالتكم باستمرار فى ميدان التقدم لهي مصدر اماني وافتخار واعتزاز جميع الدول الاسلامية .

طريق قويم يرضي الله

وانى اعبر لكم يا مولاي عن تعلقنا وتعلق شعبنا بشخص جلالتكم الكريم وبلادكم وشعبكم العظيم ونؤكد لجلالتكم بأننا متيقنون من أن الطريق الذي رسمتموه لهو الطريق القويم الذي يرضي الله والجميع كما اننا متأكدون من أن جميع مجهوداتكم ستكلل بالنجاح التام ان شاء الله .

ثم توجه جلالة شاه ايران بعد ذلك بالكلام الى الحاضرين وقال انني ادعوكم أيها السادة أن تقفوا معي احتراما واجلالا وتقديرا لجلالة الملك المعظم الحسن الثاني متمنين لجلالته كامل الصحة والسعادة والهناء وللشعب المغربي المسلم الشقيق التقدم والازدهار .

الاقتصادي والعدالة الاجتماعية حتى تحتل مكانتها اللائقة بها بين قوات العالم وتقوم برسالتها الخالدة في حفظ سلام العالم واستقراره وتقوية الاخاء بين البشرية وتعزيز القيم الروحية التي هي محل تقدير جميع الاديان والمذاهب .

واستعرض رئيسا الدولتين بصفة خاصة القضية الفلسطينية لا بوصفها قضية عربية فحسب ولكن بوصفها ايضا قضبة تهم جميع الدول الاسلامية ، وفي هذا الصدد فانهما يعربان عن تأييدهما للشعب الفلسطيني العربي في استرجاع حقوقه المشروعة .

هذا وقد زار جلالة شاهنشاه ايران خلال مقامه بالمملكة المغربية مدن الرباط والمحمدية والدار البيضاء ومراكش وآسفي وبني ملال وايفران ، واستقبل جلالته من طرف السلطات الرسمية وجميع طبقات الشعب المغربي بمظاهر الحفاوة والترحيب التي برهنت على مشاعر الاخوة الصادقة المتينة التي تربط العاهلين الكريمين وتجمع الشعبين المسلمين الشقيقين .

وخلال تنقلات جلالة شاهنشاه ايران عبر هذه المدن وقف على كثير من مظاهر الحضارة المغربية ومعالمها وخاصة ما يتصل منها بتراث المغرب التاريخي المجيد الذى كان محل تقدير واعجاب من لدن جلالته . كما تمكن من لمس الشعبية الكبيرة التي يتمتع بها جلالة الملك الحسن الثاني ، وتعلق المواطنين بشخصه الكريم وعرشه المجيد ، وشاهد جلالة الشاهنشاه كذلك عددا من المنشئات الصناعية والمنجزات الفلاحية والاجتماعية التي حققتها المملكة المغربية ، واطلع على مراحل التقدم التي قطعها المغرب تحت القيادة الرشيدة لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، وعلى المشاريع الهامة التى يعتزم المغرب انجازها في سبيل تنمية الاقتصاد سعيا لاكمال تحرره الاقتصادي واسعاد شعبه ورفع مستوى حياته المادي والمعنوي .

وقد ابدى جلالة الشاهنشاه اعجابه بالتقدم الكبير الذي تم تحقيقه في جميع الميادين تحت قيادة جلالة الملك الحسن الثاني الذي ما فتىء يبذل الجهود في سبيل رفاهية شعبه وازدهار بلاده ، كما ابدى جلالة ملك المغرب اهتمامه وتقديره للجهود التي يبذلها جلالة الشاهنشاه اريا مهر على نطاق عالمي لمحو الامية من العالم ولتعاونه المتين في هذا المضمار مع منظمة العلوم والفنون والثقافة : « اليونسكو » التي تستاثر بعطف ورعاية العاهلين ، ويطيب لجلالة ملك المغرب ان ينوه في هذا الصدد بصفة خاصة بالمبادرة الطيبة التي قام بها جلالة الشاهنشاه ، وهي تخصيص نفقات يوم كامل من نفقات الجيش الايراني لتوضع تحت تصرف منظمة اليونسكو اسهاما من جلالته في تحقيق هذه الغاية ، كما يطيب لجلالة ملك المغرب ان يسند الاقتراح الذي تقدم به جلالة الشاهنشاه والذي يقضي بان تخصص جميع الدول نفقات يوم في السنة من ميزانيتها الخاصة بالجيش لمحو الامية بين شعوب العالم .

وقد اعرب جلالة شاهنشاه ايران عن تشكراته وتقديره العميق لاخيه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ولحكومته وشعبه على حرارة الاستقبال الاخوي التي قوبل بها في كل مكان حل به .

ووجه صاحب الجلالة الامبراطور محمد رضا بهلوي اريا مهر شاهنشاه ايران دعوة كريمة لصاحب الجلالة الحسن الثاني ملك المغرب لزيارة الامبراطورية الايرانية زيارة رسمية فتقبل جلالته بابتهاج هذه الدعوه وتقرر ان تتم هذه الزيارة في شهر مارس سنة 1967 .



جلالة الملك المعظم فى حديث ود واخاء مع جلالة شاه ايران المبجل

التي لا تتفق وكرامة الانسان ، وذلك طبقا لقرارات الامم المتحدة ، كما يعتبران ان القضاء على الاستعمار بسائر ضروبه امر حتمي لحفظ كرامة الانسان واشاعة الامن والاستقرار فى العالم .

وادراكا منهما للخطر الذي يهدد البشرية من جراء التسابق على التسلح وامتلاك الوسائل الرهيبة التي من شأنها ان تؤدي الى افناء البشرية والقضاء على الحضارة فانهما يعربان عن تأييدهما التام وسعيهما المتواصل لنزع عام للسلاح فى العالم وتاسيس رقابة دولية مناسبة فى هذا المجال .

ويؤكد العاهلان الكريمان سياسة دولتيهما المتعلقة بمواصلة اسناد التضامن الاسيوي الافريقي الذي لعب ــ وما يزال يلعب ــ دورا ايجابيا مهما فى تحرير شعوب القارتين الاسيوية والافريقية .

وقد استاثرت قضية التعاون بين الدول المتقدمة صناعيا والدول المتخلفة فى العالم بالاهتمام الكبير من العاهلين الكريمين . ليهيبان بالدول النامية ان تقيم فيما بينها تعاونا افضل وذلك عن طريق تعبئة جميع قواتها وطاقاتها الوطنية للكفاح المتواصل من اجل الخروج من طور التخلف وتحقيق الازدهار والرفاهية لشعوبهما ، كما يهيبان بالدول المتقدمة اقتصاديا ان تبذل جهودها للتقليل من التفاوت الخطير الذي ما فتىء يتزايد بينها وبين الدول النامية .

وتدارس العاهلان الكريمان الحالة فى العالم الاسلامي ومستقبل الاسلام فى العالم باعتباره رسالة خالدة للسلم والاخاء ، والتفاهم وتحرير الانسان ، وفى هذا المجال فانهما يعربان عن رغبتهما فى اقامة تعاون متين بين جميع الشعوب الاسلامية على نحو يحقق لها الازدهار



كنتم خير أمة أخرجت للناس .. تامرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتومنون بالله .

اطلبوا الرزق في خبايا الارض ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، المسلم أخ المسلم ، لايظلمه ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره . هذه هي نقطة الاسلام التي منحها الله عباده المومنين والتي يجب أن تستغل من طرف المسلمين في تربية مجتمعهم ، وفي اقامة نهضتهم ، وفي صيانة ثروتهم ، وفي اتحادهم الكلي ، وتضامنهم الفعلي ، وتآخيهم الصادق ، انما المومنون اخوة ، فاصلحوا بين اخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون .

أيها المسلم الكريم ، ان الاسلام يدعوك الى التبصر واليقظة والاعداد ، والى مضاعفة العمل والجهاد ، ومراقبة الشر والفساد ، والى تلقيح العقول ، لتستكمل قوتها ، وتهيىء النفوس لتستجمع رشدها ، وايم الله ، ان المسؤولية لتتضخم الساعة بعد الساعة ، وتتوجه بالاكثر الى القادة والساسة ، فلقد حان الحين ، لاصلاح القلوب المتخاصمة ، وتبديد الغيوم المتراكمة ، وازالة ما بالنفس من نقص الانانية ، واتاحة الطريق للوحدة الاسلامية ، لانقاذ المعذبين من مظالم الاستعمار الطاغية ، والمهددين بجرائم الصهيونية الآثمة ، وليتاح للمسلمين ان يقوموا بما ندبهم الله اليه من هداية الناس الى الحق ، فالاسلام سلم لا حرب ، والمسلمون اخوة سواء لايتفاضلون الا بخصائص المواهب ، ونتائج الاعمال ، الا فلنتعظ بالتسابق الى مناطق الفضاء ، والتنازع في الارض حول النفوذ والبقاء ، ألا فلنحرص على تحسين الاحوال ، وتكوين الرجال ، وتوفير الاموال ، الا فلنعلم أن كل تحول الى مقام احسن ومستقبل أسعد ، فانه رهن ببروز الوحدة ، ووفور الحكمة ، وتكتل السواعد والقوة ، وما اسعد الناس اذا كانوا يعبدون الله جميعا ، وينصرون الله جميعا ، ويجاهدون للحياة جميعا ، وبذلك يحدث الرسول ص

خطبة الجمعة بمسجد الكتبية

ادى صاحب الجلالة الملك المعظم مع ضيفه العظيم جلالة الامبراطور شاه ابران صلاة الجمعة في 27 صفر الخير ، بمسجد الكتبية بمدينة مراكش .

وكان حفلا دينيا رائعا تجاوبت فيه الاخوة الاسلامية ، وعظمة الاسلام ، حيث خطب في هذا الحفل الديني الخاشع فضيلة الاستاذ الرحالي الفاروقي خطبة جامعة تضمنت المعاني السامية التي يرشد اليها الاسلام ؛ ويسرنا ان نثبتها في هذا العدد تخليدا لهذه الزيارة الميمونة التي دعمت أواصر الاخوة بين البلدين المسلمين الشقيقين :

... نرجو الله ان نكون من الذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون ، وأشكره شكر من لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . واشهد ألا اله الا الله الذي خلقكم وما تعملون . يعلم سركم ونجواكم ، ويعلم ما تكسبون ، أحمده سبحانه وتعالى على ما اقتضته حكمته . وأسأله الاعانة على ما فيه مرضاته . وأصلي وأسلم على من علمنا اسمى المبادىء أقوالا وأفعالا . وأخلاقا وأحوالا ، وعلى آل بيته الطاهرين ، وصحابته الراشدين . الذين تادبوا بآدابه ، وتجمعوا حول كتابه ، وحكموا الدنيا بنظامه .

ايها المسلم الكريم ، قال الله في كتابه الحكيم « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » . امر من الله لعباده . الا يتفرقوا في دينهم ودنياهم وأن يعتصموا بحبله ، ويجمعوا قواهم ، والاجتماع على كتاب الله هو قضية الاسلام الكبرى . وطاقته العظمى ، وهو الرابطة التي تربط بين شعوبه ، وتنمي التواصل بين رؤوسه ، وتشكر النشاط في صفوفه ، وتوفر النجاح في حياته ، فتتكامل بأدبه ، وتتماسك بسببه ، وتتناصر في الاحداث ، وتتجاور في الظلمات ، ويومئذ يلقح المسلمون كل طاقة من طاقاتهم ، وكل جانب من جوانب حياتهم . يلقحون القصد والاقتصاد . ويسدون عهد الانماء والاسعاد ، ويتضامنون في الخير والسداد ، ويطوحون بالشر والعناد ، هذه هي الغاية التي من اجلها احب الله المتصافين بقلوبهم . والمتراصين في صفوفهم . كما اكد ذلك سبحانه بقوله : « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا ، كانهم بنيان مرصوص »

ايها المسلم الكريم ، ان الرحمة والمحبة والعزة والامانة ، والوحدة والمواصلة ، والتقنية والتنمية هي الدين عند الله فلا دين بغيرها ، ولا دنيا بدونها ، ألا تسمعون قوله تعالى في التقنيين والخبراء : « فاسأل به خبيرا ، ولا ينبئك مثل خبير » والى قوله تعالى في الامانة والاستقامة « لا تخونوا الله والرسول ، وتخونوا اماناتكم وأنتم تعلمون ، ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيما » ، والى قوله (ص) في الوحدة والالتئام ، وفي النهضة وسمو المقام : المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، لا يومن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء ، من غشنا فليس منا ،

الاسلام والثقافة العربية

الاستعمار والتغريب

للأستاذ: أنور الجندي

هذا مبحث جديد في دراسة الفكر العربي الاسلامي في الثلاثينات من هذا القرن يخص بها الكاتب العربي المسلم انور الجندي مجلة «دعوة الحق .»

- 1 -

1) ان المراجعة الفاحصة لكل الدراسات التي تتصل بالتبشير والاستشراق والشعوبية والطائفية والغزو الفكري والاستعمار الثقافي، والدعوات الهدامة كالالحاد والاباحة . نجد انها في واقع الامر ليست الا شعبا مختلفة لمخطط أساسي هو : الابقاء على نفوذ الاستعمار في العالم الاسلامي ، ولما كان الفكر العربي الاسلامي يحمل قيما ومفاهيم لا تقبل الاستسلام والانطواء في قيم أخرى . ولا الخضوع لقوى مسيطرة فقد كان العمل الاساسي للنفوذ الاستعماري هو القضاء على هذه المقومات أو اثارة الشبهات حولها وافسادها عن طريق البحث الذي يحمل طابع العلم والصحافة والتعليم في المدرسة والجامعة . ومن هنا يمكن أن يطلق على هذه الحركات كلها اسما واحدا هو : (التغريب) ومن هنا يبدو الرابطة الاساسية الاكيدة بين الاستعمار والتغريب . ومن هنا يفهم كيف تدرج الاستعمار في هذه المحاولة فكانت اول أمرها حملة تبشيرية قوامها المرسلون والمدارس والدعوة الى اخراج المسلمين من دينهم بالقوة أو بالاغراء . وقد وقعت خلال تلك الفترة أحداث . وقد اجتاحت هذه الموجة العالم الاسلامي منذ 1930/1830) تقريبا خلال قرن كامل في صورة حركة تبشيرية ضخمة سجلتها دراسات وابحاث ومؤتمرات وجرت حولها مساجلات وحوار ومعارك فكرية . وكانت مصر واحدة من هذه الحلقات غير أن هذه المرحلة لم تلبث أن انتهت الى عمل أشد خبثا ومكرا واكثر عمقا واقل مصادمة . وذلك عن طريق نفوذ دعاة التغريب، هؤلاء الذين استطاع الاستعمار أن يصطفيهم . وذلك بتخرجهم من معاهده وجامعاته في العالم العربي أو من بعثاته في أوربا وأمريكا (مع التحفظ في هذا الاصطفاء اذ أن كثيرا من هؤلاء لم تستطع الثقافة الموجهة الى انتزاعهم من جذورهم) وقد اتيح من بعد لهؤلاء المصطفون أن يلوا مناصب رئيسية في وزارات التربية والتعليم والمعارف . فاستطاعوا أن يؤثروا في المناهج والمؤلفات والصحف وأن يقودوا حركة تحويل خطيرة انصبت على تغيير المناهج وفرض مفاهيم غربية تدرس من خلال الدراسات التاريخية واللغوية والاسلامية ، ثم تنمو مع الزمن ويتسع نطاقها في الجامعات ، وبذلك يمكن أن يقال ان دعاة التغريب في المرحلة الثانية في الثلاثينات كانوا بديلا للتبشير، وهذه هي المرحلة الاخطر وفي هذه المرحلة استقدمت الجامعة المستشرقين المتصلين بوزارات الاستعمار والخارجية . كما استقدمتهم مجامع اللغة ، وأضفى على أبحاثهم كثير من التقدير والاجلال ، وتحول الموقف بالنسبة لنقد هذه الاتجاهات فقد أصبحت مختلف الصحف اللغوية ذات الصوت الجهير في أيدي هذه القوى التغريبية ، وبذلك أمكن ضرب كل صوت يرتفع بمراجعة هذه المواقف .

فقال : اذا تبايع الناس بالربا ، واتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد ، سلط الله عليهم ذلا لاينزعه عنهم ، حتى يرجعوا الى دينهم ، ودينهم هو الاجتماع والاتحاد ، وهو الكفاح والجهاد . أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم ، وهو الغفور الرحيم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي اقام صدور الاحرار ، وهيأ للمجد نفوس الكبار ، اشهد الا اله الا الله انعم بالابجاد والامداد ، وارسل محمدا (ص) للنهوض بالعباد .

أيها المسلمون : نحمد الله ونشكره على هذه الزيارات التي تتبادل بين الشرق والغرب ، وهذه البوادر الطيبة السامية التي تتبادر من الامة العربية والاسلامية نحو آفاق الوحدة المنتظرة ، وآمال الاهداف المشتركة وعلى ما أراده سبحانه من خير باجتماع الملوك والرؤساء وما أتاح من وصل بين النسباء والقرباء ، ملتزمين سياسة التفاهم فى أوجه حياتهم ، مصممين العزم على قيادة شعوبهم لغاية النصر المبين ، ونهاية العز المكين ، فنسأل الله وحده أن يصحب هذه الحركة، ويملأها بالنجاح ، وأن يباركها كل مساء وكل صباح ، ونعوذ بالله من حوادث الطغيان ، ووساوس الشيطان، ومن شفاء الصدر ، وفساد الامر ، فحافظوا حفظكم الله على قوة ايمانكم ، وروابط وحدتكم ، ولا تنسوا الفضل بينكم ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وانصروا الله ينصركم ، واحفظوا امره يحفظكم ، ولنتوجه فى هذه الساعة القائمة ، بقلوبنا الى الله العلي العظيم أن يقيم سائر الملوك والرؤساء على جادة كتابه الكريم ، وصراطه المستقيم ، وأن يرفع بايمانهم وعدلهم قواعد الايمان ودعائم العمران ، وان يثبت أقدامهم ، ويوطد اركانهم ويصلح اعمالهم ، كما نضرع الى الله جل وعلا ، أن يحف العاهلين الكريمين بلطفه الخفي ، وان ينصرهما بنصره القوي ، وهما رمز الوحدة والنهضة والعزة والنصره جلالة الامبراطور شاه ايران محمد رضا بهلوي وجلالة الملك المعظم أبو محمد الحسن الثاني وأن يحفظ ولي عهدهما بما حفظ به الذكر الحكيم ، وأن يمدهما بالعلم النافع والقلب السليم ، كما نسأله سبحانه وتعالى أن يؤلف بين قلوب عباده المومنين ، وأن يعجل بالتقاء كلمة المسلمين ، وأن ينصر رايتهم فى سائر الميادين ، كما نسأله تعالى أن ينزل فقيد العروبة والاسلام مولانا محمد الخامس المنزل الاعلى، وأن يهب له السعادة والحسنى .

ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ، ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

السنة كتاب جدد ، لهم اسماء عربية ، بعد أن كانت هذه الشبهات تذاع باسم «رينان» «وهانوتو» «وداكور» «وكرومر» «وليوتي» ولافيجري وبلون وانها أصبحت تذاع في صحف العالم العربي باللغة العربية باعتبارها منبعثة من دراسات علمية قوامها اعادة النظر في التراث

وهنا أصبح دور النفوذ الاجنبي دقيقا خفيا ، أشد خطرا فانه مضى يسير هذه المعركة من وراء ستار عن طريق مواصلة اثارة الشبهات حول القيم الاساسية للفكر العربي الاسلامي . وقد كانت دائرة المعارف الاسلامية وكتابات مرجليوث ولويس شجو ولا منسي ورينان ومنسبك هى المرجع الاول لكل باحث في مختلف أبحاث الاسلام والثقافة العربية والتاريخ وما تزال الاراء المصطنعة الجادة البعيدة عن التعصب والتحامل تؤكد شبهة الهوى أو الخطأ أو الانحراف لابحاث جانب كبير من كتاب الغرب الذين نسلكهم في صنوف المبشرين أو المستشرقين أو الباحثين . ولا يخلو من الاتهام الا فئة قليلة من الباحثين وحتى هؤلاء الذين خلت بواعثهم من الاتصال بدوائر الاستعمار . لا يستطيع اكثرهم ان يسلم من العجز الذاتي في استيعاب مفاهيم الفكر الاسلامي العربى على النحو الذي يجعله منقلا لديه . وذلك نتيجة احتلاف القيم الاساسية بين الفكرين العربى والغربي .

- 3 -

3) لاشك ان الحرب التي شنها الاستعمار والنفوذ الاجنبى كانت تهدف الى تغيير العقائد أساسا أو التأثير فيها على أساس أن الحضارة الغربية المسيطرة لها عقائدها ومفاهيمها وقيمها وهى العقائد والقيم التي افترض أنها يجب أن تسود في المناطق التى يحتلها، وهى لو استطاعت أن تحقق ذلك استمرت التبعية دون متاعب واستمر النفوذ الاستعمارى وتحول من الخصومة الى الولاء . وقد فلسف الاستعمار هذا المعنى حين ادعى انه قادر على تمدين الملونين . وان الامم البيضاء هى الامم التى تسود . ولقد حرص الاستعمار في مخطط تأكيد نفوذه على أن بقاء مفاهيم الفكر العربى الاسلامي وقيمه من شأنها أن تحول دون استمرار النفوذ ، وتؤدى الى مقاومته . ومن هنا كانت حملات التبشير تعاونها الشبهات التى يثيرها الاستشراق حين تتجمع في مخطط تغريبي يحمل لواء الشعوبية من اجل هدم هذه المقاومة واضعافها واحلال مفاهيم غربية بدبلاعنها. ويرى (تقى الدين النبهاني) ان الذى حمل الاوربيين على انشاء الجمعيات التبشيرية في الشرق هو ما عانوه في الحروب الصليبية من بسالة المسلمين وصبرهم على الجهاد ووحدتهم في المقاومة ، وقد بحثوا عن السر في ذلك فوجدوه في الاسلام لان عقيدته هي منشأ هذه القوة العظيمة عند المسلمين ونسامح الاسلام .. ومن هنا كان مفهوم التغريب هو تشكيك المسلمين في تاريخهم ودينهم وزعزعة عقائدهم .

ويمكن أن يقال انه بعد فشل الحروب الصليبية ، التي كانت اساسا حركة استعمارية ، كانت الخطة هي تحويل العالم الاسلامي عن مقومات فكره باعتبارها القوة الاساسية التي هي مصدر المقاومة والانتصار . وليس الغرض هو اخضاع العالم الاسلامي بقدر ما هو اخضاعها للثقافة الغربية كسبيل وحيد اكيد لاخضاعها للنفوذ الغربي .

وقد تحقق أن اخضاع العالم الاسلامي لا يتم الا عن طريق الثقافة ومن هنا وضعت الخطة على مستوين :

أ) مستوى التبشير حتى 1932. ب) مستوى التغريب من بعد ذلك حتى اليوم وقد أثار كثير من المؤرخين أن هدف النفوذ الاستعماري عندما اكتشف طريق راس الرجاء الصالح ، هو الوصول الى الهند عن طريق الالتفاف حول العالم الاسلامى وتطويقه ، حيث ان الطريق عبر مصر يجعل التجارة الاوربية بين المسلمين (فلما اكتشف طريق راس الرجاء وجد البرتغاليون انفسهم أمام الابواب الخلفية للعالم الاسلامى وهي منافذ ضعيفة التحصين ، فعملت البرتغال على ضرب العالم الاسلامي من جناحه المهيض ، وكان البرتغاليون يأملون من وراء ذلك الى اضعاف المسلمين واستعمار بلادهم . هذه الخطة ما كانت تتم بالسيف والتفوق الاقتصادي فقط . بل كذلك بالقضاء على الاسلام كعقيدة دينية سماوية . لهذا جاء التاجر الاوربى الى الشرق تحرسه المدافع وتشق له السيوف الطريق ومن وراء التاجر جاء المبشر) .

وقد أيد الاستعمار أعمال التبشير وحماها . بل ان اللورد (كرومر) في مصر كان يسجل في تقاريره السنوية خطوات التبشير وأعماله ومقترحاته في توسيع نطاقه . كما أعلن « بلفور » وزير خارجية بريطانيا تاييده لحركات التبشير في تصريح واضح له جاء فيه : ان المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة وعضدها في كثير من الامور الهامة ، ولولا هم لتعذر على تلك الحكومات ان تذلل كثيرا من العقبات ، وقد اشار الدكتور مصطفى الحفناوى في دراساته عن قناة السويس كيف كان لرجال التبشير من مساع وخطوات في سبيل حض المستعمرين على انشاء قناة تصل البحر الابيض

وفى ظل حملة التبشير الضخمة التي مرت بالعالم العربي ومصر (1932) تحول الموقف كثيرا وامكن أن تظهر اصوات قوية قد تنبهت فى أعماقها الى حركة التغريب فافسحت صحيفتا البلاغ والسياسة اليومية صفحاتها لمواجهة هذه الحملة التي عرف رجل منها الدكتور هيكل بواعنها اذ صدر فى نفس الوقت كتاب وجهة الاسلام لمستر جب وزملائه .. كمحاولة لتقييم حركة التغريب فى العالم الاسلامى وفى نفس الوقت كان العمل لتاكيد النفوذ الاجنبي قد اقتنع بانهاء مخطط التبشير . وبدا مخطط جديد أقل حدة فى المظهر واشد عنفا فى المضمون . هو مخطط التغريب والشعوبية . ويتمثل ذلك فى قول الدكتور صموئيل زويمر قطب التبشير فى العالم الاسلامى منذ أوائل القرن :

(ان التبشير قد وصل الى أسمى غاياته فىمهاجمة العالم الاسلامي ، أدى المهمة على اكملها وانتهى الى نتائج لم يكن أحد يحلم بها منذ الحروب الصليبية ، ليس غرض التبشير المسيحي وسياسته ازاء الاسلام ، هو اخراج المسلمين من دينهم ليكونوا مسيحيين ، ان المسلم لا يمكن أن يكون مسيحيا مطلقا ، والتجارب دلتنا ودلت رجال السياسة على استحالة ذلك ، ولكن الغاية التي نرمي اليها هي اخراج المسلم من الاسلام فقط ، ليكون ملحدا أو مضطربا فى دينه ، وعندها لا يكون مسلما ، ولا تكون له عقيدة يدين بها ، وعندها يكون المسلم ليس له من الاسلام الا اسم أحمد ، والملحد هو أول من يحتقر الاسلام والملسمين) .

- 2 -

ان الاستعمار يفهم جيدا أن « العالم الاسلامى » له قيم أساسية ومفاهيم واضحة تكون فلسفته فى الحياة ورسالته فى العالم . هذه القيم والمفاهيم مستمدة اساسا من الفكر العربى الاسلامى . وهى فى جوهرها تدعو الى مقاومة النفوذ الاجنبى الغاصب ، والمسلط والغازى . وكل من يطمع فى فرض سلطانه أيا كان نوعه عليها . ومن شأن يقظة هذا الفكر ونضوجه ووصوله الى دوائر التربية والتعليم والثقافة والصحافة أن تفرض مقاومة ضخمة لنفوذ الاستعمار وبالتالي تؤدي الى زعزعة مكانه واضطراب مصالحه . لذلك فقد كان الاستعمار حريصا على زلزلة هذه المفاهيم والقيم والقضاء عليها وذلك باثارة الشبهات حولها ومنع وصولها وحجب بعضها . وملأ الجو بمفاهيم جديدة مستوردة ، ليست أصيلة ولا نابعة من البيئة الاصلية . وهي مفاهيم معاكسة تماما لتلك القيم . ومعارضة لها تماما . وفى مقدمة مفاهيم القيم الجديدة : المتعة واللذة الحسية والترف والرغبة العاجلة ومن هدفهذه المفاهيم الوافدة خلق روح من التحلل والاستسلام والاعجاب بالغرب الغازي والتسامح معه والولاء له والصداقة معه . وقتل عوامل الغيرة والمقاومة والخصومة معه ، واندحار معاني الكيان الذاتي الخاص وبذلك تصل الطلائع الجديدة الى التميع والانحلال والضعف غير أن هذه الخطة لا يمكن أن تنفذ بهذه البساطة واليسر ، وانما تنفذ فى دقة متناهية ، فقد استبطن الاستعمار فى دهاء جميع مظاهر العنف فيها ، وغلف مظاهرها بطابع العصرية والمدنية والدعوة الى التسامح وتقبل الراي المعارض . وجعل غزوانه مغطاة مبهمة . ودخائل أهدافه دقيقة ماكرة ، وجعل لهدفه سعة من الزمن وفسحة من الوقت ، لا يستعجلها ولا يكشف عنها ، ولقد بدا الاستعمار عمله لمقاومة مفاهيم الفكر العربي الاسلامي والقضاء عليها بالتحريف واثارة الشبهات اول الامر ظاهرا مسفرا باسم التبشير ، فلما لم يتحقق عن هذه المواجهة الا تزايد الخصومة والمقاومة والتحدي كرد فعل ، لم يلبث أن غير أساليبه ومناهجه فاختفى وراء منظمات غير مشبوهة ووراء أساليب غير متهمة ، وقد استبطنت هذه المنظمات دعوته . واستطاعت عن هذا الطريق الغامض أن تكشف كثيرا . وان تحتجن القوى للعمل ، وقد اتخذت من المدرسة والصحافة والقصة والمسرح والفن والسينما أدوات لها . وانتفع فى هذه الاعمال بالاستشراق وكتاب الغرب المتعصبين ، واذا كان لنا أن نكون أبعد عن التعصب وأقرب الى الانصاف فلسنا نحاكم أعمال الاستشراق والمستشرقين وكتاب الغرب الا بقدر ما تتخذ دوائر الغربالاستعمارية هذه الاعمال وسيلة للقضاء على مقومات الفكر العربي الاسلامي . وفى ضوء انصاف كامل عرف عن الباحث العربى المسلم ، لا تعصب فيه . يواجه فيه الامور بفكر مفتوح ، وسماحة علم . وايمان أكيد بحق الثقافات الانسانية بالاخذ والعطاء . والاختصاص للاضافة الى كيانها ما يزيدها قوة ، وايضا بحقها فى الرفض والنبذ عن وعى وبلوغ لمرحلة الرشد الفكرى ، ولطالما كانت الثقافة الاسلامية العربية قادرة على الاخذ والعطاء فى مراحل حياتها الطويلة المختلفة . عن تسامح ويقظة وتقدمية وتفتح ، فى هذا الضوء نكتب هذا البحث .

ومن هنا نرى أن هدف الاستعمار والنفوذ الاجنبي بالسيطرة على العالم الاسلامى ، بالسيطرةعلى فكره ، قد تحولت من عمل التبشير المكشوف فى الثلاثينات الى مجال جديد هو التغريب والشعوبية ، وأصبحت وسيلته هي اذاعة الشبهات المختلفة على

صدق صحاح السنة وكذب المتطفلون

بقلم الدكتور
محمد عجاج الخطيب
مدرس الحديث وعلومه في كلية الشريعة
بجامعة دمشق

نشرت مجلة « العربي » التي تصدرها وزارة الارشاد والانباء بالكويت في عددها 87 فبراير 1966 كلمة بعنوان بارز وخط عريض :

« ليس كل ما في صحيح البخاري صحيحا ، وليست هذه الاحاديث مفتراه فحسب ، بل منكرة » ، وقد كتب هذا المقال الاستاذ « عبد الوارث كبير » احد محرري المجلة ، والمشرف على باب « انت تسأل ، ونحن نجيب » .

ولقد اعتمد الكاتب – حسب زعمه وفهمه على كثير من الائمة الذين يؤيدون رأيه كابن تيمية ، والقسطلاني ، والبيهقي ، والعسقلاني وغيرهم .

واثار هذا المقال عدة ردود نشرت في مختلف الصحف والمجلات ، وتصدى الرد عليه عدد كبير من اكابر علماء الاسلام ، بل ان بعض المجلات خصصت جل صفحاتها للدفاع عن الامام البخاري الذي هو امام المحدثين وشيخ حفاظ زمانه على الاطلاق ...

وقد تسلمنا ردودا في الموضوع وافانا بها كثير من العلماء والباحثين اخترنا منها تقديم هذا المقال الذي كتبه الدكتور محمدعجاج الخطيب مدرس الحديث وعلومه في كلية الشريعة بجامعة دمشق لقرائنا الكرام .

واملنا كبير في ان تحقق مجلة « العربي » واجبها المقدس فتقوم الاقلام المعوجة وتعود الى الحق وجادة الصواب ، فان هذه المجلة لم تؤسس لتساهم في النيل من مقدسات الامة العربية والاسلامية ، وتحقق غايات اعدائها عن قصد او غير قصد .

دعوة الحق

نشرت مجلة العربي التي تصدر في الكويت في عددها السابع والثمانين ، في باب (انت تسأل ونحن نجيب) – مقالا تقشعر له الابدان ، ويندى له الجبين ، وينفر منه الذوق السليم ويمجه من له صلة بالبحث العلمي سواء أكانت من قريب أم من بعيد ، وينكره من له اطلاع على العلوم الاسلامية بشكل عام ، وعلى علم الحديث بوجه خاص – لما جاء فيه من ايهام وتضليل ، وبعد عن الحقيقة ، وتعمية للحق ، وسوء نقل ، وخيانة للامانة العلمية ..... وتفسير بالهوى ، وفهم مجانب للسليقة العربية ، وتحميل النصوص مالا تحتمل ، لاثبات ماتشتهي النفوس الخسيسة ، وما ترتئيه الاهواء الضالة .

لم يقترف الكاتب كل هذه السقطات في بحث أدبي ذوقي . فيقال هذا ما انتهى اليه ذوقه وتدفقت به مشاعره ، ولا في بحث تاريخي فيقال : هذا ما انتهى اليه اجتهاده وترجيحه ... ولا في بحث فلسفي فيقال : انه من اتباع مدرسة فلان وفلان .. ولا في بحث علمي عملي فيقال . لقد جانب الصواب لخلل في اجهزته ... او اخطأ في حسابه ...

لقد اقترف تلك السقطات في كلامه عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن أعظم مدوناته ، اقترف ذلك فيما يدين به نحو خمسمائة مليون مسلم ، ويعتز به تراث الانسانية . اقترف ذلك باسم الحرية الفكرية .. وكأنه لم يجد ميدانا لهذه الحرية الا كتب

بالبحر الاحمر ، تكون تحت نفوذ فرنسا وبريطانيا وذلك للقضاء على وحدة العالم العربي وتمزيق كيان العالم الاسلامي .

- 4 -

وفى هذه المرحلة عمل الاستعمار على رصد أموال طائلة فى ميزانيات الدول المستعمرة كما قدمت الكنيسة الرومانية مبالغ لاحد لها ، فقد تم الصلح بين الحكومة الايطالية وبين الفاتيكان فى الثلاثينات . وابرمت معاهدة (لاتران) التى ردت الى الفاتيكان الاموال التي كانت الحكومة الايطالية قد حجزتها منذ عام 1870 . وبلغ ما استولى عليه الفاتيكان 750 مليون ليرة ايطالية ، وكان أول ما عمله الفاتيكان أن أرصد عدة ملايين للتبشير فى الشرق الادنى . كما قدمت دوائر وزارات الاستعمار فى الحكومات الغربية فى أوربا وأمريكا حشودا ضخمة من المعلمين والمبشرين والاطباء، وأعان على توسيع نطاق التبشير فى العالم الاسلامى والعربى وجود نفوذ الاحتلال الذى كان لسانه هذه البعثات ويمدها بالاعتمادات ويحميها من مقاومة القوى الوطنية فى ظل نظام الامتيازات الاجنبية الذي يجعل من الصعب على السلطات الحاكمة أن تتبع حركات المبشرين أو تواجه تصرفاتهم وحمل لواء التبشير زعماء الاستعمار فى العالم العربى : الكردينال لافيجرى فى تونس والمارشال ليوتي فى المغرب واللورد كرومر ودنلوب فى مصر وغردون فى السودان .

وقد عمدت هذه الارساليات والمدارس الاجنبية على وضع (التوراة) فى أيدي الطلاب المسلمين على أنه كتاب تدريس أساسى ، وفى مادة الترجمة استعملت نصوص التوراة ، فى الترجمة من العربية الى الانجليزية او الفرنسية ، وقد أعلن فى اكثر من مناسبة أن بعض الكتب التي توضع فى أيدي الطلاب تحمل اتهامات وشبهات للاسلام والعرب وللتاريخ والتراث واللغة العربية ، وان أغلب كتب الطلاب لا تختلف عن الكتب الطائفية . ولما كانت معظم الحكومات فى العالم العربي خاضعة للنفوذ الاستعماري ، ونظرا لان هؤلاء الساسة فى الاغلب كانوا على ولاء مع الاستعمار ، فانها لم تجد عندها القدرة على مواجهة مناهج هذه الارساليات ، ومع أن الاستعمار ، قد خرج من معظم هذه الاقطار فان نفوذه الثقافي لا يزال كما هو بل تأكد فى بعض اجزاء العالم الاسلامي ، وقد أشارت (انا مليحان) الى ذلك حين قالت : انه فى كلية البنات بنات أباؤهن باشوات وبكوات وليس فى مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ التبشيري، ولن يوجد ثمة طريق الى حصن الاسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة) وقد عاش هذا المعنى دافعا للعمل ، فى هذا المجال فالى أي مدى سارت الخطة ؟

هذا مبحثنا فى العدد القادم .

القاهرة : انور الجندي

وامعن فى افترائه وكذبه فقال بعد ذلك مباشرة (ليس هذا فقط .. فان فى صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث ما هو ادهى من ذلك وأمر ، فى مخالفة ما امر الله به عباده ، وانزله فى محكم كتابه) وادعى ان الامام البخاري واصحابه نسبوا الى السيدة عائشة رضي الله عنها قولها : « كان النبي يأمرني فأتزر فيباشرني وانا حائض » ونسبوا مثل ذلك الى ميمونة رضي الله عنها ثم قال : (فما الذي يفهمه الناس من هذه الاحاديث الا ان الرسول كان يباشر زوجاته فى فترات حيضهن ؛ خلافا لما امره الله به .) .

لقد قصر فهمه عن ادراك ما جاء فى صحيح البخاري ، فطعن فيه ووصمه بحمل ما هو ادهى وأمر من الموضوعات ، فكان كالانسان البدائي عدوا لما يجهل فليس هو وامثاله ممن يبحث فى امور الدين . ويحكم على صحاح السنه ، ويتصدى لاوثق مصدر حديثي بدعوى الوضع والنكارة ، فى حين اجمع علماء الحديث على خلو صحيح البخاري من الموضوع والضعيف . بل اجمعوا على وثاقته وصحته . قال العلامة ابو الطيب صديق القنوجي رحمه الله : (كان كتاب الجامع الصحيح البخاري قد حاز قصب السبق فى مضمار الاعتبار ، واظهر من صحيح الحديث وفقهه ما لم يسبق اليه ولا عرج احد عليه من الائمه الكبار ، ولذا نراه رجح على غيره من الكتب بعد كتاب الله . وافصحت بالثناء عليه السن الاعلام على تصدره منهم وانتباه . (انظر عون البارى لحل ادلة البخاري ص 3 ج 1) . وقال ابو جعفر العقيلي : (لما الف البخاري كتابه فى صحيح الحديث عرضه على علي بن المديني ، ويحيى بن معين ، واحمد ابن حنبل وغيرهم ، فامتحنوه ، وكلهم قال له : كتابك صحيح الا اربعة احاديث — اي لم يجتمع فيها شروط الصحة ، لا انها ضعيفه او موضوعه — قال العقيلي : والقول فيها قول البخاري ، وهي صحيحة . عن فهرسه ابن حجر ص 95) . وهؤلاء الذين عرض البخاري عليهم صحيحه اعلام الدنيا فى الحديث وعلومه ، لا يشق لهم غبار ، وقد نطقت بعظيم مكانتهم الآثار . وقال الامام الدهلوي : (اما الصحيحان — اي صحيح البخاري وصحيح مسلم — فقد اتفق المحدثون على ان جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع ، وانهما متواتران الى مصنفيهما ؛ وان كل من يهون امرهما فهو مبتدع متبع غير سبيل المؤمنين . / عن كتاب حجة الله البالغه ص 106 ج 1)

وبهذا يتبين لنا جهل هذا الكاتب وكذب ادعائه ، وخطورة فريته ، وخسيس قصده الذي يخرجه عن جماعة المؤمنين وينكبه سواء السبيل باتفاق الائمة والمجتهدين .

فهلا تأدب ذلك الكاتب مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد العرب وخاتم المرسلين وامام الناس الى يوم الدين ، هل تأدب وهو يكتب فى مجلة عربية اللسان تصدر فى بلد مسلم كريم ..؟ وهلا وضع فى اعتباره قدسية كتب الحديث التي يدين بها ويحترمها مسلمو الدنيا ، ويعتز بها ويجلها منصفوا العلماء والمفكرين من كل ملة ونحلة..؟

ثم ان الحديث الذي اراد ان يستدل به على معارضته حكم الله تعالى ، يوافق الاية الكريمة بمنطوقه ومفهومه . ففى اللغة ائتزر به وتأزربه وتأزربه ائتزارا اي شد ثوبه او اراره حول جسمه . وفى حديث الاعتكاف « كان — اي الرسول صلى الله عليه وسلم — اذا دخل العشر الاواخر ايقظ اهله للعبادة وشد المئزر » كنى بشده عن اعتزال النساء .. وفي الحديث « كان يباشر بعض نسائه وهي مؤتزرة فى حالة الحيض » اي مشدودة الازار « النهاية لابن الاثير ص 44 ج 1 والقاموس المحيط ، ماده : ازر »

وباشر يباشر مباشره اى لامس ، واصله من لمس بشره الرجل بشره المراة . وفى الحديث « انه صلى الله عليه وسلم كان يقبل ويباشر وهو صائم » من لمس البشره البشره . انظر « النهاية لابن الاثير ص 129 ج 1 » فالمباشره فى كل ما ذكرنه لا تعدو لمس البشره البشره . وليست المباشره التي قد يقصد بها معنى الوطء .

ثم ان احاديث مباشرة الحائض كثيرة يبين بعضها بعضا ويؤيده ؛ وكلها توافق الاية الكريمة «ويسألونك عن المحيض قل هو اذى ، فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » ولا تخالفها . ولكن الكاتب تخير هذه الرواية ظنا منه انها ستؤدي غرضه ومراده ، فى انتزاع ثقة المسلمين بصحيح البخاري وبغيره من كتب السنه ، ومحال ان يتم له هذا او لغيره . واليك بعض تلك الاحاديث التى تؤكد ما ذكرناه وتدحض ما انتهى اليه فهمه . عن السيده ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضطجع معي وانا حائض ، وبيني وبينه ثوب » وعنها رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر نساءه فوق الازار ، وهن حيض » اي

السنة وصحاحها . . في حين ان ميادين الاصلاح والنقد البناء في الامة العربية والاسلامية وفي دولها اكثر من أن نعد ونحصى ، وهي احوج ما تكون الى الحرية الفكرية ، والى النقد البناء ، والى الاقلام المخلصة في سبيل النهوض والتقدم والازدهار .

ونحن في هذا لا نحظر الفكر عن ابحاث الدين وآثار علمائه اذا تناولها المخلصون من المتخصصين والعلماء . أما أن نتناول أي موضوع علمي من ليس أهلا له — فهذا لا نرضاه ولا يقول به منصف في عصر العلوم والتخصص.

وكان نتيجة هذه السقطات التي اقترفها الكاتب أن التقى في مقاله هذا مع ماينتهي اليه كثير من أعداء الاسلام في أبحاثهم حول السنة من تشكيك فيها ، واستخفاف بكتبها . . ولكن مائدة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى من أن تنالها الترهات باذى ، فقد اهتم المسلمون بالحديث النبوي الشريف اهتماما عظيما ، وحرصوا على حفظه ونقله وتبليغه منذ الصدر الاول ، كما حرصوا على جمعه وتدوينه ، وقد دون جانب منه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما دون جله في عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، فتضافرت الحوافظ والاقلام من أجل حفظه ، كما تضافرت جهود المسلمين وعلمائهم في سبيل خدمته وصيانته ، فنشأت حول حديث الرسول صلى الله عليه وسلم علوم كثيرة، لم يحظ بمثلها علم من العلوم او قانون من القوانين ، فنشأ علم غريب الحديث ، وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه . وعلم علل الحديث ، وعلم مختلف الحديث ومشكله ، وعلم تاريخ الرواة ، وعلم الجرح والتعديل ، وعلم اصول الحديث ، وغيرها من العلوم التي خدمت السنة النبويه وتكفلت ببيانها . فمازت الصحيح من الضعيف . والسليم من العلل ، والمقبول من المردود ، والمرفوع من الموقوف ، والدخيل من الاصيل .

ولم يكن جمع الحديث ونقله جمعا اتفاقيا عاديا ، بل جمع ونقل على اسلم القواعد العلمية ، فما كان يقبل الحديث الا اذا توفرت في حامله شروط دقيقة نص عليها العلماء وبسطوا القول فيها في كتب اصول الحديث

فلم يترك العلماء شيئا له صلة بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الا بينوه . حتى ان بعضهم قال : لقد نضجت علوم الحديث حتى احترقت ، لكثرة ماخدمه العلماء واعتنوا به .

وبعد هذا كله يجعل الكاتب عنوان مقاله (ليس كل ما في صحيح البخاري صحيحا ، وليست هذه الاحاديث مفتراة فحسب بل منكرة ؟) . وصدر مقاله باسماء مشاهير علماء الحديث ، موهما القاريء رسوخ قدم كاتبه في هذا العلم ، باعتماده على أقوال أئمة الحديث .

ثم راح يستنكر بعض الاحاديث الموضوعة التي نص عليها علماء الحديث ، وبينوا زيفها ، وذكروا واضعيها حتى اصبحت معروفه لدى كثير من المسلمين، لايخفى عليهم زيفها وكذبها ، فلا ادري ما مناسبة سوق هذه الاحاديث المختلقة تحت هذا العنوان ؟ وهي لاتتصل بهذا الموضوع ولا محل لذكرها سوى ايهام القاريء بطغيان الاحاديث الموضوعة على غيرها ، وتاكيد أن في صحيح البخاري وكتب السنة شيئا منها .

ولا ادل على هذا مما قاله في طلائع مقاله (والكلام عن الاحاديث الموضوعة مما لاتتسع له صفحات هذا الباب . . . لكنني مع ذلك . . اسالك كيف يعقل ان يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « اختلاف امتي رحمة » . . ما مبرر هذا وقد نص العلماء على ضعف ووهاء وانقطاع هذا الحديث ، ما مبرر ذكر هذا الحديث وغيره من الموضوعات في مثل هذا المقام ؟ ليس له اي وجه الا اساءة الظن بالسنة . وتشكيك المسلمين في كتب أحاديثهم ، وفي المصدر الثاني للشريعة الاسلامية.

نحن لا ننكر ان بعض أعداء الاسلام من الشعوبيين والزنادقة والجهال وغيرهم قد وضعوا احاديث كثيرة، بعد عصر التصنيف ، وبعد ان جمع معظم الحديث في مدوناته ، ولكن هذا لم يخف على العلماء ، فتصدوا للوضاعين ، وحذروا الامة من مروياتهم . وبينوا كذبهم ومفترياتهم ، وجمعوا تلك الاحاديث الموضوعه في كتب خاصه ليعرفها اهل العلم ويجتنبها المسلمون،وقد تناولنا الحديث الموضوع وجهود الامة وعلمائها في مقاومة الوضع بالتفصيل في كتابنا « السنة قبل التدوين » من الصفحة (187 — 291) .

وودت ان اجد في ذلك المقال منفذا لحسن نية الكاتب . لكن سوء نيته ، ودنيء قصده الذي يتجسم في كذبه وتحريفه ومفترياته — لم يدع لذلك سبيلا .

فقد ختم استشهاده بالاحاديث الموضوعه بحديث (عليكم بالعدس فانه قدس على لسان سبعين نبيا) ، وبحديث (زينوا موائدكم بالبقل فانه مطردة للشيطان) وقد نص العلماء على وضعهما في (كتاب المنار ص 21 وفي اللآلىء المصنوعة ص 212 و221 ج 2 ، وفي تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة ص 246 ج 2 . وفي الفوائد المجموعة ص 161 و 165) .

اما ان هذا الخبر عن زيد بن انس فغير صحيح فليس في الصحابة زيد بن انس فضلا عن انه ليس في رواة الحديث على الاطلاق من اسمه زيد ابن انس . فالحديث مروي عن انس بن مالك رضي الله عنه ، واراد الطحاوي أن يبين أنه من فتوى الصحابي ابي طلحة ، وانها لم تبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم . فلا يتمسك بها كفتوى زيد .. فظن الكاتب الفهم ان الراوي وهو انس بن زيد والصواب : علي بن زيد بن جدعان عن انس . ولم يحسن التفريق بين انس بن مالك وزيد بن ثابت ، لانه ليس من اهل الحديث . اهل الدراية والرواية .

واما انه صحيح على شرط الشيخين : البخاري ومسلم . فغير صحيح فهما لا يحتجان بالموقوف ، والمقطوع والضعيف . ولم نر احدا نص على تصحيحه ، وحبذا لو بين لنا موضع تصحيح ابن حزم في كتابه « الاحكام » . !

واما ان الطحاوي اخرجه في كتابه « مشكل الآثار » فليس في هذا اي تصحيح،وقد صنف الطحاوي كتابه هذا لازالة اشكال ما قد يشكل فهمه من الآثار . وقد قال في هذا الخبر : « لا يصح رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم لان الذي رواه عن انس مرفوعا ليس من اهل الثبت وانما هو موقوف على ابي طلحة » فالخبر من قول ابي طلحة ، فهو راي يراه، لا حديث يرويه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويرفعه . فقد كان لا يرى في ابتلاع البرد للصائم بأسا . ويقول ليس بطعام ولا شراب . وانما هو بركة . « سير اعلام النبلاء ص 17 وص 21 ج 2 » .

اذن من ابن جاء رفعه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ لقد تفرد علي بن زيد بن جدعان برأي ابي طلحة هذا فرواه عن انس بن مالك رضي الله عنه وفيه « فاخبرت رسول الله فقال : خذ عن عمك» وقد بينا ان قول ابي طلحة موقوف . واما ما رفعه علي بن جدعان فلا يؤخذ به لانه ضعيف ، وقد اختلف العلماء فيه لانه اختلط في آخر عمره . فقال الامام شعبة بن الحجاج : كان رفاعا ، اي يرفع الى الرسول صلى الله عليه وسلم ما يرويه غيره موقوفا على الصحابة ، وقوله هذا يؤيد ما اثبته الطحاوي . وقال شعبة ايضا : حدثنا علي قبل ان يختلط .

وكان سفيان بن عيينة يضعفه .

وقال حماد بن زيد : كان يقلب الاحاديث . وكان يحيى بن سعيد القطان يتقي الحديث عن علي ابن زيد ، وقال الامام احمد : ضعيف .

وقال الامام البخاري والامام ابو حاتم الرازي : لا يحتج به . وقال ابن خزيمة : سيىء الحفظ « انظر ميزان الاعتدال ص 127 — 129 ج 3 وتقريب التهذيب ص 37 ج 2 وخلاصة الخزرجي ص 232 والاغتباط بمن رمي بالاختلاط ص 19 »

تلك شهادات أئمة الحديث وجهابذته في راوي الخبر الذي ادعى « كاتب العربي » انه صحيح وعلى شرط الشيخين !! وقد بين لنا ان الحديث موقوف ، ولم يخرجه احد من اصحاب الكتب العشرة وغيرها . ولم يرفعه احد الى الرسول صلى الله عليه وسلم الا راو واحد ساء حفظه ، واختلط في آخر عمره ، وضعفه الائمة الحفاظ ، واجتنبوا الرواية عنه .

لقد تصيد الكاتب الاخبار الموضوعة والضعيفة ، مدعيا انها في كتب الصحاح ، ليشكك في الصحاح ويوهن اخبارها ، ويزعزع ثقة المسلمين فيما اجمعت الامة على صحته وعظيم مكانته ، وقد اثبتنا عدم صحة ما ادعاه ، وزيف ما افتراه ، ولن يؤخذ المسلمون بما يروجه اعداء الاسلام باسم الدفاع عن الدين . ولو جاء بلسان عربي ، وباسم عربي ، وفي مجلة عربية .. وستبقى احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في قدسيتها وسمو مكانتها ما بقيت السموات والارض .

الدكتور محمد عجاج الخطيب

تمس بشرته بشرتها خلافا لليهود فى معاملتهم للحائض، وواضح هذا فيما يرويه انس بن مالك رضي الله عنه «ان اليهود كانت اذا حاضت منهم المرأة اخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ، ولم يجامعوها فى البيت ، فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله سبحانه : « ويسألونك عن المحيض؟ قل: هو اذى ، فاعتزلوا النساء فى المحيض الى آخر الاية » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جامعوهن فى البيوت واصنعوا كل شيء غير النكاح » اخرجه مسلم وابو داوود والامام مالك وابن ماجة ، والدارمي والامام احمد وغيرهم . والمراد بقوله ، جامعوهن ، اي خالطوهن وساكنوهن فى بيت واحد . وعن السيدة ميمونة رضي الله عنها : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يباشر المرأة من نسائه وهي حائض اذا كان عليها ازار الى انصاف الفخذين أو الركبتين تحتجز به » وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كان احدنا اذا كانت حائضا امرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تأتزر فى فور حيضتها ، ثم يباشرها . قالت : وايكم يملك اربه كما كان يملك رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه » وواضح من كل هذا ان المباشرة هنا ليس معناها الجماع ، ويؤكد هذا قولها « وايكم يملك اربه » والارب وطر النفس وحاجتها وشهوة الجماع . والمراد ايكم يملك زمام نفسه كما كان يملكه صلى الله عليه وسلم ، فيأمن مع المباشرة الوقوع فى الجماع الحرام . واخرج ابو داوود عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي عليه الصلاة والسلام كان اذا اراد من الحائض شيئا ألقى على فرجها ثوبا »

فأين مخالفة الحديث لاوامر الله عز وجل يا « كاتب العربي » ؟ اصلحك الله وهداك ، ونقى صدرك من كل غل ، وبصرك سواء السبيل .

اما ما استشهد به من ان رجلا اتى عمر فقال : اني اجنبت فلم اجد ماء فقال له عمر « لا تصل » ونسب هذا الخبر الى البخاري رحمه الله ، ليؤكد ان فى صحيح البخاري ما يخالف القرآن الكريم — ففي هذا خطأ وخيانةعلمية ومسخ للحقيقة وتشويهها فليس فى صحيح البخاري قول عمر « لا تصل » بل فيه ما دار بين عمر ابن الخطاب وعمار بن ياسر رضي الله عنهما حول سؤال الرجل ، وقد اخرج الامامسلم الخبرتاما . واكتفىالكاتب — لامانته — باجتزاء بعضه فجاء مشوها ، وسأسوقه بتمامه ليتبين المراد

ويتضح وجه الحق والصواب . عن سعيد بن عبد عبد الرحمن بن ابزي عن ابيه ، ان رجلا اتى عمر فقال : اني اجنبت فلم اجد ماء ، فقال لا تصل . فقال عمار : اما تذكر يا امير المومنين اذ انا وانت فى سرية فأجنبنا فلم نجد ماء ، فأما انت فلم تصل واما انا فتمعكت في التراب وصليت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « انما كان يكفيك ان تضرب بيدك فى الارض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك . فقال عمر : اتق الله يا عمار — اى اتق الله فيما ترويه وتثبت فلعلك نسيت — قال — ان شئت لم احدث به ، قال عمر : نوليك ما توليت . وفى رواية قال عمار « يا امير المومنين ان شئت — لما جعل الله علي من حقك — لا احدث به احدا » .

امير المومنين نسي الحكم فذكره به عمار ، وبين بالسنة الطاهرة كيفية التيمم ، فاستوثق عمر كعادته ، من حفظ عمار وعدم نسيانه واشتباه الامر عليه ، وعمار متأكد مما يقول — ومع هذا عرض على امير المومنين عمر ان رأى المصلحة — فى عدم التحدث بما حفظ — راجحة على التحديث به امسك عنه بعد ان بلغه ورفع عنه الحرج . ولكن عمر القوال بالحق ، المتمسك بالكتاب والسنة ، الحريص على تطبيقهما والوقوف عندهما — يأبى هذا فيقول له « نوليك ما توليت » اي ليس لك ذلك ، وليس لي منعك من التحدث وعليك نشره وبيانه . فعمر رضي الله عنه يأمر باتباع الكتاب الكريم وبيان السنة الشريفة ، ويرهب من عدم نشر ذلك . ولكن اجتزاء الكاتب الخبر، وسوء امانته قد قلب الحق باطلا وجعل موافقة القرآن الكريم مخالفة له ، وحسن اتباعه انحرافا عنه .

ثم قال كاتب العربي : « اما بالنسبة الاثافي فهي عن رشد ابن انس ، بسند صحيح على شرط الشيخين ، وصححه ابن حزم فى «الاحكام» واخرجه الطحاوي فى « مشكل الاثار » قال : امطرت السماء بردا فى رمضان فقال ابو طلحة « ناولني من هذا البرد » فجعل يأكل منه وهو صائم .. فأتيت رسول الله فاخبرته بذلك فقال : خذها عن عمك ، ولو صح هذا لكان اكل البرد فى رمضان لا يفطر ، وهذا ما لا يقول به مسلم على الاطلاق حتى ولو ورد الف مرة فى « البخاري » « ومسلم » وكل كتب الصحاح » .

ج : اظن أن نعم . لقد قرات عدة كتب فى الموضوع مثل : الكتاب المقدس ، التواريخ العامة للدين وتآليف رينان (2) وليون دنيس (3) والاب المبجل عبد الجليل(4) وافهم المسيحية حق الفهم ، ولي فكرة صحيحة عنها . ان المسيحيين يساوون بين الاشخاص الثلاثة الذين يكونون « الثالوث » 1) الاب (الله) 2) الابن (عيسى) 3) الروح المقدس . وهذا الشخص الاخير مبهم وغير معرف كما يجب حتى فى الموسوعات المسيحيه نفسها .

اما فى القرآن فان الروح المقدس هو الملك جبريل، وهو فى مرتبة اعلى من مرتبة الانبياء كلهم ومن الملائكة اجمعين ، الا انه خادم متواضع لله تعالى الذى خلقه .

س : حسب المفهوم المسيحي توجد ذاتية ربانية واحدة مع فرق فى الاقانيم الالاهية . وهذا ، فى الحقيقة، شيء غامض لا يفهمه الانسان ، أي الاه واحد مكون من ثلاثة أشخاص ، لكل منهم نفس الذاتية ونفس الالوهية.

ج : أما نحن فلنا ذاتية الاهية واحدة فى شخص واحد لا يشبه أى مخلوق من مخلوقاته . أما قولكم : « الله خلق الانسان على صورته » فالاسلام لا يعترف بهذا القول أبدا . قال تعالى : « ليس كمثله شيء » (الشورى 10) . والالاه عندنا رفيع المقام جدا ومتعال جدا عن كل مقارنة انسانية أو دنيوية . وفى الحقيقة نعتبر أن ذاتية النبي (ص) يستهان بها أمام ذاتية الله تعالى . ولا يتطرق الشك الى اذهاننا فى كون المسيحية الاصلية كانت تجهل كليا تاليه عيسى والتثليث . (5) اللذين استوردا من الهند . وهذه المسيحية الاصلية بقيت على قيد الحياة فى ما يسمى بـ « بدعة آريوس » (6) التي حكمت عليها الكنيسة بالكفر. ولهذا فالتوحيد المطلق الذى لا يقبل التساهل هو الاسلام الذى لا يوافق لا مع عبادة الاوثان ولا مع الشرك ولا حتى مع الغموض . وهذا التوحيد الذي يتنافى مع كل واسطة يعطى للانسان تكريما وتشريفا أكثر فتكثر مسؤولياته ويتوقد ضميره .

س : اظن أنكم عرضتم القيم الاسلامية بما فيه الكفاية . وتعلمون اننا نجد الامم الاسلامية متأخرة عن الركب الحضاري ، ويمكن أن يكون مرد ذلك الى الانحطاط الذي تحدثم عنه . وهذا يضع مشاكل متعددة والان — بادىء ذي بدء — أود أن أعرف رأيكم الخاص فى العلاقات بين الدين والعلم ؟

ج : انهما متكاملان . يتمم أحدهما الاخر ، والدين الاسلامى هو الذي دفع العقل الى البحث ، والله هو الذى خلق الكون . والوازع الدينى والعظمة الالاهية

---

2) ارنيست رينان Renan Ernest (1823 — 1892) مفكر فرنسى مشهور ، ولد فى قرية ترجيي Tréguier الواقعة فى شمال فرنسا . كان اديبا ومؤرخا ومفسرا . وتفسيره للانجيل يكتسى صبغة علمية . لذى فهو يشبه الى حد ما الطنطاوى صاحب تفسير الجواهر للقرآن الكريم . له عدة مؤلفات من جملتها : مستقبل العلم L'Avenir de la Science ذكريات الطفوله Les Souvenirs d'enfance الكوارث الفلسفيه Les Drames philosophiques: ولعل السيد المسجوب (بالفتح) يقصد اطلاعه على الكتب الاتية : أصول المسيحية Les Origines du Christianisme أصول التاريخ الاسرائلى Origines de l'Histoire d'Israel

3) ليون دنيس : Léon Denis اول اسقف براس الطقوس الدينية فى كنيسة باريز فى القرن الثالث الميلادي . ولا زال رجال الدين المسيحى يحتفلون بموسمه فى اليوم التاسع من أكتوبر كل سنة .(المترجم

4) السيد ابن عبد الجليل هو مغربى من عائلة محترمة بمدينة فاس . كان قد تنصر فى بداية الاحتلال الفرنسى بالمغرب ، ولكنه عاد الى الاسلام دينه ودين اجداده فى بداية الاستقلال .

5) هذا المفهوم يعد من المفاهيم الاساسية التى نختلف فيها مع المسيحيين . (المترجم)

6) آريوس Arius : من مواليد الاسكندرية (336 — 280) . كان أسقفا لكنيسة الاسكندرية . وكان البابا يعتبره ملحدا . لانه — فى سنة 323 — ادخل تغيرات جوهرية على المسيحية الكلاسيكية حيث انه رفض مبدأ التثليث . وكان يقول بأن « الكلمة »جاءت من العدم . وأنها فى مرتبة أدنى بكثير من علياء الله تعالى . وكان يعتبر أن المسيح نبى كامل ، ولكنه كان يرفض تاليهه فسخطت عليه الكنيسة الفاتيكانية وارادت أن تحاكمه فى اجتماع عقد سنة325 م بمدينة نيقية (Nicée) بآسيا ، ولكن أباطرة القسطنطينية مثل Constance و Valens. دافعوا عنه دفاعا مستميتا ، فاكتفت المحكمة الكنيسية بالسخط عليه ، ولكن « بدعته » بقيت تصارع المسيحية حتى سنة 381 م حيث سددت لها محكمة القسطنطينية الضربة القاضية . (المترجم)

رئيس جمعية القيم يتحدث :

تعريب الأستاذ محمد البواب المصمودي

-2- ❊

ومن جهة أخرى فان القرآن الكريم يحرم علينا أن نقدس محمدا (ص) أكثر من ابراهيم وموسى وعيسى وباقي الانبياء . وحتى المسلمون الذين يبالغون في التطرف فيفضلون نبينا (ص) على باقي الانبيـــاء ، فانهـــم لا يذهبون الى حد اعتباره مشاركا ، بصفة أو بأخرى . في الطبيعة الربانية .

ان النبي ـــ عندنا ـــ بشر مثل البشر ، يذهب الى السوق ويتاجر ويرقع ثيابه . يأكل ويتزوج ، يحب ويتألم مثل باقي البشر . قال تعالى : « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق . لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا . » (سوره الفرقان 7) . « وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلوا الطعام ويمشون في الاسواق . » (الفرقان 20) . « قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم . لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . » (البقره 136) .

ونفس فكره المساواة بين الانبياء ـــ ومن جملتهم محمد (ص) ـــ توجد في الآيه 82 من نفس السوره .

اما فكرتكم المتعلقة بتجسم الذي يعتبرونه شخصا الاهيا . وفكرة التثليث فاننا مضطرون لرفضهما معا (1)

س : أتسمحون لي بطرح سؤال في هذا الموضوع ؟ كثيرا ما سمعت مسلمين يتحدثون عن الثالوث المقدس ، والفكرة التي لهم عنه بعيدة كل البعد عن مفهومـــه المسيحي . اذ أن المسيحيين موحدون مثل المسلميـــن واليهود ، وأود أن أعرف هل تفهمون التثليث ـــ الذي لا تقبلونه ـــ مثل ما يفهمه المسيحيون أم لا . وأريد أن أعرف من خلال هذا السؤال هل لكم المام بالطريقة التي يفهم بها المسيحيون التثليث ؟

❊ انظر العدد العاشر من مجلة دعوة الحق ـــ السنه الثامنه .

1) فكره التثليث أو الثالوث تعتبر من الاســـــرار المسيحية الغامضة التي يصعب شرحها حتى للمسيحيين أنفسهم وبالاحرى للمسلمين . ورجال الديـــن المسيحي كثيرا ما حاولوا أن يشرحوها ولـــو شرحـــا مبسطا لتقريب فهمها من الجمهور فعبروا عنها بما يلي : « ان الثالوث يحتوي : الاب والابن والروح القدس . الاب خالد ولا حد لكماله وعليائه ، ومن كماله وعليائه « خلق » الابن لانه كلمته . لهذا فالابن خالد مثله . وبين الاب والابن توجد علاقات الحب التي تربطهما معا ، وهاته العلاقات أو الاواصر هي التي تسمى : الروح المقدس . وهي خالدة ايضا .ومجمل الكلام : ان الالاه واحد بالنسبه للبشر . وأحد الثلاثة بالنسبة للثالوث . اي واحد في طبيعته والوهيته ، وأحد الثلاثة بالنسبة لشخصه .
اما السيدة مريم فهي أم المسيح من الناحية الفيزيولوجية والبشرية فقط ، ولهذا فليست لها اية علاقة بالثالوث المقدس . (المترجم) .

عند وقوعه مباشرة ، ولكنه يشاهده عيانا عندما يصل الى النتائج الحتمية .

س : والان ، ما هي نظرية الاسلام حول التقدم ؟

ج : ارجو منكم ان توضحوا سؤالكم أكثر .

س : تعلمون أن فكرة التطور تنتشر في الغرب بصورة مدهشة ، والغرب يبحث باستمرار من أجل تحقيق اختراعات جديدة في الحقل العلمي ، كي ينتفع بها في التطبيقات التقنية المتعددة . وهو يدعو الى فكرة تقدم مادي بلا حدود لانه ضروري ويخلق — في نفس الوقت — احتياجات تدفع الغرب الى السير دائما الى الامام في طريق اكتشافات جريئة أكثر فأكثر . والتقدم يمهد لحياة الانسان حتى تصير هنيئة مرية ، وحتى تصير الثروات موزعة كما ينبغي ... فهذا المفهوم الذي نعطيه للتقدم هل هو مطابق للاسلام أم لا ؟

ج : طبعا نعم ، لكون الاسلام يساعد على التقدم ، ولا يقبل المفهوم فحسب بل يشجعه . والاية 29 من سورة البقرة التي ذكرناها سابقا تذكر أن الله جعل الانسان خليفه في الارض ، فعلى هذا الانسان أن يحقق المشاريع الهامة بحكم طبيعته كممثل لله في الارض، عليه أن يدرس ويشرح كل الظواهر ، ويحاول استكناه كل شيء في سبيل الرفع من مستوى حاله . ولهذا السبب ... مسلموا القرون الاولى حضارة ليست روحانية فحسب بل مادية وتقنية أيضا . ففي المضمار التقني كان المسلمون متقدمين جدا على الغرب .

س : تعلمون أن جميع الدول السائرة في طريق النمو تصبو الى تقدم يضاهي تطور الغرب . والقرآن ينادي بالتنظيم الاجتماعي ، فهل نستطيع أن نأخذ من القرآن مبادىء لهذا التنظيم الاجتماعي تساعده على السير في طريق التقدم ، أم أن هذه التنظيمات هي انسانية محضة عليها أن تعمل ما في مستطاعها لتجابه هذا التقدم ؟

ج : القرآن الكريم يعطي جميع الافكار العامة لجميع المبادىء التي تعبر مجموع الحركات الانسانية ، ولكنه يترك للانسان عناية تطور هذه المبادىء وأخذ النتائج منها . حقيقة أن الفلاسفة والمفتين (الفقهاء) الذين فسروا القرآن ، وبعض قادة الفكر الاسلامي يظنون بأن الانسان المفكر الاخلاقي الحكيم ليس في أشد الحاجة الى الهام الاهي . ففي داخل الانسان أنوار متعددة هي العقل والضمير اللذين يستطيع بهما الانسان الوصول الى كل شيء : كتحسين حالته وابداع كل ما من شأنه أن يرفع مستوى حياته المادية والفكرية والروحية . ولكن من ناحية الرحمة واللطف الربانيين كون الله يعيننا ويزيد الالهام في وسائلنا الطبيعية . ولهذا ، فلا ينبغي لنا أن نبحث في الكتب المنزلة عن وسائل التعاليم العلمية والفلسفية التي تؤلف هيكل المظهر المادي لحضارتنا . والقرآن الكريم يحتوي توجيهات عامة أساسية للفت نظر الانسان وتوجيهه نحو تأمل الظواهر الطبيعية . فالقرآن تأليف روحاني وثقافي وسياسي واقتصادي واجتماعي لا يقتصر على علم اللاهوت والعبادة والطقوس الدينية والاحوال الشخصية ومشكلة وجود الله تعالى تحت الانسان نحو استقصاء مستفيض في المجال النفسي والفضائي والمواصلات اللاسلكية والوجدانيات قال تعالى : « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ويحي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة، ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ، ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ، ان في ذلك لايات لقوم يسمعون ، ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ، ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ، ومن آياته أن تقوم السماء والارض بامره ، ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون» (سورة الروم : 18 — 24) .

وقال ايضا : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء . » (سورة فاطر : 27 — 28) .

وقال أيضا : « فلينظر الانسان مما خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، انه على رجعه لقادر ... » (سورة الطارق : 5 — 8) .

وقال أيضا : « وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون . » (سورة الذاريات : 19 — 21)

وقال ايضا : « أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها . » (سورة الروم : 8) .

يدفعان الانسان الى درس الظواهر الطبيعية . وعند ما يخترع اكتشافا جديدا فذلك مدعاة الى عبادة الله تعالى مره اخرى . والرسول عليه السلام كان يستحسن من المرء أن يدرس ويكتشف أحسن من أن يقضي حياته في الصلاة .

س : حسب فكرة النبي هذه ، ما المقصود من دراسة العلم ، هل مفهومه العصري الحديث أو الفقه أي علم اللاهوت ؟

ح : ان المؤرخين الغربيين يتخيلون أن العلم عند المسلمين هو ديني دائما . وهذا غلط . ولو كان هذا التخيل صحيحا . فكيف تأتى للمسلمين اختراعات وابحاث مدهشة في ميادين الكيمياء والطب ... الخ . فكيف نستطيع — يا ترى — أن نفسر تعاطي العرب الى العلوم الدنيوية التي حققوا فيها تقدما هاما ! فدراسة العلم عند المسلمين تتمم دراسة الدين .

س : يقال أحيانا أن المسلمين يومنون بالله كسبب رئيسي ، ولكنهم لا يقبلون الاسباب الثانوية الخاصة بالحوادث البشرية . والى هذا يرد القدر الجبري في الاسلام ، والى هذا أيضا ، يرجع سبب الانحطاط ، فما موقفكم من هذا الزعم ؟

ح : أنا شخصيا . لا يعتريني الشك ابدا في أن كل شيء يأتي من الله . وأن الله تعالى لا يوافق على شيء في ملكه حتى يستحسنه . والبشر لا يطلع الا على ما أراد الله أن يطلعهم عليه . وهذا سيدفعكم الى القول أنه بما ان كل شيء يأتي من الله فليست هناك أسباب ثانوية . وهذا ليس صحيحا . حيث أشار القرآن الكريم الى وجوب اعتبار المجهود الانساني . وأن من اللازم على المسلم أن يبذل المجهودات المستطاعة قبل ان يقول : انا لله وانا اليه راجعون. ولالقاء أضواء ساطعة على فكرتي هذه. اليك مثالا من التاريخ الدنيوي : بعد معركة تنانبيرغ (7) Tannenberg سئل المارشال Von Hindenburg (8) عن ارتساماته الخاصة حول الانتصار الذي أحرزه فأجاب : « ان المانيا هيأت هذه الحرب بكل تفاصيلها الجزئية الدقيقة ، وقد فكرنا في كل شيء ونظرنا الى عواقبه . قبل وقوعه . ولكن الله تعالى أعطانا البدايات فقد احتفظ بالنهاية . »

لدى . فعلى المسلم ان يعمل مجهوده ، وينظر في العواقب . ويحاول اكتشاف وسبر أغوار كل شيء . عليه ان يعمل ، كأن الله لا يتدخل مطلقا ، ولكن عليه أن يعرف في نفس الوقت أن عمله هذا لا يدخل الا في نطاق القدرة البشرية . وأن هناك قوة أخرى تتعدى هذه القدرة التي لا يستطيع تجاوزها .

س : لهذا ، فأنتم تقبلون الاسباب الثانوية في العلوم ، وأن الحوادث مرتبطة بعضها الاخر ؟

ح : ليس في هذا شك ، حيث أنه اذا لم تكن الحوادث مرتبطة فسوف لا يكون هناك علم ولا تقدم علمي .

س : هذا المفهوم الذي تشرحونه الان، هل هو عام في الاسلام ؟ واذا كان كذلك ، فكيف نشأت فكرة القضاء والقدر التي تعزو كل شيء الى الله ؟

ح : ان هذه الفكرة الخاطئة وهذا الاتكال مردهما الى الكسل الانساني . وهذا الكسل ليس خاصا بالعرب وحدهم . بل نجد عند الفرنسيين والصينيين واليابانيين ايضا . فالانحطاط ناتج من الانسان اما القواعد الربانية فهي ثابتة ان شرف روما دفع الرومانيين الى التضحية بأنفسهم في سبيل وطنهم فحققوا المعجزات التي لم تكن في الحسبان ، ولكن عند ما تراخى الروماني بعد النجاح الذي سبب البذخ والترف والكسل ... بدأ الانحطاط . وبديهي أن الانسان لا يشعر بالانحطاط

---

7) تنانبيرغ Tannenberg اسم لقرية تقع في بروسيا الشرقية وقعت فيها معركتان شهيرتان : 1 — في سنه 1128 م حيث رجع فريق من الجنود الالمان الذين شاركوا في الحروب الصليبية ببيت المقدس فاستقروا في هذه القرية واتخذوها كقاعدة لنشر الثقافة الجرمانية في بروسيا . ولكنهم انهزموا في حرب تعرف بهذا الاسم ، قام بها السكان الاصليون سنة 1410 م . ب) في شهر غشت من سنة 1914 كتب لهذه القرية نفسها أن تشاهد معركة أخرى انتصر فيها الالمان على الروس . ومن المؤكد أن السيد المستجوب (بالفتح) يقصد المعركة الثانية . (المترجم)

8) المارشال فون هندنبيرغ Von Hindenburg هو الماني الجنسية ، ولد في مدينة بوزن Posen (1847 — 1934) انتصر على الروس في معركة Tannenberg سنة 1914 . واثناء الحرب العظمى قلدته الحكومة الالمانية منصب القائد العام للقوات الالمانية . وفي سنة 1925 أصبح رئيسا لمجلس الريخ الالماني (المترجم)

الى هذا العمل للابقاء على الحياة . ولهذا يجب التفريق بين اللص الذي يسرق للمحافظة على وجوده وبين الذي يسرق لجمع الثروات وتكديسها أو ليتملص من الكد والاجهاد لانه لا يريد أن يعمل ، فهذا الاخير يستهل اقسى عقوبة مهما بلغت قساوتها . وقد شاهد أحد اصدقائي في مراكش رجلا خطف رغيفا من دكان وبدأ يلتهمه أثناء هروبه ، وقد القى عليه القبض وسيق الى السجن ولكنه أحد من الم الجوع ولو موقتا . ذلك الجوع الذي كان ينهش بطنه (9) فلو كان الخليفه الثاني عمر حيا لما جعله في السجن .

س : بعد قليل تحدثم عن الآيات المتشابهات وغير المتشابهات . ألا تعتقدون أن هذه الآيات المتشابهات قابلة للتطور والتغير أما الاخرى التي تحتضن المبادىء الاساسية فيجب أن تبقى ثابتة ولا تتغير ؟ (10) .

ج : اذا كان الله تعالى قد نزل هذه الآيات المتشابهات فلانه يرى فيها مصلحه هامه . ولان هذه الآيات المتشابهات مهمتها تغذيه الضمير . لان الضمير يتراخى اذا لم يكن هناك وازع ديني ولا مجهود انساني . فهذه الايات تذكر الانسان بضروريه القيام بالعمل الجدى لمرضاة الله تعالى . ثم لان الله تعالى لا ينزل ابدا شيئا لا فائدة فيه .

س : لقد قلتم سلفا أن الانسان لم يكن في حاجة الى وحي، لان له عقلا وضميرا ، ألا نستطيع أن نقول انه بمفعول الثقافة والتربية تتحرر الشعوب وتصير في حل من الرجوع الى ما هو منزل ؟

ج : هذا شيء يدهشني . لقد غاب عنكم ايضا أن الله يعلم الحاضر والماضي والمستقبل . ويعرف معرفه جيده المخلوقات التي أبدعها . فاذا كان قد أنزل الكتب المقدسه فلكونه اعتبر ويعتبر ان البشر في حاجة دائمه اليها . وابان التنزيل كان المثقفون يكونون اقلية ضئيله . واذا كان التعليم قد قطع أشواطا بعيدة المدى في وقتنا الحاضر . فان ثقافة الاغلبية الساحقة من الناس يجب مراجعة النظر فيها أو اعادتها . ففي مجال الاخلاق (التي تكفل العدالة والاخوة) أرى أن ثقافة بدائية معززه بتربية دينية صحيحة تؤدى خدمات جلى الى الانسانية أكثر من التي تؤديها ثقافة عالية جامعية تتجه خاصة نحو المكاسب المادية وحب الشهرة والنفوذ .

س : ألا يتطرق الى اذهاننا شك في أن بعض الذين يدرسون الكتب المنزلة يدرسونها لحاجة في نفوسهم ألا وهي التحكم في مصير الجماهير ؟

ج : هذه أشياء حقيقية بالنسبه لبعض المؤسسات الدينية كالكنائس مثلا . أما الاسلام فلا اثر الكنيسة فيه، ولا يمكن لاحد مهما كان أن يقول لنا : « أنا الذي أمثل الدين لانني قاض أو مفتي أو امام » . ومن جهه أخرى فانني ضد «موضة» تعميم الملابس المتشابهة على «رجال الدين » . ولا أدري لماذا لا يرتدون ملابس عادية مثلكم ومثلي . فانا شخصيا أفضل دائما ثيابي العادية . أما الزهد والتصوف فقد أنشأ فينا أخيرا ما يشبه كنيسة مسلمه . وهذا الحاد وبدعه ضد معنى القرآن ونصه. ويكفينا أن نعيد الى الذاكرة أن الاستعمار وجد في الزوايات والمزارات والاضرحه عضده الايمن ، لان الاقطاعيين يتفاهمون فيما بينهم ! حيث انه في ابان الاستعمار كان « رجال الطوائف » يستغلون الجاهلين والمعدمين السذج . « وجمعية العلماء » قدمت خدمات جلى للجزائر والاسلام عند ما حاربت هذه البدع التي ما انزل الله بها من سلطان .

س : والآن لننتقل الى سؤال آخر ، ما هي ايديولوجية القرآن ازاء المرأة ، هل هي متساوية مع الرجل ؟

ج : للنساء نفس الحقوق والواجبات التى للرجل، لكن طبيعة حال المرأه تجعلها غير متساوية تماما مع الرجل . وسيقولون لي بأن بعض النساء شغلن أو يشغلن نفس الوظائف التي يشغلها الرجل كبلقيس ملكة

---

(9) رغم تشككي في قصة هذه الحادثة فانني أدرجها وفاء للامانة العلمية (المترجم) .

(10) هذا السؤال والسؤال الذي يليه لم يلقهما السيد Paul Buttin مدير المجلة الفرنسيه Confluent وانما الذي القاهما هو السيد النجباني الذي كان حاضرا أثناء الاستجواب .
والسيد النجباني من علماء الجزائر الفطاحل يشغل منصب عميد كلية الآداب في الجامعة الجزائرية زيادة على عضويته في الهيئة التحريرية للمجلة الفرنسية المذكورة . (المترجم)

وقال أيضا : « خلق السماوات والارض بالحق ، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل . وسخر الشمس والقمر ، كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار . خلقكم من نفس واحدة . ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج . يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق ، في ظلمات ثلاث . ذالكم الله ربكم . له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون .» (سورة الزمر : 4 — 6) .

وقال أيضا : « واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات . » (المجادلة : 11)

وقال أيضا : « شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط . » (سورة آل عمران : 17)

وقال أيضا : « وقل رب زدني علما . » (سورة طه : 114) .

وقال أيضا : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » (سورة النمل 64) .

والقرآن الكريم يأمر الانسان أن يكون دائما حذرا من المغريات والظنون والاوهام . ويدعوه الى التأمل والتبصر دائما . قال تعالى : « ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » (سورة الانعام : 117) .

وقال أيضا : « وما يتبع أكثرهم الا ظنا ، ان الظن لايغني من الحق شيئا . » (سورة يونس : 36)

وقال أيضا : « ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون . »

واخيرا هذه الآية الهامة التي تدعو الى التأمل الطويل والبحث الدقيق والتجربة والنقد حيث يقول سبحانه وتعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسؤولا .» (سورة الاسراء : 36) .

س : توجد في القرآن الكريم مجموعة من المبادىء والقوانين الاجتماعية ، فهل أنزل الله هذه القوانين لتبقى سارية المفعول على مر الدهور والاعوام ، أو أنزلها لسد حاجة اجتماعية مؤقتة مست اليها الضرورة في ظرف خاص ، فهل يمكن تغيير هذه القوانين لتتكيف مع الركب الانساني التطوري ؟

ج : يوجد عدد لا بأس به من « المسلمين » الذين يصرون على ضرورة وجوب مراجعة النظر في بعض تعاليم القرآن وأحكامه التي « لا » تساير العصر الذي نعيش فيه . ويزعمون بأن هذه التعاليم اذا كانت صالحة لعصر ما فهي غير ملائمة لهذا العصر . ويظهر لي أن هذه النظرية غير مقبولة أبدا . وأرد على أصحابها قائلا : « اذا كنتم مسلمين فهل تؤمنون بان القرآن من تأليف النبي أي من انشاء بشري ، أم هو كتاب منزل من عند الله تبارك وتعالى ؟ فاذا كنتم تعتقدون أنه من وحي الله تعالى ، وأن النبي (ص) لم يزد شيئا على املائه وشرحه ، وأن عظمة الله تعالى وعلمه لا يفرقان بين الماضي والحاضر والمستقبل . فكل ما امرنا به الله يجب أن يخلد سرمديا لان الله عز وجل يعلم مصالحنا أكثر مما نعلمها نحن ، وهو يعلم الغيب ، ويتنبأ بالمستقبل وأنه كان يعرف في عهد النبي (ص) ما سيقع في القرن العشرين . كما أنه لا يخفى عليه ما سيقع في القرن المائة . خذوا مثالا من العقوبات التي يجب تطبيقها على الزاني والنمام ومدمن الخمر والسارق : عقاب شديد رادع بشهده الجمهور ، وهو مائة جلدة للاول وثمانون للثاني ، ومن أربعين الى ثمانين للثالث (حسب الظروف) واخيرا الرابع الذي يجب قطع يده . فهذا القصاص ثابت وخالد لا يبطل أبدا . وقطع اليد للسارق شيء يصدم الغربيين . ولهذا فلا يجب النظر فقط الى القساوة في حد ذاتها ، المتجسمة في قطع عضو من الاعضاء ، بل يجب مراعاة النتائج التي سيسفر عنها هذا العمل . حيث أن اللص الذي يعلم علم اليقين أن يده ستقطع اذا ما هو سرق ، فسوف يفقد الشجاعة الكافية للقيام بهذا العمل الاجرامي . وتعلمون أنه يوجد موظفون كبار يستغلون مناصبهم العالية لسرق الملايين . فهل تظنون أن الخوف من السجن سيوقفهم عند حدهم ؟ انا أؤكد لكم أن هؤلاء الموظفين الكبار لو علموا أنهم سيجازفون بقطع يدهم لترددوا وخافوا وتراجعوا .

س : تعترفون بأن بعض المسلمين يفكرون في أن القوانين الاجتماعية الاسلامية — واترك جانبا القرآن الموحى — يمكن تطويرها ، ألا توجد في الاسلام مدرستان حول هذا الموضوع ؟

ج : لا أظن هذا مطلقا ، لان المفسرين أكدوا أن القوانين ثابتة ، أما التنفيذ فهو قابل للتعديل . لنأخذ مثلا الخليفة عمر بن الخطاب (ض) الذي يرى أنه لا يجب قطع يد السارق في وقت القحط والجذب . لان الذي يسرق ابان المجاعة ، يفعل ذلك كي يأكل . وهو مدفوع

وقال ايضا : « لا جناح عليكم ان طلقتموا النساء ما لم نمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين . وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح ، وأن تعفو أقرب للتقوى، ولا تنسوا الفضل بينكم . ان الله بما تعملون بصير . » (البقرة : 336 — 337) .

وقال ايضا : « وللمطلقات متاع بالمعروف . حقا على المتقين . » (سورة البقرة : 241) .

وقال ايضا : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن . » (سورة النساء : 32)

س : لي سؤال أخير وهو : كيف تفهمون العلاقات بين الاسلام والمسيحية لا فيما يخص النقط الرئيسية التي طرقتموها فى مقدمة الاستجواب فحسب ، ولكن فيما يتعلق بموضوع نفسانية التفاضل . وبديهي أنه يوجد بين ديننا وجهات نظر مشتركة متعددة . وسأقتصر على المجال الديني تاركا مجالات العلاقة السياسية بين الشرق والغرب . فكيف تفهمون هذه العلاقات التيجب أن تكون بين الاسلام والمسيحية ؟ ولا يخفى عليكم أن مجمع الفاتيكان يعمل جاهدا للتوصل الى وحدة بين الكاثوليكيين والبروتستانيين والارتوذوكسيين (17) ، وهناك اقتراح يستهدف انشاء سكرتيرية لا تهتم باتحاد المسيحيين فحسب ولكنها ترمي الى تحسين العلاقات بين المسيحية والديانات الاخرى وفى مقدمتها الاسلام . فهل تتقبلون قبولا حسنا فكرة انشاءهذه الكتابة الدائمة؟ وهل توافقون على المشاركة فى حوار مع المسيحية ؟

ج : من الان أستطيع أن أجيبكم اجابة عامة : ان الاسلام يعتبر أن هناك هوة سحيقة جدا بينه وبين الشعوب الكافره والملحدة . ولكن الامر يختلف بالنسبة للمسيحيين واليهود لان لهما — وبالاخص اليهود — مفاهيم قريبة من الاسلام . لان أصلنا الروحي واحد حيث اننا ننتمي جميعا لابراهيم عليه السلام . فاذا ما قبلنا ما يقوله « العهد القديم » نجد فيه أن المسيحيين يعتبرون انفسهم خلفا لليهود . أما نحن المسلمين ، فاننا نعتبر انفسنا سائرين على نهج اليهود والمسيحيين الاول والديانات الاخرى التي تقدمت هاتين الديانتين، فالاسلام لا ينتمي خاصة للنبي محمد (ص) لانه الديانة التي أوحى بها الله تعالى الى الانبياء كادريس (الذي تسمونه Enoch, Hermès) ونوح اللذين تقدما ابراهيم عليه السلام . قال تعالى :

« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ، وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس . » (سورة الحج : 76)

ان المسلمين يحترمون كل ما جاء فى العهدين القديم والجديد الاصليين، اللهم الا فيما يخصتأليه عيسى والثالوث المقدس المذكور فى الاناجيل الاربعة وكذلك

---

17) انقسمت الكنيسة المسيحية على نفسها عدة مرات عبر التاريخ لعوامل متعددة . فتكونت طوائف متعددة منها :

ا — الكاثوليكيون : وهم المسيحيون الاصليون الذين « يسيرون » على هدي المسيح ويحترمون سلطة البابا خليفة المسيح فى الارض ، ويتبعونه فى شكليات الطقوس الدينية وكيفية المراسيم الخاصة بحفلات التعميد والعقيقة والزواج والمآتم .

ب — البروتستانيون : هم المسيحيون الذين انفصلوا عن الكنيسة ايام « الاصلاح « La Réforme » تحت تأثير دعاة مشهورين مثل : Luther, Calvin وغيرهما ممن ثاروا ضد البابا فى قضية « صكوك الغفران» المشهورة . ينتشرونفى المانيا وسويسرا والنرويج والدانمارك واميركا الشمالية .

ج — الاردتودوكسيون : أو المسيحيون الشرقيون البيزنطيون ، انفصلوا عن الكنيسة الكاثوليكية سنة 1054 م تحت زعامة بطريق القسطنطينية ميخائيل كارولاريوس . وكنائسهم مستقلة تماما عن سلطة البابا . ويوجدون بكثرة فى مختلف بلدان الشرق الادنى وبلاد البلقان واليونان والاتحاد السوفياتي . (المترجم)

سبا (11) وزنوبيا تدمر (12) وفكتوريا انجلترا (13) وكاترينا روسيا (14) والسيدة كوري (15) وسيمون دي بوفوار (16) ، ولكنهن شواذ يؤكدن القاعدة . فلو كانت المراة تساوي الرجل حقيقة فى كل المسائل لحققت، هي نفسها ، هذه المساواة منذ أبد بعيد بالرغم من أنف الرجل ودون أن تطلب معونته . اما عند الله ، فالمراة متساوية مع الرجل فى الاحكام . ولكن توجد بينها وبين الرجل بعض الفروق الطبيعية التي تجعلها فى مرتبة أدنى مرتبة الرجل ، وهذه الفروق الطبيعية ناتجة عن الفروق العقلية والنفسية التى خص الله بها كلا منهما . وهذا ما يفسر كون الله تعالى يعطي المسؤولية للرجل دون المرأة حيث لم تكن أية نبية من النساء ولو مريم التي يعتبرها القرآن اطهر امرأة عرفتها البشرية ، فعقلية المرأة لا تسمح لها باعطاء الدروس للرجل . ومن ناحية البنية الفيزيولوجية والبيولوجية لدماغ الرجل ، نرى أن له تكوينا أعلى مما هو عليه دماغ المرأة . ولست انا الذي أزعم هذا القول ، فالعلماء غير المسلمين هم الذين يؤيدون هذه الفكرة . وطبيعي أن هذه الفروق لا تمس لا بالحقوق ولا بالواجبات التي للمرأة وعليها . قال تعالى « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة . » (سورة البقرة : 228) .

وقال أيضا : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم . » (النساء : 34)

وقال أيضا : « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ، وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن واتمروا بينكم بمعروف (الطلاق :6)

وقال أيضا : « يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا . » (الاحزاب 49) .

وقال أيضا : « واذا طلقتموا النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزؤا واذكروا نعمة الله عليكم ، وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به .» (سورة البقرة : 230)

وقال أيضا : « وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا ، أتاخذونه بهتانا واثما مبينا . » (سورة النساء : 20)

---

11) بلقيس اسم لملكة مشهورة كانت تحكم سبا، وكانت تعاصر النبي سليمان ، وقصتها مع هذا النبى مذكوره فى القرآن والكتب المنزلة الاخرى مع بعض الاختلاف . (المترجم) .

12) زنوبيا تدمر Zenobie de Palmyre كانت زوجة للملك العربي أودنيات الذى كان يحكم تدمر (سوريا) . وفى سنة 267 م اغتالت زوجها واستولت على الحكم ، وقد تحسنت الاوضاع فى عهدها حتى صارت تدمر عاصمة للشرق فى تلك الفترة . لكن فى سنة 273 م هجم على تدمر الامبراطور الرومانى أوريليان Aurélien فاعتقل هذه الملكة التى بقيت فى سجن روما حتى وافاها الاجل . (المترجم)

13) الملكة فيكتوريا (1819 — 1901) ازدادت فى لندن ، وتتوجت سنة 1837 وسنها 18 سنة . قامت بأعمال جليلة لم ينسها التاريخ كعملها الهام من اجل التقارب الانجليزى الفرنسى ، وشهدت احتلال الهند ، حيث نودي بها امبراطورة على هذه البلاد سنة 1876 . ولكن فى آخر حياتها شهدت الهزيمة فى افريقيا فى مقاطعة Transvaal التي كان الهولانديون قد احتلوها سنة 1836 ، وعندما اكتشفوا فيها الذهب هاجر اليها الانجليز فقامت معارك طاحنة ابان هاته الملكة ، دامت مدة سنتين ونصف . وفى سنة 1909 انضمت هذه المقاطعة الى ما يسمى باتحاد جنوب افريقيا . (المترجم)

14) لعل المقصودة هي كاترينا الثانية (1729 — 1896) امبراطورية روسيا الشهيرة التي اخذت الملك بعد موت زوجها بطرس الثالث . واشتهرت بانتصاراتها على الاتراك وبعطفها على رجال العلم حيث كان قصرها مقر الفلاسفة والعلماء والادباء وبالاخص رجال الدين اليسوعيين الذين كانوا مضطهدين ابان حكم زوجها . (المترجم) .

15) هي السيدة ماري سكلودوفسكي (1867 — 1934) ولدت فى فرسوفيا ، وتزوجت بالفيزيائي الفرنسي الشهير بيير كوري فحملت لقبه وتعاونت معه على اختراع الراديوم سنة 1899 (المترجم)

16) كاتبة فرنسية معاصرة مشهورة بتتلمذها على الفيلسوف جان بول سارتر واعتناقها المذهب الوجودي البارز فى كتاباتها . (المترجم)

الطلاق

لا يحتاج الى حكم

للأستاذ:
محمد بن عبد العزيز الدباغ

لقد أثبت علماء التربية والاجتماع أن أساس المجتمع الفاضل لا يتأتى الا بايجاد أسرة فاضلة لان تأثير البيت فى التربية يلعب دورا أساسيا فى تهذيب النفوس وتليين الطباع وتوجيه الفرد توجيها صالحا ولا يتيسر ذلك الا اذا كانت العناية الكبرى موجهة الى تأسيس الاسرة الفاضلة واختيار العناصر التي تتكون منها فان الاطفال عندما يوجدون فى الحياة تتأثر غرائزهم بالمؤثرات التي توجههم بحيث لا يتكيف سلوكهم الا حسب ما يتلقونه ويشاهدونه فهم أسرع الكائنات الحية الى الاستفادة بالتجربة والتقليد ، أعينهم كآلات التقاط ونفوسهم كالمادة الخام تشكل حسب القوالب التي تهيئها الاسرة .

وان أهم وسيلة للتأثير فى تربية الاطفال لا ترجع الى الوعظ والارشاد وانما تأتي عن طريق ممارسة الاعمال الصالحة فاذا استطاع البيت أن يحمل هذه الامانة فهو بيت صالح يؤدي دوره فى المجتمع ويشارك فى بناء الامة بدور فعال أما اذا كان البيت مضطربا لا تسوده الطمأنينة ولا ترسي أركانه حياة استقرار فمعنى ذلك أنه بيت منحرف يضر ولا ينفع ، يؤذي ولا يفيد ، يكون معولا هداما يؤدي الى انحلال المجتمع وتفسخه .

ان الطفل عندما ينشأ فى أسرة ما يتهيأ بكل ما فيه من استعداد طبيعي لتلقي التربية من والديه وممن يعاشرهم من اخوة وخدم .

وأخوف ما يخاف المربون أن يعيش الاطفال فى اضطراب نفسي او فى اهمال خلقي أو فى تشرد وابعاد عن جو الاسرة الصالحة لذلك نجدهم يهتمون كثيرا ببعض المشاكل الاجتماعية التي قد تفضي الى خلل فى السير الطبيعي لنمو المجتمعات ومن بين هاته المشاكل مشكلة الطلاق لما ينتج عنه من ويلات اجتماعية لا نستطيع حصرها .

وقد تعددت الدراسات الفقهية والتربوية للعمل على التخفيف من وقوع الطلاق وما زال المهتمون بهذا الامر الى الان يفكرون فى حلول سليمة قد تختلف باختلاف البيئات وتتنوع بتنوع الاحوال ومن بين الحلول التي ارتآها بعض رجال الفقه التضييق على حرية الرجل فى ايقاع الطلاق فلا يقبل الا بعد رفع أمره الى القاضي الذى يمحص الطلب ويدرسه فاذا رأى الاسباب واهية رفض الطلب واذا رآها معقولة أجازه .

ويرى أصحاب هذا الرأي أن هذه الوسيلة ستكون تخفيفا من وقوع الطلاق وتلافيا لكثير من آثاره السيئة التي تشوه المجتمع وتعوق تقدمه فكثير مما نرى من مظاهر التشرد وسوء التربية لا يأتي الا عن طريق هذا الحق الذى يتصرف فيه الرجل دون تدخل من القضاء ولهذا يجب أن يكون عنصر الحكم اساسيا فى قبول الطلاق أو رفضه . وعلى هذا الرأي بنى المشرع التونسي حكم الطلاق فى المدونة التونسية للاحوال الشخصية .

ولكننا اذا ما حاولنا التعمق فى دراسة هذه المشكلة فاننا قد نرى أن النتائج التي نتوصل اليها عن طريق الحكم فى الطلاق لا تزيد الامر الا تعقيدا . فهذا التضييق يزيد المشكلة وبالا ويرهق المجتمع بكثير من المشاكل الجديدة التي سيكون مفعولها قويا فى تلاشي وحدتنا واضطراب أمرنا . فاذا أردنا حقيقة أن نفكر تفكيرا جديا فى حل هذه المشكلة الكبرى فلنبحث عن أسبابها الاقتصادية والاجتماعية والخلقية أما تحوير الحكم الشرعي الذي يجعل الطلاق لمن يملك الساق

الترجمة السبعينية (18) Septante وما جاء فيها وبالاخص ما يتعلق بالعلاقات المتسافحة التي تزعمون أنها كانت بين النبي لوط عليه السلام وابنتيه وتستدلون على ذلك بسبب ابادة الرجال الذكور بعد تحطيم مدينة سادوم (19) . وكذلك الزعمة المراد بهـــا أن داوود وسليمان ابتعدا من الله فى آخر حياتهما ..

فالقرآن الكريم نزل ليصحح هذه الاغلاط ويفنـــد هذا التزوير والتلفيق والتحريف الذي وقع فى هـــذه النصوص ، وليعود بنا الى ديانة ابراهيم الاصلية .

وأنا مستعد لان أتحدث مع الكفار والملحدين ، ولهذا فاني اقبل عن رضى وطيب خاطر أن اشارك فى حوار بين اليهود والمسيحيين الذين يؤلفون معنا : أهل الكتاب .

ولكننا سوف لا نغتر بالامال الخادعـــة ، لان العلاقات بين الاسلام والمسيحية لا زالت تئن من جراء الحروب الصليبية التي وقعت فى القرون الوسطـى ، وكذلك اخراج العرب من الاندلس وأخيرا احتـــلال الاقطار الاسلامية فى افريقيا وآسيا من طرف الانجليز والفرنسيين والاسبان والهولانديين والايطاليين .

ومن جهة اخرى ، فان الاحتلال التركي لم يترك اثرا حسنا فى بلدان البلقان واوربا الوسطى . وعلاوة على ذلك ، فان الالتزام الاستعماري جعل المستشرقين يحيدون عن الموضوعية العلمية : فاغلبية مؤلفـــات المستشرقين المتخصصين فى الدراسات الاسلامية — التي بين ايدينا أو التي سمعنا عنها — لا تخرج عن اطار التعميمات والاحكام الجازفة المتهورة . ولا زالت كتـب هؤلاء مصطبغة بالخرافات الدينية والاوهام العقيمة .

فمن مصلحة المسيحيين ان يعيدوا النظر ويصححوا بعض النصوص .

أما العملية المعاكسة لهذه فلا مبرر لها . حيث انه يوجد فى الشرق الادنى ملايين العرب المسيحيين ، منذ المسيح يرعون أدبا وفلسفة كلامية عربية فى تمجـيد ديانتهم .

وفى اليوم الذي يمجد فيه اليهود والمسيحيون محمدا (ص) نفس التبجيل والاحترام الذين يكنهما المسلمون لموسى وعيسى عليهما السلام ، فى هذا اليوم سيشرق عهد جديد فى علاقات البشر والشعوب .

« انتهى »

---

18) السبعينية : Septante هى اشهر ترجمة يونانية للتوراة ، لا تزال تستعمل الى اليوم فى الكنائس اليونانية . وهذا الاسم المطلق عليها مشتق من ظروف ترجمتها ، حيث أن اليهود لما التجأوا الى مصر تعلموا اللغة اليونانية التي كانت منتشرة بها آنذاك ، ثم رغبوا فى ترجمة التوراة الى هذه اللـــغة فكلفوا بهذه المهمة اثنين وسبعين مترجما كانوا يعملون تحت ارشاد بطليموس فيلادلفس سنة 283 ق.م فجاءت هذه الترجمة مليئة بالاغلاط والترهات التي ما انزل الله بها من سلطان. رحم الله حافظ ابراهيم اذ يقول فى موضوع شبيه بهذا :

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة   مشكلة الالوان مختلفات .   (المترجم)

19) مدينتى سدوم Sadome و Gomorrhe. مدينتان فلسطينيتان قديمتان ، كانتا تقعان على شاطىء بحر لوط ، يذكر الانجيل أن الله سبحانه وتعالى أمطر عليهما نارا وجحيما بسبب آثام أهلها وخطاياهم . المترجم)

في ارجاع المرأة فليرجعها انما الاساس الاول الـــذي يلزمه الزوج هو عدم قصد الاضرار بها فمن لم يسر وفق شريعة الله فلينتظر العذاب الاوفى ومن امســك المرأة للاعتداء عليها فقد ظلم نفسه . وهذا التهديـــد للنفس المؤمنة بالله بدفع الانسان الى استعمال هذا الحق فيما فيه خير للبلاد والعباد .

وان الحكمة من العدة قد تبطل اذا ماجعلنا الطلاق موقفا على الحكم لان العدة فرصة يمنحها الشرع للرجل ليفكر فيما فعل وهذا هو السر في تطويلها فليس استبراء الرحم وحده العلة في ذلك .

ومن الطبيعي أن الرجل الذي يوقع الطلاق دون حكم قد تكون الاسباب التي أوقع من اجلها الطـــلاق واهية فاذا تأملها كفر عن ذنبه بارجاع الزوجة واعتذر لها وعاشا بعد ذلك عيشة راضية أما اذا لم يقع الطلاق الا بعد الحكم فان كثيرا من الاسرار ستفشى وكثيرا من الابهامات ستخلق وسيؤدى ذلك الى خصومات عائلية بين الاصهار والاختان فاذا وقع الطلاق بعد كل هذا فانه يصعب على الرجل أمام الرأى العام ارجاع زوجة افشى سرها أو أبان عيوبها فسيكون آنذاك الطلاق بالحكـم معطلا للحكمة من التشريع الذى جعل الطلاق بيـــد الزوج والذى وضحنا فوائده فيما تقدم .

ولقد اثبت علم النفس أن الانسان عند زواجه يريد تحقيق ثلاث غرائز (1) اساسية في تكوينه :

الغريزة الجنسية المتمثلة بتحقيق لذته الجسمية .
الغريزة العاطفية التي تتجلى في الحب .

غريزة الحنان التي تتجلى في حب الاولاد والاسرة

ويتضمن هذه الغرائز قوله تعالى : ... ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعـــل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

والزواج السعيد هو الذي يستطيع تحقيق هذه الغرائز الثلاث فاذا ما وقع تنافر بين الزوجين بسبب عدم التوافق في بعض الغرائز فان الرجل قد يستطيـــع التغلب على نفسه فيضبطها ويلهيها بوسائل أخرى وقد لا يستطيع ذلك فلا يكون الحل السليم آنـــذاك الا الطلاق .

وقد أحس الشرع الاسلامي بهذه الحقيقة العلمية قبل أن يثبتها علم النفس لذلك استغلها في تطبيق حـــق الطلاق فاستمال الزوج عن طريق العاطفة حينا وعن طريق الغريزة الجنسية حينا آخر .

قال تعالى : « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيراً » وأما الجانب الجنسي فهو ظاهر في تحريم الطـــلاق في حالتي الحيض والنفاس كان المرأة في هذه الحالة قد تكون مضطربة او قلقة أو بها مرض فلا تستطيع ضبط نفسها فتكثر معارضتها لزوجها فينشأ خلاف يؤدي الى الطلاق وقد يكون الامر يرجع الى ان الشرع يحرم الاتصـــال الجنسي بالمرأة في أيام حيضها لما في ذلك مـــن الاذى فيكون الزوج أو الزوجة في نزوة شهوانية فيؤدي ذلك الى اضطراب يؤدى الى فراق ولهذا أجبر الاسلام الزوج على مراجعة زوجته في هذه الحالة الطارئة كمـــا في حديث ابن عمر لان كثيرا من المشاكل قد تضمحل عند تحقيق بعض الغرائز الجنسية بين الزوج والزوجة .

ان هذه الوسائل الشرعية في الحقيقة تخفف من الطلاق رغم أنها لا تتنافى مع غريزة الانسان وحقيقـــة وجوده .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينشـــر تعاليمه القيمة بين صحابته حفظا على سلامة الاسرة من الانحلال حتى لا يتسرب اليها الشقاق فيؤدى الى الطلاق ومن أقوى تعاليمه قوله صلى الله عليه وسلم كما جاء في صحيح البخارى : « اذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا » هذا الحديث يدل على أن الزوج يجب عليه ما أمكنه أن يبتعد عن بعض الاسباب التي تخلق الاضطراب داخل أسرته .

انه ان سافر وتغيب كثيرا عن زوجه ثم رجع ليلا دون أن يكون لها علم برجوعه فقد تضطرب أو تخاف أو لا تكون مستعدة له أو قد يساورها شك بأن زوجها لم يطرق بابها الا ليختبر عفتها فيكون ذلك سبـــب انكسارها فتفسد العلاقات وقد تكون الحكمة غير ذلك ولكن لا تخرج عن الهدف الاصلاحى الذي يرجوه الشرع من حسن التآلف بين الزوجين .

ومما تقدم نلاحظ أن الغاية من العلاقات الزوجية ايجاد التفاهم بين الزوجين ومعاملة كل طرف للاخـــر بالحسنى وليس في جعل حق الطلاق للرجل أي ضير على المرأة مادام من المفروض ان تراعى حقوقها فاذا اخل الزوج بهاته الحقوق فان الشرع آنذاك أباح للمرأة أن تطالب

---

(1) علم النفس الجنائي علما وعملا للاستاذ محمد فتحي بك . الجزء الاول صفحة 141 .

فأمر تنطوي تحته شرور قد تنسف الاسس التي تنبني عليها الاسرة في الاسلام .

من الواجب على المهتمين بالدراسات الاسلامية أو الدراسات الاجتماعية أن يعرفوا الحكمة الشرعية في جعل الطلاق بيد الزوج .

هذا الحق الذى خوله الله تبارك وتعالى للرجل لم يأت اعتباطا وانما كان لغاية اجتماعية كبرى مرجعها الى التفكير الذي سيوليه الرجل لتنفيذ هذا الحق فهو سيرهقه وسيؤدى به الى خسارات مادية ومعنوية فايقاع الطلاق يكلفه المتعة والنفقة والعمل على ايجاد صداق جديد اذا ما أراد التزوج مرة أخرى زيادة على أن مركزه الاجتماعي يصبح مهددا امام الرأى العام فتخشى كثير من الاسر مصاهرته خوفا من تجديد عمله . ولا ريب أن التفكير فيما سيلحقه قد يجنبه هذا الامر الفظيع ولا يقدم عليه الا اذا رأى أنه السبيل الوحيد لحل مشاكله وازالة ما بينه وبين زوجه من نفور .

ولما اباح الله تبارك وتعالى الطلاق جعله أبغض الحلال اليه ولم يترك للرجل الحرية المطلقة في استعمال هذا الحق في جميع الحالات ومنح للمرأة حقوقا قد تكون من الموانع التى تمنع الزوج من الانسياق الى أهوائه فالحضانة حق للمرأة أو لامها اذا كان هناك مانع ثم تستمر الحضانة في درجات مختلفة ولا تبلغ الى الزوج الا بعد مراحل متعددة ولاشك ان هذا الحق قد يدفع الزوج الى التفكير في مصير ابنائه قبل الطلاق فلا يتجرأ على ايقاعه الا اذا اضطر الى ذلك .

فهناك اذن موانع نفسية واقتصادية وخلقية قد تجعل الزوج لا يتسرع في استغلال الحق الذى خول له ويمكننا أن نطمئن الى هذه الموانع دون أن نرهق الزوج بالرضوخ الى التقاضي في الطلاق فان استمرار الزواج تحت الضغط اضر على المجتمع من الطلاق فكيف نتصور الحياة في بيت بين رجل يطلب الطلاق وينتظر دوره في المحكمة وبين امرأة تعاكس زوجها وتضايقه وقد تستطيع الاضرار به دون أن يستطيع ابانه ؟ ان هذا الانتظار قد يؤدى الى تشريد الاطفال والى العنف المزدوج والى الانتحار أحيانا والى الانفصال الجسدى المضر بالمجتمع خلقيا وتربويا .

واذا كنا نعلم ان هناك أسبابا نفسية أو أسبابا لا يستطيع الزوج اثباتها مع أنه يؤمن بها ايمانا مطلقا لانه لاحظها ورآها فهل نحرمه من حقه لانه لم يرد تلطيخ شرف الاسرة التي كان قد صاهرها أو لانه عجز عن الحجة ؟ نتصور رجلا رأى زوجته بين أحضان رجل يلاعبها وتلاعبه فغضب غضبا شديدا وهاجته غيرته وآثر مفارقة هاته الزوجة الخائنة فعزم على طلاقها فلم يقبل منه ذلك الا اذا ذكر للقاضي السبب والسبب قذف لا حجة له عليه فهو لا يستطيع ذكره وآنذاك لا يمكن اصدار الحكم بالطلاق ويحكم على الزوج باستمرار الحياة الزوجية الغير المرغوب فيها فيؤدي هذا الاكراه الى جرائم مختلفة ما كان أحرانا أن نتجنبها لو تركنا للرجل حقه الطبيعى في اصدار الطلاق دون انتظار الحكم .

ان توقف الطلاق على اصدار حكم كما رأينا لا يمكنه أن يحل المشكل وانما يتسبب في خلق أضرار أخرى

الحلول الصالحة للتخفيف من الطلاق لا تأتى عن طريق القسر وانما تأتى عن طريق الميل النفسى لتحقيق أوامر الله .

فأول ما يجب التفكير فيه تهيىء الزواج الصالح الملائم فاذا استطعنا تحقيق هذا الزواج المرغوب فيه شرعا فان الطلاق الذى يراد به الاضرار بالمرأة أو بالمجتمع يندر وجوده . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تنكح المراة لاربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » وقال : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد « كبير » .

اذن اذا وقع حسن الاختيار وعامل الرجل المرأة بالحسنى وعاملت الزوجة زوجها بمثل ذلك ستقل كثير من المشاكل ولهذا أول ما يجب التفكير فيه لحل المشاكل الاجتماعية اعادة الثقة بالله في نفوس المواطنين والعمل على تربيتهم تربية دينية يوقنون بها بوجود الحساب الاخروى الذى ينال فيه كل ما قدمت يداه .

وقد قرن الله تبارك وتعالى وعده ووعيده دائما بأحكامه ليطمئن الانسان اليها ولتطبق روحها فلايستغلها لمصالحه الذاتية فللرجل مثلا حق الطلاق وحق المراجعة في الطلاق الرجعي ولكن الله عز وجل يقول : « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزؤا واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم » .

ان العدة كما نرى تريث للرجل ليفكر في الطلاق الذي أوقعه فان رأى فيه مصلحة أتمه وان ظن ان الخير

لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب...

بالأستاذ: الراجي التهامي الهاشمي

-4-

القبيلـــة الثالثـة

ـ حميـــــــر ـ

اما القبيلة الثالثة التي استعار منها القرءان الكريم الفاظا، فهي حمير وتاتي كما وصلت اليه في بحثي، في الدرجة الثالثة بعد هذيل وكنانة، اذ تشارك في القرءان الكريم بحصة مهمة بلغ تعدادها 26 لفظة

ولا يعرب عن احد الفرق الكبير الموجود بين لغة حمير هذه ولغة قريش قال الدكتور طه حسين في كتابه (الادب الجاهلي): «ان هناك خلافا قويا بين لغة حمير (وهي العرب العاربة)، ولغة عدنان (وهي العرب المستعربة) وقديما قال العالم اللغوي المشهور ابو عمرو بن العلاء: «ما لسان حمير بلساننا، ولا لغتهم بلغتنا» غير ان مثل هذا البحث، ان كان مجديا، فقد يقودنا الى ابعد مما نريده، وهو من جهة اخرى امر آخر لا يدخل فيما عزمنا على كتابته، ولذا نتركه لغيرنا يخوض فيه اما نحن فلنبحث في القرءان الكريم عن المفردات الحميرية، نحدد مكانها في الكتاب العزيز، ونحاول شرحها جهد المستطاع

1 ـ «سيدا» في قوله تعالى: «فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيئا من الصالحين» الاية 39 من سورة ءال عمران، ومعناها «الحكيم» بلغة حمير

وبما انها ليست قرشية قام اللغويون القدماء، الذين كانوا لا يحبون ان يسمعوا ان مفردة من غير قريش استعملت في القرءان، يبحثون لها عن اوزان في اللغة القريشية الفصيحة وعند ما اعياهم البحث ولم يجدوا مبتغاهم، قالوا كما قال اسماعيل ابن حماد الجوهري في قاموسه الصحاح: «لان تقدير سيد فعيل وهو مثل سري وسراة، ولا نظير لهما» وهو كلام لا يقنعنا لانه لا يفيد شيئا

ولا ادري هل كلمة «السيد» التي تعني المسن من المعز، والتي اوردها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف حين قال: «ثني الضأن خير من السيد من «المعز» اخذت من السيد الحميرية ام لا ولا احب ان اؤول شيئا ما دامت بحوثي في هذا الباب لم تات بطائل بعد

2 ـ لفظة «تفشلا» بسورة ءال عمران الاية 122 ومعناها «تجبنا» والخطاب موجه الى طائفتين من المجاهدين وهما حيان من الانصار الاول بنو سلمة وهم (الخزرج) والثاني بنو الحارثة وهم (من الاوس)، وكانا يملآن جناحي جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يزيد عدده على الف مجاهد وكان من بينهم المنافق عبد الله بن ابي الذي استطاع ان يوسوس في نفس بني سلمة وبني الحارثة، وكاد ان يكرههم في الجهاد في سبيل الله لولا ان عزم الله لهم على الرشد

واخرج الشيخان عن جابر عن عبد الله قال: «فينا نزلت في بني سلمة وبني حارثة (اذ همت طائفتان منكم ان تفشـــــــلا)

3 ـ كلمة «سفاهة» في الاية 66 من سورة الاعراف ومعناها جنون في هذه اللغة والحق سبحانه وتعالى يشرحها اكثر في الاية اللاحقة اذ يقول: «قال يا قوم

بالتطليق فى مسائل ابرزها الفقهاء كالاضرار والعيب والغيبة والايلاء والاعسار بالنفقة وفى النشوز أيضا بعد ارسال الحكمين .

واختلفت آراء الفقهاء فى تعليل هاته الاحكام بل ضيق بعضهم على المراة فى المطالبة بالطلاق حين عجز الرجل على الانفاق فقال ابن حزم ان الاعسار بالنفقة لا يمكن ان نجعله موجبا للتطبيق فاذا عجز الزوج عن الانفاق فلينفق عوضه والده أو ابنه ان كانا غنيين فان لم يوجدا او لميكونا غنيينفلننظرالىحالة الزوجةالمدعيةفاذا كانت غنية انفقت من مالها ولا تطالب زوجها بما انفقت اذا أيسر فان كانت المراة فقيرة اخذت من سهم الفقراء فى بيت المال (1) .

ولا ريب ان راي ابن حزم انما هو حل موقت حتى يبحث الزوج عن عمل يكفيه شر الفقر والعجز والاتكال على الغير وفيه تخفيف من الاسباب الداعية الى الطلاق

وقد عمل بعض المشرعين فى المغرب حين تدوين الاحوال الشخصية على تحجير الزوج فى الحق الذي كان يتصرف فيه بكل حرية فحرموا الطلاق المعلق على فعل شيء أو تركه والطلاق باليمين والحرام وطلاق الغضبان الذي اشتد غضبه وطلاق السكران المتلىء سكرا وطلاق المكره (2) .

وهم فى جل هذه الاحكام يرجعون الى اجتهادات أئمة مسلمين راوا فى تضييق الحق تخفيفا من وقوع الطلاق

ان الاسلام كما لاحظنا لم يكن موقفه سلبيا حين جعل الطلاق بيد الرجل ولم يجعله بيد المراة وحينما جعله لا يتوقف على الحكم فى اصداره الا اذا كانت المراة ترغب فيه فينظر القاضي فى طلبها ويحقق ما فيه مصلحة الاسرة .

ان الطلاق فى الاسلام حق منحه الله للرجل وينتقل هذا الحق الى القضاء اذا طلبت المراة ذلك فى احوال خاصة قد تقدم تحليلها .

وما الحكمة من تشريع الطلاق الا الالتجاء اليه لحفظ كيان الاسرة واصلاح الفرد والمجتمع اذا تعذر ذلك عن طريق زواج قد فشل فى تحقيق مهمته الاجتماعية والانسانية .

فاس **محمد بن عبد العزيز الدباغ**

---

1) المحلى الجزء العاشر عن كتاب ابن حزم للاستاذ محمد ابي زهرة صفحة 462 .

2) المواد 49 — 50 — 51 — 52 من مدونة الاحوال الشخصية المغربية . ثم الرجوع الى الجزء الرابع من كتاب « زاد المعاد » فى هدي خير العباد » لابن القيم الجوزي .

سورة الاسراء ومعناها « يحركون » بلغة حمير ولم ترد هذه المفردة الا في هذه الايـة ، ولهذا ندر جـدا استعمالها في اللغة العربية .

9 ـ « مسطورا » في الاية 58 من سورة الاسـراء ، ومعناها « مكتوبا » بهذه اللغـة وما من شك ان الفعـل المضارع يسطرون في الاية « ن والقلم وما يسطرون . ما انت بنعمة ربك بمجنون » رقم 1 من سورة القلم هو من نفس المادة

ولقد وردت لفظة مسطورا بهذه الصيغة في ءايتين اخريين هما :«والطور وكتاب مسطور في رق منشور » الاية 2 من سورة الطور و « الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا » الاية 6 من سورة الاحزاب

10 ـ « حسبانا » في قوله تعالى : « فعسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء » الايه 40 من سورة الكهف ومعناها بردا بلغه حمير ولعل حسبانا الكائنة في الايـة 96 من سورة الانعام من هذه اللغة ايضا

11 ـ « عتيا » في الاية الكريمة رقم 8 : « قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا » في سورة مريم ومعناها بلغة حمير تحولا وهو فيما ذهب اليـه اكثر الشـراح نهاية السن التـي يقدرها جلهم بمائة وعشرين سنة ، واصل هذه المفردة عند النحاة عتا كغزا فيكون اصلها واوا

واغلبية العلمـاء على ان اصـل « عتيا » عتوا ثم يذهبون في تحويل الواو ياء مذهبا غريبا ، فيقولون ان ضمة التاء انقلبت كسرة (2) ، وهذه الكسرة ادت الى تحويل الواو الاول في عتو ياء ليجانس كسرة التاء ثم تجتمع ياء وواو اخيره فتنقلب هذه الى ياء ثم يقـع الادغـــام

اما محمد بن السري النحوي فيقنن هذا الامر حين يقول : « وفعول اذا كانت جمعا فحقها القلـب ، واذا كانت مصدرا فحقها التصحيح لان الجمع اثقل عندهـم من الواحـــد »

ولذا جاز ، ان يقول القرءان الكريـم في سورة الفرقان الاية 25 : « لقد استكبـروا في انفسهم وعتـوا عتوا كبيرا » لانه مصدر ، وبما انه مفرد اتى صحيحا

وجاز له ان يقول في الاية 21 من سورة الملك : « بل لجو في عتو ونفور »

لكنه قال في الايه «69» من سورة مريم : «ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا » فكان حظه القلب لانه جمعا

هذا من حيث تصريف الكلمة ، واما من حيـــث قراءتها فلا بد من كلمة ولو قصيرة في هذا الباب لانها تبين لنا ان المفردة عندما تكون دخيلة على لغة قريش، غير معروفة عندهم يقع في نطقها خلاف كبير مما يؤكد غرابتها من اللغه القرشيـة يقـول الزمخشـري في كشافه (3) عند شرحه لهذه المفردة : « وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسـر العين وكذلـك صليـا وابن مسعود بفتحهما ، وقرأ ابى ومجاهد عسيا »

ويخيل الي ان الامام الزمخشري،وهو من هو،لم يحقق في هذا الامر كما نعهد ذلك فيه وانا مع ضعفي ، وضالة علمي ، وقصر معرفتي ، لا ارد ، ومـا انا بقادر ان ارد على جار الله ، وهو ما هو في هذا العلم ، وانما احببت ان ابدي للناس ملاحظة ، ظننت ، غفر الله لي ، انها على صـواب ، وليس هـذا طعنا يوجـه الى الامـام ، وما استطاع ان يطعن فيه حتى من كنت اتمنى ان اكون تلميذا له ، وليس هـذا نقصا يمكـن ان يؤخـذ بـه الزمخشري وانما هو سهو ، او لعله على الاصح اغفال مقصود من السيد المؤلف خوفا من التطويل ورفقـا لطيفا بالقراء

اما نحن ، ومهمتنـا الان الحديـث عن الالفاظ الدخيلة على لغة قريش في القرءان الكريم فمطالبون بذكر ـ ولو من حين لحين ، القراءات المختلفة ، واوجه

---

2) ويذكر صاحب الصحاح صفحة 2418 وجها ءاخر لسبب كسر التاء فارجع اليه .
3) الطبعة المصرية سنة 1354 هجرية الجزء 2 صفحة 406 .

ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين » ليس بهذا النبي جنون ولكنه رسول حق وهداية وناصح امين وهذه المادة مذكورة احدى عسره مرة : خمسة في البقرة واحدة في النساء، واحدة في الانعام، ثلاثة في الاعراف، وواحدة في الجن

ولا بد ان ابدي هنا ملاحظة عنت لي ، ارجو الله ان اكون موفقا فيها اعتقد ان اصل هذه الكلمة الحميرية سفه بضم الفاء دون غيره . ومن هنا يكون الفعل لازما لان فعل بالضم لا يكون متعديا ابدا فيقال فيها سفه فلان اي جن

واما سفه بالكسر فيكون اصلها السفه الذي هو ضد الحلم واصله الخفه والحركة ونكون فرسية

والذي يعزز ما ذهبت اليه ما يذكره عرضا اللغويون القدماء في هذه الكلمه فقد اجمعوا كلهم تقريبا على ان : « سفه فلان بالضم سفاها وسفاهة وسفه بالكسر سفها ، لغتان . اي صار سفيها »

4 ـ مفرده « زيلنا » الكائنه في سورة يونس الاية 28 ومعناها ميزنا بلغة حمير وفي القرءان لفظه اخرى من مادتها وهي « تزيلوا » في الايه 25 من سورة الفتح : « لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما »

5 ـ كلمة « مرجوا » في الاية : « قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد ءاباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب » الاية 62 من سورة هود ومعناها بلغة حمير « حقيرا »

واعتقد ان هذه الكلمة صادفت بشكل عرضي غريب اسم المفعول من فعل رجا

والواقع ان سياق الكلمة الكريمة يستقيم بعض الشيء عند ما تعطى لهذه اللفظه المعنى الذي يحمله اسم المفعول من رجا واليه ذهب الزمخشري في كتابه الكشاف (1) ولكنه وهو اللغوي البارع ، لاحظ ان الشرح بقي مغبونا ، فصار ياتي بالتاويلات عله يعطي للاية الشريفه ما تستحق من بيان وتوضيح

وهكذا اتى بثلاث تاويلات لهذه الكلمة : فقال في التاويل الاول ما مؤداه : « كانوا يرون فيه مخايل الخير » وقال في التاويل الثاني : « وكانوا يرجون الانتفاع به ، لكن انقطع رجاؤهم لما نطق بما نطق به » اما التاويل الاول فقد رواه عن ابن عباس الذي فسر مرجوا بـ « فاصلا » و « خيرا » واخيرا اولها بانهم كانوا يرجون ان يدخل في دينهم

لكن تفسير الاية يستقيم تمام الاستقامة بما للفظة من معنى في لغة حمير وعلم ذلك عند الله

6 ـ لفظة « السقاية » الكائنة في الاية 70 من سورة يوسف « فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن موءذن ايتها العير انكم لسارقون » كما جاءت نفس هذه اللفظه في الاية 19 من سورة التوبة ومعناها في لغة حمير الاناء مطلقا لكن الشراح اولوها تاويلات طويلة ، فمنهم من شرحها بمشربة ، ومنهم من قال انها هي صواع الملك الذي تكلم عنه القرءان في الاية 72 من نفس السورة : « قالوا نفقد صواع الملك ، ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم » وقالوا انها هي المكوك الفارسيه

7 ـ لفظتا « حمإ مسنون » وقد وردتا ثلاث مرات في سورة الحجر في الايات 26 ، 28 ، 33 ولم تردا في مكان ءاخر من القرءان . والحما بلغة حمير هو الطين ولعله الطين الاسود ، والمسنون المنتن المتغير

ولقد ذهب الشراح هنا مذاهب مختلفه . كل حسب اجتهاده ، ومداركه اللغويه ، فمن اراد التوسع رجع الى المطولات يجد ضالته

والملاحظ هنا ان اللفظتين لم تردا . في القرءان الكريم ، منفصلتين ابدا وهذا يقوم دليلا قاطعا على ان الحمإ لا يكون الا مسنونا . والمسنون لا يكون الا من حما ، واستعمالهما منفردتين خطأ ، اعتقد ان اللغة العربية لا تسمح به

8 ـ الكلمة « فسينغضون » في الايه « فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون متى هو ؟ » التي رقمها 51 من

---

1) الجزء الثاني صفحة 223 طبعة القاهرة سنة 1354 .

نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

للدكتور تقي الدين الهلالي

-12-

اقوال علماء المذهب الروحي وتجاربهم وشهاداتهم :

اعلموا ايها القراء الطالبون للحق ، البريئون من الغش ، الموفقون للحق ، انني مسلم لا احتج الا بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في العقائد والاحكام والاداب ، ولكن من القواعد المسلمة في علم المناظرة ان ما يعتقده الخصم حجة عليه . وللمخاصم ان يحتج به عليه ، وان لم يعتقده هو ولما سردت طائفة من شبهات الماديين وكررت عليها بالرد والنقض من طريق الماديين انفسهم واغلقت عليهم كل باب حتى سدّ لديهم غير باب ، وانقشع عن المغتر بهم الضباب ، بدا لي ان لا ازيد على ما تقدم من مراوغاتهم وحججهم الواهية ، ومغالطاتهم الواهنة ، لانها ظلمات بعضها فوق بعض ، والاكثار منها يفضي الى الملل ، وبدا لي ان اذكر طائفة من حجج اضدادهم الروحيين من اساطين العلم والمعرفة الذين رسخت في المعارف اقدامهم ، واصمت المخالفين سهامهم ، لتعلم هذه الضفادع التي هي تنقنق ، وتوهم العامة ان جميع الباحثين والفلاسفة والمفكرين في اوربا وامريكا وصلوا الى عين اليقين انه لا شيء وراء المادة ، وان المتدينين انما يتمسكون باوهام وخيالات اكل عليها الدهر وشرب ، ومضى مابها فمن كان منهم يعرف الحقيقة فهو دجال مجرم خائن لوطنه ولابناء شعبه ، ومن كان يجهلها فهو مفتر كذاب عديم المروءة والشرف لا يستحي من نفسه ولا من الناس

قال المحقق الاستاذ محمد فريد وجدي ما نصه : ان من يطلع على ما كتبه بعض علماء المادة في القرن الثامن عشر ومقدمة التاسع عشر يخيل له ان مستقبل الاعتقاد بوجود النفس والاخرة محفوف بالمخاطر ، وانه سيؤول الامر بالناس الى نبذ هاتين العقيدتين والتيقن بان المادة هي مصدر الحياة وموردها ، وان دار الثواب والعقاب ليست الا من موضوعات العقول البشرية وفي الواقع اخذت هذه الفكرة السيئة تنتشر بين الطبقات المثقفة في اوربا انتشارا ادى كثيرا من الكتاب الى المجاهرة بها على رؤوس الاشهاد والمسافهة بها في كل ناد

وكان العلماء المضادون لها من اهل الوجدان السليم ، قاصري الحجة امام اولئك الذين يصرحون بانهم لن يقبلوا نظرية في العلم الا اذا كانت مما تقبل الامتحان باحدى مشاعر الانسان ولا مشاحة في انه لو كان الحال دام على ذلك المنوال لكان الامر آل اليوم الى فشو الالحاد دفعة واحدة ، وطروء اليأس على الافئدة البشرية من الحياة الخالدة ولا يخفى ما كان ينبني عليه من الفساد الخلقي الذي هو ميكروب السل الاجتماعي . ولكن خالق هذا الكون العالم بما سينتهي اليه حال الجمعية البشرية المثقلة من الخلل والخطل من جراء ذلك المذهب المادي ، خلق بازاء هذه الحركة السلطانية عصبة وقف امامها عطاريف المادة حيارى لا يحيرون جوابا ، ولا يرجعون

وعزم من راى تلك العصبة منهم على تطليق مذهب المادة بتاتا واقامة الادلة الحسية لاقرانه بانهم عن الحقيقة ضالون ، وان الروح لها وجود متميز عن الجسم ، وان الاخرة لا شك فيها وما احسن ما كتبه

النطق بالمفردة اذ . من شان ذلك ان يلقي ضوءا على ما نحن بصدد تبيانه للناس . يقول الزمخشري : « (وقرأ) ابن مسعود بفتحهما لكن المشهور هو ان ابن مسعود لم يقراهما بالفتح فقط . وانما قراهما بالكسر ايضا (4) وقال الزمخشري : « وقرا ابي ومجاهد عسيا » لكن ابي بن كعب ومجاهد لم يقرا فقط «عسيا» وانما قراها ايضا عتيا بالكسر (5) كما ان الزمخشري اغفل قراءة ابن عباس الذي قراها ايضا عسيا وعتيا (6)

والغرض من كل هذا ، هو ان نفهم ان نطق هذه المفردة لم يكن بالشيء البسيط . وانما نطق بها كل واحد من القراء حسب مداركه ولعل ذلك عائد الى غرابتهـــــا

12 ــ لفظة « ما رب » في قوله تعالى : « قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها ما رب اخرى » الاية 18 من سورة طه . معناها بلغة حميــــر حاجات وفي هذه الكلمة لغات لا شك انها كلهـا من اصل حميري . وهذه اللغات هي . ارب وارب ومأربة بضم الراء ومأربه بفتحها . واربة وهذه الكلمه الاخيرة هي الوحيدة من هذه اللغات . غير ما رب طبعا ، التي استعملت في القرآن الكريم . في الاية 31 سورة النور في قوله : « او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة » والغالب على الظن ان الكلمه الحميريــة مأرب هي الكلمه الاولى التي دخلت اللغة العربيـــة الفصيحه بدليل وجودها في مثل عربي قديم هو « مأربه لا حفــــاوه »

13 ــ كلمة « غرام » في الاية 65 من سورة الفرقان، ومعناها بهذه اللغة بلاء . وكثيرا ما يشرحها المفسرون بالعذاب الملازم لان الغرام بلاء ملازم. وفي هذا المعنى استعمله الاعشى حين قال :

ان يعاقب يكن غراما وان يعـ
ـــط جزيـــلا فانــه لا يبالـــي

14 ــ لفظـة « الصـرح » في الايـة 44 من سـورة النمل : ومعناها بلغة حمير البيت لكن الشراح يفسرون الكلمه معتمديـن على القرائن لا على اصـل المفردة ، واعتقد انهم على حق ما داموا لم يبتعدوا عن المعنـى الاجمالي الذي قصد اليه الحق سبحانه وهكذا شرحها الامامان جلال الدين محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر السيوطي بقولهما : « هو سطح من زجاج ابيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له ان ساقيها (والكلام عن بلقيـس) وقدميهـا كقدمـي الحمار ويفسرهـا الزمخشري بقوله : « الصـرح : القصـر ، وقيل صحن الدار » وجميع المفسرين على هذا

15 ــ لفظة « انكر » في قوله تعالى : « واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكـر الاصوات لصـوت الحمير » الاية 19 من سورة لقمان ومعناها بلغة حمير اقبح الاصوات

16 ــ مفردة « بعلا » في الاية 125 من سورة الصافات ومعناها بلغة حمير الرب وتجدر الاشارة هنا الى ان بعض الشراح ذكروا اصل هذه المفـردة . ومن بينهـم الزمخشري الذي قال : « البعل الرب بلغة اليمن (7) » ولكنهم يذهبون كلهم تقريبا الى تاويل آخر فيذكرون ان البعل كان علما لصنم من اصنامهم مصنوع من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه . وعينوا له اربعمائة سادن جعلوهم انبياءه . ومما زين لهم ذلك ان الشيطان كان يدخل جوفه ويكلمهم بشريعة الضلالة ويذكرون ان سكان بعلبـك بالشام هـم المعنيون بهـذه الايـات . ويحسن ان انبه الى ان بعلا يوجد بمعنى الرب ايضا في لغة ازد شنوءة

اكادير ــ الراجي التهامي الهاشمي

---

4) انظر كتاب المصاحف للحافظ ابي بكر عبد الله بن ابي داود سليمان ابن الاشعث السجستانـي الـذي حققه المستشـرق (Arthur Jeffery) طبعـة (Leiden E J Brill) 1937 صفحة 58 .

5) نفس المصدر صفحة 144 بالنسبـة لابي بن كعـب وصفحة 280 بالنسبة لمجاهد

6) نفس المصدر صفحة 201 .

7) الكشاف ــ نفس الطبعة السابقـة صفحة 310 من الجزء الثالث

فحصه واعتقد صحته ، وكتب اقراره بغلطه السابق في مجلة (سبرتيوالي مكازين) وكذلك كان حال الدكتور المسهور (جمس جللي)

وقد تألف جمعية في بريطانيا وامريكا تحت رئاسه الاستاذين السهيرين (هبزلوب) عن امريكا والدكتور (هودسن) عن بريطانيا ، فاستمرت هذه الجمعيه في الفحص والبحث نحوا من (12) سنة ، ثم اعلنت اخيرا في سنة 1809 انها قد اقتنعت بصحة تلك المساهدات ، واعتقدت انها فعل ارواح الموتى

وقد وردت في المجله الروحيه بعض من افكار رئيسي هذه الجمعيه نترجم منها ما ياتي : قال الاستاذ (هبزلوب) اوءمل ان انبت بعد مضي سنة للعالم اجمع براهين لا تحتمل سبهة انه يوجد حياه بعد هذه الحياة ثم قال : وقد راءيت بعيني خوارق ومدهشات حقيقية ليست منسوبه للتدليس ولا للوهم

وقال الاستاذ (هودسن) : العالم على وشك روءية حوادث خطيره جدا فاوءمل بعد مضي سنين او اقل ان اهدي للعالم اجمع تفسيرا جديدا لنواميس الحياة الانسانيه . ولهذه الديانة القديمة التي لا يمكن ان تعارضها دين . ولا ان تصادمها طائفه من الطوائف ثم قال : فسيصبح كل سيء للنوع الانساني الذي يئن ويتالم من الشكوك وسيذهب معها الى هنا وهناك ثم قال: واذا كان الاستاذ (هبزلوب) قد اعلن انه تحادث مع ارواح الموتى . فانه لم ينطق الا بحقيقة نقية اه

ولما قابله احد مكاتبي الجرائد وساله عن سبب ايمانه اجابه قائلا : قد ابتدأن ابحاثي انا والاستاذ (هبزلوب) منذ (12) سنه . وكنا ماديين دهريين لا نصدق بشيء مطلقا . ولم يكن لنا الا غرض واحد ، وهو كشف الغش والتدليس ليس الا اما اليوم وما ادراك ما اليوم، فاني اعتقد واجزم بامكان المحادثة مع ارواح الموتى وقد قام لي الدليل على هذا الامر . بحيث لا اتصور ان يتطرق اليه الشك مطلقا

وقد اشاعت بعض الجرائد يوما ان الاستاذ الفلكي السهير (كامل فلامريون) قد ترك ما كان يعتقده في الارواح فقصده مكاتب (الفيكاروا) وحصلت بينهما هذه المحادثة :

الكاتب ــ نهارك سعيد يا حضرة الاستاذ ، ما الذي طراءً ، ولم رفضت مذهبك ؟

الاستاذ ــ اني لدهش من الاشاعات التي ذاعت بشأني منذ ايام ، فاني لم ارفض مذهبي مطلقا

المكاتب ــ اذن هذا الامر كذب محض ؟

الاستاذ ــ يقينا ، فاني ادرس دائما هذه الظواهر الروحية،واني لمعتقد اكثر مما كنت باننا فيغاية الجهل باسرار هذا الوجود ومع هذا فاني مشتغل منذ بضعة سهور بعمل كتاب سيظهر قريبا اسمه (المجهول والمسائل الروحيه) وسأتكلم فيه بالخصوص على ظهور ارواح الموتـــى

ثم انتقل بهم الكلام الى مسائل فلكية فقال الاستاذ (كاميل) : في هذه المناسبه اقول لك : انه توجد مسائل مهمه (يعني الاسبرتزم) يجب ان ندرس ، وهي اولى بالعناية من كل المسائل الفلكيه ، وساستمر على درسها باستقلال وامانه

قال الاستاذ (كروكس) الذي تولى رئاسة الجمعية الملكيه العلمية البريطانيه ، وهذا اللقب وحده يكفي في تعريف قيمته . ويغني عن سائر الالقاب ، قال امام (مئين) من اقرانه في الجمعية في مناسبة الكلام على (الاسبرتزم) : انا لا اقول ، هذا ممكن . بل اقول ، لكم . انه حقيقة موجوده

وقال في كتابه المسمى (الابحاث على الظواهر الروحيه) الذي طبع عشرات المرات : وبما اني متحقق من صحه هذه الظواهر . فمن الجبن الادبي ان اابى السهاده لها بحجة ان كتاباتي قد استهزأ بها المنتقدون وغيرهم ممن لا يعلمون شيئا في هذا الشأن ، ولا يستطيعون لما علقوه من الاوهام ان يحكموا عليها بانفسهم اما انا فسأسرد بغاية الصراحة ما رايته بعيني وحققته بالتجارب المتكررة المدققة

الدكتور الالماني النهير (كارل دوبرل) في مجلة (توكونفت) الالمانية قال : « ان العلوم الطبيعية قد تجارت على نكران خلود النفس ، فعاقبها الله بان حكم عليها بان تكون هي نفسها التي تقيم على ذلك الخلود البرهان الفاطع »

ما هي نلك العقبة التي اصطدم بها مذهب المادة فارتد طرفه خاسئا وهو حسير ؟ هي ظهور طائفة الروحيين الذين يزعمون الاتصال بارواح الموتى ومكالمتهم ، ويعملون بواسطتهم من الخوارق ما لا يصدقه الا من كان على مرأى منهم ومسمع

كاني ببعض القراء من ذوي الافكار الحاده ينكر علي ذلك ويعده من الخرافات التي لا تليق ان تسطر على صفحات الكتب ، اقول مهلا مهلا ، فسترى ان اعضاء هذا المذهب الذين بلغوا الان نحو عشرين مليونا ليسوا الا من رجال العلوم الطبيعية والعقول النقية

قال (جان فينو) : مدير مجلة (المجلات) بعد ان ذكر عدد الروحيين : ولنضف الى هذا صفه اشياع هذا المذهب فهم اما علماء او اساتذة فنيون او اطباء او مهندسون وقال في موضوع اخر : ونحن مع نثائنا على الذين يريدون كشف اسرار المشعوذين منهم لا يجوز ان ننسى انه يوجد بجانب هؤلاء رجال اذكياء من الطبقة الاولى وذوو ذمم طاهرة لا يشك فيها . وكيماويون وطبيعيون وعلماء مثل (كروكس) و (نير) و (ولاس) و (زلنر) و (اوليفييه) و (لودج) و (باريت) و (دومرجان) و (بوتليروف) الخ

ولا يصح ان يفرض ان هؤلاء الرجال يستعملون الغش والتدليس لانجاح الخرافات التي اهبطت كثيرا من العظمة الروحية كما انه من الصعب ان نتهم هؤلاء العلماء بالسذاجة ، فان دقتهم الشديدة في التجارب العلمية اشهر من ان تذكر اه

لما انتشر هذا المذهب بين علماء اوربا تالفت سنة 1869 جمعية من اكابر علماء لندن لفحص هذه الخوارق فحصا دقيقا علميا ، وكانت هذه الجمعية مركبة هكذا : (جون لبك) رئيسا لها و (توما هكسلي) انهر علماء بريطانيا و (لويس) الفسيولوجي الطائر الصيت وكيلان لها ومن اعضائها (الفريد رسل ولاس) و (هونديد دارون) النهير وزميله (مرجان) رئيس الجمعية الرياضية و (فارلي) رئيس مهندسي شركات التلغراف و (جان كوكس) المشترع الفيلسوف و (اكسون) استاذ في كلية اكسفورد الخ

فلما تكونت هذه الجمعية المهمة اشرأب الناس من كل صوب الى معرفة نتائج ابحاثها لعلمهم ان حكمها لا يقبل الاستئناف . فاستمرت في الفحص الدقيق (18) شهرا ، وكانت النتيجة تأكيدها صحة تلك الاعمال ، وكتبت بذلك تقريرا مطولا منه هذه العبارة : ان اللجنة اقتصرت في تقريرها على الاعمال التي شاهدها كل الاعضاء مما كانت محسوسة لمساعرهم ، وكانت صحتها مقترنة بالبرهان القاطع ان اربعة اخماس الاعضاء ابتدأوا البحث ، وهم في اشد درجات الانكار لهذه الاشياء ، ومعتقدون قلبا وقالبا انها ليست الا نتيجة الغش او الوهم ، او بالاقل ، نتيجة العمل الاضطراري للاعصاب ولكن بعد ان وضحت لهم هذه الاشياء وضوحا تاما في شروط نفت كل تلك الفروض ، وبعد تجارب دقيقه جدا تكررت مرارا لم ير هؤلاء الاعضاء المنكرون بدا من اعتقاد ان هذه الخوارق حقيقة رغم انفسهم الخ

وهذا هو (كروكس) الطائر الصيت رئيس الجمعية الملكيه البريطانية قد اكد في خطبته التي تلاها يوم توليه الرئاسه انه لم يزل كما كان منذ ثلاثين سنه ، يؤكد انه يعتقد بوجود قوة في الطبيعة متمتعة بعقل واراده ومميزه عن الماده

وهذا هو الدكتور (لمبروزو) اشهر البحاثين في الجرائم بعد ما وصم في مؤلفاته الروحيين بالجنون اقر بغلطه والف كتابا قال في اخره ناصحا لغيره : ولنحذر من ادعائنا دقه العقل واعتقاد ان كل الناس من قبيل المخرفين ، والظن باننا نحن فقط العلماء ، فان ذلك يوقعنا في الضلال

وهذا هو الدكتور (جورج سكستون) الخطيب الانكليزي الشهير . كان اقسى الناس قلبا ، وامضى العلماء لسانا على هذا المذهب ، ثم حبب اليه ان يدرسه فاستمر في ذلك (15) سنة ثم انتهى امره باعتقاد صحته ، وصار الان من كبار اشياعه ومنشيعه وهذا هو الدكتور (شمبير) النهير بعد ما كافح هذا المذهب مدة مديدة

وانما اريد ان اهدم ما بناه الجهال من بيوت العنكبوت التي اوهموا بها الناس . ان جميع علماء اوربا وامريكا في هذا العصر نفاة معطلون ، وكما زعم ذو الرين الحبسي انه عن قريب سيقضي على الايمان بالله ولا يبقى له اثر في نفوس الناس . وهذا كلام بال سرفه ممن سرفه من هكسلي واضرابه المكابرين وانت ترى هنا جما غفيرا من علماء اوربا وامريكا ، بعد ما كانوا اشد الناس تكذيبا لما وراء المادة واقاموا سنين طويلة في البحث والتنقيب ليقهروا رجال الدين وعلماء الروح بدا لهم ما لم يكونوا يحسبوه ، فاصبحوا اشد الناس ايمانا بالله واليوم الاخر والملائكة والكتب السماوية، فلا يستطيع الجاحدون ان يطعنوا في علمهم ، ولا في تحقيقهم ، ولا في امانتهم، كما لا يستطيعون ان يتهموهم على كثرتهم بالشذوذ على ان هؤلاء الضفادع اذا سال احدهم من ابن جاءك هذا العلم يقول : من فلان ، فاذا بحث عنه نجده ضفدعا بشريا مثله . ولتسمح جمعية الضفادع البشرية اذ استعملت هذا اللفظ في هذه الضفادع الضارة الحقيرة . فاني لا اقصد تشبيهها بهم ، فانهم رجال يغوصون في البحار ويكتشفون اسرارها ودفائنها وينقذون الغرقى من الناس والقوارب والسفن

اما هذه الضفادع ، فانها تسبح في بحور الجهل ويغرق معها الجهال ، ولا تنفع الناس بشيء

وقوله : وقال (كارلدو برل) في مجلة (نوكونفت) الخ اعلم ان لفظة (نوكونفت) معناها باللغة الالمانية المستقبل . ونستطيع ان نفهم من تسميتها بالمستقبل ، ومن كلام ذلك الاستاذ العظيم ان المستقبل للمؤمنين المتقين لا للكافرين النفاة المعطلين . قال تعالى : (سنريهم اياتنا في الافاق . وفي انفسهم حتى تبين لهم انه الحق)

وسانبت هنا امرا شاهدته بعيني من امور الغيب ، وقد خاب من افترى كنت مشارطا في دوار المغوالية من قبيلة حميان ، دائرة عين الصفرة بالجزائر . وكان الفصل شتاء ، والثلج يكسو السهول فضلا عن الجبال والخيمة التي اعطاني اولئك القوم هي حصير منصوب على عمود قصير على قدر جلسة الانسان . وفي اطرافه الاربعة قد ربطت اربعة اوتاد مثبتة في الارض ، وليس لي فراش ولا غطاء الا غرارتان باليتان قد خيطت احداهما بالاخرى . فالهمني الله تعالى فحفرت قبرا في وسط الخيمة . وعمقته حتى صار طرفه يستوي مع خاصرتي . وجمعت نوعا من الحلفاء يسمى (الصنغة) وملاته بها واوقفت الحلفاء الخشنة الى جوانب القبر، وحفرت الى جانب راسه حفرة بقدر عمق ذراعين ، واوصيت المسافرين الى المدن فاشتروا لي قديرة بقدر فوهة الحفرة . فصرت التقط العيدان الصغيرة اليابسة من الحطب واملأ تلك القديرة بالثلج ، واضع العيدان في اسفل الحفرة واوقد فيها النار . فيمتد لهبها الى اعلى . ولكنه لا يكاد يتجاوز فم الحفرة ، واضع عليه القديرة . وهي من الخزف . فيذوب الثلج ويصير ماء فاتوضأ به . واجلس على فم الحفرة ، وفي اسفلها الجمر . فادفأ حتى اعرق . واقوم للصلاة في جوف الليل ـ خارج الخيمة طبعا ـ وفي ذات ليلة بينما انا قائم اصلي اذ رايت غماما ابيض ، اسفله في الارض واعلاه في السماء قد سد الافق حتى لا يبصر شيء سواه ، وجاء من بعيد واخذ يدنو حتى لم يبق بيني وبينه الا بضعة امتار ، فخرج منه شخص عليه ثياب تشبه ثياب النساء ، ووقف غير بعيد مني واخذ يصلي بصلاتي كانني امامه، الا انه كان يخالفني قليلا في القبلة . فلا ادري ايما كان مخطئا وايما كان مصيبا وما ان ابصرته حتى اخذت ارتجف من الخوف ، وكنت اقرأ في سورة السجدة ، فخرجت منها الى سورة اخرى ، وايقنت انني من شدة الخوف لا استطيع ان اقرا السور الطوال التي فيها الايات المتشابهة . فعمدت الى قراءة السور القصار التي لا احتاج في قراءتها الى احضار ذهني وخطر ببالي ما يوصي به المتصوفة.وكنت اذ ذاك على طريقتهم، وهو قولهم : يجب على السائر الى الله تعالى ان لا يلتفت الى اي شيء يعرض له في طريقه ، فلذلك لم ارد ان اكلمه . فصلى معي ست ركعات ، اسلم بعد كل ركعتين ، فالتفت بالسلام عن يميني فيفعل هو مثل ما افعله . فلما كنت في سجود الركعة السادسة دعوت الله، فقلت : يا رب ان كان في محادثة هذا الشخص لي خير فاجعله هو يكلمني والا فاصرفه عني ، فلما سلمت من تلك الركعتين قام فمشى متئدا حتى دخل في الغمام الذي كان ينتظره ، وبمجرد دخوله فيه واختفائه اخذ الغمام يتراجع ويبتعد حتى اختفى عن بصري

تعليقات وتوضيحات

1 – قوله : **وكان العلماء المضادون لها من اهل الوجدان السليم قاصري الحجة ، الخ.** كذا الامر الذي كان واقعا في اوربا في القرن الثامن عشر بتاريخ النصارى وفي اوائل القرن التاسع عشر هو بعينه الواقع اليوم في الشعوب المتخلفة . فان علماء الدين المؤمنين بما في كتاب الله وسنة رسوله (ص) من الملائكة والثواب والعقاب الاخرويين ، ووحي الله الى رسله وغير ذلك مما وراء المادة اذا جاءهم معلم في المدرسة الابتدائية ، او طالب راسب في الثانوية يعرض عليهم اراء الملحدين من اهل القرن الثامن عشر ، فتصيبهم صدمة عظيمة لا قبل لهم بها ، ولم يطلعوا على الحجج التي تقضي على تلك الاراء وتزهقها فمنهم من يغضب ويسب ذلك المعلم وذلك الطالب ويقوم من ذلك المكان، ويمتنع من الاكل معه ، ان جمعتهم وليمة او مادبة ويشنع على خصمه بانه كافر يجب ان يقتل ، فيبلغ بذلك المعترض مراده من اهانة ذلك الشيخ واضحاك السفهاء عليه. ويوهمهم انه جاءه بالبراهين التي لا يستطيع ردها، ولذلك لجأ الى الشتم والفرار ، فيضلهم بذلك ضلالا بعيدا

ومن الشيوخ من يكظم غيظه فلا يزيد على الحوقلة والاسترجاع وذم الزمان واهله ، ويقول لمن حوله : هذا اخر الزمان ، هذا هو الزمان الذي جاءت الاخبار التي ورد فيها ، سياتي على الناس زمان ، يكون فيه بطن الارض خيرا من ظهرها ، ويمر الحي على قبر الميت فيقول : ليتني صرت مكانك . وهذا هو الزمان الذي جاء فيه الخبر (اذا رأيت هوى متبعا ، وشحا مطاعا ، واعجاب كل ذي راي برايه ، فعليك بخويصة نفسك ، ودع امر العامة)

اقول : والاخبار الواردة في هذا المعنى بعضها واه ضعيف لا يثبت ، وبعضها ثابت . ولكن عامة الشيوخ لم يفهموا معناه ، ولم يجمعوا بينه وبين الايات والاخبار التي تدل على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل ، وجهاد الكافرين والمنافقين . والصبر على اذاهم والذي يلقم اولئك الشياطين الفتانين الاحجار وياخذ منهم بالثار ، ويسل عليهم من الحجج السيف البتار ، حتى يلوذوا بالفرار ، هو التسلح بسلاح العلم الديني والعلم الكوني ، ومناهضة اولئك الجاهلين الفاتنين ، والقضاء على اباطيلهم بالحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، حتى يخسأوا ويستبشر المومنون ويفرحوا بنصر الله

ولما كنت في الهند رئيسا لاساتذة اللغة العربية في كلية ندوة العلماء (بلكناو) جاءني متفلسف لم يحصل من الفلسفة الا نصفها الثاني وهو السفه ، فقال لي : القرءان يقول : ان الله خلق الكواكب والنجوم زينة للسماء ، والزينة تحتاج الى اشكال هندسية مضبوطة الاقيسة كما نرى في الزرابي وفي الحدائق التي جعلت فيها الازهار على اشكال جميلة . اما الكواكب والنجوم فانها مبثوثة في السماء على غير نظام . فصارت زينة المخلوق جميلة متقنة ، وزينة الخالق غير متقنة ولا منظمة فقلت له : قولك ، انها مبثوثة على غير نظام لا نسلمه ، لاننا لا نرى الا بعضها بالعين المجردة ، وحتى باكبر منظار فقد ثبت عند علماء الفلك انهم لم يستطيعوا ان يدركوا نهايتها . فكيف علمت انها مبثوثة بلا نظام ، وانت لا ترى الا جزءا قليلا منها

ولو سلمنا انها في الواقع مجعولة على غير نظام ما جاز لنا ان ننفي انها زينة ، لاننا لو نثرنا لآلئ على بساط ازرق كيفما اتفق بدون ضبط لابعادها لكانت زينة لذلك البساط بلا شك . ولكان الناظر الى البساط المزين بها يفضله على البساط الخالي منها ، كاني بك تقول : ان تنظيمها يكون اجمل واكمل ، وهي ناشئة عن قدرة الله وصنعه المتصف بالكمال المطلق . فكيف تجيء ناقصة والجواب ان الله لم يخلقها للزينة وحدها ، بل خلقها كذلك ليهتدي الناس بها في ظلمات البر والبحر كما قال تعالى (وبالنجم هم يهتدون) ولاغراض اخرى يقصر عنها علمنا . فضحك وقال لي : اني قصدت ان اغضبك كما اغضبت كثيرا من علمائنا بهذا السؤال . فهل علماء العرب كلهم مثلك يقرعون الحجة ولا يغضبون ، فقلت له : انا لا استطيع ان احكم على علماء العرب كلهم ، ولكني اعرف كثيرا منهم ، يسلكون طريق المناظرة وهم اكبت للعدو واهدى للصديق

2 – قوله : **الذين يزعمون الاتصال بارواح الموتى ومكالمتهم الخ.** اعلم ايها القارىء العزيز انني لا اقصد بما نقلته هنا ان اثبت ما ادعوه من الاتصال بارواح الموتى او مكالمتهم . فذلك ما لا علم لي به ،

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ عبد الله كنون

- 9 -

حــــرف الزاي :

221 في ص 231 ع ل تعريف بزال احد ابطال الساهنامه الأسطوريين ، جاء فيه ما نصه : (وقد اوحت الحكاية وحيهم للشعراء والمصورين الفرس) وهذا التعبير غير صحيح لان فيه عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة وهو لا يجوز الا في مواضع معدودة ليس هذا منها . فالصواب ان يقال : وقد اوحت الحكاية للشعراء والمصورين الفرس وحيهم

222) في نفس المكان ذكر (زاما) على انهـا موقع في شمال افريقيـا القديمـة عنده هـزم القائـد الروماني سيبيون الافريقي جيوش هنيبعل والذي نلاحظه على هذا الكلام هو ان اسم (زاما) هو النطق الاجنبي لعربة جامه بالقطر التونسي التي وقعت عندها المعركة المذكورة . فكان الاولى ذكرها باسمها العربي في حرف الجيم ثم ان القائد سيبيون هو في الحقيقة روماني وان كان يعرف بالافريقي فكان من المستحسن التنبيه على ذلك لئـلا يتناقض الوصفـان : الرومانـي والافريقي اما هنيبعل) فان تعريفه السائغ هو (حنيبعل) بالحاء لا بالهاء

223) في ص 232 ع ل وقع ذكر (القضاء الزبداني) من بلاد الشام وضبط بسكـون الباء وهـو في المعروف بفتحهـــا

224) في نفس العمود ذكر مدينة (زبيد اليمنيـة) وضبطها بضم ففتح على صيغة المصغر وهو خطـا فانهـا بفتح الزاي وكسر الباء ، والنسبة اليها (زبيـدي) ، ومن المنسوبين اليها الشيـخ مرتضـى الزبيدي شارح القاموس والاحياء . وقد ذكره المنجد في العمود الثاني من هذه الصفحة وضبطه خطا بضم الزاي وفتح الباء ، وقد نبهنا عليه هنا تفاديا من تكثير اعداد هذه الملاحظات ونقول ان هذه النسبـة كثيـرا ما تختلـط على غير المحققين بالنسبة الى (زبيد) بالتصغير وهو (ابو قبيل) من العرب فليعرف الفرق بينهما

225) في ص 233 ع ي ترجمة للزجاج النحوي المعروف . ذكر فيها ان له كتاب النحو ، مخطوط في القاهرة ولا نعرف للزجاج كتابا اسمه هكـذا كتـاب النحو . وا نما المعروف له كتاب معاني القرءان وخلق الانسان وفعلت وافعلت وهذا مطبوع وغير ذلك

226) في المكان نفسه تعريف بالزجاجي النحوي تلميذ الزجاج المذكور سابقا جاء فيه ان له كتـــاب الجمل في النحو مخطوط في برلين ، وقد طبـــع الجمل في الجزائر بعناية ابن شنب منذ اكثر من 30 سنة

227) وفيه ايضا ذكر الزجـر والعيافـة وضبـط العيافة بفتح العين وهي في منجد اللغة نفسه بكسرهـا فلعل الضبط من خطأ الطبع

فلما التقيت استاذي الاول النيخ الصالح الرباني محمد سيدي بن حبيب الله رحمه الله حكيت له ذلـك فقال لي : اظن ان ذلك شيطان ، اذ لو كان ملكا لمـا اصابك منه ذلك الخوف ، واعتقدت صحة هذا الجواب مدة طويلة من الزمان ، ثم بدا لي انه غير صحيح ، لان النبي (ص) لما جاءه جبريل وهو في غار حـراء خاف منه خوفا شديـدا والى الان لا اعـرف حقيقة ذلـك النخـــص .

وسيقول الضفدع المغتر باقوال الماديين : حديث خرافة يا ام عمرو ، او يقول : انما استولى عليك الوهم والخيال ، فاقول على رسلك ايها الضفدع فقد رأى العلماء المذكورون في هذا المقال من الخوارق اعظم بكثير مما رأيت انا ، وهيهات ان تستطيع تكذيبهـم او نسبتهم الى التخيل والوهم وقد اذكـر في المقـالات التالية بعض مناهداتهم ان شاء الله .

3 ـ قوله : (سبرتبوالي) معناه المجلة الروحية.
4 ـ قوله : (سبرتزم) معناه علم الارواح

انتظروا المقال التالي لتطلعوا على نتائج اخرى وتقريرات لأشهر العلماء الباحثين .

واختم هذا المقال باهداء اطيب النسكر وازكـى التحيات للاستاذ الاديب النقاد السيد ادريس الكتانـي على ذلك النقد النزيه الذي جاء في وزنه للجزء الثاني من السنة التاسعة لهذه المجلة الحافلة ، واخبر سيادته باني جمعت هذه المقالات ، ومقالات سابقة لها في هذا الموضوع ، نسرت تحت عنوان (دواء الشاكين وقامع المسككين) ودعوت وزارة الاوقاف الموقـرة على صفحات هذه المجلة لنسر هذا الكتاب ، واكدت لها ان الناس في هذا الزمان في اشد الحاجة الى قراءته ، وان نسره في المجلة لا يسد حاجتهم ، ولا ازال انتظر وامل ان توفق وزارة الاوقـاف الى القيـام بهذا العمـل . وبالله التوفـــق

هـم لهـــا سـابقـــون

فذرهم في غمرتهم حتى حين ، ايحسبـون انما نمدهـم به من مال ، وبنين ، نسارع لهم في الخيرات ، بل ، لا يسعرون ! ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم يومنون، والذين هم بربهم لا يشركون، والذين يوتون ما اتوا ، وقلوبهم وجلة ، انهم ، الى ربهم راجعـون ، اولئـك يسارعون في الخيرات ، وهم لها سابقون قرءان كريم

243) وفيه ايضا ترجمة لابن ابي زيد القيرواني قال فيها انه ينتسب الى نفزة وضبطها بفتح الفاء وهي بالسكون وقال لم يبق من مصنفاته الثلاثين الا الرسالة وقصيدة في مدح النبي . وليس كذلك فان من مصنفاته الباقية كتاب النوادر وهو من اجلها ، واما القصيدة التي ذكرها فلا نعرفها

244) في 240 ع ل ذكر لزينب بنت جحش جعلت الحاء في اسمها هاء هكذا جهش وهو من خطا الترجمة كما لا يخفى

245) وفيها ع نى ترجمة لابن الزيات صاحب كتاب (التشوف الى رجال التصوف) سماه فيها يونس وكناه بابي الحجاج وهو ابو يعقوب يوسف وسمي كتابه (التصوف الى معرفة رجال التصوف) والصواب في اسمه ما ذكرناه . وعرفه بالزيات وهو يعرف بابن الزيات . وقال ان كتابه مخطوط في فاس وهو قد طبع اخيرا في الرباط ، وهذا مما يمكن ان يفوته الاطلاع عليه فله العذر في ذلك .

246) وفيه ترجمة لابي القاسم الزياني ضبط الزياني فيها بتشديد الياء وهو بالتخفيف نسبة الى قبيلة زيان بوزن بيان وهي مما يخفى على كثيرين ، فلا يهتدون الى ضبط المنسوب اليها

طنجة ـ عبد الله كنون

228) في ص 233 ع ل ترجمة لابن ابي زرع المؤرخ المغربي المعروف . ذكر فيها ان من مؤلفاته الانيس المطرب وتاريخ مدينة فاس وقد حذف من اسم الكتاب اللفظ الذي اشتهر به ولا يعرف بدونه وهو القرطاس . والاسم الكامل للكتاب هو (الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس) . ولكنه اشتهر باسم القرطاس فقط

229) في العمود نفسه ترجمة للفقيه عبد الباقي الزرقاني وابنه المحدث محمد ضبط فيها الزرقاني بفتح الزاي والمعروف انه بالضم

230) وفيه ايضا ذكر جبال زرهون ولكن بادخال ال على اسم زرهون وهو معرفة بدونها

231) وفيه كذلك تعريف بالشيخ زروق قال فيه انه ولد في تكرين (طرابلس الغرب) وهو خطأ فانه من مواليد مدينة فاس (المغرب الاقصى) نعم توفي في تكرين المذكورة . ولم يذكر له من المؤلفات الا الوظيفة الزروقية . ومؤلفاته تعد بالعشرات

232) في ع ى من نفس الصفحة ذكر بحر الزقاق واحال على جبل طارق وقد تكلمنا عليه في حرف الجيم . وهنا انما نريد ان ننبه على انه ضبط الزقاق بكسر الزاي وهو بضمها واحد الازقة اعني الطريق الضيق وقد اطلقه العرب على ما نسميه اليوم بمضيق جبل طارق

233) وفيه ايضا تعريف بابن الزقاق الشاعر الاندلسي المعروف . ضبط الزقاق فيها بكسر الزاي وهو بفتحها مع فتح القاف وتشديدها . والزقاق بالشيع الزقاق بكسر الزاي وتخفيف القاف جمع زق وهو القربة

234) في ص 234 ع ل ذكر (الزلم واحد الازلام) اي السهام التي كانوا يستقسمون بها في الجاهلية . وضبط بكسر الزاي وسكون اللام وهو بفتحتين . زلم على وزن جبل

235) في ع ى من الصفحة ذكر قبيلة زناتة المغربية وضطها بفتح الزاي والمعروف فيها الكسر وعليه اقتصر في القاموس

236) وفيه ايضا تعريف بابي الحسن بن زنباع من علماء المغرب وادبائه ، من اهل طنجة ، قال فيه انه من فقهاء الاندلس وهو غلط . وضبطه بفتح الزاي، وزنباع في اسماء العرب بالكسر على وزن قنطار

237) في ص 235 ع ل ذكر المسالة الزنبورية المشهورة . وقال ان سيبويه والكسائي تناظرا فيها عند المامون . والمعروف ان المناظرة كانت عند الامين والكسائي يومئذ معلمه . وقال : انهما راجعا فيها اعرابيا من البادية فا خطا (يعني خطأ بتشديد الطاء) الاعرابي الكسائي . وهذا صحيح ان جرينا على الصواب في المسالة . ولكن الواقع ان الاعرابي حكم للكسائي على سيبويه باغراء من رجال الامين تعصبا منهم لمعلمه

238) وفيه ايضا تعريف بابناء زهر الاطباء الاندلسيين المشهورين . ابو مروان وابو العلاء وابو بكر ضبط فيه هذا الاسم بفتح الزاي وهو بضمها

239) في ع ى من الصفحة ذكر ابن شهاب الزهري من رجال الحديث واعلام التابعين وضبطه بفتح الزاي وهو بضمها لانه منسوب الى زهرة قريش التي منها ام النبي (ص)

240) في ص 237 ع ى ذكر زويلة السودان وقال ان بها قبر دعبل الشاعر وضبطه بفتح الدال والباء بينهما عين ساكنة والمعروف فيه دعبل بكسر فسكون ثم كسر على ان قصة موت دعبل بزويلة ودفنه فيها غير مسلمة ولينظر معجم البلدان

241) في ص 238 ع ى ذكر جامع الزيتونة البراني فقال بنته في تونس عطف ارملة المستنصر الحفصي (1283) خارج باب البحر هكذا ولم ادر كيف ذهب بالمؤلف عن ذكر جامع الزيتونة الاعظم الذي هو ثالث ثلاث جامعات اسلامية كبرى في العالم الاسلامي بالاضافة الى القرويين والازهر . واقتصر على ذكر هذا الجامع الذي قل ان يعرفه احد ؟

242) وفيه ذكر زيد بن الكيس النمري النسابة وضبط النمري بكسر الميم وهو بفتحها على القاعدة المعروفة في النسبة المشار اليها بقول ابن مالك في الالفية (وفعل وفعل عينهما افتح) الخ

اذن لكتبت الشعر في وحي (احمد)
وصغت الدراري في الزمان قوافيا

وانه لحق . فلو ان (احمد شوقي) حج لاعطى دنيا العروبه والاسلام آثارا من شعره لا تفنى . كما اعطى موطني العربي السوري من قصائده غرر شعره في وصف مباهج الشام . والدخول الى دمشق . ورسم نهر بردى ، وتصوير دمر والهامه . وما فيها من مناظر الجنات الخالدات لكان وصف مكه والبيت العتيق وجبالها المحيطه بها . ولشعر من زمزم حتى ارتوى . ولجاء مسجد رسول الله صلوات الرحمن عليه سادرا في غيابة الموله والابتهال الالهي

ثم انقلبنا في اليوم الثاني الى المزدلفه وحللنا منى : ومنى مدينة صاحبه فيها مبان . ولها شارعان مسقفان كبيران يحدق بهما جبلان مرتفعان قد ركبهما الحجاج بخيامهم . وانحطوا على السفوح ، حتى دلفوا الى الشوارع

وكانت رعاية القائمين على الحكم تبلغ حدود التفاني في خدمة الامم الحاجه . وقد بلغت هذا العام الى مائة الف عدا حجيج المواطنين . رعاية ما شهدت مثلها في السهر على ما يريح الحاج و يحفظ ماله وصحته وفي مقدمة هؤلاء وزير الادب والفكر الاستاذ الكبير محمد عمر توفيق وزير الحج والاوقاف

وحين اخذت اجول في شارع (منى) في زحام يوم الحشر . امضي الى رمي الجمار مع وفود متراصه متدافعه الى رجم ابليس . وحين بلغت في اشد التزاحم، دنت المكان من « حجرة العقبه » كادت تصيبني شظايا الحجارة المسماة بالجمرات . وقد تراكض القوم بالجموع المسلمه لرمي الشيطان . وفي قلب كل منهم غل عليه . وقد رفه على ذلك الجهد الذي جهدته ذلك المساء صديق لي قال :

— زاحمت امراة مصريه حاجة بمنكبيها المكتنزين الجموع الحاشدة حتى بلغت مكان الرمي ، فقذفت الشيطان بحجر ذي حجم . وهتفت به صائحة : (يا ابن الكلب . فرقت بيني و بين « حماد » خذها

فهوى الحجر الى جانب المرمى. فمسكه وارتد على جندي من الحراس فضرب جبينه . فقال لها الجندي :

— وانا عملت لك اساءة حتى ترجميني ؟

وقد آثرت ايراد هذا القصص لادل على مبلغ الاعتقاد الديني في رمي الجمار

ومضينا بعد الافاضة (بمنى) نسوق قبيل منحدر الحجيج منها . وقد سدوا الافاق بسياراتهم ومراكبهم الثقال . فحصلت منتصف الليل لاطوف بالبيت العتيق واعيد الى مشاهدتي روعة ما اعتراني فيها اول مرة دلفت بها الى الحرم الاقدس اطالع الكعبة طلع الدهشة الغامره والاعجاب الكبير

لقد كنت انهيت صيف 1960 لدخول باريس ومعي احد ادبائها . فقال لي :

— ستدهش حين ترى باريس ام بلاد العالم ، فان حقيقتها اكبر من حلمها

وحين دخلتها لم ادهش كثيرا ، اذ كنت عرفتها بالصور والمشاهدات التلفزيونيه وفي السينما . وتبينت احياءها في دليلها حتى كدت اسلكها وحدي بغير دليل، وحين عشرتني مشاهدتها الاولى بذلك الصيف . اكبرت هولها . لكن حقيقتها لم تكن اروع من خيالها عندي

اما الكعبة — زادها الله تعظيما وعمرها تشريفا — فانني عندما قدمت على رحبها . وضمني صحنها بالمرمر المسنون وجدت حقيقتها اروع من خيالها في تصوري

وليلة مجيئي من (منى) : طفت بها اشواطها السبعة في زحام رهيب . وكان بين الطوفة والطوفه يدق كتفي رجلان يحملان على محفة عجوزا ابت الا ان تحج وهي مثقلة بالسن والمرض . ثم خرجنا الى السعي بين الصفا والمروة فاشهد انني وقد خطوت الخمسين خففت في السعي . وكأني ابن عشرين . انه لمشهد رهيب بافواج الساعين ذهابا من اليمين وعودا من اليسار، والهين . تائبين . قانتين

ولقد جعلت استعيد في بالي اقوالا من شعر دانتي صاحب الاهزولة التي صنعها لتنفاف الجحيم وجعل الجحيم لها « مطهرا » ، الا انه لغاشم كبير ، فان الدين الاسلامي الحنيف جعل المطهر الحج من كل ذنب

حج الأدباء

للدكتور زكي المحاسني

الا قاتل الله ابا نواس حين حج فراح يقول :

حججت وقلت حججت جنان
فيجمعنا واياها المسير

فلقد دخل هذا البيت في وساوس فكري ، وانا قائم بلباس الاحرام ، تحت رواق ساهم من مضارب الضيافة في بيداء عرفات ولم تكن الشمس لافحة هذا العام . فكان رفراف من النسيم يترامى ليبهج الحج ويحمل اليه رفاهة الجو الذي كم الهب تحته الرؤوس

جلست اترشف القهوة المذابة بحب الهال ، ثم لاعب بعدها كاسات الشاي . يدخل علينا بها نادل شجي مؤتمر بامر سيده الوزير المضياف . وحان موعد راحتي فدلفت الى خيمتي فاذا هي موقد تكشف فيه اشعة الشمس من خلال الوانه الحمراء والخضراء . وكان اشبه بمستحم تفصد فيه عرقي من عروقي . فجوزيت بما اكثرت من كاسات الشاي ، ماء يبللني

وكان يداعب خواطري الشعراء والادباء الذين حجوا قبلي ، فاخذت افكر بالشاعر الغزل عمر بن ابي ربيعة . فاتمثل بشخصه وجسمه حاجا ، وقد نهض بلباس احرامه الابيض ، بض الوجه ، منسكب الزندين ، فارع القامة ، مثلما وصف نفسه ذلك الزير للنساء ، في جماله الذي كن يلحقنه اليه . وكان عمر بن ابي ربيعة يحج ومعه صديقه وصفيه خالد الخريت الذي كان يسعى بينه بالحب ، وبين صويحباته ، وكان يقيس للفائهن ذراعا، كلما قس اصبعا ، ولقد جعلت اشك بتلك الروايات من ملاحقة الشاعر في الحج لبنات عبد الملك وللغواني الاميرات ، ثم عكفت عليه بالتلوام ، وانا اسدد بنظراتي الى امواج الخيام البيض مراصة بعرفات ، كانهن مبتهلات برؤوسهن نحو السماء ، لقد عنفت على الشاعر الحجازي القديم في عصر بني امية ، كيف لها بالنساء والغزل والصد عن داعية الوطن . والهبة باهليه لحال افضل غير المكاسب يومئذ والراحة وانتظار مواسم الحجيج . وقلت لو ان عمر بن ابي ربيعة انصرف عن النساء الى حياة الوطن وعيات الامة ، لكان للحجاز غير ذلك الشأن في ظلال بني امية الذين افقدوه زعامته الفكرية ولم يستطيعوا ان يفقدوه زعامته الدينية

وجلست اقضي نهاري بالتسبيح الديني وعالبني التسبيح الادبي . فقلت هذه الابيات من شعري وانا اناجي الشاعر الخالد احمد شوقي شاعر القرن العشرين :

امير القوافي جئت بالشعر هاديا
وخلفت فيه الذكر لله شاديا
انا شاعر الاسلام في نهج برده
تزملت حتى الحشر ريان حاليا
وشحت خلاق البرية خيمة
وجدت سنيات المعاني بواقيا
فهل عرف التاريخ في الله شاعرا
يضاهيك ؟ لا والله لم نلق ثانيا
فلبتك جئت البيت تلق جماله
على مكة البطحاء بالخلد باديا
ومن حوله العباد بالوجد عكف
يناجون ربا للخليقة راعيا

دور الأسرة في المجتمع

للأستاذ : قاسم الزهيري

تقديــــــــــم :

نظمت لجنة فاس الثقافية لمكتب التعريب التابع لجامعة الدول العربية يوم 12 مارس 1966 ندوة تحت عنوان : « الاسرة الفاضلة أساس المجتمـــع الفاضـــل » وشارك فى هذه الندوة السادة : الحاج أحمد بناني ، محمد بن عبد العزيز الدباغ . حبيبـــة البورقادي ، قاسم الزهيري .

وقد أسهم هذا الاخير بالحديث الآتي :

منذ تلقيت الدعوة الكريمة التى تفضلت بها لجنة فاس لمكتب التعريب طالبة منى الاسهام فى هذه الندوة. وانا اسائل نفسى عن المعنى المقصود من الموضوع الجامع الذى جعلته اللجنة شعارا لهذا المنتدى . وهو: الاسرة الفاضلة أساس المجتمع الفاضل . ماذا نعنى بالاسرة الفاضلة ؟ ماذا نعنى بالمجتمع الفاضـــــل ؟ الالفاظ بسيطة الى أبعد حدود البساطة وخاصة منها كلمتى اسرة ومجتمع . لكن محط الاشكال هو كلمـــة فضل . ان معناها التحلى بالخلق الجميل . والتخلى عن الرذائل . وهى صفات قلما تجتمع لشخص حاشــــا الانبياء والمرسلين .فان هى اجتمعت لشخص . كان محل التقدير والاعجاب .

وعلى فرض ان الشاعر العربي الذى يقول :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلهـــا
كفى المرء نبلا أن تعـد معايبــــه

على فرض أن هذا الشاعر قد اخطأ ، وكـــان متشائما فى تقديره لطبيعة البشر . فوجد شخـــص اجتمعت فيه كل الفضائل فكيف يصح أن تجتمـــع فى الاسرة كلها ؟ مع العلم بان الاسرة المتركبة من افراد عديدين قد يكون فيهم الصالح والطالح . الرفيـــع والوضيع . الكريم واللئيم . الشجاع والمتخاذل الى غير ذلك من الاضداد . اذا فرضنا جدلا أن اســـرة بكاملها وهبت كل الفضائل . فهى من الشواذ . فكيف يصح أن نجعل من هذا الافتراض الذي يندر وجوده اساسا لوجود مجتمع فاضل ؟

ثم هل سمعنا فيما سبقنا من الاجيال بمجتمع فاضل بأتم معنى الكلمة ؟ وهل يوجد فى عالمنا هـــذا مجتمع فاضل بالمعنى الذي يحمله هذا اللفظ ؟ أخشى أن يكون الجواب سلبا . وأخشى فوق هذا الا تصل البشرية فى مسيرتها الطويلة الى هذا الكمال الـــذي نشأ فى خيال كثير من العبقريين من مصلحين وفلاسفة ومفكرين منذ فجر التاريخ الى يومنا هذا . ليس هذا منى ضربا من التشاؤم . ولكنه تقرير حقيقة تاريخية لم تتخلف ، وسأشير فيما بعد الى أن المجتمع الفاضـــل مجتمع مثالي تخيله الفكر البشري على ممر العصور، ولم يتحقق لحد الآن فى مجال الواقع . وما دامـــت

حوب ، وهذا سر اقبال المسلمين من اشتات بقاع الدنيا على الحج ، ليغسلوا به كل ما كدر نفوسهم وليعيدوا تلك النفوس جديدة نقية من اكدار الحياة

ولقد كان قنوتي وايماني يفيضان علي احاسيس تفجرت في نفسي بانوار الايمان ، منذ حللت مكة هذا العام الجامعي ، مندوبا من وزارة التربية السورية للمحاضرة بالادب العربي والاسلامي في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، فانتهزتها سانحة للحج ، فحججت . ولقد عشت خلال هذه الشهور بين جبال مكة متوحدا مثل راهب من رهبان الفكر ، ادير عند الصباح من مسكني عيني بهذه الجبال الملتفة وهي تحدق بمكة ، فاسالها على جفافها وجفائها :

— يالك من منازل انزلها اسماعيل ابوه ابراهيم في واد غير ذي زرع ، كيف اطلعت زرعك ؟

فكان صدى داخلي يحور خلال نفسي بصوت رهيب حينا ، وحنون تارات ، يقول :

— لقد اطلعت نبعا سقى الدنيا بسراب الخلود ، انا من مهادي درج محمد بن عبد الله رسول الاسلام – صلوات الرحمن عليه –

ولكم ساقتني الينابيع الثره منحدرة من جبال لبنان، او منسكبة من بردى ، نهر بلدي الحبيب ، فنهلت منها نقبات ، لم البث ان وجدتها في قلبي وعلى لساني من نبعة الرسول الحبيب انني حين زرت مرقده الاعظم اطللت عليه من شباك نحاسي متوهج واطلت المكث في رحابه اقرأ له سورة الفاتحة ولصحبه الميامين الذين اعطوا دنيا الاسلام مجدا لا يزول الا مع زوال العالم ، وكانت زوجتي الكاتبة وداد سكاكيني تشاركني الزورة حين زرت مسجد الرسول قبل الحج بشهرين وقد جاءت مكة لا بناسي اسبوعين فحسب

وجلست بجانب ناسك من سدنة المسجد النبوي الاكرم فقلت له ما اسمك ايها الشيخ ؟

— اسمي عبد السلام
— وكم عمرك في خدمة الرسول ؟
— منذ كنت طفلا وانا اليوم في الثمانين

— والله لاذكرنك في كتاب من كتبي وهبت لمفارقة المدينة المنورة . وقد كرمنا انا وزوجتي كبير وجوهها السري العظيم الاستاذ حبيب احمد محمود ورجال من ادبائها الصيد الميامين وقد كان بيت صعد من خاطري وانا اغادر المسجد قلت فيه :

ودنوت من جدث الرسول اضمه
واقول يا ويحي فكيف افارق

وعدت الى دنيا الادب التي اعيش فيها ، فاخذت اجاذب بالشعر عمر بن ابي ربيعة ، واسميه شاعر الحجيج ، واديب الطواف حين كان يقول :

ولما قضينا من « منى » كل حاجه
ومسح بالاركان من هو ماسح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا
ولم يسأل العادي الذي هو رائح

الدكتور زكي المحاسني

الذين أشاروا بنموذج جديد لما أسموه بالمجتمع الفاضل . واذا كانت دراسات علماء الاجتماع قد أعانت فى تقدم المجتمع البشري ، فقد ظلت الآثار الفكرية لهؤلاء الفلاسفة حلما من عهد افلاطون — أى منذ 2.500 سنة — الى عهدنا هذا .

فلنقف قليلا عند المجتمع الفاضل الذي كان ولا يزال حلما يراود اذهان بعض العبقريين فبعد ما اتخذ شكله الاول فى جمهورية افلاطون . تجلى منذ أزيد من الف سنة فى « آراء أهل المدينة الفاضلة » للمعلم الثانى أبى النصر محمد الفارابي . ثم فى « الاوطوبيا » للمفكر الانجليزى سير طوماس مور فى القرن السادس عشر . وطلع فى حله جديدة فى عصرنا هذا فى كتاب « العودة الى عالم جريء » للكاتب الانجليزى الدوس هوكسلى وفى « مستقبل الانسان » لطلار دوشارد ان . وان كان هذا المفكر ان أمس بالواقع . وقد اجتزأنا بذكر هؤلاء العبقريين دون غيرهم على سبيل الاختصار . والاوطوبيا أو المدينة الفاضلة — كما تخيلها سير طوماس مور — جزيرة مثالية يعيش فيها الانسان فى سعادة وانسجام اجتماعى كامل . وقد أصبحت كلمة أوطوبيا علما على كل مجتمع مثالى يخلقه خيال الفلاسفة . غير أن هذا المجتمع الذى يمحى فيه الالم والجشع والاستغلال . هذا المجتمع بدون طبقات لم تصل اليه الانسانية بعد.

يجدر بنا اذن أن نرجع الى الواقع .. ان نرجع الى مجتمعنا البشرى كما هو .. على علاته . وبدلا من ان نسلبهم الاوطوبيين من ذوى الفكر المبدع الخلاق . يلزم أن نلتفت الى الحصيلة التى اشترك علماء الاجتماع وغيرهم فى بلوغها بالبحث التجريبى . واستفاد منها القادة والرواد فى تنظيم مجتمعاتهم والنهوض بها فى مدارج الرقي . كما استفاد منها الافراد فى تهذيب نفوسهم وتقويم طباعهم لجعلها متناغمة مع الشعور العام . ليس بدعا .. ولا صدفة من الصدف ما نراه اليوم من تحضر فى بعض المجتمعات. لكنه نتيجة سعي واع وحثيث فى سبيل التقدم تضافرت فيه جهود المصلحين فى شتى ضروب المعرفة وجهود القادة فى ميادين السياسة والاجتماع . وليس بدعا كذلك ما نراه من تأخر وانحطاط فى مجتمعات أخرى.. هنا يكمن سر تقدم المجتمعات الراقية التي نشاهدها فى عالمنا اليوم وما بينها وبين المجتمعات التي اصطلحوا على تسميتها بالبلاد المتخلفة من فروق شاسعة .

ان المجتمع الذى هو مجموعة أفراد . لا يصلح الا بصلاح أفراده .. لم يرو لنا التاريخ عن مجتمع متقدم افراده متأخرون . فلذا وجب أن ينصب اهتمام المصلحين والقادة على تقويم الفرد . ولزم أن ينشأ نشأة سليمة فى البيت والمدرسة والمؤسسات التربوية. ووجب ان يكرس اهتمام الحاكمين على تثقيف عقله وتقويم طبعه وخلقه . واذكاء جذوة الايمان فى صدره.. الايمان بالمثل العليا . وبحب الخير .. ليصبح فردا صالحا . وليكون من امثاله المجتمع الصالح الذي ننشده . ان المجتمعات المتخلفة لا تشكو شيئا شكواها من انعدام التربية والتهذيب فى نفوس أفرادها . فقد نجد منهم من أخذوا بحظ وافر من الثقافة . ولم يصيبوا الا اليسير من التربية . فنراهم أقرب الى البدائية والبهيمية منهم الى الانسانية . لا تعادل بين القوى المفكرة وبين الغريزة فيهم . ينساقون مع أهوائهم مثلما ينساق النحل والنمل مع الغرائز التي ركبها القدر فى طباعهم فجعلهم يسيرون على مقتضى جبرية حتمية . ولاهمال التهذيب والتربية نرى افراد المجتمع قلما يسلكون فى تصرفاتهم حسب العقل الواعى المدرك الذي ميزهم به القدر عن باقي المخلوقات . فيلزم اذن ان تكرس الجهود فى آن واحد على تنمية العقل وتربية النفس ليكون الفرد صالحا فى حد ذاته وليصلح به المجتمع .

هنا نصل الى دور الاسرة باعتبارها الاطار الاول الذى ينشأ فيه الفرد وينمو وتكتمل رجولته . لقد أجمعت الابحاث التى قام بها علماء الاجتماع على أن سلوك الاسرة يؤثر أكبر التأثير فى نفسية الطفل ويدفعها الى الابد وربما يحدد مصيره فى أغلب الاحيان حتى أن الاعمال الاجرامية أو الجنسية كثيرا ما يرجع أصلها الى التربية الاولى . فان لم يكن للفرد شخصية قوية . فان انفعالاته ومواقفه تجاه المجتمع والقضايا التى تواجهه تعكس ما يكون قد تلقاه فى محيطه العائلى من سعادة أو شقاء . من خيبة أو نجاح . فالجرأة والجبن . والحب والبغض . والتفاؤل والتشاؤم وبصفة عامة الخير والشر كثيرا ما يلقنهما الشخص فى بيئته العائلية . فيتأثر طبعه باحدهما . ثم يتجلى ذلك فى سلوكه الاجتماعي .

ومن ثم ، وجب اعطاء أهمية كبرى الى التربية الاولى التى يتلقاها الناشىء فى اسرته . وخاصة على يد أبويه ، وبالاخص بواسطة الام . فلا غرابة أن

البشرية هي هي . بما ركز في طبعها من غرائز وشهوات ، وما وهبها القدر من ذكاء وحرية ومواهب غالبا ما تستعملها في غير حكمة وتدبر ، فسنظل ابعد ما تكون عن تحقيق المجتمع الفاضل .

قد لا نطمع في الاسرة الفاضلة والمجتمع الفاضل بقدر ما يمكن أن نطمع في الفرد الصالح والمجتمع الصالح . واعني بالصالح من الافراد من يحسن التصرف في مواهبه العقلية ومكاسبه الشخصية ويستطيع كبح جماح غرائزه ونزواته وتوجيهها الوجهة التي تنفع المجموع ولا تضر احدا . وما يقال في الفرد يصح ان يقال في المجتمع . لذا وللاعتبارات المتقدمة استسمحكم في جعل الفرد محور حديثي ثم التعقيب على ذلك بدور الاسرة في تكوين الفرد وبالتالي في تكوين المجتمع الصالح . وبذلك نكون على وفاق مع ما وصل اليه الفكر في علم الاحياء والاجتماع وعلم النفس .

ان الفرد — بخلاف الاسرة — وحدة قائمة الذات بالتفكير والوجدان. والمجتمع يعلو ويسفل ويرقى وينحط على نسبة الافراد الصالحين فيه وسلوكهم الشخصي والجماعي ، لا بما يوفرون عليه من فضائل ذاتية فحسب . ما من شك أن هذه الفضائل ترفع من قيمة المجتمع ، لكن المهم هي الخصائص الموضوعية ، هي نوعية الروابط التي تصل بين الافراد بعضهم ببعض ، وتصل كلا منهم بمجتمعه ، هي ما يؤديه كل واحد لصالح المجموع .

ان الداعي لعقد هذه الندوة — بدون شك — هو ما يحس به المنظمون لها من قلق فكري في وسط المجتمع ، وتفكك في أواصر العائلة ، وما يتطلعون اليه من رأب الصدع والبحث عن علاج الادواء الاجتماعية . ان مجتمعنا — كباقي المجتمعات المتخلفة — يعاني أزمة .. وتعاني الفئة الواعية فيه بالاخص الحيرة والقلق . تشاهد تحولا سريعا .. وتقدما مطردا في البلاد الاخرى بينما ركودا أو تغيرا بطيئا في وسطها.. تعيش في خضم متلاطم من الآراء والمذاهب الفكرية والاجتماعية .. « يسود نفوسها قلق مبعثه — كما يقول الاستاذ توفيق الحكيم — هذا الاضطراب في ميزان التعادل بين العقل والقلب ، بين الفكر والايمان » . فينشأ عند الفئة الواعية من جيلنا هذا نوع من العقد النفسية يفضي بها الى السخط والتمرد .

انها حالة عرفتها كافة البلاد التي اتصلت حضارتها المبنية على الاسس الزراعية العتيقة مع اسباب الحضارة الصناعية الحديثة ، اما عن طريق الغزو الاجنبي أو عن طريق تسرب افكاره تبعا لتقدم وسائل الاتصال . ثم ان ما نشاهده من بون شاسع بين المجتمعات التي استكملت تطورها وبين مجتمعاتنا التي تشكو مرارة التخلف ونريد لها أن تلحق بالركب الحضاري يزيد في حدة هذه الازمة . لقد كان للغزو الاجنبي وما حمله الينا من مظاهر حضارته سواء منها المادية أو الفكرية أثره في تفكك روابط الاسرة والمجتمع، دون أن نهتدي الى بديل عن الاسلوب الذي كانت الاجيال السابقة تعيش على منواله وكانت راضية به. فنحن نعاني أزمة وسنبقى كذلك ما لم نتوفق الى اسلوب جديد .

ان الانتقال الحضاري السريع الذي يستحثنا من جميع الجوانب ، وما يبطنه من مذاهب وتيارات في السياسة والاجتماع والاقتصاد قد أثر الى حد بعيد في تفكيرنا ونظرتنا الى قيمنا الروحية وتقاليدنا الاجتماعية . خامر الشك الفئة الواعية في قيمة هذه التقاليد وتلك القيم ، ثم تحول الشك الى استخفاف وسخط وتلهف الى استبدالها . اضحى الشباب الواعي ممزق الفؤاد بين قديم لم يعد له أي وزن في اعتباره وجديد يتطلع اليه ولا يدركه .. بين مثل شب عليها وآراء جديدة تلح عليه من كل جانب . ومن ثم كان ما نلحظه من فراغ فكري ، وانحلال في العلاقات الفردية والعائلية والاجتماعية . فلا مجتمعنا استطاع تفادي هذا التفكك ، ولا شبابنا اهتدى لملء فراغه الفكري . بل نرى بعضه يملأه بما تصل اليه يده من المتع الدانية والشهوات الرخيصة يقتل بها الوقت الذي يئن تحت وطأته .

ظاهرة اجتماعية في منتهى الصعوبة بالنسبة للمراهقين خاصة .. يتحسر لها أولياء امورهم ولا يستطيعون لها حيلة . وستظل هذه الظاهرة قائمة ما دام الوضع الانتقالي بين القديم والجديد وما دام المجتمع لم يهتد الى نقطة توازن يرتكز عليها . ولعله طور مرت منه كافة المجتمعات البشرية في مدارج رقيها . وهو ما حدا ببعض المفكرين الاجتماعيين الى التحليل والقاء الاضواء الكاشفة على مجتمعاتهم ، واقتراح أنواع جديدة من الترابط الاجتماعي ، من امثال ابن خلدون وأوغوسط كونط ودور كايم وكارل ماركس دون أن ننسى جان جاك روسو ، على ما بينهم من فروق في التفكير وما اصطبغت به أعمالهم من خصائص كان للتطورات الاجتماعية أثر كبير فيها . ولعل تلك الظاهرة الاجتماعية هي التي الهمت بعض المفكرين والفلاسفة

العلم المركب

للأستاذ : أحمد باكو

« العلم المركب » بالقياس العكسي على الجهل المركب ، هو ان يعلم الانسان ويعلم انه عالم ، والذين يصيبهم « العلم المركب » هم الذين يمتازون على الناس بالموهبة والتفوق في علم او فن ، فينبههم اعتبارهم الى انفسهم ، فيعلمون بعلمهم ويبطرهم كما يبطر كل نعمة صاحبها ، و « العلم المركب » اقل قسوة من الجهل المركب ، لان الجهل في الدنيا اكثر من العلم ، ولان الذين يجهلون جهلهم اكثر من الذين يعلمون علمهم .

و« العلم المركب » وبطره قديم عريق في القدم ، فقد ظهر من البشر ومن غير البشر ، ظهر في السماء قبل ان ينزل الانسان الى الارض ، وفي الارض يوم نزل اليها ، ولعل مبدأ العلم المركب يرجع الى ذلك اليوم الذي ابدع الله فيه خلقا من طين واسجد له ملائكته ، فقد سجدوا كلهم لادم ، الا ابليس ، فانه ابى وقد كان ابليس من كبار الملائكة العباد ، ما ترك بقعة من السماء والارض الا وله فيها ركعة او سجدة ، ورغم ذلك فانه عصى حيث كان يجب ان يطيع ويسبق الى الطاعة ، وكان السبب هو العلم المركب ، لقد علم ابليس قدر نفسه ، وعلم ان محتده اشرف من محتد ادم ، لان النار اشرف من الطين ، وصارح الله باستنكاره السجود لمن دونه في المحتد والمنزلة : **((انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين))** .. وفضل امتثال امر نفسه على امتثال امر ربه ، فابى واستكبر وكان من الكافرين ، وكان الاجدر بابليس ان يطيع اذ يؤمر لانه اطاع من قبل دون امر ، وان يمتثل الامر الهين ، وقد امتثل قبل الامر العظيم ، ولكن مقامه السامي ابطره ، فنسي كل شيء الا نفسه ، فكان ابا البطر .

ومن السماء نزل « العلم المركب » وبطره الى الارض ، ومن ابليس ابي البطر ، انتقل الى البشر ، وكان حتما ان ينتقل اليهم ، لان الشيطان تحدى وتوعد ان يغويهم اجمعين ، وان ينقل اليهم ما في ذاته من شر وفي مقدمته البطر ، ولقد ابى الا ان يفرغ في نسل آدم كل ما فيه من بطر حتى خلق من بينهم صورا على مثاله تكرر صنيعه في السماء ، فظهر بينهم من يبطر على الله في الارض كما بطر هو عليه في السماء .

ونجول في الزمن لننتقي نماذج للبطر بين البشر ، ونتجاوز السنين ونعبر القرون حتى نصل الى زمان هو زمان البعثة المحمدية ومكان من الارض هو الجزيرة العربية مهبط وحيها .. في هذا الزمان ظهر شخص عرف بالزهادة والنسك والعلم والتقوى ، درس الاديان السماوية ، وتلقى الاخبار من اليهود والنصارى ومسوح الجاهلية ، وعرف اسرار الدين واسرار التوحيد ، فلبس المسوح وتزهد وحرم الخمر على نفسه ونبذ الاوثان ، وقد عرف فيما عرف ان الله يوشك ان يبعث نبيا .. ذلك هو الشاعر الجاهلي امية بن ابي الصلت ، الذي يكاد شعره ينفرد ، بين الشعر الجاهلي كله ، بالالتفات الى الله الواحد ، والدعوة اليه ، وبعث الله خاتم النبيين ، فكان المتوقع ان يسبق ابا بكر الى الايمان به ولكنه تلبث حتى سبقه جهال قومه الى الايمان فبرزوا به حتى بلغوا عند الناس وعند ربهم اعلى الدرجات ، وابى في الاخير ان يؤمن ، لا عن جهل بل عن علم .. عن « علم مركب » لقد علم منزلته وامتيازه فكان ينتظر ان يتخيره الله للنبوة ، ولما اذاع الناس ان في الارض نبيا جديدا صارحهم بدخيلة نفسه ، وقال : كنت ارجو ان اكونه .. موقف ابليس في السماء يتكرر في الارض من غير نقص في الاحداث ، ولذلك كان خليقا بالحادث ان

تعتبر الام المدرسة الاولى . وهي كذلك لامراء . فمن اللازم أن نكون مزودة بالمعرفة والتربية الكافيتين لاداء مهمنها . « ان تربية المراة هى ما يجب أن نصرف اليه جميع قوانا الموجهة لاصلاح المجتمع » كما قال محرر المراة قاسم أمين . اننا نطالب المرأه بان تربى لنا رجالا احرارا مكتملي الرجولة . فكيف يتسنى لها ذلك . اذا بقيت جاهلة مستعبدة ؟ ان العبد لا يربى حرا ، وانما يربى عبدا مثله وعلى صوريه . وان الام لا تعطي ولدها من الاخلاق الا ما لديها كما قال المفكر المصرى الكبير أحمد لطفي السيد . فالاسرة اذن هى العماد الاول الذى نرتكز عليه شخصية الفرد ، تلك الشخصية التي نعول عليها فى تقدم المجتمع . فيتجلى ان اثر الاسرة فى تكوين الافراد أثر بالغ الاهمية ... وتكوين الافراد الصالحين فى نطاق الاسرة أولا . ثم فى المؤسسات التربوية والاجتماعية والمنظمات السياسية يتيح تكوين المجتمع الصالح .

يفضي بنا الحديث الى حرية الفرد ومسؤوليته . لقد أعطي الانسان قدره من الحرية . بعكس باقي المخلوقات – ليتحمل مسؤوليته ويواجه مصيره . ووهب كذلك الذكاء اللازم لمواجهة الظواهر الطبيعية من جهة . والقضايا الاجتماعية المترتبة عن طبيعة التطور من جهة ثانيه . فكما استطاع أن يخضع الطبيعة ويسخرها لاغراضه عليه ان يحسن استعمال ذكائه وحريته لمعالجة المشاكل الاجتماعية التى تعترض سبيله حتى يجعل من بيئته موطنا يطيب العيش فيه . عليه اذن أن يتصرف فى ذكائه وحريته بكامل الوعي والتبصر . ويتخذ مسؤوليته عن روية وتدبر . فالحرية لم تكن فى يوم ما مرادفة للفوضى والتحلل من جميع القيود باطلاق السبيل للغرائز . والا تردى الانسان الى درجة العجماوات ، وأصبح اسيرا ولو حسب نفسه حرا . والحر الحقيقى من يستطيع على الدوام مسك زمام أمره بيده وتقييد أهوائه ، وصرف مواهبه فى التشييد .. فى الاسهام فى اثراء مجتمعه ماديا ومعنويا .. فى اضافة لبنة جديدة الى البناء المشترك .

هذا دور الفرد فى معترك الحياة .. دوره فى المجتمع : دور يواكب فيه العقل المتبصر بالضمير الحى الواعى . فاذا استطاع أن يؤديه على الوجه المطلوب ، واذا توفر لمجتمع رصيد وافر من الافراد الشاعرين حقا بواجبهم . الكادين فى أدائه . تسنى لهذا المجتمع ان ينهض ويلحق القافلة المتحضرة . لقد وقفت معجبا بكلمة كتبت على واجهة مدرسة زرتها بفرنسا وجاء فيها : « فى معترك الحياة ينبغى ان تكون شخصا ما ، وان تؤدي عملا ما » . فهل لنا فى هذا العصر .. « عصر انفلاق الذرة » عصر غزو الفضاء .. ان نجمع امرنا لا لشيء الا للقضاء على التخلف الذي يئن مجتمعنا تحت وطأته ؟

الرباط : **قاسم الزهيري**

ابـن الحسيـن ومنـه يستلهم النعوت الفخمة والتراكيب الضخمة ، فتكون امداحه في معظمها ، في نفسه لا في غيره ، وان كان لابد لاحد منهم من استثناء ، فهو ممدوحه الاثير سيف الدولة . وكان كبرياء المتنبي يتنفس في نوع ءاخر من شعره وهو اهاجيه المقذعة ولعل هذه الاهاجي ان تكون قد مكنته من ان يروي ظماه الى الاستعلاء وتمجيد النفس على نحو اعمق واقوى . وذلك بتحقير الغير واذلالهم بالقول الواخز الفاتك .

ويذكر بعد المتنبي ، البحتري شاعر الرقة والسلاسة الذي ذهب بالطلاوة كلها ، والذي اراد ان يسحر فتنى . هذا البحتري كان يعلم مقامه فاصيب بالعلم المركب ، فكان يستغل ما يلقاه شعره لدى الناس من استحسان ، ويستحثهم على ان يزيدوا في استحسانهم واعجابهم ، كان البحتري ياخذه العجب لدرجة ان يقول لنفسه ما يقوله المعجب للمعجب ، فكان يتمايل افتخارا ويخاطب نفسه: احسنت ـ وربما اوغل في ذلك فزجر من يستمع ويقول : لم لا تقولون احسنت ـ ويحصر الاحسان في شخصه ويقسم على ذلك قائلا : والله لا يحسن احد ان يقول مثله ، ومهما تكن غرابة بطر البحتري ، فانه الطف منه انه اعف وعبر عنف كسابقه المتنبي .

ومن النابرين نماذج اخرى للعلم المركب يساوي الذي سلف او يفوقه . ولم اجد من قدمائهم من يداني الناقد العربي المشهور ضياء الدين ابن الاثير ، عمد غلوا في ذلك غلوا لم يبلغه احد ممن سلف وقد كان ابن الاثير لا ينتظر ابطره مناسبة ، وانما يعجل به ولا يعطي منه بمقدار وانما يصبه جزافا بلا حساب ويحول معه في كتابه « المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر » لنعرض فنونا من ذلك .

يعرض ابن الاثير لمسالة او لبيت شعر او آية يحللها . وعندما يعطيك رايه يزكيه ويرفعه ويقول لك بالنص : « وهذا شيء استخرجته ولم يكن لاحد فيه قول سابق » او يقول : وهذا موضع غامض يحتاج الى فضل فكره وامعان نظر ، وما تعرض للتنبيه عليه احد .

وعندما يبسط قاعدة بلاغية يعطيك نماذجها المنطبعة من قلمه ، ولا يكتفي بمثال واحد او اثنين ، وانما يتبع المثال بالاخر حتى يمل ، ويابى فوق هذا الا ان يحكم لنفسه بالجودة والبراعة والتفوق ، مثل ذلك عندما يقدم نموذجا من كلامه للسجع الجيد ثم يقول : « فانظر ايها المتامل الى هذه الاسجاع جميعا واعطها حق النظر ، وكذلك فليكن السجع والا فلا »

ويشبع ابن الاثير جشعه الى اطراء نفسه عندما يجادل غيره في قضية ، انظر ذلك في قوله الاتي عن ابي العلاء المعري بمناسبة نقده لبيت للمتنبي : « وبلغني عن ابي العلاء المعري ، انه كان يتعصب لابي الطيب . حتى انه كان يسميه الشاعر ويسمي غيره باسمه . وكان يقول ليس في شعره لفظة يمكن ان يقوم عنها ما هو في معناها فيجيء حسنا مثلها ، فيا ليت شعري اما وقف على هذا البيت المشار اليه ، لكن الهوى اعمى . وكان ابو العلاء اعمى العين خلقة واعماها عصبية ، فاجتمع له العمى من جهتين » ، ويشفعه بصورة اشد واقوى عندما يجعل شخصه وعلمه وكتاباته برهانا يستدل به وهو يجادل حكماء اليونان في هذا النقل الذي نوجزه من كتابه المذكور : يدعي المؤلف ان الاديب او المتادب يمكنه ان يستغني عما سطره حكماء اليونان من شروط للاجادة. ويحاجهم بان البدوي غير المتمدن ، كان ياتي بالكلام البليغ من شعر ونثر. وهو لم يطلع على ما قعده اولئك الحكماء ثم يفترض ان معترضا يعترض عليه . بان البلاغة طبع في العرب . لا يحتاج لديهم الى تعلم واكتساب ، فيجيب على ذلك بان هناك شعراء ، امثال ابي نواس والمتنبي وابي تمام والبحتري . جاءوا بالكلام الجيد رغم انهم لم يخالطوا عربا ولم يعيشوا في بيئة بدوية ، ثم يفترض مرة اخرى ان المعترض يرد عليه فيقول : « فان ادعيت ان هؤلاء تعلموا ذلك من كتب اليونان ، قلت لك في الجواب : هذا باطل بي انا ـ فاني لم اعلم شيئا مما ذكره حكماء اليونان ، ولا عرفته ، ومع هذا فانظر الى كلامي . فقد اوردت لك نبذة منه في هذا الكتاب . واذا وقفت على رسائلي ومكاتباتي ، وهي عدة مجلدات وعرفت انني لم اتعرض لشيء مما ذكره حكماء اليونان في حصر المعاني ، علمت حينئذ ان صاحب هذا العلم من النظم والنثر ، بنجوة من ذلك كله . وانه لا يحتاج اليه ابدا ، وفي كتابي هذا ما يغنيك وهو كاف » .

وقد استمر البطر يركب العلماء ، يخفيه الحياء في بعض ويظهره العجب في بعض ، حتى وصل الى قرننا العشرين ، واصطفى له من كتابنا المحدثين ، المرحومين الدكتور زكي مبارك والاستاذ عباس محمود العقاد ، وللاول منهما فنون في هذ الجنون بز فيها

يستنزل القرآن وان يعتبره بعضهم سببا لنـــزول الآية الكريمة : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنـــا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاويـــن » ، ولذلك ايضا كان قولا فصلا مــــن خاتم النبيئيـــن ان يقول فيه حيـــن يسمع شعـــره في التوحيـــد والايمان « آمـــن لسانه وكفـــر قلبـــه » .

وما نظن الشاعـــر امية المثل الوحيد في هـــذا المجال . فما كان الناس ليقنع بواحد من البطريـــن وقد كان القسم على الاغواء مغلظا شديدا . ولئـــن خفيت الاسماء فان الذي لاشك فيه ان هذا العلـــم المركب الذي يجاوز بطره الارض الى السماء لم ينقطع بل ظل مستمرا ينخـــر له نماذج من الناس . واستمر في سيـــره حتى وصل عصرنا الحاضر فسكن العالمين كلهم او كاد . فعندما انفتحت للناس كثيـــر من اسرار الكون في الارض والسماء وانجلت لهم كثير مـــــن المعميات . ووصلوا في ذلك الى شأو خارق اراهـــم العجب في انفسهم وفي كونهم ، اجتاحتهم موجة مـــن الغرور ، واصبح العلماء كلهم بالآفة فبايعوا عقولهـــم واعلنوا ان السيـــاده للعقل وحده . وانه لا يخفى عليه اليوم خافيه . وان ما لا يعقله العقل فهو معدوم . وكان حتما ان يعلنوا الثوره على عالم الغيب وما فيـــه من مغيبات لا يسعها العقل ويسعها الايمـــان . وكـــان حتما ان يستبد العقـــل . وان يطرح السلطة المطلقه ، فيطيش ويجور في حكمه . ويتنوع طيشه وجـــوره ويتشكل في اشكال مختلفه لا حصر لها . ومن احدث صور هذا الطيش في عصرنا . حديث احد رواد الفضاء الاولين . الذي حكى فيه . بعد رجوعه من سفرته . انه فتش عن الله في السماء فلم يجده ، وناداه فلـــم يجبه . ولعله حسب انه بلـــغ في طيرانـــه المنتهى ، او وصل الى العالم العلوي . ولعله ايضا حسب ان للـــه منزلا في السماء يسكنـــه كما يسكـــن الناس ، ويبـــرز منـــه لمن ســـأل ودق بابـــه .

على ان العلم المركب ليس كله على هذا الضرب العنيف . فمنه ما لا يمد بطره السماء وانما يقتصـــر على الارض ، وما لا يتطاول على الخالق وانما يستهدف الخلق وحده . هذا الضرب فاش بين كثيـــر مـــــن ذوي المواهب والعبقريات ، ومن حســـن الحظ وسوئه معا انه يكاد يقتصر عليهـــم وحدهـــم دون غيرهـــم ، يستقبحه منهم الناس اول الامر ثم يغفرونه فيمـــا يغفرونـــه لهم من هفوات .

ولهذا النوع نماذج كثيـــرة بيـــن علمائنـــــا وشعرائنـــا ، سواء منهم من قدم عهـــده ومن حـــدث نذكر منهم بعض الشعراء اولا ونذكر في المقدمة المتنبي ومن غير المتنبي يسبق الى الذهن والذكـــر !؟ .

لقد اشاد المتنبي بنفسه ومجدها على نحـــــو لا يكاد يوجد له نظيـــر بين الشعراء ، ويجعله نموذجا مجسما للعلم المركب بيـــن الشعـــراء ، والقريب ان اعجاب المتنبي بذاته نشأ في نفسه قبل ان يكـــــون شيئـــا . وقبل ان يزكو موهبته وترشد عبقريته بحيث يبدو ان له منشأ اخر مجهولا غير العلم بالعلم والتفوق وربما يجعله هذا خارجا عن موضوع القاعدة مندرجا تحت اصل آخـــر . ذلك انه اعجب بشخصـــه ورأى نفسه خليقا بان يتبوأ اعلى الدرجات ، ومن اجل ذلـــك ثار عند ما جاءته الفرصة وتنبأ حيـــن ظن ذلك يرفعه الى العلاء ، وربما كان منشأ هذا بنفسه هو اصله الذي اعتبره الناس وضيعـــا ، وهكذا يكون استعلاء المتنبي ناشئا من العلم بالوضاعة وليس من العلم بالعلم .

ولكن هذا الاعجاب القديم في نفس المتنبي وجـــد سببا ومستندا عندما رشدت عبقريته الشعريـــــة فاستحق ان يكون من ذوي العلم المركب ومثالا لهـــم رغم الذي سلف .

بالغ المتنبي في تمجيد نفسه والحديث عنهـــــا حتى اعتبره النقـــاد عابد نفســـه ، وشعره ملـــيء بابيات يجاهر فيها بذلك ويصرح بـــه ، تأمل قوله :

لا بقومي شرفـــت بـــل شرفوا بـــي
وبنفســـي فخـــرت لا بجـــدودي

ثم قولـــه :

انا الذي نظـــر الاعمى الى ادبـــي
واسمعت كلماتـــي من به صمـــم

ومن دون هذا التصريح كان كبرياء المتنبي يتنفس في مدائحه الكثيـــرة . فقلما نسي وهو يمدح ان يلتفت الى نفسه وينبه الى شخصه ، حتى وهو يمدح سيف الدولـــــة :

لا تطلبـــن كريمـــا بعـــد رؤيتـــه
ان الكـــرام باسخاهـــم يدا ختموا
ولا تبـــــال بشعـــر بعد شاعره
قد افسد القول حتى احمد الصمم

بل لعل المتنبي ما كان يمدح من يوجه اليـــه مدحه بالذات ، وانما كان يمدح نفسه وشخصه ولعله حيـــن يصوغ شعره ، لا يضع امامه الا شخص احمـــد

التبوخ ومن ردوده في هذه الخصومة التي تعتبر مثالا في الموضوع ، رده على خصومه ، بان ما يدعون اليه من مبادىء وقيم ، سبق ان اعتنقه ودعا اليه ، قبل ان تلدهم امهاتهم .

واشهر الخصومات التي ادارها العقاد واشتغل بها زمنا طويلا واظهر فيها صلابته وعناده واعتداده بنفسه ، هي خصومة الشعر الحر .. واشهر من نازله وكان ضحية لعنفه فيها هو المرحوم الدكتور محمد مندور .

وآخر ما يذكر من خصومات العقاد ، جدالة مع الدكتوره بنت الشاطىء ، بمناسبة ظهور كتابه « المراه في القرآن الكريم » لقد علقت الدكتورة على هذا الكتاب واستنكرت فيه بعض آراء المؤلف فرد كلامها ردا عنيفا جارحا ذاكرا انها ليست من فصيلة حواء مستدلا على ذلك بامثلة من ذاتها وحيانها الخاصة ، وانها آخر من يجوز له ان يدافع عن المراه ، وقد تأذت بنت الشاطىء من هذا الكلام وتظلمت منه الى القراء في مقال بعنوان « حفرة من نار »

وقد اصبح العقاد في عناده واعتداده بنفسه مثلا مضروبا يشبه به في ذلك، قال صالح جودت مادحا الشاعر الناس فرحات مشبها اياه بالعقاد .

شاعر فيه حكمة « المتنبي »
وائتلاق « الرومي » جرسا ووحدة
واباء « الشريف » اذ يتحدى
كل مستكبر يصفر خده
وعناد « العقاد » حين يرى الرا
ي ويملي ان يسجد الكون عنده

ومن سوء الحظ ان العلم المركب لا يصيب الا العلماء ، فلا نتصور ان يصبب غيرهم ، لانه علم بالعلم، ولا يعلم بالعلم الا العالم ، ومن حسن الحظ كذلك انه لا يصيب الا العلماء ، لانه يكون فيهم عيبا تحف به محاسن ، نستره حبنا ونخفف من اذاه حينا ، ونكون شفعا لهم عند من يود ان نغفره ، ومن حسن الحظ ايضا انه لا يصيب كل العلماء ، وانما يصيب البعض ، فبجانب الاسماء التي ذكرناها نماذج للعلم المركب ، اسماء اخرى لها في التواضع ما لها ، وما اجمل ان يتواضع العلماء ولكنه قسم ابليس ابي البطر ان نغوى وان ننقل الى الناس كل ما في ذاته من شر وفي مقدمة الشر البطر .

الدار البيضاء ـ احمد باكو

سلفه ابن الاثير او كاد ، لقد كان الدكتور زكي مبارك نموذجا مكتملا للعالم علما مركبا ، فقد كد في تحصيل المعرفة وشق على نفسه في ذلك حتى انتزع من ممتحنيه اعلى الالقاب العلمية باعلى الدرجات غلابا ، فنال الدكتوراه ثلاث مرات وحصل في عمر واحد ما يحصله الافراد في اعمار ، ولكنه علم بعلمه ، فادركته الافة واعجب بنفسه واغرب في ذلك .

لقد استصغر ان يلقب بالدكتور وهو الذي حصل اللقب ثلاث مرات ، فزين له هوى نفسه ، ان يبدع في الالقاب ما ليس مالوفا ، وان يدعي باللقب مجموعا، فكان يدعو نفسه الدكاترة زكي مبارك ، ويشهد عليه المرحوم جاد المولى في مقدمة كتبها لمؤلفه التصوف الاسلامي ، بانه كان بتصوره « محبا للظهور بمظهر السيطرة والاستعلاء » والدكتور زكي لا يجادل في ذلك ولا يماري ، بل هو يعترف على نفسه ويصرح بانه لا يعرف التواضع ، كذلك يقول في مقدمة كتابه التصوف الاسلامي ، وهو يقدمه للقراء ، وهذا كلامه : « نوقش هذا الكتاب بجلسة علنية في مساء اليوم الرابع من ابريل سنه 1937 .. ناقشته لجنة عنيفة قهرت المؤلف على التواضع وهو خلق لم يعرفه من قبل .. »

وان كنت في ريب مما قرأت ، فهاك مثالا من حديثه عن نفسه ، اقرأ كلامه وهو يقدم كتابه : «النثر الفني» الى القراء : « ان هذا الكتاب هو اول كتاب من نوعه في اللغة العربية ، او هو على الاقل اول كتاب صنف عن النثر الفني في القرن الرابع ، فهو بذلك اول منارة اقيمت لهداية السارين في غيابات ذلك العهد السحيق .. ولن يستطيع اي مؤلف مهما اعتز بقوته وتعامى عن جهود من سبقوه ، ان ينسى انني رفعت من طريقه الوفا من العقبات والاشواك .. وهل يمكن الارتياب في ان مؤلف هذا الكتاب هو اول من كشف النقاب عن نشأة النثر الفني في اللغة العربية .. »الخ

وللذين يدركهم العلم المركب دركه اخرى في هذه الافة هي تحقيرهم للغير بجانب تمجيدهم لانفسهم كما رأينا في بعض النماذج السالفة ، وقد غلا الدكتور زكي في ذلك غلوا لا مزيد عليه . فقد كان عنيفا في جداله فاجرا في خصامه قاسيا في نقده الاحياء والاموات معا ، يتجاوز الموضوع الى الشخص والرأي الى صاحبه ، وقد قال عنه المرحوم الدكتور احمد امين ان الدكتور زكي يلقى مجادله كما يلقى المصارع المصارع . لا كما يلقى العالم العالم ..

كذلك كان شأنه مع الغزالي حين الف عنه كتابا في نقد فلسفته ، وكذلك كان شأنه مع كثير من معاصريه الذين جادلهم ، وما اكثر من آذى منهم بقلمه ، وربما كان صديقه المرحوم احمد امين اكبر من تأذى منه في المقالات المسلسلة التي كتبها عنه بعنوان « جناية احمد امين على الادب العربي » تعليقا على بحث لاحمد امين بعنوان : « جناية الادب الجاهلي على الادب العربي » فقد جار الدكتور زكي في نقده جورا فاحشا جعل كثيرا من القراء يستهجن صنيعه بالرغم من انه كان مصيبا في تخطىء احمد امين ، وقد خصص الدكتور زكي لحملته المنكرة اثنين وعشرين مقالا نشرها متتابعة في مجلة «الرسالة» ظل فيها يعيث في شخص احمد امين حتى اغرب وتجاوز كل حد ، فيكتب مثلا : « لو ان معدتي كانت كما احب من القوة والعافيه لاكلت لحم الاستاذ احمد امين وارحت الدنيا من احكامه الجائره في الادب والتاريخ. » ويختم حملته مزهوا فيكتب في آخر مقال : « اما بعد فقد انهيت القول في محاسبة الاستاذ احمد امين بعد ان ارقت جفونه خمسة اشهر كانت عنده كالف سنة مما تعدون .. » ويذكر الاستاذ احمد امين هذا بعد سنين . فيقول انه تأذى من نقد زكي مبارك بالرغم من انه ما كان يكره النقد وذلك لكونه اقحم شخصه وخلقه وشرفه في الموضوع .

وظل العلم المركب حيا ، بعد غياب الدكتور زكي في شخص المرحوم عباس محمود العقاد الى ان انتقل الى عالم البقاء .

وقد تلونت هذه الخصلة في العقاد بطبعه ونفسيته فجاء في ذلك مختلفا بعض الاختلاف عن سلفيه ابن الاثير وزكي مبارك . فما كان يسخف في حديثه عن نفسه مثل الاول . وما كان يطيش فيتمنى ان يفترس لحم من يجادله مثل الثاني . وقد تميز عنهما بانه كان يفاجىء بحديثه عن نفسه ويهاجم به ، او قلما كان يفعل ذلك . فلا يكاد يمجد نفسه الا وهو يدافع في خصومة ادبية .

ومن حديث المرحوم العقاد عن نفسه وتمجيدها انه قال مرة : « انا لا اعترف في الكرة الارضية كلها بعميد للادب اسير تحت رايته . فاين هو الاديب الذي يمكنك ان تقول وانت مطمئن الضمير انه يفضلني؟ لقد كتبت ستين كتابا اتحدى اي مخلوق ان يؤلف مثلها » وقد قال هذا الكلام في سنه 1955 دفاعا عن الخصومة الادبية التي ثارت آنذاك حول ادب

والتجهيل والاستغلال كان هو المبدأ الذي ارتكزت عليه خطط الاستعمار على اختلاف اجناسه واشكاله .

والواقع ان سرد تاريخ افريقيا اما جملة واما مفصيلا تحت مختلف الانظمة الاستعمارية لم يعد في حد ذاته امرا ذا بال .

وبالرغم عن دسائس الاستعمار واساليبه وخططه وحصاره المنيع فان شعوب افريقيا استطاعت ان تفتح لنفسها نوافذ على العالم ، واستطاعت شعوبها ان تتعرض للهواء الطلق وان تمتد ابصار سكانها من وراء الحصون الاستعمارية ومن وراء الادغال الطبيعية لترى مشاهد من عالم اليوم ، ولترى ايضا البون الشاسع الذي يفصل فيما بين حياتها وحياة ذلك العالم الذي لاحظت فيه انه مليىء بالاعاجيب .

ولم يكن لها بد بعد ذلك من ان تجهز على الاغلال التي قد تقيدها وتعمل على تكسيرها وتحطيمها لتنساب زاحفة ولتقيم في ساحاتها تماثيل الحرية ولتحلها محل تماثيل الاستعمار وكذلك كان .

ان افريقيا قد اكسبت الدول الاستعمارية « قوة متعددة الاطراف » ، قوة اقتصادية وسياسية كانت هي العملة الجاري بها في ميدان التنافس والتطاحن فيما بين تلك الدول، وكان الجانب السياسي في هذه القوة يستمد سلطته على الدوام من الجانب الاقتصادي الذي تكمن عناصره فيما تختزنه الارض الافريقية من مواد اولية مختلفة الاشكال والاحجام.

ومنذ ان احررت الاقطار الافريقية على استقلالها انسحب مقاليد هذه القوة خاضعة لسلطة وطنية يمكنها ان تكون مطلقة التصرف في استغلال مواردها استغلالا وطنيا يستوحي توجيهاته من عبر الماضي ومحنه ومآسيه .

لقد آثرت ان اضرب صفحا على استعراض المراحل التي توالت على افريقيا قبل الاستعمار ، لان مثل هذا الاستعراض لا يفيد كثيرا في فتح عيوننا عن بعض الحقائق التي نتوخاها ، واحسن من ذلك هو ان نجمل كلما امكن الاجمال في التحدث عن الماضي، لانه ولى بجميع ظروفه وشروره واحسن من ذلك ايضا هو ان نشير ولو اشارة عابرة الى بعض عناصر تلك القوة التي طالما تطاول بها الاستعمار وصال وجال واكتسى بها ولو ان « المكتسي بثياب الاخرين انما هو في الواقع عريان .

ان الاحصائيات الحديثة والتي تتضمنها وثائق الامم المتحدة لتسلط الاضواء والانوار على مكنون الارض الافريقية ، فلنستشر بعض تلك الوثائق لتشير علينا بما يمكن ان يكون لنا نبراسا في هذه الدراسة .

ان افريقيا تنتج حوالي 3ر3 من انتاج العالم في الكاكاو ، كما ان افريقيا تحتل مرتبة مرموقة فيما يخص انتاج المطاط في حين ان مساحة الاراضي تعمها الغابات في افريقيا تصل الى نحو 800 مليون هكتارا ، وهي تنافس في هذا المضمار الدول السكندنافية وكندا وحتى الولايات المتحدة ، بينما الثروة المعدنية تضرب رقما كبيرا في اقتصاديات افريقيا بالنسبة الى مختلف دول العالم ، فهي تنتج 2ر1 من ذهب العالم و98 في المائة من الماس و5ر4 من الكوبالط ، ويعد الذهب من انفس المعادن التي تنتجها افريقيا ، ولهذا فانه لعب دورا خطيرا في دخول الاستعمار الاوربي الى القارة الافريقية وخصوصا بجنوبها ، وتنتج افريقيا ما يوازي تسعين في المائة من انتاج العالم من الكوبالط ، وتوجد بافريقيا مناجم للحديد والمنغنيز يرتفع انتاجها سنة بعد اخرى ، كما ان افريقيا تتوفر على ثروة كبيرة من مادة الفوسفاط الذي يعتبر المغرب من اهم منتجيه، و لايفوتنا ان نشير الى ثروة البترول التي يتوالى ارتفاع المكتشف منها وخصوصا بالجزائر .

تلك « عينات » من ثروات افريقيا ، وهي « عينات » تدعو الى الكثير من الدهشة والاستغراب حينما نستعرض حالة التغذية في الاقطار الافريقية ومستوى الدخل القومي والصور التي تظهر من خلالها بعض انحاء افريقيا وهي على حالة من البدائية التي ما تزال شاشات السينما تعرضها حينا بعد حين.

فاذا كان مثلا انتاج الماشية في افريقيا يعلو وينخفض فان هذا الانخفاض لا يكون ولن يكون مبررا للقدر المزري الذي يستهلكه المواطن الافريقي في بعض الاقطار الافريقية من اللحوم والذي يتراوح فيما بين كيلوغرام وثلاثة في السنة كلها .

واذا كان الاستعمار يعد مبررا فيما قبل لكل البلايا التي صبت على الاقطار الافريقية فان عهد الاستقلال والمسؤولية الوطنية قد انعدم معه هذا المبرر ، والمفروض فيه ان ينعدم معه .

افريقيا

في مفترق طريقين

للأستاذ : أحمد زياد

-2-

يجب علينا نحن الافارقة ان نضع مشكل القارة الافريقية فرادى وجماعات حكومات وشعوبا هيئات ومنظمات . يجب علينا ان نضع هذا المشكل في وضعه الحقيقي . لانه مشكل واحد بالنسبة الينا مهما تباين في تشكلاته بالنسبة لغرب وشرق افريقيا وشمالها وجنوبها .

وعلينا الى جانب ذلك وبالاضافة الى ذلك ان نضعه بجميع عيوبه ما ظهر منها وما بطن وان نحيط دراسته بمبادىء قويمة من النقد الذاتي العميق الذي لا يرحم ولا يداهن و لا يستتر متجردين عن كل عاطفة قد يمليها مركب نقص تدفع اليه الانانية دفعا ، وتحملنا على ان نتظاهر بعظمة القط الذي يحكي انتفاخا صولة الاسد .

ان هنالك افريقيا كما ارادتها الطبيعة وخلقتها بأدغالها وبحيراتها وتماسيحها وذباب « تسي تسي » الذي يعشش في بعض اجزائها . ومرض النوم الذي يتفشى في بعض جهاتها وقبائلها المتباعدة في الامزجة والاعراف والديانات والامية المتفشية بين ربوعها ودخلها القومي الهزيل .

كما ان هنالك افريقيا التي تختزن الكنوز من مواد اولية التهمتها وتلتهمها الات الصنع في الدول المصنعة .

وهنالك افريقيا كما ارادها الاستعمار الذي توافد مغامروه عليها باحثين ، مستكشفين حتى اذا وقعت ابصارهم على ثرواتها ، تحركت شهياتهم ، ولا نقول سال لعابهم ، ثم سرعان ما تحولت مغامرات المغامرين . ومساعي التجار المغامرين الى غزو عززته الاساطيل والجنود .

ثم وقع تقسيم افريقية كما ارادها الاستعمار فكانت منها الامبراطورية التي لا تغرب الشمس عن اطرافها . وكانت منها الموارد الخام التي لا ينضب معينها . ووضعت الستراتيجية العسكرية في ترتيب مواقعها وسادها حكم مباشر متفاوت الدرجات تعددت وسائله وتوحدت اهدافه .

اما الوسائل فقد تجلت فيما ركن اليه الاستعمار وداب عليه من تنظيم القبلية وتقنينها والعمل على تشعب مشاكلها وتعقدها . فاصبحت تلك المشاكل وهي تصطبغ بصبغتين اثنتين صبغة الطبع وصبغة التطبع .

واما الاهداف فهي ترمي الى استنزاف ما تخرجه الارض من مواد اولية تحول الى المصانع التي تحولها بدورها الى انتاج استهلاكي تعاد الى افريقيا فواضله وبواقيه لتشترى على انها مواد للاستهلاك .

ولسوء حظ افريقيا فان عملية التنسيق والتلقيح هذه طالت مدتها . وتنوع مددها وكان الشعار الدائم لتلك الوسائل والاهداف هو : الغنم للمستعمرين والغرم على المستعمرين . ثم ان الاستعمار قد استطاع ان يستغل بوسيلة من وسائله الشعوب الافريقية ليحقق اهدافه . فمن تشجيع للقبلية الى الاستعانة بالمبشرين . ومن رشوة رؤساء القبائل الى تسليط البعض منهم على البعض الاخر الامر الذي كان من نتائجه الحتمية تعميق الاساليب البدائية وسد كل نافذة يمكن ان تطل منها افريقيا على ما كان يتعرض اليه العالم من تحول وتطور . ولئن تباينت خطط الاستعمار بالنسبة لغرب افريقيا وشرقها وجنوبها فان مبدا ضرب الحصار عليها وعزلها وتركها عرضة للتفقير

خطواتها من الوازع الوطني في حين ان المناهج العلمية والاساليب التقنية يجب ان تتحكم هي الاخرى في ارقام السرعة لكل انطلاقة في ميادين النمو الاقتصادي ثم اذ، لابد من تنحية مركب النقص الذي يوهم بان ضبط التوقيت في التخطيط الاشتراكي ومراعاة مختلف التيارات العالمية يعد خصوصا لايديولوجية رجعية هي ايضا قبل ذلك وبعد ذلك المحافظة على كل مكسب وطني وتدبيره تدبيرا يساعد على النمو ويجنب الزج بالوطن في مأزق قد تكون عاقبته الافلاس .

اذا كان من الممكن غض الطرف عن اخطاء الاشتراكية في شكليات الحكم فانه يكون من المتعذر حقا غض الطرف عن اخطاء اشتراكية في التصاميم الاقتصادية التي يتصل امرها بين الشعوب وبحولها من مرحلة الاستعمار الى مرحلة عهود الاستقلال ، مع ان العلم بان اشتراكية الحكم ترتبط باشتراكية النمو الاقتصادي وان كانت عواقب الخطأ تختلف عن بعضها في الحالتين وبحكم هذا الارتباط فان مشكلا اخر برز في الدول الافريقية وهو مشكل الملاءمة فيما بين الاشتراكية والديمقراطية سواء في تشكيلات الحكم او في برامج التخطيط التي تسهر تلك التشكيلات على تطبيقها . فهل امكن وهل يمكن الجمع بين الاشتراكية والديمقراطية في الاقطار الافريقية ؟ وهل بقي للديمقراطية مداول في ظل حكم اشتراكي وهل تصلح ديمقراطية الغرب لانظمة الحكم بافريقيا ؟ انني اعطي الكلمة للجواب على هذه الاسئلة الى خبير افريقي هو السيد رني هاندن الذي لخص هذه الاسئلة في سؤال ثم يجيب عليه بكل تفصيل . والسؤال الذي وضعه هذا الخبير هو « هل للديمقراطية مستقبل في افريقيا ؟ » ثم يجيب :

« ان جميع الامم الافريقية تقريبا تكرم تكره الديمقراطية ومع ذلك تجابه معظمها اخطر المصاعب في تطبيقها . وفي معظم هذه البلدان التي نالت استقلالها منذ سنوات قليلة قامت في البداية انظمة برلمانية من مجالس تشريعية منتخبة وقضاء مستقل ، بل ونظام حزبي في بعضها الا انها ـ يقول السيد هاندن اخذت تواجه تفككا في مؤسسات الديمقراطية بدرجات متفاوتة حتى انه ليمكن القول ان النظام الديمقراطي لا يسير بصورة مرضية الا في دولتين من اصل ما يزيد على اربع وعشرين دولة افريقية ، ويكشف هذا التفكك عن نفسه في حالتين من التطور يحصلان عادة بعيد الاستقلال ، اولاهما انخفاض سلطة الهيئة التشريعية ونفوذها ان هنالك واقعا لا يمكن اخفاؤه او التستر عليه الا وهو ان اعضاء الهيئة التشريعية المنتخبين في بلد منطور تنقصه الخبرة ، قد يفتقرون الى التدريب الضروري لانجاز مهماتهم انجازا صحيحا وكاملا ، غير انه في النادر ما تتوفر فيه المعرفة الكافية لفحص التشريع ونقده نقد خبير ، وتلك هي المهمة الاولى والاساسية في المشرع . ثم ان مجتمعات ما يزال يسودها البغض الشديد للقبيلة قد تجد صعوبات كثيرة في مجابهات الضغط الاقليمي او القبلي وفي اعطاء الاولية لمصلحة الامة ككل . وحيث تكون الحاجة ماسة لبناء الامة وتطوير الاقتصاد كما هو الشأن في افريقيا فان الهيئة التنفيذية تشعر بانها في حالة اضطرار لان تكتسب المزيد من السلطات التي تمكنها من العمل بنشاط وقد يوجد هنالك ما يغريها لتجاوز الهيئة التشريعية التي ما تلبث ان تفقد ثقة الشعب .

هذه هي الحالة الاولى من الحالتين المشار اليهما .

اما الحالة الثانية فتتلخص في انه خلال الصراع من اجل الاستقلال اتحدت جميع القوى في حركة قوية واحدة وكثيرا ما كانت هذه الحركة موحدة تسير بقيادة زعيم واحد ، فلما جاء الاستقلال اصبحت الحركة الناجحة هي الحزب الحاكم ، وربما احرز هذا الحزب جميع المقاعد في المجلس التشريعي المنتخب حتى اذا ما قامت احزاب معارضة واستطاعت البقاء في مرحلة الانتقال الى الاستقلال لم تستطع الدولة الجديدة ان تهضمها بسهولة . وهكذا فاما ان تلصق بزعمائها صبغة الخيانة لا لشيء الا لانهم المحررون المنتصرون . واما ان يقع الاصطدام فيوضع المعارضون السجون ويقصون الى المنافي وفي النهاية قد يلتحق البعض منهم بحزب الحكومة ، وهكذا اصبحت الاحزاب المعارضة بشكل عام تؤول الى الزوال ، فليس من العجيب بالنظر لهذا الوضع ان اصبح العديد من الملاحظين السياسيين يتنبأون للديمقراطية في افريقيا بمصير قاتم . »

تلك هي ازمة الديمقراطية في شكليات الحكم التي تعاني منها افريقيا ما تعانيه .

بعد هذا تأتي اكثر المشكلات صعوبة وهي تتفق هل الديمقراطية في الامم الحديثة مع النمو الاقتصادي

هنالك صعوبات تعرض حركة النمو ما في ذلك من شك ، بيد ان هذه الصعوبات ما كانت لتمنع من الوصول الى المستوى النسبي ، ولئن كان لهذه الصعوبات تأثيرها فان لانعدام المناهج الصالحة والجدية تأثيرها كذلك ، ويجب النص هنا على ان مناهج بناء الاستقلال تختلف كثيرا عن مناهج تحقيق الاستقلال كما ان الوسائل تتباين هي ايضا كذلك .

وبمعنى اوضح فان وسائل تحقيق الاستقلال كانت مجرد ثورات عاطفيه دفعت في الكثير من الاحيان الى بذل تضحيات جسيمة . بيد ان هذه التضحيات لم يكن لها — وبطبيعتها — ان تتعدى الحيز المادي في كيفها وكمها، اما وسائل بناء الاستقلال فهي مثالية من حيث المقصد . غير انها تصطبغ بالعقلانية من حيث التطبيق والتدقيق في التطبيق .

ويعنى بنا هذا التعليل الوجيز الى ان نضع الاسئلة التالية :

هل شرعت الاقطار الافريقية في استغلال ثرواتها استغلالا مرضيا لبناء الاستقلال ؟ وهل الاقطار الافريقية سائرة في اكتساب القوة التي استطاع الاستعمار ان يجعل من الثروات عناصر لقوته ؟ واذا وقع بالفعل استغلالها فهل وقع الاختيار على احسن الاساليب وانسبها واقربها للواقع الافريقي ؟

ان الجواب على هذه الاسئلة يقتضي منا الاشارة مرة اخرى الى نوعية الوسائل التي حققت بها الاقطار الافريقية استقلالها . وهي وسائل يختلف البعض منها على البعض الاخر من حيث الكيف

فهنالك اقطار افريقية لم تحرر على استقلالها الا بعد جهد جهيد وتضحيات جسيمة ومريرة في نفس الوقت . فكان من الطبيعي ان يستمر المد الثوري لاساليب خططها في بناء الاستقلال ، في حين ان اقطارا افريقية اخرى ساعدتها ظروف نشأت عن تطور للمفاهيم التي استطاعت الحركات التحريرية ذات الطابع الثوري ان تنشرها ، فوقع التسليم بحقها في الحرية والاستقلال بصورة عفوية . وكان استقلالها تبعا لذلك عبارة عن نتيجة لمقدمة منطقية شكلتها الحركات التحررية ذات الطابع الثوري .

وهذا القسم الثاني من الدول الافريقية كان ولابد من ان تتكيف اساليبه في بناء الاستقلال بكيفية مغايرة لاساليب القسم الاول حيث آثر قادة هذا القسم مبدأ الاعتدال الذي يشتط احيانا فيتحول الى حالات صريحة من التبعية والسياسية والاقتصادية ، في حين ان القسم الاول من الدول الافريقية لم يتأخر عن استخدام المد الثوري حتى في هذه المرحلة من بناء الاستقلال ، وهو مد يشتط هو ايضا في الكثير من الاحيان فيؤدي تشططه الى ارتكاب الاخطاء الذي كان من نتائجها على الاقل ضياع الوقت .

وفيما بين الاعتدال الذي يشتط في اساليب القسم الثاني فينقلب هو ايضا الى مجرد محاكاة وتقليد ، فيما بين هاتين الحالتين تكمن الازمة التي تعاني منها البلدان الافريقية ما تعانيه .

وهنا يدعونا هذا العرض الى الحديث عن الواردات العقائدية التي تضاربت الاراء حولها وما تزال فيما يخص دورها في القارة الافريقية .

فاذا كان قسم في دول افريقيا اثر التبعية والتحالف المقلدين فان قسما اخر اخذ اتجاها مغايرا واتسم هذا الاتجاه بالاتجاه الاشتراكي .

لقد كان ولابد للتجربة الاشتراكية من ان تجرى اولا وبالذات على استغلال الثروات الوطنية بمفهومها العام وان تتسم بطابع العدالة في التوزيع وتزيل عنها الصبغة الاحتكارية التي دأب الاستعمار عليها حينا من الدهر .

نعم لقد وقعت التجربة الاشتراكية في افريقيا بيد ان بعض خططها منيت بالفشل ولماذا ؟ لانها لم تكن اشتراكية علمية ، ثم وطنية بعد ذلك انها لم تكن علمية لان الثقة تقتضي الاناة التي تلزم المبدأ الثوري في مراحل تكوين المجتمعات من ظروف التخلف، ولكنها لا تغفل في نفس الوقت مناهج العلم الحديث التي تستلزم مفاهيم القرن العشرين التقيد بها والعمل على ان تكون الروح الثورية عاملة بمقاييسها وذلك مجاراة للترابط الدولي الذي لابد من مراعاته ووضع الحساب لمقتضيات نتائجه وعواقبه .

ولابد هنا من ابراز حقيقة لابد من ان نبرزها الا وهي ان الثورية لا تناقض في شيء المناهج العلمية والاساليب التقنية التي يجب ان يخضع لها كل تخطيط من مخططات النمو الاقتصادي فالثورية انطلاقة ولكنها انطلاقة يجب ان نستوحى ترتيب

الفنية . والاستعداد النفسي اللازم ، لهذا ليس بوسع كل واحد ان يكون ناقدا ، وراقني جدا ان ينتبه السيد السعرة الى هذه النقطة عند ما قال : « ان النقد اختصاص قبل كل شيء » . ولكنه عاد وانقاد وراء القلم ليتيه في فداكة فارغة وليلوك لسانه كلاما غير مفيد ، ومن غير ان اخوض في مسالة الاختصاص او اسال السيد « السعرة » عن نوع اختصاصه ، اؤكد ان الناقد لا ينبغي ان يتكيء على ذاته ويمزج بين ما يكتبه عن غيره وبين ما ينتابه من انفعالات ذاتية . لان ذلك يفسد النقد ويجعله خاضعا لمختلف التأثيرات التي توحي بها اللحظة . ولكي يحفظ الانسان نفسه من الوقوع في شرك ذاته يجب ان يكون اخلاقيا . مثقفا . وليس معنى هذا انني اعتبر الثقافة هي كل شيء في الموضوع . ولكنني اعتبرها عنصرا مهما يشكل مع غيره من العناصر الاسس الضرورية للنقد . بمعنى ان النقد ليس عملية اسقاط للثقافات على الاعمال الادبية . وانما هو استعانة بها لفهم هذه الاعمال . اما مهمة التقييم فتبقى موكولة للذوق . لان مهمة الثقافات هي صقل الذوق وتعميقه . ولا اريد ان اشرح هذه النقطة لانها من البديهيات والمسلمات وقد حاولت .... بكل هدوء ان اكشف عن هوية السيد « السعرة » من خلال صفحات « نقده » . ووجدت كتابته .... عن تحامل كبير صيغ في قالب لفظي بائس ووجدته .... الى استنتاجات وهمية تشبه تلك التي يستنتجها اولئك الذين لا يزالون في اول عهدهم بالقلم

وسالني . (ماذا قال في نقده ؟) واجيبك : (ان .... كبير . وتعمد ان يقحم فيه اشخاصا اخرين .... عن نطاق ديوان العدد الماضي

وساقتصر هنا على اثبات بعض ارائه فيما ذكره بخصوص قصيدتي (مع البحر) المنشورة بالعدد الماضي .

فماذا قال عنها ؟ قال : « البحر هذا الموجود العظيم الهائل . والزاخر بالحياة والموت هذه المتاهات من المياه البحر هذا القاذف بامواجه ابدا الى الشاطيء . بمائه الازرق . وزبده الابيض الهش الناعم ءانا . المصطخب احيانا هذا كله . وغيره . ماذا تراه يفعل في قلب الشاعر وعينه وحسه ذلك ما اراد ان يقوله لنا الاستاذ حسن الطريبق فهل افلح ؟ يحاول بي ان اقول ان الموضوع قديم » يظهر ان « ناقدنا » لم يحاول ان يستكنف عن عالم نفسه ، ولم يحاول ان يفهم ان كل انسان يحمل في داخله عالما اوسع من البحر . وقد يرى الشاعر الكون كله في نفسه، ولا اريد ان اخلق تعليلا لما يقوله الشاعر عن نفسه ، وان كان « اليوت » قد شرح هذه القضية شرحا جميلا عند ما اوضح ان الشاعر عند ما يهم بكتابة قصيدة ما فانه يحس بشيء في داخله لا يفهمه ، فيبدأ على الكتابة ليأتي بما اسماه بالمقابل الموضوعي لهذا الشيء الغامض ، وقد يكون احب من السماء او اوسع من البحر ، ورحم الله الشاعر على قوله :

وحسبي بنفسي عالما لو كشفته
تعجبت مما سوف يحمله القبر

فالمسألة تعود الى الاحساس ، ولا احب ان اجهد نفسي في تفسير احساسي وكيف كان في اللحظة التي كتبت فيها هذه القصيدة . لانني مهما حاولت ان آتي بتفسير مماثل ما جاء في القصيدة . واتأسف لكون السيد « السعرة » لم تفهمني من خلالها !

وقال ايضا : « وان كان لي من طلب على الشاعر فهو ان يحاول ـ ارجوه ـ التخلص من هذه العواطف المبتذلة « المسوعة » بين فكي كل من هب ودب ، وان يسمو بنفسه الى الاعلى شيئا حتى ينقذ نفسه مما قد تورط فيه : « ان تدوينه عجلة العصر المسرعة » فلماذا مثلا هذه اللهجة الخطابية القديمة :

يا بحر ، كم تهاجني وتثيرني
زفرات قلبك حين تصطفق المياه

يا بحر . يا مهد الجمال وسره
يا مقلة الاوهام يا لغز الحياة

نعم انها كانت في يوم تثير الاعصاب وتوقظ كوامن الشعور . اما اليوم فلا)

اما عن العواطف فانني لا استطيع ان احقق «رجاء» السيد « السعرة » لعذر قاهر . هو انها عواطفي الخاصة ، ولا يهمني ان ان يقول عنها انها قديمة . لانها ليست قديمة . ولم اشعر بها الا في شهر يناير من سنة ٧٠ !
فلو كان هذا هو المنطق . السائد لقلنا ان الشمس قديمة ويجب ان نعرض عن رؤيتها في عالم القرن

مع مقال

ديوان العدد الماضي

للأستاذ :
حسن عبد الطريقة

دخل احد الادباء الى مكتبة كبيرة في لندن وطلب من صاحبها كتاب : (ما حققه ت س اليوت) فاجابه « الكتبي » في احتقار : (وهل حقق شيئا ؟) ، فخرج الاديب في غاية الانفعال ليسجل انطباعه عن هذا الجواب في مقالة طريفة

انيت بهذا الخبر لاؤكد على صوته ان هناك كثيرا من الناس من يغمطون الادباء كل فضل ويحتقرونهم . وينظرون الى انتاجهم نظرة متعالية ، وابرز ما تنطوي عليه هو الرفض المطلق للحقيقة . والاصرار على عدم الاقرار بالواقع . وليس معنى هذا ان الناس يشتركون جميعا في الظهور بها ، ولكننا نلحظها بالخصوص في كتابة من هم على مستوى ثقافي محدود او من هم دون هذا المستوى المحدود ممن ينظرون الى غيرهم فيجدونهم يتوفرون على قدرات كبيرة ، وعلى طاقات شابة تتوفر لها كل اسباب الخلق والابداع ، فيتطلعون الى مواكبة اصحابها ويحاولون اللحاق بهم بدون سابق عمل . غير انهم سرعان ما يعثرون في وحل واقعهم ويشعرون بالخيبة المريرة ، ويتسرب اليأس الى نفوسهم ، وينقلب اعجابهم بهؤلاء الى كراهية مطلقة ، بل انهم يذهبون الى ابعد من ذلك . بحيث تصبح نظرتهم تفيض بالنقمة والكراهية لكل عمل فني ، وكيفما كان . ولا يميزون بين الجودة والصحالة ، فهم بكل بساطة يتحولون الى اشخاص ناقمين . ساخطين تسيطر عليهم روح الانانية والشر ويشذون عن القاعدة العامة ، وتصبح افكارهم كافكار المجانين ، ولكنهم . وبدافع الأنا المسيطرة عليهم يضعون انفسهم في منزلة لا تفرها لهم ثقافة ، ولا تدعمها مؤهلات مناسبة ، وصاحب المكتبة الذي ذكرناه من صنف هؤلاء ، وبجوابه القصير افصح عن هويته ، واستطعنا ان نعرف نوع الروح المخبوءة تحت لسانه

في انجلترا لا يجد امثال صاحبنا اي سند وتنكشف حقيقتهم بسرعة ، وليس لهم اي خطر على مستقبل الثقافة هناك . اما عندنا في المغرب فان لهم صولة واي صولة ، وهم من الكثرة بحيث اصبح لارائهم وزنها الثقيل واصبحوا يتقدمون بكل جرأة الى تقييم الحركة الادبية المعاصرة ، ويجدون السند اللازم في كل ما يكتبونه عن هذه الحركة المسكينة من «دراسات» و « ابحاث » ، وبشجاعة نادرة يخرجون على الناس بافكارهم الفجة وبكتاباتهم الناشزة . وكأنهم بذلك يريدون ان يقحموا الكلمة النقية الطيبة في دنيا الانحراف والزيف ، ويمرغوها وسط حمأة السطحية والجهل

انا لا اتحامل . ويشهد الله انني في غاية الهدوء . وليس من طبيعي ان ارد بالعنف . ولكن الحقيقة احيانا تفرض علي ان اكون جد صريح فيما اقوله ، لهذا اؤكد ان « ميزان» السيد محمد السعرة في العدد الماضي لم تكن فيه غير كفة واحدة ، وينم على ان صاحبه - وان كنت لا اقول بانه من نوع رفيقنا صاحب المكتبة ، فان كتابته هذه المرة شبيهة بما قاله صاحبنا عن كتاب « اليوت » والا فما معنى هذه الاحكام المطلقة الجريئة التي اتى بها في تقييمه للعدد المذكور ؟ ان اهم ما يحتاج اليه الناقد هو الثقافة الغزيرة الواسعة ، والممارسة الطويلة المستمرة ، والذوق الجميل، والموهبة

القضاء عند العرب

للأستاذ : محمد شمس الدين
مستشار محكمة الإستئناف بطرابلس - لبنان

عرف العرب القضاء احد مقومات دولتهم الكبيرة، مؤسسة تطورت وازدهرت ولم تلبث بعامل التفاعل الحضاري والنمو الذاتي ان اصبحت في اواسط العصر العباسي على شأن عظيم من الرقي تنظيما وسمولا

ولا بد للباحث في تاريخ القضاء عند العرب من ان يرجع قليلا الى ما قبل الاسلام حيث لم يكن للقضاء شخصية مميزة ، وحيث كان نظام التحكيم السائد انذاك، هو كل شيء

والواقع ان التحكيم على ما عرفته الجاهلية لا يعد قضاء بالمعنى الموضوعي والاصطلاحي وانما يصح اعتباره مخرجا يلجأ اليه المتخاصمون لحل قضاياهم . يرتكز عنصر « الالزام » فيه على رضى الطرفين وليس على القوة التي يتمتع بها حكم القاضي اذ ينفذ بالاكراه عند التمنـــــع

ولمعرفة ميزات كل من القضاء والتحكيم على وجه دقيق نذكر الفوارق التالية :

اولا ـ القضاء منصب رسمي ومظهر من مظاهر الدولة وتنظيماتها ، اما نظام التحكيم فعمـاده افـراد مختارون من قبل الناس لفض النزاعات التـي يعرضها ذوو العلاقة ، بمعنى ان القاضي يضع يديه على الخلاف تلقائيا وباسم الدولـة ، بينما يظـل المحكم بعيـدا عن المشكلة حتى تعرض عليه ويقبل بها

ثانيا ـ لا اثر للالزام في التحكيم اذ باستطاعة احد الطرفين ان لا يحضـر مجلس الحكـم ، امـا في القضاء فان للقاضـي سلطان السير في المحاكمة بغيـاب المدعى عليه

ثالثا ـ في حال صدور قرار من قبل المحكم . يبقى الخيـار للطرفين المتخاصمين في تنفيذ القـرار او اهماله او الانتقال الى محكم ثان . فالولاية هنا مرهونة برضى المتخاصمين ، اما قرار القاضي فله حرمته وقوته الملزمة المؤيدة بسلطة الدولة

يتبين مما تقدم ان التحكيم يستمد مقوماته من تراضي المتخاصمين . بينما يرتكز القضاء على عنصر الالزام في المحاكمة والتنفيذ كما اسلفنا .

ولا نكران في انه كانت عنـد العرب طائفـة من المحكمين اشتهروا بسعة الاطـلاع ونفوذ الفكر وقـوة الاستنتاج والتجرد والنزاهة عرف منهم بنبوغهم في مكة والاقرع بن حابس واكثم بن صيفـي وعبد المطلـب بن هاشم جد النبي وهند الايادية وحذام بنت الريان التي قيل عنها :

اذا قالـــت حـــذام فصدقوهـــا
فــان القــول مـا قالـت حـــذام

على انه في سياق الكلام على التحكيم والمحكمين في العصر الجاهلي لا محيد عن ذكـر رئيس العشيـرة الذي كان يفصل بحكم منصبه بين الافراد التابعين لـه خشية اضطراب حبل الامن داخل العشيرة وكذلـك فان الكهان والعرافين كانوا مفزع كثير من المتخاصمين .

كل هذا اذا لم يتعـد الخـلاف افراد القبيلـة او العشيرة الواحدة ، اما اذا كان مدار الخلاف افرادا من

العشرين ، ولقلنا ان ءادم قد تالم كثيرا عند ما قتل احد ابنائه الاخر ، ولا ينبغي ان تتالم نحن ايضا ، ولقلنا ان الفرح كان موجودا عند قدماء المصريين وغير المصريين ، وينبغي ان لا نفرح اليوم لان الفرح قديم ! انه منطق عريب يدعو اليه « ناقدنا الجديد » وهو ابتكار خارق في مجال النقد ، وهو تدخل سافر في الاحساس الخاص والدوافع الخاصة .

اما عن الابيات التي قال انها جاءت في لهجة خطابية . فلا اعرف ما ذا يقصد بالخطابية ، الخطبة ام الخطاب فاذا كان يقصد الاولى فان نظرة عجلى اليها تكفي لتدحض زعمه ، واذا كان يريد الخطاب فاننا نجد شعراء اصبحوا روادا للشعر الحديث ياتون بهذه اللهجة ، خذ مثلا المرحوم بدر شاكر السياب ، انه في احسن قصائده على الاطلاق ـ انشودة المطر ـ يقول :

اصيح بالخليج : « يا خليج

يا واهب اللؤلؤ والمحار والردى » الخ

فهل افسدت هذه اللهجة قصيدة السياب ؟ وهل يكفي وجودها ليجعلنا نحكم بانها قديمة ؟ انني لاتساءل في اندهاش : « كيف سمح السيد « الشعرة » لنفسه باصدار هذه الاحكام التجريدية الجريئة ؟ في ظني انها صدى مبحوح لما تنشره المجلات الشرقية مثل « الشعر » و « الاداب » و « حوار » مع فارق كبير ، هو ان ما تحمله هذه المجلات من دراسات يكون موازيا لنوع الانتاج المقصود بالنقد ، وطبيعي انه يختلف في كل شيء عن انتاجنا بحكم تاثير البيئة ، وبحكم عوامل اخرى كثيرة لا يسمح المجال بعرضها ، وطبيعي ايضا ان صداها عند امثال صاحبنا تعتريه عوامل كثيرة تفقده ما له من طعام ولذلك ينعكس عند هم في صورة غريبة مشوهة، لا تعبر عن شيء اطلاقا ، فهم لا ينظرون الى الخلفية النفسية للشاعر من خلال شعره ، ولا يبحثون في امر الابعاد التعبيرية والفكرية في القصيدة ، ولكنهم يذهبون الى تلك المجلات ليأخذوا منها « كلشيهات » جاهزة وحسب الحجم المطلوب

كلمة اخيرة ، وهي انني كنت قد عزمت على ان لا اتصدى للرد على انتقادات السيد الشعرة لعدم قيمتها عندي ، ولكن قيمة هذه المجلة المحترمة ، ومكانة قرائها الكرام ، هي التي جعلتني لا اقبل التغاضي والسكوت واتمنى ان يتقبل السيد الشعرة هذا الرد بما يجب ، وليتأكد انني اتبعت في كتابته الحكمة البلاغية القائلة : « لكل مقام مقال » ، وقد كان مقام « نقده » جديرا بهذا الرد السريع ، وشكرا له سلفا عن حسن « عنايته » وعلى حسن « نيته » ايضا !

العرائش ـ حسن محمد الطريبق

صلاحيــة القضــــاة :

كانت صلاحية القاضي باديء الامر مقتصــرة على القضايا المدنية والسرعية ثم اخذت نزداد سعــة وشمولا حتى اصبحت تتناول كافة الامور المعروفة في عصرنــــا وحصرها بعضهم بالمسائل التالية :

1 ـ النظر في الخلافات الحقوقية بين المتخاصمين
2 ـ النظر في الدعاوي الجزائيــة وهــي التــي يرفعها المتضررون او المتعلقة بالحق العام
3 ـ النظر في تنفيذ الاحكام المقضى بها
4 ـ النظر في الحجــر على السفهــاء والمبذرين والولاية على القاصرين
5 ـ النظر في تزويج الايامى اذا امسك اولياؤهن عن تزويجهن
6 ـ تصفح احوال السهود وتزكيتهم
7 ـ النظر في امور الاوقاف وتوليه المتولين عليها

وفيما يخص الصلاحيه المكانيه فقد كان القاضي يولى على مدينــه بكاملها ، بكامل او ببعض الامــور المحكى عنها انفــا او يعهــد اليه بالقضاء في جــزء من المدينه ، لمدة معينه

وكان اسلوب ، القاضي الفرد هو المعول عليه ولم تسر امهات الكتب الى نظام محاكم الجماعــه ، الا ان بعض المورخين يذكرون انه اذا اسكل امر هام ، فان عددا من كبار القضاة كن يجتمع لدرسه واعطاء الحل الملائم على غرار ما نعرفه في عصرنــا الحاضــر حيــن تجتمع غرف محكمه التمييز « النقض والابرام » بكاملها للنظر في توحيد الراي

مظاهــر القضــاء :

كان القاضي يجلس للفصــل بين الناس امــا في المسجد او في منزله او في مكان يعرف بدار القضاء وكان القضاة يعنون بمظهرهم ويديرون مجلس الحكم بوقار وهيبة ويتخذون كتابا لتسجيــل الوقائــع وضبط الافادات ، وحجابا لتبليغ اصحاب الدعاوي ، كما كانوا يساوون في مجلسهم بيــن المتخاصميــن وينظــرون في الخصومات بترتيب ودون محاباة ...

وكانوا يتمتعون بحصانة ضد النقل والعزل الا في الحالات النادرة ، ويروى في هذا الصدد ان الخليفة اذ ولى وزيــرا وقاضيا ثم مات يعزل الوزيــر بموته ولا ينعزل القاضي باعتبار ان الوزير مرتبط بالخليفة فيذهب بذهابه ، اما القاضي فمرتبط بالامــه فلــذا يستمــر في منصبــــه .

طلــــب القضــــاء :

طالب الولايه لا يولى : تلــك هي القاعدة التــي كانت متبعه في تعيين القضاة ولذا كان على الخليفة او وكيله او قاضي القضاة ان يولي الكفء الصالح ، وكان العلماء يورعون عن طلب القضاء نظرا لخطورة المنصب وعظيم المسؤولية . ومن القصص الرائعة في هذا المجال ما حدث للامام الاعظم ابي حنيفة حين طلب اليــه ان يقبل منصب قاضي فرفض قائلا للخليفه المنصور :

اتق الله ولا ترع في امانتك الا من يخاف الله ، والله ما انا بمامون الرضى فكيف اكون مامون الغضب ولو اتجه الحكــم عليــك ثم تهددنــي ان تغرقنــي في الفرات او تلي الحكم لاخترت ان اغرق

ولك حاشية يحتاجــون الى من يكرمهــم لك ولا اصلح لذلك ففال المنصور : كذبت انت تصلح .

فقال : قد حكمت لي على نفسك كيف يحل لــك ان تولي قاضيا على امانتك وهو كذاب

ويقال ان المنصور حبسه ثم عاد فدعاه الى القضاء وهدده بالضرب فقبل

اسبــاب الحكــم واصولــه :

لا نرى في ختام هذا البحث افضل من تثبيت رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري عاملــه على الكوفة التي تعد بحق دستورا للقضــاء ونبراسا للقضاة يسيرون على ضوئــه في مجلس الحكم وحين تدقيــق اضبارة الدعوى

« من عمر بن الخطاب الى ابي موســى الاشعري عامله على الكوفة اما بعد ، فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم اذا ادلي اليك ، وانفذ اذا تبين لك فانه لا ينفع تكلم بحق لا ينفذ ، وءاس بين الناس في

عدة قبائل فالحكم هو السيف وما يستتبعه من حرب وافناء ودمار . وليست عادة الثار والتربص للقاتل او لاحد افراد عسيرته بغية اراقة دمه الا شاهدا على صورة قائمة من صور الحياة الاجتماعيه في عصر الجاهلية .

النبي والقضاء :

في مطلع العهد الاسلامي كانت لا تزال تهيمن على الناس عادات الجاهلية فهناك التحكيم وهناك الاقتصاص بالذات ، وهناك اللجوء الى الكهان ، وكانوا يحتكمون الى الرسول (ص) دون ان يكونوا ملزمين بما حكم به . واستمرت الحال على هذا المنوال حتى نزلت الاية الكريمة : « فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » وقيل ان سبب نزول هذه الاية الحادثة التالية :

اختصم رجلان الى رسول الله (ص) فقضى بينهما فقال الذي قضى عليه :

ردنا على عمر بن الخطاب

فقال عمر : اكذاك ؟؟

قال : نعم

قال عمر : مكانكما حتى اخرج اليكما فاقضي بينكما

فخرج اليهما مستملا على سيفه فضرب الذي قال ردنا الى عمر فقتله وعلى هذا اصبح لحكم الرسول قوة ملزمة بمقتضى الاية المشار اليها ، « ويسلموا تسليما » وبذلك تكون صفة جوهرية من صفات القضاء قد تحققت

واذا كان المحكم من قبل غير قادر على اجبار اي من الطرفين بالحضور لديه الا اذا رضي الطرف الاخر ، فقد اصبح الرسول يجبر محكميه على ان يحضروا ، بعد نزول الاية :

«واذا دعوا الله والرسول ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون . وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله . بل اولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا : سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون » .

وهذه هي الخطوة الثانية نحو القضاء .

– الاولى هي ان حكم الرسول اصبح ملزما

– الثانية ان واحدا من الخصمين اذا دعا الى الرسول وجب على خصمه ان يلبي دعوته ولا ضرورة الى وقوع التراضي بينهما على ذلك من قبل .

« خطوتان لم يكن الناس في زمن النبي يحتاجون الى اكثر منها وبهما تمت صفتا القضاء الجوهريتان فالخصم يلزمه خصمه بالمسير الى النبي والنبي يلزم الخصمين معا بحكمه » وبذلك تسقط حجة الذين زعموا ان العرب لم يعرفوا القضاء بل انهم اقتبسوه عن الامم التي تغلبوا عليها كالفرس والرمان

التنظيم القضائي :

ليس في المصادر اية اشارة جازمة الى اول من تولى منصب « قاض » اذ ان النبي حين كان يقضي بين الناس فانما كان يعمد الى ذلك بحكم ما تنطوي عليه شخصيته من سلطه زمنيه وروحية ، واذا كان بعض المؤرخين قد ذهبوا الى القول بان علي بن ابي طالب ومعاذ بن جبل اللذين ولاهما الرسول على اليمن ، هما اول قاضيين في الاسلام ، فلانهم كانوا يرون ان القضاء بين الناس هو من اكبر مهمات الوالي في الولاية التي يدير شؤونها

على ان الامر يختلف في عهد الخلفاء الراشدين حيث يجمع المؤلفون على ان عمر بن الخطاب هو اول من عين قاضيا .ومن هذا القبيل نقرا في مؤلف الكتاني، ما اتخذ رسول الله قاضيا ولا ابو بكر ولا عمر حتى كان في وسط خلافه عمر اذ قال لعلي : اكفني بعض الامور، لان عليا كان اقضى الصحابة واعلمهم ودفع اليه امر القضاء في بعض الامور »

وقد سار معاوية على هذا النهج فتخلى عن القضاء وترك امره الى بعض الرجال الذين كانوا على مقدرة في الفقه وامور الدين ، وتمشى سائر الخلفاء الامويين على هذا النمط فولوا القضاة على الامصار

واختلف الامر في العصر العباسي حيث استحدث الخلفاء منصب « قاضي القضاة » الذي تولاه « ابو يوسف» واوكلوا اليه امر انتقاء القضاة وتعيينهم وبذلك اصبح للقضاء استقلاله ومؤسسته الخاصة به

صفحات مطوية من حياة محمود تيمور

بقلم الدكتور جمال الدين الرمادي

عكف محمود تيمور في هذه الايام على كتابة القصة حتى اصبح لا يكاد يفارقها . اللهم الا الى بحوث ينشرها في تيسير اللغة العربية . والكتابة الانسانية ، وما الى ذلك . وصاحب سلوى في مهب الريح . وكليوباترة في خان الخليلي . وشفاه غليظة . وابو علي عامل ارتست . ونداء المجهول . وفرعون الصغير ، وعوالي ، ومكتوب على الجبين . والمنقذة ، وحملة ساي . وغيرها من القصص والاقاصيص والمسرحيات باللغة العربية الفصحى . وباللغة العامية الدارجة . كان في صدر شبابه شاعرا رقيقا ، ولكنه كان شاعرا من طراز جديد . لا تحده بحر ، ولا تحده قافية، لانه يؤثر الشعر المنثور ويبثه خوالج نفسه . ولواعج قلبه في اسلوب تتقمص رقة وجمالا، وتبعث سحرا حلالا

وسيرى القارئ في القطع التي اخترناها له من شعره المنثور . ان اسلوبه يتميز بثلاث سمات : البساطة ، والاحساس ، والاتقاد . وفسر الناقد « كولريدج » هذه السمات الاسلوبية بقوله : « اما عن البساطة فهي من جهة تنفي عن الشعر صعوبة الطرق العلمية . وتقتفي طريقا ممهدا معبدا يمضي فيه القارئ دون مشقة ودون عسر ، ويسير فيه رافها وادعا الى جانبه الجداول بخريرها ، والاشجار بازاهيرها ، والمساكن باهليها ، مما يجعل ابتهاجه برحلته قدر اشتياقه الى بلوغ مقصده ، والبساطة من جهة اخرى تحول دون التكلف ، والشذوذ ، والاختلال في المعنى ، والتعقيد في المبنى اما عن الاحساس في الاسلوب فيتمثل في تصويره الاشياء على حقيقتها ، وتحديده الصور الذهنية ، وافصاحه عنها ، اما الاتقاد او الحرارة في الاسلوب فيتجلى في صقل العاطفة الانسانية للحقائق حتى تنفث فيها الحياة

تلك هي السمات الاسلوبية في شعر تيمور المنثور وقد زاد عليها صفة ثالثة دعا اليها الناقد الشهير (وليم وردزورث) الا وهي عدم الاندفاع وراء الوزن والقافية، واتقان المعنى وكماله . وهذه الصفات التي تجلت في شعر تيمور المنثور هي نفسها التي ظل محافظا عليها بعد انصرافه الى القصة واغراقه في كتابتها ونسي او تناسى هذا اللون من الادب وغدا (كالهدهد) اشهر قصاص في الزمن على حد تعبير احد النقاد المحدثين

تأمل ما كتبه في (الزهرة العاشقة) التي نشرها في مجلة « السفور » التي كان يحررها الاستاذ عبد الحميد حمدي بتاريخ ٦ نوفمبر عام 1919 « وعلى شاطيء الغدير ذي المويجات الهادئة تنمو زهرة من زهور الطبيعة يانعة ممتلئة الساق ، مخضرة الاغصان ، محمرة الاوراق ، نشأت تتغنى بالحب ، والحب يملأ ربوع الطبيعة يانعة ممتلئة الساق ، مخضرة الاغصان ، محمرة ترى خياله النضر ، ومن الاغصان المنهدلة تسمع اناشيده السجية . وفي الليل الحالك المغمض العينين يسبح حولها همس القلوب . ويلمع امامها دمع العيون ، وفي النهار المشرق اللألاء ترى وميض القبلات يسطع كضوء الشمس . وتسعر بالانفاس العطرية تهب على وجهها المونق كأنفاس الربيع »

وهكذا مزج تيمور الشعر بالقصص ولكنه آثر اللغة الشعرية الرفيعة على ان تكون قطعته قصة لها حبكة

مجلسك ووجهك وعدلــك حتـى لا يطمــع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على المدعي، واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين ، الا صلحا احل حراما او حرم حلالا ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس ثم راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديـم والرجـوع الى الحق خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم فيمـا تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرها واعمد الى احب الامور الى الله تعالــى واشبههـا بالحق فيما تــرى واجعل لمن يدعى حقا غائبا او بينة اجلا ينتهي اليه فان احضر بينة اخذ بحقه والا وجهت عليه القضاء. فان ذلك اجلى للعمى وابلغ للعذر والمسلمون عدول بعضهـم على بعض الا مجلودا في حد او مجربا عليه شهادة زور او ظنينا في ولاء او نسب فان الله تعالى تولى منكــم السرائر ودرأ عنكم بالبينات والايمان . واياك والقلق والضجر والتاذي بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر ويحسن الذخر فانه من يصلح بينه وبين الله ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله منـه شانه الله فما ظنك بثواب الله تعالى في عاجل رزقـــه وخزائن رحمته والسلام »

مصــادر البحــث :

تاريــخ بغــداد لابــن الخطيــب

كتـــاب القضــاة للكنـــدي

عبقريــة الاســـلام للعجلانـــي

تاريــخ الامــم والملــوك للطبــري

محمد شمس الدين

مستشار محكمة استيناف

بطــرابــس

لبنــان

الحمــد لله .. على الاقــل

كان يسكن في مدينة بغداد رجل كردي ورع . كان لا ينقطع عن الصلاة في المسجد مع باقي المصلين في كل يوم وكان بعد انقضاء كل صلاة يذكر « عبارة الحمد لله » مائة مرة . ولكن الشـيء الغريب من امره . انه كان يعقب هذه العبارة دائما بعبارة «على الاقل» وساله الناس في احد الايام عن السبب الذي يدفعه الى تعقيب عبارة «الحمد لله» بعبارة «على الاقل» فقال لهم بانه وجد ذلك مكتوبا في كتاب شرع اقامة الصلوات ، وقال لهم بانه سوف يحضـر لهم هـذا الكتاب معه في المرة التالية . لكي يقفوا على حقيقة قوله ولما حضـر في المرة التالية واطلعهم على الكتاب وجدوا فيه: « يجب بعد كل صلاة تلاوة عبارة الحمد لله مائة مرة . على الاقل عشر مرات »

النفوس ، وتسكن الاجسام ، يصحو عالم اخر سحري تكتنفه الوحدة والسكون . فبينما الينابيع توقع الحانها ، والغدران توقد نارها يسمع الانسان من خلال هبوب النسيم في الفضاء اصواتا رقيقه تكاد تمر على الاذن فلا تدرك كنهها . وما تلك الاصوات غير اصوات الاشجار والحشائش وهي تنمو وتمتد خفية في الليل فلا تدركها الابصار ففي النهار حياة الافراد من انسان وحيوان، وفي الليل حياة الطبيعة من نبات وجماد . فمن لم عند رؤيه الطبيعة وهي متحلية بالليل ضاحكة في سكون الليل تسير خفية بين المروج وتسبح هائمة بين امواج النسيم . وتلمع سافرة على صفحات الغدران ، ناحلة رعدة الخوف والوجل . »

ثم انظر الى ما كتبه باسم « الحياة وداع » في 15 ابريل عام 1920 في مجلة « الشباب » قبل ان تاخذ طابعها الانتقادي الفكاهي المعروف « السيدات يا رفيقي كم ارثي لحالهن ان كل سعادتهن وكل سلطانهن وكل عالمهن في الحياة موقوفه على جمالهن . فالجمال هو كل شيء عندهن . وما ذلك الجمال ؟ انه هبة عشر سنين لا اول بهها لهن الغدر انت تعلم انني كثيرا ما احببت لكل الناس ولكني في الحقيقة لم احب الا حبا واحدا . وكان ذلك منذ اثنتي عشرة سنة اي قبل الحرب الاولى بقليل . فقابلتها على شاطيء البحر الصغير المستدير كالهلال حيث كانت السيدات تجتمعن فيه زرافات وبكسبه زينتهن البديعة بهجة ورواء ناجيت كل شيء فيها نظراتها الملائكية . وابتسامتها الخلابة. وشعرها اللعوب المتموج بانفاس النسيم كل شيء فيها حتى تلك الملامح الصغيرة المرسمة على وجهها الصبوح قد استعبدت عقلي وفؤادي واشرب حبها نفسي فشغفت حتى بحركاتها العاديه ، وملابسها التي كانت ترتديها والتي صارت امام عيني كانها نسيج سحري يستهوى العقول فما كان اشد حزني حينما ارى متاعها او قفازها ملقى على احد المقاعد لقد كان يخيل لي انها الوحيدة في لباسها لا مثيل لقبعاتها بين قبعات النساء »

وهكذا اخذ تيمور يقص على القاريء قصة حبه في اسلوب اخاذ ويحاول ان يبرز عناصر الجمال التي استهوته في غادته الحسناء ، والتي تتجلى في صفاتها الجثمانية التي وهبها الله اياها ، ثم يعبر لنا عن خلجات فكره الصغيرة دون مواربة ودون مزاورة ، انما في صراحة ووضوح وجلاء ولا شك ان التعبير الصادق عنصر هام من عناصر الابداع الفني ، ولا يمكن اغفاله في تقييم الاثر الادبي ولكن الشيء الذي يستلفت الناقد ان تيمور كان في صدر حياته يعتني عناية فائقة باللفظ وصيغة الاسلوب . ويضعه في المقام الاول في كتاباته ولعل اصدق تصوير لصراحته ما وصف به احد ابطاله في قصة « اليتيمة » في مجموعة « الشيخ عفا الله » وله اسلوب رقيق في الكلام خال من العبارات المزيفة ، صادر من قلب لا يعرف التملق ولا المكر »

وكتب محمود تيمور في مجلة « السفور » بتاريخ 4 سبتمبر سنة 1919 هذه القطعة « ومشى الطفل الصغير ذو الأقدام الناعمة على الصحراء الخشنه الملتهبة . مشى يفتش عن الحقيقة ، ومر الطفل في طريقه على المدينة الاولى ذات الاعمدة المموهة بالذهب ، والقصور الملأى بالكنوز . والانهر الفيضة بالخمور ذات الابتسامات الهذبة ، والقبلات الشهية والعيون السحرية، ذات اللذة الضاحكة . فاقبل الطفل يجري في ساحاتها مرحا جذلا يسمع اناشيدها . ويمتع نظره بغيدها ، ويملأ قلبه باللذة وجيوبه بالمال ، ثم اخذ يفتش عن الحقيقة وخرج الطفل من المدينة ذات الاكواخ الصامتة الى الصحراء الحارة ومشى فيها اعواما طويلة حتى بلغ المدينة المدينة السوداء ، فاغبر شعره ، وتجعد وجهه . وانحنى ظهره ، وهناك امام المدينة السوداء وقف ينتظر امام الاسوار المظلمة، والهواء المحترق . والدخان المتكاثف ، وهناك بدأ يفتش عن الحقيقة في الظلمات النائية ، فوجدها . وجدها امام عينيه ولمسها بيديه ، ولكنه لم يستطع رؤيتها لانه صار اعمى ولم يستطع سماع صوتها لانه صار اصم ولم يستطع ان يكلمها لانه كان ابكم »

وهذه القطعة من القطع الرمزية التي ولع بها الكتاب في اوائل هذا القرن فمضوا يدبجون المقالات ، وينظمون الشعر على هذه الوتيرة مقلدين في ذلك كتاب الغرب وشعرائهم الذين شاع « الرمز » في اتجاههم الادبي ، والبحث عن الحقيقة موضوع شيق طالما تناوله كتاب الغرب في كتابتهم وسلكوا في ذلك مذاهب شتى .

وسياق . وتلك مرحلته لا بد منها لنشوء الفنان وتطوره ، فلا بد ان يمر بمرحلة الشعر والخيال قبل ان ينغمس في غمار الواقع ودنيا الحقائق ويلجأ الى اسلوب الحياة اليومية في التعبير .

وتأمل ما كتبه في 20 نوفمبر عام 1919 في عدد من مجلة « السفور » الى سيدة اهدته صورتها « انت طيف دائم لا يتعب ، ولا يمل ، انت تلازمينني كالزهرة في ربيع حياتي ، انت التي تسكنين فؤادي ، وتمدين من بهائك روحي ، انت التي اسمع من همسها حديث وحدتي ، انت التي اكتب على ضوء نورها « اشعاري » وهواي ، انت التي استمد من جمالها راحة ضميري ، انت التي آخذ من سكونها يقظة فؤادي ، ايتها النجمة المتلألئة في سمائي : انيري يا رفيقة الاحلام طريقا لذلك الفكر الضليل ليسبح على اشعه ضوئك ، ويصل الى الله يستمد منه النور والرحمة انيري يا نجمة المستقبل طريق السلام الى القلب انيري بابتسامة من ثغرك الجميل طريقا سالما في خضم الحياة تمخر فيه سفينة روحي . ايها الطيف الجاثم في قلبي الممتزج بدمي . السابح في مخيلة راسي انت يامن اشكو لك آلام فؤادي ويامن ابوح لك باسرار قلبي كفكف الله دموع الماضي التي ما زلت غارقا في بحارها اسعدني بربيع الحياة التي لم اتمتع بعد بعذب نسيمها انشقني زهور السعادة التي لم اسعد بطيب أريجها »

ففي هذه القطعة نجد تيمور يتدفق لوعة وحبا كالعاشق الولهان ، ويئيم شوقا ووجدا كالمحب المحروم بل من يدري لعل تيمور نفسه كان في هذه الاونة يقاسي تجربة حب عنيف يهز اوتار قلبه ، ويحرك سياط لبه ، فاذا به ينقلب حبيبا مستهاما يتمثل الحب في كل شيء في هذا الوجود الم يقل بعد ذلك في مقدمة « الوثبة الاولى » ان الله خلق العالم على صورته ، خلقه على اهاب الحب والجمال ، لان الله سبحانه وتعالى لا يخلق الا الجميل ، ولا يودع مخلوقاته الا الحب اذ ان الله سبحانه وتعالى المثل الاعلى للحب والجمال

ولكن هذا الشعور الذي يتأجج بالحب ويضطرم بالغرام لا يلبث ان يستحيل الى حكمة في الرأي ، وسداد في القول ، كما في تلك القطعة التي نشرها بعد

قطعة « الصورة » باسابيع « الصمت هو التفكير . والرجل الصامت هو الرجل المفكر ، فاجتهد اذن ان لا تكون ثرثارا ، العامل الصامت هو العامل المتقن لعمله، والكاتب الصامت هو الكاتب الذي يكتب عن روية وتعقل ، والسيدة الصامتة هي التي تعني بشئون بيتها نابليون بطل فرنسا ، وكويوبل بطل انجلترا ، وواشنجطن بطل امريكا ، كانوا قليلي الكلام »

وفي كلمة اخرى يقول تيمور « رحب بالافكار الجديدة بدون تحيز بعد ان تختبرها ، وتسبر غورها . وتأكد من صلاحها ، ولا تقصر بحثك كله على الجديد فحسب بل استفد من عقول الاقدمين بحيث لا تقف عثرة في سبيل جهادك »

وفي حكمة ثالثة يقول « احكم على الشخص بما يقرأ ، واحكم على الامة بتاليف ابنائها ، فالكتب مرآة تعكس لك ثروة البلاد الحقيقية بين صفحات كتبها ففي تلك السطور ، ومن تلك الكلمات تتدفق الكنوز الذهبية كنوز العقل المستنير ، كنوز العمل الحقيقي استفد اذن من الكتب القيمة واقرا دائما بانتظام ومثابرة واجتهد ان تعيش دائما في كنفها تسمع احاديثها الخالدة »

وليس من شك في ان تيمور كان محقا تماما في هذا الراي ، حتى قيل : قل لي ما ذا تقرأ ، اقل لك من انت ! ونحن في مسيس الحاجة الى شباب يقبل على القراءة بشغف وامة تستفيد من التجارب . وقديما قال « السير ادوارد جيبون » المؤرخ الانجليزي المشهور : « اني افضل رغبتي في المطالعة على كل كنوز الهند » وكتب السير « جون هرشل » الفلكي المشهور يقول : « اني اذا طلبت من الله ان يوجد في خلقا يبقى معي مهما تغيرت احوال الزمان والمكان ويكون ينبوع سرور لي وسلوى مدى العمر وترسا اتقي به نوائب الدهر ، فذلك الميل هو حب المطالعة » فتيمور اصاب عين الحقيقة بحكمته التي لن تمحى مع الايام

وكان محمود تيمور في صدر شبابه ينقل كثيرا من الاثار الادبية عن اعلام الكتاب الانجليز والفرنسيين فنقل عن « الفونس دوديه » القطعة الاتية وصاغها في اسلوب عاطفي رقيق ونشرها بمجلة الشباب في 19 فبراير عام 1920 وسماها « النجوم » « في الوقت الذي تهدأ فيه

السماء لا تخشى

للأستاذ محمد بن تاويت

قبل ان تصدر صحيفة « العلم » بما صدرت به في قضية الكتاب الذي اشتركت فيه انا ومحمد الصادق عفيفي ، كنت قد علمت بما يحاوله الطالبان من نقد.. فأرسلت الى مجلتنا « دعوة الحق » كلمة في تبيين الحقيقة حول القضية . غير ان المجلة ، وقد اسلمت الكلمة المذكورة الى المطبعة ، ثم اصلحت تجاربها ، اعدادا لنشرها ، رأت ان تعدل عن هذا النشر ، اجتزاء بالكلمة التي نشرت لي في الصحيفة المذكورة ، تعليقا وتوضيحا لتلك الحقيقة المؤلمة .

وفهم الناس حقيقة الموضوع ، وآمنوا بما يؤمن به غير اللؤماء .. وبذلك اسدل الستار على تلك المأساة ، وان كان اثرها ما زال يحز في النفس .. لكن مجلة « آفاق » التي طالما ساهمنا فيها ، والتي هي لسان ما يدعى بهيئة « كتاب المغرب العربي » حلى لها ان تشاهد وتشهد مرة اخرى ذلك المشهد المأساوي ، فلعبت دورها خير لعب ، وطلعت علينا بالعنوان الغليظ .. انتقاما واحتسابا .. وكأنها قدرت ما نشر لاول الامر بصحيفة العلم « مسمارا » داخليا ، دق في نعشنا ، رحمة الله علينا .. وما تنشره هي « مسمارا » خارجيا يدق في هذا النعش ، واجرها على الله ، وعلى غير الله .. من المحسنين الكرماء ..

ومن الاعتراف بالجميل ، ان نشكر لصديقنا الدكتور ، محمد عزيز الحبابي ، فضله في تلك الكلمة ، التي اراد بها — كما يبدو ان « يعطر » الجو ، فلا تختنق « النظارة » من تلك الانفاس ، التي يلهث بها اصحابها ، في غير حمل منا ، علم الله ..

ولا غرو ان يفعل الصديق الحبابي هذا ، فمواقفنا معه كانت معروفة ازاء هذه الهيئة ، التي كنا نعتقدها حقيقة مثلي .. ونزيد على شكرنا له ، ان نبشره بألا خوف علينا ، لان لنا ماضيا معروفا ، وحاضرا معترفا به ، والرجاء في الله وحده ، ان يكون لنا مستقبل سر الاصدقاء المخلصين ، ويسوء الاعداء الناكثين . اما الذي يحاول النيل منا ، فلا نراه الا : « كناطح صخرة يوما ليوهنها .. فنحن صامدون صابرون ، تالين لقوله تعالى : « انا لله وانا اليه راجعون » .

ومع هذا التبشير وذلك الشكر ، فاننا نبيح لانفسنا ، ان نستغرب من صديقنا ، اقدامه او حرصه او سماحه ، بهذه « الحرية » التي دعاها او احبها ، والحب — كما قيل — يعمي ويصم .. حقا ، ان صديقنا الحبابي ، محب هائم هيمانا ، فهو مخلص في حبه الى حد .. ومخلص كذلك في غير حبه ، الى اقصى ما يتطرف اليه خيال المحبين الهائمين ، المسرفين في حبهم المفقود .. ولكننا نذكره بالماضي .. فقد كنا في يوم من الايام ، يشملنا ذلك الاخلاص ، في صورته الاولى .. ونعوذ بالله ان ينحط علينا هذا الاخلاص في صورته الاخيرة .. فنكون من الضحايا ، التي لا يذكر اسم الله عليها .. « ومن لم يمت بالسيف مات بغيره » ومن « غيره » هذا .. وهو لا حصر له — « حب الحرية » .. والحرية ككل شيء قابل للافراط والتفريط ، نعوذ بالله منهما .. كليهما على السواء ..

وبعد ، فهل لنا ان ندرك ما يدركه صديقنا الحبابي ؟

كلا ، مع الاسف ، ليس لنا الى ذلك سبيل .. والا لما كان هناك فرق بين الفيلسوف وغير الفيلسوف .. والا لما كانت هناك فروق في القيم

ومن ترجمات تيمور ما كتبه في (السفور) نقلا عن احد المفكرين الفرنسيين « السعادة الحقيقية هي ان تعمل دائما وان تتمتع بنتيجة عملك . فالعمل اجهاد لنفسك ، وجسمك ، وحصولك على الراحة بعد ذلك الجهاد راحة الجسم والعقل هو السعادة الحقيقية في الحياة ، فاجتهد اذن في ان تعمل لان السعادة هي العمل . »

وترجم تيمور غير هذه العبارة عبارات بل مقالات شتى في الفلسفة والادب عن اعلام المفكرين الغربيين ، وسافر تيمور الى اوربا مرات متعددة فساهد هناك على حد تعبيره في « فرعون الصغير » « مرئيات ومناظر هزت نفسه وتغلغلت في صميم قلبه كما ان خبرته بالحياة ومعرفته لها قد اتسعت وتنوعت فكان لهذه الحياة الجديدة التي عاشها هناك اثر لا ينكر في تطور تفكيره »

وعند ما عالج تيمور القصة في صدر حياته الادبية كان انيقا في عباراته وفي احدى قصصه «يحفظ بالبوسطة» التي نشرها في مجلة « السباب » في 13 مايو 1920 اخذ يذكر (جروبي) و (مقاعد الفوتيل) الانيقة الوثيرة ، وما الى ذلك من اسياء . كان التعرض اليها في ذلك الوقت لونا من الطرف الفكري ، ولكن كان لا يعني ان تيمور اتجه اتجاها استقراطيا في قصصه ، انما كان ولا يزال يحسن تناول السخصيات السعبية كما في قصة (صابحة) التي نسرها في « الهلال » عام 1928 وكما في غير ذلك من قصص . فتناول شخصيات « السيخ جمعة ، والسيخ غنيم وطاقيته ، وماسح الاحذية ، وبائع الكعك ، والحاج سلبي . وفتحية الفتاة الساذجة ، وتهاني الفتاة النيطانة ، وام الخير الخاطبة ، وام زيان الفلاحة وغير ذلك من السخصيات السعبية تناولا اخاذا خلابا يثير الاعجاب به ، والائتناس اليه ، والتصفيق له ، وجعل همه ان يعرض لفكرة مرت بخاطره ، او يسجل صورة تأثرت بها مخيلته او يبسط عاطفة اختلجت في صدره . فيكون اثرها في نفوس قرائه مثل اثرها في نفسه

والمعروف ان محمود تيمور هجر خفقاته وخواطره واسلوبه السعري بعد الربع الاول من القرن العشرين ، واتجه الى النثر الواقعي ، ولا يكاد القاريء يتصفح مجلات الفجر ، ومجلتي ، والهلال ، وغيرها من المجلات ، نجد احدى روائع قصصه منسورة على صفحاتها، وساعت السلاسة في اسلوبه، وجرى الاسلوب طلقا لا تحده لغطته ، او تقيده عبارة ، ولم يتحرج في بعض قصصه من تصوير الخلجات النفسية الخسنة دون رياء ودون نفاق ، غير انه في الواقع لا يتميز بلون معين من القصص او الاقاصيص انما كان اتناجه مختلف الاصباغ . متعدد الالوان ، متغير الاشكال ، يستهوي النفوس ، ويختلب الالباب ، ويتسع لنزعات انسانية رفيعة مثل نزعات الخير والكمال وحب الجمال . وللصراع بين قوى الخير وقوى السر ، وبين نداء الرذيلة ، ودعاء الفضيلة

القاهرة : جمال الدين الرمادي

بالنفي .. قال : اقراه فانك ستجد فيه اشيــــاء جديده ، « يعني طبعا غيرما ورد في الاحاديث » .

وذاع الكتاب ، وخصصت له صحافتنا اعمدة الحديث عنه ، وكان من الذين كتبوا حوله صديقي الاستاذ عبد الكريم غلاب ، الذي اشاد به ، وانتقد عليه طول مقدمته او تمهيده ، ولما اجتمعت بصديقي غلاب في مكتبه بادارة العلم ، قلت له : اني لا شان لــــي بتلك المقدمة او التمهيد ، وقصصت عليه كذلـك قصة الاشتراك في التاليف .. فقال لي — وهو علـى معرفه بي منذ السنوات الطـوال — : اني اعـرف ما لك وما لغيرك في الكتاب .. فاسترحت حقـــا لهذه المعرفــة ، وخلت نفسي في نجوة من هـــذه التبعــة .

وحضر الى المغرب اديب كبير من ليبيا ، فلما اجتمعنــا ، قال لي : كيف سمحت لنفســك ان تشترك مع عفيفي في التاليف ؟ مع انه قام بـــادوار عندنا مخزية فاضحــة فظيعــه ؟ « يعني علـــى مسرح التاليف بالذات » ؛ فقصصت عليه القصـــة انــا ، فعلق عليها بقوله : انكم معذورون .. لانكـم لا تعرفونــه ..

وفاتاني يوما بمشروع ، كان بالنسبة الي ، غريبا جدا .. وهو الاشتراك معه بمجرد الاسم في كتـــاب الله اعلـم لمن هو ؟ .. فابيت ذلك ورفضته بشـــدة وان لم يكن هذا الرفض مفاجئا اياه — بل كان متاكدا منه — لان رئيس البعثة المصريـــة — آنذاك — قال له ان ابن تاويت ربما لا يقبل هذا النوع مـــن المشاركـة ، كما قال لي هو نفســـه .. وان كان هـــذا منه مجرد مناورة ، والغش في بعض الاحيـــان قـــد يذكـي ، ويخدع غيـــره .

وحسبت ان هذا المشروع ولد ميتا ، فلـــن يجد عندنا من يشارك فيه ، لكنه مع الاسف ، وجـد له رؤساء عظاما ومديرين كذلك ، وفي هؤلاء من لـــم يسبق له مجال في التاليف او البحث ، وربما لم يخطر له ذلك على بال ..

وصدر الكتـــاب تلو الكتاب ، في سرعـــــة العباب ، وهلعت من ذلك وقلت ان الناس سيفهمـــون اني احد هؤلاء ، اما هؤلاء انفسهم ، فلاشك انهـــم يعتقدون ذلك اعتقادهم بانفسهم ، وان كـــان الاستاذ الفاسي يعلم الحقيقــة جيـــدا ..

واخيرا علمت ان الامر كان افظع مما خشيتــه « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » . فـــان صاحبنا برهن على افلاس تام وفقر مدقع ، وعلـى نزاهة معدومة بالمرة اذ انه في مقدمة الكتاب او تمهيده، اغـــار على مقدمة كتاب آخـــر ، في الادب الاندلسي ، فلم يزد على ان غير كلمة الاندلس بالمغرب ، مثلا ، كما انه في تصميم الكتـــاب ، حذا فيه حذو الكتاب الاخر ، وان كان هذا الصنيـــع اخف وطاة من الاول ..

حقيقة ، اني صعقت لهذا العمـــل ، وان كان في الواقع من المكروه الذي فيه خيـــر ، ذلك ان مثل هذا المفلس — الذي هو عاجز عن تكوين جمل او جملة ، فيحيف على جمل غيره بذلك الشره المقيت — يثبت انه لا يد له في صلب الكتـــاب : لا في دراستـــه ، ولا في اختيار نصوصه . واعتقد انـــه حاول ان يدعـــي او ادعى بالفعل ، ان الكتاب له وحده . وتدليلا علـى هذه الدعوى ، اتى بتلك الحجج الدامغة التي عضده فيها من سمحوا بوضع اسمائهم الى جانب اسمه الكريم في تلك التآليف العديدة المتنوعـــة .. وما هي لهـــم جميعا ولا هي له وحده .. وســـوف تكشف الايـام ، عن الاصابع التي خطتها ، عن تواطىء او غير تواطؤ .. وما كان ذلك لراي الاستاذ هبـــة في حقي ، او ادعاؤه ذلك ، الا وسيلة صارفـــة ، بكل تاكد وتحقـــق ، تجعلني ارفـــض ما لم يرفضه غيري ، وهو المطلــوب من عـــده وجـــوه ..

لقد راج الكتاب ، رواجا عظيما ، وتمتع عفيفي بالاطبتين ، وفهمت من الناشر السيد الزين ، انـــه افهمه ، لما كانا هنا بالمغرب ، استقلاله بالتاليف ، ولهذا لم انل من العوائد التي نالها عفيفـــي ، وتنجدد كـــل سنـــة .. الا بعض النسخ من الكتاب ، اديت ثمـــن بعضها ، واستحوذ هو على بعضها الاخر .. وانتهت القصة بسكوت السيد الزيـــن ، وتجاهله لحقوقـــي التي كانت — كما في العقد — نفس الحقوق ..

ان عمل عفيفي في مقدمة الكتاب ، يعد غصبـــا سافـــرا ، ولا يدخل في باب السرقة كما قيل .. فالسرقة من شانها الخفاء والاختفاء ، اما هذا فهو الغـــارة في وضح النهـــار ، ولا يقدم على مثله الا غبـــي جهول ، فاق النعامة في صنيعها ، واراد ان يستر ضيـــــاء الشمس باصابعه المنفرجة المرتجفة . وكاني بعفيفـــي وقد ادرك ، ان المغرب غير « صحراء قاحلة » وان بني عمه من المغاربة « فيهم رماح » ، حاول ان يتستر بتلك « البلكفـــة » التي سترته ، ولـــو الـــى حيـــن ..

الخلقية ، بين الفلاسفة وغير الفلاسفة .. اي والله، انها فروق شاسعة وهوات سحيقة ، بيننا نحن ، وبين صديقنا الحكيم .. فلا سبيل الى الوصال .. ودون ذلك تتقطع انفاس المحبين .. وهي ترسل في حسرة ويأس ءاهاتها : « هي الشمس مسكنها في السماء »..

حيرة ننخبط فيها ، ازاء بعض الناس .. وقد شككونا في المقاييس ، واية مقاييس هي ؟ وشككونا في الموازين . واية موازين هي ؟ وافسدوا علينا المعايير .. فانبهم علينا الامر .. واخذتنا الصيحة، بقولهم : تبا لمقاييس غيرنا وسحقا لموازينهم والويل لمعاييرهم : انها المثالية ، كما يدعون ، فلا كانت المثالية . وانها الطيبة كما يزعمون . فعلى غيرنا لتكن الطيبة ، نحن العماليق التي يجب ان تعبد .. وانتم عليكم ان تكونوا اقزاما عابدين .. والا فاليد طويلة، والوسائل كثيرة .. واضعفها « حب الحرية »

لهؤلاء الناس ، عقد دونها ذنب الضب ، وضيقات تنفسح معها مبعجه الذى يضرب به المثل .. ضيقات متازمة متبرمة ، بكل شيء وكل شخص .. وتلك ضريبة العقول ، التي تشقى بالناس مثلنا ، وتشقى بها الناس مثلنا ، وهي تردد « ذو العقل يشقى في النعيم بعقله »

والحديث — على كل حال — يطول ، اذا ما تعرضنا ، بالتفصيل والتحليل ، لهؤلاء الناس ، الذين يحسون في قرارتهم بتلك الفجوات العميقة ، التي تتخلل شخصيتهم ، فيحاولون ان يردموا تلك الفجوات باشلاء ضحاياهم .. لا قدر الله ..

ولنصرف الان وجوهنا عن هؤلاء الناس ، ولنوجهها الى قضيتنا اليوم ، معتذرين الى الذين قرأوا ما نشر لنا بصحيفة «العلم» باننا على ادراك تام ، لخطر الـ «آفاق» خارج البلاد ، فنريد ان ندرأ هذا الخطر ، بما نسلط على هذه الآفاق من اضواء «كاشفة للحقيقة» .

والقضية هي ، انني كنت القيت منذ سنة 1956 ، بالاذاعة الوطنية ، خمسا وثمانين حديثا ، في تاريخ الادب المغربي ، ما زلت محتفظا بها ، واظن ان الاذاعة لما تزل كذلك محتفظة بها او ببعضها ..

وفي اوائل سنة 1959 ، وردت علي وانا بمدينة «بريطن» من انجلترا ، رسالة ارسلها الي شخص من مصر لم اكن اعرفه .. ومضمن الرسالة انه اتصل بالاستاذ محمد الفاسي رئيس الجامعة المغربية ، لما كان في زيارة له بمصر ، فسأله عن بعض المسائل في الادب المغربي فاحاله علي في ذلك ولهذا فانه يكتب الي ، لاساعده في دراسته حول الادب المغربي ، لانه يحضر بها اطروحة لنيل درجة الدكتوراه « كما ادعى » وختم الرسالة باسم « محمد الصادق عفيفي » .

لقد اجبت السيد الواغل ، بأني الان بعيد عن الاشتغال بالادب المغربي « حيث كنت منهمكا في دراسات اخرى » لكني قد القيت بالاذاعة احاديث عن الادب المغربي ، ان ارادها بعثتها اليه ..

وفعلا ارادها ، فكتب الي طالبا وشاكرا ومقبلا . وارسلت الاحاديث التي ما اطلع عليها حتى تطور الامر الى استخراج كتاب منها في الادب المغربي ، باسمينا معا .. فسررت الفكرة ورحبت بها ايما ترحاب ، متخيلا ان صاحبي لن يعدو في الموضوع حدود التنسيق والعرض ، لتلك النصوص والدراسات حولها ، وبذلك نتحول من صفة الاحاديث الى صفة التاليف ..

فلما عدت الى المغرب ، وكانت سنة 1960 ، ورد علي البريد بالكراريس الاولى من الكتاب ، وكانت تحتوي على مقدمة او تمهيد طويل في جغرافية المغرب وتاريخه وغيرهما .. فأسفت جدا وحزنت حزنا بالغا ، لما قرأت هذا التمهيد : ذلك اني وجدته طافحا بالاخطاء ، وان صاحبه اعتمد فيه على مصادر ومراجع ، لا استطيع الاعتماد عليها ، لتفاهتها زيادة على هذا فانه كان ينص على مصادر ، عندما يتعرض لمسائل معروفة للجميع ، ويصدق على من يقف عندها المثل السائر : « تفسير الواضحات من الفاضحات » ..

وتلا تلك الكراسات وصول الكتاب ووصول الزميل الاستاذ محمد الصادق عفيفي ، يحمل معه نسخا منه ..

واجتمعت بصاحبي ، الذي لم اكن على معرفة بشخصه ، معرفة العين .. وسئلت عدة مرات ومن اشخاص عديدين ، عن كيفية الاشتراك في التاليف فكنت اجيب بهذه القصة . وكان في بعض الاحيان حاضرا يسمعها مع المستمعين ، فكنت الاحظ عليه امتعاضا لسماع هذه القصة والاستماع اليها . وذات مرة قال لي : لعلك ما قرأت الكتاب ؟ فلما اجبته

المناهج التعليمية عند ابن خلدون

للأستاذ محمد الأمين الدرقاوي

- 2 -

لقد حاولت في العدد السابق ان ابسط رأي ابن خلدون في المناهج والطرق التعليمية . ورأيت ان اقسم رأي ابن خلدون الى قسمين كما سبق القول ، قسم عرضت فيه الطرق التي ينتقدها ابن خلدون كاساليب تجد في التعليم . وطرق يقترحها . ولعل قارئا بيها يتساءل عن الفرق بين ما ينتقده ابن خلدون وما يقترحه ؟ والجواب على ذلك ان ابن خلدون فيما ينتقد انما يتناول بعض المناهج الموجودة بالفعل . ولكنها على الرغم من كل ذلك في نظره عميقة لا يجوز اتخاذها كطرق موصلة لتحقيق الملكات عند المتعلمين . لهذا اني اشرت في العدد السابق الى السبب الذي جعلني ابدا بتقديم ما سيقدمه . واما ما يقترحه ابن خلدون فقد يكون موجودا وقد لا يكون ولكنه عمد اليه فشرعه او بالاحرى اقترحه كاسلوب في التعليم . وقد حاولت في عرض نظرية ابن خلدون ان التزم الاختصار موضحا ما امكن الاطناب والتحليل المطول ، حتى يجد القارئ نظرية ابن خلدون سهلة يسيرة لا تكتنفها نظريات خارجة عن ارائه ، وحتى لا افلسف نظريته في التعليم فلسفة قد يختلط فيها ما لابن خلدون وما لغيره من نظريات في الموضوع ولذلك عمدت الى تحليل افكاره . وحاولت جاهدا ان يكون هذا التحليل قائما على عرض نظريات ابن خلدون كانما يعرض نظرياته نفسه . والا فان الموضوع مطروق بل متداول ، الا ان هذا التداول قد يختلف مع الطريقة التي عرضت بها هذا الموضوع من حيث الاختصار والابتعاد عن التفلسف، والاقتصار ما امكن على كلام ابن خلدون نفسه في هذا التحليل . وحتى يكون هذا العرض مساعدا للقارئ على تلمس هاته النظريات اذا هو شاء ذلك وحاول ان يرجع بنفسه الى المقدمة ليدرس هاته النظريات .

ومع ذلك فاني لا ازعم اني احطت بنظريات ابن خلدون وانما عرضت منها ما هو بارز ، والا فان الانسان قد يعثر على اشياء اخرى غير ما عرضت من نظريات ، في ثنايا بعض الموضوعات الاخرى قد يكون لها اتصال بالموضوع

رأينا في العدد السابق ان ابن خلدون ينتقد اشياء يراها مطبقة في التعليم ونتلخص هذه الاشياء في الامور التالية : 1) كثرة التاليف 2) كثرة الاختصارات 3) البداية بالمسائل المقفلة 4) عدم الاقتصار على كتاب واحد 5) تطويل الجلسات 6) صنعة المنطق 7) الشدة على المتعلمين واما الاشياء التي يقترحها ابن خلدون فهي كما يلي :

1) **التدريج** : ومن المذاهب التي يقترحها ابن خلدون كاساليب في التعليم ، السير بالمتعلم خطوة فخطوة . وهذا التدرج يسير عنده في خطى ثابتة ومراحل متفرقة ، كل مرحلة تختلف عن سابقاتها من حيث الزيادة في التوسع والدخول في التفصيلات اكثر فاكثر . يعلمه خطوة فخطوة . يعلمه في المرحلة الاولى قليلا من العلم ، يلقي له المسائل كنظرة عامة على سبيل الاجمال مع مراعاة قوة استعداده لقبول ما يلقى له من العلم . وهذه المرحلة الاولى انما هي اجمالية لا تكفي المتعلم ليحصل على فن من الفنون ولذلك يقول :(وعند ذلك تحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها جزئية وضعيفة وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله) والمرحلة الثانية في التدرج التي تلي هاته المرحلة والتي يراها ابن خلدون ضرورية في كل فن ، تكون اوسع من الاولى في التلقين من حيث الشرح والبيان ، مع الخروج الى ذكر الخلاف حتى تكون النظرة اوسع

واستغرب كل الاستغراق من صديقي الدكتور هيكل، ان يسكت على هذا الحيف ، وهو الذي لا يسكت على ما دونه من الاشياء التي تمسه ، او تثيره من تصرفات الناس .. ولا شك انه اطلع على هذا بادىء ذي بدء ، ونستبعد ان تكون منه مواطأة عليه ، فهو الرجل الذي عهدته صلبا فى موقفه ، حين عرفته بمدريد منذ خمس عشرة سنة .. واجتمعنا فى المغرب مدة طويلة ، منذ اربع او ثلاث عشرة سنة ، كان معنا الدكتور هلال ، وكان ذلك الاجتماع آخر العهد بيننا .

نعم : ان عمل عفيفي فى المقدمة او التمهيد ، لصوصية مفضوحة ، اما الكتاب فى صلبه ، فليس ــ كما قيل ــ « نسخة طبق الاصل من كتاب هيكل » فهذا فى الادب الاندلسي ، منذ فجره الى نهاية القرن الثالث ، كما قيل لي ، وفيه نصوص اندلسية لاشخاص اندلسيين . وذلك فى الادب المغربي ، منذ فجره « الذي تاخر عن القرن الثالث » الى عصره ، وهو ملامس للقرن الثاني عشر او ثالثه .. وفيه نصوص مغربية لاشخاص مغاربة ، وفيه دراسات اتحمل انا مسؤوليتها من الفها ليائها ، ولا يستطيع احد ان يرد على ذلك مهما حاول .. وبذلك يكون ادعاء ان الكتاب « نسخة .. » كلام فيه مبالغة عارمة، قد القاه صاحبه على عواهنه ، عفا الله عنه .. كما أني لم أقل هذه العبارة « لم أر الكتاب ... حتى صدر وعليه اسمي » ، أريد بذلك ان أتملص منه كلية أو أضع نفسي بين اولئك السادة ... بل ما قلته هو ماتضمنته كلمتي المنشورة بالعلم ، دون العنوان المذكور .. والتصميم ، ان كان ، ولا دخل لي فيه ، فهو كذلك امر لا يلزم من يقلده بكونه سارقا او غاصبا ، خصوصا ان كان تصميما معروفا فى « هندسة » التأليف .. شان باقي التصميمات فى « هندسات » الناس ..

اما انا ، فحتى الان ما اطلعت على كتاب هيكل .. ولا بأس عليه وعلي ، فقد عرفت بين طلابي وتلاميذي الذين قضيت معهم عشرين سنة ، كانت ثلاثها بمصر نفسها ، وما زلت حتى الان القي دروسي فى الادب المغربي ، على طلبة الجامعة عندنا ، كما القيت اخرى على طلبة الجامعة عند غيرنا .. وللجميع ، بحمد الله ، ذكر حامد واستحسان ، وتلك نعمة الله نتحدث بها .. كما عرفت ، باحثا فى الادب المغربي ، كاتبا فيه ، منذ زمان عشرة سنة ، قبل ان يصدر كتاب هيكل ، بعشر سنوات ، كما قيل لي .. واظن انه معترف لي بقدرة ، تجعلني غير عالة على مقدمة هيكل وجمله فلا اتصرف فيها ، ولو بلغ بي الانحطاط مبلغه تصرف عفيفي .. اما فى غير هذا الادب ، فقد كتبت فى عدة صحف ومجلات ، ابتدأ ذلك سنة 1937 بصحيفة « الوحدة المغربية » ثم سنة 1946 بمجلتي « الرسالة والثقافة » المصريتين ..

تطوان ــ محمد بن ناويت

برفضه ابن خلدون فانما كن ذلك تبيتا او تفسيرا لهذا الاقتراح ، وان كان هذا الاقتراح اسمل من حيث رفض المنطق ، ورفض الادلة الاصطناعيه ، ورفض الالفاظ جمله وتفصيلا ، ولذلك يقول : (واعلم ايها المتعلم ، اني اتحفك بفائدة في تعلمك ، فان تلقيتها بالقبول ، وامسكتها بيد الصناعه ، ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفه) وقبل ان يعطي هاته الفائدة ، ياخذ في التعليل قائلا : (وذلك ان الفكر الانساني طبيعه مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته ، وهو وجدان حركة للنفس في البطن الاوسط من الدماغ ، تارة يكون مبدأً للافعال الانسانيه على نظام ثابت،وتارة يكون مبدأً لعلم ما لم يكن حاصلا بان يتوجه الى المطلوب) ، وفي عبارة اخرى يبين استعمال الفكر الطبيعي ومحاوله ادراك الحقائق في معزل عن الادله الاصطناعيه من المنطق وغيره ، وهي الفائدة التي يريد اتحاف المعلم بها ! (واخلص الى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه ، وسرح نظرك فيه ، وفرغ ذهنك فيه للغوص على مراميك منه ، واقعالها — المرامي — حيث وضعها اكابر النظار قبلك ، وقد الم ابن خلدون في استعمال الفكر الطبيعي في ادراك مبادئه الالفاظ ، متفقه المعنى ، الحاحا يبدو منه المعلم فيسه مران للداكره على الذكاء قبل كل شيء، حتى ليخيل للانسان احيانا ان ابن خلدون يكتفي بالذكاء وحده على المعلم ، وتلك طبيعه الاذكياء يجعلون العقل دون المعلم والذكاء مفتاحا لكل شيء حتى ولو كان ذلك في موضوع المعلم ، باعتبار ان الالفاظ انما هي وسيلة لاداء المعاني ، فاذا حصلت المعاني التي هي الغايات فلا داعي لمناقشة الالفاظ من معنى ، الا ان يكون ذلك ساعا الموقف فيما لا فائدة منه : (واما ان وقفت عند المناقشه والشبهة في الادلة الصناعية وتمحيص صوابها من خطئها الى ان يقول فلا تتميز جهة الحق منها ، اذ جهة الحق انما تستبين اذا كانت بالطبع فليستمر ما حصل من الشك والارتياب وتسدل الحجب عن المطلوب) وفي التاكيد على هاته الفكرة يعود فيقول (ومن حصل له شغف بالقانون المنطقي تعصب له فاعتقد انه الذريعة الى ادراك الحقائق بالطبع ، فيقع في الحيرة بين شبه الادلة وشكوكها ، ولا يكاد يخلص منها ، والذريعة الى ادراك الحق بالطبع ، انما هو الفكر الطبيعي كما قلناه اذا جرد عن الاوهام)

ومن خلال هذا التحليل الذي يلح عليه ابن خلدون يبدو واضحا ان من معاني الفكر الطبيعي عنده الربط بين المسائل العلميه والحقائق الواقعية المشاهدة ، ولا يكتفي ابن خلدون بان يورد النظرية ويردفها بالتعليل ، او يستقبله بالتعليل ، بل يعززها حتى بالحجج العملية، فيقول مثلا : (ولذلك تجد كثيرا من فحول النظار في الخليقة يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة المنطـــق)

ومع هذا فابن خلدون يدرك ما للالفاظ من قيمة وما للادله من اثر في التعلم ، ولا ينتقد الالفاظ لذات النقد، وانما ينتقدها لما تسببه من حيرة وارتباك للمتعلم تحول بينه وبين ادراك الحقائق العلميه الكامنة وراء الالفاظ ، وهو لذلك يوصي المعلم الا يهمل الالفاظ تماما ، يوصيه ان ينفذ للافكــار في غير ما جنــوح الى اتخاذ الالفاظ وسيلة لذلك ، حتى اذا حصلت له الملكة وحصل له العلم بواسطه الفكر الطبيعي ، عاد فكسا هاته المعاني من حلل الالفاظ ما يناسبها ، وهو بذلك كله،انما يحاول دائما وابدا ان يشعر المعلم بان الالفاظ التي جرى بعض الناس على تقديسها ، ما هي الا الات يستخدمها الانسان كما يستخدم الادوات في كامــل الحريــه ، لا يشوب هذا الاستخدام نوع من التقديس للالفاظ فيشعر المتعلم بان حل معلمها من امور التعلم الواجبة عليه : (وحينئذ فارجع الى قوالب الادله وصورها فافرغه فيها ، ووفه حقه من القانون الصناعي ، ثم اكسه صور الالفاظ، وابرزه الى عالم الخطاب والمشافهــه ، وثيق العــرى صحيح البنيان) ، ولم يكن ذلــك عند ابن خلــدون الا ليكتسب المتعلم نوعا من الجرأة على الالفاظ فيعتاد ذلك ويصير فيه امرا جبلا ، كلما عرض له لفظ غامض ، كلما وجد في نفسه استعدادا ليتجاوزه الى المعنى المطلوب ، وخاصة اذا هو داب ان يصنع للافكار من عنده الالفاظ

4) **التوسع والاختصار في العلـوم :** ومن المذاهب التي يعرض لها ابن خلدون في التعليم طريقتا التوسع مع المتعلمين ، او الاختصار من التوســع ، والاختصــار والتوسع — كما نرى — طريقتان متضادتان كل منها يسير في خط يخالف الخط الذي يسير فيه الاخر ، ولا يقصد هنا ابن خلدون بالتوسع ذكر الخلافات فحسب ، بــل يريد به التبحر في الفن تبحرا كاملا ، كما انه يريد

مع الاشارة طبعا في هاته المرحلة الى ما عرضه عليه في المرحلة الاولى : (ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى اعلى منهـا ويستوفـي الشرح والبيان ، ويخرج عن الاجمال ، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ، ووجهه الى ان ينتهي الى ءاخر الفن فتجود ملكته) . وتلي هذه المرحلة مرحلة ثالثة هي اشبه بالاولى من حيث العودة الى اصول الفن كله ، واشبه بالثانية من حيث الاخذ لما في الطريقة الثانية من ذكر الخلاف وغيره ، الا انها تزيد على الثانية في انها – زيادة على ذكر الخلاف – لا تترك عويصا ، ولا مبهما ، ولا مغلقا الا وضحته وعن هذه المرحلة الثالثة يقول ابن خلدون : (ثم يرجع به وقد شد فلا يترك عويصا ، ولا مبهما ، ولا مغلقا الا وضحه ، وفتح له مقفله . فخلف من الفن وقد استولى على ملكته) وهذا السير عند ابن خلدون في التدرج ، امر لا بد منه في كل فن . المرحله الاولى كما وصفنا . والمرحله الثانيه والثالثة : (وهو كما رايت – اي تلقين العلوم – انما يحصل في ثلاث تكرارات) وكلما ذكر ابن خلدون التعليـم او ذكـر طريقا من طرقه ، الا ويذكر الملكة التي هي الغايـة الاولى من تعلم كل فن كما سبقت الاشارة الى ذلك

2) **الاقتصار على علم واحد في التعليـم :** ومن المذاهب الجميله التي يشرحها ابن خلدون الاقتصار على فن واحد اثناء التعلم . حتى لا تختلط على المتعلم امور هذا الفن بغيره من الفنون الاخرى ، وانما يقتصر على العناية بفن واحد حتى اذا فرغ منه وحصلت له فيه ملكة انتقل الى فن ءاخر (ومن المذاهب الجميلـة والطرق الواجبة في التعليم الا يخلط على المتعلم علمان معا فانه حينئذ قل ان يظفر بواحد منهما لمـا فيـه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما الى تفهـم الاخر . فيستغلقان معـا ، ويستصعبـان ، ويرجـع منهما بالخيبة ، واذا تفرغ الفكر ليتعلم ما هو بسبيله مقتصرا عليه ، فربما كان ذلك اجدر لتحصيله)

وقد كان طبيعيا ان يقول ابن خلدون بهذا الراي وهو لا يرى في التعلم الا غاية لحصول الملكة ، وليس مجرد استظهار ، فالملكة عنده تقتضي الادراك ، والادراك يقتضي حصر البال وعدم تقسيمه ، فتوزع الذاكرة بين فنين ، والا لو كان التعلم لا يقوم عنده على الملكة ، لما قال بهذا الراي . لان الاستظهار لا يقتضي كل هذه الموضوعيه ، وانما يستظهر الانسان ما قدر على الاستظهار . وقد راينا في غير هذا الموضوع ، ان ابن خلدون المنهجي يرى دائما ان الموضوعية احدى الوسائـل الفعالـة في التعليم ، فبعد ان انتقد استعمال الكتب المتعدده في فن واحد ، او الزيادة من حيث الموضوع على ما في الكتاب الذي اخذ به المتعلم – بعد ان انتقد ذلك كله ، وجـد نفسه مدفوعا ليقترح هاته النظريه ، نظرية الاقتصار على علم واحد ، كتتميم لذلك النقد الذي هو في الحقيقـة اقتراح ادخله ضمنيا فيما تناوله بالنقد ، فهاته النظرية تتشابه تماما مع النظريه التي سبقت الاشـارة اليهـا في جملة ما تناوله ابن خلدون من موضوعات منتقدة . وكل هاته النظريات – سواء منها ما انتقده ابن خلدون او ما اقترحه – كل هاته النظريات مبالغه في الالحاح على التركيز والموضوعيه ، باعتبار ان العلم واحد لا يختلف من كتاب الى اخر ومن موضوع الى اخر ، وان الالفاظ والطرق ما هي الا اداة موصله لذلك . واما فيما يرجع للاقتصار على فن واحد ، فان السبب عنده كما راينا هو حصر الملكة في موضوع واحد . بالاضافة الى ان العلوم انما هي حلقات متصله يكمل بعضها بعضا ، ولذلك كان من الاليق بالانسان الا ينتقل الى فن ، حتى يكون قد حصل الفن الذي ابتدا به في التعلم ، ليكون ذلك عونا له على الفن الجديد ، ولتكون الملكة بدورها قد اخذت نوعا من المران على التلقي من جهـه ، والتركيـز من جهـة اخـرى

3) **استعمال الفكر الطبيعي :** ومن الوسائل التي يقترحها ابن خلدون كطرق موصلة للتعليم ، استعمال الفكر الطبيعي وهو يريد به الاتصال بالافكار والمعاني التي تحملها الالفاظ مباشرة من غير واسطة ، حتى اذا اتصل الانسان بالفكرة مجردة واستوعبها ، جاز له بعـد ذلك ان يتصرف فيها باستعمال الالفـاظ ، او الادلـة ، والفكر الطبيعي عنده مخالف لاستعمال المنطق ، او هو عنده في منزلة المفهوم بالنسبة للاشياء التي عرضنا لهـا سابقا ، وكان يجب ان نكتفي بذلك الذي قدمنـاه ، من رفض استعمال المنطق ، لولا ان ابن خلدون ساق هذه النظرية كاقتراح في صراحة لا تحتمل اللبس ، وامـا نظرية رفض المنطق التي عرضنا لها سابقا في جملة ما

الذي هو الشرعيات كما نعرفه في عصرنا هذا .

5) **السيطرة وبشروح النقد والملاحظة في المتعلم ومحاولة الشعور ببيئة المتعلم** : ومن المذاهب التي يراها ابن خلدون من احسن الوسائل ما نسميه بالسيطره على المتعلم ، بالاضافة الى خلق روح الملاحظه في التلميد مع حمله على احترام المتعلم ، ومنعه من الضحك وهو لذلك يسوق نصا يريد به تقرير رايه ، يجمع كل هاته الاقتراحات ولم يخصصه عند الاستدلال بواحد منها ، حتى يشعر القاريء انه انما يستحسن بعض ما ورد في النص الذي ساقه وترك البعض الاخر ، وانما ساقه سياقة تدل على انه ياخذ بما في النص من اقتراحات جملة وتفصيلا ، ما يتضمنه النص صراحة او اشارة وتلميحا (ومن احسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الامين فقال له : يا اخي ان امير المومنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة عقله فصير يدك عليه مبسوطه . وطاعته لك واجبه . الى ان يقول : وبصره بمواقع الكلام وبدئه . وامنعه من الضحك الا في اوقاته) فابن خلدون كما نرى . لا يرى الضحك ممنوعا بل يجوزه ، واكثر من هذا انه يرى للضحك اوقاتا . واذا كان ابن خلدون ينتقد الشدة على المعلمين ويدعو كذلك الى المسامحة معهم ، **فانه لا ينسى ان يجعل** لهاته المسامحة حدا تقف عنده . ولذلك يورد هذا النص . ويورد المسامحة وحدودها ، في جملة ما يورد من امور : (ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ). وفي مكان اخر من نفس النص ، يوصي الرشيد بالملاينة مع المعلم ، الا انها اذا لم تفد جاز استعمال غيرها : (فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة)

واما محاولة الشعور بالشدة عند المتعلم . فانها ايضا تبدو واضحة في اقتراح ابن خلدون من خلال النص الذي اورده ، والذي اخذ به كما قلنا جملة وتفصيلا (وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة) .

6) **الرحلة في طلب العلم** : ومن الوسائل المهمة في التعليم عند ابن خلدون الرحله وهي عنده من مكملات الثقافة والعلم (في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم) . ورغم ان ابن خلدون لا يعطينا تحديدا او تعريفا لهاته الرحلة التي يقترحها . الا ان المراد منها يتضح ، بعد ان ياخذ الانسان في معرفة رايه فيها ، ويمكن ان نعرف الرحلة عند ابن خلدون انها لقاء المشيخة ، سواء كانت المسافة قصيرة او طويله . الا ان الرحلة عنده تقتضي الشيوخ ، وتعددهم ، وتعدد الشيوخ لا يكون الا اذا كانت الرحلة اطول . فتعدد الشيوخ يكون بقدر الرحله طولا وقصرا ، وكلما تعدد الشيوخ . كلما كان ذلك عند ابن خلدون افيد في التعلم . اي كلما كثرت الرحلة وتعددت كلما كان ذلك اجدى للمتعلم

والرحلة كما يرى ابن خلدون ، لا تعلم الانسان فقط المعلومات بل ياخذ فيها اشياء غير المعلومات ، من اخلاق . وفضائل . ويقول عنها معللا : (والسبب في ذلك . ان البشر ياخذون معارفهم . واخلاقهم ، وما ينتحلون من المذاهب . والفضائل . تارة علما وتعليما والقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة .) كما ان التعليم عنده لا يقوم دائما على التعليم . بل على التلقين بالمباشرة والمحاكاة ، وليست المحاكاة عنده تعني التقليد ، بل التعلم العملي ، الذي نطلق عليه نحن في عصرنا التجربة . وابن خلدون لا ينسى ما للطريقة العمليه من قيمة في التعلم . بل ليست هناك اية وسيلة اكثر فعالية في التعلم ، من الاخذ بالمسائل العملية ، ولذلك يقول عن الطريقة العملية (والتلقين اشد استحكاما ، واقوى رسوخا) . وبهذا التحليل نكون قد اضفنا مبدا اخر من المباديء التي يقترحها ابن خلدون، ذلك هو التعليم العملي . وان كان ابن خلدون ذكره في ضمن الرحلة ولم يذكره على انفراد ، ولكون الغاية من الرحله هي مباشرة التلقي عن الشيوخ بطريقة المشافهة . يقول عن التلقي من الشيوخ : (فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها) ، وابن خلدون في موضوع الرحلة لا يفتا يوكد ويلح على الرحلة فيقول عنها (فالرحلة لا بد منها في طلب العلم) والهدف الرئيسي من الرحلة عند ابن خلدون هو لقاء الشيوخ والاخذ عنهم . ولكون ابن خلدون ينتقد كثرة الاصطلاحات ويرى ان فيها عائقا عن العلم . فقد جعل الغاية من لقاء هولاء الشيوخ ومباشرة التلقي عنهم ، انما هو التغلب على هاته الاصطلاحات . وتذليل الصعوبة التي تصادف المتعلم ، وتبدو له وكانها جزء من العلم ، فلا يدفع عنه ذلك الا الرحلة التي يلتقي فيها بالشيوخ (والاصطلاحات ايضا في تعليم **العلوم مختلطة على** المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم انها جزء من العلم ولا

بالاختصار ، الاكتفاء بالقواعد الضرورية التي يحتاجها الانسان في ممارسته عملا ما، يتوقف فيه ذلك العمل على قواعد ضرورية من هذا الفن ، ونظرية التوسع والاختصار قائمة على تفسيم خاص للعلوم ، يمكن حصره في صنفين، صنف يدرس لذاته كالسرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام ، او كالطبيعيات والالهيات ، من الفلسفة ، وصنف ءاخر هو وسيلة وءالة لهده العلوم كالعربية ، والحساب ، بالنسبه للسرعيات او المنطق بالنسبة للفلسفة . ولكون هده العلوم صنفين مختلفين ، من حيث الغايات ، فقد اقترح ابن خلدون اقتراحين متضادين كما قلنا :

الاول اقتراح موضوعه طلب الاختصار وذلك في العلوم الالية التي هي وسيلة لغيرها ، لا اقل ولا اكثر ، ولذلك يقول عنها : (واما العلوم التي هي ءالة لغيرها مثل العربية ، والمنطق وامثالها ، فلا ينبغي ان ينظر فيها الا من حيث هي ءالة لدلك الغير فقط ، ولا يوسع فيها الكلام ، ولا تفرع المسائل ، لان ذلك مخرج لها عن المقصود ، اد المقصود منها ما هي ءالة له لا غير ، فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود ، وصار الاشتغال بها لغوا)

واما الاقتراح الثاني فيما يتعلق بالتوسع او التطويل وهو عكس الاقتراح الاول الذي هو الاختصار ، وفيه يقترح او بالاحرى يستحسن التطويل، وذلك في موضوع العلوم الغير الاليه ، اي العلوم التي هي مقصودة لداتها والتي هي منتهى العلم ، مثل الشرعيات والطبيعيات ، والالهيات ، فهده الالوان من العلوم لا باس فيها من التطويل عند ابن خلدون ، وهو لدلك يقول عن التطويل فيها : (واما العلوم التي هي مقاصد ، فلا حرج من توسعه الكلام فيها ، وتفريع المسائل ، واستكشاف الادلة والانظار ، فان ذلك يزيد طالبها تمكنا في ملكته، وايضاحا لمعانيها المقصوده) ، واستكشاف الادلة عند ابن خلدون والتوسع ، ليس هو ذكر الخلاف والمسائل العويصة ، او المبهمة التي اقترحها في نظرية التدرج بالمتعلم ، فتلك نظرة يصرحها في كل علم ، اما هنا فيقترح هذا الراي في بعض المسائل الخاصة ، وتلك غير هده ، فقد عبر عن تلك بالخلافات والمسائل العويصة والمبهمة ، اما هنا فيعبر بتفريع المسائل واستكشاف الادله والانظار فهده مرحلة تتجاوز تلك ، ولا يقف عندها الا المتخصصون ، والمتخصصون لا يقفون عندها الا في بعض الاصناف التي تستلزم ذلك وتدعو اليه الحاجة في هدا النوع من العلم ، وتنبغي الاشارة الى ان هناك علوما قد تعد من العلوم المقصودة لذاتها كما يتخيل ، ولكنها في الواقع ليست الا ءالة لغيرها ، كاصول الفقه التي هي ءالة لاستنباط الاحكام الشرعية ، ولذلك عند ما احد ابن خلدون ينتقد على الاقدمين التفصيل في العلوم الاليه ، عد اصول الفقه منها ، حيث قال : (كما فعل المتاخرون في صناعة النحو وصناعه المنطق واصول الفقه لانهم وسعوا الكلام فيها ، واكثروا من التفاريع والاستدلالات ، بما اخرجها عن كونها ءالة ، وصيرها من المقاصد) ، وابعد من هذا ان ابن خلدون لا يجعل التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام من الامور المقصودة ، وانما هي علوم ءاليه ، اما علم الكلام فامره واضح في ذلك ، ولكن عد التفسير والحديث والفقه من العلوم الاليه ، امر يدعو لنوع من التامل ، وخاصة الفقه وعبارته في ذلك واضحة : (اعلم ان العلوم المتعارفه بين اهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات كالشرعيات ، من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام) فعبارته تعطي ان الشرعيات اي الاستنباطات الماخوذة من التفسير ومن الحديث ومن الفقه وعلم الكلام ، هي العلوم المقصودة لذاتها ، وليس التفسير والحديث والفقه علوما مقصوده لذاتها ، كما قد يتسرب الى ذهن القارىء من العبارة التي يسوقها ابن خلدون، وخاصه حرف (من) الذي يدل على الاستخراج والاستنباط ، وبمثل هاته الكلمات عبر في حق العلوم الطبيعيه ، والالهيات ، عند ما عرض لهما في سياق اشبه بالسياق الذي عبر به عن الشرعيات : (وكالطبيعيات والالهيات من الفلسفة)

فعبارته لا تعطي ان الفلسفه علم مقصود لذاته ، وانما العلوم المقصوده لذاتها هي الطبيعيات ، والالهيات المستخرجه من الفلسفه وكل هدا ليس من الغرابة في شيء ، وانما الغريب هو ان ابن خلدون عد الفقه من الامور الالية ، وهو يرى ان الشرعيات المستنبطة علوم مقصودة لذاتها ، واي شيء هي الشرعيات اذا لم تكن فقها ، اننا لا نستطيع ان نتخلص من هذه الاشكال ، الا اذا استطعنا ان نحمل عبارة ابن خلدون على انه اراد بالفقه القواعد ، والطرق الموصلة للفقه ، لا الفقه ذاته

الأدب ومشاكل العصر

للأستاذ: عبد اللطيف خالص

يعيش الادب ، منذ ظهر الى الوجود ، في تطور مستمر ورقي مطرد وتغير متواصل شانه في ذلك شان الانسان الذي لم يفتا يترعرع ويتطور ويرتقي ويتغير منذ خلقه الله في هذه الدنيا الحافلة بالاحداث الداعية الى التطور والتغير وليس في وسع الادب ان لا يساير الانسان في تطوراته وتحولاته وتقلباته وهو لا يعدو ان يكون اداة للتعبير عما يجول في خاطر هذا الانسان من مشاعر وخوالج وما يخامره من نوازع ولواعج وما يضطرب في احسائه من انفعالات ذاتيه واحاسيس فرديه هي نفسها وليدة الظروف التي يحياها هذا الانسان وصنيعة الاحداث والتقلبات التي تطرأ عليه وعلى المحيط الذي يعيش فيه والبيئة التي ينتمي اليها والمجتمع الذي ينشا وينمو في احضانه

ولعل هذا ما جعل الادب يتطور ويتقدم في الاقطار والقارات المتقدمة ويتخلف ويتاخر عند الشعوب التي ما زالت تجر اذيال التخلف وتذوق وبال امره

ومما لا اشكال فيه ان من علامات حياة الادب في مختلف اشكاله وانواعه وفنونه وامارات نهوضه ونموه قبوله لمسايرة التطور البشري والتقدم الانساني في شتى العهود والعصور واستعداده لمواكبة الانسان في مختلف مجالي الحياة والتلاؤم مع مقتضيات الرقي الفكري والنمو العقلي والنشاط الاجتماعي والالتزام بخدمة الانسان كلما دعي هذا الاخير للقيام بما تستوجبه المسؤولية الملقاة على عاتقه

وما المدارس الادبية المتعددة التي عرفها ميدان الادب والمذاهب الكثيرة التي تقلب فيها العمل الادبي الا دليل ساطع على صحة ما قدمناه حتى الان لانها تشهد بتطور الادب وتكيفه مع العقليات المختلفة ومسايرته للاتجاهات التي تغزو المجتمعات البشرية في كل وقت وحين والتي اصبحت اليوم تكتسي جلالا خاصا وخطورة شديدة الباس نظرا للتقلبات المهولة التي يعرفها العصر الحاضر والتحولات الجذرية التي طرأت على المجتمع الانساني بصفة عامة وعلى مجتمعنا المغربي بصفة خاصة

ان تاثير الادب في الشعوب امر بديهي لا يحتاج الى دليل . وسيكون تاثير الادب الحالي على الاجيال الصاعدة اعظم واقوى من تاثير اي ادب سابق نظرا للتبعات الجليلة الملقاة على كاهل ارباب القلم الذين يتعين عليهم ان يشعروا شعوبهم وبيئاتهم بما طرا على الكون من تطورات جزيلة وتحولات جليلة وبما قد نتج عن هذه التقلبات من تغيير لبعض المفاهيم وتضعضع لبعض القيم والمقاييس

وقد اصبح من المتعين على كل من سلبته دولة القلم ان يعمر وسط الاحداث التي تهز العالم وان لا يظل بعيدا عنها في هذا الوقت الدقيق الذي يتحدد فيه مصير الدنيا وترتسم فيه صور عالم جديد ما زالت التجارب العلمية والاكتشافات الفضائية والتطورات التقنية تتبارى في تخطيطها وتتنافس في اظهارها

وسوف لا يتاتى للادب ان يضطلع بالمهمة المنوطة به الا اذا قام رجال الادب ودعاته بتوضيح العلاقات التي يجب ان تكون بين الشخص وبين الواقع مهما تغير هذا الواقع وتطور ولن يتسنى لرجال الادب القيام بهذا العمل الا اذا زودوا انفسهم بالافكار

يدفع عنه ذلك الا مباشرته لاختلاف فيها من المعلمين ، فلقاء اهل العلوم ، وتعدد المنايخ ، يفيده تمييز الاصطلاحات ، بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها ، ويعلم انها انحاء تعلم ، وطرق توصل ، وتنهض قواه الى الرسوخ والاستحكام في المكان ، وتصحح معارفه ، وتميزها عن سواها ، مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المسيخة عند تعددهم وتنوعهم)والملاحظ ان ابن خلدون سواء في مباشرة الشيوخ او في التعلم النظري يبدي تذمرا بالغا من الالفاظ ، والاصطلاحات حتى يمكن حصر المتعلم في هاتين الناحيين : الالفاظ والاصطلاحات عنده اسد على المتعلمين من غيرها ، واهم ما يلفت نظر القاريء في موضوع الرحلة عند ابن خلدون ، انه انما جعلها قاصرة تقف فائدتها ـ على المتعلم ـ عند تقديم فرصة لقائه بالشيوخ ، فلم يذكر الرحله من حيث فائدتها على المتعلممن ناحيةاخرىاو نواحي ـغير لقاء الشيوخ ـكتاثير المناخ ، وتاثير المناظر ، الاماكن التي تتبدل على الانسان في رحلاته ، رغم انه يجعل هاته الاشياء اي المناخ والجو من المؤثرات على الانسان في كل اعماله من تعليم وغيره ولعل في كلمتي : (المحاكاة والمباشرة) عند ابن خلدون ما يفيد ذلك او بعضا منه ، على شيء من التجوز او التكلف في الفهم ، وان كانت الاشارة الى المؤثرات على الانسان في الرحلة ، كتقلبات الاجواء والبيئات ، لم يحظ من ابن خلدون باية التفاتة تذكر في موضوع الرحله ، وقد اتى على الرحلة كشيء خاص ومحدود الفائدة : لقاء الشيوخ ، والتغلب على الاصطلاحات ، وما كان ينبغي له ان يفعل وهو الرجل الذي رحل كثيرا وعرف ما للرحلة من فوائد غير ما ذكر من لقاء المسايخ ، ولعل العبارة قصرت به عن ذلك او اهتمامه بالاصطلاحات وتركيزه في الحديث عنها حال بينه وبين ان يعطي للرحلة حقها من الكمال والتوسع

هذه هي الاشياء التي يقترحها ابن خلدون وتلك التي سبقت امور ينتقدها واذا شئنا ان نكون منصفين اضفنا لهاته الاشياء التي يقترحها ما يقابل تلك الاشياء التي ينتقدها ، باعتبار انه عند ما ينتقد شيئا يكون قد راى ان من الاليق الاخذ بخلافه ، فهو اذا انتقد صناعة المنطق كاسلوب في التعليم ، فكانما اقترح مبدا الاخذ بالتعلم ، في معزل عن صناعة المنطق ، واذا هو انتقد الشدة ، فكانما اخذ بما يخالفها وهو اللين ، وهكذا فاقتراحاته كما نرى صريحة او ضمنية لا تقف عند هاته الاشياء التي عرضنا لها في هذا العدد ، بل هي ايضا شاملة للاشياء التي عرضنا لها في العدد السابق ، والتي كانت تبدو وكانها مجرد نقد مع انها تحمل بصورة معاكسة اقتراحات تحل محل تلك الانتقادات ، على اننا لم ناخذ انفسنا بالتكلف في الاستنباط والا فان المناهج عند ابن خلدون اكثر مما ذكرنا سواء ما عرض له ابن خلدون في هذا الموضوع او ما يمكن ان يكون عرضه في غير هذا الموضوع ، وسواء ما ذكره صراحة او ضمن اشياء قد لا يخيل للقاريء العابر انها من مناهج التعليم ، او انها تعني المناهج في شيء وذلك من خلال الكلمات التي قد لا تبدو فيها هذه المناهج الا بعد اجهاد في الاستنباط ، وقد ضربنا عنها صفحا ، كالالهام او الدعاء بالفتح الذي يلح عليه ابن خلدون ويعبره سبيلا للنجاح عند العلماء الكبار (مستعرضا للفتح كما فتح الله عليهم من ذهنهم من رحمته وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فاذا فعلت اشرقت عليك انوار الفتح من الله بالظفر بمطلوبك) وهذا الذي يسميه ابن خلدون الاستعراض للفتح كان امرا معمولا به عند المسلمين استنبطوه من الاحاديث النبوية والايات القرآنية ولهذا عسر على المستشرقين ان يتصوروا حقيقة الكشف وان يقفوا عند نظرية الغزالي التي يقول فيها :(ان نورا انقدح في نفسه فاضاء له الكون) وقد بلغ المسلمون في التمسك بهذا المذهب حدا جعلهم لا يقدمون على درس او مطالعة الا اذا تطهروا وكانوا على جانب من الاستعداد الروحي لذلك ، حتى يكونوا اقرب الى الفتح اذا اعوزهم البحث والنظر فيما لم تهيئهم له عقولهم الضعيفة ، وكيف يريد بعض الناس ان يفهموا هاته الحقيقة وهم لا يتطهرون ولا يستمطرون رحمة الله كما يذكر ابن خلدون ، بل لا يلتزمون من مباديء الاسلام شيئا لا في دراستهم ، بل ولا في حياتهم على العموم ، مع ان هذا امر ضروري في التعلم ، وهو سر الفتح عند الاقدمين وصدق الله العظيم (واتقوا الله ويعلمكم الله)

الرباط ـ محمد الامين الدرقاوي

خلال هـذا التحليـل . المسائـل الفلسفية والثقافيـة والاقتصادية بشـا بجعلها تنفـذ الى القلوب والاسماع وتعمل عملها البنـاء في تركيـز المبـاديء الانسانيـة الخالدة ولعل هذا ما حدا بالكاتب الروسي « ليونوف » ان يقول في سنه ثلاث وثلاثين وتسعمائه والف :

« يجب ان يكون الفن مراة تنعكس عليهـا اقوى عواطف الشعوب واعمقها واشد الطبائع باسا وحولا » .
وقد اصبح من المتعين ان تتطور الاساليب الادبية لتنسجم مع ما تفرضـه هـذه المرحلـه الجديـدة من التطـور التاريخي الذي دخلت فيه البشريه باسرها والذي لن يستطيع الخروج منه احد . وقد صار هذا « الانطلاق التاريخي الكبير » كما يعبر عنه « ليونوف » يؤدي الى ضروره تحديد الهدف الذي يرمي اليه الادب بصفـة عامه سواء كان هذا الادب قصه او شعر او غير ذلك

فقد مر على الانسانيه حين من الدهر كان الادب فيه عباره عن مداعبات ومساجلات يتبادلها رجال الثقافه والعلم والادب فيما بينهم كما كان الادب فيه تراشقـا بالكلمات وتفاخرا بين القبائل وتبادلا بالقذائف والشتائم بين الافراد المتخاصمين عدا ما كان يزخر بـه الادب عموما . وادبنا العربي خصوصا من غزل ومدح وقـد اصبح لزاما على الادب اذا اراد الخلود ان يتجـاوب مع مشاعر المواطنين في كل مكان وزمان وان يساعدهم على رفع مستواهم وان يلعب دورا خطيرا في التقارب بين الامم والشعوب وارساء قواعد التعايش السلمي في عالمنا الحاضر وترسيخ المعارف الجديدة في النفوس

لقد كان القمر . الى حين قريب . محط انظـار مختلف سكان الارض ومناط امالهم وقبلة ابصارهم ، وكان سرا مبهما يتجه اليه الناس لاستكشاف غوامـض مشاعرهم ويلجأون اليه للاستيحـاء والاستلهـام ، كان يسلبهم بناصع بياضه ويستولـى على ابصارهم بعجيـب شكله وغريب جماله فيتطلعون اليه كلما الم بهم امـــر وتسرح في مجاليه اخيلتهم وتترعرع فيه صورهم . وقد اصبح القمر اليوم او كاد ان يصبح فلكا معروفا ومقصدا مالوفا . وهذا في حد ذاته . تغيير قد يرى البعض انه يمس الطبيعة وحدها ولكنه في الواقع حدث ينطوي على حقائق جديدة وقد تؤدي هي بدورها الى مكتشفات اخرى قد تكون اشد غرابة مما وصل اليه الفكر البشري حتى الان وان من مهمة الادب ان يعمـل على التعريـف بمثل هذه الحقائق وتوعية الناس بها حتى لا تظل بعيدة عليهم او مجهولة عندهم

ان البشريه تجتاز اليوم مرحلـة تحول عسيـرة ، وليس من السهل على مطلق العقول ان تدرك ما يحيط بها من حوادث وما يلم بها من قضايا . واذا كان للتعليم والتربيه نصيب وافر في تكويـن عناصـر واعية لهـذه التقلبات فان الحصه الكبرى في هذه النوعية ترجع الى المثقفين من كتاب وشعراء وفنانين الذين يتعين عليهم ان يقربوا هذه الحقائق الى اذهان الدهماء حتـى لا يظل الناس في الضلال يعمهون

وما الفرد البشري الا جزء من هذه الطبيعه التي اخذت تتطور وتتغير . فمن الواجـب عليـه ان يتطور معها حتى لا تكون الطبيعه سابقه الى التطور ويكون هو خاملا في التقهقر والتاخر . وان من مهمة الادب الحق ان يتتبع الانسان عن كثب اثناء هذه المرحلة . وان على الكاتب او الشاعر ان يتفهم رجل هذا العصر ويدرس تطوره جسميا وعقليا قبل ان يصفه في كتبه ويشرحه في انتاجه ويقدمه لجماهير القراء كنمـوذج مثالي حـي للانسان المعاصر الذي لا يتنافى في حياتـه وسلوكـه وتفكيره مع العصر الذي يعيش فيه

واذا كان على الادب المعاصر ان نقتدي بالادب الاتباعي او الابداعي فان الواجب يفرض عليـه ان لا يفرغ هذا الاقتداء في قالب التقليد لان الادب كان يعنى فيما سبق . باشخاص قد عفا عليهم الزمان بينمـا الادب المعاصر يعنى برجل العصر فلنتعلـم من الاتباعييـن اساليبهم ولناخذ طرفهم ولنهضم بعض عناصر مهنتهم دون ان نقلدهم في تحليلاتهم ومنازعهم في عرض نماذجهم فقد كان رجل القرن السابـع عشـر الميـلادي مثـال البورجوازي الخالص الذي يحسن التعامل مع العناصر المنتميه لطبقته والذي يجيد القاء بعض الاشعار ويلـم بالثقافة السائدة في عصره والذي يتقن الحديث الجميل في المجالس والصالونات ، وكان هذا الرجل المعيار الذي ينسج عليه الادباء والكتاب والشعـراء ابطالهم ، فمـن قاربـه او شابهـه كـان قمينـا بالفـــلاح ومن ابتعد عنـه كان العنصـر الـذي يتعين اجتنابه وتلـزم محاربته . امارجل القرن الثامن عشر فكان الفيلسوف

المعاصرة والصور الحية ومزجوا بينها وبين مكتسبات العقل والفكر وجمعوا بين الثقافة التقليدية المتينة والثقافة العصرية المتجددة التي تتفتح لاستيعاب مشاكل العصر وقضايا القرن العشرين فكيف يعقل ان يلم الاديب بثقافة عصره ومشاكل مواطنيه اذا ظل منزويا في بيته قابعا في برجه العاجي بعيدا عن الاحداث التي تجري على مسرح العالم نائيا بجانبه عن المكاسب والانتصارات التي يظفر بها العلم في كل وقت وحين ؟

ان مشاكل الثقافة العصرية هي مشاكل العالم الحديث . والمثقف الحق هو الذي ينكب على دراسة المآسي التي يتخبط فيها رجل القرن العشرين متحملا في ذلك التبعية التي ينبغي ان يتحملها ازاء الانسانية على العموم متدبرا سائر العواقب الوخيمة التي يمكن ان يؤدي اليها كل عمل مشين قد يضر بالمعجزات التي حققها الانسان وبصميم المخترعات الجديدة والمكتشفات الحديثة لانها سبب خراب العالم ودماره لا سبب رقيه وانطلاقه وازدهاره

ان المدنية الحديثة والحضارة العصرية تتطلبان المزيد من اليقظة والحذر لان ما تحملانه من فسح مبين لرقي البشرية لا يخلو من شوائب مضرة وجوانب غامضة ما زالت في حاجة الى التبيين والتوضيح والتاكيد والترسيخ وهذا جانب كبير من المسؤولية العظمى التي يتعين ان تضطلع بها كل مثقف وقف حياته ومواهبه لخدمة العلم والثقافة والحضارة لان الانسانية تواقة الى من يساعدها على تفهم مشاكل العصر واشعارها بالتبعات المنوطة بها وتقوية وعيها بعظمة المكتسبات التي توصلت الى الظفر بها كما انها راغبة في اتباع كل من يحاول ارشادها اثناء مرحلة التحول التي تعيشها الان والسير على نهج كل من يود ان ييسر لها سبيل ارتقائها المنشود وتطورها المأمول

ان مهمة المثقف في النصف الثاني من القرن العشرين تتلخص في تلقف كل جديد وطريف والاحاطة به من سائر جوانبه والتوقف في ادراك ما ينطوي عليه والشعور بكل ما يحتوي عليه هذا الجديد من امكانيات قد تساعد على تفتق الفكر البشري لاستيعاب المعلومات والمعارف العصرية وهضمها وتفتح العقل الانساني للتعامل بها والتصرف فيها بعد ما تصبح ملكا له

وسوف لا يتم الوجود والخلود في هذا العصر لاي عمل ادبي الا اذا جعل هدفه الانسان الجديد وما يتطلبه تكوين هذا الانسان واعداده حتى يصير بحق . رجل المستقبل الذي يحقق في طياته عالما قد يختلف في كثير من الوجوه عن عالم اليوم وحتى تتجلى له حقيقة الغد واضحة ويغدو واقع ذلك الغد مالوفا ملموسا وحتى لا يضيع هذا الانسان في متاهات فكرية ومجالات علمية غريبة عنه ويتطلب هذا العمل من المثقفين والمتادبين تحليل جميع عناصر الوجود والتعمق في الاحداث الجارية وسبر اغوارها والنظر اليها بنظرة المستقبل لا بنظرة الماضي ومحاولة التاثر بها والتاثير فيها وقد سبق للكاتب الروسي الكبير « جوركي » ان عرف هذه الظاهرة تعريفا حقيقيا عند ما قال : « يتعين علينا ان نعرف واقعا ثالثا هو واقع المستقبل كما يتعين علينا ان ندرج هذا الواقع الثالث في كل ما نعمل وان نصفه وصفا نقربه الى الاذهان »

ولذلك ينبغي للمثقف سواء كان اديبا او كاتبا او شاعرا او استاذا او غير ذلك ان يقوم بهذا العمل اذا لم يدرك المسؤوليات التي ترجع اليه بصفته عنصرا فعالا في توعية الشعوب واشعارها بما ينتظرها ؟ ان الفن الذي تتوق اليه الشعوب النامية ليس هو الفن الذي يرضي النخبة المثقفة او الطبقة الواعية كما ان العمل الادبي الذي تنتظره الامم الساعية الى الرقي والتطور والماضية في طريق التحول والتقلب ليس بالعمل الادبي الذي يخاطب القلب والوجدان ويدغدغ روح الانسان بل انه الانتاج الادبي القوي الذي يخاطب القلب والعقل وينفذ الى اعماق القارىء او المستمع محاولا انتشال كل منهما من دركات الخمول والانحطاط والزج بهما في معركة الحياة الدائمة المتجددة ومساعدتهما على التغلب على المشاكل التي يتخبطان فيها ورسم معالم الطريق التي يتعين ان يسيرا فيها والتي ينبغي ان يجرا اليها بشعبهما ومجتمعهما ولن يستطيع ان يؤدي هذه المهمة العسيرة الا العمل الفني الذي يحلل القضايا الاجتماعية الكبرى التي تواجهها شعوبنا النزاعة الى اصلاح نفسها الميالة الى الارتقاء والنمو الذي يبعث

المجتمع واقبل كتابه على الموضوعات التي تاخذ بلب الجماهير وتستحوذ على اهتماماتها الخاصة والعامة ، فهل يستطيع المسرح ان يعد رجل الغد ويهيئه لتحمل المسوءوليات التي تنتظره في المستقبل القريب اذا ما اكتفى بترديد ما كان يقوله السابقون و باحصاء الجزئيات البسيطة التي تزخر بها حياتنا اليومية ؟

ان المسرح لن يستطيع الاضطلاع بالمهمة التربوية الملقاة على عاتقه واداء الدور الخطير في التكوين والنوعية الذي اسند اليه الا اذا تغذى بقضايا العصر التي سغل بال رجل الفرن العسرين وتزود بالمشاكل السائكه التي تواجه هدا الرجل والتي تتطلب منه تحولا فكريا وعمليا والا اذا تطرق للتطورات المدهشة التي تفخر بها هذا القرن

فالامل ما زال معقودا على المسرح حتى يلعب دوره كاملا في تكوين الانسانية ورفع مستوى تفكير ابنائها ومساعدتهم على مواجهة الحياة وتقريب التطورات الجديدة الى افهامهم وفتح اذهانهم على ما يجري فوق الكرة الارضية وما يدور بين هذه الارض والافلاك المحيطة بها

وما يقال عن المسرح يمكن ان يقال عن السينما والتلفزة والاذاعة والصحافة ومختلف وسائل النشر والدعاية الحديثة فانها كلها لن توءدي رسالتها على الوجه الاكمل الا اذا قدمت لجمهور القراء والمستمعين والمتفرجين نماذج حية من رجال العصر وابرزت كيفية خوضهم لمعركة الحياة في هذا القرن وتغلبهم على المشاكل الجديدة سواء كانت اجتماعية و اقتصادية او سياسية او تربوية واقدمت على عرض هذه النماذج والمشاكل في اساليب طريفة تجعلها تنفذ الى الاعماق في اتئاد وهدوء وتتسرب الى الاذهان في اطمئنان ورضى

وخلاصة القول فان الاكتشافات الحديثة والتطورات الحالية قد فتحت امام الادب افاقا واسعة ومجالات جديدة يتعين على هذا الادب ان ينسجم معها ويتفق تطوره مع تطورها حتى يكون في مستوى هذه الاكتشافات العجيبة ويكون بصدق واخلاص ، اداة فعالة في طريق التقدم والنمو

وسوف لا يتسنى للادب ان يلعب هذا الدور الا اذا كان العاملون في حقله ملمين بما يجري حولهم مومنين بما وصلت اليه البشرية من تقدم علمي وتطور مادي ، مجدين في خدمة الاهداف الاخلاقية العليا التي سيظل الادب يخدمها من بين مختلف ميادين النشاط الانساني والتي سيبقى الادباء يحملون مشعلها الى ان يرث الله الدنيا وما فيها

الربـــاط ـ عبد اللطيف احمد خالص

المثالي الذي يدافع عن المظلومين والمنكوبين والمفكر الواعي الذي يدعو الى الحرية ومحاكاة الطبيعة وينبذ التعصب الديني والطبقي والاستغلال الفردي او الجامعي ولذلك جعله الكتاب والشعراء نموذجهم المتبع ونهجهم المقتدى به ومقياسهم الذين يبنون عليه شخصيات قصصهم ورواياتهم وما ان بزغ فجر القرن التاسع عشر حتى استولى الياس على النفوس والقنوط والضجر على القلوب ، فجاء رجل هذا القرن عبارة عن رجل ذي قلب مريض غلب عليه اليأس وحطمه داء العصر ، فلا الحرية التي يتمتع بها ترضيه ولا بداية التطور الصناعي تغريه ولا الاكتشافات الحديثة تستحوذ على قلبه وتدفعه الى العمل بعد ما تغرس في روعه بذور الانتعاش والامل ، ولهذا اصطر الى السياحة في الارض واحتلال الامصار البعيدة والتحكم في رقاب شعوب اخرى غير ان هذه السيطرة التي كان يمليها الياس من الحياة داخل حدود الوطن الام والرغبة في استعباد الغير لم تعتم ان تحطمت عند ما استفاقت الشعوب المغلوبة على امرها واخذت تدافع عن حقوقها ، وهكذا لم يجد هذا الرجل اليائس وسط التطور الصناعي والرقي الاجتماعي والازدهار الاقتصادي مفرا غير تخطي هذه الارض واجتيازها ومحاولة استكشاف كواكب اخرى كالقمر والمريخ والزهرة وغيرها عساه يجد فيها ضالته ويشفي بواسطتها غليله في السلب والنهب والاستيلاء ، فنحن اذن ، امام انسان ما فتىء يتطور ويتغير ويتقلب ويتحول ولن يستطيع الادب القوي ان يؤدي مهمته على اكمل وجه الا اذا تتبع هذا الانسان في مختلف مراحل حياته وتطوره حتى يكون الابطال والاشخاص في الروايات والقصص مماثلين حقيقة لهذا الانسان ، وحتى يشعر القارىء والمستمع من خلال حوارهم واحاديثهم الى ان النماذج والشخصيات التي يقدمها الكتاب والشعراء شخصيات معاصرة له وحتى لا يظهر بلون شاسع بين الفن والحياة ، وان من دواعي الحسرة والاسف ان نلاحظ ان الحياة تتطور وتتحول اكثر مما يتطور الفن واكبر مما يتحول الادب وانها ، وايم الحق لظاهرة اليمة قد تؤدي بالفنون على اختلاف اشكالها وانواعها الى الاضمحلال والانمحاء ما دامت هذه الفنون لا تساير الحياة المتقلبة المتغيرة ولا تواكب سير الاحداث الجارية في العالم

فهل اصبح الأدباء عاجزين عن مسايرة التطورات التي عرفها ميدان العلم والصناعة ؟ ام ان كتابنا لم يتدربوا بعد على استعمال « الكلمات التي تتفجر عند كتابتها في الورقة او الصحيفة » كما يقول (ليونوف؟)

ان الادب اليوم لا يكتفي بالعبارات الرقيقة والالفاظ الدقيقة والكلمات الجميلة ، لقد اصبح الادب من اقوى الادوات واكبر الوسائل التي تستعمل لتكوين الافراد والجماعات ، وهو لذلك ملزم بخلق نماذج جديدة تستطيع ان تنسجم مع مقتضيات التطور الحديثة كما انه ملزم باعداد مواطنين سالمين في تفكيرهم متفتحين على ما يجري في العالم ، بل هو ملزم بوضع اخلاق جديدة تتلاءم ومتطلبات التطور الحديث ، وقد تعتبر كل نغمة فاسدة يرسلها احد رجالات الفن والادب عرقلة في طريق تحقيق هذا التحول الفكري المنشود لانها ستحول دون ظهور الحقيقة التي ينبغي للادب ان يكشف جوانبها الغامضة

فما على الكتاب والشعراء الا ان ياخذوا مصادر رواياتهم ومراجع كتاباتهم من آفاق المستقبل ، ومن خلال العمل المدهش الذي يقوم به العملة والشغالون في المعامل والمختبرات والاوراش والذي يسعى الى تغيير وجه العالم وان يعرضوا عن المغامرات الغرامية التي اخنى عليها الدهر

وما دمنا بصدد الكلام عن الانواع الادبية ، فمن الواجب ان نشير الى الدور العظيم الذي ما زال على المسرح ان يقوم به خلافا لاولئك الذين يدعون بان نجم المسرح قد افل الى غير رجعة ان المسرحية اشرف الانواع الادبية واجلها لانها انفذ الى النفوس واسرع الى القلوب وهي اكبر هذه الانواع تاثيرا لانها تدفع بالمتفرج الى المساهمة في حركتها الدائرة بعد ما تشغل باله وتستولي على تفكيره ، وهي بهذه المثابة اداة فعالة في تكوين الفرد والمجتمع لذلك تعين الاهتمام بها واعطاؤها ما تستحقه من العناية وحشوها بالمواضيع المفيدة المنتشرة في القرن الحالي حتى لا تكون مواضيعها بعيدة عن اهتمام الجماهير الشعبية التي يتعين ان تستفيد منها اعظم الاستفادة ولن تستفيد الجماهير من هذا المسرح الا اذا تخلى هذا الاخير عن الاشتغال بالعواطف الكاذبة والموضوعات البعيدة عن

تعكس صفحات هذا الديوان تأثر روبن المحسوس الملموس — الى حد التكرارية والاجترارية — بمن كان يقرأ لهم ، يومئذ ، من رواد الرومنطقية في القرن التاسع عشر .. ومن ثم قيل عن ديوانه هذا بأنه يتضمن قصائد تافهة ليست الا صدى او « مسخ» لشعر بيكير وكاميواموروثوريا وفيكتور هوجو ، والحقيقة ان اشعار روبن التي كتبها وهو في مطلع حياته الادبية مترعة بالثقافة والقلق والاحساس الرمنطيقي ، وليست تعكس شخصيته كما ستعكسها اثاره الاخرى فيما بعد ، وانما كانت آثاره الاولى تحمل انفاس بيكير وكاميو اومور ونونييت دي ارثي وهوجو، وتتسم بميسم البارنسيين «4» Parnasianos واصحاب الاغاني وبربيو وكونكوره . Carnasianos

ومرة اخرى يترك روبن داريو وطنه نيكاراكوا، متوجها الى جمهورية الشيلي نتيجة لهزة عاطفية كما يزعم هو نفسه ، وفي ربوع الشيلي الجميلة ، الفاتنة اقام روبن ثلاث سنوات « 1886 — 1889 » اشتغل اثناءها ، محررا بجريدة الفترة La época ومراسلا لعدة صحف ذائعة الصيت ، منها جريدة الامة La Nacion التي كانت تصدر ببوينس ايرس عاصمة الارجنتين .

وتعد هذه السنوات الثلاث التي قضاها روبن في جمهورية الشيلي انطلاقة الخصب الادبي الممتاز والعطاء الشعري الجيد في حياة روبن ، فالى جانب المقالات المتعددة التي كانت تنشرها له صحف الشيلي ومجلاتها ، اصدر روبن ديوانين يتضمنان قصائد رومنطيقية ، اولهما هو : آلام Abrojos "سنتياكو1887» ، والثاني هو : الورود الاندينية«5» La rosas andinas « فاليريو 1888» ، واشترك معه في هذا الديوان الشاعر روبن روبي ، كما كتب روبن داريو بالاشتراك مع الكاتب ادواردوبيرريبو قصة طويلة بعنوان املينا Emelina فاليويو 1887» نشرت منجمة في احدى صحف الشيلي .

على ان كل ذلك جميعه لم يذع اسم روبن في اقطار الدنيا ولم يلفت اليه انظار الادباء والنقاد في مختلف الاصقاع كما سيمكن له ذلك كتابه الرائع الخالد « ازرق Azul » الذي اصدره في فاليريسو سنة 1888 .

وفي معرض الحديث عن رائعة روبن الخالدة «ازرق» يتصور الاستاذ خوان انطونيو كابناس «6» احساس عمال المطبعة وهم منهمكون في تصفيف حروف كلمات « ازرق » فهم يبصرون قصورا وجنانا ونساء « ميثولوجيات » عاريات وعصافير واميرات « الركوكو » الجميلات ، وهم — اي العمال — يصغون الى انغام منومة ، ويستنشقون الانسام العلية ، وفوقهم نشرت الملكة « ساب » الشعر الازرق للاحلام الحلوة ، ان عمال مطبعة «فاليريسو» ماخوذون هم لا يفهمون هذا النثر وهذا الشعر ، الكلمات ليست هي الكلمات التي الفوا خروجها من صناديقهم ، ماذا جرى ؟ كيف يتحول الرصاص ذهبا ومرمرا وجوهرا ؟ وكيف يتحول ، ايضا ، اوزا ونجمة وزهرة ؟ ان الكلمات لتبدو لهم حديثة عهد بالحياة ، ليسوا يعرفونها هم الذين « صففوا » نثر وشعر كبار الاساتذة الاسبان .

هل يكفي ذلك لتصوير روعة «ازرق» هذا الكتاب الذى طار باسم روبن كل مطار ، وخفق به في كل سماء ؟

بصدور « ازرق » شغل روبن بأدبه الدنيا والناس ، ولفتهم جميعا الى نيكاراكوا ، الارض الطيبة التي انبتت هذا النبوغ عديم القرين .

وارتفعت صيحات الاعجاب والتقدير من حناجر كبار النقاد ، فهذا كولد برج يؤكد بان

«4» البارناس — هو فيما تتحدث به الاساطير الاغريقية جبل كان مستقرا لالهة الشعر ، وانتسب اليه جيل من الشعراء الفرنسيين في القرن التاسع‌عشر ، فسموا « بارنسيين » ومن رواد هذا الجيل الشاعر تيودورو دي بانفيل « 1823 — 1891»كان تأثيره عظيما في فرنسا واوربا جميعها وامريكا ومن رواده ايضا : الشاعر لكونط ديليل« 1820 — 1894 » ومن اروع انتاجه : السعادة والعدالة . La justicia

«5» نسبة الى سلسلة جبال اندس Andes بامريكا الجنوبية ، تمتد من وادي اطراطو الى راس ارنوس ، وهي تشغل مسافة 000 800 1 كلم2وتمتد 500 7 كلم ، وبها يقيم الهنود الحمر — راجع دائرة المعارف Monitore ص 323 ج 1

«6» انظر كتابه : Rabén Diario (un poeta y una vida) c. Austral, segunda edicion, p. 62

من أعلام الأدب الأسباني المعاصر

روبن داريو 1867 - 1916

للأستاذ حسن الوراكلي

-2-

كانت الظروف التي احاطت بنشأة روبن قاسية، مفرطة في القسوة ، وبرغم ما كان يبذله قريباه من جعله لا يحس بشيء من ذلك فقد كانت الايام ما تفتأ تهتك له من الحين للاخر ستارا عن فصل من المأساة الحزينة التي كان واحدا من ابطالها .. ولقد كانت قسوة ظروفه واحساسه العميق بها هو الذي دفع به ، على صغر سنه ، الى البحث عن مورد رزق من اجل الحياة ، وكان اول ما اشتغل به مهنة التدريس ، ولكنه لم يمارسها الا فترة قصيرة ، ثم تركها ، وكان عمره اربعة عشر ربيعا حين غادر مدينته ليون Leon الى منكوا Managua ليس معه الا قليل من مال ودعاء السيده برناردا سارمينطو ، وهنالك هيأت له الاقدار منصبا بالمكتبة الوطنية ، وقد اتاح له هذا المنصب فرصة تنمية مواهبه الادبية وصقلها وتهذيبها بالقراءة الغزيرة والاطلاع المتواصل «1» . ويتحدث الاستاذ الناقد خوان انطونيو كابيثاس في كتابه الممتع عن روبن داريو اثر توظفه بالمكتبة الوطنية بمنكوا : ـ روبن بدا يوسع ثقافته ، يقرأ بشوق تحت توجيه شاعر عجوز هو المكتبي انطونيوديارا كون » ، لقد اطلع ، يومئذ ، بصورة واسعة على آثار الكلاسيكيين الاسبان وذخائر الرومنطيقيين الفرنسيين والاسبان «2» . وفي هذه المكتبة كانت لقاءاته مع ليولا وهوميروس وفيرخيليو ودانتي، ويطراكا، وشكسبير، وسرفانطيس، وكونكوره وهوجو، وجوته، المعالم العظيمة الرائعة المنتصبة على طريق الفن والاخلاق والجمال ، قرأ انتاج هؤلاء وغيرهم من العباقرة بتمعن وروية حتى ترسب في نفسه من آثارهم خطوط وظلال كانت له رصيدا ثرا يستمد منه فيما يكتبه من اعمال في مستقبل الايام .

ويذكر روبن نفسه بانه قرأ « في تلك الفترة مداخل مكتبة المؤلفين الاسبان » كما صادق نخبة من الادباء والمؤرخين والمربين ، وكما افاد من صحبة هؤلاء افاد من مواظبته على حضور الندوات الادبية والفكرية ، فكان ، حقا ، في تلك السن المبكرة من عمره كما وصفه الاستاذ كابيثاس « اسفنجة تمتص العصارات المختلفة للثقافة » «3» .

لم يستقر به المقام طويلا في منكوا . ذلك لان قلقا نفسيا ، وتطلعا الى «امل» يبتغيه فلا يجده ، وشغفا بذرع ارض الله ، كل ذلك كان حافزا له على عدم الاستقرار في بقعة يحل بها .. لقد ترك منكوا ميمما وجهه شطر جمهورية سلفادور ، فما كاد يمضي بها اياما حتى دعي للتحرير في صحافتها المشهورة يومئذ . غير انه لم يقم هناك طويلا ، فلقد حمل ذات يوم حقيبته وودع سلفادور عائدا الى وطنه لينفق به فترة شغل خلالها ، منصب كاتب بسكرتارية الرئاسة ، ويدبج مقالات ويكتب شعرا تزدان به اعمدة الصحف النيكاراكوية .

وفي غضون سنة 1885 ، شهدت الاسواق الادبية بمنكوا صدور اول ديوان لروبن ، سماه : رسائل وقصائد Epistolas y poemas وكان طبعيا ان

«1» انظر : Historia de la civilizacion, t II

«2» انظر Antologia de la Gerardo Diego, Poesia espanola contemporanea

«3» راجع : Juan Antonio Cabezas, Rabén Dario(un poeta y una vida) c. Austral, Segunda edicion

وسائل تكوين الملكة الفنية

للأستاذ: عبد العلي الوزاني

- 3 -

فى المقال الماضي حاولت ان ابحث عن وسائل تكوين الملكة الفنية ، ملتمسا هذه الوسائل فيما ياتي : اخلاص المتأدب للحياة ، وتعشقه لجمالها وتذوقه لروائعها ، واستجابته لاحداثها وماجرياتها ، مع تحمله لكل ما قد تتطلبه ذلك من ءالام واحزان ، كضريبة يؤديها مقابل ربحه الادبي الذي تكون عمدته عند ما ينتج الادب ويبدع الفن ، ثم حاولت ان ابحث عن وسيلة اخرى فى كون المتادب لا يقف من الحياة موقف المتفرج ، المتلقي ، المتاثر فقط ، وانما يحاول – جهد امكانه – ان يؤثر ، وذلك بمحاولته ان يقول شيئا ، ويكتب شيئا ، مهما كانت قيمة هذا الذي يقول ، وهذا الذي يكتب . فحسبه انه قال وكتب باخلاص وصدق . وهذا من شانه ان يدله على عيوبه الادبية ، وتعراته الفكرية ، ليتلافاها فيما بعد ، كما انه يتيح الفرصة لموهبته ان تمر بطور التجربة الفنية ، فتتفتح ، وتوهج ، تماما كما تحدث للزهرة المضمومة الاكمام ، عندما تتعاقب عليها عوامل الطبيعة من هواء وشمس وماء ، فتزهو متالقة فوق فننها الريان .

تلك كانت محاولتي فى المقال الماضي ، والان اعود الى نفس الموضوع لالتمس وسائل اخرى لتكوين الملكة الفنية ، غير مدع لهذا انـي اريد الاحاطة بجميع تلك الوسائل ، فهذا فوق طاقة اى انسان ، اذ الملكة الفنية كائن معقد اشد التعقيد ، يخضع فى تكوينه لعوامل كثيرة ، منها الواضح ومنها الغامض ، منها ما يخضع للبحث والدرس ، ومنها ما هو محفوف بطبقة كثيفة من غيوم الابهام ، ذلك ان الحياة بجميع مجالاتها ونواحيها توحي بوسائل لتكوين هذه الملكة . فموجة تتكسر على صخور الشاطىء ، او خيط من خيوط الشمس يتسلل الى حجرة غارقة فى الظلال ، او اهتزاز زهرة تداعبها النسيم ، او كلمة مشرقة فى كتاب ، او نغم سجي فى لحن ، أو ولمسة ساحرة فى لوحة ، او فشل فى حب ، او خيبة فى مسعى ، او رعشة فى قلب ، او طيف فى خيال ، او حلم فى يقظة ، كل ذلك وغيره مما لا يمكن حصره ، قد يساهم فى تكوين الملكة الفنية. بطريقة من الطرق، الامر الذي يجعل الاديب مدينا بملكته الفنية للحياة . فكل حرف جميل يخطه ، وكل كلمة عذبة يترنم بها ، يدين بهما لهذه الام السخية ، الفنية ، الوفية ، الكبيرة القلب : الحياة

لذلك ليس فى امكاننا الا ان نختار ونصطفي عندما نبحث عن وسائل تكوين هذه الملكة ، مراعين ما بين تلك الوسائل من تفاوت من حيث الاهمية ، حيث نضع اصابعنا على ابرزها تاركين الباقي لفطنة القارىء .

وهنا اجدني امام وسيلة فعالة فى هذا الصدد ، وهي القراءة الجادة الهادفة . ولست نجد اثنين يختلفان فى مدى فعالية القراءة وتاثيرها على المواهب الفردية ، فهذا شيء معلوم بحكم الضرورة ، ولكن ما أكثر ما يسكن تحت عملية القراءة من الغوامض ، التي اذا كانت غير خافية على الاديب الالمعي ، فهي جد خافية على المتادب ، طفل الحياة الادبية ، فاطلاعه عليها يضبط خطواته ، ويبصره بموضع قدمه ، ويرفع امامه لافتات تدله على الغاية التي يهدف اليها .

لذلك ، فحديثي فى هذه المسالة موجه الى المتادبين بصفة خاصة ، هؤلاء الذين يحتاجون الى سند فى سيرهم المتعثر ، وخطواتهم المضطربة ،

«ازرق» هو الصاروخ الذي اعلن مولد **المودرنسيم»** في الادب الاسباني ، وهذا ضون خوان فاليرا يكتب الى روبن » **بعد** قراءة ازرق ــ ليقول له « انت لست رومنطقيا ولا طبيعيا ولا عصبيا ولا متخلفا ولا رمزيا ولا بارنسيا » وهذا يعنى ان روبن كل ذلك ، ولكنه بالاضافه روبن داريو الذي قدم للعالم عسله المصفى وسمه المفطر : شعره .

يقول الاستاذ كاشاس : « **بعد** صدور « ازرق » وجد شيء جديد في عالم الاشكال المتالية ، شيء حلو، كعطر جديد ، ولو جديد ، ونغم ملذ جديد ، اللون الازرق انفلت من قوس قزح ليغدو مرتعشا في صفحات روبن ، كما من قبل في لوحات الرسامين البدائيين » « 7 » .

ويقول روبن نفسه :

« الازرق هو بالنسبة الي لون الحلم ، لون الفن ، اللون الاغريقي «والهومروسي «8» ، لون المحيطات والسماوات » .

ان روبن ، بتحفته الفاتنة « ازرق » اقبل على افاق الفن الرحبة بما يقبل به عادة كل شاعر اصيل ، شكل جديد للاحساس بالجمال والتعبير عنه ، فليست اقاصيص «ازرق» وقصائده الاسمفونية ، عبقرية ، ملذة ، تعزفها رحاب الكون لكل ما ومن في الكون .

لقد رحب كبار ادباء الكلمة الاسبانية يومئذ ب « ازرق » روبن ، وتضمن سجل الادب الاسباني عبارات وتقدير واعجاب وافتتان من طرف ضون خوان فاليرا ، واميليو كاسطلار وكاسيار نونييت ارثي ورامون دى كامبوامور وليوبلدوالاس « كلارين » وخوسي نوريبا ، وغيرهم ، وغيرهم كثير .

ان « ازرق » ــ بعبارة موجزة ــ هو الكتاب الذي اعطى شهرة وذبوع صيت في عالم الادب ، وهو النور المشع الذي ارهص بانبثاق فجر جديد في افاق الاداب الاسبانية ، واذا كان رون يبدو في ديوانه الاول « رسائل وقصائد » مقلدا مرددا لاخيلة وصور ومضامين رواد الرومنطيقية فانه في « ازرق » يسجل تخلصه من التبعية والتقليد واجترار ما قاله غنائيو الادب الاسباني في القرن التاسع عشر ، وليس يعني هذا ان صفحات «ازرق» تخلو من اي تاثير خارجي ، بل انها تنضح بتاثيرات كثيرة ومختلفة ، ولكنها مهضومة ومتمثلة .

ــ نتبع ــ

تطوان ــ حسن الوراكلي ــ

7» المصدر السابق .

8» نسبة الى الشاعر هوميروس .

الكلمات عندنا الى انفاس تتردد في الصدر ، والحروف الى دم يجري في العروق ، لانها ارتفعت عن ان تكون مجرد اصوات لا تتجاوز منا الحواس .

ونحن اذ نحيا الاعمال الادبية ، لابد ان نقرأ ما بين سطورها ، وما بين السطور هو ما لم يقله الكاتب او الشاعر ، وانما يوحي به ما قاله وكتبه فعلا .

والكتاب والشعراء لا يستطيعون ان يقولوا لنا كل شيء في نفوسهم ، ولو بذلوا في ذلك اقصى الجهود ، فدائما تبقى في قرارة نفوسهم خواطر ومشاعر لا سبيل الى نقلها على الورق ، لانها اقوى من اللغة ، واقوى من كل وسائل التعبير التي يعرفها الانسان ، ولان الاحساس بها يكون عادة غامضا ، لا يتبينه صاحبه بوضوح ، ومن ثم يمتنع عليه ، ويأبى ان يخضع لقيود اللغة ، هذه التي تريد ان تحبس مشاعرنا وخيالاتنا وافكارنا في قماقم ، ولكنها احيانا تضيق وتضيق ، عن بعض ما نحس وما نشعر ، وهذا هو السر في كونك تجد الاديب الذي يعاود الموضوع الواحد مرات عديدة ، وباساليب مختلفة ، فيستنفد كل ما في نفسه عن هذا الموضوع ، فتكون النتيجة ان يملأ عشرات الصفحات ، ان لم اقل المئات ، ومع ذلك فهو يعجز اخيرا عن ان ينقل الينا كل ارتعاشة من ارتعاشات روحه ، وكل نبضة من نبضات قلبه ، فيكون معولة علينا نحن القراء ، في ان نستشعر ما لم يكتب ، وانما اوحى به ، واشار اليه ، عن طريق الرمز ، فاذا نحن لم نفعل ، ولم نستطع ، فاننا ادراك كثير من اسرار النفس الانسانية ، وكانت الاعمال الادبية بين ايدينا مفاتيح لا نعرف كيف نستعملها ، لفتح خزائن من الكنوز العظيمة .

وما دمنا عاجزين عن قراءة ما بين السطور ، لا تكون قراءتنا للادب عميقة ، قادرة على ان تربي فينا الذوق ، وتفتح آفاق التفكير الواسعة ، وتثير المواهب ، وتدفع بها نحو التفتح .

ما بين السطور هو الخاطر الطليق من القيود هو الطائر الهارب من القفص ، هو المعنى الشرود الجامح ، هو الفراشة التي تروقك بالوانها الزاهية ، وحركاتها الرشيقة ، ولكن يصعب عليك ان تمسها باصابعك . هو امل الاديب الذي لم يتحقق ، هو المنطقة الحرام ، التي لم يستطع الاديب ان يركز فيها قدميه ، واعلام انتصاراته وفتوحاته . هو الافق البعيد الفاتن بلونه اللازوردي ، فتنة وسحر ولا شيء بعد ذلك .

فاقرأ ما بين السطور ، اذا اردت ان تقرأ دواوين الشعر التي لم تكتب ، وتلتقط انفاس الاديب التي لم تنتظم في كلمات ، وتحيا المعاني الكبيرة التي كبرت ان تخضع للفظ المحدود ، لكونها غير محدودة ، وانما هي الحرية كل الحرية ، ومن الخير ان تكون كذلك ، لتبقى دائما مصدر الهام وايحاء . فلو اننا عرفنا كل ما في نفوسنا واحطنا به ، ووضعناه في قماقم لغتنا ، لجفت ينابيع الادب في نفوسنا ، وسكتت البلابل الصداحة على افنان عواطفنا ، وخبت الشعلة الذكية بين اضلعنا ، وما اجمل ان يبقى في اعماقنا دائما شيء لا نفهمه ، شيء يحيرنا ، يوسوس لنا ، يفتن آذاننا بالنغم ، ويسكر عيوننا بالاحلام ، فيشوقنا الى ادراكه وتبينه ، متوسلين الى ذلك بصور البيان ، وشاعرية الاسلوب ، وتهاويل الخيال ، فلا نبلغ منه شيئا ، الا اوهاما جميلة ، واحلاما مذهبة الحواشي ، وبذلك يبقى لدى نفوسنا دائما شيء نعطيه ، لكونها مملوءة بالاسرار ، ونفس بلا اسرار ، هي نفس فقيرة ، جافة ، عاجزة عن الالهام .

وبديهي — في عرف النقاد — ان ننسى نفوسنا ولو الى حين ، لنتقمص شخصيات من نقرأ لهم من الكتاب والشعراء . نستعير اساليبهم في التفكير والشعور بالحياة والاشياء . فاذا نحن لم نتنازل عن شيء واحد من منطقة نفوسنا ، كان ذلك حائلا بيننا وبين نفوس هؤلاء . ولذلك فنحن نلعن ابا نواس اذا كنا محافظين ، ونحتقر الشنفرى اذا كنا اغنياء ، ونذم ابا العلاء وابا العتاهية اذا كنا عاشقين للحياة وزخارفها ، ناظرين شزرا الى المتنبي ، الذي يرى المجد في الجلاد والطعان ، اذا كنا نؤثر نفوسنا بالعافية ، ونجنبها العقبات . وهكذا فطبائعنا الخاصة ، ما لم ننسها عند انهماكنا في القراءة ، تفسد علينا متعتنا ، وتحدث هوة بيننا وبين عوالم الاخرين .

ولكن اذا كنا نستطيع ان ننسى نفوسنا اثناء القراءة ، فنحن لا نستطيع الغاءها ، الا اذا كنا نستطيع ان نلغي الوان عيوننا وشعورنا وجلودنا وان نغير من امتداد قاماتنا . نحن لا نقصد الالغاء اذن ، وانما نقصد النسيان فقط ، وهو في امكاننا بشيء من اللباقة الفنية ، وعدتنا في ذلك الخيال ، هذا الطائر العجيب الذي ينقلنا على جناحيه الى الاجواء التي لم يصلها لا صاروخ ، ولا قمر صناعي ، وبالسرعة التي ليس في امكان الوسائل الصناعية ان تحققها . فبالخيال نسهر مع العاشق المتيم ، ونبكي مع جريح

وحيرتهم التي لا يجدون منها مخرجا . وما اكثر ما يحيط المتأدب من عوامل الحيرة : لماذا يقرأ ؟ وماذا يقرأ ؟ وكيف يقرأ ؟ ولمن يقرأ ؟ ماذا يأخذ وماذا يدع مما يقرأ ؟ اسئلة يقف امامها حائرا موزعا بين التيارات والاتجاهات المتعارضة .

وسوف لا اتناول من مشاكل القراءة الا ما يتصل بالناحية التي تعنيني هنا ، وهي تكوين الملكة الفنية ، واول ما احب ان انبه اليه هنا ، هو ان القراءة الحية هي في الحقيقة لون من الوان الحياة ، وضرب من ضروب العيش ، معنى ذلك اننا عندما نقرأ الاعمال الادبية ، ينبغي الا نعتبرها مجرد معان مصوغة في الفاظ ، والا نكون قد حكمنا عليها بالموت ، الموت الادبي في ابشع معانيه ، واحلناها الى مجرد هيكل عظمي لا اثر للحياة فيه . فالمعاني والالفاظ لا تهمنا لذاتها ، وانما لكونها تمثل نوعا من الاحساس بالحياة في موقف من مواقفها ، وتدل على نفس انسانية في حالة من حالاتها . ومهما قيل عن بعض الاعمال الادبية من انها خالية من التجربة الحياتية ــ وهذا صحيح الى حد ما ــ فانها لا تخلو من دلالة على نفس صاحبها ، ولو من زاوية ضيقة . فهي قبل كل شيء ادب ، والادب هو نفس الاديب مصوغة في الفاظ . قد لا يحسن هذا الاديب التعبير عن نفسه ، وعن تجربته ، وقد لا يثير عمله الادبي فينا احساسات قوية ، ولكن هذا نفسه فيه دلالة على نفسه ، كما تتلقى مؤثرات الحياة ، وكما تعبر عنها ، وكما تعيها . ولولا هذا لما تاتى للمؤرخين ، ان يتتبعوا اطوار الشخصية الادبية من خلال انتاجها المتفاوت ، الذي يمثل طور التسكع ، وطور التفتح ، وطور الازدهار والنضج ، بحيث تكون دلالة العمل الادبي البسيط ، كدلالة العمل الادبي القوي ، من حيث تعبيرهما عن النفس ، في مختلف اطوارها .

انا لا انكر ان الاعمال الادبية الناضجة تتيح لنا ان نحياها بكل قوانا ، لانها هي نفسها حية في ذاتها ، قادرة على الالهام والايحاء ، غنية بالملامح الانسانية ، ولكن الاعمال الادبية البسيطة لا تخلو من دلالة على نفس صاحبها ، مهما كانت قيمتها الفنية .

هذا مع العلم ، بان ليست النفوس العالية المعقدة وحدها هي التي ينبغي ان تحظى باهتمامنا ، عند تناولنا للاعمال الادبية . بل ينبغي أن نتعرف حتى على تلك النفوس العادية الخالية من أي تعقيد ، والتي تستجيب للحياة باسلوب لا التواء فيه . فدلالة النص الادبي على النفوس المترفة العالية ، كدلالته على النفوس العادية ، اذ ان هذه ايضا لها الحق في ان تعبر عن نفسها بطريقتها الخاصة ، فتجد لها صدى في اوساط القراء ، فيحصل التجاوب الذي يدخل على هذه النفوس نوعا من الطمأنينة ، ويشعرها بانها ليست ضائعة في هذا العالم .

هكذا ينبغي ان ننظر الى الاعمال الادبية ، صورا من الحياة ، فيها ما في الحياة من نواحي النقص ونواحي الكمال ، من مظاهر الضعف ومظاهر القدرة ، من حالات السمو ، وحالات الاسفاف ، من واحات الهدوء واعاصير الاضطراب ، من دواعي اللذه ودواعي الالم . فان نحن فعلنا اتيح لنا ان نشارك الادباء احداث حياتهم ، واسرار نفوسهم ، فنحن نتساءم مع ابي العلاء ، ونزهد مع ابي العتاهية ، ونمرح مع ابي نواس ، ونخوض المعارك مع ابي فراس ، ونهيم مع قيس ليلى ، نفعل ذلك ولو الى حين ، فاذا نحن نضيف تجارب الاخرين الى تجاربنا وننظر الى الحياة من الزوايا المختلفة التي نظروا منها اليها . واثناء ذلك تثار مواهبنا ، وتستدعي ملكاتنا ، فتتفتح ، وتتوهج وترتعش ، لكونها خضعت لسلطان عظيم ، هو سلطان الاداب والفنون ، ومسها تيار من نفوس حساسة مرهفة ، قادرة على الايحاء والاثارة .

قارن هذا بما يمكن ان يحدث . عند ما ننظر الى الادب على انه معاني مصوغه في الفاظ لا اقل ولا اكثر . فان الاعمال الادبية تستحيل بين ايدينا حينئذ الى مادة ميتة ، يجف فيها ماء الحياة ، وتعجز عن ان يرفعنا شبرا واحدا ، وعن ان تنسينا نفوسنا ــ حينا ــ لتحلق بنا في عوالم اخرى تختلف مناخاتها عن مناخاتنا ، ولذلك فهي لا تؤدي بالنسبة الينا رسالة الادب الاساسية ، وهي الايصال . ايصال نفس الى نفس ، وقلب الى قلب ، وحياة الى حياة .

فاذا استطعنا ان نحيا الاعمال الادبية على النحو الذي شرحناه ، غير واقفين عند حدود اللفظ والمعنى ، بل منسابين الى ما وراءهما من الوان الحس ، وخصائص الشعور ، متمثلين نوع الحياة التي تنبثق عنها نصوص الادب ، كانت القراءة بالنسبة الينا نوعا من التجول في رحاب النفس الانسانية وافاقها ، نتبين فيه طبائعها وخصائصها ومميزاتها ، في حالات قوتها وضعفها ، سعادتها وشقائها يأسها واملها ، انغلاقها وتفتحها . وبذلك تتحول

لقاء ، ولكنه ترك لنا ذكراه ، ذكراه التي تدعونا اليها من حين وحين، كلما تطلب ذلك دافع من دوافعنا الكثيرة ماذا انتهينا من العمل الادبي ، وانتهى بذلك كل اتصال لنا به ، الا ما كان من قبيل التأثر التلقائي ، كانت قراءتنا طيا للصفحات تلو الصفحات ، كأننا في سيارة تنهب الارض نهبا ، دون ان نحيا ما تركته فينا من آثار ، متأملين دارسين .

العمل الادبي كوردة عاطرة نلمسها ، فتترك نفحات من عطرها على اصابعنا ، او كالكلمة الطيبة نسمعها فتترك وقعها الجميل في نفوسنا ، او كالربيع الاخضر ، يخلف بقاياه على الروابي والحقول بعد قفوله . فعواطف الشعراء واحلامهم ، وافكار الكتاب وقضاياهم ، لا تحدها جلدة الكتاب ، ولا غلاف المجلة ، و لايحول توقيع اصحابها في نهايتها دون انطلاقها ، اذ انها كائنات حية ، تتنفس ، وتضطرب ، وتتحرك ، وتسير ، فينبغي ان نفسح لها الطريق ، لتعيش بيننا ، لا بكيفية محض تلقائية ، فهذا لا فضل لنا فيه ، وانما بكيفيه واعية ، متبصرة ، يتاح لنا معها ان نعاشر هذه الكائنات ، على اساس من التفاهم ، والادراك ، والتأمل . ولو فعلنا لوجدنا نفوسنا في حشد من العقول الكبيرة ، والارواح العظيمة ، والطبائع الجبارة ، تملأ علينا وحدتنا ، وتشعر في صحبتها بالدفء والالفة والايناس والعمق الانساني .

ولا حصر في الادب ولا في قرائه اذا لم يترك فيهم صداه ، فعيونهم وءاذانهم ، وعقولهم واخيلتهم مطلة على عالم مسحور ، كل ما فيه حي نابض ، جياش الحركة ، مفعم بالحب ، هائم في البحث عن الحقيقة ، التي يدعيها الشاعر ، ويدعيها الفيلسوف ، ويدعيها صاحب الدين ، ويدعيها صاحب الفن ، فنملك من الاردية المتنوعة ما تبرز به امام كل واحد منهم جذابة مواتية ، توهمه انها له وحده دون الاخرين ، وان هي الا شيء واحد مهما تعددت ازياؤها ، وتنوعت مظاهرها . وليست العبرة هاهنا بالحقيقة نفسها ، بقدر ما هي في البحث عنها ، والسعي وراءها ، مع ما يتطلبه ذلك من اعمال للفكر ، واستخدام للحواس ، واستدعاء لكل الطاقات المبدعة ، فطريق الحقيقة الطويل ، هو اعظم ما امتحنت به مدارك الانسان منذ ان وجد الى اليوم ، والى ماشاء الله .

والادباء الذين نقرأ لهم كلهم يبحثون عن هذه الحقيقة ، كل بطريقته الخاصة ، فهذا يطلبها بقوة ، مسلحا باسلحة العلم، متجها نحوها لا يلوي على شيء، وقد يخطيء الطريق . وهذا يطلبها بلباقة وكياسة ، متلطفا لها ، ملتمسا اليها الوسائل المحتالة ، يراوغها وينصب لها الاحابيل ، وءاخر يطلبها خاشعا متبتلا ، يحرق البخور ، ويتقدم بين يديها بروحه الوالهة النشوى . وءاخر يتوسل اليها بترقيص الالفاظ ، وموسقة العبارات ، وتنغيم الحرف ، وتمويه الخيال ، وجمال الوهم . والقاريء يخرج من كل هذه المحاولات مملوء اليدين ، مغمورا من فرع رأسه الى اخمص قدميه بالظلال والالوان ، واللفتات الذهنية ، والاهتزازات العاطفية ، والشطحات الصوفية ، والاوهام والرؤى الجميلة ، يأخذ بخيوط هذه الانسجة المختلفة ، ليصل بعضها ببعض ، ففكرة عند هذا الكاتب ، تسندها فكرة عند كاتب ءاخر ، ورأى عند هذا المفكر ، يجد صداه ، في رأي مفكر ثان ، وهكذا يكون القاريء الالمعي الجاد ، مركز الاتصال بين شتى المذاهب والاتجاهات . تلتقي جميعها فيه ، لتتجاوب ، وتتبادل الاصداء ، فاذا كان القاريء عاديا ، بقي حائرا مضطربا ، لا يخلص له وجه الحقيقة بين هذه الاتجاهات المتعارضة ، واذا كان قارئا ممتازا مبدعا في قراءته ، عرف كيف يستفيد منها كلها ، ليكون له رأيا مستقلا ، ويقيم لنفسه بناء اختلفت الحجارة التي يتألف منها ، ولكن تبدو عليه الوحدة والتفرد .

واذن فالقراءة ليست مجرد طي الصفحات ، والقفز بين الكتب ، بخفة بهلوان ، وما كانت القراءة هكذا الا عند مراهقي الفكر ، المفتقرين لشيء من العمق الانساني ، العاطلين عن القلق الفكري المجردين عن الوعي الصحيح ، وعن نفوسهم وما يجري حولهم ، وما يكتنفهم من كل جهة في هذا العالم . القراءة الجديرة بتفجير الطاقات ، وبعث المواهب ، وتكوين الملكات ، هي ما كان فيها ابداع وخلق .

نعم ، ليس الادباء المنتجون وحدهم هم المطالبين بالابداع ، بل حتى القراء ايضا . فالاديب المبدع ، لا يكون كفاء له الا قاريء مبدع ، تغنيه اللمحة، وتكفيه الاشارة ، سريع الخاطر ، حاضر البديهة ، ليق في الادراك ، يسبق حركة الخيال ، ذكي العين ، موسيقي الاذن ، صاحب مرونة يستطيع بها ان يتنفس في كل الاجواء ، في الجو الصارم ، والجو الضاحك ، والجو الحزين ، والجو المظلم ، والجو المشرق ، والجو الطاهر ، والجو الملوث ، لان الادب هو هذه الاجواء جميعا ، وليس الادب في البعض منها دون البعض الاخر .

الفؤاد ، ونشارك المتشكك عذاب الحيرة ومحنة القلق، ونلبس مع المتشائم منظاره الاسود ، ونتتشى مع العابث اللاهي ، ونسير تارة ، ونرقص اخرى ، وقد نعدو عدوا ، او نتباطؤ في تؤدة ، حسب مناخات الادباء الذين نقرأ لهم ، وحسب طبائعهم المتجلية في اعمالهم .

وعندما نسترد انفسنا بعد فراغنا من القراءة ، تخلف فينا هذه الجولات كثيرا من الآثار ، التي يكون لها الاثر الفعال في صياغة اذواقنا ، وتكوين ملكاتنا ، وتوجيه طبائعنا الفنية ، اردنا ذلك ام لم نرده ، فهذا يتم في بعد عن ارادتنا ، اذ انه يدخل ضمن ما تفعله بنا الحياة ، عندما نتقلب بين احداثها وماجرياتها ، وتهب علينا رياحها من كل جانب ، فتنقل الينا كثيرا من غبار احداثها ، ورائحة عرقها ، وربما كان تأثير الاعمال الادبية اقوى اثرا من مؤثرات ظروف الحياة العملية ، لانها صادرة عن بعض الارواح العظيمة ، والطبائع الخلاقة ، التي تضاعف الاحساس بالحياة ، وتضع في الاشياء مغازي تحولها امامنا الى كائنات اخرى ، تثير الدهشة ، وتدعو الى الاعجاب ، وتوحي بالتأمل .

ومن معجزات النفس الانسانية انها ستفيد من كل ما يمر بها ، فكلمة شاردة تطرق اسماعنا ، او همسة انسلت الينا على حين غفلة ، او سطور قليلة مررنا بها عابرين في صحيفة او كتاب ، او حديث سريع جرى بيننا وبين بعض من نعرفهم من الناس ، او حكاية قصتها علينا جداتنا ونحن اطفال ، او تعرضنا لاصطدام مع شخص ما ، كل ذلك وغيره تستمد منه نفوسنا عناصر وجودها الادبي، حيث تكون من هذا الخليط شيئا يسمى ذوقا تارة ، وفكرا تارة اخرى . واذا كانت نفوسنا تستمد بعض عناصر وجودها الادبي من هذا الخليط العجيب ، الذي لا يخضع لاي قاعدة او نظام ، فكيف بها عندما تعاشر الاداب والفنون ، في دقتها وانسجامها وتناسقها ، وتركيزها لشوارد الحياة ومغازيها وابعادها في وحدة فنية يسودها النظام ، هو نظام الفكر المنسق ، والصناعة الحاذقة ؟ واعتقد ان هذا من مزايا الاداب الهامة ، التي تجعلها اجدى من غيرها على المتادب ، فهي تأخذ خامتها من صميم الحياة ، ولكنها تسلكها في سياق منظم ، وتأخذها بالتهذيب والصقل ، وتصل بعضها ببعض ، بخيوط من الفكر والعاطفة والخيال ، حتى تكون منها اخيرا كائنا حيا ، ماثلا للفهم ، محدد الملامح والصفات .

وقد يكون من مصادفات القراءة العجيبة ، ان القارىء عندما ينسى نفسه ، ليستعير نفوس من يقرأ لهم من الادباء ، ربما يصادف ذلك الاديب الذي يملك عليه كل مشاعره ، ويثير مكامن اعجابه ، ويهيمن على حاسته الفنية ، فيصبح له عليه سلطان قد لا يستطيع الفكاك منه سنين عديدة ، فهو اذا فكر فبفكره ، واذا شعر فبعاطفته ، واذا رأى فبمنظاره ، واذا تحدث فبأسلوبه ، واذا تذوق فبذوقه . وهذا يحدث لكثيرين من المتأدبين ، فلا يتاح لهم ان يتحرروا من هذا الاستبداد الفكري ، الا بعد جهد كبير . واعتقد ان خير ما يفعله المتأدب ، حتى لا يقع في شرك بعض الطبائع الادبية القوية ، هو الا يهب نفسه لاديب واحد ، يدمن على اعماله وحدها ، وانما ينوع من قراءاته ، متنقلا من جو الى جو ، ومن مناخ الى مناخ ، كما تتنقل النحلة بين فنون الزهر . فاذا كان خضوعنا لاتجاه اديب ما ، وفلسفته في الادب والفن لا يلغي شخصياتنا ، وانما يتسع لها ، ويتيح لها ان تبرز متميزة بطوابعها الخاصة ، فلا ضرر منه اطلاقا ، خذ لذلك مثلا فلاسفة الوجودية ، فانك تراهم يتمذهبون بمذهب واحد ، هو المذهب الوجودي ، ولكن تبقى مع ذلك لكل واحد منهم شخصيته المستقلة . فسارتر ، وكامو ، وكولن ولسون ، ليسوا نسخا متكررة لاصل واحد ، وانما لكل واحد منهم ابعاده الخاصة ، وارضيته التي تركز فيها آراءه ونظرياته في قضايا الحياة ومشاكلها . والمدارس الادبية والفلسفية المعروفة ، تحتل فيها ادباء بارزون مكان الصدارة ، ويلتف حولهم اتباع المدرسة كما تلتف النجوم بالقمر ، ولكن هذا لا يمنع من ان يتخذوا اتجاهات متعارضة في فهم المذهب الفكري او الادبي وتفسيره وادراك المشاكل والقضايا المتفرعة عنه ، وهذا شيء طبيعي ما دام الناس يختلفون في طرق تفكيرهم ، والوان امزجتهم ، واساليب استجابتهم للاحداث ، ومقدار ما حصلوا من ثقافة .

والقراءة الجيدة التي تنمي المواهب ، وتكون الملكات هي تلك التي تسلم الى جو من التأمل ، بعد الانتهاء منها ، بحيث لا ننتهي من التفكير فور اغلاقنا الكتاب او رمينا بالمجلة او الصحيفة ، وانما نبقى — ولو الى حين — في اخذ ورد ، بيننا وبين من قرأنا لهم من جهة ، وبيننا وبين انفسنا من جهة اخرى . نحاكم ، وننقد ، ونتأمل ، ونحاول ان نجعل من العمل الادبي الذي انتهينا منه ، صديقا ولي عنا على امل

إنني أستأنف ...

للأستاذ : أحمد زياد

للاستاذ عبد المجيد بنجلون ماض أدبي ينسم بصور من النضال المتواصل ، وفي غمرة ذلك النضال اعتصر الاستاذ عبد المجيد بنجلون انتاجه الذي يتصل بعضه بالشعر ، وبعضه بالنثر الفني ، بينما قسم آخر منه يخلد فترة من كفاحنا السياسي .

وانها لحصيلة جيدة أسهمت بقسط وافر فى كمه وجيد من حيث نوعه فى نهضتنا الادبية المتواضعة التي ما يزال صديقنا الاستاذ بنجلون يواصل كفاحه من أجل تعزيزها وتدعيمها .

وما نظن ان الاستاذ عبد المجيد بنجلون صرف ويصرف هذه العملة الادبية الحديثة من غير رصيد من الادب العربى القديم . ولئن كانت هذه العملة تختلف عن الرصيد ، فان هذا الاختلاف لا يتعدى الشكل ، أو من المفروض فيه أن لا يتعدى الشكل مثلما هو الحال فى الميدان النقدي بالضبط .

وما نظن أن الاستاذ عبد المجيد بنجلون كان يستطيع ان يكتب « وادى الدماء » و « مارس استقلالك » ، وأن ينشر شعره على الناس ، ويحظى هذا الشعر بالقبول والرضى — بدون ما أن يقرأ شعر المتنبى ، وعمر ابن أبي ربيعة ، ويجول فى النثر الفني ، — ولو على سبيل الفسحة — الذي خلفه القدماء .

وما أظن بعد هذا وذاك أن يكون الادب الذى انتجه صديقنا عبد المجيد أدبا لقيطا ، مجهول النسب ، وذلك بالرغم عما يكون قد اكتسى به من حلل العصر وزينته .

فكيف أمكن له أن يتنكر لهذا الرصيد ، وينادي بأد الادب القديم ، لا لشيء الا لكون ذلك الادب ينطوي على صور بشرية من النفاق والمجون والزلفى والتكسب. هي نقائص تشاركه فيها آداب أخرى قديمة وحديثة مع اختلاف البيئات التي تستلزم اختلاف المناهج فى بلوغ المقاصد .

فالادب العربي القديم فيه مجون ونفاق وتكسب وزلفى . هذا أمر حق . ولكن هذه النقائص لا نستطيع أن تكون حيثيات للحكم عليه بالشنق والاعدام والاقبار . وذلك خلال جلسة طارئة وفى مقالة عابرة ، لان فى هذا الاجراء الكثير من التجني وما يشبه العقوق.

ايعاب على أدبنا العربي القديم انه ينطوي على أدب مجون ؟

ان مجون هذا الادب تعد خفيفة الوزن بالنسبة لهذا الادب الداعر الذي تتوارد علينا الكثير من صوره اليوم . هذا الادب الذي يقبل عليه المراهقون اقبالا كان من نتائجه أن خلق لنا مشكلة اجتماعية تتسع رقعتها يوما عن يوم . فأدبنا القديم لم يضع المشكلة الجنسية مثلما وضعها الادب الحديث ، ولم يتفنن فيها ، ويجعل منها ايديولوجية أخرى من الايديولوجيات التي يزخر بها عالم اليوم .

ان أدبنا العربي القديم كان ماجنا فى بعض صوره ولكن مجونه لم يتجاوز الخمر والخمار والوصف الجسماني الذي كان اذا تجاوز حدا محدودا وصف بالشذوذ وقوبل بالاعراض فى حين ان المجون فى أدب اليوم أصبحت ظاهرة الشذوذ تكون له قاعدة قارة ، ومقياسا طبيعيا ، لا جدال فيه ، ولا لوم عليه .

فأبو نواس — مثلا — شاعر ماجن ، ولكنه مجون طريف الا فى بعض صوره الشاذة ، وبشار بن برد شاعر ماجن أيضا ، ولكن مجونه اذا تجاوز حد الطرافة وصف بالزندقة .

وهذا الشيء الذي كان يسمى زندقة فى الادب العربي القديم يعد فى بعض آداب اليوم « تحليلا نفسانيا » و « انعكاسات باطنية » و « رد فعل

والقراء المبدعون يساهمون فى النهوض بالحياة الادبية ، لانهم يحملون الادباء على الاجادة ، واستكمال وسائل الابداع الفني ، اذ يدخلون فى حسابهم عندما ينتجون ، ان هناك جمهورا من القراء ، دقيق الحس ، رقيق الذوق ، واسع الادراك ، يتعشق الانسجام والاناقة فى اللفظ ، والسمو فى المضمون والفكرة ، يهيم بمظاهر الجمال ، بقدر ما يشمئز من مظاهر البشاعة ، يستفسر العبارات ، ويستنطق الالفاظ ويستوحي الاسلوب ، لا يقنع بما دون المستوى الجيد فى فنون القول .

فاذا ابتلي اديب مبدع بقارىء عاطل عن مقومات القراءة الحية ، فتلك هي مأساة الزهرة المغموسة فى الوحل ، والاغنية الجميلة تلقى الى الصم ، واللوحة الفنية تباح للعمي ، وآيات الله تتلى على موتى الضمائر ، وغلف البصائر .

وقد يجد القارىء نفسه احيانا امام بعض الاعمال الادبية الكبيرة ، التي لا تبوح له باسرارها دفعة واحدة ، لانها فن عظيم ، انفق فيه صاحبه عصارة فكره وذوب روحه ، وعالجه بتؤدة وحسن تأني وجاء خلاصة تجربة طويلة غنية ، استهلكت السنين ذوات العدد ، فكان من الطبيعي ان يتطلب من قارئه مثل ما تطلب من منتجه من جهد ومصابرة ، ليتفتح عن محتوياته الثمينة ، فيكون متعة للنفس ، وثقافة للفكر ، ونزهة الخاطر .

وكم هو ممتع ولذيذ هذا الجهد الذي نبذله من اجل استنطاق عمل ادبي كبير ، ، فالتجربة فى ذاتها جميلة ، غنية بالمعاني ، اذ نجد قوانا المعنوية تعمل وتتحرك ، وتعالج معضلات الفن فى صبر واخلاص ، تذلل العقبات تلو العقبات ، وتفتح الاقفال تلو الاقفال ، من اجل الوصول الى كنز من الاطباف مخبوء فى لفظ ، او ذخيرة من العواطف كامنة فى عبارة ، او خاطرة عبقرية مندسة بين السطور ، بعيدة كالقريبة ، قريبة كالبعيدة ، تتخايل لنا بالف لون ، والف صورة ، نعاني منها كثيرا قبل معاناتها هي نفسها . انه حب الجمال ، اي جمال ، شقاؤه سعادة والمه لذة ، ومتاعبه متعة .

وهكذا نفائس الحياة كلها ، لا تبذل نفسها بسهولة ، فمعادن الذهب الكامنة فى اعماق الارض ، واللآلىء المستقرة فى اعماق البحر ، والمعاني القوية الكامنة فى الاشياء والمغازي العظيمة المكنونة فى الاساطير ، وما الى ذلك ، كلها بعيدة المنال ، صعبة المرتقى ، لا يصل اليها الا قوي ، شجاع القلب ، جريىء الطبع . ولكن ما اطيب الراحة بعد تعب ، والاستقرار بعد اضطراب ، والوصال بعد فراق !!

فلا ييأس المتأدب من الاعمال الادبية الكبيرة ، اذا لم تكن واضحة كما يريدها ، وليعالجها متحملا كل متاعب البحث ، ومصاعب التجربة ، فان الجنة لا ندخلها الا بعد ان نموت !!

وهنا يجب ان نفرق بين نوعين من الاعمال الادبية المستعصية على القارىء ، فهناك العمل الادبي الذي لا يحتوي فكرة قوية ، او مشاعر عميقة ، ومع ذلك تراه معقد الاسلوب ، كثيف اللفظ ، ملتوي الاداء وهذا نبعده من دائرة الفن الرفيع ، لانه تعمية على القارىء ، وايهام له ، وتغطية للفقر الفكري بالالفاظ الرنانة ، والعبارات ذات الفرقعة والضجيج . وهناك العمل الادبي الذي ينبع غموض اسلوبه من ضخامة الفكرة ودقة المشاعر ، وسمو القالب الفني ، وهذا هو المقصود عندي وانا ادعو المتأدب الى المصابرة الطويلة ، امام الفن الادبي البعيد المنال .

ولكن كيف يتأتى للمتأدب ان يفرق بين النوعين؟
هنا يأتي دور النقاد ، فهم بما يملكون من وسائل البحث الدقيقة ، والاذواق الممرنة على تذوق شتى الطعوم الادبية ، قادرون على ان يدلوا المتأدب على الغث والسمين ، الاصيل والزائف ، من اعمال الادباء. وعلى المتأدب نفسه ان يستفيد من تجاربه الماضية ، للاستعانة بها فى هذا الصدد ، بحيث لا يقف مكتوف اليدين ، منتظرا ان تكون المبادرة الاولى من طرف الناقد ، وقد لا يكون هذا الناقد فى بلد كالمغرب ما زال متخلفا من الناحية الادبية ، وحينئذ يكون المتأدب مدعوا للاعتماد على نفسه ومواهبه ، فى التمييز بين ما يقرأ من نصوص الادب .

فاس — عبد العلي الوزاني

العدد الماضي
في الميزان

للاستاذ عبد الهادي التازي

ارى دينا علي بادىء ذي بدء أن أذكر حقيقة عشنها ردحا من الزمان ، ذلك اثر مثل هذه المجلات فى مشرقنا الشقيق : (دعوة الحق) لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية و (المغرب) لوزارة الممثل الشخصي لجلالة الملك و (البحث العلمي) للمركز الجامعى للبحث العلمي و (الايمان) لجمعية شباب النهضة الاسلامية .

ربما يمر كثير من الناس بهذه المجلة هنا وهي معروضة فى المكاتب من غير أن يعبروها انتباها او التفاتا ولكن مثل هذه المجلة (الدعوة) فى البلاد النائية العراق مثلا ، تؤدى للمغرب خدمة جلى ... ان كل المغاربة الذين زاروا المشرق يعودون - بدون استثناء - وهم يحملون انطباعا يتلخص فى ان جل اخواننا هناك على غير حقيقة الامور هنا بالمغرب على الاقل فى نهضتنا الفكرية فى انتاجنا نثرا أو شعرا ، وعلى العكس مما بالنسبة اليهم فانك مثلا نجد تلامذتنا فى المدارس يعرفون عن شعراء وكتاب الشرق قدرا من العلم لا بأس به .. السبب فى ابتعادهم عن حقائقنا اننا لا نسمعهم اصداءنا .. واننا لا نبذل مجهودا فى سبيل اطلاعهم علينا فالى جانب ان الانتاج محدود نجد وسائل النشر نفسها محدودة ومحدودة جدا ، وهكذا يمكننا أن نتصور فائدة انفتاح نافذة او نوافذ لتلك الجهات على مغربنا العزيز.. وان الطبقة المثقفة فى كل البلاد كانت وما تزال هي المظهر الحي الذي يمثل تلك البلاد فى اتجاهاتها وأفكارها ، ولهذا فان أول من يتنسم من هذه النوافذ تلك الطبقة القائدة التي تكون خير ترجمان لنا فى المجالس والمجامع .. كنا نتلقى أكثر من طلب ، وأكثر من الناس من كل جهات العراق شماله وجنوبه ، وكنا نشعر بصدق هذه الرغبات بل وبفائدتها شهرا عن شهر ، فيما ينشر وفيما يكتب .. ومن اجل كل هذا فاني أجدد هنا تقديري للمشرفين على هذه المجلة متمنيا ان يتمكنوا من مضاعفة جهودهم وتضحياتهم لارضاء الرغبات فى كل مكان ، فذلك واجب لا يقل اطلاقا عن أية طريق نسلكها من اجل تمثيلنا والتعريف بنا فى صفاء وهدوء وفعاليه ...

*

وبعد فلقد تفضل قلم التحرير فعهد الي بابداء الرأي فى محتويات عدد ذي القعدة 1385 هـ (مارس 66) ولم يكن فى وسعي أن اعتذر لانني اعتبر ذلك الاعتذار بادرة تعبر عن « مضاعفة الجهد » الذي تمنيته للمشرفين عليها ولذلك فاني سأتقدم الى اخواني الاساتذة من بعض الذين اسهموا فى ذلك العدد مجددا العهد وواصلا آصرة الرحم التي تجمعني بهم .

*

اذكر ان جوانب من هذا العدد تتطلب العودة الى كلمات سابقة . أو تترقب توابع لاحقة ولهذا فمع اكباري لموضوعاتها أرى من المناسب أن استكمل الفائدة اولا مما فات . وما هو آت .. كان هذا بالنسبة للاستاذ الحمداوى فى حديثه عن ثقافة القرآن والثقافات العالمية. والاستاذ الهاشمي فى حديثه عن الالفاظ الهذلية الواردة فى القرآن ، والاستاذ الهلالي فى مقاله : العوائق النفسية للتخطيط ، والاستاذ عبد الله كنون فى نظرته فى منجد الاداب والعلوم . والاستاذ المنونى فى حديثه عن الكراسي العلمية بمدينة فاس ، والاستاذ العمراني حول الموحدين والحضارة ، والاستاذ المنبهي فى حديثه عن الدراسة الديموغرافية .. ومع ذلك فلي بعض التعليقات العامة على ما سبق ان كان محل ملاحظاته .

قرات أن بعض الاساتذة لاحظ ان المجلة تسمح بنشر مقالات متسلسلة ربما كان الاليق ان تطبع فى كتاب

بسيكولوجي » وغير ذلك من الكليشيات التي تبرر الزندقة وتقر المجون الفاحش وتعده مفخرة من مفاخر « التطور السيكولوجي » .هذه هي الحقيقة ، فكيف جاز لصديقي الاستاذ عبد المجيد ان يحكم على ادبنا القديم وأن يطالب له بنصب المشنقة واعدادالعشماوي — بلغة مصر — لشنقه واقباره . انه لظلم . وظلم من نوع ذي القربى ! !

واذا كانت حيثية المجون فى شعر شعراء المجون والتكسب فى شعر المتكسبين يمكن قبولهما — ولو جدلا — ضمن صك الاتهام ، فاية جريرة ارتكبها عمر ابن أبي ربيعة حتى يزج به ضمن حيثيات حكم هذه المحكمة العرفية التي نصبها صديقنا الاستاذ عبد المجيد لمحاكمة أدبنا العربي .

وهذا شعر ابن أبي ربيعة . ماذا فيه ؟ انه شعر رصين ، وعفيف ، وافلاطوني ، كما قيل عنه ، لان صاحبه اتخذ له شعارا من قوله .

واني امرؤ مولع بالحسن اتبعه
لا حظ لى منه الا لذة النظر

فأية عفة أشد صونا من هذه العفة ؟ وأين هذه العفة فى هذا الادب المراهق الذى يتقاطر بالتخنث والانحلال . وقد ملات صوره رفوف المكاتب وشغلت الاباء بسلوك الابناء والبنات كذلك ؟

انا لا اريد أن اسوق الصور لاقارن واقابل . لان العصر عصر اشارة واختصار وابجاز ، الا اننى ارجو والح فى الرجاء على أن يراجع صديقنا الاستاذ عبد المجيد « سواره » فى الادب العربي القديم ليقتنع بأنه اعلن حالة طوارىء فى أدبنا العربى واصدر حكما عرفيا فى قضية لا تستحق هذا الاجراء وهى مظلومة كل الظلم حينما يحكم عليها بمقتضى حالة الطوارىء .

وناتي الى ظاهرة التكسب فى الادب العربي القديم ، انها أيضا ظاهرة انحراف ما فى ذلك من شك، بيد انها نزعة لحياة اجتماعية لابد من اخذها كما هي ضمن مجموع خصائص البيئات التي عرفهما الادب العربي نتيجة أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ومن ثم يكون الحكم على الادب العربي القاضي بالاقبار انما هو فى واقع الامر الحكم على تاريخ مرحلة هامة للامة العربية بما فيها من مراحل القوة والضعف ، لان الادب العربي القديم يصور جزءا كبيرا من ذلك التاريخ لا تعد هذه النقائص التي اتخذ منها الاستاذ عبد المجيد حيثيات الحكم بالاعدام عليه سوى جزئيات . وليس عيبا أن يعرف تاريخ من التواريخ البشرية بكل ما له وما عليه .

لقد سبت الاديان فى بعض الآداب بينما آداب اخرى — غير ادبنا العربي — مجدت الاستبداد وسبحت له ، ونافقت أولي الامر وكان المذهب « الميكيافلي » يقدم بعض الانعكاسات فى آداب النهضة الاوربية ، ولكن احدا لم يقل باقبار هذه الآداب ، لئلا نعدم مرآة عصر من عصور التاريخ تتجلى فيها المساوىء والمحاسن ، وحتى لا تفتقد الوثائق التاريخية ولو أن وسيلة الاقبار هذه استخدمت لاتى العفاء على ما يزخر به التاريخ من عبقرية البشر وعيوبه ونقائصه كذلك .

وبعد هذا كله فان الادب انما هو مرآة لبيئته تنعكس عليها الصور التي تفاعلت فى رسم ظلالها عناصر الخير والشر والفضيلة والرذيلة فلو حكم على كل بيئة بما يمكن أن يوصف بأنه نقائص او انحراف فى آدابها لطويت صفحات طويلة وعريضة من تاريخ الانسانية .

وينبغى أن لا ننسى شيئا آخر . ونعني به المقاييس التي ينبغي أن تصدر الاحكام بمقتضاها فمقاييس عصرنا هذا لا نصلح فى مجموعها لان يتخذ منها ميزانا تصدر الاحكام بمقتضاه . اذ سيكون فى استخدام تلك المقاييس جور وحيف ما فى ذلك من شك.

على انه مما يخفف من وطأة هذا الحكم العرفي الذي اصدره الاستاذ عبد المجيد بنجلون على الادب العربى القديم انه قابل للمناقشة . أي انه قابل للاستيناف ، وها نحن قد استأنفناه ، ولا أشك فى أن نتيجة الاستناف ستكون هي النقض التام . ذلك لان حيثيات الحكم ضعيفة ، ولان الادب العربي القديم الذي ساقه صديقنا الاستاذ عبد المجيد الى قفص الاتهام فى حالة طوارىء ثم أصدر حكمه القاضى عليه، انما أدب مظلوم ليس من الحق فى شيء أن يكون مجون ابي نواس وهجاء الحطيئة وتكسب البحتري حيثيات تقضي بشنقه فى عصوره المختلفة .

ومرة أخرى فانني رأيت من حق الادب العربي على شخصيا أن أهب للدفاع عنه واستأنف الحكم الصادر فى شأنه ، حتى لا تظل عملتنا فى الادب العربي الحديث بدون رصيد . وحتى لا يكون الاستاذ عبد المجيد بنجلون نفسه يصرف انتاجه الادبي من غير ما أن يكون له رصيد فى خزينة الادخار ... سأوالي هذا الكفاح ان اقتضى الامر . لاكون ابنا بارا للادب العربي القديم ، ليلا يكون أدبا لقيطا وحتى لا يكون فى الاخير هذا الادب المخصاب الذى ينتجه صديقنا الاستاذ عبد المجيد أدبا مجهول النسب .

الرباط — **احمد زياد**

العنوان ذاته ربما كان من اللائق تحويره الى ما يشبه أن يكون حرص الاسلام على العمل ...

❋

وقد احسن الاستاذ طه الولي صنعا فى افاداته عن الاسلام والمسلمين فى بلاد النمسا فان العناية بهذه الاقليات المتناثرة هنا وهناك من الاسرة الاسلامية سيبعث فيها نوع اعتزاز ما أكثر حاجتها اليه وما احرانا باشعارها به — واعتقد أن تضحية اولئك الاخوة وتصميمهم على التمسك بمبادئهم لخليق أن يثير فينا بعض العناية .. فان على خزائننا العلمية وهيآتنا الدينية ومجلاتنا .. على كل هذه أن تسجل عناوين هؤلاء وتنفذ اليهم عن طريق ما تنشر .. وما تكتب ..

❋

والاستاذ عبد النبي ميكو نظر الى موضوع العقد الاجتماعي مقارنا ومفارقا بين ماثور الاسلام وآراء الغربيين .. وانه ولو ان الاستاذ ميكو ربما كان يرى أن هذا أول الحديث وآخره لكني أطلب اليه أن يعتبره فقط مدخلا لاحاديث متعاقبة . والحقيقة أن اشتغال فقهائنا ورجال القانون فينا بهذه الدراسات المقارنة لمما يفتح افاقا جديدة للامل فى ازدهار رصيدنا من الفقه الاسلامي عندما نفكر فى الربط بين ما نعرفه لاولئك وما نقرأه لهؤلاء ، نعمل فعلا على أن نسير فى الركب مع عالم متكامل بقوانينه وآراء علمائه ...

❋

وقد طرح الاستاذ الحاج عبد الله الجراري السؤال الذي امسى شعارا لنا منذ أن تحررت بلادنا وأصبح فى متناولنا أن نكتب ما نشاء كيف ما نشاء .. والسؤال من الاستاذ الجراري وهو الذى كان من أوائل الذين قربوا تاريخ المغرب الى اذهان ناشئتنا له معناه ، اذ هو صادر عن شخص آمن بعد تجربة واقتنع بعد ممارسة .. وابادر الى تطمين الاستاذ بأن المؤرخين اليوم فى طريقهم نحو كتابات مثالية لتاريخنا .. الواقع أننا كنا وما نزال الى الان نقتنع بجمع المادة : مادة ذلك التاريخ ، وهذا العمل ينبغي أن نعتبره ركيزة لكل كتابة منشودة للتاريخ ، على أن هناك ناحية يجب التشبث بها ، والتنبيه لها ، والتأكيد عليها تلك **تحرير تاريخنا المكتوب** تحريره مما علق به عن قصد أو غير قصد من تعليلات واستنتاجات .. فتحرير التاريخ فى نظري يجب أن نبدأ به ، فان التخلية مقدمة على التحلية كما يقول علماؤنا وعندئذ سيمكننا أن نستفيد من « المواد » التي تجمع بين « المنهج » الذي سلكه بعض المؤرخين المعاصرين وبعد هذا فان هناك أمرا لا يغفل وهو ان كتابة التاريخ أي تاريخ يجب أن يعزز بكل الطاقات الممكنة : فهناك فى طول البلاد وعرضها عناصر جديرة بالاستفادة منها على أن فى « أرشيف » بعض البلاد ممن كانت لنا بها صلة ، الشيء الكثير مما يجيب عن كثير من علامات الاستفهام التي ما انفكت منتصبة فى اصرار عن بعض النواحي من تاريخنا .. فى فى اسبانيا ، وانجلترا ، وفرنسا ، هولاندا ، أمريكا ، تركيا ، العراق ، مصر ، ليبيا ، تونس ، الجزائر ... الخ . فى ارشيف هذه البلاد وثائق يجب أن لا تنسى ونحن نجمع تلك « المواد » .

❋

وبعد هذا فان لي رجاء فى المجلة ان تحرص على أن تمزج فى كل عدد يظهر بين احاديث تعنى بالدراسات الاسلامية والتاريخية ، على أن تفتح صدرها باستمرار لكل ما يرد عليها من بحوث تتناول مناحي الحياة الاخرى..

واشير بهذه المناسبة الى حديث افريقيا وآسيا فى مفترق الطرق والدراسات الديموغرافية الخاصة بالمغرب كما أشير الى حديث فلسطين من خلال موقف اليسار الدولي ، وحديث الرابطة بين العروبة والاسلام، فان فى قراء المجلة من تهمه هذه الناحية أو تلك بل ان فى الناس من تهمه هذه النواحي كلها باعتبار أن بعضها يكمل الاخر .. ولي أمل فى الاخير أن تلتمس (الدعوة) لي عذرا للتقصير اذا لم اتتبع سائر المقالات ، سائر القصائد ، سائر التعاليق .. فان وضع الميزان يحتاج الى كثير من الاستقرار والاطمئنان الامر الذي ما ازال أعمل له منذ عودتي بعد طول غيبتي .

والى لقاء آخر .

الرباط — **عبد الهادي التازي**

مستقل بدلا عن تتابع الكلام .. وفى رايي أن اشتراط اي شرط على المنتج الكفء وخاصة فى ظروف قد لا تتوفر فيها المادة للناشر ، أو لا تتوفر الوسائل له من أجل النشر ، اقول اشتراط اي شرط من شأنه ان يؤجل الفائدة التي نريدها معجلة .. نحن نعرف عن كثير من العلماء الافذاذ انهم قضوا حياتهم يؤلفون ويجمعون ولكنهم كانوا ينتظرون بنشر انتاجهم ان يتوفر فيه « الكمال » أن يكون « أحسن » مما هو عليه ، ولذلك كانوا يتريثون دوما ، منتظرين سنوح الفرصة لهذه الزيادة أو تلك .. وهكذا قد يباغتون بالانصراف وتبقى آثارهم من بعدهم باكية ضارعة أريد أن أقول ان كل ما توفر لدى الباحث يجب — على الاقل بالنسبة الينا فى ظروفنا هذه — أن ياخذ طريقه للنشر بأي وسيلة كانت وللباحث أن يعقب بعد ذلك أو يتابع أو يضيف .. والا فقد نقع فى اخطاء من سبق وهم كثير مع الاسف الشديد.

*

وبعد هذا فهناك فى المجلة جانب ثان يمكن ان اسميه جانب « تصفية الحسابات » أو « الحسابات المفتوحة » وهي اكثر من واحدة : فالاستاذ السائح مع الاستاذ الكتاني ، والاستاذ عبد القادر القادري مع الدكتور بلال ، والاستاذ الهلالي مع الاستاذ الشرايبي ، والاستاذ عباس الجراري مع الاستاذ عبد المجيد بن جلون .. ومع كل هؤلاء السادة جميعا سددت افتتاحية (الدعوة) التي يظهر انها خشيت من ضياع الحقيقة فى زحمة النقاش سيما مع ما لوحظ فى بعض التعقيبات من تشنجات ، لا مفر منها عند المراجعات والمدافعات .. اني مع هذه المتابعات أيضا كنت اشعر بأن الميادين لم تعد شاغرة كما كانت بالامس وان « الاستمرارية » التي كنا ننشدها لبحوثنا قد أخذت تطغى على البرود والانعزال اللذين ما يزالان مظهرا من مظاهر التخلف الفكري .

*

اخالني بعد أن لم أقل شيئا ، ازاء هذين الجانبين اللذين يكونان جل عناصر المجلة ، أخالني اشبهت السيد الذي روى عن النبي (ص) انه قال خصلتان من كانتا فيه دخل الجنة) الاولى نسيها الراوي والثانية نسيتها أنا ، وهكذا نترك الناس يبحثون الى الان عن الخصلتين ..

*

قرأت كلمة الاستاذ محمد عبد الواحد بناني وكنت حديث عهد بقراءة صرخة مماثلة لاحد اخواننا المشارقة .. الموضوع الذي لا يشعر به الذين نبذوا دينهم ظهريا .. ولكنه المشغلة رقم 1 لكل الذين يؤلمهم ان يروا الزمام يفلت عاما عن عام شهرا عن شهر .. كيف يفعل ؟ هل سيقتصر سلاحنا اليوم على نفس السلاح الذي كان جدودنا يستعملونه ؟ أم أن رجال التوجيه فينا يجب ان يكونوا فى مستوى مسؤوليتهم .. فى مستوى الاحداث الجارية .. لكن ما هي الوسائل التي تجعل من هؤلاء ناسا فى المستوى المنشود ؟ هل الثقافة الجامدة ؟ هل الثقافة الجاحدة ؟ الحقيقة أن الطريق واضح للجميع .. بيد أن هناك أمرا ينبغي الاقتناع به وهو أن الموعظة وحدها لا تكفي ما لم تقترن هي باقتناع ذاتي من طرف الواعظ نفسه — ما لم تقترن **بقوة زاجرة** تحمي المجتمع من التفسخ فى الخلق كما تحميه من التدرن فى الرئة والشلل فى الاعضاء .. قوة زاجرة تأخذ بناصية الامر **فتخطط** فى هذا الميدان بالذات بنفس الاهتمام الذي تخطط به فى الميادين الاقتصادية مثلا ..

وبعد هذا فقد بقي لي سؤال قصير للسيد الكاتب هل نستطيع حقيقة أن نقول : ان المتصدين للثقافة الاسلامية متضامنون **متواطئون** ، على اعاقة العمل ؟ أم انهم على العكس من ذلك يتوفرون على حسن نية، وهم الاخرون محتارون أو عاجزون عن سلوك الطريق الذي قد يكون صالحا ، اقول مرة أخرى ان الامر يتطلب ما قلته من تخطيط مدعم بكل ما يمكن أن يدعم به اي تخطيط أو تصميم .

*

أما الاستاذ الشيخ احمد التيجاني فان الذين يعرفونه منذ القدم يعرفون فيه مثال النشاط المستمر والحيوية المتقدة ، ولذلك فلا عجب أن يتناول موضوعا لا يقصد من ورائه فقط ان يجسد احد الفروق بين تلك وهذا بمقدار ما يقصد الى أن يحمل المسلمين على « العمل » و « الحركة » وما زلت اذكر الاستاذ التجاني وقد وقف ينتقد ذات يوم بعض الكسالى من الشباب من الذين ينتظرون منك ان تكد من أجلهم ، وتحضر لهم وتناولهم ثم تساعدهم على هضم ما تناولوه — لعل الاستاذ ما يزال يذكر ليلى التي ابتليت بحب شاعر كان مضرب المثل للكسل فى الشعر العربي .. وما يزال يذكر انه بالرغم من حراجة الموقف كان قرأ على الناس تلك الابيات الاربعة معلقا عليها ... وبعد هذا فلى اقتراح كان من وحي ما كتبه هو ، ذلك ان يجعل العنوان : (بين الاسلام والكنيسة) عوض المسيحية على أن هذا

مواكب الأحلام

للأستاذ: حسن محمد الطريبق

حب يفيض كأنه نسمات عطر ساحر
يفتر كالازهار في روحي ويأسر خاطري
وتلوح منه روعة الحلم البرىء الطاهر
فتسيح في دنياه كل خواطري ومشاعري
وتدغدغ الخطرات نفسي او تفيض محاجري
وتبلل الاحلام اجفاني بدمع بشائري
وأرتل الانغام مثل عنادل او شاعر
وأسير ما بين النجوم وضوئها المتناثر
واعود لا ارنو الى غير الضياء الغامر

* * *

يا اوج ما في الكون من حسن عجيب باهر
يا فتنة بيضاء، يا سحرا بغير ستائر
يا منتهى الدنيا واجمل ما يشاهد ناظري
نزلت مواكبك الحبيبة في دفين سرائري
ووجدت روعتها بغير اوائل واواخر
وروت جذيب العمر بالامل الرطيب الناضر
واستنهضت حلو الاماني في صميم مشاعري
يسبي شعوري حسنها، فيرف مثل الطائر
واظل ارشف ظامئا ارج الصفاء العاطر
واتيه في دنيا البراءة والجمال الآسر
واسير منطلقا الى الدنيا بغير معابر
واعيش في ماض يضمخه الحنان وحاضر

القصر الكبير — حسن محمد الطريبق

من واقع المسلمين

للاستاذ عبد السلام الهراس

مهداة الى الاخ ابن عمر الداعوق رائد عباد الرحمن بلبنان ، والقصيدة مستوحاة من احدى رسائله الي

بلاد المسلمين دم ونار ... وزخرفة الكلام لهم شعار
واشلاء المبادىء داميات ... تمزقها المطامع والصغار
واعلام الشقاق مرفرفات ... نحييها ، ويرفعها الكبار !
وفي كل الحدود لنا جدار ... ومن كل القلوب لنا جدار
سلاح «الاخرين» عداه يصمي ... ونحن علينا اسهمنا تدار
سراع للكلام وللاماني ... بطاء من الفعال ولاثمار
حفاة ، بل جياع ، بل عراة ... وملء بلادنا ذهب بوار !
وان يكن الفراغ له « مقام » ... فان المسلمين له جوار
يتيه حماسهم « شرقا » و « غربا » ... ومن عجب لهم ظلم منار ،
ليفترفوا « المذاهب » في خنوع ... بلبد ، والمذاهب لا نعار !
وانا ، كالعبيد ، لنا اعتزاز ... بماضي « الاخرين » ، اليس عار ؟
وان « القوم » قد سكنوا شموسا ... وقومي للحضيض بهم يسار
وان «القوم» في دعة وامن ... وقومي لا امان ولا قرار
لغات العالمين لها صعود ... وحرف الضاد يرهقه انحدار
شعوب المسلمين تساق قهرا ... الى المهوى ، وليس لها اختيار !
غدا الاسلام مغتربا شريدا ... فلا الف له منا وجار
يكيد له الشرار بكل حي ... فلا بلغت مقاصدها الشرار
فيا ربي ، ولا يرجى سواه ، ... الى كم بالضلال لنا دثار ؟
فنور « بالحكيم » لنا قلوبا ... علاها الران والاحن الكثار

تطوان « 22 ذي الحجة 1385 » عبد السلام محمد الهراس

انهار في الساحات يحلم بالدمـــاء
للرافع الابراج في سهل السمـــاء

بالاسر للطفل السمـاوي الوحيـــد
للصانع الاسوار في الافق المديـــد

للفارس الشلال في سود الغمـــام
للخالق الانهار في ارض الظـــلام

للشاعل القنديل في الكهف البليـــد
بيضاء كالاحلام كاللحن الوليـــد

الليل .. جالد منذ الاف السنيـــن
طفلا سماوي النوازع والجبيـــن

طفلا بلا سيف بلا حقـد العبيـــد
يسمـو على الاضغـان في شمم الشهيد

لكن بلا جدوى فآلاف السيـــوف
فالطفل لا يفنى عميق كالطيـــوف

ماتت كآلاف العزائم والزنـــود
كالسر في الاعماق في سحر النشيـد

وانا ذارع الليـل في سـاح الطعـان
والبحر يضحك والشواطىء والزمـان

امشي بلا رؤيـا كمجروح الوريـد
مني . انـا الحمقاء من ظلي الجديـد

منـي انا البلهاء . مسخرة القـلاع
أطوي الفيافي والشواهق والتـلاع

أضحوكـة الامواج والزبد السعيـد
حمقاء. ابحث عنك يا غابي الجديـد

* * *

فلترحلي يا ريح للقفر البعيـــد
سيموج ادواحا سينساب الجليـــد

فالغاب للطفل السماوي الوحيـــد
مـاء واشجـارا وازهـارا تميـد

سيهل اطيـارا واعراسـا وعيـــد
لكن بلا جدوى فما رحل يفيـــد

سيتيه اطيافا واجواقـا وغيـــد
فالطفل سوف يسيـر للقفر البعيـد

شفشـاون ــ عبد الكريم الطبـال

حكاية ريح

للشاعر
عبد الكريم الطبال

الريح منذ البدء في هوس الجياع　　مجنونة الاسرار حمقاء المدار
في بوح سارية مكسرة الشراع　　تحكي لكل العابرين عن القرار

في يتم اطيار يموت لها الصباح　　فتجن تسأل عنه في ليل القفار
في حزن ادواح يجف بها الصداح　　فتشيخ واجمة كمكسور الجرار

في تيه نهر ضائع بين الرمال　　يشتاق مثل السندباد الى البحار
في نوح ساقية تفر من الظلال　　حيرى تغمغم : كل شوقي للمحار

وانا هنا للريح حمقاء القفار　　كالقبر ، كالاصداف منسدل الستار
كالكأس في اعماقها صيف ونار　　لكنها في الكف امطار تدار

ترتاد اغواري ، تتوق الى الجديد　　فيها . تهوم بين اطلال الديار
تنساق الاحساس من سفحي البعيد　　حتى تطل على من قممي الكبار

وانا لها غاب جداولها سراب　　مجنونة الاشجار سوداء النهار
تمشي الي مع الذبول مع الضباب　　كالليل يزحف فوق مركبة النضار

لتسيل في الانهار ، في سود الفجاج　　لترف في الاوراق في صفر الثمار
لتموج في الاشجار تخترق السياج　　لتطوف في الادواح ، ساحبة الغبار

تحكي حكايات البحار الى الضفاف　　في الف اصوات تتيه الى القرار
في همس اشباح كئيبات عجاف　　في بوح اديار مسجاة الجدار

* * *

وتقول كالاصداء من جبل بعيد　　يا قبر اسراري ويا غابي الجديد
يا كهف اشباحي ويا افقي المديد　　يا روض اطيافي ويا نبع الجليد

الليل مات هناك في قاصي البحار　　شيخا بلا وجه غريبا كالطريد
قزما بلا ذكرى ، نداء في القفار　　موجا بلا بحر . غريقا في الصديد

فقل للذين استكبروا وتغافلوا ... الا فاسلكوا في الخافقين (5) المناكبا
وكنت ارى غيري على الدهر ضاحكا ... فابصرته بعد الحوادث ناحبا (6)
واني لأرثي للذين تفهموا ... من الناس امرا للتعاسة جالبا
يريدون من يفني لديهم متاعه ... وهم كرهوا من بات حرا محاسبا
وهم سفهوا في غدرهم ونفاقهم ... جميع من استحيى وحاز المناقبا (7)
اذا خبثت ارض فبئس نباتها ... وان طهرت كانت تجازي المتاعبا
ارى الفرع يزكو من زكاة اصوله ... فيغمر بالظل الظليل الجوانبا
اذا فسد العود الرطيب فانه ... الى النار قد اهداه من كان حاطبا
وما فاز الا من تقوم عوده ... ولكن اذا ما اعوج حاز المعايبا
ولا تلم الصبيان ان هم تراقصوا ... اذا كان رب العقل للطبل ضاربا
وما الطمع الممقوت الا كبارق ... يلوح سراب في المهامه خالبا (8)
ارى القوم طرا بالسهام تدججوا (9) ... فهل يا ترى سهمي سيصبح صائبا ؟
اسامح في حقي لغيري ترفعا ... لذا كنت مغلوبا فاصبحت غالبا
وفي كل ما يبنون دسوا قذيفة (10) ... وصاغوا لاسباب الخداع قوالبا
يصولون بالخلق اللئيم اصالة ... وقد حاربوا منا الحجى (11) والمواهبا
وكم افقدوا عقل الاديب توازنا ... وقد كان من قبل التزوج ناقبا (12)
وقد كان حرا في حدائق فكره ... فاصبح في حضن القيود معاتبا
وقد اسس العش الامين فهده ... من الظلم سهم قد اصاب الرغائبا
ارى في زواج الحر ذلا لنفسه ... وللحر نفس ليس ترضى النوائبا (13)
وما الحر الا في الصراحة دأبه ... اذا ما ابتلاه الظلم اصبح غاضبا
واياك ان تمسي بغيرك واثقا ... فكم همة تهدي اليك مصائبا
فرب لسان في حلاوة نطقه ... كسيف لقد امسى به الدم شاخبا (14)
ولاتك في نجواك نفسي سريرة ... ونصدق جارا في حماك مصاقبا (15)
فرب صديق في تقلب قلبه ... يسير عدوا قد يريك الكرائبا
وما دمت ذا مال فانت محبب ... فبالمال نرجو في الحياة الاطايبا
واياك ان تنسى لنفسك حقها ... فان هي هانت عدت غرا قباقبا (16)

---

5) الخفقان : السرف والعرب ، لان الليل والنهار يخفقان فيهما

6) نحب الرجل ينحب ، بكسر الحاء وفتحها في المضارع ، نحبا ونحيبا : رفع صوته بالبكاء

7) المناقب : المحامد والشمائل والفضائل والسجايا الحميدة

8) السراب : ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر كأنه ماء تنعكس فيه البيوت والاشجار وغيرها ويضرب به المثل في الكذب والخداع فيقال : « هو اخدع من السراب » — 9) تدججوا : حملوا السلاح .

10) القذيفة جمع قذائف : كل ما يرمى به . ومنه قذائف المدافع والطائرات التي ترمي على العدو .

11) الحجى : العقل والفطنة — 12) يقال : « رأي ناقب » اي نافذ . و « عقل ناقب » اي حاذق . و « حسب ناقب » اي شهير . — 13) السوائب : العيوب والادناس والاهوال

14) شخب الدم : انهمر بقوة وغزارة — 15) مصاقبا : مقاربا والمصاقبة عند المولدين : الموافقة ، وربما لفظوها بالسين — 16) القباقب : الكثير الكلام ، المهذار ، الكذاب ، الرجل الجافي

الزواج عندنا

للشاعر: محمد بن محمد العلمي

اساهد في امر الزواج غرائبا ... فادرك ان النصح قد صار واجبا
لقد ظلموا قلب الفتاة واصبحوا ... يبيعونها بيعا لمن جاء خاطبا
ففي اي شرع كانت البنت سلعه ... تقضي عليها البائعون رواتبا ؟
وقد جاء في الاسلام سر نرومه ... وكان بحق العانسات مطالبا
ارى من جنون الناس بيع بناتهم ... وتفضيلهم من يشغلون المناصبا
اما راقبوا رب السماء وقهره ... فكم من ظلوم قد يصادف حاصبا (1)
وهم طمعوا في المال دون تعفف ... ولولا سدود العجز باعوا الكواكبا
ولو جاءهم غير الغني تمنعوا ... وسدوا على ما يرتجيه المساربا (2)
وهم جعلوا الاعراض لعبة لاعب ... وقد اهملوا شان المروءة جانبا
وهم فهموا ان الزواج شريعة ... تجوز من فرط الخداع المذاهبا
ولو يعلم الحر الزواج وحربه ... لفضل ان يبقى مدى الدهر عازبا
فكم غصبوا مالا وداسوا كرامة ... ولكن سيلقى الوبل من بات غاصبا
وكم زوجوا بنتا وعاسوا بغللها ... وقد كلفوا المهر العزيز عجائبا
وهم جعلوا معنى الزواج تجارة ... وما قدروا الا اللهى (3) والمكاسبا
واسخف عقل يجعل المال غاية ... واهون بيت ما يضم العناكبا
ورب اناس في الزواج تستروا ... ليجنوا من المهر الغرير ضرائبا
ورب اناس في السفاء تنعموا ... وما نظروا فيما جنوه العواقبا
وباتوا من الكبر المسين جوازما ... وراحوا على النهج الذميم نواصبا
اذا ما توخين الحقوق فانهم ... يمجون من امسى عليهم مراقبا
وما علموا ان الحياة توازن ... تحارب من امسى عن الحق ناكبا (4)
فكم خادع يجني عليه خداعه ... فيصبح مسلوبا وقد كان سالبا
الم يعلم الانسان ان الهه ... قد اختاره فيما يرى عنه نائبا ؟

---

1) الحاصب : الريح الشديدة تثير الحصباء
2) المسارب : المسالك والطرق
3) اللهى : جمع لهية اي العطية او افضل العطايا واجزلها
4) نكب عنه : عدل عنه وتجنبه واعتزله ويقال (رجل ناكب عن الحق) اي مائل عنه .

ويعلن في كل المجامع ثورة ... على معشر كانوا عداة اقاربا
لقد صيد غدرا في الزواج وليته ... اجال الحجى (36) يوما فنال الماربا
فكم صادت الالوان عينا غريرة ... فلما تجلى الحق لاقت عجائبا
وكم من ضعيف صار بركان سورة ... وقد كان طيفا ساكنا متثائبا
ولين الافاعي ليس يخفي سمومها ... واي دهاء لا يواتي الثعالبا ؟
وكم عسل في طيه السم كامن ... ورب جميل لا اراه مناسبا
وليس جمال البنت غير سلوكها ... فان قبحت خلقا تلاقي الشطائبا(37)
وكل جميل في الطبيعة فاضل ... وكل قبيح يضمر السوء غالبا
ارى الدار كم يغني السريرة بابها ... وكم مظهر قد كان حلوا مداعبا
وكم بسمة كانت لديها شرارة ... تسعل في القلب النفاق المجاذبا
وما كل براق يسمى بعسجد ... وما كل من هز اليراعة كاتبا
وفي الناس ثعبان وقرد وثعلب ... ومنهم ارى تحت النياب عقاربا
ومنهم ذئاب في لئام مروءة ... وايمانهم كالملح قد صار ذائبا
يبيعون بالفلس المروءة كلها ... واسرفهم من قد اقام المادبا
وكم مظهر في الدين تقوى وعفة ... يعيش على نهج النفاق مواظبا
يبيع لك الايمان والدين كله ... بقرش وقد امسى على الله كاذبا
اذا رضيت دنياه عنه فانه ... على خطة الايمان لم يبق لازبا (38)
ونحن نقاسي ازمة عصبية ... وكم قد صنعنا للظهور مواكبا
نشيد على اس الخراب بيوتنا . ... فسل عن مقالي من يقاسي التجاربا
واي هدوء نرتجيه وقد غدا ... فؤاد شباب اليوم بالهم صاخبا ؟ (39)
فكم تاجر قد اكسب الخد صفعة ... وقطب في الوجه الجميل الحواجبا
يلوح كطاووس يتيه بريشه ... ويلبس من فرط الدلال الجواربا
الا ان مهر الصالحات مجبة ... فاني ارى عيش المحبين راتبا (40)
على امتي ابكي لداء اصابها ... وارسل من دمعي الغزير سحائبا
لقد طغت الاهواء فيها على النهى ... فلم ار الا من بعيش مواربا (41)
وفيها نقاسي ، لبس بوجد فارق ... اتقصد شابا ام تعين شائبا ؟
واني ارى هولا واصغي لامتي ... فاسمع في جنح الظلام نوادبا
فيا مهجتي فوري بدمع بروقتي ... وانهده للوجه مني خاضبا (42)
كفى بدموع الحر في الحق ساهدا ... فكم من عيون ما تزال سواكبا (43)

---

(36) اجال الحجى : معن العقل والفطنة ، وتعمق في التفكير والتأمل وبعد النظر
(37) الشطائب : الشدائد والمحن والاهوال
(38) اللازب : اللازم الثابت والطين اللازب هو الذي يلزق باليد لاشتداده
(39) الصاخب : الشديد الصياح ويقال فيه ايضا الصخب والصخاب والصخوب والصخبان
(40) عيش راتب : اي دائم ثابت
(41) الموارب : الذي يميل للانحراف والالتواء والمخاتلة والمداهاة
(42) خضب الشيء : لونه
(43) العيون السواكب : اي الدائمة الهطلان للدموع وانهمارها

فلا خير في الزوجات بعن كرامة — وصرن على ازواجهن لواعبا
فكم زوجة يحيا على الذل زوجها — ويظهر وجها في العشائر شاحبا (17)
وكم سالت، في حقه متسامح — قد ارتد في حضن الزواج مشاغبا (18)
وحق له ان ليس يمكث راضيا — بليل غدا بين الضمائر واقبا (19)
ولم ير الا خاتلا او منافقا (20) — يروح على جمع الدنيا متكالبا (21)
يعيش غريبا حائرا متلهفا — ومن حوله لم يلق الا زرائبا
وينسل من بين العجين كشعرة — ويسمع عند البين (22) في الدار ناعبا (23)
ويذرف دمعا من صميم فؤاده — ويندب جرحا فيه اصبح عاربا (24)
فلم قد تمنى ان يعيش مهنئا — ويسكن روضا بالازاهير عاشبا (25)
ولكن تراه اليوم تنكى جراحه — فيحسد من قد بات في القبر شاعبا (26)
متى يا بديع الخلق ترحم ضعفه — وتصبح للقوم الطغاة معاقبا ؟
متى يا مبيد الظلم تؤنس روحه — وتمنحه خلا على الخير دائبا (27)
فقد فر من مكر فصادف مثله — وصار يعيش اليوم في الناس راعبا (28)
وكم من لصوص في ثياب مروءة — اذاقوه ويلات فاصبح عاذبا (29)
تخلى عن المال الحلال سماحة — كذلك يصير الخل للخل قاصبا (30)
وكم غادر قد كان صهرا مقربا — فاصبح شوك في الكرامة ناشبا (31)
فما ذا تلاقي البنت بعد طلاقها — تشهد بؤسا حولها متعاقبا (32)
وتبصر ذلا بعد عز ومنعة — وتخدم زوجا تائها متجانبا (33)
سيغدو هزيلا للسقام مكبدا — يعاني الطوى من كان بالامس كانبا (34)
بثور على من راح للمال سارقا — ويلعن من قد بات للعرض ناهبا
اذا كان في معنى الزواج مذلة — فكل يرى ممن تزوج هاربا
الا فاعلموا يا قوم ان مهوركم — تخلف قلب العانسات خرائبا
ومهما غلوتم (35) في المهور فانه — يصير فتاكم للزواج محاربا
يدور على دور الخنا ويحبها — وينسب في الجنس اللطيف المخالبا

---

17) الناحب : المنتقع اللون . المتغير السحنة —
18) المناغب : الذي يثير النغب والفوضى والخصومات
19) وقب الليل : انتشر ظلامه — 20) المخاتل : المخادع . والنافق : الذي يبدي خلاف ما يضمر . وقد جاء في الحديث الشريف : « آيات المنافق ثلاث : اذا حدث كذب . واذا وعد اخلف ، **واذا** ائتمن خان » — 21) المتكالب على الدنيا : هو الشديد الحرص عليها — 22) البين : **الفراق**
23) الناعب : المنذر بالفراق وتشتيت الشمل —
24) الجرح العارب : البين الواضح ، والمتورم المتقيح 25) روض عاشب : كثير العشب — 26) **الشاعب :** الميت مأخوذ من الشعوب بفتح الشين ، وهو علم للمنية وهو اسم غير منصرف — 27) **الدائب :** المستمر الدائم
28) الراعب : الخائف المذعور — 29) العاذب : الذي ليس بينه وبين السماء ستر ولا حاجب .
30) القاصب : القاطع والشاتم والوقاع بالناس —
31) الناشب : العالق — 32) المتعاقب : المتوالي . 33) المتجانب : المتجافي الفظ **الغليظ القلب** . —
34) الكانب : المتليء شعبا
35) غلوتم : انتهجتم الغلواء وهي الافراط ومجاوزة الحد ومنه الغلاء ، اي الارتفاع المفرط **في الاثمنة** .

ذكرى الطفولة

للأستاذ:

المدني الحمراوي

ذكرت عهدا تقضى ... قد كنت فيه صبيا
لا يعرف الهم قلبي ... ولا اراقب شيا
وانما اللهو قصدي ... ففيه امضي مضيا
اقضي نهاري طليقا ... اجوب حيا فحيا
طورا اصارع طفلا ... الويه بالعنف ليا
وأركب العود طورا ... احكي فتى عربيا
وتارة أتلهى ... أسوف « دورا » عتبا
اخال أني علبه ... قد اقتعدت سويا
وما ركبت بحق ... سوى على قدميا
ومكتبي كنت فيه ... مثل السجين شقيا
اذا اوبت اليه ... قاسيت خوفا قويا
ولا بفر فؤادي ... حتى اروح عشيا
والعبد عندي يوم ... به اكون حفيا
اذا دنا صار قلبي ... يحيى زمانا سنيا
كانما العيد أمسى ... على الزمان عليا
فالنوم عني طريد ... والشوق بات نجيا
فان اتى فمت فجرا ... انسم عطرا ذكيا
وقد سررت سرورا ... أضفى الهناء عليا
فأوقظ القوم طرا ... مقبلا ابويا
وارتدي ثوب عيدي ... محططا بلديا
اختال فيه كأني ... قد ارتديت الثريا
ولا تسل كيف اقضي ... ذاك النهار رضيا
هي الطفولة كانت ... في العمر عهدا رخيا
العيش فيها سعيد ... فالفجر هب ندبا
كالحلم راق فولى ... وكان فبل بهيا
ليت الطفولة اضحى ... زمانها ابدبا
لكن كل عزيز ... لم يبق الا مليا

الرباط ـ المدني الحمراوي

ومـا كنت انسانا اذا انت لم تصب ولم تك ممن قد ابادوا النوائبا
انؤثر ما يفنى على كل خالد ؟ وهل ان من يطفو كمن بات راسبا ؟
الا ايها القوم السراة تنبهوا وحثوا الى نهج الصواب المراكبا
اذا لم يكن معنى الزواج سعادة فيا حبذا من قد يرى منه تائبا
لقد طلقت نفسي الخداع وعفته وعاديت من يرمي علي المثالبا (44)
ارى الشمس لا تخفى اذا هي اسرفت وما ضرها من بات للنور عائبا
يريدون ان يلقوا عليها ستائرا ولكنها لم تأو بعد المغاربا
وللزوج سلطان اذا كان حاضرا وللحب حراس اذا كان غائبا
ولكن من خان العهود فانه يهيج الماسي او يلاقي المعاطبا
فكم زوجة قد انست الله بعلها ولو كان قسيسا ، ولو كان راهبا
وكل زواج لا يكون اساسه غراما ، فقد امسى مدى الدهر خائبا
ولسنا بصيادين نرمي شباكنا الى البحر نستجدي المياه السوائبا (45)
ففي كل صوب قد نصادف صخرة وفي كل لج نستحث القواربا
ولكن نروم الصالحات لبيتنا وننشد للجيل الجديد صواحبا
وما فتيات اليوم الا وديعة ومنهن نلقى للنهوض كتائبا (46)
ففيهن ينبوع النبوغ مفجر وسل عن تواريخ البلاد النجائبا
وكم من فتاة انجبت خير مصلح فلا اذهب الرحمن عنا المناجبا
اذا ما سما روح الفتاة فانه يسير على اجيالنا متعاقبا
فلست ارى اسهى واحسن منظرا من البنت هزت للعموم حقائبا
اذا امة لم تمنح البنت حقها فكيف نرى عهد التقدم آئبا ؟
كفى بانتشار الجهل داء ومحنة يهد شعوبا او يهين عصائبا (47)
ارى الطير امسى بالجناحين طائرا واي جهاز لا يتم لوالبا ؟
فلا نرج للشعب الوديع تقدما اذا لم يكن للعلم اصبح واعبا (48)
وليست حياة المرء الا بزوجة تشق بنور المكرمات الغياهبا
ارى في ذوات الطهر حورا بجنة يعشن مع الاقران بيضا كواعبا (49)
ففيهن ما يضفي على الشعر رونقا ومنهن نحو النور اصبحت واثبا
فلا طمئنت نفسي ، ولا كنت قانعا اذا صرت من حوض الصراحة شاربا
ففي الشعر ما يحيي موات قلوبنا وبالحق نبني في الخلود مراتبا
ومن رام في الابداع فنا بدونه فقد راح بالابداع والفن لاعبا

محمد بن محمد العلمي

---

44) المثالب : بالثاء المثلثة المعايب والمثلبة : المسبقة اما المتالب بالتاء المثناة فهي المقاتل والمهالك .
45) المياه السوائب : اي الجارية والذاهبة كل مذهب .
46) الكتائب جمع كتيبة ، وهي القطعة من الجيش .
47) العصائب جمع عصابة وهي الجماعة من الرجال او الخيل او الطير
48) وعب السيء : اخذه بأجمعه ، ووسعه وتلقاه واستوفاه
49) الكواعب جمع كاعب : وهي الناهد ، اي الجارية التي نهد ثديها وانتبر واشرف ، فهي كعاب وكاعب .

الادارســـــــة :

دخل ادريس الاول الى المغرب مصحوبا بمولاه راشد وليس معهما مال ولا رجال ولم تسبقهما الـــى المغرب دعاية ولا حملة انتخابية على طريقة ذلك العهد، فآواهما بربر أوربة ، وأصبح ادريس اماما تحميـــه سيوف هؤلاء وتتبنى دعوته رجالاتهم من غير أن يحتاج الى عربي واحد يكل اليه بعض أموره ، وطالما انشـــد بعض الادارسة أشعارا عبروا فيها عن احساسهـــم بفراق موطن آبائهم وأجدادهم وبما يجدونه من الغربة في بلد لا يتحدث سكانه بلغتهم وكان ادريس الثاني أحد هؤلاء المشتكين مع أنه ولد من أم بربرية وما شهد بلاد المشرق قط .

وقد دخل ادريس الاول بحمل بطبيعة الحال فكرة انشاء خلافة او نوع من الخلافة بالمغرب ينافس خلافة المشرق . ومع ذلك ، لم يكن يتوفر على عصبية قبلية كالتي توفر عليها العباسيون . وكانت تنقصه حملـــة الدعاية المنظمة التي تطلبت عقودا من السنين بالمشرق قبل أن يستطيع هؤلاء اقرار دولتهم الجديدة . ثم كـــان يحتاج الى الاموال الوفيرة التي اغدقت على هؤلاء من مساعديهم الفرس الذين على أكتافهم قامت الدولـــة العباسية . وأخيرا فلم يكن المغرب العربي قط . نظرا لبعده ووعورة مسالكه مركز الثقل في سياسة الدولـــة الاسلامية الكبيرة . فقد كانت العراق ومصر والشام تكاد تشكل الثالوث الوحيد الذي اتجهت اليه باستمرار أطماع الطامحين والغزاة اكثر مما كان الامر بالنسبة الى المغرب .

ولم يكن في المغرب ساسة دهاة يمكنهم أن يدبروا الخطط ويحولوا بطريقة أو باخرى أنظار سكان الشرق الى امام المغرب وذلك لبعد المسافة وقلة الاحتكاك وعدم توفر أسباب النضج السياسي مثلما هو الامر بالمشرق.

ومهما يكن من شيء . فان البربر سرعان ما بدأوا يدخلون طائعين تحت نفوذ ادريس الاول الذي لم يستطع مع ذلك . أن يقهر هو او خلفاؤه . البرغواطيين الذين كانوا يحتلون أخصب مناطق المغرب غربا ويمتد نفوذهم الى سفوح الجبال الاطلسية . ويمكن أن نؤكد بكثير من الاطمئنان أن هؤلاء البرغواطيين قد استقوا كثيرا مـــن مبادىء الفرس الهدامة التي ناهضت الاسلام كالمانوية والمزدكية والزرادشتية وعلى الخصوص الزواج المشاع الذي وجدنا آثاره تتسرب الى أعماق الصحراء بدليل ما وجد عليه عبد الله بن ياسين سكان هذه الناحية .

والحق ان الادارسة قد استطاعوا أن يتوغلـــوا بنفوذهم السياسي الى أعماق جنوب المغرب بفضـــل سلطتهم الروحية التي كانت وحدها في الغالب أساسا لفرض سيطرتهم السياسية حتى عند انقسام مملكتهم باشارة رأى جدتهم كنزة ، الذي لم يكن محمودا بحال .

ونشط حاميم المتنبي وأسرته في هدم معتقـــدات الاسلام في الشمال عن طريق السحر والتنجيم الـــذي طالما برز فيه عدد من سكان غمارة التي تنتمي اليهـــا هذه الاسرة ولم يقم الادارسة بأي جهد يذكر في اقرار الاسلام الصحيح بهذه المنطقة التي ضعف فيها قبل هذا الوقت نفوذ بني صالح .

وعلى الرغم من قدوم فوج من الاندلسيين في عهد ادريس الثاني الذي استعان ببعض عناصرهم في الحكم والادارة فان اثرهم ضئيل جدا في الميدان العلمـــي اذا قيس بالمدة الطويلة التي قضوها في الحكم ، ونستطيع ان نؤكد أن جهود خوارج سجلماسة والبرغواطيين في تلقي الثقافة العربية ونشرها كانت أنشط واثمر مـــن جهود الدولة المركزية بقطع النظر عن المعتقدات التي يعتنقها كل جانب . أما النشاط الديني والعسكري فان الادارسة لم يتوقفوا عنه الى آخر رمق من حياة دولتهم على أن من أعجب الحقائق أن يكون نفوذ الادارسة في اشاعة روح العروبة في النواحي الصحراوية أقوى منها في منطقة سوس التي تكاد اللهجة البربرية تتغلغل في كل جنباتها حتى الآن . ولا ينفي هذا أن السوسيين قد تقبلوا الاسلام برحابة صدر وأبدوا شديد عطفهم علـــى الادارسة . حتى لقد وجد البكري أهل تارودانت على مذهب الشيعة ، وهو بطبيعة الحال مذهب الادارسة كما هو مذهب الفاطميين .

وعلى ذكر منطقة السوس نجد أنفسنا أمـــام ظاهرة مدهشة من الوجهة الاجتماعية والجغرافية ففي سهول سوس تستقر عناصر من قبيلة هوارة التي تعد من أضخم قبائل الشمال الافريقي عددا وأكثرها انتشارا وهذه العناصر عربية اللهجة ومعظمها يجهل تماما اللهجة السوسية حتى الآن . فكيف تعربت واحتفظت باللهجة العربية وسط مجتمع بربري كليا ؟ مع العلم بان البربر هناك قد بقيت فئة كبيرة منهم تستقر هي أيضا بالسهول المجاورة دون ان يؤثر فيها التعريب بشيء ؟ والجوار وتبادل المنفعة والمصالح مما يحمل على تلاقح اللهجات

لقد امتزجت عناصر من هوارة بعناصر من القبائل العربية التي حلت بافريقية أيام الصنهاجيين حتى تغلب التأثير العربي هناك بين هذه العناصر التي حلـــت

البربر عربوا المغرب

للاستاذ : ابراهيم حركات

من اغرب مفارقات التاريخ أن تعريب المغرب ولا توحيده السياسي فى القديم لم يتم على يد العنصر العربي قط ، على الرغم من أن هذا العنصر حمل شعلة الاسلام الاولى الى هذه الارض التي شهدت صراعا مريرا ضد شره بعض الولاة الذين قدموا بنية الاسترقاق والاستغلال أكثر مما قدموا لتبليغ رسالة الاسلام المقدسة .

واغرب من هذا أن نشر الاسلام بالمغرب وتوطيده لم يتم أيضا على يد الفاتحين العرب خلافا لما يتوهمه الكثير دون تمحيص لحقائق التاريخ أو تأمل فى سير أحداثه .

بيد أنه ليس من المنطق أن تفسر هذه الفكرة بأنها ظلم لحق العنصر العربى فى أن يعترف له بالجميل الذي هو أهله ، بل على العكس من ذلك ، فلولا التدخل المباشر لهذا الجانب لما فكر البربر فى أن يؤدوا رسالتهم فى نشر الاسلام بالمغرب وتوحيده وتعريبه .

فقد فتح العرب القادمون فى عهد الامويين عيون البربر فى الشمال الافريقي كله على أشياء كثيرة كانوا يجهلونها حتى ذلك الوقت وعلى الخصوص فى الميدان الديني الذي نشط فيه العرب مباشرة خلال استقرارهم وفتوحاتهم .

وقد اجمع المؤرخون الباحثون قاطبة بما فيهم أشد دعاة التفرقة من الاجانب على وجود انماط كثيرة من الحياة الاجتماعية يتفق فيها العنصران اتفاقا تاما بقطع النظر عن مختلف وجهات النظر حول أصل العنصر البربري .

وعلى الرغم من ان عددا من الولاة الامويين كعقبة وموسى بن نصير قد استطاعوا أن يتوغلوا فى فتوحهم بالمغرب دون ان يلاقوا فى الغالب مقاومة عنيفة فان جهودهم فى اقرار الامن لم تكن تكلل دائما بالنجاح . وهكذا فان البربر قد وجدوا فى أفكار المذاهب الخارجية التي تسربت الى المغرب عن طريق الجند انفسهم ما برغبهم بحق فى اعتناق الاسلام الذى يفسح صدره لمختلف الانجاهات والنزعات المتحررة التي تتفق مع مبادئه . ولم تكد الدولة الاموية تلفظ أنفاسها حتى كان الخوارج من البربر يؤسسون دويلات فى الشمال والغرب ومنطقة سجلماسة .

ولم يستطع العباسيون أن يثبتوا أقدامهم قط بالمغرب ولا حتى فى معظم المغرب الاوسط . وهكذا بقي البربر سادة البلاد وكان لهم معظم الفضل فى افتتاح الاندلس التي اربط مصيرها منذئذ بالمغرب لمدة ثمانية قرون كانت فيها سلطته على الاندلس مبسوطة لفترات تفوق المدة التي خضع هو فيها لحكم الاندلس .

وفى هذه المدة الطويلة التى سبقت نشأة الدولة الادريسية لم يكن العنصر العربي شيئا يذكر من حيث تاثيره فى تعريب السكان لقلة عدده . غير أن بني صالح قاموا بجهد مشكور فى منطقة غمارة على الرغم من الحركات الانفصالية التي طالما ظهرت بوادرها الخطيره فى هذه الناحية لاسباب بعضها يعود الى اصول دينية عميقة ومن أجل ذلك ساهم بنو صالح فى نشر العربية والعقائد الاسلامية هناك بقدر ما سمحت لهم ظروفهم السياسية .

الجيولوجية على انها نعمت بخصب عظيم عز ان يكون له مثيل فى التاريخ القديم ، وقد بقي اثر هذا الخصب بارز المعالم مدة طويلة ابان القرون الوسطى فيما نرجح، بدليل أن عمالة وادي درعة كانت احدى العمالات الرئيسية التي لا يولى عليها الا كبار أمراء الدول التي تعاقبت على المغرب وان هدف الفاتحين كان لا يتوقف الا عندها بل ولا ينطلق زحفهم الاول الا نحوها .

ولا يزال الاثر الغابوي مع هذا واضحا فى عدد من جهات الصحراء بما فى ذلك طرفاية التي اخذت اسمها من « الطرفاء » وهي نوع من الشجر الغابوي الذي كان يغطي فيما مضى هذه المنطقة الشاسعة . فالعامل الاقتصادي كان ضمن العوامل الثانوية التي حددت بالمرابطين الى زحفهم نحو الشمال ، وكان العامل الديني اساسا أول لهذا الانطلاق .

ولقد مات عبد الله بن ياسين وهو فى جهاد برغواطة . وما كاد يوسف بن تاشفين يتابع مهمة سلفه وابن عمه أبي بكر بن عمر فى الزعامة السياسية والروحية للمرابطين حتى اتخذ من مدينة مراكش التي بناها هو عاصمة له . وكان يوسف لا يحسن اللغة العربية ، ولكنه لم يفكر ابدا فى أن يتخذ من البربرية لغة الادارة . فكل مراسلاته الادارية أو معظمها باللغة العربية . وقبل ان يفكر يوسف فى ضم الاندلس تحت الحاح سكانها انفسهم كان يستعين فى شؤون الادارة بموظفين عرب ، وقد نجح يوسف نجاحا كليا فيما لم يوفق اليه ملك ولا دولة قبله بالمغرب ، الا وهو توحيد المغرب سياسيا واخضاعه جميعا لحكم الدولة ، بما فى ذلك الشمال والمنطقة البرغواطية الشاسعة التى ظلت قرونا خاضعة لسلطة سكان محليين .

وقد فتح المرابطون صدرهم للعروبة بكل معنى الكلمة ، فباستثناء الولاة الاقليميين الذين كان نفوذهم اداريا سياسيا ، نجد موظفين عربا يشغلون مراكز مختلفة من قضاء وكتابة وقيادة جيوش بل ان اغلب مراكز القضاء شغلها عرب .

وشملت حركة التعريب مختلف مظاهر السيادة كالسكة والزي الذي كان أسود اقتداء بالدولة العباسية التي دان لها المرابطون بالولاء طيلة حكمهم . كذلك بدأ الفن الاندلسي العربي يأخذ طريقه الى القصور والمساجد التي حطمها كلها أو معظمها الموحدون فيما بعد .

ولا فائدة فى سرد أسماء العلماء والادباء الذين ازدان بهم هذا العهد . ومن الطبيعي أن يحقد بعض سكان الاندلس ورجالاتها على المرابطين ويبغضوا سلطتهم على الاندلس رغم ما خصهم به المرابطون من عطف وما ولوهم من مناصب .

ويجب أن نستمد مرة اخرى هذه الظاهرة من جذور التاريخ . فمعظم العرب الذين قدموا الى الاندلس من الشام أصلا ، واهل الشام كانوا مواليين للدولة الاموية طيلة حكمها ، والامويون أساءوا السيرة فى البربر غالبا ، وعندما فتحت الاندلس حملوا معهم نعرة العصبية فخصوا البربر بالجهات التي لا تكاد تغل شيئا ونعموا هم بأخصب الاراضى على الرغم من أن الاندلس فتحت بسيوف البربر وتدبير العرب . وكذلك انزرع الشقاق بين العرب والبربر فى الاندلس منذ ذلك الحين وبقي العرب ينظرون الى اخوانهم البربر نظرة عداء فيها مزيج من مركب النقص والاستعلاء ، فكما فتحت البلاد بسيوف البربر انقذت من شر محقق على يد البربر فى شخص المرابطين ، وهذا فضلا عما كان يلتزمه هؤلاء من الجدية والنظر الى الحياة العامة بغير منظار الاندلسيين .

وقد اغترف أمراء المرابطين كتميم بن يوسف واسرة ابن الحاج وعلى بن يوسف من معين العربية بأوفر حظ وكانت مجالسهم العلمية والادبية مضرب الامثال وموضوع روايات كثيرة تضمنتها كتب كالذخيرة والقلائد.

حقا ان نشر العلم لم يأخذ طريقا واسعا بالمغرب حتى هذا العهد . فالمدارس التي كان يمكن أن تأوي الطلبة الداخليين لم تؤسس بعد وهي أكبر مشجع لاجتذاب أكبر عدد ممكن من الطلاب على تلقي العلم فى ربوعه الخاصة ، ولكن حركة تنقل الطلاب والعلماء بين الاندلس والمغرب والقيروان قد شقت طريقا واسعا لصالح اللغة العربية بالمغرب .

وما كادت دولة المرابطين تدخل فى ذمة التاريخ حتى كانت قد خلفت رجالات من ذوي العلم لا يزال اسمهم يجلجل فى جنبات المعاهد الاسلامية وحتى الغربية الى يومنا هذا ، وناهيك بشخصية الادريسي الذي يشكل نشاطه العلمي الجبار جزءا من تاريخ الفكر الايطالي والاسلامي على السواء ، وكذلك شخصية عياض السبتي الذي جمع من أبواب العلم ما عز أن يجتمع لغيره .

مجموعات منها بالمغرب ابان الموحدين والمرينيين ونعتقد ان العناصر الهوارية المستقرة بسوس من سلالة هذه المجموعات الافريقية الاصل . وقد أكد ابن خلدون بهذا الصدد أن هوارة بافريقية كانوا يردون نسبهم هم أيضا الى حمير ، شأن صنهاجة . وقد ألقيت بنفسي أسئلة على عدد من سكان هذه المنطقة فى عين المكان حول ما اذا كانوا يعدون انفسهم عربا أو بربرا فأجمعوا على انهم ينتمون الى الجنس العربي من غير ان يستطيع أحدهم احتجاجا لذلك ، وكان استغرابى عظيما عندما طلبت جماعة قروية من بينهم استبدال اسم مدرسة بربري بآخر عربي عندما كانت لي هناك مسؤولية الاشراف على التعليم ، وترددت شهورا قبل الموافقة لنفضي كل مظاهر العنصرية .

فهذه المنطقة والحالة هذه ، لم تعرب على يد الادارسة ، ما لم يثبت بحجة تاريخية جديدة عكس ذلك.

لقد ظل المغرب الى نهاية عهد الادارسة ، بل والى قيام دولة المرابطين بربريا فى سكانه وعاداته ولهجته ، واذا بالغنا فى تقدير عدد العرب المتخلفين من عهد الفتح الاسلامي ومن انضاف اليهم من عرب الاندلس فلن نحصل على اكثر من بضعة آلاف على أكبر تقدير لم يؤثر توزيعهم تأثيرا يذكر فى المجتمع المغربى من حيث تعريبه . ولكن لابد من ملاحظة ان لغة الدولة أو لغة الحكام على الاصح سواء فى الحكومة المركزية أو او فى الجهات المستقلة كانت عربية ، ولا نعرف بالضبط مقام اللهجات البربرية فى شؤون الادارة ، ولو اننا نعلم أن البربرية اتخذت لغة تعليم فى بعض المناطق المنفصلة الى جانب العربية كما حدث فى منطقة تامسنا التي فرض البرغواطيون على سكانها قرآنا مكتوبا بالبربرية.

المرابطون :

على الرغم من المحاولات التي ابداها كل من المروانيين والفاطميين فى اخضاع مجموع المغرب أو بعضه لسلطتهم ، فقد كان اعتمادهم فى الغالب على تأييد البطون الثلاثة القوية من زناتة وهي مغراوة ويفرن ومكناسة ، ولم يستطع المروانيون ولا الفاطميون اخضاع مجموع المغرب قط ، ولا الاعتماد كليا على قواتهم العسكرية الخاصة ، وكيفما كان الحال ، فان المحاولات التلقائية التي أبداها على الخصوص كل من مغراوة وبني يفرن فى الاستقلال بملك المغرب لم يستفد المغرب من ورائها كثيرا وظلت حركة التعريب الى هذا العهد الطويل الذي أربى على القرن تنحصر فى الميدان الفكري على الخصوص وفى نطاق ضيق ، ويمكن أن نقول ان فاس العاصمة الرئيسية ظل معظم سكانها بربرا .

ولقد خلف الادارسة والزناتيون قبل انهيار حكمهم مذاهب مختلفة بالمغرب كالشيعة والمالكية والبرغواطية ولم يكن هناك مذهب ديني واحد يجمع شمل السكان ولا حكم منظم يعمل على نشر الحضارة والعمران ويبلغ رسالة الاسلام الحق الى كل جزء من أجزاء البلاد .

وظهر على مسرح الاحداث فى أوساط لمتونة حوالى سنة 430 ، شخص معروف هو عبد الله بن ياسين الجزولي الذي دخل الى الصحراء بناء على ترشيح أستاذه وكاك بن زلو الذي هو أيضا بربري من الجنوب ، وليس من الفائدة اعادة حكاية الظروف التي انتقل فيها ابن ياسين الى أوساط لمتونة ، فالمهم أن هذه الشخصية العظيمة عملت على لم شتات صنهاجة الجنوب قاطبة فى زمن وجيز ، وتمكنت بالاقناع تارة وبالقوة تارة أخرى من حمل صنهاجة على اعتناق مبادىء الاسلام الصحيحة وباقرار مذهب مالك بالذات وهو المذهب الذي كانت المحاولات الفردية من طرف بعض العلماء قد عملت على تبني الدولة له بفاس فى أواسط القرن الرابع .

وقد وجه المرابطون اهتمامهم أولا الى ناحيتي سجلماسة وناحية درعة ، وكان ذلك بايعاز من وكاك ابن زلو الذي استقر زمنا بسجلماسة . وكان فيما يظن لحد الساعة اول من أسس مدرسة خاصة للتعليم ونشر اللغة العربية . ولم تنشأ هذه المدرسة بالشمال ولا فى فاس التي كانت محط انظار العرب بل شيدت بأكلو فى أعماق السوس وبين الاوساط البربرية الموغلة فى القدم.

ان عبد الله بن ياسين لم يحمله أحد أو يوح اليه بتبني المذهب المالكي ، فقد درس عدة سنوات بقرطبة ، مثلما درس بسوس ، فجمع بين التفكير البربري الموضوعي وبين الثقافة العربية التي تستمد قوتها من اشراق السماء وعبقرية الاسلام .

ولم يكن العامل الاقتصادي أساسا فى زحف المرابطين نحو الشمال ، فالصحراء التي كانوا يعمرونها لم تكن موحشة أو جدباء على ما هي عليه اليوم، ووادي درعة لم تكن الخصوبة تستقر على بعض ضفافه المجاورة كما هو الشأن اليوم ، فعلى بعد بضع عشرة كيلو مترات من طاطا الحالية التي لا تكاد تصل اليها قدم انسان اليوم غير سكانها تدل كل الظواهر الجغرافية

ويجب أن لا ننسى أن البربر لم يتخلوا عن نشاطهم الزراعي الممتاز الذين استمدوا وسائله الاصيلة من الرومان المستعمرين السابقين . وفى هذه الفترة بالذات وبعدها ببضعة قرون أخرى ظلت حياة الترحل أكبر مظهر للنشاط الاجتماعي بين قبائل العرب المهاجرة من افريقية .

لقد استمرت لغة الادارة هى العربية ، واستخدمت البربرية فى ظروف محدودة اقتضتها المصلحة السياسية، مثلما فعل المهدي بن تومرت فى تلقين المصامدة عقائد التوحيد . ويمكننا أن نقول ان اللهجة المغربية الدارجة بدأت تكون نواتها فى هذه الفترة متأثرة بلهجات الاندلس أي انها بدأت تتبلور بعض الشيء تاركة للقرون المقبلة مهمة تمتينها وتركيزها عن طريق الاخذ والعطاء والتفاعل مع اللهجات البربرية والاندلسية وبعض اللغات الاجنبية فضلا عن الفصحى .

لم يكن هنالك برنامج للتعريب ولا سيطرة سياسية للغة أو لهجة . فمن المؤكد أن العربية دخلت الى جميع الاقطار الاسلامية من غير استثناء على أنها اللغة التي نزل بها الوحي والقرآن ولقن بها الرسول وصحابته تعاليم الاسلام . وبهذا المنظار نظر المسلمون الاولون الى اللغة العربية وبهذا المنظار يجب أن ينظر كل مسلم الى هذه اللغة .

حتى اذا بدأت دولة الموحدين تقترب من نهايتها المحتومة ، كانت قبائل العرب تحيط بتراب المغرب احاطة السوار بالمعصم ، فهي موزعة بين أطرافه موغل بعضها فى صحرائه .

ولقد قام الموحدون مع هذا بجهد علمي ضخم فى اطار الثقافة العربية التي نهل ملوكهم من معينها شأن بعض أسلافهم المرابطين وخلفائهم المرينيين .

وعنى الموحدون بالعلوم التطبيقية شأن عنايتهم بالعلوم العقلية والنقلية ، ورحبوا بمقدم العلماء والادباء القادمين من الاندلس الذين ساهموا بجهد عظيم فى نشر الثقافة العربية بالمغرب ، مثلما قدر لكثير من علماء المغرب وأدبائه أن يقوموا به فى الاندلس والمشرق .

المرينيـــون :

لم تبد دولة قبل المرينيين ما أبداه هؤلاء من التسامح والترفع عن العصبية فى مختلف أشكالها فقد أدى اعتمادهم على بعض العناصر اليهودية فى الحكم والادارة الى استياء الشعب حتى لقد قتل آخر ملوكهم لهذا السبب كما اعتمدوا على اللفيف الاجنبي المسيحي ووكلوا اليه حمايتهم الشخصية خصوصا أيام انحطاط دولتهم ، وكان للقوة المسيحية يد طولى فى خلع وتنصيب عدد من ملوك هذه الدولة . وكانت مجالسهم السياسية ومؤسساتهم الادارية تجمع عناصر كثيرة فيها اليهودي والمسلم . كما فيها البربري والعربي والمسيحي .

لقد ظلت روح البداوة وكذا اللهجة البربرية تسود معظم جهات المحيط الاطلسي الذي لم تكن تشكل فيه أفواج القبائل العربية الا نسبة أبعد ما تكون عن نسبة السكان الاصليين . ففي جولة دراسية وتفسحية قام بها ابن الخطيب الاندلسي لاحظ أن سلا تجمع بين البداوة والحضارة كما لاحظ أن سكان أزمور (الساحلية) بربريو اللسان . ولكن الزمن وحده مكن من تعريب المناطق الاطلسية كما تقدم .

ولقد ظل الاندلسيون يتواردون على المغرب فى هذه الفترة فى اعداد قليلة اذ فضل معظمهم البقاء فى الاندلس بأي ثمن حتى النهاية . وهكذا فقد استقرت عناصر السكان بالمغرب على ما كانت عليه تقريبا فى العهد السابق .

ويجمع بين المرينيين بل والزيانيين بوجه عام ، وبين العنصر العربي وجوه شبه كثيرة سواء من حيث طرائق القتال والفروسية أو من حيث استعمال الخيام فى السكنى أو حياة الترحل التي عرفتها حتى ذلك الوقت مجموعات مختلفة منهم ، وهكذا فبالرغم من المشكل الاقتصادي الذي وضعه مقام القبائل العربية لم تحدث أية مشكلة سياسية من أجل ذلك ، مع العلم بأن الخزينة المغربية قد تدفقت عليها أموال عظيمة خلال المدة التي ظهر فيها ملوك أكفاء كأبي الحسن وأبي عنان .

وهذا هو العهد الذي بدأ التعليم يصبح فيه شعبيا بمعنى الكلمة . فبعد أن ظهرت المدارس الاولى فى عهد المرابطين ثم الموحدين . انطلق المرينيون ينشرون اللغة العربية وعلومها فى عدة مدن حتى الصغيرة منها ، وقاموا بنفس العمل فى المغرب الاوسط وحتى فى افريقية . **وفى هذا الوقت الذي كانت اللغة العربيه فى الادارة قد بدأت تنحط فى المشرق الى درجة الاسفاف كان المغرب الاقصى يقدم نماذج تفوق الحصر ، من الاسلوب العربي الجميل الذي اذا شانه احيانا الزخرف اللفظي فهو أبعد ما يكون عن العامية التي سادت لغة الادارة فى عدة جهات من المشرق.** كذلك واصل المرينيون الاهتمام بتنشيط الحركة الفكرية العربيه فى مختلف مظاهرها ، فمن بناء المدارس وتجهيز طلبتها وأساتذتها

الموحـــدون :

لقد كانت اول خطوة سلكها الموحدون فى الميدان السياسي بعد وفاة ابن تومرت . هي اعلان الخلافة والتصريح بانتماء عبد المومن الى الجنس العربي عن طريق قيس غيلان . وحقا لقد نجحت هذه الخطة في اقناع سكان المغرب العربي قاطبة بأحقية الموحدين فى اقرار الخلافة . وكان التدخل العسكرى المباشر ، هو ايضا الوسيلة التى تحمل السكان عاجلا على الدخول طوعا او كرها فى فلك هذه الدولة الجديده .

وبظهور الموحدين على مسرح الاحداث ، نفتح صفحة جديدة في التاريخ الاسلامي الذي يشغل فيه مذهب ابن تومرت ونشاط الموحدين فى اقراره مكانا بارزا . ولكن هذا ليس هو المهم هنا . فالذى يلفت النظر هو أن بني غانية الصنهاجيين قد قاموا بنشاط عسكرى عجيب حاولوا من ورائه مواصلة قيام دولة المرابطين فى المغربين الاوسط والادنى بعد ان أصبح الموحدون سادة المغرب الاقصى من غير منازع . وفى افريقية استطاعوا أن يستميلوا القسم الاكبر من قبائل العرب التى استقرت هناك قبل قرن تقريبا فى ظروف معروفة مما دعا عبد المؤمن الى أن يتعقب الطرفين معا حتى أعماق الصحراء وتوغل شرقا فى ليبيا . وما كاد أبو يعقوب يتولى الحكم حتى وجه همه الى اقرار الامن بافريقية . وقبل بضع سنوات من وفاته نفى عرب رياح الى مراكش لانهم ساعدوا بعض الصنهاجيين على الثورة فى هذه البلاد . ولما تولى المنصور تابع صراعه ضد بنى غانية الذين ظلت قبائل بني هلال تمالئهم وتناصرهم بحد السيف . وقد تمكن من اقصاء بني غانية عن افريقية والحد من ثورة بني هلال الذين عمل على ترحيل القسم الاكبر منهم الى المغرب الاقصى حيث بث فروعهم فى سهول المغرب الغربية على الخصوص . كما نقل معهم بنى سليم وبنى معقل . وهؤلاء الاخيرون انتوا فى الصحراء وعربوا قسما عظيما منها حيث انصهر فيهم العنصر البربرى من جهة . كما انتصر لسانهم العربي فى تلك الاصقاع من جهة أخرى . وهكذا تابع هؤلاء العرب البدو ، مهمة الادارسة الذين كان لهم فضل القيام بحملة التعريب الاولية .

وفى النواحي الاطلسية التى استقر فيها البدو ، اصبحت اللغة العربية والعادات الخاصة بالعرب تسيطر وحدها على حياة السكان فى أغلب الجهات المذكورة . وانصهرت كليا فى بوتقة العروبة بعض القبائل البربرية كدكالة الموغلة فى القدم وهسكورة فى معظمها . وتطاب هذا بالطبع ، لا عقودا من السنين فحسب ، بل قرونا قبل أن يتم هذا الانصهار ، ذلك ان آلافا عديدة من زناتة وهوارة قد استقرت هي ايضا بتامسنا فى العهد المريني حتى تكاثر سكان هذه المنطقة التى أصبحت تلعب دورا بالغ الاهمية فى تاريخ المغرب .

لقد عمل الموحدون بنقلهم لقبائل العرب على تعريب المغرب اجتماعيا بشكل يفوق فى أهميته كل الجهود المبذولة من قبل . وفى مقابل ذلك . لعبت هذه القبائل دورا خطيرا فى تحطيم اقتصاد المغرب وتناقص عمرانه ، فضلا عن أن قسما لا يستهان به من السكان قد انحازوا الى المناطق الجبلية وسفوح الجبال. وانكمش كل من الفريقين بشكل تلقائي حيث هو مع تقادم الزمن . لقد اخطأ الموحدون فى طريقة توزيع هذه القبائل التي لم تكن المناطق التى احتلوها معدة اقتصاديا ولا حتى اداريا لتقبل جحافلهم . كذلك كان خطأ الموحدين الاكبر انهم اعطوا لهذه القبائل استقلالا ذاتيا تركت فيه لشيوخهم كامل السلطة عليهم . وكيفما كان الحال ، فان انصهار العنصرين فى هذه المناطق الشاسعة هو فى حد ذاته نعمة اجتماعية ذات قيمة .

لم يقم بدو العرب مدنا ولا حصونا ولا أى مظهر حقيقى من مظاهر الحضارة الفنية والعلمية فمنذ أن استقر أسلافهم بمصر عوملوا على أساس انهم أعراب. فعزلوا عن المجتمع الحضارى ، وبوبعت هذه السياسة المشينة حيالهم بافريقية ثم رحلوا الى المغرب على هذا الاساس ايضا .

ويتجلى الفرق عظيما بين الاثر العربى الحضارى الذى خلفه القادمون من الاندلس الذين استقروا بفاس مثلا . وبين أثر هؤلاء البدو الذين حرموا نعمة التعليم والاحتكاك بالمجتمعات الراقية . وبالتالي العدالة الاجتماعية .

على أن هذه القبائل سيقدر لها أن تقوم بدور نبيل سواء فى حروب المسلمين بالاندلس او بالشواطىء المغربية التى تسلط عليها الغزاة من اسبانيا والبرتغال منذ أواخر العهد المريني . كما ستنشط بعض مجموعاتها فى الميدان العلمي خلال فترة متأخرة من تاريخ المغرب .

واثر هزيمة « العقاب » ، تساقطت على التوالي مدن وحصون أندلسية عديدة كقرطبة وبلنسية وجيان وبرشلونة ، وانتقل عدد من سكانها المسلمين الى المغرب ، وبذلك بدأت تتقوى العناصر العربية المتحضرة التي تساهم عمليا فى ترقية الحالة الاجتماعية المدنية .

ابن الخطيب السلماني

في حياته سياسيا وأديبا

للأستاذ: عبدالله الجراري

من سنن الطبيعة ومألوف التاريخ ان نرى بين الفترة والاخرى تليها رجالا وابطالا ينشئون في كل صقع من اصقاع البلاد تكون اشد ما تكون حاجة الى وجودهم بين ظهرانيها لصيانة مجدها ، وحفظ سيادتها والذود عن كرامتها ، حيث تسعد الامة بمواهبهم ، وتصول الدولة في نفس الوقت بتجاربهم ، وما توفروا عليه من معارف في شتى المناحي العلمية والثقافية والسياسية . حتى اذا خالطوا ميدانها كانوا في مقدمة المديرين للدوالب ، المسيرين للمصالح بلباقة وحكمة يذللون الصعاب ويحلون المشاكل ، فتسير الدولة على ضوء ما يخطونه لها من برامج وقوانين تكون بالطبع هدفا اسمى لحكومتها الصالحة التي تعنى بالخلق والانشاء والنهوض بشعوبها ماديا ومعنويا ، اذ على كواهلهم يبنى صرح المستقبل وعلى سواعدهم يرفع المستوى وتعتز البلاد وتسير الشؤون في انسجام يحدوها مقباس التنافس المتركز في نفوس الشعوب والامم التي لا نجدها تقتنع بالنزر من المعارف والثقافات ، بل تخطو خطوات واسعة المدى . غير واقفة عند حد يرجعها عن طموحها البعيد نحو السعادة ، وذلك ما يجعلها تضرب بأسهام وافرة في شتى الفنون والمعارف ، ضاربة ارقاما قياسية في مسرح الحياة التي لا بدع ان يكون ما تقدم كمقدمات لمشاهدة هذه الادوار الملموسة .

فاذا ما تلمسنا حركات الاسلام الاولى والعجلات التي على سرعتها سار نجد في سائر الدول انها على صفوة من ابنائها تركزت وبمشعلها استنارت واهتدت .

فهذه الدولة الادريسية الفاتحة نعلم تاريخيا ان لراشد مولى ادريس الاكبر اليد الطولى في رفع منارها الجديد على ربوع القطر المغربي الجميل ، بما توفر عليه من حنكة وحكمة كان « ابن الرسول » يعتمدها في كل حركاته البنائية سياسيا واجتماعيا في الوسط المغربي الفتي حتى تكونت الدولة واسفر الاسلام بوجودها في هذه الديار استقرارها النهائي .

وهذه دولة لمتونة القوية التي كان يمثل دور بطولتها في العدوتين — المغرب والاندلس — اسد الاطلس ومغواره يوسف بن تاشفين ، اذا درسناها نجد هذا الاسد رغم صرامته وبداوته التي قد لا تخلو من جفوة ينفعل في اطمئنان الى الكاتب القدير ابي بكر بن القصيرة في تسيير ديوانه والقيام بادارة الشؤون داخلا وخارجا .

اما في الدولة السلفية الموحدية فقد اتسع البساط ، وامتد صدر البلاط ، وكثر الكتاب والادباء من ابناء العدويين ما شئت من وزراء وكتاب وفلاسفة شاركوا في دعم صرح الدولة وبناء حضارتها على اساس متين يضمن للشعب التقدم والرفاهية كابن عطية المراكشي ايام عبد المومن ابن علي الذي كتب قبل لعلي وابنه تاشفين في دولة المرابطين وابي الفضل بن محشرة وابي عبد الله ابن عياش في دولة يعقوب بن يوسف واما في دولة بني مرين — دولة الفن والرقة التي عد عصرها ازهى عصور المغرب فكان رئيس قلم الكتاب فيها عند ابي الحسن — الكاتب ابو القاسم بن رضوان في بيت الادب الذي اضاف الى سعته الادبية خبرته الواسعة بالسياسة واساليبها حتى وضع في ذلك مؤلفا احتوى اربعين بابا جمع فيه محاسن ابي سعيد ومحاسن ولده وما كان لهما في ادارة الدولة من ايادي سابغة وتقدم حميد .

بالمنح والجرايات الواسعة الى انشاء الخزائن والتنافس فى اقتنائها ، ومن انتداب رجال العلم من الاندلس والقيروان وتلمسان لتدريس الى تشجيع الادباء والشعراء بالصلات والعطايا الجزيلة .

وفى هذا العهد بالذات لمع اسم القرويين بشكل ما عرف التاريخ له من قبل مثيلا ، كذلك لم تعرف القرويين بعد هذا العهد نشاطا علميا واسعا تعززه الاوقاف العديدة والجرايات الواسعة على قدر ما كان فى العصر المريني .

وهكذا دخلت العروبة حينئذ من أنبل منابعها وشملت آلافا من الطلاب الذين توزعتهم فروع التخصص كما لقح الكثيرون منهم ثقافتهم بثقافة الشرق العربي عن طريق الرحلة أو دراسة المؤلفات الواردة من تلكم الديار .

ويسجل التاريخ لصالح هذه الفترة اسم أشهر رواد الفكر الانساني ظهر حتى الان وهو ابن خلدون الذي تلقى معظم ثقافته العربية على علماء مغاربة ، واشهر رحالة وهو ابن بطوطة ، واحد ابرز الشخصيات الرياضية فى التاريخ العالمي وهو ابن البناء .

لم يكتف المرينيون بهذا فحسب ، فهم الى ذلك ، قد نقلوا الفن العربي الاصيل من الاندلس فى البناء والموسيقى والصناعات التي نسميها تقليدية ، وبذلك خدموا تاريخ الانسانية كله ، فقد حفظوا تراث بلد كان يمكن ان يجهل عنه الغرب والشرق كل شيء ، وكان من السهل أن يغمط حق الاندلس فى تاريخ الفكر والفن لولا هذا الاستمرار الذكي فى حفظ ذلكم التراث .

خاتمـــــــة :

حقا لقد استفاد العنصر العربي نفسه من مجموع هذه الجهود المتوالية أكثر مما قد يكون البربر قد استفادوه اذا راعينا نسبة السكان من كلا الفريقين واسماء رجال الفكر منهما ، ولم يكن ذلك بطبيعة الحال لاختلاف العقلية أو لقابلية فى التحضر لدى العرب أكثر منها لدى البربر ، بل لان اللهجة أو اللهجات البربرية ظلت عائقا لدى الكثيرين ممن لهم رغبة فى الثقافة العربية . ولكن التاريخ يسجل بعد هذه الحقبة وابتداء من العهد السعدي خاصة ظهور نشاط علمي عظيم فى العلوم الرياضية والدينية بناحية سوس وكذا بدكالة (فى العلوم الدينية) حيث حظيت حركة التعريب هذه المرة لا بتبني الحاكمين ولكن برعاية الاسر نفسها وقد أصبح أفرادها يتوارثون العلم ابا عن جد . على أن السعديين والعلويين قد قاموا هم أيضا بجهد ضخم فى عملية التعريب شمل توطين آلاف القادمين من عرب الاندلس فى آخر هجرة لهم وبناء مزيد من المعاهد واشراك العنصر العربي والبربري معا فى الحكم والادارة فضلا عن نشر الثقافة العربية بمختلف الوسائل .

الرباط : ابراهيم حركات

الحنين لاول منزل

كم منزل فى الارض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لاول منزل

أبو تمام

ومـن كان يفـرح منهـم لـه
فقد يفـرح اليـوم من لا يمـوت

ذلك بعدما اشتوروا فى قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه « واراها مدسوسة » فافتى بعض الفقهاء فيه ــ ودس سليمان بن داود لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاوء فى لفيف الخدم من سفراء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقا فى محبسه واخرج شلوه من الغد فدفن بمقبرة باب المحروق من فاس ، ثم اصبح من الغد على شافة قبره طريحا ، وقد جمعت له اعواد واضرمت عليه نارا ، فاحترق شعره ، واسودت بشرته ، فاعيد الى حفرته ، وكان فى ذلك انتهاء محنته ، وعجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان . فكانت من هناته ومساوئه ، وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه واهل دولته .

وكل هذه الماجريات النكراء نوقعها المترجم شأن المفكرين ان يروا بعين الحقيقة والمستقبل بصيرهم فى الحياة من وراء سجف الغيب حتى قال شاعرهم :

يمثل ذو اللب فى عقله
مصائب من قبل ان تنزلا
وان هي قد نزلت لم تر ع
ـه لما كان من قبل قد مثلا

وبهذه الفعلة الشنعاء حمل لقب ذي الميتتين ، كما كان يحمل لقب ذى العمرين لتدبير المملكة فى نهاره واشتغاله بالتصنيف فى ليله .

وان دل على شيء فانما يدل بوضوح على ان الرجل كانت له يد فى الفلسفة وعلومها . وذلك ما كان مندا ساعده على تسيير وظيفه الخطير فى المملكة ورغم اشتغاله بالسياسة لم يكن ذلك بحجبه عن القيام برسالته الثقافية العامة فيكتب ويؤلف ، ويخدم المعرفة خدمة نفسه او اكثر ، اذ كان ليله نهارا لا ريب فيه يستجمع فيه فكره ، ويندفع لاستيحاء يراعيه السيال ، فيكتب من ابواب العلم وفصول الثقافة ما حفظه التاريخ ، وخلده الدهر مداد الفخار والاكبار ، من ذلك كتابه « الاحاطة فى اخبار غرناطة » فى المخطوطات النادرة التي تتشوف اليها معلمة المغرب المبعثرة هنا وهناك وقد اختصره ابو جعفر البقني فى ستة اجزاء ، ومن هذا الاختصار طبع جزء الاحاطة « وقد ذكره صاحب الذيل » وكانت هذه النسخة تامة بخزانة احمد الذهبي ، ثم فى خزانة ولده زيدان كتب عليها «ملك عبد الله زيدان وغبر عليها بالتبر » والخزانة هذه القت بها الاقدار الى الديار الاسبانية فان القنصل الفرنسي ــ كاستيلا ــ غدر وهربها الى فرنسا ، بيد انها في اثناء الطريق جرت عليها قرصان الاسبان واخذوها الى « الاسكوريال » كما نبه على ذلك المؤرخ دوكاستر فى كتابه اصول التاريخ .

اما المترجم فقد اداه بحثه للعثور بفاس على تاريخ لغرناطة فى ستة مجلدات كتبه المؤرخ محمد ابن محمد بن جزي رئيس قلم الكتاب بديوان «ابى عنان» يسمى « السر المذاع فى تفضيل غرناطة على سائر البقاع » قال ابن الخطيب وقد اطلعت على اجزاء منه كما فى الاحاطة ص 187 نبه على ذلك خير الدين الزركلي فى قاموس الاعلام لدى ترجمة ابن جزي ، ولا بدع ان يكون الكتاب فى مقدمة المصادر التي اعتمدها المترجم فى كتابه الاحاطة ، واستاق منه ما كان حلية لكتابه .

ومن آثار ابن الخطيب الخالدة كتابه « معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار » كتيب قيم برهن فيه عن علم واسع اكتسبه من جولاته الاستطلاعية وتعمقه الدقيق فى معرفة احوال وعادات المدن والقرى التي زارها ، وقد افرغ ذلك فى قالبه الادبي السبق الذى قد لا يعرى فى مجموعه عن الاصابة وان كنا نرى فى بعضه مبالغات تحرج به احيانا عن الحقيقة التي يتوخاها المؤرخ الامين ويسعى لتخليدها كصحيفة بيضاء نقية تراها الاجيال القابلة حقيقة ناصعة تطمئن اليها النفس وترفع كل هوس يمكن ان يعلق باذهان الذين خلقوا للعبث فى المغامرات والاعراض .

ومنها « مفاضلة بين مالقه وسلا » كتاب طاشت بين سطوره وفصوله سلا السفيقة اذ كان منه ذلك كملحق لما سجله فى المعاهد ، والذي يبدو من وراء هذا الاندفاع ــ ان الرجل كانت له مع بعض علماء سلا وعدولها حزازات ومنافرات نشأت داخل مدة السنتين اللتين قطعهما بهذه المدينة العنفة شيء حفره لوضع كتاب « الحديقة فى ذم الوثيقة » الذي كان الهدف الاول منه ابن القباب ، كما تحدث عن ذلك المقري فى الجزء الثالث من النفح . وقد تصدى المؤرخ المرحوم محمد بن علي السلاوي لوضع مفاضلة بين المدينتين كمعارضة

واذ نجد ضالتنا المنشودة تعيش في هذا العصر الزاهي وتلعب دورها الهام في الدولتين المغربية والاندلسية — يجدر بنا ان نتحدث عن هذه الشخصية الفذة — شخصية محمد بن عبد الله اللوشي الغرناطي الشهير بلسان الدين بن الخطيب .

لسان الدين — هو الوزير المؤرخ ولد بغرناطة ونشأ في بيت نابه نبيل .

واستوزره سلطانها ابو الحجاج يوسف سنة 733هـ ثم ابنه السلطان محمد بن يوسف .

واذ كان في اذكياء الشعوب من لا يعدمون منافسين بل وحساد يرغبون في الانتقام من عبقريتهم التي نالوها عن اجتهاد واستعداد خولهم التبريز على المعاصرين والاقران على الاخص — نرى هذا المعنى يتجلى باجلى مظهر في تلكم الشخصية اللامعة — شخصية ابن الخطيب السلماني احد الافذاذ العالميين « في القرن الثامن الهجري — الرابع عشر الميلادى » الذي عاش في محيطه المنزلي والاجتماعي منذ تنسم الحياة الاولى بين احضان المعرفة وكثرة رجالها ، وسهولة التحصيل ، مما كان له اكبر عون على بلوغ تلك المنزلة السامية التي نالها بعد ، حتى ضرب الرقم القياسي في العبقرية والسمو ، لا سيما عندما امتزج بالدولة ، وخاض ميدان السياسة مبرهنا فيها عن علو كعب ، وطول باع في الادارة والتسيير

من آيات هذه العبقرية الفريدة — انه عندما بعثه السلطان محمد بن يوسف بن الاحمر سفيرا الى سلطان المغرب — ابى عنان المريني — مستمدا منه الاعانة على عدوه الطاغية الاسباني — على عادة سلفه في ذلك — وكان ذلك في وفد من وزراء الاندلس وعلية رجالها ، فعندما مثل بين يدى السلطان — استاذنه في انشاد شيء من الشعر « الذى كان يريد الحاجات ويعقد السبل » فاذن له وانشد وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر
علاك ما لاح في الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته
ما ليس يستطيع دفعه البشر

فاهتز السلطان ابو عنان بهذه القطعة واذن له في الجلوس ، وقال له قبل ان يجلس ما ترجع اليهم الا بجميع طلباتهم ، ثم ادى الرسالة ودفع الكتاب .

وعندما عزم الوفد الاندلسي على الانصراف الى العدوة اثقل ملك المغرب كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ما طلبوا ، هنا قال فيلسوف التاريخ عبد الرحمن ابن خلدون : قال شيخنا القاضي ابو القاسم الشريف وكان معه في ذلك الوفد — لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل ان يسلم على السلطان الا ابن الخطيب .

ومن وراء هذه المنقبة الغالية ، والمأثرة الخالدة وكل ما يمت اليهما بسبب شريف يسمو بمعنوية الرجال ومواهبهم في الاقدار والقيم — نرى معاصرين ينفسون عليه هذه المكارم بل يغالطون في اعتقاد انه غير اهل لها او رغم اهليته لا يستطيعون رؤية الرجل ينعم في محيط السموف والكرامة ، ويعلو في سماء الدولة قمرا مشرق الجوانب تشع انواره على ضفاف البحرين .

ذلك الحاجز المنيع والمحرك القوى ما دفع بالحساد ومرضى النفوس لاثارتها حربا شعواء فنسبوه الى سلوك مذهب الفلاسفة وءارائهم التي قد تخرج احيانا عن جادة الشريعة فتنزل باصحابها الى الهاوية مغتنمين فرصة هذا الظرف الضيق المشعر بالطيش والالحاد والزندقة ، ومتعلقين بخبايا كلم وجدت في كتبه ، ورغم وقوفه موقف المدافع عن مبدئه وكرامته ووضوح براءته في النهاية — اخذ وزج به في قعر احد سجون فاس وكان داخل هذا الامتحان يتوقع مصيبة الموت فيجيش هواتفه بشعر يبكي نفسه ومما قال في ذلك :

بعدنا وان جاورتنا البيوت
وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة
كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما
وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا
غربنا فناحت علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبى
وذو البخت كم خذلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة
فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب
وفات ومن ذا الذي لا يفوت

رايناه سطا على بعض الاشطار بل والابيات كاملة فوضعها في ثنايا رجزه كادخاله شطرا من ارجوزة ابي طالب في عرض حياة الفاروق قال : « ثم اتته محنة الشهادة كما ذلك نفسه في عرض حياة عثمان قال :

« وكان للاله ذا مخافة » ويوجد من هذا النوع رجز ابن الخطيب ما تذهب النفس فيه كل مذهب ، بيد اننا لا ندري اذلك من باب حشر قرائح الافكار وجهود المنتجين من الادباء ؟ ام هو من باب توارد الخواطر ، ووقع الحافر على الحافز ، وهذا ما تميل النفس اليه لما نلمسه في مقدرته من تمكن وتفتح يربئان باجادنه عن السطو على انتاج الكتاب والشعراء ورغم كل ما يريد ان يتسرب الى الخيال وبهيم بالافكار في انتقاص الجهود .

فنظم الحلل يعد ذخيرة تاريخية اسداها المترجم للاجيال بعده ، وغذاها ببيان المجمل ، وحل المشكل مما بمكن تعقده داخل ارتجازه .

فهو بدون شك كتاب جدير بالعناية خصوصا من سابنا المنور الذى يفتح امامه آفاقا واسعة في ميدان معرفة الاجيال الماضية ، والتعرف على احوال الامم والدول بعبارات سلسلة واضحة تبعث القارىء على الشوق وتنهض بهمم الشباب المتوثب الى الاسطلاع على دفائن الحوادث التي كم ينزوي بين سطورها من ماجريات هي اجدى في حقل العبر ، وافيد للطالب في الهداية والتثقيف ، فتعبد بين يديه المسالك ، وتحل عقدا طالما اعترضت طريقه كعقبات كاداء تصرفه عن تكميل نفسه ، ورفع مستواه العلمي باشباع رغبانه الفنية وتوسيع آفاقه العلمية ، والوصول به فورا نحو مطامحه الفالية التى تعد في مقدمة اللبنات الاساسية لبناء صرح مستقبل المغرب الحر ، فبتكرس الجهود والاعتناء بامثال هذه الارجوزات العامرة يجد الشباب المتعطش مسلكا للتشجيع يساعده على اقتناء النافع في اطار حلو جذاب تستسيغه النفس ، ويهواه الولوع وتتفتح له القريحة .

ومن مؤلفانه الغريبة كتابه «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب » في اربعة اسفار ضمت رواية واسعة ، وتراجم كثير من كبار من اجاز له ، مكان الكتاب من هذه الناحية كالفهرست ، قد اخذ بعضه بالتصوير الفتوغرافي عن اصل اندلسي يوجد في مكتبه - الاسكوريال باسبانيا ، وقد نقل عنه ابن غازي كثيرا من تراجم المكناسيين في كتابه «الروض الهتون» فقد تحدث الفهرست عن عدة رجال من ذوي المعرفة والجاه وبث في نفس الوقت روحا ادبيا في كل الجهات المغربية التي زارها ، حيث لا تجده يتورع عن مدح قائد او شيخ او ذي اريحية ، ولو لم بكن في عير الادب ولا نفيره فكان لرحلته اثر طيب في نفوس المغاربة حتى ولو الذبن لم يتذوقوا الادب والفن .

وفي هذه الزيارة وقف باغمات على قبر المعتمد ابي القاسم محمد بن عبادامير حمص«اشبيلية» وقرطبة والجزيرة وما الى ذلك الصقع الغربي ، والى جانبه قبر الحرة - حظيته وسكن نفسه « اعتماد » اشراكا لاسمها في حروف لقبه المنسوبة الى رميك مولاها .

قال : فترحمنا عليه وانشدته :

قد زرت قبرك عن طوع باغمات … رايت ذلك من اولى المهمات
وانت من لو تخطى الدهر مصرعه … الى حياتي اجادت فيه ابيات
اراء قبرك في هضب يميزه … فتنتحيه خفيات التحيات
كرمت حيا وميتا واشتهرت علا … فانت سلطان احياء واموات
ماريء منلك في ماض ومعتقدي … ان لا يرى الدهر في حال ولا آت

وهكذا نراه عرج في رحلته الادبية على اضرحة رجال من امثال ابن عباد الملك الشاعر الذي خبأ له الدهر الخئون تلك المأساة المؤلمة - وعلى الولي الصالح ابي عبد الله الهرمبري - ثم عند عودته الى سلا انشأ يقول :

كأن بتامسنا نجوس خلالها … وممدودها في سيرنا ليس يقصر
مراكب في البحر المحيط تخبطت … فلا جهة تدري ولا البر يبصر

وذو الوزارتين كان في جملة طائفة من علية وجوه الدولة المرينية وعلمائها الذبن شيعوا جنازة شمس الضحى من فاس الى شالة في حفل حفيل ، منهم ابن خلدون ، وابن مرزوق ، وابن بطوطة ، والشريف الموصلي الذي قال ابن بطوطة في رحلته عند ذكر القضية وقد تلاقيت مع ابيه بالموصل .

لمفاضلة ابن الخطيب انما امثال هذه البحوث العلمية لا تكاد تخلو من قيمة تاريخية واجتماعية لا سيما اذا حذت بحوثها حذو الحقيقة النزيهة وخلت ابوابها من مس البرآء والنيل من كرامتهم .

على اننا من الناحية العمرانية نؤمن ان فى كل مدينة او قرية ما نأخذ وما نذر سواء فى العادات والاخلاق والمبادىء سنة الله فى خلقه .

فاذا فكر الانسان فى هذه الحقيقة وخبر البلاد ، ودرس نفسيات السكان ، وألم بها من شتى النواحي — هان عليه كل ما يحاول ان يداخل فكره ويخالج نفسه من وساوس يمكنها التأثير على نظراته نحو اخوانه وابنا ءجنسه فى مختلف الجهات والاطراف ، لذا خير له ان ينظر الى الاشياء بعين ملؤها الحقيقة بعيدا عن تصديق العوارض والتأثر بالمحيطات الهادفة ليستطيع النجاة من الوقوع فى اشواك قد لا تخطئه لسعاتها السامة فيردى صريع القول واللسان .

وطبعي ان كتابى المترجم معيار الاختيار ، ومفاضلة مالقة وسلا — قد اثارا فى نفوس افراد وجماعات بل وسكان مدن عامة ضغائن واحقادا كامنة كانوا فى منجى من اثارتها مسلسلة فى اجيال واحقاب استمرت شرارتها تتطاير من حين لاخر فتكتوي بها صداقات واخوانيات « سامحك الله يا ابن الخطيب » فعلى الانسان ان لا يندفع مع كل ريح ، ويتأثر بصيحات كل صائح ، بل عليه ان يزن الاقوال بميزان الفكر ، ثم يأخذ او يذر ممعنا النظر فى الاسباب والمسببات لكي يقع على الابريز من خالص الاقوال ومفيدها غير مائل الى التقليد الذي يعمي ويصم

« فى كل امرك تقليد رضيت به
حتى مقالك ربي واحد احد »«1»

ولا يكاد يفتح بين يدي الانسان آفاق التفكير الصحيح للظفر بالحقيقة المتوخاة .

على اننا اليوم والحمد لله اصبحنا ندرك من وراء هذه الاساطير ساعين فى اجتثاث جذورها من نفوس الاخوان ابتغاء محو خيالاتها من اذهان الجيل الناشىء حتى لا يعود يفكر فى شىء يتصادم والاخلاق الفاضلة والانسانية الحق ، بل ينشأ مطبوعا على الصفاء والتسامح ، ضمن واجب الاخوة العربية الاسلامية .

وهذا كتابه « رقم الحلل فى نظم الدول » الذي هو عبارة عن نظم حلو سلس التعبير سهل التناول برهن فيه عن اطلاع واسع ودراسة دقيقة فى التاريخ العام ، وعرض ماجريانه عرضا تعلوه مسحة الربط والاستنتاج ، والغوص فى اعماق الحوادث ، واستكناه طوايا الملحمات والوقائع ، وما تخلفه مشاكلها من ويلات فى الانفس والبقاع .

مطلع النظم :

الحمد لله الذي لا ينكره
من سرحت فى الكائنات فكره

حتى قال فى ذكر الرسول الاعظم :

لما اقام الله رسم الحق
بالحاشر العاقب هادي الخلق
لاح الهدى وانقشع المحذور
وعم آفاق البلاد النور
ومنها فى دولة لمتونة :
واطلعت بمغرب لمتونة
دولتهم عزيزة ميمونة

بعد ان يذكر عظماء الملوك واكبر الخلفاء — يتبع ذلك بشرح لابياته يزيل عنها ما يمكن ان يعلق بها من غموض على ان لا غموض ، ونرى ابن الخطيب فى فى نظمه «2» هذا ينحو نحو رجز الادب ابي طالب عبد الجبار من اهل جزيرة شقر كان يعرف بالمتنبي لانساعه فى اجادة المنظوم والمنثور كذلك مع غزارة اطلاع فى العلوم والفنون وها فاتح ارجوزته :

يقول مهدي الورى المنتظر
ها فاسمعوا ما قلته واعتبروا
ابدا باسم الله بالترجز
رب الانام الملك العزيز

وهو نظم جامع غريب احتوى بحوثا فى العلم والفكر والنظر فى الملكوت تخلص راقمه لذكر اوليات التاريخ فى ايجاز كمقدمة لبسط احوال الامم والدول الى عصره — القرن السادس — وابن الخطيب على هذا السنن سار ، ومن هذا المعين كرع — بل

«1» البيت لابي العلاء المعري .

«2» وقد شرح ابن الخطيب نظمه هذا شرحا مختصرا .

اوقاف بدون كرسي *

على مواضع معينة بجامعي القرويين والأندلس

للأستاذ محمد المنوني

-3-

كما كان لكراسي التدريس اوقاف خاصة ، كذلك انشئت اوقاف – بدون كرسي – لمواضع معينة في كل من جامعي القرويين والاندلس ، وهذا تقليد وجد بمصر والشام ايضا ، فقد كان بالجامع الاموي بدمشق حسب رحلة ابن جبير : سارية – وهي الواقعة بين المقصورتين القديمة والحديثة – لها وقف معلوم ياخذه المستند اليها للمذاكرة والتدريس ، ويذكر المقريزي في الخطط : ثمانية من زوايا جامع عمرو بالقاهرة التي كانت تقام بها حلقات تعليمية ، ويشير الى الاوقاف التي وقفت على كل من هذه الزوايا «1» .

والمعروف في هذا الصدد – في اطار جامعة القرويين – هو ثمانية مواضع : سبعة بجامع القرويين، وواحد بجامع الاندلس : ستة منها لتجويد القرآن الكريم – عمليا – باللسان ، واثنان لتدريس الرسالة القيروانية ، وهذا تفصيلها : :

في جامع القرويين :

1)) **سارية لتجويد القرآن الكريم** : لم يعين موقعها بالقرويين ، وقد ذكر استاذها مؤلف « فهرسة تنوير الزمان » « 2» وسماه : « سيد يعبش » ، بدون ان يذكر اسم والده او نسبه ، مع التنصيص على انه توفي حدود عام 980 هـ 1572 – 1573م وحسب نفس المصدر فقد كان يجود للطلبة بهذه السارية .

2)) **سارية اخرى لتجويد القرآن الكريم** : وهي الواقعة يمنة عنزه هذا الجامع ، وحسب الوثيقة الاتية فان الذى انشا وقف هذه السارية هو الشيخ الجليل ابو العباس احمد بن محمد الشاوي المتوفى في المحرم عام 1014هـ 1605م «3» ، وصاحب المشهد بالسياج من فاس القرويين ، وقد عين المحبس لهذا الوقف الاستاذ ابا العباس احمد بن علي بن شعيب الفاسي المتوفى عام 1015هـ – 1606–1607م «4» ثم من ياتي بعده ، وفي « النهج المتدارك » «5» تحدث عن هذا الاستاذ وذكر الوقفية هكذا :

« .. يحكى عنه – رحمه الله – انه كان متصدرا للاخذ بجامع القرويين من فاس ، وكان يجود مع الطلبة بلسانه، ويلازمه الشيخ الصالح سيدي احمد الشاوي دفين السياج من فاس ، واوقف عليه ومن يقفوه ارضا بلمطة يقال لها : « الضويات » وفي آخر عمره تاخر عن القرويين لكبر سنه ، فيجود مع الطلبة بداره في « الكدان » او بمسجد قربها كان

---

*)) ارجع الى مجلة « دعوة الحق » السنة التاسعة العدد الرابع ، ص 91–97 . من العدد الخامس ص 91–97 .

1)) انظر «تاريخ التربية الاسلامية» للدكتور احمد شلبي ، ص 91–365 .

2)) اسمها الكامل : « فهرسة تنوير الزمان ، بقدوم مولاي زيدان » تاليف قاسم بن محمد بن محمد ابن ابي العافية الشهير بابن القاضي ، تقع ضمن مجموع بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 255

3)) ترجمته ومراجعها في « سلوة الانفاس » ج1 ص274–279 .

4)) له ترجمة وجيزة في «شرح المثاني » ج 1 ص99 .

5)) اسمه الكامل « النهج المتدارك في شرح دالية ابن المبارك » تاليف ابي العلاء المنجره ، خ ع 994ك

وقد سجلت اسماء هؤلاء الاعلام برخامة قبرها بشالة .

والنفاضة المتحدث عنها تكاد تكون لندرتها من مفقودي الموسوعة المغربية وانما توجد منها نتف في بعض الخزائن ويوجد بخزانة الكاتب نحو الكراس ونصف من الجزء الثاني احتوى فصولا تحدث فيها عن جبل « هنتاتة » ومدينة اغمات وريكة » ثم ذكر العودة الى مدينة سلا ، والكل بقلمه الرفيع وانشائه البديع المرصع بقصائده ومقطعاته الرائعة المتمكنة .

والنفاضة كذلك تعد في مقدمة المصادر الاولى للمقري في كتابه «النفح» وهي لو ساقها القدر ، وساعد البحث الدقيق على وجودها لكانت زينة المعلمة المغربية ، وحلبة ثمينة بين مجلداتها تاريخيا وادبيا واجتماعيا وقد اشار في النفاضة الى انه قد تلمذ على عده شيوخ منهم أبو العباس احمد بن عاشر ، وكان حريصا على لقائه بسلا ايام كان بها وقد لقيه ، ولم ينمل منه لشدة نفوره من الناس خصوصا اصحاب الرياسة ولذا قال : يسر الله لقاءه على تعسره .

ومن آثار ابن الخطيب الادبية كتابه « السحر والشعر » الذي وضعه لابنه عبد الله - فكان كتابا حافلا بمنتخبات الادب وعيونه حيث نجده ينشر بين يدي ابنه حتى الاشعار المجونية التي قد تخرج في ادبها المكشوف عن الجادة في نظر الواقفين فيه على الحدود الضيقة التي لا تذرهم يتفتحون ويمرحون في مسارحه الفسيحة الباعثة على النسم دون الفرك ، والضم دون الترك ، مع الايمان ان واجب الادب وشرعته لا يمانعان من خوض غمار الادب بكل ما يحمل من مغزى ، وبهدف اليه من انطلاق وانبساط في شتى المناحي والوان المتع اذ على ضوء هذا التفتح الطليق ، - تتكون الرجولة الكاملة في النشء النابت ، وتسري روح الشجاعة الادبية في شرايينه الغضة ، ونبته الرطب ، فينشأ شابا يقظا له شعوره الحساس في كل ما يأخذ ويذر في حقل الحياة .

ولا عجب في هذا ان هي سوى عادة من عادات رجال العلم والادب مع ابنائهم وفلذات كبدهم يفتحون امامهم آفاقا بعيدة يشرفون من سمائها على الحياة بكل ما تحمله كلمتها من مدلول علوا وانحدارا حرصا منهم على توسيع مدارك الابناء بمعرفة كل ما من شأنه ان يعرف من غث وسمين كان ذلك بالنسبة للاول من باب ما لمح اليه ابو فراس الحمداني بقوله :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

ومما يبعث على الغرابة ان يوتر عن ابن الخطيب بعد الثناء العاطر على غرناطة وتخصيصها بالتآليف ذات المجلدات نراه يعود عليها بالكرة ، فيرشقها بسهام النبل والذم في قصيدة تحمل 28 بيتا حسبما تلقاه الكاتب عن بعض المؤرخين المعاصرين رحمة الله عليه والى حد التاريخ لا يزال الجراري يتابع البحث عساه يعثر على هذه الابيات ليتبين كنهها ، ويمكنه في نفس الظرف ان يتلمس من بين اسلوبها هذه النسبة التي قد لا تصدقها نفسه وتبررها وطنيته ويسمح بانسجامها ورقم اشطارها اخلاصه للبلاد التي غذاه هواؤها ، واظلته سماؤها ، وفي ذات اللحظة تنقشع تلك السحب لا محالة ويستقر الرأي هادئا ازاء ثبات مترجمنا ابن الخطيب على المبدا .

ورغبتي الاكيدة من اخواني الادباء والمؤرخين ان يتفضلوا علي بهذه القصيده اذا ما قدر لهم العثور عليها .

على ان الانسان قد يسود الجو احيانا بين عينيه ويضيق به المحيط والتراب لاسباب قد لايخلو ابناء الانسان من عروضها فينساب بدافع تلك النوبة على غير هدى للنيل من البلاد ومسقط الرأس ثم لا يلبث يعود اليه رشده .

ولا عجب ان يكون المترجم من رجالات هذا النوع .

والكتب عن ابن الخطيب لا تفي به هذه العجالة.

الرباط - عبد الله الجراري

أ ـ محمد بن قاسم بن علي بن عبد الرحمن ابن ابي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي المتوفى عام 961 هـ 1553 ـ 1554 م « 12 »

ب ـ ولده ابو عبد الله محمد المتوفى عام 965هـ 1557–1558م « 13 » .

ج ـ حفيده حمدون الذي لم يحدد تاريخ وفاته «17» .

د ـ عبد الكريم بن علي الزهني اليازغي المتوفى فى 27 قعدة عام 1199 هـ 1785 م ، نفذه له السلطان محمد الثالث لما اهمل سابقه التدريس بهذا الموضع «18» .

7» موضع آخر لتدريس الرسالة القيروانية :

وكان ـ حسب النشر المخطوط «14» ـ بالمستودع الذي عن يسار الداخل للقرويين من باب الكتبيين ، والظاهر انه يقصد البقعة المرتفعة يسارا أصف هذا الباب ، ويبعد ان يريد المستودع الواقع خلف الصومعة ، ولو قصد هذا لكان المنطق ان يقول يسار الداخل من باب الموثقين ، او بمنة الداخل من باب الحفاة ، وقد تولى التدريس بهذا الموضع جماعة وهم :

أ ـ محمد بن حمدون الشديد الاندلسي ثم الفاسي المتوفى فى ربيع الثاني 1110 هـ 1698 ـ 1699 م «15» .

ب ـ ولده احمد المتوفى فى العشرة السابعة من المائة 12 «16» .

فى جامع الاندلس :

8» سارية الاستاذ سيدي محمد الصغير :

هكذا سميت فى « الحوالة السليمانية » «19» دون ان يحدد موقعها ، وظاهر انه يعني باسنادها : ابو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن حمامة الاوربي النيجي ثم الفاسي الشهير بالصغير ، والمتوفى ليلة الجمعة 6 شعبان عام 887هـ 1482 م «20» ، وقد جاء فى ترجمة هذا الاستاذ انه ختم عليه القرآن بالقراءات السبع 300 طالب «21» ، ولا شك ان هؤلاء او بعضهم على الاقل قراوا عليه بهذه السارية .

الرباط ـ محمد المنوني

---

12 فهرسة تنوير الزمان التي حددت تاريخ وفاته وله ترجمة فى سلوة الانفاس ج 3 ص 280–281.
13» فهرسة تنوير الزمان .
14» النسخة السالفة الذكر ورقة 242 أ
15» النشر المخطوط : نفس النسخة والورقة .
16» نفس المصدر ورقة 342 أ
17» نفس المصدر ورقة 342ب
18» نفس المصدر والورقة ، اما ترجمة هذا الاستاذ فهى فى سلوة الانفاس 2ص 115 .
19» الفيلم السابق الذكر ص 269 .
20» ترجمته فى « سلوة الانفاس » ج 2 ص 65 ـ 67 .
21» هذا فى « فهرسة المنجور » ونقله عنها فى «سلوة الانفاس » ج 2 ص 65 .

امامه ، ويوم الجمعة يحمله الطلبة بين ايديهم الى جامع الاندلس ، ويجلس فيها بباب الحفا ، ويقرأ مع الطلبة بلسانه ، ويسمع صوته ــ تبيينا للحروف والحركات وافرازا للكلمات ــ من قنطرة بين المدن «6» ، رحم الله الجميع ..» .

هذا ومن حسن الحظ ان تحتفظ « الحوالة السليمانية » «7» لاحباس القرويين بنسخة الوقف المشار له ، وفيها الاحالة على وثيقة اخرى ، ونص المعنية بالامر :

الحمد لله : حبس المرابط اعلاه : الاجل ، السيد الاكمل ، البركة ، ابو العباس احمد بن المرحوم ابي عبد الله محمد الشاوي: جميع الستة فدادين،وهي: عين العرب . وفدان ابن فيلو الصفير . وفدان الغدائر . وفدان ركية العلك . وفدان الغرس . وفدان الكوشة . المحتوى «كذا» على حراثة اربعة ازواج، المذكورة والمحدودة اعلى المنتسخ منه، بمنافعها ومرافقها وكافة حقوقها كلها : على الفقيه الاجل ، النحوي ، اللغوي ، الاستاذ ، المجود ، المشارك السيد ابي العباس احمد بن السيد المرحوم ابي الحسن علي شعيب به عرف ، بنتفع بها ، على ان يجود للطلبة بالسارية التي عن يمين العنزة بجامع القرويين ، شرفها « كذا » الله بدوام الذكر فيه من زوال الشمس الى البريح على الدوام والاستمرار، عدا يوم الخميس ويوم الجمعة ، حبسا مؤبدا ، ووقفا مخلدا ، الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، ومن بدل او غير فالله حسيبه وسائله ، ومتولي الانتقام منه ، فان مات يرجع للاستاذ مثله على الصفة المذكورة الى انقراض الدنيا ، قاصدا بذلك وجه الله العظيم والدار الاخرة ، والله لا يضيع اجر من احسن عملا ، وبسط يده على حوزه ، وتوجه صحبة شهيديه الى الفدادين المذكورة وحازها حوزا تاما كما يجب معاينة ، وعرفا قدره ، شهد به عليهما بحال كمال الاشهاد ، وعرفهما ، فى اواخر صفر عشرة والف ..»

3» فى عنزة القرويين : كان يجود فيها للطلبة ــ من طلوع الشمس الى صحوة النهار ــ :

ا ــ ابو العلاء ادريس بن محمد بن احمد المنجرة الحسني الادريسي التلمساني ثم الفاسي المتوفى يوم الثلاثاء 22 محرم عام 1137هـ 1724 م«8»

ب ــ ابنه ابو زيد عبد الرحمن سابق الذكر فى القسم الثاني «9» .

4» **فى صدر جامع القرويين :** وهو مجلس لم يحدد مكانه بالضبط ، واستاذه هو ابو محمد عبد الله بن محمد المدعو ابن بخلف الانصاري الاندلسي ثم الفاسي المتوفى فى 27 قعدة عام 1162 هـ 1749 م ، قال فى ترجمته من « نشر المثاني » المخطوط «10» : وكان محل جلوسه لتجويد الطلبة عليه بصدر مسجد القرويين .

5» **فى ظهر الصومعة :** وبها كان يجود ــ عند الاذان الثاني للظهر ــ ابو العلاء ادريس بن عبد الله ابن عبد القادر الحسني الادريسي الودغيري الملقب بالبدراوي المتوفى ليلة الاربعاء 16 محرم عام 1257هـ 1841 «11» .

6» **سارية لتدريس الرسالة القيروانية** :
لم يعين موقعها بهذا الجامع ، وقد تعاقب عليها :

6» هكــذا .
7» خ.ع. رقم 23 ص 247 « فيلم » .
8» «سلوة الانفاس » حيث توجد ترجمة المذكورج2 ص 272–273 .
9» نفس المصدر ج 2 ص 272 .
10» نسخة المكتبة الاحمدية ، ورقة 317 ب .
11» سلوة الانفاس ج1ص 327، اما ترجمته فتوجدبنفس المصدر ج2 ص 343–34 ، هذا ويلاحظ ان المصادر التي رجعت لها فى هذا الصدد لم تعين مجلس استاذ كبير فى هذه الفترة بجامع القرويين ، وهو محمد بن عبد السلام الفاسيالفهري المتوفى يوم الاربعاء 12 رجب عام 1214 هـ وهو بدون شك اغفال من المصادر المشارلها على انه من المتوقع ان يكون هذا مذكورا فى بعض المصادر التي لم استطع الوقوف عليها .

حسانة التميمية :

ابوها ابو الحسين شاعر عاش فى القرن الثاني الهجري من اهل البيرة (5) ، درست عليه كثيرا من فنون العلم والثقافة ، نشات نشأة الطهر والعفاف ، لم يؤثر عنها مايخدش كرامتها وقداستها ، الشيء الذي جعلها تستنكف عن الرذائل والتوافه ، وتدافع عن حقها اذا ما لحقها ظلم الظالمين ، توفى ابوها فتركها فى رعاية الاقدار لا تجد من تلتجىء به الا الامير الحكم بن هشام الذي بعثت اليه قطعة شعرية تستعطفه وتنبئه بان والدها قد استأثرت به رحمة الله بعد ان كانت ترتع فى نعماه ، وتمبس زهوا تحت ظلال رعايته وحمايته ، واليوم لا ناصر لها فى الحياة الا هو :

انى اليك ابا العاصي موجعة (6)
ابا الحسين سقته الواكف الديم

قد كنت ارتع فى نعماه عاكفة
فاليوم آوي الى نعماك يا حكم

انت الامام الذي انقاد الانام له
وملكته مقاليد النهى الامم

لا شيء اخشى اذا ما كنت لي كنفا
آوي اليه ولا يعرولي العدم

لا زلت بالعزة القعساء (7) مرتديا
حتى تذل اليك العرب والعجم

وما كان من الامير بعد ان استحسن شعرها الا ان امر لها باجراء راتب وكتب الى عامله بالبيرة فجهزها بجهاز حسن .

وتمر ايام وتنتقل الامير الى جوار ربه فينكث عامل البيرة جابر بن لبيد العهد ولم يحرر املاكها ولم ينفذ ما خطته انامل الحكم ، وعلى اثر ذلك اتجهت الشاعرة الى القصر حيث الامير الجديد عبد الرحمن الاوسط وانشدته من شعرها ما يهز القلوب ويلين الصخور :

الى ذي الندى والمجد سارت ركائبي
على شحط (8) تصلى بنار الهواجر

ليجبر صدعي انه خير جابر
ويمنعني من ذي الظلامة جابر

فاني وايتامي بقبضة كفه
كذي ريش اضحى فى مخالب كاسر

جدير لمثلي ان يقال (9) مروءة
لموت ابي العاصي الذي كان ناصري

سقاه الحيا لو كان حيا لما اعتدى
على زمان باطش بطش قادر

امحو الذي خطته يمناه جابر
لقد سام بالاملاك احدى الكبائر

وعندما انتهت من انشادها سلمت لعبد الرحمن خط والده وافضت اليه بعجرها وبجرها ثم اخذ الامير خط ابيه فقبله ووضعه على عينيه ثم استشاط غضبا وقال : انصرف يا حسانة ، فقد عزلته لك ، وحسبنا ان نسلك مسلك ابي واحفظ عهده وقع لها بمثل توقيع ابيه وامر لها بجائزة ، فذهبت الى حال سبيلها .

وبعد هذا ارسلت له قصيدة مدح تعبر خير تعبير عن شفافية عاطفتها نحو الممدوح الذي اسدى اليها المعروف فحماها من الجور ، تقول في ابيات منها :

ابن الهشامين خير الناس مأثرة
وخير منتجع يوما للرواد

ان هز يوم الوغى اثناء صعدته (10)
روى انابيبها من صرف فرصاد (11)

---

5) البيرة الألف فيه الف قطع وليس بالف وصل فهو بوزن اخريطة وان شئت بوزن كبريتة وهي كورة كبيرة من الاندلس ، ومدينة متصلة باراضي كورة قبرة بين القبلة والشرق من قرطبة ، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا ، راجع ذلك بتفصيل فى معجم البلدان ج 1 ص 322 .
6) موجعة : ناعية .
7) القعساء : الثابتة
8) الشحط : البعد
9) يقال : من اقال عثرته
10) الصعدة : القناة المستوية .
11) الفرصاد : صبغ احمر ومعناه الدم .

الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ : محمد المنتصر الريسوني

- 6 -

عصـــر الامــارة :

عصر الامارة والاستقرار السياسي على الخصوص يبدا في عهد الامير عبد الرحمن الداخل ثم ابنه هشــام وحفيده الحكم . هذه الفترة هي عبارة عن تشييد وبناء وتعبيد الطرق لارساء الحكم الاموي واصلاح ما عفن من الاوضاع . لقد وجد عبد الرحمن عند دخوله الاندلــس الاجواء تعج بالفتن والفوضى ، بربــر ساخطــون على العرب لاستبدادهم بالامر . قبائــل عربية تتطاحــن . مسيحيون بمناطق شمالية من شبه الجزيرة يتربصون الدوائر . فريق فيما وراء البرانس ينتظرون الفرصــة للهجوم . ومن اجل ذلك كله عمل عبد الرحمن على نشر الوية السلم والامن في البلاد وعني بالمشاكل المعقــدة التي نشات عن العصبيات والضغائن واختلاف الاديان. واستطاع ان يخضد شوكة الارستقراطية العربية بمـا شن من حملات وما ارسل من جيوش لضبط الامر .

وقد ترسم هشام خطى ابيه كما ترسم الحكــم الربضي سياسة الاب والجد فقضى على ثورة الربض(1) التي اوقد نارها قطان الضاحية القرطبية التي تسمى بذلك الاسم وثابر مثابرة القوي الحازم على تثبيت النظام وتدعيم الحكم الامــوى

والمجتمع الاندلسي في هذا العهد اصبح يعيــش في وحدة وحضارة نسبية من انشاء وتعمير ، اذ انشــا عبد الرحمن مسجد قرطبة الجامع والرصافة التــي كانت مقر الامارة كما انشيء في عهد بنيه كثيــر مــن المساجد في اماكن اندلسية مختلفةوغير ذلكمن الدلائل الحضارية والمظاهر التقدميــة .

وان اهم ما يسترعي النظــر في مظاهــر المجتمــع الاندلسي بروز الشخصية النسوية في الميدان الفنــي، وذلك عندما استقدم عبد الرحمن الداخــل فنانــات شرقيات (2) وخصص لهن دارا بالقصر عرفت بــدار المدنيات لان اكثرهن من المدينة التي اشتهرت اوانئــذ بالفن الموسيقي والغنائي (3) .

اما مميزات الشعر في هذا العصر فقد تحدثنــا عنها فيما سلف عند كلامنا عن نشاة الشعــر الاندلسي وقلنا . «فالشعر الاندلسي سار فترئذ في التيار المحافظ الممثل في الاحتفال بالموضوعات التقليدية من مــدح وهجاء . وفخر كما سار على منهج الاقدمين في بنــاء الهيكــل القصيدى .

وبعــد ذلك نجــد الشعر الاندلسي يتسم بسمات خاصة كالتجديد الموضوعي الذي يتجلــى في طــرق موضوعات جديدة او معالجة مضامين لم تكن تعالج مــن قبل ، ثم التجويد الفني والتركيز العاطفي ، وذلك في عهد تاسيس الامارة » (4) .

---

1) راجع ثورة الربض في : البيان المغرب لابن عذارى ج 2 ص 113 وما بعدها ونفح الطيب للمقري ج 1 ص 159 ، والمعجب لعبد الواحــد المراكشي ص 19 وما بعدهــا .
2) من بين هــؤلاء الفنانات المدنيات فضــل وعلــم والعجفــاء .
3) مر حديثنا عن ذلك عند تعرضنا للكلام عن نشأة الشعر الاندلسي .
4) راجع القسم الرابع من البحث في العدد الثانــي السنة التاسعة من مجلة دعوة الحق ص 105 .

ومن هذا نستنتج ان «لبنى» عاشت فى فترة الخلافة، ولعل الالتباس الذي وقع فيه الرافعي ، انما هو الخلط بين الامير الحكم بن هشام ، والخليفة الحكم الثاني الملقب بالمستنصر بن عبد الرحمن الثالث الخليفة العظيم الملقب بالناصر .

ومما يؤكد عدم معاصرة حسانة «للبنى» تأكيدا لا مجال للشك فيه ان عدد الافراد الذين جاءوا بعد الحكم ابن هشام خمسة وهم على التوالي : عبد الرحمن الثاني وهو الاوسط (206 / 238 هـ) ، محمد بن عبد الرحمن (238 / 273 هـ) ، المنذر بن محمد (273 / 275 هـ)، عبد الله بن محمد (275 / 300 هـ) ، عبد الرحمن الناصر (300 / 350 هـ) ثم بعد ذلك ياتي الحكم المستنصر (350\366هـ) الذي كانت «لبنى» كاتبة له.

اذن فقضية المعاصرة هذه فى غنى عن مزيد من التبيان والتعليق ويكفبنا هذا القدر من الايضاح .

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

دنسوا محياه بالاطماع

ولو ان اهل العلم صانوه ، صانهم
ولو عظموه فى النفوس لعظما

ولكن اهانوه ، فهانوا ، ودنسوا
محياه بالاطماع ، حتى تجهما

عبد العزيز الجرجاني

قل للامـــام : ابـا خيـــر الورى نسبـــا
مقابـــلا بيـــن آبــــاء واجـــــداد

جودت طبعـــي ولم نرض الظلامــــة لـي
فهـــاك فضـــل ثنـاء رائـــح غـــاد

فـــان اقمـــت ففـي نعمـــاك عـاطفـــة
وان رحلـــت فقـــد زودتنـــي زاد

تلك هي حسانـــة اولى الشاعـرات الاندلسيات ــ على ما نعرف ــ شعرها كما راينا سابقـــا خليط من الرثاء والشكـــوى الحارة الملتهبة ، والمـــدح المعبـــر والاستصراخ القوي ، وهو على قدر لايستهان بـــه من النضج الفني والاصالة الشعرية المرتكزة على الثقافـــة المتينة ، وهو ايضا يتسم بمميزات تحدثنا عنها آنفـــا ، فالتركيز العاطفي والتجويد الفني كلاهما يلفان شعرها ويتخلل كلماتها اذ برجوعنا الى ابياتها المتقدمة التـــي اولهـــا .

انـــي اليـــك ابـا العاصـــي موجعـــة
ابـــا الحسيـــن سقتـه الواكف الديـــم

نجدها تفيض بدوبان العاطفة الصادقة المعبـــرة ، ونجد كلماتها موحية منبئة عن الحرارة الشعورية فلفظة (موجعه) في الشطر الاول من البيت مشددة الجيـــم توحي تئن نفسها منه ، وتشي بما تنطوي حناياها عليه .

ولنتدبر بعد هذا بيتا واحدا فقط مـــن ابياتهـــا التي انشدتها بين يدي عبد الرحمن الاوسط والتـــي يترقرق فيها التجويـد الفنـــي :

فانـــي وايتـامـــي بقبضـــة كفـــه
كذي ريش اضحى (12) في مخالب كاســـر

تامل البيت فهو عبارة عن لوحة زيتية فنية تمثـــل الايتام الضعاف بقبضة كف ظالمة باطشة كذي ريش لبن اصبح تحت رحمة مخالب كاسر مفترس .

تامل البيت ، تجده صورة ناطقة للتفجع والحزن والمرارة اطلقته لهاة مكلومة يعبر عن الواقـــع الصارخ الصغار الذين ليس لهم من يحميهم من صولة الدهـــر وعدوان المعتدين غير هذه المراة التي ترعاهم وتمنحهـــم من عطفها الشيء الكثير . . ولكن ، ماذا ستفعل المـــراة وهي نفسها في امس الحاجة الى من يقيها ظلم الظالميـــن ، لذلك بحثت عن الناصر فلم نجد . . بحثت وبحثت من غير جدوى ، واخيرا عثرت عليه . . انه شعرها الـــذي اتخذته سلاحا مدافعا سكبت فيه خطراتهـــا المحملـــة بالبوح الشجي والفزع المبرح فكان شفيعا لها عنـــد الامـــر . لان للكلمة المجنحة تاثيرها ، وللحرف المرونق سحـــره .

ذلك هو حديثنا عن حسانة الشاعرة التي تمثـــل هذه الفترة بالذات ، والتي لانعلم شاعرة غيرها عاصرتها على الرغم من انني لا اشك ان عصر الامـــارة لم يكـــن ــ منطقيا ــ خلوا من بعض الشواعر .

اما فيما يتعلق بمعاصرة حسانة للبنى كاتبة الحكم المستنصر كما قرر الاستاذ مصطفى صادق الرافعـــي رحمه الله (13) فذلك لم تثبته المصادر المعتمدة ولـــم يوافق عليه الفرق الزمني ، وآية ذلك ان حسانة عاشت في عهد الحكم بن هشام وابنه عبد الرحمن الاوسط (14) كما اعلمنا سابقا ، ويجوز لنا ان نفرض انها ولدت عـــام 154 هـ وهو عام ولادة الحكم الممدوح من طرفها ، ثـــم توفيت ، ولها مائة سنة ، فتكون سنه وفاتها حينذاك هي 254هـ على حين ان « لبنى » توفيت سنة 374هـ كما ذكر اصحاب الاخبار ، ولنفرض استنـــادا على سنة وفاتها انها ماتت ولها مائة سنة فتكون عند ذلك ولادتها سنـــة 274 هـ فالفرق الزمني واضح جلي يتمثل ــ على ابعـــد الفروض ــ في ان ولادة « لبنى » وقعت بعد عشرين سنة من وفـــاة حسانـــة .

---

12) فعل اضحى في البيت يقرأ بهمزة الوصل مع كسر النون الساكنة المولدة عن تنوين كلمة (ريش) لالتقـــاء الساكنين ، وبذلك يستقيم الوزن ، والبيت كما لا يخفى مـــن الطويـــل .
13) انظـــر تاريـــخ آداب العـــرب ج 3 ص 317 .
14) سمي اوسط لتوسط عهده بين عبد الرحمن الاول وعبد الرحمـــن الثالث .

نطاق المهام الاستطلاعية المنوطة به بعد كل هدا وذاك، فقد تزايد الامل عند المتسابقين في امكانية القيام بعملية ناجحة للنزول على سطح تابعنا الارضي عند متم العقد الحالي ، ويبدي الامريكيون تفاو"لا كبيرا في مدى قدرتهم على تحقيق السبق الحاسم بسان النزول على القمر . وذلك لما دل عليه برنامج (جيميني الضخم) من نجاحات فضائية ، تحققت لهم خلال السنة المولية ، وساعدت على اختزال مسافة التخلف ، التي كانت تفصل بينهم وبين السوفييت في موضوع الارتياد الفضائي ، بيد ان المابرات القيمة التي انجزها السوفييت ضمن برنامجهم الفضائي الواسع خلال السنة الحالية ، والتي قبلها ـ من شان ذلك كله ان يبيح للتقنيين السوفييت قدرا اكبر من الامل في امكانية توصلهم الى تحقيق السبق المنشود . على ان المبير في امر التسابق الفضائي ليس فقط ، وجود هدا التسابق نفسه ، والتقنيات الباهرة التي تستعمل في مضماره، بل ايضا ما يحدثه من تابيرات سيكولوجية وفكرية لا حد لها ، جعلت اذهان الناس هنا وهناك مركزة نحو الدولتين المتسابقتين بسكل يذكر ـ في نطاق مصغر ـ بحاله المتفرجين على اي سباق عنيف ومثير ، في مضمار الرياضة او غيرها . ان الفتوح العلمية التي يعرفها عصرنا الحاضر ، تتناول شتى الافاق من نظرية وتجريبية وغيرها ، ومنها ما هو متير الى ابعد حدود الاثارة ، غريب في نتائجه اقصى ما تكون الغرابة ، ولكن ليس كالارتياد الفضائي مما يخلق حاله اهتمام سديد بين الناس العاديين وغير العاديين في جميع انحاء العالم . وبدهي ان المشاكل والقضايا ذات الطابع الفلسفي ، التي يطرحها على حضارتنا الراهنة امر ارتياد الفضاء . مثل هذه المشاكل والقضايا لا تلفت عادة نظر السواد الاعظم من الناس في مختلف الاقطار، بقدر ما تلفت انظارهم الاخبار المثيرة حول انطلاقات الصواريخ ، ومغامرات الفضائيين . وما يحكيه هو"لاء عن مرائيهم وانطباعاتهم الفضائية ، وما تقصه الاشارات الالكترونية التي تبعثها الاجهزة والالات المزودة بها السفن المرسلة الى الفضاء ، ثم ما يبديه هذا الجانب او الاخر من الجانبين المتسابقين من استعدادات في هذا المضمار لتحقيق ماثرات اضخم ، وتسجيل ارقام قياسية اعلى ، وقد تجد من بين العلماء الفضائيين انفسهم ، وحتى بعض اولئك الدين يشرفون على تنفيذ البرامج الفضائية ـ من لا يابه كبيرا للقضايا الفكرية والقانونية وما في معناها التي تخلقها حالة التسابق نحو الفضاء ، وانما ياخذ بمراكز اهتمامهم فقط ، ما يتعلق بالنجاح التقني الكافي لتمكين ملاحين فضائيين من القيام بعملية (تارض) او (تمرخ) او (تزهر (1)) وفتح الافاق امامهم للانطلاق فيما هو ابعد من ذلك من اجواز الفضاء التي لا تحد . والمزاج العلمي الصرف عند هذا الصنف من الناس ، يحملهم ـ عاده ـ على النظر الى الامر من هذه الزاويه المجردة التي لا تحفل الا بالوصول الى الحقيقة . والتوصل الى تحقيق الانجاز دون اهتمام بالملابسات غير التقنية التي قد يحدثها المجتمع الانساني ، بما يتحكم فيه من عقد ومصالح متضاربة ، وما يسوده من مواضعات متشعبة فرضتها عليه مجتمعيته ووجهة تفكيره في الحياه ونظرته اليها . غير ان هناك قطاعا اخر من الراي العام العالمي لا بد انه ينظر الى الموضوع من زاوية اخرى ، غير الزاوية التقنية ، وان كانت التقنية هنا هي حجر الزاوية وقطب الرحى، والمراد بهذا القطاع اوساط القانونيين والمشرعين والاجتماعيين وكذلك السياسيين ورجال التوجيه والتسيير في مختلف انحاء العالم، فهو"لاء جميعا وغيرهم ممن تعنيهم الشو"ون العامة في العالم ، من اللازم ان تكون لهم عناية بالموضوع من الزاوية التي تمس اهتماماتهم مباشرة وهي الزاوية القانونية بما يلابسها من اعتبارات سياسية وعسكرية واقتصادية وغيرها ، واذا كانت التقنية ذات مقام اول في مضمار الارتياد الفضائي من اساسه ، فان الاعتبارات التي اشرنا اليها هي ايضا ذات اهمية قصوى لانها الصق بواقع الحياة الدولية هنا على سطح الارض . واكثر اتصالا بمشاكل الناس (الدول) ونزعاتهم ومخاوفهم واهتماماتهم المباشرة في عالمهم الارضي هذا ، ان حالة من الحذر والحرص الشديد تسود روح حضارتنا العالمية الراهنة ويزداد تاثير هذه الروح بقدر ما يزداد التوسع التقني وما يولده من احتكاكات بل ومن مصادمات احيانا بين المصالح الدولية المختلفة ، ومن شان هذا كله ان ياخذ من

1) نزول بالارض او بالمريخ او بالزهرة

التوسع العلمي وعواقبه القانونية

الارتياد الفضائي من وجهة نظر القانون الدولي العام

للأستاذ : المهدي البرجالي

اهتمامات تقنية واهتمامات قانونية بامر الفضاء ـ مدخل القانون الدولي في قضية الارتياد الفضائي ـ نحو نشوء فرع جديد ومهم من فروع القانون الدولي العام ـ الحقوق الدولية التي اقرتها الامم المتحدة سنة 1963 : هل يمكن ان تصبح نواة قانون فضائي ايجابي ومتحرر .

في اوائل خريف سنه 1957 (4 اكتوبر) وبينما كانت السنة الجيوفيزيائية الدوليه في اوج نشاطها الدراسي الاستكشافي ، حول طبيعة الارض وعلاقتها بالفضاء . اطلق الروس اول قمر صناعي لهم الى الفضاء حصلوا بواسطته على معلومات وحقائق مهمة ، حول طبقات الجو العليا ، لم تستطعها المناطيد التقليديه التي كانت ترسل من قبل لهذا الغرض ، وانطلقت بعد هذا القمر مجموعات من الاقمار الروسية، كان من بين اهمها السبوتنيك الثالث الذي صمم ليعمر طويلا في الاجواء العليا ، وليقوم بدور طويل الامد علقت عليه الاوساط الفضائية اهمية بالغة . ودخل الامريكيون عمليا الى حلبة السباق الفضائي بعد مدة قصيرة جدا (اقل من اربعة اشهر) ففي 31 يناير 1958 اطلق القمر الصناعي الامريكي (الرائد) ثم اطلق (فانكارد) وكانت بداية امريكية بسيطة ولكنها تطورت فيما بعد ذلك حتى لتكاد النجاحات الروسية والامريكية الان تتساوى من حيث ما يتحقق خلالها من نتائج . وفي يوم 13 شتنبر 1959 اطلق صاروخ روسي الى القمر ، ولما حل بتابعنا الارضي اهتزت الاوساط العلمية لذلك في شتى افاق العالم ، وشاهدت سنة 1961 اطلاق (فوستوك 1) ويحمل اول انسان الى الفضاء (كاكارين) حيث اتم دورة واحدة حول الارض وفي 6 غشت 1961 حلق (تيتوف) في العالم الفضائي حيث تمكن على ظهر السفينة (فوستوك 2) من انجاز نحو 17 دورة حول الارض . وضرب رقما قياسيا ـ حينذاك ـ في بقاء الجسم الحي خارج نطاق الجاذبية الارضية (25 ساعة) وبعثت وكالة الفضاء الامريكية في خلال السنوات الاخيرة بتوابع وسفن عدة كان من بينها السفن التي اطلقت ضمن برنامج (جيميني) وحققت نجاحات مرموقة . ومن هذه السفن (جيميني) الرابعة التي اطلقت في اوائل يونيه 1965 مقلة على متنها رجلين ارتادا الفضاء خلال 62 دورة في مدى نحو 97 ساعة و 58 دقيقه وقد حققت (جيميني) السادسة التي اطلقت بعد ذلك مأثرات اعظم . وعند وصول برنامج (جيميني) الى نهايته ، يتفتح المجال امام التقنيين الامريكيين لتنفيذ برنامج (ابولو) الفضائي الذي يتضمن مشاريع قوية جدا في موضوع ارتياد الفضاء والكواكب الاخرى

والان وقد تمكنت وكالة الفضاء الامريكية من تحطيم جميع الارقام القياسية في مجال بقاء الجسم الحي في الفضاء ، واستطاع السوفييت ان يضعوا ـ بنجاح ـ تابعا صناعيا في مداره حول القمر بعد ان زود بأدق الاجهزة التي تمكنه من نقل المعلومات الى الارض في

ستحثها ـ ولا شك ـ افاق النزول على الكواكب الاخرى في نظامنا الشمسي ، ولا بد ان يكون للسينمائيين والصحفيين واضرابهم ، افكار حول امكانيات نشاط تفتح لهم ميادينه على سطح القمر او المريخ او غيرهما من كواكب وتوابع ، اما هواة المغامرات السياحية والمجازفات المثيرة فلهم هم الاخرون ما يفتح شهيتهم للفضاء ، وما يعوض لهم عن الضيق الذي يجدونه في جنبات الارض بعد ان اصبح الطواف حول استدارتها يستغرق ساعات معدودة ، وهناك غير هؤلاء واولئك ممن يثير عنايتهم امر ارتياد الفضاء على اختلاف المشارب عندهم والغايات والمصالح ، اما القاسم المشترك بين الجميع فهو نظرتهم الى نتائج هذا الارتياد نظرة طامحة جدا ، واعتقادهم انه لا بد ان يفتتح من الافاق العلمية والحياتية ما يبرر التسابق نحوه بهذه الصور المحمومة، التي تستنزف الجهود والموارد وتاخذ بالاهتمامات على اوسع نطاق موجود

والسؤال الذي لا مناص منه ان يثار بهذا الصدد هو : اذا كان امر الفضاء بهذه الدرجة من الاهمية لمستقبل البشرية وتطور المدنية وتوسع افاق الحياة امام البشر ـ فهل هو امر بسيط ـ باعتبار القانون ـ ان يصبح لدولة ما حق امتلاك مجالات حيوية في الاجرام الكونية او احتكار منافع وامكانيات لها على سطح كوكب من الكواكب او تابع من التوابع ، او ضمن المجال الفضائي الكوني عموما ؟ واذا كان لدولة من الدول الغنية سعة في المورد والطاقة تمكنها من التوصل الى القمر او بعض الكواكب فهل يخولها ذلك صلاحية السيطرة على الاجرام السماوية هذه طبقا لما يجري به العمل عندنا في الكوكب الارضي حيث حالة السبق في هذا المجال تعطي احقيات وصلاحيات يقع بها التملك احيانا بصورة قانونية ؟ واذا كان للسبق هكذا كل هذه القوة القانونية فهل تعتمد الدول الكبرى في المستقبل على هذا المبدا لتنتحل لنفسها الحقوق المختلفة وعلى هذا ترتكز ستراتيجية التسابق الفضائي الراهن ، حيث تقوم هذه الستراتيجية على قاعدة تحقيق السبق باي ثمن كان ؟ وفي حالة ما اذا صارت الامور على هذا النحو من القانون المعمول بها في التملك الدولي للارض ، فهل يعني هذا ان الاجرام الفضائية قد تصبح ـ في الدرجة الاولى ـ حكرا لدولتين من دول الارض تتلوهما في ذلك بعض الدول الاخرى ، معدودة على رؤوس الاصابع ؟

هذه الاسئلة وكثير غيرها ، تتردد اليوم في اوساط المشرعين ورجال القانون الدولي سواء داخل الامم المتحدة او خارجها ، وبقدر ما تزداد نجاحا الخطوات التقنية المؤدية الى الفضاء الكوني بقدر ما تتزايد التساؤلات القانونية والفكرية التي تطرحها هذه الحالة ملحة على مبدا مراعاة حقوق الجماعة الدولية والحفاظ على روح المشروعية التي يقوم عليها القانون الدولي من اساسه والقضايا الحقوقية التي يثيرها اليوم امر ارتياد الفضاء ليست ـ من حيث الجوهر ـ جديدة على القانون الدولي العام ـ فقد خلقت من قبل حالة التوسع البحري عند بعض الدول قضايا تقرب من هذه من بعض الوجوه ، واثارت حركة الاكتشافات الارضية وارتياد المناطق البكر في العالم التي ادت بالاوربيين الى وضع اليد على عدد من المناطق المجهولة في الشرق الاقصى والقارة القطبية الشمالية وغيرها ـ ادت هذه الحركة الى اثارة عدد من القضايا السياسية والقانونية التي عقدت لحلها المؤتمرات الدولية كمؤتمر برلين (1885) وكان الحال يدعو احيانا الى ان يتدخل فيها البابا فيصدر احكاما للتسوية في هذا المعنى وغداة ان اصبح الطيران امرا واقعيا في مضمار المواصلات الدولية كان من شانه ان يخلق عدة مشكلات ناتجة عن تشابك خطوط المرور عبر الاجواء الدولية ، وصلة ذلك بسيادة الدول وسلامتها (1) وقد تدخل القانون الدولي

(1) تضاربت اراء فقهاء القانون الدولي حول موضوع الجو وصلته بالسيادة ، فمنهم من اعطى للدولة كامل الحق في هذا المضمار بحيث ان لها ان تمنع اي مرور في اجوائها ، ومنهم من قال بالعكس ، والرأي السائد الان هو الراي المتوسط الذي يذهب الى اقرار الدول على مالها من سيادة على اجوائها مع وجوب التعاون الدولي في تنظيم الملاحة الجوية عبر العالم ، وقد اقرت اتفاقية باريس الدولية (1919) حقوق السيادة في الاجواء مع حق الدول في المرور ، وفي غضون الحرب العالمية الاخيرة (1944) تم الاتفاق الدولي بشيكاغو حول معاهدة الطيران المدني ، واتفاقية النقل الجوي ، التي جرى بها العمل على العموم في انحاء العالم

اهتمام القانونيين والمفكرين امام الحالة الناشئة عن التوسع الانساني في الفضاء الكوني ، فهذا التوسع باب واسع عريض من شانه ان يضع على حضارتنا الفكرية قبل المادية اعباء ثقيلة يعسر تحديدها الان

* * *

تثير النفقات الضخمة التي يتطلبها ارسال السفن والكواكب الاصطناعية الى الفضاء ـ تثير عدة اراء انتقادية هنا وهناك في مختلف انحاء العالم ، تنكر لا طريقة صرف هذه النفقات فقط بل تضاد ـ اكثر من ذلك مبدا الارتياد الفضائي من اساسه ، ولا تجد له مبررا كافيا يسنده في الوقت الحاضر ، وتذهب مثل هذه الاراء الى القول بان المشاكل التي نعيشها هنا على سطح الارض هي اشد الحاحا على الانسان اكثر من اي وقت مضى ومن مجاوزة المنطق ان تصرف ملايين الدولارات والروبلات لخلق ملاحين فضائيين.وتمكينهم من النزول على الكواكب والتوابع فيما توجد الصحاري الشاسعة زاخرة بها الارض والمحيطات الهائلة تغمر نحو ثلثي الكرة ، ومن الجائز استغلالها وهي لا تستغل كما يجب ان يكون الاستغلال ، ومناطق القطبين فيها الكثير مما هو مجهول لدينا ، لانلم بالحقائق عنه الا بقدر بسيط جدا لا يمكن من شيء ولا يؤدي الى شيء ، وبطبيعة الحال فان مثل هذه الاراء الانتقادية لا تلاقي اي صدى مهم في المحيط الدولي ، فالدول الفضائية تسير قدما في سبيل تنفيذ برامجها لارتياد الفضاء ، ومن المنتظر ان يتسع نطاق الانفاق على هذه البرامج ، وبالاخص اذا نجحت الدول الكبرى في التوصل الى اتفاق دولي حول التخفيض من نفقاتها الحربية ، ففي حالة من هذا القبيل يرجح ان يحول قسط من الفائض الذي قد ينتج عن ذلك الى الشؤون الفضائية التي لا بد ان تصبح ذات علاقة شديدة بحالة التوازن بين الدول الكبرى في المستقبل ، لكن لماذا تتحمل الدول الفضائية كل هذه المصاريف الباهظة ؟ هل من اجل الاغراض العلمية يقع ذلك ؟ هل الحرص على الا يختل التوازن هو الدافع الجوهري في التسابق الفضائي الحاصل ؟ هل الرغبة في الحصول على منافع اقتصادية وطاقية ذو اهمية في الامر اكثر من غيره ؟ الواقع ان هذه الدوافع مجتمعة، وغيرها كذلك من شانها ان تبرر الميزانيات المصروفة سواء في نظر الستراتيجيين او رجال التخطيط وغيرهم،

والمقدر ان الستراتيجية العسكرية لا بد ان تعرف تطورات جوهرية نتيجة لتطور الصواريخ والسفن الفضائية والانطلاقات بعيدة المدى التي يتيحها ذلك على مستوى الكوكب كله ، فهل يمكن ان تتحول الستراتيجية الحالية القائمة على استخدام الاسلحة التكتيكية داخل نطاق الجاذبية الارضية ـ الى استراتيجية خارج ارضية EKTMATEMMESTRE يقوم فيها الفضاء كمجال رئيسي ؟ قد يبدو ذلك مؤكدا من خلال الاعتبارات التقنية ، غير ان المعنيين في الدول الفضائية يجتنبون في كثير من الحالات الاشارة الى مثل هذه الامور ويكاد المرء يتبين من خلال المواقف المتخذة ان التقلبات الستراتيجية المنتظرة من وراء الارتياد الفضائي لا تزال بعيدة نوعا ما الامر الذي قد لا يبرر الاهتمام بها مثل ما تفرضه من اهتمامات الان مشاكل الارتياد نفسه والصعوبات التي تعترض نجاحه على جميع المستويات ، ويتحدث العلماء من جهتهم عن الفتوح العلمية التي لا بد ان تقع نتيجة الاتصال الانساني بالفضاء ، وعما يؤدي اليه هذا الاتصال من مساعدة على حل كثير من الالغاز الطبيعية والكيميائية والبيولوجيه والفلكية وغيرها ، التي بقيت ردحا من الدهر مستعصية على البحث والادراك العلمي ، فعلماء الطبيعة ـ مثلا ـ يهفون الى اليوم الذي يستطيعون فيه الانطلاق الى الفضاء حيث يتهيأ لهم حينئذ الجو الملائم جدا لدراسة الاشعاع الكوني والاشعة فوق البنفسجية ، والحقول المغناطيسية وغير ذلك ، والفلكيون ـ من جهتهم ـ امامهم في الفضاء اضخم مجال لاستقصاء الحقائق والظواهر التي كانوا يرقبونها من الارض ويستفسرون عنها الاطياف الواردة ، ولا ما ينقع غلتهم بالقدر الذي يبتغون ، وترسل اليوم الى الفضاء اجسام حية لمعرفة تاثرها بالبيئة الفضائية ، وكم يتحرق البيولوجيون شوقا الى التمكن من القيام بدراسات على هذا النحو في عالم الفضاء نفسه ، وللكيميائيين وغيرهم مارب في الفضاء لا تكاد تنتهي ويتجه الاجتماعيون من جهتهم الى التفكير فيما اذا كان سيصبح من الممكن ان يساعد الفضاء على مواجهة المشكلة الديموغرافية في الارض وايجاد حلول لها ، على الرغم مما يكاد يتأكد الان من صعوبة الحياة في الكواكب المعروفة واستحالتها في اكثرية الحالات ، وللباحثين عن العناصر الطبيعية مطامح

الاخرى ؟ على اي حال ، فان وسيلة التملك الدولي في الارض لا يمكن ان تصبح تقليدا متبعا فيما وراء نطاق الجاذبية الارضية نظرا لخطورة النتيجه التي تأتي عن سيطرة بعض الدول القليلة عن الفضاء دون غيرها من دول الارض ان القانون الدولي يستمد قدرا كبيرا من مادته ، من مجموعة اعراف وتقاليد دولية يمكن ان تكون في بدايتها بدعا غريبة ، ولكن بتكررها وانتشار العمل بها وتقبل المجتمع الدولي لذلك تصبح هذه البدع اعرافا مقبولة بل مصدرا من مصادر القانون الدولي يحتذى حذوه ، الا ان ترفضه الجماعة الدوليه بعد ذلك لسبب من الاسباب ، وقد طبعت الدول الكبرى - في القرن الماضي وما قبله - طبعت بعض مواد القانون الدولي بطابع تصرفاتها ووجهتها في النظر والتدبير . فاعتبر - مثلا - الاستيلاء على منطقة مهجورة وممارسه السلطة الفعلية فيها وسيلة قانونية من وسائل التملك الدولي . واعتبر الالحاق . اي اقدام دولة ما على الحاق بعض الاراضي المتصلة بها على - نحو ما - وسيله كذلك من وسائل التملك . ونظر الى التنازل ، تنازل دولة لاخرى عن اقليم من الاقاليم ببيع او بدونه ، على انه ايضا طريقة من طرق التملك . وعد الاستيلاء بالقوة او وضع اليد لمدة طويلة جدا على الارض بمثابة سبيل من سبل التملك ، وهكذا . وعلى الرغم مما كانت تثيره هذه الاعراف من اختلاف في الاراء بين فقهاء القانون الدولي الذين كان منهم من يسلك في الحكم على الاشياء هذا المسلك نفسه ، ومنهم من كان يرى رأيا متوسطا ومن يعارض اطلاقا - على الرغم من الاختلافات الفقهية ذات الصبغة الاكاديمية ، فان العلائق الدولية كانت تسير في معظم الحالات على نهج لا يختلف عن مصالح الدول الكبرى في اكثر الاحيان ، ويرتبط بمصالح الدول الكبرى حركات التوسع والارتياد الارضي كان يترتب عن هذه الحركات من تملك بواسطة الاستيلاء او الالحاق او الفتح او الاحتجاج بوضع اليد لمدة طويلة وغير ذلك كثير وبنهاية الحرب العالمية الاخيرة ، عرفت الحياة الدولية تقلبات جذرية في مختلف الميادين تمس سواء النظريات السائدة في المجتمع الدولي او طريقة التعامل بين الدول فاصبح العهد الاستعماري التقليدي وشيك الانتهاء ونزعت الى الاضمحلال سياسات مناطق النفوذ والمجالات الحيوية

في شكلها القديم المألوف ، ومع ظهور القوى الدولية الجديدة في الميدان برزت افكار جديدة وقيم جديدة وتبلورت احوال عالميه متطوره تتميز بضيق الافق امام اعمال الغزو السافر والسيطرة عنوة ، ونزوع المجتمعات الصغيرة الى الاستقلال بشؤونها الخاصة . كل هذا كان لا بد ان يؤدي الى عدم الابقاء على مقاييس القانون الدولي التقليدي في موضوع التملك الارضي - هذه المقاييس التي يستوحي بعضها وجوده من ظروف دولية لم تعد لها وجود في الوقت الحاضر

لكن ماذا عن الارتياد الفضائي - في ظل هذه الظروف العالمية الجديدة - ان الارض اصبحت مكشوفه تماما لا منطقه فيها ، مجهولة الا ما كان من القطب الجنوبي الذي يتعاون العلماء في جميع العالم الان على استكمال التعرف عليه . فلم يبق اذن مجال كبير للعمل بمقتضى الوسائل المتبعة في تملك المناطق الارضية (نتيجة لتطور الاوضاع العالمية كما قدمنا واكتشاف كل اجزاء الارض) فهل يفكر في اعادة التجربه الارضية على سطح الكواكب الاخرى وتطبيق الاعراف التقليديه للتملك الدولي في تلك الاجرام اذا وطئتها اقدام الانسان ؟ ان زمام المبادرة موجود فعلا في ايدي الدول الفضائية الحاضرة . لكن هل تستطيع هذه الدول ، ان تتجاهل منطق العصر الذي لم يعد فيه مجال للتشريعات الناتجة عن الاعراف والسوابق التي كانت تخلقها الدول الكبرى في الغالب ، وتوثر في جعلها مقياسا للتعامل الدولي في عدد من الميادين ، واساسا لتقسيم كثير من الاشياء ، وتحديد صبغتها العامة ، لقد اسفرت الحرب العالمية الاولى عن قيام عصبة الامم ، وقد قامت هذه المنظمة بدور مهم في ميدان التشريع الدولي الا ان السيطرة التي كانت للدول الكبرى على العالم ، كان لها في عدة حالات تاثيرات ولو غير مباشرة على روح التشريعات التي كانت تصدر ، وقامت في اعقاب الحرب العالمية الاخيرة هيئة الامم المتحدة التي تتطور نشاطها الان ليشمل مختلف افاق النشاط الدولي في ميادين الاقتصاد والثقافة والاجتماع وغير هذه الاشياء ، والمهم في الامر ، ان الامم المتحدة - وان كانت الدول الكبرى تتمتع في حظيرتها ببعض الامتيازات الدالة على التفوق(راجع نظام مجلس الامن مثلا) الا ان المبادرات التنظيمية والتشريعية التي

ـ بطبيعة الحال ـ في هذا الموضوع واستقر على مجموعة من المبادىء والتقنينات تهدف الى تنظيم الملاحة الجوية على الصعيد الدولي مع التوفيق بين مقتضيات السيادة الاقليمية لكل دوله ، وبين ضرورة العمل على ازدهار حركة النقل الجوي في العالم ، واعطائها منطلقات توسع غير محدود اما الان ، وبدخول العالم في عصر الفضاء ـ فان القانون الدولي يجد نفسه مدعواـ من جديد الى التدخل ، مثل ما كان عليه دائما ان يتدخل في تنظيم كل حالة توسع مادي او معنوي يوجب قيام مماحكة بين الامم ، وتضارب في المصالح بين اعضاء المجتمع الدولي ، ومن غير شك ، فان الحالة القائمة الان في نطاق التوسع الفضائي ـ هي ادق بكثير من الاحوال المشابهة لها في الارض ، ولعل الحالة الفضائية من التعقيد بحيث قد تستدعي كثيرا من الاخذ والرد القانوني والسياسي كذلك ، قبل ان يتوصل الملا الدولي في شانها الى اقرار مبادىء واحوال ثابتة ، واهم من ذلك قبل ان تعتاد الدول المعنية بالامر التقيد بهذه المبادىء والاحوال اذا تقررت مثل ما تتقيد الان بالمبادىء المعمول بها في ميادين الملاحة البحرية والجوية وما يتصل بها ، واذا كان للمرء ان يصف بالتعقيد صلة القانون الدولي بالفضاء فلان لذلك موجبات عديدة سياسية وعسكرية واقتصادية وغيرها ، ومن هذه الموجبات:

1) الاختلال الكبير ، الواقع بين وجود مبدا التمتع بالحق ، وبين ضعف القدرة على ممارسة الحق او انعدام هذه القدرة اطلاقا ، ذلك انه حتى اذا ما تقرر في موضوع الفضاء حق ثابت وشامل لاعضاء المجتمع الدولي من ناحية مبدئية ، فان الاغلبية الساحقة من الدول لا تستطيع ـ في واقع الامر ـ تحمل الاعباء المالية وتوفير الترتيبات التقنية التي يتطلبها تحقيق سياسة فضائية من نفس المستوى الذي يطمح بمقتضاه الى النزول في الكواكب واستغلالها من ناحية او اخرى ، ووجود هذا القصور العالمي عن ممارسة الحق المكتسب مبدئيا من شانه ان يقوي النزعة الى الاحتكار الفضائي عند الدول الفضائية الكبرى ، وقد يخلق في الامد البعيد حالة دائمة من عدم التوازن العالمي لعلها اخطر من كل ما سبق من حالات من هذا القبيل

2) عمق النتائج التي ترتبط حتميا بالقدرة على اتخاذ مواطيء القدم في الفضاء واكتساب مجالات النفوذ في رحابه، فهذه النتائج والاوضاع المنبثقة عنها لا يمكن ان تقاس بتاتا باية نتائج او اوضاع اسفرت عنها حركات التوسع وتكوين مناطق النفوذ على سطح الارض فنجاح دولة في بسط سلطانها على منطقة او مناطق متعددة في الارض كان يخلق ـ في العادة ـ حالة من التفوق الارضي لقطر على حساب اقطار اخرى من اقطار الكوكب هدا ، وحالة التفوق هذه ـ بما انها واقعة على صعيد مشترك هو الصعيد الارضي كان من الجائز ـ دائما ـ مطاولتها وتقليصها كما وقع فعلا حيث توشك ان تتم الان تصفية مناطق النفوذ التوسعي على سطح الارض ، اما ما يمكن ان يتاتى عن طريق اكتساب نفوذ واسع خارج نطاق الجاذبية الارضية ، فمن شانه ان يخلق حالة من التفوق لا تجارى لان مستوى النفوذ في هذه الحاله يصبح غير محلي ، والنتيجة الحتمية لذلك ان مطاولته تصبح غير متيسرة في النطاق التاريخي الذي نعيشه الان ومرتكز الاهمية في كل ذلك هو الجانب العسكري ، اذ ان جميع السياسات الدفاعية المعمول بها هنا في الارض تصبح غير ذات جدوى في الاعم الغالب

3) الموقف الاخلاقي للانسان امام المغامرة التقنيه الجديدة ، فهل يزداد ـ والانسان على عتبة المغامرة الكونية الكبرى ـ هذا التباعد بين مقدرة الانسان التقنية وتهافته الخلقي رغم ضخامة رصيده من النظريات الفلسفية والقيم الفكرية واذا زاد هذا التباعد فالى اي حد سيذهب في التاثير على عقلية بعض المجتمعات التي الفت التوسع في الارض ، وتتحكم فيها عقدة السيطرة الى حد بعيد

واجمالا فانه في امكان المرء ان يجد امامه ـ عند امعان النظر ـ كثيرا من الاعتبارات من هذا القبيل من شانها ان تضفي على قضية تملك المناطق خارج الارض اهمية خاصة ، اذ يتوقف عليها مستقبل التوازن العالمي بصورة شاملة ، على انه اذا كان للتملك خارج الارض كل هذه الاهمية البالغة فهل يكفي ـ كما تقدم ـ ان تتوصل بعض الدول بوسائلها الخاصة الى سطح كوكب ما ، قبل غيرها ، لتكتسب بذلك حقوق المالك الذي لا ينازع ؟ اما على مستوى الكوكب كله او على بعض المناطق منه بالاقل ؟ وقد اطلقت بعض الشعارات لتنزل على سطح القمر ، فهل يعني ذلك شيئا ما ام انه مجرد رمز لتطلع الانسان الى الفضاء ، وطموحه الى الكواكب

امتداد المياه الاقليمية لكل دولة (1) وهذه القضية تشابه من بعض الوجوه مسألة تعيين الحدود الفاصلة بين المجال الجوي والمجال الفضائي خارج الارض وهي القضية المثارة الان ضمن ما يثار من قضايا في ميدان القانون الفضائي الناشيء . وهناك عدة مسائل تتعلق بالقانون الدولي من هذا القبيل لم يستقر فيها هذا القانون على رأي حاسم الا بعد صعوبات بالغة واختلافات عريضة تتجدد بين الاونة والاخرى

وبديهي ان تعثر المحادثات الدولية حول نزع السلاح النووي وضالة امكانيات التوصل الى نتائج قريبة بهذا الشأن ، كل هذا لا بد ان يجثم بظله على احتمالات الاتفاق حول التنظيمات الفضائية المختلفة التي طرحت اقتراحاتها على الامم المتحدة خلال السنوات الاخيرة ، ولم يقع التوصل في شأنها الى شيء عملي لحد الان . فاقتراح حظر اي نشاط غير علمي في الفضاء ، ومنع اعمال التجسس بواسطة السفن الاصطناعية الفضائية ، والزام الدول بعدم التدخل في النشاط الفضائي لدول اخرى ووضع ميثاق دولي لتحديد المسؤولية فيما عسى ان يحدثه النشاط الفضائي من اضرار . كل هذه نقط وجيهة وذات اهمية حيوية لتنظيم النشاط الفضائي على اساس دولي مقبول ، لكن الملابسات العالمية الراهنة تفرض نوعا من الارتباط بين هذه النقط وبين مجموع الاعتبارات الستراتيجية المعقدة في عالم اليوم وهذا الارتباط قد يصبح عقدة مستحكمة كجميع العقد المزمنة التي تحول الان دون اقرار خطة دولية عملية لنزع السلاح النووي في العالم ولا شك ان الضغط الذي تمارسه الدول الصغرى والمحايدة هو ذو قيمة مهمة في مثل هذه الاحوال وهذا الضغط . وان لم يعجل بحصول اتفاق دولي حول السلاح النووي وبلورة اساس صحيح وشامل لتنظيم النشاط الفضائي الدولي في المستقبل، فانه يساهم على الاقل في التخفيف من نزعة اللامبالاة التي قد تسود بعض الجهات الدولية بهذا الشأن ، ولاقرار المبادىء عمليا . وعلى مستوى دولي عال ، اهمية لا تخفى في مثل هذه الامور . وقد حققت الامم المتحدة في هذا المعنى . تدخلات ناجحة ، كان من اهمها الاعلانان اللذان صدرا في غضون سنة 1962 والماضي احدهما بان القانون الدولي يشمل باحكامه العالم الفضائي والاجرام الكونية مثل ما يشمل كوكبنا الارضي هذا ، ومختلف اوجه العلاقات والحقوق الدولية فيه بينما ينص الاعلان الثاني على ان الحق هو مشاع لكل دول الارض في ارتياد الفضاء ، والكواكب الاخرى ، والانتفاع من ذلك اذا امكن . ومهم كذلك – ولعله اكثر اهمية من غيره – ما ورد في هذا الاعلان من ان الاحتكارات الخاصة في ميدان الفضاء ، هي محظورة بتاتا وباي شكل كانت ، وندرك جميعا ان التسابق الدولي لاحتكار النفوذ والمنفعة في مناطق الارض المكتشفة كان من الاسباب الهامة في قيام الحروب الاستعمارية التي عرفها العالم خلال القرن الماضي ، والنصف الاول من قرننا الحالي . ومن ثم فان الموافقة الدولية على هذه النقطة بالذات ، قد اثارت انطباعا حسنا في الاوساط الدولية التي تعنى بهذه القضايا ، واعتبر ذلك كسبا لقضية القانون والمشروعية الدولية ، ومما لا شك فيه ان اقرار المبدأين هذين هو اقرار لمجموعة من الحقوق الدولية التي لا بد ان تقوم كنواة للقانون الفضائي الناشيء ، ثم هناك مجال لتوسع هذا القانون كنتيجة لتوسع الارتياد الفضائي حيث لا مناص من ان تحدث احوال وتقوم قضايا تتطلب وضع قوانين فرعية تغذي القانون الدولي حول الفضاء وتوسع من

(1) اقر مؤتمر (لاهاي) سنة 1930 لكل دولة بحرية حقوقها في المنطقة المجاورة لها من البحر ، والتي تدعى عادة بالبحر الاقليمي ، على ان مبدا سيادة الدولة على بحرها الاقليمي اذا كان مقبولا ومتفقا عليه، فان تعيين حدود للبحار الاقليمية ، شيء اختلفت فيه اراء القانونيين ورجال السياسة اختلافا كبيرا ومزمنا لحد الان ، فالراي السائد عموما ان الحد الادنى لامتداد البحر الاقليمي هو ثلاثة اميال ، لكن عددا من الدول لا تتقيد بهذا التحديد ، وتمد حدودها البحرية اوسع من ذلك بكثير ، وفي احيان عدة يسبب نزعات دولية ، تنشأ عن خلاف حول حقوق الصيد او غير ذلك ، وقد عقد منذ سنوات مؤتمر دولي للاتفاق على تحديد نهائي للبحار الاقليمية ولكن يبدو ان المشكلة لا تزال قائمة بكل ملابساتها المختلفة .

تتخذها المنظمة الدولية اصبحت تحمل في طياتها بذور وجهه جديدة في تقييم الحقائق الدوليه والعالميـة ، وتقوم على مراعاة وجود الشعوب الصغيـرة والقـوى الناشئه في العالم . وتقدير المصالـح العالمية ككـل متجانس لا يقبل التجزئه الا بقدر محدود جدا ، ومما لا ريب فيه ان تدخل الامم المتحدة في قضية الارتياد الفضائي من الوجهـة القانونيـة والعلميـة ـ يدخـل بالضرورة في هذا المعنـى . ويـدل على مدى اهميـة التحول الذي حصل في مضمار الحياة الدولية ، وما لهذا التحول من ءاثار على تطوير المفاهيم التي كان يعتمد عليها القانون الدولي التقليدي في كثير من الميادين .

* * *

جرت في حظيرة الامم المتحدة ـ خلال السنوات الاخيرة ـ مناقشات مهمة حول سوءون الارتياد الفضائي والمشاكل القانونية التي يثيرها هذا الارتياد سواء بالنسبة لكل دولة على حدة او بالنسبة للمجتمع الدولي عموما، والنقط التي اثيرت خلال المناقشات هـذه تعبـر عن شعور مختلف الدول . بان امر الارتياد يمس مصالحها، بل وسلامتها ايضا من بعض الجوانب اذا لم توضع في شان هذا الارتياد ترتيبات قانونية على مسـتوى دولـي تحدد المشاكل وتعين لها مبادىء ومقاييس مقبولة عموما ومن هذه النقط المثارة : 1) احتمالات استخدام الفضاء الخارجي لاغراض عسكرية او شبه عسكرية وما ينجـز عن ذلك من امكانية استخدامه لنشر مواد سامة تفسده ، او تتسرب منه الى جونا الارضي المباشر ثم كذلـك امكانية اتخاذه مرتكزا للقيام باعمال تجسسية او ما في معناها 2) احتمال مراقبة الاذاعات الصوتية او المرئية والتدخل فيها على وجه من الوجوه 3) ضرورة وضع ميثاق دولي يحدد المسوءولية فيما يمكـن ان يقـع من خسائر او ضرار تحدثهـا سفن او اقمار اصطناعيـة اما قصدا او عن غير قصد كذلك 4) ضرورة اتخاذ الوسائل الكفيلة بمقاومة التدخل غير المشروع من جانب دولة ضد النشاط الفضائي لدولة اخرى 5) ما يلزم القيام به من احتياطات دولية لمساعدة الملاحين الفضائيين في حالة تعرضهم للاخطار ، واعادة هوءلاء الملاحين الى ذويهم في حالة وقوع نزول قسري غير مرتقب لهـم ، واعادة السفن الفضائية كذلك اذا وقع لها نفس الشيء

6) وفي طليعة ذلك كله ، وجوب العمل على اقـرار خط متفق عليه دوليا يكون كحـد فاصل بين المجـال الجوي للارض . والمجال الفضائي خارج الارض على غرار ما هو معمول به دوليا بالنسبة للحدود البحريـة والترابية والارتفاعية وما يتعلـق بها وكما تقـدم فان المناقشات حول هذه المسائل ليست بنت اليوم ، بل انها ما فتئت تدور منذ بضع سنـوات ، كمـا تدور كذلـك الاتصالات الطويلة في جنيف حول نزع السلاح ، ومن بين المناقشات المهمة حول الفضاء داخل الامم المتحدة تلك التي جرت في اواسط سنة 1962 (28 مايو / 20 يونيه) وفي خلالها وقع تقابل مهم ـ رغم انه لم يوءد الى نتيجة عملية ـ بين وجهات النظر الدولية ـ بما فيها وجهـة نظر الدول الفضائية ـ حول جملة المشاكل القانونية التي تمس موضوع الارتياد الفضائي ، على اساس ان يوءدي ذلك الى بلورة موقف دولي حول بعض المبادىء تكون نواة لفرع جديد من فروع القانون وهو ما يمكن ان يطلق عليه القانون الفضائي ، ولم يزدد الاهتمـام بالموضوع ـ بعد هذا التاريخ ـ الا توسعا ، ولكن التوصل في هذا المضمار الى اتفاق حاسم يضمن قيام تعاون دولي فضائي على النحو المرغوب فيه مبدئيا ـ مثل هذا الاتفاق، ليس امـرا سهلا ، يمكـن تحقيقـه بسرعـة ، نظـرا للمداخلات الدقيقة بين هذا الموضوع ، وبين الاعتبارات الستراتيجية للدول الكبرى ، ونظرا ايضا لعجز اغلبية دول الارض عن مسايرة حركة الارتياد الفضائي عمليا ، ثم اهم من ذلك كله ، نظرا لان حركة ارتياد الانسان للفضاء لا تزال في خطواتها التمهيدية ، وبالنتيجة لذلك فان مبادىء قانون فضائي لا تزال عبارة عن نظريات عامة، لم تنبثق عن واقع ملموس الا بقدر محصـور النطـاق جدا ، ولم تصدر عن اعراف وتقاليد قويـة الاصالـة ، ومتجذرة في مضمار الحياة الدولية ، مثل ما هو عليـه الامر بالنسبة لمعظم الاحكام التي يتعرض اليها القانون الدولي العـــام

والملاحظ بهذا الشان انه حتى بصـدد القوانين التي تسندها اعراف دولية مر عليها حين من الدهـر ، فان القانون الدولي لم يستقـر في بعضها على اسـاس نهائي ، وتوجد موضوع اخـذ ورد بين فقهاء القانـون والسياسيين على السواء ، ومن ذلك مثلا قضية تحديـد

معرض الكتب :



مقدمة ابن خلدون في طبعتها الجديدة

تقديم وتعليق للاستاذ :
عبد القادر زمامة

لعل ابن خلدون مـن الشخصيـات العالميــة الجديرة بقـول الشاعـر العربـي :

هل غـادر الشعـراء من متردم ..؟

فهل غادر الكتاب والباحثون والدارسون مـن مردم فى شان ابن خلدون وتراثه الفكري الخالد ..؟ فهل اصبح الكلا مفى هذا الموضوع من الحديث المعاد والكلام المكرر الذي يمله الكاتب والقارىء والسامع .؟ اظـن . لا

فتراث ابن خلدون عرف معرفة سطحية .. ولنا على ذلك دليـل بسيط وهو ان هذا التراث ما يزال لم يتم اخـراجـه فى طبعات علميـة منقنـة تعطينـا صورة حقيقيـة عما خطته اصابـع ذلك العبقـري الطمـوح ..

فكتاب العبر رغم اهميته التاريخيـة طبع مرات وفى كل طبعـة نجد عيوبا لا تحصى .. وفى كـل طبعـة نجد نقصـا وتشويهـا مختلف الاسبـاب والانـواع ..

والمقدمة رغم اهمتها الفلسفية والاجتماعيـة والادبيـة طبعت عدة مرات فى اوربا والشرق .. وفى كل طبعه نجد من النقص والتحريف والتشويـه والحذف ما يشوه كلام ابن خلدون ويبعثر افكـاره ويضفي عليه سجوفا من الغموض والركاكـة والابهام .. وهنـاك آثار اخرى لابن خلدون نالت حظها مـن التخريج العلمي وهي تلك الاثار التي كان من حسـن حظها ان تناولتها اياد مغربيـة كان لها الفضل الـذي لا نجحد .. ونعني بذلك آثار ابن خلدون التي اخرجها الاستاذ محمد ابن تاويت الطنجي فى كل من تركيـا .. ومصر .. منذ سنـوات خلت .

ونعود الى المقدمة .. ومن منا لم يصادق المقدمة .؟ ومن منا لم يرجع اليها عدة مـرات ..؟ ومن منـا يستطيـع ان يبحث فى موضوع من موضوعات الحضارة او الثقافة فى الفكر الاسلامـي .. ولا تكون المقدمة هي دليله ورائده ومرشده ومزوده بالملاحظة الصائبـة والمعلومات العميقـة . والفكرة الناضجة ..؟

ولكن المقدمة منذ طبعت فى باريـز منذ ما يقرب من قرن من الزمن .. ظلت تطبـع طبعـات تجاريـة تتفق على الخطأ وتتفق على النقـص .. وتتفق علـى التشويـه ..

وبانى الباحثون فينقلون نصوص ابن خلدون على ما هى عليه فى هذه الطبعات وبذلك تكون المشكلـة خطيره ومعقده .. فتارة نتهم هؤلاء الباحثين بالجهل .. وتارة نتهم ابن خلـدون .. والحقيقـة ان المتهم الرئيسى هو من طبع هذا الكتـاب من غير تحقيـق ولا تمحيص ولا تخريج علمي يليـق به باعتباره مـن النصـوص الممتازة فى الفكـر الاسلامي .

كل هذا كان يدور بخلدي كلما كنت مضطـرا الى مراجعـة فصل من فصول مقدمة ابن خلدون فى احدى طبعاتها السقيمة التي لا اجد غيرها .. وحتى اذا وجدته كان لا يقل عما بين يدي فى التحريـف والتشويـه ..

واليوم تحقق المطبعة العربيـة كما يحقق البحث العلمى نصرا جديدا واملا طالما تمنيناه بفارغ الصبر .. حيث يعمد الدكتور «علي عبد الواحد وافي» الـى اخـراج مقدمة ابن خلدون اخراجا علميا دقيقـا ويأخذ على عاتقه القيـام بهذا العمل فى صبر وانـاة واخـلاص ..

نطاقه ، وفي حظيرة الامم المتحدة وجهتا نظر متقابلتان بهذا الشان تقول احداهما بضرورة العناية بتسوية المشاكل الواقعية التي يحدثها ارتياد الفضاء ، وعن طريق حل هذه المشاكل يقع التوصل الى تقرير مبادىء اساسية تدخل في صلب القانون الدولي وتشكل مادته ، وتقول النظرية الاخرى يجب الاتفاق ـ قبل كل شيء ـ على مبادىء عامة واقرارها طبقا للنصوص المتخذة من طرف الامم المتحدة بهذا الشان ، فذلك يمهد السبيل لالتزام سلوك دولي واضح وسليم في موضوع الفضاء في المستقبل ، وسواء كانت الطريقة المثلى هذه او الاخرى فان المهم في الامر هو ان تتعظ الجماعة الدولية بخطورة التعقيدات التي خلقتها هنا على سطح الارض فيكون ذلك حافزا لها على افتتاح آفاق جديدة في الفضاء ، تجتنب فيها المشاكل الارضية المزمنة كلما امكن

سلا ـ المهدي البرجالي

1 — منطق التاريخ .

2 — منطق السياسة .

3 — دولاب الحضارة

4 — دولاب الثقافة .

5 — النقد بسائر مقاييسه .

وهاته الاشياء ليست سبلا ممهدة ولكنها مسالك وعرة زلق فيها ابن خلدون نفسه واخطا اخطاء كان هو المسؤول عنها قبل غيره من الناس وقد اخذ الدكتور وافي يناقش ابن خلدون فى هذه الاشياء مناقشة هادئة ولكنها محرجة للغاية والغريب ان ابن خلدون كثيرا ما يغالط نفسه ويخالف القواعد التي قعدها .. وينسى الملاحظات التي سجلها ..

وكثيرا ما يرد الدكتور وافي على ابن خلدون بمنطق ابن خلدون .. وتفكير ابن خلدون .. ونقد ابن خلدون .. ولكن رغم ذلك فاخطاؤه ليست اخطاء ساذجة ولكنها اخطاء تعليل وتدعيم لاشياء تختلف فيها وجهات النظر باختلاف المقاييس والعصور .

قدر الدكتور وافى ان يخرج بالمقدمة فى خمسة اجزاء وفعلا اخرج الاجزاء الاربعة الاولى وما زلنا ننتظر الجزء الخامس وهو خاص بالفهارس المتنوعة لفصول المقدمة ومحتوياتها من اعلام واصطلاحات وكلمات واسماء البقاع وغير ذلك ..

فماذا افادتنا هذه الطبعة ؟ وما هي المميزات التي اكتسبتها بهذا الاخراج العلمي ؟ ان عمل المخرج كان متسعا بحيث يمكننا ان نرسم له خطوطا عريضة اولية مع الاشارة الى ما اغفلناه مما لا يتسع له هذا العرض .

فالعمل الاول : هو تحرير النص من التحريف وتقديمه فى صيغته التي يغلب على الظن انها هي صيغة المؤلف الحقيقية .. وهذا العمل استغرق جهودا فى المقارنة والمقابلة والتصحيح والترجيح .. بحيث يمكننا ان نقول مطمئنين ان النص الذي بين ايدينا نص علمي صحيح المتن مبني على تخريج له قواعده وحيثياته ..

ولا ننسى ان المخرج يتعمد ان يجعل فى الهامش نصوص الطبعات الاخرى والمخطوطات ويعلل لك سبب اختياره وتصحيحه بما لا يدع امام الباحث اي شك ان ما يقرأ هو كلام ابن خلدون فى صورة مقبولة مفهومة سواء كان ابن خلدون مصيبا او مخطئا لان المهم ان نقرأ نصه الحقيقي .. والبون شاسع بين نصوص هذه الطبعة ونصوص الطبعات الاخرى فى الكم والكيف والاخراج والتبويب والتنظيم والترتيب ..

والعمل الثاني : هو التعليق على كلام المؤلف وشرح ما فيه من غموض او تعارض سابق او لاحق بنصوص اخرى فى نفس المقدمة ولنفس المؤلف .

وهذا يعني ان المخرج لم يقدم لنا نصوص صماء ولكنها حية نابضة طافحة بالمقارنات والمقاييس والنقد احيانا والتصويب اخرى .. وكان هناك ما ينتقد على الدكتور وافي فهو انه اسرف على نفسه كما اسرف على القراء فى تتبع ءاراء ابن خلدون بالنقد والمقارنة بينها وبين الاراء الجديدة فى الموضوع .. ومع فارق الزمان والمكان فان الدكتور يابى الا ان يقول : الصواب كذا .. والواقع كذا .. ولعل الانسب ان يقول المخرج : ان الفكر تطور من عهد ابن خلون الى الان — وجدت ءاراء ونظريات اخرى ..

والعمل الثالث : هو تكميل الاجزاء الناقصة فى الطبعات الاخرى وهو عمل لا شك فى فائدته العلمية بالنسبة للباحثين وفى انتظار الجزء الخامس من المقدمة .. نرجو ان نكون قد اعطينا هذا التراث بعض ما يستحق من اهتمام وتقدير .. كما نرجو ان نجد الاثار العلمية الهادفة مكانتها ونملا الفراغ الفكري الذي اصبح يملا بالكتب السخيفة الفارغة .. والعابثة ايضا ..

والدكتور علي وافي رجل جامعي يحمل شهادات والقابا .. وهو بذلك رجل موسوعي له ابحاث اجتماعية ناضجة، وله ابحاث لغوية صارت مادة لدراسة فقه اللغة في كثير من الجامعات الشرقية .. والى جانب هذا صاحب ابن خلدون في مقدمته سنوات طويلة وجمع نصوصها من عدة طبعات ومن عدة مخطوطات موزعة بين مكاتب اوربا وتركيا والبلاد العربية .. فاجتمع له من ذلك ما يزيد على مائة صفحة كانت محذوفة من الطبعات الشرقية وكان بعض هذه الصفحات موجودا في طبعة باريز ..

وقبل ان يقدم لنا المخرج نصوص المقدمة قام بدراسة منهجية شاملة للمقدمة ونسخها المطبوعة والمخطوطه .. وقد استغرقت هذه الدراسة اكثر من مائتي صفحة احاط فيها الدكتور علي وافي بكل شاذة وفاذة عن هذا التراث النفيس .. وذكر محاسن ومساوي كل من تناول هذا الكتاب من قريب او بعيد من الباحثين شرقا وغربا بالعربية او باحدى اللغات الاوربية الشهيرة .. كما فضح تلاعب الناشرين من تجار الثقافة بهذا الكتاب وكيف شوهوه بجهلهم وعبثهم ..!

ثم تناول في نحو مائة صفحة اخرى مناقشة آراء ابن خلدون وبيان مقاصده من بعض الكلمات التي تعرض بسببها الى النقد والتجريح .. وهذه الصفحات التي استغرقت معظم الجزء الاول هي وحدها دليل على اهمية الطبعة العلمية الجديدة التي اخترنا تقديمها كنموذج للبحث العلمي السامي في التعبير والتفكير والمضمون ..

واهم ما تمتاز به آراء الدكتور وافي على العموم هو الاسلوب العلمي والنقاش المنطقي والتجرد امام صراع المبادىء والاراء والافكار .. فابن خلدون انسان يخطىء ويصيب .. وآراؤه لها مقاييس واعتبارات يدخل فيها عامل الزمان والمكان والبيئة والمزاج ..

ثم ان آراء ابن خلدون منها ما هو وليد مشاهدة وتجربة ومنها ما هو وليد الحكم العقلي والاجتماعي الشخصي وكلا النوعين قابل للخطأ والصواب فمن جهة كان ابن خلدون يؤسس علما جديدا هو علم الاجتماع البشري .. وتأسيس العلوم لا يخلو من اخطاء غير مقصودة ولكنها وليدة التجربة الناقصة والاستقراء الناقص .. ومن جهة اخرى .. كان ابن خلدون يهدم افكار السذج والبسطاء .. والهدم لا يخلو من نشوة تخامر الهادم فيظن انه طمس المعالم واتى على الآثار .. ولكنه لا يلبث ان يكتشف هو بنفسه او يكتشف الناس ان القضية اعمق واعقد .

والقيمة الحقيقية لاراء ابن خلدون هي انه استطاع ان يكون فكرة شخصية لها الوان علمية واصول فكرية وحجج منطقية .. وان يتخطى الجزئيات الى الكليات والبسائط الى المركبات .. ويربط بين الحضارات والثقافات والدول برباط من المنطق التاريخي — ان صح هذا التعبير — وان يقدم دراسة شاملة عن الفكر العلمي والسياسي — والاجتماعي .. وعن طرق الحكم ومحاسنها ومساوئها . وعن طبيعة الفرائز الانسانية بين القوي والضعيف والغالب والمغلوب ..

كما ان عبقرية ابن خلدون تتجلى في كونه جعل للحضارة دولابا يتحرك حركات امامية وخلفية وجانبية وهو في حركاته لا ينفك يرفع ويضع ويعطي ويمنع بتأثير قانون القوة والغلبة والعصبية ..

فالحضارة لها عمر .. والدولة لها عمر .. والافكار لهم عمر — وهذا العمر يطول ويقصر طبقا لعدة نواميس اكتشف بعضها ابن خلدون .. ونادى الناس بمحاولة اكتشاف بعضها الاخر حتى لا تصدمهم الاحداث التاريخية فيحارون في التعليل ورد الاسباب الى مسبباتها ..

ولا يملك الانسان نفسه حينما يجد هذه الاراء قد كونها ابن خلدون من خلال الحوادث التاريخية التي عاشها في فاس وتلمسان وبجايه وتونس وغرناطة ودمشق والقاهرة .. فيتعجب من هضم هذا المفكر احداث عصره بخيرها وشرها .. لا ليعتبر فحسب بل يقدم عنها فلسفة عملية وخبرة اجتماعية وسياسية واقتصادية متشعبة المسالك والالوان والصور معقدة الاسباب والمسببات ..

هذه بعض ارتسامات عن مقدمة ابن خلدون في طبعتها الجديدة لكن مخرج هذه الطبعة لا يريد من قارئها ان يأخذ ارتسامات او صورا .. ولكنه يريد منه ان يعي سلسلة من الافكار هي قبل كل شيء ترجع الى :

محمد الطاهر ابن عاشور » شيخ جامـــع الزيتونة .. فهـو شيء آخـر ..

ظل ديوان بشـــار مجهولا ومقبورا طيلة قـرون وظل شعره موزعا مبعثرا هنا وهنـــــاك .. واول مجموعة شعريـــة ظهرت لهذا الشاعر هي كتـــــاب « المختـــار من شعر بشـــار » وهي مــن تاليف مؤلف عاش في القرن الرابع الهجري ولكن هذه المجموعة كانت لا تضـم الا نسبة ضئيلة من شعر هذا الشاعر الكبير.

وقد ظفر الشيـــخ ابن عاشور بجزء من هـــذا الديوان مرتب على الحروف من الهمـزة الى الدال . فشرحه شرحا علميـــا مفيدا وقدم له بمقدمة علميــة حلل فيها عناصر شعر بشار وترجمته ثم طبعه طبعة مثالية في الدقة والاهتمام ويصح لنا ان نقول ان هـــذا الديوان بهذه الصورة يمكن ان يكون نموذجا للاخـــراج العلمـــي في المغرب العربـــي .

فالشاعر يبدو من خلال قصائد الديوان شاعرا رصين الاسلوب قوي العارضـــة طويل النفس متين اللغة .. يذكرنـــا بزهير ابن ابي سلمى وطرفـــة والنابغـــة .. ويبلـــغ قصائد بشار في الديوان احيانا اكثر من مائتي بيت.. لا نجد منها الا الرصين الجزل القوي الاسلوب البليـــغ المعنـــى .. الصحيـــح اللغـــة والعروض ..

اما موضوعات الديوان او بالحـــرى هذا الجزء المنشور من الديوان فهي موضوعات متنوعـــة فيهـــا الغزل بنوعيه العفيف والماجن .. وان كان النقـــــاد يقولون ان بشـــارا لم يكن عفيفـــا ونحن هنا نعنـــي عفة الشعر لا عفة الشاعر ..! كمـــا ان في موضوعاته المدح والهجو والوصف والفخـــر والحماسة ..

اما ما يسمى بالزندقـــة بمعناها الالحادي فاننا لا نجد لها ظلا في هذا الجزء المنشـــور من الديوان .

وهناك ناحية لمسناها في قراءة شعر بشـــار وهي انه يؤرخ عصره تاريخا يكاد يكون كاملا ففي شعره نلمس صدى الاحداث التي مرت بالبصرة وبغـــداد والحجاز .. كما انك تجـــد بـــــه صدى الشخصيات العلمية والادبية والسياسية ..

ولعل صدور هذا الديوان يجعـــل نقـــاد الادب يراجعون ءاراءهم في بشـــار لا من الناحية الشعريـــة فقط .. بل ومن الناحيـــة التاريخيـــة ايضـــا ..

وقبل ان نودع الديوان نشيـــر الى ان الدراسات التي ظهرت عنه من قبل كانت تعتمد على ما احتفظ به ابو الفرج الاصبهاني من شعر بشـــار في كتـــــاب «الاغانـــي» وقد استطاع مخرج الديوان ان يميز بين شعـــر بشـــار الحقيقـــي وشعـــر بشـــار المنحول ..

لان كل شعر فيه هيام بالخمر والغزل نسب الى ابـــي نواس ..

وكل شعر فيه هجو ومجون نسب الى بشـــــار .. وكان صاحب الاغاني يجمع كل ما قيل .. فلذلك كانت الدراسات رغم قلتها عن بشـــار تظهره بمظهـــر غيـــر حقيقـــي ..

اما الصورة الحقيقية فهي صورتـــه في شعـــر الديوان الذي يضـــم قصائد ما اجدر النقـــاد بدراستها من جديد وقد ربح الادب العربي من نشر هذا الديوان ربحا آخر وهو ان احد علماء الهند لما راى عمل الشيخ ابن عاشور .. قام يبحث في امهـــات كتـــب الادب المخطوطة والمطبوعـــة واخـــرج لهذا الديوان – ذيلا – جميـــلا انيقـــا استدرك فيه قصائد ومقطعات اخـــرى وطبعه في بيـــروت ..

وبذلك حظي بشـــار في السنوات الاخيـــرة بمـــا لم يحظ به من قبـــل ..

ديوان بشار

كان بشار بن برد جسرا ادبيا عبرت عليه اجيال من الشعر من عصر الى عصر . ومن اتجاه شعري الى اتجاه آخر .. وكان الى جانب ذلك شخصية شقي بالناس وشقوا به .. وشغل بالناس وشغلوا به.

فهو الى جانب عاهة العمى التي جعلته سيء الظن بالحياة والاحياء .. ينتمي الى اصول فارسية كان لها مجد وعصبية ونفوذ في خراسان .. وهو الى جانب ذلك ينتسب الى بعض القبائل العربية بالولاء المعروف في عصره .. وكل ذلك عرضه لمتاعب محرجة .. زيادة على ما كان يتصف به من تهالك على متع الحياة واقبال على اللذات ومزاحمة الاخرين في فنون اللهو والمجون .

فاذا افتخر العرب باصولهم العربية .. افتخر بشار باصوله الفارسية .. واذا اظهر بعض الشعراء العرب العصبية لقبيلة ما قام بشار ليظهر عصبيته للقبيلة العربية التي ينتمي اليها بالولاء .. واذا عيره الشعراء بعاهة العمى .. عيرهم بالبلاده والجبن والخضوع والذل والتملق ..

ولا يكتفي بشار بذلك بل انه يهجم على اهل عصره يهجو ويفتخر ولا تعوزه الحجة ولا يعدم الدليل .. ولا سيما وهو يعتقد انه من قريش العجم حيث يقول :

نمت في الكرام بني عامر   فروعي واصلي قريش العجم

كما انه يعتقد ان امه رومية حيث يقول :

وقيصر خالي اذا   عددت يوما نسبي

وعاش بشار في عصر خرج فيه مارد الحرية من محبسه فظهرت الوان من الجد والهزل وفنون من العادات والاخلاق والسلوك الشخصي والاجتماعي وكانت البصرة – وهي مسقط رأسه – تعج بصنوف من الرجال ذوي الرغبات والاخلاق المتناقضة فالى جانب اهل التصوف والدين هناك اهل البطالة والدعارة والمجون ..

وبشار اخذ حظه من كل شيء ، فجد مع الجادين وعبث مع العابثين وملا حياته بصخب وضوضاء وبلغ الستين من عمره وهو يقول ..

وحسبك اني منذ ستين حجة * اكيد عفاريت العدا واكاد

فهو يكيد ويكاد .. ويشقى بالمعاصرين .. ويشقون به .. وقد عاش ثلث حياته في عصر الامويين ... كما عاش ثلثيه في عصر العباسيين .. وفي كل عصر كانت له معارك صاخبة خرج منها منتصرا قويا وبذلك اكتسب شهرة ونبوغا ضرب بهما المثل

وكان بشار يخشى هجو امثاله من اهل الدعارة والمجون .. ولا يخشى هجو اهل التصوف والعفة .. فقد روى الرواة ان بشارا كان يعطي الشاعر الماجن المعروف بابي السمقمق مائتي درهم كل سنة ليلا يهجوه ولبلا ينشر في الناس مساوئه .

كما انه كان يحضر مجلسا يجتمع فيه جماعة من الشعراء يتهارشون ويتماجنون حتى اذا اعياهم هجو الناس هجا بعضهم بعضا وسخر بعضهم من بعض وكان العبث فكاهتهم والمجون لذتهم ..

وكان ذلك سببا في اشتهاره بالمجون مع عصابته .. لكن العصر العباسي كانت لساسته اتجاهات في الدعابة غريبة .. فقد استغلوا مجون بشار ليزجوا به في حماة الانتقام ..!

نعم في حماة الانتقام السياسي ..!

كان بشار امويا في اعماق نفسه وقد نال عزا ومجدا ومالا في عصر بني امية .. وكان على صلة بولاتهم يمدحهم وينشر دعوتهم .. وقد حفظ الناس شعرهم فيهم ..

فلما ظهر العباسيون جامل ونافق ومدح الخلفاء العباسيين .. لكنهم كانوا ينظرون اليه نظرة احتقار وحقد وصغار ..!

ولما ثار الطالبيون عليهم كان من جملة الشعراء الذين مدحوا اهل البيت وحثوهم على اخذ الخلافة بدلا من العباسيين ..

ثم كل هذا وبشار يظن انه يلعب على الحبلين ولكن العباسيين نصبوا له فخ الزندقة والالحاد .. فاشاعوا انه زنديق ، ومعنى الزندقة عندهم هو انه يظهر الاسلام ويخفي المجوسية .. وبذلك البوا عليه الناس عامتهم وخاصتهم وقتلوه .. سنة 167 هـ ..!! بتهمة الزندقة ..

هذا بشار في شخصيته .. اما بشار في ديوانه الذي نقدم اليوم طبعته الجديدة التي اخرجها « الشيخ

كنت احترق غيظا ، ان ثورة عارمة تسحق احساسي ، كنت اود ان احطم كل شيء .. وكدت امزق شفتي وانا امضغهما باسناني .

بدأت اذرع الغرفة جيئة وذهابا .. بينما كانت قطة اختي الصغيرة ترمقني بنظرات قاسية .. وفجاة خطفتها من فوق الارض ، ورحت اضغط بيدي على عنقها . كان مواؤها شديدا ، حاولت ان تتخلص مني . عندما لم تستطع انشبت مخالبها بيدي ، فقذفت بها الى الجدار بشدة ، تكومت لحظات ، ثم هبت تختبيء تحت السرير وهي تموء مواءا حزينا .

كان الدم قد ارتسم كخبوط حمراء على ظهر راحتي ولقد بدت لي الغرفة وانا اذرعها جيئة وذهابا وكانها سجن يكاد يخنقني ، كانت بي رغبة ملحة في ان اضرب الجدار برأسي ، فالضحك ما يزال يصل الى مسامعي من الغرفة المجاوره ، ان نكات اخي لا تنتهي وربما يحدثهن الان عني .

لهب المدفأة المتصاعد ، جو الغرفة الحار ، ودمي الذي يغلي في عروقي ، هذه الاشياء كلها تجمعت لتجعلني بحالة لا تطاق وانا اندحرج كاطار ضخم من المطاط .

كنت طفلا لم اتجاوز العاشرة ، وكان الزمن شتاء عندما كنت نائما بالقرب من المدفأة ، التي كان عليها ابريق الشاي . كانت امي تنتظر الماء ليغلي فتصنع لابي شايا .. وغلى الماء حتى طفح خارج الابريق ، فاسرعت امي لتحمله عن المدفأة . الا ان يدها لم تحمل حرارته فانفلت منها وسقط ليندلق الماء المغلي على خدي وعنقي ناحية اليسار .

وصحوت من نومي صارخا ، وانا اتخبط يمنة ويسرة : « خدي .. عنقي .. آه يا ربي .. احترق .. »

كان لهيب الماء الحار يسلخ جلد وجهي حتى عجزت عن الوقوف ، كنت اصرخ ودموعي تندفق بغزارة وكلما حاولت ان اقف ، كنت انهالك على الارض وانا احس بالم فظيع .. حتى لم اعد اعي شيئا .

اخذوني الى المستشفى ، ولما اعادوني الى البيت كان راسي حتى مؤخرة عنقي كتلة من الشاش الابيض ، كنت اتالم كثيرا .. حتى انني لم اعد استطيع النوم ، وبعد مدة لست اذكرها ، خلعوا عني الاربطة ، كنت طفلا ، فلم اهتم للتغيير الذي طرا على وجهي .

ومع مرور الزمن ، اصبحت ادرك الفارق الكبير بيني وبين اي مخلوق وعلى الاخص بيني وبين اخي الاكبر . فقامتي منكومة على بعضها ككتلة من المطاط المضغوط وبدان قصيرتان منتفختان ، اما وجهي فقد زادته الحروق بشاعة ، فعيني اليمنى بها حول شديد ، اما من ناحية اليسار فقد بدا جلده المسلوخ مشدودا متداخلا في بعضه ، وشقوقه كالاخاديد ، حتى ان فمي اصبح ملتويا بعض الشيء جهة الحرق القديم ، نتيجة للجلد المشدود حتى مؤخرة عنقي ، فكان الكلام يخرج ممطوطا كانه كلام ابله معتوه ، ان مجرد نظري الى وجهي في المرآه ليرعبني حقا ، لكنه ابدا لم يكن يثير الضحك بقدر ما يثير الرثاء بل الاشمئزاز .

اما اخي الاكبر ، فانه على العكس مني تماما ، فارع الطول . ذو جسد رياضي . شعره مصقول كالحرير ، وقد نال شهادته الثانوية العام الفائت بتفوق كبير . حتى انه كان في مقدمة المقبولين في الجامعة . اما انا فقد تركت دراستي الثانوية في سنيها الاولى . لم اكن استطيع تفهم الدروس جيدا ، وكان الداعي الاكبر الذي دعاني لترك الدراسة ، انه لم يكن لي اصدقاء اقضي اوقات فراغي معهم ، ولولا السجاير التي كنت ادخنها منذ دخلت المدرسة الثانوية لما كان زميلي في المقعد يجاملني حتى يحصل على سجاره .

كان يغيظني كثيرا قولهم : ان الابناء يتشابهون . فانا شاذ عن جميع اشقائي ، ولست ادري سببا لذلك .

انني اشارك اخي غرفته . مما حدا به لان يجعلني تسليته وكثيرا ما كان يقول لي : الا يخاف منك رفاقك العمال يا احمد ، وكان عندما يلمح بي غيظا يقول : لاتزعل انني أمزح معك .. الا تحب المزاح ؟

كنت اعرف انني لا استطيع ان اتحداه ، فان ضربة واحده من قبضة يده كافية لتكسر لي فكي .. ولقد بدا لي اخي منذ راح يعاملني معاملة المتفوق علي بقبضا الى نفسي ، وعندما ادرك انني اتالم كثيرا من مزاحه الثقيل . اصبح يستغل ذلك على مسمع من امي واخواتي البنات اللواتي كن يقضين حاجاته عن حب ويقضين حاجاتي عن شفقة ، او هكذا خيل لي .

وكان هو يامرني كثيرا لقضاء حاجاته ، كنت اتمرد احيانا فاقول : الا تكف عن هذه المعاملة ؟ انني اصبحت كبيرا .. فيضحك كان احدا يدغدغه من

قصة العدد

هل انت بخير

للأستاذ ياسين رفاعية

كان علي ان اتسلل خارج الغرفة ، فان استهتار اخي يغيظني ، وخاصة عندما تكون سوسن بين الحضور ، انها زميلة لاخي ، وهي تزورنا كثيرا مع زميلات اخريات ، واخي محدث لبق كثير النكات والملاحظات الذكية .

وجهها طفولي رائع ، عيناها بنيتان ذكيتان ، ذات اهداب طويلة متنبهة ، وشعرها ليل فاحم مرتم على كتفها الايسر في ضفيرة حلوة . وكان قلبي يخفق بشدة كلما رأيتها في البيت ، لم تكن تعيرني اي انتباه . عكس اخي الذي كانت تناقشه في امور شتى ، وتضحك لنكاته اكثر من المألوف ، وهي تثني عليه بين الفينة والفينة بلهجة محببة كزنابق الربيع :

— رائعة يا مصطفى .. حلوة يا مصطفى .

وكان يزداد تحمسا فيروي احيانا نكاتا لا تستحق الضحك ، ومع ذلك كانت « سوسن » تضحك بحرارة واخلاص .

ولقد تمنيت من كل قلبي ان يتزوجها اخي في المستقبل كي اكون بالقرب منها دائما ، وان ادفن احساساتي العارمة نحوها في صدري ولا ابوح لاحد بما يختلج فيه .

قال اخي :

— تصوري يا سوسن لو انهم يمثلون فيلما عربيا عن احدب نوتردام ، الا ترين ان اخي يصلح لهذا الدور تماما ، انه لن يكلفهم في المكياج شيئا .

والتفتت سوسن واخواني وبقية الفتيات نحوي، كنت آنذاك قد فوجئت بملاحظة اخي ، فشعرت ان سكينا ذات نصل مرهف راحت تمزقني اربا اربا ويبدو ان وجهي قد اضحكهن ، فابتسمت خشية ان الفت نظرهن الى غيظي ، فاذا بضحكهن يزداد ضراوة، كانت عيناي تنظران « سوسن » وهي تضحك وقلبي ينقبض بكآبة مفجعة ، وكنت اتمنى ان افسر ضحكها على انها مسرورة فقط ، ولكن الحقيقة صدمتني بمرارتها ، انها كلما تطلعت الى وجهي اغرقت في الضحك اكثر فاكثر ، بينما كنت انمزق في الم حاد اكثر فاكثر .

في تلك اللحظة شعرت بعاصفة تجتاحني من الداخل ، فوددت ان اقفز واصفع اخي ثم اطرد الجمع من البيت واقول لسوسن :

— انت حقيرة ، لا تستحقين حبي الكبير .. اخرجي من بيتنا .. اياك ان تعودي اليه .

ولكنني لم استطع ان افعل شيئا ، فلم اجد بدا من ان احاول التسلل من الغرفة ، وانتظرت قليلا ريثما يسود المكان الهدوء .. كان اخي قد بدأ يتحدث حديثا جديدا لم اكن انسن نوعه ، كان همي آنذاك ان اجد طريقة للانسحاب دون ان الفت الانظار الى غيظي والمي .

وفاجأني اخي يسألني : الا ترى ذلك صحيحا يا احدب نوتردام ..؟

فقفزت من فوق المقعد ، ودون ان اتكلم وانظر الى احد خرجت من الغرفة كالقذيفة ، ثم صفقت بابها بشدة ، كانت ضحكاتهم المتواصلة تلاحقني حتى دخلت الغرفة الاخرى .

الدراجة التي تطير

للاستاذ :

محمد زنيبر

ابسم المعلم العربى حنما نطق صديقه المعلم مصطفى بهذه الكلمة بالعربية الفصحى : « بحر لا ساحل له » . وهي كلمة تتردد على لسانه كثيرا كلما بدات نشوة « الكيف » تتصاعد الى راسه وسرى الى سائر اعضاء جسمه . ففي ذلك الوقت تصير كل شيء « بحر لا ساحل له » الفناء ، السمك ، العسل ، ام الحسن .

والتفت المعلم العربى الى جهة السقاية العمومية التى هجرها المستسقون فى هذه الساعة من الليل ، فصار ماؤها المنسكب يسمع ويوحي بالجنات والرياض والنزهه . ثم نبهه المعلم مصطفى من غفلته : « سبحان الله . هل كنت فى بحر لا ساحل له ؟» فالتفت الاخر ضاحكا فرآه يمد اليه الغليون وقد توهجت رأسه فى هذا الظلام الذي لا يخفف من حلكته الا ضوء المصباح الكهربائى المسرب من داخل المقهى البلدي .

كانا جالسين ، على عادتهما اليومية ، فوق الحصير الذي يفرشه رب المقهى لزبنائه على الرصيف الواسع لهذا الشارع الضيق وهما متلففان فى جلبابيهما الداكنين لا يرى منهما الا استداره وجهيهما وامامهما فنجانا القهوة اللذان يرتشفان منهما برفق واحتياط حتى لا تعوزهما « الدكة » عند آخر غليون يتناولانه .

وكانا يلتقيان كل يوم تقريبا فى المقهى عند غروب الشمس بعد ان يقفل المعلم العربي دكان جارته ، ويغادر المعلم مصطفى معمل الدباغة الذي يشتغل فيه . ويصلان الى المقهى عابسين من اجهاد النهار وتعبه . ثم يبدآن بالتشكي من الزمان ويستعرضان مشاكلهما مع المراة والاولاد والبقال . ثم تخف حدتهما شيئا فشيئا وهما يمتصان من الغليون الذي يلعب اكبر دور فى اسمارهما ، وتتحول المشاكل شيئا فشيئا الى مسليات ، ونكات يضحكان منها ، ثم يكتشفان فلسفة السعادة حينما تتراءى لهما وسط نشوتهما العارمة تفاهة ما كانا يشتكيان منه .

وبعد ان تناول المعلم العربي الغليون ، سأله المعلم مصطفى : « فيم كنت تفكر ؟ »

— آه ! فى لا شيء .. كنت انصت الى السقاية وافكر فى الكيلومترات التي اقطعها كل يوم ذهابا وايابا على رجلي بين الدار والدكان .

— واين البأس ، يا اخي ؟ تتفرج فى الشوارع وتاخذ حظك من الرياضة كل يوم بالمجان . وفوائد الرياضة بحر لا ساحل له .

— دعنا من المزاح ، انى بدأت افكر فى شراء دراجة .

— انت الذى تمزح . ومتى كنت تحسن الركوب على الدراجة ؟

— منذ زمان بعيد . اني لا اتصورك راكبا على دراجة .

— لانك ألفت ان لا تراني جالسا معك على هذا الحصير .

— على كل حال ان المنظر سيكون مضحكا . بحر لا ساحل له !

— وانت ؟ هل تحسن الركوب على الدراجة ؟

جنبيه .. ثم يقول : انك لن تكبر ابدا ، ستظـــــل هكذا صغيرا .. ويشيـــر الـــى ذلك بساقـــه التـــي يرفعها قليلا عن الارض .

وجاءت هذه الليلة نهاية لطاقة احتمالي ، فقـــد جاءني بتسمية جديدة ليضحك النـــاس الاخريـــن ، وقررت ان اضع حـــدا لهذه المأساة الليلة بالذات ، وليكن بعد ذلك ما يكـــون .

عندما دسست جسدي المضغوط تحت اللحاف كان الخاطر الرهيب قد تأصل في ذاتـــي وصـــار يلح علي الحاحا غريبا ، ولم انم ، كنت اهتـــز فزعا ، كانت عينـــاي منفرجتين حتى اعتدت الظلام وصرت ارى كل شيء واضحا ، كان اخي في السرير الاخـــر يغط في نوم عميق . والساعـــة التي يضعها الى جانب سريره تدق دقات رتيبة لكنها في اللحظات الاخيـــرة ازدادت سرعتها كانها تريد ان تتسابق مع خلجـــات قلبـــي العنيفـــة .

شددت من عزيمتـــي ، ثم تركت سريري وبيدي الوساده واقتربت من سريره ، كان نومه عميقـــا .. عميقا .. وقد تهدلت بعض خصلات من شعـــره علـــى جبينه ، وعلى ثغـــره كانت ترتسم ابتسامة هادئـــة ، وبسرعـــة تخيلت فيما لو نفذت ما عقدت العزم عليه ، فماذا ستكون النتيجة .. لم يخفني السجن بقدر مـــا اخافنـــي حزن امي وابي واخواتي ، انهم يحبـــونـــه اكثر منـــي ويبنون عليه آمالهم الكبيرة : سيكون طبيبا .. وستتحسن حالتنا اكثر ، خاصة وان ابي قد بلغ من الكبـــر عتيـــا .

تحرك اخي قليلا ، ففزعت ، وعـــدت الـــى سريري وانا العن هذا الخاطر الشيطاني الـــذي انتابني .

لم انم نوما هادئـــا ، كانت تجتاحنـــي احـــلام مرعبة هائلة .. وانني لاذكر جيدا الحلم الاخير الذي كنت اصرخ فيه بصـــوت عال وانا اضغط على عنـــق اخـــي :

— سارتـــاح من احدب نوتردام وانتهي منـــك .

كانت عينا اخي الجاحظتان ترمقانـــي بقســـوة ، ولقد بدا لي انه عاجز عن الحركة ، كان يحـــاول ان يتخلص رقبته من قبضتـــي وهو يقول بصـــوت مخنوق كانه الهمس : لا .. تقتلني .. يا اخي .. لا تقتلني.. احمد .. انت اخـــي .. كيف تقتلنـــي ..؟

ولكنني لم استمع اليه ، ظللت اضغط ، حتـــى بدا يتهالك رويدا رويدا بينما كانت قطة اختـــي تموء مواءا حزينا متقطعا ، واصطبغ وجهـــه بلـــون ازرق باهت ، وبرز الزبد من بين شفتيه ، وبدت لي عينـــاه ككتلتيـــن من جمر وراحت مقاومته تضمحل شيئـــا فشيئـــا .. ثم انهـــار .. ثم انهـــار .

عندئذ ، شعرت بفظاعة العمل الذي ارتكبت .. فركعت على ركبتـــي بالقرب من جثته ورحت اهـــزه بعنف : « اخي .. اخي .. مصطفى .. استمع الي .. ارفع راسك .. قل لي احدب نوتردام .. قل لـــي ما تشـــاء .. اخـــي .. مصطفـــى »

لكن مصطفى لم يتحرك ، بل ظل جامدا هامـــدا لا حياه فيه ! فمددت يدي الى شعره الناعم ، وغرزت اصابعي في حناياه ، ثم رحت ابكي بحرقة ، كنت ابكي، وشيء ما يقبض على قلبي ، ويعصره بعنف ، وصحوت على يـــد تهـــزنـــي :

— احمد .. احمد .. قم .. ما بـــك يا احمد .

رفعت رأسي عن الوسادة واذا بي وجها لوجـــه امام اخي .. وقد ارتسم على محياه قلق مشـــوب بحنـــان عميـــق ، ثم مد يده وصار يمسح دموعـــي المنسابـــة بباطـــن كفه :

— احمد .. احمد .. هل انت بخيـــر ..؟

دمشـــق : ياسيـــن رفاعيـــة

— نعم . وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم .. والله اننا لحمقى ، نحن معشر بني آدم . لقد انتهرت امراتي المسكينة وشتمتها لما ابلغتني الخبر .

— وكان يجب عليك ان تشكرها وتواسيها هي التي ستقاسي الحمل تسعة شهور . هيه ! الحمل بحر لا ساحل له !

وهبت نسمة لطيفة دافئة منعشة ، فقال المعلم العربي :

— ليلة معتدلة لا حرارة ولا برد فيها . ما قولك في ان نلعب « الضامة » ؟

— والله انها لفكرة حسنة .

وما هي الا برهة حتى اتاهما صاحب المقهى بلعبة « الضامة » فقعدا يلعبان ويتداولان الغليون وما هي الا نصف ساعة حتى صارا يضحكان ويتبادلان النكات ويتمازحان . وتركا « الضامة » برهة . فقال المعلم العربي :

— لي فكرة نطلب من صاحب المقهى ان يجدد لنا كاس الشاي وان يسمعنا اسطوانة «الحراز» والحساب علي ما قولك ؟

— فكرة طيبة ، ولكن نقتسم المصاريف . بالمناصفة نطيل المعاشرة كما يقول المثل .

ونادى صاحب المقهى فاتاهما بكاس ثان من الشاي ، خلافا لما تعوداه وحرك آلة الاسطوانات الرادوفونية واذا بقصيدة الحراز ترن في اذنهما وهما يتابعان انغامها ويؤديان نقراتها بكفيهما ويعيشان بخيالهما حوادث القصيدة الغرامية .

ومرت الايام سراعا وانشغل المعلم العربي عن الدراجة بما دهاه من هذا الحمل الجديد . لكن المسافة الطويلة التي كان يقطعها كل يوم راجلا من بيته الى الدكان كانت تذكره بضرورة ايجاد حل للمشكلة لم يقدم على التفكير في اتخاذ دراجة حتى يستعرض في ذهنه كل الحلول الممكنة . فبدا له اول الامر ان يحول دكانه الى جهة قريبة من بيته . لكن الحي الذي يقطن به اغلب سكانه ضعاف ومن الصعب ان يروج بضاعته بينهم . كما تراءى له ان يحول سكناه الى موضع قريب من دكانه . لكن سعر الايجار في ذلك الحي غال عليه . اما ركوب الحافلة في كل وقت فكان يرهقه ماديا .

لم يبق له ، اذن ، الا ان يمتلك دراجة . لكنه اتخذ اطول طريق للحصول على مبتغاه . وفي كل صباح عندما يفتح دكانه ينظر الى الاطار الموضوع فوق الرف فينقبض قلبه لمنظر تلك الدراجة الناقصة المشوهة . وبسم له الحظ في هذا اليوم بعد غياب طويل ، اذ اقبل عليه احد ابناء البلد وطلب منه ان يصنع له مكتبا وبعض الكراسي . وما ان تناول منه العربون حتى انزل الاطار وذهب به الى دكان لاصلاح الدراجات وطلب من صاحبه ان يركب له عجلتين وسلسلة. وساق الدراجة امامه بعد ذلك وهو منتصر نشوان ينظر اليها باعتزاز . لقد كادت ان تستكمل اجزاءها ولم يبق لها الا السرج وبعض القطع التكميلية . ورتبها في زاوية من دكانه واشعل غليونه وظل ينظر اليها حالما لا يتزعزع من مكانه . ثم استانف عمله بنشاط .

وفي الليل كان يجلس الى جانب صاحبه مثرثرا، ضاحكا . وكانت مناسبة اخرى للسمر اللذيذ وسماع قصيدة « الحراز » .

ومضت شهور والحظ الضئيل بين مد وجزر ما يكاد يومض للمعلم العربي ابتسامته الخفيفة حتى يختفي ويغيب ويطيل الغياب ، فيسلي نفسه ويملأ وقته بصنع العلب والصنيديقات والموائد الصغيرة عسى ان يجد من يبتاعها منه في « سوق الغزل» و لاينسى ضوضاء السوق ومشاحناته ومضايقات العيش والمنزل والاسرة الا في تلك الساعة التي يجلس فيها فوق الحصير الى جانب صديقه ازاء السقاية ذات الماء المنهمر وعلى ضوء المقهى الشاحب .

وفي ذات ليلة كان المعلم مصطفى جالسا على عادته في المقهى عند الغروب ينتظر صاحبه ، ولكن طال به القعود ولم ير صاحبه مقبلا ، فصار يتململ في مكانه . واشعل غليونه لكنه لم يستسغه في غياب صاحبه . وتيقن انه لن ياتي ، فقام على الفور وذهب يبحث عنه في البيت .

وسار يتحسس طريقه وسط الظلام والاوحال الى ان لمح المنزل الصغير المتواضع الذي يشبه الصندوق لانه بدون نوافذ فهب الى الباب وطرق طرقة خفيفة . فخرج المعلم العربي وعليه امارات الدهشة والارتياع . فقال له المعلم مصطفى :

— «مساء الخير ، يا اخي ، لقد هالني غيابك .

— نعم . ويمكنني ان ادخل معك في مباراه اذا شئت . ولا زال عندي اطار دراجتي القديمة .

— ماذا نقول ؟ عندك اطار ؟

— نعم . هل تريده ؟

— هذا والله هو الحل . اخذ منك الاطار ، ثم مع مر الايام عندما اوفر بعض المال اشتري العجلتين والسلسلة والمقود والسرج وسائر القطع الاخرى .

— ان كنت تريده . انا ابيعك اياه بثمن الاخوان

— كم ؟

— عشرة دراهم

واتفق الرجلان . وفى الغد تسلم المعلم العربي اطار الدراجة ووضعه عنده فى الدكان فوق رف مرتفع . وبعد اسبوعين استطاع ان يوفر ما يشتري به المقود . وكان فرحا عندما التقى بصديقه فى المقهى وبشره بذلك . ثم مرت اسابيع اخرى وامكنه ان يشتري الحصار والجرس ، وكانت جلسة مرحة على حصير المقهى . ثم مضت ايام اخرى والتقيا من جديد وكان المعلم العربي واجما فاستنهضه المعلم مصطفى قائلا :

« هبه ، يا معلم العربي . طير عنك الهم . املا لنفسك غليونا . لا باس على الدراجة ؟

فاجابه الاخر بصوت بعيد — آه ! الدراجة لا بأس عليها . ولكن ..

— ولكن، ماذا ؟

— خلني ساكتا . الكلام كثير والسكوت احسن .

— حقا ، حقا .

وفهم المعلم مصطفى ان صديقه سيفضي اليه بسره من بعد ، ولكنه الان كالحامل التي تترنح وتتوجع فى وقت المخاض والتي ستخرج ما فى بطنها بعد قليل . فلم يعلق المعلم مصطفى بشيء وانما سكت وملأ الغليون الاول وناوله لصاحبه وهو ينظر اليه بابتسامة ماكرة . وفى تلك الاثناء جاء صاحب المقهى بكأس الشاي المنعنع . فتناول المعلم العربي كأسه الساخن وصار «يدك» به دخان الغليون الى ان اتى على ما فى جوف « الشقف» فى مصتين قويتين . واعاد له المعلم مصطفى الغليون مملوءا مرة ثانية وهو يقول :

— حقا ، يا اخي ، ان هموم الدنيا كثيرة .
فأجابه الاخر بسخرية — ومن اين لك ان تعرف الهم انت ؟ من ليس له اولاد لا يعرف الهم .

— انت غالط . انا همي هو قلة الاولاد .

— وانا همي هو كثرتهم . احمد الله ، يا اخي .

— مولى الملك قادر على القيام بملكه سبحانه . وقدرته بحر لا ساحل له .

— نعم ، نحن مؤمنون مسلمون . ولكن ضع نفسك يا اخي فى مكاني . تدخل الى بيتك فتجد خمس بنات كبراهن اصبحت امراة فى سن الزواج . وتأتي زوجتك فتخبرك انها حامل من جديد ، ماذا تفعل والدنيا هى الدنيا والحال هو الحال لا ننتظر مالا من احد ولا عطفا من اي جهة ؟

— فنظر اليه المعلم مصطفى وقد غلبته بسمة الانتصار وقال :

— اهذا الذى يقلقك اليوم ويدفع بك الى السكوت ؟ ومن يدريك ، يا اخي ، ان ربنا سيرزقك ولدا تقر به عينك وتجده ولدا بـرا عطوفا عند الشيخوخة ؟ هذا خبر يجب ان تفرح به وتهنئ له .

ثم ملا الغليون الثالث ومده اليه وهو يقول :

— انا لا اشتهي لك ان تكون فى مكاني تدخل الى بيتك مثل الحبة الى جحرها فلا تجد الا زوجتك التي الفتها والفتك ومللتها وملتك صورة واحدة تناسبها وتصابحها ، صوت واحد يرن حولك فى كل وقت ان خرجت وتركتها فى البيت، خافت، وان رجعت اليها لتؤنسها نفذ الحديث وقنطت ، ولكن ، هل لنا غير الصبر ؟

وسكت الاثنان لينصتا برهة الى ماء السقاية الهاطل فوق حوض الزليج . كان المارة الفليلون فى تلك الساعة يتراءون فى الضوء الخافت المتسرب من داخل المقهى كالاطياف الغريبة التي تعبر الاحلام والتي تظهر سعيدة فى حركتها ومشيتها .

ونطق المعلم العربي وقد انبسطت اساريره وتساوت قعدته :



نقدم لقرائنا المحترمين فى ركن « بريد دعوة الحق » كعادتنا خلاصة لبعض الكتب والرسائل والنشرات التي تلقيناها خلال هذا الشهر . وحرصا منا فى افادة القاريء الكريم المتعطش لكل ما جد فى ميدان المعرفة والثقافة فاننا لا نبخل عليه بأي جهد لتقديم ما يشبع رغبته ، ويحقق أشواقه .

تلاميذ المسيح على منبر الاسلام

كتيب صغير ، عبارة عن رسالة قدمها حسين شمس الدين مفتي زحلة ، والبقاع الى ابناء الامة العربية والاسلامية فى كل مكان

وهذه الرسالة عبارة عن مجموعة من عشرات الكتب والمجلات والرسائل والمحاضرات قام بها نخبة من أحرار المسيحية من قادة الفكر والعلم والادب من ابناء لبنان وسوريا واوربا وامريكا بعد ان درسوا الاسلام والقرآن وتاريخ الرسول العربي العالمي محمد رسول الله « ص » ، وبعد ان غاصوا وتعمقوا وحلقوا ودققوا ، وبعد ان علموا علم اليقين ان محمدا رسول الله خاتم النبيئين وانه وارث رسالات عيسى وموسى وابراهيم ، هنالك دفعهم واجب الانصاف والحقيقة والاعتراف ، ان يصعدوا على المنبر ، منبر الاسلام ، ولم يقولوا قولة من قبلهم : « انا وجدنا آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم مقتدون ! » بل صاحوا صيحة الحق للناس جميعا ، ايها التائهون من هنا الطريق طريق محمد رسول الله ، وهو الطريق الذي سار عليه عيسى وموسى وابراهيم ، وهو الذي ارسله الله رحمة العالمين ....

ثم اخذ يستعرض الاستاذ حسين شمس الدين كلمات ماثورة عن اكابر علماء المسيحيين المنصفين كالعلامة الكبير والقانوني الشهير ، رئيس المجلس النيابي السوري ، ورئيس مجلس الامن فى هيئة الامم المتحده سابقا فارس بك الخوري ، والاستاذ الفيلسوف الاديب المفكر العلامة لبيب الرياشي ، والشاعر اللبناني العربي الثائر المهاجر الاديب الكبير الاستاذ رشيد سليم الخوري الملقب بالشاعر القروي ، والاستاذ الكبير نظير زيتون ، والاستاذ البحاثة جورج حداد ، والاستاذ العلامة السيد نجيب نصار ، والاستاذ جبرائيل جبور ، والاستاذ الياس ابى غنام ، وبهجت المنصور ، والمفكر الكبير عبد المسيح انطاكي ، والكاتبة المفكرة الاديبة املى فارس ابراهيم ، والفيلسوف العلامة الجريء الدكتور شبلي شميل اللبناني ، ومارون عبود ، وفليب حتي ، والاديب الشاعر ارفيق رياض المعلوف العضو الحي فى نادي القلم الدولي والعصبة الاندلسية ، و ....

وقد اشادوا جميعهم بحياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانه نفحة طيبة عطرت اجواء جزيرة العرب والصحراء ، ومرت مرور النور ، فطردت غشاوة الظلمة عن العيون ، وان شريعته شريعة الحق والعدل والانصاف والخير والنصح والحكمة ، وانه « ص » أتى باصلاحات احدثت فى الامة العربية تقدما بعيد المدى ، ذا تاثير عظيم بصورة اصبح محمد ص معها بعد من اكبر المحسنين الى البشرية الى الآن .

فقد قال الاستاذ الكبير حنا خير الله اللبناني :

« يكفي النبي العربي محمدا عظمة انه خلد اللغة العربية وقدسها واوجب على جميع اتباعه تعلمها ، اذ لا تجوز الصلاة للمسلم ايا كان جنسه ولغته بغير العربية اللغة الربانية الرسمية ، فضمن بذلك الخلود

— آه ! المعلم مصطفى . ما كنت اعتقد ان الطارق هو انت وخشيت ان يكون البقال .. ادخل ، ادخل

— لا . دعني انصرف . كنت اريد ان اطمئن عليك قبل ان اروح الى بيتي .

— ولكن ، ادخل . فليس هنالك اي مانع .

— طيب .

ودخل الرجلان الى حجرة صغيرة وجلس المعلم مصطفى على فراش من القش مغطى بثوب نظيف مخطط ، ولمح على الفراش المقابل ثلاث بنات صغيرات مغطاة بملاءة بالية . كانت صغراهن لا تزال مستيقظة فحدجت المعلم مصطفى بعينيها الذكيتين وقالت :

« عمي .. امى ازدادت عندها بنت صغيرة وسيأتي بابا بالخروف

— صحيح ، يا بنيتي ؟

— والله ، يا عمي ، وسنسميها جميلة

وعاد المعلم العربي ومعه الصينية تحمل الشاي وبعض الارغفة الملوية المسمنة . فابتدره المعلم مصطفى قائلا :

« لم تكلف نفسك ، يا معلم العربي ؟

— خلنا من الكلام الفارغ ، ليس هناك اي تكليف ولا شيء

— قل لي . صحيح ان صاحبة البيت وضعت فأطرق الاخر واجاب

— اي والله صحيح . وهذا سبب غيابي عنك

— لو كنت اعلم ذلك من قبل لوجهت لك مولاة الدار عندي لتساعد زوجتك وتواسيها وقت الولادة .

— آه لقد فوجئنا منذ الصباح الباكر وخرجت ابحث عن القابلة فى الظلام . وما اتيت بها الى البيت حتى كان كل شيء قد تم

— الحمد لله . ما دام الكل بخير . وماذا رزقت هذه المرة ؟

فنظر اليه الآخر ، وقال متنهدا :

— بنت ، ككل مرة

— الحمد لله ، البنت برزقها

فرد عليه الاخر بصوت بعيد :

— نعم .. الحمد لله .

— اذن . لم تشتغل اليوم ؟

— وكيف اشتغل والمسافة بعيدة والمرأة محتاجة الى من يساعدها ومن يخبر احبابها ومن يمرضها ؟

— والدراجة ؟ الم تقل لي انه لم يبق لك الا السرج لاكمالها فنظر اليه المعلم العربي متضايقا :

— آه ! دعنا من حديث الدراجة ! لقد دفعتها للبيع فى هذا الصباح .

وسكت الاثنان وظلا واجمين ، ثم هويا على الارغفة والشاي وهما يسترقان النظر من حين لآخر الى الفليون الممدود فوق المنفضة والكبس الاحمر المحطوط بجانبه .

سلا — محمد زنيبر

وقـد اخترنا لمراجعة خاطفة على صفحـات « أضواء » كتابين فرنسيين جديدين يجمعـان بيـن الكثافة والرجحان . انهما « الاسـلام والرأسمالية » تاليف ماكسيم رودنسون ، ثم « سنن وقيم فى الاسلام المعاصـر » تاليف سبعة عشر اختصاصيـا بينهـم جاك برك وجان بول شارني .

« الاسلام والرأسمالية » كتاب جامعي بمعنـى ان صاحبـه استاذ جامعـة . فالبروفسور ماكسيم رودنسون هو استاذ اللغة الحبشية القديمة واللغـة الحميرية فى معهد الدراسات العليـا فى السوربون ، بالاضافة الى دروس يلقيها فى أصل شعـوب الشرق الادنى وأخلاقهم وتفرقهم شيعا وأجناسا . وهو خبير بشؤون العرب والاسلام عن دراسة وتجربة . فقـد صرف فى الشرق سبع سنوات يعلم ويعمل فى مصلحة الاثريات فى بيروت . وليس من يجهل ميول البروفسور رودنسون التقدمية اليسارية المناوئة للاستعمـار . لقد كان مديرا لمجلة (موبان اوربان) اعني « الشرق الاوسط » ونشر المقالات العديـدة حـول الشرق المعاصر والاسلام وتاريخ افريقيـا واللغات السامية وعلم الاجتماع ، بالاضافة الى سيرة النبـي العربـي ومجموعة تتعلق بفرقة الحشاشين .

وهكذا فان الكتاب الذي طالعنا بـه أخيـرا « الاسلام والرأسمالية » يجمـع بين رصانة استـاذ السربون وتحرر المفكر الماركسي الثائر . يجمع بينهما فى توازن راسخ اي فى تعادل بين الكفتين فلا ترجـح الواحدة على الاخرى بل نشعر بأن الدم الثوري الحار يتدفق فى تلافيف الدماغ المحلل الواعي المترصن . ثم الى نزعة المؤلف العلمانية التي قد تسيء الـى تفهـم الدين من الداخل ، الى تفهم الاسلام ، هـي معدلـة بتعاطف شديد نحو العالم الاسلامي ، تعاطف أظهـره المؤلف علانية أيام محنة العـرب بالغـرب ، ولا يزال يظهره فى كل سانحـة .

قلنا ان « الاسلام والرأسمالية » كتاب قائم على قاعدتين ثابتتين هما الرصانة والتحرر . وهو أيضـا موجه بعدل الى قطاعين مختلفين ، قطـاع النخبـة الاسلامية المثقفة التي تحاول وعي مصيرها ، وقطـاع المثقفين الاوروبيين الذين يهتمون بالعالم الثالث عامـة العالم العربي بنوع اخـص .

بدأ الكتاب بوضع الامور فى مواضعها فيحـدد الرأسمالية التي يذهب الناس فى تحديدها كل مذهب، ثم يحدد الاسلام من خلال القرآن والسنة . بعدهـا يتفحص تداخل الدين بالدنيا ، اي التأثيـر المتبادل أو التفاعل الحقيقي بين الاقتصاد والاجتماع من جهـة، والاسلام من جهة ثانية . ثم يخلـص الى القـول بأن الرأسمالية هي من صادرات أوروبا الى العالم العربي، لا من جوهر الاسلام . كما ينتهي بـه التطواف الى أن نهضة الدول العربية الحديثة تمر بالاقتصاد اكثر منها بالله ، مما يعيد الى ذهننا أن المؤلف ماركسي النزعة، وانه يعد كتابا جديدا عنوانه « الاسلام والماركسية ».

قد تكون النتيجة النهائية الكبرى الوحيدة التي خلص اليها البروفسور رودنسون هي ان الرأسماليـة ليست من صلب الاسلام . أما النتائج الاخرى فانهـا، رغم معالجتها بصرامة الباحث المنقب ، أو لاجل هـذه المعالجة ، قلما تقودنا الى التقرير والتأكيـد . فباب العلائق بين العقيده الدينية والدربة الاقتصادية يستمر مفتوحا ، وكذلك دور الانسان ودور النظريات والافكار فى تاريخ البشرية . ثم يتساءل المؤلف : هل يمكننا أن « نستخدم » الاسلام فى سيرنا نحو الاشتراكية ؟ هل يمكن الماركسية أن تمثـل دورا فعـالا فى المجتمعات الاسلامية الحاضرة ؟

أسئلة عديدة يكفي مجرد طرحهـا وتحليلهـا وتعليلها لاقناعنا على أن حسن طرح السؤال قد يغنـي احيانا عن الجواب القاطع . وهل هناك اجوبة قاطعـة فى عالم الانسان المتماوج المتطور ؟

هذه الاسئلة المنفتحة هي مدخلنا الى الكتـاب الثاني الذي نواجهه اليوم : « سنن وقيم فى الاسـلام المعاصر » . لا من حيث حسن التخلص والانتقال بـل من حيث واقعية الامور . وهـل كان بمقـدور الاختصاصيين السبعة عشر الذين انطوى الكتاب على نصوحهم أن يتخطوا مرحلة السؤال ، مسألـة طرح القضية ، الى اصدار الاحكام النهائية فى الميدان الذي تطرق اليه كل منهم ؟

هؤلاء الاختصاصيون هم جاك برك ، جان بـول شارني ، ادونيس ، جـان عمروش ، فيكتور برجـه فاشون ، ماري برنار بلدى ، فرنسوا بونجان ، هنـري قربان ، بول غي ، محمد حميد الله ، ميشال حـايك، القاطفي ، غبريال لوبراس ، جـان ماغنان ، ناصـر بكدامان ، عثمان يحيى .

تعداد هذه الاسماء دلالة ، وحده ، على فسيفساء الكتاب . بمعنى أن الدربات تختلف باختلاف أصحابها ولكنها تأتلف فى مرماها الاخير ، اعنـي فى الحوافـز

الابدي للقومية العربية واللغة العربية والجامعة العربية ، لقد انشأ مدنية بهرت العالم قاطبة ولا تزال، ولن تبرح ابدا موضوع اعجاب واجلال واحترام فلاسفة الكون باسره ووضع شرائع مقدسة للزواج والحرب والارث والاجتماع والسياسة والاقتصاد والقصاص والديات ، وما برح مشرعوا العالم ومصلحوه يهتدون بهديه ، ويسترشدون بهذه الشريعة السمحاء في سن الشرائع ، ووضع القوانين.

وقال العلامة الشهير الاستاذ المسيو بلانتيه الفرنسي في موقف من مواقفه الحاشدة :

« ان النبي محمدا من ابرز واشهر رجال التاريخ، فقد قام بثلاثة اعمال عظيمة دفعة واحدة ، وهي انه :

1) احيا امه ، 2) واسس دينا ، 3) وانشأ امبراطورية عظيمة .

« النور ياتي من الشرق »

تحت هذا العنوان القى الدكتور يهوذا أحد علماء التاريخ فى الجامعات الاوروبية الكبرى محاضره في الجامعة الامريكية فى القاهرة ، قال :

اخذ الناس يدركون الآن ان اوروبا في القرون الوسطى مدينة للحضارة الاسلامية التي اغترف منها اليهود والمسيحيون على السواء ، اخذ الناس يفهمون الآن ان العلوم الطبيعية والقوانين الاساسية فى الفلسفة والرياضيات والعلوم العمرانية كانت تستمد روحها فى زمن النهضة والاصلاح من ذلك المنهل العذب الا وهو الحضارة العربية الاسلامية . وصار علماء اليوم كلما تعمقوا فى دراسة هذه الحضارة ادركوا اثرها البليغ فى حضارة اليوم . واكتشفوا مآت الكلمات الداخلة فى اللغات الاوروبية من ايام تلك الحضارة العربية ... »

ولا يمكن ان نمر بالكتاب دون ان نعرج على ماقاله الفيلسوف الاجتماعي غوستاف لوبون : « ان القانون الفرنسي المعروف بكود نابليون ، قد بنيت احكامه على اساس كليات وقواعد الشرع الاسلامي ، وهذا القانون فى اوروبا له من الشهرة والشيوع والنفوذ ما يفوق الوصف ، وقال : ان النبى محمد العربي اول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين »

وصدق الله العظيم : « ... ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا ، الذين قالوا : انا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ، ورهبانا ، وانهم لايستكبرون ، واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ، مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا ، فاكتبنا مع الشاهدين ، وما لنا لا نومن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين .

الاسلام فى كتابين جديدين

نشرت « اضواء » الباريسية فى صفحاتها لشهر ابريل تعليقا حول « الاسلام فى كتابين جديدين » بقلم الاستاذ رواد طربية .

والكتاب الاول يحمل عنوان « الاسلام والراسمالية » تاليف ماكسيم رودنسون 1966 صفحة 304 Islam et capitalisme, par Maxime Rodinson (Le Seuil)

والثاني « سنن وقيم فى الاسلام المعاصر » Normes et valeurs dans l'Islam contemporain تاليف سبعة عشر اختصاصيا بينهم جاك برك ، وجان بول شارني

وتعميما للفائدة احببنا ادراجه فيما يلي :

من السهل أن نقول ان الدين ظاهره هامشية لدى الافراد والمجموعات البشرية ، ومن الصعب أن نقيم الحجة على ما نقول . كما ان من غريب المفارقات انصبابنا على دراسة الديانات في اعمالاتها جميعا يوم يزداد الى حدود الاغلبية عدد النخبة الواعية التى تنكرت لكل معتقد ديني . اترانا نحن دائما الى غير ما نحن عليه ؟

ومهما يكن من أمر ، فقلما طالعتنا دور النشر الفرنسية بمثل ما تطالعنا به في السنوات الاخيرة ، كما وكيفا ، حول الاسلام . كأنما كان استقلال البلدان الاسلامية حافزا للاهتمام بها بدلا من اهمالها بعد تحررها من سيطرة الغرب المباشرة ، وكأنما كانت علمنة العلم والادب فى أوروبا عاملا لتمحص شؤون الاسلام بدلا من اعتباره ظاهره متهافتة خلفتها عصور التعمية والجهل .

وهكذا فان الذي يتتبع عن كثب حركة النشر فى فرنسا يكاد لا يمر به اسبوع دون أن يقع على كتاب لم يجف حبر طباعته بعد يتناول العالم العربي أو الاسلامي ، تاريخا وجغرافية واقتصادا وسياسة وأدبا وما اليها . فيحتار فى أيها يختار ، وكلها تقريبا رصينة عميقة . على أن الاختيار هو سبيلنا الاوحد الى الاستيعاب والا فاننا نكتفي بالعب وحده فيفوتنا التمثل ونكثيف الذات .

المواكب » لابن قنفــد القسنطينـــي ، و « الادوار في تسيير الانوار » لمحمد البقار ، و « المرقوم » تاليف ابى زيد عبد الرحمان ابن عبد القادر الفاسي ، والمرقــوم منظومة رجزية في الاحكام النجومية .

الكـــويـــت :

كتب الينا الاستاذ عبد الله العقيل مديـــر ادارة الشؤون الاسلامية راجيـــا منا ان ننشر على اعمـــدة مجلتنا صورة من ترجمة الرسالة الموجهة من السيـــد م . هـ . ساجد المدرس بكلية الطب بجامعة اوريجون بولاية تورتلاند ـ الولايات المتحدة الى صحيفة الكويت

والرسالـــة تهيب بذوي الاقـــلام المسلمـــة والمسؤولين من المسلمين في كـــل مكـــان بالرد على المفتريات الكاذبـــة التي تضمنها كتـــاب ـ مذكـــرة المرضى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والـــذي يوزعه معامل ايرست بنيويورك . بمنابـــر الصهيونيـــة العالمية ، والتبشير الصليبي .

ومما جـــاء في الرسالـــة :

ســـيدي

بعد التحية . . اود ان اوجه انظاركم الى مسألة عالية على قلوبنا وارواحنا ففي السنـــوات الاخيـــرة ظهر في أمريكـــا مؤلفات وضعت النبي الكريم بين اسد المصابين بمرض الصرع في العالم ، ويجري الان توزيع كتاب من هذا القبيل على يد معامل ايرست بنيويورك بعنوان « مذكرة المرضى » وهذا الكتاب موجـــه الى مرضى الصرع وعامة الناس ويتضمن صورة خياليـــة للنبي الكريم وايهامه بانه كان مصابا بالصرع ، كمـــا قامت مؤسسة مرضى الصرع الامريكية بعرض بطاقة تحمل صورة للنبي الكريم واسمه وذلك في الاجتمـــاع السنوي لاكاديمية الاعصاب الذى عقد في العام الماضي

وكما يعلم كل مسلم حق وكل عالم مستقيم مـــن غير المسلمين فان هذا الزعم باطل من أساسه فقد نشا على يد مؤرخ بيزنطي هو ثيوبانيز الذى اراد كما يقول « ممكيـــن » ان يتعـــرض للنبـــي الكريـــم بالاساءة السيئة ثم جاء المؤلفون بعده فنقلوا هـــذا الزعـــم الباطل ولم يحاولوا تحليل هذا الكلام ومعرفة مصدره لدى المراجع والقصص الواردة في كتاباته وبينما نجد . سبرنجر ولينوكس يذكران هذا الاتهـــام بعبارات محددة فان « فيرفيلد » منشكك ، كما ان بنفليد لايذكر اسم النبي العظيم في القائمة التي اعدها بالنسبة لاشد المصابين بالصرع ومما يلفت الانتباه ان نلاحظ ان كلا

من سبرنجـــر ولينوكس كانـــا يعملان في الارساليات التبشيرية المسيحية بالهنـــد والصيـــن على التوالي، وبقليل من الشرح يمكننا ان نكتشف الدوافع الدفينة لهذيـــن الكاتبيـــن .

انني اناجي فيكم روح العدالة واحترام النبـــي الكريم ان تكرسوا وقتكم ويراعكـــم وصحيفتكم في رد هذا الزعم المفزع وفي رايي المتواضـــع فان توجيـــه استنكار للسفارة الاميركية يعتبر عملا ملائما كمـــا ان ارسال مذكرة لمعامل ايرست في نيويورك بانـــه ما لم تتوقف الشركة عما تبديه من ملاحظـــات تسيء الـــى النبي الكريم فسنقاطع منتجات المعامل ، فان هـــذه المذكرة لها اهمية كبيرة فمن شان هذين الاجراءين ان يضعا حدا لسيل هذا الادب المسيء .

وانني اطلع بشوق كبير ان اعرف رأيكم الكريـــم واقتراحاتكم بهذا الخصوص .

المخلـــص

القاهـــــرة :

الاستاذ احمد عبد الرحيم السائح من خريجـــي قسم العقيدة والفلسفـــة بكلية اصول الدين ، ومن الكتاب المجيدين في المجلات الاسلامية في مصر ، والرائد الثقافي لرابطة ابناء مركز ابو تشت الذي يضم مكتبـــة قيمة يتردد عليها مـــآت القـــراء ، كتب الينا رسالـــة رقيقة يعبر فيها عن عواطفه نحو مجلتنا التي « تحمـــل مشعل الحـــق ، وعبير التقديس ، وتنطـــق بالقيم الرفيعـــة ، والافكـــار النيرة ، والموضوعات الدسمة »

قال الاستاذ السائح : يسرني ان اكتب بمجلـــة « دعـــوة الحـــق » فهل ترحبـــون . . . ! . . .

سيدي الاستاذ اهلا ومرحبا ، فان المجلة لترحب بكل انتاج قيم ، يمتاز بالاصالة والجدية ، لا سيمـــا اذا كان واردا من الشرق العربي والعالم الاسلامي .

فابعث لنا سيدي الاستاذ بانتاجكم المفيد ، واننا لنشكر لطفكم وعواطفكم النبيلة نحـــو اسرة مجلتنا .

البطل كـــلاي ، وتقاليد الاسلام

البطل كاسيوس كلاي بطل العالم في الملاكمـــة الوزن الثقيل حكمت له محكمة في ميامي بالطلاق مـــن زوجته سونجي . وامرته بدفع نفقة مالية كبيرة بعـــد هذا الحكم بالطلاق من زوجته المذكـــورة بحجـــة ان ملابسها تثيرالغرائز .

حولها الاخذ والرد . هذه الكلمات هي مادة الكتاب الذي بين ايدينا ، وهي مبوبة في ثلاثة فصول : التعميق الاسلامي ، مجابهته التيارات الاجنبية ، افادته من هذه التيارات .

وقد كانت حرب الجزائر بدا فدراء ازاحت عن عيون العالم غشاوة طالما منعته من رؤية العالم الاسلامي على حقيقته . فالمستضعفون هم دائما الى الجهل والاهمال . ويقيني ان الاختصاصيين الذين سر ذكرهم ما كانوا ليجتمعوا مرة بعد مرة لولا الحساسية الجديدة التي نشأت عن حرب الجزائر ، اذ ان الاستعمار لم يكن يوما أقوى منه في هذه البقعة من العالم الاسلامي ، ورغم ذلك لم يتم الانصهار الذي توخته فرنسا . بل ان هذه الحرب كانت دليلا على روح المقاومة الدائمة التي يتحلى بها الاسلام ليحتفظ بطابعه وشخصيته المميزة .

ما هذه الشخصية ؟ باي شيء تنفرد ؟ هل هي انفتاح أم انغلاق ؟ هل أفادت مما لفحها به الاستعمار ام استمرت منعزلة كجزيرة في محيط ؟ انها بعض الاسئلة التي يحاول الاجابة عنها هذا الكتاب الذي نتصفحه الآن . فهو يرى أن الاصالة غير الانعزالية وان الاسلام هو مجموعة عضوية يأتلف فيها عدد كبير « السنن والقيم » الدينية والاجتماعية والثقافية . وكما أن قوة اللغة العربية في الاشتقاق ، كذلك قوة الديانة الاسلامية في قدرتها على تمثل المعطيات الاجنبية واظهارها بمظهر الاصالة النابعة من الذات .

هذا ما شاء توضيحه هؤلاء السبعة عشر اختصاصيا بشؤون الاسلام ، سواء منهم المسلمون او الاوروبيون : الادباء او الفلاسفة أو رجال القانون أو اللاهوتيون أو علماء الاجتماع .

وليست الكلمات التي انبنوها هنا كلمة الفصل في الموضوع الذي نعالجه . انها تخطيط ورؤوس أقلام . وهي احيانا للاستماع اليها . نظرا لعفويتها البعيدة عن الصياغة ، لا لقراءتها كمقالة متكاملة السبك والحبك . على ان في كل منها أفكارا نيرة فذة قلما نقع على مثلها في كتاب برأسه . منها كلمة ميشال حايك في دور المسيحية بالادب العربي ، فكأني بها تنتقل بنا من القومية الى العالمية ، من محدودية اللغة والرقعة الجغرافية الى منفسحات العالم الافيح . أما الطرافة والعمق فهما دائما حليفا قلم الاستاذ برك ، واما التنسيق والتوضيح والتفحص الواعي فقد عودنا اياها السيد شارني .

والمؤثرات التي تبدل وجه العالم الاسلامي المعاصر . فقد كان يجتمع هؤلاء الاختصاصيون ، دوريا ، بين سنة 1961 و 1964 ، فيلقي أحدهم كلمته ويدور كتاب غزير المادة اذن ، عميم الدلالة والنفع .

رواد طريبه

من الهند :

كتب الينا الاستاذ محمد ابو الجلال عميد الكلية الاسلامية رسالة ينوه فيها بمجلة دعوة الحق ، ويثني على جهودها ، مبديا اعجابه وتقديره للعاملين بها .

ومما جاء في كلامه : « قرأنا في مجلتكم الغراء ما جاء فيها من التعريف بكتاب « الجامع المغرب ، النافع المعرب » جاء هذا التعريف في العدد التاسع والعاشر من المجلة ، فاشتاقت قلوبنا الى مطالعة ذلك الكتاب . لنستفيد منه ، ونحن في حاجة ماسة الى نيل ذلك الكتاب ، وغيره في مادة الفلك ، لعله يساعدنا في تدريس علم الفلك في كليتنا ، ولكن لاندري كيف يحصل لنا ذلك ، ولا نجد طريقا الى الفوز به ، ومن الواضح ان هناك عقبات كاداء بيننا وبين الممالك الاسلامية . .

ونحن نحيط علم فضيلة الاستاذ ان الكتاب المذكور « المذكور المغرب ، النافع المعرب » الذي أمر بترجمته الى العربية ملك المغرب سيدي محمد بن عبد الرحمان لايوجد تحت يدنا منه اية نسخة . وانما هو ملك الخزانة الملكية وهذه النسخة تامة في ثلاثة مجلدات بالاشكال والجداول ، بخط مغربي جميل ملون مجدول ، مسطرتها 29 ، ومقياسها 220/330 وهي مسجلة تحت عدد 2682 ، كما توجد منه بالخزانة العامة نسخة اخرى تشتمل على المجلدين الثاني والثالث وتحمل عدد 5405

وهناك كتب اخرى تضمها الخزانة المغربية في علم الفلك ، نورد بعضها في هذا الصدد ، « كالمفهم في صناعة التنجيم » لابي الريحان محمد بن احمد البيروني الخوارزمي الجغرافي الفلكي الكبير ، « ونتائج الفكر المستخرجة من عجائب الصور » تاليف سليمان الفلكي العثماني من اهل القرن الحادي عشر الهجري ، و « عمدة الرغاب ، في حل الفاظ معونة الطلاب » لابي العباس احمد بن سليمان الرسموكي السوسي المتوفى سنة 1133 ، و « البارع في احكام النجوم » لابي الحسن علي بن ابي الرجال الشيباني الكاتب المغربي القيرواني الذي كانت له شهرة في اروبا في القرون الوسطى ، و « تسهيل المطالب ، في تعديل

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تدشين مسجدين في كل من تيداس ووالماس

في يوم الجمعة 13 صفر عام 1386 توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاس الى كل من تداس ووالماس لتدشين المسجدين اللذين شيدتهما وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في هذين المركزين

وقد ادى معاليه صلاة الجمعة في مسجد والماس حيث خطب جمهور المومنين الاستاذ السيد محمد الطنجي رئيس قسم الوعظ والارشاد بوزارة الاوقاف، وبعد ذلك توجه معالي الوزير الى تيداس لاداء صلاة العصر في المسجد الجديد

وقد اختتم الحفل الديني بالدعاء لمولانا الامام جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله . واقر عينه بولي عهده المحبوب سيدي محمد

محاضرات ودروس مفتي تونس العظيم بالمغرب

استدعت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية بامر من صاحب الجلالة نصره الله فضيلة الاستاذ العلامة الفذ مفتي الديار التونسية السيد الفاضل بن عاشور لالقاء بعض المحاضرات بدار الحديث الحسنية بالرباط في موضوع الخلاف العالي واسبابه وفي نشأة علم الاصول وتطوره واعطاء نظرة شاملة عن اتجاه المؤلفين فيه فلبى هذه الدعوة حفظه الله حيث قدم الى المغرب عن طريق الجو واقام ضيفا مكرما على وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

وقد أرادت وزارة الاوقاف ان ينتفع عموم المومنين بعلم فضيلة الضيف الكريم فطلبت منه زيادة على المحاضرات القاء دروس في احاديث جامعة في المساجد العظمى بالرباط وسلا والدار البيضاء وفاس فاجاب هذه الرغبة والقى درسا هاما في كل من المدن الاربع .

ومن جهة اخرى اتفقت الوزارة مع المسؤولين في الاذاعة الوطنية على تسجيل دروسه ومحاضراته قصد القائها من الاذاعة لينعم بسماعها كل المتعطشين لسماع درر المفتي الجليل ، فتم ذلك على احسن حال وكان للمحاضرات الاربع التي القى اثنتين منها في دار الحديث الحسنية واثنتين في كلية الشريعة بجامعة القرويين بفاس في الموضوعات اعلاه صدى عظيم الاثر في الاوساط العلمية والثقافية

كما كان فضيلة الضيف الكريم محل عناية واكرام سواء من ناحية استقباله ومرافقته من شخصيات الوزارة في اغلب جولاته وفي اقامة الحفلات التكريمية ممن يقدر فضله وعلمه الغزير ، وفي مقدمة هؤلاء معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، ثم ودع حفظه الله المغرب واعدا بزيارة علمية كريمة اخرى في اوقات مناسبة ، ومجلة دعوة الحق التي ستنشر بعض مآثره تشكره بلسان تلامذه بالمغرب الذين امتعهم بطرائف علمه وابحاثه .

في الميدان الفلاحي

قام رئيس القسم الفلاحي التابع لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ السيد عابد الوزاني بجولة تفتيشية في كل من مدينة مكناس وزرهون ووزان واحواز مدينة فاس

في مكناس :

وقد تم الوقوف على جنان « مالك » الذي غرس في ارضه من اشجار الزيتون ما يقدر بـ 1900 شجرة ولوحظ بان جميع الاشجار في هذا الجنان مجفنة ، وان الارض بين الاشجار قد حرثت بالجرار .

والشيء الذي يلفت الانظار هو ان كثيرا من المزروعات التي استعملت لمواجهة الصوائر لا تعطي النتائج التي كانت متوقعة ؛ بسبب عدم نزول الامطار الكافية في الوقت المناسب ، ولانتشار نوع من الحشرات المضرة بالنباتات والمزروعات .

وكان بطل العالم فى الملاكمة للوزن الثقيل قد اشتكى من ان طريقة زوجته فى ارتداء الملابس لاتتمشى مع الاحتشام الذي تفرضه حركة المسلمين السود التي ينتمي اليها .

وامرت المحكمة كلاي بان يدفع لزوجته نفقة مالية مقدارها 15 000 دولار فى السنة طوال السنوات العشر القادمة الا اذا تزوجت ثانية . كما امرته بأن يدفع نفقات محامي زوجته ومقدارها 22 500 دولار.

وقال كلاي بعد صدور الحكم « انني لا املك هذا المقدار من المال . »

واحمر الشفاه أيضا

وكان قد ابلغ كلاي بطل العالم فى الملاكمة للوزن الثقيل المحكمة انه يريد الغاء زواجه او الطلاق من زوجته سونجي لانها ترتدي سراويل ضيقة وتضع على شفتيها احمر الشفاه وتستعمل رموشا اصطناعية وقال ان ذلك كله مخالف لتعاليم الاسلام .

وكان كلاى وهو عضو فى جماعة المسلمين السود، ويفضل ان ينادى باسم محمد علي يشهد امام المحكمة فى قضية طلاق اقامها على زوجته سونجي

وقد تزوج كلاي وسونجي فى شهر تموز 1964 لكنهما انفصلا بعد اقل من سنة .

الرموش الاصطناعية

وكانت سونجي الجميلة وهي عارضة سابقة في شيكاغو تجلس فى المحكمة وهي مرتديه ثوبا احمر من قطعتين يصل الى الركبتين وله ياقة عالية .

وسأل لورنس هوفمان محامي الزوجة كلاي اثناء الاستجواب « هل يعتبر الثوب الذي ترتديه المسز كلاي الان مقبولا ؟ »

فرد كلاي بصوت عال « كلا انه ضيق للغاية ويكشف الركبتين والاطراف كما انها تضع رموشا اصطناعية واحمر شفاه . وهذا امر مؤذ للعين ومحرج لي . »

الامور المطلوبة من الزوجة

وابلغ كلاي المحكمة فى وقت سابق انه شرح لسونجي قبل زواجهما جميع الامور المطلوبة من الزوجة المسلمة .

السراويل الضيقة

وقال : « لقد كان من المفروض مثلا ان ترتدي ملابس محتشمة . ولكن عندما كنت اتدرب استعدادا للمباراة الثانية مع سوني ليستون عدت الى المنزل فى احد الايام فوجدتها ترتدي سراويل ضيقة . »

واضاف يقول انه ذكر لها ان ذلك خطأ . وقد اعقب ذلك جدل طويل بينهما خرجت على اثره سونجي من المنزل ولم تعد الا بعد ستة أيام .

مكناس :

دعاء

بعث الينا الشاب السيد عبد الكبير العلمي بهذه القصيدة : « دعاء » . راجيا منا نشرها ، وقد اخترنا منها هذه الابيات :

سألت ربي السلم للانسانيه
من هول هذي السفن الفضائيه

رجوته ان يهب المكتشفين
حب الحياة وعقول الراشدين

وقلت يا ربي لماذا صنعوا ؟
صوارخ المنون ثم برعوا

في قاذفات اللهب الفوار
وطائرات النافور الذمار

وكرسوا الجهود والأموالا
واشبعوا قلوبنا اهوالا

وسخروا العلم لكل مفبه
فاقفرت قلوبهم من محبه

ان شئت - يا ربي - بها تفنينا
وقدرت السبب في ايدينا

فاجعل الاهي الأمن فى سماك
واللطف والغفران فى قضاك

والهم اهل العلم رشدا وهدى
بسلم هذا الكون من هول الردى

ناحيـــة وزان :

وقــع الطواف على جميــع الاراضي المغروسة مباشرة بقبائل (مصمودة) (ارهونة) (بني مزكلدة) وقــد شملت الملاحظات المبدئيـــة في هــذا الشأن ما باتــي .

اولا : عدم الزيادة في الغرس المباشر للتمكين من مقابلة 8 000 شجرة من الزيتون والبرتقال غرست في سنة 1966 ومقابلة الغرس المنجــز مبــاشرة في السنوات الماضية والذي يقدر عــدد اشجــاره بــ 21.304 اما الغرس مع الغير فيبقى العمل جاريا بــه ويقدر عدد اشجــاره بــ 41.925

ثانيا : تزويد غرس مولاي ابي الشتاء بالمــاء الكافي اما بحفر بئر ووضع محرك واما بجلب الماء من وادي اودبـــار .

ثالثا : صيانة الاراضي المغروسة بالزيتــون والدالية من طرف ادارة المياه والغابات والتي بــدات تفــل .

رابعا : بيع المزروعات المستعملة بين الاشجار عن طريــق السمسرة العلنيـــة .

خامسا : تلبية رغبة قائد ارهونة الرامية الى القيام بجولة بمحضر اعيان القبيلة ليستفيدوا مــن تجارب الاحباس في ميدان التشجيــر .

وقد تبين من الطواف على المغارسات المسماة بـ « الريــاض » و « ابن سليمـــان » و (الحجـــام) و (القرح الكبير) و (ضايا لكمــر) الفوقية والتحتية ، ان اشجار البرتقـــال فى حالــة تبعث على الرضـــى والاطمئنـــان .

كما وقع الطواف على جنان « باب القزديـــر » المشتمل على 14 هـ والذي غرس منذ سنة 1964 بـ 1905 شجره ، منها 915 من البرتقــال و 270 مــن المشمش و 270 من السفرجل و 450 من الزيتون .

وهذا الجنان كان قبل التشجير عبارة عن غابــة متكاثفة يستحيل المرور داخلهـــا ، لايرد نفعـــا على الاحباس ، وقد اصبح الآن ، بعد قيام وزارة الاوقاف بازالة جميع النباتات السيئه ، ضيعة نموذجيه .

وقد بلغ عدد الاشجار التي غرست الى حد الآن بضواحي مكناس يقدر بـ 15.497 شجرة للبرتقـــال والزيتـــون

فى زرهـــــون :

تالفت لجنة من مبعوث الوزارة ونائب الناظـــر المكلف بالشؤون الفلاحيه ، والخبير الفلاحي المشرف على عملية الغـــرس ، للوقـــوف على اراضـــي « سهب الحدادة » و (فدان القبرة) و (الشكـــر) و (حمري الكبيـــر) و (حمري الصغير) ، فمرت اللجنة علـــى الاراضي التي تهيات فيها النقلات لمشاهــدة المكـــان الفارغ منهـــا والمعتمـــر

وقد وقفت اللجنة على الارض المغروسة سابقـــا من طرف السيد محمد بنونة ، فلاحظت ان الزيتون فى نمو مطرد مما يبشر بمحصول فلاحي طيب فى الموسم الفلاحي المقبـــل ...

وتأكد للجنة بعد ان توجهت الى المكان المغروس باشجار المشمس منذ اربع سنوات ان الاستثمار قــد حان ، وتعود فائدته بالنفع الجزيـــل على الاحبـــاس ابتداء من الموسم المقبل

وقد ضربت النظارة التابعة لمدينة زرهون رقما قياسيا هذه السنة ؛ وذلك بغرس 400 8 شجرة ، فى حين ان عدد الاشجار المغروسة فى كل سنة لم يتعــد 000 7 فى السنوات الماضية

وبهذه الميكة الهائلة من الاشجار تكـون النظارة قد استكملت برنامجها الفلاحي الذي بدا سنة 1957، ولم يبق لها الا القيام لمقابلة الاشجار المغروسة والذي يقدر عددها بما يأتـــي :

	مباشرة	مع القبر	الجملــة
عدد اشجار الزيتون	35.753	18.526	54.279
المساحـــة	357,53	215,53	573,06

اما الاشجار الاخرى ، فيقدر عددها كما ياتي :

المشمش 1873

والمختلطة 4068

الكليتــوس 000 111

ونقدر المساحة الكلية بـ 725,06

ويقدر عدد مجموع الاشجار : 200 171 .

وعلى هذا الاساس حددت بصفة نهائية الصوائر، وعدد العملة المشتغلين فى المزارع الآنفه الذكر

ونظـــرا لاهمية المشروع وضخامته ستضطـــر الوزارة الى شراء جرار بان لمضاعفة العمل والانتاج .

الغـــرس بواسطـــة الغيـــر

وقع الطواف على 25 قطعة من الاراضي المغروسه من طرف الغير فى الدواوير المعروفـــه بزرهـــون (بحمراوة) و (بني وارد) و (بني راشد) من طرف لجنة مركبة من مبعوث الوزارة وناظر الاوقاف ونائبه ونائب قبيله حمراوة بصفته خبيرا فلاحـــا واحـــد المغارسيـــن .

احـــواز فـــاس :

تأكـــد من خلال الطواف على الاراضي المنحدرة، والمغروسة مباشرة بان اسباب ضياع بعض الاشجـــار ينحصر فى تسلط نوع من الحشرات الفتاكة للاشجار الصغيرة ، كما وقع اتفاق على متابعة تجفين الاشجار مرتين فى الصيف . واستعمال جميع وسائل الاشهـــار فيما يرجع لأرض الرشاشين (50) المغروســـة مـــن طرف ادارة المياه والغابات والتي بدات تغــل ، مـــع الزام مشتري الغلة بعدم استعمال العصي ، كما يتعين تنظيم وسائل حراسة هذه الاشجار .

اما مجموع اشجار الزيتون التي غرست بهـــذه النظارة فيقدر بـ 68,347 .

حسني الخرطوبي . « المشكلات العالمية المعاصرة » للدكتور مصطفى الخشاب . « رجال حول الرسول » الجزء الخامس والاخير لخالد محمد خالد . « الاصبع والزناد » مجموعة قصص لمحمد كمال محمد . « الميراث في الاسلام والقانون » للدكتور احمد الفندور . « نصوص النقد الادبي » للدكتور لويس عوض . « الخطابة في صدر الاسلام » الجزء الاول « العصر الديني عصر البعثة الاسلامية » للدكتور محمد طاهر درويش . « ساعة اخلاص » للسيد فرج « من قضايا الناس » للمستشار انور حجازي . « الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا » لانور الجندي . « الكيمياء العامة وغير العضوية » للدكتور سامي طوبيا والدكتور نظير عريان . « الدعاء في القرآن » لمحمود بن الشريف .

* الناقد محي الدين، يعد للطبع مجموعة دراسية وبحوثه التي كتبها عن الشعر الحديث ونشرها في عدد من الصحف والمجلات .

* صدر في الاسكندرية « الكتاب الابيض » وهو تحقيق عن رسالة الماجستير في «دراسة اصوات المد في التجويد القرآني » التي نوقشت في جامعة الاسكندرية بتاريخ 18 اكتوبر 1965 ، واجيزت ، ثم رفضت اثر حملة صحفية عليها . والكتاب دفاع عنها مع اثبات شواهد وآراء لبعض الاساتذة .

* في المقابلة التلفزيونية التي اجريت مؤخرا مع طه حسين في القاهرة ، نصح شيخ الادباء من كان حوله من الادباء الجدد المقدمين ان يقرأوا الادب العربي القديم ، قبل كل شيء ، والا ذهب ادبهم مع ذهاب العصر الذي يعيشون فيه .

* الامة الانسانية » كتاب جديد صدر في القاهرة لاحمد حسين المحامي بصور وحدة العالم والتقائه في معنى « العالم قرية صغيرة » ويضم احصائيات وبيانات جديدة وهامة .

* من المؤمل ان يقيم المجلس الاعلى والاداب في القاهرة احتفالا بالذكرى المئوية للعلامة اللغوي الاب انستانس الكرملي . ومن المنتظر ان تساهم جامعة بغداد ، ورئاسة المجمع العلمي العراقي ، وجمعية المؤلفين ، والكتاب العراقيين ، في ذلك الاحتفال .

* توفي في القاهرة الملحن الكبير الفنان محمد القصبجي عن 70 سنة .

* «معالم الفكر العربي المعاصر » دراسة جديدة لانور الجندي صدرت في القاهرة ، تضم بحثا عن الثقافة العربية في معركة التعريب والشعوبية وتحوي معركة جرت في خلال السنوات الخمسين من هذا القرن ، وهي حلقة جديدة من المعارك الادبية .

* عقدت في نادي القصة بالقاهرة ندوة عن الادب العراقي ، اشترك فيها الدكتور عبد الرازق محي الدين ، والدكتور عبد القادر القط وعباس خضر حسن ، ومحي الدين اسماعيل ، ويوسف الشاروني .

* اصدر الاستاذ دحام الكيال كتابا بعنوان «دراسات في علم النفس » ويقع الكتاب في اكثر من 150 صفحة من القطع الكبير .

* « شاعر عبقر » عنوان لدراسة طويلة يعدها الاستاذ عبد اللطيف اليونس عن الشاعر شفيق معلوف .

* دفعت الدار المصرية للتاليف الى المطبعة، الاجزاء الاربعة الاخيرة من كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني .

* يعد الشاعر صرداوي مجموعة شعرية سيطلق عليها عنوان « اغنيات عاصفة » .

* بدء في انشاء دار الكتب الجديدة بالقاهرة على كورنيش النيل . وقدرت تكاليفها بثلاثة ملايين من الجنيهات وستتألف مبناها من 24 طابقا . وسيصبح اسمها « المكتبة القومية » ويديرها مجلس ادارة باعتبارها مؤسسة تحت اشراف وزير الثقافة .

* توفي الفنان التشكيلي عبد الهادي الجزار استاذ التصوير في كلية الفنون بالقاهرة ، والفائز بجائزة الدولة التشجيعية في التصوير لعام 1965 ووسام العلوم والفنون على لوحته المشهورة عن السد العالي .

* «اتجاهات القصة القصيرة » موضوع رسالة دكتوراه سجلها في كلية آداب جامعة القاهرة سيد النساج المدرس في كلية الفنون التطبيقية . سيتناول كتاب القصة العرب المعاصرين مع مقارنة بينهم وبين اعلام القصة في الادب العالمي .

* تولى القصصي والصحفي فؤاد القصاص رئاسة تحرير مجلة « كتاب الجيب » بالقاهرة

أنباء ثقافية

* صدر قريبا عن معهد مولاي الحسن بتطوان ديوان الامير الموحدي ابي الربيع سليمان بن عبد الله بتحقيق الاساتذة محمد بن تاويت التطواني ومحمد عباس القباج ، ومحمد بن تاويت الطنجي وسعيد اعراب .

* اقيم مؤخرا بابهاء مسرح محمد الخامس بالرباط معرض للكتاب العربي شارك فيه بالاضافة الى المغرب كل من تونس ، والجمهورية العربية المتحدة .

* وصل الى المغرب منذ مدة ، وفد قضائي عراقي بقصد مشاركته في الدورة السادسة للموسم القضائي الذي ينظمه المكتب الدائم للتعريب ، تحت اشراف وزارة العدل . ويتألف الوفد من السيدين شاكر العاني ، ومحمد سعيد . وقد قاما بالقاء سلسلة من المحاضرات في كبريات المدن المغربية .

* تصدر في المغرب مجلة ادبية فكرية جامعة باسم « الواحة » .

* احتفل بالجزائر يوم 20 ماي الماضي بذكرى مرور سنة على وفاة فقيد الاسلام والثقافة ، الامام محمد البشير الابراهيمي ، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . وقد مثل المغرب في هذا المؤتمر الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني .

* بمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيس القوات المسلحة الملكية ، اصدرت وزارة البريد والتلغراف المغربية ، طابعين بريديين من نوع خاص ، تخليدا لهذه الذكرى .

* اقامت «جمعية تاريخ المغرب» التابعة للمركز الجامعي للبحث العلمي ، مؤتمرا تاريخيا في مدرج كلية الاداب بالرباط ، القيت فيه بحوث كلها حول تاريخ المغرب . ودام ثلاثة ايام وقد دشنه الاستاذ ناصر الفاسي بالقاء كلمة في الموضوع .

* زار المغرب مؤخرا وفد ثقافي سوفياتي ، قام بجولات في كبريات المدن المغربية ، واقيمت على شرفه عدة حفلات .

* تحت رعاية المكتب الدائم للتعريب في العالم العربي ، نظمت بتاريخ 18 ماي الماضي في مسرح محمد الخامس بالرباط حفلة تدشين « اسبوع فلسطين » وتكلم في هذه الحفلة السفراء العرب المعتمدون بالرباط وعدد من المنظمات الوطنية .

* عقد مؤخرا بالدار البيضاء مؤتمر اقتصادي افريقي اسيوي دشنه صاحب الجلالة الحسن الثاني بكلمة قيمة في الموضوع .

* وجهت جامعة الجزائر الدعوة الى عدد من اساتذة الجامعات المصرية لالقاء سلسلة من المحاضرات العامة ومن بينهم الدكتورة سهير القلماوي والدكاترة محمود قاسم ، ومحمد علي ابو ريان ، وشكري عياد .

وقد وصل منهم الدكتور قاسم والقى في العاصمة وفي وهران عددا من المحاضرات في الفلسفة ، ومناهج البحث لاقت نجاحا كبيرا .

* صدرت في القاهرة الكتب التالية : « شراع ابيض » قصة طويلة لعبد المنعم الصاوي ، « حكاية قلب » ديوان شعر لصالح جودت . « اغاريد » ليوسف بدروس . « من الخبر الى الموضوع الصحفي » لجلال الدين الحمامصي . « التفاحة والجمجمة » رواية لمحمد عفيفي «المحاولة الاولى» قصة لدفاف العروسي المحامية . « الاخلاق والمجتمع » للدكتور زكريا ابراهيم . « نظرات في فكر العقاد » للدكتور عثمان امين « الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية » لعبد العليم ابراهيم « مع العقاد » للدكتور شوقي ضيف « الموشحات والازجال » للدكتور مصطفى عوض الكريم . « المآسي التاريخية الكبرى » لحسن الشريف « المهدي العباس » للدكتور علي

* سيصدر قريبا كتاب « الشذرات في الادب والعلم والفلسفة » وهو من تأليف الامير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق .

* سيصدر قريبا ديوان « ثائر بلا هوية » للشاعر راضي صدوق . كتب مقدمة الديوان الدكتور خليل حاوي .

* «القضية» كتاب من تأليف كافكا .. ترجمها القاص العراقي مجيد ياسر ، وتقوم بطبعها احدى دور النشر في بيروت .

* الاستاذ غالي شكري ، يعد للطبع كتابا بعنوان « الحداثة في الشعر » .

* ينصرف الدكتور كمال يوسف الحاج الى وضع مؤلف عن الحركة الفلسفية في لبنان .

* «دراسات في الفلسفة العربية الحديثة» كتاب يصدر قريبا من تأليف الدكتور صادق جلال العظم، استاذ الفلسفة في كلية الاداب والعلوم في جامعة بيروت الامريكية .

* مجلة « رجال الاعمال » مجلة ضخمة صدرت عن نادي رجال الاعمال في بيروت .

* «المواسم» مجلة شهرية جامعة صدرت في بيروت صاحبها ايليا ابو شديد ، ومديرها المسؤول جورج مصروعة .

* دفع الاستاذ عبد القادر عياش الى المطبعة بمسودات كتابه « البئر في حياة العرب وما يتصل به من معتقدات وعادات وآداب شعبية » .

* الخطيئة البيضاء » قصة لميخائل معوض ، صدرت في منشورات المطبعة الكاثوليكية ببيروت.

* صدر عن مجلة « الاداب » في بيروت عدد شهر مارس الماضي في 200 صفحة . وهو عدد ممتاز خاص بالشعر ويعتبر مرجعا هاما في دراسة الشعر العربي الحديث .

* « الوحدة العربية وقضاياها المناهضة » عنوان الندوة التي عقدتها جمعية متخرجي المقاصد الاسلامية في بيروت ، واشترك فيها كمال جنبلاط، سيد الصلح ، جورج حاوي ، ومحمد كشلي .

* تألفت في بيروت لجنة عمل للاحتفال بيوبيل مجلة « الاديب » من : الدكتور سهيل ادريس ، الشيخ الياس خليل زخريا ، رياض طه ، ثريا ملحس، فؤاد الخشن ، احمد ابو سعد ، موسى سليمان ، قدري قعلجي ، بلند الحيدري ، الدكتور جميل جبر ، جورج رجى ، الشيخ بديع المنذر ، رياض حنين ، الدكتور علي شلق . وقد عقدت اللجنة اجتماعا في دار موسى سليمان واتخذت عدة مقررات من بينها تاليف اللجنة الكبرى للوبيل .

* « دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة » كتاب جديد من تأليف الدكتور صادق جلال العظم استاذ الفلسفة المساعد في الجامعة الامريكية ببيروت صدر في منشورات كلية العلوم والاداب بالجامعة .

* فجعت الصحافة اللبنانية بوفاة الاستاذ نور الدين الخطيب مدير جريدة « لسان الحال » في طرابلس . رحمه الله .

* اهدت الحكومة الايطالية وسام الاستحقاق من درجة كومندور الى فؤاد افرام البستاني ، رئيس الجامعة اللبنانية ، وتوفيق يوسف عواد السفير في وزارة الخارجية ، ومن درجة ضابط الى الدكتور جميل جبر ، رئيس تحرير مجلة «الحكمة» ، والدكتور احمد مكي عميد كلية الاداب بالجامعة اللبنانية .

* «وجه لبنان » كتاب جديد اعده الدكتور علي شلق للطبع يظهر قريبا في بيروت .

* نعى لبنان في الايام الاخيرة المؤرخ والمربي اللبناني المعروف الاستاذ كرم البستاني .

* نشرت الصحف اللبنانية بعنوان « تكريم « الاديب » تكريم للادب ولبنان » ما يلي : لا تزال الاوساط الادبية في لبنان والعالم العربي تستعد للاحتفال باليوبيل الفضي للزميلة الراقية « الاديب » وجهاد صاحبها ومؤسسها الاستاذ البير اديب ، في رعاية الادب والفنون والثقافة عامة ، خدمة للبنان والعرب والثقافة العربية في كل مكان .

* الدكتور فؤاد رفقة استاذ الفلسفة في كلية بيروت للبنات ، يعد دراسة عن الشعر العربي الحديث يصدرها قريبا في كتاب . وتعالج الدراسة بشكل خاص ، الجوانب الميتافيزيقية في هذا الشعر .

* بمناسبة الذكرى العشرين لوفاة فقيد الادب عمر فاخوري دعت اللجنة التي تالفت لاحياء ذكراه

* الفنان عمر النجدي اقتنت المكتبة الوطنية بمتحف اللوفر بباريس ، قطعة من اعماله . وبهذا سيدرج اسمه في ارشيف الفنانين الحفارين الدوليين بالمكتبة . وعمر النجدي استاذ في كلية الفنون التطبيقية بالقاهرة الان .

* معجم « لسان العرب » لابن منظور المصري المتوفى سنة 711هـ يصدر قريبا عن الدار المصرية للتأليف بالقاهرة مصورا بالاوفست ، وملحقا به جزءان يجري طبعهما الان يضمان الاستدراكات والتصحيحات والفهارس وتقع المجموعة في جزابين

* توفي في القاهرة عميد معهد الموسيقى العربية السابق ونقيب الموسيقيين الفنان ابراهيم شفيق عن 75سنة . وكان الفقيد عضوا في مجلس الفنون والاداب، واستاذ في الكونسرفاتوار . آخر اعماله كتاب عن « النواشيح العربيه والاندلسية » انتهى من تاليفه قبل اربعة ايام من وفاته .

* « ياقوت مطحون » مجموعة قصص قصيرة صدرت بالقاهرة في اوائل الشهر الجاري .

* قررت لجنة الفنون الشعبية بالمجلس الاعلى والاداب بالقاهرة، رصد جائزة تشجيعيةللشعر والزجل ضمن جوائز الدولة اسوة بباقي فنون الاداب ، ويعتبر هذا الاتجاه انتصارا لشعر العامية في نظر شعرائه ، اذ هو اعتراف من الدولة بهذا اللون من الانتاج .

* عين الفنان المعروف سعيد خطاب عميد الفنون المسرحية بالقاهرة مديرا لمؤسسة فنون المسرح والموسيقى .

* « الرجل الذي فقد الفرح » مجموعة قصصية ستظهر قريبا للاديب السوداني الطيب صالح .

* قامت وزارة المعارف السعودية بطبع كتاب شامل عن التعليم في المملكة خلال خمس سنوات . وقد طبع هذا الكتاب في مطابع نجد .

* الباحث السوري عارف تامر دفع الى النشر ديوان الشاعر « ابن هانىء الاندلسي » الذي امضى في شرحه وتنسيقه ثلاثة اعوام ، فجاء باربعة اجزاء ومقدمة تتراوح بين المائة والمائة وخمسين صفحة .

* « النغم الازرق » مجموعة شعرية جديدة للشاعر السوداني حسن عبد الله القرشي ، صدرت عن دار الادب في بيروت .

* فقدت الصحافة العربية في المهجر كاتبين هما الاستاذ فريد غصن ، المتوفى في بروكلن نيويورك عن 70 عاما وقد ساهم في تحرير عدة صحف منها « مرآة الغرب » و « السمير » و « الاصلاح » وغيرها ، كما توفي في بونس ايريس الاستاذ الياس الغريب احد محرري جريدتي « السلام » و « الجريدة السورية اللبنانية » .

* « ادباء من الشرق والغرب » عنوان الكتاب الذي صدر عن دار عويدات وهو من تاليف الاستاذ عيسى الناعوري .

* « الريحاني ومعاصروه : رسائل الادباء اليه» عنوان الكتاب الجديد الذي اصدره البرت الريحاني بمناسبة مرور 25 عاما على وفاة امين الريحاني .

* صدر للاديب السوري محمد المونجي « اللغة الفارسية وقواعدها » ويشمل مجمل القواعد الفارسية وصفحات من الحوار والمفردات والنصوص . وبذلك يصبح عدد مؤلفات المونجي المطبوعة احد عشر كتابا .

* اصدر المجمع العلمي العربي بدمشق « كتاب الاعربيات » لمؤلفه الفقيد خليل مردم عدنان مردم بك ، واحمد الجندي .

* اصدرت وزارة الثقافة بدمشق كتاب « الفن والادب» تاليف لويس هورتيك ، وترجمة الدكتور بدر الدين قاسم .

* مجلة « المعرفة » بدمشق » اصدرت عددا خاصا بالقضية الفلسطينية في اكثر من 500 صفحة ساهم فيه بعض الكتاب العالميين .

* اصدر الدكتور محسن جمال الدين ، المدرس في كلية الاداب بجامعة بغداد ، كتابا جديدا عنوانه « العراق في الشعر العربي والمهجري » .

* «الحركة الفكرية في العالم العربي بين الحربين 1919 ـ 1939 » كتاب جديد يعده للطبع الكاتب السوري سامي الكيالي .

* في الاسراق الان ، مجموعة القصص القصيرة التي وضعها الاستاذ عبد الرحمن مجيد الربيعي بعنوان « السيف والسفينة » .

* في سلسلة الكتب الحديثة التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد بالعراق ، سيصدر الى الاسواق قريبا كتاب « الواقعية في الادب » للناقد الاستاذ عباس خضر ، وكتاب « ادباء المؤتمر » للاستاذ عبد الرزاق الهلالي ، وكتاب «من شعرائنا المنسيين » للاستاذ عبد الله الجبوري .

* من سلسلة كتب التراث ، اصدرت وزارة الثقافة والارشاد ديوان « عدي بن زيد العبادي » الذي جمعه وحققه الاستاذ محمد جبار المعيبد .

* دفع الاستاذ جعفر الخياط الى المطبعة بكتابه الجديد وعنوانه «صور من تاريخ العراق في العصور المظلمه » .

* اصدرت وزارة الثقافة والارشاد بيانا حول اصدار سلسلة القصة والمسرحية ضمن مطبوعاتها .

* «الرهمة» دراسة تاريخية اجتماعية اقتصادية صدرت مؤخرا من تاليف الاستاذ عبد الرحيم محمد علي .

* اصدر الدكتور حمد السعدي كتابا عنوانه «جرائم الاعتداء على الاشخاص » وهو دراسة مقارنة بين القانون العراقي والفرنسي والسوفياتي ، في ضوء الاجتهادات القضائية الصادرة من المحاكم العراقية .

* تصدر قريبا ديوان للشاعر خالد الحلي . ويحمل الديوان اسم « التشوف والصمت » .

* وصل بغداد وفد الثقافة الصيني في زيارة للعراق لاجراء مباحثات ثقافية تستهدف وضع خطة التعاون الثقافي بين العراق والصين .

* «من وحي السفر » كتاب جديد للمحامي ناجي جواد صدر في بغداد . ويقع في 120 صفحة من الحجم الكبير . وهو خامس مؤلف يصدر للكاتب.

* صدر في بغداد للعميد محمود بهجت سنان عضو جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين كتاب جديد عنوانه « تاريخ قطر العام » .

* «طريق آخر» كتاب يضم سبع مسرحيات في فصل واحد ، صدر في بغداد من تأليف نور الدين فارس .

* «نفحات اسلامية » عنوان الكتاب الجديد الذي اصدره الاستاذ مكي الجمل ، ويبحث في الطرق التي عالج فيها الدين الاسلامي المشاكل الاجتماعية .

* في سلسلة منابع « الثقافة الاسلامية » التي تصدر في النجف ، صدر كتاب «شعراء من الشيعة » من تأليف عبد المجيد الحائري .

* سيصدر قريبا كتاب « كعب بن مالك الانصاري » من جمع وتحقيق الاستاذ سامي العاني ، والكتاب هو الرسالة التي قدمها الاستاذ العاني لنيل شهادة الماجستير .

* (غريب على الشاطيء) ديوان جديد يعده للطبع الشاعر علي الحلي ، ومما يجدر ذكره ان احدى دور النشر في بروكسيل ستطبع للشاعر الحلي مجموعة من قصائد بعد ان ترجمت الى الانجليزية .

* وضع الدكتور جلال الخياط رسالة عنوانها (تطور الشعر العراقي الحديث في القرن العشرين) وهي الرسالة التي حصل بها على شهادة الدكتوراه من جامعة كمبردج .

* ينصرف الشاعر محمود البريكان الى اختيار بعض قصائده ليدفع بها الى الطبع .

* اصدرت مديرية الفنون والثقافة الشعبية في وزارة الثقافة والارشاد بالعراق كتاب (الصناعات والحرف البغدادية) من تاليف الشيخ جلال ويقع الكتاب في (235) صفحة من القطع المتوسط واحتوى على اكثر من 20 صوره .

* دفع الاستاذ فتحي سعيد الى المطبعة بمسودة كتابه الغرباء ، وهو دراسات ادبية لبعض الشعراء هذا ومن الجدير بالذكر انه سيصدر في بيروت ديوان (فصل في الحكاية) وسيصدر في القاهرة « اوراق الفجر » للاستاذ فتحي سعيد ايضا .

لحضور مهرجان خطابي كبير اقيم برعاية رئيس الجمهورية الاستاذ شارل حلو في سينما بيلوس ببيروت . ومن الذين خطبوا في هذا المهرجان : محمود امين العالم – ج.ع.م. ، الدكتور انطوان غطاس كرم ، عبد الله لحود ، الدكتور عمر فروخ ، عبد الله النجار ، احمد سويد ، حسين مروة وغيرهم .

❋ توفي في الشياح بلبنان الاديب الشاعر الاستاذ ابراهيم معوض امين دار الكتب الوطنية .

❋ نعت نقابة الصحافة اللبنانية ونقابة المحررين الاستاذ يوسف فاضل عقل . وقد عمل الفقيد في جرائد « الاحوال » و « الوطن » و « الراصد » .

❋ تصدر في بيروت خلال هذا الشهر مجموعة شعرية جديدة لجورج غانم عنونها « سفر الكلمات »

❋ توفي في لبنان السيد غبريال المر الوزير والنائب السابق . وقد فقد لبنان بوفاته وجها من انبل وجوه الرعيل الاول من السياسيين الذين لم يتلوثوا ، وكانوا يعملون في حقل البناء والنهضة باخلاص وتجرد .

❋ تصدر خلال الشهر الجاري في بيروت طبعة جديد لكتابي « الباب الموصود » و « الفصول الاربعة » للفقيد عمر فاخوري بمناسبة مرور 20 سنة على وفاته .

❋ قدم عبد الله لحود ، والدكتور علي شلق ، والسيدة اميلي فارس ابراهيم ، تصريحا الى وزير الداخلية في بيروت بانشاء جمعية تدعى « رابطة ادباء لبنان » . ومن مؤسسي هذه الرابطة وعددهم سبعة : الشيخ عبد الله العلالي ، وميخائيل صوابا ، ورئيف خوري ، وخليل فاخوري .

❋ توفي في جدة محمد علي لقمان ، السياسي العدني القديم ، والمحامي والصحفي عن 70 عاما . وكان قد وصل الى السعودية لتأدية فريضة الحج ، وقد تقرر ان يدفن فيها . وهو اول عدني يصبح محاميا ، وانشأ جريدة « فتى الجزيرة » سنة 1940 ، كما انشأ مجلة اسبوعية باللغة الانجليزية هي «عدن كرونكل » سنة 1952 .

❋ مجلة « المنهل » التي يصدرها في جدة الاديب الباحث عبد القدوس الانصاري ، اصدرت عددا ممتازا في 180 صفحة بمناسبة انتهاء 13 سنة على صدورها.

❋ اصدرت الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي في السعودية كتابا ضم سيرة حياة الزعيم النيجيري الاسلامي » الشهيد الحاج احمد بلو كما يضم الكتاب نخبة مما كتبه الكتاب ونشرته الصحف بمناسبة حادث وفاته .

❋ صدر في منشورات مجلة « المنهل » السعودية في جدة كتاب « التحقيقات المعدة بحتمية صنم جيم جدة » باقلام : عبد القدوس الانصاري وعبد الفتاح ابي مدين ، وابي تراب الظاهري .

❋ يعد الشاعر الاردني عبد الرحيم عمر كتابا بعنوان « دراسات في الشعر » يتناول فيه تطور الشعر العربي منذ بزوغ الاسلام حتى عصر النهضة الحديثة .

❋ اصدر الاستاذ حكمة توماشي الجزء الاول من فهارس مجلة « المعلم الجديد » التي تصدرها وزارة التربية والتعليم بالعراق . وبتضمن هذا الجزء فهارس المجلة من السنة 1935 حتى 1946 ويقع الكتاب في 130 صفحة . وقد ساعدت وزارة التربية العراقية على طبعه .

❋ «طريق آخر» عنوان المسرحية الجديدة التي اسدرها الاستاذ نور الدبن فارس مؤخرا ببغداد .

❋ «جماعة المجددن بالعراق » اقامت معرضها الثاني في قاعة المتحف الوطني للفن الحديث ببغداد

❋ « لن تراني الضفاف » عنوان ديوان الشهيد مثنى حمدان العزاوي سيصدر قريبا منتملا على «28» قصيدة . ويشرف على طبعه الاستاذ جليل العطية .

❋ صدر الى الاسواق كتاب « الوطن العربي» دراسة مركزة لتطوراته السياسية الحديثة » من تأليف الدكتور حسن العطار . ويقع الكتاب في 336 صفحة من القطع الكبير . وقد طبع بمساعدة جامعة بغداد .

❋ « فوائد ومناقشات لغوية » كتاب سيصدر قريبا في بغداد ، وهو من تأليف السيد رؤوف جمال الدين ، ويتضمن ابوابا متنوعة من علوم اللغة .

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثامن – السنة التاسعة – صفر 1386 – جوان 1966

في هذا العدد

صفحة

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

* « الفترة الحرجة » عنوان الكتاب الذي اصدره اخيرا الشاعر رياض نجيب الريس ويضم مجموعة من مقالاته نشرتها الصحف العربية .

* اصدر المجمع العلمي العراقي انرا جديدا من آثار الفقيد الشيخ رضا الشبيبي عنوانه « تراثنا الفلسفي : حاجته الى النقد والتمحيص » .

* يعد الاديب العراقي شجاع مسلم العاني اطروحة عن « الجنس في القصة العراقية » لنيل الماجستير بجامعة القاهرة ، وذلك باشراف الدكتور عبد القادر القط .

* يصدر قريبا في بغداد : « كتاب العروض في اوزان الشعر العربي وقوافيه » لحكمة فرج البدري وديوان « اللهب المقفى » للشاعر حافظ جميل ، وتقديم منير القاضي ، والدكتور طبانة و « اصول المرافعات والصكوك الشرعية » لمحمد شفيق العاني رئيس محكمة تمييز العراق . و « صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة لجعفر الخياط « وفي صميم الاحداث » وهو جزء جديد من مذكرات محمد مهدي كبة السياسية . و « مفاهيم اسلامية » للشيخ محمد حسن آل ياسين .

* وافقت الحكومتان العراقية والتركية على قرار بتنفيذ توصية سابقة للجنة الثقافة العراقية التركية تنص على ان تتعهد تركية بترميم ضريح الشاعر امريء القيس ويتعهد العراق بانشاء ضريح الشاعر التركي فضولي الموجود في كربلاء .

* عين الدكتور خالد الهاشمي رئيسا لجامعة بغداد ، خلفا للدكتور عبد العزيز الدوري المستقيل منذ عدة اشهر .

* يصدر قريبا عن دار البصري ببغداد « اخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي البغدادي » .

* صدر عن مكتبة الثقافة الدينية في النجف كتاب اللؤلؤ المرتب في اخبار البرامكة وآل مهلب » تاليف الفقيد السيد محمد رضا الشاه عبد العظيمي .

* تتخذ حاليا الاجراءات لاقامة نصب كبير للشاعر ابو الطيب المتنبي في المنطقة التي يرجح انه قتل بها بدير العاقول في النعمانية قرب الكوت بالعراق

* « فوائد ومناقشات لغوية » عنوان الكتاب الذي صدر في بغداد للسيد رؤوف جمال الدين .

* صدر العدد الاول من مجلة « البيان » التي تصدرها رابطة الاباء الكويتيين . وقد جاء حافلا بشتى المقالات والدراسات والقصص والقصائد وممن شارك في تحريره : راضي صدوق ، عبد الله الخاتم ، خالد سعود الزيد ، سليمان الشطي ، عبد الله خلف . كما تضمن قصيدة تنشر لاول مرة لشاعر الكويت الفقيد فهد العسكر .

* اشترك الدكتور سابا شبر ، وخالد الحسن ، وابراهيم الشطي ، في احياء ندوة عن قضية فلسطين ، اقيمت بمناسبة اسبوع فلسطين في الكويت .

* الاديبة هداية سلطان السالم ، تقوم باعادة طبع كتابها الاول « المقاصد والنوازع ، في سجايا العرب » الطبعة الاولى نفذت من اسواق الكويت خلال شهور .

* توفي في الكويت الشاعر المعروف محمود شوقي الايوبي الذي عاش متنقلا بين الكويت والعراق واندونيسيا حيث قضى فيها 20 سنة له مجموعة من الدواوين هي : الموازين ، رحيق الارواح ، هاتف من الصحراء ، والاشواق . وله شعر مخطوط يزيد على العشرة دواوين .

* اصدر المعهد الثقافي العربي في اسبانيا كتابه الرابع باللغة الاسبانية عن القصة العربية ويضم نماذج قصصية لبعض القاصين العرب امثال : محمود تيمور ، يحيى حقي ، محمود البدوي ، عيسى الناعوري ، عبد السلام العجيلي ، يوسف ادريس ، زكريا تامر ، ليلى بعلبكي ، عبد الله نيازي .. وغيرهم كما اشتمل الكتاب على تراجم موجزة لحياة اولئك الادباء .

* دشن الدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس وزراء الجمهورية العربية المتحدة بحضور وزير التربية الاسباني ، معهد الدراسات الاسلامية للجمهورية العربية المتحدة بمدريد . ونظم البناية التي جعلت مقرا للمعهد التي بنيت على الطراز العربي المعاصر على مكتبة وعدة قاعات للمطالعة ومسجد .

* اقام المجمع العلمي البرازيلي ، وهو اكبر هيئة ثقافية ادبية في البرازيل ، بالاتفاق مع مكتبة جامعة الدول العربية هناك ، حفلة رسمية خاصة لتكريم الثقافة العربية . وقد نوه الخطباء بالعلاقات التاريخية القائمة بين اللغتين البرتغالية والعربية منذ ايام وجود العرب في الاندلس ، وما تستطيع الاداب العربية ان ان تقدمه من غذاء روحي لمثقفي القرن العشرين .

الإسلام مثالية وواقعية

في الفكر الاسلامي المعاصر

للأستاذ الدكتور شكري فيصل

— 1 —

كانت وفاة الاستاذ امين الخولي في اذار (مارس) من هذا العام حادثا جللا في تاريخ الفكر الاسلامي المعاصر ذلك ان امين الخولي لم يكن انسانا له دعوة في الحياة الادبية ، هي هذه الدعوة التي تمثلها حركة (الامناء) وفكرتهم ولم يكن استاذا في كلية الاداب من جامعة القاهرة في الرعيل الاول من اساتذة الجامعة يوم كانت تقف وحدها في الوطن العربي كله تجذب اليها الدارسين وتخرجهم فيشترك في التعاون على تخريجهم امثال الاستاذ العميد الدكتور طه حسين — مد الله في عمره — وامثال الاساتذة المرحومين : احمد امين وعبد الحميد العبادي وابراهيم مصطفى وعبد الوهاب عزام ولم يكن امين الخولي مفكرا من هؤلاء المفكرين الذين ربوا اجيالا متعاقبة وتركوا فيها اقوى الاثر لم يكن كل ذلك فحسب . ولكنه كان فوق ذلك وقبل ذلك انسانا مسلما له في النظر الى الاسلام وجهة ، وعنده في تفسير القرآن الكريم مذهب . وفي معالجة القضايا الاسلامية رأي وفي مواجهة تحديات العصر الحاضر للاسلام موقف وكان له في الثقافة الاسلامية ما يتصل منها بالتفسير وما يتصل بالادب والنحو والبلاغة انظار وافكار جديدة كلها بالجمع والاستقصاء والدراسة حتى يكون امام الجيل الحاضر صورة من جهد الجيل الذي مضى واجتهاده ، وحتى لا تنقطع الصلة بين هذه الاجيال المتعاقبة فلا يبدا كل جيل عمله من النقطة الاولى مهملا تجارب الاجيال السابقة ومعاناتها ، والاستفادة مما تحقق لها من هذه التجارب والمعاناة .

— 2 —

ولست املك — وانا بعيد عن اوراقي ومكتبتي — ان اتحدث عن كل ذلك او بعض ذلك ولكني احب ان اقف هنا عند ناحية واحدة مما يتصل بدعوة الحق ، وتلك هي تفسيره للاسلام هذا التفسير المتزن السليم ، عن طريق تاكيد المثالية العريضة التي له الى جانب الواقعية الواضحة فيه

ولست لاشير هنا الى ابحاث بعينها ، ولا الى كتب بدوانها وذلك لان ابرز ما يميز امين الخولي انه لم يكن يعنى بالتاليف على النحو الذي يجعل منه مهنة يمتهنها وانما كان يعنى بشيئين اساسيين : اولهما المنهج . والاخر البحث ولذلك كان اعظم دعوته في اكثر مراحل حياته — باستثناء السنوات العشرين الاخيرة — تاكيدا على المنهج ودعوة له منهج التفسير مثلا . ومنهج في دراسة الادب . ومنهج في احياء التراث وله في ذلك دعوات صارخة ومواقف حادة عنيفة . ولكنها تمثل الذروة من الاخلاص للعلم ومن التجرد في سبيله . ومن اخذ النفس في مجالات البحث والتاليف باوفق الاسباب التي تربط بينها وبين المنطق، وبينها وبين الصواب ، حتى تاتي دراسات الدارسين بعيدة عن الانحراف ، وحتى تتجدد دراسات الدارسين للثقافةالاسلامية فلا يلازمها احد هذين الدائين العضالين: داء التبديد او داء التجميد .

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الثامن
السنة التاسعة
صفر 1386
جوان 1966
ثمن العدد
درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة ((**دعوة الحق**)) ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما ماكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :

مجلة ((**دعوة الحق**)) رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :

مجلة ((**دعوة الحق**)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

((**دعوة الحق**)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

من هو لاء ، اعني الذين ارادوا للاسلام في نفوس صحابه واتباعه ان يكون العنصر الفاعل في الافكار الاحداث ، لا العنصر المنفعل ــ كان الاستاذ المرحوم مين الخولي

ـ 6 ـ

عند الاستاذ الخولي ان في الاسلام هذين المحورين: الواقعية والمثالية فيه هذه الواقعية التي واجه بها العرب حين دعاهم اليهم ، وواجه بها العالم حين بسط عليه الظل وفيه هذه المثالية التي يلقي بها الانسانيه في تطورها والحياة في سيرها مع موكب الزمن نحو الافضل والاكمل

ان واقعية الاسلام تتمثل في وقوفه عند ابسط القضايا في الحياة العربيه ومعالجته لها ولكنها ليست الوقفه الضيقه ولا المعالجة القاصره . وانما هي معالجة ممدوده الافاق في القضايا المحدودة الافاق . تواجه الواقع ثم هي في الوقت ذاته تضع القاعده الاصيلة لمواجهه المواقف الاخرى المماثلة لها او المنبثقة عنها او التي هي من بعض مضاعفاتها

وان مثاليه الاسلام تتضح في انه مفتوح النوافذ على كل ما في واقع الحياة وما في نفوس الاحياء بسبب التمثيل ما يتجدد هنا وهناك اعني انه يتسع لكل سليم صحيح نظيف من ذلك بل انه يكون وراء هذا التجديد عند الذين يفهمونه فيحسنون الفهم ، ويأخذون به فيحسنون الاخذ وحين تستطيع التجربه الانسانيه ان تتجاوز دورها الطفولي ، وحين تتخلص من ان تكون نهوبا او حدسا محفوفا بالضباب لتكون في مستوى التجربة الصالحة الخيرة ، فانها ستجد في الاسلام ، بحكم مثاليته هذه ، ملاقيا بها بل انها لتجد توافقا معها، بل انها لتجد فيه دفعا لها وتجد منه دافعا عليها

ـ 7 ـ

ومن هنا انتهى الاستاذ الخولي الى ان الذي في الاسلام انما هو الاسلام ليس فيه مذهبية واحدة محددة من هذه المذهبيات التي شاعت او التي اخذت تشيع في حياة الناس وافكارهم وليس فيه هذا الخط المتحجر الذي يوهمك ان لا خط سواه ، والفكرة التي تزيف لك ان ليس وراءها فكرة وانما الذي في الاسلام انما هو الاسلام نفسه اعني هذه المثالية السليمة الصحيحة فيه الى جانب الواقعية ، الواقعية الصارخة وبين مثالية وواقعية هذا التطابق دائما بين ما في الانسان من وجود وما فيه من تطلع بين ما فيه ايضا من واقع وما فيه من مثل ، بين ما يشده الى الارض وما يرتفع به الى السماء

وانا لا ازال اذكر في ذلك ما كان بينه وبين نفر من طلابه كان يتحدث اليهم . انه ليفصلني عن هذا الحديث نحو من عشرين سنة او تزيد ولكن الموقف يرتسم امامي اللحظه وكانه ابن الامس غرفة من غرف كليه الاداب وخليط من الطلاب والدارسين والمستمعين ، والاستاذ القوي الروح ، النافذ النظرة ، الجهير الصوت ، المتدفق ، صاحب الجبة والقفطان والعمامه بكل ما يكسوه من اناقة انيقة ونظافة نظيفة يتحدث اليهم بملء قلبه وبملء فمه ويهدر في حديثه هدير الموج من غير توقف ليقول لهم عن هذه القدرة البارعه التي للاسلام في جمعه بين الواقعية والمثالية ، وتصرفه في المواءمه بينهما . في اسلوب تمثيلي واضح : ان الاسلام لم يضع ابدا ، وفي القضايا الاجتماعية بخاصه ، الحائط الرابع انه بنى او خطط الحيطان الثلاثة . ولكنه ترك للحياة والناس والمجتمعات ان تقيم الحائط الرابع على النحو الذي تراه ان الحائط الرابع هو التعبير عن الجزء الذي ترتسم عليه عناصر الجده وتنعكس فيه انه مرتكز ومنطلق ومنعكس كذلك لكل ما يكون في الحياة والمجتمع من احداث وافكـــــار

ـ 8 ـ

ان هذه النظرة الى الاسلام قد لا تكون جديدة الجده كلها ولكنها في منطق العصر الذي نعيش فيه، وفي اعقاب التطورات التي اصابت العالم والعالم الاسلامي ، وفي الصورة التي اتخذتها ــ فكرة جديدة . ابرز عناصر جدتها ان صاحبها لم يسقها هذا المساق العاطفي ، وانما وضع ركيزتها في منهج للتفسير ، ووددت لو تحدثت عنه ، ولكن ذلك يقتضيني مجالا اخر .. وحسبي ان ادل القاريء على المنهج وعلى التطبيق . اما المنهج ففي كتاب (مناهج تجديد) واما التطبيق ففي كتاب : (من هدي القرآن في اموالهم)

وارجو ان اجد الفرصة مرة اخرى فاتحدث هذا الحديث الذي اخرت .

الدكتور شكري فيصل

ومن هنا كان يتميز الاستاذ الخولي انه لم يكن مؤلفا – اريد انه لم يكن يمتهن التاليف ولكنه كان باحثا اقتصر – في المراحل الاولى – على ابحاث ولم يجاوزها الى كتب . وعلى مناهج رسم طريق تطبيقها ، ولكنه لم يقم هو بهذا التطبيق وانما ترك للذين يعملون معه في حقل الدراسات العليا ان يجهدوا – ان شاءوا – وفقا لها ونفخ فيهم في ذلك من روحه. فكانت هذه الثروة من رسائل الماجستير والدكتوراه التي هي اليوم بعض عدة الباحثين في نطاق دراساتنا الادبية وثقافتنا الاسلامية

ولهذا فانا لا احب ان اسير في هذا المقال الى كتاب بعينه للاستاذ الخولي او بحث بذاته وانما اريد ان اتحدث عن هذا الجانب الذي اشرق من فكرته الاسلامية بما في ذاكرتي عنه من خلال تلمذتي عليه وصلتي به ، اجزل الله له الثواب . وضاعف الرحمات

— 3 —

وقد كان من ابرز ذلك عند استاذنا المرحوم اصراره على ان يرتفع بالاسلام عن الزج به في نطاق الدعوات القائمة والباسه لبوس الافكار السائدة ومحاولة تكييفه تكييفا متصلا بما يدع ويسبع بين يوم ويوم من اراء ومذاهب ، تجعل اصحابه والمؤمنين به يعيشون في شيء من فوضى الفكر وقلق التفكير حين يرون انهم في الاسلام كل يوم امام لبوس له . او تفسير فيه . او تكييف له على نحو من الانحاء وفي صورة من الصور

ومن الواضح ان الاسلام في هذا العصر الحديث عانى شيئا من ذلك او كثيرا من ذلك واتجه به عديد من المفكرين ومن المفسرين هذه الوجهة او تلك وكان بعض ذلك عن قصد كريم ونية طيبة وبراءة بريئة لا شك فيها . كهذه المحاولات التي نجدها عند المرحوم طنطاوي جوهري في تفسيره او عند امثاله من الباحثين

وكان بعض ذلك مبيتا له او مدفوعا اليه ، كهذه المحاولات التي نجدها في بعض الكتب والاراء التي ارادت ان تجتذب الاسلام او المسلمين الى هذه الوجهة او تلك في ظروف الحربين العالميتين . والحرب العالمية الثانية بخاصة . وان تفيض على الاسلام هذا اللون او ذاك ودع عنك الكثير مما وراء ذلك في نطاق الدراسات والاراء الموزعة الاخرى في العلم حينا وفي الفلسفة او القانون او الاجتماع حينا اخر

— 4 —

امام هذا الذي يوشك ان يكون بحرانا او كالبحران – على ما كان من اثره في اثارة الفكر الاسلامي وتحريكه – كان لا بد من ردود فعل مختلفات يستطيع الباحث ان يتوقف عند اثنين رئيسيين منها :

اما احدهما فهذا الذي حاول اصحابه ان يبتعدوا بالاسلام عن كل ذلك ، وان يفصلوا بينه وبين كل ذلك. وان يدفعوا به الى هذا الزاوية او تلك ، يشهد ولا يشارك . ويرى ولا يتحرك ، ويسمع ولا يقول، وتمر من امامه احداث الحياة الضخمة وتطورات الفكر الكبرى فلا يكون له من ذلك شيء الا ان يعاصرها معاصرة قائمة على الحياد . ولكنه حياد سلبي السمات بكل ما في السلبية من معنى

ان هؤلاء ارادوا من حيث يشعرون او لا يشعرون ان ينتهوا ، او انتهوا بالاسلام الى شيء من التحنيط اضفوا عليه اطيب النعوت . ولكنهم كفنوه وكانما قنعوا ان يكون تراثا او كالتراث . خيارهم يعتز به ولكنه لا يحيا به . وشرارهم يرى منه ما يرى في حدث من احداث التاريخ مضى ولكنه لا يستمر ، ولذلك كان اصحاب هؤلاء الاتجاه حريصين على المباعدة بين الاسلام وبين كل تفتحات الذهن البشري . وتطلعات الحياة الانسانية ، وتقدم الحياة بالناس في مواكب الحضارة ومعارج الرقي

وما احب ان اسمي بعض اصحاب هذا الاتجاه او اشير اليهم فالذين يتتبعون الفكر الاسلامي المعاصر يعرفونهم من مقالاتهم وبحوثهم والكثرة الغالبة منهم لا تصرح بذلك ولا تفصح عنه ولكنها تتصرف وفاقا له ، وتكتب ما تكتب وتؤلف ما تؤلف . وتدعو الى ما تدعو انسياقا وتقيدا به

— 5 —

واما رد الفعل الاخر فهو الذي اراد ان يضع الاسلام موضعه الحق لم يصرفه في هذه الوجهة او تلك ، ولم يترك لهذه الوجهات الاخرى ان تتصرف به

لم يجعل منه كما يكون رقاص الساعة ، ينوس هنا وينوس هناك ، حتى ليحار معه النظر وانما جعل من البوصلة الهادية ، هي التي تعين الوجهة ، وهي التي تدل على الطريق ، وهي التي تربط بيننا وبين النجمة الهادية ان الاتجاهات الاخرى كلها انما تتعين بها وتتساق معها ، وبها كذلك تتحدد

جغرافية في نوميديا ولكنها ظلت في اطار جغرافي ينقصها لحمة المبدا والتعاليم ولذلك كانت تنحل بسرعة امام المغيرين الاقوياء، غير ان وضع المغرب تغير عند ما وصل عقبة بن نافع الى افريقيا سنة 42 هـ ثم عاد اليها ثانية سنة 50 فاسس القيروان، وانطلق الى الداخل يحمل الاسلام الى اقصى المغرب في جنود من العرب وهم من ارومة واحدة مع البربر الذين وجدهم بالبلاد (حسب رأي اغلب علماء النسب) وحتى اذا لم نعتبر رأي الاغلبيه فان العرب الذين جاءوا للمغرب امتزجوا بالبربر بالتوالد والمصاهرة والوحدة الدينية واللغوية، فاصبحت لغة القران هي اللغة المعبرة عن الفكر كما لاحظ ذلك كثير من المؤرخين . ومن جملهم (جوتي) في كتابه عصور المغرب العامضة، وبذلك امتزج العنصر البربري بالعنصر العربي امتزاجا يستحيل معه الانفصال

ولا شك ان الحضارة البونيقية كانت ممهدة لهذا التمازج العرقي بين البربر والعرب. وزادت في تركيز الوحدة المغربية ثورات الخوارج التي اعطت في معناها استجابة لدعوة الاسلام في صورته الديمقراطية الحق فركزت احزابها المتعددة الاسلام في انحاء المغرب النائية

لقد استجابت البلاد المغربية لتعاليم الاسلام استجابة نموذجية كاملة فانصهر الفرد المغربي في المبدأ الاسلامي كما انصهرت الجماعة في تعاليمه الحقة واخذت نفسها بالشدة لتطمئن نفسها اطمئنانا كبيرا على الاستجابة الباطنية والظاهرية لتعاليم الاسلام في مختلف الميادين . فعلى الصعيد العسكري، حملوا الدعوة شمالا الى الغرب المسيحي حتى اوقفتهم جيوش شارل مارتيل . وجنوبا الى بلاد السودان ومالي وباقي بلاد افريقيا السوداء الجنوبية

وعلى الصعيد السياسي، استجابوا لدعوة الوحدة وبلوروها في عصور الازدهار في اطار جغرافي يشمل المغرب العربي والاندلس المسلمة اما في ميدان الفكر فقد التزموا في ذلك كله لخدمة الاسلام وتوضيح اهدافه وشرح تعاليمه فلسفيا وفقهيا وادبيا واخذوا تعاليمه عن ائمة المذاهب الاسلامية المعروفة بحرفيتها وتمسكها بالنص . كالمذهب المالكي (في الفقه) وقراءة « ورش » في التجويد و (الاشعرية) في العقائد، ولعل من العسير ان نلمع الى رجال الفكر الاسلامي في الغرب الذين جندوا انفسهم لخدمة العقيدة السمحة وشرح مبادئها نظرا لوفرتهم، وانما نذكر بعض اسماء لامعة كنصب يهتدى بها فنذكر منهم يحيى الليثي، والباجي . وابن الطفيل . وابن باجة . وابن العربي، والقاضي عياض . وابن القطان . وابن عربي . وابن الخطيب . وابن خلدون . والامام زروق . والشادلي، والمقري . وجنون . وابا شعيب الدكالي، وغيرهم كثير وكما ظلوا المعلمين الاولين محركي الفكر الاسلامي وسدنته . فقد ظلوا كذلك في ميدان السياسة سدنة وحدة الامة الاسلامية فلم ينفصلوا عن الخلافة منذ عهد المرابطين . ودافعوا عن الاندلس والشام يوم تسلط عليها المسيحيون في حروبهم الصليبية في عهد ابن تاشفين والمنصور الموحدي، وطهروا الشواطىء المغربية في عهد المولى اسماعيل . وحتى الى قرون متاخرة لم يعرفوا بجانب جيرانهم حدودا، وانما خلق المستعمرون بعد استيلائهم على الجزائر حدودا مصطنعة وكان من مكر الاستعمار ان تكون هناك حروب مستمرة بين المغرب والجزائر رغبة من المستعمرين في تزويد القناصل بالمال لشراء الاسلحة التي تخلق حربا بين عدد من القبائل المجاورة للحدود الجزائرية المغربية لتستمر لعبة السياسة المالية، وفقدان الامن . وقد اكدت السياسة البريطانية ان اثارة القبائل على الحدود الجزائرية اصبح امرا عاديا، واستمر العمل به جزءا من سياسةالسلطة الفرنسيةفي الجزائر مما اضطر السلطان المولى عبد العزيز ان يوجه رسالة شخصية الى الملكة (فيكتوريا) لتتدخل باقناع الحكومة الفرنسية بوجوب تعيين الحد النهائي بين المغرب والجزائر بحيث تتعهد ان لا تتعهداه . وكان (دلكاسية) هو العامل الاكبر في هدا الميدان رغم معارضة (جان جوريس) الذي كان يرى ان قضيه الحدود بين المغرب والجزائر صنعتها سياسة معرضة . وفعلا هدأت الازمة عند ما استولت فرنسا على المغربيين والتزامات المغرب الاسلامية جعلته اخر معقل لحماية الاسلام حيث بقي يعين المماليك الاسلامية منذ عهد صلاح الدين الايوبي الى عهد انهيار غرناطة وكانت معركة وادي المخازن اخر انتصار عسكري حققه ضد الحروب الصليبية، وظل مع ذلك

عبقرية الاسلام في المغرب

للأستاذ : الحسن السائح

لقد عمل الاسلام على تطوير الفكر الانساني باخراجه من مرحلة التعلق بالقبلية والعنصرية والارض . الى مرحلة التعلق بالفكرة والمبدأ . وهكذا اصبح الاطار الجغرافي ثانويا بالنسبة للشعوب المنضوية تحت لوائه . اذ اصبح عليها ان تواجه الحياة على اساس الاخوة والتعاون الانساني لتحقيق خير الفرد والجماعة بدل التعلق بالعصبيات المناصرة للظالم او المظلوم على السواء . او التعلق بالارض ومعاداة الانسان لاخيه على اشبار منها . وليس معنى هذا ان الاسلام تخلى عن الوطنية او السلالية . وانما عمل بمبدئه في (الاعتدال) فأقر الوطنية في التعلق باطارها الجغرافي غير المقتطع الذي يولد فوارق خاصة . مع اعتبار الجوار والصلات الاممية بالارض . واقر السلالية في التعلق بالارحام والعشيرة ونبذ العصبية الجاهلية الممثلة في الجهاز القبلي المبني على فوارق الجنس ، ونصرة الاخ ظالما او مظلوما . وجعل القاسم المشترك بين الافراد والجماعات في مجموعة من تعاليمه الانسانية السامية

وقد كان استعداد الفكر السامي قويا لهذه التعاليم بما ظهر فيه من الانبياء ذوي الدعوات الانسانية الخالصة . حتى اذا جاء الاسلام اقر نهاية المطاف في نكران اللونية والاقليمية والعنصرية واعطاء قيمة الانسان في قوة تقواه . وقيمة الامة في تلاحم افرادها على اساس وحدة المباديء والتعاليم والمصالح والعواطف

ولقد واجه الاسلام يوم ميلاده عالما منحرفا ، فتصدى لمقاومة المجوسية والوثنية في الشرق ولمقاومة المسيحية المنحرفة . والطغيان الاقطاعي في الغرب ، وبذلك واجه قوتين مسلحتين ماديا وادبيا . ماديا بالعتاد، وادبيا بفلسفات قديمة . فقد كانت هناك سيطرة المرازبة في الشرق وسيطرة الرهبان في الغرب يقودان الامم الغافلة لمصالح المنتهزين

وكان رد هؤلاء في اول الامر قويا ثم لم يلبث ان ضعف حجته، وقل انصاره . فاستسلم ، ولكنه عاود الكرة من جديد . لا في مواجهة الاسلام . ولكن في تعميم الفكر الاسلامي وتحريف الكلم عن مواضعه ولكن الاسلام بفضل تعاليمه اثر في الفكر المسيحي فظهر (لوثر) (وكالفين) (وديكارت) لانقاذ الغرب من التثليث والعصمة البابوية . وفي غمرة التبادل الفكري تسربت اراء معرضة الى الفكر الاسلامي ففتت وحدة العالم الاسلامي واوهنت قواه . ولولا الاعتصام بالقران الكريم الذي كان المناعة الاولى والاخيرة لحفظ الاسلام (وتلك معجزة عظمى) ، لشوهت كثير من حقائق الاسلام ومبادئه

وكان من السهل ان يستجيب كل انسان لتعاليم الاسلام لنزعتها الانسانية وتفتحها ، لذلك سارعت الامة المغربية الى اعتناق الدين الاسلامي والتاثر المطلق بتعاليمه والفناء الكلي في دعوته ، حيث وجدت فيه مخلصها من حيرتها . وتفرق وحدتها ، فقد عاش المغرب قرونا باحثا عن وحدته التي لم يجد محتواها واصولها حتى جاء الاسلام . فقد حاول من قبل (سيفاكس) (وماسينيسا) (وجوكورطا) ان يقروا للمغرب وحدة

موضوعيا ككتاب تاريخي لا كوحي من عند الله لتوجيه المسلمين والناس كافة . ومن الغريب ان معظم الذين نولوا ذلك من دعاة التجديد وقادة الفكر في العالم الاسلامي

وبجانب هذا التوجيه المنحرف بالنسبة للثقافة الاسلامية ظهر فكر حر يغترف من ينابيع الحادية الغرب فنكر المذاهب الروحية والديانات السماوية سواء الممثلة في الجماعه الاسلامية او الاتجاهات الكتليكية اسوة بالمادية الغربية التي لاتقر الا العلم التجريبي اما المذاهب الروحية فهي خيالات ورواسب العهود البدائية، واذا كان في الغرب . اتجاه انساني لا يعادي الدين وقد ظهر له انصار كذلك في العالم الاسلامي اسوة بالغرب ينادون بخلق الضمير الفردي والاعتماد عليه في السمو بالفرد من غير ان يكون هنالك اثر للدين في توعية الجماعة ، ولذلك وجهوا التربية الدينية توجيها يهدف الى خلق ضمير الفرد لا ضمير الجماعة وعطلوا الدعوة الالزامية في العمل الجماعي مخالفي مبدأ الاسلام الذي يوجه طاقته للسمو بالفرد وتقوية الوعي الجماعي . لان التربية طاقة خلاقة في الفرد . والقانون دعامة لحفظ مكاسبها في الجماعة

وتجاوزت فكرة الضمير الفردي، تعطيل الوعي الجماعي الى نكران مبدا (الجهاد) بمفهومه الواسع الذي يعني حماية (الاسلام) والمسلمين . وصد العدوان

ولم ينجل الليل الطويل الا بعد تفويت كثير من مقومات الحضارة الاسلامية التي وقفت عن مجاراة حركة الزمان . بينما الحضارة الغربية تسارع للسبق في مضمار تقدمها ومحاربة العقائد الدينية

واخيرا استيقظ الفكر الاسلامي حيث وجد نفسه امام تيار مادي غربي جارف وتحد عنيف لمقاومته ، وعوائق في عالمه تتكالب عليه من كل جانب لتعطل نهضته . فاضل في حيرة باحثا عن الطريق ، تعوزه الامكانيات ووحدة التفكير ووصوح المصير ، ولاقى سني المؤامرات في عقر داره ، تمنعه ان ينهض او يكسر القيد . وعاني من ضروب المحن والتسلط ما يبلي الحضارات ويفوتها فشك كثير من المسلمين في امكانيتهم ، وتارجح بعضهم بين احياء التراث او بداية انطلاق من جديد على اسس حضارة غربية ، وعانت اللغة تجربة وجودها وصلاحيتها ، كما عانت الحروف نفس المشكلة متارجحة بين الاستبدال بحروف اخرى او تصديرها او تغييرها

واذا اردنا ان ندرس النهضة الثقافية الاسلامية المعاصرة في المغرب فلن نستطيع مطلقا ان نغفل اثر الاحداث السياسية في هذه النهضة ، واثر النهضة في هذه الاحداث . ولهذا سأكون مضطرا ان اشير الى الاحداث البارزة التي اثرت في التفكير الديني وتفاعلت معه ، وذلك لان النكبات الاستعمارية التي تلاحقت بالشرق الاسلامي وسارعت بانحطاطه جعلت المغاربة يحتاطون كثيرا في اتصالهم بالغرب . فاصبحوا في عزلة تامة عن التطورات الفكرية في الغرب . حتى اذا دق ناقوس الخطر وجدنا انفسنا في تاخر داهم . واحتجنا الى مضاعفة الجهد لخلق نهضة اسلامية ذات شخصية قوية تعتمد في ابراز جانبها الروحي واللغوي على تراث الاسلام العربي . وفي اظهار جانبها التمدني العلمي على التطور العلمي في الغرب

ولعلنا لا نخطيء الصواب اذا جعلنا سنة 1830 اي السنة التي سقطت فيها الجزائر على يد الاستعمار الفرنسي بداية التفكير الجدي في نقد ذاتي لعزلتنا التي جرتنا الى ما حاولنا الابتعاد عنه ، فظهرت حركة اصلاحية واسعة النطاق . على اساس سلفي في مختلف الميادين (دينيا) بتنظيم حركة سلفية على غرار ما في الشرق تحارب الطرقية التي يستغلها المستعمرون لصالحهم (وتعليميا) بايفاد بعوث الى الغرب لدراسة العلوم التقنية (وسياسيا) بالقضاء على نظام الحماية الفردية والفوضى الادارية . والفتن الداخلية . وقد انعكست هذه النهضة على الثقافة الذاتية انعكاسا قويا فسحرت الاقلام للاعراب عن هذه المحاولات لانقاذ المغرب من حالته المزرية

ففي خصوص التنظيم السياسي . عمل السلطان المولى الحسن الاول والسلطان المولى عبد الحفيظ على ادخال اصلاحات مهمة في الادارة المغربية، وتحديد اختصاصات المسؤولين. واحداث وزارة منظمة للخارجية والمالية، والحد من الامتيازات الاجنبية ، واصلاح نظام الجمرك،

عونا لكل صرخة اسلامية فهب يدافع عن احتلال الجزائر متكبدا خسائر في معركة اسلى

وظل المغرب في ميدان الفكر يؤثر على تطوير وتحرير العقل الغربي بانتاج علمائه حيث اهتمت جامعات اوربا بدراسة تعاليم ابن رشد وابن الطفيل وآراء الادريسي والوزاني الفاسي وغيرهم فاستفاد الفكر العربي من اراء الاسلام التحريرية التي على اساسها تطور علميا واجتماعيا وانتصب يواجه العالم الاسلامي في تحد ظالم ، حيث الفاه مع كامل الاسف ينخره افكار سلبية وصوفية اسلامية مكنت للعرب من التفوق عليه في ميدان العلم ، حتى اذا اذنت القرون الوسطى بالانتهاء كان المغرب يواجه خصما عنيدا لا طاقة له به ، ومع ذلك فقد ناضل في عناد عسكري قوي وسياسي وظل محتفظا بمكانته وذاتيته ، كما ظل محجنا لافريقيا كلها فيها سر السلط والنهم العربي الذي كفر بالمذاهب الروحية وامن بالمدنية ايمانا مطلقا

ولم يكن المغرب المسلم يشعر باي خطر ، وهو يقاوم خصوم عقيدته التقليديين ، ولكنه احس بالخطر عند ما وضع الغرب سلاح الحديد والنار ، واخذ يصدر اليه بضائع الفكر المادي الملحد المنفسخ ، ذلك ان الغرب كان من جهته مفتتنا بالعلم (التجريبي) افتتانا غريبا تولد عن ضغط الكنيسة واستغلالها للامة المسيحية، فكان الفكر الاوربي يرى في الكنيسة عدوا استغله قرونا طوالا فشنها حربا على الدين ، ليحطم قوتها ويقلم اظفارها ، لذلك كان في هجومه على الديانات متعصبا حادا عنيفا ينقد المذاهب الروحية التي تبنتها الكنيسة واعطت لنفسها وحدها مسؤولية الرحمة الالهية ومفاتيح ابواب الجنان ، فسلط الفكر الغربي الحر نقده العنيف على الدين الاسلامي باعتباره دينا من الاديان كما يتصور الفكر الغربي مفهوم الدين عموما كعائق عن التطور ، ومن الغريب ان يكون الفكر الغربي الحر في حملته العشواء على الثقافة الاسلامية يؤازر الكنيسة في حملتها التبشيرية ضد الاسلام ويوافقها على نشر المسيحية في افريقيا فيفسح لها المجال ماديا وادبيا باعتبارها الرائد الاول للاستعمار او منقذة افريقيا من الاسلام الذي يحول دون تسربــــــه

ولا شك ان حضارة الغرب الحديث تعتمد على اسس مادية ، اما من نوع الاتجاه الميكانيكي الدهري الذي ينكر الروحية اصلا ، او من نوع الاتجاه المادي الديالكتي الذي يرى الروح والعقل تابعين للمادة ، فاذا فنيت المادة فنيا معا . وكلا النوعين يحاربان الدين ونظرياته من اساسها ، بل يعاديانها عداوة لا سبيل معها للمفاهمة والتصالح ، ولذلك فقد حملت البنا (المدرسة الغربية) مسلمات الفكر الغربي في حربه ضد (المسيحية) على انها ضد كل دين ولو كان مباينا للمسيحية كالاسلام، واثر كثير من رجال الفكر الغربي من المبشرين وبعض المستشرقين في نقدهم للثقافة الاسلامية ومقارنتها بالمسيحية على كثير من النظريات الجوهرية في الفكر الاسلامي ، فنادى بعض المفكرين المسلمين بفصل الدين عن الدولة ، وسخر كثير من البسطاء اقلامهم للدفاع عن هذه الفكرة ، واستغلوا وضع الاسلام المنهوك القوى ، ونزاع العثمانيين العنصري مع العرب وتوحوا جهاد القرون الوسطى في محاربة الاسلام بازالة الخلافة باعتبارها مظهرا من الاستعمار التركي للعرب حيث انحرف العثمانيون انفسهم عن مبدأ الخلافة وعن جوهرها ومحورها كما حملوا الى افريقيا واسيا فكرة الوطنية الضيقة ، فقسموا الامم والشعوب وفق وطنية المستعمرين لا وفق الاسس الجغرافية والتاريخية واللغوية والمصالح المادية ، فلم يعرف العالم الاسلامي الوطنية الا عن طريق الاستعمار الذي فهم وحدة الامة بناء على مصالحه هو ، لا على مصالحها

ونظموا في كل بلاد اسلامية خضعت لسيطرتهم معاهد عليا للدراسات الاسلامية واللغوية ، كان همها ان تفهم الامة وفق تخطيط الاتجاه الاستعماري لا وفق اتجاه مصالحها ، فمن المالوف في كل الجامعات ان تخصص معاهد عليا للبحث عن حضارة الامة وتخطيط التقدم العلمي بمستقبلها ، وعلى هذا الاساس فالعلم يوجه لخدمة الامة نفسها لا لخدمة مستعمريها ، ولكن الغرب عكس ذلك لصالحه على حساب الحضارة الاسلامية

وكان من نتائج ذلك ان امتحنت الثقافة الاسلامية والعربية على يد خصومها الذين كتبوا تاريخها باقلام مغرضة وتوجيه خاص ، وبذلك وصفوا فلسفتها بالعقم ، وادبها بالجمود ، وفقهها بالتخلف ، ودرسوا القران

لتتبعن سنن من قبلكم

للأستاذ أحمد الشيباني

مضى من السنين ما بين سيدنا عيسى عليه السلام والبعثة المحمدية على صاحبها افضل الصلوات وازكى التسليم 622 ، طرا فى اثنائها على اتباعه ما كدر صفو تعاليم المسيح وفكك عرى الاوضاع الدينية كما شرح ذلك فى دواوين تاريخ القوم مثل كتاب « تاريخ الديانات العام » لصاحبه بيار رهم L'Histoire générale de Religions par Pierre Rehm وكتاب ماوراء الموت Après la mort par Léon Denis كما تواتر عقده من المؤتمرات الدينية على يد الاحبار والرهبان مثل مؤتمر نيقية 325 ، ومؤتمر القسطنطينية سنة 381 بلغ عددها 14 تلاعبت فيها الاراء والتأويلات قصد التوفيق بين التعاليم الدينية والتقاليد الموروثة الخطر الذي حذر منه سبحانه المسلمين حيث يقول : « الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ، وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد ، فقست قلوبهم » .

اذا حل بالقوم ما حل بعد مضي 622 سنة افلا حق لعلمائنا واولي الامر منا ـ وصلاح الامة بصلاح علمائها وامرائها كما جاء فى الحديث ـ ان يستخرجوا العبرة مما حل باهل الكتاب من قبلنا مع الاعتراف بانصاف بان اهل الكتاب ربما كان لهم بعض العذر لان كتابهم الانجيل لم يكن من شانه ان يحفظ فى الصدور لذلك وصلت الحال بالقوم الى الحد الذي اصبحنا نقرا عنه فى كتاب تاريخ الديانات العام المتقدم ذكره ما لفظه : « ما نسميه اليوم انجيل ليس هو صدى كلام المسيح وانما هو مجموعة من الاخبار والاسانيد تولى جمعها بعض المولعين بتدوين القصص والاخبار نقلا عمن كانت لهم صلة ولو بعيدة باتباع المسيح وذلك فى اواخر القرن الاول الميلادي » وعلى الخلاف من ذلك القرآن المجيد الذي هو دستور الاسلام فان ميزته الحفظ فى الصدور كما نراه الى الان فى كافة الاقطار الاسلامية لا يخلو فيها بلد من طلبة يحفظون القرآن عن ظهر قلب .

بعد هذه المقابلة الوجيزة بين حالة اهل الكتاب والحالة التي تموج بها امتنا وانها لحالة تقرب من الحالة التي صاح فيها المسيح صيحته : « من انصاري الى الله » فى حين لا يكاد يوجد بيت من بيوتنا بدون مصحف ، والمصحف بمنزلة رسول حي ، نجد مصداق هذا فى قوله جل ذكره فى سورة الانعام : « واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ» معناه ان من بلغه القرآن فقد بلغته الدعوة وبلغه الانذار . قال محمد ابن كعب القرطبي من بلغه القرآن فكانما راى محمدا عليه السلام وسمع منه » . وهذا اوان الكلام على المقصود من هذا المقال :

درست من العلوم الاسلامية ما يدرسه غيري من خريجي المدارس العليا فمكن مني بعد انتهاء مدة الدراسة حب التخصص فى علوم القرآن الامر الذي ادى طبعا الى مداومة المطالعة فى التفاسير ومما هو من حسابها : ابن جرير الطبري ـ وروح المعاني ـ والرازي ـ وروح البيان والرازي والكشاف ـ والشيخ عبده فما هالني الا ان عثرت فى هذا الطريق على كتاب يعزى الى ابي جعفر (1) النحاس سماه « كتاب الناسخ

(1) فى الاعلام .. للزركلي ج 1 ص 199 : احمد بن اسماعيل المرادي المصري ابو جعفر النحاس مفسر اديب ... كان من نظراء نفطويه وابن الانباري ... وصنف تفسير القرآن ... وناسخ القرآن ومنسوخه الخ ... وذكر ان وفاته عام 338 هـ ـ 950 م . ثم ذكر فى التعليق مراجع الترجمة .

وظهر وزراء محنكون كالوزير موسى بن احماد ، ومحمد الجباص ، واهتمت وزارة الحربية بتنظيم الجيش وامداده بالمعدات الحربية وتدريب ضباطه بالمانيا وايطاليا وانكلترا وفرنسا ، وانشاء معمل للسلاح ، وتكوين اسطول مغربي ، وبرزت في الطبقات الواعية دعوة الى الاصلاح السياسي كالمطالبة بوضع دستور مغربي ينظم الحريات العامة ، ومجلس النواب والانتخابات وكانت بيعة السلطان المولى عبد الحفيظ سنة 1908 م 1325 هـ على اساس انقاذ المغرب من الفوضى وتنظيمه على غرار ما كان يجري في البلاد العثمانية .

وفي خصوص الاصلاح الديني برز محدثون يدعون للحركة السلفية على غرار دعوة محمد عبده وجمال الدين الافغاني والكواكبي ومحمد عبده وكان على رأس هذه الحركة علماء كبار كالفقيه محمد كنون (1302) في دروسه الدينية بجامعة القرويين ، والمؤرخ الناصري في كتاباته التاريخية ضد بدع الزوايا

وحاولت هذه الحركة جهدها ان تحارب الفرق المبتدعة التي وزعت الامة المغربية الى طوائف ذات اتباع يتنافسون في استغلال بسطاء الفكر من الناس

وفي خصوص اصلاح التعليم نظمت بعثات الى خارج المغرب في عهد السلطان المولى الحسن الاول وقد تخرج في المعاهد المغربية كثير من الطلاب كالاوديي وشهبون الجغرافيان والعلمي الطبيب ، ولكن معظم طلاب هذه المعاهد المغربية لم تساعدهم الظروف على نشر معارفهم وافادة امتهم ، كما كان منتظرا ، ونفقت حركة طبع الكتب بفضل المطبعة الحجرية التي ادخلها الطيب الروداني الى المغرب . فكان حافزا على نشر بعض الكتب القديمة ، وتأليف عدة كتب دراسية في مختلف العلوم وبالاخص في الموضوعات الاسلامية ، ثم ظهرت بعدها مطبعة الحروف المركبة فعززت المطبعة الحجرية ، وتولت مطابع مصرية تحت رعاية السلطان المولى عبد الحفيظ طبع عدة كتب مغربية، فتضخم الانتاج المغربي المطبوع بفضل نشاط المطبعة الحجرية التي بدأت عملها منذ عهد السلطان محمد الرابع ، وظهرت صحف توجيهية واخبارية متأثرة بدعوة (العروة الوثقى) الاصلاحية .

وكان اعلان الحماية الفرنسية في جنوب المغرب والحماية الاسبانية في شماله سنة 1912 بداية الاحتكاك المرير بين الشخصية المغربية المقاومة ، والقوات الاستعمارية التي سحقت المقاومة السياسية العسكرية النظامية بعقد الحماية في اخر عهد السلطان المولى عبد الحفيظ، وسحقت الانتفاضة الثورية العسكرية القومية العاملة في جبال الريف تحت قيادة عبد الكريم الخطابي وعدة انتفاضات اخرى في جنوب المغرب واطلسه وكشفت خطة الاستعمار عن سياسة التجزئة القانونية واللغوية بين العرب والبربر بعد الاعلان عن الظهير البربري (سنة 1930) .

وعند ذلك استجمعت الشخصية المغربية قونها لتناضل ضد التفتت والانهيار ، وكان بعث الفكر الاسلامي السلفي هو طريق الخلاص ، فقد برزت عوامل شتى للنهوض بالامة المغربية واحياء تراثها وبعث شخصيتها، وتنظيم صفوفها ، وظهر ذلك جليا في التنظيمات السياسية والتجديدات التربوية والاصلاحات الدينية والنهضة الادبية

ففي التنظيم السياسي اقامت الحماية حكومة فرنسية مصغرة بجانب حكومة المخزن وذلك لتركيز النظام الاستعماري الهادف الى محو الشخصية المغربية ، وظل (نظام المخزن) يقاوم الاستعمار تحت قيادة الملك محمد الخامس الذي يعتبر اعظم شخصية وطنية مغربية، ونشأت في المغرب حركات سياسية شعبية متعلقة بالعرش منظمة تنظيما دقيقا عارضت الحماية بالقوة ونفخت في المغاربة روح العزة والكرامة ، وتبعا لذلك فقد اهتم المغاربة بالتعليم والتربية التي خضعت لثلاثة انواع (الاول) الفرنسي الذي اقام التعليم على التقنية والارتباط بحضارة الغرب ، والنوع الحر المغربي الاسلامي ، الذي قاوم الفرنسية وتفتت الشخصية المغربية والنوع الديني الذي تركز في جامعة القرويين والمعاهد الاصلية

وفي حركة الاصلاح الديني ظهرت دعوة العالم السلفي الشيخ ابي شعيب الدكالي الذي نشر في المغرب دعوة الحركة السلفية على غرار الشيخ محمد عبده ورشيد رضا وكان عمله استمرارا لدعوة الشيخ السنوسي في عصر المولى سليمان .

الرباط : الحسن السائح

تعالى : « فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله » وتفسير الواضحات من الفاضحات .

5» «وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » . فمن قال انها ناسخة احتج بان الانسان فى اول الاسلام كان اذا اعسر من دين عليه بيع حتى يستوفي المدين دينه منه فنسخ الله ذلك بقوله: وان كان ذو عسرة، فنظرة ..الخ. يقال للمؤلف اين الاية التي احلت بيع المدين المعسر حتى يقال نسختها آية الانظار والامهال ، اللهم ان هذا عين الضلال والجراة على كتاب الله .

6» « يا ايها الذين آمنوا اذ تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه » يقول هذا المؤلف قيل نسخها قوله تعالى: «فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن امانته» ـ ما اقصر نظر هذا المؤلف أي شيء منعه من الوصول الى قوله تعالى « الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها ، واشهدوا اذا تبايعتم » فلو كان قرا آية الدين بتمامها واستوعب سوابقها ولواحقها لامن العثار والاحجار التي ادمت قدميه .

7» «قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا» يقول المؤلف فض فوه : زعم بعض الناس ان هذا منسوخ نسخ على لسان رسول الله «ص» : « لا اصمت يوما الى الليل فكان نسخا لاباحة الصمت الذي كان فى شريعة من قبلنا وامر به زكرياء عليه السلام ؟ اترك التعليق على هذه المستغربات الى غيري .

8» «ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف » اتبعها المؤلف : حكى بشر ابن الوليد عن ابي يوسف لا ادري لعل هذه الاية منسوخة بقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم » ثم انهمك فى سرد الاخبار ومتضارب الروايات ويا ما كان اغناه عن ادماج هذه الاية اللامع معناها فى القرآن فى قائمة الناسخ والمنسوخ .

9» «يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة ، وانتم سكارى ، حتى تعلموا ما تقولون » قيل نسخها قوله تعالى : « اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق ؟؟ معناه عند المؤلف نسخت الاية الاولى على الحقيقة بمعنى انهم كانوا نهوا عن الصلاة اذا كانوا سكارى ثم امروا بالصلاة على كل حال ؟ فان كانوا لا يعقلون ما يقرؤون وما يفعلون فعليهم الاعاده ؟ هذا التخريج مخالف لما تناقله العلماء متاخرهم عن متقدمهم فكان لهذا اشبه شيء بالتلاعب .

10» « الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم ، حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ، ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم » قال اهل التاويل ان هذه الاية منسوخة باية القتال !؟ يقال للمؤلف حكم هؤلاء الذين يصلون ويحتمون بقوم بيننا وبينهم ميثاق مبين اجلى بيان فى سياق الاية وهو قوله جل ذكره : « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » ، وعليه فلم تنسخها اية القتال التي كادت فى نظر بعض المتحمسين ان تاتي على كل ما يشتم منه رائحة التسامح الذي هو ميزة الاسلام التي ارغمت مشاهير علماء الاروبيين على الاشادة بمفاخر الاسلام من هذه الناحية مستشرقين وغيرهم بل وحتى البعض من رؤساء الديانة المسيحية يراجع فى هذا كتاب تاريخ العرب للعلامة ديفرجي Desverger ومثله تاريخ كستاف لوبون ، وكتاب جولة فى الشرق للبطريق ميشو Voyage en Orient ونص ما جاء فيه : مما يؤسف له فى حق الدول المسيحية ان التسامح الديني الذي هو قانون التراحم العام من الامم ، علمه لهم المسلمون .

11» «الطلاق مرتان» قال فيها صاحبنا من العلماء من قال هي ناسخة لما كانوا عليه فى الجاهلية؟ وفى اول الاسلام يطلق الرجل امراته ما شاء من الطلاق فاذا كادت تحل من الطلاق راجعها ما شاء الله. فنسخ الله ذلك بانه اذا طلقها ثلاثا لا تحل له بعد حتى تنكح زوجا غيره وقيل هي منسوخة بقوله : « فطلقوهن لعدتهن » وهكذا بقي المؤلف يتعثر فى هذا الهذيان .

12» « وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله ، والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره اذا اثمر ، واتوا حقه يوم حصاده » ، قيل هي منسوخة بالزكاة المفروضة ، وقيل بالسنة العشر ونصف العشر ثم اطلق ابو جعفر العنان فى صحراء الروايات والتوجيهات على عادته .

والمنسوخ » انفرد هذا الكتاب بميزة هي هيمنته الرواية على الدراية الى حد تعادى فيه النقل مع العقل والمنطق مع الرواية والاسانيد فعد فى الناسخ والمنسوخ حتى ما هو خارج عن دائرة الاحتمال بعد التنبيه على ان من العلماء المتأخرين من لا يقول راسا بوجود النسخ فى كتاب الله وحتى عند القائلين بوجوده فانهم لم يتجاوزوا فى عدد الاي التي من هذا القبيل تسع عشرة او عشرين كما فى كتاب الاتقان، فى علوم القرآن للسيوطي بينما وصل بها هذا النحاس الى ما يفوق المائة والثلاثين آية : ان البياض اذا اشتد صار برصا .

ادع الان الحكم الى من وفقهم الله من العلماء الى الجمع بين الرواية والدراية فيما اورده من النماذج فى هذا المقال :

افتتح هذا المؤلف قائمة الايات المنسوخة بقوله تعالى :

1» «ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله » قال فى شرحها : قال قتادة هي منسوخة ، وذهب الى ان المعنى صلوا كيف شئتم فان المشرق والمغرب لله بحيث استقبلتم فثم وجه الله لا يخلو منه مكان فقال عليه الصلاة والسلام هؤلاء يهود قد استقبلوا بيتا من بيوت الله يعني بيت المقدس فصلوا اليه فصلى عليه السلام واصحابه الى بيت المقدس بضعة عشر شهرا فقالت اليهود ما اهتدى لقبلة حتى هديناه اليها فكره قولهم ورفع طرفه الى السماء فانزل تعالى قوله : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، نسخ به الصلاة الى بيت المقدس » .

يلاحظ على المؤلف انه لا داعي الى هذا الشرح الذي جرأ اليهود الى قول ما قالوا ، بل الحقيقة التي لامراء فيها هي ان النبي (ص) كان فيما لم ينزل عليه فيه وحي بوجه عام امر ان يقتدى بمن قبله من الانبياء كما جاء فى سورة الانعام فى نصف حزب «وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه بعد ان ذكر سبحانه الانبياء الثمانية عشر قال : اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » اقتدى عليه السلام بكليم الله موسى عليه السلام وبيت المقدس مدينة الانبياء من قديم ثم تشوق الى بيت ابيه ابراهيم فحقق الله رغبته وانزل عليه : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام » : لامدخل لليهود فى هذا انما فصلت المسالة بنص القرآن حقيقة لا مجازا ، على ان صلاة المسلمين الى بيت المقدس ليس فيه ايجاب قرآني حتى يقال بالنسخ الذي هو الازالة وانما يزال الشيء الموجود آية موجودة نسخت آية موجودة ولا آية هنا اوجبت التوجه الى بيت المقدس .

2» الاية الثانية : « وقوموا لله قانتين » يقول المؤلف هذه الاية ناسخة للكلام فى الصلاة ؟ الا يحق لي ان اقول له علام يتنزل النسخ هنا ان الكلام فى الصلاة لم ترد فيه آية باباحته .

3» الاية الثالثة : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والانثى بالانثى » ، نسختها آية المائدة ؟ قوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والانف بالانف .الخ اكل النظر للقارىء كيف تنسخ التوراة القرآن اية المائدة نزلت فى حق اليهود اولها : وكيف يحكمونك ، اعني اليهود ، وعندهم التوراة فيها حكم الله .. انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيئون الذين اسلموا للذين هادوا الى ان قال: وكتبنا عليهم فيها اي فى التوراة سي المؤلف ان القرآن جاء مهيمنا أعني رقيبا على ماقبله من الكتب السماوية بنص قوله سبحانه : « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ». كتاب جاء ليهيمن على الكتب ومن جملتها التوراة فكيف ينقلب مهيمنا عليه من قبل التوراة فتنسخه ، ودعني من قول من يقول : « شر ع من قبلنا ، شرع لنا ما لم يرد قول بالنسخ » فان القرآن يقضي على هذه المزاعم بقوله : « لكل جعلنا منهم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم يا يهود ، ماذا فعلتم بالتوراة ، ويا نصارى ما فعلتم بالانجيل ، ويا امة محمد ما فعلتم بالقرآن .

4» الاية الرابعة : « ويسالونك عن المحيض ؟ قل هو اذى ، فاعتزلوا النساء فى المحيض ! ولا تقربوهن حتى يطهرن » يقول فيها هذا العالم بطرق الفساد ، ادخلت هذه الاية فى الناسخ والمنسوخ لانه معروف فى شريعة بني اسرائيل انهم لا يجتمعون مع الحائض فى بيت ولا ياكلون معها ولا يشربون فنسخ ذلك فى شريعتنا فامرنا رسول الله ان نواكل الحائض ونصنع كل شيء الا الجماع وما كفى صاحب الكتاب هذا التهافت حتى ذهب يجهد نفسه فى تأييده بالروايات ومتضاربات الاسانيد وكان يغنيه عن ذلك قراءة ما بعد الاية الذي هو من تمامها وذلك قوله

26» «فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها » ، منسوخة بآية « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » . ولا يجوز ان يفادوا ولا يمن عليهم هذيان محموم لا يستحق تعليقا جوابه واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه .

27» جر هذا الحكم ذيله على قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين وانه منسوخ بقوله تعالى : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » يقال لابي جعفر وماذا تفعل بقوله تعالى الذي هو من تمام الاية : «انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون » الا ترى ان القرآن جعلنا امام فريقين : فريق لا يقاتلنا فى الدين ولا يخرجونا من ديارنا — وفريق بالعكس ايكون الحكم فيهما سواء ونشهر السيف عن الاثنين لا فرق بين هذا وذاك ، اللهم ان روح الاسلام بريئة من مثل هذا الاستهتار .

مثل هذه الجراة والتساهل الذي ما عليه من مزيد فى توسيع دائرة القول بالنسخ وقع عند اهل الكتاب حذو النعل بالنعل والقذه بالقذة الامر الذي اوحى الي عنوان هذا المقال : « لتتبعن سنن من قبلكم » وشرح ذلك باختصار ان اولى الامر من الكنيسة لم يلبثوا الا قليلا بعد عهد نبيهم عليه السلام والحواريين حتى فتحوا باب التاويل والتوجيهات لنصوص الانجيل بدافع المصالح المرسلة ودعوى تمهيد السبيل لنشر الدين وتمادوا على السير فى هذا السبيل الى ان الجأتهم الضرورة الى عقد مجالس شورية تعرف بمجامع الاساقفة Les Conciles من اشهرها مجمع نيقي Concile de Nicée مجمع القسطنطينية الاول عام 325 والثاني عام 381 بلغت فى مجموعها ما لا يقل عن خمسة عشر مجلسا حاولوا فيها تنقيح العقيدة المسيحية والرجوع بها الى اصولها .

اعيد الى الذاكرة انه كان تقدم مني مقال ذكرت فيه نص العقيدة كما قررها مجلس نيقة وما نجم عنها من لاذع النقد من طرف مشاهير علماء القوم ومفكريهم مثل « ديدرو » و «فولتير » وليون دوني .. اتفقت آراؤهم على ان كل ما عقده الاساقفة من المجالس ما زاد الديانة الا بعدا من تعاليم المسيح الصحيحة واعتماد الاساقفة فى عقد ما عقدوه من المجامع هو ما يرويه البعض ان سيدنا عيسى عليه السلام من جملة ما اوصى به اتباعه هذه الكلمات : « ما عقدتموه فى الارض فهو معقود فى السماء وما حللتموه فى الارض فهو محلول فى السماء » كأنه انزلهم بهذا منزلته اعني درجة العصمة . ومن اعجب واغرب ما جاء فى كتاب تاريخ الديانات العام ، ان اول من قال المسيح ابن الله هو بلس Saint Paul من اصل يهودي يقال له صوويل ، ومن خبره انه كان تجنس بالجنسية الرومانية فاتخذها وسيلة وذريعة لاضطهاد المسيحيين لكن لما فشلت محاولاته تمسح ونال من ثقة المسيحيين ما سوغ له التصريح بان المسيح ابن الله ، حي الله القرآن العزيز الذي حذر النصارى من دسائس اليهود حيث يقول فى سورة المائده : « يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا اهواء قوم ، قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ، لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم » . وفى الختام استسمح رجال العلم فى التصريح لهم بان من طالع امثال كتاب النحاس واقوال ابن حزم وامثال امثاله استشف من ورائها اننا نمشي على حافة يوشك ، لا قدر الله ان توقعنا فيما اخبر عليه الصلاة والسلام : لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع الخ . خصوصا اذا علمنا ان هناك من يقول : القرآن ينسخ بالقرآن وبالسنة والقياس والاجماع ولست بمبالغ ان قلت ان القائلين بهذا اشبهوا من قال فيهم سبحانه « وقال الذين لا يرجون لقاءنا : ائت بقرآن غير هذا ، او بدله ولله الامر من قبل ومن بعد» .

بقي لي مع قراء « دعوة الحق » موقف آخر اشرح فيه ان شاء الله ما وقر فى صدري وتيقنت به فى هذا الموضوع وكل آت قريب .

الرباط — ابو العباس احمد التيجاني

13» «يسالونك عن الانفال» اكثر العلماء يقول المؤلف على انها منسوخة بقوله تعالى : واعلموا انما غنتم من شيء فان لله خمسه .. الخ .

14» «وان جنحوا للسلم فاجنح لها » نسخها قوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » يا ليت هذا المؤلف الغريب النوع والشكل قرأ الاية الاولى آية الصلح قبل ان يكتب ما كتب وهي « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله» اليس الله بكاف عبده .

15» «الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما » نسخها قوله تعالى : « وما كان المومنون لينفروا كافة » شتان بين المعنيين فى الاية الاولى والمعنيين فى الاية الثانية اراك يا ابا جعفر كثيرا ما تنسب الروايات الشاذة للكوفيين افيدك فائدة ، سئل احد الادباء «ايما افضل عندك البصرة ؟ ام الكوفة ؟ فاجاب : من يدلني على طريق البصرة اعطيه الكوفة .

16» « عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » نسخه فى زعمه « فاذا استاذنوك لبعض شانهم ، فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله » ، وقال هنا ايضا ماشأن البكاء فى دار العرس الاية الاولى فى حق من جاء فيهم : «انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر . . الخ. والاية الثانية جاءت فى اصحاب الرسول اهل الشورى : « انما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه » الى قوله « فاذا استأذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله » .

17» «واصبر حتى يحكم الله وهو خيرالحاكمين» نسخ منها الصبر بالامر بالجهاد والغلظة عليهم .

18» جاء فى سورة يوسف : « توفني مسلما والحقني بالصالحين » . نسخه قوله « ص» لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به . هذا من افحش الخطأ ، يوسف الصديق لم يتمن الموت انما طلب عند حلول الاجل ان يلقى ربه مسلما من غير تحديد للزمان وكيف يتمنى الموت وهو الذي افاض عليه سبحانه ما افاض من نفحات العناية وخلع عليه خلعة الملك بعد ان كان منبوذا فى غيابات الجب رحماك اللهم الى اين يؤدي الجهل بمقاصد الكتاب العزيز وبصلة الرحم التي بين آياته البينات .

19» « ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » ، نسخها قوله تعالى فى سورة الاعراف : « واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول والغدو والاصال » ، ثم استرسل على عادته فى الخبط والخلط بما لم يسبق اليه احد ممن تكلموا فى هذا الموضوع .

20» وداوود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان » ، يقول المؤلف : « ان جماعة من الكوفيين يذهبون الى ان هذا الحكم « ما هو هذا الحكم » منسوخ فان البهائم اذا افسدت زرعا فى ليل و نهار انه لا يلزم صاحبها شيء وان كان رسول الله عليه السلام حكى بغير هذا فخالفوا حكمه وزعموا انه منسوخ بقوله عليه الصلاة والسلام : العجماء جبار يعني هدر ــ ثم استمر الهذيان ملء صفحتين كاملتين حرمة القارىء تمنعني من ارهاقه بسماع مثل هذا الهذيان .

21» «يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها » . قيل نسختها اية « ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم » وكيف يتطرق النسخ بين الايتين ، الاولى تكلمت عن بيوت مسكونة حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها والثانية عن بيوت غير مسكونة فلكل واحدة حكمها .

22» « واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه ، وقالوا لنا اعمالنا ، ولكم اعمالكم ، سلام عليكم » ، من العلماء من قال انها منسوخة بالنهي عن السلام على الكفار ، مثل هذا من العار ان يدرج فى حيز المنسوخات ، مجرد ذكره معصية .

23» « قال يا بني اني ارى فى المنام اني اذبحك! فانظر ماذا ترى ؟ » قيل نسخها قوله تعالى : « وفديناه بذبح عظيم » الذبح عظيم واعظم منه ادراجه فى الناسخ والمنسوخ سبحانك اللهم وبحمدك هذا بهتان عظيم.

24» « والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض ، قال وهب بن منبه نسخها والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا خاص نسخ العام ؟

25» «فاصفح عنهم وقل : سلام ، فسوف تعلمون » نسختها آية القتال ؟

لشرح مفردة « مقاليد » حيث (1) : « وقيل مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية » . اما ان تكون المفردة فى الفارسية مقاليد ، فهذا غير صحيح، لاننا نعرف الآن ان كلمة مفتاح فى اللغة الاغريقية هي: κλειδα وهي فى حالة النصب وينطق بها Klidha (2) ويذهب الزمخشري ان ليس لهذه المفردة واحد من لفظها اذ انه لايعتبر الاصل الاغريقي ، والا لكان مفردها هو اقليد . لكن العلامة اسماعيل بن احمد الجوهري صادف الصواب لما ذكر فى الصحاح (3) ان مفردة مقاليد اقليد او مقلد ، اما الصيغة الاولى فهو الاصل الاغريقي ، وهو صحيح كما رايت وأما الثانية، فهي الصيغة العربية للكلمة الاغريقية الدخيلة غير أنه لم يذكر على كل حال ؛ أن المفردة من اصل اغريقي .

هذه هي الملاحظة التي عنت لي ، وكان لابد من ابدالها قبل مواصلة البحث حتى لا يعترض علينا معترض فيما سكتنا عنه ؛ اعتقادا منا انه معروف لدى العام والخاص . زد على ذلك ان المفردة التي ندخلها فى رمرة القبيلة الحميرية مثلا ، قد ينسبها بعض العلماء غير المحققين الى قبيلة اخرى . وبما أنه ، فى كثير من الاحيان نظر لايعتد به ، سكتنا عنه ، خوفا من التطويل . وترفعا عن ذكر الخلافات التي لم تأت بطائل ، ورفقا بقرائنا من الدخول بهم فى منعرجات لا نهاية لها ، ولا نفع يرجى من ورائها .

ـ 19 ـ لفظة « يتركم » فى الآية 35 من سورة القتال التي يقول فيها الحق سبحانه « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم » ومعناها بهذه اللغة ينقصكم .

أورد الجوهري هذه الآية نفسها وشرح كلمة يتركم قائلا (4) : « اي لن ينفصكم فى اعمالكم » كما تقول : دخلت البيت وانت تريد دخلت فى البيت . فهذه الكلمة لاتدل هنا ؛ اذا عن الذي قتل له قتيلا فلم يدرك بدمه . كما ذهب الى ذلك الامام الزمخشري حين قال (5) : « ولن يتركم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ أو حميم » .

ولعل معنى الكلمة فى الحديث الشريف (من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله) يوافق ما ذهبنا اليه .

ـ 20 ـ لفظة « معكوفا » الآية 25 من سورة الفتح ومعناها بلغة حمير محبوسا ؛ لكن الامام جلال الدين السيوطي الشافعي جعلها من لغة جرهم واوردها فى كتابه الاتقان فى علوم القرآن (6) فى النوع السابع والثلاثين .

ـ 21 ـ لفظة « التناهم » الآية 21 من سورة الطور ومعناها نقصناهم بلغة حمير وقد سكت عنها جل المهتمين بلغة القبائل ، الا العلامة ابا القاسم بن سلام. وذكرها الجوهري فى الصحاح فى باب التاء فصل الالف ويعني الت الثلاثي . واضاف : « مثل لاته يليته ، وهما لغتان حكاهما اليزيدي عن ابي عمرو بن العلاء (7)

وكلما نص عالم لغوي او مفسر على ان مفردة ما ، فيها لغتان ؛ فمعنى ذلك ان المفردة المعنية بالامر توجد فى لغة اخرى غير لغة قريش ، واقر أنني جعلت من هذا مبدأ للبحث عن الكلمة ومحاولة تحديدها .

واللفظة « الت » التي نحن بصدد الحديث عنها دليل على ذلك ، فقد راينا ما قاله الجوهري فى كتابه ، وهو وحده كاف لارشادنا الى أن المفردة توجد فى غير لغة قريش ، ونضيف لتعزيز ما نقول، ما ذكره عنها الامام الزمخشري (8) وهو يعتمد فى توضيحها على قراآتها المختلفة ــ وما قراءاتها الا لهجاتها التي تنسب اليها ــ ومعلوم ان هذه المفردة لها اربع قراءات :

1 ـ التناهم : وهو من بابين : الت والات يليت
2 ـ آلتناهم : من آلت يؤلت
3 ـ لتناهم . من لات يليت
4 ـ لتناهم : من ولت يلت

ـ 22 ـ كلمة « زعم » الآية 9 من سورة التغابن ومعناها بلغة حمير ادعى « باطلا » وكل ما تركب منها فى القرآن الكريم فهو بمعنى باطل . واذا كنت ذكرت هذه هنا فقط ، فانما هي الصيغة الوحيدة في

---

1) الكشاف الجزء الثالث صفحة 354 طبعة القاهرة سنة 1354 هـ
2) غرائب اللغة العربية صفحة 253 بيروت 1959
3) صفحة 525 من الطبعة القاهرية سنة 1376 هـ ـ 1956 م
4) صفحة 843 من كتاب الصحاح الطبعة السابقة
5) الكشاف الجزء الثالث صفحة 460
6) الجزء الاول صفحة 135 من الطبعة السابقة الذكر
7) الصحاح ـ الطبعة السابقة صفحة 241 .
8) الكشاف صفحة 35 الجزء الرابع

لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب ...

بالأستاذ الراعي التواتي الراشي

- 5 -

تتمة لغة حمير

– 17 – « مرض » الكائنة فى الآية 32 من سورة الاحزاب ومعناها بهذه اللغة الزنا . وواضح انه لا تستقيم معنى هذه الآية الا بالدلالة الحميرية لهذه الكلمة ولقد فسرها عبد الله بن عباس بهذا المعنى الحميري وعزز ذلك ببيت الاعشى الذي جاء فيه :

حافظ الفرج راض بالتغني
ليس ممن قلبه فيه مرض (1)

ولا بد ان انبه إلى ان كلمة « مرض » مقرونة بكلمة قلب كما فى هذه الآية كثيرة جدا . ولكنها لاتدل ، فى نظري على الزنا ، بل تعني فى اغلب الاحيان الشك والنفاق وضعف الايمان . ويمكن ان نؤولها بان الحق سبحانه وتعالى يمرض قلوبهم أي يضعفها . ولهذا لم ندخل ضمن الكلمات الحميرية الا هذه المفردة الموجودة فى الآية 32 من سورة الاحزاب . وغير مستبعد ان تحوم كلها حول معنى لايبعد فى مجمله عن المعنى الحميري الاصيل .

ولنمثل لذلك بآية البقرة رقم 10 التي يقول الحق سبحانه فيها : « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا » ويعني عز وجل فى قلوبهم ضعف ، زادهم الله ضعفا على ضعفهم .

– 18 – لفظة « مقاليد » الكائنة فى الآية 60 من سورة الزمر التي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى: « له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون» ومثلها فى الآية12 من سورة الشورى التي يقول فيها الله عز وجل : « له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم » ومعناها بلغة حمير مفاتيح .

اعتقد انه حان الآن ابداء ملاحظة هامة فعند ما نقول ان هذه المفردة هذلية او كنانية أو حميرية لا نعني بذلك ، ان هذه المفردة هذلية او كنانية او حميرية لانزاع فى انتسابها الى اللغة التي ادخلناها فيها، او اننا نجزم جزما قاطعا ونحمل الناس على ان يعتقدوا هذا الاعتقاد بان مفردة ما هي من لغة معينة لان عندنا حججا علمية دامغة لاتقبل ادنى شك . وانما نريد أن نقول أن من المرجح ان هذه المفردة عرضت وانتشرت فى اللهجة الفلانية وفيها استعملت استعمالا واسعا قبل ان يتبناها القرآن فيصبغ عليها الصبغة العربية الفصيحة .

ويظهر لي انه يستحيل – وهذا العلم لازال فى مهده – لاسيما فى هذا العالم العربي ان نقول ان هذه المفردة من اصل كذا ، ونركن الى هذا القول مطمئنين ثم نغلق باب البحث والتنقيب .

وحجة ما نقول المفردة « مقاليد » التي نحن بصدد الحديث عنها ، لقد ادمجناها فى لغة حمير . لان كثيرا من اللغويين القدماء قالوا ذلك . لكن الحقيقة هو انها استعملت فقط فى هذه اللهجة فى وقت مبكر وقبل ان تستعمل فى اللهجة القرشية ؛ فهي اذا من أصل حميرى بالنسبة للهجات العربية فقط ، لا بالنسبة للغات العالم ؛ ولهذا لانقول بأنها من اصل حميري اصالة .

هذه من جهة ، ومن جهة أخرى فنحن نملك الآن الحجة العلمية على أنها دخيلة فيها وانها فارسية ، واذا كان السيوطي الذى اهتم بالمعرب فى القرآن اهتماما بالغا قد اغفل الاشارة الى « مقاليد » سواء فى كتابه « ما وقع فى القرآن من المعرب » الذي اسعدني الحظ فاطلعت عليه فى دمشق فى مخطوط مضاف الى المهذب الذي ينسب اليه ايضا . او فى كتابه « الاتقان فى علوم القرآن (2) الذي عنونه بـ : « فيما وقع فيه (أى القرآن) بغير لغة العرب » اقول اذا أغفل السيوطي ذلك فقد اشار اليه الامام الزمخشري آن نعرضه

---

1) الاتقان فى علوم القرآن للامام جلال الدين السيوطي ج 1 صفحة 124 طبعة القاهرة : 1368 هجرية .
2) المصدر السابق . النوع الثامن والثلاثون صفحة 136 من الجزء الاول

نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 13 -

دونكم ايها القراء الاعزاء آراء طائفة اخرى من العلماء ونتائج تجاربهم على اختلاف اختصاصهم فى العلوم ، واختلاف اوطانهم وشعوبهم . واعيد ما قلته من قبل ، اني مسلم ، اومن بالكتاب والسنة ، واجماع الامة ، واقبل كل راي لايناقض ذلك ، ولا يلزمني اعتقاد كل ما اوردته هنا ، ولكنه حجة على الماديين المعطلين الذين يزعمون انهم لا يؤمنون الا بما يدرك بالحواس الخمس .

وقد ادرك هؤلاء العلماء ما ننقله عنهم بعقولهم وبالحواس الخمس ايضا ، ولا يستطيع الماديون تكذيب هذه الجمهرة من العلماء ، او نسبة التوهم لها ، فما لهم من ملجأ يلجأون اليه ، ولا مهرب يفرون اليه ، والحق ابلج ، والباطل لجلج ، ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم .

1 — ومن القائلين بهذا المذهب الدكتور « جورج سكستون » الانكليزي ، ويعد ركنا من اركان النهضة العلمية فى هذا العصر ، وكان فى مبدأ امره من اشد اعداء هذا المذهب ، وقد كان كثيرا ما يجرد عليه عضبا من لسانه مرهفا حتى كاد بفصاحته ان يتغلب على شهادة الحس عند اولئك الباحثين فخشي الكل تأثيره ، لا سيما ولم يكن من الرجال الذين يمكن اقناعهم بشيء ، لانه كان مشهورا بشدة الانتقاد والتشكك ، ولكن لامر يريده الله ، حبب اليه بحث هذا المذهب ، فظل يحاول خمس عشرة سنة ، لا ليعتقده ان كان صحيحا ، ولكن ليجد الوسيلة التجريبية الى دحضه فلم يسعه — رغم انفه — الا الانقياد للحق واعتقاده ، وكتب مقرا بغلطه عن نفسه يقول : اني تحصلت فى بيتي الخاص ، وبمعزل عن كل واسطة «للتحضير» ، غير اصحاب لي ، لديهم قوة استحضار الارواح على البرهان الذي يستحيل دحضه والذي هو من طبيعة تؤثر على كل عقل ثابت بان المخاطبات التي حصلت عليها هي من احباب واقارب ميتين .

2 — اما الاستاذ « لودج » الذي يلقبه العلماء « دارون الطبيعة » فقد وقف امام الجمعية العلمية الانكليزية وقفة الذين لا يخشون فى الحق لومة لائم وترجى اخوانه ان يهتموا غاية الاهتمام بهذه المسائل الروحية التي هي كما يقول : تأسر الباحث بغرائبها المدهشة اسرا .

3 — ومثل هؤلاء كان حال الدكتور «شامبير» الذي له القدح المعلى فى العلوم الطبية .

4 — والدكتور « جمس جللي » صاحب كتاب «القانون الصحي للامراض المزمنة» الذي طار صيته فى جميع اقطار العالم الطبي .

5 — ومثلهم الاساتذة «اكسون» استاذ كلية اوكسفورد اشهر المدارس الانكليزية .

6 — « وسيرجون كوكس » الفيلسوف المشترع الانكليزي الشهير .

7 — والاستاذ «باركس» الجيولوجي الانكليزي الشهير . كل هؤلاء غير الثلاثين عالما الذين كلفتهم جمعية العلوم بتحقيق خوارق هذه المسألة كما تقدم تفصيلا قبل قليل .

كتاب الله العزيز التي وردت مسندة الى المفرد المذكر.

ــ 23 « اعجــاز » في الآية 7 من سورة الحاقــة التي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى « فترى القــوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية » ومثلها في الآيــة 20 من سورة القمرالتي جاءت فيها: «تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر » .

ــ 24 ــ لفظة « وبيــلا » الآيــة 16 من سورة المزمل التي يقول فيه االحق سبحانه وتعالى : « فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا » ومعنى الوبيل بلغة حمير الشديد .

ويقول الاخفش أن « وبيلا » اخذت من الوابــل وهو المطر الشديد . ثم وســـع اللغويون استعمالها فقالوا : ضرب وبيل ، وعذاب وبل .

اما وبيل فيمكن ان تكــون حميريــة أو دخلت اللغة الحميرية في وقت مبكر جدا .

واما الوابل الذي يظن الاخفش انها أعطت وبيــلا فالاعتقاد عندي انــه وهم خاطيء .

والمعتمد عليه الآن ، هو أن « المطر الشديد باللغة الآرامية ــ وهي اللغة التي سادت بلاد الشرق الادنى القديم حوالي سنة 500 قبــل الميلاد ــ هو Yîbel

(1) التي اعطت في اللغة العربية « وبــل » .

وما من شك أن مكان الماء لبني اسد (2) الــذي يطلق عليه « وبال » متأثر . شديد التأثر بهذا .

ــ 25 ــ لفظة « مرقــوم » في الآيــة 9 من سورة المطففين التي جاء فيها « كتاب مرقوم » ومعناها كتاب مختوم بلغة حمير وقد كررها الحق سبحانه وتعالــى في نفس هذه السورة في الآية 20 حين قال : « كــلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتــاب مرقــوم » .

ومن الملاحظ ان السيوطي اغفل هذه اللفظة فلم يذكرها ولعل الذين نقل عنهم لم يذكروهــا . واما الزمخشري فسر جوانب خفيفة(3) لا تفيد ... حين يقــول : « وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابــة او معلم يعلم من رآه انه لاخير فيــه » .

ــ 26 ــ كلمــة « رابيــة » في الآية 10 من سورة الحاقة ، ومعناها « شديدة » بلغة حمير .

ذكرها الجوهري في مادة ربــا وربــوة بالضــم والفتح والكسر مع تسكين الباء في الجميع وربـــاوة بفتح الراء . لكن صاحب اللسان زاد لفتين هما : رباوة ورباوة بالضم والكسر (4) .

ولقد شرح معنى هذه اللفظة في هذه الآية العلامة الفراء بقولــه : « زائـــدة » .

ذكرت في الحلقة السابقة أن عــدد الفاظ لغــة حمير هو 26 لفظة ، وقد تبين لي بعد أن نشر الجــزء الاول من هذه الحلقة انني اغفلت لفظتيـــن . احب ان اضيفهما الى ابجتهما معتـــذرا .

ــ 27 ــ لفظة « مدينين » في قوله تعالى : « فلــولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها » في الآيــة 86 مــن سورة الواقعة . ومعناها بلغة حمير محاسبين . ولها معنى آخر بلغة كنانة كنا اشرنا اليه في الفاظ لهجـــة هــذه القبيلـــة .

اما الزمخشري فجعلها من مادة دان ومثــل لذلك بقوله : « دان السلطان الرعية اذا ساسهم » (5) واعتقد أنهـــا من دات الباء دال ... الجوهري جعلها ... في مـــادة ديـــن (6) .

ــ 28 ــ لفظة « امــام » ... في قوله تعالى ... وكل شيء أحصيناه في امام مبين » الآيــة 12 من سورة الاسراء وفي قوله تعالى ... ندعو كل أناس بامامهــم » الآيــة 71 من سورة الاسراء ومعناها بلغــة حمــيــر : « كتابهم » .

وجدير بالذكر ان أنبه على أن من القراء من قرا « بامامهــم » في هذه الآية ... بكتابهم ... عبد الله بن مسعود (7) المتوفي سنة 33 هجرية و ... ابن كعب (8) المتوفــى سنــة 29 هجرية .

هذه هي الالفاظ الحميرية الواردة في كتاب الله العزيز ، ارجو أن أكون وفقت في احصائها واحسنت شرحها . فاذا كنت اغفلت الفاظا ... او اسات شرح بعض ما ذكرت ، فلعل عذري انني اجتهدت النيــة معتمــدا على الله .

اكادير : الراجي الهامي الهاشمي

---

1) غرائب اللغة العربية للاب رفائل نخله اليسوعــي صفحــة 209
2) الجوهري الصحاح ج 5 صفحــة 1840
3) الكشاف الجــزء الرابع صفحة 195 من الطبعة السابقة الذكــر
4) ولقد حملتنا كثرة هذه اللغات على اعتقاد انهــا دخيلة على لغة قريش أنظر اللفظة 21 من لغة حميــر
5) الكشاف الجــزء الرابــع صفحــة 62
6) الصحــاح صفحــة 2118
7) Jeffery Materials For The History of the texte of the quran صفحة 55
8) المصــدر السابــق صفحـــة 142 .

19 — « ويبر » .
20 — « فيشنر » .
21 — « شيبنر »
22 — « التريسي »
23 — « ويندت » .

24 — وكان الواسطة معهم « سلاد » المشهور. بعد شدة البحث والتدقيق اعتقد هو ورفاقه صحة الاسبرتزم كما اعتقدها الوف غيره من العلماء . ولم يكد ينتشر اعتقاده بذلك المذهب حتى تصدى له الاساتذة :

25 — « فيرخو »
26 — « هلمولنز »

27 — « هيكل » . ونشروا فى بعض الجرائد العلمية ان الاستاذ زولنر قد انخدع وانغش ، وكادوا يؤثرون على مقامه العلمي تأثيرا سيئا فبرز اليهم « زولنر » ودعاهم لمناظرته ، ثم نشر كتابه المسمى « اوراق علمية » اثبت فيه بغاية الوضوح والدقة ما رآه هو ورفاقه من المشاهدات الحسية، فلم يسع اولئك الاساتذة الا السكوت والانهزام امام تلك الحجج الناطقة .

28 — وكتب الاستاذ « شارل فوفتي » فى كتابه المسمى « الوحي الجديد ــ الحياة » يقول : لما فقد الفكر قدرته على التصديق بوجود الارواح ، سارت الحياة الادبية مهددة بالزوال ، واحس المجتمع الانساني من نفسه بأنه قد دخل فى دور الفتن والانحلال الذي يجب ان يعقبه الخراب التام ، ولكن لما اشرقت فى الاذهان هذه الفكرة الجديدة « الاسبرتزم » وان لم تكن بينة الحدود للان ــ احست النفوس بقرب حدوث تغير جديد فى الافكار ، فى المؤتمر الاسبيرتي العام الذي انعقد فى لندن 22 يونيه 1898 قام العلامة .

29 — « دوروشاس » وتلا مقالة عنوانها « حدود الطبيعة » جاء منها « والحاصل فان هذه المشاهدات الخارقة للعادة ، والتي يغضب النطق بها رجالا يحسبون انفسهم علماء ببحثهم الكثير او القليل فى بعض الفروع العلمية ، ليست هي بالنسبة لنا الا امتدادا للمشاهدات التي رايناها بانفسنا ، وصار الشك فيها من قبيل المستحيلات .

وقام الاستاذ « لودج » الرياضي الشهير الذي يفخر به الانكليز فى مؤتمر جمعية تقدم العلوم الانكليزية الذي انعقد فى سنة 1891 وتلا مقالة كان لها تأثير عظيم فى العالم كله ، قال منها مشيرا للاسبيرتزم : ان الحد الفاصل بين العالمين المادي والروحاني قد قرب ان ينهار كما انهارت فواصل كثيرة غيره ، وبهذا سنصل الى ادراك سام على وحدة الطبيعة ، وان الاشياء الممكنة لا حد لها ، كما ان الوجود نفسه لا غاية له ولا نهاية ، وان الذي نعلمه الان منه لا يساوي شيئا بالنسبة لما غاب عنا علمه ، ولو اكتفينا بما كشفناه للان واقتنعنا به ، نكون قد خنا اقدس الواجبات العلمية .

اجتمع فى سنة 1893 عند الاستاذ :

30 — « فنزي » فى ميلان الاساتذة :

31 — «الكسندر اكزاكوف» مستشار القيصر الروسي ومدير مجلة « بسيشيش ستوديان »

32 — والاستاذ « جيوفاني » مدير مرصد ميلان الفلكي .

33 — والدكتور الالماني الطائر الصيت «كارل دوبرل » .

34 — والاستاذ « انجلو بروفيربو » .

35 — والاستاذ «جيوزب جيروزل» مدرس الطبيعيات فى مدرسة « بورتيسي » العليا .

36 — والاستاذ الشهير « شارل ريشه » المدرس بمدرسة الطب ، ومدير المجلة العلمية .

37 — والاستاذ « لومبروزو » اجتمع كل هؤلاء العلماء ، وفحصوا المشاهدات الاسبيرتية فى سبعة عشر مجلسا ، وكانت الواسطة « مدام اوزانيا بلادينو » فكتبوا تقريرا ، وقع برمته فى مجلد سنة 1893 من المجلة الروحية ، وفيه يشهدون علنا امام العالم بان كل ما شاهدوه من الخوارق لا غش ولا تدليس فيه ، وان هذه المشاهدات جديرة بالدخول فى سلك المسائل العلمية .

تقدم قبل بضع صفحات ان الاستاذين « هيزلوب » و « هودسن » وعدا بان يكشفا اللثام عن معتقدهما فى الاسبيرتزم ويثبتا للعالم ببراهين دامغة خلود الروح ففعل كلاهما ما وعد به . وابتدأ الاستاذ « هيزلوب » فسرد مشاهداته المدققة وختمها بهذه العبارة : لا يمكن تفسير هذه المشاهدات بغير الاسبرتزم . اي بغير نسبتها الى ارواح الموتى .

8 ــ وكان المستر «غلادستون» من كبار المصدقين بهذا المذهب ، قال فى بعض كتاباته كما هو مكتوب فى المجلة الروحية « ادرس مشاهدات الاسبرتزم ، فاذا وجدت فيها غشا وتدليسا ، فاهزأ بسائر المصدقين بها ، واسخر بي فى مقدمتهم .

9 ــ قال اللورد «بالفور» ، وهو السياسي الشهور : عندي الاسبرتزم افضل من السياسة لانها تفيدني اكثر منها » ونحن لم ننقل كلام هذين الرجلين الاخيرين الا لكونهما معدودين من رجال العلم .

10 ــ وقال العلامة « كرمويل فارلي » المتقدم ذكره : ان الشتائم والسخرية التي تكبدناها في سبيل الاعتقاد بالاسبرتزم لم تأت الا من جهة الذين لا يحصل لديهم اقدام على البحث والتنقيب الا بعد معادات ما يجهلونه .

11 ــ وكتب الاستاذ الشهير « باركس » فى مجلة « يوتلنيس اوف انفستيجشن انتومودرن سبيريتواليزم » اي فائدة البحث فى علم الروح العصري . قائلا انه قبل ان يعتقد حقيقة الاسبرتزم قرأ كل كتاب الف للدفاع عنه او فى دحضه ، وجادل كل متكلم فيه ، ثم جرب مشاهداته بنفسه مدة عشرة سنوات ، قال وبعد هذا كله استطعت ان اتكلم في مشاهداته ، واخطب فيه بعلم ودراية .

12 ــ وكتب العلامة « اجست مورجان » المتقدم ذكره فى مجلة « فروم ماستر اوف سبيريت » من معلمي الروح ــ قال : انا مقتنع بصحة الاسبرتزم مما رأيته بعيني وسمعته بأذني ، اقتناعا يجعل تطرق الشك الي مستحيلا عندي ، وان الروحيين لعلى الطريق الذي تقدم العلوم الطبيعية ، وليس اضدادهم الا مشخصين للذين يريدون وضع العقبات فى سبيل الترقي .

13 ــ وكتب الاستاذ «اكرومويل فارلي» الى الاستاذ الشهير «تندل» يقول : انا لندرس الان من «الاسبيرتزم» ما كان قبل الفي عام ، الشغل الشاغل للفلاسفة ، ولو ترجم رجل من العارفين باللسانين اليوناني واللاتيني والواقعين على حقيقة المشاهدات الروحية ما كتبه رجال الماضي لرأينا ان الذي يحصل الان ليس هو الا جانبا قديما من التاريخ ، لدرجة تعلي مقام اولئك العقلاء الاقدمين لكونهم استطاعوا ان يرتفعوا عن الاوهام الضيقة التي كانت سائدة فى زمانهم ، ويظهر لنا انهم درسوا هذه المسألة بتوسع يفوق فى اشكاله الكثيرة معلوماتنا الحالية فيها .

14 ــ وقال القس « سنتون موزس» مدرس علم اللاهوت بلندن بعد فحص الاسبرتزم عدة سنين هو وطائفة من رجال العلم معه قال : ان وضوح وجود هذه القوة المحكمة بعقل يرتكز على ما يأتي :

ا» وضوحها لحكم الحواس . ب» تكلمها غالبا بلغة يجهلها المستحضر . ج» سمو الموضوع الذي تتكلم فيه على معلومات المستحضر غالبا . د» ثبوت استحالة انتاج هذه النتائج بواسطة الغش فى الشروط التي حصلت فيها .

15 ــ وقال الاستاذ «كروكس» احد رؤساء جمعية العلماء الانكليزية : انا اقول بغاية البساطة ، كل ما رأيته ، وكل ما ثبت لي بالتجارب المتكررة المدققة ــ وانا لا اقول : ان هذا ممكن ، ولكني اقول انه ثابت محقق .

16 ــ وقال العلامة الفسيولوجي «ولاس» مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعي مع دارون فى كتابه المسمى « خوارق العصر الحالي » : لقد كنت دهريا صرفا مقتنعا بمذهبي تمام الاقتناع ، ولم يكن فى ذهني ادنى محل للتصديق بحياة روحية ولا بوجود عامل فى هذا الكون كله غير المادة وقوتها . ولكني رأيت ان المشاهدات الحسية لا تغالب ، فانها قهرتني واجبرتني على اعتبارها اشياء مثبتة قبل ان اعتقد نسبتها الى الارواح بمدة طويلة ، ثم اخذت هذه المشاهدات مكانا من عقلي شيئا فشيئا . ولم تكن ذلك بطريقة نظرية تصورية ولكن بتأثير المشاهدات التى كان يتلو بعضها بعضا بطريقة لا يمكن التخلص منها بوسيلة اخرى « اي بغير نسبتها الى الارواح » .

17 ــ وقال الاستاذ «اليوت» رئيس جمعية العلماء الامريكية فى مجلة « انال بسيشك » ما يأتي : منذ مدة وجيزة كان يشق علي الامر كلما افتكر فى انني سأكون كاتبا لتاريخ مثل هذا « تاريخ مشاهدات الاسبيرتزم» ولكني اراني لا استطيع ان اخون اعتقادى بدون ان اهبط من كمالي العقلي ، ولا يمكنني السكوت امام هذه المشاهدات الحقة ، لئلا انسب للجبن الادبي.

18 ــ ومن ضمن مشهوري انصار هذا المذهب الاستاذ « تسولنر » الفلكي الالماني الشهير المعدود نادرة الزمان فى الذكاء ، اعتنى هذا العلامة بالبحث فيه ومعه الاساتذة الالمانيون المشهورون :

توضيحات لما تقدم

نقلت ما تقدم من دائرة المعارف ، وقرأته مرارا رأيته واضحا لا يحتاج الى شرح الا قول الدكتور جيبيه في كتابه الاول « الاسبرتزم » : ان الموت يهب الحرية للذات الانسانية المدركة الباقية اهـ. يعني ان الدكتور جيبيه لم يحصل على نتيجة تامة عندما الف كتابه « الاسبرتزم » ولم يقم عنده البرهان القاطع على الموت يعطي الحرية الذات الباقية المدركة .

فان قلت : كيف يتصور ان الموت يعطي الانسان شيئا ، والذي يظهر لنا انه يسلبه كل شيء ، فالجواب: اذا كانت الروح مستقلة بوجودها قبل الموت وبعده وخالدة لاتفنى يمكننا ان نتصور انالانسان فيحال حياته يكون في اسر وقيود ترابية منها حاجته الى المعيشة الى المكان والزمان والغذاء ، ومنها خوفه على حياته وعلى جسمه من المرض والموت والمصائب التي تنغص عليه عيشه ، فاذا مات تحرر من تلك المخاوف كلها .

ثم ان كثافة الجسم الترابي تضيق معلوماته ، وتصعب عليه فهم الحقائق حتى اذا تخلصت الروح من الجسم الترابي يعود لها صفاؤها ، وتدرك حقائق المعلومات بدون تعب ، ويكون اتصالها بخالقها ، وبالعالم العلوي تاما ، وترتفع عنها الحجب. وانشد علماء الزهد في هذا المعنى :

سبيت الورى طرا وانت محجب
فكيف بمن يهواك ان زالت الحجب

واصبحت محبوب القلوب بأسرها
ولا ذرة في الكون الا لها قلب

وقد ثبت الدكتور جيبيه بعد دراسة اربع سنين اخرى ان الموت يهب تلك الحرية للانسان على اكمل وجه كما رأيت .

قال المحقق نعمان خير الدين ، الشهير بابن الالوسي البغدادي في كتابه « جلاء العينين ، في حاكمة الاحمدين » ص 148 .

اختلف الناس ايضا في الروح : هل تموت ام لا ؟ ذهب طائفة الى انها تموت ، لانها نفس ، وكل نفس ذائقة الموت . واذا كانت الملائكة يموتون ، فالارواح البشرية اولى .

وقالت طائفة : انها لا تموت ، للاحاديث الدالة على نعيمها وعذابها بعد المفارقة الى ان يرجعها الله تعالى الى الجسد .

قال في روح المعاني : والصواب ان يقال : موت الروح هومفارقتها الجسد ، فاناريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت ، وان اريد انها تعدم وتضمحل ، فهي لا تموت ، بل تبقى مفارقة ما شاء الله تعالى ، ثم تعود الى الجسد وتبقى معه في نعيم او عذاب ابد الابدين اهـ.

وللروح معان اخر ، ليس هذا موضع ذكرها ، من ارادها فليرجع الى كتب التفسير . والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق .اهـ

وقد اجاد الرئيس ابو علي ابن سينا عميد فلاسفة الاسلام في قصيدته العينية فوصف الروح وصفا دقيقا جدا بطريق الاشارة . انقل هنا بعض ابياتها . قال رحمه الله تعالى :

هبطت اليك من المحل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجع
انفت وما انست فلما واصلت
الفت مجاورة الخراب البلقع
واظنها نسيت عهودا بالحمى
ومنازل بفراقها لم تقنع
حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها
عن ميم مركزها بذات الاجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت
بين المعالم والطلول الخضع
تبكي وقد ذكرت عهودا بالحمى
بمدامع تهمي ولم تتقطع
وتظل ساجعة على الدمن التي
درست بتكرار الرياح الاربع
اذ عاقها الشرك الكثيف فصدها
نقص عن الاوج الفسيح المربع
حتى اذا قرب المسير عن الحمى
ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت
ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق
والعلم يرفع كل من لم يرفع

اما الدكتور « هودسن » فقد كتب تقريره في الجزء 22 من نشرة جمعية الابحاث النفسية الانجليزية نقتطف منه ما يأتي مترجما عن اللغة الفرنسية . قال في صحيفة 396 : لقد جربت « التلباتيا » بين الاحياء مدة سنين عديدة ، وها انا لا اتأخر عن التأكيد بطريقة مدققة ، بان الفرض الاسبريتي « اي كون هذه المشاهدات منسوبة للارواح » حق لا شبهة فيه ، وتدل عليه نتائجه بخلاف الفرض الاول .

وجاء في صحيفة 405 ان وضوح هذه المسائل هذا الوضوح التام قد ازال عني كل ما كان يصرفني عن التصديق بان هذه الظواهر نتيجة افعال الموتى .

وجاء في صحيفة 406 : الان لا يمكنني ان اقول بان لدي ادنى شك او ارتياب في ان المرائي المهمة التي تكلمت عنها في الصحائف المتقدمة ، هي حقيقة عين الاشخاص الذين تدعي هي انها هم ، وانهم لم يزالوا احياء بعد تلك الاستحالة التي نسميها نحن الموت ، وانهم بواسطة جسم مدام « بيبر » المتشنجة يتعرفون مباشرة الينا نحن الذين نسمي انفسنا احياء .

39 — اما الدكتور « جيبيه » المؤلف الفرنسي الطائر الصيت ، ومعتمد الاستاذ « باستور » في مكتشفاته البديعة ، حبب اليه البحث في الاسبرتزم منذ زمان طويل . وله في هذه المسألة كتابان جليلان جدا ، احدهما اسمه « الاسبرتزم » والاخر اسمه « تحليل الاشياء » ظهر الاول في سنة 1886 والثاني في سنة 1890 .

اخذ هذا الدكتور في فحص الاسبرتزم مدة ثلاثين سنة ، فدقق النظر فيه ، وجرب بنفسه تجارب يقصر عنها من لم يكن على شاكلته ، ثم الف كتابيه المذكورين على التعاقب ، فيرى المطالع لهما انه لم يصل الى نتيجته الاخيرة الا بعد تردد عظيم من كثرة تشككه ودقة نظره .

فاذا تصفحت كتابه المطبوع في سنة 1886 تجد انه لم يكن لذلك الوقت حاصلا على البرهان القاطع بخلود الروح ، ولو كان فكره « المادي » قد تحول عن مركزه تماما . فانه قال في آخر مقدمته : لنعلن على رؤوس الاشهاد باننا اول ما بدانا درس هذه المباحث النفسية ، كنا نعتقد من صميم فؤادنا باننا امام عالم من خيالات واباطيل يجب علينا كشف الستار عنها وفضحها . وقد صرفنا كثيرا من الزمن للتخلص من هذه الفكرة « اي فكرة كونها خيالات واباطيل » .

ولكنه مع اعترافه ، بان مشاهدات الاسبرتزم ليست بخيالات ولا اباطيل لم يحصل على البرهان القاطع بخلود الروح ، لانه ختم عبارته بقوله : فلنصرح اذن بفكرنا ونقول : كلا ، ان كل هذه الظواهر المدهشة التي لا يمكن تفسيرها بمقارنتها بالشيء القليل الذي نعلمه لا تثبت لنا بطريقة مطلقة ان الموت يهب الحرية للذات الانسانية المدركة الباقية .

ولكنه لم يجبن امام صعوبات هذا البحث ، ولم يكتف بهذا الموقف المشكك ، بل مشى للامام بقدم الشجاع الثابت الجأش ، ثم كتب بعد اربع سنوات كتابه الجليل المسمى « تحليل الاشياء » فصرح فيه بعقيدته حيث قال : في جلسات التجسد « اي التي تتجسد الارواح فيها ، وتظهر في جسم يلمس ويحس » يمكن لكل انسان ان يرى شخصا من اسرته قد مات منذ زمان بعيد او قريب ، فيظهر له عيانا ويكلمه .

نعم يكلمك بسريرته الخاصة التي لا يعلمها غيرك، وترى ان صورته لم تتغير ولم تتبدل ، وان له قلبا يخفق ، ويمكن ان تأخذ صورته الفوتوغرافية ، ويترك لك شكل يده ، بل وشكل راسه بالجبس . كل هذه الاشياء الفوتوغرافية والجبسية تبقى لك برهانا محسوسا دامغا على انك لم تر ذلك في الحلم ، بل يقظة .

ولنضف لك هنا ان هذا التسجيل يحصل بواسطة الارواح العاملة على قوة الواسطة المستعارة منها . فثبت من هنا لدى العلماء الذين راوا هذه الآثار الخارجية الحاصلة بحضور الواسطة ، بان هذه المرئيات تحتوي على البرهان المفحم الذي لا نتحصل على مثله قط ، بان لنا روحا مدركة ومتميزة ومخلدة بعد الموت .

بعد الموت يجد الانسان نفسه في عالم اسميه «ما بعد الحياة » في حالة ليست في الحقيقة الا ذاته الكاملة . اما هذه الحالة التي يعيش فيها الآن فليست الا حالة وقتية ولا اقول بدون فائدة .

واذا اراد المطالع ان يتحقق من صدق هذه المشاهدات بنفسه ، فانه سيقتنع بسرعة ، باني لم ابالغ فيما قلته وانه سيرى اعتقاده يقوى ويشتد على قدر ما تكون ابحاثه حازمة ومتكررة ، ولو كانت هذه المرئيات باطلة لحصل عكس ذلك .

نظرة في منجد الآداب والعلوم

الاستاذ عبد الله كنون

- 10 -

حــرف السيــن :

247) في ص 244 ، ع ل ترجمة للشيخ سالـم السنهوري الفقيه المالكي المصري لم يذكر فيها نسبه الذي يعرف به وهو السنهوري وانما اقتصر على تعريفه بسالم بن محمد وهو لا يتعرف بذلك

248) في المكـان نفسـه ترجمة لعبد الحكيم السيالكوني تحرف فيها نسبه الى السالكوتي وهو كما ذكرنا ، نسبه الى سيالكوت مدينة بالهند ، واقتصر على ذكر رسالة له في تحقيق بحث العلم قال انها مخطوطة في برلين ، مع ان له كتبا مهمة مطبوعة تعتبر من المراجع الاساسية في الدراسة العليا كحاشيته على المطول وحاشيته على سرح القطب للشمسية وغيرهما

249) في ص 247 ، ع ل تعريف براس اسبارطيل المعروف في طنجة جاء فيه انه يواجه في الاندلس موقع طرف الغر وصواب هذا الاسم الطرف الاغر

250) في ص 249 ، ع ل تعريف بسجاح التميمية المتنبئة ضبط فيه اسمها بكسر السين وهو بفتحها على وزن حــدام

251) وفي عين المكان ترجمة للشيخ احمد السجاعي ضبط فيها نسبه بكسر السين وهو بضمها وقال انه نشر منظومة في بيان الانبياء المذكورين في القرءان ورسالة في اثبات كرامات الاولياء وصحة العبارة ان يقول الف منظومة الخ لان النشر قد اختصر الان بالطبع ، على ان اهم مؤلفات السجاعي هي حاشية على ابن عقيل وحاشيته على شرح القطر وغيرهما مما هو متداول لا ما اقتصر عليه المنجد وذكر بعد هذه الترجمة قرية السجاعية التي ينتسب اليها السجاعي بضبطها بكسر السين ومقتضى الضم في نسبه ان تكون هي ايضا مضمومة

252) وفيه ايضا تعريف بالسراج السجاوندي قال فيه انه فقيه حنفي عاش نحو (1200) يعني في القرن الثاني عشر وان كانت عبارته لا تؤدي ذلك ، وليته استعمل عبارة دائرة المعارف الاسلامية التي ينقل منها وهي قولها : « لمع نجمه حوالي عام 1200 م » فحددت تاريخ ظهوره وبينت ان المراد التاريخ الميلادي ثم قال المنجد : له الفرائض السراجية في احكام الارث في المذاهب الاربعة وهذا من زياداته ، فالسراجية خاصة بمذهب ابي حنيفة كما ان الرحبية خاصة بمذهب الشافعي ، وقد سبق ان قال فيها مثل ما قال في السراجية

253)وفي ع نى من هذه الصفحة تعريف بسجلماسة جاء فيه : «اثار مدينة في المغرب عاصمة بلاد تافيلالت وكان صوابا لو نقل عبارة الدائرة كما هي ولم يحورها، ونصها : بلدة قديمة في بلاد المغرب كانت قاعدة اقليم تافيلالت واصبحت الان اطلالا، ثم انه ضبطها بفتح السين اولها وهي بكسرها ، وترجم بعدها لاحمد بن مبارك السجلماسي فضبطه بفتح السين تبعا لذلك وصوابه الكسر

254) وفيه كذلك تعريف بعلم الدين السخاوي وصف فيه بالمغربي بضم الميم وفتح الراء ، ولا ندري ما هذه النسبة فان كان يريد انه مغربي اي منسوب الى بلاد المغرب فان ذلك ليس بصحيح لانه بنسبه السخاوي تحددت نسبته الى مصر ، فان سخا بلدة مصرية بذكره هو هذا زيادة على ان النسبة الى المغرب لا تكون بذلك الضبط ، ولعل هذا ان يكون تحريفا عن المصري

واخرج البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من احب لقاء الله احب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ــ فقالت عائشة او بعض ازواجه : انا لنكره الموت ، قال : ليس ذلك ، ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته ، فليس احب اليه مما امامه ، فأحب لقاء الله واحب الله لقاءه ، وان الكافر اذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء اكره اليه مما امامه ، فكره لقاء الله ، وكره الله لقاءه.

وقال تعالى فى سورة فصلت 30 ــ 31 « ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا ، وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى وفى الاخرة ، ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم » .

قال ائمة التفسير فى قوله تعالى ، قالوا ربنا الله ، اي وحدوه فى ربوبيته وعبادته ، ودعائه ، والرغبة اليه والرهبة منه ، والالتجاء اليه وحده لا شريك له فى تفريج الكربات وقضاء الحاجات . «ثم استقاموا » على طاعته واتباع سنة رسوله «تتنزل عليهم الملائكة» عند موتهم يبشرونهم قائلين لا تخافوا مما تقدمون عليه ، فانكم مقدمون على سعادة لا حد لها « ولا تحزنوا » على ما خلفتم من اهل ، فالله يخلفكم فيهم « وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون » فى كتاب الله وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم « نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الاخرة » معناه ان الملائكة لم يزالوا مع المؤمنين فى حياته الدنيا يثبتونه ويستغفرون له ، ولن يزالوا معه بعد موته يؤنسونه ، غير انه لا يراهم الا عند خروج روحه حين يتغلب سلطان الروح على الجسد . اما بعد الموت فانه يشاهدهم عيانا دائما «ولكم» فى الاخرة كل ما تشتهي انفسكم ، وكل ما تريدونه اكراما وضيافة من رب عظيم المغفرة واسع الرحمة . انتهى تفسير الآية .

وهذا برهان قاطع على بقاء الروح ونعيمها وسعادتها بعد الموت كما قرره اولئك الفلاسفة . وقال تعالى فى سورة الواقعة 83 ــ 95 « فلولا اذا بلغت الحلقوم، وانتم حينئذ تنظرون .. ونحن اقرب اليه منكم ، ولكن لاتبصرون . فلولا ان كنتم غير مدينين . ترجعونها ان كنتم صادقين . فاما ان كان من المقربين . فروح وريحان وجنة نعيم . واما ان كان من اصحاب اليمين ، فسلام لك من اصحاب اليمين . واما ان كان من المكذبين الضالين . فنزل من حميم . وتصلية جحيم ، ان هذا لهو حق اليقين . »

يقول الله تعالى : فلولا ، اي هلا « اذا بلغت الحلقوم ، اي الروح المفهومة من السياق وانتم ايها الحاضرون عند الميت تنظرون اليه ولا تدركون حقيقة امره . ونحن اقرب اليه بعلمنا منكم. لكن لا تبصرون. كما قال تعالى فى سورة الانعام 103 « لاتدركه الابصار، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير » هذا فى الدنيا ، واما فى الاخرة فيراه المؤمنون فى دار الكرامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر ، صحت الاخبار بذلك .

فلولا ، هلا ، ان كنتم غير مدينين محكومين ومجزيين ــ كما تزعمون ايها الكفرة ، ترجعونها ، اي تردون الروح وتدفعون عنها الموت ، ان كنتم صادقين فى زعمكم انه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ، ولا حياة بعد الموت . فأما ان كان ، اي الميت من المقربين اي السابقين من الاصناف الثلاثة المذكورة فى اول السورة ، فروح ، اي فله راحة ، وريحان ، اي رزق كريم ، وجنة نعيم ، فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

واما ان كان الميت من اصحاب اليمين فسلام لك ايها المخاطب من اصحاب اليمين ، اي سلامة لهم ، او سلام يصلك منهم ، او ناهيك بما هم فيه من الكرامة كما يقال بالعامية : يا سلام عليه . واما ان كان من المكذبين لله ولرسله الجاحدين ربوبيته او الهيته ، او ارسال رسله الى خلقه ، فنزل من حميم ، اي فلهم ضيافة من الماء الحميم البالغ درجة الغليان . وتصلية جحيم، اي احراق بنار جهنم ، ان هذا الذي ذكر لهو حق اليقين ، اي اليقين الحق الذي لاشك فيه .

وقد تبين الان ان الروح بعد الموت باقية خالدة ، اما فى نعيم ، واما فى جحيم ، وفى القرآن آيات كثيرة تدل على هذا المعنى . وقد توصل الفلاسفة بطرقهم الخاصة الى بقاء الروح وخلودها بعد الموت ، ولكن ما توصلوا اليه بالنسبة الى ما جاء به رسل الله نقطة فى بحر . فالحمد لله الذي احق الحق وازهق الباطل ولو كره المجرمون ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون .

مكناس : تقي الدين الهلالي

وانما هي باطراف الشام، وظاهر انه يعني غزوة الخندق او الاحزاب كما تسمى ايضا وهي التي حاصر فيها ابو سفيان المدينة ، وزاد المنجد قائلا : « ثم اعتزل الحرب وصالح محمدا في معاهدة الحديبية وسلمه مكة » وابو سفيان لم يسلم مكة للنبي (ص) بل ان النبي دخلها عنوة ولم يكن ذلك في معاهدة الحديبية كما يشعر به كلامه بل بعدها بسنتين .

265) في ص 258 ، ع ل ترجمة للناصري صاحب الاستقصاء اقتصر فيها على وصفه بالسلاوي ، هكذا كما يفعل الكتاب الاوربيون مع ان نسبه الذي يعرف به هو الناصري ، وذكر انه استند في تاليف كتابه الاستقصاء الى المراجع الاوربية ، وهذا ليس بصحيح على اطلاقه ، فانه انما فعل ذلك في تاريخ الفترات الغامضة المتعلقة بالحروب الناشئة بين المغرب ودولتي الاسبان والبرتغال المجاورتين له ، وعلى نطاق محدود في بعض الكتب الخاصة بذلك العهد ، بخلاف ما يوهمه كلام المنجد من ان تاليف الاستقصا كان بالاعتماد على تلك المراجع، فالعبارة فيها ايهام ولو قال : استفاد في تاليفه من بعض المراجع الاوربية وكان اول من فعل ذلك من مؤرخي المغرب لاصاب الصواب وانصف الرجل

266)في الصفحة نفسها ع نى ترجمة سلطان اسحاق قال : انه رجل اجتمعت عليه ءاراء اهل الحق او مذهب «علي الهي»، فقالوا انه عاش في القرن 14 واليه يرجعون في طقوسهم ومعتقداتهم ، وهذا الكلام يزيف ءاخره اوله فلو كان هذا الرجل ممن اجتمعت عليه ءاراء اهل الحق لما كان بهذه الدرجة من النكارة فلو انه قال كما في دائرة المعارف : « شخصية هامة في معتقد فرقة (اهل الحق) او ما يعرف بمذهب «علي الهي» لأبان المقصود ولما وقع قاريء كتابه وخصوصا من الشباب في حيرة حين يرى ان هذا رجل اجتمعت عليه ءاراء هذا الحق هكذا بالتعريف الذي يشمل جميع اهل الحق في كل زمان ومكان ، مع انه غير محقق التاريخ وصاحب طقوس ومعتقدات خاصة ، والعجب من المؤلف كيف ارتكب التعريف هنا ومن عادته ان يجرد كثيرا من الاسماء المعرفة من ادواته ، فيقول في الجنيد مثلا : جنيد ، ومر بنا ءانفا انه قال في محمد الشيخ الاصغر : شيخ الاصغر ؟

267) في ص و ر ن تعريف بالحافظ السلفي عنون له بسلفة ، مع انه لقب لجده وليس لقبا له وقد احسن في ضبطه بكسر ففتح لا كما يغلط فيه بعضهم فيجعله بفتح السين ظنا منه انه منسوب الى السلف ولكن الغريب هو قوله بعد ذلك : اليه ينسب المذهب السلفي بكسر ففتح كما ضبطه ، فليت شعري ما هو هذا المذهب؟ ومن ذكره من اصحاب التاليف في المذاهب والفرق ، ولعله يقرا المذهب السلفي بذلك الضبط المعوج . فلذلك ظن انه منسوب اليه

268) والطامة الكبرى انه في العمود نفسه ذكر السلفية بكسر فسكون كما ضبطها وعرفها بما يلي : « بدعة يعرفون (كذا) ايضا باصحاب السلف الصالح ، يتمسكون بالسنة وينبذون كل تجديد دونها ، اشهرهم ابن تيمية ، ومنهم الوهابيون في الجزيرة ، « واهل القرءان » ! واهل الحديث ! « والفرائضيون » في الهند، فما ادرى ما هذا الخبط ؟ ومن اي امره اعجب ؟ امن جهله حتى باحكام العربية ، ام من اقحامه نفسه بمثل هذه الوقاحة فيما لا يحسنه من الكلام على السنة والبدعة حتى وقع من حيث لا يشعر في ائمة العلم والدين والمسلمين عموما ؟

ومع ذلك فان كتابه ينشر ويروج في بلاد الاسلام وهو مشحون بهذه الفضائح التي تستوجب طرحه وعدم تداوله

269) وفيه ايضا تعريف بابي سلمة الخلال ضبطه بسكون اللام وهو بفتحها

270) في ص 261 ، ع ل ترجمة للسليك بن السلكة الشاعر العداء المعروف ، ضبط اسمه بفتح السين وهو بضمها على صورة المصغر ، وكذا السلكة اسم ابيه هو بضم السين وفتح اللام وقد ضبطه خطأ بفتح السين ايضا

271) في ص 266 ، ع ل تحت عنوان « سنن » ذكر انه اسم لعدة كتب في الحديث اشهرها سنن ابن حنبل ، وكتاب احمد بن حنبل يعرف بالمسند لا غير ، ثم قال وابن ماجة وابي داود والبخاري ، وكتاب البخاري يعرف بالصحيح لا غير ، ثم قال والبيهقي والترمذي ، وكتاب الترمذي يعرف اكثر ما يعرف بالجامع لا بالسنن ثم قال والدارمي ومالك ، وكتاب مالك يعرف باسمه

255) في ص 250 ، ع ل تعريف بنـي سـراج الغرناطيين قال فيه انهم قبيلة عاشت في غرناطة في القرن 15 م والصواب ان يقول اسرة بدل قبيلة كما في الدائرة

256) في ص 251 ، ع ل تعريف بجعفر السراج القاري وذكر من كتبه زهد السودان والصواب مناقب السودان .

257) في نفس المكان ذكر مدينة سرقسطة الاندلسية وضبطها بكسر السين وفتح الراء مع تشديدها والمعروف فيها فتح السين والراء مع التخفيف ونطقها الاسباني Saragosta يوذن بذلك .

258) وذكر باثرها سرقوسة قاعدة صقلية مضبوطة بكسر السين ايضا وهي بالفتح في النطق العربي .

259) وفي نفس الصفحة ع ن ذكر مدينة سروج فضبطها بضم السين وهي بالفتح ،قال في معجم البلدان : « فعول بفتح اوله من السرج وهو من ابنية المبالغة »

وذكر بعدها السروجي بطل المقامات الحريرية فضبطه كذلك بالضم والصواب الفتح

260) في ص 253 ، ع ل ترجمة لسري السقطي قال فيها اولا انه صوفي سني ، فقلنا حسن ، ثم نسب اليه القول بان حروف القرءان مخلوقة وان المحبين يفوقون في النعيم اتباع الانبياء ، من موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام فاذا كان سنيا فان هذه الاقوال ليست من مذهب اهل السنة والوارد في السنة ان المتحابين في الله يظلهم الله بظله يوم القيامة ، ولكن لا خصوصية لهم بذلك فان خصالا اخرى كثيرة تناهز المائة قد ورد في السنة ان اصحابها لهم هذه المزية ايضا ثم قال المنجد: « وقد لامه احمد بن حنبل على تلك الاقوال » ولو صح ما نسب اليه في حروف القرءان لما اقتصر ابن حنبل على لومه بالبدعة وهجره ، كيف وهو الذي امتحن في هذه المسالة اشد الامتحان وصبر رضي الله عنه ولم يتزحزح عن عقيدته ، على ان الثابت عن الامام احمد هو انه كان يصف سريا بالشيخ المعروف بطيب المطعم كالمنكر لذلك من حاله ليس غيره وقيل بلغه عنه انه قال : « ان الله لما خلق الحروف سجدت الباء ، فقال : « نفروا الناس منه » وهذا ليس معناه حتما القول بخلق القرءان او حروفه بالذات ، وانما هو شيء مما ينطق به الصوفية في منازلاتهم ولا دليل له من السنة ، فهو الذي استنكره الامام وامر بتنفير الناس عنه من اجله .

وعلى كل فما مقام هذه الاقوال الشاذة في ترجمة مختصرة لا تتعدى ثلاثة اسطر من احد عمودي الصفحة الواحدة من المنجد ، ان في ترجمة السري السقطي من المعلومات والاحوال ما يغني عن ذلك ، وهو شخص اجمعت الامة على صلاحه ورسوخه في مقام المعرفة وكان استاذ الجنيد شيخ الصوفية وخاله الذي رباه ، ولو لم يكن من باعث على تحرير ترجمته وتركيزها على ما ذكرنا الا تجنب التناقض بين ما جاء في اولها من انه صوفي سني وما تستلزمه تلك الاقوال من الابتداع ومخالفة السنة ، لكان ذلك خليقا بصاحب المنجد . ولكن هل يدرك حضرته هذا ؟

261) في نفس الصفحة ع نى كلام على السعديين ملوك المغرب في القرن العاشر الهجري قال فيه : كانت عاصمتهم مدينة فاس ، وليس بصحيح على اطلاقه، والصحيح ان عاصمتهم مراكش ، وقال ان ءاخرهم هو محمد شيخ الاصغر هكذا بتجريد شيخ من اداة التعريف ، الامر الذي يقتضي اضافته الى الاصغر والصواب محمد الشيخ الاصغر

262) في ص 254 ، ع نى تراجم لافراد من ءال سعود ملوك نجد والحجاز وللمعبر ابي السعود وسواهم، ضبط اسماءهم جميعا بفتح السين ، اما ءال سعود فما ضبطهم الاستاذ الزركلي في الاعلام الا بالفتح وهو اعرف بهم.واما ابو السعود فهو بالضم ايضا على المعروف والمنطوق به بين العلماء

263) في ص 256 ، ع ل كتب اسم مدينة صفرو بالسين وهو من خطا الترجمة

264) وفي نفس المكان كلمة عن ابي سفيان بن حرب قال فيها : « عادى النبي وحاربه في بدر واحد » وابو سفيان لم يحضر غزوة بدر كما هو معروف اذ كان من اصحاب العير لا من اصحاب النفير ، ثم قال : « وقاد جناحا من الجيش الكبير الذي زحف لحصار المدينة في وقعة موءتة » وهذا خطا واضح فموءتة ليست بالمدينة

حجة الإسلام
في إحياء [redacted]

للشيخ محمد الفاضل بن عاشور
عميد كلية الشريعة واصول الدين - تونس

وقلما ابصرت عيناك ذا لقب
الا ومعناه ان فكرت فى لقبه

ذلك هو البيت السائر ، الذي لم يكن يجد له من مصدق حقيقي اكمل مما وجد فى الغزالي وكتابه . فان النظر فى الاثر الذي احدثه الغزالي بعلمه وقلمه، ومقدار ما استمد من واقع التطور الاسلامي فى الاربعة القرون والنصف التي سبقت ميلاده ، ومقدار ما أحدث من اثر فى التسعة القرون التي اتت بعد وفاته الى اليوم، ليمكن له الحق كل الحق فى أن ينعت « بحجة الاسلام » .

وان النظر فى ذلك الاثر المتولد من قلم الغزالي وعلمه ، المتناول ما تباعد من العلوم المتصلة بالاسلام تناول التقريب والتأليف ، حتى أخرج من مجموعها مدارك عائدة على جميعها ، تبصر بالغايات ، وتكشف عن اسرار الحياة ، لحقيق ، بان توصف العلوم قبله كما لمح الى ذلك بكونها « مواتا » وان يعتبر ذلك الاثر « احياء لعلوم الدين » .

فان من يتصور مقام الحكمة الاسلامية التي ابتدات بنشأة علم الكلام ، واكتملت بالدور الذي بلغه علم الكلام على يد الامام الاشعري ليوقن بان تلك الحكمة أصبحت من مجموعة عناصر الثقافة الاسلامية ، بمنزلة الحكمة العليااو حكمة الحكم،ولكنها بقيت معلقة مبتوتة، تطلب ان تتناول مواضيع النظر الذي دعا اليه الاسلام، وهي مواضيع الفكر الانساني عامة ، لتتخذ لها منها متصرفا ، وتعطيها من نفسها مستندا . فكان العمل الذي تقدم اليه اتباع الاشعري : من امثال ابي بكر الباقلاني وامام الحرمين ، عمل ايتاء تلك الحكمة متصرفها ، فى علم الاسلام بالمعنى الاخص : وهو علم الفقه ، واسناده الى الحكمة العليا بما ادرجوا عليه النظر فى احكام الدين من الجسر الواصل بين علم الكلام وعلم الفقه : اعني علم اصول الفقه على وضعه الجديد الذي وضع عليه فى كتب القاضي وامام الحرمين .

وبقدر ما قرب ذلك ما بين علم الفقه وعلم الكلام، والف بين الفقهاء والمتكلمين ، فانه قد باعد بين علم الفقه وبين العلوم الاسلامية الاخرى ، التي لم تصل حبلها بعلم الكلام ، وكاد ان يحيد بعلم الكلام عن الغاية التي نشأ من اجلها ، وهي غاية اقامة حكمة عقلية جديدة : تقوم مناهج الحكمة العامة التي جمعت الثقافة الاسلامية اطرافها من الغرب والشرق .

فما كان الاسلام ليتخذ من الحكمة القديمة آلة له ولا ليعطيها آلة من نفسه ، وهو الذي جاء مصلحا لخطاها ، ومهيمنا عليها .

ولقد نقل المسلمون الحكمة فى بغداد ، وجمعوا من فنونها ، ومذاهبها ، وانحائها ، ما لم يجتمع لها من قبل، ولخصوها ، وهذبوها ، واحسنوا سبكها ، وجودوا تصنيفها ، فلم يلبغوا بكل ذلك ما يقتضيه طبع الكيان الحكمي للاسلام ، ولم يزيدوا النظر فى الاسلام بضوئها، الا اضطرابا وغشاوة على غشاوة .

وكما أحدث المتكلمون فى الاسلام ، حين ارادوا توجيهه بالحكمة المستعارة ، ازمة فى التفكير الاسلامي ، فان المتكلمين فى الحكمة ، حين ارادوا توجيهها بالاسلام، وتعريبها بعباراته قد احدثوا ازمة أخرى .

فالكندي والفارابي ، واخوان الصفا ، وابن سيناء ما منهم الا من حام بحكمته حول الدين واسراره، وكشف فى الدين ما لم يكن يعرف ، واتى الى الحكمة بما لم يكن معهودا ، فما اعتبر ذلك فى نظر الحكماء الا عبثا بالحكمة ، وفى نظر ايمة الدين الا تطفلا عليه وذلك اقل ما وصف به هذا العمل من شر .

العلم : الموطأ ، ثم قال ومسلم والنسائي ، وكتاب مسلم يعرف ايضا بالصحيح لا غير

272) وفي ع ن من هذه الصفحة تعريف بالشيخ سالم السنهوري يدل على ان المؤلف لا يفرق بينه وبين سالم بن محمد ، الذي ترجم له في هذا الحرف بدون نسب ونبهنا سابقا على انه هو السنهوري

273) في ص 267 ، ع ل ترجمة لسهل بن هارون الكاتب المعروف قال فيها من مؤلفاته ثعلة وعفرى على نسق كليلة ودمنة وهي ثعلة وعفرة

274) في ص 269 ، ع ل تحت ترجمة احمد سودة المري ضبط المري بكسر الميم وهو بضمها نسبة الى مرة بن كعب بن لؤي ، من بطون قريش وهي بضم الميم، وقال ان له بغية الادباء الاكياس في معرفة قسمة وادي فاس ، والذي له هذا لكتاب هو العابد ابن سودة ولد احمد فليصحح

275) وفي نفس الصفحة ، ع نى بترجمة السوس قال مدينة ومرفأ في تونس ، وهي سوسة لا سوس

276) في ص 271، ع نى ذكر سوق اهراس من مدن الجزائر فسماها سوق اخرس بالخاء وهو خطأ في الترجمة .

277 في ص 274 ، ع نى اعادة ترجمة عبد الحكيم السيالكوتي على الصواب في نسبه ، ويظهر انه لم يفرق بينه وبين من سماه بالسالكوتي فيما سبق ، وقلنا انه تحرف عليه من السيالكوتي ، بدليل ان ما ذكره له ثم من التاليف لم يعد ذكره هنا ، وانما ذكر ما نبهنا في التصحيح المتقدم على انه اهمله مع كونه اهم مؤلفاته

278) في ص 276 ، ع ل ترجمة لسيبويه امام النحاة قال فيها انه بشر عمرو بن عثمان ـ والصواب ابو بشر ابن عمرو بن عثمان

279) وفي نفس الصفحة ع نى ذكر مدينة بلعباس الجزائرية فسماها سيدي بن العباس والصواب ما ذكرنا

280) في ص 280 ، ع ل ترجمة للسيد « الكومبدور » المتزعم الاسباني المشهور ضبط فيها لقبه السيد بفتح السين وتشديد الياء على انه من السيادة مفرد سادة ، وليس بصحيح بل هو بكسر السين وسكون الياء لا غير ، وفي الاندلس جاء هذا اللفظ حتى في القاب المسلمين كابن السيد البطليوس فليعرف

281) وفيها ع نى ترجمة سيد الناس اليعمري عنون لها هكذا : سيد ابن الناس الاندلسي العربي فخلط اسمه خليطا لا نظير له

282) وفي هذا المكان ايضا ذكر ابن سيده اللغوي الاندلسي الشهير فضبط اسمه بفتح السين وتشديد الياء المكسورة على انه مفرد سيدات وليس كذلك بل هو بكسر السين وسكون الياء ثم دال بعدها هاء

طنجة : عبد الله كنون

وكذلك كان شأن المذاهب الفقهية فى ما بين بعضها وبعض .

فالمذهب العراقي ، وهو المذهب الحنفي ، كانت قد نشأت الى جنبه فى بغداد مذاهب تختلف اصولها عن اصوله . فقامت المناظرات الفقهية ، والمراجعات والمجادلات ، بين الحنيفية والشافعية ثم امتدت فى العراق العجمي واستمرت الى خراسان متقدمة الى بلاد ما وراء النهر .

وكانت روح من التعصب قد نفخت فى تلك المناظرات العلمية ، التي نشأت طاهرة زكية فى بغداد، فقلبتها الى جدل ، لا يسير نحو طلب الحقيقة والانصاف فيها ، بل نحو فرض المذاهب بالاعتساف فكادت ان تقوم بين السنيين ، فيما بينبعضهم وبعض، الفتن التي قامت بينهم وبين المعتزلة وظهرت بينهم المنافرات التي اصابت حركة علم الفقه ، فى القرن الرابع ، ولاسيما عند بعض المذاهب بضيق خانق ، اذ ان مجامع الجدل ، ومجالس المناظرة ، وابهاء القصور الملكية ، وفساطيط المعسكرات حرصا على اكتساب الجماهير والملوك كانت قد صرفتهم عما كان الفقه سائرا نحوه من قبل من اتساع فى النظر ، وعمق فى البحث ، وتلاقح بين المذاهب ، بمقابلة الاصول ، ومقايسة الفروع ، ولم يكن أقل من ذلك ما قام بين الصوفية والمحدثين ، والحكماء والمتكلمين ، مما عرض مدينة نيسابور فى القرن الخامس الى فتنة عظيمة كانت سببا فى جلاء كثير من اعلامها عنها ، حتى قرت عجاجة تلك الفتنة فى عهد الب ارسلان منتصف القرن الخامس ، فعاود مدينة نيسابور الذين هجروها من ابنائها وعلى راسهم امام الحرمين عبد الملك الجويني .

وانشئت المدرسة النظامية بنيسابور ، وقام امام الحرمين على راسها ، وانتشرت المدارس الفرعية فى ما وراء النهر وخراسان والعراق العجمي ، وغلبت عظمة امام الحرمين ، واستد به ساعد الاشاعرة ، واصبحت الحكمة الكلامية الاشعرية محورا لفنون الثقافة الاسلامية على المنهج الذيخططه امام الحرمين فى المدرسة النظامية بنيسابور ، وسارت عليه المدارس الصغرى فى بلاد خراسان وغيرها . وبنيت عليه المدرسة النظامية ايضا ببغداد دار الخلافة . ولكن الروح الجدلية والضيق التعصبي ، لم يزالا مسيطرين فى ذلك المنهج بحكم الظروف القاسية التي تولدت منها فكرة ذلك المنهج ، ومقاصد الحماية وتمكين المنعة لحركة العقلية الدينية التي خطط المنهج سيرها وتقدمها .

وفى مدينة طوس الشهيرة فى التاريخ ، التي تسمى اليوم مدينة « مشهد » ، وكانت قد دخلت فى محيط الاشعاع الفكري لمدينة نيسابور ولد فى منتصف القرن الخامس تماما — سنة اربعمائة وخمسين — حجة الاسلام الامام ابو حامد محمد بن محمد الغزالي، فى بيت خير وفقر ، وكان والده الامي يتمنى أن ينشأ ولده عارفا بالقراءة والكتابة خارجا عن ربقة الامية المطبقة ، فتوفي وتركه صغيرا ، واقبل أبو حامد تحقيقا لرغبة ابيه على مدارس العلم بطوس ، ثم بجرجان ، ثم عاد الى طوس ومن هنالك خرج فى طائفة من اقرانه : شبان طوس ، قاصدين نيسابور تجذبهم اليها سمعة امام الحرمين والمدرسة النظامية . وهنالك ، فى نيسابور اتم الغزالي تخرجه فى الفقه والاصول والكلام والمنطق والفلسفة ، وتشرب علم امام الحرمين وطريقته ، وظهرت قواه الروحية والعقلية والبيانية ، ففاق فى الخطابة والتدريس والمناظرة ، واشتهر بالمعرفة الواسعة ، والفكر الوقاد ، والقلم السيال ، والفصاحة السحبانية ، والتمكن من اللغتين العربية والفارسية حتى كأنه «البحر المغدق» كما عبر عنه استاذه امام الحرمين . فكان هذا الجمع العجيب من المواهب ، والمزاج البدبع من الفنون والمعارف ، مبدأ التناكر بينه وبين الدنيا التي حوله ، وخاصة من الاقران والاساتيذ ، فكلما لمح فيه انسان من المتصلين به فى شبابه نزعة الى طريقة ، او سيرا على منهج ، ظن انه عرفه وضبط ملكته فاذا هو يفجأه بلمحة معاكسة تلوح بطريقة اخرى وملكة غير الملكة التي تفرسها فيه أولا ، فشخص الناظر اليه محتارا فيه ، وشخص هو محتارا منقبضا من شخص الناظر اليه وهكذا لم يلبث الغزالي ان اصبح سرا مكنونا وسؤالا دائما مترددا يجيش فى الصدور فلا يشفي غليلها جواب عنه كما قال ابو الطيب .

يقولون لي من انت ؟ فى كل بلدة
وما تبتغي ؟ ما ابتغي جل ان يسما

ولعل فى هذا ما يبين لنا حقيقة التطور الذي تطورت به علاقة الغزالي باستاذه امام الحرمين : فان كثيرا من مترجميه ينقلون فى احتراز ان امام الحرمين فى آخر الامر ربما كان يمتعض من الغزالي ، على شدة اعجابه به وعظيم افتخاره . ولسنا ممن يحمل هذا الامتعاض — اذا صح — محمل الامر العاديالسخيف، بل ان نستطيع ان نرجعه الى امر ذي شأن خطير فى حياة كل من الامامين العظيمين يرجع الى أن للغزالي وراء المنهج الذي تتبع فيه امام الحرمين روحا تأخذ

فان ابا حيان التوحيدي يقول فى شأن اخـــوان الصفا : « صنفوا خمسين رسـالة فى جميع اجـــزاء الفلسفـــة علميها وعمليهـــا ، وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية ، والامثال الشرعية ، والحـــروف المحتملة ، والطرق الموهة ، وقد رايت جملة منها وهي مبثوثة فى كل فن بلا اشباع ولا كفاية ، وفيها خرافات وكنايات ، وتلفيقات ، وتلزيقات ، وحملت جملة منها الى شيخنا ابي سليمان المنطقي ، وعرضتها عليه فنظر فيها اياما ، وتبحرها طويلا ، ثم ردها علي وقال : تعبوا وما اغنوا ، ونصبوا وما أجدوا ، وحاموا وما وردوا ، وغنوا فما اطربوا » .

هكذا تتمثل خيبة المحاولة التي أكد بها اخـــوان الصفا انفسهم ، فى شهادة شاهد من الاقربين اليهم ، فما الظن بها عند البعداء عنهم من أهل الدين مثل الامام المازري الذي قال فى تلك الرسائل متهما : « ان مصنفها مزج بين علم الشرع وعلم العقل ، وذكر الفلسفـــة ، ليحسنها فى قلوب اهل الشرع بابيات يتلوها عندهـــا واحاديث يذكرها .

وهل من اسراف ، فى تجاهل الحكمة الاسلامية ومنزلتها من عموم المعرفة ، اكثر من الذي اخذ به نفسه المعلم الثاني ، ابو نصر الفارابي ، فى كتاب « احصـــاء العلوم » على ما اجاد فى ابتكاره وتصنيفه اذ انزل علم الكلام فضلا عن علم الفقه الى منزلة العلم المدنـــي ففصلهما بتاتا عن كل صلة بالحكمة العقلية .

وحاول ابن سيناء بعده أن يرتق هذا الفتق .

فقسم الحكمة الى نظري غايته الحق ، وعملـــي غايته الخير ، ووضع علم الكلام فى النظري المحض مثل علم الهيأة ، ووضع علم الفقه فى العملي المحض مثـــل سياسة المنزل وسياسة المدينة .

ولقد كان ابن سيناء اطول هؤلاء باعا واوغلهـــم سيرا فى تصنيف المعارف الدينية من عموم المعـــارف الحكمية ورد أصول العقائد الى الفلسفة حتى « تم له ما لم يتم لغيره » كما قال الامام المازري . ومع ذلك لـــم تنته به خطاه الى طائل يقنعه ولا حصلت له حركتـــه محصلا يعول عليه حتى كانت الازمة اشد وطأة عليه من كل احد ، اذ لم تنتج له حكمته فى نهايتها الا الحيرة المريرة التي وصفها بقوله :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلهـــا
وسرحت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائـــر
على ذقن أو قارعا سن نادم

ولعل فى هذين البيتين ابلغ ناطق بان الحكماء منذ اعتقدوا أن الحكمة اليونانية ، تجتمع مع الحكمـــة الاسلامية ، على ما هي عليها ، وتشرحها وتوجهها ، ما حصلوا من ذلك على طائل منذ انتجت لهم التجربة : ان احدى الحكمتين اما ان تصلح الاخرى واما أن تغني عنها فاحتاروا فى الاخذ باحد المنهجين ، ووقفـــوا فى حيرتهم واجمين ، حتى انفتح منهج الحق المبيـــن ، بمصحح الفلسفة ومحيي علوم الدين .

لما ضربت الثقافة الاسلامية قبتها ، واقامت عمادها فى بغداد ، مدت أروقتها يمنا وشمالا ، وضربت أطنابها مترامية بين المشرق والمغرب . فتكونت فى ظل تلـــك الاروقة الوارفة ، أوتاد راسية بين العماد المركزي وبين مضارب الاطناب القاصية : أوتاد تعين العماد المركزي وتسانده فتحمل الاروقة فى امتدادها ، مجددة لها نقطة الارتكاز ، حتى لا تثقل ، بطول ما بين أصلها وطرفها ، فتتدلى حتى تقع على الارض .

كانت هذه الاوتاد هي عواصم الثقافة الاسلامية الكبرى : من حلب ، ودمشق ، ومصر ، والقيروان ، وتلمسان ، وفاس ، وسبتة ، وقرطبة ، تحت الرواق الغربي ، وهمذان ، واصبهان ، وشيراز ، ونيسابور ، وهراة ، وبخارى ، وسمرقند ، تحت الرواق الشرقي .

وكانت المذاهب والفرق والنحل ، التي نشأت فى بغداد أو آوت اليها ، قد انتشرت تحت تلك الاروقة : متزاحمة ، متصارعة ، متسابقة ، فى سبيل البحـــث عن المتسع الحيوي .

فتحت الرواق الشرقي ، فى طرف الهضبـــة الايرانية المشرف على سهول آسيا الوسطى ، قطر خراسان ، قامت مدينة نيسابور ، وتدا ثابتا فى منعطف ذي شأن ، هو منتهى العالم الايراني ، ومبتدأ العالم الطوراني . فاحتضنت بين اسوارها الآجرية ، من كل ما فى بغداد من خصائص فكرية وروحية بمثل أو قريب من الغليان الذي كانت تجيش به بغداد .

فالشيعة العلوية قد كانت لها بلاد خراســـان وطنا أصليا ، وقلعة حامية ، والمعتزلة كانوا قد التحقوا بها يضايقونها بسطوة العصبية العباسية ، والاشاعرة بعد أن اصطدموا بالفريقين معا فى بغداد ، وتصارعوا واياهم طويلا ، قد تتبعوهم الى خراسان ، يريدون أن يثأروا لانفسهم منهم ، بعد أن ردوا عن أنفسهم كيد الفتنة الكبرى ، بملك السلطان السلجوقي البارسلان ووزارة نظام الملك .

لك هو الفقه عندهم وذلك هو المراد من الفقيه .

ومن هنالك نشأ ما بين الغزالي وبين بيئته من التنابي والتجافي ، تنابيا وتجافيا ناشئين من صورة العمل العلمي وشكل تصريفه لا من جوهر العلم ومباني هيكله .

وكذلك كان الغزالي يرى فى امام الحرمين كنز تلك المعارف ومنبعها ، ويرى امام الحرمين فى الغزالي وارث تلك العلوم ومستودعها ، ولكن هذا يرى فى ذاك متصرفا بها غير وجيه ، والاخر ينظر الى ذلك نظرة الى من اخذ الجوهر النفيس ولكنه لم ياخذ طريقة صياغته .

وتوفى امام الحرمين ، فأصبح الغزالي ، من اتباعه ومريديه وشيعته وانصاره ، بالمنزلة التي كانت لامام الحرمين ، ولكن النبوة لم تزل ظاهرة بينهم وبينه، بل لم تزل نامية زائدة ، وكانهم اصبحوا امامه جامدين ينتظرون منه ان يحركهم ، واصبح امامهم حائرا لا يدري لم لا يتحركون فاذا هو يهجر الدرس والوعظ ويترك المتعلمين والمستفيدين ويفر مقبلا على السياحة والخلوة والعزة وهو ينشد :

غزلت لهم غزلا دقيقا فلم أجد

لغزلي نساجا فكسرت مغزلي

وهنالك فى تلك الخلوة برحاب بيت الله الحرام وعند حرم نبيه عليه الصلاة والسلام وبين دمشق وبيت المقدس ومصر واسكندرية ، قضى الغزالي سنين خلص فيها الى نفسه ، وانس بعلمه ، يطلب — كما قال فى كتابه المنقذ من الضلال — تزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلوب ، وانبثقت انوار تلك الحالة الطاهرة فى نفسه ، فاذا هو يتبين فى العلم الذي كان معه من قديم وجها لم يكن عرفه من قبل هو الوجه الذي اقبل عليه محدثا بان العلم ليس محمودا على الاطلاق وان المحمود من العلم له قدر محدود ووضع وصرف فى غايات طاهرة ، وان العلم المذموم انما يذم فى حق بعض المشتغلين به بملابسات خاصة بهم تجعل العلم عائدا عليهم بالضرر فهي مذمة راجعة الى الاعراض الوضعية ، لا الى الذات الجوهرية . ولذلك فان الناس تصرفوا فى الفاظ الفقه ، والعلم ، والحكمة ، والتوحيد ، والذكر ، والتذكير ، تصرفا صور لهم معاني هذه الالفاظ على غير حقائقها فطلبو منها الزائف ، وخلطوه بالصحيح النقي ، ثم تجاوزوا فى التصرف بذلك المجموع المختلط الحد المطلوب وصرفوه فى أوجه من طلب غير الحق والاستجابة الى المقاصد غير الطاهرة فأصبح الجوهر النقي ، فى اختلاطه بالزائف ، وفى الذهول عن ادراك قيمته ، وفى تبذيره على غير وجه الاقتصاد والرشاد ، مضرا بأصحابه موقعا اياهم فى مهاوي الخسار ، مع أن نفاسة تلك الجواهر لا تنكر لكنها تتوقف على من يدرك قيمتها ، ويعرف حقها ويفصلها عن الزيوف والبهارج ، ويعرف اين يضعها وكيف يتصرف بها . ولقد كان ذلك الجوهر النفيس الذي عرفه الغزالي وآمن بنفاسته : هو الكنز الذي استودعه اياه امام الحرمين من العلوم الشرعية لكنه ينبغي أن يصان عما قد يلتبس به مما يظن انه شرعي وهو فى الواقع غير شرعي ، ثم ينبغي أن يصان عن آفات المناظرة التي كانت قوادح تنخر فى تلك الجواهر . وكل ذلك يقضي على حامل هذا الكنز بأن يصون نفسه عن ان يكون له وزرا وعليه وقرا . فاذا كان حملة الامانة العلمية اقساما فان الكنز المكنون يقول لصاحبه : انظر من أي الاقسام انت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له فلا تظنن ان الله يقبل غيرالخالص لوجههمن العلم والعمل.

وعلى ذلك اقبل حجة الاسلام على الامانة يحميها ويخلصها ويرد عليها نقاءها وصفاءها . فعاد الى بغداد ثم الى نيسابور ، وآخر عام من القرن الخامس ، ليقضي الخمس سنين الاخيرة من حياته فى نشر العلم على غير النحو الذي كان ينشره عليه أولا ، وللغاية الطاهرة التي اطمأن الى أن نشر العلم لا يحمد الا اذا توجه اليها.

كان القرن الخامس قرن الانتاج الخصب ، والتحقيق العميق ، والبحث الواسع ، والتحرير البديع، فى العلوم الاصلية للثقافة الاسلامية : الفقه ، وأصول الفقه ، والتفسير ، والحديث ، والكلام والتصوف . وكان المبرز فى كل فن من هذه الفنون ، قد أخذ فنه باصلاح منهجي: اخرجه به منطريقةكان سائراعليها، الى طريقة جديدة يرى ذلك المبرز ويرى الناس : انها الطريقة الاقوم والاسع والاوضح . كان ذلك واضحا فى فقه القدوري والحلواني والسرخسي من الحنفية ، وعبد الوهاب والباجي واللخمي من المالكية ، والماوردي وابي شجاع وابي اسحاق الشيرازي من الشافعية ، وفى كتاب البرهان لامام الحرمين فى أصول الفقه ، وكتاب الارشاد لامام الحرمين ايضا فى علم الكلام ، والتفسير لامام الحرمين نفسه ، وسنن البيهقي ، ورسالة القشيري .

وكان الغزالي قد نشأ نشأته العلمية متمرسا بهذه الآثار قيما عليها وعلى أمثالها شهيدا على ما زخرت به مدرستاه النظاميتان : بنيسابور وببغداد ، من علوم ضمنتهذه الكتب وأمثالها وفاضت فى مجالس الدروس،

المعرفة وتتذوقها على ما يختلف عن اخذ امام الحرمين لها ، وتذوقه اياها ، فهلا يكون بروحه تلك قد تطلع الى غايات من العلوم ومقاصد من النظر والبحث على غير ما كان يتطلع اليه استاذه . فكان مع ما بينهما من ود واعجاب كلما بدرت لامام الحرمين بادرة من البوادر الغزالية بهت من ماهيتها وغايتها ، فامتعض لتلك البهتة ، واشفق على جواهر علومه الغالية من ان تصرف فى غاية لما يتبين له اعبث هي ام حكمة . وكان من وثوق الغزالي بنفسه ما يثبت به جامدا امام ذلك الامتعاض حتى يدرك الناس ان بينهما شيئا يذهبون فى تاويله كل مذهب ، وما هم بمدركين حقيقته الا بان يكشف عنها الغزالي بنفسه .

ان من يقرأ لامام الحرمين قوله : انه يجب على كافة العاقلين ، وعامة المسلمين شرقا وغربا بعدا وقربا ، انتحال مذهب الشافعي . ويجب على العوام الطغام ، والجهال الانذال ، ايضا انتحال مذهبه بحيث لا يبغون عنه حولا ولا يريدون به بدلا . ثم يزيد فيقرأ للامام الجويني ايضا قوله : « كان الشافعي من قريش وقال النبي صلى الله عليه وسلم : قدموا قريشا ولا تقدموها وقال عليه الصلاة والسلام الايمة من قريش » فهذه كلها شهادات عامة تدل على أن اتباع مذهبه أولى من اتباع غيره وغيره نبطي والشافعي عربي فضلا عن أن يكون قرشيا من قريش : ثم يزيد تقدما فى الكتاب الذي سماه امام الحرمين « مغيث الخلق فى ترجيح القول الحق » حتى ينتهي الى اعجابه واستحسانه ما فعل القفال المروزي فى مجلس السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي من أداء صلاتين على صورة مقبولة وصورة نابية لاجل حمل السلطان على المذهب الدي يريد حمله عليه . من وقف على ذلك ادرك اي نزعة من العصبية والتعسف استولت على طائفة من فقهاء ذلك الدور فدفعت بهم الى فتح باب الجدل والمناظرة ترويجا للمذاهب لدى الملوك والسلاطين ، وتمكينا لها بين الجماهير ، بطرائق من الخطابة والاقناع ، تنتهي الى ان يغض النظر عنليم مثل امام الحرمين عن سخافة مثل تلك التي اتاها فى مجلس السلطان من اتخذ آيات الله هزؤا .

تلك ازمة أصيب بها الفقه فتضاءل لها نتاجه ، وانحرف مزاجه ، بحيث كادت الآثار الفقهية أن تنحصر فى المجادلة الذاهبة بذهاب مجالسها .

فى غمار تلك الامواج الصاخبة ، نشأ الغزالي فقيها شافعيا ، وفى تلك العاصفة بدت ثمرته فى بستان امام الحرمين .

ومهما قيل فى الغزالي من اختلاف فى نسبته الى مختلف فنونه : هل كان متكلما ، أو اصوليا ، او متصوفا ، أو فيلسوفا ، فانه كان فوق ذلك كله محكما فى النصاب الاصلي الذي وضعت فيه نشأته الاساسية وهو نصاب الفقه الشافعي . فمن تلك الصفة — صفة فقيه شافعي — تولدت للغزالي شخصيته الواسعة التي مست مختلف الفنون حتى جرت الناس فى توزيع شخصيته ما بينها ، وذلك التوزع الذي تفنن بعبقرية الغزالي فوصل بينها وبين كل ناحية من نواحي الثقافة الاسلامية ، وكون منه علما من اعلام تلك الناحية ، هو التوزع الذي كون من الغزالي الاصولي الاعظم فى كتاب المستصفى ، والمتكلم الحكيم فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ، والصوفي الاول فى كتاب احياء علوم الدين ، والفيلسوف المبدع فى كتاب تهافت الفلاسفة ، وما كانت هذه الشخصيات المتكاثرة المتوالدة للغزالي الا مواليد شخصيته الاصلية : شخصية الفقيه الشافعي ، صاحب البسيط والوسيط والوجيز ، وتلميذ امام الحرمين وابي شجاع ، والقيم على مصنفيهماالفقهيين: نهاية المطلب لامام الحرمين ، وغاية التقريب لابي شجاع .

كان الغزالي قد تناول الفقه موسعا ، مذللا ، مدروسا ، متقن العرض ، محكم التصنيف ، فتغذى به حتى تقومت قواه العقلية ، وهضمه حتى نبضت به عروقه ، واشتدت به مفاصله ، فوجدت ملكاته العقلية فى قواه الخطابية والتدريسية والقلمية متصرفا ونعم المتصرف .

واقبل على الناس من حياة استاذه امام الحرمين يفيض بتصرفه فى ملكاته وقواه ، تعليما ، ووعظا وحكمة بليغة ، وادراكا شيقا ، فلم يكن ذلك يشفي غليل الناس الذين يستمعون اليه متلقين ، ولا يقراعين الذين يلاحظونه مشرفين ، لان الغاية التي اصبح الفقه مستخدما فيها قبل الغزالى بنحو من القرنين كانت غير الغاية التي يتجه اليها الغزالي . فاين براعة المناظرة ، واين قوة الجدل ، واين نصر المذهب الفقهي وهو يصرع مذهبا فقهيا آخر . ذلك ما اعتاد الفقهاء أن يبرزوا فيه مواهبهم ، وذلك ما اعتاد الناس أن يمنحوا الفقهاء اعجابهم واكبارهم من اجله .

ثم مجالس القضاء التي يتصدر الفقهاء فيها مستشارين ومفتين ، فيبدون من الذكاء ، وحسن البصر بالنوازل ، والاغراب فى تطبيق النصوص الفقهية عليها ، ما يرفع منزلتهم بين القضاة والمتقاضين ويمكن لهم من حقوق السيادة ما للرعاة على رعاياهم

الكتاب اسكته بضلاعته فى علم آخر حتى يقف صاحب العلم المضنون أنه أسكت بضلاعته فيه فيكشف على ان موقفه من علمه كموقفه من علم الآخر .

اما الخيام فانها كخيامهـــــم

وارى نساء الحي غير نسائـــه

وسرعان ما التهمت بذلك نار حرب ضروس ، بين صاحب الاحياء وبين طوائف متحزبة من الفقهـــــاء والمحدثين والمتكلمين والصوفية جاسوا بانظارهم خلال الاحياء ، وتتبعوا مراجع كلامه ، ومرامي أغراضه فتبين لكل طائفة انه يأخذ من طائفة اخرى ما لاجله اختلفت عنها وجفتها ، فيدخله فى العلم الذي هو بصدد الخوض فيه ، ويلزم اهله بتسليمه ، مدعيا أنه الذي لا يتضح قصد الحق فى ذلك العلم الا بملاحظة ما استعاره له من العلم الآخر .

ولما كانت لكل علم أصول ومبادىء وقواعـــد ، تقررت ورسخت وبني هيكل العلم عليها ، فان هذه المحاولة الجديدة التي مست بالاصول ، وخالفت المبادىء وزعزعت القواعد ، قد أوشكت ان تنقض هيكل العلم ، وان بعد الاخطاء والاغاليـــط التي ما وضع ذلـــــك العلم الا للعصمة منها ، وتقويمها ، فاذا السواعـــد لذلك تسند ، والحركة تشتد ، والهجمة تندفع زاحفة على كتاب الغزالي من بين اهل المذاهب السنية ، كما تزحف لهجات الانكار فى كل عصر من عصور التاريخ على المحاولات التي تتجه الى البحث فى مسلمات ، ونقـــض مشهورات ، هجمات يكون للحق فيها شياع بين جانب الهاجمين وجانب المهجوم عليه اذ يكون المهجوم عليه قد اجرى من الاختيارات الذاتية ، والمباحث الفردية ، مــــا يقرب لنظره شيئا بعد عن انظار الآخرين الذين لـــــم يشتركوا معه فى اختباراته التمهيدية ، وبحوثه الاولى .

ولما كانت الملابسات ، التي لابست أوضاع العلم فانكره الغزالي وانبرى لاجلها يقوم العلم بطريقتـــــه الجديدة ، ملابسات شرقية شاعت فى الاوطان التـــــي مارس فيها الغزالي الحياة الفكرية بالبلاد العربيـــــة والبلاد الاعجمية ، وبهذه الاخيرة على الوجه الاخص ، وكان المغرب العربي مختلفا عن المشرق فىتلك الملابسات فقد كان من الواضح أن يكون الانكار على هذا الكتاب وجفوته ، والازورار عنه أمورا متجلية فى البلاد المغربية بأكثر مما هي فى البلاد الشرقية وأن تكون قيادة الهجمة على الاحياء ، ومقدمتها مغربيتين .

فقد كان يصل بين ايمة الاسلام بالمشرق وايمته فى المغرب ، فى ذلك الطور ، نابغ عبقري حلق فى الافقين بجناحي العلم والذكاء : هو الامام الشهير القاضي أبو بكر ابن العربي ، وكان قد عرف الغزالي واحبه وتتلمذ له وانطوى على حسن الوفاء بعهده ، كما تتلمذ عند عودته الى المغرب على قطبي دائرة العلم به بين افريقيـــــة والاندلس وهما الامام ابوعبد الله المازري ، والقاضي ابو الفضل عياض ، فكان بهذه الصلة المزدوجة وبما عرف منه الفقيهان المغربيان من نزعات تأثر فيها بالغزالي قد مكن لهما بمراجعته والبحث معه من أن يتعرفا الـــى مناهج الغزالي وافكاره ، ومكن لنفسه من أن يعرض ما تأثر به من استاذه ابي حامد الذي يسميه « ذا نشمند » على اختبار وفحص جديدين حملاه على أن يثبت علـــى بعض ذلك وان يتحلل من بعضه ، ثم على أن يلاحظ ما بين المناهج التي طاف الغزالي فيها من تناقض يجعـــل المتقلب بالغزالي فى احدها منقطعا عنه فى الآخر فكان يقول : « نحن وان كنا قطرة فى بحره فانا لا نرد عليه الا بقوله فسبحان من اكمل شيخنا هذا بفواضل الخلائق ثم صرف به عن هذه الواضحة من الطرائق » .

وهكذا حملت جميع النزعات المنكرة على الغزالي عنه هؤلاء على كتاب احياء علوم الدين من بين كتبه كلها وشن المازري وعياض وابن العربي ومن التحق بهـــم غارته على ذلك الكتاب .

وانه لجسر رفيع ، ثابت القواعد ، متين المباني ، ذلك الذي وصل بين قطبي الثقافة الاسلامية بالمشـــرق والمغرب : اواخر القرن الخامس ، واوائل القـــــرن السادس ، فى شخص القاضي ابي بكر ابن العربـــــي الاشبيلي ، الذي تخرج بالمشرق ، ولقي الامام الغزالي، واختص به ، واحبه ، واكبره ، ووفى له بعهد الصحبة والمحبة ، ورعى له منزلة الجلالة ، ومقام الشيخوخة ، على ما انكر عليه ، من جهة اخرى ، مقالات له ترجع الى نظرية المعرفة: اتصلت بمذاهب الباطنية والاشراقيين من طريق غلاة الصوفية ، هي التي كانت مجلبة الانكار الشديد ، والهجوم العنيف اللذين تناولا الغزالي ببلاد الاندلس والمغرب وقضيا قضاءهما على كتاب الاحياء .

كان ابن العربي قد عرف كتاب الاحياء عن ثقـــة وبينة اذ كان قد سمعه من الغزالي مشافهة ببغداد ، سنة اربعمائة وتسعين ، وكان حكمه عليه حكـــم تمحيص وانصاف ، كحكمه على الغزالي فى ذاته ، وعلى كتب الغزالي الاخرى ، غير كتاب الاحياء . كان يكبر ما قام به الغزالي فى تجديد الدين ، واحيائه ، والذود عنه ،

والتذكير ، والمناظرات . ولكنه لم يكد يبتعد عن تلك البيئة العلمية ويخلو الى نفسه فى طور العزلة ، حتى نظر الى تلك الانهار الجياشة من العلم والبحث فاذا هـي فى نظره مثل سيل العرم : اتت طاغية على جنتي البحث والتحصيل ، اللتين تكتنفان حياة العقل الاسلامـي ، فأبدلته بهما جنتين ذواتي اكل خمط وائل وشيء من سدر قليل ، كما وصف الله تعالى فى كتابه العزيز وقع سيل العرم فى أرض سبأ . فاذا الغزالي يتحرق على ما آلت اليه جنة العلوم من موات ، بعد ينعها وازدهارهـا ، ويزيد حرقته لوعة أن هذا الموات انما حدث من حيث اريد الخير ، وظن الخصب ، وتسبب عن صنيع الذين هم رعاة تلك الجنات ومتعهدو غراسها . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان مما ينبت الربيع لما يقتلحبطا أو يلم » .

كان امامنا ابو حامد يعتبر الاسلام ، باعتباره دين الله ، موجها الى مطالب اعتقادية وعملية مبدؤها روح الدين وغايتها روح الدين وان تلك المطالب ، الاعتقادية والعملية ، ارتبطت بمعارف واستدعـت مباحـث ، واقتضت تأصيل اصول وتفريع فروع ، وضبط معاقد . مما يرجع الى عموم نواحي المعرفة ، بما ينتظم فيها من علوم شرعية ، تستفاد من النبوءة ، وعلوم غير شرعية مما يرشد اليه العقل او التجربة أو السماع ، وانه اذا كان اتساع دائرة الثقافة الاسلامية على هذا النحو قد قرن الشرعي من المعارف بغير الشرعي ، فان الحقيقة الدينية ، والروح الاعتقادية اللذين خطت بهما تلـك الدائرة ، يجب أن يبقيا ملاك ادارتها وتصريفها ، بحيث تتمازج المعارف وتنتظم حركتها برجوع كل منها الـى ملاحظة الغاية التي من اجلها تقاربت فى تلك الدائرة ، فاذا فوتت هذا المرجع ، وانفرطت عن ذلك المعقد ، اتجه كل فن منها بدواعي العلائق الذاتية التي بينه وبين أصناف أخرى من المعارف الى استمداد قضايـا ، والاصطباغ بأساليب ، تفصل ما بينه وبين الفنـون المنتظمة معه فى دائرة الثقافة الاسلامية ، فصار لكل منها ، بذلك ، مادة لا تتجانس مع مواد الفنون الاخرى، واسلوب لا يتناسب مع اساليبها ، ففسد التوازن الذي قامت عليه حركة الدائرة وامتلكتها الفوضى والاضطراب حتى تعطلت او اوشكت ، فأصبح الفقه يبطل التصوف ، والتصوف يهدم السنة ، والكلام ينقض التفسيـر ، والحديث يعطل أصول الفقه . وكلما توفر الانتاج على تلك الصورة فى علم من العلوم كان قاضيا عليه بالعقم ، وعلى انتظام حركته مع غيره بالتعطيل ، ومن هنا تولدت فى نفس الغزالي للعلوم الاسلامية صورتان متباينتان : احداهما هي الحق والاخرى هي الرسم ، وأصبح اهل العلم عنده صنفين : صنف العلماء ، وصنف المترسمين وان الغاية المقصودة من حركة الثقافة الاسلامية انما هي البلوغ الى ذروة من المعرفة يقصر دون الانتهاء اليها المترسمون، ولا يستطيع أن يبلغها الا علماء الحق الذين لهم وراثة الانبياء وتلك الذروة هي التي سماها الله تعالى فى كتابه : فقها ، وحكمة ، وعلما ، وضياء ونورا ، وهداية ، ورشدا .

فكانت غلبة المترسمين ، وغيبة العلماء ، موقعه فى التصور عن تلك الذروة حتى أصبحت الحكمـة الموضوعة عليها المسماة بتلك الاسماء المترادفة نسيـا منسيا .

كان هذا الشعور هو الذي حل عن لسان حجـة الاسلام عقدة الصمت وطوقه عهدة الكلم ، فأقبل على تصنيف كتابه الذي توجه فيه الى احياء العلوم . مبتدئا بضبط حقيقة العلم وغايته ضبطا يتحكم فى تمييز الصحيح من السقيم ، والحميد من الذميم ، لما كانت تزخر به يومئذ بحار التدريس والتأليف ، ثم رتبه على الارباع الاربعة المشهورة : ربع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع المنجيات ، بحيث انه لم يـورد معلومات جديدة ولكنه رتب ترتيبا جديدا المعلومـات الرائجة بحل المعقد ، ونظم المفرق ، وايجاز المطول ، وحذف المكرر ، وتحقيق الغامض ، واخذ من كل فـن مكملا ضروريا للفن الآخر ، كان المترسمون فى كل فن غافلين عن تكميل هذا بالآخر منهما ، فقدم الى اصحاب كل فن فنه بصورة جديدة احتاروا: ايقبلونها ام ينكرونها لان من قال انها هي التي عندهم صدق ، ومن قال انها ليست التي عندهم لم يكذب .

طلع على الناس ، فى اواخر القرن الخامس، كتاب احياء علوم الدين للغزالي فكان كتابا عجبا ، ما تناوله عالم من العلماء . فى أي فن من الفنون ، الا وجد فيه علمه ، ورأى من خلاله نفسه ، فتشكك فى ما الفت به من قضايا علمه ، وانكر ما كان يعرف من نفسه ، فظن أن صاحب علم آخر لا يشككه كلام الغزالى فى علمه ، ولا يحمله على ان ينظر من نفسه ما عرف ، فـاذا الآخر يجد من الشك والانكار مثل ما وجد الاول ، وهكذا الثالث والرابع والخامس وهلم جرا .

فاذا هو تجاوب عام فى قضية ، ابتدات فردية فصارت اجماعية ، على ان هذا الكتاب لا ينسب الى علم من العلوم الاسلامية على الوجه الواضح فى النسبة الى تلك العلوم ، ولا يخيل الى صاحب علم ان مؤلفه

الاحاديث الواردة في كتاب الاحياء على كثرتها وتتبعها تتبعا متقنا الحافظ زين الدين العراقي في القرن الثامن فتتبعها بابا بابا وعزاها الى الرواة والكتب وبين درجاتها ونبه على ما ليس له أصل منها وذلك في كتابه المسمى « المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار » كما اعتنى بتجريد ما ليس له اصل من تلك الاحاديث الشيخ تاج الدين السبكي في ذيل ترجمته للامام الغزالي في الجزء الرابع من كتاب طبقات الشافعية فكانت هذه التخاريج مكملة لنقض الكتاب ، ومصححة لوضعه من الناحية الاثرية .

واما النقطة الثانية ، من النقطتين اللتين يرجع اليهما النقد الموضوعي لكتاب الاحياء ، وهي **مسالة حصول المعلومات بالانكشاف الاشراقي** ، فهي النقطة التي قامت فيها المشادات من قديم بين ايمة الاسلام وبين الذين خلطوا التصرف بالحكمة الاشراقية وصدرت عنهم في ذلك المقالات النابية التي أنكرها عليهم علماء الملة وان لم ينكروا على سلوكهم ، من لدن الحسين الحلاج الى السهروردي صاحب « حكمة الاشراق » «وهياكل النور» حتى انتهت الى الشيخ محيي الدين فكان تركز نقد الاحياء على ما يجنح الى القرب من تلك الطريقة حاديا بالغزالي الى محاولة الكشف عن المصطلحات الصوفية بما يرجع الخلاف في ذلك الى صورة من الخلاف اللفظي ، على ما بينه في كتابه الذي رد به تلك المطاعن ، وسماه « الاملاء عن اشكالات الاحياء » كما حدا قبل بالامام القشيري في منتصف القرن الخامس الى بناء رسالته على ذلك الاساس نفسه ، فكما كانت رسالة القشيري قاطعة ، ولو الى حد ما ، ما بين الصوفية وبين الحكماء الاشراقيين من صلات ، ومجددة ما بين اهل الشريعة وبين الصوفية من روابط ، فكذلك كان كتاب الغزالي بعد تمحيصه ونقد ما ورد فيه من نظرية المعرفة الانكشافية، مفككا بين ما عند الصوفية من سلوك مقبول ، وما عندهم من نظريات غير مقبولة ، بما فتح الباب لتجديد التصوف بعد الغزالي على أساس السلوك المحض المتحري من نظريات الاشراقيين ، أعني تصوف الجنيديين من امثال الجيلاني وابي مدين وابي سعيد الباجي وعبد العزيز المهدوي وابن حرزهم والشاذلي ، ومن جاء على طريقته من بعده وهو التصوف الذي انتسب الى الاصول الكلامية الاسلامية وتولاها . فكان البخور الصاعد من نسخ الاحياء وهي في اللهب كان يملأ الاجواء من روح الحق المحصة عن الشكوك والظنون فيصدق فيه ذلك البيت الذي امتلأ كتاب الاحياء ترديدا له وهو قول العباس بن الاحنف .

كنت كأني ذبالة نصبت
تضيء للناس وهي تحترق

تونس : **محمد الفاضل بن عاشور**

الاستاذ مصطفى الصباغ في ذمة الله

انتقل الى ذمة الله ورحمته الاستاذ الودود الاديب الصحفي السيد مصطفى الصباغ اثر حادث سيارة مروع ، اودى بحياة الفقيد في الحين .

ولقد روع هذا الحادث المؤلم جميع من اتصل بالاستاذ مصطفى الصباغ الذي عرف بلطف المعشر ، وحسن الاحدوثة ، ودماثة الاخلاق

واسرة مجلة « دعوة الحق » اذ تنعي لقرائها هذا الخبر المؤلم تضرع الى العلي القدير ، ان يتغمد الفقيد برحمته ورضوانه ، ويلهم اسرته الصغيرة والكبيرة الصبر الجميل ، ويسكنه فسيح جناته في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

واضاءة المسالك المؤدية الى حق فهم الدين ، وصحيح العمل به ، فكان يقول فيه انه : « بدر فى ظلمة الليالي ، وعقد فى لبة المعالي ، اذا لقيته لقيت رجلا قد عــلا فى نفسه ، ابن وقته لا يبالي بغده ولا أمسه » ، وكان ابن العربي يرى « ان المهاجمين للاسلام من الفلاسفة لما رد عليهم رجال من أعيان الامة لم يكلموهم بلغتهم ، ولا ردوا عليهم بطريقتهم ، وانما ردوا عليهم بما ذكر الله فى كتابه ، وعلمه على لسان رسوله ، فلم يفهموا تلك الاغراض وطفقوا يهزءون بتلك الردود ، ويضحكــون منها ، فانتدب ابو حامد الغزالي للرد عليهم بلغتهــم ، ومكافحتهم بسلاحهم ، والنقض عليهم بادلتهم فأجاد فيما افاد، وابدع فى ذلك كما أراد الله واراد» وبذلك اثنى على جملة من كتب الغزالي فى تقويم الحكمة ونقدها وتمحيصها، مثل كتاب « تهافت الفلاسفة » وكتاب « القسطاس » وكتاب « معيار العلوم » واثنى على سعة علمه ، وبعد نظره ، وبراعة تقريره لما أخذ عنه فى غير كتاب مـــن اصول الاسلام الثابتة ممثلا بكتاب « الاقتصـــاد فى الاعتقاد » وكتاب « المستصفى » فى أصول الفقه ومنوها بما قيد عنه فى ذلك مما رواه هو عن امام الحرمين، ولكن ابن العربي منذ دخل بغداد ، أحس بأن الغزالي قــد اصبح فى نظر علمائها غير ما كان فى نظرهم من قبل ، وذلك بعد أن راض نفسه بالطريقة الصوفية ، وتجرد للعزلة ، « واخذ يستعمل فى كلامه رموزا يومىء اليهــا بالفاظ لا تطاق ، ومعان ليس لها مع الشريعة انتظام ولا اتساق » فأخذته الحيرة فى شأن ذلك الامام العظيم ، واستشكل وجه الجمع بين مرامي تلك الرموز الغريبة ، ومعاني الحقائق الجلية الواضحة التي تضمنتها كتبــه الاصولية والحكمية . فلما لقيه وخلص اليه طفق يسأله سؤال المسترشد المستكشف ليقف من سر تلك الرموز على موقف تام المعرفة ، واخذ الغزالي يجيبه شفاها ، ويكتب له أجوبته كتابة : بما يرجع الى بيان تلك الرموز، فاذا هو جانح الى مناح صوفية مبنية فى الباطن علــى عقائد اختيارية مركبة بزعمهم على قواعد عقلية . ولما انكر ابن العربي سلوك استاذه العظيم تلك الطرائق ، فانه لم ينس عظيم منزلته ، وشهير مواقفه فى دعـــم الحكمة الاسلامية ، ولم ينحل ما انعقد له فى قلبه مـــن محبة واجلال ، فلما رجع يتأمل فى ما سمع وما قيد من ذلك البيان جعل مبنى تأمله على أن القصد الى نقض المقالات الباطلة ، والدعاوي الفاسدة ، هو قصــد لا جدال فى انه مشترك بينه وبين شيخه ، وانما يبقــى النظر فى أن الطريق التي سلكها ابو حامد محققة للقصد من نقض دعوى المخالفين او ليست محققة له ، .فجعل وجهة نقده لذلك الكلام الى انه يمكن المقالة المراد نقضها ولا يرفعها ، واخذ يحلل عناصر البيان الذي كتبه عن الغزالي ، بما يبين فى اثنائها من مداخل الشبه المقصوذة بالرد ، ومزالق الاباطيل الحقيقة بالدحض حتى اذا نقض عرى تلك الشبه التفت الى شيخه واثقا من صحة علمه، وصواب نظره ، يذكره بما استفاد فى دروسه ، وقيد من اماليه مما يشهد بفساد تلك المقالات التي لم يهتم بسد مداخلها الى بيانه فكأنه لا يأخذ على الغزالي الا تسليم مقدمات كان مقتضى صناعة البحث منعها ، والاعتماد على لغة فى رد الشبه تجرنا تعابيرها الى ما نحن فارون منه ، أو ما هو اشد واشنع ولعله لذلك يذكر ان الامام حجة الاسلام قد اعتاد أن يرد على المبطلين بلغتهــم ، ويكافحهم بسلاحهم ، بيد انه فى مواقف من ذلك قد يغلو ويفرط ويوغل ، فنخالفه فى ما اوغل فيه ، وان كنـــا لا نتولى عن قصده ، ولا نتنكب عن سبيله . كذلك كــان القاضي ابو بكر بن العربي بذكر الغزالي ويباحثه على هذا الاسلوب فى كتاب « العواصم من القواصم » الذى املاه سنة خمسمائة وست وثلاثين — اي بعد وفــاة الغزالي بواحد وثلاثين عاما ، وبعد ان تنفس ابن العربى فى عجاجة تلك الفتنة التي قامت فى وجه كتاب الاحياء ، واصطلى بنيرانها ، وليس فى ما يؤخذ من ذلــــك التمحيص الذى محص به ابن العربي كتاب الاحياء ، الا أن له موقفا ، من كتاب الاحياء ، غير الموقف الذي قامت به الفتنة ، واسف فيه علي بن يوسف ابن تاشفين ، وكأننا بالغزالي نفسه انتصب يدافع عن كتابه الجليل فى وجه تلك الفتنة الشعواء ، اما اتى فى دفاعه بغير مــا اتى به أبو بكر ابن العربى فى نقده وتمحيصه ، فاننا اذا عدلنا عن الاتهامات المبهمة الموجهة الى شخص الغزالى والظنون التي لا تعنى من الحق شيئا مما ظن بالكتاب ، وجدنا ما تعلق به من نقد موضوعي ، مسند مدلل، يرجع الى نقطتين لا ثالثة لهما : **هما تساهله فى ايراد احاديث غير صحيحة بل ليست ذات أصل تماما** ، وسلوكه فى اثبات طائفة من الحقائق مسلك الاستغناء عن الدليل بالمعارف الحاصلة بما يدعى من الفيض والاشـــراق الحاصلين متجرد النفس وانكشاف المعلومات لها عند ذلك بدون طريق الاكتساب وهذه هي التي يجعلهــا الغزالي أمورا « لا تدرك الا بالتجربة لها عند أربابهــا بالكون معهم والصحبة لهم » .

اما النقطة الاولـى وهــي تــرك التحــرى فى رواية الحديث فقد ذكــر ابــن العربــي أن حجـــة الاسلام اعتذر فيها بما لا يقبل من انه ليس من اهـــل صناعة الحديث ، وعلى كل حال فالصناعة قائمــة ، واهلها المرجوع اليهم موجودون ، وقد اهتم الناس بتتبع

اسس تفكيرنا ، على ضوء المفاهيم العلمية الحديثة .. ما دامت الارض تدور فان كل نقطة تشرق عليها الشمس بحيث تكون مشرقا فهي لا تلبث في ذات اللحظة ان تكون مغربا ، ومعنى غروب الشمس كما نراها في الافق ، هو شروقها على اماكن جديدة ، لا تلبث ان تغرب عنها الشمس بدورها ، وهكذا دواليك ، هكذا كانت الارض منذ الخليقة كرة مستديرة تدور حول الشمس وحول نفسها ، فليس بها مكان يمكن ان يوصف بأنه شرق دائم او غرب دائم ، وانما هو شروق وغروب متلاحقان ابدا في كل من اجزاء الكرة الارضية الدائمة الدوران ، وملاحو الفضاء وهم يدورون الان حول الكرة الارضية مرة في كل تسعين دقيقة يشهدون في كل مرة شروقا وغروبا جديدين ، وهذه الان من الامور المتفق عليها والمسلم بها .

واذن فكل حديث عن الشرق الاقصى والشرق الاوسط والشرق الادنى ، ليس الا بقية من بقايا اخطاء اوربا واوهامها وجهلها الذي كانت غارقة فيه من ناحية ، ثم مظهر غرورها وصلفها بعد ان تعلمت ، فظلت تعتبر موقعها هو مركز العالم ومحوره ، وتتحدث عن الشرق باعتباره دونها في مقومات الحياة ، وليس اعجب من ان نظل نردد هذه المسميات ، بعد ان اصبحنا نعرف ان هذا الشرق الذي نصفه بالاقصى ، انما يقع غرب امريكا ولكي تصل امريكا الى آسيا فهي تبحر او تطير اليها بان تتجه صوب الغرب ، والاتحاد السوفياتي انما يقع الغرب من امريكا ، واوربا هي الشرق بالنسبة لامريكا ، وكل بلد بالنسبة لاي بلد آخر هي شرق بالنسبة للبعض وغرب بالنسبة للبعض الاخر ، وتكون عبارات الشرق الاقصى ، والاوسط والادنى والغرب ، هي كلمات خاوية لا مدلول لها من الناحية العلمية الجغرافية والتطبيقية .

لا افكار او حضارات شرقية او غربية

وهذا الذي يقرره علم الطبيعة والجغرافيا ، بحيث يدحض هذه التسميات الخاطئة الشائعة ، فان علوم التاريخ والاجتماع والاجناس واللغات الاقتصاد تدحض بدورها كل هذا الذي لا زلنا نردده من خصائص نفردها للشرق واخرى تخص الغرب ، وروحانيات شرقية وماديات غربية ومفاهيم شرقية واخرى غربية ، واجناس من البشر قد اختص بها الشرق واجناس اخرى قد عاشت في الغرب ، فكل هذه قد اصبحت من تخليطات الجهل والتعصب والاستعلاء الذي غرقت فيه اوربا حينا من الزمان .

فالاجماع الان قد اصبح منعقدا بين علماء الاجناس ، ان ليس ثمة ما يمكن ان يوصف بانه جنس نقي ، فضلا عن ان يكون بطبيعته ارقى من اجناس البشر ، وما من جنس على ظهر البسيطة « فيما خلا بعض الجزر المنعزلة في محيط او غابة او في اعماق صحراء » الا وهو خليط من كل ما نعرف من الاجناس ، سواء كانت هذه الاجناس كما كانت توصف في القديم بانها من نسل سام وحام ويافت او كما اصبحت توصف في الحديث ، بأنها مغولية او بيضاء او زنجية ، وقد تبددت الخرافات التي تفرد للرجل الابيض خصائص لا تتوفر في الزنجي مثلا ، من حيث الطول والقصر ، او من حيث محيط الجمجمة او من حيث الاستعداد العقلي ، فما من جنس على ظهر الارض في الوقت الحاضر الا ويوجد فيه كل الطرز المختلفة من بقية اجناس البشر ، فاقصر اناس في الوجود واطولهم على السواء قد وجدوا بين زنوج وسط افريقيا .

وما يقال عن الاجناس وخصائصها الفسيولوجية، قد اصبح يقال بدوره عن اللغات التي يتحدث بها البشر ، فليست هناك لغة يمكن ان لا تكون هي حصيلة البشرية كلها من اللغات التي سبقتها والتي تعاصرها ، حيث تجري عملية التلقيح والاخذ والعطاء بين سائر اللغات بدون انقطاع في كل وقت وآن.

ومثل ذلك يقال عن الافكار والثقافة وكل مقومات الحضارة الاخرى من اديان وتشريعات ونظم وفنون ومعارف .

واي حضارة عرفها بنو البشر في الحديث او القديم ، لا يمكن الا ان تكون حصيلة التراث الانساني كله السابق عليها ، ابتداء من حضارة مصر القديمة فالاغريق فالرومان من ناحية والصين والهنود والفرس من ناحية ثانية ، ثم الحضارة الاسلامية فالاوربية فالامريكية اخيرا . ودراسة مفصلة لاي من هذه الحضارات ، لا تلبث ان تطلعنا على الروافد الجانبية التي صبت فيها وتألقت منها ؛ وبحسبنا ان ننظر في شيء من التبصر لما يسمى الحضارة العربية الاسلامية لنرى كيف انها بالرغم من انها حضارة قد قامت على جوهر من الاسلام وتعاليم الاسلام الذي ينفرد بدعوة صارمة للتوحيد وعبادة اله منزه عن التشبيه والتجسيد يعلو على سائر الكائنات ، فانها لم

ألم يحن الوقت لنكف عن وصف البلاد والناس والحضارات بانها شرق وغرب

بقلم : احمد حسين المحامي

لا يمكن ان يكون الانسان مهما تصور نفسه انه قد تقدم او تطور ، الا حصيلة للتاريخ الانساني السابق عليه ، فهو يتكلم بلغة قد تلقاها عمن سبقوه ، وهو مهما حاول ان يجدد فى الافكار والاراء ، فهو يرتد ابدا للمفاهيم القديمة ألتي ورثها .

وليس ادل على ذلك من اننا لا زلنا فى النصف الثاني من القرن العشرين نتحدث عن شرق وغرب فى الوقت الذي يتهيأ فيه الانسان لغزو الفضاء والوصول الى القمر وبقية كواكب المجموعة الشمسية وما وراء ذلك ، فى الوقت الذي اصبح فيه دوران الارض حول نفسها وحول الشمس حقيقة ثابتة يتعلمها الاطفال فى المدارس ، ويستخدمها ملاحو السفن والطيران وسفن الفضاء فى حياتهم اليومية .

فى الوقت الذي انحسر فيه سلطان اوربا وما كانت تدعيه لنفسها وشعوبها من تفوق ، وتفككت امبراطورياتها الاستعمارية ، فزالت الامبراطورية الانجليزية التي وصفت يوما بان الشمس لا تغرب عنها وزالت دولة بقية امبراطوريات اوربا من فرنسية وبلجيكية وهولندية ، بعد ان هزمت عسكريا وسياسيا وروحيا .

على الرغم من هذه الحقائق العلمية المقررة ، والتطورات التاريخية التي اصبحت واقع اليوم ، فما زال الانسان يتحدث عن الشرق والغرب كما لو كانا موقعين ثابتين ، ولا يزال المفكرون والكتاب والصحفيون والادباء بل ومن يزعمون لانفسهم صفة الفلسفة، يرددون عبارات الشعوب الشرقية، والمجتمع الشرقي والمدنية الشرقية والاديان الشرقية ، فى مقابل الشعوب الغربية والمدنية الغربية والفلسفات الغربية، وما اكثر ما ينزلق المعلقون وخاصة فى البلاد العربية والاسيوية الى ترديد كلمة شاعر من غلاة المستعمرين وهو ريارد كبلنج عندما قال « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » .

وقد بدأ هذا الحديث منذ العصور الوسطى، حيث كان يظن ان الارض ثابتة وان لها شرقا دائما وغربا دائما ، وقد ظلت المصورات الجغرافية حتى الان ترسم على خريطة مبسوطة تعلق على الجدران ، او تبسط على المكاتب ، او ترسم فى الكتب حيث تبدو آسيا فى الشرق واوربا وامريكا فى الغرب ..

وجمد الفكر الانساني على هذه الصورة ، ولو انه وقف عند حد القول بان هذا البلد او ذاك يقع الى الشرق من هذا المكان المعين ، لكان ذلك مفهوما الى حد ما فلا مناص من تحديد الموقع الجغرافي لاي مكان بالنسبة لاي مكان آخر ، وهل هو يقع الى الشرق منه او الى الغرب، ولكن المسألة قد خرجت ولا تزال خارجة ، عن هذا التحديد الجغرافي ، الى القول بان هناك شرقا جغرافيا ابدا يتميز بخصائص طبيعية تضفيها عليه شرقيته ، وهناك غرب جغرافي له بدوره خصائص يستمدها من غربيته .

وقد تعدى ذلك الى الحديث عن روحانيات الشرق ، وماديات الغرب ، وثقافة الشرق والغرب، وخصائص الاجناس الشرقية فى مواجهة خصائص الاجناس الغربية ، الى آخر هذا الخلط الذي جاءت به اوربا فى نهضتها الاخيرة فى القرنين الثامن والتاسع عشر .

كل موقع على الارض هو شرق وغرب

ونقول ان الوقت قد حان لمواجهة الحقائق العلمية وتطوير الفاظنا واحاديثنا فضلا عن كتاباتنا

وليس ذلك الا نموذجا او عينة لمختلف الافكار الروحية المعمنة فى روحانياتها فى اوربا وامريكا .

بل ان ما اصبح يطلق عليه اسم علم الارواح وتحضير الارواح ، هو نبات اصبح ينمو ويترعرع فى اوربا وامريكا ، حيث اصبح يدرس فى الجامعات ، وتنشأ له المعاهد وتصدر فيه عشرات الالوف من الكتب .. وتؤمن به عشرات الملايين ، وبالرغم من ذلك فما اسهل ان يقال ان اوربا مادية لان حضارتها مادية ، اما الشرق فروحاني لان حضارته روحية .

وما الراي فى بلد الان كالصين وهي اقصى الشرق كما كان يحلو للاوربيين ان يسموه ، وقد اصبح من الناحية الرسمية يدين بالماركسية التي هي اعلى صور المادية ، وقد بدات الصين تحقق تقدما علميا ساحقا ، حتى لقد فجرت قنبلتها الذرية الاولى والثانية ، اليس هذا يهدم خرافة روحانية الشرق، ومادية الغرب .

ومع ذلك فانه ليكون خطأ ما بعده خطأ ان يتصور متصور ان الصين قد اصبحت ما بين غمضة عين وانتباهتها مادية مفرقة فى المادية ، فالصين بملايينها الستمائة او السبعمائة ستظل هي الصين ، حيث البوذية والكونفشوسية والاسلام والمسيحية ، وكل فكر ومعتقد انساني عرفه البشر .

نهضة اليابان

ولعل الكثيرين من ابناء الجيل الحديث ، لا يعرفون مدى الصدمة التي اذهلت الاوربيين عندما هزمت اليابان روسيا عام 1905 فقد كانوا لا يستطيعون ان يتصوروا كيف يمكن لشعب يوصف بانه شرقي ان يهزم قوة كبرى من قوى اوربا الغربية، وسرعان ماراحت الاقلام والعقول الادبية ، تبحث عن تعليل لهذه الظاهرة ، واسهمت الى انذلك استثناء محض من القاعدة ، وان السر فى نهضة اليابان هي كونها جزرا تشبه الجزر البريطانية ، وهكذا ترى ان مجرد المشابهة لدولة اوربية قد اعتبر سببا للنهوض .

مع ان مصر قد سبقت اليابان فى النهضة بنصف قرن فى اعقاب الحملة الفرنسية عليها ، ولو تركت مصر وشانها ولم تتألب دول اوربا الاستعمارية عليها لاستطاعت ان تنهض بافريقيا كلها .

الحرب الفيتنامية

ولعله ليس هناك ما يهدم هذه الخصائص التي ميزت للجنس الاوربي من الشجاعة والصلابة والعزم والاستعداد للتضحية حيث لا توجد هذه الصفات فى الشعوب التي توصف بالشرقية «عدا اليابان» من هذا الذي حدث فى الهند الصينية عندما دحرت قوى فرنسا وهزمها شر هزيمة منكرة فى ديان بيان فو وعندما قسمت الهند الصينية الى فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية ، وتصورت الولايات المتحدة الامريكية ، ان باستطاعتها ان تنجح حيث فشلت فرنسا باعتبارها الاقوى والاغنى والاعز نفرا، فهاهي تلقى نفس العناء والمصير من هذا الشعب الصغير ، بحيث تشهد البشرية اليوم عجبا من اشد انعجب ، فثمة شعب صغير يواصل الحرب عشر سنوات دون ان تلين قناته ، ويرفض كل مساومة حول الصلح او التفاهم الا ان يجلو الامريكان عن ارضه .. ويرتفع صوت امريكا بالشكوى والاستجداء والتوسل لتجد لنفسها مخرجا من هذا المأزق الذي نداس فيه كرامتها ، وهي لا تستطيع بكل حولها وطولها وجيوشها واساطيلها ان تخضع هذا الشعب الصغير الذي يتحداها .

وما اكثر ما حدثونا عن الشرق الذي يمتهن المراة ، بخلاف الغرب الذي يكرمها ويرفع من شانها وما اكثر ما صدعوا رؤوسنا بتحليل اسباب ذلك .. وان ذلك آية التخلف عند الشرقيين ، ومظهر السمو عند الغربيين .. وها نحن اولا نرى ان اول امراتين تولتا رئاسة الحكومة فى العصر الحديث يجيئان من هذا الذي يسمونه شرقا منخلفا ، لا من الغرب المتحضر .. فبالامس فى سيلان واليوم فى ألهند ، تتربع انديرا غاندي فى منصب رئيس الوزراء لشعب من اربعمائة مليون من البشر ، وهي ظاهرة لا يفكر فيها ، ولا يمكن ان يفكر الامريكان او الروس الذين يزعمون ان المراة عندهم قد وصلت الى ارقى ما يمكن ان تصل اليه فى اي مكان فى العالم .

وليس ذلك الا الدليل القاطع من الواقع العملي عن فساد ما زعموه من خصائص شرقية ، واخرى غربية ، ومدنيات وقيم شرقية واخرى غربية ، فانما هو كوكب واحد يدور باستمرار ولن يكف عن الدوران وهي انسانية واحدة ذات خصائص واحدة ، تنتهي الى نفس النتائج فى ظل الظروف الواحدة ، وليست هناك صفات جامدة يمكن ان يوصف بها مجتمع للتفريق بينه وبين مجتمع آخر .

ومن هنا فقد حان الوقت ، لنكف عن هذا الخلط من التحدث عن الشرق والغرب واختصاص كل منهما بمدنيات وحضارات وافكار تتصل بشرقيته وغربيته ، وحان الوقت لنؤمن انما هو انسان واحد ، له خصائص الانسانية ، مصيره ومصلحته لا تتحقق فى عصرنا الحديث الا فى تعاون انساني كامل شامل .

احمد حسين المحامي

تلبث ان استوعبت كل ما سبقوها من تراث الحضارات القديمة صينية او هندية او فارسية او اغريقية او رومانية و افريقية او اوربية ، وهي ما كان لها ان تكون غير ذلك وقد استقرت في هذه الرقعة الكبيرة من الارض وراحت تتفاعل مع كل مقوماتها .

ونحن نعلم اليوم ، ان اوربا الحديثة قد بدأت نهضتها بعد ان نهلت من المعارف الاسلامية واذا كانت اوربا يحلو لها عن طريق التعصب ان تزعم انها وليدة الحضارة الاغريقية ، فانها لم تعرف تراث هذه الحضارة وتتاثر به الا من خلال اللغة العربية والمعارف الاسلامية ، وان الانسان لا يفتأ يذهل من حين لاحر ، عندما يطالع يوما بعد آخر ، انه ما من اختراع ، ما من فرع من فروع العلم ، ما من لون من الوان الفن ، ما من ضرب من ضروب الصناعة ، الا وبذوره وجذوره راسختان في افريقيا وآسيا باعتبارهما كانتا سابقتين على اوربا ، وكثيرا ما يشار في هذا الصدد بالنسبة للمخترعات الحديثة الى الورق ، والمطبعه ، والبارود ، وقد بقي ان نعرف ان آخر ما وصل اليه فن التكنيك والاختراع كما يتمثل في الصاروخ هو من صنع الصين التي استعملته اول ما استعملته في الحروب ، وهذه الصواريخ التي سعدنا ونحن اطفال وما زلنا نسعد بها وهي تنطلق في الفضاء محدثة هذه الاضواء الملونة البهيجة هي من اختراع الصين ، ونظرية الصاروخ التي ينطلق بها الى القمر هي ذات النظرية التي كانت تطلق هذه الالعاب النارية في الفضاء .

فالعلم اي علم ، والفكر اي فكر ، هو علم انساني يسهم فيه البشر جميعا منذ وجد الانسان على ظهر هذه الارض في التطور به واغنائه واثرائه ، والحضارة في شمولها ، هي حضارة انسانية لا يمكن ان توصف بانها شرقية او غربية ، وما من مجتمع من المجتمعات على ظهر الارض في كل زمان ومكان ، الا ويتقلب حظه ، بين الخفض والرفع ، بين العلم والجهل، بين القوة والضعف ، بين الايمان والالحاد ، ومن العبث بل من المحال ، ان يوصف مجتمع من المجتمعات بانطوائه على صفات او ملكات او خصائص تفرقه عن غيره من بني الانسان ، من الناحية الجسدية او الفكرية او السيكولوجية او الوجدانية .. وفي اي مجتمع ، صغيرا كان او كبيرا ، ستجد فيه الطويل والقصير والابيض والاحمر ، والاسود العينين والازرقها ، والسبط الشعر والجعد ، والرقيق المشاعر والجاف ، والجبان والشجاع ، والمحب للعلم والكاره للعلم ، والمؤمن بالله والكافر به ، والمثالي في تفكيره ، او صاحب التفكير المادي .

وليس هناك ما هو امعن في الخطأ من وصف شعب من الشعوب باكمله من انه مغرق في المادية او ممعن في الروحانية ، وان ذلك يرجع الى موقعه الجغرافي او بسبب جنسه او اصول ثقافته ، فاوربا التي توصف اليوم بالمادية قد غرقت الفا من السنين او يزيد فيما يصفه كتابها بالعصور المظلمة حيث اوشكت اوربا كلها ان تكون كنيسة واحدة او ديرا مسيحيا واحدا ، او معنى ادق اوشكت ان تتحول الى ضيعة يديرها البابا باسم المسيح ، وحيث كان كل حديث عن العلم او الفكر الحر ، يعرض للاضطهاد والسجن والحرق ، تحت معاول محاكم التفتيش وهي ظاهرة لم يسبق لها مثيل ، ولم تقع من قبل في هذا المجتمع الذي يصفونه الان بالشرقي ويصمونه بالجمود والتعلق بالاوهام والخرافات والروحانيات ، فلم يحدث في تاريخ الشعوب في آسيا وافريقيا كلها ان حرق انسان لانه قال بنظرية علمية قبل انها تضاد العقيدة الدينية .

وليس امعن من الخطأ من ان تتصور ان اوربا اليوم ، ماديه بالصورة التي تحاول ان تضعها في مقابل روحانية آسيا ، فشعوب اوربا بل وامريكا لا تزال مسيحية ممعنة في مسيحيتها ، لا اوربا الغرب الراسمالية ، بل واوربا الشرق التي تاخذ حكوماتها بالمبادىء الشيوعية ، وما اكثر ما طالعت وحدثني رواد بولندا الشيوعية ، عن تماثيل العذراء المقامة في كل شارع وعلى كل عمارة بل ان اسقف بولندا يخطب اخيرا ليصف بولندا بانها حصن الكثلكة في اوربا ، وجماهير الشعب في كل مكان من انحاء اوربا تتردد على الكنائس ، وتشعل الشموع حول تماثيل العذراء ، وتتزوج في الكنائس ، والاطفال تعمد بالمياه المقدسة لتكون مسيحية ، ولقد اذهلني مرة ان اجد في انجلترا مئات الالوف من الانجليز المتعلمين المثقفين ، يكفرون بالتداوي عن طريق الطب الحديث ويرون السبيل الوحيد للتداوي عن طريق تلاوة آيات من الانجيل على يد معالج بتلاوة الانجيل ، وسرعان ما اكتشفت ان هذه طائفة كبيرة لها مئات الكنائس في انجلترا او الولايات المتحدة ، وتصدر عشرات الصحف ما بين اسبوعية وشهرية ويومية وعلى راسها الجريدة الامريكية المشهورة الكريستيان مانيس مونتور .. اما هذه الجماعة المسيحية فتطلق على نفسها جماعة « العلم المسيحي » .

وكتاب معجم الادباء هذا كتاب حافل بذكر اشهر المؤلفين والمصنفين فى مختلف الفنون الادبية والتاريخية واللغوية والدينية قال مؤلفه فى مقدمة كتابه (1) : « وجمعت فى هذا الكتاب ما وقع الي من اخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين واصحاب الرسائل المدونة وارباب الخطوط المنسوبة والمعينة وكل من صنف فى الادب تصنيفا أو جمع فى فنه تاليفا مع ايثار الاختصار والاعجاز فىنهاية الايجاز ولم آل جهدا فى اثبات الوفيات وتبيين المواليد والاوقات وذكر تصانيفهم ومستحسن أخبارهم والاخبار بأنسابهم وشيء من اشعارهم فأما من لقيته أو لقيت من لقيه فأورد لك من اخباره وحقائق أموره ما لا اترك لك بعده تشوفا الى شيء من خبره واما من تقدم زمانه وبعد أوانه فأورد من خبره ما ادت الاستطاعة اليه ووفقني النقل عليه فى تردادي الى البلاد ومخالطتي للعباد وحذفت الاسانيد الا ما قل رجاله وقرب مناله مع الاستطاعة لاثباتها سماعا واجازة الا أنني قصدت صغر الحجم وكبر النفع واثبت مواضع نقلي ومواطن اخذي من كتب العلماء المعول فى هذا الشأن عليهم والمرجوع فى صحة النقل اليهم » .

من هذه المقدمة نتعرف على موضوع الكتاب ونعرف الخطة التي سار عليها مؤلفه فهو يهتم بالملاحظة والمشاهدة والمخاطبة من جهة ويعتمد على المصادر التاريخية المعتمد عليها من جهة اخرى وقد ذكر فى مقدمة كتابه بعض الكتب التي استفاد منها كأخبار النحويين لابي بكر محمد بن عبد الملك التاريخي ومسند النحويين للمرزباني وطبقات النحويين لابي بكر الزبيدي الاشبيلي الاندلسي ونزهة الالباء فى اخبار الادبا ، لابن الانباري .

كما ذكر بعض المصادر الاخرى داخل كتابه وهي كثيرة من بينها كتب اهتمت بالاندلسيين ككتاب ابن حيان وكتاريخ ابن الفرضي وكتاب الصلة لابن بشكوال والمنتظم لابن الجوزي واخبار الحكماء لصاعد الجياني وفرحة الانفس لمحمد بن ايوب بن غالب الغرناطي **وجذوة المقتبس للحميدي** وغير ذلك من الكتب القيمة .

ولما كانت بعض هذه المصادر لم يتم طبعها الا بعد نشر الكتاب كان من الواجب اعادة النظر فى كتاب معجم الادباء للبحث عن التوافقبينه وبين مصادره فاذا كان اختلاف وجب البحث عن تحقيق الصواب من الخطاوتلك مهمة الباحثين بها نستطيع أن نصحح كثيرا من نصوصنا وكتبنا وهي التي تيسر لنا معرفة المجهودات التي قام بها بعض المؤلفين حين تاليفهم .

وقد اردت ان اقوم بهذه التجربة بالنسبة لمصدر معين ذلك هو جذوة المقتبس للحميدي فقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الاستاذ المحترم محمد بن تاويت الطنجي.

ومما لا يخفى على القراء أن كتاب الحميدي هذا يعد من اهم المراجع التاريخية والادبية فى التراث الاندلسي وقد كان منتشرا فى الشرق يعتمدون عليه فى جل ما يتعلق بتاريخ الاندلس منذ فتحها الى ما بعد الفتنة البربرية فقد نزح مؤلفه الى العراق بعد اضطراب الامر ببلاد الاندلس وبعد تمكن ملوك الطوائف من الحكم وبعد مناهضة كثير من هؤلاء لابن حزم استاذ الحميدي وصديقه فقد اضطر آنذاك كثير من انصار ابن حزم الى الخروج من الاندلس فرارا بمذهبهم الفكري والسياسي وكان من بينهم مؤلف الجذوة .

ولما وصل الى الشرق اراد التعريف بعلماء الاندلس وابراز فضلهم فى البحث العلمي والدراسات الدينية واللغوية فألف كتابه هذا وتهافت الشرقيون على نسخه واختزانه وظل منتشرا بين طبقات المثقفين يقتبسون منه كلما شاؤوا الحديث عن بلاد الاندلس وقد اعتمد عليه الحموي فيما يقرب من اربعين ترجمة من اعلامه .

ولكنني لاحظت بعد المقارنة بين كتاب معجم الادباء وكتاب الجذوة وجود بعض الاختلافات أغلبها ناشيء عن تحريف فى النسخ ادى الى تغيير بعضالروايات الشعرية وتبديل بعض الحقائق التاريخية لا بأس أن اورد بعضها فيما يأتي :

1) فى ترجمة ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهري الاندلسي المعروف بابن الافليلي (2) هذا الاديب الشهير الذي حدثت بينه وبين ابن شهيد منافسات عدة دفعت ابن شهيد مرارا الى التعريض به والاستخفاف بمناهجه فقد لقبه فى كتاب التوابع والزوابع بأنف الناقة واعتبره فاقدا للاستعداد الفني لا يحسن التصرف فى معلوماته

---

1) معجم الادباء . مطبعة دار المأمون الجزء الاول صفحة 48 .
2) لم يذكر كل من الحميدي والحموي تاريخ ولادته ووفاته . قال السيوطي فى كتابه بغية الوعاة فى طبقة اللغويين والنحاة : .. كانت ولادته فى شوال سنة 352 هـ وتوفي فى ذي القعدة سنة 441 هـ .

نظرة في كتاب :

معجم الأدباء

بعد طبعه محمد من مصادره

للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

ازدهرت الثقافة العربية الاسلامية بعد الفتوحات التي قام بها المسلمون في شتى انحاء العالم وربطت اللغة العربية بين جميع الاجزاء فكانت الكتب تتناقل بين الامصار ويتبارى الخلفاء والملوك في جمعها وتشجيع مؤلفيها .

وقد كانت هاته الكتب الآصرة الكبرى التي تجمع بين المثقفين العرب في مختلف الاصقاع والسجل الذي يصور التطورات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في كل مكان .

وقد اهتم العرب بتسجيل ثقافتهم وتدوين معالمها سواء كانت ثقافة دينية او ادبية او علمية واحتدم التنافس بين الشرق والغرب حينا من الدهر فكان ملوك الاندلس والمغرب يتعهدون كثيرا من الادباء الوافدين من الشرق ويغدقون عليهم الاموال لينشروا كتبهم ببلاد المغرب ويذيعوا علومهم بين اطرافه وقد بلغ التنافس حدا جعل بعض الكتب الشرقية تنتشر بالمغرب والاندلس قبل نشرها ببلادها الاصلية وكذلك كان الامر بالنسبة لخلفاء بغداد وغيرهم من ملوك الشرق فقد كانوا ايضا يعملون على نشر الكتب الاندلسية والمغربية بين ربوعهم وينفقون بسخاء على العلماء الاندلسيين والمغاربة الذين يتوجهون اليهم .

وكان لهذا التنافس السياسي فضل على الثقافة العربية الاسلامية لانه كان تشجيعا عمليا لكثير من العلماء والادباء في نشر آرائهم واظهار نبوغهم .

ولقد تنوعت شعب الثقافة العربية وتعددت اختصاصاتها وكثر المنتمون الى كل فن حتى اصبح من الضروري كتابة تاريخ لهؤلاء الادباء والعلماء على اختلاف أقاليمهم ومناهجهم وزمنهم .

ومن هنا ظهرت فكرة كتب الطبقات والتراجم التي ذاعت في شتى الاقاليم الاسلامية والتي كان الاهتمام بها يدفع بعض المؤلفين الى وضع ذيول وتتمات لكتبهم او كتب مؤلفين سبقوهم .

وقد اختلفت الطريقة التأليفية بالنسبة الى ذكر التراجم والآثار فمن المؤلفين من اهتم بمادة دون أخرى ومنهم من اهتم بعصر من الاعصر ومنهم من اعتنى بأمة من الامم أو مدينة من المدن وجمع بعضهم بين الاقاليم فتحدث عنها اقليما اقليما ومنهم من لم يراع الا الترتيب الحرفي دون اعتبار للزمن أو الاقليم .

ومن بين هؤلاء أبو عبد الله ياقوت الحموى المتوفى سنة 626 هـ فقد الف كتبا مختلفة في التراجم من بينها كتاب « ارشاد الاريب الى معرفة الاديب » الذى اعتنى بنشره لاول مرة المستشرق الانجليزي مرجليوت باسم **معجم الادباء** ثم طبع مرة اخرى طبعة انيقة مشكولة بعناية الدكتور احمد فريد الرفاعي سنة 1936م مجزأة على عشرين سفرا ، وقد ذيلت هاته الطبعة بفهارس للاعلام مفيدة واهتم ناشرها بتصحيح أخطائها وايضاح مشكلها ولكنه رغم ذلك وقعت في الكتاب أخطاء عامة ناتجة عن امرين :

الامر الاول : شكل الكتاب والشكل في المطبعة العربية يقتضي الالمام المطلق بالمادة المشكولة ويتطلب العناية الكبرى من المصففين والا اضطربت الروايات واختلفت .

الامر الثاني : عدم تمكن المصححين من الاطلاع على بعض النصوص في أصولها وعدم اختصاصهم في بعض ما يتعلق بالتاريخ المغربي والاندلسي لذلك نجدهم احيانا يضطربون في تصحيح بعض الاعلام والتعريف ببعض المدن والوقائع المتصلة بتاريخنا .

والمشاركة فى بعض معانيها وكان غيورا على ما يحمل من ذلك الفن كثير الحسد فيه راكبا راسه فى الخطا البين اذا تقلده او نشب فيه يجادل عنه ولا يصرفه صارف عنه وعدم علم العروض ومعرفته مع احتياجه اليه لاكمال صناعته به ولم يكن له شروع فيه وكان لحق **الفتنة اليزيدية بقرطبة** (1) ومضى الناس بين حائر وطاعن فازدلف الامراء المتداولين بقرطبة من آل حمود ومن تلاهم الى أن نال الجاه واستكتبه محمد بن عبد الرحمن المستكفي بعد ابن برد فوقع كلامه جانبا من البلاغة لانه كان على طريقة المعلمين المتكلمين فلم يجر فى اساليب الكتاب المطبوعين فزهد فيه » .

ونحن عندما بحثنا عن الفتنة اليزيدية الموجودة فى هذا النص لم نجد لها فى تاريخ الاندلس اثرا **وانما هي الفتنة البربرية** اضطرب الناسخون فى اخذها ولم ينتبه المصحح لذلك فقدم الفتنة الى الناس محرفة وفتنهم فى معرفتهم ومثل هذا الخطأ الفادح يجب التنبيه عليه فى كتب اصبحت مصادر معتمدة عند الادباء وطلاب الادب ولو نبه المصحح الى سياق الكلام والى المؤلف فى مناسبات اخرى عند حديثه عمن لحق هذه الفتنة لما اوقع القراء فى هذا الخطا .

ان الفتنة اليزيدية لا وجود لها فى هذه الحقبة فى تاريخ الاندلس وانما هي الفتنة البربرية التي اشتهرت بهذا الاسم بعد ان قامت الفتن بين انصار الامويين وانصار العامريين وبعد أن وقعت الفتن بين الامويين انفسهم واستعان بعضهم ببعض البرابرة الذين كانوا يسكنون ببلاد الاندلس .

فقد ثار محمد بن هشام بن عبد الجبار الاموي الملقب بالمهدي على هشام بن الحكم المؤيد بالله سنة 399 ه ثم قام ضد الثائر ثائر آخر، هو هشام بن سليمان ابن عبد الرحمن الناصر فى نفس السنة ولكنه لم ينتصر فألقي القبض عليه وقتل ولكن البربر اجتمع أمرهم على تولية ملك آخر هو سليمان بن الحكم بن سليمان اخي هشام القائم المذكور وتلقب بالمستعين بالله واستبد بالحكم ما يقرب من سبع سنوات الى ان تغلب عليه علي بن حمود الادريسي الذي أسس الدولة الحمودية ببلاد الاندلس وتعددت الفتن بعد ذلك فادت الى تأسيس دويلات متعددة لم ينقذ الاندلس منها الا تغلب يوسف ابن تاشفين على ملوك الطوائف واخذه زمام الحكم بيد من حديد .

4) ومما يجب التنبيه اليه ان الحموي لم يكن سلبيا فى كتابه فقد كان يعرض بعض الآراء ثم يدلي بنظريته فيها دون ان يقتصر على ما اورد .

من ذلك انه بعد أن نقل من كتاب الحميدي ما روى عن ابن الافليلي من أن شيوخه من أهل الادب كانوا يتعالمون ان الحرف اذا كتب عليه صح (بصاد وحاء) كان ذلك علامة لصحة الحرف لئلا يتوهم متوهم عليه خللا او نقصا فوضع حرف كامل على حرف صحيح واذا كان عليه صاد ممدودة دون حاء كان علامة ان الحرف سقيم اذ وضع عليه حرف غير تام ليدل نقص الحرف على اختلال الحرف ويسمى ذلك الحرف ضبة أي ان الحرف مقفل بها لم يتجه لقراءة كما ان الضبة مقفل لها . قال بعد ذلك : « وهذا كلام على طلاوة من غير فائدة تامة وانما قصدوا بكتبهم على الحرف صح انه كان شاكا فى صحة اللفظ فلما صحت له بالبحث خشي ان يعاوده الشك فكتب عليها صح ليزول شكه فيما بعد ويعلم انه لا يكتب عليها صح الا وقد انقضى اجتهاده فى تصحيحها واما الضبة التي صورتها (ص) فانما هو نصف صح كتبه على شيء فيه شك .. »

وانما نقلت هذا النص رغم طوله لانه ذكرني ببحث طريف قراته قديما فى مجلة الكتاب اعتمد فيه الباحث (2) على هذا النص نفسه ليستدل على ان علامة الاستفهام التي يستعملها الاوربيون انما هي تحوير لهذه الضبة التي ذكرها الحموي والتي كان يستعملها الاندلسيون فى الشك وهو اكبر مصادر الاستفهام اذ يوجد تقارب بين (ص) وبين (؟) وما بينهما من يشبه التباعد انما هو وليد الاستعمال .

هذه ملاحظة قدمناها للقارىء ليشاركنا فيما احسسنا به بعد المقارنة بين كتابين اتمنى ان يجد فيها متعة وفيما سنقدمه من ملاحظات اخرى ان شاء الله

فاس : **محمد بن عبد العزيز الدباغ**

---

1) الجزء الثاني من معجم الادباء صفحة 7 .

2) عن مجلة الكتاب السنة الثالثة العدد السادس يونيو 1948 . المقال : علامة الاستفهام من اختراع العرب للسيد ابي النصر احمد الحسيني الهندي .

الادبية واللغوية لان البيان عند ابن‌شهيد الهام واستعداد نطري لا يصل اليه الفرد بمجرد اطلاعه على كتب اللغويين والنحويين وعلماء البلاغة ورغم ذلك فان الحميدي زكاه في كتابه وقال عنه : « حدث عن ابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي بكتاب النوادر لابي علي القالي عنه وكان متصدرا في علم الادب يقرأ عليه ويختلف فيه اليه وكان مع علمه بالنحو واللغة يتكلم في معاني الشعر واقسام البلاغة والنقد لهما وله كتاب شرح فيه معاني شعر المتنبي قال لنا ابو محمد علي بن احمد وهو كتاب حسن » (1) .

في هذا النص نجد جذوة المقتبس شكلت **الزبيدي** بضم الزاي وفتح الباء بعدها وهو المشهور بالنسبة الى الروايات المختلفة التي ترجمت للزبيدي اما في كتاب المعجم فنحن نلاحظ ان الشكل وضعه المصحح بفتح الزاي مع كسر الباء . ومن المعلوم انه يوجد باليمن موضعان يسمى احدهما بزبيد ويسمى الآخر بزبيد جاء في مراصد الاطلاع (2) : « ان زبيد بفتح الزاي اسم واد به مدينة يقال لها الخصيب وهي التي تسمى اليوم زبيد وهي مشهورة محدثة في أيام المأمون وبازائها ساحل غلافقة وساحل المندب . وزبيد بالضم ثم الفتح موضع آخر . »

والزبيدي لا ينسب لهذين الموضعين وانما ينسب لبطن من مذحج وهم رهط عمرو بن معد يكرب قال‌الشيخ مرتضى عند حديثه عن زبيد بالتصغير (3) : « ... ومنهم محمد بن الحسين الاندلسي صاحب القالي وابناه اللغويون » .

وعليه فان شكل الزبيدي في كتاب الحموي لا يستند على اساس علمي وانما هو خطأ من المصحح ليس غير .

2) عندما ينسب الحموي في كتابه أمرا الى صاحب الجذوة يقول : « قال الحميدي ولكن الناشر بعد شكل الكتاب كان يفتح الحاء وقد استمر عمله هذا في جميع اجزاء الكتاب ولم يخالفه الا حين ترجم للحميدي (4) وقال المصحح آنذاك ويقال انه قيل له الحميدي لانه في اجداده من اسمه حميد بالتصغير .

وهذه الالتفاتة التي قام بها المصحح قد تكون تكفيرا عن تحريف الشكل في باقي الاجزاء . وهذا امر ضروري بالنسبة لعلم من أعلام الادب الاندلسي رحل الى المشرق حينما اضطرب أمر الاندلس وعبثتبها الايام وعمت بها الفتن وضاعت وحدتها وانتثر عقدها وانهارت السيطرة المركزية التي كانت تحميها الدولة الاموية .

وقد كان الحميدي من المؤازرين لابن‌حزم الظاهري المعجبين بغزارة علمه وقوة برهانه ورجاحة عقله وصموده في الدفاع عن آرائه وقد نظم الاسس‌التي ينبني عليها المذهب الظاهري فيما يأتي :

كلام الله عز وجل قولي
وما صحت به الآثار ديني
وما اتفق الجميع عليه بدءا
وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذا وهذا
تكن منها على عين اليقين

فهو هنا قد ذكر الاصول التي‌يعتمد عليها الظاهرية وهي القرآن والسنة والاجماع ولم يذكر الاصل الرابع عندهم وهو المعروف بالدليل لان الظاهرية لا يعتبرونه شيئا خارجا عن النصوص .

ان شخصا كالحميدي قام بالتعريف بالاندلس وشارك في نشر الثقافة العربية وكان راوية لابن حزم لا ينبغي أن نهمل تصحيح اسمه في كتاب يعد من المصادر الادبية الهامة .

3) لم يقتصر الحموي في ترجمة ابن الافليلي على كتاب الحميدي وانما اخذ نصوصا اخرى من كتاب ابن حيان فقال : « كان ابو القاسم المعروف بابن الافليلي فريد اهل زمانه بقرطبة في علم اللسان العربي والضبط لغريب اللغة في الفاظ الاشعار الجاهلية والاسلامية

---

1) جذوة المقتبس صفحة 142 والنص موجود ايضا بكتاب معجم الادباء الجزء الثاني صفحة 5 .
2) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع لصفي الدين عبد المومن بن عبد الحق البغدادي المتوفى سنة 739 هـ وهو مختصر معجم البلدان للحموي .
3) الجزء الثاني من شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس للشيخ مرتضى الحسين الواسطي الزبيدي صفحة 361 .
4) انظر ترجمة الحميدي بالجزء الثامن عشر من كتاب معجم الادباء صفحة 282 فقد ولد قبل العشرين واربعمائة بجزيرة ميورقة وتوفى سنة 448 هـ . ترجم له ابن تاويت ايضا في مقدمة كتاب الجذوة .

والعقلب اكتست البياضا
حتى غدت جلودها بضاضا (1)

والبيئة هي التي صاغت ابناء الصحراء على ما لائمها ، من نحولة في الاجسام ، وسمرة في الالوان ، حدة في البصر ، وقناعة بالقليل ، وعزة في النفس ، صلابة في العزيمة ، وصبر على المشقات ، وصراحة في المقال ، وايثار للايجاز ، واكتفاء باللمح والرمز

وهي التي اكسبت سكان الشواطيء قوة في السواعد، ومتانة في الصدور ، ليجوسوا البحار بسفنهم ، ويحركوا مجاذيفها بسواعدهم

وهي التي زودت سكان الجبال بقوة في ارجلهم، تسهل عليهم ان يتسلقوها ، ويطاردوا حيوانها

كذلك اثرت في تتر منغوليا ، فصارت اكتافهم مرتفعة ، واعناقهم قصيرة ، لان بلادهم ذات ريح باردة، لا بد لهم من اتقائها ، وخير وسيلة عندهم رفع اكتافهم، وجمع اعناقهم ، وضم بعضها الى بعض وهم ذوو عيون ضيقة واجفان غلاظ منتفخة ، نتيجة لهذه البيئة نفسها ، لان الريح الباردة لا تلائمها العيون الواسعة ، اما غلظ الاجفان فهو الوقاية من الريح ومن برودتها ، على ان بلادهم مملوءة بالثلج الذي يتلألأ في ضوء الشمس ، فياخذ بالابصار ، فالعيون الضيقة هي التي تستطيع الابصار في هذا اللألاء

— 2 —

وليس من شك في ان الانسان يخضع لمؤثرات اخرى ، تشكل طباعه واخلاقه وعاداته ومزاجه ، فينطبع انتاجه الفني بهذه المؤثرات ، ويتشكل بالمزاج والاخلاق والعادات ، فهنالك النظم السياسة والدينية والاجتماعية وغيرها ، لكن البيئة الطبيعية هي المؤثر الاول ، والعامل الفعال ، حتى ليصح ان نشبه النفس الانسانية بالقيثارة، توقع عليها الطبيعة وغيرها ضروبا من الالحان والانغام ، هي رجع لما في البيئة الطبيعية من مظاهر الخير والشر والجمال والقبح اكثر مما هي رجع للمؤثرات الاخرى

وليس يخفى على الباحثين ان للبيئة اثرها العظيم في مفردات اللغة ، لان اللغة وسيلة التفاهم والتعليم والاخبار ، والذين يعيشون في بيئة واحدة يتواضعون على كلمات خاصة نابعة من بيئتهم ، ويطلقون اسماء معينة على مسميات يعرفونها

ومن هنا نجد البيئة الصحراوية غنية بكلمات متصلة بالرمال والتلال والخيام ، وغنية بكلمات متصلة بالابل والخيل والغنم وحيوان الصحراء ، على حين انها فقيرة فيما يتصل بالبحر والسفن والملاحة والزراعة

ونجد البيئة الزراعية ثرية بمفردات دالة على الزروع والات الزرع والحصاد ، وهي في الوقت نفسه قليلة الكلمات الدالة على ما يتصل بالصحراء

اما البيئة البحرية فان في لغتها كثيرا من الكلمات الدائرة على البحر والموج وحيوان البحر ، وعلى السفن والملاحة ، لكن كلماتها الدالة على البيئة الصحراوية او الزراعية قليلة ضيقة النطاق

فاذا ما تجاوزنا المفردات الى العبارات والى الخيال تبين لنا انها مطبوعة بالبيئة

فسكان الصحراء ينتزعون منها صورهم وخيالهم من تشبيه واستعارة وكناية ، ولهذا شبهوا الشجاع بالاسد ، والكريم بالغيث ، والحليم بالجبل ، والقوى بالصخر ، وانتزعوا من البيئةصورا شتى في غزلهم وفخرهم ورثائهم ومدحهم ووصفهم

وجاءت كناياتهم مستمدة من بيئتهم البدوية ، فهم في توثيقهم للحلف والمعاهدة الدائمة كانوا يقولون : « ما بل بحر صوفة ، وما اقام رضوى – ان كان جبلهم رضوى ، وكل قوم يذكرون جبلهم او المنهور من جبالهم – في مكانه ، على حين ان القضاة في جزيرة الرجل Isle of Man كانوا اذا حلفوا على مراعاتهم للعدالة والقانون قالوا : اننا سنستقيم في تطبيق القانون استقامة العمود الفقري في ظهر سمكة الهيرنج

كذلك كنى العرب عن العبث في تقديم شيء لمن يملك منه الكثير بقولهم : كمستبضع التمر الى هجر ،

(1) المقدمة 71

أثر البيئة الطبيعية في اللغة

للدكتور احمد الحوفي
أستاذ الادب العربي بكلية
دار العلوم بالقاهرة

– ١ –

خلق الانسان من الارض ، وعاش على الارض ، والى امه الارض يعود .

هذه قضية لا جدال فيها ولا نزاع

وكيف يعتريها جدال او نزاع ، والانسان يجد نفسه ابن الارض ، جسمه من عناصرها ، وغذاؤه من ثمراتها ومائها وهوائها ، وهي مسرحه في جده وفي لهوه ، وفي طفولته وشبابه وكبره ، ثم هي مثواه الاخير بعد جهاده وجهوده ، يعود اليها كما نشأ منها

وهل يمتري احد في ان الحضارة التي ننعم بها ثمرة لتسخير القوى والمواد التي في الارض وعلى الارض ؟.

وهل البيئة الطبيعية للانسان الا حيز محدود من هذه الام الكبرى الارض ؟

واذا كان الانسان يصطبغ بصبغات شتى ، ويتاثر بعوامل عدة في حياته ، فان البيئة الطبيعية في صدارتها

نعم في الصدارة ، لان اثرها عظيم في الجسوم والعقول والاخلاق ، حتى ان الباحثين يرجعون الى البيئة تفاصيل الخلقة كألوان البشرة والعيون والشعر ، وسعة العيون وضيقها

انظر الى سكان الاقليم الاستوائي تجدهم سودا ، والى سكان المناطق الشمالية تجدهم بيضا ، والى سكان الجزيرة العربية مثلا ترهم سمرا

وقديما زعم الاخباريون ان الزنوج اسود لونهم ، لان نوحا عليه السلام دعا على ابنه حام ، ثم جاء ابن خلدون ففند هذا الزعم ، ورجعه الى تاثير البيئة فقال : في هذا غفلة عن طبيعة الحر والبرد واثرهما في الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات . وذلك ان هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول والثاني (من خط الاستواء الى الدرجة 23 ومن الدرجة 24 الى 29) من امتزاج هوائهم بالحرارة المتضاعفة ، فيكثر الضوء لاجلها ، ويلح القيظ الشديد عليهم ، وتسود جلودهم ، لافراط الحر ، لان الشمس تسامت رؤوسهم مرتين متقاربتين في كل سنة ، فتسفعهم بحرارتها وضوئها ، وتلوح جلودهم بنارها

اما سكان الاقليم السادس والسابع (من 48 الى 53 ومن 54 الى 59) فهم بيض البشرة ، لان هواءهم بارد ، والشمس لا تتجاوز افاقهم في اوجها ، فيضعف الحر ، ويشتد البرد في عامة الفصول ، فتبيض الالوان ، وتزرق العيون ، وتصهب الشعور ، وتبرص الجلود ، لهذا قال ابن سينا في ارجوزته :

بالزنج حر غير الاجسادا
حتى كسا جلودها سوادا

تعقيب

للعميد محمّد عزيز الحبابي

سيادة المدير المحترم ....

وبعد :

فى عددكم الاخير « 6—7 من السنة 9 » نشرتم للاستاذ محمد بن تاويت مقالا شرح فيه وجهة نظره عما صدر فى مجلة «آفاق» «2 عام 1966» عن « فضيحة ادبية » وانا اذ اشكره على البيانات التي ادلى بها حفاظا على سمعته التي هي سمعة جامعي وباحث مغربي مرموق ، استغرب لهجته فى العرض .

اظن انه لم يكن فى حاجة الى ذلك الانفعال «خصوصا وانه «سماء لا تخشى» ، كما عنون مقاله.»

المفروض على كل مجلة تحترم الامانة العلمية مثل «آفاق» الا ترفض الاسهام فى اظهار الحقيقة . لقد وقعت ، **بالفعل** ، لصوصية ثقافية مخزية ، ووصلت « آفاق » بمقال مركز يتهم فيه « مؤلفان »، احدهما مشهور بالجهل والتدجيل والسطو ، فكان لزاما ان يفضح ليمحص ناسنا امره ويحتاطوا ممن تسول له نفسه ان يستغل الثقافة للكسب الحرام ، واما « المؤلف » الثاني فمغربي محترم ، قدير فى ميدانه ، واستاذ بكلية الاداب ، ومعزوز لدى اسرة «آفاق» لانه من افرادها الاوائل . فكان من الواجب ان تتضح الامور بالنسبة للاول ، ويتمحص الزور فتصان كرامة الثاني من عبث العابثين « خصوصا وقد قيل ما قيل ..»

فليتأمل الصديق ابن تاويت القضية ، باعصاب هادئة : ما دامت «آفاق» تركت له الباب متسعا للاجابة عن التهمة ، لم يبق له اي عذر فى الابراق والارعاد والاستعانة بـ « سماء لا تخشى » ، ولهجات لا مبرر لها سوى غضب غير مشروع . ان الذنب الوحيد الهائل ، او «الكبيرة» التي لم يغتفرها لآفاق الزميل ابن تاويت ، هي اننا اتخذنا موقفا من التهمة ، فزكينا ابن تاويت ، علانيا بأسود على ابيض ، شهادة للحق ، ودفاعا خالصا عن كرامة جامعة محمد الخامس وعن اتحاد كتاب المغرب العربي «هيأتان ينتمي اليهما ابن تاويت » ، فى حين تركنا الفضيحة فوق وجه باهت ، هو وجه المتهم الآخر « المؤلف الحقيقي » تصفعه دون هوادة . وها ما قلناه بالحرف فى تقديم المقال :

« احتراما للامانة العلمية ، ننشر المقال الاتي الذي يحتوي على تهمة خطيرة ، مع المحافظة بحق الاجابة للمؤلفين . واسرة «آفاق» وان كانت لا تعتبر نفسها طرفا فى القضية ، ترى من واجبها الاخلاقي ان تشهد ان محمد ابن تاويت معروف فى كل الاوساط المثقفة بالمغرب بمعرفته وامانته ، لذا فهي فى حيرة ، وتتمنى ان تنشر فى العدد المقبل ما يزيح الستار عن الحقيقة » .

انها شهادة فى صالح ابن تاويت ، قلناها لصالح الصدق . فتزكية من هذا النوع افيد للحقيقة ولابن تاويت من عشرات المقالات التي يمكنه هو ان ينشرها : شهادة الحبابي على ابن تاويت خير من شهادة ابن تاويت على ابن تاويت ، وتزكية من **اسرة آفاق** خير من شهادة ابن تاويت والحبابي معا «التواتر مقدم على رواية الاثنين ، بله الرواية الاحدية » .

اذكر الزميل ابن تاويت بأنه قضى ليلة عندي بالبيت ، واني اخبرته بعزم لجنة آفاق على نشر ما ورد عليها بشأن « القضية » وانها ترجو منه جوابا يرجع فيه الحق الى نصابه. تقبل الفكرة متفهما موقف

على حين ان الانجليز يعبرون عن هذا بقولهم : كحامل الفحم الى نيوكاسل

وشبه العرب الابيض بضوء الشمس او بشعاعها ، كقول سويد بن ابي كاصل اليشكري :

حـــرة تجلـــو شتيتا واضحـــا
كشعـــاع الشمس في الغيم سطـــع

اما الانجليز فشبهوا الابيض بالثلج Aswhite as snow وهكذا يستمد كل قوم من بيئتهم ، ويتاثرون بها في تخيلهم وفي تصويرهم

على ان للبيئة اثرها في ذوق اهلها ، وفي مقاييسهم للجمال والقبح فالعرب مثلا استملحوا العيون الدعج والعيون الحور ، واعجبوا بالدعج في الابكار وبالحور (1) في الغزلان ، وشبهوا بهذا وذاك عيون الحسان لكن التركمان استملحوا العيون الخزر ــ الضيقة ــ والوجوه العريضة المستديرة ، والاعناق القصار ، لان البيئة صاغتهم على هذا الغرار

ثم ان العرب ابغضوا اللون الاسود ، وعدوه رمزا للبكا والحزن ، ونفروا من الغراب ، وتشاءموا به ، لانه نذير الفرقة ، ولكن الزنوج يميلون الى اللون الاسود ، ويوثرون المراة السوداء ، وكلما كان سوادها حالكا ازدادت في نظرهم جمالا واغراء وفتنة

لكن تعميم الاحكام على العرب الجاهليين لا يخلو من اسراف وتزيد ، لان اتساع الجزيرة ، وتباعد اطرافها ، واختلافها في البيئة والجو ، وفي القرب والبعد من الممالك المجاورة ، واختلاف سكانها في الحضارة والبداوة ، كل هذا لا يكفل الصدق للاحكام العامة التي تشمل العرب جميعا

فقد كانوا ينقسمون الى طبقات شتى ، تجمعها طبقتان كبريان : اهل المدر واهل الوبر ، فاما الاولون فهم سكان الحواضر والقرى ، وكان عماد حياتهم على الزرع والنخل وتربية الماشية والتنقل بالمتاجر ، واما الاخرون فهم قطان الصحارى ، وكانوا يعيشون على البان الابل والغنم ولحومها ، وينتجعون منابت الكلاء ، ويرتادون مواقع المطر ، فيخيمون بها ما وجدوا خصبا ومرعى ، فاذا نضب الماء ونفد العشب يمموا مكانا اخر فيه عشب وماء ، فهم لا يزالون في حل وترحال

وكانت القبيلة الواحدة تقسم احيانا هذين القسمين ، فيتحضر بعضها ، ويتبدى بعضها ، فهنالك قريش البطاح المقيمون بمكة ، وقريش الظواهر المقيمون بالبادية ، الاولون متحضرون والاخرون اعراب

وهنالك عبد القيس ، بعضهم حضر اقاموا في عمان والبحرين ، وبعضهم بدو

كذلك تغلب وبكر واياد كان بعضهم حضرا سكنوا شمالي العراق وما بين النهرين ، وبعضهم بدو في جزيرة العرب نفسها

وجهينة كان قسم منها في البادية بنواحي جبلي رضوى وعزور ، وقسم اخر في الحاضرة بينبع ، وقسم ثالث في الصفراء وهي قرية كثيرة النخل والمزارع والماء ، وهكذا

وكان هنالك بدو صبغتهم البداوة بصبغتها ، لانهم موغلون في البيداء ، يبعدون عن القرى ، يكاد النطور والتاثر بغيرهم لا يمسهم الا في حذر وعلى مهل وهينة. وهو'لاء هم الاعراب الجفاة ، وهنالك بدو لم يصطبغوا بالبداوة هذا الصبغ ، لانهم يقيمون حول الحواضر والقرى ، عن كثب من سكانها ، وعلى صلات بهم . وكثيرا ما كانوا على وشائج قرابة بسكان القرى التي يقيمون حولها ، وكثيرا ما كانوا قسما من القبيلة التي يقيم بعضها في الحاضرة او القرية ، كقريش الاباطح وقريش الظواهر . وكجهينة ونهد ومزينة وهذيل وغيرهـــا

على ان هو'لاء جميعا اختلفت حرفهم واعمالهم ، فكان منهم تجار ورعاة وزراع وصيادون وصناع

ومعنى هذا ان اللغة تاثرت بالبيئة العامة والبيئة الخاصة ، فجاءت المفردات والعبارات والصور والموضوعات صدى للبيئة الطبيعية وللاحوال الخاصة ، ولكن اثار البيئة الطبيعية اوسع واعمق

القاهـــرة : الدكتور احمد الحوفي

---

1) الدعج : شدة سواد العين مع سعتها الحور : شدة بياض العين وسواد سوادها مع استدارة الحدقة ورقة الجفون ، او هو اسوداد العين كلها مثل الظباء ولا يكون في بني ءادم بل يستعار لها

حول شمولية شكسبير

للأستاذ : محمد بن تاويت

قرأت في العدد الصادر من مجلة « دعوة الحق » العامرة ، بحثا للدكتور محمد عزيز الحبابي ، عن شكسبير بعنوان (شمولية شكسبير) فاسترعى نظري منه ، هذا العنوان الذي لاينسجم تماما مع ما ورد في صلب البحث . ولي بعد هذا كله ملاحظة على ما ورد في البحث المذكور ، يمكن ان نجملها فيما يلي :

يقول الباحث « منذ عدة قرون خلت ، قبل عصر شكسبير ، حاولت بريطانيا تأسيس علاقات تجارية ودبلوماسية مع المغرب »

واني بالرغم من اتصالي بهذه العلاقات والبحث فيها منذ سنة 1951 ، حيث نشرت في مجلة « رسالة المغرب » بحثا عن الزابث والمنصور ، لم استطع التوصل الى هذه الحقيقة التاريخية التي سجلها الباحث ، في كون العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع المغرب كانت من قبل شكسبير بعدة قرون خلت ... فهل لباحثنا الكريم ان يدلنا على المصدر الذي اعتمد عليه في هذا ؟ ثم يقول « فمنذ سنة 1577 اقامت الملكة اليزابث علاقات ديبلوماسية مع المغرب حين عينت ادموند هوكان سفيرا لدى السلطان عبد الملك ، فحسب حولية قديمة وصلت اول بعثة دبلوماسية انجليزية الى المغرب بتاريخ 1211 وقد وفدت باسم الملك جون تلتمس عون الامبراطور المغربي محمد الناصر ، لقد كانت انجلترا آنذاك تبحث عن وسائل دبلوماسية وحربية المحافظة على ممتلكاتها بأكتين (مقاطعة بالجنوب الغربي لفرنسا) ، التي كانت مهددة من قبل جيوش اسبانيا ... »

ففي هذا النسق تشويش ، حيث يبني بالفاء في (فحسب) على ما اقامت الملكة اليزابث سنة 1577، تلك العلاقة التي حاولها الملك جون سنة 1211 ، ثم انه يجعل مقاطعة اكتين مهددة من قبل جيوش اسبانيا، وهذا ما لم يذكره التاريخ ، بل ذكر ما نشرناه في العدد 1958 ـ 59 من مجلة تطوان ، ان الملك جون احس بأن بارونات Barons فرنسا ـ لاجيوش اسبانيا ـ يفسدون عليه جهاز الحكم في هذه المقاطعة . وهذا لفرنسيس ميتال Frances Maenal اسمه الذي قلناه يعتمد على عدة مصادر ، منها كتاب A Ride in Morocco ومنها بحث كان صديقنا نبل بربر قد القاه في مؤتمر بموسكو وعربناه فنشرناه بالعدد الصادر من المجلة المذكورة 1960 ، وهو الذي احال على المدونة الكبرى ، التي اشار اليها الباحث الدكتور ، وكتاب لصاحب البحث صدر بعنوان A Survey of North West Africa اما كتابه الذي صدر اخيرا بعنوان « Morocco » والذي احال عليه باحثنا الدكتور ، فانه لم يذكر هذا التهديد من قبل جيوش اسبانيا ، ولا نحن ذكرناه ، كما احال عليه منشورا بمجلة تطوان 8 ، عام 1963 وفقه الله ..

ولهذا نرى ان هذه الحقائق التاريخية تنقصها الواقعية ، كما ينقصها النظام في عرضها والوئام بينها وبين عنوانها .

تطوان : محمد بن تاويت

المجلة ، كما تفرضه عليها رسالتها . ووعد بتحريــر ذلك بعد العشاء ، وفى الصباح ، وعد بتحريره بعـــد الفطور .. ولكن الوقت استعجله فطلب مني ان يؤجل ذلك الى ان يصل الى تطوان . فانتظرنا .. وانتظرنا .. واتصلت به في الموضوع ، ثانيا وثالثا .. وعوضا عن ان يبعث بالرد الـى «آفاق» ، اختار ان يرافـــع امام محكمة «دعوة الحق» .. وان يهاجم من كانــوا شهوده الاوفيــاء . انه حر في اجتهاده ، كما ان اسرة آفاق كانت حرة في اجتهادها . «الشمس لا تخشى» ولكن المريخ ، ككل رفاقــه في السمــاوات العلــى ، كذلك لا يخشى .. فالانتقام والاحتساب لؤم ، وليس من بين اسرة آفاق « وفي ضمنهم ابن تاويت » مــن يعرف بوغلان او بخسوسة النفس ، ولا من يحمـــل قرونــا لينطح بها الصخرة «التاويتيــة» التي هـــي كالشمس «مسكنها في السماء» « كما جاء في رد الاخ ابــن تاويت وهو يتحدث عن نفسه الزكية .

اننا في «آفاق» جميعا زملاء ومعارف لابن تاويت، وكلنا نعتقد انه كان ضحية لمهارة السمسار المـــزور صادق عفيفي .. فالذنب لا يقع على السيدين البكـار والمنصوري الذين انتقدا الكتاب المعنى بالامـــر ، ولا على «آفاق» بل على غفلة ابن تاويت ذاته . فلـــم يتشكك في المقاييس والموازيـن حتى ينبهم عليـــه امرها ؟ ليس على ابن تاويت ان يكـون « حكيما » ولا فيلسوفا « كالحبابي!.. » ليفهم الوضع بوضوح ولكي لا تأخذه الصيحة ببغي المدجليـــن .

نعم ، لقد نصب الاخ ابن تاويــت نفسه خصما عنيدا لحرية الراي والنقد ، وهذه بالذات نقطـــة الضعف في رده : فلعن «آفاق» ، مس بكرامة اسرتها «لانها ، في نظره بهلاء ما تزال تؤمن بحرمة حريـــة النقد والراي» . هكذا رمانا بعقد دونها ذنب الضب : ضيقات متأزمة بكل شيء وكل شخص ، لان نظريـــة ابــن تاويت هي ان كل ما ليس مدحا لشخصه فهـــو تشف ، وجهل ، وميل مرضي لاشباع الطبائــــع الحيوانية بأشلاء الضحايا مـــن «البرآء الطيبيـــن المثالييـــن !..» فأفراد اسرة «آفاق» في نظـــره ، سامحه الله : « يحسون في قرارتهم بتلك الفجـــوات العميقة التي تتخلل شخصيتهم ، فيحاولون ان يردمو تلـك الفجــوات ..» بنقــد غيرهم !..

مســاكين نحن ! اذا ما انبرى احدنا يحلل كتابا او يقارنــه بآخر ، اتهم في عقله ، وعرضه ، واخلاقه ووطنيته ، واتهمت معه المجلة التي سمحت بنشـــر المقـــال ..!

انظروا كيف تحدث سيادة الاستاذ ابــن تاويت عن اسرة «آفاق» ، بأكمل «تواضع» ، من اعلى قمـه سمائه التي لا تخشى : «ولنصرف الان وجهنا عــن هــؤلاء النـــاس .. » لان « الحديـث يطـــول اذا ما تعرضنا ، بالتفصيل والتحليل ، لهؤلاء الناس.» شكرا لصاحب المقال الرفيع ، والمعالي ، والتعالي على تلطفه الكريـــم ..

اصابنا الدوران ، ولكن الله سلم . قد كـــادت صواعق « تاويتية » ان تنزل بنا ، « اللهم لا علينا ولا حوالينا !.. فتنفرقع دنيانـا ، بما فيها من اخضـــر ويابس ، ويصبح المغرب غير المغرب .. وتنذعر السماء تلك التي «لا تخشى» ، « الا ابــن تاويت» .

واخيـــرا :

اعطت اسرة آفاق شهادة في صالح ابن تاويت . ولكنه ، وياللاسف ، ابى الا ان ينفعل انفعالا ينافـي اللياقة والوقار العلمي ، مما جعلـه يستعمل عبارات نابيــة فيرمي الاخرين باللؤم «لا شك من غير مـــا ارادة منه » والبلادة ، وبكثير مـــن النعـوت التي ربما يؤولها بعض القراء ، او جلهم ، بسوء نيـــه الاستاذ ابن تاويت ، او بأنــه غير مقتنـع بموقفـه ، فكما يقول المثل العامي : « اللي فيه الفز تايقفز » .

فباسم اسرة آفاق ، اؤكد ان تزكيننا للاستـــاد ابن تاويت ما زالت هي هي ، رضي ام غضب ، لانهـــا صادرة عن وعي واقتنـــاع .

وتفضلوا ، ســيادة المدير ، بقبول عبــارات التقديــر والزمالــة .

عــن اســره آفاق

محمد عزيـز الحبابـي

ومنذ زمن قليل اخذ الحديث يدور حول الاشتراكية الافريقية ، ويتزايد ما كتب فيها ويعد احسن ما كتب عن الاشتراكية الافريقية هو ما جاء في اعقاب التجاريب التي كانت عبر التطبيق فيها اوضح وانصع من مجرد التحليل الذي يعني اكثر ما يعني باستعراض مختلف النظريات وتمطيطها تمطيطا يزيد الطين بلة في التعقيد والغموض

كتب الدكتور رشيد البراوي وهو خبير اقتصادي في موضوع الاشتراكية الافريقية بحثا يتوفر على عنصري التبسط والوضوح ومن المناسب ان نسوق ملخصا لما كتبه الاستاذ البراوي في هذا الموضوع :

ان الاشتراكية الافريقية اراؤها في التنظيم الاقتصادي :

اولا ـ فهي تؤمن بالتخطيط ، والتخطيط كما يقول « سيكوتوري » موجود في النظام الرأسمالي وفي النظام الاستعماري وفي النظام الاشتراكي ، ولكن الاهداف تختلف حسب الظروف والغايات العامة، وعلى التخطيط الاشتراكي ان يواجه حقائق المجتمع اولا وقبل كل شيء وان يعمل على زوال العيوب والتناقضات القائمة . فاذا فرضنا وجود موارد طبيعية مثل الحديد والبوكسيت والكهرباء مثلا ، فهذه جميعا دعامة تقوم عليها صناعات قوية ضخمة لها قيمتها من وجهة النظر الاقتصادية البحتة . ولكن هل يفيد هذا الشعب كله الذي يقوم اغلبه على الزراعة والذي يعاني ما لا يقل عن 95 في المائة من افراده من الفقر والجهل والمرض، الجواب بالنفي . وهنا يجب ان يراعي التخطيط الحاجيات والاهداف الاجتماعية الشاملة

ثانيا ـ ان الارض ملكية جماعية للقرية والاساليب المستعملة عائلية واحيانا فردية فهل تقسم الارض وتوزع في ظل ملكية خاصة يقررها التشريع ، لو فعلنا هذا لادى الى انقسام المجتمع الى طبقات ونشوء الصراع ، واذا اخذنا بالنظام الجماعي في الزراعة ووسائل الانتاج والمحصول لاثار هذا العمل رد فعل عنيف يعرقل قوى الانتاج بدلا من ان يطلق سراحها ، واذن فالملكية الخاصة المطلقة كاساس للاستغلال الزراعي كما تذهب اليه الفلسفة الليبرالية والنظام الجماعي مما يطبق في الاتحاد السوفياتي ونظام الكوميزنات الذي تطبقه الصين الشعبية ـ هذه كلها لا تتفق مع حقائق المجتمع الافريقي وحاجاته واهدافه ، وهنا تنحو الاشتراكية الافريقية منحى اخر فتاخذ بالنظام التعاوني وفيه :

ا ـ القضاء على الاستغلال (ب) وتنمية الانتاج بالاستفادة من مزايا الانتاج الكبير (ج) واشراك الشعب نفسه ايجابيا في العملية الانتاجية

ثالثا ـ وتاخذ الاشتراكية الافريقية بمبدأ التاميم بوصفه وسيلة لغايات عدة هي :

ا ـ تحرير الاقتصاد القومي من الاستغلال الاجنبي ، ولدينا امثلة على هذا من الجمهورية العربية المتحدة وغينيا ، كما ان المغرب قرر اخيرا تاميم المرافق العامة الرئيسية ويدخل فيها جهاز النقل بالسكك الحديدية

ب ـ السيطرة على العوامل المؤثرة والموجهة في البناء الاقتصادي كالبنوك وشركات التامين ومؤسسات التجارة الخارجية ، وهذا يتيح تحقيق اهداف الدولة ويعاون على الاسراع بعملية تجميع رأس المال اللازم للتنمية بسبب قصور عملية التجميع او ما يقرب من انعدامها نتيجة الاوضاع في العصر الاستعماري .

ج ـ انشاء المشروعات ذات الاهمية الاستراتيجية للاقتصاد القومي (الكهرباء صناعات الحديد والصلب) .

وهنا نقول انه لما كان التاميم وسيلة وليس غاية في حد ذاته . لهذا فانه ينفذ في حدود معينة تختلف من بلد الى بلد ، ففي الجمهورية العربية المتحدة مثلا وحسب القوانين الصادرة في يوليه سنة 1961 قسم النشاط الاقتصادي الى فئات ثلاث ، الاولى طبق عليها التاميم الكامل . والثانية اشتركت فيها الملكية العامة بنسبة النصف ، والثالثة حدد اقصى ما يملك الفرد فيها بما لا يتجاوز مجموعة عشرة آلاف جنيه ، والى جانب هذا كله . هناك فئة رابعة لم يتدخل فيها القطاع العام اطلاقا، والقول بان التاميم ليس بالغاية عبر عنه مؤتمر غينيا الديمقراطي بقوله : هل التاميم الشامل هو الهدف ، الجواب بالنفي . فالتاميم وسيلة لاهداف ولا يمكن ان يتم كيفما اتفق ، وانما يجب ان يتم حسب الظروف والاعتبارات العامة

افريقيا في مفترق طريقين

اللباب

للأستاذ : أحمد زياد

- 3 -

ان الديمقراطية الموجهة او التخطيط المركزي قد وضعا في امتحان عسير بعض البلاد النامية ـ ان لم نقل باكثرها ـ وان الاتهام الذي وجه الى هذه الديمقراطية كان صكه هو نفس التخطيط المركزي الذي مني بالفشل التام في البعض من تلك البلاد ، وباخطاء وخيمة العواقب في البعض الآخر منها

وشيء اخر لا بد من الاشارة اليه ، الا وهو ان الاشتراكية قد تعرضت خلال مدة طويلة الى شيء غير قليل من التعقيد الناشىء عن دراسات جافة لجوانبها ، هذا التعقيد الذي ورد على البلاد النامية ضمن ما ورد عليها من « الغارات الاشتراكية » التي كانت تشتمل على الكثير من الغث وعلى القليل من السمين ، فكان من شان هذا التعقيد ان وضع الكثير من اللبس والغموض حول الاشتراكية التطبيقية التي كان على البلاد الافريقية ان تمارسها ، وهي اشتراكية تخالف الاشتراكية النظرية التي لا يؤدي فيها التضارب الى ما يؤدي اليه في ميدان الاشتراكية التطبيقية ، فمئات الكتب والآف الدراسات قد وضعت في الاشتراكية ، بيد ان القليل منها هو الذي التزم مناهج تطبيقية واستمد من الواقع الذي يعيشه كل بلد يتدرج في مراحل النمو الاقتصادي ، واذا لم يكن هنالك مانع من تضارب الاراء والنظريات حول الاشتراكية فيما قبل سنوات خلت ، فان ما طرأ على الاشتراكية نفسها خلال مراحل تطبيقها يعد امرا يقضي بتبسيط تلك النظريات لكي تصبح تصاميم ومخططات تجمع فيما بين المبدأ الاشتراكي وتاخذ بعين الاعتبار مختلف البيئات والظروف

ويمكن لمختلف التجاريب التي وقعت ممارستها ان تساعد على مثل التبسيط ، وان تكون عناصر لصياغة بناء اشتراكي محدد المعاني يرتكز على التجاريب اولا ويستعين بالنظريات ثانيا

وبالفعل فان هذا الاتجاه قد اخذ يبدو في بعض ما ينشر وما نشر اخيرا من ابحاث ودراسات عن الاشتراكية ، هذه الاشتراكية التي تنصب في اول ما تنصب على الاقتصاد وتتناول عن طريقه مظاهر التخلف لتحقق غايتين اثنتين : اولاهما التنمية بمعناها العام ، وثانيتهما العدالة الاجتماعية ، والنمو الاقتصادي وتوزيع الثروات عاديا هما الدعامتان الاساسيتان في بناء كل هيكل اشتراكي

وان احسن رد يمكن ان يكون مقنعا وغير قابل للجدل فيما يخص دحض ما يتضمنه صك الاتهام ضد الديمقراطية الموجهة والتخطيط المركزي ـ ليكمن في انتهاج سياسة اشتراكية مبسطة المفهوم مجردة عن كل تعقيد تستمد روح فلسفتها من الواقع ومن الموازنة الدقيقة فيما بين الربح والخسارة

لاد حركة التصنيع ينضبط سيرها بمقاييس تكون حالة وسط بين قفزات الارنب الروسي وخطوات السلحفاة هندية

المشكل رقم واحد في افريقيا

تعتبر الزيادة المطردة في عدد سكان افريقيا في طليعة القضايا التي يجب ان ينظر اليها بالكثير والاوفى من الاعتبار ، وذلك ضمن كل مخطط للنمو الاقتصادي، والزيادة في عدد المواليد لا تساير ولو بنسبة قريبة تطور الانتاج وارتفاعه

ولئن كانت هذه الظاهرة لا تعتبر جديدة بالنسبة للاقطار الافريقية فان عهد الاستقلال والمسؤولية وضعها بكيفية جديدة ، لان الاستعمار كان يعتبر هذه الزيادة في صفوف المواطنين تعزيزا لخطته في تشغيل اليد العاملة الافريقية بثمن بخس ، وذلك الى جانب استثمار الخيرات الافريقية ضاربا ـ في هذه الحالة ـ عصفورين بحجر واحد

فمما يلاحظ بهذا الصدد ان عدد السكان في القارة الافريقية قد ارتفع خلال النصف الاول من هذا القرن من 120 مليون الى 199 مليون ، اي بنسبة 66 في المائة ، وهذه النسبة ينتظر لها ان ترتفع بشكل حاد ومخيف خلال النصف الثاني من هذا القرن حيث ستصل الى 260 في المائة وبذلك يمكن ان يقفز عدد السكان الى 517 مليون خلال سنة 2000

ان هذه الزيادة المنتظرة لا بد وان تثير مشاكل اقتصادية يتعلق جانب منها بتوفير الغذاء ، بينما يتعلق جانب اخر منها بتوفير الشغل ، فاذا كانت افريقيا تعتبر ثانية القارات من حيث المساحة « 11مليون كلم مربع » وغزارة الامطار في بعض المناطق فلا بد من ان يوضع في الحسبان الملاحظات الحيوية الاتية :

1) بالرغم عن غزارة الامطار في كثير من الجهات لا يسعنا اغفال الاثر الناجم عن ارتفاع نسبة البحر في بعض الانحاء مثل ليبيريا وسيراليون والسينغال

2) ان مناطق شاسعة الاطراف انما هي عبارة عن صحراء او في حالة الجفاف الكلي او نسبي ويقدر بـ 36 في المائة من المساحة الكلية للقارة غزير الامطار في حين ان 16 في المائة قاحل و 22 في المائة شبه قاحل

3) يجب ملاحظة مشكلة تتجلى في ظاهرتين لا تقل احداهما اهمية على الاخرى ، اولاهما الصبغة الفصلية للامطار الشيء الذي يترتب عنه ان بعض المحاصيل التي يتطلب نضجها وقتا يزيد على الفصل المطير ، فتتعذر زراعتها او تتعرض لاخطار شديدة ، اما الظاهرة الثانية فهي التفاوت الواقع في كميات المطر من سنة الى اخرى

4) تأخر الاساليب المتبعة في الزراعة وعدم الاهتمام لمقاومة الاثار المترتبة عن تاكل التربة وانهاك الارض للمغالاة في تربية الحيوان وانتشار بعض الامراض التي تفتك بانواع من النبات من مثل الكاوكاو والقطن والحبوب

5) بالرغم عن كبر مساحة القارة فانها لا تضع سوى 10 في المائة من الماشية بالنسبة للاحصائيات العالمية اكثر من ربعها من فصيلات الماعز و 15 في المائة من الاغنام

ان هذه الملاحظات الخمس تبرز المشكلة الزراعية في افريقيا وتفرض انه ينبغي وضعها في مقدمة ما يجب صرف العمل والجهود اليه اذا اريد ان نواجه الزيادة السريعة والكبيرة المنتظرة في عدد السكان فنصيب الزراعة في الاقتصاد الافريقي ما يزال ضئيلا اذا قيس بما يلقاه من عناية في بلاد اخرى وخصوصا منها البلاد المتقدمة ، ثم انه اذا كان لا بد من العمل على زيادة المساحة المزروعة ورفع مستوى الطاقة الانتاجية فلا بد من استخدام عدة وسائل ، في مقدمتها تنفيذ مشروعات الري والمحافظة على التربة والتوسع في استخدام الاسمدة وتحسين مستوى الاساليب والمعدات والالات وما اضيف الى ذلك ، كما ينبغي توفير العلف وموارد العيش للحيوانات والقيام بحملات واسعة للقضاء على الامراض والحشرات التي تضر بالحيوان والنبات . وينبغي الى جانب ذلك صرف الجهود واستغلال الموارد كلها لتوفير العمل للمواطنين ورفع مستوى الحياة ، وفي طليعة ما ينبغي تنبيه الاهتمام اليه والتوسع في استغلال الثروات المعدنية التي تعد من اعظم الامكانيات في القارة الافريقية

وهكذا يبدو من خلال هذا التحليل انه اصبح من اللازم ان تخضع مشكلة التناسل الى مقاييس التطور

هنا تختلف الاشتراكية الافريقية عن النظام الغربي لانها لا تعترف بالنشاط الاقتصادي الحر الطليق القائم على اسس الملكية الخاصة اصلا والمنافسة وعامل الربح وهي تختلف في الوقت نفسه عن النظرية الماركسية فلا تطبق مبدأ الملكية لادوات الانتاج لانها تعتبر الملكية وظيفة ولها حدودها ، وان هذه الملكية ينبغي الا تكون اداة للسيطرة والاحتكار والاستغلال ، ولهذا فبينما تاخذ بمبدأ الملكية العامة في الحدود التي تحرسها المصلحة العامة تعترف بدور الملكية الخاصة فتترك لها الحرية في نطاق الاهداف العامة ، او تشترك معها وحتى في البلاد التي لا تقر هذا الاتجاه او تسير عليه بصورة واسعة النطاق نجد الدولة تقيم صناعات ومشروعات وتشترك مع رأس المال الخاص في اقامتهما كما في نيجيريا مثلا .

وللتاميم الافريقي طابعان ، فضلا عن ذلك ، وهما انه يتم بالتدريج وفقا لمقتضيات الاحوال كما انه ياخذ بمذهب التعويض العادل كما حدث في انجلترا مثلا ويرفض فكرة المصادرة

رابعا ـ وتعنى جميع المنظمات الديمقراطية في البلاد الافريقية بالتصنيع ، ويبدو من البرامج التي هي موضع التنفيذ الان او التي يجري اعدادها الواقعية التي تتصف بها ، فهي تريد اولا ارساء القاعدة التي يقوم عليها البناء الصناعي، وترفض الطفرة التي تقضي على التوازن بين عناصر الاقتصاد القومي ، ولانها تدرك ان هناك عنصرا اخر لا يجب ان تكون لها الاولوية من وجهة نظر المصلحة الاجتماعية العامة ، وفي هذا يقول تقرير الحزب الديمقراطي الغيني مثلا « واضح ونحن نبدأ من الصفر فلا محل لان يعمل برنامج السنوات الثلاث على انشاء الصناعة الثقيلة ولو كنا نملك في ارضنا عناصرها الرئيسية » لان هذه الصناعة بحاجة الى رؤوس اموال وفنيين وخبرات مما لا يتوفر للبلاد الان ، ان قادة هذه البلدان ممن امنوا بالفلسفة الاشتراكية يدركون القيود الحالية او الحدود الحاضرة ، ومن هنا يرون ان يسير التصنيع على مراحل وان يكون وسيلة لدعم التنمية الكلية »

ويقول الزعيم الافريقي «طومبويا» في موضوع الاشتراكة ما معناه :

« والواقع ان في بعض اجزاء قارتنا فوضى مؤسفة حيال هذا المفهوم وغيره من المفاهيم ، وكم ارجو ان يعكف شعبنا على التفكير لنفسه بهذا الموضوع . فلقد ظهر افريقيون يدعون انفسهم اشتراكيون ـ « اشتراكيين افريقيين » ـ ولكنك ان دققت النظر في تفكيرهم وجدت انهم يتبعون تخطيط الفكر الاجنبي اتباعا اعمى . انهم في افعالهم يعتقون مبادىء تضر جدا بمفهوم الاخوة الافريقية يردد هؤلاء المدعوون « اشتراكيين » الشعارات الاجنبية ترديدا ببغائيا » ويسمحون لانفسهم بالانحراف مع عواطف لا علاقة لها مع اماني شعبنا النبيلة ، **ويبدو لي ان مع افريقيا التي اخذت تتخلص من الاستعمار الغربي ما تزال تحارب خليفته المعروف ((بالاستعمار الجديد)) فان هناك جهادا آخر لابد من حمل رايته : هو الجهاد ضد الاستعمار الفكري، يجب الشروع بهذا الجهاد منذ الان، جنبا الى جنب مع النضال من اجل الاستقلال الاقتصادي ، هذه الحقيقة البارزة هي التي تجعلني اعلق اهمية كبرى على مفهوم ((الاشتراكية الافريقية)) .**

عند ما اتكلم عن « الاشتراكية الافريقية » فانا اعني قوانين السلوك المثبتة في المجتمعات الافريقية التي عملت خلال العصور على اعطاء ابناء شعبنا كرامة وامنا . بغض النظر عن مراكزهم في الحياة اعني المحبة الشاملة التي تتصف مجتمعاتنا بها . واعني مجاري الفكر الافريقي والمبادىء التي لا تعتبر الانسان وسيلة اجتماعية بل نهاية للمجتمع وغاية »

وهكذا يبدو ان المذهب الاشتراكي وتحليل جوانبه وقع فيهما الشيء الكثير من «التهافة» وتهافه التهافة ـ بلغة علماء الكلام ـ فكان لهذا التهافة النظري آثاره البعيدة في تطبيق التخطيط الاشتراكي . وانعكست هذه الاثار على اساليب الحكم واساليب التنمية فكانت النكبات التي تتوالى مشاهدها المؤسفة في بعض البلدان النامية ، بل ان الاشتراكية انقلبت الى عملة زائفة حتى في بعض النظم ذات الطابع الاقطاعي الصميم . وبذلك اصبح من الضروري ان ياتي المدلول الحقيقي للاشتراكية في تخطيط واضح المعالم تتحلى فوائده وعدالته في اصلاح زراعي واقعي رصين الاسس . متكامل الجوانب يحسب خطواته اكثر مما يكرر قفزاته . وفي

ضمار مرحلة ثمان سنوات تقريبا قبل ان تصبح حركتها ثورية تكتسح البلاد الصينية من اقصاها الى اقصاها ، فقد كان لتلك ثمرة عدة تجارب في الحكم يرجع عهدها الى اكثر من عشرين سنة على مناطق بالغة الاهمية .

ان الاناة لا بد منها في انجاز المشاريع والا اصبحت الحالة مصداقا للمثل القائل : « اذا خرج الشيء من حده تحول الى ضده » فالاشتراكية الافريقية ليست ظروفها مشابهة لظروف اشتراكية الصين او الاتحاد السوفياتي فالاوضاع في الاقطار الافريقية جديدة ولا بد من ان تكون تلك الاشتراكية المتوخاة سائرة جنبا الى جنب مع مصاعبها الذاتية وظروفها وملابساتها، فالجو السياسي تطرأ عليه تطورات هامة ، وليس النظام الشيوعي باقل قساوة وصرامة من النظام الرأسمالي ، غير ان هنالك بعض التمويهات من هذا الجانب او ذاك، تجتذب الناس بين الاونة والاخرى

ان الاشتراكية الحق تعطي الاسبقية لارضاء الرغبات والحاجيات الاكثر الحاحا من لدن الاغلبية الساحقة من الجماهير الشعبية الكادحة فهي تفضل بناء المدارس الابتدائية والمهنية للجماهير البدوية وتفضل ذلك على استيراد السيارات الفخمة الخصوصية من الخارج كما تسعى الى اشباع الافواه الجائعة في الاوساط الفقيرة ، وذلك بالذات ما يعينها على انتهاج المراحل الجوهرية في النمو

واكبر عامل على نهضة المناطق الغابوية ، هو التشجيع على عمليات التشجير ، وبذلك يصبح الاستثمار اعمق فعالية واوسع نطاقا

واذا تم تحديد الاتجاه في النمو ، اصبحت الاستثمارات في زيادة مطردة ولو كانت من مصادر متعددة ، ان القروض المالية قد تاتي وفق شروط سياسية وغايات لا تتلاءم دائما مع ضرورات النمو والمصالح الخاصة المتقيدة منها ، ومن البديهي ان الروح الاستعمارية لن تموت تلقائيا بالسرعة التي ترتجيها لذلك ينبغي اتخاذ الحذر والتيقظ امام الاحابيل والوعود المعسولة ، فلربما يكون السم في الدسم

وهنالك استثمارات مالية خصوصية ما زالت تنهال على مدغشقر والسينغال وساحل العاج والكامرون ، وهذه الاقطار لا يمكن ان تعتمد على الرأسماليين الاوربيين والامريكيين وحدهم في تشيد صرح افريقيا الفتية ، فهنالك قبل كل شيء النفقات الضرورية في التجهيزات الاساسية الاجتماعية وهي غير ذات دخل فهي لا تجتذب الباحثين عن الربح والفائدة

وكان الرئيس (هوفويت بواني) عند ما استقبل الرأسماليين الكنديين في نوفمبر 1959 ليفسر لهم فوائد الاستثمار في بلاده ويقصد بذلك انخفاض اجور اليد العاملة الشيء الذي يترتب عنه ضمنيا حرية تصدير الارباح ، غير ان ذلك كله ، بما فيه من نظم تجارية وجمركية متشعبة الجوانب وبما فيه من مصاريف التجهيزات اللازمة لا يجعلنا نعول كثيرا ، قبل مضي وقت طويل على الاقتصاد الفردي المحلي من اجل امداده بالاموال الضرورية

والتصنيع وكذا توسيع نطاق النشاط الفلاحي ، يجب ان يسيرا معا في خطين متوازيين فمن دون وجود مصانع ، لا يمكن ان تكون في البلاد اية طفرة اقتصادية

ثم ان توسيع اسواق الترويج التجاري ، قد تعوقه المصاريف الباهظة في نقل المنتوجات ولذلك يجب ان تكون الاقطار الافريقية على اتم الاستعداد لتتحمل عند الاقتضاء ، اضخم التضحيات تركز وجود منتوجاتها وتتلافى كل تاخير او كساد او عجز

واذا كانت الصعوبات الابتدائية التي تعانيها السمعة الافريقية راجعة الى العوائق الجمركيه والى ضعف التجهيزات الاساسية والى انعدام الفنيين المحليين. والى نفقات النقل الباهظة وارتفاع اثمان قطع الغيار والاضطرار لبدء العمل في مصانع صغيرة جدا ، فان هذه المصاعب كلها ستزول بهمة الافارقة وطموحهم الذي تتحطم امامه السدود والقيود

والنمو الفلاحي ضروري لتكميل النمو الصناعي من اجل الاكتفاء الذاتي اولا ثم انماء الصادرات التي ما تزال في جوهرها فلاحية ومعدنية ثانيا

وصناعات التحويل تستلزم توسيع نطاق الفلاحة ومن ذلك انتاج المواد الاولية للصناعة كالقطن والياف القنب « الجوت » والمواد الزيتية التي تلعب دورا بالغ الخطورة في افريقيا الوسطى وافريقيا الغربية وكذا

التي تحتم مفاهيم القرن العشرين السير بمقتضاه ، ذلك ان التفويض والتواكل لم يعد لهما مدلول في هذا العهد الذي اصبح فيه كل شيء من طاقات بشرية وانتاجية يجب ان يخضع للاحكام التي تصدرها الاحصائيات ، هذه الاحصائيات التي تؤكد احكامها المرة تلو الاخرى ان حركة المواليد في البلاد النامية لا بد وان تتقيد بامكانيات التغذية والشغل والعكس ليس بالامر الصحيح

فحالة الفوضى المخيفة فيما يخص تزايد سكان القارة الافريقية يلحق افدح الاضرار بحركة التنمية ، وذلك بما تحدثه هذه الحالة من اخلال فيما بين التوازن الاجتماعي الذي يعد الغاية المثلى في برامج النمو الاقتصادي

ومن ثم كان من الطبيعي ان تفرض هذه المشكلة نفسها فرضا على البلاد النامية في كل من اسيا وافريقيا ، الا ان التخفيف من حدتها يتطلب شيئا من الجرأة والتجرد عن العواطف وكبت الغريزة بما يتلاءم واهمية المشكل وعواقبه الوخيمة على النمو الاجتماعي الذي من مستلزماته التنظيم البشري

فالانتاج في الكمية البشرية عملية سهلة ، بيد ان الانتاج في الكمية الغذائية يعترضه الكثير من الصعوبات، فلا مناص اذن من ايجاد توازن فيما بين القطاعين حتى لا يطغى احدهما على الاخر فيزداد المشكل تعقيدا ، ثم سرعان ما يفضي هذا التعقيد الى كوارث جماعية وما يترتب عنها من امراض يتساوى في عواقبها المصابون والسالمون

واذا كان صحيحا ان افريقيا تتوفر على امكانيات في باب الثروات المعدنية وان هذه الامكانيات تمثل احيانا النسبة المئوية تقفز الى 96 في المائة فان الامر صحيح كذلك بالنسبة الى انعدام الوسائل التي تجعل في الامكان استغلال هذه الثروات ، وفي مقدمة هذه الوسائل الاطر الضرورية

وتكوين الاطر رهين هو ايضا بوجود تخطيط مركزي ترتب مشاكله ترتيبا ابجديا يحول دون تقدم حروف المؤخرة على حروف المقدمة ، فالعناية بالزراعة والانصراف الى رفع مستواها يشكلان حركة النبض بالنسبة لكل هيكل في كل تخطيط للنمو الاقتصادي ثم التصنيع التدريجي ليزيد في طاقة التنفس الاوكسيجيني ان صح هذا التعبير .

لقد تحدث الخبير الاقتصادي الفرنسي (ديمونه) في كتابه « الانطلاقة الخاطئة لافريقيا » عن هذا الموضوع فقال :

اخذت البلاد الافريقية الفتية عهدا على نفسها بتنظيم اسس تنميتها الاقتصادية ، وها هي ذي تباشير التصميمات في الاستثمار على اوسع نطاق ممكن حسبما تسمح به مواردها الطبيعية والبشرية ، وقد توفرت تنمية المنتوجات الفلاحية والصناعية على الحصة الاولى في مجموعة الجهود المبذولة والاهداف المتوخاة والاسبقية لا تمنح الا لما هو اكثر اهمية واشد الحاحا واستعجالا

وهنالك مقاييس فنية محضة في هذا المضمار بعيدة كل البعد عن التيارات السياسية في البلاد مثلما هو الشان في السينغال والكامرون والداهومي ، غير ان السياسة اذا كانت ذات مرونة فانها تساعد على انجاح التصاميم وذلك بالحد من عدم التساوي فيما بين الموارد الطبيعية وتعيين استثمارات رأس المال ، وكذا النفوذ الذي تحظى به الامتيازات التجارية واستجلاب اقصى ما يمكن من المساعدة الخارجية ـ عند الاقتضاء ـ كما هو الشأن في الخطة التي تنهجها وزارة الفلاحة بالجمهورية الملغاشية

واعظم عامل يجعل اصناف الاقتصاد الافريقي تخطو بثقة نحو التقدم والازدهار ، هو ذلك الالتزام المشترك فيما بين الحكومة والشعب ، القائم برمته على حرية اختيار الواعي للاعمال لتي يمكن انجازها والتضحيات التي يمكن بذلها

واذا كانت بعض الحكومات الافريقية تنتسب الى المذهب الاشتراكي من اجل تحقيق العدالة الاجتماعية والنمو السريع فان تلك الحكومات كلها ، لا تنظر للامر من زاوية واحدة ، فالمفاهيم والتأويلات تختلف عن بعضها البعض ، وليس الامر بتحقيق فوري للمدلول الاشتراكي الكلي ، ولا يجعل الاقتصاد جماعيا بصورة شمولية ، تحت اشراف ادارة مركزية قوية او بعبارة اوضح من نموذج سوفياتي ، فالصين الشيوعية التي كانت تسير بخطى حثيثة جدا كان لزاما عليها ان تقطع في ها

نفحة الخلود

للشاعر: المدني الحمراوي

بالنور يشع في الافق يا له   غمر الكون بهجة وجلاله
ودهى في السماء كل ملاك   وكسا الارض من سناه غلاله
عجبا للحياة ما ذا دهاها   هكذا ردد الوجود سؤاله
حدث حرك الحياة فهبت   من رقاد تود فيه اطاله
انه الحادث الذي ابهج الكو   ن وافى ظلامه وضلاله
اي نور واي يمن وبشرى   وهب الله في رسول العداله
يا لفجر اتى يزف الاماني   ناشرا من سروره اذياله
حين نادى جبريل هذا رسول   قرن الله بالهدى ارساله
يملأ الارض رحمة وسلاما   ويحب الانام فيه اعتداله
ويسوس الحياة بالعدل حتى   تكبر الارض كلها اعماله
جاء بالدين فيه كل رشاد   قرن الله بالسلام هلاله
يا رسول السلام يا خير داع   علم الناس كل خير وقاله
انت علمت كل حر كريم   كيف يعتاد صبره واحتماله
فصلاة عليك تستغرق الدهـ   ـر ويطوي اريجها اجاله
يا حفيد الرسول يا خير منصو   ر رعى الله بالهدى اعماله
يا اماما موفقا حسن اللـ   ـه واسمى نعوته وخلاله
آية الله فيك لاح سناها   فبهرت العقول منذ الطفاله

عجين السيلولوز المعد لصناعة الورق ، وكل هذه المنتوجات لا تمكن الزيادة في حجمها وجودتها الا بالزيادة في المنتوجات الغذائية الضرورية ، ان الطاقة البشرية في حاجة الى سماد ينميها كما ان الارض الافريقية الخيرة المعطاء ، في حاجة الى سماد يزكيها ويربيها ، وبذلك يتضاعف الانتاج وتتخفف وطأة البطالة في الارياف ، ويزداد الاستثمار فعالية والانتاج الفلاحي الجيد ينمي الطاقة الشرائية المحلية ويمنح بالتالي للبلاد مناطق خارجية للتصريف التجاري

ان الفلاحين الافارقة يعملون جادين لتمويل صناعتهم الفتية بانفسهم في النهاية ، اذ ليس من السهل الوصول الى التمويل الذاتي للصناعة بسرعة كبيرة

وتبذل في افريقيا — وعلى اوسع نطاق — جهود جبارة لتنمية صناعة السكر ، وفق المناهج الحديثة سواء في مرحلة غراسة قصب السكر ، او في حالة التكرير والداعي الاساسي لذلك هو ارتفاع مقادير الاستهلاك لهذه المادة سواء على الصعيد المحلي او الصعيد الخارجي وفي ذلك تشجيع على التصدير وبالتالي على تدعيم الكيان الاقتصادي الافريقي .

وهنالك في شتى الاقطار الافريقية الناهضة حركة نشيطة في ميدان صناعة العتاد الفلاحي والاسمدة والمخصبات ، كما ان هنالك نهضة ملحوظة في الصناعات الغذائية فيما يرجع للمصبرات وعصير الفواكه ودقيق السمك وزيت النخيل التي لها اهمية عظمى في صناعة الصابون .

وقد عرفت زراعة الارز هي الاخرى وكذا القطان واشجار البن والكاوكاو ، ازدهارا لم يسبق له مثيل في كافة الاقطار الافريقية الفتية ، وتساعد تربية الدواجن والمواشي والدواب على تعزيز الجانب الفلاحي والصناعي في آن واحد هناك .

ان الزراعة كاصل والتصنيع التدريجي كفرع هما اولا الدعامات في بناء هيكل النمو الاقتصادي ، وذلك مع مراعاة الترتيب السلمي لتخطيط هذا البناء ، فالاطر الضرورية والدقة في الموازنة بين الامكانيات والحاجيات ، والانقياد انقيادا تاما انطق للعمليات الاحصائية واعتبار الفوارق الشاسعة فيما بين المثل والواقع ، ان كل هذه الاشياء تكون عناصر اساسية في الترتيب السلمي للتخطيط فيما يخص النمو الاقتصادي، وبالاضافة الى كل ذلك ينبغي التجرد تجردا تاما عن كل المؤثرات العاطفية — ومن اي شكل كانت — التي قد يحمل التاثير بها على الارتجال الذي من شأنه ان يعقبه الخبط العشوائي الذي تعانيه منه بعض الدول النامية مرارة الصاب .

الرباط : احمد زياد

سنجمع الشمل

للشاعر ادريس الجاني

جادت قريحة الاستاذ الشاعر الموهوب ادريس الجاني بهــذه القصيدة الوطنية بمناسبة تدشيـن شارع الامير فال ولد عمير فى ذكرى استشهـاده فى سبيـل وحـدة الوطـن .

لن ينهبوا منك لا شبرا ، ولا فترا   يا موريطانيا عروس الصحراء الفرا

يا ارض (يوسف) ارض العز يا بلدي   الغالي ، وياخيمتي العالية الكبرى

شنقيط يا مهد امجادي اذا عذلو م   ني فى هوى مي او ليلى او الاخرى

وجدت للائمي فى الحب معذرة م   وفى هواك لعذالي لم اجد عذرا

الشوق ذوبني ، والبعد ارقني   وكيف اسلو بعيدا عنك يا سمرا ؟

يامنيتي شيمتي‌صبر ، وقد عيل صب   ري ، من يطيق على احبابه صبرا ،

يا موريطانيا ، سيفتر الزمان لنا   عن المنى ان يشأ طوعا ، والا قهرا !

سيجمع الله شملا بعد فرقتنا   وينعم البال تحت الراية الحمرا

ودوحة الحسن الثاني ، وهي وارفة   ظلالها ، اينعت باليمن والبشرى

اصولها نبتت فى الارض راسخة   وجاوز الفرع منها الجوزاء والشعرى

احفظ الهي امير المؤمنين لنا   وللبلاد ، اطل يا ربنا العمرا

هذي الامانة فى كفيه قد وضعت   من منه اولى بها ؟ من غيره احرى؟؟

سيف من الله صمصام يذوذ عن الـ   حمى ، ويحرس فيه الطود والصحرا

ان المليك اذا للدهر قال اطع   اجاب انا اطعنا سيدي الامرا

ما دام قائدنا للعز رائدنا   لا بد فى كل شبر نحرز النصرا

انت برزت في جميع المعالي ... وفرعت الفدى ورشت نباله
انت من دوحة النبوءة غصن ... حسي نمته خير سلاله
انت في زمرة الائمة فرد ... نال بالارث والجهاد اكتماله
بحر اسرارك العظيمة وافى ... موجه من بحار سر الرسالة
ايها العاهل العظيم المفدى ... لك شعب اجاد فيه ارتجاله
فتغنى بمجدك الفذ حتى ... اطرب القطر : سهله وتلاله
طاعة الله ان يطاع امام ... وصل الله بالعباد حباله
صافحت راية الجهاد بصدق ... وحماس يمينه وشماله
سن في شرعة الفداء سبيلا ... راع من يدعي الفداء وهاله
بارك الله همة الحسن الثا ... ني فكانت لخير فتح اناله
انه السابق الوحيد الى ما ... احرز الشعب من علاء و ناله
عزمه في الكفاح عزم ابيه ... ادركا فضله ونالا كماله
هكذا يحرز الملوك فخارا ... هكذا ينتقي الحمى ابطاله
بطل الامة المفدى تقبل ... طاعة الشعب كله وامتثاله
خصك الله بالكلاءة والحف ... ظ فمن ذا ينال منك مناله
لك فضل على البلاد عظيم ... امره مدهش ولا منتهى له
حسبك الله جازيا ليس يكفي ... شكرنا نحن انما هو قاله
عجز الشعر ان يوفيك المد ... ح ولكنه ابى اغفاله
انما المدح ما صنعت لشعب ... قد توليت في العلا اجلاله
فلتعش للبلاد حصنا منيعا ... وزعيما يقودها بساله
وليعش طلعة السنا والاماني ... ولي العهد، صانه من اناله
ولتويد كما معا سطوة الل ... ه باقوى حراسة وصياله
وتهنا بعيد جدك يامن ... اكسب العيد سره وجماله

الرباط : المدني الحمراوي

حقيقة الناس

للشاعر محمد بن محمد العلمي

عزاء في فؤادي حيث ذابا   وقد قاسى المرائر والعذابا
وعرفه الزمان نفوس قوم   لقد كانوا بطبعهم ذئابا
لقد كان النفاق لهم شعارا   وكان الغش عندهمو كتابا
واصبح في الحرام لهم مرام   وقد رفضوا الحلال والاحتسابا
يقولون : الهناء بجمع مال ،   وكان اللعن عندهمو ثوابا
وما كانوا ليجتنبوا ذنوبا   وما خافوا من الله العقابا
فكم من مجرم قد عاضدوه   وقد حسبوا لاجرتهم حسابا
وكم قد شتتوا شملا بريئا   وهم وسعوه سبا واغتيابا
فما استحيوا وقد ضحكوا عليه   وما عرفوا لدهرهم انقلابا
ارادوا ان يعيش الشهم وغدا!   فوفى عرضه من ان يصابا
سيصبح امرهم ويلا عليهم   وتنتقم السماء لمن انابا
وهل يجدي شهود الزور شيئا   وحق الناس في الاوساط غابا ؟
لقد عرف الجميع لهم امورا   قد ارتكبوا جرائمها ارتكابا
اهانوا حرمة للدين فيهم   وحثوا نحو شهوتهم ركابا
وقد ماتت ضمائرهم فكانوا   يمجون الصراحة والعتابا
وتحسبهم اذا ما كنت فيهم   قد انكبوا على الدنيا انكبابا
يطيب مقامهم في العار حتى   قد اكتسبوا جرائمه اكتسابا
وهم كفروا بغير المال فيهم   وقد حسبوا عقائدهم سرابا
لقد حابوا نفوسهم خداعا   وهل رب البرايا قد يحابا ؟

ان الجلاء لمحتوم عن معاقلنا — في موريطانيا وفي الساقية الحمرا
وفي افني، في سبتة، في مليليا حيثما اغتصبوا — سنسترد ثرانا شبرا شبرا
يا اهل شنقيط ، يا اهلي ويا رحمي — جروا الذيول فانتم خير من جرا
من الحرائر ارضعتم هوى شمم — ان الحرائر ما ارضعننا الا حرا
غدا تقر لكم عين طالما سخنت — وتطفئون بعين الغاصب الجمرا
وحولكم من زغاريد النصر ما انطلقت — به الحناجر من ام ومن عذرا
وقد كنستم من الطاغين ساحتنا — فلا معذب يشكو الظلم والجورا
قل لابن دادة ما سحر بنافعه — لنا عصا قد رفعناها تبطل السحرا
ان كان فرعون شنقيط فان هنا — موساه يقصم من امثاله الظهرا
قالوا (ابن دادة) من ذا ؟ قلت : سبتنا — عار شنيع بصقنا حيثما مرا
هذا الذي تنكر البطحاء وطأته — والبيت ينكره ، ما اخزى ؛ ما ازرى
بالغاصبين احتفى والصدر اسكنهم — واسكن النبلاء السجن والقبرا
لكنما سيدور الدهر دورته — وآنذاك يرى من امره خسرا
لابد عما قريب نحرز النصرا — لابد عما قريب نأخذ الثأرا
لابد عما قريب مثلما خفقت — هنا .. تظلل شنقيط الراية الحمرا

الرباط : ادريس الجاني

وكانت فوق شك وارتياب   وقد رفعت عن الجلى نقابا
تبسم فجرها فوق البرايا   ولم تعرف ستارا او حجابا

* * *

فصبرا ان ايماني بربي   سيمنعني النفاق والاضطرابا
فليس بعاقل من بات غرا   ولم ياخذ من الذكرى اقترابا
فعيش الحر فوق حدود قوم   سيصبح امرهم فيهم خرابا
لقد كان الزمان كما اراه ،   يعلمني ، فصيرني شهابا
اذوق الناس كلهمو بقلبي   فاعرف من يخيب ، ومن اصابا
واعلم من تميل اليه نفسي   فانتخب الصديق لها انتخابا
واترك ما اسميه قشورا   واحتضن الجواهر واللبابا
ولكن ، من سأجعله صديقي   وفي الحكماء من عاش اغترابا ؟ !
اارضى ان اعيش كما تراني ؟   سأرقب من فطانتك الجوابا !
انا اهوى الهدوء ، ولست اهوى   نفوسا قد اشاهدها غضابا
انا اهوى انشراحا وابتساما   ولا اهوى انتحابا واكتئابا
وارجو ان يكون من استباحوا   مقامي ، ان يروني لن اعابا
لقد شاب الاعادي في هموم   وقلبي عاش مذ عرف الشبابا

الرباط : محمد بن محمد العلمي

وهم قد يملكون لنا رقابا ... ولا يخشون من ملك الرقابا !
وهم هانوا ، وهانت كل حين ... مطامعهم ، فما عرفوا الصوابا
وهم حسبوا بأنهمو عظام ... وقد حلموا بان سكنوا السحابا
ولكن في الحقيقة لا تراهم ... سوى العوبة تغري الذبابا
كفى يا ايها الانسان كبرا ... فلست كما ترى الا ترابا
ولست سوى خيال في خيال ... وسوف نراك مازجت الضبابا

* * *

الرثي يا زماني فيك حظي ؟ ... فنفسي اصبحت شهدا وصابا
تؤلف من زهور الشعر روحي ... رحيقا مستجدا مستطابا
واقذف كل شر وانحراف ... واعشق حكمة كانت رضابا
واهوى ان يكون الحق تاجا ... على رأسي ، فامتلك الطلابا
واكره في جميع الناس نفسا ... تعودت النفاق والانقلابا
ومن لطم الاماجد في حماهم ... فجاوز في خساسته الكلابا

* * *

عزاء يا فؤادي في حياة ... تولد بيننا العجب العجابا
فترفع كل وغد مستهان ... وتسقط من سما او من انابا
عزاء في الامان فان نفسي ... رأت في الناس من عشق السبابا
ومن ولى قويا مشمخرا ... ومن اخذوا نفائسنا اغتصابا
ومن ولدوا وعاشوا في غرور ... وما حسبوا لعاقبة حسابا
ففي بلوى (البرامكة) اتعاظ ... وهل (فاروق) يرتقب الايابا ؟ !
فمهلا يا بقايا من فؤادي ... فسوف ارى دعائي مستجابا
يعيش الظلم دهرا ثم تمحو ... تصاريف الزمان له قبابا
وتنتصر الفضائل والمعالي ... ومن ملكوا لدولتها انتسابا
ارى ما لا يرى قومي بنفسي ... وأفهم من فصاحتها الخطابا
فنفس الحر اعظم في البلايا ... وقد هزمت بهمتها الصعابا

ولطوج جعل الترك له
وبلاد الصين يحويها ابن عم

ولايران جعلنا عنوة
فارس الملك وفزنا بالنعم

وصيرورة كلمة ايران الى مدلول الرجل الحر ، صيرورة متاخرة ، اوحت بها العزة القومية ، كما اوحت الى الرومان ، فجعلوا غيرهم برابرة ، واوحت الى العرب فجعلوا غيرهم عجما ، من العجمة طبعا ، وجعلوا الفرس الكريم الاصيل عربيا ، وغيره هجينا وحتى عصر الجاحظ نجد الرجل الحر يعبر عنه باسم(ازاد مرد)، ومنه عرفت الازاد مردية ،.المذكورة في البخلاء وغيره

ب ـ ان كلمة المغرب، كانت تطلق في الفارسية، وهي تعني الموقع الجغرافي من هذه البلاد ، ولا تعني المغرب الذي نريده (1) بل ان كلمة المغرب كانت من عمل المشترك بين المغرب والمشرق ، ولا يدرك المقصود منها تماما الا بالسياق ، وذلك كما في (الشاهنامه) وهي تتحدث مثلا عن توزيع فريدون البلاد بين اولاده فتقول :

دحستين بسلم اندرون بنكريد
همه روم وخاور مر اورا كزيد

فكلمة (خاور) تطلق على المغرب كما تطلق على المشرق . لكن السياق يجعلنا نفهم منها المغرب خاصة

جـ ـ ان كلمة البربر ، ترددت في (الشاهنامه)، الا ان مدلولها لا يعني تماما ما يعنيه عندنا ، فهم مرة في اواسط اسيا واونة في نواحي اليمن ومصر ، وهذا ما نجده مثلا ، حينما تتحدث عن مسير الملك (كيكاوس) الى حرب ملك البربر ، ويذكر صاحب (الشاهنامه) ملك البربر ويصف جيشه فيقول :

سه بربرستان بيارست جنك
زمانه وكر كونه ترشد برنك

سياهي بيامد ز بربر بزرم
كه از لشكر شاه برخاست بزم

هوا كفتي ازنيزه جون بشه كشت
خوراز كرد اسبان بر انديشه كشت

وعلى هذا فلنترك ما ورد عن المغرب والبربر في قصص (الشاهنامه) وغيرها ، ولنواجه مصادر التاريخ او شواهده في علاج هذا البحث الان

من المعروف ان ايران قيض لها ملك عظيم هو (قورش الاكميني) ، الذي كانت مطامحه لا حد لها ، وبعد موته خلفه ابنه (قمبيز) الذي مد سلطانه الى افريقيا فاستولى على مصر ، وما توفي حتى كان احد ابناء اعمامه الابعدين ، واسمه (داريوس) او (دارا) الاول ، الذي مد في هذا السلطان وتغلب على اليونان في عدة مواقع ، واستولى على بعض مستعمراتها بالشمال الافريقي ، فكان من ذلك (راس قورينة) او (برقة الفينيقية) فلما مات هذا وخلفه (دارا الثاني) ، اصبحت اليونان ، تحت سلطان ايران ، فلم يكن لها الا نوع من الاستقلال الداخلي ، منحته اياها ايرن حسب صلح ابرم بينهما وما توفي (دارا الثاني) ، حتى تعرضت البلاد الايرانية لفوضى وخلل ، وانصدع النظام الذي كان يضم جهاتها النائية ، على حين كانت اليونان تستجمع قوتها ، وتنضوي تحت لواء (فليبس المقدوني)، الذي خلفه ابنه الاسكندر ، فكانت الضربة القاضية على ايران ، تلك الضربة التي واجهتها في الشام فمصر وعلى تخوم الصحراء الغربية ، الى ان تكبدتها في عقر دارها العراق ، وخر بها ملكها (دارا الثالث) ، كما هو معلوم.

هنا ينطفيء نور التاريخ الصريح ، على ما كان لايران بالشمال الافريقي ، وما كان مصير تلك المستعمرات التي كانت لها فيما عدا مصر . ونحن امام هذه الغمة ، نفترض افتراضا ، يعضدنا فيه المنطق ، وطبائع الاشياء ، والشواهد القائمة ، التي تستنطقها فتحدثنا .. وبذلك نقول : ان اولئك الفرس الذين كانوا بالشمال الافريقي ، لم يكن لهم محيص، ان انهزموا من

---

(1) وكذلك في الاسلام كان المغرب نسبيا ، والشاعر يقول : اذا المنبر الغربي خلاه ربه وهو يريد النسبة الى الشام .

المغرب وفارس عبر التاريخ

للأستاذ محمد بن تاويت

في سنة احدى وخمسين وتسع مائة والف ، كنت قد القيت محاضرة بمنزل الاستاذ الطريس بتطوان ، وكانت حول صلة فارس بالمغرب ، الا ان اعتمادي الاساسي في هذا الموضوع كان على ما ورد في قصص الشاهنامه ، ثم على بعض الشواهد التاريخية والقائمة

وفي سنة اثنتين وخمسين عدت الى الموضوع نفسه ، لكني اعتمدت هذه المرة على التاريخ ، فنشرت عنه مقالين بالعددين التاسع والعاشر من مجلة (لسان الدين) السنة الثامنة لها ، واستمررت من ثم اتناول الموضوع المذكور تناولا تاريخيا ، وانشر عنه بمجلاتنا التي اذكر منها مجلة (الانيس) ، كما نشرت بهذه المجلة وبمجلة (الانوار) بحوثا عن الكلمات الفارسية التي دخلت لغتنا عن طريق التركية او العربية الفصيحة

وفي سنة ست وخمسين ، نشرت بمجلة (تمودة) بحثا بعنوان «بزوغ الثقافة العربية بالمغرب » ، فتعرضت في هذا البحث الى الدور الذي قامت به امارة الرستميين اصحاب تاهرت الجديدة

وفي سنة سبع وخمسين ، نشرت بمجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد ، بحثا خاصا بدولة الرستميين اصحاب تاهرت ، وذلك في العدد الخاص من الصحيفة المذكورة

وفي سنة خمس وستين ، تعرضت لهذه الدولة ايضا، في البحث الذي نشرته بمجلة (البحث العلمي) ، عن قيام دول الخوارج بالمغرب ، ومن قبل بسنتين كنت قد حاضرت في هذا الموضوع نفسه بكلية الاداب في بنغازي

واليوم اعود من جديد الى طرق العلائق التاريخيه بين فارس والمغرب ، وقد تزودت بمعلومات اخرى وان كانت قليلة بالنسبة الى ما بذلته من جهد متواصل في هذا الباب

وقبل ان ادخل في صميم الموضوع اريد ان اشير الى اشياء ارى انها جديرة بالتنبه اليها ، وهي :

ا – ان كلمة فارس ، كانت علما على اقليم بعينه ، ثم صارت تطلق قبيل الاسلام على ايران جميعها، وهذا بالضبط ما حصل من الفرس تجاه العرب ، حيث اطلقوا كلمة طائي (تازى) على كل عربي ، وهو ما حصل لليونان والرومان ، والتونسيين والجزائريين والليبيين او الطرابلسيين ويشبهه المراكشيون في الشرق العربي والفارسيون عند الاتراك

اما ايران ، فاصلها الفقهي جمع اريد بها النسبة الى ايرج او ايره ، او هو ايرج نفسه ، كما نص على ذلك ابن خرداذبه في كتابه الجغرافي وايرج هذا من اولاد افريدون الثلاثة ، الذين وزع عليهم مملكته وكان نصيبه العراق ، او المكان الذي سمي به ، قال ابن خرداذبه : فالاكاسرة ملوك العراق من مولده ، قال شاعرهم العربي :

وقسمنا ملكنا في دهرنا
قسمة اللحم على ظهر الوضم

فجعلنا الشام والروم الى
مغرب الشمس الى الغطريف سلم

ومع هذا فليس من الصدفة وجود مدن واقاليم لشمال الافريقي تحمل نفس الاسماء التي تحملها ن واقاليم ببلاد فارس ، كما انه ليس من الصدفة ان كون بهذه البلاد عقائد وعادات قديمة ، هي نفس عقائد والعادات التي وجدت في البلاد الفارسية قديما ما زالت حتى الان في بعض جهات منها . والقصص ان لم يوخذ منها حقائق التاريخ الا انها بالرغم من ذلك تستشف منها بعض الحقائق التاريخية ولو كانت موغلة في الخيال ، ومضطربة في العرض . وكثير من الخرافات الشعبية نجد لها جذورا تاريخية ، وكذلك يقال في تلك القصص التي نجدها (بالشاهنامه) مثلا فنجد المغرب منها في غير مكانه ، وكذلك البربر غير مستقرين في اوطانهم . ومن الالتفاتات اللطاف ، ما كان من السفير الايراني بالرباط ، حيث حاول ان يجد ارتباطا بين البربر وبين بلاده بعد ما استغرب وجود هذا التشابه العظيم ، فقال لي وقد اجتمعت به سنة 1961 ـ على ما اذكر ـ ان البربر بالمغرب هم من (برابر) ايران . المعروفين عندنا بهذا الاسم ، كجماعات رحل ، اذ ان كلمة (برابر) فارسية تعني المعية او التقابل او التشابه . وهذا لازم لتلك الجماعات المتكتلة (هذا ما يستبعده اليوم وقد يثبته الغد)

ونعود الى سوسة ، فنجد الجغرافيين القدامى يذكرون ان الارحية الفارسية ، كانت معروفة بالمنستير جنوبيها ، كما انها شهرت بان « اكثر اهلها حاكة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة » كما يقول ياقوت في معجمه ، ويقول الهمداني ، في سوس الاهواز « ولاهل السوس خاصة وجند يسابور حذق في اتخاذ انواع ثياب الحرير والديباج » بعد ما قال ان قباذ انزل الحاكة السوس . اما سكان سوسة فهم في سحنتهم ذوو خاصية لاحظها اولئك الجغرافيون فهم ينصون مثلا على ان سوسة «بها قوم لونهم لون الحنطة يضرب الى الصفرة» كما نقل عن ابي سعد في معجم البلدان ، واليعقوبي ذكر في كتابه البلدان ، ان « اهل سوسة اخلاط من الناس » ، ثم يقول كذلك عن مدينة الزاب « والزاب بلد واسع ، فمنه مدينة قديمة يقال لها (باغاية) ، بها قبائل من الجند وعجم من اهل خرسان » ... ومعنى هذا انه لاحظ بهذه البلاد فرسا ، الا انه خصصهم بالخراسانيين ، لاعتقاده انهم اتوا الى هذه البلاد ايام العباسيين .. والزاب نفسه اسم فارسي « لملك من قدماء ملوك الفرس ، وهو زاب بن توركان بن منوشهر ابن ايرج بن افريدون » اشتهرت به عدة ءابار واماكن في الشرق والغرب ، كما نجد في معجم البلدان ، وفي نواح متعددة منهما ، ومن تلك النواحي ما يتصل بسجلماسة عندنا ، ونستمر في هذا الافتراض الذي تؤيده الشواهد ، فنقول ان هولاء الفرس استمروا في في هجرتهم نحو الغرب محاذين لجبال الاطلس ، شمالا او جنوبا الى ان انتهوا الى ساحل المحيط الاطلسي ، حيث استقروا في مكان اخر سموه ايضا باسم عاصمتهم (سوس) وهؤلاء الجغرافيون انفسهم يحدثنا من قداماهم ابن خرداذبه ، فيقول : « وقلعة سوس الاهواز قلعة فوق قلعة ، ومثلها على بنائها قلعة السوس الاقصى ، وهما ايضا من بناء هوشهنك » (1) وعلى كل حال فهناك شبه بين القلعتين الشرقية والغربية ، وكلتاهما فارسية ، سواء كانتا من بان واحد كما قال ابن خرداذبه ، او بناة مختلفين كما استظهرنا ، ويقول ياقوت في كتابه المشترك وضعا ، والمفترق صقعا ، في البصرة : « البصرة مدينة كانت بالمغرب قرب السوس الاقصى (2) والواقع ان البصرة فارسية ، معربة عن (بس راه) ، لانها كما يقول موبذ بن اسوهشت ، كانت ذات طرق كثيرة إنشعبت منها الى اماكن مختلفة . ولهذا فليس عمر المسمي للمكان او الباني به لاول الامر ، بل كان المكان معروفا بهذا الاسم ، وهو ما ادعيناه في القيروان ، وان العرب لم تسم الاماكن باسمائها هي ، طالما كانت لها اسماؤها القديمة .. مثل البصرة هذه والكوفة التي ينسب بناؤها الاول الى هوشهنك السالف الذكر

---

1) انظر فيما قيل عنه حاشية عزام على الشاهنامه ص 17 ـ 18
2) هذه غير البصرة التي كانت احدى عواصم امراء الادارسة

وجه اعدائهم ، الا ان يتوجهوا نحو الغرب لانهم ان توجهوا شرقا ، واجهتهم الصحراء التي لم يسلكها في هذا الاتجاه الا الفاطميون ، وباساليبهم الهندسية العجيبة ثم انهم لو كانوا يستطيعون ما استطاعه الفاطميون ، بعدهم بما يزيد على الف سنة ، فانهم مع ذلك كانوا سيقعون في قبضة الاسكندر ورجاله او خلفائه بمصر والشام، واذن فلا بد ان يكونوا قد اختاروا جهة الغرب، ولا بد ان يكونوا قد تنكبوا الاصطدام مع الفنيقيين في مستعمراتهم المعروفة والظاهر انهم ركبوا البحر فاتجهوا نحو سوسة ، فاستقروا بها ، وكانوا هم الذين سموها بهذا الاسم او ما يقاربه ، ذلك ان سوس او شوش هو الاسم الذي كانت تحمله عاصمتهم التي سقطت بيد اعاديهم اليونان ، ومن ثم اوغلوا برا فنزلوا القيروان المكان الذي سموه هم باسم (كروان) اي القافلة ويذكر ابن خلكان في وفياته ، ان هذا المكان سمي باسم القيران ، لان القوافل نزلت به ، وبذلك يكون هذا الاسم كائنا قبل وصول عقبة اليه ، لانه لما وصله عقبة لم يكن محط القوافل ، بل كان غابة مهجورة لا يطرقها الناس والاسطورة تقص ان عقبة لما اختارها للعسكر بها ، دعا الوحوش لمغادرتها ، فكانت الاسود ونحوها تخرج من هذا المكان حاملة اشبالها ، والناس ينظرون اليها مدة او اياما ... ومن عادة العرب ، انذاك انهم كانوا يحتفظون باسماء الامكنة التي ينزلونها ، و يغيرون منها ، او يطلقون عليها اسماء من عنديتهم وهذا مما يجعلنا ندعي ان هذا المكان كان معروفا بهذ الاسم من ذي قبل الاسم الفارسي الذي وضعه الفرس انفسهم ، ولم يغيره الفنيقيون ولا الروم لانهم ما وصلو اليه (1) ، وهو السبب الذي يذكره المؤرخون ، في تعليلهم لاختيار عقبة هذا المكان ، لبعده عن خطر الرو الذي قد يداهمهم بحرا

وهذا الافتراض لا يوخذ بجزئياته حتما ، فيقال ان الهجرة الى هذه الهجات كانت بعد انهزام الفرس في الشمال الافريقي ضرورة ، بل ان هذه الهجرة قد تكون قبل ذلك او بعده ، ولسبب اخر غير هذا الانهزام، الا ان التاريخ لا يحدثنا مطلقا عن هذه الهجرة او الهجرات العديدة الى هذه الجهات ، ثم الى ما وراءها غربا ، كما سنذكر وقد تكون هذه الهجرة او الهجرات بعيدة عن التيارات السياسية ، ولهذا لم يسجلها التاريخ السياسي وقد تكون هجرات تبشيرية بالزاردسنية ، كما هي الان هجرات للتبشير بالبهائية وعلى كل حال فان التاريخ يسكت عن اولئك الفرس الذين كانوا بالشمال الافريقي عامة ، ولا يذكر عنهم شيا بعد مطاردة الاسكندر اياهم وقضائه على سلطانهم

1) على اننا نجد في دائرة المعارف الاسلامية ، ما يثبت ان القيروان كانت ضيعة رومانية تعرف باسم قمونية KAMUNIA وان العرب بنوا بانقاضها القيروان ، وكذلك نجد لهذه الضيعة ذكرا في كتاب (البلدان) للهمذاني ، على (ان قمونية) مدينة من موضع القيروان ، وفي كتاب (المشترك) وضعا المفترق صقعا ، ان الروم كانت تسمي سوس افريقية (قمونية) وقيل السوس كورة مدينتها (قمونية) وفي كتاب (المسالك والممالك) لابن خرداذبه ان (مدينة قمونية من موضع القيروان على الفي ميل ومائة وخمسين ميلا) ولكن يظهر ان هناك سقطا في العبارة التي وردت هكذا في الهمذاني « ثم انتشرت (اي البرابرة) الى السوس الادنى خلف طنجة والسوس الاقصى ، وهي منمدينة (قمونية) من موضع القيروان على الفين وخمسين ميلا اما (المسالك) ففيها : ثم انتشرت البربر الى السوس الادنى خلف طنجة وهي مدينة (قمونية) من موضع الخ » ، فسقطت (من) بعد (وهي) كما سقطت (والسوس الاقصى) قبلها . ويذكر اليعقوبي في كتابه (البلدان) ، انمدينة القيروان فيها « اصناف من العجم من اهل خراسان » وفي معرفة الطرق التي كانت تسلك بهذه الاماكن حتى القرن الرابع ، يمكن ان نستفسر المقدسي ، في كتابه (احسن التقاسيم) فيقول : « وتاخذ من طرابلس الى القيروان ثم تركب المفاوز الى السوس الادنى ثم الى السوس الاقصى وتاخذ من القيروان الى فاس الى البصرة ، وانت في حد السوس الادنى ، وان شئت فتاخذ من القيروان .. ثم الى فاس ، ثم الى السوس الاقصى وتاخذ من القيروان الى سجلماسة .. الخ 245 ـ 247

كرمهم بتسمية عاصمتهم باسم بلدهم فارس .. وهذا لو بت لكان له شان عظيم

هذا ما يتصل بالعلاقة التاريخية اما ما نجده في عتنا من كلمات فارسية ، فهي لا تخلو من كونها اتتنا وقد عربت ، كما في الطرة ، والابريق ، والخنجر ، والصنجة ، والزيبق ، والساباط ، والعرعر ، والفنيد ، والديوان ، والعنبر ، والياسمين ، والمسك ، والمارستان. او اتتنا وقد تركت ، كالشوربة (ان جعلناها فارسية) والنيشان ، والكوشة ، والطربوش(1) وبندق ، وخواجه، وكمنجه ، وبهلوان ، وغيرها فشأن هذه الكلمات التركية اساسا ، مثل الطبنجه ، والطوبجي ، والطاوة ، والوتاق ، والوجاق ، والقشلا ، والقشلاق ، وباشا ، والسنجاق ، والتشيق ، والترووا ، وغيرها من مئات الكلمات التي تروج في لغتنا منذ خمس مائة سنة ومنها ما دخل الفصحى عندنا وفي الشرق ، مثل كلمة البوغاز (المضيق) فاصل الكلمة من التركية الحلقوم ، ثم استعمل فيها بمعنى المضيق ، واخذناه نحن بهذا المعنى فقط ، وصار مستعملا في كتاباتنا غربا وشرقا

تطـــوان : **محمد بن تاويت**

---

1) الواقع ان هذه الكلمة اتتنا قديما ، ففي نفـــح الطيب ان الاشرف بن العادل وضع شربوشه بيده على رأس مملوك صغير ، اما الان فيسمى بالفاسي كما في اللغات الاوربية

هذه شواهد قائمة ، وهناك شواهد يذكرها التاريخ، فالتاريخ يحدثنا ان المسلمين لما فتحوا المغرب ، وجدوا به ديانات ، منها : ديانة المجوس ، وان هؤلاء كانوا منتشرين في جهات عديدة ، اهمها جهات فاس والسوس وما وراءه ، حيث ظلت المجوسية قائمة ببيوت نارها حتى القرن الرابع الهجري ، وكان ثبوت المجوسية بهذه الجهات خصوصا مما نبز به المرابطون من قبل خصومهم الموحديـــن .

ومن الصدف العجيبة اننا وجدنا الدعوة البهائية توجهت في المغرب لاول مرة الى هذه الجهات ، وقد حدثني بعض دعاتها سنة احدى وخمسين ، عن اماكن بعينها من اقليم موريطانيا وما حوله ، احاديث كانت بالنسبة الى اول ما سمعته عنها .

لنزد امعانا في السوس ، خاصة ، فنجد بها هذه العقلية الفذة في التجارة وجوب البلاد من اجلها ، وهي ميزة تتحلى بها فارس بالذات ، كما نجد الاشتغال بالسحر ، الذي له قصص عجيبة في (الشاهنامه) ، وذكر مع ملوك عظام تمرسوا به وزاولوه في سياسة ملكهم ، وذلك يفوق ما عرف عنه عند الفراعنة ، وعلله ابن خلدون في مقدمته كما نجد الحذق في صناعات بعينها كالسجاد والنقش على المعادن ، خاصية امتاز بها اهل السوس عندنا والنازحون منهم الى تاغزوت ، وهي ما امتاز به اهل فارس كذلك ، وسجلها لهم شعراء بني العباس ، وشهدت لهم به متاجر التحف ، حتى سميت بالاسم الفارسي (بزار (1) ، ثم آلات الطرب المستعملة في السوس ، خصوصا الغجر منهم ، هي نفس الالات الفارسية التي احتفظت بها اللوحات القديمة وما زال الصنج الذي يستعمله السوسيون وحدهم في رقصاتهم الغجرية هو نفس الصنج الذي يستعمله زملاؤهم في فارس كما ان الالحان شبيهة بالحان الرحل (برابر) المعروفين بهذا الاسم في بلاد فارس ، وكذلك تصفيف الشعر باصدغه وطرره متشابه . ثم الالعاب البهلوانية ، والملابس المنقشة الزاهية ، وقيافة تلك الملابس ، كل ذلك شبيه لما هو معروف في فارس حتى الان ، وفي حسابهم نجد كلمات متشابهة ، وان اختلفت في مدلولها او حصل بعض التغيير في حروفها ، ففي حسابهم ، ير او يك ، كما في الفارسية ، وسين (اثنان) وهوس (ثلاثة في الفارسية) وسا (سبعة) وهوشش (ستة في الفارسية) ، وهذا الاختلاف في المدلول والاجرام غير غريب عند دارسي اللغات ، فكلمة البرقوق في الاسبانية تعني المشمش ، وحينما كان يقال في تطوار « القلب والفؤاد » ، فالفؤاد تعني الكبد . وكلمه العنكبوت تعني عندنا بيتها ونقول للفرن الفران فنطلق عليه اسم صاحبه ، كما نطلق عليه اسم صاحبه بالنسبه الزكية (فرنجي) لان الحمام تركي ، ويوفي الانجليزية (ضمير المخاطب) تستعمل في الاسبانية ضمير المتكلم وحده ، كما هو في باقي اللغات اللاتينية مع تحريف بسيط ، ومع هذا فالمصدر واحد

فاذا انتقلنا الى ما حصل في التاريخ الاسلامي ، فاننا نجد الهجرة الفارسية الى المغرب ، في تدفق مع ولاة العباسيين الذين كانوا من قبل ولاة بالشرق ، وذلك كالمهالبة ، الذين كان منهم عمر بن حفص الملقب باللقب الفارسي (هزار مرد) الف رجل كما نجد تلك العائلة الرستمية التي اسست امارتها قرب وهران ، فكان للفرس شان عظيم بها، خصوصا في الميدان التجاري الذي اقتحموه ــ ولا شك ــ حتى بساط تامسنا وربوع سجلماسة، حيث كانت لامارتهم علاقات دبلوماسية وعقدية وعائلية وقد وجدنا من شعراء هذه الامارة من ام فاسا ، وقال فيها شعرا كما ام آخر منهم بصرة شمال المغرب ، وقال فيها شعرا كذلك

ولما كان المولى ادريس يزمع بناء فاس ، ورد عليه فرس من الشرق ، فانزلهم بعين علون (التي تعرف الان بعين علو) ويذكر صاحب (روض القرطاس) من ابواب فاس باب الفرس ، ذلك ان جدارا من اسوارها سقط على بعضهم ، فخلدت ذكرى هذه الماساة بتسمية احد ابواب المدينة بهم ، بل انه يذكرون من جملة الاقوال في اسم فاس ، ان الاصل في اسمها كان (فارس) لكن العامة اختزلته الى فاس فكان المولى ادريس وقد سر بمقدمهم ــ كما يقول المؤرخون ــ اراد ان

1) استعمال كلمة بزار بمعنى السوق ، كان معروفا على عهد الجاحظ ، فهو يتحدث عنها في البيان كما يتحدث عن مرادفها (جهارسو)

» يقع في عدة مجلدات . لكن بعد ذلك بنحو 28 سنة ، بعد اقامة طويلة بالمغرب دامت زهاء 15 سنة تحدث المقري مرة ثانية عن المناهل بلهجة المتيقن المتاكد فذكر » (يعرف) تمام ثماني مجلدات منه ، معبرا عن مؤلفه الفشتالي بـ (صاحبه) (6) . ثم ان تسمية الجزء المعثور عليه في تونس والمكتبة الملكية بالرباط بالجزء الثاني فيه نظر ، اذ لم ينص في هذه المخطوطات على ذلك ، وليس هناك الا عبارة وردت في آخر الملخص المطبوع : « انتهى ما اردت اختصاره من السفر الثاني من كتاب مناهل الصفا » وهي تحتمل اختصار بعض السفر لا كله ، كما تحتمل كلمة السفر مجموعة أجزاء . وفي قسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط – مثلا – نسخة تامة من فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر في سفر واحد ، وهو الذي طبع في 13 جزءا عاديا . والذي يبدو ان الجزء المخطوط من المناهل ليس جزءا مستقلا من الاجزاء التي فصلها الفشتالي ، بل خليطا من اجزاء كانت كلها تتعلق بحياة المنصور ومآثره العلمية والعمرانية والسياسية والحربية يدل على ذلك ما حكاه الفشتالي نفسه من انه « ذكر في فتح السودان فقط ما تحمله سفر ضخم » (7) . بينما الجزء المخطوط من المناهل يشتمل فيما يشتمل عليه من اخبار المنصور ، على فتح السودان في نحو 150 صفحة – حسب نسخة تونس – تتخللها حوادث بيعة ولي العهد محمد الشيخ المامون ، وانتزاع الخيل من عرب الخلط وقبائل أزغار، وثورة ابن قرقوش ببلاد الهبط وجبال غمارة . . . الخ. فهل نحن اذن امام اختصارين للمناهل ، مطول ومقتضب ؟ هذا امر عادي في عصور الجمود المتاخرة التي كثرت فيها الاختصارات والشروح والحواشي . ومهما يكن من امر فمكننا ان نطمئن الى أن محتوى الكتابين المخطوط والمطبوع من المناهل هو بلفظ الفشتالي نفسه ، الا عبارات قليلة اقحمها صاحب المختصر المطبوع للتنبيه على الحذف او التلفيق ، وان كان اغلب النقول المتاخرة عن المناهل انما هي بالمعنى بسبب طول عبارات الفشتالي المثقلة بالصناعة الانشائية، والمبالغات التعظيمية . وقد ظلت « المناهل » موجودة – كلها او بعضها – حتى اواخر القرن الماضي ، ينقل عنها المؤرخون مباشرة ، كاليفراني في « نزهة الحادي » (8) ، والزياني في « الترجمان المعرب » (9) ، واكنسوس في « الجيش العرمرم » (10) ، والناصري في « الاستقصا » (11) ثم افتقدت ولم تسفر عن نتيجة الجهود المبذولة للعثور عليها في النصف الاول من هذا القرن سواء من طرف المؤرخين المغاربة أو بعض المستشرقين كالكونت دوكاستر ، وليفي بروفنسال. وقد خصص هذا الاخير بضع صفحات في كتابه « مؤرخو الشرفاء » للحديث عن المناهل اعتمادا على بعض النصوص المنقولة عنها ، وحكى اسف العلماء المغاربة على فقد هذا الكتاب وعد ذلك خسارة لا تعوض (12) . بل والى ما قبل اربع سنوات فقط نجد لوطورنو يؤكد ضياع المناهل (13) لدى حديثه عن الزياني ونقوله الخاصة بقصر البديع .

ولما كان الجزء المخطوط من المناهل الذي يقع في 539 صفحة – نسخة تونس – يفوق حجمه المختصر المطبوع بأكثر من الضعف ، ويختص بزيادات تاريخية وادبية كثيرة تتعذر الاشارة اليها كلها في هذه العجالة ، رايت من الانسب ان اذكر بعضها مما له علاقة بالتاريخ فقط ، لنتبين اهميته وضرورة طبعه كاملا . ففيما يخص الوثائق يحتوي مخطوط المناهل على بيعة ولي العهد محمد الشيخ المامون ، وهي من انشاء عبد العزيز الفشتالي في ازيد من 21 صفحة ، وبيعة ادريس الوما سلطان بلاد برنو السودانية (النيجر وتشاد الحاليتين تقريبا) وهي من انشاء عبد العزيز الفشتالي ايضا في نحو تسع صفحات ، ورسالة من المنصور الى سلطان الحجاز شريف مكة حسن الحسيني يخبره باستعداده للهجوم على اسبانيا واسترجاع الاندلس الى غير ذلك من المراسلات الموجهة الى داخل المغرب وخارجه ، مما لم ينشر في « مجموعة رسائل سعدية » ،

---

(6) احمد المقري ، نفح الطيب ، القاهرة 1302 هـ . 4 : 233 .

(7) احمد المقري « روضة الآس » الرباط ، 1964 ، ص 162 .

(8) طبعة فاس ، ص 72 – 74 – 76 – 77 – 82 – 85 – 86 – 93 – 104 – 107 – 109 . . .

(9) مخطوط الخزانة العامة بالرباط ، رقم 658 د . ص 2 – 353 – 355 – 356 – 359 – 362 – 363 .

(10) طبعة فاس ، 1336 هـ . 1 : 159 – 168 .

(11) طبعة الدار البيضاء ، 1954 – 1956 5 : 90 – 91 – 94 – 104 – 112 – 122 – 134 – 151 – 154 – 163 – 164 – 166 – 188 – 190 . . .

(12) L. Provençal, *Les Historiens des Chorfa*, Paris, 1922, pp. 92-95

(13) R. Letourneau, *Etudes d'orientalisme*, dédiées à la mémoire de L. Provençal, Paris, 1962, p. 633

مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا

[redacted]

يعتبـــر كتاب « مناهل الصفا » مصدرا اساسيا معاصرا للدولة السعدية . الفه عبد العزيز الفشتالي(1) متولي تاريخ الدولة ووزير القلم الاعلى فى بلاط احمـد المنصور الذهبي ، ليكون كوثيقة رسميـــة يعتمدهـــا المؤرخون المشارقة فى كتاباتهم عن الدولـــة السعدية ، وذلك على اثر تلقي المنصور من المؤرخ التركي مصطفى ابن حسن الحسني الجنابي النسخة الاصلية من كتابه « العيلم الزاخر ، فى احوال الاوائل والاواخـر » (2) . « اجمع ما جمع فى دول الملوك » والمحتوي على 82 بابـا بعدد الدول التي تعرض الى تاريخهـــا . وقـد لاحظ المنصور نقصا وخلطا فى الباب المخصص للمغرب فكتب الى المؤرخ التركي يشكره على هديته القيمة ويصلـــه بـ 1500 أوقية ذهبا . وفى نفس الوقت ينبهـــه الـى ما فيه تجاه المغرب من « غلط واضح وضوح النهار . . . اذ سلك شعبا وقد سلكت الدولة واديا ، وجرى علـى غير سمتها فلم يجـد هاديا . » (3) ويطلب منـــه فى الاخير الا ينشر الكتاب الا بعـد تصحيحه على ضـــوء ما سيصله فى كتاب تاريخ الدولة السعدية : « مناهـل الصفـا » الذي كلف بانجازه عميد الكتاب في بلاطـه : « عبد العزيز الفشتالي » .

واشتهر عند المؤرخين ان « مناهل الصفا » يقـع فى ثمانية اسفار منذ حدد ذلك العدد احمد المقـــري فى « نفح الطيب » . لكن الاستاذ عبد الله كنون فى المقدمه التي كتبها لمختصر ا لمناهل المطبوع الذي سنتحدث عنه اخيرا ، استبعد أن يكون فى المناهل اكثر من ثلاثة اجزاء مادام الجزء « الثاني » الذي عثر عليه وعلى مختصره(4) يتحدث عن معظم حياة احمد المنصور اهم شخصيـــة سعدية ومخدوم المؤلف ؛ الذي امره بوضع الكتاب . فلم يبق اذن الا افتراض ان يكـون الجـز. الاول فى نشأة الدولة السعدية واخبار ملوكها الاول من محمد القائـم بأمر الله حتى عبد الملك المعتصم ، والثالث فى بقية اخبار المنصور وربما حتى ابنه زيدان الذي اخلص له الفشتالي وتوفي فى ايامه . وبذلك تصح مقالة اليفراني فى « نزهة الحادي » ان المناهل يقع فى عدة مجلدات ، ما دام اقل مفهوم (عدة) ثلاثـــة .

على اني اميل الى الاعتقاد ان كتاب « المناهـــل »، ولو اننا لم نعثر لحد الآن الا على جزء واحد منه ، يقـع فى ثماني مجلدات . فمقالة اليفرانـــي التي اتخذهـــا الاستاذ كنون كدعامة لتشككه ليست فى الحقيقـــة الا ترديدا لكلام احمد المقـــري فى « روضة الآس » (5) . ومعلوم ان هذا الكتاب سجل فيه المقري أخبار رحلتـــه الاولى الى المغرب خـــلال عامـــي 1009 ـــ 1010 هـ (1600 ـــ 1601 م) حيث لقي فى بـلاط المنصور لاول مرة عبد العزيز الفشتالي الذي إخبره عن كتابه المناهل

---

1) خص الاستاذ عبد الله كنون الجـــزء الاول مـــن سلسلة « ذكريات مشاهير رجال المغرب » بترجمـة عبد العزيز الفشتالي . كما تعرض لمصادر ترجمته ليفي بروفنسال فى « مؤرخي الشرفاء » ص 92 .

2) الف الجنابي تاريخه هذا فى أواخر القرن العاشرالهجري بالعربية فى مجلدين ، ثم اختصره وترجمه الى اللغة التركية . ارجع فى ذلك الى حجي خليفـــة ، « كشف الظنـــون » ، اسطمبـول 1941 ؛ 1 : 224 و 2 : 1181

3) الرسالة من انشاء عبد العزيز الفشتالي ، ويوجد نصها الكامل فى « مجموعة رسائل سعـدية » تطـــوان 1954 ص 236 ـــ 241 .

4) عثر الاستاذ عبد الله كنون فى فـاس على مختصر (الجزء الثاني) من « مناهل الصفا » ونشره ، كمـــا وقع العثور أخيرا على ثلاث نسخ مما سمي بالجزء الثاني من المناهل ، احداها فى تونس ، ويوجد ميكروفيلم منها فى قسم الوثائق بالخزانة العامـــة بالرباط . والاخريان فى الخزانة الملكية بالرباط .

5) طبعة الرباط ، 1964 ، ص 161 ـــ 162 .

وبخاصة أحداث الملك البروتستاني هنــري الثالث ، ودسائس خصومه الكاثوليك المتعاونين مع ملك اسبانيا من اجل الاستيلاء على عرش فرنسا ورده كاثوليكيــا ما دام هنري الثالث لا وارث له ، وانضمام هذا الــى ابن عمه ملك نافارا ، وعمل الملكين البروتستانيين على استرجاع باريس والقضاء على خصومهم الى ان اغتال احد الرهبان (جاك كليمان) هنــري الثالث . كمــا اشار الى انتهاء الفتن الداخلية بجلوس هنري الرابــع على عرش فرنسا وتوحيده مملكتي نافــار وباريس ، فناصب اسبانيا العداء لاسترجاع ما كانت قد اقتطعته من الممتلكات الفرنسية ، فى حين كانت البلاد الواطئــة ثائرة على اسبانيا تحاول التخلص من سيطرتها ... وكان الفشتالي يريد أن يبرهن على أن هــذا الثالــوث البروتستاني المحارب لاسبانيا هو الحليف الطبيعــي للمنصور الذي كان بدوره يعد العــدة لغــزو شبه جزيرة ايبيريــا .

ويطول بنا الحديث لو حاولنا تتبع كل ما انفــرد بــه الجزء المخطوط من المناهل . فلنكتف بهذا القــدر لنلقي نظرة خاطفة على مختصره الذي نشره المركــز الجامعي للبحث العلمي بالرباط ، بتحقيــق وتقديــم الاستاذ عبد الله كنون . والمختصــر (بكسر الصاد) مجهول ، افترض المحقق ان يكون احد كتاب السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله الذي كان معجبــا بالمناهل ، نظرا لمــا يتميز به هذا المختصر مــن حذف عبارات التعظيم المبالغ فيها فى جانب المنصور السعدي، والاقتصار على سرد الاخبــار وتلخيصها وتلفيقها . وقد عثر الاستاذ كنون على مخطوط المختصر فى فاس فقابله على اصل ما سمي بالجزء الثاني من المناهــل الذي اكتشف فى تونس واعده للنشر قبل أن يطلــع على مخطوطتي المكتبة الملكية بالرباط لنفس الجــزء ، فتدارك ما امكن تداركه فى التحقيق والمقابلة عليهمــا وان لم تختلفا فى الجملة عن نسخة تونس فيما يخــص الاخطاء والبياضات .

يتناول المختصر المطبوع تاريخ نحو 16 سنة من حياة احمد المنصور الذهبي (986 ـ 1002 / 1578 ـ 1593) ـ وان اقحم صاحب الاختصــار فى الاول (ص 18) بضع جمل فى ذكــر وفاة المنصور وتقديــر عمره ومدة خلافته ـ . يبتدىء ببيعــة المنصور عقب معركة وادي المخازن ويستعرض الاحداث التي تلتهــا من تمهيد البلاد والقضاء على قــواد جيش الاندلس المشاغبين على الدولة ، وثورات الامير داوود بن عبــد المومن فى سوس ، والامير الناصر بن عبد الله الغالب فى ضواحي مليلية ، وابن قرقوش المكناسي فى بلاط الهبط وجبال غمارة . كما يتحدث عن عرب ازغــار ببــلاد الغرب وموقفهم من السعديين منذ قيام دولتهم الــى ذلك العهد ، ويستطرد اخبار دخولهم الــى شمــال افريقية وتقلبهم فيها خلال العصور الفاطمية والموحدية والمرينية . وبعد ان وصف بيعات ولي العهد محمــد الشيخ المامون لاسيما البيعــة الكبرى فى التجمــع العظيم ببسيط تامسنا ، اطنب فى الحديث عن فتــح السودان ، فاتى على ما كان من استيلاء المنصور على تيكورارين وتوات وسائر تخوم الصحــراء ، الذي اخضع لسلطته علاوة على المدن والقرى والقصور اكثر من 40.000 خيمة ، وعلى مراسلات المنصور لسلطان مالي وسفاراته له حول مشكل معدن الملــح بتغازي ، واخبــار الجاسوسية والتضريب بيــن الامــراء السودانيين آل سكية ، واستقدام احدهم الى مراكش للتشويش على سلطات كاغو ، ثم تطويق (مالي) قبــل غزوها بالاستيلاء على الامارات الغربية الصغيرة حتى مصب نهر السنيغال (17) ، والحصول على بيعــة صاحب مملكة برنو فى الجهة الشرقية . وفى الحديث عن الغزو نجد كثيرا من التفاصيل عن عــدد الجيش وعدده وتنظيمه وقادته ومسالكه فى الصحراء ، وعــن المعارك العنيفة حول تمبكتو وكاغــو وفى مستنقعات اعالي نهر النيجر ، ثم عن تنظيم تلك الاقاليم النائيــة من الامبراطورية السعدية وترحيل بعــض القبائــل العربية والبربرية لاستيطانهــا من معقــل وجشم ومصامــدة .

ويختص الجزء الاخير من الكتاب بذكر مآثــر المنصور ووصف خلقه وخلقه جملة وتفصيلا ، ويسهب فى ذكر حلمه وتمسكه بالدين وتوكله وصبره وعفــوه وعدله وسخائه وشجاعته وحسن تدبيره وسياستــه، معززا ذلك بضرب امثلة لحوادث شاهدها بنفســه . ولمــا تحدث عن سعة علم المنصور استعرض مقروءاته واشياخه نقلا من خط المنصور نفســه ، فاحتفظ لنا بذلك بجزء مهم من « فهرســت » ذلك الملك العالــم التي هي اليوم ضائعة كأكثر تآليفه . وربما كــان هذا القسم أضعف ما فى الكتاب وأقربه الى الظنــة ،

---

17) يخلط الفشتالي ـ ككثيــر مــن المؤرخيــن القدماء ـ بين الانهار الافريقية ، فيطلقون (اســم (النيل) على كل من النيجر والسينغال والنيل . على ان الفشتالي نبه الى أن هناك نيلين : نيل مصري الذي يصب فى البحر المتوسط ، ونيل آخر يصب فى المحيــط .

خلافا لما ورد في مقدمة المختصر المطبوع . ومن الناحية الاخبارية ينفرد المخطوط بصفحات عجيبة تجعل الفشتالي بدعا من المؤرخين المعاصرين له ، وتميزه باتساع الافق التاريخي والاطلاع على الماجريات السياسية والدينية في أوربا الناهضة اذ ذاك ، مع ربط ذلك بالاحداث المغربية وكشف النقاب عن بعض خبايا السياسة الخارجية لاحمد المنصور تبين مدى وعيه وادراكه الذكي لمختلف تيارات عصره ، وعمله على مسرح السياسة الدولية .

واذا كانت هذه المعلومات التي اتى بها الفشتالي ليس من شأنها ان تحدث تغييرا جوهريا فيما نعرف من تاريخ أوربا في هذه الحقبة ، فان فائدتها في الافصاح عنها من وجهة نظر مغربية تبين ما كان هذا الجانب يؤمله وراء تلك الاحداث مما لايذكر عادة في الكتب العادية ولا في السفارات والمراسلات الديبلوماسية . فقد تحدث الفشتالي عن اثر معركة وادي المخازن بالنسبة للبرتغال ، وما كان من وصاية الكردينال (14) على عرش لشبونة نحو ثلاث سنوات قبل أن يستولي عليه ملك قشتالة فيليب الثاني خال سيبستيان ، ويضمه قهرا الى العرش الاسباني . وهنا يجمل الفشتالي الحديث عن العلاقات المغربية ــ الاسبانية ــ الانجليزية، فيشير الى ما كان من فرار دون انطونيو المطالب بعرش البرتغال الى بلاط اليزابيت في لندن ، وقدوم ابنه الدون كريستوف (15) على المنصور في مراكش حيث اقام مدة طويلة في بناية صهريج المنارة قبل ان يشارك في الحملة الانجليزية البحرية ضد اسبانيا . هذه الحملة التي كانت بتدبير المنصور ومساعدته . ويقدم الفشتالي بيانات مدققة عن نوع المساعدة التي كان مخدومه السعدي يقدمها الى ملكة انجلترا ، فزيادة على امدادها بالمعادن التي يتوقف عليها صنع المدافع وسائر الآلات الحربية كالنحاس ، سمح المنصور للانجليز بالتزود من المغرب بملح البارود الذي كان محظورا على المسيحيين بفتوى من العلماء . وعند ما تطرق في المناهل الى الكلام على ثورة الامير الناصر بالشمال شرح ذلك على ضوء العلاقات المغربية الاسبانية مبينا ما كان من احتفاظ الاسبان به في بلادهم نحو عشرين سنة قبل أن يجهزوه بالمال والسلاح والانصار في نواحي قاعدتهم مليلية ، وذلك عندما راوا استعدادات المنصور البرية والبحرية تكاد تشرف على نهايتها لمهاجمتهم ، ففتحوا ضده واجهة حربية في عقر داره مقنعة وراء ذلك الامير الثائر . وتفصح « المناهل » هنا في عبارات مقتضبة عن شيء خطير مقدمة الحلقة المفقودة للاجابة عن نقطة الاستفهام التي ظلت قائمة مدة طويلة حول سياسة المنصور الوطنية والدينية ، من مهادنة المسيحيين او مصادقتهم ، واتخاذ موقف معاكس مع المسلمين الاتراك والسودان ! فاهتمام المنصور حسب منطوق المناهل ومفهومها ــ كان متجها قبل كل شيء الى القضاء على الاسبان الذين اتوا على المملكة الاسلامية بالاندلس ، واخرجوا الموريسكيين من ديارهم بغير حق وساموهم سوء العذاب على يد ديوان التحقيق ، ثم خلفوا البرتغال في الثغور المغربية المحتلة اذ ذاك . غير ان الخليفة السعدي كان يقدر قوة خصمه كدولة ذات امبراطورية عظيمة ، وموارد مالية وبشرية هائلة ، وايضا كدولة مسيحية تتزعم الكاثوليكية وتتمتع بتأييد اغلب الدول الاوربية التي تتمذهب بمذهبها ، ولا تتردد في نصرتها عسكريا متى وقع الهجوم عليها . ولكي يواجه المنصور القوة بمثلها راى ان الموارد المحلية من خراج وسكر وتجارة خارجية لن تمده بما يكفيه للاستعداد العسكري الكامل الضامن للنجاح ، فلجأ الى الاستحواذ على معادن الذهب في السودان وتكوين امبراطورية واسعة داخل القارة الافريقية تمده بالعناصر البشرية اللازمة للجيش البري والبحري . ورمى المنصور بتحالفه مع اليزابيت الى غرض مزدوج : كسب سند البروتستان (16) الشق الثاني للمسيحية الذي تتزعمه انجلترا في اوربا ، واشغال خصومه الاسبان ليتفرغ الى تحقيق اهدافه في التوسع القاري والاستعداد العسكري . ويتوسع الفشتالي قليلا في الحديث عن الجبهة البروتستانية واعمالها المعادية لاسبانيا ، فبعد ان اشار الى اغارة الاسطول الانجليزي على لشبونة ، ثم تحطيمه للارمادا ، ومهاجمة الاسطول التجاري في قادس وتخريب هذا الثغر الهام لعرقلة التجارة الاسبانية مع الهند ، تحدث عن الحروب الدينية في فرنسا خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر،

---

14) يكتب الفشتالي كاف الكردينال قافا . وقد سقطت منه النون فصار « قرديال » ولم ينبه على ذلك في المختصر المطبوع .

15) يسميه الفشتالي (كشطوبان) وهو تحريف لكريستوف قريب من نطق الاسبانيين به : (كريستوبان).

16) يعبر عنهم الفشتالي بـ « اليروتان » ولعل الباء قد سقطت منه فكان « البيروتان » او حرف عن البروتستان

الشريف الإدريسي

للأستاذ: محمد المنوني

بنو حمود ومركزهم في سبتة ـ اسم المترجم ونسبه ـ بلدته وتاريخ ولادته ـ نشاته ودراسته بالمغرب والاندلس ـ رحلته للشرق ونشاطه به ـ تاريخ رجوعه من الشرق ـ فترة غامضة في حياته ـ آثاره النباتية والطبية ـ اتصاله برجار الثاني ـ الخطوات الاولى لتحقيق مشروع جغرافي ـ رسم خريطة حائطية عالمية كاملة ـ المنضدة الفضية ـ نزهة المشتاق ـ آثار الادريسي الاخرى في الجغرافية والفلك ـ الادريسي الاديب ـ هل عاد الادريسي الى سبتة ـ وفاته ـ مقدمة نزهة المشتاق .

بنو حمود ومركزهم في سبتة :

يرجع نسب بني حمود الى المولى ادريس الاول ابن عبد الله مؤسس الدولة الادريسية التي قامت بالمغرب من عام 172 الى عام 363 هـ

وقد كان لاهل هذا البيت مركزمرموق بسبتة لدهم اكتسبوه من انتسابهم للادارسة ، ومن سلوكهم العلمي والادبي ، ومن انتمائهم للحموديين الذين كانوا ملوكا في جهات من الاندلس وشمال المغرب بما في ذلك سبتة .

والى عهد المترجم كان هؤلاء الحموديون ـ الذين ينتسب اليهم الادريسي ـ لايزالون يتمتعون باحترام زائد ، يدل لهذا تحلية ابن ابي اصيبعة (1) للمترجم بالعالي بالله ، كما يدل له ايضا ما حكاه الصفدي (2) : من ان رجار الثاني لما تقدم للادريسي بالمقام عنده في بالرمة قال له : « انت من بيت الخلافة »

اسم المترجم ونسبه :

هو محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني . هكذا جاء في « طبقات الاطباء » (3) لابن ابي اصيبعه ، وفي « الوافي بالوفيات» (4) للصفدي . يجعل ادريس المذكور ابن يحيى بن علي بن حمود ، وحسب « جمهرة الانساب » (5) لابن حزم ، فان هذا غير صحيح ، حيث ان ادريس بن يحيى انما اعقب ابنا واحدا اسمه محمد ، اما ادريس بن علي بن حمود فقد اعقب اربعة اولاد احدهم علي الذي مات في حياة ابيه واعقب ابنه عبد الله .

(1) طبقات الاطباء ج 2 ص 52
(2) « الوافي بالوفيات » ـ قطعة المكتبة الصقلية ص 658 .
(3) ج 2 ص 52
(4) ج 1 ص 163
(5) ص 45

يتعين على القاريء أن يسير فيه بحذر أكثر ويعرض كل ما يجد عليّ محك النقد والتمحيص ، ليسلم من المغالطات والمبالغات التي أوقع فيها المؤلف تملقه لمخدومه واضفاؤه عليه حلى الملائكة والرسل حتى كأنه خلق مبرءا من كل عيب ومتوجا بكل حسن كما يقولون !

ونكون خاتمة المطاف بالوقوف على وصف شيق لقصر البديع ، وكان المؤلف قد الهم ان الدهر سيعفي على آثاره فبادر الى تخليده في طرسه لتمكن الاجيال اللاحقة من القراءة ان عزت المشاهدة . وهناك صفحات عديدة تصف القصور المتصلة في البديع ، لا سيما الدار الكبرى التى نحتوي ساحتها على خمسمائة سارية عظيمة من المرمر ، وعشرين من القباب الفخمة ، كقبة الزجاج ذات السقف الزجاجي الملون والخمسينية ، وقبة النصر ، وقبة النيجان. وحتى ملحقات القصر نالت عناية الفشتالي ، من مساجد ودور وحمامات ، وجناح خاص بالحريم مبني في طبقات على صفين متقابلين بكيفية هندسية عجيبة تحجب رؤية النساء وتضمن وصول النور الكافي لل « الفائض » ، ورياض فسيحة مفروسة بجميع أنواع الاشجار المثمرة ، كبستان النهر ، والمسرة . والبركة العظمى التي تطول مد البصر وتضطرب امواجها كالبحر ، تحيط بها على حافاتها يمنا وشمالا سلسلة من « الخصص » المتدفقة بالمياه .

ويقدم لنا « مختصر المناهل » عن آخر سنة يؤرخ لها — 1002 هـ — فائدتين هامتين . اولاهما استمرار توسيع البديع بتخطيط قبة عظيمة لاستقبال الوفود في أقصى بستان النهر ، بزيد طولها على ثلاثمائة شبر ، ووضع تصميم ابوابها ونوافذها وسقفها وانواع زخرفها . والثانية ما كان عليه المنصور اذ ذاك — وقد تم فتح السودان — من الاستعداد العظيم، وما تنتجه معامل السلاح في مراكش من الآلات النارية من بنادق ومدافع وكور وغيرها ، وما يستجلبه من الاسلحة الاوربية مما تزخر به مخازنه الهائلة تحت الارض وفوقها ، وعزمه على اتخاذ حصن خاص بخزن الاسلحة داخل القصبة السلطانية بعد ان امتلأت كل المخازن القديمة . . .

وقد اقتصر عمل الاستاذ كنون — كما صرح بذلك في المقدمة — على تقديم نص صحيح اقرب ما يكون الى الاصل الذي كتبه المؤلف ، عن طريق المقابلة مع مخطوطات تونس والرباط ، دون اضافة شروح او تعليقات تزيد على غرض تحقيق النص .

ونشر مع هذا المختصر ثلاثة ذيول كانت معه في الاصل المخطوط ، احدها يتعلق بقيام الدولة السعدية في نحو خمس صفحات ، والثاني في اخبار بعض الخلفاء العثمانيين في سبع صفحات ، ويضم الثالث مجموعة شعرية لادباء مغاربة من عهد السعديين في اثنين واربعين صفحة . مع خمسة فهارس للمواضيع والاعلام والاماكن والاشعار والكتب .

واذا كان لابد من أن نقول كلمة عن قيمة هذا الكتاب ، فاننا لانجد غير تأكيد ما ذهب اليه عموم المؤرخين منذ عصر المؤلف حتى اليوم ، من ان « المناهل » مصدر هام لمعرفة تاريخ السعديين عموما، وواسطة عقدهم أحمد المنصور خصوصا . فالمؤلف لاينقل عن كتاب ، وانما يؤرخ لاحداث قريبة العهد يستقيها ممن عرفوها وادركوها ، او يتحدث عن حوادث عاشها ، ووثائق كتبها بخط يمينه او اشرف على انجازها من طرف بعض مساعديه كتاب البلاط . ولا يضير كونه مؤرخا رسميا للدولة ينعم بخيراتها وينافح عنها وينشر محاسنها ، فما افدناه من وضعيته الرسمية هذه من الاطلاع على كثير من الاسرار والحقائق اكثر بكثير مما فاتنا من معرفة الجوانب القاتمة لتلك الدولة ، وما اقذى عيوننا من مبالغات مكشوفة وعبارات طنانة مفرطة في التقديس والاجلال. على ان الجوانب الاخرى التي لم تساعد وظيفته الفشتالي وظروفه الخاصة على التعرض اليها قد عرفت بعد ذلك — وربما بشيء من التشنيع والتقريع — بواسطة مؤرخين ناقمين على السعديين او مشايعين لمن خلفوهم في الحكم ، مثل المؤلف المجهول صاحب « تاريخ الدولة السعدية الدرعية التاكمادرتية » . ويجب الا ننسى ا ن الفشتالي اديب قبل كل شيء يسجل بأسلوبه المنمق الاحداث البارزة للفترة التي ارخها وكانه يؤدي مهمة من مهماته الرسمية في ديوان الانشاء . فهو لذلك لايعير اهتماما للنواحي الاجتماعية . ولا يسجل من اخبار عامة الناس الا بقدر ما لها من اتصال بالقصر ، حتى اذا واتته الفرصة للكلام على فتح بلاد ، او قضاء على ثائر ، او وصف حفلات ، او غير ذلك من المناسبات التي يتبارى فيها الادباء ، أطلق لنفسه العنان في ايراد قصائد او مختارات منها مما يضفي على كتابه صبغة مزدوجة تاريخية وادبية .

الرباط : محمد حجي

ـقلية خاصة ، فلم يبق بعد هذا الا الناحية الاخرى
ـعروف نشاط الادريسي فيها : وهي النبات والطب،
من هنـا يكون هذا الشطـر من القطعة الادريسية
ـيد فائدة جديدة ، وهي ان المترجم انما كتب عـن
ـذه الموضوعات فى الشرق لا فى صقلية ولا فى غيرها.

ومما يؤيد هذا ــ فى الجملة ــ ان اماري ــ فـي
ـاريخه ــ تشكك فى كون الادريسي وضع كتابه النباتي
ـ صقلية (8) ، ويؤيده ــ ايضا ــ ان تاليف الادريسي
ـ المفردات الطبية عرف بالشرق قبـل موضوعاتـه
ـ الجغرافية ، فان ابن اصيبعة لما ترجم للادريسي (9)
لم ينسب له الا هذا الكتـاب دون موضوعاتـه فى
الجغرافية ، على حيـن يذكـر لمترجميه مؤلفاتهم فى
الطب وغيره ، وسبب ذلك فيما يظهر هو تاليف كتاب
المفردات بالشرق دون غيره .

تاريـخ رجوعـه مـن الشرق :

ثم ان القطعة الادريسية قد تحدد التاريخ الذي
رجـع فيه المترجم من الشرق ، فان البيت الثالث
والاخير منها يقص فيه الادريسي حديـث الازمـة
الخانقـة التي طرات على حياتـه بالبلاد المشرقية ،
ويتحدث عما قاساه بها من ظما للماء الذي احتكرتـه
فئة من الناس بينهم دون الادريسي الغريب .

وليلاحظ ــ مع هذا ــ ان الادريسي لايبـدي
تبرمه من جهة معينة من الشـرق ، وانمـا هـي
جهات متعددة هى التي عبر عنها اول القطعة بالمشارق

وليلاحظ ــ مرة ثانية ــ ان جهات الشرق التي
يظهر انه يعنبها هي ذات مياه وخيرات فلمصر نيلها..
وللشام امطارها وثلوجها ، وللعراق دجلتها وفراتها..

وعلى هذا فتشكي الادريسي من الظما فى هـذه
الجهات يبدو انه شكوى من حالة عارضة لا دائمـة ،
ومن ازمة موقتة لا مؤبدة ، نشأت عن انحباس المطـر
عن هذه النواحـي .

ومن هنا يمكن ان نهتدي لتحديـد او تقريـب
التاريخ الذي فارق فيه المترجم الشرق ، فلنبحث اذا
عن السنة التي وقعت فيها حادثة من النـوع المشار
له فى تلك الجهات من الشرق ، ولنحدد السنة المطلوبة
فيما بين عامي 510 هـ وهي السنة التي كـان فيهـا
المترجم بآسية الصفرى ، وعام 533 وهي السنة التي
يخمن انه اتصل فيها برجار الثاني .

لقد راجعت عن هذه الحقبة تواريخ ابـن
الاثير ، وابي الفداء ، وابن كثير ، وشذرات الذهب ،
فوجدت ابن الاثير (10) خاصة يذكـر في حـوادث
518 هـ ما يلـي :

(فى هـذه السنة انقطعت الامطار فى العـراق
والموصل وديار الجزيرة والشام وديار بكـر وكثيـر
من البلاد ، فقلت الاقوات ، وغلت الاسعار ، فى جميع
البلاد ، ودام ذلك الى سنة تسع عشرة)

فهذه الحادثة هي التي اكتوى المترجم بظمئهـا،
وهي التي يلمح لها الادريسي فى ختام قطعته ، ومنهـا
يظهر ان رجوعـه من الشرق يتـردد بين عامـي
518 و 519 هـ ، وان مدة مقامه به تتراوح بين تسعة
او عشرة اعـوام .

فتـرة غامضـة فى حياتـه :

ثم انه من تاريخ رجـوع الادريسي من الشـرق
الى عام 533 هـ ينسدل غموض على حياته ، فلا يعلـم
عنه الا ما رواه الصفدي (11) من انه استدعاه رجـار
الثاني اليه من العـدوة .

فماذا يعني بالعدوة ؟ وفى اي جهة منها كـان
يقيم ؟ لا شك ان المراد بالعدوة المغـرب الاقصـى ،
حسب قسم الممالك من صبح الاعشى (12) .

اما الجهة التي كان يقيم بها بالعدوة فلا يبعـد
ان تكون هي سبتة ما دام يترجح انه ولد ونشأ بها ،
ولانها موطن اسلافه ، ويمكن ــ ايضا ــ ان تكون هـي
محل اقامته منذ رجع من الشرق ، على انه من المتوقع

---

(8) العـرب فى صقليـة للدكتور احسان عبـاس 160 .
(9) ج 2 ص 53 .
(10) ج 10 ص 228
(11) قطعـة المكتبة الصقليـة ص 658
(12) ج 5 ص 152

والظاهر ان عبد الله هذا هو المذكور في سلسلة نسب المترجم ، وانه كان ينسب لجده ادريس دون والده علي لما توفي هذا الاخير في حياة ابيه ، وعلى هذا يكون نسبه هكذا :

محمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن ادريس ابن علي بن حمود .. ويقال في نسبه الحمودي نسبة الى حمود المذكور، ثم الادريسي نسبة الى المولى ادريس الاول .

بلدته وتاريخ ولادته :

اما بلدته فهي سبتة مقر اسلافه ، ومحل ولادته ونشأته على ما يذكر اكثر مترجميه .

وبعض من عرف به ـ كالعماد في الخريدة (6) ـ ينسبه الى قرطبة ومرد ذلك لاقامته بها ودراسته على اعلامها فيما يظهر .

اما من ينسبه الى صقلية ـ كابن سعيد ـ فلاستقراره بها عند رجار الثاني ، ومن الخطأ نسبته للنوبة بناء على غلط شنيع وقع فيه مترجما مختصر النزهة الى اللاتينية .

وعن تاريخ مولده يذكر مترجموه ان مولده كان في عام 493 هـ / 1100 م ، اما مكان ولادته فيجعله اكثر مترجميه في سبتة . ولعلهم استنتجوا هذا من مقام عائلة الادريسي في سبتة ، وهناك رواية يوردها الاستاذ كونراد ويلر الالماني تقول : انه ولد بتطوان ، ولا يزال يتيسر الوقوف مباشرة على كتابة هذا عن الادريسي حتى يعرف مستنده .

نشأته ودراسته بالمغرب والاندلس :

ثم انه نكاد تنعدم النصوص ـ الا قليلا جدا ـ عن مكان نشأة الادريسي وشئون حياته الاخرى قبل اتصاله برجار الثاني ؛ وما دمنا لم نقف على نص صريح في انتقاله صغيرا لقرطبة يمكن القول بانه نشأ ودرس دراساته الاولى في سبتة البلد الذي ترجحت ولادته فيه .

كما ان التقرير الذي يبديه في النزهة نحو قرطبة يستنتج منه انه درس بقرطبة وتخصص بها في العلوم التي يعلم من خلال اثاره البراعة فيها ، وهي: الجغرافية في الدرجة الاولى ، ثم الفلك ، والطب، والنبات ، والادب .

رحلته للشرق ونشاطه به :

ان تصريح المترجم في النزهة بانه كان اثناء عام 510 هـ في آسيا الوسطى يفيدنا ـ ولو تقريبا ـ تاريخ انتهاء دراساته بقرطبة ؛ كما قد نستفيد منه انه ذهب الشرق للتوسع في دراساته العلمية ، اذا لاحظنا عادة كبار علماء المغرب والاندلس الذين كانوا يقومون بمثل هذه الرحلات ، وقد نوه بقيمتها ـ كثيرا ـ ابن خلدون في المقدمة .

وهناك شيء ثان لاشك ان المترجم قام به اثناء هذه الرحلة ، وهو التجول في ربوع الشرق ، كما يوخذ من النزهة ، ومن شعره الذي ينبيء عن كثرة تجوله، مثل قوله :

ليت شعري اين قبري
ضاع في الغربة عمري

لم ادع للعين ما تشتـ
ـاق في بر وبحر

وقوله :

دعني اجل ما بدت لي سفينة او مطية
لابد يقطع سيري امنية او منية

وهناك امر ثالث قام به في الشرق ، وهو كتابة موضوعاته في النبات والطب ، ويمكن ان يستنتج هذا من القطعة الادريسية التالية : (7)

ان عيبا على المشارق ان ار
جع عنها الى ذيول المغارب

وعجيب يضيع فيها غريب
بعد ما جاء فكره بالغرائب

ويقاسي الظما خلال اناس
قسموا بينهم هدايا السحائب

فما هي هذه الغرائب التي جاء بها فكره لما كان بالشرق ، لاشك انها غير الشعر لانه لايقال فيه عمل فكري ، ولانه لو قصده لكان يقول : (جاء شعره) بدل فكره ، ولا شك ـ ايضا ـ ان هذه الغرائب لا تعني موضوعاته الجغرافية والفلكية التي انما كتبها في

6) قطعة المكتبة الصقلية ص 610

7) وردت هذه القطعة وما قبلها من الشعر في « الوافي بالوفيات » ج 1 ص 164 .

مسلمين ، وفي وقته كان الادريسي قد اشتهر ذكره الاوساط العلمية ، وعرف بكثرة اطلاعه على احوال مم ، وبتبحره في علم الجغرافية (21) .

اراد رجار الثاني ان يقوم بعمل في علم الجغرافية استدعى الادريسي الى عاصمته بالرمة ، ليتعاون معه على هذا المشروع العظيم ، فلبى المترجم الدعوة، طبيعي ان يكون هذا الاختيار يشهد بما كان للمسلمين ن تفوق في العلوم والفنون في ذلك العصر (22)

ولقد بالغ رجار في احترام ضيفه الذي كان يجيء اليه ممتطيا بغلة ، فاذا صار عنده ، تنحى له عن مجلسه ، فيأبى فيجلسان معا (23) .

وانه لا يعرف – بالضبط – التاريخ الذي استدعى فيه المترجم الى بالرمة ، ولكن نرجح انه كان قبيل عام 533هـ 1138 – 1139 م اذا لاحظنا ما جاء في طالعة النزهة من العمل لاعداد الخريطة الادريسية وشرحها استغرق 15 عاما ، وقدرنا – كما يؤخذ من الصفدي – ان الادريسي كان حاضرا من اول المدة في هذا العمل الذي وقع الفراغ منه في شوال عام 548 هـ / 1154 م (24) .

الخطوات الاولى لتحقيق مشروع جغرافي :

كانت الخطوات الاولى التي اتبعت في وضع الخريطة الادريسية وشرحها : ان رجار استحضر الكتب المؤلفة في الجغرافية والاقاليم : مثل كتاب العجائب للمسعودي ، ومؤلفات الجيهاني ، وابن خرداذبه والعذري ، وابن حوقل ، والكيماكي ، وموسى بن قاسم القردى ، واليعقوبي ، وابن المنجم ، وقدامة ، وكتاب الجغرافيا لبطليموس وارسيوس(25)، ولما لم يجد رجار في هذه الكتب المعلومات الجغرافية الكافية ، احضر لديه العارفين بهذا الفن فباحثهم فلم يجد عندهم اكثر مما في الكتب ، وهنا قرر – مع الادريسي – تحقيق اخبار البلاد بالمعاينة لا بما ينقل من الكتب .

وتنفيذا لهذا القرار وقع اختيار رجار والادريسي على اناس الباء فطناء اذكياء ، جهزهم الى اقاليم الشرق والغرب ، وسفر معهم قوما مصورين ليصوروا ما يشاهدونه عيانا ، وامرهم بالتقصي والاستيعاب لما لابد من معرفته (26) .

وقد فحص الادريسي ومساعدوه تقارير وصور هذه البعثات الاستكشافية ، واضاف لها مشاهداته الخاصة ومعلومات المؤلفات الجغرافيه ، وبمشاركة رجار فحص ذلك كله تمحيصا دقيقا مكنه من تصحيح البيانات الواردة في الكتب الجغرافية الاخرى وتتميمها، وهنا ينتهي الشطر الاول من عمل الادريسي لتحقيق مشروع رجار الثاني .

اما الشطر الثاني فقد تناول تدوين اعمال المرحلة الاولى ، ووافق الفراغ من هذا التدوين العشر الاول من شهر يناير الموافق لشوال سنة 548 هـ (27) بعد جهود استغرقت 15 عاما ، وقد تألفت اعمال الادريسي في المرحلة الثانية مما يلي :

ج – رسم خريطة حائطية عالمية كاملة :

وقد بين فيها مواقع البلدان والجبال والبحار والانهار ... طبق ما وصل اليه البحث وانتهى اليه الاستقراء ، وقد فقد الاصل الكامل لهذه الخريطة ، وانما بقيت اجزاؤها متفرقة داخل كتاب النزهة او مستقلة بذاتها ، ومجموع الخرائط التي وقف عليها الاستاذ موليلر يبلغ 255 قطعة توجد بمكاتب باريس واكسفورد واستانبول ولينيغراد والقاهرة ، وعن هذه القطع استخرج موليلر المذكور خريطة تامة مشتبكة الاجزاء وطبعها طبعة ملونة سنة 1928 ، وهي اول طبعة لها ، وتتضمن هذه الخريطة من اسماء المدن فقط التي كانت مائجة بالعمران في ذلك العصر 2.064

---

(21) محمد الفاسي : « الشريف الادريسي اكبر علماء الجغرافية عند العرب » ملحق مجلة «العدونان» المجلد الاول ص 15

(22) كشف الحجب عن مدنية العرب ص 65

(23) الوافي بالوفيات قطعة المكتبة الصقلية ص 658

(24) من بحث عن الادريسي نشره محمد عبد الله ماضي في مجلة الرسالة المصرية – السنة الثانية اعداد : 64 – 65 – 66

(25) مقدمة « نزهة المشتاق » بواسطة المكتبة الصقلية ص 17

(26) الوافي بالوفيات – قطعة المكتبة الصقلية ص 158

(27) مقدمة نزهة المشتاق بواسطة المكتبة الصقلية ص 19

ان المترجم – قام – خلال هذه الفترة الطويلة – برحلات داخل المغرب وخارجه ، لما علم من اهتباله بالرحلات والاسفار .

هذا ما يمكن ان يستنتج عن حياة المترجم فى هذه الفترة ، اما ما عدا ذلك من تقلبات احواله ونشاطه العلمي ، فلا يعرف عنه قليل ولا كثير .

آثاره النباتية والطبية :

هذا وقبل ان نتصل بالادريسي فى صقلية ، نقول كلمة عن آثاره النباتية والطبية التي يستنتج انه وضعها بالشرق :

أ – ينسب له اماري فى تاريخه (13) كتابا فى النبات اسمه (الجامع لصفات اشتات النبات) ويذكر الدكتور يوسف شخت فى بحث له(14)عن الادريسي ان هذا الكتاب لايزال موجودا ولكنه لم يبين المكتبة التي يحفظ بها .

ويوجد بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية صورة (فيلم) للسفرين الثاني والثالث من هذا الكتاب ، وقد جاء وصفه فى فهرس المخطوطات المصورة بالجامعة العربية (15) هكذا :

(الجامع لصفات اشتات النبات ، وضروب انواع المفردات : من الاشجار والثمار والحشائش والازهار والحيوانات) لمحمد بن عبد الله بن ادريس الادريسي المتوفى سنة 560 هـ ، ذكر فيه الاسماء بالعربية والفارسية واليونانية واللاتينية والسريانية والعبرانية والبربرية ، وذكر منافع كل مفرد وما يستخرج منه من صموغ

الجزءان : الثاني والثالث ، ويشتملان على حرف اللام والميم والنون والصاد والضاد والفاء والقاف والراء والسين والتاء والثاء والحاء والذال والظاء والغين والشين .

وهما بخط معتاد عليهما زيادات وهوامش كثيرة ومعجمات ، كتب المجلد الثاني عبد العزيز بن محمود بن عبد الله الفقيه الواعظ اليعقوبي ، وذلك سنة 659 هـ .

وعلى فاتحة المجلد الثالث ما نصه : السفر الثالث من كتاب الجامع .. تاليف محمد .. – خطه لنفسه ، ثم لمن بعده ، فرحم الله عبدا دعا له بالمغفرة والرحمة .

وهذا يفهم منه انها قد تكون نسخة المؤلف نفسها .

185 ق – 26 س – 18 × 25 سم (Istumay 1343 – ف 730)

ب – كذلك تنسب له طبقات الاطباء (16) (كتاب الادوية المفردة) الذي ذكره ابن سعيد وافا دمنه ابن البيطار (17) والظاهر ان هذا الكتاب هو الذي تحدث عنه مؤلف كتاب العلم عند العرب (18) فى الفقرة التالية :

(للادريسي كتاب الصيدلة المبدوء بمقدمة عامة تتسم بطابع البحث فى النباتات ، وكشف عنه اخيرا فى مخطوط بمكتبة فى استانبول ، ولكنه لم يشتمل (للاسف) الا على النصف الاول من الكتاب ، وقد ترجم ماكس مايرهوف بعض مقتبسات منه ، وقدم فكرة عامة عن الكتاب كله فى دراسة لعلم النبات العام والصيدلية عند الادريسي نشرها فى المجلة Archiv f. Geschichte der Mathem. Naturwiss. u. Technik. XII, 1936, p. 225

وذلك بعد ان كتب فى الموضوع نفسه دراسة اولية قصيرة ظهرت فى نفس السنة من المجلة المذكورة ...)

اتصاله برجار الثاني :

رجار هذا هو ثاني ملوك النورمان ، وقد دام حكمه لصقلية من عام 523 هـ – 1070 م الى عام 548 هـ – 1194 م ، وكان على جانب كبير من المعرفة بالعلوم الرياضيات والعمليات (19) ، محبا لاهلها (20) ، كما كان محسنا للغة العربية معربا لكلامه متقربا

---

13) العرب فى صقلية ص 160
14) نشر لمجلة المستمع العربي ، السنة الثالثة عدد 15
15) ج 3 ، القسم الثاني – ص 61 / 62
16) ج 2 ص 52
17) تاريخ الفكر الاندلسي – الترجمة العربية ص 313 . وانظر نفح الطيب ح 2 ص 44 – 138
18) الترجمة العربية ص 389
19) مقدمة نزهة المشتاق – قطعة المكتبة الصقلية ص 16
20) الوافي بالوفيات – قطعة المكتبة الصقلية ص 657

ري ان تكويرها على شكل اهليلجي بيضوي ، كمـــا حاول اثبات درجات العرض وتحديدها حيث وفــق في هذا الى حد كبيـــر .

اما عند تقسيم الاقاليم الى اقطارها فقد اتجــه من الغرب متدرجا نحو الشرق ، وهكذا ابتــدأ مـــن القسم الاول من الاقليم الاول جهة الغرب وانتهى عنــد آخر الاقليم السابع حيث القسم السبعون في اقصــى الشرق .

ولم يعن في هذا التقسيم الثاني بتحديد درجات الطول وانما ذلك تقسيم اتخذه ليكون وصفه للعالــم المعمور واضحا تاما منظمـــا .

وهو يبتدىء حديثه عن كل قطر باعطاء فكـــرة عامة عنه ، ثم يفصل كل احوالـــه محتـــديا في ذلك توجيهات رجار التي شرحها هذا البحث سابقا .

ويعد تقديم الاخبار بتحرى ويتثبت الى ابعــد حد ، ويتجنب ذكر الخرافات التي كانت شائعـــة في العصر الوسيط والتي تورط فيها غيره من المؤلفين .

وفيما اذا ذكر شيئا خارجا عن حدود العـــادة نسبه الى قائله ثم عقب عليه بكلمة احتياط (36) .

وقد صاغ الادريسي كتابه هذا باسلوب واضح ... ما كان لمؤلفه من ادب وظرف .

وعندما نرجع لخرائط النزهة الموزعة بين اقسامها ... المترجم حذف من رسمها ما كان شائعا عنــد ... الجغرافية مما يمثل الغرائب الخرافية ، وقــد ... لعالم الاسلام الفضل الاكبر في هذا كما انه سلك ... رسم الخرائط طريقة جديدة لم تكن مشتهرة بيـــن ... جغرافيي العرب ، فقد سار على تعيين الابعاد بين كل ... واخرى ، وقلده في هـــذا الجغرافيون العرب الذين جاءوا بعـــده (38) كذلك دأب على ان يجعل الجنوب دائما في اعلى الخريطة بحيث يكون الشمـــال في اسفلها والغرب عن يمنها والشرق عن يسارها (39)

وهذا على عكس الخريطة الاوربية الحديثة التي تجعل الشمال دائما في الاعلى والجنوب في الاسفل والشرق عن اليمين والغرب عن اليسار .

ويظهر ان الفارق الاساسي بين الاصطلاحيـــن ناشىء عن الطريقة التي يكتب بها كل فريق فلما كـــان العرب يكتبون من اليمين جعلوا ــ منذ عهد الادريسي ــ اعالي الخريطة هو الجنوب ، ولما كان الغربيون يكتبون من اليســار جعلوا عالي الخريطة هو الشمال ، وقـــد كان الادريسي على بينة من منابع النيل التي تحـــدث عنها في النزهة (40) ورسمها على احـــدى الخرائـــط بحيـــرات عند خـــط الاستـــواء كالتي اكتشفهـــا الاوربيون في القرن 19 م ، وهذه الخريطة محفوظـــة في متحف سان مرتين بفرنسا (41) اما عدد صحائـــف النزهة فان بعض مصوراتها بدار الكتب المصرية تبلـغ 610 لوحة بما في ذلك الخرائط .

مخطوطات النزهة وطبعاتها وترجماتها :

توجد في دار الكتب المصرية اربع نسخ كاملـــة مصورة بالفوتوغراف عن مخطوطات الاستانة ، وهناك مخطوطات اخرى للنزهـــة كاملـــة وناقصة في مكاتب باريس واكسفورد والاستانة والقاهرة وروسيـــا ، ولا تزال ــ لحد الان ــ لم تنشر كاملة وانما طبعت اقسام منها بالعربية وغيرها على ايدي بعض المستشرقيـــن مثـــل :

1) وصف المغرب والسودان ومصر والاندلس. 2) وصف الشام وفلسطيـــن . 3) القسم المختص بايطاليا . 4) القسم المتعلق بنواحي البلطيق . وفـــي كل طبعـــة شروح وتعاليـــق .

كذلك ترجم الكتاب بجملته الى اللغة الفرنسية ترجمة رديئة ، وترجمت اقسام منـــه الـــى مختلف اللغـــات .

وفي عام 1001 هـ 1592 م طبع في روما مختصر لهذا الكتاب بعنوان : نزهة المشتاق ، في ذكر الامصار

---

(36) ترجمة الادريسي الاستاذ محمد الفاسي ص 21/20 ــ العلوم والاداب والفنون في عهـــد الموحدين ص 79 ــ 81 .
(37) بحث محمد عبـــد الله ماضـــي السابـــق الذكـــر .
(38) تاريخ اداب اللغـــة العربية لجرجي زيـــدان ج 2 ص 378 .
(39) ترجمة الادريسي السابق الذكر ص 22 .
(40) توجد هذا في قطعة النزهة المنشورة عن هـــذه الناحـة وفي « حضارة العـــرب » لغوستاف لوبون: الترجمة العربية ص 568 : اثبت النص الـــذي يكتشف منابـــع النيـــل .
(41) تاريخ اداب اللغة العربية لجرجـــي زيـــدان ج 3 ص 93 .

اسما : 365 بافريقيا ، 740 باوربا ، 959 باسيا (28)، ثم اعيد طبعها في العراق قريبا .

د ـ المنضدة الفضية :

بعد ما رسم المترجم الخريطة الحائطية اراد رجار ان تنقش له على دائرة فضية ، فاحضر هذا الاخير الصناع المهرة الذين اتموا هذا العمل تحت رعاية الادريسي ورقابته ، وهكذا تم حفر صورة الارض المعمورة ـ باحرف عربية ـ على سطح منضدة فضية يبلغ طولها ـ حسب التقديرالتقريبي للاستاذ موليلر ـ ثلاثة امتار ونصف متر ، وعرضها متر ونصف متر (29) ، كما كان يبلغ ثقل فضتها نحو 140 كيلو غرام ، كما قدره الدكتور يوسف شخت (30) .

وقد نقش على هذه المنضدة الفضية صور الاقاليم السبعة ببلادها واقطارها وسيفها وريفها ، وخلجانها وبحارها ، ومجاري مياهها ومواضع انهارها، وعامرها وغامرها ، وما بين كل بلدين من الطرقات المطروقة والاميال المحدودة ، والمسافات والمراسي المعروفة ، من غير ان يغادروا فيها شيئا (31) .

وقد ضاعت هذه المنضدة اثناء ثورة قامت سنة 555 هـ 1160 م ضد الملك غليالم الاول ابن رجار الثاني ، حيث كسرها الثوار واقتسموها بينهم (32).

هـ ـ نزهة المشتاق في اختراق الافاق : تصميمها :

لما تم عمل المنضدة الفضية اشار رجار على الادريسي ان تشرح خريطتها في كتاب سماه رجار نفسه : (نزهة المشتاق ، في اختراق الافاق) (33)، ويسمى ايضا « كتاب رجار او الكتاب الرجاري » (34) نسبة للامير المذكور ، ويشرح المترجم في مقدمة النزهة (35) التصميم الذي اقترحه رجار ليؤلف عليه الكتاب ، حيث يذكر ان هذا امر ان تؤلف جغرافية مطابقة للمنضدة الفضية في اشكالها وصورها ، غير ان هذا الكتاب يزيد عليها بوصف احوال البلاد والاراضي في خلقها وبقاعها واماكنها وصورها وبحارها وجبالها وانهارها ومسافاتها ومزدرعاتها وغلاتها واجناس نباتها وخواصها ، والاستعمالات التي تستعمل بها الصناعات التي تنفق بها والتجارات التي تجلب اليها وتحمل منها ، والعجائب التي تذكر عنها وتنسب اليها وحيث هي الاقاليم السبعة مع ذكر احوال اهلها وهيئاتهم وخلقهم ومذاهبهم وزيهم وملابسهم ولغاتهم .

وقد حقق المترجم هذا التصميم الواسع في كتابه النزهة الذي نوالي الحديث عنه فيما يلي :

وصف كتاب النزهة :

من المؤسف انه لم يتسن الوقوف على كتاب النزهة كاملا حتى يستخرج منه هذا الوصف ، ولذلك سأتابع فيه بعض المصادر التي كتبت عن الادريسي، مضيفا لذلك بعض الارتسامات عن اجزاء النزهة التي قراتها :

ابتدا الادريسي بالكلام على صورة الارض وهيئتها ومقدار المسكون منها ، وتقسيمه الى الاقاليم السبعة ، وذكر البحار ومبادئها وما تنتهي اليه ، وما يلي سواحلها من البلاد والامم : على طريق الاجمال .

ثم اخذ في تقسيم الارض المعروفة اذ ذاك حسب ظن الادريسي : وهي القسم الشمالي من الكرة الارضية مع جزء بسيط من القسم الجنوبي يصل الى درجة 16، جنوب خط الاستواء ، وقد قسمها الى سبعة اقاليم على عدد ابواب الكتاب ، ثم قسم كل اقليم الى عشر اقطار ، فجاءت سبعين قطرا ضمنها سبعين خريطة موزعة على عدد الاقطار .

وهو يسير في تقسيم الارض الى الاقاليم سيرا عرضيا بحيث يبتدىء الاقليم الاول من الجنوب عند خط الاستواء تقريبا ، وينتهي الاقليم السابع عند المتجمد الشمالي الذي يسميه بحر الظلمات ، وقد حاول بهذا الاتجاه التدليل على كروية الارض التي

---

28) بحث محمد عبد الله ماضي السابق الذكر
29) نفس المصدر
30) في مقال له عن الادريسي نشر لمجلة المستمع السنة الثالثة العدد 15
31) مقدمة النزهة بواسطة المكتبة الصقلية ص 18 / 19
32) بحث محمد عبد الله ماضي السابق الذكر
33) مقدمة النزهة بواسطة المكتبة الصقلية ص 19
34) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الاول العدد الثالث
35) بواسطة المكتبة الصقلية ص 19

5) والان لم يبق معروفا بالمغرب من هذا الكتاب سوى مخطوط وحيد مبتور الطرفين وخال من الخرائط ، وهو يبتديء من حديث جزائر الهند اوائل الجزء الثاني من معمور الارض ، وينتهي عند الحديث عن صحراء بلاد السوس اثناء الجزء السابع ـ يقع اثناء مجموع مكتوب بخط اندلسي ، في مكتبة الزاوية الحمزية باقليم تافيلالت رقم 185 (52) .

آثار الادريسي الاخرى فى الجغرافية والفلك :

و ـ (روض الانس ، ونزهة النفس) او (كتاب المسالك والممالك) ، الفه ـ عام 556 هـ 1161 م ـ للملك غليالم الاول بن رجار الثاني ، واتبع فيه طريقته فى النزهة بتوسع والغالب انه الذي ينقل عنه ابو الفداء ، ويعتبر اليوم ضائعا (53) .

ز ـ وينسب للادريسي مختصر من روض الانس اسمه (انس المهج وروض الفرج) ضمنه اقوال الجغرافيين السابقين ، ووضحه بالخرائط والاشكال الملونة ، يوجد منه نسختان احداهما بمكتبة حكيم اوغلو باستانبول تحت رقم 688 ، والثانية بمكتبة حسن حسني باشا تونس تحت رقم 1289 . (54) .

وهناك خريطة تدعى الخريطة الادريسية الصغيرة طبعها موليلر فى مجموعته ، وهي لابن الادريسي محمد ، وضعها سنة 588 هـ 1192 م ، في 73 قطعة ، واسمها روض الفرج ، ولا يبعد ان تكون خرائط توضيحية للكتاب قبلها كما قد يشير لهذا موافقة اسمها لاحد فقرتي عنوان الكتاب (55) .

ح ـ (القبة السماوية او هيئة السماء(56)) ، وهي اول ما وضعه الادريسي لرجار الثاني الذي جعل تحت تصرف الاول لهذه الغاية مقدار اربعمائة الف درهم من الفضة وقد اتخذ الادريسي اقل من ثلث المقدار لهذه القبة السماوية التي صنع فيها ـ على حد تعبير الصفدي (57) ـ دوائر كهيئة الافلاك ، وركب بعضها على بعض ، ثم شكلها له على الشكل المخصوص الذي اعجب به رجار ، وقد كافاه على عمله فترك له ما فضل من الفضة بعد صنع هذا المصور ، واضاف الى ذلك ـ كما يقول الصفدي ـ مائة الف درهم ومجموع ما اشتملت عليه سفينة وصلت ذلك اليوم الى مرسى بالرمة اتية من برشلونة بانواع الاجلاب الرومية التي تجلب للملك (58) ، وطبيعي ان هذه المكافاة من خبير بالفن كرجار تنبيء عن اتقان الادريسي المثالي لعمله ، وتدلل على خبرته الواسعة فى علم الفلك ، ومن المؤف ان يكون مآل هذا المصور الفلكي هو الضياع ، ويمكن انه ضاع فى نفس الظروف وبمثل الطريقة التي ضاعت

الادريسي الاديب :

كتابته العلمية التي صاغ بها النزهة فى طبقة عادية ولا يزال نثره الادبي غير معروف باستثناء ما فى خطبة النزهة .

كما ان النزر المعروف من شعره لايتيح حكما كاملا على شاعريته ، ولهذا سأكتفي بما سجله مترجموه فى هذا الصدد ، فقد ذكر عنه الصفدي (59) : انه كان اديبا طريفا شاعرا . وعلق على ما اورده من شعره بانه شعر جيد ، وجاء فى خريدة القصر (60) للعماد الاصفهاني لدى ترجمة الادريسي :

(ووصفه ابن بشرون بتوليد المعاني فى الشعر وتجويدها ، وتوكيد المباني فى السحر وتشييدها ، لا

---

52) مكتبة الزاوية الحمزية ، مجلة تطوان العدد 8 ص 148 .

53) خريدة القصر لعماد الدين الاصفهاني بواسطة المكتبة الصقلية ص 611 مع دائرة المعارف الاسلامية: المجلد الاول العدد 3 ، وبحث محمد عبد الله ماضي السابق الذكر .

54) دائرة المعارف الاسلامية نفس المجلد والعدد ، مع بحث محمد عبد الله ماضي ، وفهرس مصورات الجامعة العربية ج 1 ص 558 .

55) العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين ص 87 .

56) التسميتان عن مقال للدكتور يوسف شخت عن الادريسي وهو منشور فى مجلة المستمع العربي السنة الثالثة العدد 15 .

57) الوافي بالوفيات ، قطعة المكتبة الصقلية ص 658 .

58) القطعة الاخيرة فى نفس الصفحة .

59) الوافي بالوفيات ج 1 ص 164 .

60) بواسطة المكتبة الملكية الصقلية ص 611 .

والاقطار والبلدان والجزر والمدائن والافاق ، ثم نشر بباريس عام 1029 هـ 1619 م ، ترجمة هذا المختصر اللاتينيـــة الناقصـــة .

اثـــر النزهـــة وخرائطهـــا :

(كانت جغرافية الشريف الادريسي معول اهل اوربا في تقويم البلدان اجيالا ولا سيما عن بلاد الشرق) هذا ما يقوله جرجي زيدان (42) ، ويشهد البـــارون دى سلان : بان هناك بعض اجزاء من المعمورة لا يـــزال هذا الكتاب دليل المؤرخ والجغرافي في الامور المتصلة بهـــا (43) .

وقد جاء ما يدل على ان كتب الادريسي ترجمت الى اللاتينية وافادت اوربا علم الجغرافية في القـــرون الوسطى ، وهذا ما يعترف به الدكتور غوستاف لوبون في العبارات التالية : **(اشهر جغرافيي العرب هـــو الادريسي ، ومن كتب الادريسي التـــي ترجمت الـــى اللاتينية ، تعلمت اوربا علم الجغرافية في القـــرون الوسطـــى)** .

ولا شك ان في طليعة هذه الكتب (نزهة المشتاق) الذي يظهر ان ترجمته هذه ضاعت .

وعن خرائط النزهـــة يثبت سيديـــو (45) ان رسامي الخرائط الجغرافية من الافرنج لبثوا ثلاثـــة قرون ونصف مقتصرين على تقليد خرائط الادريسي مع تعديلات قليلة الاهميـــة .

ومن اثـــار هذه الخرائط انها وحدها هي التي التي مثلت لنا دولة الاسلام العربية وهي في عصرهـــا الذهبي قبل ان تجني عليها ايدي التتار .

كما انها انفردت بانها هي الوحيدة التي تعطينـــا صورة صحيحة عن البلاد الواقعة حول البحر القزويني وصحراء العجم في مدة من الزمن تبلغ نحو قرن ، هذه المدة التي لولا خريطة الادريسي لظلت حلقة مفقودة في تاريخ هذه البلاد (46) .

اما اثر النزهة في المؤلفات العربية فقد كان كبيرا ومـــن المؤلفين العرب الذين استمدوا منها او رددوا افكارها المبكرة : ابن خلدون في المقدمة ، والقلقشنـــدي في الصبح ، وابن الوردي في الخريدة ، وصاحب الروض المعطار ، والسيوطي في حسن المحاضرة وليون الافريقي في جغرافيته ، والمقري في النفح وابن فضل الله العمري في مسالكه ، وقد قال هذا الاخير عن النزهة انها اصح كتاب في الموضوع (47) .

هذا ويحسن ان نختم هذا الباب باستعـــراض المعروف من نسخ النزهة التي كانت تحتفظ بها خزائن المغـــرب والاندلس .

فمن ذلك (1) نسخة كانت في خزائن الموحديـــن وهي اليوم في مكتبة السلطان محمود في استانبول حيث وقف عليها هناك الشيخ خليل الخالدي وقال عنهـــا انها نسخـــة صحيحـــة ، نقلت من نسخـــة بخط المؤلف (48) ، وقد غاب خبر هذه النسخة عن علـــم دائرة المعارف الاسلامية في بحثها عن الادريسي فذكرت انه انما يوجد باستانبول مخطوط وحيد من النزهـــة وهو المحفوظ بمكتبة اياصوفيا .

2) النسخـــة الكبيـــره التي كانت في مكتبـــه الاسكوريال باسبانيا ثم تلفت في حريق (49) وقع بهذه المكتبـــة يـــوم 7 جـــوان سنـــة 1671 ميلاديـــة والغـــالـــب ان هـــذه النسخـــة كانـــت بمكتبـــه السعديين التي انتقل قسم منها لمكتبة الاسكوريال .

3) جزء منها كان بمكتبة القرويين بفاس منضمن للخرائط والاشكال الملونة بالاحمر والازرق (50) .

4) مخطوط باريس عدد 893 ، وهو الذي كـــان بالاندلس فقد ثبت فيه انه نسخ بالمرية عام 744 ، وهو خال من الخرائط (51) .

---

42) المصدر الاخير ج 3 ص 93 .
43) الرحالة المسلون في القرون الوسطى ص 66 .
44) في كتابه « حضارة العرب » الترجمة العربية ص 567 .
45) في كتابه « تاريـــخ العرب » الترجمة العربيـــة ص 432 .
46) بحث محمد عبـــد الله ماضـــي السابـــق الذكـــر .
47) مسالك الابصار بواسطـــة المكتبة الصقليـــة ص 152 .
48) من استجواب مع المذكور نشر في مجلـــة « الرسالة » المصرية : السنة السابعة عدد 322 .
49) الجغرافية العمومية للحكيم ملطبـــرون : الترجمة العربية . ج 1 ص 143 .
50) البرنامـــج القديم لمكتبة القرويين بفـــاس ط . ف .
51) ترجمـــة الادريسي السابقـــة الذكـــر ص 79 .

ملحق

مقدمة نزهة المشتاق (68)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه توفيقي ، الحمد لله ذي العظمة والسلطان ، والطول والامتنان ، والفضل والانعام ، والالاء الجسام ، الذي قدر فحكم ، وراف فانعم ، وقضى فابـــرم ، ودبر فاتقن ، وذرا وبـــرا ، فاحسن ما صور ، فاتصلت بالعقول معرفته ، وقامت في النفوس حجته ، ووضح العيون برهانـــه ، وقهـــر الالباب قدرته وسلطانه ، الهادي الى سبيـــل حمده فضلا وارشادا ، والدال على ارتباط النعم به قـــولا واعتقادا ، جاعلا عجائب مخلوقاته ، وبدائع مصنوعاته، سبيلا الى معرفته ، وسلما الى علم قدمه وازليته .

وان في بعض ما خلـــق لعبرة لاولي الابصـــار ، وذكرى لذوي الخواطر والافكـــار ، فمن آياتـــــه خلق السموات والارض فاما السماء فرفـــع سمكها ، ونظم سلكها ، وزينها بالنجوم ، وجعـــل فيها الشمس والقمر آيتين يستضاء بهما في الليل والنهار ، ليعلم مجاريهما تعاقب الدهور والاعصـــار ، فاما الارض فبسط مهادها ، وارسى اطوادها ، واخرج منها ماءها ومرعاها ، واسكنها خلقه فبواهم املاكها واجرى لهـــم املاكها ، وعرفهم مسالكها ، وعلمهم منافعها ومضارها، وهداهم الى السير فيها برا وبحرا ، وسهـــلا ووعرا ، كل ذلك منه جلت قدرته بحكمة وتدبيـــر ، ومشيئة وتقدير ، فتعالى من هذا ملكه وسلطانـــه ، وصنعـــه وبرهانه ، فان افضل ما عنى به الناظر ، واستعمل فيه الافكار والخواطر ما سبق اليه الملك المعظم رجار المعتز بالله المقتدر بقدرته ، ملك صقلية ، وايطالية ، وانكبـــردة وقلورية امام رومية ، الناصر للملة النصرانية ، اذ هو خير من ملك الروم بسطا وقبضا ، وصرف الامـــور على ارادته ابراما ونقضا ، ودان في ملته بدين العـــدل، واشتمل عليهم بكنف التطول والفضل ، وقام باسباب مملكته احسن قيام ، واجرى سنن دولته على افضل نظام واجمل القيـــام ، وافتتح البلاد شرقا وغـــربا ، واذل رقاب الجبابرة من اهل ملته بعدا وقربا ، بمـــا يحويه من جيوش متوفرة العدد والعدد ، واساطيـــــل متكاثفة متناصرة المـــدد ، صدق فيها الخبر الخبـــر وتساوي في معرفتها السمع والبصر ، فاي غـــرض بعيد لم يصل اليه ولم يخطر عليه ، واي مرام عسيـــر لم يحظ به يتيسر لديه ، اذ الاقدار جاريـــة بوفـــق مبتغياته واراداته ، والسعادات خادمة لـــه ومتصرفة على اختياره في حركاته وسكناته ، فاولياؤه ابدا في عز فعسرى شايع ، واعداؤه في ذل وبوار متتابع ، فكـــم مراتب فخر شيدا اركانها وكم مزايـــا همـــم اطلـــع اقمارها ونور اقطارها ، وصير حدائقها روضا زهيا ، وغرسا زكيـــا ، ثم جمع الى كرم الاخلاق طيب الاعراق والى جميل الافعال ، حسن الخلال ، مع شجاعة النفس وصفاء الذهن ، وغور العقل ووقور الحلـــم ، وسداد الراي والتدبير والمعرفة بتصاريف الامور ، من نهايـــة الفهم الثاقب ، ومراميه كالسهم الصائب ، ومقفـــلات الخطوب مستفتحـــة لديه ، وجميـــع السياســـات وقف عليه ، ونوماته يقظـــات الانـــام ، واحكامه اعدل الاحكام ، وعطاياه البحار الزواخر ، والغيوث المواطر .

اما معرفته بالعلوم الرياضيات والعمليات فـــلا تدرك بعد ، ولا تحصر بحد ، لكونه قد اخذ من كل فن منها بالحظ الاوفر ، وضرب فيه بالقدح المعلى ، ولقد اخترع من المخترعات العجيبة ، وابتدع من الابتداعات الغريبة ، ما لم يسبقه احد من الملوك اليه ولا تفرد بـــه، وها هي ظاهرة للعيان ، واضحة الدليل والبرهـــان ، ومسيرها في الامصار ، وانتشار ذكـــرها في جميـــــع النواحي والاقطار ، اغنانا عن ذكرها مفصلة ومتنوعة ، والاتيان بها متفرقة لا مجتمعة ، مع انا لو ذهبنـــا الى وصفها ، واعملنا الفكرة في تسطيرها ورصفها ، لبهرتنا آياته المعجزة معانيها المتعـــززة مراميهـــا ، ومـــن الذي يحصي عدد الحصى ، ويبلغ فيه الى الفـــرض الاقصـــى ؟؟

(68) بواسطة المكتبة الصقلية ص 14 — 19 ج : 1 مع ذيل الجزء الثالث ص 28—29 .

سيما في توشية التوشيح ، وتوسيع نظمه المليح ، فانه حاذق زمانه، وسابق ميدانه ، وهو قريب في عصرنا هذا ، وقد اورد من شعره ما يروع ويروق ، ويضوع ويفوق ، ويطرب ويشوق ، ويحسد عقوده وسعوده العقيان والعيوق ، ويصف مرحه ووهجه الرحيق والحريق) .

وجاء في موضع آخر من الخريدة ايضا عن الادريسي :

(هو الذي افادنا عمن اوردنا من الشعراء ، وذكرناهم من الفضلاء . ـ يعني في هذا الباب من ابواب كتابه ، وهو باب شعراء المغرب الادنى وافريقية.

وبعد الادريسي من اعلام المغاربة يروي ابن بشرون عنه في كتابه الموسوم بالمختار من شعر شعراء الاندلس وصقلية (61) وهو ـ اي كتاب ابن بشرون ـ من اجل مآخذ العماد ، ومعظم ما يذكره ابن بشرون في مختاره عن الاندلسيين يرويه عنه ، فانه لقيه في صقلية .

هكذا اورد نص الخريدة وحلله الشيخ محمد رضا الشبيبي في محاضراته : (ادب المغاربة والاندلسيين في اصوله المصرية ونصوصه العربية) (62) .

وهو يضيف لهذا (63) ان العماد يعتمد ـ غالبا ـ على روايات الشريف الادريسي الذي هو راوية لشعر شعراء المغرب والاندلس وصقلية والقيروان .

ط ـ ديوان الادريسي :

وان الشيخ رضا الشبيبي يفيد بوجود ديوان شعر الادريسي ويقول عن صقلية (64) :
وقد تناقلت ايدي الادباء هناك دواوين الشعراء: فهذا ديوان ابن حمديس وابنه محمد ، وهذا ديوان الشريف الادريسي صاحب النزهة .

هل عاد الادريسي الى سبتة :

من المؤكد ان الادريسي استمر في بالرمة حتى عهد غليالم الاول بن رجار الثاني ، حيث الف له ـ حسب الخريدةالخريدة(65) ـ (روض الانس ونزهه النفس) ثم من المرجح ان المترجم لم يرجع بعد الى سبتة حيث يبدو ان علاقاته مع الموحدين كانت غير عادية ، ومن ادلة هذا :

اولا ـ قول رجار للمترجم : (انت من بيت الخلافة ، ومتى كنت بين المسلمين عمل ملوكهم على قتلك ، ومتى كنت عندي آمنت على نفسك) (66) .

ثانيا ـ انه كان مقيما لدى رجار الثاني ثم ابنه غليالم الاول ، وقد كانا معا في حالة حرب مع الموحدين.

ثالثا ـ ان المترجم في النزهة لما يجري ذكر الموحدين يلقبهم بالمصامدة في حين يذكر المرابطين بامراء المسلمين ، كما يصف رجار الثاني بالملك المعظم واكثر من هذا .

فهذه الاسباب ترجح ان الادريسي لم يرجع لسبتة وكذا لباقي اجزاء الامبراطورية الموحدية بما في ذلك تونس .

وفاته :

اما تاريخ وفاته فقد قدره بعض من تحدث عنه بسنة 1160 / (555 هـ) ولعله كان من ضحايا الثورة التي قامت ضد مايون وزير غليالم الاول في منتصف هذهالسنة(67)، ويرد على هذا اننا رايناه ـ ص21من هذا البحث انه يؤلف روض الانس عام 556 هـ / 1161 م فلهذا يظهر ان الصواب مع من جعل وفاة الادريسي نحو عام 562 هـ / 1166 م .

---

61) لايزال لم يكتشف بعد ، وفي كتاب « العرب في صقلية » ابتداء من ص 265 : توجد معلومات عن محتويات كتاب « المختار » في قسم شعراء صقلية .

62) ص 46 .

63) ص 48 ـ 49 .

64) ص 48 .

65) بواسطة المكتبة الصقلية ص 611 .

66) الوافي بالوفيات بواسطة المكتبة الصقلية ص 658 .

67) العرب في صقلية ص 149

المؤرخ الوزير لسان الدين بن الخطيب

[illegible]

للدكتور محمد كمال شبانه

ثاني اثنين ارخا لعصر بني الاحمر ، فكشفا عن السلالة النصرية ، حتى عصرهما الذي عاشاه جنبا الى جنب ، ولم تنل من علاقتهما الطيبة سوى التنازع على المزيد من السلطة ، في دولة طالما استبد فيها الحجاب والوزراء ، وانتقصوا من سلطة السلطان ، فكانت نهايتهم على يدي من نازعوهم امور المملكة ، بايعاز من صاحب سلطة قضائية او ادارية ، مثلما حدث بين ابن الخطيب هذا ، وقاضي الجماعة ابى الحسن علي النباهي الجذامي ، وعلى نحو ما سنرى من خلال سيرة الاول .

هو لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله ابن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن احمد السلماني ، نسبة الى سلمان ، بقعة باليمن نزلت بها بعض القبائل القحطانية ، وكانت اسرة ابن الخطيب احدى هذه القبائل ، ومن اليمن وفدت الاسرة الى الاندلس ، حيث اتخذت قرطبة مقرا لها .

ثم هاجرت الاسرة الى طليطلة — كما اخبر بذلك ابن الخطيب نفسه فى مقدمة « الاحاطة » — عام 202 هـ — 817 م وهو العام الذي حدثت فيه ثورة اهل الربض بقرطبة ضد امير الاندلس الحكم بن هشام حيث حرض الفقهاء اهل الربض ضد الامير ، ولكن « الحكم » قضى على الثورة فى الموقعة المشهورة بـ (موقعة الربض) ، وشتت شمل القائمين بها ، فنفى من نفى ، وشرد من شرد ، وغادر قرطبة جمهور من المعارضين والعلماء ، ومن هؤلاء اسرة ابن الخطيب، حيث قصدت طليطلة ، فبقيت بها قرابة قرن ونصف، لما احست اسرة المترجم له بالخطر المحدق بالمدينة — حيث اصبحت هدفا للاسبان فى اواسط القرن الخامس الهجري (اوائل القرن الثاني عشر الميلادي) بادرت بالنزوح عنها الى مدينة (لوشة) (LOJA) مسقط راس ابن الخطيب فى 25 رجب 712 هـ (16 نوفمبر 1312 م)

تربى ابن الخطيب فى اسرة عرفت بالاصالة والعلم والجاه : فقد كان ابوه عبد الله من اكابر العلماء والخاصة ، كما اخبر بذلك ابن الخطيب نفسه ، حيث ترجم لابيه فى كتابه (الاحاطة فى اخبار غرناطة) ، فروى لنا انه ولد فى (672 هـ — 1273 م) واستقر حينا فى غرناطة ، ثم عاد الى (لوشه) مقر الاسرة ، ثم رجع الى غرناطة ، حيث التحق بخدمة السلطان (ابن الوليد اسماعيل) ملك غرناطة (713 هـ — 1314 م).

ولما توفى هذا السلطان ، وخلفه ابنه السلطان (ابو عبد الله محمد) ، التحق والد ابن الخطيب بديوان كتابته ايضا ، ثم بأخيه السلطان ابى الحجاج يوسف (732 هـ — 1315 م) حيث عاصر الكاتب الكبير ، والرئيس العظيم (ابى الحسن علي بن الجياب) ، والذي منح من قبله لقب الوزارة ، واخيرا سقط عبد الله مع ولده الاكبر — اخى لسان الدين — قتيلا فى موقعة طريف الشهيرة ، والتي تمخضت عن فوز الاسبان على المسلمين من الاندلس والمغرب ، وسقوط كل من طريف والجزيرة الخضراء ، وذلك فى جمادى الاولى 741 هـ — اكتوبر 1340 م .

لقد نشأ ابن الخطيب فى العاصمة غرناطة ، وتلقى بها دراسته (1) ، وكانت غرناطة وقتئذ ميدانا احتشد

---

(1) العبر لابن خلدون ج 7 ص 332

فمن بعض معارفه السنية ونزعاته الشريفة العلوية ، انه لما اتسعت اعمال مملكته ، وتزايدت همم اهل دولته ، واطاعته البلاد الرومية ودخل اهلها تحت طاعته وسلطانه ، احب ان يعرف كيفيات بلاده حقيقة، ويقتلها يقينا وخبرة ، ويعلم حدودها ومسالكها برا وبحرا وفي اي اقليم هي وما يخصها من البحار والخلجات الكائنة بها مع معرفة غيرها من البلاد والاقطار في الاقاليم السبعة التي اتفق عليها المتكلمون واثبتها في الدفاتر الناقلون والمؤلفون ، وما لكل اقليم منها من قسم بلاد يحتوي عليه ، ويرجع اليه ، ويعد منه بطلب ما في الكتب المؤلفة في هذا الفن من علم ذلك كله : مثل : كتاب العجائب للمسعودي ، وكتاب ابي نصر سعيد الجيهاني ، وكتاب ابي القاسم عبيد الله ابن خرداذبه ، وكتاب احمد بن عمر العذري ، وكتاب ابي القاسم محمد الحوقلي البغدادي ، وكتاب جاناخ بن خاقان الكيماكي ، وكتاب موسى بن قاسم القردى وكتاب احمد بن يعقوب المعروف باليعقوبي ، وكتاب اسحاق بن الحسن المنجم ، وكتاب قدامة البصري ، وكتاب بطليموس الاقلودي ، وكتاب ارسيوس الانطاكي، فلم يجد ذلك فيها مشروحا مستوعبا مفصلا ، بل وجده منها مغفلا ، فاحضر لديه العارفين بهذا الشأن فباحثهم عليه ، واخذ معهم فيه فلم يجد عندهم علما اكثر مما في الكتب المذكورة . فلما رآهم على مثل هذه الحال بعث الى سائر بلاده فاحضر العارفين بها المتجولين فيها ، فسألهم عنها بواسطة جمعا وافرادا فما اتفق فيه قولهم وصح في جمعه نقلهم اثبته وابقاه، وما اختلفوا فيه الغاه واجازه ، واقام في ذلك نحو من خمس عشرة سنة لايخلي نفسه في كل وقت من النظر في هذا الفن والكشف عنه والبحث عن حقيقته الى ان تم له فيه ما يريده .

ثم اراد ان يستعلم يقينا صحة ما اتفق عليه القوم المشار اليهم في ذكر اطوال مسافات البلاد وعروضها ، فاحضر اليه لوح الترسيم واقبل يختبرها بمقاييس من حديد شيئا فشيئا ، مع نظره في الكتب المقدم ذكرها وترجيحه بين اقوال مؤلفيها وامعن النظر في جميعها حتى وقف على الحقيقة فيها فامر عند ذلك وامر ان يفرغ له من الفضة الخالصة دائرة مفصلة عظيمة الجرم ، ضخمة الجسم ، في وزن اربعمائة رطل بالرومي ، في كل رطل منها مائة درهم واثنا عشر درهما ، فلما كملت امر الفعلة ان ينقشوا فيها صور الاقاليم السبعة ببلادها واقطارها وسيفها وريفها ، وخلجانها وبحارها ، ومجاري مياهها ومواقع انهارها ، وعامرها وغامرها ، وما بين كل بلدين منها وبين غيرها من الطرقات المطروقة والاميال المحدودة، والمسافات المشهودة ، والمراسي المعروفة على نص ما يخرج اليهم ممثلا في لوح الترسيم ، ولا يغادروا منه شيئا وياتون به على هيئته وشكله كما يرسم لهم فيه، وان يؤلفوا كتابا مطابقا لما في اشكالها وصورها ، غير انه يزيد عليها بوصف احوال البلاد والارضين في خلقها وبقاعها واماكنها وصورها وبحارها وجبالها وانهارها ومسافاتها ومزدرعاتها وغلاتها واجناس بنائها وخواصها ، والاستعمالات التي تستعمل بها، والصناعات التي تنفق بها ، والتجارات التي تجلب اليها وتحمل منها ، والعجائب التي تذكر عنها وتنسب اليها ، وحيث هي من الاقاليم السبعة مع ذكر احوال اهلها وهيآتهم وخلقهم ومذاهبهم وزينهم وملابسهم ولغاتهم ، وان يسمى هذا الكتاب **بنزهة المشتاق في اختراق الافاق** ، وكان ذلك في العشر الاول من يناير ، موافق لشهر شوال الكائن في سنة ثمان واربعين وخمسمائة ؛ فامتثل فيه الامر ، وارتسم الرسم .

الرباط : محمد المنوني

سلطان غرناطة الجديد لهذا الطلب ، سياسة منه ، وابقاء على اواصر الوداد مع بني مرين ، واحتفاظا بهم سندا فى مستقبل الدولة الاسلامية بالاندلس . وبهذا اطلق سراح ابن الخطيب ولحق بسلطانه حيث لجأ وادي آش ، ومن ثم الى المغرب ، ومعهما نفر كبير من الحاشية ، فوصل الركب فاس فى محرم 760 هـ — 8 ديسمبر 1358 م ، حيث استقبلهما السلطان ابو سالم استقبالا حارا ، واحتفل بقدومهم احتفالا عظيما، والقى ابن الخطيب فى هذه المناسبة بين يدي المضيف قصيدته الشهيرة (1) يستنصره ليعين سلطانه على امره .

ويشهد ابن خلدون المؤرخ ذلك الحفل — بصفته من كبار رجال البلاط المريني — فيصفه لنا ويقول: ان ابن الخطيب استولى على سامعيه فابكاهم تأثرا .

هذا وقد طاب العيش لابن الخطيب بالمغرب فى رعاية السلطان « ابى سالم » والذي اقطعه الاراضي ورتب له الرواتب ، حيث استقر فى « سلا » حوالي ثلاثة اعوام منفيا ، (1358 — 1361 م) ، (760 — 763 هـ) اقتنى خلالها الضياع والاموال ، ولكن لم ينس فى الوقت نفسه نزعته الثقافية والتاليفية ، فجاس خلال مدن المغرب ، دارسا باحثا ، ملتقيا بالعلماء فى تجواله ، وفى نهاية المطاف يرجع الى سلا حيث رابط بضاحية (شالة) ، قرب اضرحة ملوك بنى مرين

هذا وقد اصيب ابن الخطيب ابان هذه الفترة فى زوجته أم اولاده ، وبالرغم من كل ما اصابه من نكبات متوالية فانه لم يقعد عن التأليف ، ولم يخلد الى الراحة والسكينة ؛ ويكفي دليلا على ذلك تلك المؤلفات التي حررها وقتئذ ، واهمها :

1) معيار الاختبار ، فى ذكر المعاهد والديار .
2) نفاضة الجراب ، وعلالة الاغتراب .
3) اللمحة البدرية ، فى تاريخ الدولة النصرية .
4) الحلل المرقومة ، فى اللمع المنظومة (2) .
5) رقم الحلل ، فى نظم الدول .
6) كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان .
7) رسائل فى فنون مختلفة ، معظمها نظمه شعرا.

وفى هذه الاثناء تم انقلاب فى فاس ، ترتب عليه مصرع السلطان ابى سالم ، فى ذي القعدة 762 هـ (1360 م) وتقلد السلطان صاحب الانقلاب الوزير عمر بن عبد الله ، والذي اعان « ابن الاحمر » المخلوع على امره ، ووقف الى جانبه فى استرجاع عرشه ، حتى سنحت الفرصة ، ووافت الظروف ، وذلك باندلاع ثورة جديدة فى غرناطة : صرع فيها السلطان اسماعيل ابن الاحمر ، على يد الرئيس ابى سعيد والذي فر الى (قشتالة) عقب عودة الغني بالله الى الاندلس واستيلائه على (مالقة) ثم دخوله غرناطة وتربعه على العرش من جديد عام 763 هـ — 1361 م .

لقد استدعى سلطان غرناطة الجديد « محمد الخامس الغني بالله » وزيره المنفي ابن الخطيب ليقدم الى دار ملكه برسائل مؤرخة : 14 جمادى الآخرة 763 هـ (15 ابريل 1361 م) ليتقلد منصبه السابق، فاستجاب له ابن الخطيب وجاز البحر ، صحبة اسرة السلطان واسرته ، حتى وصل العاصمة ، وهناك وجد من يزاحمه منصبه ، وينافسه السلطة ، وهو شيخ الغزاة (عثمان بن ابى يحيى) ، صاحب اليد على السلطان فى استرجاع العرش ، فنشب خلاف بين الرجلين ، وحقد كلاهما على الآخر ، ولكن ابن الخطيب كان اشد مراسا باساليب الكيد والدس ، فتغلب على خصمه ، اذ زين للسلطان خطورة نفوذ « عثمان » هذا، وبدا يخيفه من غدره ، وغدر اشياعه ، فاستجاب ابن الاحمر لنصح ابن الخطيب وقضى على « عثمان » وآله فى شهر رمضان 764 هـ — 1363 م ، وبذلك استرد ابن الخطيب كامل سلطته ، دون مناوىء او منافس ، ولكن الى حين .

فقد شعر مرة اخرى بما يحاك حوله من حبائل ومكايد ، وراى سلطانه يتأثر بسعاية الخصوم . وقد تزعم هذه الحملة الجديدة ضد ابن الخطيب رجلان قويا التأثير فى السلطان بحكم وضعيتهما فى الخدمة السلطانية ، ولما لهما من مكانة سياسية فى الدولة ، هذان الرجلان هما :

---

1) نفح الطيب للمقري ج 3 ص 46 — 48 ، ازهار الرياض لنفس المؤلف ج 1 ص 197 — 200 وهي ثمانون بيتا .

2) هذا الكتاب يتحدث فيه ابن الخطيب عن تاريخ الدولة الاسلامية ، وقد اهداه الى السلطان ابن سالم المريني ملك المغرب ، فكافاه عليه بمضاعفة رواتبه ، كما كتب فى شأن المؤلف الى سلطان غرناطة ، يطلب اليه الافراج عن ممتلكات ابن الخطيب المصادرة .

فيه الاكابر من العلماء والادباء ، فدرس اللغة والشريعة والادب على جماعة من اقطاب العصر ، مثل « ابى عبد الله بن الفخار الالبيري » شيخ النحاة فى عصره، « وابى عبد الله بن مرزوق » فقيه المغرب الكبير، والقاضي « ابن البركات بن الحاج البلفيقي » ، ودرس الادب والشعر على الوزير « ابى عبد الله الحكم اللخمي » وعلى الرئيس « ابى الحسن علي بن الجياب » ، وغير هؤلاء ، كما درس الطب والفلسفة على حكيم العصر وفيلسوفه الشيخ « يحيى بن هذيل » فلا نبالغ اذن اذا قلنا ان غرناطة فى ذلك الوقت كانت اعظم مركز للدراسات الادبية والعلمية والاسلامية ، فى هذا القطر الغربي من العالم الاسلامي، وكان هذا من حظ ابن الخطيب الى حد بعيد .

هذا ، وقد تأثر مستقبل ابن الخطيب السياسي بحكم منصب والده ، فمنذ شب عن الطوق ونفسه تطمح للوصول الى مركز ابيه ، فلما توفى الوالد دعي ابنه للخدمة مكانه ، وكان حينئذ فى الثامنة والعشرين من عمره ، حيث تولى امانة السر لاستاذه الرئيس « ابى الحسن بن الجياب » وزير السلطان ابى الحجاج يوسف الاول النصري وكاتبه (1) ، ثم خلف استاذه فى الوزارة ،وتقلد ديوان الانشاء للسلطان ابى الحجاج يوسف ، وكان ابن الخطيب يومئذ قد ملك زمام ارفع الاساليب شعرا ونثرا ، بفضل استاذه الراحل ، وظهر اثر هذه التلمذة على رسائله السلطانية التي حررها بقلمه على لسان ملوك الاندلس والمغرب، والتي نعتها المؤرخ ابن خلدون « بالغرائب » ، وقد جمع ابن الخطيب نفسه منها الكثير فى كتابه « ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب » كما اورد المقرى عددا منها فى مؤلفه « نفح الطيب » (2) ويعتبر كتابه « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » (برمته) مجموعة من الرسائل السلطانية التي تمثل العلاقات السياسية بين غرناطة والمغرب فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي (3) .

ولقد كسب ابن الخطيب ثقة هذا السلطان ، حيث قربه من مجلسه ، وخلع عليه الجم من النعم ، كما اصبح اثيرا لديه ، مودعا اياه امانة سره وكتابته ، وذلك لروعة هذه المكاتبات السلطانية التي دبجها له من جهة ، ولنجاح سفاراته مع ملوك النصارى والمغرب من جهة اخرى ، فقد بعثه عاهل غرناطة الى ابى الحسن المريني ملك المغرب عام 749 هـ — 1348 م .

ولما توفي السلطان ابو الحجاج يوسف قتيلا — فى يوم عيد الفطر 755 هـ — 19 اكتوبر 1354 م خلفه فى الملك ولده السلطان « محمد الخامس الغني بالله » واستمر ابن الخطيب فى معاونة الوزير « ابى النعيم رضوان » على خدمة السلطان الجديد ، كما تولى الوصاية على الابناء القصر للسلطان المتوفى ، ثم قام بسفارة الى السلطان « ابى عنان المريني » عام 755 هـ — 1354 م ، ولقد نجح ابن الخطيب فى مهمته هذه نجاحا عظيما .

فقد استجاب ملك المغرب للمطالب التي حملها ابن الخطيب لصالح ملك غرناطة ، وفى مقدمتها العون الحربي لمقاومة ملك قشتالة .

ولقد ظفر ابن الخطيب بمكانة ممتازة لدى (الغني بالله) اذ منحه ثقته كأبيه من قبل ، وخلع عليه لقب (ذى الوزارتين) ، لجمعه بين الكتابة والوزارة .

ولكن حدث ان اندلعت الثورة بغرناطة فى رمضان 760 هـ — 1359 م . وانتهت بان فقد السلطان الغني بالله ملكه ، واستولى اخوه الامير اسماعيل على العرش ، كما تمخضت هذه الثورة عن مقتل الوزير (ابى النعيم رضوان) ، ثم فرار الغني بالله الى وادي آش ، وعليه فأصبح ابن الخطيب لايملك من الامر شيئا ، غير انه حاول ان يستميل اليه السلطان الجديد ، فقبله فى الوزارة مؤقتا ، ثم تشكك بعد قليل فى نواياه ، بتحريض منافسيه وحساده ، فقبض عليه، وصادر املاكه ، وبذلك فقد ابن الخطيب جاهه ونفوذه، بل ومتاعه بين عشية وضحاها .

لم تطل هذه النكبة بابن الخطيب ، فقد بعث ملك المغرب السلطان ابو سالم سفيره (الشريف ابا القاسم التلمساني) الى ملك غرناطة الجديد ، يطلب اليه ان يسمح للملك المخلوع (الغني بالله وورزيره ابن الخطيب بأن يغادرا الاندلس الى المغرب ضيفين عزيزين ، فرضخ

---

1) توفى ابن الجياب بوباء الطاعون الجارف ، فى شوال 749 هـ (يناير 1349 م)

2) ج 2 ص 570 ، وما بعدها ، ج 4 فى عدة مواضع منه .

3) لقد قمت بتحقيق هذا الكتاب ، وسينشر قريبا بمعونة الدار المصرية للتاليف والنشر بالقاهرة .

في كتابه « الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة » ، وشدد النكير على القاضي النباهي، ففيه يصفه بانه « الجعسوس» اي القزم الدميم ، وزاد ابن الخطيب فوضع رسالة خاصة ، للنيل من خصمه اللدود ، وسماها « خلع الرسن » في وصف القاضي ابن الحسن » .

ظل القاضي النباهي وابن زمرك على عزمهما سحق غريمهما ابن الخطيب ، فبعد احراق كتبه العقائدية ، عمد النباهي الى استصدار حكم الشرع في جريمة الالحاد ، وهو الاعدام ، وحصل من السلطان على مصادقة لهذا الحكم ، وبعث القاضي ابو الحسن بنوابه الى السلطان عبد العزيز ، وبايديهم هذا الحكم فقابل السلطان رسل غرناطة بالاستنكار ، وخاطبهم قائلا : « هلا انفذتم فيه حكم الشرع وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه .. » وبالغ في اكرام ابن الخطيب ، واضفى عليه مزيدا من عنايته .

وتجدر الاشارة هنا الى ان ابن الخطيب قد لاحظ وقتئذ قوة المغرب في عهد صديقه السلطان عبد العزيز ملك المغرب ، ومبلغ العداء بين فاس وغرناطة — وقد بلغ اوجه ، فحرض السلطان على ضم غرناطة لمملكته — وقد بلغ من وراء ذلك الى سحق اعدائه هناك ، وتأمين مقامه بالمغرب ، وما يتبع ذلك من حماية مصالحه الخاصة .

ويظهر ان هذه السياسة قد لاقت قبولا عند السلطان « عبد العزيز » ، فصمم على تنفيذها ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : « ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الاحمر ، فرغب السلطان عبد العزيز في ملك الاندلس وحمله عليه ، وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان الى المغرب (1) وبلغت ابن الاحمر رغبة ملك المغرب هذه ، فتخوف لذلك كثيرا ، واسرع في انفاد رسله بالهدايا والتحف الثمينة الى بلاط فاس ، آملا في نيل رضا السلطان عبد العزيز ، واتقاء شره. ثم تفاجيء الظروف الموقف ، فيموت السلطان عبد العزيز بعد ذلك بقليل ، ويجلس على عرش المغرب ابنه « ابو زيان محمد السعيد » طفلا في الرابعة من عمره، في ربيع الاخر 774هـ ، 1372 م ، وقبض على زمام السلطة الفعلية وزيره ابو بكر بن غازي فتغيرت الاوضاع السياسية بالمغرب تماما ، واضطر ابن الخطيب حينئذ ان يتزلف الى الملك الطفل ووزيره ، فالف كتابه المعروف باسم « اعمال الاعلام ، فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام » وفيه يبرر هذا الوضع الجديد ، شرعا وعرفا ، وتاريخا ، واورد لذلك الاشباه والنظائر ، ردا على المناهضين ، وصنائع بني الاحمر وعملائهم .

وفي هذه الاثناء قام السلطان ابن الاحمر بمحاولة اخرى للايقاع بابن الخطيب ، وذلك بان اوعز الى الوزير « ابن غازي » ان يسترد ابن الخطيب ، فامتنع ابن غازي ، وتوترت العلاقات مرة اخرى ، بين غرناطة وفاس ، الامر الذي جعل ابن الاحمر يوغر صدور هؤلاء الامراء المرينيين ، ضد النظام القائم في فاس وبذل في سبيل القضاء على هذا النظام مساعدات ضخمة ، كما اقنع من اتصل بهم من حكام الاقاليم — وبخاصة حاكم سبتة «ابو محمد بن عثمان » — بان من الافضل للمغرب ان يكون الملك رجلا راشدا ، لا طفلا صغيرا ، لا يدرك شيئا ، واتفق معه على تنصيب الامير المريني « ابي العباس احمد بن ابي سالم » ملكا على المغرب ، وانه — اي محمد بن عثمان — سيكون الوزير المستقبل ، واعطاه المزيد من المساعدات الهائلة لتنفيذ هذا الاتفاق ، على ان يحقق هذا الوزير لابن الاحمر ثلاثة مطالب بعد نجاح الخطة ، وهي :

1 — تسليم ابن الخطيب .

2 — تسليم الامراء المناهضين لابن الاحمر .

3 — التنازل عن جبل طارق .

ووقعت بعض الحوادث بالمغرب ، وتمخضت عنها ثورة قاضية ، ادت الى حدوث الانقلاب المنشود لابن الاحمر، ونودي حينئذ بالامير «احمد بن السلطان ابي سالم » واليا على المغرب « 776هـ — 1374م» .

وهنا اسرع السلطان الجديد بالقبض على ابن الخطيب ، وسجنه ، وبذلك تهيأت الفرصة لوضع نهاية الوزير المنكود فقد كان الوزير الجديد ببلاط فاس « سليمان بن داوود» » من الد خصوم ابن الخطيب ، ومن جهة اخرى فقد ارسل سلطان غرناطة سفيره ووزيره عبد الله بن زمرك ، ليشهد آخر فصل لهذه الرواية ، وليدق آخر مسمار في نعش ابن الخطيب ، فقد عقد السلطان احمد مجلسا من مستشاريه وكبار رجال الدولة ، ونوقش ابن الخطيب امام هذا المجلس ، وذلك حول كافة الادعاءات

---

1) ابن خلدون في العبر ج 7 ص 338 — 341 .

1) الشاعر محمد بن يوسف المعروف بـ « ابن الخطيب » تلميذ ابن الخطيب ، ومعاونه في الوزارة .

2) قاضي محمد بن يوسف المعروف « ابو الحسن علي بن عبد الله النباهي ، ولي نعمة ابن الخطيب .

وحينئذ شعر ابن الخطيب بخطورة موقفه عند السلطان ، بين هذين الرجلين الداهيتين ، فدبر امره على مغادرة الاندلس نهائيا ، دون ان يشعر السلطان مطلقا بذلك ، وفعلا طلب منه أن يأذن له في تفقد بعض الثغور والموانيء الاندلسية ، فأجابه السلطان ، وكان من جانبه قد اعد العدة للابحار الى المغرب ، حيث يحل على السلطان ابن ابى الحسن المريني وقد تم له ذلك بوصوله الى جبل طارق ، وكان الجبل يومئذ ضمن املاك المرينيين ، ونجحت الخطة ، اذ استقبله قائد ميناء الجبل بحفاوة ، وسهل له مهمته ، بأمر من سلطان المغرب ، واجازه الى « سبتة » هو ومن معه من رلده ، وقبل ان يودع هذه البقاع بعث برسالة مؤثرة الى السلطان الغني بالله يعلل فيها مسلكه الاخير هذا ، ويبرر له تصرفه الاضطراري ، تم يستسمحه في النهاية ، طالبا غفرانه ، راجيا عونه لاسرته التي خلفها وراءه في غرناطة .

وصل ابن الخطيب الى «سبتة» ومنها التحق بتلمسان ، مقر السلطان « عبد العزيز » الذي احتفى واكرمه ، ثم بعث بسفرائه الى غرناطة ، يلتمس من سلطانها ان يجهز اسرة ابن الخطيب ، فأجابه « ابن الاحمر » الى طلبه وكان ذلك عام 773هـ ، 1371م .

وكان من المتوقع ان يهنأ ابن الخطيب بهذا المقام بالمغرب ، فالسلطان قد احله مكانته اللائقة به ، وابدله مما فقد الشيء الكثير ، ولكن — للاسف — اتخذ منافسوه بغرناطة من هربه — على هذه الصورة — مادة دسمة للكيد ، واكدوا للسلطان « محمد الخامس ابن الاحمر » ادانته ، وعدم وفائه لولي نعمته ، وزاد الاتهام تأكيدا ان ابن الخطيب كان حريصا على ان يحمل معه امواله وذخائره الى المغرب ، وفي هذا يقول له « القاضي النباهي » غريمه ، — في الرسالة المعروفة التي بعث بها اليه — : « فهمزتم ولمزتم وجمعتم من المال ما جمعتم .. ثم هربتم باثقالكم » «1» .

كان القاضي النباهي فيما سبق من انصار الوزير ابن الخطيب ، بل ان تعيينه قاضيا للجماعة واستصدار ظهير هذا المنصب قد تم على يد ابن الخطيب نفسه ، كما نجد في كتاب الاحاطة ترجمة للنباهي تنبيء عن تقدير ابن الخطيب لهذا الرجل ، اذ ينعته بانه « فريع بين مجاده وجلاله ، ويقيه تعين واوصاله ، عف النشأة ، طاهر الثوب ، مؤثر للوقار والحشمة ، بعيد الغور ، مرهف الجوانب ، ناظم ، ناثر ، نثره يشف على نظمه ، ذاكر للكثير ، بعيد المدى في باب النزاهة ، ماضيا غير هيوب ...» الخ . ولكن ذلك «النباهي» تنكر تماما لابن الخطيب ولم يحفظ له هذا الجميل ، قد آزز الوزير « ابن زمرك » ضده ، وسعى سعيا حثيثا في سبيل القضاء عليه ، وتتجلى هذه الروح الشريرة ، وما يمليه الحقد الشخصي ، والضغائن الدفينة ، في تلك الرسالة التي بعث القاضي النباهي الى ابن الخطيب بالمغرب ، وفيها يعيب عليه الانصراف الى اقتناء الضياع والديار ، كما انه نسب اليه في بعض مؤلفاته بعض محدثات في الدين ، مما يمس الشريعة الاسلامية ، كما تناول في بعض المؤلفات الاموات من الناس ، وذلك بالطعن او العيب فيهم ، الامر الذي يستنكره الدين .. ، الى آخر ما جاء في الرسالة من مثل هذه المثالب ، وحتى مغادرة ابن الخطيب للاندلس مؤخرا رأى فيها النباهي غدرا بالسلطان ولي نعمته ، كما كذبه في ادعائه الانقطاع للعبادة في المغرب ، وانه لو ارادها حقيقة لقصد الديار المقدسة ، او ابقى على نفسه بغرناطة بجوار الكفاح والجهاد ، لنصرة المملكة الاسلامية ، والتي يتهددها خطر الاسبان كل حين .

وفي الاخير ينهي النباهي رسالته بالنيل من اسرة ابن الخطيب ، وانهم حديثو عهد بالنعمة ، وان ثروتهم هذه لم تأت الا عن طريق المنصب والسلطة .

وقد كان لهذه الرسالة اثر كبير فيما بعد ، حيث كانت صك الاتهام ، والتي ادين ابن الخطيب على اساس ما ورد فيها ، عندما حلت نكبته ، ودنت ساعة نحسه (2) .

هذا ، ويرجع تاريخ هذه الرسالة الى اواخر جمادى الاولى 773هـ 1371م ، وقد تسلمها ابن الخطيب بتلمسان ، واجاب على ماجاء بها مفصلا ، وذلك

1» المقري في نفح الطيب ج7ص56 .

2) المقري في ازهار الرياض ج 1 ص 212 — 224 حيث اورد المؤلف هذه الرسالة كاملة .

الرقائق لابي عبد الله المقري

الحقائق والرقائق *

للأستاذ عبد القادر زمامة

يسمي المقري رسالته هذه : كتاب « الرقائق والحقائق » والاصطلاح الصوفي ظاهر في هذه التسمية لانهم كانوا يعبرون بهما عن اشياء ترجع الى السلوك الانساني ورياضته الروحية والعقلية :

فالرقيقة : كل ما يتلطف به سر العبد وتزول به كثافة النفس على حد تعبير الجرجاني في كتابه « التعريفات »

اما الحقيقة : فهي مرتبة من العلم والانكشاف لها نورانيتها في القلب واشعاعها في العقل واثرها في طهارة الروح واطمئنان النفس .. وللصوفية في تعريفها اساليب وطرق متعددة ..

والمقري يجاري الاصطلاح الصوفي فيعبر عن خواطره وارتساماته وما ينقدح في ذهنه من تعليقات على الحوادث التي مرت به ، او المجالس التي حضرها .. او الاخبار التي تلقاها من افواه الرجال .. بهاتين الكلمتين .. ومن العسير على الباحث ان يفرق بين مقصود المقري بكلمة **حقيقة** ومقصوده بكلمة **رقيقة** ، فكلتاهما من واد واحد لكن المؤلف جعل بعض تعليقاته وخواطره تحت اسم **الحقائق** .. وجعل اخرى تحت اسم **الرقائق** .. وهدفه في الجميع واحد .. وهو النظرة الصوفية الى الحياة وتفسير ما فيها تفسيرا صوفيا قوامه رفض الاعراض والعوائق المادية التي تنزل بالانسان الى حضيض المادة وحمأة الشهوة .. والاقبال على الحقائق ورياضة النفس بكل عمل يقربها من الله جلت قدرته ..

ومنذ سنوات خلت كنت قد قرات بعضها فيما اختاره ابو العباس المقري منها في كتابه نفح الطيب فأعجبت بأسلوبها ومقاصدها .. ومنذ ذلك الحين وامنيتي ان اجدها تامة في كتاب خاص ..

وفي صيف هذه السنة زرت الاخ الاديب الباحث السيد حماد بوعياد في منزله بمدينة طنجة فاطلعني على نسخة « الحقائق والرقائق » وهي نسخة يرجع تاريخها الى اوائل القرن العاشر على ما يرجح ورغم ما فيها من ثقوب وخروم بمفعول الارضة فقد انتسختها بقلمي وفكرت في تصحيحها ونشرها باعتبارها من آثار ابي عبد الله المقري الجديرة بالنشر احياء لذكرى هذا العالم الجليل ..

وقد اطلعني الاستاذ الجليل سيدي ابراهيم الكتاني رئيس قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط على نسخة اخرى ضمن مجموع كان في مدينة تازة محبسا على مسجدها ..

فقابلت بين النسختين ، وبينهما وبين ما في النفح واستخرجت من ذلك نسخة ارجو ان تكون على وجه مقبول .

وكنت عازما على التعليق على ما فيها من اعلام وشيوخ والتعريف بهم لكنني رجعت عن ذلك بعد ان اطلع على عملي احد الاصدقاء الباحثين – حفظه الله – وافهمني ان في ذلك – اثقالا – لكاهل هذه الرسالة اللطيفة بالحواشي والتعليقات ومؤلفها – رحمه الله – ارادها خفيفة سهلة سائغة ..

---

* انظر «دعوة الحق» العدد الثاني من السنة التاسعة .

المقامة ضده ، وبالاخص دعوى الالحاد ، تلك الدعوى التي صاغها القاضي النباهي من قبل ، وكان مجلسا صوريا بطبيعة الحال ، فان نتيجة المحاكمة كانت مقررة ومتفقا عليها من قبل فى كل من غرناطة وفاس .

لقد اوذي ابن الخطيب امام شهود هذه المؤامرة، وافتى الفقهاء المتعصبون باعدامه شرعا ، فاعيد الى سجنه حيث دبر الوزير « سليمان بن داوود » امر قتله فى السجن ، وفعلا بعث اليه ببعض الاشرار الذين قتلوه خنقا اواخر 776هـ ، 1375م ، وفى الصباح سحبت جثته الى الفضاء حيث تم حرقها ، ودفن بضاحية فاس .

ويروي المقري انه تمكن مؤخرا من معرفة قبر ابن الخطيب ، وذلك خلال اقامته بفاس ، اوائل القرن الحادي عشر الهجري « القرن السابع عشر الميلادي » فزاره مرارا حيث يرقد ، وفى هذا يقول « وقد زرته مرارا — رحمه الله تعالى — بفاس المحروسة ، فوق باب المدينة الذي يقال له : باب الشريعة ، وهو يسمى الان « باب المحروق » وشاهدت موضع دفنه غير مستو مع الارض ، بل ينزل اليه بانحدار كثير » رحم الله ابن الخطيب بقدر ما زود التاريخ من ذخائر ، واهدى العلوم والمعارف من نفائس .

القاهرة : محمد كمال شبانة

سيما وجل الذين يروي او يتحدث المقري عنهم فيها
م تراجم معروفة في كتاب « البستان » لابن
ريم . ونفح الطيب للمقري . ونيل الابتهاج
سوداني . وانس الفقير لابن الخطيب القسنطيني .

ومن اجل ذلك اكتفي اليوم بنشر نصها
لمخطوط مرجئا التعليقات والمقابلات بين النسخ
لمختلفة .. والزيادات الموجودة في بعضها الى ان
نمكن من اخراج دراسة مفصلة عن المقري وآثاره
التي من جملتها هذه الرسالة .

ومن الله استمد التوفيق والعون ..

فاس ـ عبد القادر زمامة

الحمد لله ، هذا كتاب شفعت فيه الحقائق
بالرقائق ، ومزجت فيه المعنى الفائق باللفظ الرائق ،
فهو زبدة التذكير ، وخلاصة المعرفة وصفوة
العلم . ونقاوة العمل فاحتفظ بما يوحيه اليك ،
فهو الدليل ، وعلى الله قصد السبيل ..

حقيقة ـ عمل قوم على السوابق ، وعمل قوم على اللواحق ، والصوفي من لا ماضي له ولا مستقبل ، فان كان زجاجيا فبخ بخ ...

رقيقة ـ من لم يجد الم البعد ، لم يجد لذة القرب ، فان اللذة هي التخلص من الالم .

حقيقة ـ لما انطبعت الصور في مرآة الخيال قال العقل : انا الفلك المكوكب ، فقالت الرياضة : الزمني وتعرف قدرك ، فاذا العقل عقال ..

رقيقة ـ لتهنىء المدلج طلعة الفجر ، برق البرق ، فوجد الكنز .

حقيقة ـ آثر الزاهد زاوية دن سقراط على ميدان حلبة المشائين ، فقيل له : فاين اعتبار « افلا ينظرون » ؟ فقال : «وفي انفسكم افلا تبصرون»

رقيقة ـ من ضحك في نوم الغفلة ، بكى عند الانتباه ، فان الاضغاث اضداد .

حقيقة ـ الخلوة منزل الفكر ، وفي بيته يوتى الحكم ، وباب هذا البيت العلم ، « وآتوا البيوت من ابوابها » .

رقيقة ـ الزاد لك وهو مكتوب ، والزائد عليك وهو مسلوب ، فاجمل في الطلب ، ولا تحمل نفسك النصب .

حقيقة ـ العمل دواء القلوب ، واذا كان الدواء لا يصلح الا على حمية البدن فكذلك العمل لا ينجح الا بعد صوم النفس ، فارق نفسك وتعال ..

رقيقة ـ من سابق سبق ومن لاحق التحق ، ومن رافق ارتفق ، والعجز والكسل مطيتا الخيبة «وعلى قدر اهل العزم تاتي العزائم » .

حقيقة ـ الزاهد صاحب نفاسة وهمة ، والعابد طالب رياسة وحرمة والمعنى للعارف ، يعادي في الله ، ويوالي في الله ويعمل على رضاه ولا يبالي .

رقيقة ـ طالب الدنيا يخاف الفوت ، وصاحبها يترقب الزوال ولو بالموت فاذا حمي الوطيس وتجثم الرئيس انشأ الزاهد ينشد :

عزيز النفس لا ولد يموت
ولا شيء يحاذره يفوت

حقيقة ـ القلب ايوان الملك ويسعني ، وعز الملك لا يرضى بذل المزاحمة ، « انا اغنى الشركاء عن الشرك » وهذا معنى ما قاله الشيخ تاج الدين ابو الفضل ، احمد بن عطاء الله :

« كما انه لا يحب العمل المشترك كذلك لا يقبل القلب المشترك ، فالعمل المشترك لا يقبله ، والقلب المشترك لا يقبل عليه » .

رقيقة ـ لما وضع البسطامي اوزار حربه فك طابع الصحيفة عن قلبه ، فلم يجد بها غير الطغراء فصاح بنفسه : لك البشرى انزل طيفور عما تريد ليس في الدار ابو يزيد ..

حقيقة ـ قال شيخنا ابو هادي يوما لاصاحبه : بماذا يرتقي العبد من مقام الى مقام اعلى منه ؟ فقالوا : بفضل الله ورحمته ، فقال : انما سألتكم عن السبب الخاص بهذا الامر ، فقالوا : من عند الشيخ .. فقال يخلق الله له همة اسنى من همته ، فيرتقي بها الى رتبة اسمى من رتبته .

رقيقة ـ ذكر مذكر بمالقة فقام الخطيب ابو عبد الله الساحلي بهذا البيت :

ليت شعري افي زمام رضاكم
كتب اسمى ام في زمام الهوان

وكنت يوما مع السلطان «1» ، والجند يعرضون عليه ، وكان يسقط ويثبت وانا اتفكر في البيت ، حتى خفت ان افتضح فقلت : واهماه من هذا الابهام ، ثم كدت اخلد بقبح العمل الى الارض ، فينشلني حسن الظن بالله فانهض :

ان المقادير اذا ساعدت
الحقت العاجز بالقادر

حقيقة ـ قال محمد بن رشيد البغدادي شيخ محمد بن علي الجمال صاحبنا : علامات المحبة اربع : الافلاس ، والاستئناس ، والانفاس ، والوسواس ، قلت : الافلاس التجرد الا عنه ، كالخليل ، والاستئناس الاستيحاش الا منه ، والانفاس والوسواس صلة الاسم وعائده .

رقيقة ـ انشدني محمد بن ابراهيم ابي الحاج البلفيقي وقال انشدني محمد بن رشيد الفهري وقال انشدني ابو حفص الخيمي «2» المصري لنفسه :

لو راى وجه حبيبي عاذلي
لتفاضلنا على وجه جميل

حقيقة ـ قطع السوى طهارة المنيب ، ولا يقبل الله صلاة بغير طهور ، وكتابه النجيب والمكاتب عبد ما بقي عليه شيء ، وبابه الدخول على الحبيب ، نظر رجل الى امراة عفيفة ، فقالت له يا هذا غض بصرك عما ليس لك تنفتح بصيرتك فترى ما هو لك ..

رقيقة ـ قال لي عبد الرحمن بن يعقوب المكتب ، كان بالساحل سائح يهيم على وجهه فاذا ثابت اليه نفسه قام فقال : الهي ، بسطت لي املي ، واحصيت علي عملي ، وغيبت عني اجلي ، ولا ادري الى اي الدارين تذهب بي ، لقد اوقفتني موقف المحزونين ما ابقيتني ..

حقيقة ـ تحقق العلماء بالتوحيد فاستشعروا حقيقة ـ والله خلقكم وما تعملون ـ لكنهم اعتبروا خلق السبب والابتداء به فتصرفوا بدلالة الاذن في مذهبه فاستقاموا على طريقة الادب ، ولم يفتهم فضل التوكل ، ولم تتسع معارف الزهاد لما عرفوا المسبب لكيفية الانصراف الى السبب منه ، لدقة الفرق بينه وبين الانصراف عنه فوقفوا للعذر مع التوكل ولم يستعملوا ادب الجريان مع الابتلاء والامر .. وعكسه الغافلون على ظاهر السبب ففاتهم التوكل والادب « اولئك كالانعام بل هم اضل » .

رقيقة ـ قال لي محمد بن عبد الله بن عبد الواحد الرباطي ، قال لي ابو محمد بن عبد الله الاطرابلسي دخلت على ابي الحسن الحرالي فقلت له : كيف اصبحت ؟ فانشد :

اصبحت الطف من مر النسيم سرى
على الرياض يكاد الوهم يؤلمني

من كل معنى لطيف احتسى قدحا
وكل ناطقة في الكون تطربني

حقيقة ـ قال لي محمد بن محمد ابن مرزوق العجيسي الشيخ بعباد تلمسان : قال لي ابو عبد الله بن حيون النجراوي : وجدت على ظهر كتاب بخط عتيق ، قال ابو يزيد البسطامي : يظهر في آخر الزمان رجل يسمى شعيبا ، لا يدرك له نهاية قالا : وهو ابو مدين ، قلت : وقف بظاهره مع الشريعة وذهب بباطنه مع الحقيقة ، فما انقطع لصحة البداية ولا رجع لعدم الغاية ..

رقيقة ـ مثل دواعي الخير والشر في الانسان كمثل الخلط الفاعل ، والقوة الدافعة في العليل ، تغلب القوة فيسكن الخلط فيجد الراحة ، وعن قليل يتحرك فيجد الالم ..

حقيقة ـ العمل على السلامة مسالمة وتلك صناعة الراهبين ، وعلى الغنيمة تجارة ، وتلك بضاعة الراغبين وعلى الامر قرض « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة » .

رقيقة ـ سمعت ابا محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاطي يقول : رويت بالسند الصحيح ، ان عابدا رابط ببعض الثغور مدة فكان كلما طلع الفجر سمع صوتا دون ان يرى شخصا :

1» يعني السلطان ابا عنان المريني

2» انظر درة الحجال لابن القاضي ج1 ص 154

على رحمة « فنجيناك من الغم » برمز ، فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا » والمحن الصم حبائل المنح ، واقامة الجدار اشارة لفتوة « فسقى لهما » ليخفض له جناح . اني لما انزلت الي من خير فقير » فيستظل من حرور « لو شئت لاتخذت عليه اجرا » في تيه « هذا فراق بيني وبينك » « وما فعلته عن امري » .

حقيقة — قيل لمحمد بن الحسن الزبيدي التونسي وانا عنده بها : كيف لم يصبر الكليم وقد ناط الصبر بالمشيئة « ستجدني ان شاء الله صابرا» وقد جاء في الصحيح في قصة سليمان عليه السلام لو قال : ان شاء الله لكان كما قال ، والمقام الموسوي اجل « واصطنعتك لنفسي » وطلابه افضل ، ما جميع اعمال البر والجهاد في طلب العلم الا كبصقة في البحر ، فقال : كان موسى على علم من علم الله وهو علم المعاملة لا يعلمه الخضر ، وكان الخضر على علم من علم الله لا يعلمه موسى ، فلم يظن ان مما لم يحط به خبرا ما يأباه حكم الظاهر ، والا فكيف يلتزم الصبر عليه وقد امر بصرف الانكار اليه ؟ « ما منعك اذ رايتهم ضلوا » بل لم يعتد مثله من ملاقات المشاق فيما كان عليه الخضر من اختراق الآفاق وركوب الطباق فما علقه بقوله فقد صدقته بفعله ، وما لم يستطع عليه صبرا فلم يدخل في التزامه اعتقادا ولا ذكرا ،

رقيقة — الفيت لعبد الحق الاشبيلي بيتا هو افضل من قصيدة :

قد يساق المراد وهو بعيد
ويرد المراد وهو قريب

ومن اراد ان يعرف قدر هذا الترتيب فليتل قول الله تعالى « الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب »

حقيقة — حدثت بمصر ان عمر ابن الفارض اولع بجمل فكان يستأجره من صاحبه ليتأنس به فقيل له : لو اشتريته ، فقال : المحبوب لا يملك ، فقلت : في اي حال كان هذا منه ؟ فقيل لي في بداية امره ، فقلت : وجه اعتبار « افلا ينظرون » اليه فوقفت به رؤية المعنى فيه عليه ، فاحبه مدلا وطلبه مجلا .

رقيقة — لصاحب الوقت يومان .

يوم بارواح يباع ويشترى
واخوه ليس يسام فيه بدرهم

وفصل الفضل بينهما :

وما تفضل الايام اخرى بذاتها
ولكن ايام الملاح ملاح

حقيقة — قال المريد : الوقت سيف ، وقال الواصل : بل مقت ، فتلا العارف : « قل : الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » .

رقيقة — انشدني ابو محمد المجاصي ، قال انشدني شرف الدين الدمياطي ، قال انشدني تاج الدين الارموي ، قال انشدني فخر الدين محمد بن عمر الرازي لنفسه :

نهاية اقدام العقول عقال
واكثر سعي العالمين ضلال
وارواحنا في وحشة من جسومنا
وحاصل دنيانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا
كم رجال قد راينا ودولة
فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها
رجال فماتوا والجبال جبال

حقيقة — قلت للسر مالك تحس من خلف الموانع ؟ فقال : خرق شعاعي سور العوائق ثم انعكس الى بصورة العوائق فاصبحت كما قيل :

كان مرآة عين الدهر في يده
يرى بها غائب الاشياء لم يغب

رقيقة — حفظت من خط الشيخ ابي يزيد القابسي والد صاحبنا ابى الحسن قيل للغزالي : ما تقول في الحلاج ؟ فقال : وما عسى ان اقول فيمن شرب بكاس الصفاء ، على بساط الوفاء ، فسكر فعربد فاستوجب من الله تعالى الحد فكان حده شهادة .

حقيقة — عربد الحلاج في الحضرة لما فشا بسكره سر امره ، فانتصر الظاهر لنفسه لصحة تعلق اسمه ، وسدل الباطن على عذره حجاب الغيرة من افشاء سره ، ثم قلت :

على سمة الاسماء تجري امورهم
وحكمة وصف الذات في الحكم اجرت

لولا رجال لهم سرد يصومونا
وآخرون لهم ورد يقومونا
لزلزلت ارضكم من تحتكم سحرا
لانكم قوم سوء ، لا تبالونا

حقيقة ــ قلت لقلبي : كيف تجدك ؟ فقال اما من امارتك ففي عناء الجهاد ، واما من لوامتك فعلى جمر الصبر ، فقلت : فمتى الراحة ؟ فقال : اذا اطمأنت النفس فغبت عن الوهم والحس .

رقيقة ــ لما حنكت الطينة بتمر الجنة وغذيت بلبانها فطرت على محبتها ، انظروا الى حب الانصار التمر، فلم تطق الفطام عنها ــ وتأبى الطباع على الناقل ــ فذاك ما تجد من الحنين الى التلاق ، والانين على الفراق ، والشغف بمدح الغابر وذم العابر وفى ذلك :

كم اردنا ذاك الزمان بمدح
فشغلنا بذم هذا الزمان

وان لم نعرف عصرا خاليا ، ولا خلا نائيا ، بل لم يمر عليك مما تشتهيه اطيب مما انت فيه:

كم منزل فى الارض يألفه الفتى
وحنينه ابدا لاول منزل

حقيقة ــ واقع فقير هناة ثم دخل خلوته فبدت له نفسه بوجه مومسة ، فقال من انت ؟ قالت : ام الحياة ، فقال ما اجمل بك ان تبدلي بتائك همزة .. فقالت : اذا لم تصنع ما شئت .. فانتبه لقرع العتاب فتاب .

رقيقة ــ دخلت على عبد الرحمن بن عفان الجزولي، وهو يجود بنفسه وكنت قد رايته بقرب ذلك معافى ، فقلت : اي .. فسألته عن السبب ، فأخبرني بأنه خرج الى لقاء السلطان ، فسقط عن دابته ، فتداعت اركانه ، فقلت : ما حملك ان تتكلف مثل هذا فى ارتفاع سنيك ؟ فقال حب الرياسة آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين : ففكرت فى قوله ، فوجدت ان الله عز وجل لما ابتدا امر آدم بان اسجد له الملائكة «فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » والسجود اكبر تحيات الملوك «ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا » سرت الرياسة فى طينته سريان الروح فى الجسد ، ثم جرت فى نفوس ذرينه مجرى الدم من العروق ، فكانت آخر ما ينزع منهم وينزح عنها .

حقيقة ــ قال لي محمد بن محمد ابن مرزوق ، قال لي بعض اصحاب ابي اسحاق الطيار دفين العباد بتلمسان ، ان ابا اسحاق اقام خمسا وعشرين سنة لا ينام الا قاعدا ، قلت تعود الجلوس الى الملك حتى تدرب على الادب ، ولو كتب اسمه فى « الجامكية » (1 ما اعتاده ، وغلبه النوم

رقيقة ــ سألت ابن مرزوق ، ولم لقب بالطيار ؟ فحدثني ، انه نشر ذات يوم ثوبه فى الشمس على بعض السطوح ثم قعد هنالك ، فمر به رجل فقال له طر ، قال : عن امرك ، قال : نعم. فطار حتى وقع على الارض وما به من باس . قلت اذا صار الحق للعبد سمعا وبصرا فسمع به وابصر اصاخ الى الاحوال ، واجتلى المعاني، فيرى غير مبصر ويسمع غير ناطق ، كما قال الشيخ ابو عبد الله الشوذي الحلوي دفين تلمسان :

اذا نطق الوجود اصاخ قوم
بآذان الى نطق الوجود
وذاك النطق ليس له انعجام
ولكن دق عن فهم البليد
فكن فطنا تنادي من قريب
ولا تك من ينادي من بعيد

حقيقة ــ قيل عرض الكليم بطلب القوت فى رحلة الهجرة « اني لما انزلت الي من خير فقير » فحمل على كاهل ، « ان ابي يدعوك » وصرح فى سفر التأديب « لو شئت لاتخذت عليه اجرا» فحمل على كاهل « هذا فراق بيني وبينك » قلت لما تمحض الطلب له اكتفى ، فلما تعلق حق الغير به وفي ، ولذلك قضى ابا المراتين ابعد الاجلين .

رقيقة ــ كان خرق السفينة اراءة لكرامة « فاقذفيه فى اليم » فى مرآة ، « و كان وراءهم ملك » وربما صحت الاجسام بالعلل ، وقتل الغلام اشارة الى اشتمال فتنة « فقضى عليه »

1» المراد بها سجل ارزاق الجند والموظفين فى ذلك العصر .

السابقيـن ، ولحق عمر باهل اليقين ، فمـا ادرك الصديق اداء التصلية حتى استـدرك الفاروق قضاء السقيفة :

ولو كنت في اهل اليمين منعمـا
بكيت على ما فات من زمن الصبا

رقيقة ـ قال لي ابو حيان بمصر : قال لي عمر بـن الخيمي : تحادثت انا ونجم الدين ابـن اسرائيـل هذا البيت :

يا بارقا باعلى الرقمتيـن بـدا
لقد حكيت ولكن فاتـك الشنب

فتحاكمنا الى ابن الفارض فاشار بان ننظـم قصيـدة ، نضمنها البيت فنظم ونظمت :

يا مطلبا ليس لي في غيـره ارب
اليك آل التقصي وانتهى الطلب

فقضى به لـي .

حقيقة ـ حدثت ان ابا زيد الهزميري بعث الي «1» ابن عمران التسولي وكان كثير الصلاة ، انه لم يبق بينك وبين الله حجاب الا الركيعـات ، فرفع اليه ما معنـاه : ان الاتصال كان منها فلا كان الانفصال عنها .. يعني من رزق من بـاب فليلزمـه .

رقيقة ـ حدثت ان ابا محمد عبد العظيم الزمـوري حضر على نصراني قد حلق لحيته فاقبل عليه حتى قبله ، وهو يبكي ويقول : احسنت يا من قدر لحية عصت الله قدرها ما يصلح لها الا ما فعلت بهـا ..

حقيقة ـ تخير المساعد واختبر المصاعد وليكن همك في سفـرك منك معرفتك كيف ترجـع اليـك فلـن يحقق صفة الربوبيـة من لم يتحقـق نعت الربوبيـة .

رقيقة ـ حدثت ان بعـض فقهـاء المشرق اختلـس متاعه فهتف بالسارق قد وهبتكه ، فقل : قبلت فقلت ، تخلق بالسماح والسماح رباح ، ورحم ذليـل العصيان « والراحمون يرحمهم الرحمان»

حقيقة ـ سفر المريـد تجارة ، وسفر العارف عمارة فهذا يرحل للاقامة عند الحقيقـة .. وذاك يطلب الاستقامة على الطريقـة .

رقيقة ـ افتخر الغراب باقامة قرآن الفجر ، فقيـل حتى تفسل بول الشيطان من اذنك فطـرب الديك فرحا بالفوز وندب العصفور ترحا علـى الفـوت .

حقيقة ـ سالت ابا عبد الله ابن شاطر الجمحي عن معنى قول ابن الفـارض :

فلم الـه باللاهوت عن حكم مظهر
ولم انس بالناسوت موضع حكمة

فقال : يقول ما انا بالحلاج ، ولا ببلعـام ..؟ ، فقلت وهذا هو الانسان على الكمـال والتمام ، ولقد سمعته يقول في الحلاج نصف انسـان يشيـر الى البيت :

رقيقة ـ حدثت ان ابا الحسن الشاذلي لما ازمع على التحول من طيبة على من بها الصلاة والسـلام اوقف فعله على اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرءاه في منامه فقال له : توحشنا يا علي، فأخذ يجد في طلب الاذن فاذن له وقال اذا جئت مصر فاقرا عز الدين بن عبد السلام منـي السلام ، قال فلما التقيـا بلغه المالكه سرا فلم تطمئن نفسه لذلك فلما قام المزمزم قال :

صدق المحدث والحديث كما جرى
وحديث اهل الحب مالا يفترى

فاستغفر الشيخ وكذب نفسه ثم حط للتعليم راسـه .

رقيقة ـ حدثت ان ابن امحوط المولہ دخل في حلقـة ابي عبد الله ابن رشيد بجامع القرويين وبيـن رجليـه قصبة كأنها فرس وبيده اخرى كأنهـا رمح فانتهره رجل ، فضربه برمحه على رأسه ، وقال له : اسكت يـا ميت : فبهت النـاس لكلامه وقال له الشيـخ : يا فقير انت في حال ونحـن في مقال ، وشأن ارباب الاحوال التسليم لاصحاب الاقوال ، فنظر اليه المولہ وانصرف ، ثم لم يلبث المنتهر ان توفي بعد ذلك بايـام قلائـل .

حقيقة ـ الوهم شيطان القلب ياتيـه من بين يديه ، ومن خلفه وعن يمينهوعن شماله وسائر الجهات بمراقبة « قل هو القادر » فمن ثم كان اشـد تقلبـا من المرجل على الجمر ، فاذا ذكر اللـه سكـن « الا بذكر الله تطمئن القلوب » .

رقيقة ـ فرق القلب من ذكر الله خوفا : « وجلـت قلوبهم » ثم سكن بذكره رجاء «وتطمئن قلوبهم»

«1» انظر درة الحجال ج2 ص 316 وص 354 .

رقيقة ـ فض الختام عن الدن قبل عرفان عرف الخمر فانتشى للنشا وانتهك للنكهة ، فاختلس عقله وما شرب ، ليته خلل شعره ثم صب .

حقيقة ـ اشرف اسمائك ما اضافك اليه ، واكرم صفاتك ما دلك منك عليه .

لا تدعني الا بيا عبدها
فانه اشرف اسمائي
ولا تصفني بالهوى عندها
فعندها تحقيق انبائي

رقيقة ـ سمعت شيخنا بالقدس يقول : تجلى الله تعالى بالمسجد الاقصى بالجمال ، وعلى المسجد الحرام بالجلال ، وعلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالكمال ، قلت : فذلك يوقف النواظر ، وذلك يملا الخواطر ، وهذا يفتح البصائر .

حقيقة ـ اذا قابل ابرة القلب مغناطيس الحب صبا فانجذب ، فاذا اجتمعا عشي فانقطع ، فاذا اتحدا فني فبقى .. حاشى للصوفي ان يموت .

رقيقة ـ اخبرني امير المومنين المتوكل ان جده امير المسلمين ابا سعيد رحمه الله تعالى سأل كاتبه عبد المهيمن الحضرمي عن تهادي اهل الحب التفاح دون الخوخ وكلاهما حسن المنظر طيب المخبر شديد شبهه باخيه شديد تشبيه الوجنات به لمتوخيه .. فقال من عند مولانا .. فقال ارى ذلك لاشتمال التفاح على الحب الذي يذكر بالحب ، ولاشتمال الخوخ على النوى الذي يكدر اسمه صفو الهوى .

حقيقة ـ العمل رياش ، والحسن صورة ، والملاحة روح ، فذلك ستره عليك وذاك عنايته بك ، وهذا سره فيك .

رقيقة ـ اعطي يوسف شطر الحسن ، اي حسن آدم لانه ان لم يكن في الامكان ابدع مما كان ، فقد خلقه الحق بيده في احسن تقويم تم نفخ فيه من روحه ، لتتم علة سجود التحية والتكريم فكان كما قال من انزل عليه الفرقان « خلق آدم على صورةالرحمن» فآدماذن، كمال الحسن والا فهو المراد لان الشطر يقتضي الحصر والصنف ينزع الوصف واعطي محمد صلى الله عليه وسلم كمال الجمال فما ابصره احد الا هابه ، وتمام الملاحة فما عرفه شخص الا احبه ، مسـ انباء نوره في الآباء بأن ابوة المعنى لسيد نجبـ الابناء كمال قال العارف عمر :

واني وان كنت ابن آدم صورة
فلي فيه معنى شاهد بأبوتــ

حقيقة ـ خوف من لم يفر خور وذلك الجبن ، مر خاف ادلج ، ورجاء من لم يكر تمن وتلك الزمانة « ياليتني كنت معهم » .

رقيقة ـ سمع ابن شاطر سائلا يقول : الجنة رخيصه فقال : كيف تكون رخيصة والله عز وجل يقول « ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة » قلت : ما الانفس والاموال في جنب ما لا عين رات ، ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولا سيما وفوق هذا الحسنى وزيادة الاكرام بالنظر والرضاء .

حقيقة ـ لا يثنيك الخوف عن قرع الباب فتيأس فانه «لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » ولا يدنيك الرجاء من الفترة فتأمن فانه « لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون » فان لم تستطع بعد الحرص ان تدخل فلا نمل كل الميل مع النفس « ان النفس لامارة بالسوء » .

رقيقة ـ ارفع قصتك في رقعة الاقبال ، على كف الرجاء خافضا من طرف الحياء وصوت الادلال عاكفا في زاوية الانكماش ، من وراء ستر الخوف يخرج عليك حاجب القدر من باب الكرم بتوقيع « فاستجبنا له » .

حقيفة ـ وجد العارف فجاد بنفسه « فوجد الله عنده» وتواجد المريد ، فحاكى ، ومن لم يبك تباك .

رقيقة ـ اللحم ايام التشريق مكروه ، وكل لذه عند ارباب السعة كاللحم عندك في الاضحى ، فلا ترينك الغفلة عن سرك زيادة النعمة عند غيرك .

حقيقة ـ صدق مجاهدة الفاروق ايقظ الوسنان ، وطرد الشيطان وارضى الرحمن ، ففاز بسلامة ـ ما سلكت فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجك ـ وحقق مشاهدة الصديق ـ اسمع من اناجي فحاز غنيمة ـ لو كشف الغطاء ما ازداد يقينا ـ فذهب ابو بكر في

وحجاب الغفلة قاطع ، كان بعضهم يقول : ان عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب ونظر آخر الى امراة فوقع عليه سهم فنزعه فاذا عليه مكتوب نظرت بعين العبرة ، فرميناك بسهم الادب ، ولو نظرت بعين الشهوة لرميناك بسهم القطيعة .

حقيقة ـ حجب المطلوب ثلاثة : فحجاب التيه جمال ، كما قال العارف عمر :

ته دلالا فانت اهل لذاكا
وتحكم فالحسن قد اعطاكا

وحجاب العزة جلال :

همت باتياننا حتى اذا نظرت
الى المرآة نهاها وجهها الحسن

وحجاب الكبراء كمال : وانشدت لرابعة :

احبك حبين : حب الهوى
وحبا لانك اهل لذاك
فاما الذي هو حب الهوى
فشغلي بذكرك عمن سواك
واما الذي انت اهل له
فرفعك للحجب حتى اراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي
ولكن لك الحمد في ذا وذاك

وهذا معنى ما في الصحيح « ما بين اهل الجنة وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن .

حقيقة ـ حدثت ان رجلا كان يجلس الى ابي الحسن الحرالي وكان يشرب الخمور فسكر مرة فسقط على زجاجة فشج وجهه فاختفى الى ان برىء ثم عاد الى مجالسته فلما رآه الشيخ انشد :

اجريح كاسات ارقت نجيعها
طلب الترات يعز منه خلاص
لا تسفكن دم الزجاجة بعدها
ان الجروح كما علمت قصاص

ففهم الرجل فتاب .

رقيقة ـ قيل لابن شاطر : صف لنا الدنيا فقال «كسراب بقيعة» الآيتين فبلغ ذلك ابا زيد بن الامام فانكره عائبا لاستحسان سامعه تاليا « يحرفون الكلم عن مواضعه » ولقد اصيب المتعسف بادهى منها وامر فانه افحم يوما بعض اهل النظر فتلا « فبهت الذي كفر » على ان له ان يقول : لم اخرج الاية عن مرادها بالبهت ، من انقطاع المعاند والكفر من جحد الجاحد .. ولنا ان نقول : التحريف المذموم التحويل للابطال ، وليس هذا في قصة الممثل الاول بالمثال ..

حقيقة ـ لا يوضع السر الا عند اهله ، ولا يذيعه الا من ضاق ذرعا بحمله ، فان عدا مودعه الرمز به فقد زل ، وان تعدى مودعه الغمز فقد ضل ..

رقيقة ـ كنت كثيرا ما اسمع ابا محمد المجاصي ينشد هذا البيت :

هم الرجال وغبن ان يقال لمن
لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

ثم يبكي وكان اهل البلد يسمونه البكاء وبعضهم يسميه الخاشع .

حقيقة ـ اهم ما على السالك مراعاة قلبه ليلا يتلف في تقلبه فان ذلك فساد حاله وذهاب رأس ماله ، رئي فقير ينادي في السوق : ارحمو صوفيا ذهب راس ماله ، فقيل وهل للصوفي راس مال ؟ فقال نعم ، كان لي قلب فقدته .

رقيقة ـ كنت يوما بالمسجد الجامع بتلمسان ومعي ابو عبد الله ابن شاطر فأردت الذهاب فقال لي : تنصرف عن روضة من رياض الجنة يقام فيها على راسك هذا التاج واشار الى المنار مملوء بالله اكبر ، فكأنما عقلني فجلست ..

حقيقة ـ الزوال وقت المناجاة ، فطهر قلبك قبله من الحاجات فقد قيل ان نقطة الخط اسرع انتقالا من اللحظ .

رقيقة ـ كان ابن شاطر يقول : الجديد ان حرسيان احدهما اسود والاخر ابيض وكلاهما قد اخذ بمجامعنا الى يوم القيامة ثم يتلو « وان مردنا الله » .

حقيقة ـ تنازع القلب والنفس الخلقة فترافعا الى العقل فقسمها بينهما ، فانفردت النفس بالهوى والقلب بالتقوى فصرفت الطرف الى الجهتين .. وقطعت الشقة بين الفئتين .

رقيقة ـ الدنيا معشوق الطالب عاشق الهارب ، هذا يستخدمها ، وذاك يخدمها ، يبني الخادم المسجد ليقال ويعمر ،المخدوم لينال ، فعل

فعاد اليه بعد داء « تقشعر منه » دواء « ثم تلين » فنعق بلائمه : « دع عنك لومي فان اللوم اغراء » ثم هتف بمنادمه : « وداوني بالتي كانت هي الداء » .

حقيقة ـ العبودية : صفة نفسك لانها حال احد العبيد .. والعبودة صفة قلبك لانها ملكة واحد العباد ، والعبادة قصد وجهك لانها نعت الفرد من العباد .

رقيقة ـ صن عينك عن قلبك لربك ، وقلبك عن نفسك لحسك ، ونفسك عن طبعك لوليك ، وطبعك عن هواك لعدوك وهواك عمن سواك ، فقد كنت من اهل الجنة فشناك :
« وهمه ان يقطعك عما اخرج منه اباك » «ولا يفتننكم الشيطان » .

حقيقة ـ الصبر مطية المريد ، والرضا سجية المراد، فهذا يقوم للامر وذاك يسعى للاجر ..

رقيقة ـ كنت بجامع تلمسان والى جنبي رجل ينتمي الى طريق العرفان ، فجعل سائل يشكو الجوع والالم ، فتصدق ذلك الرجل عليه بدرهم وقال : اياك ان تشكو الرحمن الى من لا يرحم ، فقلت : امره ان يسأل عزيزا بمولاه ونهاه ان يشكوه ذليلا الى من سواه وكان الفارابي يكثر ان يقول : يارب اليك المشتكى ، حتى انه ليوجد فى اثناء ذكره وكلامه فى غير موضعه فيعجب من لا علم له بمنزعه .

حقيقة ـ الشطح كناية ، والكرامة عناية ، والاعتراض جناية ، فاياك ولم ، فان عرفت فاتبع وان جهلت فسلم .

رقيقة ـ قلت لابن شاطر : كيف حالك ؟ فقال محبوس فى الروح ، وصدق ، لان الدنيا سجن ولا مخلص له من حبسه الا بمفارقة نفسه .

حقيقة ـ تحقق الحامد بكمال الذات فغاب عن حسه فى بحار العظمة ، وتعلق الشاكر بجمال الفعل فوقف مع نفسه بسوق النعمة ، فهذا تاجر « ولئن شكرتم » وهذا ذاكر « وما بكم من نعمة » .

رقيقة ـ حدثت ان الامام الفخر مر ببعض شيوخ الصوفية فقيل للشيخ هذا يقيم على الله تعالى الف دليل .. فلو قمت اليه فقال : وعزته لو عرفه ما استدل عليه ، فبلغ ذلك الامام فقا نحن نعلمه من وراء حجاب ، وهم ينظرون م غير حجاب وهذا كقوله فى التفسير : ان النعلي اللذين امر موسى بخلعهما هما المقدمتان اللتا يتوصل الى المعرفة بهما ، فقيل له : انك قـ حللت بالوادي المقدس لسماع : « انا ربك فلا تنصرف عن مقام التحقيق الى طلب التصديق فليس الخبر كالمعاينة ..

حقيقة ـ ما حمد الله حق حمده الا من عرفه حق معرفته ، وذلك لا ينبغي لغيره « لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك » .

رقيقة ـ الليل معاد الانس « ان ناشئة الليل هي اشد وطئا واقوم قيلا » والنهار معاش النفس « ان لك فى النهار سبحا طويلا » فهذا نشاط رغبة يتسع فى مناكبه المجال ، وتعتور على مراكبه الاحوال ، وذاك حجاب رهبة تهوى اليه الاوجال وتجتمع فيه هموم الرجال الا ترى كيف يهاب الجبان درقة الابطال وتتقي الحواس جلبة الخيال ، كما قال :

نهاري نهار الناس حتى اذا دجا
لي الليل هزتني اليك المضاجع
اقضي نهاري بالحديث وبالمنى
وتجمعني والهم بالليل جامع
لقد علقت فى القلب منك محبة
كما علقت بالراحتين الاصابع
اتطمع من ليلي بوصل وانما
تقطع اعناق الرجال المطامع

حقيقة ـ حجب الطالب اربعة : فحجاب الغيرة قاذع ، قيل لبعضهم : اتحب ان تراه ؟ فقال : لا ..؟قيل:ولم؟قال:اجل ذلك الجمال عن نظر مثلي .. وحجاب الهيبة قامع ، نزل فقير على ابن عجوز فبينما هي تصلح له الطعام غشي على الفتى فسألها الفقير فقالت له : انه يهوى ابنة عم له بتلك الخيمة ، فخطرت فاشتم غبار ذيلها فذهب عقله ، فذهب الفقير ليخطبها عليه فقالت : اذا لم يطق غبار ذيلي فكيف يستطيع ان يشاهدني ، وحجاب الحيرة دافع ومن ثم حلا لارباب الغيبة قال بعضهم يا دليل الحائرين ، زدني تحيرا ، ومر على اصحاب الرغبة والرهبة كما قال :

قد تحيرت فيك خذ بيدي
يا دليلا لمن تحير فيك

عبد المجيد الزبادي

بقلم الأستاذ :
عبد القادر النكادي

اسمه وولادته — بيته — نشأته — دراسته — اساتذته بفاس — اساتذته بالمشرق — اشتغاله بالتدريس — بعض تلامذته — نثره — شعره — تصوفه — مؤلفاته — وفاته ومدفنه

اسمه وولادته :

هو عبد المجيد بن علي بن محمد « فتحا » بن علي بن احمد بن محمد «فتحا» بن علي بن محمد «1» المنالي ، ينسب من حيث الشرف الى عيسى بن ادريس بن عبد الله الكامل بن حسن فيقال الشريف الحسني «2» ، والى البلد الاصلي فيقال المنالي نسبة الى قرية تدعى : « منالة » «3» باقليم سوس ، والى فاس فيقال الفاسي لانه دار هجرتهم ومستقرهم ، وله كنيتان تردان في المصادر وهما : ابو الثناء «4» ، وابو السرور «5» ، ولقبه الذي اشتهر به هو وجده وابوه واخوانه الزبادي .

اما جد ابيه فكان يلقب بالصوفي بسبب انه تواجد يوما بين يدي صاحب زاوية المخفية محمد بن عبد الله معن الاندلسي المتوفى عام احدى وستين ومائة والف «6» فقال له : « تبارك الله شريف صوفي فصارت لقبا له ثم صارت في اخوته وعقبهما » «7» .

قال صاحبنا هذا في رحلته الحجازية لدى ذكره الرسوم التي كانت عنده بعد كلام طويل : «ولكن الصواب ان يكتب الواحد منا المنالي عرف بالزبادي ، او المنالي ثم الصوفي عرف بالزبادي » .

اما تاريخ ولادته فلم نعثر عليه في المصادر التي اقتبسنا منها هذه الترجمة لكن حسب هذا النص

---

1) هذا هو الذي انتقل من سوس الى فاس . انظر الكناش ص 508 ، وهذا الكناش عبارة عن مجموع ضخم من التقاييد بعضها لصاحب الترجمة ، وبعضها لابي العباس احمد المنالي الزبادي الاتي الذكر، وبعضها لابي عبد الله محمد الهادي العراقي القادم الذكر كذلك . يوجد ضمن مجموعة من الكتب التي املكها .

2) انظر الرحلة نسخة خاصة ص 350 . والكناش ورقة 460 .

3) انظر الرحلة ص 353 والسلوة ج 2 ص 188 .

4) انظر السلوة ج 2 ص 185 .

5) انظر الرحلة ص 250 .

6) انظر ترجمته في السلوة

7) عن السلوة ج 2 ص 187 .

الخادم السعي من غير جدوى « وليس لرحل حطه الله حامل » وللمخدوم الجدوى من غير سعي « وليس لما تبني يد الله هادم » ان السعادة اصلها التخصيص ..

حقيقة ــ التفت الى مواهب الملوك تجدهم انما يوسعون فيما قد يسترجعون فاما العلماء وكل من يعطى بحق فانما يعطون بقصد « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم» واصبر نفسك دونهم فعن قريب تنصرف عنهم .

رقيقة ــ قمت ببعض الاسحار ، على قدم الاستغفار ، وقد استشعرت الصبابة واستدركت الكآبة فاملى الجنان على اللسان بما نفث في روعه روح الاحسان

منكسر القلب بالخطايا
يدعوك يا مانح العطايا
اقعده الذنب عن رفيق
حثوا لرضوانك المطايا

حقيقة ــ ان اكبرت النفس حالها فذكرها اصلها ومآلها فانها تصغر عند ذلك وتستقيم بك على ارض المسالك حثوا التراب في وجوه المداحين .. « منها خلقناكم وفيها نعيدكم »

رقيقة ــ انما يتعاظم من يجد الحقارة من نفسه ويتوهم المهانة عند ابناء جنسه ، فلذلك تراه مغمزا للعيون ومهمزا للظنون « من اسر سريرة حسنة كساه الله رداءها » .

حقيقه ــ النص سلاح ، والنظر مطية ، والاتباع جنة، والورع نجاة ، والخلاف فتنة ، والبدع مهالك ، وخير الامور اوساطها .

رقيقة ــ قلت :

اشيم البرق من بين الثنايا
واشتم العبير من الثناء
فابدو تارة واغيب اخرى
متار الشوق مثنى الحشاء

حقيقة ــ وقفت ذا تيوم بالجبانة واستفهمت اسمي هل عرف منها مكانه فاملي بعد هنبهة من نظمه ما وقفت منه على حقيقة مبلغ علمه :

كل ميت راته عيني فاني
ذلك الميت ان نظرت بقلبي

وجميع القبور قبري لولا
جهل نفسي بما لها عند ربي

رقيقة ــ حدثت ان ابن الفارض دخل على الشيخ عز الدين وقد ذهب به التفكر فيما له عند الله عز وجل فكاشفه بان انشده من قصيدة له:

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد
ذكرت ثم على ما فيك من عوج

فبدرته البشاشة واظن ان قد خلع قماشه .

حقيقة ــ الوحدة فهم والتوحيد علم ، والاتحاد حكم ، والاثينية وهم .

رقيقة ــ من تفكر تذكر ومن تذكر تبصر فان اكمل وقف وان قصر انصرف « انا هديناه السبيل » .

حقيقة ــ النفس الامارة آبدة لا تملك الا بلطائف الحيل ، والمطمئنة ذلول لا تفلت الا ممن غفل ، و« اخاف ان ياكله الذيب » .

رقيقة ــ من جر لنفسه جار على قلبه فلا تقبل شهادته عند ربه ، لان العدل ترك العدول والميل

حقيقة ــ لا تقدمن الا بدليل وادن واحذر ما لا ينفع ما استطعت فقد يضر ، ثم انظر فلا حرج عليك ان جهلت ما لا تكلف علمه ، واخاف عليك سوء عاقبة الهجوم .

رقيقة ــ انما تزيد من دنياك بقدر ما تنقص من دينك فان زيادة الجدار على قدر نقصان الجبل .

حقيقة ــ دع الغريب وما يريد واركب الجادة ولا تتبع بنيات السبل فتتفرق بك عن صراط الحق ، عصمني الله واياك من مسالك الزلل ويسرنا لما يرضى به عنا من القول والعمل ، بمنه وكرمه لارب غيره ولا خير الا خيره وهو نعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، والصلاة والسلام على مولانا محمد بن عبد الله وآله وصحبه وسلم تسليما .

الصالحين «23» والمحبة فى اهل الخير المنتسبين «24» كثيرة الصيام وقيام الليل «25» ، والمحافظة على الصلاة فى اوقاتها مع الجماعة فى جامع القرويين او الضريح الادريسي «26» .

هذا بالاضافة الى المجالس العلمية التي كانت تحضرها بكيفية مستمرة «27» على ابي العباس ابن مبارك ، وابي عبد الله محمد «فتحا» جسوس وابنيها صاحب الترجمة ، ومحمد «فتحا» الاتي الذكر.

توفيت سنة سبع وسبعين ومائة والف هجرية عن سن عالية ، ودفنت خارج باب الفتوح «28» .

اما اخوته فهم اربعة :

ب — احمد «29» الذي مات عن زوجة وولد اسمه عمر فقد ترجم له صاحبنا فى رحلته فقال فيه كلام طويل ما نصه :

«كان فقيها دينا عفيفا وقورا له خبرة بالعربية والبيان ، والمنطق ، والاصول ، والفقه ، وحج حجتين وجاور بالحرمين الشريفين ، وهو اكبر مني بنحو عامين ، وتوفى ليلة الخميس الثامن من شوال سنة سبع واربعين ومائة والف ..» «30» .

ومن تاليفه هذا الكناش القيم الذي نعتمد عليه وهو ضمن مجموع يحوى تقاييد عديدة بعضها للمترجم وبعضها لمحمد الهادي العراقي الاتي الذكر .

ب — عبد الله المتوفى ثامن ذي الحجة متم عام سبعة وستين ومائة والف هجرية «31» كان مقدما على الفقراء اصحاب علي بن عبد الرحمن التادلي (32) وكان له ولد يحفظ القرآن ويجلس مجالس العلم اسمه عبد الرحمن «33» ، ثم زوجه وخلف ولدا سماه باسمه .

ج — فاطمة التي كانت تحفظ القرآن ، والجرومية والمرشد المعين ، وكان لها خط جميل ، تنسخ الكتب فتهديها الى الطلبة والعلماء بدون اي مقابل ، وعدد الكتب التي كتبت بخط اناملها خمسة عشر كتابا خمسة من شمائل الترمذي ، وثلاثة من البخاري ، وسبعة من المرشد المعين ، اما المصاحف فقد كتبت ما يربو عن خمسة وثلاثين مصحفا «34»

قال المترجم : « وهذه النسخة من الشمائل التي قرات بها على اشياخي وادرس بها الان فهي من خطها رحمة الله عليها » «35» .

توفيت اواسط رمضان سنة اثنين واربعين ومائة والف فى المعطن المسمى « النعيم » من بلاد برقة لدى ذهابها الى الاراضي المقدسة صحبة زوجها «36» واخيها عبد الله السالف الذكر «37» .

د — العلامة الصوفي الزاهد الواعظ ابو عبد الله محمد «فتحا» المتوفى اوائل ربيع النبوي سنة تسع ومائتين والف «38» كان مؤذنا فى صومعة القرويين منذ ان كان عمره لايتجاوز خمسة عشر سنة (39

---

(23) انظر المصدر الانف الذكر ص 77 . والسلوة ج 2 ص 188 .
(24) انظر الكناش ص 78 . وسلوك الطريق الواربة .
(25) انظر الكناش ص 75 .
(26) انظر السلوة ج 2 ص 188 .
(27) انظر الكناش ص 75 والسلوة ج 2 ص 188 .
(28) انظر السلوة ج 2 ص 188 . وسلوك الطريق الواربة .
(29) انظر ترجمته فى الرحلة ص 300 . والسلوة ج 2 ص 188 .
(30) عن الرحلة ص 302 .
(31) انظر ترجمته فى السلوة ج 2 ص 187 . والرحلة ص 304 .
(32) انظر الكناش ص 102 والسلوة ج 2 ص 187 .
(33) انظر الرحلة ص 304 .
(34) انظر ترجمتها فى الكناش ص 250 . والرحلة ص 100 .
(35) عن الكناش ص 251 .
(36) هذا الزوج لم نقف على اسمه .
(37) انظر الرحلة ص 101 .
(38) انظر ترجمته فى السلوة ج 2 ص 190/188
(39) انظر الكناش ص 260 . والرحلة ص 310 .

الذي عثرنا عليه في آخر نسخة من الرسالة «8» لابن ابي زيد القيرواني 386هـ مكتوبة بخط صاحب هذه الترجمة ما نصه : «9»

« كان ابو صاحب هذه الخط نتجر معا «كذا» في الصوف ، ففي سنة ثلاث عشرة ومائة والف هجرية خرجنا الى احواز «وجدة» لنشتري الصوف فلما رجعنا مرض لنا في الطريق فتركناه عند صديقنا المحب في الله تعالى الناسك القانت الخاشي صاحب الحمام بمدينة « العيون » سيدي عبد القادر بن محمد ابن عيسى الفكيكي ، فلما وصلنا الى فاس اخبرت ام اولادي بمرضه فقالت لي ان للا عائشة قد خلفت له ولدا ، وكان الولد هو هذا » .

قيده عبد ربه الضعيف الحقير محمد بن محمد ابن علي الوزاني لطف الله به «شكله» فعلى هذا كان مولده عام ثلاثة عشر ومائة والف هجرية .

بيته :

ان بيت عبد المجيد الزبادي بيت عريق في المجد «10» والعلم ، والصلاح والنسك والزهد ، والعفاف والانتماء الى اهل الطرق ـ اصحاب الزوايا ـ منذ القرن السابع الهجري «11» .

كان ابوه المتوفى سنة ثلاثة وستين ومائة والف«12» من المحتفظين على شعائر العقيدة الاسلامية بكل ما في الكلمة من معنى ، بالاضافة الى الاوساط الحميدة التي كان متمتعا بها في وسط بحبحة العاصمة العلمية . لقد كان مشهورا بالصلاح والخير والاستقامة ، وتنظيف المساجد «13» ، وكان لا يخالط الا اهل الاحسان والعلم «14» .

ومن جملة الاعلام الذين لازمهم وشاركهم في السراء والضراء العلامة الصوفي ابو العباس احمد ابن عبد الله معن الاندلسي المتوفى عام عشرين ومائة والف «15» والعلامة ابو عبد الله محمد «فتحا» بن عبد القادر الفاسي المتوفى سنة ست عشرة ومائة والف «16» والاستاذ ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن عبد القادر الفاسي المتوفى عام اربعة وثلاثين ومائة الف «17» .

اما امه عائشة «18» المدعوة عشوة بنت الحاج علي بونافع وحفيدة ابي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي «19» من بنته آمنة فقد كانت من القانتات الخاشعات الصابرات الصائمات «20» ، وكانت ملازمة للوضوء «21» مواظبة على قراءة كتاب الله والاذكار صباحا ومساء «22» كثيرة الزيارة

---

8) هذه النسخة قد وقفنا عليها في خزانة صديقنا محمد بن محمد الورياغلي الريفي الموجود حاليا بمدينة مليلية .

9) نص الناسخ : وكان الفراغ منه ضحوة يوم (ا ...) الوافي ثمانية عشر خلت من جمادى الاولى عام خمسة وخمسين ومائة والف هجرية على يد كاتبه لنفسه ولمن شاء الله بعده من ابناء جنسه عبد المجيد بن علي المنالي ثم الصوفي الزبادي غفر الله له ولوالديه ولاشياخه والمسلمين اجمعين ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما آمين آمين آمين) .

10) انظر السلوة ج 2 ص 185 ، والدرر الباهية ص 144 .

11) انظر الكناش ص 350 . والرحلة ص 295 .

12) انظر ترجمته في السلوة ج 2 ص 127 . وسلوك الطريق الوارية ميكرو فيلم الخزانة العامة .

13) انظر الكناش ص 50 .

14) انظر المرجع الآنف الذكر ص 52 .

15) انظر ترجمته في النشر ج 2 ص 118 / 123 .

16) انظر ترجمته في السلوة ج 1 ص 316 / 318 .

17) انظر ترجمته في النشر ج 2 ص 146 .

18) انظر ترجمتها في السلوة ج 2 ص 188/187 . وسلوك الطريق الوارية .

19) انظر السلوة ج 2 ص 187 .

20) انظر السلوة ج 2 ص 188 .

21) انظر الكناش ص 75 .

22) انظر نفس المصدر ص 76 .

مرضه الاخير قال لابي : ان ابنك عبد المجيد قد كملت تربيته وما عليك الان الا ان تأخذه الى امـــه القانتـــة الصائمة الصابرة وتقول لها ان احمد الضعيف يبلــغ ك سلامه ويطلب منك دعاء صالحة تنجيه من اهوال الدنيــا يوم لقاء ربه ، وان لا تعامل ابنه هذا بمــــا يقلقه او يزعجه ، فلما جاء ابي قالت امي له ان ما طلبه منــك سيدي احمد ان تبلغه لي قد سمعته ، وقل له انني سأفعل ان شاء الله ، فمنذ ذلك اليوم واخي معنا لا يذهب عند احد ما عدا ليلة الجمعة كنا نذهب فيهــا الى ضريح مولانا ادريس نفعنا الله به صحبة ابي وامي، وكانت عادتنــا كل ليلة نقرا القرآن وابي يسمع ، وكان اخي اكثر مني حفظا ، وقد حفظ القرآن قبلي على يد شيخنا الناسك الحسن الخلق والخلق المواظب علــى قراءة القرآن والامداح النبوية والمــلازم للضريــــح الادريسي محمد بن علي بن احمد الجبلي الاعـــرج المتوفى بزرهون سنة ثلاث وثلاثيــن ومائة والف «57» بعد مجاورته لضريح قطب المغرب مولانا ادريس الاكبر زهاء ثلاث سنــوات » «58» .

دراستـــه :

بعد ان حفظ القرآن الكريم على شيخــه الانف الذكر اعتكف على قراءة المصنفات فى الضريح الادريسي وغيرها «59» ، فحفظ مقدمة ابن اجروم ، والمرشــد المعين لابن عاشر ، ولامية الافعال والالفية لابن مالــك «60» ومختصر خليــل ، والهمزيــة والبــردة «61» للبوصيري ، وتحفة الحكام «62» لابن عاصم ، وبانت سعــاد «63» لكعب بن زهيــر الصحابي الجليــل ، وانوار الســرائــر وسرائــر الانوار «64» لابي العباس احمد بن محمد الشريسي الصوفي ، وجوهرة التوحيد «65» للشيــخ ابراهيــم اللقانــي المالكــي .

كل هذه المصنفات قد حفظها عبد المجيد الزبادي قبل ان يأخذ درسا واحدا عن شيخ من اشياخه «66» الذين سنتعرض لذكرهم فيمــا بعــد .

قال اخوه احمد : « كان اخي مريضا بمـــرض اصابه فى رجله اليمنى لمدة سنة كاملة ، وكــان ملازما فى حال مرضه هذا قراءة المتن فى المنزل ، وكنت انــا ارافق ابي الى مسجد القرويين قبل الفجــر حيـــث كان شيخنــا العلامة القاضي سيدي عبد الله العربي ابن احمد بردلة يجلس لقــراءة السيرة ، والتفسيــر بعد صلاة الصبح ، وكان دائما يسأل ابي عن حال صحة اخي عبد المجيد الى ان شفاه الله وصحبه ابي الــى ضريح مولانا ادريس فلقيا «67» هناك سيدي العربي القاضي فقال لاخي : وما عليــك الان الا ان تشرع فى طلب العلم الشريف ، وبعد ثلاثة ايام مضت مـــن شهر رمضان المعظم من عام ستة وعشرين ومائة والف رافقنــي اخي الى جامع القروييــن » «68» .

من هذا النص ايضا يتضح لنا كذلك ان عمــره كان يوم اندماجه فى سلك طلبة القرويين العتيقة نحو ثلاثة عشر سنــة اذا اعتبرنا النص الــذي ابتنــاه فى تاريــخ ولادتــه .

اساتـذتـــه بفـاس :

اخذ عن عدة اشياخ وهــم :

1» العلامة الحجة المتقن ابو عبد الله محمد بــن احمد المسناوي الدلائي المتوفى فى سادس عشر شوال عام ستــة وثلاثيــن ومائة والف «69» ، مختصــر

---

57) انظر ترجمته فى الكناش ص 206

58) عن المصدر اعــلاه ص 357/354

59) انظر الكناش ص 359

60) انظر الكناش ص 359

61) انظر الكناش ص 360

62) انظر الكناش ص 360

63) انظر الكناش ص 361

64) انظر الكناش ص 361

65) انظر الكناش ص 362

66) انظر الكناش ص 364

67) هذه الكلمة فى الاصل خرق ، الزيادة قد زدناها حسب سياق المعنــى

68) عن المصدر الانف الذكر ص 366

69) انظر ترجمته فى نشر المثاني الكبير ج 2 ص 156/150

الى ان مرض بمرض اصابه فى الصومعة المذكورة فتخلى عنه «40» ، ثم احترف التجارة «41» لكن لم ينجح فيها ، ثم عاد الى وظيفته الاولى فى مسجد الاندلس «42» حتى اصبح استاذا فى القرويين والضريح الادريسي «43» واولاده محمد ورقية «44» وفى سنة ست وستين رحل الى المشرق صحبة عبد الوهاب التازي المتوفى سنة ست ومائتين والف «45» ولقي فى سفره هذا الاخيار والعلماء وتبرك بهم واخذ عنهم «46» .

ومن تاليفه : « تنبيه الفقير من الغفلة والتقصير الى الخدمة والتشمير » «47» و « روضة البستان ونزهة الاخوان فى مناقب الشيخ ابي عبد الرحمن التادلي » «48» و« سلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزاوية » «49» .

نشاته :

قد نشأ صاحبنا فى بيت ابويه الذي تقدمت لنا الاشارة اليه ، منذ ان كان عمر ه لا يتجاوز خمس سنوات وهو يرافق اباه الى المساجد والزوايا «50» لا يرافق الصبيان ولا يخالطهم فى المكتب «51» بل كان ملازما للصمت «52» حتى قال فيه شيخه عبد السلام محمد بن محمد التازي «53» : « ما رايت يوما قط عبد المجيد يلعب مع الصبيان فى ساحة المسجد ، ولا يضحك معهم فى داخله وقل ان اراه غافلا » «54» .

اما ذكاؤه وصبغته الدينية فى طفولته فقد اثبتها اخوه احمد فى كناشه الانف الذكر حيث قال « كنت انا واخي نتعلم فى المكتب فمر علينا رجل ونحن فى طريقنا الى المنزل فقال لنا ما اسمكما ، قلت احمد فسكت ، فقال اخي اسمي انا عبد المجيد ابن علي بن محمد الزبادي ، فقال لنا الرجل ما يعجبكما اعطيكما اياه ؟ فقال اخي : يعجبني ان اسمع ابي يقول فى صلاته «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» «55» بينما انا قلت : يعجبني التمر والزبيب ، فقال الرجل الاه اكبر بصوت منخفض ثلاث مرات ، ثم اعطاني ما طلبته ، واخي قال له اتصلي انت ؟ قال : انا وامي واخي نصلي خلف ابي آخر الليل ، قال ما قرأته على فقيهك فى المسيد ؟ قال كتبت اليوم فى لوحي : « قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهو قولي » «56» ، قال اتأخذني معكما الى منزلكما ؟ قلنا مرحبا بك ، فذهب معنا ممسكا بيد اخي الى ان دنونا من باب دارنا خرج ابي فقال : مرحبا بشيخنا فضمه الى صدره بعد ان قبل يده اليمنى قال اخي لابي اتعرف هذا الضيف ؟ قال هذا هو سيدي احمد بن محمد «فتحا» بن عبد الله معن الاندلسي الذي اختار لك اسم عبد المجيد ، فصار اخي منذ ذلك اليوم كأنه احد ابنائه حيث ياكل وينام عنده ، باستثناء يوم الخميس ، فبقي على هذه الحالة الى ان مرض الشيخ

---

40) نفس المصدر ص 260
41) نفس المصدر ص 261
42) نفس المصدر ص 259 .
43) نفس المصدر ص 259 والسلوة ج 2 ص 190/188 .
44) الرحلة ص 310 .
45) انظر ترجمته فى السلوة ج 3 ص 43/42 .
46) نفس المصدر ص 189 .
47) توجد نسخة منه فى الخزانة العامة .
48) توجد نسخة منه فى الخزانة العامة بالرباط .
49) توجد منه نسخة فى الخزانة العامة بالرباط (ميكرو فيلم) تحت عدد 190 .
50) انظر الكناش ص 350
51) نفس المرجع ص 350
52) نفس المصدر ص 351
53) لم نقف على ترجمته
54) انظر الكناش ص 352
55) سورة الذاريات اية 55
56) سورة طه ايات : 24 — 28

مائة والف «85» الفية ابن مالك ، ومقدمة ابن اجروم مقامات الحريري والبلاغة «86» بدون ان يعين كتاب المصدر المنقول عنه .

10» القاضي ابو العباس احمد بن علي الشدادي المتوفى عام ثلاثة وستين ومائة والف «87» : مختصر خليل ، والتوقيت «88» .

11» الامام المفتي النوازلي ابو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني الفاسي المتوفى عام ثلاثة وستين ومائة والف «89» : مختصر خليل ، وصحيح البخاري ، والرسائل الصغرى لابن عباد ، والسلم الاخضري ، وبعضا من التفسير «90» .

12» الفقيه الزاهد الصوفي ابو عبد الله محمد الكبير السرغيني المتوفى عام اربعة وستين ومائة والف «91» الشفا ، وشمائل الترمذي ، والرسالة لابن ابى زيد ، والمرشد المعين ، ومختصر خليل ، وصحيح البخاري ، وجمع الجوامع ، والموطأ ، ونظم ابن البناء فى التصوف «92» ، اكثر هذه الدروس بالضريح الادريسي .

13» العلامة ابو عبد الله محمد « فتحا » بن القاسم جسوس المتوفى عام اثنتين وثمانين ومائة والف «93» : مختصر خليل ، والحكم العطائية، والرسائل الكبرى والصغرى لابن عباد ، والنصيحة الكافيه لرزوق «94» .

14» الفقيه العلامة حافظ زمانه الحسن بن رحال التادلي المعداني المتوفى ثالث رجب عام اربعين ومائة والف «95» مختصر خليل ، والفية ابن مالك ، والتفسير ، وذلك بالمدرسة المتوكلية «96» .

15» الفقيه الصوفي المحقق الشاذلي الشيخ ابو جدة بن القاسم الزموري المتوفى عام اثنتين وخمسين ومائة والف «97» : بعض رسائل ابن عباد ، واجازة فى دلائل الخيرات «98» .

16» الاستاذ الاديب النحوي اللغوي العلامة ابو عبد الله محمد بن احمد بن الشاذلي بن محمد بن ابي بكر الدلاني المتوفى عام سبعة وثلاثين ومائة والف «99» الفية ابن مالك ، وبعض اوائل ديوان المتنبي ، وخطبة القاموس ، ومقامات الحريري وبعضا من ديوان ابن زيدون «100» .

اساتذته بالمشرق :

17» الصوفي الزاهد الشيخ ابو العباس احمد ابن مصطفى بن احمد الاسكندري المالكي الاشعري الشهير بالصباغ فى جامع الازهر فهرسته ، واجازة فى جميع مروياته ، ووقعت بينهما مناقشة فى قوله تعالى « وذا النون » و« كصاحب الحوت » و«ياسين» «101» .

---

85) انظر ترجمته فى النشر المثاني الكبير ج 2 ص192/191
86) انظر الكناش ص 410
87) انظر ترجمته فى سلوك الطريق الوارية والنشر ج 2 ص 215
88) انظر الكناش ص 405
89) انظر ترجمته فى النشر ج 2 ص 232
90) انظر الكناش ص 408
91) انظر ترجمته فى النشر ج 2 ص 234
92) انظر الكناش ص 413
93) انظر ترجمته فى النشر ج 2 ص 266
94) انظر الكناش ص 420
95) انظر ترجمته فى النشر ج 2 ص 160
96) انظر الكناش ص 416
97) انظر ترجمته فى سلوك الطريق الوارية
98) انظر الكناش ص 415
99) انظر ترجمته فى النشر ج 2 ص 158
100) انظر الكناش ص 425
101) انظر ترجمته فى الرحلة ص 200\203

خليل ، وبعضا من تفسير كتاب الله العزيز ، وتحفة ابن عاصم ، والرسالة لابن ابي زيد القيرواني «70» .

2» العلامة الداهية ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري الفاسي المتوفى سنه اربع واربعين ومائة والف «71» : همزيته وشرحها عليها ، وحكم ابن عطاء الله بشرح ابن عباد عليها ، والرسالة لابن ابي زيد ، والمرشد المعين ، والبردة للبوصيري، وشرحه على الحكم لابن عطاء الله ، والعهود المحمدية للشعراني ، والشفا للقاضي عياض وارجوزة ابن سينا في الطب ، ومختصر خليل ، والتلخيص للقزويني ، وصحيح البخاري ، وبعض التفسير من الفاتحة الى وسط الاعراف ، والتنوير في اسقاط التدبير لابن عطاء الله (72) .

3» المحدث القدوة احمد بن العربي المدعو ابن سليمان الاندلسي المتوفى سنة احدى واربعين ومائة والف «73» : الحديث والتفسير والسيرة وشرح ابن عباد على الحكم العطائية «74» .

4» الاستاذ النحوي ابو عبد الله محمد «فتحا» بن ادريس العراقي الحسيني المتوفى عام اثنين واربعين ومائة والف «75» : مقدمة ابن اجروم ، والفية ابن مالك ، ولامية الافعال ، وفصيح ثعلب ، ومقامات الحريري «76» .

5» الحافظ الاستاذ الناقد ابو العباس احمد بن مبارك السجلماسي اللمطي المتوفى ثامن عشر جمادى الاولى عام ستة وخمسين ومائة والف «77» : الحديث ، والاصول ، والعروض ، والمنطق ، وتحفة ابن عاصم ، وبعضا من الفية ابن مالك ، وتلخيص المفتاح للقزويني « 78» .

6» المحقق ابو عبد الله محمد «فتحا» بن محمد ميارة المتوفى عام اربعة واربعون ومائة والف«79» تحفة ابن عاصم ، ومختصر خليل ، والحكم العطائية ، بشرح ابن عباد عليها ، والشفا لعياض ، وبعضا من صحيح مسلم ، وبعضا من الرسالة لابن ابي زيد. والفية ابن مالك ، ولامية الافعال ، والرسائل الكبرى لابن عباد ، والقواعد الزروقية ، ودلائل الخيرات «80» .

7» العلامة ابو عبد الله محمد «فتحا» بن احمد ابو الرخاء المتوفى عام ثلاثة وستين ومائة والف «81» التوحيد ، ومختصر خليل ، والشرح السابع عشر على الحكم العطائية للشيخ زروق ، والحزب الكبير للشاذلي «82» .

8» الاستاذ النحوي الاديب اللغوي ابو العباس احمد بن علي الوجاري القضاعي الاندلسي المتوفى عام واحد واربعين ومائة والف «83» : مقدمة ابن اجروم ، والفية ابن مالك ، ولامية الافعال . وفصيح ثعلب ، واللزوميات لابي العلاء المعري . وديوان ابن الفارض ، والجزء الاول من ديوان المتنبي . والقاموس ، والعروض «84» .

9» النحوي الصوفي ابو عبد الله محمد بن الحسين الجندوز المصمودي المتوفىعام ثمانية واربعين

---

70) انظر الكناش ص 380
71) انظر ترجمته في النشر المثاني الكبير ج 2 ص 178 وسلوك الطريق الوارية
72) انظر الكناش ص 385 ، وسلوك الطريق الوارية
73) انظر ترجمته في النشر المثاني الكبير ج 2 ص 172
74) انظر الكناش ص 390
75) انظر ترجمته في النشر المثاني الكبير ج 2 ص 178
76) انظر الكناش ص 370
77) انظر ترجمته في النشر المثاني الكبير ح 2 ص 216
78) انظر الكناش ص 373
79) انظر ترجمته في النشر المثاني الكبير ج 2 ص 182
80) انظر الكناش ص 395
81) انظر ترجمته في النشر ج 2 ص 230
82) انظر الكناش ص 394
83) انظر ترجمته في النشر ج 2 ص 168
84) انظر الكناش ص 399

22» الشيخ ابو عبد الله محمد «فتحا» كشك ماهري المالكي الشاذلي الجزولي اخذ عنه حكمه فى حروف التي ساقها المجاز فى رحلته «109» .

ابو الحسن علي البيومي القاهري الازهري الشافعي مذهبا الاحمدي طريقة خطيب مسجد الظاهرية وامامها رسالته فى الفردانية ، وتفسير بعض ايات من الذكر الحكيم ، وشرحه على حكم الشيخ ابي مدين الغوث ، والطريقة الاحمدية ، والبسه خرقته ، ولقنه اذكارها واجازه فى الكتب المذكورة «110» .

23» ابو زيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروسي قصيدته فى الامام الحسين ، وقصيدة اخرى له فى الولي احمد البدوي ، واجازه بالطريقة القادرية والمدينية «111» .

24» الشيخ الفقيه ابو الربيع سليمان الخالدي الطنطاوي اذكار طريقة الدسوقية ، والبسه خرقتها واجازه فى كل منهما ، وهذه الطريقة هي المعروفة بالبرهانية نسبة الى برهان الدين ابراهيم الدسوقي القرشي الهاشمي العلوي الحسيني «112» .

قال المترجم فى رحلته : « وهي مبنية على الذكر الجهري ولزوم الجد فى الطاعات ، وارتكاب اهوال المجاهدات ، وذبح النفوس بسكين المخالفات وحبسهافى سجن الرياضات، ومن شأن اهلها الاستهتار بذكر دائم بياء النداء لاسيما فى ختم مجالس التلاوة والذكر الجهري بالجلالة مع الهوينة ، ومن شأنهم لبس الزي وهو الاخضر » .

25» الشيخ عبد الله الموافي «113» فى سند الطريقة الرفاعيةوالبسهلباسها الذي هو الزي الاسود.

26» العلامة ابو عبد الله محمد ابو العز المنصوري الشافعي الضرير الحديث مدة اقامته فى المنصورة «114» .

قال المترجم : « وهو فصيح حسن التدريس ، كثير التقشف بخلاف جل علماء المشرق ..»

27» ابو الحسن علي بن ابراهيم المالكي «115» حزب الشعراني واجازه فى جميع كتبه واوراده ، ونص الاجازة بعد البسملة والتصلية :

« هذه الاجازة الشعرانية المحفوفة بالامدادات الربانية لمولانا شيخ الاسلام المولى الشريف عبد المجيد بن علي المنالي الحسني الشهير بالزبادي اطال الله بقاءه آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه ثقتي وعليه اعتمادي .

الحمد لله الذي سلك باحبابه اقوم طريق ، وافاض عليهم من فيض فضله معالم التحقيق ، والبسهم من زي المعارف والتقى ملابس الفضل ليكونوا كاسلافهم قدوة لمن اتقى ، وتوجهم بتاج الاسناد رحمة بالبلاد وبالعباد جعلهم الله وراث بلاده ، وغياث عباده باتصال سندهم المعنعن والمسلسل على رؤوس الاشهاد ، احمده على ما انعم به علينا من الاتصال واشكره على مزيد الافضال ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نستمطر بها مزيد الفضل من ذلك الجلال واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المؤيد بالاصحاب والآل الامر بالاقتداء بهم فى الاقوال والافعال صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما طلب سند الاتصال ..

وبعد ، فيقول الفقير الحقير كثير الزلال المنكسر خاطره لقلة التقوى والعمل علي بن ابراهيم المالكي خطيب زاوية القطب الرباني والمحقق الصمداني خاتمة المحققين سيدي عبد الوهاب الشعراني عمت المسلمين بركاته فى الدنيا والاخرة امين امين .

قد كان حضر الى الحج الشريف حضرة المولى الشريف صاحب المقام المنيف محي مآثر القوم السالمين من العتب واللوم مزيد دهره وزين عصره

---

109) انظر ترجمته فى نفس المصدر ص 229/225
110) انظر ترجمته فى نفس المصدر ص 233/230
111) انظر ترجمته فى المصدر اعلاه ص 234/233
112) انظر ترجمته فى المصدر اعلاه ص 236/235
113) انظر ترجمته فى الرحلة ص 237/236
114) انظر ترجمته فى نفس المصدر ص 239/240
115) انظر ترجمته فى نفس المصدر ص 241/240

18» ابو العباس احمد العربي التلمساني المصري المالكي الاشعري المحمدي الازهري قوله تعالى « فاين ما تولوا فثم وجه الله ان الله سميع عليم » واجازه فى قراءة دلائل الخيرات وروايته عنه ، وشرط عليه ان لا يجيز به الا من كان متمسكا بالتقوى غير شارب للدخان وان يعهد الله ان يقراه كل يوم او بعضا منه ، واجازه ايضا بالدلائل المذكورة عن شيخيه المكيين عبد الله بن سالم البصري واحمد بن محمد النخلي عن شيخهما عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن احمد الحسني المغربي المكناسي الشهير بالمحجوب الى آخر السنة «102» .

واجازه ايضا بفهرسة عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسى البصري المكي الشافعي التي جمعها ولده سالم بن عبد الله ، وبفهرسة احمد ابن محمد بن احمد بن علي الشهير بالنخلي المكي الشافعي بجمع صاحبها ، وخاطبه بقوله : « انت مجاز بكل ما فيهما عموما ، وبكل ما تختاره منهما خصوصا وبكل ما يجوز لي وعني روايته ..» «103»

19» الشيخ الراوية ابو عبد الله محمد الاحمدي باعلوي بن علي باحسن الشريف العلوي الحسيني اليمني المكي نزيل بولاق اسانده فى الطريقة الاحمدية واجازه بالكتب الستة ، وبالاسانيد الثلاثة للمعمرين خصوصا ، وبما اخذه عن ابي علي حسن العجيمي على الخصوص والعموم وبكل ما يجوز له ، وعنه روايته .

واجازه ايضا فى مصنفات عبد الوهاب الشعراني واوراده واذكاره وطريقته ، وجميع مروياته عن شيخه محمد البقري عن عمه ابي عمران موسى البقرى عن الشعراني «104»

20» ابو العباس احمد الملاوي الشافعي حديث المسلسل بالاولية عن الشيخ الياس ، واجازه فيه ، ونص الاجازة بعد البسملة والحمدلة والتصلية :

« فقد اجزت الشيخ العلامة الشيخ عبد المجيد ابن السيد علي الشريف الحسني المنالي الشهير بالزبادي بالحديث المسلسل بالاولية وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » عن الشيخ الامام الملا الياس بن ابراهيم الكوراني ، وقد اجازني بالبخاري عن الشيخ عمر بن البلوي الشامي عن الشيخ محمد الزفتاوي ، وكان عمره مائة سنة عن شيخ الاسلام زكرياء الانصاري عن ابن حجر العسقلاني ، وقد كان الشيخ عمر ابن البلوي سمع بالشيخ محمد الزفتاوي فاتى الى زفتة فاخذ عنه » .

« كتب الفقير احمد الملاوي الشافعي عفا الله عنه آمين » «106» .

21» المقري ابو الحسن علي البرمادي والشافعي الازهري الضرير سورة الفاتحة واول البقرة الى المفلحون، وآخر الكهف الى كهيعص .. وبعض الايات من آخر الحشر ، بجميع الروايات ، واجازه فى القرآن الكريم بجميع الروايات ثم قرا عليه المترجم سورة الفاتحة بقراءة نافع وبعض سور المفصل وغيرها ، فخاطبه بقوله : « اجل اني قرات القرآن على جماعة من الاساتيذ» فاجابه المترجم بقوله : « اني قرات القرءان على جماعة من الاساتيذ المحققين . وقد اجازني الشيخ الشريف الفقيه الاستاذ العلامة المجود المشارك الجامع شيخ الجماعة فى القراءات سيدي ادريس المدعو المنجرة ابن الشريف محمد ابن سيدي احمد النجار ابن محمد بن علي بن محمد بن ابي بكر بن الحسن بن عيسى .. بالاجازة التي اجازه بها شيخه الدراكة القدوة الاستاذ محمد بن عبد الله السرغيني الشهير الهواري عن ابي زيد عبد الرحمن «108» ثم ناوله حرز الاماني والنشر واجازه بهما وبسائر كتب القراءات ، وحضه على قراءة حرز الاماني والتفهم فيه .

102) انظر ترجمته فى الرحلة ص 185
103) عن الرحلة ص 186
104) انظر ترجمته فى المصدر الانف الذكر ص 188
105) انظر ترجمته فى الرحلة ص : 214/210
106) عن الرحلة ص 215
107) انظر نفس المصدر ص 218/217
108) عن المصدر اعلاه ص 219/218

«121» ترجمة امام البخاري واجازه بجميع كتب الحديث وغيرها ، ونص الاجازة بعد البسملة :

الحمد لله الذي انعم علينا بالاسناد لاحاديث اشرف العباد صلى الله عليه وسلم وآله واصحابه على توالي الامداد .

اما بعد فقد اجازني اجازة عامة الشيخ عبد الله بن سالم المكي بجميع ما يجوز له اجازته من كتب الاحاديث وغيرها ، وقد اجزت بذلك كله وبتأليفاتي مع قصوري السيد الجليل الشريف العلامة عبد المجيد بن علي الحسني المنالي بالشرط المعلوم عند اهل العلوم هداه مولاه الى موجب رضاه ووقاه مما اذاه وجعل آخرته خير من اولاه ، وارجو منه ان لا ينساني من دعواه فاني الى دعائج فقير والرب بالاجابة جدير .

كتبه افقر الورى محمد حياة السندي المدني عفاالله تعالى عنه فى المدينة المنورة يوم السبت تاسع عاشوراء سنة الف ومائة وستين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى جميع المرسلين ، والملائكة والصالحين وعلينا معهم اجمعين » «122» .

يتبع

الرباط ــ عبد القادر النكادي

121» انظر ترجمته فى الرحلة ص 255–256

122» عن الكناش ص : 515–516 .

شيخ الاسلام والمسلمين المولى الشريف الحسيب العفيف عبد المجيد بن الشريف علي المنالي الحسني الشهير بالزبادي من مدينة فاس فى سنة ستين ومائة والف واجتمعت به لالتمس التشريف بالاخذ عنه بمجلس السادة العنانية العمرية عاملنا الله واياهم والمسلمين بالطافه الخفية ، فطلب الاستاذ المذكور من الفقير بعد الاخذ عنه فى اول البخاري ، واول الشفا الاجازة بقراءة حزب الاستاذ الشعراني رضي الله عنه فكان كذلك ، ولم يكتب له بذلك سند الاتصال فاشتاقت نفسه رضي الله عنه لذلك اعتناء بشأن ذلك كاداب المحصلين الافاضل فارسل يطلب ذلك فى سنة الف ومائة واثنين وستين ليكون له مزيد الاتصال بالاسناد ، فالاستاذ الشريف حيث وجه الامر بالطلب الى الفقير الضعيف فقلت مستغفرا حامدا الله سبحانه وتعالى مصليا على نبيه صلى الله عليه وسلم داعيا بالقبول وعموم النفع لنا ولكم وللمسلمين آمين .

وقد اجزنا الاستاذ المولى الشريف عبد المجيد بذلك وبجميع كتب الاستاذ واوراده واذكاره ، وان يجيز بذلك من يرى له رغبة ونعلما بذلك وان لا ينسونا عقب الصلوات والاذكار من صالح دعائهم سيما بالتوفيق للعمل والحفظ من الوقوع فى الهفوات والزلل ، وان يجعلنا واياكم فى القيامة من الناجين وبذريته متنعمين ، وكذلك احبابنا واخواننا ومن تلقى عنا او تلقينا عنه بقلب سليم انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر النبيئين والمرسلين .

وحرر ذلك فى يوم الاثنين المبارك الموافق ثاني وعشرين ربيع الاخر من شهور سنة الف ومائة وثلاثة وستين ، كاتبه الفقير الفاني على المالكي خطيب الشعراني عفا الله عنه آمين » «116» .

28» المحدث محمد بن سالم الحفناوي الشافعي الصوفي الخلوتي «117» بعضا من صحيح البخاري فى مسجد الصغير للامام السيوطي ، واجازه فى اوراد طريقة الخلوتية .

29» العلامة عبد الله مدهر المتوفى بمكة المكرمة سابع او ثامن عشر ذي الحجة عام ستين ومائة والف ، سند الخرقة الحدادية التي لبسها من بمنى ، واجازه اجازة عامة فى سندها ، واجازه ايضا فى صحيح مسلم ، والشفا لعياض «118» .

30» الفقيه ابو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي بالمدينة المنورة وكانت بينهما مكاتبة «119» .

ومن جملة الرسائل التي وردت على المترجم بخط شيخه هذا رسالة تضمنت سند خرقة الحدادية ، وموت شيخه عبد الله مدهر ونصها بعد التقديم :

« .. واما سند الخرقة الحدادية فالسيد عبد الله لبسها من السيد محمد بن علوي وهو من السيد عبد الله بن علي صاحب الوهط ، وهو من السيد شيخ ابن عبد الله صاحب احمد اباد عن والده عبد الله بن شيخ وهو عن عمه القطب ابي بكر بن عبد الله العيدروس وهو من والده القطب عبد الله بن ابي بكر العيدروس وهو من ابيه ومن عمه الشيخ عمر المحضار ابني عبد الرحمن السقاف وهما من والدهما عبد الرحمن بن محمد وهو من والده محمد بن علي وهو من والده علي بن علوي وهو من والده علوي بن محمد وهو من والده القطب المحقق سيدي الفقيه محمد بن علي المعروف بمقدم التربة ، وهو من الشيخ عبد الله الغوث الجامع سيدي ابي مدين شعيب دفين العباد بتلمسان رضي الله عن جميعهم ونفعنا بهم آمين .

كتبه احقر العباد محمد بن الطيب غفر الله له ولوالديه ولاشياخه فى المدينة المنورة يوم الجمعة فاتح عاشوراء عام ستين ومائة والف ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما » «120» .

31» المحدث الصوفي الداهية ابو عبد الله محمد حياة السندي المدني المتوفى سنة ثلاث وستين ومائة والف

---

116) عن الكناش ص : 500–501

117) انظر ترجمته فى الرحلة ص : 251–243

118» انظر ترجمته فى المصدر اعلاه : ص 100–102

119» انظر ترجمته فى الرحلة ص 103–102

120» عن الكناش ص : 510–511

للدلالة على قصور هذه الشعوب في الميدان الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، وسعيها الى تحقيق تقدم تدريجي بهذا الشان ينقلها من حال الى حال احسن شان اي مخلوق في حركته التطورية التي لا بد ان تدفعه الى النمو والترعرع حيث تصل به في الحالة العادية اخيرا الى طور الاعتماد النسبي على نفسه ، وعدم الاحتياج الدائم الى غيره ان اقطار الشرق الاوسط العربية وغيرها تعد من اعرق الاقطار في التاريخ ، فكياناتها كيانات اصيلة وعتيقة ، وهي بهذا الاعتبار ، اقطار قديمة بل ومسنة ، ان جاز هذا التعبير ، ولكنها في نفس الوقت لا بد ان تعتبر اقطارا نامية او فتية او جديدة اذا نظرنا اليها من زاوية العصر الحديث ومن خلال منظور الحضارة الراهنة ، فحينئذ نجد انها ذات قدر ضئيل ، كضا لة جسم اي مخلوق في دور نموه الاول ، بالقياس لغيرها من الدول المتقدمة ، ذات المواد الضخمة ، والانتاج الوفير ، والاستهلاك المتنوع ، والسعة في الحيلة والعدة ، فالاقطار المتخلفة ـ تبدو من هذه الناحية ـ في مظهر مخلوق ناشيء لا زال في طريق النمو لم تكتمل له بعد اسباب القوة والفاعلية التي تمكنه من ان يقف على قدميه دون مساند ويسير في درب الحياة العصرية المعقدة ، قادرا على توفير حاجياته لنفسه ، بل ومستطيع ارضاء حاجيات غيره ذلك فرق كبير بين الذين لا يزالون في بداية النمو ، او في الطريق الى النمو ، وبين الذين استكملوا اسباب النمو والنضج ، وان كان النمو والنضج ليس لهما حد مطلق ، يتوقفان عنده

والتنديد على هذا الفارق موجبه واحد في نظر كل من يعالج هذا الموضوع من باحثين ومسؤولين ، والموجب هذا هو التخلف ، لكن العبارات التي توصف بها البلدان الافريقية الاسيوية الامريكية حسب هذا الموجب ، هي ـ كما راينا ـ ذات تعدد ملحوظ ، واظن ان اطلاق وصف النمو على هذه الاقطار هو اطلاق مناسب جدا ، ويذكر بعض الكتاب الغربيين بهذا الشان ان صفة النمو هي اكثر ما تؤثره الشعوب المتخلفة من اوصاف تطلق عليها ، والامر في هذا المجال له جذور سكولوجيةلا تخفى،لا سيما بالنسبةلشعوب هيذاتحساسية مرهفة جدا ، وايثار صفة النمو على غيرها ، كسمة للبلدان الافريقية الاسيوية ، يرجع الى ان حركية التحول المادي والانساني المعتبرة من قبيل النمو ، لم تعد تترك ظاهرة التخلف على انها السمة البارزة الوحيدة للعالم الثالث ، فالسمة الجديدة سمة النمو ـ وهي تعبر عن واقع ايجابي متحرك ـ تتداخل الان مع الصفة الاخرى ، صفة التخلف ، التي تعبر عن واقع سلبي جامد ، وديناميـة النمو ، يجب ـ بهذا الاعتبار ـ ان تكون اكثر لفتا للنظر من سلبية التخلف ، الذي هو حالة مالوفة من قبل بالنسبة لجميع اقطار اسيا وافريقيا ، منذ ان تخلفت هذه الاقطار عن ركب التقدم الذي لا يتخلف

على ان النمو بمعناه هذا لا يجب ان ينصرف بالضرورة للاقطار الاسيوية والافريقية والامريكية اللاتينية دون سواها ، فعدد من الاقطار في اوربا الشرقية ـ التي تعتبر ـ عموما ـ خارج العالم الثالث ـ يجب ان ينظر اليها على انها ايضا دول نامية ـ وان كان حظها من النمو والتطور ، لا بد ان نسبته اعلى مما هو عليه الامر في العالم الثالث

واذا جاز للمرء ان يقارن بين الاقطار ، على غرار ما يقارن به بين الاشخاص ، فيستبيح وصف بعض الاقطار باكتمال النمو ، كانها في دور الشباب الناضج ، او الكهولة ، بينما يصف بلدانا اخرى بانها لا تزال في طريقها الى النمو كانها في دور الفتوة الاولى او في دور اليفاعة ـ اذا جاز للمرء عقد مقارنة بهذا الشكل ـ فلا بد انه سيلاحظ ان الدول الصغيرة ـ وان كانت في دور الفتوة واليفع ـ بما يرافق هذا الدور من سذاجة وقلة خبرة ، وشدة احتياج الى الغير ـ فانها تتمتع ولا شك بما يتمتع به ذوو الفتوة من حيوية دافقة وطاقة متجددة وامكانيات عذراء لا يعرف لها الحد الذي تنتهي اليه ، ان هذا بالضبط هو راسمال الدول النامية اذا بحثت فيما لديها من راسمال ، تطمئن اليه ، فاراضيها لا تزال ـ على العموم ـ بكرا لم يستنزف من خاماتها الا قدر ضئيل جدا ، بالقياس لما تحويه هذه الاراضي من من احتياطيات شاسعة ، والطاقة البشرية في هذه الاقطار هائلة ، يضاعف من حجمها التضخم الديموغرافي المتزايد ، ونتيجة لهذا التضخم الاتي من تكاثر الولادات ، فان عنصر الشباب يكاد يكون العنصر الاغلب من بين سكان معظم الاقطار الفتية في العالم ، ولهذه

من الاهتمامات الدولية الملحة :

العالم الثالث وقضايا التنمية الاقتصادية

للأستاذ : المهدي البرجالي

البلاد الفتية بين التخلف والنمو ــ عملية الانماءالمعقدة وملابساتها الاقتصادية والاجتماعية ــ عوامل الانماء وعوائقه علىضوء الاحوال السائدة فى البلاد النامية ــ قضايا التخطيط والاطر والاستثمار :القاسم المشترك فى ستراتيجيات العمل ضد التخلف .

توصف البلدان الواقعة في القارتين الاسيوية والافريقية ، مضافا اليها اقطار امريكا الجنوبية والوسطى ــ توصف هذه البلدان جميعها بانها متخلفة ، وناقصة التطور ، او انها نامية او في طريق النمو ، او انها فتية ، او حديثة عهد بالاستقلال ، الى غير ذلك من العبارات الاخذة في التكاثر ، كما يطلق على مجموع هذه الاقطار ، عبارة العالم الثالث او ثلث العالم كما يعبر الغربيونعلى اعتبار ان العالمينالاخرين،هما:العالم الاشتراكي ، والعالم الرأسمالي . وهذه الاوصاف ليست سواء من حيث ما لها من دقة في التعبير ، والتصوير فنعت هذه الاقطار بانها متخلفة او ناقصة التطور ، يعبر عن واقع حال موجود ، ولكن نسبة التخلف في هذه الاقطار تختلف فيما بينها اختلافا بينا ، بحيث ان اللفظة هنا تعبر عن مجموعة احوال متشابهة ، ولكنها ليست متماثلة بالضبط ، واطلاق وصف « حديثة العهد بالاستقلال » على البلدان المتخلفة ، هو اطلاق تجوزي كذلك ، فليس من تلازم مطلق « اما النسبي فموجود » بين التخلف وحداثة العهد بالاستقلال ، فليبيريا ــ مثلا ــ وهي من اقطار العالم الثالث ــ لا يمكن ان توصف بانها حديثة عهد بالاستقلال (تاسست عام 1822) وقل كذلك عن افغانستان وبعض اجزاء شبه جزيرة العرب وغيرها ، كما توجد من جانب ءاخر شبه اقطار ــ كتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا والمجر وبولندا وسواها ، كانت الى عهد قريب (1918 في الغالب) فاقدة الاستقلال او كانت عبارة عن كيان قومي مبعثر سياسيا وجغرافيا وقانونيا ، وتوجد الان من بين الاقطار المعتبرة متقدمة ، وربما عالية التقدم ، اما وصف النمو ، او نقص التطور ، الذي يطلق على مجموعة الاقطار المتخلفة ، فهو اقل دقة في التعبير من جميع العبارات الاخرى المستعملة ، فالنمو لفظة او عبارة غير محددة ، تطلق على كل درجات النضج والتكامل ، ابتداء من نقطة الصفر ، وغير خاف ان المجتمعات التي تعرف بالنامية ، منها ما ينطبق عليه هذا الوصف بمدلوله الحرفي بمعنى ان هذه المجتمعات هي حديثة عهد بالوجود ، من حيث النظر اليها ككيانات سياسية قائمة الذات ، ومن ثم فان هذه المجتمعات يمكن اعتبارها ناشئة كما ينشأ اي وليد حديث عهد بالحياة (والمثال : دول امريكا الجنوبية والوسطى)

غير ان اغلبية اقطار العالم الثالث ، الموصوفة بالنامية لا ينصرف اليها هذا المعنى البدائي عند اطلاق وصف النمو عليها ، وانما يوتى بمثل هذا الوصف

الفلزات وانشاء الخزانات وتنظيم الابحاث الصناعية تجفيف المستنقعات وحفر القنوات وتجهيز الموانيء تحسين احوال الماشية ، ومنع انجراف التربة الزراعية غير ذلك ويتطلب الامر في هذا المقام مهارة فائقة مراعاة الجانب الايجابي في هذا التداخل ، واستغلاله قدر ما يمكن ذلك انه اذا كان التداخل هكذا متينا بين عوامل التخلف والاقتصادي والاجتماعي ، وعوامل النهوض الاقتصادي والاجتماعي كذلك ، فان الحال مقتضى كذلك . مراعاة النسب الدقيقه في هذا التداخل بناء مخططات التنمية على نحو يستخرج من كل مبادرة اجتماعيه ، اقصى ما يمكن ان تنطوي عليه من اثر اقتصادي والعكس بالعكس ، وهذه النظرية تتفق في روحها مع خطوط التفكير الانمائي الحديث والتفعالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . عند الدول المتقدمه . تتضافر تضافرا دقيقا لتؤدي كل منها دورها في ازدهار الاخرى وربط سكة التقدم هكذا ، برباط محكم ومتماسك فالعمليه التثقيفية ـ مثلا ـ فضلا عن آثارها الاجتماعية الواضحة ـ فهي تعد ـ على حسب هذا النمط من التفكير ـ عملية اقتصادية كذلك ، ذلك ان العملية هذه ـ اذ تهدف الى بناء عقليات ذات مهارة متفتحه . فهي تساهم ـ بهذا ـ في البناء الاقتصادي ، نظرا لما تستطيع المهارات المكتسبة من وراء التعليم ان تؤديه من دور في الانتاج الاقتصادي ، ويتمثل ذلك مما يقوم به المكتسبون للمهارة من التخطيط لهذا الانتاج . او تنظيمه او تصريفه او الابتكار فيه على صورة تضمن مزيدا من الجودة ومضاعفة الكمية ، عن طريق اختزال الزمان او النفقات ، وعملية اجتماعية مثلا . كعمليه توظيف البدو الرحل ، لا بد ان ترمي ـ هي كذلك ـ الى اغراض اقتصادية الى جانب الاغراض الاجتماعية المتوخاة منها ، فهذه العملية اذا كانت تنطوي ـ من جانبها الاجتماعي ـ على تعيين مستقرات ثابتة للبدو وربما توفير مرافق تعميرية لهم ، وتطبيق النظام المدني عليهم . في التعليم والصحة ، والتعامل والضرائب والاحصاء وغير ذلك . فان كل هذا لا بد ان ترافقه عمليات اقتصادية موازية ، كانشاء مراع قارة . وتاسيس بعض الصناعات الزراعية او توسيع استغلالات معدنية محلية او اقامة بعض الخدمات العمومية كمد طرق او تعبيد مسالك ، او حفر سواق او تسجير بيداء او غير ذلك وعلى العكس من هذا ، فان اية عمليه اقتصادية لا بد ان تكون لها في الحياة الاجتماعية اثار بعيدة الغور ، فقيام صناعات محلية ـ مثلا ـ يحدث ـ في العادة ـ سلسلة من التحولات الاجتماعية لا بد من مراعاتها والاعداد لها في صلب كل تخطيط من هذا القبيل ، ومن هذه المضاعفات الاجتماعية الناشئة عن التوسع الصناعي : هجرة بعض سكان الارياف الى المدن ـ تضخم الحجم السكاني في المدن الكبيرة ـ حدوث تحولات مهمة في الافكار والعادات والقيم الثانويه ـ تكاثر الحاجيات الاجتماعية المستوحاة من حياة المدن ـ احتمال حدوث نقص احيانا في اليد العامله الزراعية والمربية للمواشي ـ الى غير ذلك .

ان تداخل القطاعين الاجتماعي والاقتصادي هكذا، يفرض ـ كما تقدم ـ التسلح بقدر كبير من المهارة والحكمة في وضع مخططات الانماء الحديثة ، لكن الدول النامية ـ وان كان لا ينقصها ـ في كثير من الاحيان ـ الادراك الكافي لهذه المقتضيات فان الوسائل لمواجهة المشاكل الناشئة عن ذلك والتغلب عليها تعوزها الى حد ما ، وهي بصدد البحث عنها وتوفيرها ، وهذا جانب كبير من جوانب معركة التخلف ، التي يخوضها العالم الثالث . اما معضلة نقص الوسائل هذه ، فمن اهم مظاهرها : 1) الحاجة الى التخطيط الدقيق الشامل 2) الحاجة الى الاطر المفكرة والمنفذة 3) نقص الاستثمارات 4) ما يحيط بالمساعدة الدولية في الميدان المالي والتقني من ظروف متقلبة 5) التخلف الفكري عند الاهالي وصعوبة ترويضهم على محاربة ما هم عليه من نقص التطور

اما حاجة الدول النامية الى التخطيط ، فلا يعني ان البناء الاقتصادي في هذه الدول ، يتم الان بدون تخطيط او ما في معناه ، فسياسة الانماء عند عدد من هذه الدول تخضع ـ في مجملها ـ لروح تخطيط وتنهيج عام ، تتدرج في صلبه سلسلة من المخططات محددة الاجال ، اخذ بعضها بعض ، لكن التخطيط للانماء في بيئة متخلفة ينطوي في الغالب ـ على عدة مصاعب لا يلاقيها المسؤولون عن التخطيط في الدول المتقدمة ، فسواء بالنسبة للمتخلفين او المتقدمين يقوم التخطيط على جملة بحوث ودراسات متعمقة تستبطن اوجه الانتاج

الاقطار حظوط اخرى تتمثل فيما يوفره لها العصر الحاضر من امكانية الاستفادة من تجارب العالم الصناعي المتقدم ثم ما يمكن ان تزودها به التقنية الحديثة من وسائل ومناهج تمكنها من التطور وتحقيق التنمية الذاتية في وقت اسرع وبصورة اضمن ، ومن هذه الحظوظ ايضا ، ما يوجد من تناسب مفيد بين توقيت استقلال هذه الدول واضطلاعها بمسؤولية تطوير نفسها، وبين الجو الدولي والاوضاع العامة التي تسود عالمنا الحاضر فيما بعد الحرب ، فمن ذلك : 1) اتساع الوعي العالمي ضد التخلف بجميع اشكاله ومضاعفاته 2) اقتناع الدول الكبرى بضرورة الاهتمام بحالة التخلف في العالم ، والمساهمة في القضاء عليه بالنظر الى ان استمراره ليس من شانه ان يساعد على خلق حالة استقرار وامن متبادل على الصعيد الدولي 3) اكتساح الدول الصغيرة لمنظمة الامم المتحدة ، وما احدثه ذلك من تاثير في توجيه اهتمامات المنظمة الاممية ، وجعلها اداة تنمية اقتصادية واجتماعية في العالم ، بقدر ما هي منظمة سياسية وقانونية كذلك ، هذه الظروف العالمية الملائمة هي – بدون شك – من الحظوظ المتوفرة للدول النامية في سعيها للخروج من ربقة التخلف . وهذه الحظوظ ليست ذات طبيعة معجزية اي انها ليست من نوع الحظ الذي ياتي صدفة ويحدث اثره السعيد على غير انتظار ، وبدون مقابل من جهد او غيره، وانما يتعلق الامر هنا بظروف مواتية ، يمكن استقلالها اذا كانت هناك معرفة بطرق هذا الاستغلال ، وتوافر للشعوب النامية القدر الكافي من روح المصابرة والمجالدة لتستطيع النفوذ من ذلك الى ما تبتغيه من تصفية التخلف، واماطة الصدأ الذي يكسو حياتها بسببه وبتاثير مضاعفاته

* * *

الانماء الذي تسير في سبيله الدول الفتية ، وياخذ من اهتماماتها ونشاطاتها القدر الاوفر – هو ثمرة عمليات جد معقدة ءاخذ بعضها باطراف بعض تتدخل في طريقة استقلال الموارد الطبيعية والبشرية عند المجتمع وترمي الى رفع مستوى الدخل القومي عن طريق رفع كمية الانتاج وتحسين انواعه ، وتعديد الوانه ، وافتتاح وفاق وسبل غير محدودة له ، كما ترمي عمليات الانماء كذلك الى تحسين الاحوال الاجتماعية والفكرية للسكان ، وترويضهم على حياة منتجة ، ومنظمة ومعقولة، وذات افق اوسع ، ويقتضي كل هذا ادخال الاساليب العلمية ما امكن في تنظيم حياة المجتمع وتنمية انتاجه واقامة المؤسسات والنظم والتقنيات المحكمة التي تضمن سير العمليات من هذا النوع وضبطها والسيطرة عليها ضمن خط مرسوم ، ومعلوم الابعاد مقدما

عملية التنمية تشمل بمفعولها هذا مجالات لا حصر لها في حياة الجماعة التي هي موضوع هذه التنمية ، لكن يمكن حصر كل هذه المجالات في نطاقين ، يعد كل منهما محورا يستقطب ما عداه ، والنطاقان هذان هما : النطاق الاقتصادي والنطاق الاجتماعي ، وهما من التداخل بينهما والتفاعل بقدر كبير، فالتطور الاجتماعي من شانه ان يؤدي الى خلق رواج اقتصادي يمكن ان يتطور الى نهضة اقتصادية شاملة ، والعكس صحيح ايضا ، فالنهوض الاقتصادي – بما يفتحه من منافذ للعمل والنشاط ، وما يخلقه من مطامح اجتماعية عند الافراد ، وما يساعد عليه من امكانيات التوسع في مختلف الميادين من شانه ان يحرك في المجتمع تيارات تطور متعددة ، ويدفعه الى نوع من التحول النوعي في طراز حياته الاجتماعية والثقافية وغيرها ، وغير خاف ان الدول النامية تعاني في مجموعها من تداخل هذين النطاقين في بعضهما البعض فبقدر ما يجثم عليها التخلف الاقتصادي بكلكله، بقدر ما يزيد ذلك من حدة التخلف الاجتماعي الذي تتورط فيه الى قمة الراس ، ومن تداخل هذين العاملين : عامل التخلف الاقتصادي وعامل التخلف الاجتماعي تنشأ حالة التخلف العام التي تدمغ صورة الحياة في شتى اقطار العالم الثالث ، والاقطار النامية تدرك على نحو او غيره ، التعقيد الشديد الناجم عن هذا التداخل بين عوامل التخلف ، ولهذا تجد هذه الاقطار في معظم الحالات تتخذ من العمل على التطوير الاجتماعي وسيلة جوهرية من الوسائل التي تعتمدها في تحقيق النهوض الاقتصادي بالبلد فتجدها – مثلا – تعمل على توطين البدو الرحل وتعمير القرى الخالية، ومراقبة النسل ، ورعاية الطفولة ، ومعالجة الجانحين ، ونشر الطب الوقائي ، ومقاومة الحشرات ، ومحاربة العادات الضارة – هذا في نفس الوقت الذي تعنى فيه باستنبات الصحاري وتوليد الطاقة ، واستخراج المعادن

ان الحظ الذي يحالف الشعوب النامية اليوم في سعيها نحو التطور الجذري مناطه – كما قدمنا – هو هذه التكنولوجيا التي تستطيع – بقدر وافر – ان تختـزل ابعـاد الزمان والمكـان وتختصر الجهـود والنفقات الموصلة الى غاية انمائية ما ، فالتقنية بهذا المعنى هي وسيلة ذات صلاحية عامة شاملة فهي تدخل في كل باب من ابواب التطور عند مجتمع ما وتتناول جوانب حياته المادية والانسانية والتقنية لا يراد بها المظهر الآلي لها فقط ، بل المعنى الذي يحوي شتى معطيات العصر في التنظيم والتصرف وممارسة الحياة ، وما الاليـات والتخطيطات وغيرها ، الا ادوات ووسائل لذلك ، ومن ثم يبقى العقل المدبر (الاطر) هو المحور في جميع هذه الحالات . وهذا العقل المدبر – هو المحور الذي يستطيع ان يقتحم تعقيدات الحياة التقنية ويتصرف فيها دون تهيب او وجل ، ويستخلص منها اقصى ما يمكن استخلاصه من منافع ويبنـي على ما هو معروف منها لابتـداع تركيبـات جديـدة ، غيـر معروفـة ، وواضح ان عقلية على هذا الغرار ، هي عقدة العقد في كل حالة تقدم تقنـي على مستوى سرعة العصـر الذي نعيشـه

ان البيئة العقلية التي تكون اطارات تقنيـة ذات كفاية عالية – هذه البيئة ليست بذات بساطة في التركيب بحيث تقوم على ازدهار فرع واحد من العلوم او عدة فروع محدودة ، لما ذا ؟ لان التقنية ليست مجرد الهام عفوي – وان كان الالهام يلعب دوره في كل شيء – وليست فرعا معينـا من فروع المعرفـة او الـذوق او الوجدان كالعلوم المنقولة مثلا – وانما التقنيـة – اذا قسناها بمقياسها الكامل – فنجدها ثمرة كل ما يصيبـه المجتمع من تعمق في العلم والمعرفة ، وتطور في العقلية والتفكير ، وحذق في الممارسة والاختبار ، والمعية في الفهم والادراك ومهارة في العمل والانجاز ، فالتقنية قبل ان تكون تركيبا وانجازا ، هي عقلية ونظام فكري في الدرجة الاولى ، وهذه العقلية لا تتكامل وتتسق الا بعد بلوغ التوسع العلمي والفكري مدى بعيدا جـدا ، وكما تقدم فالمدرسة والجامعة والمصانع والمختبرات والاوراش على مستوى القطاع العام او الخاص تدخل كلها – في العادة – لخلق عقلية تقنية على هذه الوتيرة

اذ ان هذه العوامل جميعا يكمل بعضها بعضا ، ويتضافر بعضها مع بعض . وبتكاملها وتضافرها يمكن خلق عقلية تقنية في المجتمع تكون كمورد لا ينضب لتخريج الخبراء وتكوين الاطارات المخططة والمنفذة ، هذه الاطـر التي تساعد المجتمع على حل مشاكله عن طريق العلم والتقنية وضمان الحصول على مزيد من التقدم والتوسع. وهذا من بين الفرق المهمة بين الاقطار عالية التقدم ، والاقطار المتخلفة ، لاحظ مثلا ان هذه الاخيرة الاقطار المتخلفة كلها تقريبا تنتفع بثمرات الانجاز التقنـي الاتية من اوربا وامريكـا ، كما تحتـذي في معالجـة شؤونها وسائل تقنية معينة في مجال التخطيط والانتاج والتوسع لكن هل يمكن ان يقال – لذلك – ان هـذه الدول دول تقنية ؟ وهل يمكن ان يدعـي ان استعمـال الوسائل التقنية فيها قد كون لديها الخميرة العقليـة الكافية التي تجعلها قادرة على خلق تقاليد تقنية اصيلة تنطلق منها انطلاقا رائدا في معالجة قضاياها الماديـة والانسانية المختلفة ؟

لا شك ان مجرد الاقتباس السطحي من التقنيـات المعاصرة ، لن ييسر للاقطـار النامية ، السبيـل الذي تبتغيه نحو حياة تقنية غنية واصيلة ، الا اذا كان الاقتباس مجرد مرحلة اولى ، نحو مرحل هذا المجال اغنـى واخصب ، وما ل كل ذلك – كما تقدم – يتوقف – في اسـاس جوهري – على نشـوء وتطور البيئـة العقليـة الصالحة للازدهار التقني هذه البيئـة التـي تضمن توافر الاطارات الحيوية المسيرة لعملية التقدم الضخمة في العالم الثالث

النقطة الثالثة التي تعرض في جملـة ما يعـرض للمراقب من نقائص وعقبات تعتور عملية الانماء بالبلاد الفتية هـذه النقطة ، تتمثل في نقص الاستثمـارات بما تسعه هذه الكلمة من مدلول واسع ، وانخفاض نسبـة الاستثمارات ببلدان العالم الثالث يسير سيرا طرديا مع استفحال التخلف وعواقبه بهـذه البلدان من الشـرق الاقصى الى جنـوب نصف الكـرة الغربـي (امريكـا الجنوبيـة والوسطـى) فحالـة التخلـف الاقتصادي والاجتماعي والعقلي لا يعقل ان تؤدي الى بعث دينامية اقتصاديـة على نحـو سليـم ومنتـج بحسب المقاييس العصرية ، فكيف تساعد حالة الركود الاقتصادي هذه على ايجاد الاستثمارات الكافية، وخلق البيئة الاقتصادية المستحثة

والاستهلاك في المجتمع ، والامكانيات والعوامل والقوى والارتباطات التي لها صلة بالامر ، مع الاعتماد في ذلك على الاحصائيات والتقديرات الدقيقة وتحديد المشاكل المحتملة ، والموارد والنفقات الممكنة لكن كل هذا كثيرا ما يتم بدقة ، ويستنفذ اغراضه بدقة اكثر داخل المجتمعات المتقدمة التي اعتادت على التخطيط طويلا ، واصبحت الحياة العامة فيها مطواعة له كانها تسير في نطاقه على حساب معلوم ، اما الامر في البيئات المتاخرة فيختلف ، فالموارد فيها ـ وان سهلت على الحصر والاستقصاء ـ فان الحاجيات في مثل هذه البيئات لا يكاد يوجد لها في بعض الاحيان ، ضابط صارم ويرجع ذلك الى عدة عوامل في طليعتها عامل التزايد السكاني الذي يتجاوز كثيرا من المخططات الموضوعية بدقة ولا يكاد يبقي على ما تحققه من تقدم وانماء ثم ان الاحصائيات المجراة تكتسي صبغة تقريبية في بعض الاحيان ، فلا تساعد على تقدير الامور بالدقة المتطلبة ، وتعتمد اكثرية الدول النامية في تقدير مواردها على ما تصدره من خامات وهذا باب من الموارد وان كان ذا قيمة عالية ليس قارا في مستواه ، اذ ان تصدير الخامات والاثمان المعطاة فيها تخضع لنزوات الاسواق العالمية ، والحالة المتقلبة للعرض والطلب ، اما السوق الداخلية فيعتمد الرواج فيها احيانا على بعض الاحوال المتقلبة كجودة المحصول الفلاحي ، او رداءته الامر الذي يجعل مهمة التخطيط في الاقطار النامية محفوفة بكثير من الاحتمالات ويتطلب ـ بسبب ذلك ـ مهارة اكثر من فائقة ، في وضع المخططات وذلك بصورة تضمن تلافي الاحتمالات السلبية والطوارىء والنوازل الاعتباطية والاغلاط المرتكبة اكثر ما يمكن على، ان ثمة عقبة اجل من كل ما سبق وتعاني منها اكثرية البلاد النامية في تنفيذ خططها لمحاربة التخلف ، انها نقص الاطارات وهي الظاهرة التي تكاد تكون عامة في مجموع اقطار العالم الثالث والنقص الموجود بهذا الشان ، هو نقص كمي وكيفي في نفس الوقت ، الا ان اخطر انواع النقص هذا هو النقص الكيفي لانه هو الذي يحول دون ضمان الفعالية الانتاجية اللازمة ويسبب في نفس الوقت ، نزيفا هائلا في مجال النفقات من الممكن تلافيه لو تتوافر الاطر ذات الكفاية العالية التي من شانها ان تومن كثيرا من التوفير في الوقت والجهود والنفقات . والاطر المسيرة لعمليات الانماء الاقتصادي لها في العادة مهمتان متداخلتان ، مهمة التخطيط للمشروعات، وتعيين ابعادها وسبلها ووسائلها ، والنتائج المنتظرة منها ودرجة تاثيرها في مجموع السياسة المتبعة في مجال الانماء ، ثم مهمة السهر على التنفيذ تنفيذ المخطط الموضوع ، وتسييره الى الهدف العملي المتوخى من وضعه ، وليس من الضروري دائما ان تنقسم الاطر بذلك الى قسمين : مفكرين ومنفذين،فقد يحدث كثيرا ان تتفادى حالة الانفصال هذه بين الاطر ولهذا تجد ان الخبراء والمهندسين المختصين كثيرا ما يتولون وضع الخطط للمشروعات ويسهرون على تنفيذها في عين المكان الامر الذي يوفر قدرا كبيرا من الانسجام والفعالية في التدبير والانجاز. لكن العقبة القائمة في هذا المجال بالنسبة للدول النامية هي ان المختصين القلائل الموجودين عندها قد تكون الكفاءة المتوفرة لديهم ذات قيمة نظرية اكثر مما هي عملية وليس ذلك بمستغرب اطلاقا بالكفاية العالية ، الجامعة بين الروح النظرية والعملية لا تتوافر غالبا ، الا في بيئة عقلية تسودها مثل هذه الروح حيث تتضافر المدرسة والجامعة والبيت وغير هذه المواطن ، على التاثير على الشخص وتكييف شخصيته ومهاراته على هذا الاساس ، اما في الاقطار النامية فقد الف الناس فيها قديما ان اصحاب النظريات لا يعملون وارباب العمل لا يبدعون وانما هم مقلدون وروتينيون ، ومن ثم فان الثورة العقلية التي تتطلبها عملية الانماء في البلدان النامية هي العمل على تحقيق هذا التزاوج الحيوي بين القيم العملية والنظرية عند المثقفين ، وتلك هي القاعدة التي تكفل تخرج عدد اكبر من الخبراء المحليين ذوي الكفاية العالية والمهنيين المختصين علميا ، لا عن طريق المعرفة والممارسة البسيطة ، هؤلاء الذين تتطلبهم ـ بالحاح ـ الحاجة الشديدة الى الاطر المسيرة لعمليات الانماء في العالم الثالث والتزاوج هذا يتحقق ـ عمليا ـ عن طريق ربط العملية التثقيفية في المدرسة بمتطلبات الحياة العصرية المعقدة ووصل التعليم الجامعي ـ كلما امكن ـ بحياة المصانع والاوراش والمختبرات والحقول والمناجم وغيرها من مصادر الانتاج سواء على مستوى القطاع العام او القطاع الخاص ايضا، وقبل ذلك وبعده: تطوير القيم الخاطئة ، التي تسود افكار الناس حول دور المتعلم في المجتمع

وطبيعي ان السياسة هي غير الاقتصاد فبقدر ما تقبل الحياة السياسية نتائج التقلبات المتلاحقة بقدر ما يفتقر الاقتصاد الى عامل الاستقرار ، والاستمرار ، والتناسق ، ولهذا فقد بدا الراي العام العالمي يميل اكثر فاكثر الى اشراك الامم المتحدة اشراكا اوسع في تنسيق سياسة المساعدة الدولية للعالم المتخلف ، على اعتبار ان هذه المنظمة تقوم بمثابة نقطة التقاء تتجمع فيها التناقضات بين مصالح الامم،فتعمل على تلطيف حدة هذه التناقضات كلما امكن،وازدياد تدخل الامم المتحدة هكذا في موضوع المساعدة الدولية ، يضمن الحصول على كثير من المزايا بهذا الصدد ، ومنها :

1) التقليل من اثار التقلبات المفاجئة على حالة المساعدة الدولية

2) ممارسة ضغط جماعي على الدول الغنية كي تقبل تحمل المزيد من المسؤوليات في مضمار تقديم المساعدة الى العالم المتخلف .

3) سن سياسة متناسقة لتقديم المساعدة والاستفادة منها ، وذلك في اطار شامل ينظر فيه الى مشاكل العالم المتخلف كوحدة منسجمة يمكن مواجهتها ضمن خطة متناسقة الاهداف ، متكاملة النتائج

وقد اقترحت الامم المتحدة ـ بهذا الشان ـ اقامة نظام استعلامات دولي يتولى توزيع العروض والطلبات حول الاستثمار المالية على من يعنيها امر ذلك من الدول، وتنظر الامم المتحدة الى عام 1970 باهتمام لان برنامج التطوير العالمي الذي تبناه المنتظم العام في جلسته السادسة عشرة يهدف الى زيادة الدخل الاجمالي للدول النامية بمعدل خمسة في المائة لكل سنة* الى ذلك التاريخ ، غير ان الوسائل المالية لتحقيق تطور عالمي من هذا القبيل لا يبدو انها مضمونة بصورة كافية ، لان تامين هذه الوسائل يتوقف على العمل بالمبدأ القاضي بان تخصص الدول الغنية جزءا يساوي 1 % من مدخولها القومي لعمليات الانماء في العالم الثالث ولا شك ان المضاعفات الخطيرة التي تخلقها حالة التخلف على مستوى العالم من شانها ان تدفع الامم المتحدة لمضاعفة مساعيها في هذا السبيل على انه ـ ولو فرضنا ان جميع الوسائل والاسباب قد تهيات لتحقيق برنامج تطور عالمي واسع على هذه الصورة فسيبقى هناك ـ كما ذكرنا في النقطة الخامسة من استعراض عوائق الانماء ـ ستبقى هناك ضرورة حيوية للتدخل في الحالة العقلية للسكان ومحاولة تكييف هذه العقلية تكييفا يتفق مع اهداف الانماء وما يفرضه من تبعات لا حد لها ، وقد نتوسع في تحليل هذه النقطة ـ لاهميتها ـ ضمن مقال مقبل بحول الله

سلا : المهدي البرجالي

لهـا على النشـاط ؟ ومن الجانـب الاخـر فان ضعف الاستثمار وضالة التوظيفات المالية من شانه ان يصيب مختلف القطاعات الاقتصادية بالركود فتنعكس اثار ذلك على الحياة الاقتصادية العامة ولا شـك ان المضاعفـات الاجتماعية الناشئة عن مثل هذا الامر ، مما لا يخفى على ذي بصيرة ، ان مسالة الاستثمار ـ كمسالة الاطر ـ من بين قضايا التخلف ، الاكثر حدة وخطر شان ، فهـي ترتبط بحالة النمو او التخلف ارتباطا صميميا كارتباط الظل بالجسم الذي يحدثه وتتصل بالحالة التي عليها التطور الاقتصادي واكثر منه التطور العقلي في حظيرة المجتمع ان قيمة مال في عالم متخلف هي نفس قيمة مال مساو له في عالم متقدم ، لكن نفس القدر من المال يكتسب من المجتمع المتقدم ، ديناميته وخصوبته وفعاليته فيصبح بذلك قوة دينامية خصبة فعالة . اما القدر المساوي له في العالم المتخلف فيصاب بما هو مصاب به هذا العالم، من عاهات ركود و « استنقاع » مزمنة فاذا به كذلك على ذات الدرجة من الركود و «الاستنقاع» ومثل هذه الحالة تؤدي في الغالب الى ما لين :

1) ضا لة حظوظ اي توسع اقتصادي طموح

2) تجمد التجارة الداخلية والخارجية في حدود ضيقة ، والنتيجة المحتملة لذلك هـي ان الفارق يبقـى ساسعا بين حجـم التوظيفات الماليـة الضئيلـة ، وبين المخططـات الموضوعـه ، ما بقي التخلف قائمـا في صورته المزمنة :

ويقودنا النظر في هذه النقطة الى النقطة الاخرى المشار اليهـا من قبل ، وهـي المتمثلـة « فيمـا يحيط بالمساعدة الدولية للاقطار النامية من ظروف متقلبة »

ان من اللامنطقية ان تطالب الدول النامية بايجاد الطاقة المالية الكافية لتمويـل مشاريعها ومخططاتهـا الانمائيـة المختلفـة لما ذا ؟ لسبـب بسيـط وهـو ان اقتصاديات هذه الدول قد احتكت اول ما احتكت بالتنظيم الاقتصادي والعصري في ظل التبعية للاستعمار التقليدي، وانفصالاتها عن هذه التبعية حديثة العهد فلا يتاتى لهـا دائما ـ والحالة هذه ـ انّ تتوفر لها الدواعي الفكرية والاقتصادية التي تجعـل نشـوء الاستثمارات الكبيـرة والمتنوعة فيها امرا سهلا ، وقد ادرك الملأ الدولي هذه الحقيقة ، غداة قيام الاستقلالات الحديثة في اسيا وافريقيا، فكان من ذلك نظام المساعدة الدولية كما نعرفها اليوم وهي تنقسم الى قسمين : المساعدة التـي تقدمها دولـة لاخرى ضمن اطار ثنائي بينهما ، ثم المساعـدة العامـة التي تشرف عليها الامـم المتحـدة بواسطة منظماتهـ المختصة للصحة والتغذية والثقافة والعمـل وغيرها . وتقوم المساعدة الدولية في عمومها على منـح قروض وتسهيلات ماليـة ، وارسال خبـراء واستقبـال بعثـات للتدريب الى غير ذلك ، والواقع ان ما تقدمـه الدول الكبرى بهذا النشان (خارج اطار الامم المتحدة) لـه اهمية لا تنكر ، وفي احدث تقرير نشرته الامم المتحدة بهذا النشان ذكر ان حجم المساعدة التي قدمتها الدول الغربية خلال سنة 1964 يبلغ نحو 200 مليار و 800 مليون جنيه استرلينيّ ، وان المساعدات الروسية والسيوعيـة عموما ، قد وصلت الى نحو 80 مليون جنيه استرلينـي ، هذا فضلا عما استفادته الاقطار النامية من نساط بعض الهيئات المالية الغربية ، وقد بلغ مجمل ما دره هـذا النساط 27 في المائـة من حجـم المساعـدة الغربيـة الاجمالية للعالم الثالـث الا ان المساعـدة الدوليـه الخاصة من هذا النوع تصبـح ـ في بعض الاحيـان ـ عرضة للتاثر بالظروف الدولية المتقلبة ، التي لا تعرف الاستقرار ، ومن عوامل التقلب هذه : نسوء خلاف ما بين الدولة المقدمة للمساعدة ، والدولة المتلقية للمساعدة. اما حول شروط المساعدة نفسها ، واما حول المقابـل المطلوب من ورائها ، واما لاعتقاد الدوله المعنيـه ان مصالحها في اراضي الدولة المعانة قد تعرضت لسوء ما في شكل تاميم او تقنين استفادة ، او تحديد اجل تصفية او وضع شروط جديدة لاستمـرار هذه المصالح ، او غيـر ذلك من النوازل التي من هذا المعنى وقد تكون مـرد الخـلاف سياسيا فقط ولكن اثاره تنعكـس على ميدان التعامل في المواضيع الاقتصادية وغيرها وربما لا يوجد في بعض الاحيان ـ سبب من الاسباب سالفة الذكر يدعو الى نسوء خلاف بيد ان الدولة المعينة قد تصاب هـي نفسها بضائقة اقتصادية او تحدث لها مصاعب سياسيـة داخلية او ترتبط بعلاقات اقتصادية او سياسية جديدة ، تتناقض مع استمرار تقديمها الاعانة للدول التي كانت تقدم اليها الاعانة فيكون كل ذلك او بعضه ، داعيـا للدولة المعينة كي تعدل من حجـم المساعـدة التـي تقدمها او تعدل عن تقديـم هذه المساعـدة بالمـرة ،

ان شيخنا فخور بمحتده ، مدرك لما فى مهنته من نفع اكيد شامل ، اليس هو الذي يوفر الراحة لعظماء هذا العالم ولعيالهم ولضيوفهم ؟ كيف يستطيع الناس سبيلا الى النوم لو انه لا ينجد لهم الفراش ؟ وغني عن البيان أنه لا ينجد الا الفراش الوثير المريح ! الفارق جلي ظاهر بين عمل وعمل ، وبين فن وفن . لقد استحدثت اشياء كثيرة .. ولكن الناس سرعان ما سيعودون الى الفراش القديمة ، بعد أن يظهر لهم ما فى « الرسورات » من اساءة الى صحة الجسم وراحته . واذا كان اجدادنا لم يستعملوا فراش « شركة سيمونز » فلانهم عرفوا كيف يميزون بين المتعب والمريح النافع والضار .

ما اجملها مهنة ، مهنة المنجد !.. لذلك يعمل الشيخ جهده ليجعل من ابنه منجدا حاذقا ماهرا ، وليصبح ابنه « معلما » نظير والده ، حال بلوغه فترة نضج العمر عندما تستقيم له الحكمة والدراية ، أي بعد مرور ثلاثين سنة ... ولابد من حدوث ذلك بعون الله القدير ومؤازرة اولياء الله ذوى الفضل والبركة ، ومن الاكيد ان يكون الناس قد ادركوا فى ذلك الوقت ، كل ما فى فراش « سيمونز » من خلل واعتوار وأضرار .

❋

وبينما الشيخ يسبح فى تأملاته تلك ، كان ابنه الى جانبه ينظر فى صمت . شتان ما بين الولد ووالده من حيث النظر الى الاشياء والامور . اعتمد الابن نظما ومبادىء تتنافى مع كل ما اخذ باهتمام والده . ولكنه لن يزيح ثقل النير الابوي عن كاهله الا بعد أن يبلغ سن الرشد . انه الآن فى عامه العشرين . سيشق طريقه فى الحياة على ضوء واقع البيئة التي يعيش فيها . ثم اذا كان لا يقص شعر راسه ، نظير ما يفعله والده ، واستعاض عن الجلابة بالسربال فذلك ليبتعد عن التشبه بالقدامى ، أو بنصف القدامى مثل اخويه البكر والاوسط . وليقوي من مدى تحرره وتفوقه ، عمد الى وضع النظارتين السوداوين على عينيه ، والى تأبط المحفظة النظيفة اللماعة . وعندما كانت تتزاحم براسه هذه الافكار ارتفعت يسراه الى النظارتين تثبتهما وتنحدر عيناه الى المحفظة اللماعة بنظرة اعتزاز .

وتذهب به أفكاره ، فيقول فى سره :

— كم يثيرني ان ارى والدي يحول جاهدا بيني وبين متابعة الدروس ليجعل مني منجدا .

ويلتفت نحو والده يرشقه بنظرة ملؤها الحنق والحسرة والالم ، ثم يضيف مخاطبا نفسه :

— لقد حصلت على شهادة الدروس الابتدائية ، لكي اهيء لي عيشا افضل ومركزا يتناغم ومكانتي كمثقف . ان القضية تتعلق بمستقبلي أنا ، بحياتي أنا ، بذاتي انا ! « ايوا » ! ..

ان الولد يجهل حافز والده نحو تقديس مهنته ، مهنة عديمة المستقبل قد مثل فيها منذ زمن بعيد . زد على ذلك أن الناس لا يحترمون أصحاب الحرف ، وان الحرف ..

— ثم ما الذي يمنع شهادة الدروس الابتدائية من أن تفسح لي المجال الرحب لاصبح موظفا يشار اليه بالبنان ؟ وما رايك اخيرا بالبزة الخضراء ؟ مفتش فى الامن العام ! ...

وتصور المنجد الغر الصغير ذاته يصدر الاوامر فيطاع . فراى جنديا ماثلا أمامه يؤدي له التحية .

— ولماذا لا اصير قائدا او اعلى من قائد ، او بالاحرى احد الوزراء ؟ شرف ، مال ، سلطة ونفوذ ! ...

سيكون لي البيت الجميل المجاني ، ثم الطباخ ، والسيارة مع السائق . وما قولك بالضمانات ؟ والتعويضات المختلفة الكثيرة ؟ .. هيه ! ...

راح يتفحص الملفات فى مكتب وسيع مريح . وراى نفسه يتحكم بالهاتف كما يشاء ، وبالضغط على زر مكيف الهواء ، او ينادي الجنود والخدم .. ثم تنهد وقال فى نفسه :

— ذلك محال وصعب المنال ! .. فهل لمن يحمل مثلي شهادة الدروس الابتدائية حق فى رتب ووظائف ممتازة ؟ لقد قيل لي بأن هذه الوظائف من حق الذين لا يحملون الشهادات ! ... على كل حال هي وظائف تستهويني جدا ، ومن المعهود عندنا ان الشهادات لا تطلب الا من ذوي الوظائف البسيطة والرتب الخفيضة. اما للحصول على الوظيفة العالية فالمحسوبية تكفي ...

❋

شاب غني بأحلامه !

احلام جميلة يتخطى فيها الحاضر ليرى ذاته رجلا ذا مسؤولية فى مستقبل مضيء جليل . ولكن ، هيهات !.. انه لا يفتأ « الولد » و « الصغير » فى عين والده ، والحدث الطائش غير المسؤول أمام المجتمع والقانون .

قصة العدد

جيل الظما

« جيل الظما » رواية مغربية مجتمعية طويلة ذات عشرين فصلا ، ستصدر في لبنان قريبا عن المطبعة العصرية ببيروت للعميد محمد عزيز الحبابي .

والفصل الاول من هذه القصة يدور حواره بين الشاب ادريس الذي ينعم بمؤهلات ومواهب ، وقد رجع الى المغرب ، ويعيش في دنيا من الحيرة والارتباك والغموض لا يجد سبيلا الى الاختيار .. وبين فاطمة ذات الحركات التي تعكس تصرفها الطليق من كل قيد ، المنبثق من غنج وحيوية وانفلات ..

جاء في الفصل الاول من كلام ادريس :

« لكن ، مما يبعث على الفرح ، اننا نجد جمهرة من المثقفين الحقيقيين يستمدون قواهم وعزمهم من ثقتهم بالمستقبل ، يريدونه زاهي الجوانب صافي الافاق . هكذا ينقسم المثقفون الى فئتين ، الذين يبحثون في الثقافة عن قبس العمل المجدي ، وعن التقدم المثمر ، ثم الذين يبحثون في الثقافة عن طلاء يخفون وراءه نقصانهم .. ان صاحب الثقافة الحق ، خصم عنيد للدجالين والمشعوذين . فلكل شيء مقياس ومستوى : هناك الثقافة التي تبلغ مستوى الانسانية ، وهناك الثقافة التي تبقى عند مستوى الافراد لا غير .. »

ـ المجلة ـ

وجدت فاطمة ، وراء الباب ، شابا في مقتبل العمر وشيخا ذا وجه متغضن نحيل ، احتلت ثلثيه لحية مسترسلة بيضاء ، يلبس جلابة لفت جسده من الراس حتى آخر القدمين ، وغطت راسه عمامة اختفى تحتها قسم من جبينه البارز العريض . كان الشيخ يحمل على ظهره كيسا صغيرا .

لقد جند نفسه بشغف عظيم للاخلاص الى مهنته ، منذ صباه ، واستقام له الامر فاصبح منذ بلغ عامه الخمسين سيد نفسه ورب العمل المستأجر . هو الآن في عامه السبعين . وهل معنى ذلك انه في اوج العمر ؟ يقينا لا . الم يسمح الله لنوح بأن يعيش مآت ومآت من السنين؟ فالله قدير على كل شيء ، ولا حول ولا قوة الا بالله سبحانه وتعالى . اذن ، اصبح « معلما » في سن موافقة . ولكن حذقه ومهارته يبعثان على الدهشة . ففي (الرباط) كلها ، وحتى في (سلا) يلهج الناس كلهم باسمه ويتحدثون عن مهارته . أجل انه منجد اصيل . وراء الجلابة القطنية يخفق قلب « معلم » جبار عظيم ، معلم من سلالة جدود صناع ، مهرة حاذقين . ففي مقدوره ان يسميهم واحدا واحدا . كان هؤلاء الاجداد الافذاذ يعملون في قصر (فاس) الفخم . عند اصحاب الجلالة . رضي الله عنهم . آه على الماضي الجميل ! ..

— طفلتك انت !

— لا طفلة لي !

— آه ! حقا ، الطفلة التي ستولد ! ...

— ولكن ماذا ؟ هل سنهدر الوقت في جدال حول الاطفال ؟ ولمن ؟ ارجو المعذرة .. ماذا قلت ؟ السيدة ... لاجل .. الفراش .. الطفلة طفلة ؟ من الجائز انكما لـم تهتديا الى البيت الذي تريدان الذهاب اليه .

فاجاب الشيخ بصوت خشن مبحوح :

— هل تظننا من المشعوذين ؟ انني اعرف البيت ، واعرف كل المدينة ، بكل ازقتها ودروبها . استطيع أن اسمي لك كل زقاق وكل شارع كبير . فهذا الشارع تربطني به أواصر الفة راسخة الجذور . فانا اعرف عائلات الرباط النبلاء واحدة واحدة . والدك هو الحاج تدور بن الحاج احمد ، وقد تزوج ، للمرة الاولى ، بابنة الحاج عزوز بن الحاج محمد ورزق منها بولد . رباه !.. كم كانت رائعة فخمة العقيقة ! (آنذاك ، هز الشيخ راسه ، ورفع يده الى السماء) : الله ! ما أمتع تلك الايام وما اجملها! عهود من الازدهار والافراح! اماانتم، شباب اليوم ، فما نعمتم بشيء .

لاحظ الشاب أن والده لم يكف عن سرد ذكرياته فاسرع يؤاخذه :

— اتينا نصنع فراشا لا لنسمعك تحكي ذكريات ايامك الغابرة !

فرد الشيخ بامتعاض :

— الاجدر بك أن تخفض من صوتك ، ايها الطفل الغر ! في الماضي لم يكن الابناء يرفعون اصواتهم بمحضر الآباء ...

— اجل ، لكن الوالدين كذلك لم يكونوا يصيحون في وجه اولادهم !

— انت تسعى الى قلب النظام الطبيعي راسا على عقب . فاجيال تحتقر الشيوخ ولا تحترم الوالديـن والتقاليد ، لابد أن تجر علينا أوخم العواقب . فانتـم الذين تستنزلون على رؤوسنا لعنات من السماء والغضب، فالجنوب قد اجتاحه الجراد ! وكما ذكر لي شيخ وقور..

قاطعه الولد بعنف وحنـق :

— لا بأس ! قص على مسامعنا سيرة حياتك ! ان الوقت ملائم مناسـب !

واستدار نحو ادريـس :

— فلنعد الى موضوع فراش ابنتك ، ايها السيد .

فاجاب ادريس بلطف وادب :

— اية ابنة تعني؟ لم يقل احد حتى الآن ان لي ابنة!

— اظن ان زوجتك تنتظر ولادة طفلة ، وهي تود تحضير كل شيء من قبل .

فرد ادريس بحدة :

— افهم من حديثك ان زوجتي حامل ؟

— انت اعلم بذلك اولا واخيرا ، يا سيدي .

❋

ضاع من ادريس اتزانه العادي : ان ادريـس « الاستاذ الدكتور » كما نقول في المشرق ، أو العالم العلامة البحر ، كما نقول في المغرب ، قد استبدت بـه البلاهة ، ولم تفده ثقافته شيئا في تفهم الوضع وحله . أما الشيخ فلم يعرحديثهما الا بعض انتباهه، فقد شردت، عيناه على الكتب الجاثمة في رفوف المكتبة وعلى المقاعد الوثيرة وعلى الآلة الكاتبة الجديدة . وحالما وقع نظره على رسم الملك تمايل : اطال الله في حياة سيدنا . ثم انحنى للمرة الثانية ، وتمتمت شفتاه تستمطران بركات الله على صاحب الجلالة .

فقال له ابنه بصوت خفيف ساخر :

— صاحب الجلالة لا تهمه انحناءاتك . كان من الاجدر بك ان تتبع أوامره السديدة ونصائحه الرشيدة ، فتسمح لاولادك أن يتابعوا دروسهم ولبناتك أن يتحررن، كما تحررت الاميرات .

فاسرع الشيخ يخرس ابنه باشارة عريضة من يده ، وبعد أن صب عليه نظرات الازدراء ، التفت نحو ادريس :

— حالتك تذكرني بما حدث لحاج من اصدقائـي القدامى . حدث ذلك في عام التيفوئيد . ما زلت اتذكر ذلك لان تلك السنة كانت لها خيرات وبركات لشقيقي حفار القبور . حميره كلها، نعاجه كلها، وباختصار كل ثروته الغزيرة ، حتى زوجتاه اكتسبها في تلك السنة .. ولسوء الحظ لم يشرق الازدهار على اخوة شقيقي كلهم . لقد طالب الناس بحفر قبور كثيرة ، دون أن يطلب واحـد منهم صنع فراش واحد . واود ان تنتبه لما اقول ، كان اخي حفار القبور الوحيد الذي يلبي كل الطلبات : مهارته في حفر القبور ومؤازرة التيفوئيد اتاحت له زبائن كثيرين لا يحصون . كان يعمل بحزم في مقابر الرباط وسلا بسلطة مطلقة .

رغم ذلك ، قد يكفيه مرور سنتين حتى يقطع كل آصرة بينه وبين مهنة لا مستقبل لها . يريدون ارغامه على احترافها ، ليكونن جبارا على كل ما تواطأت عليه الاسرة فينتخب وحده ما يراه ملائما لرجل يحمل شهادة !

*

لمح الشيخ في الممر مخدة من جلد ، على مقربة من باب المكتب ، فاقترب منها . وبعد أن استجدى الاولياء والصالحين الخير والبركة ، رفع اردان الجلابة ، وقعد على الارض مرتفقا المخدة ومسندا ظهره الى الحائط فظهر من وراء فخذيه المشبكتين الضخمتين سروال منتفخ عريض مثل معزف يدوي عندما يتفتح . صدرت عن الشيخ اشارات غامضة سريعة ، ثم حرك يده ، واخذ يتمتم بالدعوات . وبعد لحظة انزل العمامة عن راسه ووضعها على ركبتيه اعتقادا منه أن مرور الهواء النقي على الراس يساعد على التنفس المنتظم . آه ! لقد فارقته خفة وقوة الماضي الماتع الجميل يوم كان في ريعان الشباب ! نظر الى ابنه نظرة ضمنها الاعجاب والغبطة . كانت مهنة المنجد ، في شبابه ، سبيل مجد وفخر ، لا تفوقها رفعة وقدرا الا رتبة الوزير، أو القاضي . وتوالت انامله تلامس خرزات السبحة بينما بقيت يمناه ترتفق مخدة الجلد وفخذاه مشتبكتان .

دمدم الولد بعد أن رمق والده شزرا ، هؤلاء الشيوخ ديدنهم اللامبالاة ! . وتمنى لو استطاع ان يقول لوالده رايه فيه !

انه يتميز غيظا ويتفجر حقدا على والده . الم يمنعه من متابعة دروسه ؟ انه الوالد الجهول الذي يعترض سبيل الابن المثقف في الوصول الى المجد والغنى ، والسلطة ، الى السبيل الموصل الى ابعد بعيد ، الى دنيا الجاه ، والمستقبل .

الشعور الانساني ، الثورة البناءة ، الطموح الشريف ، هذا ما يجهله والده تمام الجهل . حبذا لو شعر بوجود تلك المفاهيم ، على الاقل . قد تأكد وتثبت وجود عالمين مختلفين ، يتضادان ويجهل احدهما الآخر. مفهومان متباينان للعالم ، وصورتان متنافرتان متباعدتان للانسان : حياة مغلقة على ذاتها ، لا طموح فيها ولا جراة ، وحياة زاهية ، ملؤها الامل المشرق البسام . ولكن ، انى للوالد القانع بما هو عليه ، أن يفهم أو يتبين سأم وتحرقات ابنه ؟ وكم مرة صاح : يا فئات الشباب ! لو ادركتم مدى شرودكم لحسدتمونا ، نحن الشيوخ ، على ما ننعم به من هدوء وراحة بال ، وما ذلك الا من فضل الله ورضاه .

لولا ان فاطمة فتحت الباب لطال الوقت والمنجدان يسبحان ويهيمان في اجواء الخيالات والاحلام . انها ايقظت الفتى من حلم ورمت به في احضان حلم جديد .

الصبيحة مشمسة دافئة ، يتغلغل فيها مناخ معتدل مثقل برواء الربيع المغربي . اليس في خصب شباب الفتى ويناعة فاطمة ، وفي اشراقة الحياة ونضارتها ما يفسح المجال رحبا لدنيا الخيالات والاحلام ؟

اغرق المنجد الشاب نظره الازرق الرقيق في عيني فاطمة السوداوين ، وابتسم لها بتعلق ولطف ، ابتسم لاحلامه البعيدة ولاحلامه القريبة ، وانكشفت له الحياة فجأة تتماوج بشرا وسناء . طفحت ابتسامة الشاب في اغراء وعلا الدم الطليل في وجنتي فاطمة وارتاحت لمنظر وسحر شبابها الخضل . ان في انوثتها زهو الربيع واغتراره ، ومع ذلك فهي كثيرة الخفر والحياء ، دائمة التخوف والعزوف عن كل ما يشين الطهر والشرف . ليت الفتيات جميعهن يصمدن أمام زهوة الربيع وليت الشباب كلهم يعرفون كيف يحترمون الزهور والورود فلا يهدرون عطرها وشذاها !

*

اعتذرت فاطمة للمنجدين عن تأخر ادريس عن استقبالهما فورا فقد شغلته مكالمة هاتفية ، ثم ادخلتهما الى المكتب وغادرت المكان بعد ان اغلقت الباب وراءها . ولم يفتها أن تبتسم لهما ، قبل مغادرة البيت ، ابتسامة مقتضبة تزخر لطفا وغنجا .

تقدم ادريس من زائريه وحياهما :

— السلام عليكم ، اهلا وسهلا !

بعد أن خفض الزائران من راسيهما ، يردان التحية تقدم الولد بخطى ثابتة من ادريس ، وصافحه قائلا :

— عليك السلام ورحمة الله . ان زوجتك قد استقدمتنا لنصنع لها فراشا .

ادريس متعجبا :

— ولكن زوجتي لم تحدثني بذلك ابدا !
— الفراش الجديد سوف يكون ، كما تعلم لطفلتك الصغيرة .

— طفلتي الصغيرة ؟
— هوذلك يا سيدي .
— ولكن اية طفلة ؟

ابتسم الشيخ ، وسعل ثلاث مرات متواليـــة متلاحقة . من الممكن انه اراد بسعاله أن يلفت انتبــاه حدثيه الى ما سيقوله ، او ان دخان الغليون هو الذي سبب له السعال الحاد . رن صوته بلهجة حوت الكثير من الرصانة :

— هي الحقيقة ! نعم ، هي الحقيقة عينها . اريد ان تعلما ما حدث ، فى عهد السلطان مولاي عبد الحفيظ، تغمده الله ببركاته ورحمته ، انتما ، لم تكونا قد ولدتما بعد . فجدك الحاج تدور الذي رجع اذ ذاك من الحج منذ وقت قريب ، جدك الرجل المسكين رحمه الله ...

قاطع الابن اباه :

— الا تتركني اكمل حديثي !

(ثم الى ادريس) :

— اجل ، الصوف يا سيدي ، الصوف للفراش ، فراش ...

واردف الشيخ بقوة :

— لاجل الصوف !

فأجابه الشاب بصوت اشد حدة :

— كلا ! الفراش للصوف .. لا ! لا ! الصـــوف للفراش ، الفراش للطفلة .

اذ ذاك ضرب ادريس الطاولة بقبضة يده صائحا:

— لا وجود للطفلة !

— فقال الولد بصوت مائع :

— اذن طفل !

عاد ادريس يضرب الطاولة من جديد بقبضتـــه ولهجته ترتعد :

— كلا ! كلا ! ..

اردف الشيخ ، وهو يدفع سحب الدخان من فمه :

— حسنا ، فلنقل ولد ، فلربما تروق هذه اللفظة اكثر من لفظة طفل او طفلة .

— لا ، لا ! لا يروقني شيء !

ورد الشيخ محتفظا بهدوئه :

— اذن ، الصوف للفراش ، والفراش للاشيء ! وليدم مولانا على خاطره !

ضاق ادريس بكبت غضبه وانفعاله وضــاح فى وجههما :

— كفى حديثا ! ارجوكما !

فاحتج الشاب :

— على رسلك يا سيدي ! نحن ما قلنا شيئـــا يغيظك . فهل من العار ان نتحدث اليك عن اولادك ؟ ان تصبح والدا ، هل فى ذلك ما يشين ويزعج ؟

ثم قال لوالده :

— هيا نذهب !

❋

مشى الشيخ ذهابا وجيئة يحصد فىطريقه فوارات من دخان (الكيف) العفنية وسرعان ما اختلطت مــع رائحة الكتب المجلدة والجرائد ومع رائحة نسيم مايو . امتلات الغرفة بهذا المزيج ، مما اثار سعال ادريس .

استرسل الشيخ يدخن غير مبال بالآخرين ، ثم وقف عن السير ، وتسمر فى مكانه ملقيا نظرات ساخرة على ادريس ، ذلك الرجل المائع الذي لا يتحمل رائحة (الكيف) ثم استأنف مشيه باتجاه الباب ، رافعا ذراعيه نحو السماء ، ثم قال لولده مؤنبا :

— هكذا تمنع الناس عن الكلام ، مع أن اللـــه تبارك وتعالى قد وهبنا لسانا لنتكلم !

فتمتم الولد :

— على شرط ان نتحدث باقتصاد ولا نضخم الجو بالصيحات !

اكتفى الشيخ بأن نظر الى ابنه ببرودة واشفاق قبل ان يلتفت الى ادريس من جديد :

— انت تمنع الناس ان يشتغلوا ، رغم ان اللــه خلق الخروف ليعطي الصوف ، والصوف ليصنع منــه الفراش ، ولقد من الله علينا ، نحن المنجدين أن نصنع الفراش . ثم قال لابنه :

— كل ذلك يذكرني بما حدث ، بعد ولادتك ببرهة وجيزة . اسمع ! كان ... ذلك ..

ايه ! كان ذلك فى السنة التي سقط فيها الثلج على فاس ، سافرت لزيارة مولانا ادريس ، رضي الله عنه ، ولما رجعت الى الرباط وجدتهم قد اشتروا الخروف بعد اليوم الخامس من ميلادك . نعم ! حدث ...

— حدث ماذا ؟ هيا يا ابي ، لا اريدك ان تعــود القهقرى فى الماضي الغابر .

— واحسرتاه ! هؤلاء الاولاد ، أولاد هذه الايام لا يريدون سماع أحاديث شيوخ ، ولا يحبون الاصغاء الى اقوال الحكمة .

عيل صبر الشاب ولم يقو على كظم الغيظ ، فصاح :

— انك تجهل كل مراعاة لمقتضى الحال ولقيمة الوقت . أليس الوقت من ذهب ؟

أيجوز لك أن تتحدث عن الاموات وعن التيفوئيد في بيت يستعد لاستقبال مولود جديد ؟

قطع ادريس عليهما الكلام ليؤكد أنه لا وجود لاي مولود جديد في البيت ، وانه لا يؤمن بالوساوس والخيالات والخرافات . ولكن الشيخ تابع حديثه ساخرا من ولده ، آخذا عليه أنه رغم تعلمه في المدرسة مادة التاريخ التي تتحدث عن الحروب وفناء الالاف من البشر ، يمانع أباه في حكاية أخبار ، هي من التاريخ كذلك . أما هو ، فأي ضير عليه ؟ انه يحكي قصة شقيقه ... وهل يجوز للولد أن يلم ويحيط بسير الامراء والقادة الوثنيين ولا يجوز له أن يتعرف الى حياة أجداده الاتقياء الورعين ، ويجهل كل شيء عن ثروة عمه الواسعة ؟

... ثم تابع الشيخ الحديث كأنه يستثير ما بقي من زهيد الصبر في صدر سامعيه . واستطاع أن يفيض في وصف الازدهار العجيب الذي رافق التيفوئيد المباركة .

أسكته الولد بقحة بالغة :

— كلامك تافه فارغ ، لا يهم احدا ..

والتفت نحو ادريس وتابع :

— اننا لا نحب ضياع الوقت ياسيدي . هيا اعطنا الصوف الذي سنصنع منه فراش ابنتك .

— اية ابنة ؟

— اذن ، لنقل الابن !

— اي ابن ؟

— الطفل ، الطفلة ، الولد . كلهم يؤلفون عائلة واحدة . أنت تعلم جيدا أن فراش الطفلة ..

— لا ، يا سيدي ، انا لا اعلم شيئا .. الحقيقة ..

— عجبا . لقد اطلعتني زوجتك على ذلك مَنذ بضعة أيام !

فصرخ ادريس مذعورا قلقا :

— ماذا ؟ زوجتي ارتك ذلك ؟ افصح يا هذا ! منذ لحظات كنت تقول بأن البنت ستولد ، وها انت الان تقول انك رايتها !

— ماذا اصابك يا سيدي ؟ الحديث عن الصوف . صوف الفراش !

أضاف الشيخ :

— ثم ان الفراش للطفلة ، هل فهمت الآن ؟

❋

ارتمى ادريس على أقرب كرسي بجانبه ، واخرج من جيبه غيلونا وكيس تبغ وعلبة ثقاب . وبعد أن ركز نظارتيه على عينيه ، حشا الغليون بالتبغ ، واشعله وراح يتأمل تلافيف الدخان بنهم وشره ، وتردد قبل ان يقول معتذرا :

— اجل ... سأسأل زوجتي . اني سأحدثها عن ذلك .. فصاح الولد مستفسرا :

— عم ستتحدث اليها ؟

— عن قضية الطفلة !

— اية طفلة ؟

— طفلتي !

— ولكن ليست لك طفلة .

— انت قلت ان لي طفلة !

فأجاب الولد بفتور مصحوب بابتسامة باردة :

— قلت انك سترزق طفلة !

— ولم طفلة ؟

— سيكون لك اكثر من واحدة اذا اردت ، فأنا لا ارى مانعا في ذلك !

— الحق انني لا أريد شيئا .

— ولكن السيدة حرمك تريد صنع الفراش لابنتها هي ، ولو رفضت انت .

— لو كانت لها ابنة لكانت ابنتي في نفس الوقت .

— حسنا ، انها ابنتك انت !

— اكرر عليكما ، للمرة العاشرة ، ان ليست لي ابنة !

— المهم في الموضوع هو ان الفراش سيصنع لشخص ما ! طفلة منك ، أو من زوجتك او منكما معا ، اي انت وزوجتك !

— واذا رفضت أن تكون لي طفلة ؟

— فلنتل اذن طفل !

ادريس بشدة :

— لا فارق عندي بين طفل وطفلة !

— فليكن مولودا بلا تحديد !

— كيف ؟

— سوف تصبح ابا . انسيت انك زوج والدة الطفل المنتظر ؟

هنا سمع صراخ طفل يتعالى من اقصى البيت ، اقترب المنجدان من الباب ، وقد بدا عليهما الفرح ، مع شيء من الدهشة ، مركزا نظراتهما على ادريس ، وقد استحوذ عليه الذهول والشرود فصرخ الشيخ :

— انها هي ! انها هي !

سقطت منه علبة الدخان وراح يجمع التبغ الذي بعثر على الارض ، وصاح الشاب كأنه يردد صدى صراخ ابيه :

— انه هو ! انه هو !

اما ادريس فقد اخذ يتمتم مشدوها حائرا :

— من ؟ من ؟ ماذا حدث ؟

❋

تسمر ادريس في مكانه غارقا في بحر من الفراغ المذهل المروع ، فراغ العزلة والبعد ، أمام هذين الرجلين اللذين لا يفهمهما ولا يفهمانه .

ما هذا الصراخ ؟ ما هذا البكاء ؟ افكار متقلقلة لا قوة له على لم شعثها ، وتركيزها في نقطة واحدة . احس بجمود وانهيار يعصفان بكيانه . هواجس واوهام اقدار مجرمة سفاكة ! بكاء غريب في بيته ؟ ولكن هل سمع البكاء والصراخ حقا ؟ أم ان ما حدث لا يتعدى مجرد خيالات واحلام ؟ انه يشعر بأن روحه تتقهقر في داخله ، وفي اذنيه ولولة انهيار وضجيج دمار .

واخيرا سمع ادريس صوت الشيخ يتفجر فبوقظه من بلباله :

— انه يتظاهر بالبراءة . ويتلبس السذاجة ! لقد سمع صراخ الطفل في بيته ، ومع ذلك فهو لا يكف عن سؤالنا ، من ؟ ماذا ؟ يا للمزاح الصبياني ! انها ابنتك يا سيدي انها طفلتك انه ابنك أو طفلك . هو ولدك ، هي ولدك !

❋

من جديد انغمس ادريس في عالم الحالم اليقظ ذاهلا يغوص في أعماق اللامعقول. امام مثل هذا الحصار العبثي ، تضع الثقافة السلاح ويستسلم الفكر صاغرا ويبدأ التجول في الظلام حيث يتساوى المثقف بالامي ، والمبصر بالاعمى . لم تعد اجهزة ادريس الفيزيولوجية تتناغم مع وجدانه ، فحتى شفتاه اخذتا تتحركان دون تسيير من الارادة ، تتقذفان بعبارات غير واعية .

— لكن .. لا ! ليس لدي طفل ابدا . ولا طفلة ايضا.. لا .. ابدا ..

فعلق الولد ساخرا ، واكتسى صوته نبرات الواثق مما يقول :

— انه طفلك ! أو شيء شبيه به !

❋

يسمع البكاء والصراخ من جديد ، ويقترب ادريس من النافذة . يرهف السمع جهة الباب . لقد احاطت به غيوم دكن من الحيرة والشرود واغترف الشيخ الفرحة من تلميحاته الاخيرة ، ولبس ابراد النشوة بالظفر . اقتربت اسنانه الهرئة ترن ضحكة ساخرة هازئة . ثم اخذ يقول بحدة :

— واخيرا أراد الله تبارك وتعالى أن نلمس لمس اليد الدليل الناجز القاطع . اسمعت يا سيدي الفقيه ؟ من المؤكد أنك سمعت . ومع ذلك ظننت من السهل ان تلصق بنا صفة المشعوذين . اما الآن ، فها هو الطفل نفسه ، مثل ملاك سقط من السماء ، جاء يدعم هدفنا بالبرهان ، بصوته الملائكي العذب . المنة لله ولرسوله . لقد سمعت بأذني اليسرى ، لان اليمنى انتابها صمم منذ وقت سحيق بعيد (.. ثم الى ابنه) : حدث ذلك عندما ولد اخوك ، واحد من الثلاثة الاوائل ! آه : لقد مضت على ذلك اربعون ، أو بالاحرى خمسون سنة . حينذاك كان الحاج ...

امسك الشاب بذراع والده وجره الى خارج الغرفة .

❋

ردد ادريس وعيناه ما زالتا عالقتين على الباب الداخلي ، وقد اصفر لونه ، وكل اشاراته تشبه حركات النائم المتجول :

— امام ما حدث ما زلت على جهل مطبق مرير . الشرود والتردد يستبدان بي بقسوة .

مشى الى النافذة بخطوات متثاقلة والتهم نظره الحزين المتلجلج الرباط كلها . خصوصا الرباط الجديدة . ولكن نظره لا يستقر على شيء ، ولا يبحث عن شيء . الشيء الذي يهتم له ادريس هو ان يحيط بما يعتمل في داخله . ولكن هل لديه القوة الكافية لسبر اغواره وتفهم ذاته ؟ انه يتطلع ولا يرى شيئا ، ويخفض راسه ويحلم دون ان يدري بماذا يحلم . ضميره متشنج متخدر . لابد ان دوارا كثيفامترجرجا مثل الضباب يغلفه. الخور يدب في جسمه ، والفراغ يعوي في راسه . حبذا لو استطاع

هنا تململ ادريس فوق كرسيه وقال بلهجة من يصطنع الود والابتسام ، وهو ينتصب قائما ببطء :

— اني ارثي لكما يا سيدي . من الاكيد انكما ضللتما الطريق الى البيت الذي تبغيان الذهاب اليه لصنع الفراش .

فأجاب الولد على الفور :

— لا يا سيدي ، ان العتران مسجل بدفتري ، لا خطأ فيه .

❋

عاد الشيخ الى داخل المكتب ، وجلس على اريكة مشبكا فخذيه ، ثم اخرج من الكيس سبحة كبيرة وقال ، وهو يؤرجح رأسه :

— أجل ، بكل تأكيد ، ان صاحبنا يرفض أن تكون له طفلة .

— كلا يا شيخ ! انا لا أريد شيئا ، ولا ارفض شيئا.
فأجاب الولد :

— الا يعني الاصرار على عدم الرفض وعدم القبول انك لا تفصح عن رغبتك ؟
هل تريد صنع فراش الطفلة ؟
وسأل الاب بدوره :

— واذا لم يرد طفلة ؟

— يصنع الفراش لطفل !

— واذا لم يرد ، لا طفل ولا طفلة ؟ ولكن فقط ... فلنقل ولدا ؟

— جيد ! جيد .. ولكن الطفل او الطفلة كليهما يدعيان ولدا !

بدا ادريس يتثاءب ويتحرك ، معبرا عن سأمه وضجره . فما كان الشيخ الا ان تابع جداله مع ولده . وقال بعد ان نفخ في غليونه لينظفه مما علق به :

— اعتمد المنطق ولو قليلا ! ان جيل هذه الايام يشكو ضعفا في العقل وغباوة في التفكير . سيدنا الفقيه لا يريد طفلة ! هل سمعت ؟ لا يريد ، انه أراد الا يريد طفلة .

فارتجف صوت ادريس غضبا :

— ولا اريد طفلا ايضا !

فأجاب الشيخ بنبرات ثقيلة :

— اذن تريد ولدا وكفى !

— ...

— ماذا تريد اذن ؟ فراشا !

— قلت لكما لا أريد فراشا !

حينذاك نفذ صبر الولد :

— ولكن حرمك تريد فراشا ، وذلك يعني انها تريد ولدا ، من الله !..

— انا أرفض كل شيء . الست رب البيت وسيد حرتي ؟

— لا تنس أن للسيدة كلمتها في الموضوع !

— ليست القضية قضية اقوال وكلمات ، بل قبل كل شيء ، قضية ولد . النساء يلتزمن الطاعة لازواجهن وعلى الزوجة ان تخبر زوجها قبل ان تحبل وتلد .

❋

من سخرية الصدف أن يكون الشيخ حاضرا في حوار الاطرش مع الابكم . القضية بالنسبة له واضحة :

— الله هو الذي يقوم بالخلق والابداع . كل هذه الامور تصدر عنه وتتعلق به كما كان يقول جدي ...

يا للشيخ المسكين ! الحظ يخونه . انه موضوع سخرية ، خصوصا لولده . وأكثر من ذلك انه يقاطعه ! آه ! شباب اليوم !
أمر الولد أباه بالذهاب الى حال سبيلهما .
فأجاب الشيخ :

— اخيرا سنذهب . ولكني سأنتهي الى الاعتقاد بأن السيد لا يريد ان يكون له أولاد .
لف سبحته حول رقبته ، واخرج كيس الدخان ، ثم تابع كلامه ، دون أن ينتبه الى الآخرين :
— انا ، عندما وهبني الله تبارك وتعالى هذا الولد (مشيرا الى ابنه) هو الولد الثالث عشر ، أو الرابع عشر من بين اخوته واخواته ، لم اعد اذكر بالتأكيد . عندما نفحني الله بهذا الولد ، قبلت عطية الخالق جل شأنه واذعنت لمشيئته . افعل انت أيضا كما فعلت أنا . اتركنا نصنع لك الفراش لتبرهن انك لا ترفض هبة الله. (وتابع بعد صمت وجيز) : يا ابنائي . اصغوا الى اقوال من هم اكبر سنا وأكثر حكمة فارشاداتهم كنوز هذا العالم .

أنباء ثقافية

* ستصدر قريبا للاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون الكتب الاتية : « لوحات شعرية » « العصف والريحان » « ديوان ابن زاكور » مع دراسة عنه.

* صدر عن المكتب الدائم للتعريب بالرباط الجزء الاول من المعجم القانوني والفقهي محتويا على ازيد من 350 صفحة لحرف الالف والباء فقط، مرتبا حسب الحروف الابجدية العربية ، وسيوزع هذا الجزء مجانا فى العالم العربي .

* زار المغرب اخيرا وزير التربية الوطنية فى الجمهورية التونسية الاستاذ محمد المسعدي . وقد حظي الوزير التونسي بمقابلة صاحب الجلالة ، وقام بزيارة المنشئات الثقافية فى كل من الرباط ، ومراكش ، والبيضاء ، وفاس ، كما حضر حفلات عيد الشباب .

* كانت جمعية اصدقاء المعتمد بشفشاون ، قد نظمت فى صيف السنة الماضية « مهرجان الشعر الاول ».

وكانت قد تعهدت باحيائه كل سنة ووفاء منها بهذا التعهد تعلن الى جمهور الادباء انها ستعد لاقامة « مهرجان الشعر الثاني » طيلة ايام 1-2-3 من سبتمبر المقبل .

وستعمل الجمعية جاهدة على طبع البحوث والقصائد التي ستلقى فى المهرجان هدفها من ذلك ان تساهم فى سد الفراغ الادبي الذي يحسه كل قارىء فى بلادنا .

والجمعية تهيب بالشعراء والنقاد ان يساعدوها على ابراز هذا الحدث الادبي الهام الى الوجود .

* توجه نائب كاتب الدولة فى وزارة التربية والتعليم الاستاذ ناصر الفاسي على راس وفد مغربي الى جنيف للمشاركة فى اعمال الدورة الرابعة والعشرين لمؤتمر المكتب الدولي للتربية التي عقدت ما بين 7و16 من يوليو الماضي . ويتضمن جدول اعمال هذه الدورة عدة قضايا بينها تنظيم البحث البيداغوجي وتقرير حول النشاط التربوي فى المغرب سنة 65-1966 .

* تم مؤخرا نقل رفات الامير عبد القادر الجزائري من سوريا الى الجزائر ، حيث اعيد دفنه فى مقبرة العالية ، وذلك فى حفل رهيب ، شارك فيه كثير من الوفود .

* اقام اتحاد كتاب المغرب العربي حفلا بمناسبة توزيع الجوائز على الشعراء الفائزين فى مسابقة الشعر لهذه السنة . وذلك يوم الثلاثاء سابع يونيه .

* تنظم المكتبة الامريكية فى كل من الرباط وطنجة ، وفاس ، والدار البيضاء ، مسابقة ادبية لتكملة قصة مارك توين « غرام فى القرون الوسطى » وقد رصدت للمسابقة ست جوائز .

الشرط ان يكون المشترك عضوا فى المكتبة الامريكية ، وعلمنا ان لجنة من اعضاء اتحاد كتاب المغرب سيوكل اليها بحث الكلمات .

* الاستاذ ابراهيم الكتاني ، عثر اثناء رحلته للجزائر على مخطوطات عربية نادرة فى المكتبات الخاصة بالصحراء ، ومن بينها مخطوط مغربي هام هو المجلد الاول من كتاب « منهاج الرسوخ الى علم الناسخ والمنسوخ » من تصنيف الفقيه ابي العباس احمد بن محمد بن احمد ابي عزفه اللخمي السبتي. وهو مجلد فريد له ولم يسمع به من قبل .

الى البكاء سبيلا . شهوة الى ذرف الدموع تتآكله . شهوة الى دموع مهدئة ، « ما هو سر الطفلة؟ ما سر الصوف؟ زوجتي ترى فى المنام اننا رزقنا بابن ، ويأتي المنجدان ليصنعا فراشا ، الاهي ! في أي عالم أنا ؟

مولود ! طفلة ! طفل ! ابنها ؟ ابني ؟ ابننا ؟ ابن من ؟ » .

*

رفع ادريس رأسه ونظر من جديد فى الفراغ ... المدينة بيضاء ناصعة ، مثل حجرة الجراحة فى مستشفى، مثل المغربيات وقد تسربلن ثياب الحداد ، مثل الكفن . مدينة مغناجة لا شبيه لها الا بلدة أغادير . انه لمهندس عبقري فذ ، تمرس بالتساوق والتناغم ، ذلك الذي صمم وخطط الرباط الحديثة ولكن الرباط تنفح ادريس فى هذه اللحظات بالمشهد العاتم الحزين .

من هو هذا المولود ، ما جنسه ؟
هل هو أسود أم ابيض .
ما أتى يفعل هنا ؟
نعم ، هنا ، ماذا أتى يفعل ؟
من جاء به الى هنا ؟
هل هناك من يتردد على البيت ؟ قسما ..

*

طفل !

انه يمثل الحياة ورمزها ، انه حياة الالغاز . ان الطفل ، اي طفل ، كل تائم بذاته ، وهو فى الوقت نفسه لا شيء بدون الآخرين . هنا نحس بغلاظة لغز الانسان وكثافته . وان اللغز يمر منا ، وخارجا عنا ، يمر فى كل شيء ولا يوجد لغز . وسره فى اي مكان اذ ذاك هو لغز كل لغز وسره الدائم اننا مجبرون على ملاحقته ، فى بحث ابدي مأساوي .

الرباط ــ محمد عزيز الحبابي

* فى ندوة تليفزيونية بالقاهرة هاجم طـــه حسـين «عبقريات» العقـاد ، ذاكرا انه لم يفهمها .

* ترجم الى العربية ديوان الشاعرة التشيلية ستـرال التـي نالت جائزة نوبل للاداب .

* يصدر تحقيق نادر للدكتور ممدوح حقـي بعنوان ــ المقولات العشر ــ وهذا الكتاب يحوي آخر ما وصلت اليه الفلسفة الاسلامية فى المنطق الصوري. وهذا المخطوط هو النسخـة الوحيدة فى العالـم . وقد حقق الدكتور حقي هذا الكتاب وشرحه ووضع مقدمته . كما سيصـدر للمؤلف كتاب ــ الفـــن الاسلامي مصورا وملونا ، وهو مترجم عن الانجليزية وهناك كتاب آخر سيصدر للدكتور حقي قريبـا بعنوان ــ الاسلام واصـول الحكـم ــ لمؤلفه علي عبد الرزاق .

* ينعقد المؤتمر الثاني لاتحاد الجامعيات العرب فى سبتمبـر القـادم بالقاهـرة .

* صدرت فى الجمهورية العربية المتحدة الكتب التاليــة :

«مساجد القاهرة ومدارسهـا » الجزء الاول « العصر الفاطمي » للدكتور احمد فكري «قنطـرة الذي كفـر » قصة مصريـة باللغة العامية عن ثورة 1919 للدكتور مصطفى مشرفة « على هامـــش الغفران » للدكتور لويس عوض «كن قويا » تربيـة بدنية ، لاسكندر قرالي . « اللغة والنحو بين القديم والحديث » لعباس حسن حسن « الاشرف قانصوه الغوري » للدكتور محمود رزق سليم « نار ورماد » مجموعة قصص ليوسف جوهـر ، « الخلود فى التراث الثقافي المصري » للدكتور سيد عويس «ذكريـات من عالم المحاماة » للمستشار تادس ميخائيل تادرس «الفتى مهران» مسرحيـة من الشعر الحديث لعبد الرحمن الشرقاوي «عبقرية الامام» طبعة جديـدة لعباس محمود العقـاد « علم النفس فى حياتنـــا اليومية » طبعة خامسة للدكتور محمد عثمـــان نجاتي « الف ليلة وليلة » دراسة للدكتور سهيـــر القلماوي «القصة فى الادب الانجليزي » من بيودلف حتى فينجانزويك للدكتور طه محمود طه « علـم الاجتماع ومدارسـه » الكتاب الاول « تاريخ التفكيـر الاجتماعي وتطوره » للدكتور مصطفى الخشـــاب «تاريخ الحضارة الاسلاميـة » للمستشـــرق ف. بارتولد ترجمة حمزة طاهر .«رمز الطفل » دراســة فى ادب المازنـي » للدكتور مصطفى ناصف «اوراق الفجر » ديوان لفتحي سعيـد « بدلا من الكـذب » ديوان لمحمد السمسية «زجل» لحسيـن طنطـاوي « الاصبع والزنـاد » مجموعة قصص لمحمد كمال « دراسات فى الحب » ليوسف الشاروني « بـــلا نهايـة » مجموعة قصص لفتحي الابيـاري «عندما نحب » ديوان لمحمد الجيار «موعد مع الفجـــر » ديـوان لعبد القـادر حميـدة » دراسات فى الادب المعاصر »لفاروق متيب«المحاولة الاولى»قصة لعفاف العروسي «محمد رسول الله» لاحمد تيمور «مقالات فى النقـد الادبـي » للدكتور محمد مصطفى هدارة ، « الطوفان والمدينـة السمراء » «ديوان» لكامل ايوب رفاعـة الطهطاوي «محمد تيمور : حياته وادبه » لعبـاس خضـــر .

* فقدت دمشق ابنها البار المجاهد الوطنـي الكبير فخري البارودي وهو نائب سابق عن مدينة دمشق ، عمل فى خدمة القضايا العربية فى سوريـة خلال الاحتلال الفرنسي لها ، وكان من رجـال الثورة . كانت داره منتدى لاهل الفــن والادب والسياسة ، ولا تذكر دمشق الا ويذكر فخـــري البارودي وداره ومجالسه . وكان الفقيد يملـك نادرة عن الموسيقى الشرقية اهداها قبل وفاته بقليل الى المجمع العلمي العربي بدمشق .

* اقيـم على مدرج جامعة دمشق حفلة لاحياء ذكرى فقيدة الادب ماري عجمي اشترك فيه الادباء سماد نصير ، فؤاد الشايب ، وداد السكاكينـي ، الدكتور كاظم الدغستاني ، عفيفة صعب ، جان كميد، الاب مرقده ، رئيف خوري ، امين نخلة ، الدكتور جدعـون ، محاسب عن آل الفقيـدة .

* صدر عن مطبعـة الوطن العربي بحلب رواية «المحمومون» تاليف محمد الرائد وتقـع فى 320 صفحة من الحجم الكبيـر .

* المؤتمـر العالمـي للآثار سينعقد بدمشـق فى سنـة 1968 .

* قدم السيد الحسن المنيعي للمطبعة مجموعة مسرحيات قصيرة ، مترجمة عن بعض كتاب البعث . وقد قدم لها مؤلفها بموضوع يتعلق بمسرح اللامعقول .

* اصدرت مجلة الفكر التونسية عددها الاخير في موضوع الاسلام في عصرنا .

* نشرت في تونس قريبا مذكرات ابي القاسم الشابي مشتملة على خواطره التي كان يكتبها في رسائل الى حبيبته والى صديقه الشاعر محمد الحليوي .

* اكتشفت في تيبازا في الجزائر مقبرة قرطاجنة تضم قبورا يعود تاريخها الى ما بين القرن الخامس والقرن الثاني قبل المسيح . وهذه القبور نادرة الوجود ، بسبب التدمير الواسع الذي فعلتهم الرومان بعد هزيمتهم في قرطاجة ، والقبور محفورة في صخور احدى التلال ومغطاة باحجار رملية كبيرة الحجم .

* ارباب الارض « آخر كتاب الفه جبران خليل جبران » انتهى الدكتور ثروت عكاشة من ترجمته الى العربية وسيصدر قريبا بالقاهرة .

* عن « الخلود في التراث الثقافي المصري » اسم كتاب اصدره الدكتور سيد عويس الخبير الاول في مركز البحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة مؤلفا جديدا . كما نشر كتابه الثاني «ملامح المجتمع المصري المعاصر » .

* اصبحت ضياء ابو غازي ابنة شقيقة مثال مصر محمود مختار اول مصرية تحمل دكتوراه في الآثار المصرية القديمة . حصلت ضياء « 36 سنة » على الدكتوراة من جامعة القاهرة عن رسالة موضوعها « رع الدولة القديمة » .

* « فريد وجدي «دراسة جديدة لانور الجندي في سلسلة اعلام العرب بالقاهرة تصدر قريبا .

* سعاد حندوسة مدرسة اللغة الفرنسية بالجامعة الازهرية ، فازت رسالتها التي قدمتها امام جامعة القاهرة عن « منترلان : مؤلف مسرحي » وقد نالت عليها درجة الامتياز .

* «شيء من الخوف » قصة ثروة اباظه يترجمها الان مرسي سعد الدين الى الانجليزية .

* «مي زيادة » موضوع رسالة ماجستير قدمتها عايدة اديب طالبة الدراسات العليا في الجامعة الامريكية بالقاهرة .

* «الامة الانسانية » كتاب لاحمد حسين المحامي يصدر قريبا في القاهرة . الكتاب يكتشف عن دعوة الوحدة الانسانية التي حمل الدعاة الانسانيون .

* صلاح الدين الحنفي اصبح مديرا عاما لدار الكتب والوثائق بالقاهرة . عبد المنعم عمر المدير السابق اصبح وكيلا في وزارة الثقافة . وكانا يعملان معا في دار الكتب منذ 37 سنة .

* «الاسلام والثقافة العربية » حلقة جديدة من الموسوعة الثقافية التي يقدمها في القاهرة انور الجندي ، وقد بداها بعد انتهاء موسوعة الادب ، ويضم هذا الكتاب جميع القضايا التي تناولها كتاب الغرب ، بالنسبة للتاريخ ، والدين ، واللغة ، والتراث في الفكر العربي المعاصر .

* تقوم دار المعارف بمصر باعادة طبع كتاب « ادب المهجر » للاديب الاردني عيسى الناعوري بعد ان نفدت طبعته الاولى .

* عبد الحليم عبد الله اعد للطبع في القاهرة عاشر رواية طويلة له اسمها « البيت الصامت » وهي اول رواية له تدور حوادثها في المدينة . رواياته السابقة كانت في الريف .

* سيصدر قريبا في القاهرة كتاب للمرحوم زكي مبارك بعنوان « جناية احمد امين على الادب العربي » وينتظر ان يثير صدور هذا الكتاب ضجة في الاوساط الادبية العربية .

* قريبا يصدر ديوان الشاعر عبد الرحمن الشرقاوي بعنوان « الديوان الاول » .

* اصدرت مديرية الفنون ببغداد كتاب « الصناعات والحرف البغدادية » للشيخ جلال الحنفي ويقع في 235 صفحة .

* «دراسات في علم النفس » لرحام الكيال صدر في بغداد ويقع في 150 صفحة من الحجم الكبير .

* افتتح في معرض الواسطي ببغداد معرض الفنان سلمان البصري وقد ضم 27 لوحة زيتية .

* صدر في بغداد كتاب «الوطن العربي ، دراسة مركزة لتطوراته السياسية الحديثة » للدكتور حسن العطار ويقع في 336 صفحة من الحجم الكبير .

* « لن تراني الضفاف » ديوان الشهيد متني حمدان العزاوي يصدر قريبا في بغداد ويشرف على طبعة جليل العطيه .

* صدر في النجف بالعراق كتاب « مناقشات مع الدكتور مصطفى جواد » بحوث علمية في ابواب متنوعة من علوم اللغة العربية و«شرح مفصل لاملاء السيوطي» لرؤوف جمال الدين ويقع في 182 صفحة من الحجم الكبير .

* وضع الدكتور جلال الخياط رسالة عنوانها «تطور الشعر العراقي الحديث في القرن التاسع والعشرين » وهي الرسالة التي حصل بها على الدكتوراه من جامعة كمبردج .

* اسس عبد الله خياط رئيس تحرير جريدة «عكاظ» اول دار للنشر في السعودية تحت اسم «الدار السعودية للنشر » .

* تدرس وزارة الزراعة في السعودية مشروعا يقضي بانشاء مدرسة زراعية ثانوية وقد تكون مدينة الخرج مركزا لهذه المدرسة النموذجية .

* الاحصاءات التربوية للعام الدراسي 1964 — 1965 » كتاب صدر عن وزارة التربية والتعليم الاردنية عن قسم الاحصاء ويقع في 232 صفحة من الحجم الموسوعي .

* اخرج مسرح الحجرة في براغ مسرحية الكاتب الاشتراكي راي لولو باسم «صيف العروسة السابعة عشر » وهي دراسة اجتماعية ونقدية لحياة الناس البسطاء — والمسرحية واخراجها يبرزان حب الناس البسطاء الكامن للحياة ، وكذلك ايمانها بهؤلاء الناس ، وقد قابل جمهور براغ المسرحية بالترحيب — وفي المسرح الواقعي قدمت الكوميديا الانجليزية : نهاية الصورة ليترا وستنوف وقد برز من الممثلين لفتر تاوب الذي مثل دور البطل وهو في سن الثمانين .

* بلغ عدد مرات تقديم مسرحية هاملت في المسرح الوطني في براغ خلال السنوات الست الماضية 174 حفلة .

* في خلال العام الحالي ستصدر دار النشر تشكوسلوكنكي سبيسوفاتل 170 كتابا في اكثر من ثلاث ملايين نسخة . ومن بينها 50 كتابا من النثر « روايات وقصص ومقالات ادبية » و10 كتب من الشعر ومن بين الكتب التي ستنشر هذا العام كتاب لايرينا دوبسكا « السنة الامريكية » عن عن انطباعاتها خلال رحلتها الى الولايات المتحدة الامريكية . وهي اقرب الملاحظات والنقد منها الى الانطباعات التي اعتدنا قراءتها للسياح . كذلك سيصدر كتاب لرادوسلاف سلوفسكي تحت عنوان « الانسان ووقت الفراغ »

* قدم المسرح القومي في موسم 1965 — 1966 سبع مسرحيات هي : «موتى بلا قبور » لسارتر و«لكل حقيقة» للويجي بيراندلو» و«طرطوف» لموليير و «تلميذ الشيطان» لبرناردشو» و «البيت الصاخب» لوليد مدفعي «المتنافسون» لاحمد قنوع و«ازمة عصبية» لعبد اللطيف فتحي قامت فرقة المسرح باول رحلة لها خارج البلاد فقدمت مسرحية « طرطوف » في بيروت مدة اسبوع كامل بنجاح شهدت له الصحافة اللبنانية ونالت الفرقة تهنئة الحكومة السورية . كما قامت الفرقة بتقديم تمثيليات في بعض المحافظات . امتد الموسم 7 اشهر زاد عدد المتفرجين اكثر من 3 امثال ما كان عليه في الموسم الماضي ، وزادت مبيعات شباك التذاكر اكثر من 5 امثال ما كانت عليه .

* «ثورة المعتزل» كتاب جديد لغالي شكري عن توفيق الحكيم صدرت بعض الاجزاء منه فى مجلة « دراسات عربية » .

* «وداعا يا دمشق» مجموعة قصص للسيدة الفة الادلبي صدرت اخيرا بدمشق.

* وافقت لجنة القراءة فى « الكوميدي فرنسيز بالاجماع على قبول مسرحية الشاعر والكاتب المسرحي اللبناني جورج شحاده «مهاجر بريبان » وهي تقع فى 9 فصول . وهذه المسرحية مثلت لاول مرة فى ميونيخ سنة 1965 على مسرح «ريزيدانت» باللغة الالمانية وقد ترجمها ايفون وهرير ميير . والفرنسيون يعرفون جيدا الشاعر اللبناني جورج شحاده بعد ان قدمت مؤسسة مادلين رينو وجان لويس بارو مسرحيات «حكاية فاسكو » « والسفر » و « شهرة الامثال » على مسرحي سارة برنار وا الاوديون . ويعد من كبار شعراء فرنسا وهو مقيم فى بيروت .

* صدرت عن دار الادب فى بيروت مجموعة شعرية للشاعرة فدوى طوقان بعنوان «الباب المغلق» كما صدر عن نفس الدار « ديوان ابراهيم» وهو الديوان المفقود للشاعر الفلسطيني الراحل ابراهيم طوقان .

* «زورق من دم » مجموعة قصص صدرت فى بيروت الكاتب الفلسطيني يوسف شرور وتعالج هذه المجموعة غربة الفلسطيني التي يعانيها في شتى انحاء العالم .

* رفع نجيب محفوظ دعوى ضد احدى دور النشر بلبنان ، لانها نشرت روايته « الشحاذ » من غير اذن .

* نعت الهيئة العربية العليا لفلسطين المجاهد الحاج خالد الفرخ الذي توفي فى بيروت والفقيد افنى زهرة شبابه من اجل وطنه ، وتحمل فى هذا السبيل النفي والسجن والاضطهاد بصبر وجلد قل نظيرهما .

* ينتظر ان يصدر ثلاثة من الخبراء المعماريين حكمهم فى مسابقة عالمية لوضع مخططات جديدة لبناء مسجد فى وسط لندن . وهكذا قد يتم اخيرا بناء مسجد وسط لندن بعد ان بدأ التفكير فى سنة 1944 عندما وهب الملك جورج السادس قطعة ارض لهذه الغاية فى ريجنت بارك مقابل الارض التي تقوم عليها الان الكتدرائية الانجليكانية فى القاهرة وينتظر ان يفتح للمصلين فى غضون سنتين او ثلاث سنوات

* توفي فى لبنان الاديب المفكر الاستاذ لبيب الرياشي عن 75 سنة قضى فى لبنان حتى الثلاثين طالبا ومعلما ، ثم هاجر الى الارجنتين حيث امضى 20 سنة فى مزاولة الصحافة فحرر فى « الجريدة» السورية اللبنانية و«مجلة العرب » ثم استقل بجريدة خاصة باسم « القرن العشرين » وعندما عاد الى لبنان استقل فى دوق مكايل بجوار جونيه يؤلف الكتب ، ويحبر المقالات ، ويعلم فى عدد من المدارس الى ان اقعده عجز الشيخوخة منذ 5 سنوات من مؤلفاته المطبوعة « فلسفة الدين الاسلامي » «والجبابرة» « والنبوغ » والتعليم المغناطيسي .

* فى النادي الثقافي العربي ببيروت القيت فى الشهر الماضي المحاضرات التالية : «العرب بعد 50 سنة » ليوسف ابراهيم يزبك «صراعنا مع اسرائيل فى آسيا وافريقيا » للدكتور منذر غنتباوي «قرآت من شعر المقاومة الفلسطينيه فى الارض المحتلة » لغسان كنفاني « ضغط السكان فى البلدان العربية » للدكتور عصام عاشور .

* «مقالة فى العقل والنفس والروح » كتاب جديد تأليف ندرة اليازجي صدر فى دمشق عن دار اليقظة العربية ويقع فى 122 صفحة .

* صدر فى دمشق كتاب « الفن والادب » للويس هورتيك ترجمة الدكتور بدر الدين القاسم الاستاذ بكلية الاداب قسم اللغة الفرنسيه بجامعة دمشق .

* اصدرت دار اليقظة بدمشق كتاب «ذكرى العاقل وتنبيه الغافل » للامير عبد القادر الجزائري وقد حققه له الدكتور ممدوح حقي . كما صدر عن الدار كتاب « نقد العقل العملي» للفيلسوف الالماني « عمانويل كانت » ترجمة احمد الشيباني .

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

دعوة الحق

العدد التاسع والعاشر — السنة التاسعة — ربيع الاول والثاني 1386 يوليوز — غشت 1966

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

* شرع معهد الادب الروسي بطبع المجموعة الكاملة لمؤلفات دستويفسكي البالغة 30 جزءا . وتضم هذه الطبعة التي ستتم خلال سبع سنوات كل ما كتبه دستويفسكي اعتبارا من رواياته و «مذكرات كاتب» وتعتبر هذه الطبعة اول طبعة كاملة من مؤلفات الكاتب العبقري .

* يستخلص من الكتاب السنوي للامم المتحدة سنة 1965 ان مجموع سكان العالم يزيد على 32000 مليون نسمة ، وان هذا المجموع اخذ بالازدياد بمعدل سريع . وقال الاحصاء ان المعدل السنوي لزيادة السكان بين سنتي 60 و64 كان 8 بالمائة ، اي زيادة عشر واحد بالمائة على السنوات الاربع التابعة . ويبلغ عدد سكان الصين 690 مليون نسمة على الاقل . وتاتي بعده الهند 471 مليون نسمة ، ثم الاتحاد السوفييتي 227 مليون والولايات المتحدة 192 مليون ويبلغ عدد سكان آسيا 1783 مليون نسمة ، وافريقيا 203 ملايين، وامريكا الشمالية 211 مليون ، وامريكا اللاتينية 237 مليون واوربا 441 مليون نسمة .

* نشرت الامم المتحدة التقويم السنوي للاحصاءات سنة 1965 ويؤخذ منه ان كمية الصحف في انجلترا في آخر سنة 1964 تدل ان كل الف من السكان يقراون 523 نسخة من الصحف ، وفي السويد 505 نسخ لكل الف من السكان ، وفي اليابان 339 لكل الف ، وفي ايسلاندا 434 لكل الف وفي الليكسمبورغ 425 لكل الف ، وفي نيوزيلاندة 399 لكل الف ، وفي النرويج 387 لكل الف ، وفي سويسرا 835 لكل الف ، وفي النمسا 348 لكل الف ، وفي الدنمارك 344 لكل الف ، وفي المانيا الغربية 323 لكل الف ، وفي الولايات المتحدة 314 لكل الف ، وفي فرنسا 245 لكل الف .

وقد نشر الاتحاد السوفياتي في سنة 1964 من الكتب 204 78 منها : 765 8 في الادب و499 3 كتابا في العلوم . اما الولايات المتحدة فقد نشرت في نفس السنة 451 28 كتابا ونشرت فرنسا 579 3 كتابا ، والكتب الفلسفية وفلسفة علم النفس والكتب الدينية كانت في الولايات المتحدة اكثر منها في اي بلد آخر .

وكان الاتحاد السوفياتي في مقدمة الدول التي نشرت فيها الكتب المترجمة عن لغات اجنبية فقد نشرت فيها من الكتب المترجمة 336 4 كتابا وهذه الكتب مترجمة عن الانجليزية وهي اكبر نسبة 37٪ من المترجمات كانت بالانجليزية ثم الكتب باللغات الروسية 14٪ والكتب الالمانية 95 في المائة.

* تاسس اخيرا ببيرو بامريكا الجنوبية «معهد بيرو» للدراسات الاسلامية العليا تحت اشراف الاستاذ رفائيل كيفارا .

وينصب اهتمام هذا المعهد بصفة خاصة على احوال المغرب من الجانب الثقافي خلال القرنين 19 – 20

كما يهتم باعطاء محاضرات ونشرات عن المغرب خلال هذه الفترة ، ولكن تعوزه الوثائق والمستندات وهو يرجو ان نزوده وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بجميع ما يتعلق بالمطبوعات التي انجزتها .

* اهدى الاستاذ « عبد الهادي التازي » سفيرنا السابق في بغداد لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية شريطا كاملا لمخطوط كتاب « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد » لمؤلفه الامام الحافظ عمر ابن عبد البر القرطبي المتوفى سنة 463 هـ وقد كان عثر على ذلك الكتاب بالخزانة القادرية العامة ببغداد وقد طلب الينا ان نهدي الشكر للاشراف القادريين هناك وخاصة السيد بن يوسف وبرهان الدين كما طلب الينا ان نشيد بمساعدة الامانة العامة للمجمع العلمي العراقي التي كانت لا تدخر وسعا في ارضاء رغائبه .

كلمة العدد

رسالة مستمرة

بهذا العدد تكون مجلتنا قد أنهت سنتها التاسعة ، وسلخت من عمرها المبارك المثمر تسع سنوات ، قضتها في خدمة العلم والادب ، والعروبة والاسلام ، وأسهمت في بعث ثقافة قومية أصيلة ، أقامت الحجة القاطعة ، والدليل الناهض ، على أن الانتاج الادبي ، والحركة الفكرية في بلادنا ، لا تقل ، شأوا ، عن غيرها من البلدان الاخرى

فمنذ درجت دعوة الحق الى الوجود وهي مهتمة بتعميم الثقافة ، وتدعيم أسسها ، وتطعيم الادب ، وبكل ما يتصل بقضايا الفكر في هذه البلاد التي كانت تشكو العوز في جل الميادين .

فعالجت قضايا الفكر ، بالبحث والمقالة ، والقصة والشعر ، والدراسات النقدية ، لاقرار الحياة الفكرية على دعائم متينة ، وقواعد ثابتة وأصول منتجة ، كما ذللت جميع العقبات والاخاديد ، وهزمت كل قوة متعنتة كانت تقف أمامها ، وتعترض طريقها ، فخضدت شوكتها ، وتغلبت عليها بالصبر الجميل . ولعل الفضل في ذلك يرجع الى الايمان الصادق ، والنية الخالصة المومنة من المثقفين الواعين الذين محصهم العلم ، وضربوا في رحاب الفكر والادب بسهم وافر ، فآزرونا بالعون ، وآثرونا بالمساعدة والتشجيع ، وأمتعوا أمتهم بما الهموا ، ونفعوا بلادهم بما حبوا ، وفتحوا للجيل الصاعد المتطلع سبيل العلم الصحيح ، وطريق الحق الصريح ، وباب الخير المحض ، والخلق النجيح ، كما بددوا عن سمائنا تلك الوحشة الفكرية التي كنا نعانيها ، والنشاط الفاتر الذي يتسم ببطء التقدم ، وقلة الانتاج .

وهكذا استطاعت هذه المجلة ، في هذا الظرف الحافل الذي قضته من حياتها ، وبفضل الفئة المخلصة المومنة ، أن تركز الشخصية المغربية ، وتدعمها عن طريق ما ينشر على صفحاتها من أبحاث ودراسات ، واحياء للتراث الروحي والتاريخي والحضاري والفكري لبلادنا المغربية العربية المسلمة

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

التاسع
والعاشر
السنة التاسعة
ربيع الاول والثاني 1386
يوليوز غشت 1966
ثمن العدد
درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات ادارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حســاب :
مجله « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجـ للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

ملامح من حياة المسلمين

المسلمون أمام خطر التقاطع

للدكتور: شكري فيصل

من اين يبدأ المسلمين ومن اين يبدأ دواؤهم ؟

كان هذا هو السؤال الذي وجدته يدور به لساني وانا اقرا جملة من اخبار العالم الاسلامي الاليمة ، ولم يكن في وسعي ، في غمرة الاسى اللاهب ، ان اعرض طائفة من الاسباب في شيء من التسلسل وادراك الصلات، ولكني كنت اجدني دائما تحت وطأة الاحساس بان العالم الاسلامي لا يعاني شيئا كما يعاني خطر هذه الوشائج التي تتقطع فيما بينه فتقطع الطريق على الامل العريض بلقائه وتوحده

— 1 —

والحق ان ابرز ما يعين العالم الاسلامي فيه نفسه وما يتنقص فيه المسلمون انفسهم انما هو هذا الانقطاع الذي بينهم انقطاع فيما بين اوطانهم وبلادهم من نحو وتقاطع فيما بين اجيالهم المتتابعة في البلد الواحد من نحو اخر

فالمسلمون في المشرق الادنى لا يعرفون الا ما لا يمكن ان يجهل في هذا العصر من شؤون المسلمين في الشرق الاقصى بل انهم لا يعرفون من هذا القليل الذي لا يجهل الا ما يسمح لهم بمعرفته او يتسرب اليهم الشيء الذي تسمح به هذه القوى الخفية ــ الظاهرة التي تسيطر على الاوطان الاسلامية وعلى الفكر الاسلامي

والمسلمون على المتوسط الشرقي يجهلون الذين على المتوسط الغربي ودع عنك ما وراء ذلك من هؤلاء الذين يعيشون في قلب القارة الافريقية او حتى في سواحلها ان احداث نيجيريا الاخيرة وحدها وما يراد بالمسلمين فيها وما يفرض على القسم التمالي منها والضحايا التي اصبحت تعد بالمئات والالوف وجهل المسلمين ، حتى هنا ، بما يجري هناك وسكوتهم عنه ، اعني عجزهم حتى عن التاييد او الرفض ، كل ذلك من الدلائل الواضحة البينة التي لا يحتاج معها انسان الى دليل على انقطاع ما بين المسلمين

ولن اتحدث اليك عن الاقليات الاسلامية في بعض بلاد اوروبا ، ولا عن الجزر الاسلامية التي تتناثر في اجزاء القارتين اوروبا وامريكا لان شانها اقسى الشؤون وصلاتنا بها اضعف الصلات وجهلنا بها اقوى الجهل واشده دليلا على الانقطاع الذي اتحدث عنه

— 2 —

والمسلمون كذلك يعانون هذا التقاطع في البلد الواحد فيما بينهم فيما بين الجيل الواحد وفيما بين الاجيال المتعاقبة

1) فاما فيما بين الجيل الواحد فحسبك ان تعلم انه لم يعد هناك رابطة تجمع المسلمين على الاسلام حتى في اعرق البلاد الاسلامية ليس هنالك ــ الا في الاقل النادر الذي لا حكم له ــ جماعة تلتقي على امور المسلمين وحدهم او ثقافة المسلمين وحدها او تاريخ المسلمين او مستقبل المسلمين .

وقد وقفت سدا منيعا أمام المد التبشيري والاستعماري ، وموجاته العاتية التي تحاول النيل من الاسلام والكيد له ، والمكر به ، فحالت دون تسرب الغزو الفكري ، والاستعماري الاجنبي ، واستكتبت — لفـرط اهتمامها — أقطاب الفكر في العالم الاسلامي ، فقدموا لها دراسات واعية مومنة مخلصة ، تبتغي حماية الاسلام من دعاة التشكيك والتغريب ، والالحاد ومحاربة الثقافة العربية والحضارة الاسلامية مما كان يحي بارق الامل المنعش في النفوس ، ويبعث على التفاؤل والرضى والامل في الله ، ويجدد ما رث من أخلاق ، وما وهى من عهود ، ويرأب ما تقطع من أوصال .

فالعالم الاسلامي واجه — ولا يزال يواجه — في حياته الطويلة ، محنا قاسية ، تمثلت في محاولات التضليل والتشويه والتمزيق ، وحملات مسعورة مأفونة ، فرقت — أو كادت — بين أقطاره وشعوبه ، بل لا يزال يعاني من خطر هذه الوشائج التي تنقطع فيما بينه ، وبين اخوانه ، فتتركه يعيش حياة قلقة مرتكبة ، وأمر مريج .

والاسلام بطبيعته دين صامد زاحف غالب ، يتصدى، في مناعة ، لجميع الفلسفات التي حاولت زحزحته سواء كانت هذه الفلسفات ، من يمين متزمت متحجر ، أو يسار متطرف متعنت ، يشعل الثورات ، ويوقظ الاحقاد، ويثير السخائم ، ولكنه — ولله الحمد — يهضمها ، ويتمثلها ، ويبقى وحده يتمتع بالغلبة والصمود والسلطان .

والعالم الاسلامي ، مدعو اليوم ، لمراجعة رصيده في حساب الحضارات والمبادىء ليتعرف الى ذاته بثقة ، ويدرك أن وجوده ، ومصلحة البشرية في أن ينهض من كبوته ، ويصحو من غفوته ، ويستقل بفكره وحضارته ووجوده .

وهذا ما تضطلع بالقيام به مجلة « دعوة الحق » ، وتعمل له ، وتصدع به ، وهي ما برحت — في عقيدة خالصة ، وبأس صادق — تكافح وتنافح في ثقة ، وحزم ، واصرار لاداء الرسالة الخالدة للاسلام ، وتدعيم الحضارة العربية المغربية ، وتعليم الالوف من المثقفين وغيرهم ممن خبت جذوة الدين في قلوبهم ، وتسربت نزعات الشك الى عقائدهم ، وكادوا ينماعون في مجتمعات أخرى ، وآمنوا بضحالة الحضارة الاسلامية ، وقصور الفكر الاسلامي عن مواكبة الركب التقدمي ، هذا الفكر ، وتلك الحضارة التي افاءت على المسلمين ، والعالم ، الخير والبركة ، وأشاعت في الدنيا السلام والطمانينة عن طريق المبادىء الانسانية الرفيعة ، والمعاني السامية النبيلة .

واننا لنستشعر القدرة والنشاط في هذا الوقت الحاضر لتبليغ رسالة الاسلام على وجهها الصحيح ، ونرصد الاهبة لمضاعفة الجلد لتركيز حضارتنا ومقوماتنا ومشخصاتنا مع ما يرتضيه الدين الحنيف ، ويوافق الشرع الحكيم ، ويستجيب لمتطلبات الحياة الحاضرة .
ان ذلك من عزم الامور .

دعوة الحق

. من بلاد الاسلام ليس عندنا معرفة بحركاته فضلا
ن دراسة هذه الحركات وجمعها واستخلاص الدرس
افع منها فمن الذي يعرف منا ـ نحن الذين يبدو
ا مندفعون في سبيل الاسلام ـ حركة الاسلام في الهند
فة صحيحة ويتمثل واقع المسلمين ؟ . من منا
رف حركة الاسلام في الحبشة وواقع المسلمين الاليم
يها ؟ من منا يعرف بوضوح رجال الفكر الاسلامي
ى طول هذا العالم وعرضه ؟ وهل هنالك مركز
ا الامي واحد في كل الدول الاسلامية ، وعند كل هوءلاء
المسلمين يملك ان يقدم عن اية قضية من القضايا
الاسلامية المعلومات التي لا بد منها

— 5 —

واذا كانت علتنا الكبرى في هذا التقاطع والانقطاع فان دواءنا الانجع يكمن في النقيض اي في التواصل والاتصال وتلك اولى مراحل الحياة الاسلامية التي نريد ان تنبعث بدم جديد

لا بد اذن من التواصل بين المسلمين كحركه اولى منظمة على طريق الخلاص

ولعل قائلا يقول : ولكن ما هو السبيل ؟

— 6 —

ان الجواب على ذلك ليس عندي في هذه الكلمات وليس عند غيري في كلمات اخرى يسطرها او محاضرات يلقيها . ولكنه عند كل مسلم . من الذي يحرث الارض الى الذي يتربع على كرسي من كراسي السلطة ان الجواب يكمن في ان يسال كل مسلم نفسه : ما ذا افعل لاسلامي ، لعقيدتي ، في خارج النطاق التعبدي الذاتي ؟

ما ذا اعمل لعقيدتي على المستوى الاجتماعي من ابسط المجتمعات في القرية والحي الى اوسعها في المدينة والوطن والمجتمع الاسلامي الكبير ؟

وحين يسال المسلم نفسه هذا السوءال ويلتزم بالجواب الصادق عنه فانه سيجد ان حظ الاسلام منه ، في حياته وسلوكه ، من عقيدته ومن الوفاء بهذه العقيدة والالتزام بها هو اضعف الحظوظ .. وسيجد انه موزع بين شهواته ان كان من ذوي الشهوات ، وبين عبادة ضيقة ان كان من ذوي العبادات ، وبين ما يبرر كسله ان كان من ذوي الفكر انه سيجد ان ولاءه ليس للاسلام، بل هو للنادي والنقابة والحزب وليس ولاءه للاسلام بموءسساته الكبرى : بجماعاته ومجتمعاته ، بمساجده وجمعه وحجه وانه حتى حين يكون من شانه المشاركة في هذه المجتمعات الاسلامية فان مشاركته لا تتعدى العبادة الى العمل ، ولا تخرج عن نطاق الذات الى نطاق المجموع

— 7 —

ان الصلة بين المسلمين هي التي يجب ان نفتش عنها وهي صلة تقتضي التواصل على اساس اسلامي صرف في نطاق البيئة الصغرى (النادي والنقابة والجمعية) ثم في نطاق الوطن ثم في نطاق الوطن الاسلامي

ان هذه الاشياء ليست في حاجة الى حكومات ، ولا الى موءتمرات تقف وراءها تدعمها الحكومات او تقف امامها تجابهها ولكنها في حاجة الى مسلمين ينشئون تنشئة اسلامية . ويتسبعون بالاسلام . ويعرفون ان الاسلام دعوة وليس دعاء . وانه التزام وليس زينة ، وانه عمل وليس قولا وانه يجب ان يكون مقدما على كل شيء آخر في الحياة او السلوك

لكي نحارب الانقطاع والتقاطع يجب ان نومن بالتواصل الحق وان نعمل له بعيدا عن كل شبهة في نطاق شعبي صرف وعلى يدي ناس ليس في قلوبهم الا ايمانهم بالاسلام وحده قبل كل شيء وفوق كل شيء

الى ان يكون هذا التواصل، والى ان يكون ما وراء التواصل من عمل فكري واجتماعي يجعل المسلم الواحد مشدودا الى ملايين المسلمين الخمسمائة ويجعل الخمسمائة مليون مسلم مشدودين الى المسلم الواحد الى ان يكون ذلك فاننا سنظل نعاني هذا التقهقر المخيف

وقى الله المسلمين شر انفسهم وشر خصومهم

د. شكري فيصل

فالناس الان يلتقون على تنظيمات جديدة انهم يلتقون في النادي ، وفي النقابة ، وفي الجمعية الخيرية وفي الجماعة التعاونيه ، وفي الحزب ، وفي عديد اخر من هذه المؤسسات التي يعرفها العصر الحاضر والتي دخلت الحياة الاسلاميه على انها اشكال ثم اسفرت على انها حقائق لا ترد ووقائع لا تنكر

وليس بين هذه المؤسسات — من النادي الى الحزب وما بينهما من درجات — هذا الارتباط بالمبدا الاول : الاسلام فقد حجب الاسلام ، بنوع من الحجب ، في ادبه وفي سلوكه وفي عقيدته وفي افكاره وفي نظرته الى الحياة عن ذلك كله وقيل للناس : انتم تجتمعون هنا لهذا الشان او لذلك من امور الدنيا او المعاش او الترف او الحياة او السياسة واطاع الناس ذلك فاجتمعوا على هذه الاشياء واهملوا ان يجتمعوا على الاصل الذي تنبثق منه ، اعني على الاسلام، فلم يبق هذا الخيط الناظم الذي يصل كل هؤلاء المسلمين في البلد الواحد وانما تفرقوا في هذه الشيع او الاحزاب وتفرق منهم الراي وضعفت الكلمة

بل تجاوز الامر الضعف والتفرق الى سيء من خصومات ذلك لان هذه المؤسسات الجديدة (من النادي الى الحزب) لها نظراتها وآراؤها وسلوكها وهي لذلك حريصة على ان تفرض هذا السلوك وان تقدم هذا الراي فلا بد لها من ان تصطدم بالمؤسسات ، لان هذه المؤسسات جميعا اهملت القاسم المشترك الاعظم بينها وهو الاسلام (عقيدة وعملا وسلوكا) واهتمت بالقضايا اليومية او الترفيهية ، فكان من ذلك هذا التقاطع اولا ، ثم هذا الخصام ثانيا

وكان من الممكن ان نقبل التقاطع والخصومات في هذه المؤسسات لو كان للمسلمين هذه القوة التي يعتصمون بها وهذا الكيان الصلد الذي يحتمون وراءه

ولكن التقاطع والخصومات انما تقع في البلاد الاسلامية ، واعداء الاسلام — اعداؤه حتى الموت — في بلاد المسلمين ، وهم ليسوا في بلاد المسلمين ضيوفا ولا زوارا ولا اهل ذمة وانما هم متسلطون متحكمون ، بيدهم المال والادارة والمقاليد

ومع ذلك فقد فتن المسلمون عن اصل وجودهم في الائتلاف في منظومة واحدة هي الاسلام ، فصاروا الى هذا التشتت في هذه المؤسسات المتقاطعة المتنابذة

— 3 —

2) واما التقاطع فيما بين الاجيال المتعاقبة فانه من اصعب ما مني به الاسلام في هذه الحقبة من تاريخه الحديث ذلك ان من نعم الله ان الكتلة الاسلامية في جملتها ، في جماهيرها العامة ، لم تزل كتلة صلبة ، وان الروح الاسلامية لم تزل مشرقة على تكاثف الحجب ، وانه في كل بلد من بلاد المسلمين قريبها وبعيدها ، ناس تنبهوا لحال الاسلام وعملوا له وبدا تنبههم في شكل دعوة من دعوات الاصلاح ، او قيادة من قيادات المسلمين او عمل من اعمال وحدتهم وما اكثر ما نبت من دعاة ومصلحين في هذين القرنين في العالم الاسلامي كله من اقصاه الى اقصاه حفظوا على الاسلام قوته وحفظوا على المسلمين يقظتهم

ولكن هؤلاء الدعاة وهذه الدعوات ، وهذه الحركات الاصلاحية وهؤلاء المصلحين كانوا يعيشون — او اكثرهم — حياة جيلهم وحياة اوطانهم لا يتعدونها . . فلا نتابع تجربتهم، ولا نقتفي دعوتهم، ولانستفاد مما وقعوا فيه من خطا او افلحوا فيه من صواب وانما تموت دعوتهم او آراؤهم او اعمالهم بموتهم ، وقد تعيش بعدهم بعض الوقت ثم لا تلبث ان تنطفيء

فاذا جاء بعد ذلك من ياتي بعدهم من دعاة او مصلحين بداوا طريقهم بداءة جديدة ، واخذوا انفسهم بالعمل من النقطة الاولى ، من حجر الاساس ، وتركوا ما قام من بناء من قبل فلم يعلوا حجرا فوق حجر ، ولم يفيدوا درسا من حادث ، ولا سيرة من رجل ، ولا عبرة من تاريخ وانما مضوا وكانما لا قبلهم ولا بعدهم .

هذا التقاطع بين الاجيال المتعاقبة يهدر طاقات لا حصر لها ، ويعرض التجربة المسلمة في كل بلد اسلامي الى خطر الاخطاء المتكررة او الانحرافات المتعاقبة ، ويحرمها من عنصر الاستمرار الزماني الذي هو ابرز شروط العمل الايجابي البناء ، فاذا الزمان يضيع في تجارب معادة مكرورة

— 4 —

ابرز الامثلة على ذلك انه ليس عندنا لا تاريخ ولا تسجيل ولا دراسة لكل اعلام الحياة الاسلامية في اي

نعم كبر على اليهود وضاقت عليهم انفسهم ان تخرج النبوة من حرم الشعب المختار وتنتقل الى اولاد اسماعيل الخاملين العريقين فى الامية عادين من المستحيل ان يبعث من بينهم نبي فكيف بنبي ياتي بكتاب ينسخ البعض من كتاب موسى الكليم . والى السادة القراء الاطار الذي تتمثل فيه المسالة ، ابتدا القرآن محاجة بني اسرائيل على فور الكلام على ابي البشر آدم عليه السلام : « يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون، وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ، ولا تكونوا اول كافر به » امة نالت من فضل الله ما نالت وطلع فى افقها ما طلع من الانبياء والملوك لا يجمل بها ان تكفر بكتاب نزل من عند من حباها بما فضلها به على عالمي زمنها : « يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين»

«ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا» كان اهل الكتاب اليهود والنصارى على السواء على علم بالبشارة ببعثة النبي عليه السلام لذلك كانوا يقولون لمن حولهم من مشركي العرب عندنا البشارة بقرب بعثة نبي فنسبقكم الى تصديقه ونقتلكم الى جانبه تقتيلا . « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به .. بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله **بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده»**

« ولما جاءهم رسول من عند لله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون » .

« وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ، ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم ، **قل ان الهدى هدى الله ان يوتى احد مثلما اوتيتم او يحاجوكم به عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء »** من آتاكم ما آتاكم وجعل فيكم النبوءة اي مانع يمنع من ان يعطيها الى غيركم انكم لم تتخذوا عند الله عهدا بانها تبقى موقوفة عليكم لا تتنقل الى غيركم وبالفعل قد تبادلتها الامم من قبلكم ، **وان من امة الا خلا فيها نذير – ثم ارسلنا رسلنا تترى –** كتبكم اخبرتكم عن بعثة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط عليهم جميعا السلاة والسلام .

اذا كانت القضية قضية سنة مطردة فى البشر فيما اعطاكم اياها من الجائز ان يعطيها الى غيركم .

امام ما تمادى عليه اليهود من الاصرار على عتوهم وكبريائهم نزل قوله تعالى : «ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم « معشر المسلمين العرب» من خير من ربكم، وفات القوم ان الله يختص برحمته من يشاء . وبعد ان اياس سبحانه العرب مما عسى ان يرجوه من الخير من اليهود اتبعه كاعذار اخير لليهود فقال سبحانه : « ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها» معناه انكم معشر اليهود ان ادخل هذا النبي الجديد تغييرا فى الوضعية الحالية او فى احكام كتابكم التوراة فانكم لا ترجعون بصفة المغبون ما ننسخ من آية مما عندكم ناتكم بخير منها وما تنوسي من الكتب السالفة كصحف ابراهيم وغيره نحن قادرون على الاتيان **بمثلها** فان الذي اوحى الى ابراهيم وموسى فى القديم هو نفسه الذي يخاطبكم الان بما ينزل على نبيه محمد .

هذا هو المهد الذي نشأت فيه آية ما ننسخ وليست بآية مستأنفة كما هو المستفيض على الالسنة من الاقتصار على الاستشهاد بها مقتضبة من غير اعتبار للسياق ولا لما لها من الاشباه والنظائر التي تمتد اليها باوثق صلة .

ومن هنا نسمع صدى الآية يدوي فى سورة النحل من قوله تعالى : « واذا بدلنا آية مكان آية ، والله اعلم بما ينزل ، قالوا ، انما انت مفتر ، بل اكثرهم لا يعلمون ، قل، نزله روح القدس من ربك بالحق الى ان قال : ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ».

جاء فى تفسير روح البيان عند الكلام على هذه الآية ما نصه :

« قال الامام الواحدي فى اسباب النزول عن عبيد بن مسلمة قال كان لنا غلامان من اهل عين التمر اسم احدهما يسار والاخر جبر وكانا صيقلين فكانا بقرآن كتابا لهم بلسانهم وكان رسول الله «ص» يقربهما ويسمع قراءتهما فكان خصومه يقولون يتعلم منهما فنزلت الآية »

هذه الرواية تتفق تمام الاتفاق مع النفسية المسيطرة على اليهود فى مستهل بعثة النبي العربي كبر عليهم كما قلت ان تخرج النبوة من ايديهم وهم شعب الله المختار كما يزعمون وتنتقل الى امة بدوية يغمرها الجهل والوثنية خصوصا والنبي الذي على

مسألة النسخ على بساط البحث

للأستاذ: أحمد التيجاني

موضوع النسخ فى القرآن له اهمية ومكانة فى التشريع الاسلامي فقد كثر الخلاف فيه بين اقطاب الفكر الاسلامي ، بل ان الخلاف وصل فى موضوع النسخ الى درجة التعصب ..

وان الجو الفكري المتبادل بين المختلفين فى مواد المسائل المنسوخة والناسخة انما ينهض دليلا على ان موضوع النسخ من الموضوعات التي سلم بوجودها المسلمون من اول الامر فى الشريعة الاسلامية ، كما دافع عنها ، ودرسها دراسة واعية ناضجة كبار الائمة الاعلام ، امثال ابن حزم ، وابن كثير ، والسيوطي ، والخازن ، والبغوي ، وابن حزم الظاهري .

والموضوع الذي نقدمه فى هذا العدد من مجلتنا ((حول مسألة النسخ)) للاستاذ احمد التيجاني قد يثير بعض الردود من طرف السادة القراء المختصين الاماثل نظرا لما يتسم به من اهمية ومكانة فى التشريع الاسلامي

((المجلة))

هذه المسألة طال فيها الاخذ والرد بين اهل العلم متقدميهم ومتأخريهم طائفة جزمت بوجود النسخ فى القرآن ، وضمته الى بقية الاصول الفقهية المدونة فى الكتب وبنت عليه احكاما فى مسألة : « لا وصية لوارث » قبالة قوله تعالى : « كتب عليكم ، اذا حضر احدكم الموت، ان ترك خيرا، الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف » وسيأتي تحقيقه فيما بعد .

وطائفة انكرت وجوده بتاتا كابي مسلم محمد ابن بحر ومن شايعه ولكل وجهته .

وحيث كانت القضية بهذه المثابة اجتمع فيها المثبت والنافي معناه انها لا زالت تقبل الكلام ، ومن جهة اخرى ان الذين يتناولونها بالبحث والدرس على كثرة عددهم ، واختلاف مشاربهم وآرائهم يمكن حصرهم فى قسمين : قسم اعتمد فيما ذهب اليه على مجرد الرواية واتباع بعض من سبق .

وقسم اختار الاعتماد على ضم الدراية الى الرواية وذلك بمقابلة ماللايات من اشباه ونظائر، مبثوثة فى مختلف السور كما اختلفت اراء القائلين بالنسخ فى عدد الايات التي لحقها النسخ اختلافا خرج بالبعض الى مجاوزة القدر الذي تستسيغه العقول كما شاهده القراء فى المقال السابق عن ابي جعفر النحاس عملا بقاعدة ان الحكم فرع عن التصور ، ابدأ بلم شتات المواد التي يستوحى منها الحكم برائد ما بين الايات من صلة رحم فاقول :

من قصر النظر ان نجعل آية «ما ننسخ من آية او ننسها » هي الام لهذا الصنف من الايات ، منها يخرج الكلام واليها يعود كما هو الشائع والذائع بين المنتسبين للعلم ، كان الاية استئنافية ، بل هي فى اطار سياق عام مؤداه ان ما نحن فيه يرجع فيه الامر الى محاجة بني اسرائيل الد خصوم النبي عليه السلام .

مر هو اعلم بما يصلح ظواهركم وبواطنكم فلستم او من فرض عليه الصيام وكل ما اطال به ابو جعفر النحاس في هذه الاية من جلب الاثار والاخبار ليس بت ظلها مقيل للعقل ، ومثل هذا يقال في جميع الايات التي اوردها صاحب كتاب الاتقان فلا فائدة في اطالة المناقشة والتعليق عليها .

وختام الكلام ان المعني بآية ما ننسخ هم اليهود لا راحة ما عسى ان يعتذروا به او يتخوفوا منه منهم الكتاب العزيز بان ما يقع من نسخ في بعض احكام كتابهم يكون في صالحهم : ما ننسخ من آية مما عندكم ناتكم بخير منها والآمر بهذا هو القادر حتى على احياء وبعث ما تنوسي من الكتب السالفة التي طواها الزمان فيما طوى كصحف ابراهيم على ان النسخ من سنن الشرائع كما قال سبحانه حكاية عن سيدنا عيسى : ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم ، يعني ان الكتاب الذي جاء به وهو الانجيل يحل لهم ما حرمه عليهم كتابهم التوراة والى هذا جاءت الاشارة في صحيح مسلم : «ما وقعت نبوة قط الا تناسخت» .

كيفما كان الحال وانتحلت التأويلات وتشعبت فان القائلين بالنسخ يبقون رهينة ايجاد الجواب عن المثلية في قوله جل ذكره : « ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او **مثلها** » فما داموا لم يدلوا بجواب قاطع فموقف خصمهم المدعى عليه وموقفهم موقف المدعي ، والقاعدة ان المدعي هو المطالب بالبينة ، اين تتصور المثلية اذا لم تكن بين آية تنوسيت وطواها الزمان فيما طوى كما قلته آنفا ويأتي سبحانه باخرى عوضا عنها وبدلا منها ولذلك عقبها سبحانه بقوله «الم تعلم ان الله على كل شيء قدير» ان الذي بنزل القرآن في وقت الخطاب بآية ما ننسخ هو الذي كان انزل ما قبله من الكتب اذن فهو قادر على احيائها هذا ما بدا للكاتب في هذا الموضوع .

الرباط ـ احمد التيجاني

حادثوا هذه القلوب

كان الحسن البصري يقول : « حادثوا هذه القلوب ، فانها سريعة الدثور ، واقدعوا هذه الانفس ، فانها طلعة ، وانكم الا تقدعوها تنزع بكم الى شر غاية

راسها جاء بكتاب يلوح عليه طابع التفوق والهيمنة على ما قبله من الكتب « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » والتوراة من جملة هذه الكتب لا سيما وقد لاحت في افق هذه الهيمنة بوادر التبديل والتغيير اعني النسخ فانزل من رحمته وسعت كل شيء ما لعله يطفيء غيظ قلوبهم قوله تقدس اسمه : « ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها » اي ما ننسخ من آية مما عندكم نات بافضل منها وانفع لمصالح العباد وما تنوسي وطواه الزمان فيما طوى كصحف ابراهيم وغيرها نات بمثلها لان الذي يكلم محمدا بالقرآن هو الذي كان كلم موسى بالتوراة وعيسى بالانجيل وابراهيم بالصحف وعليه فانكم لا ترجعون بصفقة المغبون من النسخ الذي تتخوفون منه. فالقارىء يرى ان النسخ بهذا المعنى يتجاوب مع المنطق والتاريخ الذي يتردد صداه من سبب النزول الذي رواه الامام الواحدي عند تفسير قوله تعالى : « واذا بدلنا آية مكان اية والله اعلم بما ينزل » الخ كما نقلته آنفا اقول واكرر ان الخروج عن هذا التأويل يقف بصاحبه امام عقبة يستحيل صعودها وهذه العقبة هي في تأويل قوله تعالى « او مثلها » فاين توجد هذه المثلية ؟

كثيرا ما تذاكرت مع اهل العلم في معنى هذه المثلية فتواطأت كلمتهم على الاستشهاد بمسألة القبلتين قبلة بيت المقدس وقبلة الكعبة ، والتفسير بهذا المعنى يلاحظ عليه اولا ان قبلة بيت المقدس ليس فيها ايجاب قرآني كقبلة المسجد الحرام حتى تصح المقابلة بينهما . ثانيا لو كانت قبلة بيت المقدس مماثلة لقبلة البيت الحرام ما موجب نزول قوله تعالى: قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة **ترضاها»** معناه ان القبلة التي صلى اليها عليه الصلاة والسلام نحو ستة عشر شهرا لم يكن راضيا لها والا لما كان يقلب وجهه في السماء الى ان نزل عليه «فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام» قبلة ابيه ابراهيم هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى يقول سبحانه : « ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين » والاولية تؤذن ولا ريب بالفضيلة ، نعم المولعون بالتوجيهات والتماس التأويلات يقولون المثلية بين القبلتين يمكن حملها على المساواة في الفضل والثواب ولكن هذا التخريج هو عين المكابرة يكفي لبطلانه قوله تعالى « ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا » والاولية كما قلت تؤذن بالافضلية ، ثم يقال ان عدد الآي التي قيل فيها النسخ لا تتجاوز العشرين على ما جاء في كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي والى السادة القراء نماذج من هذه الايات بعد التنبيه على انها في مجموعها ليس من بينها ما هو قطعي الدلالة

1» قوله تعالى : « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين » القول بالنسخ هنا يلاحظ عليه : فعلى القول بانها نسخت بآية المواريث لا ينهض يقول البيضاوي في تفسيره فان آية المواريث فضلا عن كونها لم تنسخ الوصية على اطلاقها فانها تؤيدها وتبالغ في تقريرها لانها بعد ذكر كل نصيب من فروض الورثة تتبعه بما يدل على بقاء لزوم الوصية ذكر السدس وتبعه من بعد وصية يوصى بها او دين وكذلك بعد ذكر النص والربع والثمن . فالوصية كما نرى محررة في جميع الاحوال وهناك من يقول نسخها حديث ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث يلاحظ عليه ان الحديث عند جميع المفسرين على ما نقل البيضاوي هو من الآحاد والقرآن متواتر فكيف ينسخ المتواتر الذي هو القرآن بالاحاد هذا عند من يقول بان الحديث ينسخ القرآن والمسألة كما هو معلوم خلافية وما احتمل واحتمل. سقط به الاستدلال يزاد عليه ان آية الوصية لو كانت من قبيل ما يرد فيه النسخ ما سجل عليها سبحانه بقوله : فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم » .

2» «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم» . قيل نسخها قوله تعالى : « احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم» القول بالنسخ هنا مما يندى له الجبين وذلك انه قيل في تعليله ان من قبلنا من اهل الكتاب كانوا اذا ناموا بعد المغرب لم ياكلوا ولم يقربوا النساء فكتب ذلك علينا الى ان نسخ بآية : احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم . اليس هذا من التهافت متى كتب علينا ما كان عليه اليهود في صيامهم كتابنا يقول في حقنا يقول : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» الملكة العربية والسياق كله يدلان دلالة قطعية على ان المراد من التشبيه في قوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم انما هو تشبيه في الفرضية لا في الكيفية يقول سبحانه للمومنين ان كان الصيام فيه مشقة وعنت فقد سبقكم الى تحمل مشقته من قبلكم من الامم وذلك لحكمة يعلمها

في ذلك العهد ، او يتبعه اجلاء الصحابة عن اقتناع و. واعية ، الا ان يكون عمر بن الخطاب ، هو صاحب الراي ، والمتحمل لمسئولياته الجسام

جمع عمر الناس على صلاة التراويح في رمضان ، مستندا الى قول عائشة رضي الله عنها : (ان النبي صلى في المسجد ، فصلى بصلاته ناس ، ثم صلى الثانية ، فكثر الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثانية او الرابعة، فلم يخرج اليهم رسول الله ، فلما اصبح قال : رايت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج اليكم الا اني خشيت ان تفرض عليكم ، وذلك في رمضان)

على ان عمر لم يسلم من تقول بعض الناس عليه، وطعنهم في عمله والنظر اليه على انه استحدث في امور الدين لكن الخليفة الواثق من نفسه ، والحريص على احكام الشريعة ، لم تنل منه هذه الدعاية ، ولم تثنه عن عمله ، الاقوال التي اذاعها بين الناس كثير من المجتهدين

راى عمر الناس في المسجد مجتمعين حول ابي ابن كعب يصلي بهم التراويح ، فقال : (نعمت البدعة هذه) والبدعة هنا ، هي الجماعة في التراويح . فقد امتنع النبي عليه السلام عنها ، خشية ان يشق على امته بافتراضها عليهم

وليس شك في ان للراي والاجتهاد عند ابن الخطاب ، اعتبارا كبيرا ، ومركزا قويا ، حتى ان كثيرا من الصحابة قد سلكو مسلكه ، وتعصبوا لاحكامه ، وساروا على هداه والسبه في الراي والاجتهاد ، كان حاله ذلك العهد ، وديدن الائمة المشرعين قال عبد الله بن مسعود : (لو سلك الناس واديا وشعبا ، وسلك عمر واديا وشعبا ، لسلكت وادي عمر وشعبه)

وقال عمر في ابن مسعود لاهل الكوفة حين ارسله اليهم ، ليعلمهم ويفقههم : (لقد اثرتكم – بعد الله – على نفسي) ، اجلالا من عمر وتفضيلا لعبد الله ، وعرفانا بعلمه وفتاويه . وهناك من الفقهاء من ذاع صيته في الفتيا ، وبلغ شأوه وعدله في القضاء ولا ينكرن احد فضل زيد بن ثابت ، ومنزلته الكبرى في الفقه ، وامتلاءه بالعلم والمعرفة . فقد لازم النبي عليه السلام ، زمنا طويلا ، وسمع منه الكثير ، ووعى عنه ، ما لم يعه غيره من الذين لم يكتب لهم حظ هذه الملازمة ، او لم تتح لهم تلك الفرصة المباركة .

امتاز زيد بن ثابت ، وهو من كتاب الوحي ، بالامانة في النقل والتعمق في الفقه ، والبروز في الاجتهاد والراي . ولهذا وثق به عمر حتى استخلفه عند كل سفر ، يعرض له . او تحتمه الظروف ، او تفرضه الخلافة

ويتضح وثوق الخليفة بزيد ، وعرفانه لفضله ، واجلاله لعقله . عند ما فرق الناس في البلدان ، ووزعهم على الامصار . الا هذا الفتى الذي اثره بالاستبقاء ، واكرمه بالاستشارة ، ليرجع اليه في الغامض وياخذ رايه في الامر العارض ، ويقدمه على كبار الصحابة ، ولا يقدم احد عليه

اما عبد الله بن عباس ، فقد جمع الى الفقه ، الكثير من العلم والتمكن من العربية ، والتبريز في الشعر والدقة في الفهم لكتاب الله ، والتثبت من الفرائض . حتى ان عمر نفسه ، كان يحله منزلته ، ويحترمه . لا لقرابته من الرسول الكريم ، ولكن لما عرفه فيه من الراي والعلم والقدرة على استنباط الاحكام

ولا يغيب عن احد ان عبد الله ، كان احد الستة الذين اكثروا من الرواية عن رسول الله ، وهم : ابو هريرة ، وابن عمر ، وجابر ، وابن عباس ، وانس ، وعائشة ، وكان هو وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، الذين ياخذ الصحابة بقولهم في الفقه ويعتدون بكلامهم في كل باب من ابواب التشريع

ولقد شهد له كثير من العلماء بغزارة العلم ، والتبحر فيه ، حتى كان يفد الى داره بمكة الكثير من طلاب العلم من كل بلد، للاستماع والافادة ، او السؤال والاستفسار اشاد بعلمه وفضله وتمكنه : علي بن المديني ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الله بن طاهر ، والازرقي صاحب كتاب (مكة) ، وذكرته الاخبار في كتب التاريخ والطبقات .

والذي يستحق الذكر ، ان حداثة سن ابن عباس، عند ما توفي النبي عليه السلام ، لم تمنعه من ان يكون بين الستة الكبار الذين اكثروا من رواية الحديث ، ولا يكون العجب في ابن عباس بما وقع له – وهو ابن

كان عمر يقضي في الفقه بالراي والاجتهاد والمعرفة

بقلم أبو طالب زيان - القاهرة

ترجع منزلة عمر بن الخطاب الكبرى ، الى رايه ومعرفته بمسائل الفقه الاسلامي ، واستشارته في كثير من احكام الدين بعض الذين لهم قدم ثابتة ، وملازمة طويلة . لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فقد كان اجلاء الصحابة بعد عصر الوحي ، يقضون بالاحكام الفقهية المرتكزة على القرءان ، والمستندة الى اقوال النبي وافعاله ، وان كانت هذه الاحكام يفتى فيها بالراي . وتتسم بالاجتهاد ، تبعا لاحوال البلاد التي فتحت على المسلمين ، ودخلت تحت احكام الاسلام ، وان لم يخرج الاجتهاد او الراي فيها على كتاب الله ، او يند عن السنة الصحيحة

فالصحابة رضوان الله عليهم ، لم يكونوا على حال واحدة من القضاء والفقه بعد رسول الله ، بل اختلفت احوالهم ، تبعا لاختلاف علمهم ، وسجاعتهم واجتهادهم، وطول ملازمتهم لصاحب الدعوة الكريم : محمد بن عبد الله ، صلوات الله عليه

واظهر ما يتجلى هذا الاجتهاد والمضي في الارشاد على هدي من الراي ، وقيم من الحجج : عمر بن الخطاب ، الخليفة الثاني لرسول الله ، الذي تم على يديه وفي خلافته : التشدد في الرجم والحد في الخمر، وصلاة التراويح جماعة ، والنهي عن التمتع في اشهر الحج

كانت الجراة التي احاطت بهذا الخليفة ، واخذته من كل جانب ، هي السبب في القسوة التي اخذ بها المسلمين في تنفيذ بعض الاحكام الفقهية التي كانت تاخذ طابعا خاصا ، وورايا موزعا بين المسرعين من الصحابة حتى قال :

(لقد خشيت ان يطول بالناس زمان ، حتى يقول قائل : لا نجد الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة انزلها الله الا وان الرجم حق على من زنى وقد احصن اذا قامت البينة او كان الحمل او الاعتراف، الا وقد رجم رسول الله ورجمنا بعده)

اما حد الخمر عند هذا الخليفة ، فهو ثمانون جلدة، وان جرى العمل في هذا الحد ، قبله على خلاف ذلك، فقد كان الشارب في عهد النبي وخلافة ابي بكر ، وصدر من خلافة عمر نفسه ، يضرب بالنعال والاردية والايدي، ردعا له ، وتشهيرا به ، وزجرا لنفسه ، وعظة لغيره ممن يقترفون هذا المنكر ، حتى الجات الحاجة عمر ، الى هذه الزيادة في الحد ، تعزيرا وتاديبا ، لما راى من اقبال الناس في شتى الامصار ، على تعاطيها ، وتفننهم في تناولها ، واجتماعهم حول موائدها ، تبعا لاتساع الدولة والغنم من فتوحاتها ، والزيادة في دخولها

والواقع ، ان شخصية عمر القوية ، وقوة عزيمته ، وتصديه لاحكام الفقه عن علم ومعرفة ، كانت اهم الاسباب في اخذ المسلمين على عهده ، بما لم يالفوه في عهدي الرسول والصديق ولو كان الخليفة غير عمر – على قرب المسلمين – بالنبي لما استطاع ان يحمل الناس على رايه ، ويجعلهم يتبعون اجتهاده واشتراعه لكثير من الاحكام فانتقال المسلمين من حال الى حال في كثير من الاحكام ، ليس بالامر الميسور ، ولا بالمطلب السهل ، حتى يدخل فيه كثير من سادة الاجتهاد

لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب...

للأستاذ: الراجي التهامي الهاشمي

- 6 -

القبيلة الرابعة : جرهم «1»

لقد اخذ علي انني لا اتصدى للتعريف بالقبيلة قبل البدء فى شرح مفرداتها ومعلوم ان هذا التعريف الذي يريده هؤلاء الفضلاء يتعلق ، ما فى ذلك من شك ، **اولا** بجغرافية القبيلة ــ موقعها ــ مناخها ــ سكانها ــ مواردها ــ تضاريس ارضها الى آخر ما يدرسه الجغرافيون ، **ثانيا** : بتاريخ القبيلة ، نسبها ، اصل سكانها ، من تعاقب عليها من الحكام والملوك ، حروبها ، ايامها ، وعظماؤها الى آخر ما يهتم به عادة المؤرخون ، ولو شئنا ان نتتبع هذا او نفصل القول فيه كما اراد هؤلاء الفضلاء لتجاوزنا القصد بكثير ولخرج البحث المتواضع من دراسة لغة القرآن الى فصول مفصلة عن القبائل العربية وتاريخها، لكننا نزولا عند رغبة اخواننا سنأتي عند الحديث عن كل قبيلة بالمصادر التي يمكن الرجوع اليها لمعرفة المطلوب وسنبدأ ذلك فى الطرة كما فعلت اليوم .

لقد شرف القرآن قبيلة جرهم فاستعمل من مفرداتها 22 لفظة ، وزعت فى الكتاب العزيز على الشكل الآتي :

1 ــ لفظة «باءوا» فى الآية 61 من سورة البقرة ومعناها استوجبوا ، وقد كررها الحق سبحانه وتعالى فى الآية 90 من نفس هذه السورة حيث قال : « فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين » كما وردت بنفس الصيغة فى سورة آل عمران الآية 112. وفى قصة بني آدم الاية 29 من سورة المائدة على صيغة « تبوء » كما وردت ايضا فى آل عمران الاية 162 وفى الانفال الاية 16 على صيغة «باء» ويفسرها المفسرون على ان معناها « رجعوا » وهكذا شرحها ايضا اسماعيل بن حماد الجوهري فى مادة بوأ آخذا عن الاخفش . اما الزمخشري فيفسرها بقوله «2» .. باء فلان بفلان اذا كان حقيقا ان يقتل به لمساواته له ومكافاته ، اي صاروا احقاء بغضبه ، وهو تفسير لطيف ، طريف ، يعادل فى مضمونه العام ما ذهب اليه غيره ، والجدير بالذكر ان الامام الزمخشري ما زاد هنا على ما ذهب اليه اللغويون فى هذه المادة . ومنهم ابو زيد الذي قال : باء الرجل بصاحبه : اذا قتل به ، ومن المثل العربي المشهور : باءت عرار بكحل ، وهما بقرتان انتطحتا فقتلت احداهما بالاخرى .

2 ــ مفردة « شقاق » ومعناها ضلال بلغة جرهم وتوجد فى سورة البقرة الاية 176 ، كما توجد بنفس المعنى فى نفس هذه السورة ، الاية 137، وفى الحج ، الاية 53 ، ويس ، الاية 2 وفى فصلت الاية 53 .

3 ــ لفظة « خير » فى الاية 180 التي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى : « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين .. » وتوجد فى سورة البقرة ومعناها بلغة جرهم « المال » ولعله المال الكثير ، وقد فسرها بهذا المعنى كل من ابن عباس رضي الله عنه ، ومجاهد ــ ويؤيد هذا المعنى ما اخرجه البيهقي . وجماعة عن عروة ان عليا كرم الله وجهه دخل على مولى له فى الموت وله سبعمائة

«1» ا ــ الصحاح : الجزء الخامس آخر صفحة 1886

ب ــ الاعلام : الجزء الثاني صفحة 110 وانظر المصادر الموجودة فى هذه الصفحة .

«2» الكشاف صفحة 72 من الجزء الاول طبعة القاهرة سنة 1345 .

الخامسة عشرة ـ في راي ابن حنبل او الثالثة عشرة في راي غيره ، من التحليق في سماء العلم ، والتوغل في دنيا العلوم والمعارف

وعلى النقيض من ابن عباس ، ياتي عبد الله بن عمر الذي اقام بالمدينة . يشتغل بتعليم المسلمين ، ويجتهد في احكام الفقه . ويفد اليه الناس من كل قطر من الاقطار . او بلد من البلاد الاسلامية

كان ابن عمر قليل الكلام . طويل الصمت . لا يتكلم الا اذا دعته الضرورة اليه ، يهمه ان يسمع اكثر مما يهمه ان يتصدر للفتيا ، ويجلس للكلام ، حتى كان الناس على عهده ، وهم وافدون اليه من نواح بعيدة ، ربما يرجعون بعد عناء غير مستطاب ، وتعب غير مستملح ، الى ديارهم ، وهم لم ينالوا ما جاءوا اليه من الاستفسار او توضيح ما اشكل عليهم في كثير من الاحكام . وابن عمر راض عن صمته ، لائذ بطابعه ، لا يريم عنه ولا يتحول الى غيره تحرجا ، او عدم تمكن مما سئل عنه ، او اخذ رايه فيه . فاذا ما فاض كان كالبحر ، يطغى ماؤه على شواطئه ، فينبت القاحل ، ويخضر اليابس ويكون النفع العميم ، والفيض الزاخر

على ان المراة المسلمة . كان لها حظ المشاركة ، والباع الطويل . في الحركة الفقهية التي قامت في مكة والمدينة وكثير من العواصم الاسلامية بعد وفاة الرسول الكريـــــم

فليس مما يستساغ او يقبل دون جدل ، ان تكون الاحكام الفقهية وقفا على الرجال ، او مقصورة عليهم ولا سيما اذا كانت هذه الاحكام الفقهية ، متعلقة بالمراة ، وما يعرض لها او يكون في بيتها ، او خاصا بشان من شئونها الداخلية التي لا تستطيع الافصاح عنها . او تتناولها السنة الرجال . او تكون عرضة للقيل والقال

والسيدة عائشة ، خير مثل على هذا الاشتراك او هذه المساهمة فقد اشتركت رضوان الله عليها في رواية الحديث عن رسول الله ، حتى عدت من الستة الذين عرفوا بالكثرة في الرواية ، وروى عنها كثير من اجلاء الصحابة والتابعين ، واصبحت مرجعا من مراجع الحديث والفتيا ، يحج اليها في دارها بالمدينة ويسالها السائلون ، فتجيب بما سمعت ، وتفتي بالراي ، وتلجأ في كثير من الاحيان الى الاجتهاد ، شانها في ذلك ، شان كثير من الذين لهم حظ من العلم ، او و... وسمعوا من صاحب الدعوة

واذا صح ان هؤلاء الرواة ، او هؤلاء المجتهد... قد شغلتهم احداث الحياة ، او راوا من الاسلم لهم الانصراف عن مقاعدهم من الفتيا ، بعد ما ادوا رسال... بعد الرسول بتفقيه الناس في امور دينهم ، وتعليمهم احكامه . الا عمر بن الخطاب ، فقد ابى ، او ابت عليه نفسه الكريمة الا ان يكون الفقه هو محور حكمه ومناط خلافته ، لا يصرف عنه ، ولو وجهت اليه السهام ونالته قوارص الكلمات

يعترف الخليفة عمر بالخطأ في كثير من المواطن ، ويرجع للراي ان اجتمع . ويفتي في (الكلالة) ثم تحضره الوفاة ، فيمحو الكتاب . ويترك مسالة هذا الميراث شورى يقول فيها المسلمون رايهم . ولو شاء لحسمها برايه ، ونظر فيها بما يراه ، الا انه آثر اجتهاد من بعده ، وتحملهم مسئولية راي ، الا يتحملها هو . لما تترتب عليها من جدل ، او يكتنفها من لغو او فضول ، او اراء لا يحب عمر ان يجادل فيها او يدفع خطلها او يفوت على صاحب راي رايه فيها

ولقد كان من البديهي ان يحدث اختلاف بين فقهاء الصحابة في كثير من المسائل التي يرجع فيها الامر الى الاجتهاد او اعمال الراي والذهن ، ولكن ـ والحق يقال ـ كان مرد هذا الاختلاف الى فهم الفقهاء انفسهم . والى اختلاف البيئات ، والى تفرق كثير من الصحابة في الامصار والى تاخر تدوين الحديث

كان كل من الصحابة يفتي بما رءاه من النبي او سمعه او يجتهد فيما اشكل عليه ، او غم عليه فهمه ، او استثار عنده حاسة الفهم ، او شحذ فيه الفكر او سلك معه طريق المعاناة . الا انه خلاف على كل حال ، لا يرجع الى صلب الدين نفسه ولا الى جوهره ولا الى ذاته . وان اصابنا من هذا الخلاف في وجهات النظر ، او في حكم من الاحكام ، الخير الكثير ، فقد كان تمهيدا لمدارس الراي بعد ذلك ، وكان الجدل فيها من مشا... الحركة الفكرية في الاسلام .

القاهـرة ـ ابو طالب زيـان

هـم : « يتمتعوا » كما توجد بنفس الصيغة في الاية 68 من سورة هود وفي الاية 95 من السورة نفسها . ولاشك ان لفظة «تغن» في الاية : «جعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس .. » الاية 24 من سورة يونس هي من نفس المادة ولها المعنى الذي حددناه عنه اعلاه .

7 — « اساطير » الكائنة في الاية 31 من سورة الانفال التي يقول فيها الحق سبحانه : « واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ، ان هذا الا اساطير الاولين » .

يرى العلامة ابو القاسم بن سلام ان هذه المفردة من قبيلة جرهم ، وقد اعتمدنا على رأيه فأثبتناها هنا وان كنا نشك شكا يكاد يكون قطعيا انها من غير لغة جرهم اصالة ، ولكنه من الجائز جدا انها دخلت هذه اللهجة في وقت مبكر وانها تسربت الى اللهجات عن طريق لغة جرهم يوم كان افراد هذه القبيلة يحكمون الحجاز كلها ابتداء من استلاء الحارث ابن مضاض على مكة«7» الى ان طردتهم عنها خزاعة«8»

فمن اية لغة دخلت جرهم ؟

يوحي النظرة الخاطفة على كتب المفسرين انها من لغة فارس ذلك ان جل مفسري هذه الاية الشريفة يبينون ان قائل : « لو نشاء لقلنا مثل هذا » هو النضر بن الحارث «9» وان كان بعضهم اضاف الى من قتلوا صبرا يوم بدر مع النضر هذا ، عقبة بن معيط وطعيمة بن عدي «10» لكن الذي اثبت بشكل قطعي ان النضر بن الحرث اخذته العزة بالاثم حين سماعه اقتصاص الله احاديث القرون الغابرة في بيان ناصع وجمال لا يوصف ، فقال قولته المذكورة

هذا وقد سبق له ان زار بلاد فارس وحمل معه نسخة من حديث رستم واسفنديار «11» وبما ان هذه النسخة مكتوبة باللغة الفارسية ، وبما ان النضر بن الحارث كان « له اطلاع على كتب الفرس وغيرها » وبما انه اول من غنى على العود بالحان الفرس «12» فقد نتوهم ان لفظة «اساطير» فارسية اتت على لسان من تعود الحديث بها . لكن الامر على عكس ذلك ، وسنوضحه بعد قليل .

بقي الان ان نشير الى ان النضر بن الحارث لاينسب الى قبيلة جرهم ، ولا الى اي بطن منها ، وانما هو من عبد مناف ، من بني عبد الدار ، من قريش«13» . وهذه حجة اخرى على ان لفظة اساطير خرجت عن نطاق قبيلة جرهم قبل نزول القرآن الكريم لان شيطان قريش «14» النضر بن الحارث الذي هو من شجعان قريش ، ووجوهها نطق بها وهو منافي ولاشك انها انتشرت انتشارا واسعا بمساعدة المشركين والمنافقين الذين ما كانوا ليتركوا الفرصة تمر دون ان يحاربوا صاحب الرسالة الطاهرة التي نغصت عليهم العيش ، وزلزلت الارض من تحت اقدامهم ، وسفهت آراءهم ، واهانت اصنامهم ، واطاحت بعوائدهم وخرافاتهم .

كل هذا — سامحني الله — ولم اجب بعد عن السؤال الذي طرحته اعلاه . فمن اية لغة اذن ، هذه اللفظة اساطير ؟ :

وابادر فاقول دون ان آتي بالمقدمات انها من اللغة اليونانية وينطقون بها Istoriya وتكتب **ίστορία** وهي الحكاية . ونحن بكل صراحة ، نشعر ، حين نتصفح كتب اللغة من المطولات ، بأنها في حيرة من امرها حين تريد شرح هذه اللفظة . فاسماعيل ابن

«7» انظر المسعودي الجزء الثالث من صفحة 99 الى103 من طبعة باريس والقلقشندي صفحة 178 .

«8» الاعلام لخير الدين الزركلي الجزء الثاني صفحة110 من الطبعة الثانية .

«9» الكشاف الجزء الثاني صفحة 124

«10» انظر مثلا : « لباب النقول في اسباب النزول »لجلال الدين السيوطي طبعة القاهرة بدون تاريخ بهامش « تفسير القرآن العظيم للامامين الجليلين محمد بن احمد المحلى وابي بكر السيوطي صفحة 196 من الجزء الاول .

«11» الكشاف نفس الجزء ونفس الصفحة : الجزءالثاني صفحة 124 .

«12» الاعلام لخير الدين الزركلي الجزء الثامن صفحة 357 الطبعة الثالثة

«13» المصدر السابق نفس الصفحة

«14» العبارة لابن اسحاق

درهم «3» او ستمائة درهم فقال : الا اوصي قال : لا انما قال الله تعالى : «ان ترك خيرا » وليس لك كثير مال ، فدع مالك لورثتك «4» كما ان عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها ترى ان لفظة خيرا فى هذه الاية تدل على المال الكثير .

ووردت هذه اللفظة بهذا المعنى ايضا فى سورة الكهف فى الاية 90 التي يقول الحق سبحانه وتعالى فيها « قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما » وفى سورة النور الاية 32 وفيها يقول عز وجل « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم ، فكاتبوهم ، ان علمتم فيهم خيرا، وأوتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا، ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم .»

ومن رواية سلمان «5» يفهم ان «خيرا» هذه الواردة فى الاية الشريفة معناها المال ، لما قال لمملوكه الذي ابتغى ان يكاتبه : «اعندك مال ؟ » قال : «لا» قال : « اتمرني ان آكل غسالة ايدي الناس !!؟»

4 — لفظة : « داب » فى قوله تعالى : « كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب » الاية 11 من سورة آل عمران ومعناها بهذه اللفة كأشباه آل فرعون ولقد وردت هذه اللفظة مقرونة بآل فرعون ثلاث مرات فى القرآن الكريم : الاولى فى سورة آل عمران وهي التي نتحدث عنها والثانية والثالثة فى سورة الانفال الايتين 52 و54 وقد وردت مقرونة بقوم نوح ، فى قوله تعالى فى سورة عافر « مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم » الاية 31 .

5 — كلمة : « الا تعولوا » الاية 3 من سورة النساء ومعناها بلغة جرهم تميلوا وهي من ذوات الواو اذ لا شك انها من عال يعول كقال يقول . وان كان ابن منظور اوردها فى مادة عيل ، واستشهد ببيت ابي طالب الذي يقول فيه :

بميزان صدق لا يغل شعيرة
له شاهد من نفسه غير عائل

لكان صاحب تاج اللغة وصحاح العربية اورد فى مادة عول واستشهد بنفس البيت وعزز ذلك ببيت آخر من الشعر ، يقول فيه صاحبه :

قالوا اتبعنا رسول الله واطرحوا
قول الرسول وعالوا فى الموازين

ويقول مجاهد فى تفسيره لقوله تعالى : « ذلك ادنى الا تعولوا » لا تميلوا ولا تجوروا .

وقد روت عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الا تعولوا : الا تجوروا » هذا هو مذهب جل محققينا رضي الله عنهم .

اما الشافعي رحمه الله فقد راى شيئا آخر اذ فسر « ان لا تعولوا » بـ : « ان لا تكثر عيالكم » وجعله من عال عياله يعولهم عولا وعيالة اي قاتهم وانفق عليهم .

ولقد عشت — عفا الله عني — زمنا طويلا على ظن ان الامام الشافعي رضى الله عنه لم يصادف الصواب فى تفسيره لهذه الكلمة حتى اطلعت على حجتين جعلتاني لا ارى عيبا فيما ذهب اليه : **اولاهما** قراءة طاوس رضي الله عنه وكان ينطق بها : « ان لا تعيلوا » **وثانيهما** تعليل الزمخشري رحمه الله لراي الامام الشافعي رضي الله عنه حين قال «6» «ان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن ، فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج لتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع » .

6 — لفظة : «يغنوا» الكائنة فى سورة الاعراف الاية 92 والتي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى : « الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين » ومعناها بلغة

3» والملاحظ انالزمخشري الذياعتمدايضا علىهذا الحديث ليفسر لفظة « خيرا» بالمال الكثير لم يميز العدد « سبعمائة » بأي نوع من المال . الكشافالجزء الاول صفحة 112 .

4» «روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبعالمثانى » لشهاب الدين السيد محمد الالوسي البغدادي الجزء الثاني صفحة 52 الطبعة الثانية بمصردون تعيين زمنها .

5» الكشاف الجزء الثالث صفحة 75 .

6» الكشاف الجزء الاول صفحة 245

12 — «مقطوع» في قوله تعالى : « وقضينا اليه الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » الاية من سورة الحجر ومعناها مستأصل .

13 — لفظة « محسورا » في قوله تعالى : ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » الاية 29 من سورة الاسراء . ومعناها بلغة جرهم المنقطع .

وفي الاية الشريفة حكمة بالغة لا تخفى على احد ، والعمل الذي قام به الرسول العربي العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، والذي كان سببا في نزول هذه الاية لا يستطيع اي مخلوق القيام به ، وصلى الرحمة به ما وصلت وبلغ الحنان به ما بلغ .

14 — كلمتا « حدب ينسلون » في الاية 96 من سورة الانبياء . اما لفظة «حدب» فمعناها بلغة جرهم جانب ، واما « ينسلون» فمعناها بهذه اللغة «يخرجون» .

يفسر الزمخشري « حدب » بقوله «24» « النشز من الارض » وهي في الصحاح «ما ارتفع » من الارض ، والجمع الحداب ثم يورد الاية الشريفة اعلاه ، واعتقد ان معنى الاية الشريفة الاجمالي يستقيم لما للفظة من معنى في لغة جرهم ، وهو المعنى المعروف الان في العبارة « من كل حدب وصوب»

قرا ابن عباس رضي الله عنه « من كل جدث ينسلون » من كل جدث ينسلون «25» وعلق الزمخشري على هذه القراءة بقوله «26» «.. وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية » .
ولا ادري فائدة هذا التعليق لانني ، لم اعثر حتى الان على قارىء قرا حدب « حدف : بالفاء وقراها جدث ايضا ابن مسعود «27» رحمه الله ومجاهد «28» والجحدري «29» .

15 — مفردة « الودق » المذكورة مرتين في القرآن ، مرة في سورة النور الاية 43 وهي « الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله . وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » ومن ثانية في سورة الروم الاية 48 وهي : « الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله ، فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون » ومعنى الودق بلغة جرهم المطر .

16 — مفردة « شرذمة » في الاية 54 من سورة الشعراء : « ان هؤلاء لشرذمة قليلون » ومعناها بلغة جرهم عصابة . ولاشك انها العصابة القليلة العدد ، الحقيرة الذليلة وقد نص الحق سبحانه وتعالى على ذلك حين وصفها بـ : « قليلون » فجعل الشرذمة احزابا قليلة العدد والله اعلم .

17 — لفظة : « ريع » في الاية 128 من سورة الشعراء : « اتبنون بكل ريع آية تعبثون » ومعناها بلغة جرهم الطريق ، ولاشك انه صار يختص بالمكان المرتفع من الطريق بعد ان خرج من قبيلة جرهم وعم استعماله في سائر القبائل . ولقد استعمله بهذا المعنى الاخير الشاعر المسيب بن علس وهو من ربيعة ابن نزار بطن ينسب الى عدنان ، بينما جرهم من قحطان قال هذا الشاعر :

ففي الال يرفعها ويخفضها * ريع يلوح كأنه سحل

وفي هذا دليل على ان المفردة عم استعمالها في قبائل العرب قبل ان ينزل القرآن الكريم .

والجدير بالذكر ان هذه المفردة ذكرت في كتاب الله العزيز مرة واحدة .

18 — لفظة «الشوب» في قوله تعالى : «ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم » الاية 68 من سورة الصافات . ومعناها بهذه اللغة المرج . ومن القراء من يقرؤها بضم الشين ، ولم يذكر القرآن هذه المفردة الا مرة واحدة .

«24» الكشاف الجزء الثالث صفحة 21
«25» صفحة 108 من الجزء الاول
«26» نفس المرجع ونفس الصفحة اعلاه
«27» A. Jeffery والكشاف الصفحة المذكورة اعلاه
«28» A. Jeffery صفحة 62
«29» نفس المصدر صفحة 201

حماد الجوهري مثلا ، اثبتها في مادة «سطر «15»»
فالظن اذن ان الهمزة في اول الكلمة زائدة ، لانه يقول الواحدة اسطورة بالضم ويثبتها تحت مادة سطر ، وكان عليه ، ان كانت الهمزة اصلية ، ان يثبتها في حرف الراء ، فصل الهمزة ، كما فعل المنجد في اللغة والاداب والعلوم «16» A. De Biberstein Kazimirski «17» وغيرهما كثير .

غير ان شيئا اتى به الجوهري يثير الانتباه ، ذلك انه قال (18) : « واسطارة بالكسر » فنحن حين نمزج بين الوجهين : اسطورة بضم الهمزة ، ومد الطاء بالضم مع « اسطارة » بكسر الهمزة ومد الطاء بالفتحة ، نجد اللفظة اليونانية وهي « اسطورة » بكسر الهمزة ومد الطاء بالضم ، وان كان هذا الوجه لم ينص عليه اي مصنف في اللغة ، وليس غريب ان ينعدم هذا الوجه ، ذلك ان اللغة العربية ، او بالاحرى الناطقين بها يحاربون مثل هذا النطق «اسطوره » بكسرة فسكون فضم ، ويسعون دائما الى ما يطلق عليه : L'harmonisation vocalique التجانس الصوتي ، والجناس الصوتي هنا ، هو ضم الهمزة والطاء معا ، وكسر الهمزة وفتح الطاء ليس من الجناس في شيء ، كسر الهمزة وضم الطاء ، وهذا هو سر ابتعادهم عن الاصل اليوناني ، اذ التعريب ، هو اخضاع اللفظة الاجنبية الى قاموس اللغة العربية واشتقاقاتها . وواضح انهم لم يقولوا في جمعها اساطير ، بفتح الهمزة ، ومد السين بالفتح ، ومد الطاء بالكسر ، الا ان قواعد اللغة العربية الاصيلة تطلب ذلك ، ولا تعوز الامثلة من ارادها .

8 — لفظة « شرد » الاية 57 من سورة الانفال ، ومعناها بلغة جرهم « نكل » وهي عند جمهور القراء بدال مهملة اما ابن مسعود رضي الله عنه فقد قراها «فترذ» «19» بذال معجمة ومعناها فرق باللغة العربية . وهي قوله تعالى : « فاما تثقفنهم الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون » .

9 — لفظة « تحسبن » الاية 59 من سورة الانفال — هي قريشية حين يكسر سينها لكنها من لهجة جرهم حين يفتح سينها ومعناها واضح . وقد تكررت في القرآن مرارا . واختلف كثيرا في قراءتها. فابن مسعود «20» رضي الله عنه يقراها : « لا يحسب الذين كفروا انهم سبقوا » كما يقراها « لا يحسب الذين كفروا انهم سبقوا » يقراها بالياء وبفتح السين « لايحسبن الذين كفروا انهم سبقوا » يقراها بالياء وبفتح السين معا . كما يقراها الربيع بن خطيم (21) «يحسب ، ويحسبن» بالياء وبالفتح فيهما معا ، اما الاعمش (22) فيقرأها على الشكل الاتي: «يحسب» بالياء وبكسر الباء. واضاف الزمخشري (23) معللا ذلك : « .. وبفتحها على حذف النون الخفيفة. كما قراها الاعمش ايضا «يحسبن» بالياء وبفتح السين .

10 — لفظة « أراذلنا » الاية 28 من سورة هود التي يقول الحق سبحانه وتعالى فيها « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين . »

11 — مفردة « عصيب » الاية 77 من سورة هود ، ومعناها بلغة جرهم شديد .

15» الصحاح الجزء الثاني صفحة 284

16» المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة 1956 .

17» الجزء الاول طبعة 1960 .

18» الصحاح نفس الجزء ونفس الصفحة

19» الكشاف صفحة 132 من الجزء الثاني و Arthur Jeffery في كتابه Materiels for the history of the text of the Qur'ân طبعة Leiden 1937 صفحة 44

20» A. Jeffery نفس المرجع ونفس الصفحة اعلاه . وان كان الزمخشري لم يوضح بالضبط قراءة ابن مسعود في كشافه .

21» A. Jeffery صفحة 289

22» المرجع السابق صفحة 318 .

23» الكشاف الجزء الثاني صفحة 132

الطلاق يحتاج الى حكم

للأستاذ عبدالنبي ميكو

اطلعت في العـدد السادس والسابـع من مجلـة (دعوة الحـق) على مقال قيـم كتبـه الاستـاذ محمد ابن عبد العزيـز الدباغ حـول موضـوع - الطـلاق لا يحتاج الى حكم - وقد اعجبت بالكاتب وبالطريقة التي يحاول ان يبرر بها اراءه والاصطباغ العلمي الذي يحاول ان يضفيه على موضوعه، كما اني اشكر المجلة (دعوة الحق) على عنايتها الكبـرى بالبحوث التـي تناول شوءون الاسـلام وقضاياه والحلول التـي يراد اعطاؤها لكثير من مشاكله ولكن وجهـة النظر التي ابداهـا الاستـاذ فـي مقالـه ارغـب فـي مناقشتهـا وانتقادها لاني ارى غيرها يمكن ان يحل محلها وارى انها وجهة سديدة، ولكن يمكن الاستعاضـة عنها سواها خاصة واننا نعيش في ظروف خاصة. كما ان الضرورات الاجتماعية تدعو الى ذلك حيث اصبح التدهور الاجتماعي يسود واصبح الرجال لا يقدرون المسوءولية الملقاة على عاتقهم والامانة الموضوعة في عنقهم. فاذا بهم يخونونها ويركبون روءوسهم فيقوضون معالم الاسرة بانهاء رابطة الزواج فيسيئون الى الزوجة والى الابناء والى المجتمع الذي سيكون ملزما بتحمل عبثهم، ويا للهول فيما اذا اصبحوا اشرارا ولهذا الا يكون اعدل واصوب ان يكون الطلاق بصفة مبداية بيد القاضـي هذا هو الموضوع الذي اريد علاجه

الحكمـة مـن الـزواج :

ان اجتماع الذكر بالانثى اول صورة للاجتماع الانساني، وازدواجهما هو الذي ولد الاسرة التي تعتبر النواة الاولى فى المجتمع البشري وهي المرآة التـي تعكس رقي الامة وتطورها او تاخرها وتدهورها فبقدر ما ترقى الاسرة ترقى الامة وبقدر ما تتاخـر الاسـرة تتاخر الامة

والاسرة نشات عن تنظيم اتصال الذكر بالانثـى وذلك حتى لا يظل الاتصال فوضى تحكمه قوة الطبيعة العمياء فتكون المراة لمن استطاع ان يستاثر بها، وقد لا تكون لواحد وانما تكون لكثيرين اذا استطاعت ان تحرك غرائزهم واستطاعوا ان يستاثروا بها، وفي هذه الحالة اذا كانت لكل واحد فانها لن تكون لواحد معين وبذا لن تشعر بان لها حقوقا معينة نحو رجـل معين، والرجل لن يشعر بان له حقوقا معينة نحو امراة معينة، وعليه لن يجد الرجل البيت الذي ياويه والذي ينسيه عناء العمل واتعاب الحياة ومشاكلها المعقدة ويراد ملاذه الطبيعي فيه زوجة يحن اليها ويرى فيها من يبثه اسراره واحزانه والمراة بدورها لن تجد الرجل الذي تبثه جميع اقراحها وافراحها، من يحميها ويرعاها ويكلوءها خصوصا وانها تشعر بقلق واضطراب عند ما تكون وحيدة منعزلة تنتظره بفارغ الصبر وبكل ما اوتيت من قوة

والمراة ولود تنجب الابناء، واذا لم توجد علاقة بقصد الديمومة والثبـات قائمـة على الرضا المتبـادل والعطف الدائم فان الابناء ينشون ويترعرعون دون ان يعرفوا حنان الاباء ولا عطف الامهات، تتقاذفهم الايدي من هنا الى هناك يشبون وقد تعودوا حياة الشر وعرفوا الجريمة وعاشوها وقد يصعب على المجتمع ان يتحملهم لانه لم تتحملهـم اسرتهـم في طفولتهم يـوم ان كان

19 ـ مفـردة « القطـر » المذكورة مرتين في القرآن مرة في سورة سبأ الاية 12 « ولسليمـان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنـا نذقه من عذاب السعير » والثانيـة فـي سورة الكهف الاية 96 « آتوني زبـر الحديد حتـى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعلـه نارا قال آتونـي افـرغ عليـه قطـرا » ومعنى القطر بلغـة جرهم النحـاس .

20 ـ كلمـة « جبار » الاية 45 من سوره«ق» « نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار ، فذكـر بالقرآن من يخاف وعيد » ومعناها في هذه الايـة مسلط بلغـة جرهـم .

21 ـ لفظـة « الانـام » الكائنـة في الايـة 10 من سورة الرحمان ومعناها بلغة جرهم الخلق وقد وردت مرة واحـدة في القرآن الكريم .

22 ـ مفـردة « استغشـوا » في الاية 7 «واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلـوا اصابعهـم في آذانهم واستغشـوا ثيابهـم واصـروا واستكبـروا استكبارا» سورة نوح ، ومعناها بلغة جرهـم «تغطـوا» وهي مفردة ذكرت مرارا في القرآن الكريم .

هذه هي الفاظ لغة جرهـم الواردة في كتـاب الله العزيز ، ارجو ان اكون قد وفقت في احصائهـا وتبيانها للناس ، وعسى ان يزودنـي السادة الفضلاء الذين لاحظوا اخلالا في التفسيـر او تقصيرا فـي التوضيـح بنصائحهم ولهم الشكر الجزيـل .

واني لا ادعي انه لا يوجد في القرآن الكريم مـن الالفاظ الجرهمية، اذا صح هذا التعبير ، الا هذه فهذا امر لا يمكن ان يخطر على بال عاقل ، وانما اريد ان اقول ان حجة تكـاد تكون قطعية توجد بين ايدينا على ان هذه الالفاظ جرهمية قبل كـل شيء . ولا ادعي ، وما كنت لاستطيـع ، انني هكذا اقول الكلمة الاخيرة في هذا الموضـوع ، وانما ارجو ان اكون ، بكـل تواضع ، وضعت لبنة صغيـرة في عمل آمل ان يكون شامخا ، راسيا على قواعـد متينة تتضافـر على تشييده جهود علمائـنا المخلصيـن .

والاهتمام باللهجات العربية سواء الـواردة في القرآن او في غيـره شيء ضروري ، وقد حـان الوقت لتوجيـه الهمم اليه ، فعسى اللـه ان يعيـن على ذلـك .

اكاديـر ـ الراجي التهامي الهاشمي

حالة اضطراب نفسي وقلق فكري وتكون نفس الزوج رغبة عنها ولهذا فهو يرغب في التخلص منها ، فاذا ما طرت جاز له ان يطلقها شريطة الا يقربها جنسيا لانه ا طلقها في هذا الظرف دل ذلك على نفور نفسه منها وانه غير راغب فيها بالمرة ، اما ان اقترب منها جنسيا فانه لا يجوز له ان يطلقها الا في طهر اخر وهذا يبعد الطلاق اذ انه قد يتوب الى رشده وتزول النزوة ، وينسى الدافع ثم ان الطلاق لا يكون بصفة مبدائية الا رجعيا والطلاق الرجعي يعطي الحق للزوج في ان يعيد زوجته الى بيت الزوجية دون اذنها ولا رضاها ولا عقد جديد ولا مهر جديد ، وكل هذا خلال فترة معينة هي مرحلة العدة ، ومعنى هذا ان العدة ما هي الا مرحلة تدبر وتامل فيما ال اليه امرهما وانه بعد مرور هذه الفترة لن تاتي عودة المياه الى مجاريها الا باجراءات قد تكون معقدة

والاسلام يهدف من كل هذا تضييق دائرة الطلاق وذلك لانه يهدف تكوين اسرة سليمة قوامها المحبة وسداها الوفاق ولم يمنعه كما منعته بعض الشرائع وان كانت قد وضعت مكانه الانفصال البدني ولم يجعله يوقع لاسباب تافهة كما فعلت بعض ولايات امريكا الشمالية مما يجعل الاسرة هزءا وسخرية

الانفصال البدني :

كثير من الشعوب الغربية التي تحرم الطلاق ولا تبيحه وترى ان ما يجمعه الله في السماء لا يفرقه الانسان في الارض ، ومن تزوج بمطلقة اخيه فقد زنا ، ومن ذلك الكنيسة الكاتوليكية اما الارتودكس والبروتستانت فهما يبيحان الطلاق في حالات معينة ولكن يمعنان المراة والرجل بعد ذلك من ان يتزوجا ومن الدول التي تحرم الطلاق بالمرة ايطاليا واسبانيا ، اما فرنسا فقد اجازته مدونة نابليون سنة 1804 واعادت اجازته سنة 1884 ، والدول التي لا تجيزه تجيز ما يسمى بالانفصال البدني فما هو الانفصال البدني ؟ وما هي اثاره ؟ وهل يمكن ان يقوم مقام الطلاق وهل الطلاق حقيقة بالنسبة للانفصال البدني شيئا ليست له قيمة .

ان الانفصال البدني معناه ان ينفصل الزوج عن زوجته وان لا يقربها جنسيا ومعناه انها تظل زوجة له ويظل زوجا لها وتظل كذلك حاملة لاسمه وام اولاده وتربيتهم وغالبا ما يكون عقابا لها فيما اذا زنت ، وذلك حتى لا تتمادى في غيها ولكن هل هذا النظام صالح وهل يستجيب مع الاهداف التي وضع من اجلها ، انه نظام لا يتفق مع المشروعية والقانون والاخلاق ، فالزوجة التي تزني ويكون عقابها انفصال الزوج عنها فهل هذا كاف لتربيتها ، اليس هذا يسيء الى زوجها حيث تظل حاملة لاسمه ولقبه الا يسيء هذا الى تربية ابنائها حيث انها تظل مربية لهم ، ايمكن ان يكون هذا رادعا لها ام موديها الى غلوها الامر الذي يوءدي بها الى ان تصبح العهارة معتادة لها ، فما ذنب هوءلاء الابناء وما ذنب الزوج ثم ان هذا لا نبيح له ان يتزوج لان الزوجة المنفصلة لا تزال زوجته وهو ان تزوج يعد مرتكبا لجريمة التعدد ، الا يكون هذا داعيا الى ان يفسق ويفجر ، فما هو الهدف الاساسي من القانون، انه هو تحقيق الخير العام وسعادة الافراد ولا اعتقد ان نظاما يحرم الطلاق ويقيم على انقاضه ما يسمى بالانفصال البدني ، يمكن ان نجد فيه ما يجعلنا نعتقد انه يحقق الصالح العام الا يكون نظام الطلاق اجدى وانفع في ظروف تستحيل معها العشرة بحيث تصبح الاسرة جحيما لا يطاق وتصبح الحياة الزوجية وبالاعلى الزوج والزوجة والابناء ، الا ينبغي ان نلتجيء الى القضاء في ظروف قاهرة لينهي رابطة الزواج

من بيده الطلاق :

يرى البعض ان الطلاق لا يمكن ان يكون بيد المراة . وانما ينبغي ان يكون بيد الرجل وذلك للاسباب الاتية :

1) ان الرجل يحكم عقله فيما يصدر عنه من عمل فهو لا يصدر امره الا بعد روية وتفكير وهو يتردد كثيرا قبل الاقدام عليه ويخشى عواقبه ولهذا فهو ان قدم رجله مرة فانه يوءخرها الف مرة ويخاف وعيد الله ويتقي شره وايمانه اكثر من ايمان المراة

بالامكان توجيههم توجيها صالحا ، والنتيجة هي انهم لن يحملوا للعالم غير البغض ، ولن يكونوا مصدر خيره ونفعه ، بل مصدر شره وقلقه واضطرابه ، بخلاف ما اذا كان النتاج وليد رابطة مستمرة قائمة على اسس خلقية متينة فان الابناء سيكونون امتدادا لابائهم وسيشعر الاباء بانهم حتى وان كانوا لا يستطيعون ان يقهروا الموت وان يعيشوا دوماباشخاصهم فانهم سيعيشون ممثلين في ابنائهم اذ سيحملون ذكراهم ، وبهذه الحلة يستطيع الناس ان يعمروا طويلا رغم ان الموت نهاية كل حي فيلبوا بذلك نداء الحياة ، وان الانسان عبيد الحياة الراغب فيها الطامع في الازدياد ، وبذا سنحافظ على استمرارية النوع الانساني

والزواج ينعش الزوج بغيرته وانه يعيش لغيره لا لنفسه ويزيل عنه الانانية وحب الذات ويعلمه ان يعيش للغير وبالغير فيعيش لزوجته وابنائه.

هذه هي الاهداف السامية من الزواج ، ولكن لن يتاتى له ان يؤدي رسالته ويبلغ مقاصده الا اذا كان دائما مستمرا ، لا يقصد توقيته بمدة معينة من الزمن او جعل اسباب انفصال الرابطة كثيرة ومتعددة ، وفي نفس الوقت ، واهمية ذلك انه اذا كان المثل الاعلى هو بقاء الرابطة مستمرة فانه قد تحدث ظروف قاهرة تدعو الى ذلك ، ولهذا لا يمكن المنع من انفصام الرابطة بصفة نهائية لان ذلك قد يؤدي الى قلب الاهداف السامية من الزواج ويجعل الحياة الزوجية جحيما لا يطاق ويهون على الزوجين ان يتحملا حياة الاسر ولا يتحملانها ، وقد قال « بتنام » في كتابه (اصول الشرائع) حقا ان الزواج الابدي هو الاليق بالانسان والملائم لحاجاته والاوفق لاحوال الاسرة والاولى بالاخذ ولكن ان اشترطت المراة على الرجل الا تنفصل عنه حتى لو حلت في قلوبهما الكراهية الشديدة مكان الحب لكان ذلك منكرا لا يستسغيه احد من الناس على ان هذا الشرط موجود دون ان تطلبه المراة اذ ان القانون الكنسي يتحكم فيه فيتدخل بين المتعاقدين في حالة التعاقد ، ويقول لهما انتما تقترنان لتكونا سعيدين فلتعلما انكما ستدخلان سجنا سيحكم اغلاق بابه،ولن اسمح بخروجكما وان تقاتلتما بسلاح العداوة والبغضاء ، ثم يعلق « ولو كان الموت وحده هو المخلص من زواج هذا شانه لتنوعت صنوف القتل واتسعت مذاهبه »

الفكرة الاساسية من الطلاق :

اذا اكتفت الاهداف السامية من الزواج فلم تت... المساكنة ولم يمكن تنشئة الابناء تنشئة حسنة واصبح الحياة الزوجية جحيما لا يطاق وانفصال الرابطة اهون من اتصالها او كانت المراة عقيما والرجل يرغب في ا... ينجب ابناء ولا يريد ان يضحي من اجل زوجته الاولى فيتزوج ثانية ويتركها في البيت ، او ان القانون يمنعه من الزواج باكثر من واحدة او موارده الاقتصادية لا تكفي الزوجتين ، او كانت المراة مريضة ولا يتاتى لها ان تنهض باعباء الزوجية ، والرجل لا يمكنه لعامل من العوامل ان يبقيها ، في مثل هذه الظروف يجوز انهاء رابطة الزواج بالطلاق ولكنه يظل مبدا استثنائيا وحدثا غير عادي ودواء لا يعطيه الطبيب الا عند ما يكون المريض بحاجة اليه فهو الحل الذي يعد بمثابة الحرب في الميدان الدولي

الطلاق فى الاسلام :

جاء الاسلام وقلب المجتمع العربي راسا على عقب وتدخل في الحياة العربي الذي كان مزواجا مطلقا وكان يطلق المراة متى شاء وكلما كادت عدتها من ان تنتهي الا واعادها الى بيت الزوجية ثم يطلقها ثم يعيدها وهكذا دواليك حتى تصبح كالمعلقة لا هي بالزوجة ولا هي بالمطلقة وهذا معناه استعباد لها واملاء لحياة يسودها الاضطراب بالنسبة للابناء ولا تعرف الاستمرار والاستقرار ولكن الاسلام قضى على حيوانية العربي وانانيته فهو يبيح الطلاق ولكن يجعله حلالا استثنائيا ولا يلجا اليه الا عند الضرورة وليس معناه انه وقف في منتصف الطريق فلم يحرم الطلاق ، بل معناه الاعتراف بمشاكل الحياة وما يمكن ان يوجد من كراهية ونفور وعقم او مرض او عيب من عيوب الزوجية ، وقد اقر الاسلام الطلاق ولكن جعله ابغض الحلال الى الله ، وقال الرسول تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز له عرش الرحمان ، والسني لا يجوز الا في طهر لم يمس ... الزوج زوجته ذلك ان المراة اثناء الحيض تكون ...

.. ت بينهن الفاحشة وهو لم يكن يريد ان يشيد الاسرة ع.. اسس غير سليمة

هذه بعض الاجتهادات او بعض السوابق تعطينا ا.. ل وتنير امامنا الطريق وتقوي فينا العزم وانا لا ادعو هنا الى بدعة عند ما ادعو الى ان يصبح الطلاق بـ.. فة مبدئية بيد القاضي، فالضرورات الاجتماعية الملحقة هي التي تدعو الى ذلك

البيت الاسرة هي عماد كل امة

البيت هي اللبنة الاولى في بناء كل مجتمع سليم

البيت الاسرة هي المرآة الناصعة التي تعكس رقي امة وتطورها وتاخرها وانحطاطها

البيت الاسرة هي المدرسة الاولى للطفل وفيها يقضي الكثير من اوقاته فتطبعه بطابعها خيرا او شرا وليس بالامكان تكوين اسرة سليمة واعية متحملة لمسوءولياتها الا بضمان الاستقرار والثبات والاستمرار وهذا لا يتاتى الا اذا اصبح الطلاق بيد القاضي ونزع عن الزوج الذي كثيرا ما يسيء استعمالها فيملي البوءس والشقاء للابناء والياس للمراة ويجعل من المراة العوبة ، ومن الابناء مجرمين خطرين يقلقون راحة الناس ان صمانة الابناء الكبرى تتجلى في بقاء رابطة الزواج مستمرة ، وعدم السماح لانانية الرجل بان تتحكم وعدم الاملاء للمباديء الفردية بان تسيطر وان ضمانة المراة في حياة سعيدة لا تبدو في جعل هذه الموءسة بيد الرجل اذ ان هذا لن يطمئن المراة على مستقبلها وسيجعلها تنظر الى المستقبل بريبة وقلق ويزداد قلقها كلما سمعت لحوادث الطلاق بل قد ينقلب قلقها الى تشاوءم وكل هذا ناتج عن تلك السلطة التي يملكها الرجل خصوصا وان حوادث الطلاق كثيرة في مجتمعنا ، فما اكثر ما يوقع الطلاق على الزوجة فتصبح عالة هي والابناء على المجتمع وما اكثر ما تطلق المراة بعد ان تكون قد فقدت زهرة شبابها وفترة احلامها وامانيها وبعد ان اصبح شبح الشيخوخة يكشر عليها انيابه هذا مع مراعاة ان البيئة الشرقية كثيرا ما يسرع فيها الهرم الى النساء في سن مبكرة وذلك لاهمالهن القيام بشوءون ا.. سهن بعد حصولهن على زوج في حين ان الرجل يـ.. ل مالكا لحريته في ان يبقيها وياتي باخرى ويطلقها ويتزوج غيرها ولهذا فان الاصلاح للازمة الاجتماعية التي نعيشها لا يكون الا بجعل الموءسة بيد القضاء. ولكن خصوم ان يكون الطلاق بيد القاضي ومنهم الاستاذ الدباغ فهم يرون ان المشاكل العائلية يجب ان تظل حبيسة العائلة ، ولا ينبغي ان تصل الى القضاء خصوصا وان شقة الخلاف قد تزداد واسباب الخصام قد تشتد وتعنف وهذا ما يعرقل عودة المياه الى مجاريها او قد تكون الاسباب واهية لن يحكم القضاء بناء عليها بالطلاق فيعمد الراغب فى الطلاق الى اختلاق اسباب كاذبة يوحي بصحتها لتوءدي الى الطلاق ثم ان الطلاق يكون شرا لا بد منه وخيرا مما عداه عند ما يرى الزوج زوجته تقع في هوة في حياتها الخلقية فاذا به يطوي قلبه بين اضلعه ويكتفي بالطلاق ساكتا صامتا عن حدث جلل لا يريد ابداءه لانه عاصفة ستقوض الكثيرين وتعلن اسرارا دفينة ولكنها كلها لا تقف امام ضرورة الحفاظ على وحدة الاسرة تحقيقا لاجتماعية الاسلام وحفاظا على مصلحة الابناء ورعاية للمراة وحدا من انانية بعض الرجال وفي نفس الوقت فانها لا تقف امام النقد

فالقاضي يمثل الصالح العام ويحمي الاهداف الجماعية واليه يعود الناس ليحل نزعاتهم وخصوماتهم وليست هناك ضرورة تدعو الى استثناء الطلاق بدعوى ان اسرار البيت العائلي يجب ان تظل حبيسة البيت العائلي اليس القاضي يفصل في عيوب الزوجية ويكون الطلاق بناء على حكم ، اليست عيوب الزوجية من اخطر ما يتعلق بالاسرة وربما تكون لها تعقيدات نفسية في بعض الظروف ، اذن نبيح للقاضي ان ينظر في عيوب الزوجية ولا نبيح له ان ينظر فيما يملكه الزوج من طلاق ، فما الفرق بين هذه وتلك ، تم ما هو راي الاستاذ الجليل في اللعان والزنا ، اليس الامر فيهما مفوضا الى القاضي اليس الزوج في امرهما لا يطوي نفسه على سره ، ثم اليس التطليق للضرر يكون بعد الاثبات فاذا لم يستطع الاثبات يرسل القاضي حكما من اهله وحكما من اهلها ليتفهما اسباب الخلاف ويصلحا ذات البين انى وجدا السبيل الى ذلك فاذا كان على الحكمين ان يصلحا ذات البين الا ينبغي ان يتحمله ايضا القضاء ثم اليس اصلاح ذات البين بين المسلمين واجب فمن باب اولى فيما بين الزوجين ومن لدن من يملك الفصل بين الناس وهو القضاء ثم انه اذا كان من اللازم الحفاظ على اسرار

بخلاف ما لو ملكت المراة امر الطلاق وهي التي تهيمن عليها اهواؤها ونزواتها وتسيطر عليها عواطفها وتحت تاثير النزوات العارمة يمكن ان تطلق فاذا بها تقوض البيت العائلي وتصيب المجتمع بالتبور والهلاك وهي ضعيفة الدين لا تخشى عقاب الله ولا وعيده غالبا

2) ان الزوج في الاسلام هو الذي يصدق المراة وهو الذي ينفق كثيرا في سبيل الزواج وما يعطيه الزوج لزوجته من صداق يكون ملكا خالصا لها وتستحقه كله بمجرد الدخول ، وعليه فهي اذا ملكت طلاق نفسها بنفسها بصورة مبداية وبصفة مطلقة لامكنها ان تتزوج كل يوم وان تطلق كل يوم ولا ثرت على حساب الغير ثم ان الزوج بالاضافة الى هذا سيكون ملزما باداء ما بقي من صداق موجل اذ ان الموجل يصبح معجلا بالطلاق بالاضافة الى هذا فان الزوج يجب عليه ان يمتع زوجته المطلقة ثم ان الزوج تدعوه اجتماعيته وضرورة حفظ النسل وايجاد الانس الى ان يتزوج

هذه هي حجج من يرون ان الطلاق ينبغي ان يظل بيد الزوج ولا ينبغي ان يكون بيد المراة ونحن لا ندعو الى ان يصبح الطلاف بيد المراة وانما ندعو الى فكرة اخرى وان كان ما يدلي به انصار فكرة ان الطلاق ينبغي ان يظل بيد الزوج ليست فكرة بعيدة عن النقد فكثير من الرجال من تغلب عليهم العواطف وكثير هم الرجال الذين تهيمن عليهم نزواتهم وشهواتهم فيطلقون لاتفه الاسباب واوهاها وليست المراة دائما تحكم عواطفها وشهواتها بل كثير منهن يحكمن العقل ويسيطر على اعمالهن المنطق والمعقولية ويتحملن مسؤوليتهن بعزم وثبات وقد يتدبرن كثيرا في امر الطلاق اكثر من الرجال خصوصا اذا علمنا بانه توجد وجهة نظر علمية في امريكا ترى بان المراة احدق واقوى من الرجل وترى ان الرجل يجهل هذه الحقيقة لغروره العام وجهله الفاضح ونحن وان كنا لا نتفق مع وجهة النظر القائلة بان المراة اقوى من الرجل واقدر منه لان هذه في اعتقادي ليست الا رد فعل لما حدث في اروبا اجيالا واجيالا من ازدراء المراة واحتقارها ، ومن اعتبارها رجسا من عمل الشيطان يجب اجتنابها وان الرجل اذا خرج صباحا ووجد في طريقه امراة فان اليوم سيكـ[illegible] يوم شؤم ، اما نحن الذين عرفنا مبادىء الاسلام واشـ[illegible] بقيمه فقد احترمت المراة عندنا وقدرت واعتبرت ، كرامتها ونتيجة لهذا لسنا بحاجة الى رد الفعل هـ[illegible] وانما نومن بالمساواة ، ولهذا فانني في فكرة الطلا[illegible] اذهب الى ضرورة ان تصبح بيد القضاء ولا ينبغـ[illegible] ان يكون الابناء على حكم

الطلاق لايكون الا بحكم القضاء :

اني اذ ادعو الى ان يصبح الطلاق بيد القاضي بصفة مبدئية لا ادعو الى مبدا غريب عن الاسلام ذلك ان التطليق للغيبة والتطليق للضرر ولعدم النفقة والايلاء والهجر لا يكون الابناء على حكم القضاء كما ان المراة يجوز لها ان تطلق نفسها بنفسها فيما اذا ملكت هذا الامر وان كانت تستمد هذا الحق من زوجها ، اذن ، الا يجوز ان نقيس على حالات التطليق حالات الطلاق التي يملك الزوج فيها هذا الحق ؟؟

ثم ليس غريبا عن الاسلام اذ ان الاسلام ياخذ بمبدا لا ضرر ولا ضرار وان الصالح العام يقدم على الصالح الخاص وان الضرورات تبيح المحظورات وان الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما ويومن بضرورة النفاذ الى اعماق النصوص وادراك معانيها واغراضها البعيدة ويعطي حرية واسعة للمفسر ويقدم الجماعية على الفردية

الم يمنع عمر بن الخطاب المؤلفة قلوبهم من حقهم في الزكاة . وقال لهم كان الرسول يعطيكم ليتالف قلوبكم ، اما اليوم فقد اعز الله الاسلام ، فانا لا نعطي على الاسلام شيئا ، فعمر كان يومن بانه يشترط لتطبيق تمكين المولفة قلوبهم من حقهم في الزكاة ان يكون المسلمون في حالة ضعف

ان عمر لم يقطع يد السارق الذي سرق في عا[illegible] المجاعة لانه كان يعلم انهم ما كانوا يسرقون ا[illegible] اضطرارا

ان عمر منع المسلمين من الزواج بالكتابيات [illegible] ان الاسلام يجيز ذلك والسبب ان عمر راى ان الكتابيا[illegible]

عبقرية الاسلام في المغرب

للأستاذ : الحسن السائح

- 2 -

لقد كان للنهضة السلفية فى الشرق والاتجاهات الفكرية الفلسفية والاجتماعية فى المغرب وللصراع الايدولوجي بين الاسلام ومختلف المذاهب أثر فى واقع الاسلام المعاصر ، ولقد واجه الاسلام فى المغرب نفس القوات التي كانت تواجهه فى الشرق ، وكانت فى الغالب مسلحة ماديا وادبيا امام قوته الروحية المسلحة بالمنطق الحق ، وتراث اجيال من كفاحه المجيد من اجل السلام والسمو بالانسان ، ولذلك لم يكن الاسلام يخشى التحديات ، مما كان يجعل خصومه يتبنون آراءه ويقتنعون بها فى الغالب بعد فهم اصولها ومراميها وعندما لايضلهم غشاوة التعصب ، ولذلك اسلم كثير من المجادلين عن اقتناع وحجة ، واقر بعبقريته كثير من المستشرفين والباحثين الموضوعيين

ويحدثنا مؤلف كتاب عصور المغرب المظلمة عن مناظرته لبعض العلماء مما يدل على مدى حيوية التفكير الاسلامي وحدته بالمغرب فى هذه الحقبة المريرة من تاريخه رغم ان المغرب كان فى اواخر القرن التاسع عشر يعاني انهيارا فظيعا فى مختلف الميادين الفكرية والثقافية ، وقد شهد لذلك كثير من الكتاب ومن جملتهم (كامبو) الذي قال عن المغرب سنة 1886 فى كتابه (المغرب فى اواخر القرن التاسع عشر) : « ان حالة المغرب المادية هي حالته فى القرن الثالث عشر، ولكننا فى انحطاط وانهيار فلننتظر بضع سنوات وسوف لايكون المغرب الا اثرا » وايد قوله (ج ليوبون) الذي قال : «ان مدينة فاس التي نافست بغداد اصبحت الآن محطمة » . وكما انهار علميا وثقافيا انهار فنيا ، فقد تقلص الفن المعماري متجمدا فى صور معمارية رتيبة متكررة كما لاحظ ذلك المؤرخ المعماري نيراس فى كتاباته عن الفن المغربي .

ولم تكن هذه الاراء الا تصويرا للواجهة الحضارية التي تنعكس فى اعماقها الحضارة المتحانة التي تسير الى الانهيار ، والتي كانت تتخبط فى دياجير محاولات اصلاحية يجهض الكثير منها لعقم اسلوبها وفقدها للمنهجية من جهة وللمقاومة المفرضة التي تتصدى لها من الخارج من جهة اخرى ، ولذلك كانت اصوات المصلحين بحة لاتتجاوز حناجرهم ، وكانت اللغة التي يعبرون بها لاتتجاوز دائرة ضيقة محدودة ان لم تكن فاقدة لحيويتها ، كما كانت وسائل العمل من العتاقة بحيث لاتضمن النجاح فى الطريق الشائك الذي نصبت نفسها لسلوكه ، وبينما كان الاسلام يعاني هذه الازمة (لا فى اصوله وحقائقه ولكن فى اسلوب العمل لشرحه والدفاع عنه) كانت المسيحية جادة فى التبشير بمذهبها بكل ما تملك من قوة ، ولعل كثيرا من دعاتها لم ينسوا وصية ايزابيلا قبل وفاتها والتي تحث على نشر الايمان المسيحي الصحيح بين سكان شمال افريقيا كما كان فوكو (1916) نموذجا واضحا للمبشر المغامر . وقد استطاعت المسيحية ان تتسرب الى عدة مدن وقرى افريقية ، وبالاخص التي تبعد عن المراكز الثقافية الاسلامية متدرعة بالمنشآت الصحية والانسانية فأسست عدة كنائس فى طول البلاد وعرضها .

وبجانب المسيحية كان التيار الماركسي يتسرب الى المغرب عن طريق الاحزاب الشيوعية والمجلات الماركسية ، ومن المعروف ان الماركسية انطلقت من

العائلة فيمكن ان تعقد المحكمة جلسة سرية تمنع من نشر مناقشاتها وسائل النشر من جرائد ومجلات واذاعة وتلفزة ولا يحضرها الجمهور .

اما القول بان الاسباب قد تكون واهية لا يمكن ان تبرر الطلاق فاذا بالراغب من الزوجين في الطلاق يختلق اسبابا كاذبة مبرراتها الطلاق ، فاقل ما يقال عنه انه قول متهافت اذ انه اذا اريد الوقاية من اختلاق الاخبار الكاذبة فيجب اغلاق المحاكم بالمرة لانه كثيرا ما تروج امامها الاكاذيب والاراجيف ولكن القضاء الذكي والمثقف هو الذي لا يسمح بان يدس سمعه بما لا يليق ثم ان عقد الزواج يقوم على اساس التراضي ورضى الزوجة بالزواج ضروري ، ولذا فما دام هذا العقد وليد تراضي ارادتين فلا يعقل ان تتولى الارادة الفردية انهاء ارادة الزوج وما دام الزوج والزوجة بارتباطهما يلزمان بالتزامات معينة يحددها الشارع ويوكل امر تطبيقها الى القضاء عند الخلاف في شانها فكذلك الطلاق فهو منظم من الشارع لكن امر تطبيقه يجب ان يوكل الى القضاء .

وان وضع الطلاق بيد القضاء هو ما ذهب اليه المعتزلة قديما فهم لا يجيزون وقوع الطلاق الا بتحكيم القاضي الشرعي العادل وما ذهب اليه المعتزلة قديما هو ما ذهبت اليه تونس حديثا في مجلتها ، والرجاء ان يهتم من يهمهم امر التشريع في بلادنا فيضعوا المؤسسة بيد القاضي ، وليس ذلك على هممهم بعزيز ، فالمدونة الحالية تغلبت على ما كان يسود مجتمعنا المغربي من تقاليد بالية ، فهي جعلت الطلاق المقترن بعدد لفظا او كتابة لا يقع الا واحدا ، في حين انه قيل ذلك كان يقع ثلاثا ، كما انها لم تبح الطلاق المعلق على فعل شيء وتركه وجعلت طلاق المكره والسكران غير جائزين ولم تبح ان يستغلوا قصور من هن تحت ولايتهن فيزوجوهن بمن لا يلتقين بهن ، فالمدونة التي خطت هذه الخطوات الجبارة لا يمكنها ان تقبل ان يظل الطلاق بيد الزوج

الرباط — عبد النبي ميكو

نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 14 -

ذكرت فيما مضى اقوال طائفة كبيره من علماء أوربا وامريكا جماعات وأفرادا ، كلهم أطالوا البحث والتنقيب فى العالمين المادي والروحي ، وانتهت مباحثهم بنتيجة واحدة ، لا يختلفون فيها ، وهي ان هناك عالمين، عالم الغيب وعالم الشهادة ، وبعبارة اخرى عالم المادة وعالم الروح . ونتائج البحوث الباهرة ارغمت أشد الماديين عنادا ان يومن بعالم الروح ، وبخالق جميع العوالم وفى هذه الحلقة أضيف الى ما تقدم مباحث أخرى ونتائجها مما تقر به عين المؤمن المخلص . والباحث المنصف ، وتسخن به عين المكابر المتعسف .

قال الاستاذ فريد وجدي : من بين الدافعين صدر الإلحاد فى أوربا والطاعنين كبده العلامة الفلكي الطبيعي الشهير كامل فلامريون ، فان كتبه فى هذه المواضيع أشهر من أن تذكر ، من بينها كتاب نشره تحت عنوان (المجهول والمسائل الروحية) بمجرد ما طبع هذا الكتاب أكب الناس على مطالعته حتى توالت منه عدة طبعات فى أيام معدودة ، لان الكاتب عالم طبيعي من الطبقة الاولى وفيلسوف حسي ، شديد العارضة فما زال فى كتابه يحاكم المشاهدات ويقارن أحوالها المختلفة ، ويردها الى القوانين والنواميس المعروفة ، حتى اتضح له صحة أربع نظريات وضوحا محسوسا أتى بها فى كتابه نتائج لمقدماته السابقة ، تلك النظريات هي :

1 ــ الروح ، موجودة وجود كائن مستقل عن الجسم .

2 ــ وهي متمتعة بخصائص لم تزل للان مجهولة لدى العلم .

3 ــ يمكن الروح ان تؤثر او تتأثر من بعد بدون اعانة الحواس .

4 ــ المستقبل مقدر من قبل وقوعه ومحدد بأسباب ستحدثه فيما بعد . فالروح قد تدرك هذا القدر قبل وقوعه أحيانا .

هذه هي النظريات الاربع التي برهن الاستاذ الفرنسي على حقيقتها ببراهين حسنة مهمة . ومن ضمن ما طالعناه فى ذلك الكتاب قوله فى ص 246 ، الانسان مسوق بطبعه لانكار كل ما يظهر انه مشكوك فيه . وكل ما لا يعلمه وما لا يستطيع أن يفهمه، فاننا اذا قرأنا فيما كتبه (هيرودوت) أو (بلين) ان أمراة كان لها ثدي فى فخدها الايسر ، وكانت تغذي ولدها منه ، نضحك ونستهزىء ، ومع ذلك ، فانمثل هذه المشاهدات قد تقررت صحتها فى جمعية العلماء الفرنسية فى باريس بجلستها المنعقدة فى 25 يونيو سنة 1827 وان اخبرنا مخبر بأن رجلا وجد فى أحشائه ولد بعد تشريحه ، وأن هذا الولد كان توأما لذلك الرجل ومحبوسا فى جثمانه ، وانه قد شاخ فيه والتحى ، فانا نعتبر هذا خرافة محضة مع اننا قد شاهدنا بأنفسنا من مدة ليست ببعيدة مولودا ولد ميتا ، وله من العمر (56) سنة .

قال أحد مترجمي كتب (هيردورت) أن زعمهم أن روكسان (امراة الاسكندر) ولدت طفلا بغير رأس يعد من الاشياء المنافية للعقل التي نتيجتها ان تهبط من شرف كيزياس (مؤرخ يوناني) ومع ذلك ، فان جميع النواميس الطبيعية فى هذا العصر تثبت الاطفال الذين يولدون بغير رؤوس .

نقطة عدائها الصريح للدين بصفة عامة ، ولم يكن الشيوعيون الاولون في حاجة الى تحليل مفهوم للدين حتى يضعوا خطا بين الاسلام والمسيحية ، ولعل التفكير الماركسي عبر كثيرا من موقفه تجاه الاسلام بعد تحليل المفهوم ا لديني الاسلامي والمسيحي ، وليس من الصدف ان نسمع اليوم تحليلات لآراء ابن خلدون وصوغها في مادية جدلية تعطي لتفكيره حلقة في التطور الاقتصادي الذي انتهت اليه الماركسية .

واذا كان الاسلام في المغرب واجه التحدي المسيحي والماركسي ، فان الموسوية لم تكن تحفل بالمناقشات الدينية ، وانما كانت تسعى الى تحقيق غاية أخرى لا اتصال لها على اى حال بالجدل الفكري الديني .

واخطر ما كان يعانيه الاسلام هو العمل الاستعمارى الذي خنق جهد قوته الحركات الاصلاحية الاسلامية التى كانت تتحداه في عنف ، مما ركب في شخصية بعض الشباب ما يمكن ان يسمى « بعقدة الاستعمار » تلك العقدة التي شلت تفكير فئة ضئيلة من الشباب ، فانفصلوا عن حضارتهم ، وظلوا حيارى يبحثون عن انفسهم .

وقد تصدى لرد هذا الانحراف علماء الاسلام اما بمحاولات سلفية ترتكز على اساس الدفاع عن الاسلام على نهج الامام ابن تيمية ، والافغاني ومحمد عبده والكواكبي ، واصحاب المنار ، وشكيب ارسلان،

واما في دائرة بعض الزوايا التي لم تنحرف عن رسالتها لانها كانت دائما من الملامح الواضحة للاسلام في المغرب . فقد كانت مراكز دينيا وتربويا ومدرسة وملجأ لعمل الخير . توثق صلة الدين بالحياة اليومية ، وترشد المسلمين الى التمسك بعقيدتهم والذب عنها .

واما بالتزام اسلوب اقفال الابواب والنوافذ ، أو ما يسمى «بالمحجر» ، وهي طريقة اذا كان لها ما يبررها مؤقتا فلا يجوز مطلقا استمرارها ، كما انها اذا كا[ن] ملجأ امينا للمؤمنين المتمسكين بدينهم ، فقد اضر[ت] الشباب القلق الباحث عن الحقيقة ونهج التفكير ، حيث اصيب بخيبة مريرة ، ففقد الحجة والدليل ليجابه عدوا تسلح بالافتراضات والمغالطات .

ولم يقنع الاستعمار بانتصاراته ، بل فر[ض] فصلا نهائيا بين اجزاء العالم الاسلامي فتولد عن هذا الضغط « كما هي سنة الاجتماع » تطلع المغاربة على آثار الكتاب المسلمين خارج بلادهم ، ومحاولة الاستفادة من التقدم العلمي والادبي واحياء التراث الاسلامي في الشرق ونتج عن ذلك تطور في اسلوب العمل . وظهور حركات منظمة تعمل باسلوب جديد يعتمد على الصحف والاذاعة والمجلات والاندية .

وادى المسجد دورا بطوليا عظيما في توضيح معالم الاسلام والدفاع عنها على الصعيد الشعبي ، فكان خير زاد يجمع المؤمنين من مختلف الطبقات ليدارس قضايا الاسلام وتوضيح رسالته ، وكان اعظم قوة تحدى الغزو الفكري المغرض حيث يلجأ اليه المؤمنون كلما وهنت قواهم ، او ضعف منطقهم يعتصمون به ويرون فيه ملاذهم وحماهم ، فكان سفينة النجاة كلما تلاطمت الامواج ، والظل الظليل في متاهة الحيرة والقلق .

وكان جلالة الملك المرحوم محمد الخامس رحمه الله اعظم حام للاسلام حيث بعث التعاليم الاسلامية في تجديدات مرتكزة على اصوله الخالدة ، فاصلح انظمة التعليم الاسلامي وراقبها بيقظة وفعالية وجدد التعليم والتربية بمراكز الثقافة الاسلامية ، وقاوم المشعوذين ، فمكن للاسلام السلفي ليؤدي رسالته كاملة في تحرير عقلية المسلم من الجهل والخرافة ، وبنى بلاده بناء اسلاميا تقدميا حيا ، وبذلك اصبح المغرب الجديد متفتحا للنهضة المتوثبة بعد اعلان الاستقلال .

الربـاط ــ الحسـن السائح

العقول المستعصية ، وكيف تستلان القلوب القاسية ، وأي وسيلة تلجأ تلك الحياة العالية العاتية الى السجود والاخبات أمام عظمته وجبروته .

(سبحان ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا) الذي أمهل هؤلاء الطغاة حتى ملأوا الكون صياحا ، واستنفدوا كل وسعهم ومجهودهم في الحملة على العقائد الفطرية حتى ظنوا أنهم ملكوا زمام مشاعر البشر بما شنوه من الشبه والشكوك ، وأنهم توصلوا الى اطفاء نور العقائد من القلوب . ثم أرسل عليهم آية من آيات القهر والجبروت، قلبت كل ما أقاموه رأسا على عقب ، وحولت مجرى أفكارهم دفعة واحدة الى ما زعموا أنهم أرفع من الخوض فيه . فآبوا الى عقولهم وحشو اهابهم الندم والحسرة على ما غلوا فيه من قبل ، وعلموا أن للوجود الها تعنو له الجباه الشم ، وتستخذي أمام عرشه الهمم القعساء ، وان للانسان روحا ستخرج من الجسد الى عالم ينتظرها فيه عذاب اليم أو نعيم مقيم .

بالله أي فؤاد لا يمتلىء ايمانا ، وأي احساس يسرى لا يخلع يقينا ونبانا حينما يرى بعينيه أن أساتذة الماديين قاموا يجأرون الى الله منيبين اليه ملتجئين الى جنابه مقرين بسابق غلطاتهم . بعد أن كانوا بالأمس . وليس العهد ببعيد يشمخون بأنوفهم كبرا وعتوا . ويتبجحون بأنهم أرفع مقاما من أن يأخذوا بعقيدة من العقائد . وأسمى نفسا من أن يأسروها لدين من الأديان .

من كان يصدق أن مثل الاستاذ العلامة (روسل ولاس) الانكليزي . وهو أكبر فسيولوجي في العصر . ومكتشف أعظم نواميس الطبيعة . وهو ناموس الانتخاب الطبيعي . ونده العلامة (داروين) في تأسيس مذهبه الذي كفر الملايين من العالم . قلنا من كان يصدق أن مثل هذا الاستاذ الكبير يرجع بعد تلك الكبرياء فيقول : لقد كنت دهريا صريحا مقتنعا بمذهبي تمام الاقتناع . ولم يكن في ذهني ادنى محل للتصديق بحياة روحية . ولا بوجود عامل في هذا الكون كله غير المادة وقوتها . ولكني رأيت أن المشاهدات الحسية لا تغالب ، فانها قد قهرتني وجبرتني على اعتبارها أشياء محسوسة قبل أن اعتقد روحانيتها بمدة مستطيلة ، ثم أخذت هذه المشاهدات مكانا من عقلي شيئا فشيئا ، ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصورية ، ولكن بتأثير المشاهدات التي كان يتلو بعضها بعضا بطريقة لا يمكن التخلص منها بطريقة أخرى (أي بغير نسبتها لارواح الموتى) .

ولقد مر بك من مثل هذه الشهادات ما لا يمكن الزيادة عليه في مثل هذا المختصر وكل تلك الشهادات، منسوبة لكبار أساطين العلم ورجال المعارف ، فانظر رحمك الله كيف يداوي الله تعالى أمراض القلوب ويعالج جراح العواطف .

لما قام هؤلاء يقولون ، نحن لا نصدق الا ما نحس به ، وقالوا ما دام عليم الغيب مستورا عنا ، ولا يمكن تحققه فهو ليس بموجود الا في الوهم ، وتذرعوا بذلك لاطفاء نور العقائد ، فتح الله لهم نافذة صغيرة من نوافذ ذلك العالم المغيب عن المشاعر ، وأعطاهم القوة على تحققه بالحس والمشاهدة (لكيلا يكون للناس على الله حجة) كل ذلك رحمة منه تعالى بهذا النوع الانساني الذي جعله قمة ابداعه وغاية اختراعه . وكم في المستقبل من آيات سيظهرها الله لعباده تحقيقا لوعده (سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي أنفسهم) .

اسبرتزم — علم استحضار الارواح والتحدث معها

كنت وعدت القراء فيما مضى أن أذكر لهم شيئا من هذا العلم الذي أذعن له كبار علماء أوربا وأمريكا ، وتبعهم كثير من الباحثين في البلاد العربية ، وألفوا في ذلك كتبا . وذكروا الوقائع التي شاهدوها كالاستاذ محمد فريد وجدي ، فانه ألف كتابا سماه (على أطلال المذهب المادي) ورجال دار الهلال في مصر على ما أذكر . وقد قدمت أن أقوال أولئك الرجال وبراهينهم حجة قاطعة على كل غراب ناعب من الاسيويين والافريقيين . انما يصولون على خصومهم بما يزعمون أنهم أخذوه من علماء أوربا وأمريكا . فاذا رأى القراء الاعزاء ان كبار علماء أوربا وأمريكا على خلاف ما نسبه اليهم أولئك الغربان سقط في أيدي الغربان ، واستحقوا الاحتقار . ولا يلزم المحتج عليهم بذلك أن يكون معتقدا له . أو قائلا به .

وبيان ذاك أن كل من احتج علينا معشر المسلمين بدلائل القرآن أو السنة الصحيحة لزمنا قبول احتجاجه، وان كان المحتج غير مسلم .

جاء في دائرة المعارف ما نصه: (اسبرتزم) هو فن استحضار أرواح الموتى ، يقول أشياعه : ان الحد الفاصل بين الاحياء والاموات ليس على ما يظنه الناس من الخطارة ، فان الموت ليس في ذاته الا انتقالا من حال مادي جسدي الى حال مادي آخر ، ولكن أرق منه والطف بكثير ، فانهم يعتقدون أن للروح جسما ماديا شفافا

كل هذه الامثلة وكثير غيرها تدعونا الى الاحتياط والتبصر ، فان الذين ينكرون الاشياء بدون تحفظ هم الاغبياء الجاهلون . وقد يمكننا أن نكثر من هذه الامثلة ، ولكن رأينا أن ذلك غير مفيد لقرائنا الافاضل ، فلنكتف بقولنا : ان المشاهدات التي نقلناها هنا مطابقة للاسلوب التجريبي نفسه تمام المطابقة .

نقول هذا كله يدل على أن فى الوجود حركة اعتقادية مهمة جدا ستؤدي الى نتيجةغير منتظرة تحقيقا لوعد الله (كتب الله لاغلبن أنا ، ورسلي ، ان اللهقوي عزيز) .

سبحانك اللهم ما أكبر سلطانك . ان هؤلاء الرجالات العظام الذين نقلنا اقاويلهم فى مكالمة الارواح، لو قيل لاحدهم قبل ردح من الزمن قصير ، ان له روحا لضحك من عقل مخاطبه واستهزأ به ، وعده واحدا من المتأخرين فى العلم ، ولابى أن يحاوره فى هذه المسألة الا بالنكتة اللطيفة تمضية للوقت ، لكن انظر هم الآن نجدهم يثبتون لك ما يترفع ان يقوله أحد جهلة الشرقيين ، ويمضي احدهم ثلاثين سنة من عمره فى بحث واستحضار وأخذ ورد ، ثم يؤلف كتابا عقب ذلك يقر فيه أمام الملأ انه كان ماديا كافرا فأصبح الآن بفضل الاسبرتزم روحيا مؤمنا ، ثم ينبري للطعن فيما كان يقول به بالامس طعن المنتصر للحق على الباطل ، والمغلب للفضائل على الرذائل أليس هذا بعجيب .

نعم جلت رحمة ربي وعظمت حكمته ، كم له فى تاديب البشر من وسائل ، وفى كبح عرامهم من ذرائع لو تدبرها الانسان لرأى بعين بصيرته يد العناية الرحمانية ترفع الانسان مما يرتطم فيه من مهاوى سقطاته ، وتقيمه على نهج السبيل ووضح المحجة .

نخيل قوما رأوا ما وقع فيه الاقدمون من الخيالات وما حملوه عواتقهم من الاوهام وما استلزم ذلك من بعدهم عن الحقيقة التي هي ضالة الانسانية ، وما استدعاه من عشويهم عن نور الظواهر الجلية لما ران على ألبابهم من تلك القواعد الاعتقادية . قلنا تخيل قوما راوا ذلك بأعينهم ثم انظر كيف يكون مبلغ كراهيتهم لبنات الافكار التي لا يؤيدها من الواقع دليل ولا يعززها من الحس برهان . قالوا ، ماذا يفيد الدليل والبرهان ان كانا عقليين ، وقد ثبت ان مدارك العقل كثيرا ما تحيد عن الجادة وتلقي بالانسان الى متاته من الاضاليل لا يميز فيها بين الحقائق والاباطيل ، ما الذي أوقع الاقدمين فى أوهاق الخرافات فحرموا بذلك انفسهم انوار العرفان ؟ ما الذي دهورهم فى تيهور المدركات السافلة، والتصورات النازلة ، فسدوا دونهم طريق الحقيقة التي هي الغاية لمحاولات الانسان ؟ أليس لانهم أطلقوا لافكارهم عنان الجولان ، ولعقولهم حرية الجزم في الاحكام ؟ أليس لانهم عموا عما يتنازع الوجدان من المؤثرات ، وما يتقاسمه من الاعراض التي تجعله في واد والحقيقة فى واد .

ثم قالوا اذا كان الامر كذلك ، وكان محض الدليل العقلي غير كاف فى اثبات شيء أو نفيه ، فلا سبيل الى معرفة الحقيقة الصحيحة الا اذا سندها من الحس دعامة ركينة ، وكان لها من الواقع شهادة قوية . فهم اذن لا يسلمون بغير امتحان ، ولا يخضعون لغير المحسوسات وينبذون كل بحث يتعلق بمنشأ الوجود ومصير الانسان كما نقلنا ذلك فى الفصل السابق عن احد زعمائهم الاستاذ (ليتريه) . وعليه فمدار فلسفتهم على العلوم الحقيقية التي موضوعها الموجودات والنواميس التي تتسلط عليها . فقسموا العلوم الى ستة أقسام ، الفلك والطبيعيات ، والكيمياء والرياضيات ، وعلم الحياة والهيأة الاجتماعية . وقالوا ، ان العلوم سلسلة مؤلفة من حلقات ، متصلة بعضها ببعض ، لا تدرك الواحدة حتى تدرك ما قبلها من الحلقات وأولها الرياضيات ، ثم ذهبوا الى أن المعارف تقطع فى ارتقائها ثلاثة ادوار مهمة . الاول الدور الديني . الثاني دور ما فوق الطبيعة . الثالث دور العلوم الحسيه ، وهو دور الانسان الحالي .

قل لي بربك اذا كان هؤلاء لا يريدون ان يعتقدوا وجود أصل من الاصول ، أو حقيقة نظرية من النظريات الا اذا كان لمشاعرهم الظاهرة سلطان على تحقيقها . فكيف يمكنك مهما أوتيت من مواهب الجدل ودقة التعبير وحسن صياغة البراهين أن تثبت لاحدهم أن له روحا ، وأنه سيحيا بعد أن يموت فى عالم غير هذا العالم ؟ وكيف تستطيع مهما كنت بليغا أن تقنع احدهم بوجود عوالم نورانية كعالم الملائكة واشياء أخرى وراء ما ندركه بمشاعرنا الغليظة ما دام لا يريد ان يصدق بعقله الا ما اذا لمس بيده ؟

عنت الوجوه للحي القيوم ، وقد خاب من حمل ظلما ، ان الذي خلق الانسان على هذه الصورة من الطماح الفكري والجماح الحسي لا يعجزه أن يرده الى العدل كلما جار ، ويلفته الى الهدى كلما ضل ، بحكمة بالغة وحكمة غير متناهية .

ان الذي قال فى محكم كتابه (كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ، ان الله قوي عزيز) يعرف من أين تقتاد

الطير وحيوان الماء ، فصح ان الانفس منقولة من مكان الى مكان ، ولا شك فى أن العرض لا يلقى العذاب ولا يحس ، فليست عرضا . وصح أنها تنتقل فى الاماكن قائمة بنفسها ، وهذه صفة الجسم لا صفة الجوهر عند القائل به ، فصح ضرورة أنها جسم .

وأما من السنن فقول النبي (ص) : ان ارواح الشهداء فى حواصل طير خضر فى الجنة) فصح أن الانفس مرئية فى أماكنها . وقوله عليه السلام (ان نفس المؤمن اذا قبضت عرج بها الى السماء وفعل بها كذا . ونفس الكافر اذا قبضت فعل بها كذا) . فصح أنها معذبة ومنعمه ومنقولة فى الاماكن . وهذه صفة الاجسام ضرورة .

وأما من الاجماع . فلا اختلاف بين احد من اهل الاسلام فى أن أنفس العباد منقولة بعد خروجها من الاجساد . الى نعيم أو الى صنوف ضيق وعذاب . وهذه صفة الاجسام ثم قال : ومعنى قول الله تعالى : (ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي) انما هو لان الجسد مخلوق من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، ثم عظما ، ثم لحما ، ثم أمشاجا . وليس الروح كذلك . وانما قال الله تعالى آمرا له بالكون (كن فيكون) فصح أن النفس والروح والنسمة اسماء مترادفة لمعنى واحد . وقد يقع الروح ايضا على غير هذا . فجبريل عليه السلام الروح الامين . والقرآن روح من عند الله

ثم قال ابن حزم ايضا : صح أن الله عز وجل خلق الارواح جملة . وهى الانفس . وكذلك أخبر عليه السلام (ان الارواح جنود مجنده ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف) وهى العاقلة الحساسة . اهـ .

وقال شيخ الاسلام احمد بن تيميه فى تفسير سورة الاخلاص بعد أن ذكر نزاع المتكلمين المتفلسفة فى الملائكة هل هى متحيزة ام لا ؟ وكذلك نزاعهم فى روح الانسان التى تفارقه بالموت ، على قول الجمهور الذين يقولون : هى عين قائمة بنفسها ليست عرضا من أعراض البدن كالحيوان وغيرها . ولا جزءا من أجزاء البدن كالهواء الخارج منه ، فان كثيرا من المتكلمين زعموا أنها عرض قائم بالبدن ، أو جزء من أجزاء البدن . لكن هذا مخالف للكتاب والسنة واجماع السلف والخلف . ولقول جماهير العقلاء من جميع الامم . ومخالف للادلة ، وهذا مما استطال به الفلاسفة على كثير من أهل الكلام . اهـ

قال أبو المعالي : ان الروح اجسام لطيفة مشابكة للاجسام محسوسة . اجرى الله العادة بحياة الاجساد ما استمرت مشابكتها لها . فاذا فارقتها نعقب الموت الحياة فى استمرار المادة . ومذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان ، وسائر سلف الامة وائمة السنة ، أن الروح عين قائمة بنفسها تفارق البدن ، وتنعم وتعذب، ليست هى البدن ولا جزءا من أجزائه كالنفس المذكور .اهـ

واقوال علماء الاسلام وفلاسفته فى مباحث الروح كثيرة . وقد ألف فيها الامام شمس الدين محمد بن قيم الجوزية مجلدا وهو مطبوع . وفيما ذكرته ما يدل بغاية الوضوح على أن ما توصل اليه فلاسفة أوربا وأمريكا فى القرن التاسع عشر بتاريخ النصارى بتجاربهم المكتسبة ممن تقدمهم . ومعلوماتهم الخاصة التي افنوا فيها اعمارهم هو عين ما توصل اليه فلاسفةالاسلام بأفكارهم الثاقبة . وتحقيقاتهم البالغة . مع زيادة تفصيل عند الاوربيين والامريكيين . يخرج المطلع عليه من دائرة المعقولات الى دائرة المحسات التى لا تمكن المكابرة معها. افلا يحق للمسلم الحنيف المتمسك بدينه أن يفتخر بأولئك الاقطاب الذين سبقوا الزمن . ووصلت أفكارهم الى حقائق لم يكتشفها العلم الحديث الا بعد مآت السنين مضت على وفاتهم .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
اذا جمعتنا يا جرير المجامع

فهل بقى للضفادع البشرية التي تنق بالهذيان ، والقردة الحاكية التي تقلد الانسان ، هل بقي لهم فى مسألة وجود عالم الروح ما يهرفون به ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولهم الويل مما يصفون .

مكناس : **تقي الدين الهلالي**

لطيفا الطف من هذه المادة بكثير ، ولذلك لا تسري عليه قوانينها .

ويقولون : ان الموتى بعد الموت مباشرة يكونون في عالمنا هذا بين ايدينا وعن أيماننا وشمائلنا ، ولا يزالون كذلك مدة تختلف باختلاف درجتهم الروحية ، ثم ينتقلون الى حال أرقى من هذا ، وان كانوا لا يبرحون هذا العالم ، فان العوالم فى نظرهم اختلاف حالات ومقامات لا اختلاف جهات وامكنة .

ويقولون : ان الروح ، وهي فى حالها الاول بعد خروجها من الجسد يمكن مكالمتها ، بل ورؤيتها مجسمة بواسطة شخص يكون فيه الاستعداد لان يقع فى خدر عام عند ارادته تحضير الروح ، فتستفيد الروح من استعداده فتكلم الناس بفمه بلغات يجهلها كل الجهل ، وتنبىء عن امور للحاضرين من أقاربها وخاصتها ، لا يدري الواسطة منها شيئا ، بل ونكشف من أسرار العلم والفلسفة والرياضيات العويصة ما يجهله الواسطة والسامع ، ولا يدركه ممن فوق سطح الارض الا نفر يسير ، وقد تستولي على يده فتكتب وعيناه مغمضتان صحفا ورسائل .

وقد تظهر بجسم مادي محسوس ، على حين يكون الواسطة ملقى أمام المجربين مكوفا على كرسيه . وسبب ربطه هكذا ان الذين يبحثون فى هذه الامور المدهشة من العلماء ملحدون ماديون لا يعتقدون بشيء ولاجل أن يثقوا من صدق مشاهداتهم التي تهدم لها كل مقررات فلسفتهم لا يرضون فى حالة تجسد الروح الا أن تكون الغرفة مغلقة والفرش مفتشة ، والواسطة مربوطا على كرسيه بأربطة متينة مسمرة اطرافها بالارض . ولا يكتفون بذلك ايضا ، بل منهم من وضعه فى قفص حديدي ، ووضع كرسيه على سطح مائي ، واوصل بيده سلكا كهربائيا متصلا بجلوانومتر ليسجل عليه كل حركة وكل نفس ، ولم يكتف بذلك ، بل أرصد له من يراقبه من اخوانه العلماء . ورغما عن ذلك كله تظهر الروح مجسمة ، تبتدىء أولا بشكل سحابة منيرة ثم تأخذ فى التشكل شيئا فشيئا حتى تصير على شكل انسان منير ، ثم تتكاثف حتى تصير دما ولحما وعظما أمام اعينهم ، فتقف أمامهم وتطوف حولهم عالية بقدميها عن الارض قليلا ، لابسة هيئة عربية بدوية متمثلة بشرا سويا ، ولكن شوهد ان جسمها يكون لينا لدرجة أن الانسان لو ضغط يدها بين أصبعيه تنبعج يدها بينهما حتى يتلاقيا كأنهما عجين ذو قوام متماسك ، ولكن شوهد ان لها نبضا وقلبا وتنفسا وكل ما للجسم الحي .

وحين تسأل من أين لها هذا الجسد تقول : انه استعارته من جسم الواسطة وفى الواقع اذا وزن الواسطة وجدت أن جسمها قد نقص وزنه ، وقد شوهد ان الجزء الاسفل من الواسطة تلاشى بالمرة وصار لا وجود له ، فلما ذهبت الروح عاد اليها .

هذه الامور جربت فى كل عاصمة وتولى شأنها العلماء الاعلام من كل قبيل فلم تزد على مر الايام الا انتشارا وثبوتا ، وقد بلغ عدد اشياعها كما روته مجلة المجلات الفرنسية نقلا عن الاستاذ (روسل ولاس اكبر الفزيولوجيين الانكليز الى عشرين مليونا .

تعليقـــات

1 — قول كامل فلا مريون فى الروح : وهي متمتعة بخصائص لم تزل للآن مجهولة لدى العلم . يتلقاه المسلم بالترحيب والاجلال والاغتباط ، لانه تفسير لقوله تعالى فى سورة الاسراء (85 ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

قال الامام ابن حزم فى كتابه (الملل والنحل) بعد سرد مذاهب شتى : وذهب سائر أهل الاسلام والملل المقرة بالمعاد الى أن النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان ، عاقلة مميزة مصرفة للجسد . قال : وبهذا نقول . والنفس والروح اسمان لمسمى واحد . ومعناهما واحد .

ثم قال : وأما من ذهب الى أن النفس ليست جسما فقول يبطل بالقرآن والسنة ، واجماع الامة . فأما القرآن فان الله عز وجل قال : (هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت) وقال تعالى : (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم) وقال تعالى (كل امرىء بماكسب رهين) فصح أن النفس هي الفعالة الكاسبة المجزية المخطئة . وقال تعالى (ان النفس لامارة بالسوء) وقال تعالى (ويوم نقوم الساعة ادخلوا آلفرعون أشد العذاب) وقال تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات - بل احياء ولكن لا تشعرون) وقال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله) فصح أن الانفس ، منها ما يعرض على النار قبل يوم القيامة فيعذب ، ومنها ما يرزق وينعم فرحا ، ويكون مسرورا قبل يوم القيامة .

ولا شك أن اجساد آل فرعون وأجساد المقتولين فى سبيل الله ، قد تقطعت اوصالها واكلها السباع

286) وفى العمود نفسه ترجمة لشاس بن عبدة أبي علقمة الفحل الشاعر الجاهلي المشهور ، جعله المنجد ابن عقيلة ، وقال فيه الشاس بأل التعريف التي يسقطها حين ينبغي اثباتها .

287) فى ع ني من هذه الصفحة تعريف بأبي اسحاق الشاطبي ذكر فيه ان له كتاب الاعتصام فى تعريف البدع (وفنها) واحكامها . وليس عندنا شيء يقال لـه فن البدع ، ولو كانت البدعة فنا لما كانت مذمومة ، فلعل اصل العبارة تعريف البدع وتصنيفها.

288) فى ص 283 ، ع ل ترجمة للامام الشافعي جاء فيها انه اول من اظهر علم الفقه ودونه . وهذا خطأ ظاهر ، والغالب انه يريد علم اصول الفقه ، فان هذا العلم هو الذي يصح ان ينسب اظهاره وتدوينه للشافعي .

289) وفى هذا العمود تعريف ببلاد الشام ذكر انها كانت تقسم على ايام العرب الى سبعة اجناد، وذكر منها فنسرين والثفور فكتب الاولى بالصاد والثغور جعلها شفورا بالشين

290) فى ص 284 ، ع ني تعريف بالشيخ احمد الساوي دفين فاس قال انه منسوب الى شاوية جبل اوراس ، وهو خطأ فانه من عرب الشاوية اهل تامسنا كما فى السلوة للكتاني .

وذكر المنجد باثر هذا كلمة شاوية فقال انها اسم اطلقه العرب على البربر سكان جبل أوراس فى الجزائر ، وفى هذا الكلام قصور يتبين بمراجعة دائرة المعارف الاسلامية التي احسنت تقسيم الشاوية الى عرب وبربر وحددت مواطنهم ، ولكن مؤلف المنجد لم يعرف كيف يستفيد منها فاخذ بعض كلامها وترك جله .

291) فى ص 287 ، ع ل تعريف بالشربيني صاحب كتاب هز القحوف ضبطه بفتح الشين وهو بكسرها وجعله يوسف عبد الجواد بن خضر بضم الخاء وسكون الضاد وهو يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر بفتح الخاء وكسر الضاد على ما نبهنا له سابقا فى ضبط اسم الخضر .

292) وفى ع ني من نفس الصفحة ترجمتان لشخصين مسميين بشرحبيل وقع ضبط اسمهما بفتح الشين وسكون الراء وفتح الحاء المهملة وهو بضم ففتح فسكون .

293) وفى هذا المكان ايضا تعريف بابن شرف الشاعر القيرواني المعروف زميل ابن رشيق القيرواني كذلك ، قال فيه انه من شعراء الاندلس والمغرب الاقصى ، وهو خطأ فان نسبته القيروانية تعين بلده بلا اشكال ، وعلى كل فهو ان صح ان ينسب الى الاندلس بسبب هجرته اليها واستيطانه بها فان نسبته الى المغرب الاقصى ليس لها وجه ولا مبرر .

294) فى ص 288 ، ع ل تحت اسم الشرفاء قال انه اسم يطلق فى المغرب على من ينتسبون الى النبي بالسلالة من حسن ، وسكت عن ابناء حسين مع انهم ممن يشملهم ذلك الاسم . وقد ضبط الشرفاء بسكون الراء كما ينطقه العوام عندنا وهو بفتحها فعلاء الذي يكون جمعا لفعيل

295) وفى نفس العمود ذكر شرقاوة فقال اسم يطلق على جماعة من المرابيط فى بلاد المغرب الخ والمرابيط هذه يعني بها جمع مرابط ، وجمع هذه الكلمة انما يكون تصحيحا لا تكسيرا .

296) وفى ع ني من الصفحة تعريف بمدينة شريش الاسبانية قال انها تقع فى اقليم قادس لكنه عرب اسم هذه المدينة بقدش والصواب قادس كما عربت قديما .

297) فى ص 289 ، ع ل ذكر مدينة شفشاون باسم ششاون ، وذلك من خطأ الترجمة وعدم معرفة الاسم الاصلي فى العربية . ثم قال اسسها ابن جمعة والصواب ابن ابي جمعة وهو الشريف ابو الحسن بن أبي محمد العلمي المعروف بأبي جمعة ، لكن الذي أتم تخطيطها وبناءها هو ابن عمه ابو الحسن علي بن موسى ابن راشد كما هو معلوم ولذلك يقال لها الراشدية .

298) وفى ع ني من الصفحة سمى سورة الشعراء بضم ففتح جمع شاعر ، الشعراء بفتح فسكون وهو خطأ

299) وفى هذا المكان ايضا تحت اسم شعيب قال: نبي جاء ذكره فى القرءان ، ثم تحت اسم النبي شعيب قال جبل فى اليمن (3150م) فهل يكون التعريف الاول عنده مقدما من تأخير ، سهوا أو خطأ فى الطبع ؟ ذلك ان تسمية الجبل (بالنبي شعيب) تسمية غريبة ، على ان الذي فى معجم البلدان هو قوله : « (شعيب) بلفظ اسم شعيب النبي عليه السلام وهو تصفير شعب الجبل : اسم موضع جاء فى الاخبار » واخشى ان يكون

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ عبد الله كنون

- 11 -

حــــرف الشيــــن :

282) في ص 281 ، ع ل تحت اسم ابن شاباش ما يلي : وزير ، حاكم البصرة ، من بدعة الشاباشية . ويليه بالاثر تحت اسم الشاباشية ما نصه : بدعة من القرمط قطن اصحابها بلاد البصرة والاحساء . وهذا الكلام في الاسمين مختصر من دائرة المعارف الاسلامية، ولكنه مشوش وغير محرر ، ولو فعل مثل الدائرة فجعله ترجمة واحدة تحت اسم الشاباشية لكان احسن . وهذا تحريره :

الشاباشية : فرقة من غلاة القرامطة ، منسوبة الى شيوخ بني شاباش الذين وزر منهم اثنان لوالي البصرة البويهي . كانوا مقيمين في البصرة والاحساء.

283) وفي نفس العمود تعريف بالشابستي صاحب كتاب الديارات سماه فيها أبا الحسن احمد ، ومع ان اسمه مختلف فيه فان احدا ممن ترجمه لم يسمه احمد ، بل المشهور فيه انه علي بن محمد وبذلك يكنى ابا الحسن ، وعليه اقتصر ابن خلكان ، وسماه ياقوت محمد بن اسحاق وكناه ابا محمد ، وتردد الصفدي بين الاسمين كما في مقدمة كتاب الديارات لناشره الاستاذ كوركيس عواد . وكما اختلف في اسمه اختلف في تاريخ وفاته والاكثر على انها قبل الالف ميلادية . والمنجد جعلها جزما سنة 1008 فعليه درك في ذلك . ثم انه قال في الديارات من غير سابق تفسير: « وكانت متنزهات الشعراء يشربون فيها الخمر » والطالب الذي لايكون على علم بمعنى هذا اللفظ ربما فهم ان هذا هو مدلوله اللغوي ، فالصواب ان يقول والديارات جمع دير وهو مأوى الرهبان الذي ينقطعون فيه للعبادة وكانت بعض الديارات متنزهات الخ

284) في ع ن ي من هذه الصفحة ترجمة لابي الحسن الشاذلي ذكر فيها انه تعلم التصوف على جنيد ، هكذا بتجريد اسم امام الصوفية الجنيد من اداة التعريف كما يحلو له ان يفعل في مثله على ما نبهنا عليه سابقا . ثم ان هذه العبارة توهم انه تعلم على الجنيد نفسه وبينهما قرون من الزمن ، فليته قال مثل ما في الدائرة : تتلمذ على اصحاب الجنيد . واحسن من ذلك لو قال على اتباع الجنيد . وفي تعريف الشاذلية باثر هذه الترجمة قال المنجد انها طريقة ليس لها زوايا . وقد اختلط عليه الامر بما ذكرته الدائرة من ان الشاذلي لم يؤسس في حياته زوايا لطريقته ، والا فان زوايا هذه الطريقة منتشرة في كل مكان من العالم الاسلامي ولا يصح ان يقال انها لازوايا لها . على ان هذه الزوايا تحمل اسماء مختلفة بحسب الطرق التي تفرعت عن الشاذلية مما هو معـــروف .

285) في ص 282 ، ع ل ترجمة لشرلمان ملك فرنسا جاء فيها انه أول من بسط حمايته على الاراضي المقدسة ، وهو يعني ولا شك بالاراضي المقدسة بلاد المقدس ، ولا ندري من اين أتى بنبأ هذه الحماية ، وهو يدري ان مملكة الاسلام في عهد شرلمان كانت في عنفوان قوتها وكان على راسها الخليفة هارون الرشيد الذي كان يقول للسحاب وهو يراها تمر بسماء بغداد: امطري حيث شئت فان خراجك سياتيني، وهو الذي لم يملك شرلمان نفسه الا ان يدخل معه في حلف ليحتمي به من جيرانه خلفاء المراونية في قرطبة فكيف يكون المحمي حاميا ؟ ! والعجب ان معجم لاروس الذي يستقي منه المنجد لم يذكر هذه الحماية فقد صار مؤلف المنجد فرنسيا اكثر من الفرنسيين ! ..

في القضايا النقدية من جديد

خواطر حول شؤون النقد في محيطنا الفكري

للأستاذ المهدي البرجالي

هل نحن نعاني ـ حقا ـ من عقم الفكرة النقدية ، فاذا هي على ما نراها عليه من تخلف وهزال وامحال ؟ هل يتعلق الامر بحالة عقم حقيقي حتمي ليس لنا عنه محيد ؟ ولكن .. هذا التطور النسبي الذي حققه البحث والمقالة الانشائية عندنا ، الا يدل على وجود امكانيات فكرية يمكن استغلالها ايضا في مجال النقد ، مادام النقد هو ايضا عملية بناء فكري كالانتاج المنقود سواء بسواء ؟ الا تعتبر الحياة الجامعية عندنا حظا جيدا ، يجب استغلاله في هذا المضمار ؟ واذا كانت الجامعة مجال بذر فكري فالصحافة العلمية ميدان ممارسة واحتكاك ، لا يغني غناءه شيء آخر ـ الاطراف الثلاثة : المنتج والناقد والقارىء : محور كل احتكاك ايجابي بهذا الشأن .

تختتم « دعوة الحق » سنتها الحالية ، بعد ان سلخت من العمر اعواما ، صاحبت فيها بداية الاستقلال المغربي ، ثم عاصرت ـ على المدى الطويل ، قصة العمل من اجل التنمية .. القصة التي لا يمكن ان توجد لها نهاية ، الا حينما تنتهي آمال مجتمع في التقدم ، والبحث عن طراز حياة اجود ، عاصرت المجلة هذه احوالا متجددة ، وافكارا واهتمامات متنوعة ، ولا جرم ان ما تحويه من سطور كتبت خلال فترات مختلفة ، في مدى سنوات عدة ـ يعكس ـ في جملة ما يعكس اصداء لبعض هذه الاهتمامات والمشاغل والافكار ، وبالاخص منها ما يتعلق بتخلفنا الفكري ، وتجمد الحياة العلمية والادبية عندنا ضمن اطار جد ضيق لا يتسع الا بقدر تافه للحاجيات الفكرية التي يتطلبها مجتمع فتي ومحتاج الى كل شيء ، بما في ذلك الفكرة الناضجة والرأي الهادي والافادة المجدية ، وكل ما يفتح للعقل نافذة يطل منها على آفاق من عالمنا الشاسع المتشعب .

اذكر للمجلة عددا من الكتابات نشرتها حول بعض القضايا من هذا القبيل ، واذكر لها انها خصصت عددا من اعدادها السالفة لقضية الفكر والادب بالمغرب ، واستطلاع العوامل واستقصاء العلل التي تقعد بالحياة الادبية والفكرية دون ان تترعرع وتزدهر ، مع ايراد عدد من النظريات العلاجية في الموضوع ، واذكر للمجلة كذلك، عنايتها بتتبع بعض ما يصدر من انتاج محلي في شكل كتاب او غيره ، والتعليق عليه وتحقيق بعض التجاوب المنشود هكذا مع المنتج ، وآمل ـ على هامش هذا ـ الا تترك مثل هذه التعاليق للصدفة ، وداعي المناسبة التي لا تسنح دائما ، بل يعمل على تخصيص ركن دائم لتتبع اصداء الفكر بالمغرب خلال الشهر ، لا في شكل سرد للانباء فقط بل في اطار حديث متناسق ينتظم اوجه النشاط الثقافي ، ويربط بين بعضها البعض مع ما يلزم من ايراد المآخذ وتسجيل المحاسن . ولا انسى ـ انه حقيقة ماثلة لحد الان ـ ما عنيت به المجلة منذ عدة اعوام

مؤلف المنجد ركب من هذا الكلام اسم (النبي شعيب) للجبـل الذي ذكـــره .

300) فى ص 291 ع ني اورد كلمة شلوح فضبطها بكسر الشبن وضم اللام مع التشديد وقال انها اســم يطلق على شعوب البربر فى جنوب المغرب الاقصى الخ والمعروف فى نطق هذه الكلمة لدى المغاربة تخفيف اللام على وزن فعول الذي هو جمع فعل كزيد وزيود وبالفعل فانهم يقولون للمفرد شلح

301) فى ص 292 ، ع ل ترجمة للشمني شـــارح المغني والشفا وغيرهما ضبط اسمه فبها بضم الميـــم مع التشديد وهو بضم الشبن ، وتخفيف الميم مـــع الضم ، وتشديـــد النـــون

302) فى ص 293 ، ع ني ترجمة للشنواني العالم الازهري المعروف ضبط اسمه فبهـا بكسر الشيـــن وسكون النون والمعروف فيه انه بفتحتين .

303) وفى هذا العمـــود ذكـــر كتـــاب الشهاب للقضاعي المشهور ، ولكنه ذكره بكنبته وهي ابن حكمون ومع ان ذلك لاغبار علبـــه فان الاولى ذكــــره بنسب القضاعي الذي اشتهر بـــه

304) فى ص 294 ، ع بي ترجمـــة للعـــلامـــة الشهرستاني المعروف صاحب الملل والنحـــل ضبط اسمه فيها بكسر الشين والراء معا وهما بالفتح

305) فى ص 295 ، ع ني ترجمة للامام الشوكاني ضبط اسمه فيها بضم الشين وهـــو بالفتح وذكـــر من مؤلفاته ارشاد الفحول فسماه رشاد الفحول

306) فى ص 296 ، ع ني تحت اسم الشيباني ابى عبد الله محمد ترجمة لاشك انها هي التي اعادهـا فى ءاخر العمود باسم الشيبانـــي محمد بـــن الحسن الشهير صاحب ابي حنيفة ، وان كان هو قد ظنهما شخصبن اثنبن ، وبمجرد تأمل اسماء مؤلفاتهما التى ذكرها وسنتي الولادة والوفاة بقطع القاريء بذلك

307) وفى هذا العمود ايضا ترجمة لابي عمـــرو الشيباني النحوى الكوفي المعروف ، جعل كنيتها با عمر بحذف واو عمرو والميزة له وضبط العين بالضم والميم بالفتح وذلك خطأ بين .

طنجـــة ــ عبد الله كنـــون

ـكال مختلفة ، ولكن هذا الاقتناع لم يتركز ليحملنا ى اتخاذ موقف ايجابي من النقد وانزاله في محيطنا مكري ــ على تواضعه ــ المنزلة التي له كأداة منتجة جد نافعة ، بل اننا اذا استقرينا الوان الانتاج دبي والعلمي والفني عندنا ، لرأينا ان النقد هو آخر ما يمكن ان يذكر من الوان الانتاج ، وليس له ديارنا رواد ومتخصصون مثل ما للشعر رواده ، للمقالة خبراؤها ، وللكتاب المدرسي اساطينه للوحات والالحان نبغاؤها وهكذا ، الى اي شيء رجع هذا ؟ الى ما تتطلبه مهمة الناقد من ثقافة اسعة ، واطلاع متعمق ، وذوق حساس ، ونزاهة مثالية ، وغير هذا من المزايا التي لا تتوافر دائما في الفرد الواحد ؟ ام يعود الامر الى الشعور ، بان مهمة النقد ، هي مهمة المتاعب ، حيث انها في العادة ، لا تجلب لصاحبها ثناء او منفعة ، فيما نعرضه لسخط الاخرين ، وغضبهم ، وربما تخلق السخائم التي يمكن للمرء ان يكون في غنى عنها ؟ أم ان مرد الاهمال الذي يعاني منه النقد ، يكمن في مجرد لا مبالاة الكتاب به ، وعدم تقديرهم للدور الذي يؤديه في مضمار الفكر والثقافة والحضارة بلد من البلدان ؟ استبعد ــ بطبيعة الحال ــ هذا الاحتمال الاخير ، لان المفروض ان اي صاحب قلم يمكن اعتباره ، لا يجوز ان يند عن ذهنه مقدار ما لنا من حاجة الى النقد ، بصفته ضرورة اساسية ، من ضرورات حياتنا الفكرية الناشئة ، ولا تنعدم في محيطنا الكفاءات ــ ولو نسبية ــ التي تتوفر عندها مقومات النقد وشروط الخوض فيه ، الا انه بالرغم عن ذلك ، فان ما يثيره النقد من ردود فعل غير هادئة ، وما يستحيل اليه من خصام مكشوف ستعمل فيه كل ما يستعمل في الخصام من ادوات ووسائل ، ان هذا من شأنه ان يجعل عددا ممن ستهويهم الخوض في القضايا النقدية ان يحجموا لئلا يتسببوا ــ بنقدهم ــ في اثارة حالة فكرية لايمكن ان يستمرئها ذوق ادبي سليم . وقد تعرضت لهذا الموضوع في أحد الاعداد الماضية ، آتيا ببعض الاسباب التي تساعد على استمرار حالة من هذا النوع ، لا تقبل النقد ان ينمو ويزدهر ، ولا تشجع النقاد والمنقود بهم ، على خوض هذا الميدان ، بما يلزمه من معقولية مطلقة ، ولا تربي في القراء حاسة تذوق النقد الموضوعي الخالص ، وتمكنهم هكذا من المساهمة استدراج النقاد والمنقود لهم الى الالتزام لنهج دي من هذا الطراز ، وجعله المجال الوحيد لاجراء النقاش والحوار ، وقد ادلى غير واحد من الكتاب بآراء مختلفة في الموضوع ، لكن هل يبدو ان هذا او غيره ، قد اجدى اي جدوى في اقامة سوق للنقد الادبي والعلمي يتسم ببعض الازدهار في هذا البلد ؟ بطبيعة الحال ، فان مجرد ادارة الحديث حول ظاهرة سيئة ما ، وبحث اوجه العلاج لها لا يؤدي بالضرورة ، الى تدارك ما تنطوي عليه هذه الظاهرة من سوء ، واصلاح الحالة ، الناشئة عنها ، ان القضية ، قضية تخلف النقد عندنا ، لابد ان تبقى قائمة مستمرة ، باستمرار هذه الاحوال النفسية والعقلية والاجتماعية ، الكامنة وراءها لان الامر يتعلق هنا بمظهر من مظاهر التخلف الفكري العام ، الذي نعاني منه ، والتخلف مركب شديد التعقيد ، لا يكفي مجرد التفكير فيه لمحاربته ، وتصفية اثره ، ان هذه المحاربة تتطلب معاناة شديدة للمشاكل الفعلية التي تخلق حالة التخلف هذه ، وتقتضي ايضا محاولة التجارب بشتى انواعها، والتارجح بين السير والتعثر ، والسقوط والنهوض ، قبل التوصل الى خط سير منتج وسليم ، ان علينا لكي ننمي اقتصاديا واجتماعيا ، ان نمارس عمليا طرق التنمية ووسائلها ، لا ان نفكر فيها فقط ، وبنفس المنطق ، فان علينا لكي نخلق حياة نقدية ذات قيمة تذكر ، ان نمارس عمليا مشاكل النقد ، ونعانيه معاناة جدية ، بكل ما يلزم عن المعاناة ، من مواجهة واقع ، واحتكاك به .

ان سبيل الممارسة ــ ولو دون سابق استعداد كامل ــ هو ضرورة لا مفر منها اذا كانت هذه الممارسة تؤدي الى اكساب الممارس جملة من التجارب والمهارا ت، ربما لا يحصل عليها ، اذا كان عليه ان يبقى متوقفا عن محاولة اي شيء ، في انتظار ان يتم له الاستعداد الشامل الكامل ، فاستمرار المحاولة النقدية، سيبقى ضرورة ملحة لفكرنا العلمي والادبي في سبيل التوصل ــ ولو في الامد البعيد ــ الى خلق تقاليد نقدية عندنا جديرة بالاحترام ، واقامة مقاييس للفكر في بلدنا ، تتبلور من خلالها شخصيتنا العلمية والحضارية بين شخصيات الامم على هذا المستوى .

ولا يجب ان يفهم من هذا ، اطلاق العنان لكل المحاولات ، مهما كانت النقائص التي تتسم بها ، والانحرافات التي تفرضها على محيطنا الفكري الذي

خلت – من اقامة موازين للنقد الادبي في مجتمع لا يحفل كثيرا بتتبع ما ينشر من آثار ، فأحرى ان تكون موضوع نقده او تعقيبه ، ثم ما كانت اداة له ، من مطارحات ومساجلات نقدية ، المؤسف فقط ، ان الذاتية تطغى فيها احيانا عدة . على جملة القيم العلمية والفكرية ، التي هي محور الموضوع النقدي المثار ، وهذا من مواطن الضعف الكبرى التي تسم الحياة النقدية العلمية عندنا بالتخلف، مثلما يتسبب الكسل العقلي ، وانعدام الاهتمامات الفكرية عند العموم، وعوامل اخرى غير هذه في تقليص ظل الحياة الادبية جملة في هذه الديار ، وتصنيفنا في عداد المجتمعات التي تعتبر شديدة التخلف في هذا الميدان .

لم تخصص المجلة عددا لقضايا النقد ومشاكله عندنا ، كما فعلته بالنسبة لبعض الموضوعات المهمة، كظاهرة الركود في الانتاج والاستهلاك الثقافي بمجتمعنا الحاضر ، لكن المجلة لم يضق صدرها – كما يبدو – عن نشر ما يرد عليها من نقد ونقد مضاد، بل انها ما برحت تبدي نوعا من التشجيع للناقدين على ان ينقدوا بروح علمية سليمة ، وتستدرج المنقود لهم ، الى ان يتقبلوا النقد بعقلية متفتحة ، ومتعاونة الامر الذي يعتبر من اجل ما تقدمه المجلة من خدمات لحياة الفكر والثقافة عندنا ، قد يفوق كثيرا – من حيث المبدا – مجمل ما نطلع به على الناس من الوان الكتابة في الميادين الاخرى غير النقدية ، لكن الذي نلمسه جميعا ، ان المقالة النقدية ، لم يتحقق لها عندنا من مظاهر التقدم والتطور ، مثل ما تحقق للمقالة الانسانية في مختلف ميادين الكتابة وفنونها ، فقد تفتح نشرة ادبية او علمية ، مما كان ينشر منذ عقدين او ثلاثة ، ثم تقارن محتواها بما ينشر الان من كتابات مختلفة ، فتجد الفارق كبيرا ، في كثير من الحالات ، وتجد باعتبار هذا الفارق ان هناك تقدما ملموسا ، سواء بالنظر لتنوع المواضيع المطروقة ، او منهج معالجتها ، او اسلوب التعبير عنها او طريقة تقديمها ، وحتى صورة الاخراج التي تبرز به ، اما النقد ، وبالاخص ما يثيره النقد من ردود فعل عكسية، فان الروح التي تتحكم فيه ، والوجهة التي تسوده ، تكاد تكون هي هي ، قديما او حديثا ، مع غض الطرف عن بعض الكتابات النقدية القليلة ، التي تتوفر فيها بعض الشروط المتطلبة ، ولكن لقلتها ، لا تستطيع ان تخلق تيارا ايجابيا في حياتنا النقدية ، التي هي محتاجة الى الكثير جدا لتجد وتستقيم ،

ومن هذه الناحية بالاخص ، يبقى امام المجلة ، ميدا واسع للعمل البناء ، من اجل المساهمة في تطوير الفكر النقدية عندنا ، واعطاء النقد منطلقات رحبة ، يسير منها – ولو متأرجحا متذبذبا ، ولكن ليكتسب في الاخير ، قدرا من النضج ، ودرجة من الايجابية ، هما ضروريتان لكل بناء ادبي يعتد به ، فليس من حيث فكرية ، يمكن ان تثقف الشعوب ، وترسم لها معالم طريق عقلي واضح ومتمر ، ما لم يتدخل في ذلك عامل النقد .. النقد البصير الخبير الذي يجب تكون له مقاييس مضبوطة ، واهداف مرسومة ، وفي طليعة هذه الاهداف : ارتياد آفاق الحقيقة والجنوح عدا ذلك وروح نقدية من هذا النوع هي التي ينتظر من المجلة ان تعمل من اجلها ، كهدف جوهري ، لا يغمره اي هدف آخر ، وبذلك تكون قد ادت لقضية الفكر في هذه الربوع ، خدمة لم تستطعها منشورات فكرية صدرت قبلها لحد الان

يقول الكاتب الفرنسي « كايطان بيكون » في حديث له عن النقد : « .. ان النقد اليوم يستند الى الانسانيات في مستواها التاريخي والطبي وغيره ، وهو بهذا يستطيع ان يضيف الى العلوم الانسانية الشيء الكثير ، ومن الطبيعي ان يعتبر هكذا كعنصر اغناء واخصاب ، لا مجرد اداة للنقض والتقويض ، فالنقد مثلا يستبطن اللغة باعتبارها عاملا مهما في التعرف على الانسان ، وسبيلا للتنبؤ بكثير من النواحي المتصلة بالعلوم الانسانية المختلفة ، ثم انه من المعقول ان نعتبر النقد كقوة مهمة في الكيان الحضاري ما دام انه يقوم كوسيلة من وسائل المعرفة ، وكسبيل للنفوذ الى بعض مناحي هذه المعرفة ، والنقد يساعد – كذلك – على تقريب الانسان من الانسان : تقريب المؤلف اولا من القارىء ، ثم ايضا : تقريب المؤلف من نفسه هو ، فهو اذن نوع من الكلام ، الذي يمتن الوشائج ، ويربط الاواصر ، والنقد عبارة عن رد فعل طبيعي ومحتوم ، كحتمية الحمرة التي تعلو وجه الخجول ، او حركات المنفعل امام مفاجأة غير منتظرة، فالقارىء العادي عندما يتم قراءة الكتاب ، فان رد فعله ينحصر عادة في الاحساس بجملة من مشاعر الاعجاب او التحفظ ، او الاشمئزاز ، والنقد ليس في الواقع الا اداة شرح للتجربة التي يعيشها القارىء اثناء المطالعة ، وهو عوض ان يحجب شمس الكتاب ، فانه يعمق الاحساس بالسرور التلقائي الذي يشعه الكتاب على قارئه ..»

ومشكلة النقد عندنا تكمن في اننا ندرك هذه الحقائق ، مقتنعين بها ، بل وربما نبشر بها

لحال اننا نشكو من جمود النقد عندنا ، وتخلفه اضح عن مستوى الكتابات غير النقدية ؟ الحق ما يمكن ان يوصف به النقد عندنا من جمود وتخلف، مما لا يماري فيه احد على ما يظهر ، غير ان الجمود قدمنا لا يسوغ ان يحارب بالجمود والوسائل علمية ، فليس هناك بديل عن الجمود الا الحركة ، عد راينا من قبل ان من اولى مهام الصحافة علمية ان تعمل على خلق العوامل الفعالة ، او بالاقل لق الظروف العقلية المؤدية لتطور الحركة ، مخضها عن شيء يعتبر ، لكن الجدير بالاهتمام هذا الصدد هو نشوء حياة جامعية في بلادنا والاثر الذى اصبحت تحدثه الجامعة في نشر الروح العلمية الخالصة ، واستدراج المتعلمين الى التشبع بروح نهج جامعي هو نهج نقدي بقدر ما هو نهج استكشافي واستعلامي كذلك ، واكبر هم الجامعة ان تروض العقول على التشبع بروح هذا النهج ، واتخاذه سبيلا دائما في دنيا الفكر والثقافة ، ولاشك ان الاثر الذى تحدثه الجامعة في وسطنا بهذا الشأن هو اثر بطيء جدا ، لا ينتظر منه ان يقلب الوضع الفكرى عندنا بسرعة قياسية ، الا ان هذا الاثر موجود ، ويتجلى في طريقة العرض والاستنتاج التى تصاغ بها بعض الكتابات التي تنشر لجامعيين بين الاونة والاخرى ، وان لم تكن هذه الكتابات كتابات نقدية مباشرة ، غير ان روحها تدل على وجود امكانيات نقدية مهمة ، لابد ان تستغل لتساهم في فتح مجال ما لنشوء فكر نقدي محترم . واذا اشرنا من قبل الى دور الصحافة العلمية في هذا الموضوع ، فلان هذا النوع من الصحافة ، يستطيع ان يهيىء المجال المناسب لاستغلال الامكانيات الموجودة ، التي تنمو بوادرها في ظل الثقافة الجامعية ، ولكنها تحتاج لقدر من الاحتكاك بالواقع الفكرى — ولو كان متواضعا — الذي يسود البلد ، فاذا تم هذا الاحتكاك ، فان الراى العام العلمي والادبي لابد ان يستفيد من ذلك استفادة طيبة ، ويكون بذلك دور الصحافة العلمية ، التي هي مجال هذا الاحتكاك واداته مكملا ، او بالاقل مبلورا لدور الجامعة ، الذي هو دور رئيسي بهذا الصدد .

وتقوم الثقافة التي تبثها الجامعة على اهداف مهمة من بينها : ربط الفكر المحلي بالفكر العالمي ، وتطعيم الثقافة القومية هكذا بعناصر الثقافات المختلفة في العالم ، سواء الاسيوية منها او الاوربية ، الامريكية او الافريقية ، القديمة او الحديثة ، ليحصل من ذلك المزيج الثقافي المنشود ، الذي يمكننا من ادراك الاسس الفكرية ، القائمة عليها الحضارة ، والتجاوب معها ، بما يكفل المشاركة في البنيان الحضاري الانساني مشاركة مثمرة ، واذا كان هذا الالمام الفكري بالحضارة ، وهضمها عقليا — هو هدف جامعي ، فهو كذلك هدف ثقافي عام تنشده كل حركة ثقافية عصرية ، استطاعت التحرر من سلبيتها وجمودها ووعت دورها الكامل الذي يفرضه عليها عصر التقنية والاتصال المباشر بالفضاء .

ان توسعا ثقافيا على هذه الوتيرة ، يفرض على من يبتغونه التزود بقدر كبير من التحرر العقلي، الذي يستلزم التجرد من النزوات الفكرية الضيقة ، والتفتح على عقليات الاخرين ، واذواقهم ، ومشاربهم ، ومن موجبات هذا التحرر ، توفر حاسة نقدية سليمة عند المثقف ، تمكنه من النظر في انواع التراث الاجنبي نظر المتبصر الخبير ، وتزوده بالقدرة على تقييم الافكار والتعابير التي يتاح له الاحتكاك بها تقييما امينا . يجنبه سوء الانزلاق وراء التقليد المتهافت ، كما يبصره بمواطن الاقتباس الحصيف ، والانفعال الايجابي المثمر :

ان التعرف على الآثار الاجنبية في ميدان الادب كما في ميدان الفن ، هو من اسهل الاشياء واصعبها في نفس الوقت ، هو سهل اذا اقتصر في التعرف هذا ، على مجرد الاطلاع السطحي ، بفهم او بلا فهم ، وبدون الاعتماد في ذلك على مقاييس ومستهدفات بعيدة الاجل ، وهو صعب اذا كان المراد منه التغلغل عقليا ووجدانيا في العوالم الفكرية والذوقية الاجنبية ، واستشفاف الآثار التى تزخر بها هذه العوالم ، والحكم عليها ، والاستفادة منها في اقامة بنيان فكري سليم ، ان الفنان الواعي لمسؤولياته الفكرية ، لابد له — بهذا الصدد — ان يعرف الكثير عن المدارس الفنية الاجنبية القديم منها والحديث ، ويدرك نكهة كل مدرسة وتقاليدها وما لها من صلة بالمدارس والتيارات والنزعات الفنية الاخرى في العالم ، ومن شان هذا ان يدعوه الى اجراء المقارنات العميقة الواسعة بين الاعمال الفنية الكبرى ، والآثار الشهيرة في عالم الفن ، الفن الاغريقي ، او الهندي او القوطي ، او الافريقي ، او البيزنطي ، او التكعيبي، او التعبيري ، او غيره ، بل ان التيارات الفنية الاكثر حداثة والتي لم تستقر بعد على اساس نهائي ،

لا يزال ضيقا ومحدود الافق فى كل شيء ، ان فى المستطاع ان نفهم اعجاب العقليات النقدية من هذا النوع ، ان المجال ليس مفتوحا لانتشار آثار عقلية غير متثبتة ولا ملتزمة فى مجتمع متخلف ، يعاني الادواء من جميع الاصناف ، ومن ابرزها : ضعف الشعور بالمسؤولية العلمية ، وقلة اللجوء الى تحكيم المنطق العلمي ، فى المستطاع افهام الناقدين من هذا القبيل ، شيئا من هذا القبيل ، ولو بالوسائل السلبية التي تتفق مع عقلياتهم السلبية ، اي الامتناع عن النشر لهم ، ما دام ان هذا النشر لا ينطوي على مبادرة مخصبة ، تعطي لدنيانا الفكرية شيئا يذكر ، وعدا هذا الضرب من النقد ، الذي يمكن ان يسهم فى نشر العقد السلبية فى مجتمعنا اكثر مما يرسم سبيلا او يبلور هدفا، او يخلق مجالا معطاء — فان المحاولات النقدية الاخرى التي قد تتوفر فيها بعض الشروط المطلوبة — ولو بصورة نسبية — يجب ان ينظر اليها ، على انها تشكل خطوات مهمة فى دنيا الفكر عندنا ، لا يغني غناءها شيء آخر ، ان المادة العلمية والادبية والمناهج التي تعرض بها ، مثل ما تنشره هذ هالمجلة — مثلا — من الوان الفكر ، والاجهتاد ، والنظر والتصحيح ، والتنسيق ، والتلخيص ، يمكن ان يقوم بالدورين المزدوجين اللذين هما ميزة كل كتابة عميقة الغور ، وذات عطاء وافر : الدور الانشائي ، وهو الوسيلة الى تزويد القراء ثقافيا ، واشباع الرغبة الطبيعية فى الاستطلاع والتعرف على الاشياء ، والدور التوجيهي الذي يحيل كل ما ينشر ، الى مادة للنقد التوجيهي نتعرف من خلاله ، الى ماتنطوي عليه الاثار المنشورة من ثراء فكري ، لا يظهر بالصورة الكافية ، لذهن القارىء العادي ، وما تعكسه القصيدة او المسرحية او القصة او غيرها من الوان وظلال ، وما يتبلور من خلالها ، من فلسفات ومرام فكرية ، ربما لا يجلوها النص الاصلي الا بلغة رمزية او باسلوب شديد التركيز ، لا يتبين ابعاده الفلسفية او التعليمية الا الناقد الخبير ، ان فى مستطاعنا ان نشبه الموضوع المعروض ، بما كان يدعوه الاسلاف بالمتن ، ولكن المتن ، كان يحتاج فى كثير من الحالات الى الشرح، فلماذا لا يعتبر الناقد اليوم ، بمثابة الشارح ، الذي كان يتولى تحليل النصوص ، وتجلية محتوياتها بالامس؟ مع مراعاة الفروق الموجودة ، بين مقصد الشارح الذي يستهدف التوضيح والتفسير ، قبل كل شيء وربما ينظر الى الموضوع نظرة جد مجزئة ، بحيث يتتبع النص كلمة بكلمة ، فى بعض الاحيان بينما الناقد الذي قد يعنى بالشرح والتوضيح كذلك ولكنه يتخذ هذا الشرح للنفوذ الى اعماق الموضوع عموما ، وسبر اغواره ، وبلورة قيمته الاجمالية بما تحمله من عناصر ضعف وقوة ، ومقدار ما يعكسه من آيات تجديد او ما يظهر من خلاله من روح نقل وتقليد .

ان هناك مجالا على هذا النحو ، لتبين فروق بين الشارح والناقد ، ولكن هذه الفروق ليست حتمية ، ولا جوهرية فى كل الاحوال ، فالناقد اذ يحاول النفوذ الى صميم القيم الفكرية والتعبيرية التي يحتويها الموضوع الذي هو محط الاختبار وسبر الفور ، وذلك ليتبين وزنها العلمي او الجمالي وحظها من المعقولية او الذوقية ، فهذا يقوده بالضروره الى ايراد عدد من التحليلات فى الموضوع ، مع تعليل ما يراه مقبولا او مستجادا من النقط ، وتبرير ما يرفضه من النقط الاخرى غير المقبولة ، وابراز المحاسن المستورة ، وكشف النقائص اذا كان هناك من نقائص ، وتكميل الثغرات التي قد تكون موجودة، واستبعاد الزوائد التي قد تكون مقحمة ، وتضافر كل هذه العبارات من الناقد ، من شأنه ان يلقي على الموضوع اضواء ، ربما لم تكن منعكسة عليه من قبل ، ويجلوه لذهن القارىء بما يجلو به الشارح مسألة يشرحها ، وقد يكون شرح الناقد للموضوع على هذا الفرار ، اكثر توضيحا له من شرح الشارح العادي وقد كان اسلافنا ، شراح المتون والمحشون عليها ، يمزجون فى عدة احيان بين الشرح والنقد ، اعتقادا منهم على ما هو ظاهر ، ان النقد يزيد فى بلورة المسائل المراد شرحها ، ويمنح امكانيات جديدة لفهم الموضوع ، واستيعابه ، وادراك الملابسات والهوامش ، التي ربما تكون مرتبطة به .

والنقد بهذا المقياس — هو مبادرة ايجابية تستهدف تنمية رصيد الموضوع من المعاني ، وترميم الصدوع والثغرات التي قد تنقص من قيمته العلمية او الجمالية ، ويجب ان ينظر الى المبادرة النقدية بهذا المنظار حتى ولو كانت هذه المبادرة تنزع الى معاكسة فكرة ، او نقض حجة ، اذ ان هذا النقض والمعاكسة ، قد يكون المنطلق للناقد ، الى ترميم الهيكل الذي تقوم عليه الكتابة المنقودة ، ورأب الصدوع التي قد تكون موجودة فيها .

ولاشك ان السؤال سيعيد نفسه من جديد هل المثالية النقدية موفورة عندنا بهذه الصور

بعض الاحيـان . وليس لادب اي شعب حظ في
وسع الخارجي ، اذا كانت عقليـة اوليائه عقليـة
هذا الطراز : عقلية لفظية ، تقيم الوزن للقالـب
عبيري المحلي ، اكثر مما ياخذ بهمها محتوى الانتاج
ضوعي ، وما اذا كان هذا المحتوى غنيا او فقيـرا
ما يقدمه من تغذية ثقافية او يكشفـه مـن حقائـق
يحققه من تقدم وتدخل الناقد — في هذا المجال —
ضرورة فكرية لا محيص عنها ، فالامكانيات الفكريـة
في مجتمع ما قد تكون على درجة من الخصب والغنـى
في الاصل ، ولكن رواسب عقلية وسيكولوجية آتيـة
من عصور الانحطاط يمكن ان تغطي هذه الامكانيـات
بطبقة سميكة ، فـلا تعبر عن وجودها ، ولا يظهـر
لها اثر فيما يفرغ اليه القوم من انتاج ، وقد يكـون
الانخفاض نسبة المحصـول الثقافـي في المجتمـع ،
وانعزالية الفكر عن روافد الثقافة العالمية ، والكسـل
العقلي ، الذي يغري بالسطحية والجوفائية ، قـد
يكون ذلك سببا في ضالة القيمة الثقافية التي يحتويها
الانتاج الرائج ، حيث يستعاض عن التركيز علـى
الجانب الفكرى بتركيز اكثر ، على الجانب التعبيري
الذى لا يحتفظ — كما تقدم — بقيمته الاصلية عند ما
ينقل الى اللغات الاجنبية الاخرى ، ومن مهام الناقد
ان يعمل على اشاعة روح المسؤولية الفكرية بيـن
المنتجيـن ، فلا يتـرك للفظية والحشوية هكذا سبيلا
للسيطرة على صور الانتاج المعروض ، بل يزن القيـم
الفكريـة ثم القيم التعبيرية ويعطي كلا منها مـا
يستحق ، مبرزا خلال ذلك كله القيمة الاجماليـة
للموضوع ، وما اذا كانت له اهمية ما خارج الاطـار
التعبيري الاصلي الذي صيغ فيه ، وهل له — بنتيجة
ذلك — ما يفيد به الاخرين من يقراونه في المجتمعـات
الاجنبية المختلفة ، ان النقد عندما تتركز له اصـول
وقواعد في بلد مـا ، وتصبح له تقاليد اصيلة ، تقـوم
على نوع من التعاقد الضمني بيـن الاطراف الثلاثـة
التي يعنيها الامر : المنتجون والنقـاد والجمهـور
القارىء ، عندما يصبح للنقد اساس ثابت على هـذا
النحـو ، فانه لابد ان يؤدي الى خلق مقاييـس مسلم
بها عموما ، لضبط العمل الفكري ، وتحديد الصـورة
الضرورية التي يجب ان يكون عليها ، الصورة التـي
تنبع منها روح المسؤولية الفكرية ، والرغبة في اعطاء
شيء ايجابي لا لعموم المحليين فقط ، بل لكل من يقرا
الاثـر المعروض باية لغة كانت ، وفي اي بلد كـان ،
هذه مهمة اذا كان النقد من العوامل التي توفي بهـا
فانه يجب ان يعتبر بهذا في طليعة القوى التي تكسـب
ادب امة ما ، مكانته المرموقة ، وتعطي لتوسعه ابعـادا
رحيبـة جـدا .

تقدم لنا في الفقرة السابقة ان الاطراف التـي
يجب ان تتضافر جميعا ، لانجاح الفكرة النقديـة في
محيط فكري ما ، هي ثلاثة : المنتج والقارىء والناقد ،
وهذا الاخير يقوم — كما راينـا — كقطـب الرحـى في
العمليـة الفكريـة من اساسها ، لكن الدور الـذي
يقوم به المنتج بهذا الصدد ، لايقل اهمية ، وهذه الاهمية
لا تأتـي من كونه منتجا فحسب ، بل ايضا بصفتـه
منقودا له ، ان هذه الصفة الاخيـرة ، هي التي تعنينا
في هذا المقام بالذات ، لان عليها يتوقف الى حد كبيـر
توصل العملية النقدية الى نتيجة فكريـة تذكـر ،
وانعكاس آثـار مفيدة من هذه العملية على مجمـوع
الحياة الثقافية بالبلد ، وهذا جوهر التطور في النظـرة
والراي الذي يجب ان يحصل للمنقود لهم ، وان كـان
مثل هذا لا يعزب عن اذهانهم اطلاقا من ناحية مبدئية
غير ان هذا الالمام المبدئي بالمسالة لايكفـي ، اذ مـن
الضروري بعد ادراكها ، التشبع بها الى حد ان تصبح
جزءا من تفكيـر المرء وميوله الثابتة ، ولابد ان يعترض
المنقود لهم — بان اصحاب النقد لا يتمسكـون في
كثيـر مـن الاحيـان — بالالتزامـات المبدئيـة
الضرورية التي يفرضها النقد الهادف السليم ، غيـر
ان هذا الاعتراض لا يجب ان يبرر مبدأ انكـار النقـد
او الامتناع عن التعاون مع النقـاد والمعقبين ، ومـن
في حكمهم ، لماذا ؟ لان هـذا التعاون — كمـا تقدم —
ضرورة لا غنى عنها في الموضوع ، ولان مسؤولية توجيه
النقد ومراقبته والاشراف على معايره ، امر لا يعني
النقاد فقط ، بقدر ما يعني المنقود لهم ، بحكم الصفة
التي لهم كمنتجيـن ، اي كذوي مبـادرات خلاقـة في
دنيا الثقافة والفكر ، وصاحب المبـادرة لا يجب ان
يتخذ المبادرة ، وهذا كل ما يهمه وكفى ولكن عليـه
— اذا اتخذ المبادرة — ان يسهر على نجاحها — مـا
امكن — ويتتبع المدى الذي يجب ان تنتهي اليه وما اذا
كانت قد اسهمت في حظوظ حركة البعث الثقافي العام،
الذي يجب ان يكون محور كل الجهود الفكرية المبذولة
ثم ان صاحب المبادرة ، عليه ان يكون ارحب صدرا ،
واوفر حلما ، مهما كانت طبيعة النقد الموجه الـى
انتاجه ، لماذا ايضا ؟ لانه هو في الواقع مثير القضية
المثارة وعامل وجودها ، فلـولا ما ببرزه من مسائـل
كامنة ، وما يخلقه من صور واشكـال قد تكون مثيرة
وما يوجهه هو نفسه من اعتراضات وتنبيهات مختلفة ،
وما يصطنعه لاثبات نظرياته من حجج وبراهين متعددة

لابد ان تدعوه كذلك الى التعرف عليها ، والاحاطة بما تتميز به من ميزات جديدة وما تخلقه من قضايا على الصعيد الانساني او التقني او غيره ، واذا لم يكن الفنان مطالبا بكل هذا ليمارس عمله فى الخلق الفني تقليدا او ابداعا ، فان المعنيين بشؤون النقد ـ فى هذا الميدان ـ لا معدى لهم عن التزود بوسائل المعرفة وسعة الفكر من هذا القبيل ، وكذلك الامر بالقياس للاديب ، او بالاحرى الناقد الادبي ، الذي ليس عليه ان ينقض الا ليبني ، ولا مفر له من مزيد الاطلاع على الآداب العالمية المقارنة ، الكلاسيكية منها والمستحدثة ، ليمكنه وضع القدم على ارض علمية ثابتة ، وليستطيع الرؤية البعيدة التي تستجمع العناصر الشتيتة ، والآفاق المترامية، واطلاق الاحكام من خلال ذلك كله ، على قاعدة موثوق بها نسبيا .

واذا كانت حصيلة المعرفة عندنا محدودة جدا ، لاتبيح وجود كثير من النقاد من هذا المستوى ، فان ذلك لا يمنع ان يكون من اهدافنا فى هذه اللمحة من نهضة الفكر التي تلمع عندنا الآن ـ المساعدة على خلق الجو العلمي المناسب الذي يلد عقولا ناقدة من هذا الطراز ، تضع ايدينا على مواطن الجودة الفنية والادبية والعلمية ، نحس بها ونتذوقها ، ونجد لها تأثيرا طيبا فى محيطنا الفكري المحلي والعربي ، وترينا مظان الضعف والتهلهل والتهافت لنتعود بحسنا وعقلنا تجنبها ، او بالاحرى الوقوع فيها اقل ما يمكن .

وقد اصبح من التقاليد الشائعة فى الغرب ، ان النقاد هم الذين يتولون التعريف بالادباء والفنانين وغيرهم من المنتجين الى العموم ، عن طريق ما يقومون به من تحليلات لانتاجات هؤلاء المنتجين ، وما يبلورونه ضمن هذه التحليلات ، من افكار وقيم ومقاييس ، وصور واشكال ومفهومات ادبية وفنية ، تلفت نظر الراي العام الثقافي الى الاثر المتناول بالنقد ، وتلقي الاضواء على المدرسة التي ينتمي اليها صاحب هذا الاثر ، او المذهب الذي ابتدعه ، او الطريقة التقليدية ، او الجديدة التي سار عليها فى كتابته او رسمه او لحنه ، ويلعب النقاد كذلك دورا اوسع نطاقا من هذا فهم ـ كأصحاب الترجمات ـ يتولون ترديد اصداء الفكر الاجنبي للقراء ، كل على طريقته ويلقون الاضواء الفاحصة على ما يروج خارج بلاده من نزعات فلسفية او علمية او فنية او غيرها ، و[illegible] طريقهم ـ فى كثير من الاحيان ـ ترتسم للقر[illegible] المحليين الصورة التي لهم عن الآداب العالمية ، وحركا[illegible] العلوم والفنون والافكار فى مختلف الاصقاع الاجنبية وللنقاد عندنا ـ بهذا الشأن ـ دوران مزدوجان يمك[illegible] لهم ان يؤدوهما ، فلهم سبيل واسع الى العمل عل[illegible] تقريب ثمرات الثقافة العالمية ، الى اذهان العمو[illegible] المثقف عندنا ، وتطعيم الشجيرات الفكرية فى هذ[illegible] البلد باعمال جيدة ، وهي لما تعد بعد درجة النشو[illegible] الاول ، والمفروض ان لهم من الحاسة النقدية «1» ما يمكنهم من الالتقاء المثمر مع التيارات الفكرية الاجنبية والانتقاء منها ما يمكن انتقاؤه ، وتقديم صور مختلفة منه ، ونقد ما يمكن نقده منها ، او ترديد اصداء النقد الذي راج حولها فى بلدها او فى بلدان اخرى من العالم وبذلك يمكن ان يسهموا فى خلق جو نقدي عندنا ، وان كان خلق هذا الجو يتوقف قبل كل شيء على ما يجب ان تحدثه المبادرات الفكرية هنا ، من اصداء نقدية ، لا غنى عنها لتركيز حاسة النقد فى محيطنا ، وخلق تقاليد نقدية محلية اصيلة ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان الناقدين ، اذا ما نجحوا فى اخضاع ثمرات الفكر عندنا لمقاييس النقد الدقيق المحكم ، فان هذه الثمرات لابد ان تغنى ، بذلك وترتفع نسبة الخصوبة فيها ، وذلك ما يجعلها اكثر لفتا لنظر الغير من النقاد الاجانب ، واشد اغراء لهم على نقلها ، والتعريف بها او بالاقل ترديد اصداء لها هنا وهناك فى اوساط الاهتمام الثقافي بالعالم ، ان اللغة الاصلية التي يكتب بها اثر ادبي ما تضفي عليه فى القالب ، قيمة تعبيرية جذابة يحرم منها فى عدة احيان عند نقله الى لغات اخرى ، سيما اذا كانت اللغة المنقول اليها بعيدة جدا عن روح وذوق اللغة الاصلية المكتوب بها الاثر ، وكثير ما يغفل المنتجون مثل هذه الاعتبارات فتراهم يعتمدون كثيرا فى تركيز قيمة انتاجاتهم على الملابسات الادبية ـ اللغوية التي تتاح لهم فى نطاق ثقافتهم القومية والمحلية ، حتى اذا ما نقل الاثر من هذا النوع الى غير ذلك من اللغات ، فقد[illegible] الكثير من مزاياه ، وربما وجد تافها او قريبا من ذل[illegible]

1» نفرض هذا على اساس الاحتمال بان النقد يمكن ان يتطور عندنا ليصبح اداة فكرية فعالة على هذا المستوى

خواطر عن النقد

للأستاذ: محمد زنيبر

هنالك نوع من النقد لا يستفيد منه صاحبه الذي كتبه ولا ينتفع منه القراء ، بل لربما احدث تشويشا في فطرتهم السليمة التي كانوا بها يدركون الاشياء في نصاعتها ووضوحها . والنقد سهل ، ميسور لاي كان ، اذا اعتبر انه اداة هدم وتحطيم ولكنه صعب لا يتأتى الا للقليل اذا اعتبر انه سبيل من سبل الوصول الى الحقيقة ودراسة متأنية مستفيضة تهدف الى اصدار الاحكام العادلة وتقويم الاشياء حسب قيمتها الحقيقية بالقياس الى الزمان والمكان ، وبالقياس الى المثل الاعلى اذا كنا نؤمن بأزلية المقاييس واطلاقيتها .

لذلك فان النقد نفسه يحتاج الى نقد ، كما ان الحكم القضائي الابتدائي يحتاج الى استئناف امام محكمة اعلى واقوى خبرة . ونحن اذا القينا نظرة عابرة على المحاولات النقدية التي بدات تظهر عندنا في هذه الفترة التي لا زال فيها ادبنا وتفكيرنا في طور النشوء والطفولة ، نجدها لا تخلو من ذلك النوع العقيم الذي استهللنا بذكره هذا المقال . فأنت تقرأ المقال النقدي من الاول الى الاخر وتتساءل : ماذا اراد الكاتب ان يقول في النهاية ؟ واي فائدة سيجني القارىء من وراء كلامه المسهب ؟ هل استطاع ان يميز الجيد من الرديء والصحيح من السقيم كما يقتضيه معنى كلمة النقد ومفهومها في مختلف الاداب العالمية ام هو حمل معولا وصار يهدم ويحطم في حركة عشوائية ويحرق الاخضر باليابس ؟

الناقد يجعل نفسه في مركز قوي ، محترم لانه يجلس في مقعد الحكم ، والحكم يتمتع تقليديا بنوع من الشفوف والتقدير ، لكنه ما يحصل على هذه الامتيازات الا مقابل شروط يجب ان تتوفر فيه اهمها الانصاف والتجرد ، وما تقتضيه هذه الصفات من الاخلاص للمهنة والتزود بالثقافة الكاملة والخبرة التامة ، حتى تبرأ احكامه من علل السطحية ، والجهل وسوء الادراك وحتى تكون لديه مقاييس متينة استخرجها من اطلاع واسع وعلم غزير .

ثم ان النقد له بعد هذا وذاك هدف يتجاوز الاثر المدروس ، ويسعى على قدر طاقة الناقد ومواهبه ، الى خلق فكرة جديدة عن الحقيقة والجمال، والفكر الانساني ، بالرغم مما قدمه اليه المفكرون والادباء والفنانون والفلاسفة على اختلاف انواعهم من من اغذية كثيرة ومختلفة ، لا زال متعطشا الى المزيد من المعرفة بالحقيقة والجمال ، ونحن نكتشف مع كل ناقد مخلص لفنه من اين يتذوق الجمال ومن اي نافذة يطل على الحقيقة ، فنسير معه في طريقه الخاصة ونطلع على سره ونشعر في النهاية باننا انمينا معه معلوماتنا وثروتنا الفكرية .

ومن بين الاهداف التي يتوخاها النقد الصحيح الربط بين ما يكتب وبين العصر والبيئة التي يبرز فيها الانتاج ، لان الكتاب غير منزهين عن الوقوع في بعض الورطات ، وهم ، قبل كل شيء ، بشر تغلب عليهم اهواؤهم ، وتزيغ بهم شهواتهم . فالناقد ينبه الكتاب الذين ينحرفون عن دورهم الاجتماعي او الذين يتناسون بالمرة انهم يعيشون في بيئة معينة . لان الحقيقة والجمال اللذين ينشدهما الناقد واللذين يجب ان يسعى اليهما الكاتب هما حقيقة وجمال بالنسبة لمجتمع معين ، وآفة الكاتب والمثقف بصفة عامة في الاقطار النامية هي

لما وجد داعي الاستجابة عند البعض من الكتاب، فانبروا لابداء ما يعرض لهم على ذلك من نقد او توجيه ، قد يشط بهم احيانا عن الحد الطبيعي ، ولكن عيب ذلك لا يرجع الى المنقود له اطلاقا، اذ ليس هو المسؤول عن انحرافات الآخرين ، وتجاوزاتهم الاعتباطية للحدود ، وانما الامر معه ينحصر خاصة في المسائل المثارة ، وما يدور حولها من نقد ونقد مضاد .

ومما يتصل بهذا ، ما يجب ان يذكره المنقود له — وكل واحد معرض لذلك — انه لابد سيستفيد من عملية النقد من جانب خلقي ، اذا لم يستفد من جانب علمي ، هب ان الناقد لم يأت باي شيء يعتد به ، فيما كتبه من نقد ، وانه ربما جانب جانب اللياقة ، فيما صاغه من تعابير ، او شط عن الجادة المنطقية او العلمية ، فيما ساقه من حجج واستنتاجات، ان المنقود له في هذه الحالة ، سيجد نفسه — ولاشك — امام حالة غير علمية يمكن دفعها كذلك بالوسائل غير العلمية ، اي عن طريق الاعتماد على الاسلوب الساخر ، وتحويل الحوار عن الموضوع المتناول الى الدوران حول الذات ، ذات الناقد او المنقود له، غير ان المنقود له سيستفيد — عوضا عن ذلك — فائدة حقيقية ، اذا روض نفسه على عدم التأثر بالزوائد الذاتية ، ولم يلفت نظره الا ما يتعلق بصميم المسألة العلمية المثارة ، واهمية هذا الامر ، لا ترجع الى اعتبار خلقي عادي ، وانما ترجع اكثر من ذلك الى موضوع الخلق العلمي الذي هو صفة لازمة لكل حياة علمية صحيحة وناجحة ، الخلق العلمي ليس قيمة فلسفية مجردة ، انه ذو اهمية عملية جدا ، وبدونه لايتحقق من العمل العلمي ، ما ينتظر منه من جدوى ، لماذا ؟ لان الخلق العلمي يقتضي غض الطرف عن الحشو الزائد ، ويرفض الخلط الاعتباطي بين المسائل ، ويتنافى مع التسرع والمجازفة في اصدار الاحكام ، او تقبلها اذا كانت صادرة بهذه الروح عن الغير ، ويترفع عن النظرة القصيرة غير المستوعبة ، الا اذا كانت سبيلا لتكوين النظرة البعيدة الشاملة ، كما انه يتأبى عن الخيالات العفوية السارحة ، والا اذا اتخذت افقا مصطنعا لتصيد الحقيقة الموضوعية وتثبيتها، ويتحاشى عن التلميحات غير المحددة ، والرموز المبهمة ، فاحرى ما يقصد به من ذلك اللمز او الغمز ، فكل ذلك لا يستقيم مع الصفة العلمية الجادة ، وللمنقود لهم امكانية مهمةلاعطاء المثال عن عقلية علمية من هذا القبيل ، وخلق الجو السيكولوجي الصالح لبروزها في بيئتنا الثقافية المتطورة ، فربما يكون ذلك ادعى الى اعطائها مكانة ملفتة للنظر ورب مثال عملي يعطي افيد كثيرا من دروس عديدة تلقى . ان مثل هذه المواقف لا يمكن الاعتماد عليها في تكوين عقلية نقدية عندنا تتسم بما يجب ان تتسم به العقلية النقدية الكاملة ، فتكوين هذه العقلية ، يعتمد على جملة من العوامل المتشابكة تتعلق بمجموع الاتجاه ، الذي تتخذه الحياة العلمية في البلد ، والى ذلك ، فهذه العوامل ذات تأثير بطيء لا يمكن ان يعطي ثماره بصورة معجزية اطلاقا ، انما هناك — كما تقدم — ضرورة لتعزيز عمل الجامعة في هذا المضمار ، وذلك يمكن ان يتأتى منه شيء ، اذا تضافر المنقود لهم ، على اقامة جسر لنشوء تقاليد نقدية عندنا محترمة ، اولا ، بما يراعونه من شروط الروح العلمية ما امكن ، فيما ينتجون ، ثم بتحكيم الروح العلمية كذلك في تكييف ردودهم على ما يوجه اليهم من نقد .

وبقي هنا حيز صغير للنظر في امر القراء بالنسبة لهذا الموضوع ، والراي ان هؤلاء لابد ان يوخذوا الى حد ما بما عليه امر صاحب الانتاج المقروء ، سواء كان ناقدا او منقود له ، لا يقصد بذلك ان جمهرة القراء ، ليسوا الا شيئا سلبيا في هذه القضية ، ولا فاعلية لهم فيها تذكر ، ان وزن القارىء الواعي في مسألة النقد كوزن المنتجين والنقاد، سواء بسواء ، بل ان تأثير القراء في توجيه روح النقد ، قد يكون ذا اهمية اكثر ، وذلك لما يمارسونه من تدخلات — ان تدخلوا — تعيد الكاتبين الى الصواب « كما ان لتشجيعهم او اعراضهم — اذا كان صادرا عن اقتناع سليم — اهمية في الموضوع لا تخفى — غير انه لا يجب ان ننسى انه في بلد نام كبلدنا، فان عددا ممن لم تكتمل لهم تجربة ثقافية ولاسباب اخرى غير هذه ، يجوز ان يكونوا مستعدين للتأثر بالامثلة النقدية غير الصالحة التي تعرض عليهم ، وقد يكون هذا التأثر سطحيا في كثير من الاحيان، الا انه اذا تعمق وانتشر ، فانه قد يخلق عند البعض شعورا بالرغبة في التفرج على المتصارعين ، وما يخرجه كل واحد من كنانته ، ومثل هذا الشعور ، لا يحقق اي عنصر ايجابي فيما يستهدف من وراء الكتابة بصفتها مدرسة لبث الوعي والمعرفة بين الجمهور ، ولا اعتقد — بكل تاكيد — ان اي احد ممن يخط الكلمة ، يرتضي للقلم ان يكون اداة لغير العمل على بث الوعي والمعرفة بين الجمهور .

سلا : المهدي البرجالي

ـجد تجاوب بين الاثنيـــن . فهنالك ادب وهنالـك ـافة وهنالك تفكيـر تعبر عن المجتمع وهي احسـن ـ اي اقتباس او اي تقليد واكثر اصالة واصح ابداعا، اكثر اتصالا بحياتنا الواقعية . فالى هـذا الاتجـاه واقعي والاجتماعي والقومي فى آن واحـد يجب ان ـدعو الناقد دونما كلل ولا فتور ، اذ سيعـود بنـا ـى الطريق الطبيعي ، الطريق التي تسلكه كل الامـم ـتي لها شخصيتها واباؤها واعتزازها .

ومن غرائب السخافات الـتي قد يقع فيهـا ـعض الكتاب انهم يسألون عن آخر موضة ظهـرت ـى الادب الاروبي ، مثلا ، كما يسأل الانسان فى السوق ـن آخر مواس الحلاقة ، فيقال له عليك بروايات «آلان ـروب كرييي » و «ميشيـل بوطور » وغيرهما مـن اصحاب الروايـة الجديدة ، فيتسارع الى تلك الكتب تسارع الطفل الى الحلوى ، فيقحم نفسه فى معمياتهـا والفازها اقحاما ، ويكرهها على استحسانها ، حتى اذا ـسعر بان فكره تلقح من براعيمها ، امسك القلم بدوره ، وسرع يكتب من حبرها وينسج من خيوطها . ولكن لمن يكتب ، ولمن ينسج ؟ ايكتب لنفسه ؟ لقد انتهت منـذ زمان اسطورة الكاتب الذي يكتب لنفسـه ؟ ايكتب لقراء «بوطور» و «روب‌كرييي»؟ انهم فى غنى عنه ، ما دام عندهم «روب كرييي» و « بوطـور » ايكتب للقاريء المغربي او العربـي ، بصورة اعم ؟ نعم ، ولكـن القاريء المغربي‌اوالعربي الذي‌يوجدفي‌وضع ، هوغيروضع‌القاريء الاروبي فى حاجة الى حدث من نوع آخر ، فى حاجـة الى شيء كثير من الوضوح ، والدقة ، والمنطق، فى‌حاجة الى الفن الكبير ، الواضح المعالم ، فى حاجة الـى كتاب من نـوع شكسبير ، وموليير وبلـــــزاك ودستويفسكي الذين يحركون‌الشعور الجماعي ويربونه والذين يعيدون له قصـة حياتـه اليوميـة فى الشكل الذي يجعله يستخرج منها العبرة والموعظـة .

والناقـد له فى بلادنا الى جانب هـذا الدور التوجيهي دور آخر هو النقد الفني . وهنا نجد عندنا ايضا فوضى كبيرة فى الافكـار واختلافـا كثيرا فى المقاييس والمناهج . فهنالك الناقد الذي ليس له مـن الوسيلة الا ما تلقفه عن ابن قتيبة وقدامة وغيرهما من الاقدمين ، فهو يبحث عن الشعرة فى الحساء ، كمـا يقول الفرنسيون ، وينظر الى الجـزء ويترك الكـل يهجن القصيدة بالبيت الواحد ، ويبحث عن السرقات الاقتباسات . وهنالك الناقد الذي يعيب على الشاعر ـنه التزم الوزن والقافية ، دون النظر الى محتـوى ـسعر واسلوبه ونغمه . وحجته ان الوزن والقافيـة من التقاليد البالية . وهنالك ، بالعكس من يعيب على الشاعر تحرره من الوزن والقافية ، دون الاهتمام بمـا وراء الشكل من عناصر الطرافة والابداع . وهنالك من ينتقد على الكاتب كونه كتب قصته فى عشر صفحـات بدل ستة او خمسة . وهنالك من يرى ان القصة لهـا نموذج واحد فى العالم لايصح الخروج عنه . وهنالـك من ينتقد على الكاتب استشهاده ببيت شعر كما كـان يفعل الاقدمون . وهنالك من يبحث عن بعض الكلمات فى صلب المقال او القصة مثل البنيات الفوقية والتحتية والواقع المعاش والمجتمعية ، فاذا لم يجدها بطل عنده سحر الكلام وسقط موضع الاعجاب وحكم على الكـل بالقبح والفسـاد . وهنالك من يرى ان النقد يجب ان يكون فلفلا بعسل فيه الجرح وفيه الـدواء ، يهجـم فيوغل ثم يتراجع الى نقطة الابتداء فيركع ويـؤدي التحية . سلام فهجوم ثم مهرب فعناق .

اقوال متضاربة وافكـار متناقضة واصـوات متنافرة لو اجتمع اصحابها فى مكان واحد لمثلوا اروع مشهد هزلي فى تاريخ العالم . ولكننا لسنا فى مقـام الهزل ، اننا فى مقام الجد ، والنقد وان لم تكن له قواعد محددة من قبل ، وان كـان يترك فيه حريـة كبيـرة الناقد وذوقه ، فلا بد له من ان يراعـي بعض المباديء الاساسية التي لايستقيم بدونهـا .

فلا بد له قبل كل شيء من ان يميز فى كل انتاج بين ما هو مهم وما هو ثانوي . فهنالك عناصر تدخـل فى الجوهر ، وهنالك اخرى تظل فى الهوامش والسطوح، ولا بد من التفريق بين الاثنين ، فقد يكـون الكاتب موفقا فى الجوهر ولكنه متعثر فى الهوامش ، فيجب ان نعتبر له هذا وان لاتتجاوز ملاحظاتنا نسبتهـا بازاء التنويه والاستحسان ، كما ان الذي يخفـي ضآلـة الجوهر وراء البهرجة والتنميق يجب ان لايخدعنـا ببريقه وأن لاينال من استحساننا اكثر مما هـو بـه حقيق . يجب على الناقد ، اذن ، أن ينظر الى الاثـر الادبي ، سواء اكان قصيدة ، ام قصة ، ام روايـة ، ام مقالة ، ام رحلة ، ام محاولة من المحاولات ، ككـل، كجسم واحد حي . فالجمال لايقوم الا فى نظرة شاملة. وهذا هو الموقف الطبيعي الذي عرفه الانسان مذ كان، اذ هو فى النظرة الاولى لاينظر الى‌العينين او الى قسمات الوجه او الى الاطراف على حدة بل ينظر الى الجسـم ككل منسجم ، ثم يعود فى نظرة ثانية فيتفحص الاجزاء، ولكن النظرة الاولى كانت حاسمة فى توجيـه الحكم .

انه يعيش بين عالمين متباينين : العالم الاجنبي الذي تلقى منه ثقافته وظل على اتصال به ، والعالم القومي الذي يعيش فيه حسيا والذي يجب ان يسعى في ترقيته ويكون عند خدمته .

نعم ، يجب على الكاتب والمثقف ان يظلا على اتصال وثيق مع الثقافات الاجنبية الراقية وان ينهلا منها دون حد ولا نهاية ، ولكن عليهما ان يجدا الاسلوب المناسب لتحويل هذه الثقافات الاجنبية الى ثقافة تتلاءم مع مستوى البلاد التي يعيشان فيها وتستجيب لحاجياتها المادية والمعنوية . وقد ينحرف الكاتب احيانا عن هذا الدور الطبيعي ، فينساق مع هؤلاء ويتزيا بزي اجنبي فيردد اصداء لا تنسجم مع الوسط الذي يعيش فيه ، فهي كالقبعة اذا لبسها صاحب الجلابية والقفطان .

وفرق بين هاته الفكرة التي ابسط هنا وفكرة الجمود التي قد يتعلق بها بعض المتخلفين عن الركب، فالمحافظون والجامدون يعتقدون ان ما لديهم احسن مما عند غيرهم ، وانهم في غنى عن كل اقتباس وكل استيحاء . مكابرة في الاعتراف بالفضل للغير وعتوا في الدفاع عن التراث ومخلفات الماضي .

وهذا موقف بين الخطأ . اما الموقف الصحيح في نظري فهو مبني على كثير من التواضع . اذ يتضمن اعترافا صريحا بالتخلف عن الدول الراقية في الميادين العلمية والفكرية . نعم ، نحن بعيدون عن المستوى الذي وصلت اليه الدول الاروبية ، مثلا ، هذا امر لا سبيل الى نكرانه . ولكن هذا الاعتراف لا ينبغي ان يذهلنا عن السبيل القويم . واخشى ما نخشاه في مثل هاته الحال هو المبادرة التي قد تصدر عن بعض المندوهين او المذهولين . فقد يدفعهم التسرع الى الكفران بكل شيء والى اتلاف الرصيد القديم كله دون الحصول على رصيد جديد يكون له ثقل في الميزان .

والناقد هو الذي ينبه ، كلما دعت ضرورة الى المفارقات الحادثة بين الانتاج الادبي والفكري والمجتمع . وقد سبق لي ان بينت في مقالات مختلفة ما في التهافت على الوجودية ، والسارترية ، بصفة خاصة ، من موقف مصطنع لايمت الى مشاغلنا ومشاكلنا بأي سبب ، وهذا داء سرت الينا عدواه من بعض المجلات الشرقية التي لا شغل لها الا اقتناص آخر ما تموج به التيارات الفكرية في اوربا ، في حين انها لا تكاد تجود بأي التفات الى التيارات الحقيقية التي تسري في مجتمع بلادها . وهذه التيارات القومية هي التي تمثل الواقع الحي ، الواقع الذي يعيشه كل موطن ويماسيه ويصابحه . ولاشك ان سارتر لو وجد في هذه المجتمعات المتخلفة لكانت له فلسفة اخرى ونظرة مختلفة الى الاشياء ، ولسخر قلمه لادب وتفكير يختلفان عما نعرف له . وما ذلك الا نتيجة حتمية لفلسفته التي هي تصوير للوجود الانساني في العالم الذي يعيش فيه أي واحد في المجتمع قبل كل شيء .

ونحن نسيء الى سارتر ، ونسيء في نفس الوقت فهم فلسفة سارتر حينما نحشره معنا ، بالمناسبة او بدون مناسبة ، في مشاكلنا وقضايانا الفكرية . والذين درسوا سارتر دراسة عميقة يعلمون ان مذهبه يعبر عن وضع خاص عاشه المجتمع الاروبي في اعقاب الحرب العالمية الاخيرة . فبعد المجزرة الكبيرة التي مات فيها عشرات الملايين من بني الانسان ، وبعد انواع البؤس والعذاب التي قاستها الاقطار الاروبية وسط الكوارث الحربية ، كان سارتر حقيقة خير معبر عن اليأس من المصير الانساني . لقد استطاع ان يعطي لليأس مذاقا آخر جعل منه عنصرا يعيش به الناس ، كما يعيشون بالملح في الطعام . ففلسفته تعبر عن المجتمع الاروبي المتقدم الذي اوغل في مسالك التطور ، فعرف الراسمالية والنمو التقني والصناعي والصراع بين الطبقات والحروب الكبيرة . وكل هذا بعيد عن مجتمعاتنا المراهقة التي لا زالت امامها آفاق متسعة ، وخطوات عديدة ، ومجال واسع للعمل والكد . فما الداعي يا ترى ، لنتخذ من فلسفة منشؤها اليأس اساسا لتفكيرنا ؟ نحن ، بالعكس ، في حاجة الى فلسفة امل، الى فلسفة تملأ نفوسنا قوة ، وايمانا بمصيرنا ومستقبلنا ، وثقة بانفسنا وقوميتنا . **وانه لمن المضحك والمؤسف في آن واحد ان نجد بين ظهرانينا في المجتمعات المتخلفة اناسا يتوجعون ويتألمون ويشعرون بالاختناق الوجودي وبالعبث والضياع وهم في شعوب يجب ان تقوى نفوسها وتشحذ عزائمها وتعمم فيها اناشيد الامل والثقة بالغد .**

هذا مثال من الانحرافات التي تطرأ على الكتاب والتي يجب على الناقد ان ينبه اليها ويحذر من مغبتها لانها لا تخدم تطور المجتمع وتثير من الشك اكثر مما تخلق من اليقين . ان احد ادوار الناقد الرئيسية هي ان يقف موقف الحكم بين الكاتب المنتج وبين الجمهور المستهلك ليبين الى اي حد

لقاءات مع الادباء المعاصرين

عبد المجيد بن جلون

للدكتور زكي المحاسني

ما كنت احسبني ملاقيا كتابين فوق ركام من بريدي ، الذي تكاثر ابان غيابي عن دمشق ، اذ كنت فى الديار المقدسة بمكة المكرمة ، قؤوما بالقاء محاضرات فى الادب ، وقد ندبتني وزارة التربية السورية لاجلها فى جامعة مكة . ولعل ابنتي الصغرى « سماء » وهي خريجة الوثائق والمكتبات من الجامعة المصرية، قد عنيت ببريدي ، فنسقته ورتبت مجلاته وكتبه ورسائله ، فآثرت وضع الكتابين على وجهه . ولست اشك فى انها عرفت مقام صاحبهما عندي ومنزلته فى قلبي ، وهو الشاعر الناثر والمفكر الاستاذ عبد المجيد بن جلون ، الذي اهدى الي كتابيه : « فى الطفولة » و « براعم » فكان محتوما علي ولزاما ، ان ابدا بهما متمليا ، من بين ما على خوان كتبي من الرسائل والمجلات والكتب الجديدة .

لقد كان على الدوام خاطري منسرحا مع المؤلفين ، فى اي اتجاه يتجهون . ولو كان مناقضا لفكري ومخالفا للراي الذي ارتئيه . ولست اقول بمذهبي ، لانني ، حتى اليوم ، لم اتخذ مذهبا من المذاهب فى الفكر والاتجاه المعاصر ، حتى اهمني احد تلاميذي بانني من زمرة « اللامنتمي » . وهذا مصطلح رطين معاصر ، ولست من هذه الزمرة ايضا . اذ كنت حيث اجد كتابا نافعا ، اجلس اليه ، واضمه بعقلي ، واحيطه بنظري ، واقلب صفحاته فى يسر واشفاق ، وقد يتفق لي ان اجد صورة من صور حياتي فى صفحة من هاتيك الصفحات الحية النابضة بالذكريات ، وكذلك هاج خاطراتي ان اجد في الكاتب الكبير عبد المجيد بن جلون فى كتابه «فى الطفولة» يرسم صورا تنطبق على مواقع من حياتي وذكرياتي ، بينما هو يرسم نفسه ، ويصور حاله . فما كدت ادرج بالنظر على صفحاته الاولى ، وهو يتحدث عن مجيئه الى هذا العالم ، حتى اخذت مسارد صور تنسرح امام خيالي الشريد البعيد ، من طفولتي المسكينة اليتيمة . فلقد ترك والدي الدنيا، وكان من رجال الشرع ، وعمري سنتان ، ولم يترك لنفسه صورة اراه بها ، فكنت اسائل امي — يرحمها الرحمن — على غرارة الصبا ، فأقول لها :

— يا ام ، من كان يشبه ابي ، فدليني عليه .

فدلتني على شيخين من حينا فى « القميرية بدمشق » كنت ازورهما ، لغير سبب ، واصعد فيهما النظر واصوبه فيدهشان لامري ، ولا يعلمان انني كنت ارى فيهما صورة والدي !.

ومضيت منذ استهلالة الكتاب اتخيل طفولة طفل اسماه اهلوه عبد المجيد واتخذوا له مربية اذ كانت امه دوامة المرض منطرحة فى الفراش ، ثم نقلوه فجأة من المغرب الاقصى الى دارات من انكلترا حيث جعلت مشاعره الاولى ، وهي مبكرة ، تتفتح على بلد كامد مغمض .

وحين فرح بان تولد له اخت ، كان اهلوه يرفعونه لكي يراها فى سريرها ويحدق نظره الصغير اليها ، فأثارت تعابيره التأثرية كوامن وجدي فى اختي «مبزة» التي غادرت عالمنا منذ ثلاثين عاما وقد سبقتها بعام امي . لقد كانت اختي ملأى بالاشجان ،

وبهذه الطريقة سنستطيع ان نقوم ما يكتب تقويمـــا صحيحا وسنجتنب انواعـــا من الشطط والتعسف . اني لايهمني من الشاعر اوزن قصيدته وقفاها أم تركها حرة مرسلة . فكل هذه أشياء تدخل فى نظري فى نطاق الهوامش والشكليات ، ولكن يهمني مـاذا قال وكيف قال وهل استطاع ان يكشف لنا عن ينابيع جديدة من التعبير . ولا يهمني من الكاتب القصصي اطـال أم قصر ، أقلد « كامو » أم « جويس » أم (كافكا) ، ولكن يهمني ان يكون بلغ شيئا ، فاحسن التبليغ ، ويهمنـي ان يكون اثار مشاعري وأزاح الستار عن خبايا جديدة فى النفس الانسانية .

فأنا اترك للشاعر والكاتب حريتـه فى اختيـار اسلوبه ووسائـل تعبيره ومنهاجـه فى التأليف ، ولا اقيده بقواعد جمالية ، لان هذه القواعد غير موجـودة، وان وجدت فانها ذات قيمة نسبية تختلف باختـلاف الزمان والمكان . فقد الف اليونان ما شاء الله ان يؤلفوا فى قواعد الكتابة ثم جاء العرب فاتفقوا معهم فى اشيـاء واختلفوا فى أخرى ووضعوا قواعد للبيان والبلاغـة، لكن تلك القواعد لم تبق لها أي قيمة فى عصرنا ، وجاء الشاعر الفرنسي « بوالو » فحاول ان يحدد الانـواع الشعرية وان يضع لها دستورا تسير عليـه ، لكـ اجيال الكتاب التي جاءت بعده خرقت تلك القواعـ خرقا وجاءت بأفانين جديدة فى الكتابة والتعبير برهنـ على أن الابداع لايحصر فى نطاق محدد ، وأن مخالفـ القواعد المتعارف عليها قد يكون فى طيها مفاجآت سار وفى عصرنا هذا توجد مدارس مختلفة ، تحاول كـ واحدة منها ان تدافع عن نظريتها فى الجمال الفنـ ولكن الجمال اوسع واكبر من أن تستأثر به مدرسـ من المدارس او تحتضنه نظرية من النظريات . الجمال هو ما يكتنفه الفنان فى حريته الكاملة ، لايقـوده فى هذا الاكتشاف الا حدسه المرهف والهامه الموفق .

ولذلك ، فانه يجب علينا ان ننظـر بشيء مـن الحذر والشك الى الناقد الذي يحمـل مدونة مـن القوانين والقواعد فى يده . والذي ينظـر اليوم الى الآداب العالمية الرفيعة ، يرى كيف ان تحرر الكتاب من القيود والقواعد الموضوعة قادتهم الىالتنويع اللانهائي . فأي قواعد فنية تجمع بين كتاب من امثال (تولستوي) و (بروست) و (توماس مـان) و (جـويس) و (هيمنغـواي) و (مالـرو) و (جيـد) و (توماس هـاردي) و (سارتـر) ؟

سـلا — محمد زنيبـر

التحرر للتخلص من ابهام الحرية

للعميد محمد عزيز الحبابي

ليست الحرية من المفاهيم التي يكتفى فى تعريفها، بتعدد هام من المدلولات والمعاني . انها ، على العكس من ذلك ، تقاوم كل تحديد تقريري ولا ترتضي بديلا عن التعريف المتفتح الذي تدخل فى حسبانه كثير من الايحاءات واللوينات المفهومية . فاختيارنا للفظة « تحرر » اجابة للرغبة فى تجاوز ما فى « حرية » من التباس .

يحتوي التحرر على مجموع معاني « حرية » ويوحي بمعنى الفعل من أجل تحقيقها . انه فى نفس الوقت : « حالة » الكائن الحر ، والفعالية التي يقوم بها كي يصير حرا : انه التحيين (L'actualisation) التأليفي للحريات الواقعية . يضم هذا التعريف ، اذن المعنى الاولي الكلاسيكي للحرية : انعدام اي اكراه خارجي . فعندما نقول « انسان حر » نقصد انه « ليس مستعبدا » أو « سجينا » ، ذلك أن العبد والمسجون لايقدران على النهوض بنشاطات مستقلة عن ارادة الغير ، ولا يتمتعان بحق المبادلات .

وتشمل لفظة « تحرر » ، ايضا ، على معان منبثقة من المفهوم السابق للحرية ، اننا نتحرر من القوى الباطنية (غرائز ، رغبات ، اهواء ...) عندما نصل الى معرفتها ، ونتبناها ، ونكيفها . التحرر فعالية تسيطر على طبيعة الانسان الغامضة ، تحت ضوء العقل ، وبفضل الارادة . نعم ، ان التحرر ، بالنسبة للارادة : « هو الغاية القصوى المكنة من الاستقلال، تحدده المعنى الخاص لهذا الاستقلال ، تحديدا يستهدف غاية قد تكونت له عنها كذلك فكرة » الواقع ان بهذا التعريف تتجلى الخاصية المعنوية للشخص التي بدونها لايمكن للأنا أن يتحمل اية مسؤولية اخلاقية او قانونية .

نجد عند (ستيوارت ميل) ان الحرية المعنوية تعرف جانبا ممتازا من جوانب التحرر ، الشعور بقدرتنا على تغيير طبعنا الخاص ، اذا ما اردنا ذلك: « يشعر شخص ما انه حر ، معنويا ، عندما يحس أن عوائده وشهواته لاتسيطر عليه ، بل انه المسيطر عليها. وحتى ان هو استجاب لالحاحها ، شعر أن فى وسعه مقاومتها ... »

وبالاضافة الى ما سبق ، نرى ان « التحرر » يشمل كذلك المعنى السياسي والمعنى المجتمعي لـ « حرية » . فحينما نقول ان اغلبية « العالم الثالث » قد تحررت من الحكم الاستعماري بوصفها شعوبا نثبت أن هذه « الامم النامية » قد حصلت على مجموعة من الحريات كانت محرومة منها ، فيما قبل، ولكنها ما تزال فى حاجة الى حريات أخرى لتخرج من ارث الاستعمار ومن التخلف ، ولتتغلب على الازمات التي تعتري الهيآت الانسانية . فـ « حرية » ، اذن، درجة ما متفاوتة من الاستقلال الذي حصلت عليه شعوب العالم الثالث ، والذي ينبغي العمل على اكتماله . فما حقق تدريجيا من الاستقلال قد اصطبغ، منذ البداية ، باعتبارات معنوية وقانونية ؛ انه يشكل قيمة سيكولوجية ومجتمعية ، كما يشكل حقا تاريخيا اساسيا (وثيقة « حقوق الانسان والمواطن »

اكيد أن التحرر لايزيح اللاحتمية بكل اشكالها الكلاسيكية : حرية اللامبالاة وحرية الاختيار ... ان التحرر مجهود من اجل التغلب على العراقل الباطنية والخارجية ، على السواء ؛ انه لايقف ، ابدا ، الا عند الحد الاخير للصراعات التي نتقبلها عن وعي ورضى، خلافا لحرية اللامبالاة حيث الارادة لاتخضع مطلقا للعقل ، والاختيار لايقوم على اعتبارات تقييمية : نختار

فان زوجها من بني الايوبي توفي عنها وكان بينه وبينها من السن ربع قرن . اني اذكره ، كان ذا لحية سوداء فاحمة صبيغة ، وكنت وانا طفل اشاهده وقد جلس في غرفته للخضاب ، وكانت اختي الشابة تسعى بين يديه بأحجرة صغيرة تديف فيها شيئا كالكحل . وغابت اختي عن الدنيا بعد ان عاشت ايما عشرين عاما وتوفيت بنتها الصغيرة ، ولحق بها ابنها الشاب ممدوح الايوبي .

ولم اكن احسب ان خوالج احزان وذكريات آلام ستهب علي من كتاب « ابن جلون » الذي صور فيه طفولته ، مثل هذا الهبوب العنيف ، فانه اخذ يشاهد وجه امه وهي على فراش الضنى ، وقد غشاه ضباب الاحزان . فاخذت اتذكر امي الحبيبة «سارة» التي لم تهنأ بي فقد غادرتني يوم استطعت ان امنحها المال ، ولقد عشت في ظلالها تمنحني الحنان وتربيني وتملا صباحي نصحا ، قبل ذهابي الى المدرسة ..

ما اشد تاثري ، حين قرات هذه الكلمة في هذا الكتاب الرائع ، يقول مؤلفه النابغ ابن جلون في حديثه عن ذكريات امه :

— « ورفعت عيني الى القمر ، وتحت تاثير الايحاء ، خيل الي انني ارى من خلال دموعي ، وجه امي يطل علي من السماء ، داخل صفحة البدر الكبيرة، وكان ايحاؤها قويا يخيل الي الى الان انني اراه كلما رفعت عيني الى القمر ، فاقول انه وجه امي » ..

وترامى به القلم على ذكريات عذبة ، في حياة طفل ينشأ ، ويؤخذ الى المدرسة ، فيدخل منها الى عالم جديد ، منير للفكر ومرهف للشعور ، ومرب للاخلاق . ثم هو حين يشب ، يعود الى منبت ابيه الواعي وجده الصالح واهليه الكثر الطيبين ، في ارض الوطن المغربي العزيز ، فيضيق به اول الامر اذ يجد ارجاءه على اتساعها مملة تضل فيها الروح شاردة بين ابعادها ، ثم يتطامن ويألف مثل طائر حرون ، عاد الى السكون .

ويمضي بذكرياته ، حتى يختتم بها هذه الفصول العشرين من حياته واصفا الساعات الاخيرة لاخته « آمنة » الغالية التي يشع من خلف الوجود وجهها الاسنى ، مليئا بالبشر والابتسام والفداء !

وانه لمن طوابع الجمال والقدرة في فن الكتابة ان ينهد كاتب كابن جلون الى تسطير كتاب عن الطفولة التي عاشها ، ولقد كنت اقرأ آثارا مبينة كتب اصحابها عن حياتهم ، فتنهض امامي ، لتقف كسد منيع بيني وبين هذه الاثار « ايام » عميد الادب المعاصر الاستاذ والصديق الدكتور طه حسين ، فانه من كتب الجزء الاول منها ، عكر الاعتراف بمثلها ا باروع منها . مثل حسناء وقف جمالها سدا دون اعراس الفاتنات . فمذكرات ابن جلون في طفولته فيها من الروعة والوصف الاخاذ والتصوير الدقيق ما يحلها محلا عاليا بين كتب الحياة التي الفها اصحابها من ادباء العرب المعاصرين ، وفيهم غير طه حسين علامة الشام محمد كرد علي وعلامة مصر احمد امين الذي وسم كتابه باسم «حياتي» .

ولقد تنابذ هذان العلمان اواخر حياتيهما ، وجعل كل منهما يرمي الاخر بشواظ من الكلم الجارحات في الكتب والمقالات . ثم ذهبا من وجود الدنيا . وكان اعجب من ذلك ان وجدت مذكرات «كرد علي» في مكتبتي الى جانب كتاب « حياتي لاحمد امين » فقلت :

— يا لله ! ان الحياة نفرت الالفة بينهما ، لكن ذهاب الحياة الف بينهما على رفوف مكتبتي .

وكنت يوما ، في ميعة الصبا شابا محاميا يريد ان يكون من رجال القانون ، لكنني سرعان ما خلعت الثوب الاسود الذي يرتديه المحامون امام اقواس القضاء ، اذ اتجهت الى تدريس الادب . وقد بقيت في علمي امور حقوقية جامعة ، اجدني اجدها بين الحين والحين ، كلما عنت من اجلها ضرورة . فمن بواقيها علمي بان التبعات الجزائية تسقط بعد الموت . وكذلك وجدتها بين الاديبين العظيمين احمد امين ومحمد كرد علي ، قد سقطت ، فتجاورا بعدها في وئام وسلام .

وكنت أوثر ان امضي في الكتابة فأتناول ديوان الشعر الجلوني « براعم » ولن امهل قلمي حتى تنفتح هذه البراعم ، فتكون وردا ورياحين ونسرينا فان الشعر في دبيب التفتح يومىء الى مهب العبق فيه عما قريب . وبحسبي ان اكتب عن براعم الشاعر الكبير عبد المجيد بن جلون ، لاتلقى بعد حين ازاهيره ، التي لا تفنى ..

الدكتور زكي المحاسني

لماذا نقرأ الشعر ؟

للاستاذ : عبد العلي الوزاني

عندما يسأل دارس الهندسة عن غرضه منها ، يقول انه يريد أن يضع تصميما لقنطرة او منزل ، وعندما يسأل دارس الطب نفس السؤال ، يقول انه يريد أن يخفف من امراض الانسان ، ويساهم فى اعادة الصحة اليه بعد ذهابها ، وقريب من هذا يكون دارس الرياضيات أو غيرها من العلوم الاخرى ، ذلك أن العلم يمكنه أن يهب الناس نتائج محسوسة ، قد يلمسها الناس ، بل تكون قابلة لاقتنائهم اياها ، للافادة منها فى حياتهم اليومية ، ولذلك يكون جواب دارس العلم عن ذلك السؤال سريعا وحاسما ، وفى كامل الدقة والوضوح ، دون التواء فى القصد ، أو غموض فى الهدف. اما عندما يسأل قارىء الشعر — وكذا عشاق الفنون الجميلة الاخرى — عن هدفه من تعشق هذا الفن الجميل ، فانه تكتنفه الحيرة ، وتأخذه البلبلة ، وقد لا يجد الكلمات للتعبير عما أثاره السؤال فى أعماقه من خواطر شتى ، ومشاعر متضاربة ، قد تستعصى على العبارة التي نريد الاحاطة بها فى وضوح ، ذلك أن الشعر ليس موضوعيا صرفا بحيث يمكن حصر أبعاده وجوانبه فى قواعد صارمة ، وانما هو فن ذاتي قبل كل شيء ، ينبع من أعماق الذات ، وينبثق من تأثرات الشاعر ازاء هذا الكون ، وليست له نتائج عملية ، الا ما كان من قبيل النتائج التبعية ، التي قد تترتب عن سيادة الشعر على قوم معينين ، فى مجتمع معين . نعم ليس امام قارىء الشعر هدف واضح محدد ، بل ان الشعر نفسه هدف فى حد ذاته ، على حين أن العلوم هي كنظريات ومجموعة من القواعد ، مجرد وسائل تؤدي الى غايات معينة . ومن هنا جاءت صعوبة الجواب عن السؤال الذي وضعناه على رأس هذا المقال : لماذا نقرأ الشعر ؟

ومع ذلك فالسؤال يفرض نفسه اليوم أكثر من اي وقت مضى ، ففيما قبل ، لم يكن الناس فى حاجة الى أن يقتنعوا بجدوى قراءتهم لهذا الفن الجميل ، فسلطانه كان لا ينازع . وحتى الذين كانوا لا يمتون اليه بصلة ، يعتبرونه من متطلبات الحياة الرفيعة ، بحيث لا تتألق شخصياتهم امام الكبراء ، الا اذا ازدانوا بحلية الشعر حفظا وقراءة ، ان لم يكن خلقا وابتكارا . حتى ان صيحة افلاطون شيخ فلاسفة اليونان ، عندما هاجم الشعراء ، وقال بضرورة اخراجهم من حظيرة المجتمع الفاضل ، واتهمهم بافساد اخلاق الشباب اليوناني ، وقال انه سألهم عن معنى كلامهم فلم يحيروا جوابا ، لم تلق آذانا صاغية فى عصره ، بل مضى الناس فى تعشقهم للشعر ، منتجين ومستهلكين . اما اليوم فالوضع قد تغير ، اذ السرعة التي تميز بها العصر ، وانتشار نتائج الحضارة الصناعية الحديثة ، وغلبة الاتجاه العلمي المحض على المجالات الثقافية فى اكثر بقاع العالم ، وكون الانسان صار نهبا لعدد كبير من المغريات ، ووسائل التسلية الكثيرة الميسورة ، والتي تكتنفه من كل جانب ، وضمور القرائح الشعرية نفسها ، بالقياس الى العبقريات التي ظهرت فى الماضي ، وشغلت اجيالا بروائعها ، والخيبة المريرة التي أصابت انسان العصر ، بعد نكبة الحربين الكونيتين ، اذ خرج منهما اشد ايمانا بالابقاء للسيادة ولا للكرامة ، الا بالتسلح المتواصل ، بدون حدود أو قيود ، مع الاعتدال فى شؤون الخيال والعاطفة ، كل هذه العوامل وغيرها مما لم نذكره ، جعلت اصواتا عالية ترتفع هنا وهناك ، منددة بالشعر ، زاعمة انه فن بدائي ، يمثل عقلية الانسان فى عهد الطفولة الانسانية ، ولا يتلاءم مع الذهنية الحديثة، التي تميل الى الموضوعية والدقة العلمية . وقد لقيت هذه الاصوات اصداء لها اما معارضة أو مؤيدة ، وعقدت ندوات ادبية شارك فيها

شيئا مـا او ضده ، دون سبب قابل للتبرير ، بـل يجدر بنا ان نقول : « نختـار » دون اختيار ، ودون مقارنة ، ودون حكم ، ودون معايير وقيـم .

هكـذا تتحدد ، بوضوح ودقة ، المعانـي التي تحيط بمفهوم « تحرر » انه تعدد يسود فيه العقـل على الاهواء والغرائز ، والفهم على الصدفة والعفويـة والعرضية ، والارادة على العوائد والشهوات ، والجهد الشخصي والصراع على السلبيـة والاستسلام الى ظاهرات الطبيعة : فى بداية التحرر ، يوجـد الفعـل والارادة ، فاذا انعدما انعدم التحـرر (1) .

ليس من الصواب فى شيء أن نعتبر بعض الحريات اساسية واخرى غير اساسية ، أو اقل « اساسية » من الاولى . ومن المخالف للواقع كذلك ان نزعـم ان بينها ما هو وسيلة لغيره وما هو غاية فى ذاتـه بل ان كل الحريات ، بالتساوي فيما بينها ، تشكل مجموعـة ضرورية للتحرر : حرية ، بالنسبة للطبيعة وبالنسبـة لميولاتنا ، بفضل المعرفة ، حرية اقتصادية ، حـريـة سياسية ... كل واحدة منها تؤتـر فى الاخـرى، ويستلزم وجودها وجود باقي حسب تشارط ضمني، بحيث يتأتى المجموع نحو النمو او التقهقر . فمثـل الحريات فى المساواة كمثل المثلث : من العبث اعتبار اي قمة (رأس) ممتازة عن الآخرين ، لان كل قمة ضرورية بحيث لو ازيلت لزالت معها « مثلثيـة » المثلث ، أي لتهتم حتميا كيان الشكل المعطى ؛ فمـن الناحيـة الهندسية ، لكل قمة نفس القيمة التكوينية بالنسبـة للآخـريـن .

ان تشبيه التحرر بالمثلث ، والحريات بقممـه المختلفة ، لن يقبل الا اذا فرضنا أن لكل حرية نوعـا كيفيا من الاصالة ، ضمن الصفة المشتركة بينها وبين الحريات الاخرى ، تلك الصفة التي تجعل من كل واحدة جزءا مكونا للتحرر . فالحريات ، على اختلاف متماسكة تماسكا وثيقا بحيث لن تستطيع اية واحدة منعزلة أن تتفتح او تزدهـر ؛ واذا حـدث ذلك بالصدفة ، فلن يحصل عنه أي تقدم محرر . وانما الفوضى والصراعـات لا غيـر .

نعـم ، يمكن لحرية ما ، فى بعض الاوقـات ، ان تنتقل من الخبب الى العـدو ، او على العكس من العدو الى الخبب . ان كل عصر يكتسب لونا ابرز من الالوان الاخرى تقتضيه حاجياتـه المعاشيـة ، والدرجة الحضارية التي وصل اليها ، والطابع المحلي. قد تعوق ظروف تاريخية عرضية ظهور بعض الحريات (مثلا : فى أيام توقف الحرية السياسية وماتستلزمه من حرية الصحافة والتجمع ...) ، بيد ان مبدا تلك الحريات يبقى مكتسبا كحق ، وكقيمة ، وكامنية ، وكواقع يعيه كل الذين يحرمون منه ، ولو حرمانا طارئـا مؤقتا) . ومن طبيعة أي حرمان أن يجر معه حرمانا آخر ، مثلـه فى ذلك مثل التقدم ، فاية حطوة الى الامام ، لامندوحة لها من ان تفتح المجال الى خطوات لاحقة . فايقـاف ممارسة الحريات السياسية ، ابان الاضطرابات ، يجر الى المراقبة الاقتصادية ، والى تقنينات حول تنقـل الافراد ... وهكذا ، عمليا ، تتقدم الحريات أو ترجع القهقرى فى تآلف وتجمع . فلفرط تجانسها الصميمي وتكاملها المتين ، لن ينفصل ابـدا بعضها عـن البعض الآخـر دون اضرار بالكـل ، نعنـي التحـرر .

الرباط : محمد عزيز الحبابـي

---

1) التحرر ، او مجموع الحريات فى ترابطها وتفاعلها ، يفترض سلفا وجود استقلال وطنـي حقيقي ونظام يحمـي جميـع الافـراد ، على السـواء .

قد يكتبونه ببرودة أعصاب ، وحتى اذا تحمسوا فهم لا يستطيعون أن يعرفوا من مآسي الافراد والجماعات الا ابسط مظاهرها شأنا ، وتبقى هناك منطقة تخرج عن دائرة ادواتهم ، وهي منطقة القلب الشاعر الفياض ، ملتقى الدوافع الداخلية ، التي تكون دائما وراء الاحداث، توجهها هذه الوجهة او تلك ، ولا يقدر على تصويرها الا الشعر ، والشعر فقط ، لانه بموسيقاه ، وظلاله ، والوانه ، ومرونته ، ولمساته السحرية ، هو القادر على استغراق شؤون القلب الانساني العظيم .

وعنترة هذا عندما صور مأساته في شعره والقاه على الناس ، لم يبق مجرد شخص عرفته الصحراء العربية ، ولكنه تحول الى فكرة ومبدأ وشعور انساني يمتد عبر القرون والاجيال ، ليدل على أن الانسان عظيم في مآسيه ، كما هو عظيم في افراحه ، ونحن عند ما نقرأ ذلك الشعر ، ونتملى ما فيه من ملامح انسانية ، انما نكون اوفياء للانسانية في اقدس معانيها ، واجمل مظاهرها ، اذ الامر لا ينحصر في ترديد كلمات ، وترجيع قصائد ، بل هو اهتمام بصميم الوجود الانساني ، وما قلناه عن عنترة ، نقوله بالنسبة لكل شعراء الانسانية ، على اختلاف العصور والاجناس والبيئات . فكل من رسم حرفا شعريا ، أو ترنم بكلمة شعرية أودعها ذوب قلبه ، حملنا امانة — وما أغلاها من امانة — لنمضي بها قدما فنسلمها الى الاجيال التي ستأتي بعدنا . وما أروع هذا اللقاء الروحي الذي يحدث بين ابناء التاريخ!! انه اللقاء الذي يجعل من الهموم والمسرات البشرية ، هموما ومسرات عظيمة ، تستغرق آلاف السنين . وبذلك كله اجدنا نقرأ الشعر للتوسعة على نفوسنا ، اذ نضم خلجات قلوب الشعراء الى خلجات قلوبنا ، وارتعاشات أرواحهم الى ارتعاشات أرواحنا ، فيتكون عندنا احساس تاريخي بهمومنا وقضايانا كبشر ، لاننا اصبحنا نحمل في وجداناتنا ثقل الهموم الانسانية كلها ، فالعاشق المتيم تلتقي دموعه بدموع قيس ليلى ، والمتشائم الساخط ، يلتقي بتشاؤم أبي العلاء وسخطه ، وهكذا دواليك ، وما أشد ضيعتنا وضيعة انسانيتنا اذا تحجرت عندنا دموع قيس ، أو تهافتت ثورة أبي العلاء ، واصبحنا نقرأ لهما بقلوب فارغة ، وآذان فيها وقر ، وعيون عليها غشاوة ، فتلك هي الخسارة الكبرى التي تجعلنا مفلسين ، في ميزان الشعور الانساني الاصيل .

هل نقرأ الشعر لهذا فقط ؟ وأين تركنا مادة الشعر التي تطالعنا في كثير من الوان حياتنا . فالشعر هو الدفء الذي نحسه في صدور امهاتنا ، والروح العائلي الذي يسمرنا حول مائدة الشاي ، واللوعة المحرقة التي تهد قلوبنا عند ما نصاب في أعز احبابنا ، والسهاد الذي يستغرق ليالي من حياتنا من أجل حبيب غادر ، والجو الملائكي الذي يشتمل علينا ، عندما يتسلق اطفالنا اكتافنا في براءة وتلقائية ، والثورة العارمة التي تضطرم بين أضلعنا عندما نصاب بظلم ، ولا نملك ان ندافع عن انفسنا ، الى غير ذلك من مواقف حياتنا المختلفة ، حيث لا نكون فيها على حالتنا العادية ، اذ نشعر باننا شيء آخر ، اقوى من الزمن واقوى من المادة ، واقوى حتى من الفكر !! فالمفكر العظيم ، والعالم الكبير ، اين تكون صرامتهما واتزانهما وهيبتهما ، وما النترماه من سمت وقور ، عندما نرى الواحد منهما يجره ولده الطفل من طرف معطفه ، ليتقاذف واياه الكرة ، فينقاد جذلان مسرورا ، متخليا عن جديته ووقاره العلمي ، متحولا الى طفل ؟ وليس هذا الا مثالا من امثلة عديدة ينسلخ فيها الانسان الكبير العاقل عن شخصيته المعهودة ، ليرتد الى شيء من طبيعته الاصيلة ، وليعود الى قواعده ، فيبكي وهو الخشن ، او يضحك وهو العبوس ، أو يقفز بخفة بهلوان ، وهو الذي يزن الجبال رزانة .

لنحذف هذه المواقف العاطفية وامثالها اذا شئنا ان نعرض عن الشعور ، ولنحرق الزهور والورود والرياحين ، ولتمتد أيدينا الى النجوم لتطفئها ، والى القمر فتنتزعه من عليائه وتطرحه ارضا ، ولنصد عنا سحر العيون ، وفتنة القدود ، ولننزع هذا الخافق بين جنوبنا ، لنفعل ذلك ، قبل ان ندعي أن بوسعنا الاستغناء عن الشعر . وهل ندري معنى قول بعضنا بامكان الاستغناء عن الشعر ؟ معناه بأبسط عبارة واوجزها الاستغناء عن انفسنا ، وهل يستقيم للعقل الاستغناء عن النفس ؟ اي عن الوجود ، اي عن الحياة نفسها ؟! وان حدث ذلك ، الا يكون معناه العدم والموت والدمار ؟!

فنحن نقرأ الشعر لانه اللغة المعبرة عن كثير من لحظات حياتنا ، ومواقف وجودنا ، وجوانب كياننا ، ولا يمكن أن تعبر عنها اية لغة اخرى غير لغة الشعر ، فانا وانت والآخرون معنا ، يكون من المهازل أن نلجأ الى العلم ، في الوقت الذي نمل من الروتين المألوف ، ونقنط من وزن كل شيء بقسطاس مستقيم ، ونود أن لو خرجنا عن ذلك قليلا ، لتكون لنا رؤى مبدعة ، ولنتجاوز محيطنا ومحدوديتنا ، حتى الفاظ اللغة نريد لها أن تخرج قليلا عن معقوليتها الضيقة ، وتتماوج ، وتتسع وتتحرك ، وتنبض ، وتنفصل عن معانيها البالية من طول ما استعملت فيها ، اي نريدها ان تكون ملائمة للحالة التي نحن عليها ، تبكي معنا اذا بكينا ، وتضحك

ادباء عالميون لايضاح الدور الحي الذي يقوم به الادب فى المجتمعات الحديثة ، واحدثها الندوة التي انعقدت فى العام الماضي ، بجمهورية يوغوسلافيا الاشتراكية الاتحادية ، ونوقش فيها الدور الذي يقوم به الاديب فى مجتمع اليوم ، والمشاكل التي يعانيها فى هذا الصدد . ولعل من نتائج ما لقيه الادب والشعر من معارضة قوية ، اننا بدأنا منذ وقت ليس بالبعيد ، نسمع نقاد الادب يتحدثون عن (رسالة الكاتب) و (رسالة الشاعر) بالنسبة لوطن كل منهما ، وبالنسبة للانسانية كلها ، كما قد يكون من نتائج ذلك البحث عن (القضية) و (الفلسفة) فى قصيدة الشاعر ، وعن (المعادل الموضوعي) فيها ، وبعض النقاد لا يعتبرون الشعر فنا ذاتيا محضا ، يتكون من مجرد عواطف واحساسات ، فكأنما يراد للادب فى هذا العصر ، ان يبرهن عن جدارته بأن يشغل حيزا كبيرا من حياة الناس ، وأن يقتبس شيئا من اسلحة العلم ، ليواجه التحديات العلمية ، صامدا امامها فى عزم وقوة اصرار ، ولعل من نتائج ذلك ايضا هذه التخوفات التي بدات تساور الكثيرين من عشاق الشعر ، فهم يشفقون على الكلمات الجميلة أن تصوح ، كما تصوح الزهرات اذ تلفحها ريح السموم ، ولكن مع ذلك فالشعر ما زال بخير ، لانه ضرورة انسانية لا محيد عنها ، ولنستمع الى الدكتور عبد الرحمن بدوي يقول : (حتى فى هذا العصر ، عصر الصناعة الفنية والانسان الآلى ، لا يزال للشعر مكان الصدارة بين الفنون ، لان الحاجة اليه تنبثق من أعماق النفس الانسانية ، بوصفه التعبير الحي المتجدد أبدا ، عن نزوعها الى ما فوق الواقع ، وعن احساسها بالروابط المستسرة بين ظواهر الطبيعة ، وعن مشاركتها فى سر الابداع والخلق ، وعن تعاطفها مع سائر بني الانسان ، وعن خفايا العواطف التي يتميز بها الانسان من سائر الكائنات) ولكي يزداد عشاق الشعر اطمئنانا نذكرهم بأن جائزة نوبل فى الادب كانت فى السنوات الخمس الاخيرة ، من نصيب الشعراء فقط ، منهم (سانت جون بيرس) من فرنسا ، و (جورج سفريادس) من اليونان . ويعلق الدكتور بدوي على هذه الظاهرة بقوله (ان العصر ما زال يعترف بان الشعر انبل الانواع الادبية واصدقها دلالة على المعنى الاعمق فى روح الانسان ، وانه ليس عصرا تعسا يمكن ان يدفع شاعرا كهيادرلن ان يقول صارخا : (فى هذا العصر التعس ما الفائدة فى الشعراء ؟)

ومع ذلك فالسؤال الذي ما زال قائما هو : لماذا نقرا الشعر ؟

عند الاجابة عن هذا السؤال ، تجد من يذهب الى ان هدفه من قراءة الشعر ، ينحصر فى الانتشاء بروح الايقاع ، ومن يقول انه الاندماج مع الشعراء فى عواطفهم وخواطرهم ، ومن يرى رأيا آخر ، وهو أن هدفه البحث عن قضية فكرية ، أو نظرة فلسفية ، وقد يوجد من يجمع بين هذه الاهتمامات جميعا ، وقد يكون كل هؤلاء على صواب فيما ذهبوا اليه ، والاتجاهات الشعرية تتسع لكل هذه الاغراض والاهداف ، بحيث ترضى كل رغبة وكل ذوق . وما السطور التالية الا محاولة تدخل ضمن المحاولات العديدة للاجابة عن هذا السؤال .

وهل تساوي الحياة شيئا اذا خلت من الشعر ؟ بل هل يكون الانسان انسانا اذا هجر الشعر ؟ لنتصور ان الحياة بقدرة قادر ، أصبحت قاحلة من هذه الكلمات الحية ، النابضة ، المرتعشة ، المدعوة شعرا ، فأية خسارة ، واية كارثة ستحل بالانسانية ؟!! واي طعم سيبقى للاشياء ؟ وكيف يستقيم للانسان العيش فى كوكب كله جفاف وصلابة ؟ اننا لم نخلق فى هذه الحياة ليكون حسبنا الشبع والري ، وانما خلقنا لنتخذ من الشبع والري وسيلة لحفظ الحياة ، نتوسل بها لتحقيق المثل الاعلى ، والجنوح نحو حياة انسانية رفيعة ، تقوم على الود والصداقة والالفة ، هذه التي تكفكف من حدة الغرائز ، وتحارب الانانية البغيضة ، وتجعل الانسان صديقا لقومه وعشيرته فقط ، بل صديقا ايضا للعالم وللانسانية كلها ، وهذا هو الهدف الاسمى الذى يستهدفه الشعر .

كيف كان لي — مثلا — ان انفذ الى قلب ذلك العربي الاسود ، الضارب فى أعماق القدم ، والمدعو عنترة بن شداد ، لاعيش واياه مأساته العرقية والاجتماعية ، ولاقاسمه ثورته العارمة على القدر الظالم ، وتحديه الشجاع للظروف المعاكسة، وانتفاضته الرائعة للدفاع عن كرامته الضائعة ، لو لم اقرأ شعره بقلب متفتح ؟ واي شعور انساني نبيل كان سيفوتني لو لم يترك لي عنترة قصائده النابضة بالحياة ، والتي هي خلاصة نفسه الشجاعة المعذبة ، لاقرأها فارجع الى الوراء أربعة عشر قرنا أو تزيد ، فيلفحني هواء جزيرة العرب الساخن ، وتشوي جلدي شمسها المحرقة ، ليكون لي لقاء مع قلب كبير فى عظمته ، وفى مأساته ، بين قسوة المجتمع ، وقسوة الطبيعة ؟

قد تقول : هناك كتب التاريخ ، فهي يمكن أن تحدثك عن مأساة الرجل ، لتقوم مقام الشعر . ولكن التاريخ يكتبه اناس عاشوا خارج نطاق الاحداث غالبا ،

روسنا المغربية الى زوجها ، وكذا تغنيهن بمحاسنهـا مفاتنها عند ما يعرضنها ويبرزنها للقريبات والمدعوات . انصت الى المؤذنين فى ليالي رمضان ، كيف يعطرون لجو بتراتيلهم الدينية الجميلة ، فيضفون على تلـك الليالي طابعها السحري ، كل ذلك وغيره ، مما لم نذكر نه الا النزر اليسير ، يقف شاهدا على ما للشعر فى حياتنا الاجتماعية من سلطان ، وليس هذا خاصا بـنا وحدنا ، ففي كل مجتمع توجد ضروب من التصرفـات والعادات واساليب القول والعمل ، التي هي آثـار شعرية حية ، ترجع الى عامل الفطرة الذي لا يستطيع له احد تحويلا مهما بذل من جهد . وهكذا نجد ان الشعر ضروري لحياتنا ، وليست مقاطعته وهجرانه قضاء عليه فهو لابد أن يبحث عن طرق اخرى للاعلان عن نفسه . اما أن يختفي تماما فهذا مخالف لطبيعة الاشياء .

فنحن اذن عندما نقرأ الشعر ونتغنى به ، بـل ونتعشقه أحيانا . نكون أوفياء للفطرة السليمة ، ونحفظ كياننا الروحي من الانهيار .

ولا نقرأ الشعر لهذا فقط ، فهناك حقيقة أخرى يجب الا نغيب عن اذهاننا ، وهي أن هذا الانسان الذي ندعوه شاعرا ، ليس الا واحدا منا ، فهو لم يختـرع نفسه اختراعا ، ولم يوجد شعره من عدم ، ولم يستمد عواطفه وموضوعاته من كوكب آخر غير هذا الكوكب ، وانما هو المتحدث باسمنا ، والمعبر عن مشاعرنـا ، يمتاز عنا بعمق الاحساس لا بنوع الاحساس ، وبسمو اللغة لا بحرفية اللغة ، فكانت له الصلاحية ليعبر عنـا فيزيدنا شعورا بأنفسنا وظروفنا ، وتصورا لمثلنا العليا، وايمانا بآمالنا الكبيرة . واذن فهذه الكلمات المرتعشـة المدعوة شعرا قد اشتركنا جميعا فى تأليفها على نحو من الانحاء ، حيث يدين لنا الشاعر بقسم كبير من عواطفه وخيالاته وموضوعاته ، والجماعة دائما مصدر الهـام وايحاء للشعراء والفنانين ، حتى ولو زعم هؤلاء انهم لا يدينون بشيء من فنونهم الا لنفوسهم وحدها ، فهـذا ضرب من الغرور الذي يأخذ الفنان وهو فى قمة مجده ، ولو تأمل قليلا لالفى نفسه يدين للجماعة بالشيء الكثير، فمن أين جاءته اللغة ؟ ومن اين جاءته الثقافة ؟ ومن اين جاءه الشعور الانساني ؟ والى من يرجع حظه من الذوق العام ؟ اليس ذلك كله من صنع الجماعة؟ واذا استقامت هذه الحقيقة لافهامنا ، فكيف نصنع فنانا ـــ ولو بأيـة طريقة من الطرق ـــ ثم نحطمه ، وننكر عليه أن يتحدث اللغة التي أجريناها على لسانه ، وأن يتغنى الالحـان التي سكبناها فى اذنيه ، وأن يرى الاطياف السحريـة التي ملأنا بها خياله ؟ وهل تشع زجاجة العطر الا ما اودعناها من عطر ؟ وهل ترسل القيثارة من الانغام الا ما اجريناه على اوتارها من انغام ؟ لا اقصد بهذا أن الشاعر لا يملك من امر نفسه شيئا ، وان ليست له اصالـة فى شعره ، فهذا لم يخطر ببالي قط ، لانه مخالف لطبيعة الشعر وطبيعة الشاعر ، وانما اقصد فقط أن الشاعر يدين بجزء مهم من فنه الى مجتمعه الذي اثر فى تربيته الفنية على نحو من الانحاء ، فاذا به اذ ينشد شعـره (يقدم لنا نفوسنا فى ارقى مستوياتها ، وأجمل مظاهرها، واغناها بالمعاني ، واحفلها بالصور ، ويقدم لنا الحياة من خلال مشاعر مرهفة ، وقلب كبير تتجاوب فيـه اصداء الوجود ، ويقدم لنا معنى ضللنا عنه فى دروب الكون ، وشجونا أودعناها صدور السنين ، وآثـار، تركتها أقدامنا على طريق الحياة ، وبقايا دموع سكبناها على صفحات العمر ، واصداء لحن جميل ترنمت بـه شفاهنا فى عهود خوالي) ونحن اذ نقرأ شعره ، نصل الرحم ، ونقرب القرابة ، ونرجع الى الاصول ، واذ نعرض عنـه ، نرتكب العقوق ، ونتنكر للاخـوة ، ونستهين بالانسانية ، واذا ضاعت مكانة الشاعر فينا ، وأغلقنا دونه اسماعنا وأبصارنا وقلوبنا ، فأي خير يرجى بعد فى هذه الحياة ؟ وماذا بقي فيها من مثل وقيم جميلة تستحق أن نعيش من أجلها ؟ فاقبح انواع العقـوق ، وأشنع ضروب الخيانة ، عقوق الانسان وخيانته لاصوله الانسانية .

الحجة التي يتذرع بها خصوم الشعر ، هي انه لا يهبنا قنبلة ولا صاروخا ولا خبزا ، ولا يكشف لنا عـن المعادن فى بطن الارض ، ولا يحصننا ضد آفات الطبيعة، وما هو من هذا القبيل ، وانما ذلك من اختصاص العلم، والعلم وحده ، ولكن عندما نتأمل نجد الانسان فى حاجة الى شيء آخر غير القنبلة والصاروخ والمدفع والطائرة، لان هذه قد تتوفر ولا ينتظر منها الا الدمار والخراب ، ما لم تكن من ورائها قوة روحية واخلاقية تحد من شرها، وتقي الانسان عاقبة التعسف فى استعمالها ، وفيما وقع ويقع من مآسي انسانية الدليل على ذلك . والشعر الذي هو أرفع الفنون الجميلة على الاطلاق ، كفيل ـــ طالما احتفظ بمكانته ـــ أن يقيم نوعا من التوازن ، بين الروح والغريزة ، لما يملكه من عفوية تفتح له حتى اشـد القلوب صلابة ، وتجمع البشرية على كلمة سواء ، لا تصدها حواجز ولا حدود . وكيف لا والشعر لغة انسانية تخاطب الانسان اينما كان ، ومن اي جنس كان ؟ وهب أن الانسان شبع وارتوى ، وقبض على البندقية، وربض خلف المدفع ، وطار فى جوف الصاروخ ، فهل يكفي هذه لاشعاره بالسعادة والطمأنينة ، وجمـال العشـرة الانسانية ؟

اذا ضحكنا ، وتنفعل بكل ما تنفعل به نفوسنا ، ونحن لا نستطيع ان نلمس اللغة بعصى سحرية ، لتصير كما نريد ، ولكن هناك من يقدر على ذلك ، وهو الشاعر ، فلنقرأ له نجد عنده بغيتنا ، وليس في وسع غيره أن يستجيب لرغبتنا ، بالقوة التي يستجيب بها هو ، طالما كان يملك من الاستعداد والوسائل ما لا يملك احد آخر.

ونحن لا نستطيع تجاهل الجوانب واللحظات التواقة الى الشعر في حياتنا ونفوسنا ، دون أن نشعر باننا منحرفون عن مقتضيات الطبيعة ، كيف يمكنني — مثلا — ان اتجاهل اهتزازي العاطفي لمنظر جميل اخاذ من مناظر الطبيعة ؟ أو اغفال حنيني القوي الجارف الى عهود غالية ؟ أو اقباري لحب بري جسدي وملأ شعب نفسي ؟ وان استطعت اسكات صوت هذه العواطف والهواجس موقتا ، فهل انا قادر على محوها وازالتها بالمرة ؟ وهل هي شيء تمتد اليه اليد ، لتقبض عليه ، وترميه خارج الذات ؟ المسألة هنا مسألة دماء تسري في عروقنا ، وخواطر تجوب في صدورنا ، ورواسب تستقر في اعماقنا ، وعواطف تنساب مع انفاسنا ، وهنا تكمن خطورة القضية التي نحن بصددها .

اننا في المناسبات العديدة ، نتقدم الى بعض اقاربنا او اصدقائنا بباقات من الورد ، أو زجاجات من العطر ، وقد نقيم لهم حفلات في بيوتنا ، نسمعهم فيها الموسيقى ، كما نبعث اليهمبطاقات التهنئة في الاعياد ، واذا أصابهم مكروه ، نحاول التخفيف عنهم بالعبارات المؤثرة والاسلوب الرقيق ، نفعل ذلك بنفس البساطة التي نعلق بها صورا جميلة على جدران حجراتنا ، ونقتني بذور الورد لنزرعها في جنينات بيوتنا ، ونفرح بأطفالنا في أعياد ميلادهم كل سنة ، ولا يخطر ببالنا أن في هذا شيئا غير لائق ، بل ان الاسر والعائلات تحرص عليه حرصها على أثمن شيء في الحياة . فاذا جئنا الى الشعر ، نجد له معارضين ، مع انه المثل الاعلى لكل جميل في حياتنا من آداب وارتباطات . فلماذا هذا الظلم للشعر ؟ وهل نفعل شيئا غير الانفعال بروح الشعر في كل تلكالتصرفات الصادرة عنا ؟

وعلى هذا فالشعر متصل بحياة كل واحد منا ، وليس الشعر من اختصاص قوم دون آخرين ، فهذا ينطبق على العلم ، حيث تجد العلماء يقتسمون الاختصاصات ، كل يعمل في محيطه الخاص ، اما الشعر فهو قدر مشترك بين جميع افراد البشر ، منهم من يتعاطاه شاعرا خالقا ، ومنهم من يتعاطاه قارئا هاويا ولا يعقل أن يزعم انسان مثقف ان الشعر لا يعنيه قليلا او كثيرا ، بمعنى أن يقطع كل صلة له به ، كل ما هنالك أن بوسعه أن يقول انه ليس لب لباب حياته الثقافية ، اذا كان مهتما في الدرجة الاولى ، بفرع آخر من فروع المعرفة ، ولو زعم أن الشعر لا يعنيه بالمرة ، لكان هذا مرادفا لقوله ان نفسه لا تعنيه ، وان الجمال في الحياة والنفس والطبيعة لا يعنيه ، اذ الشعر ليس الا صورة جمالية ، انبثقت من روح شاعرة ، تتعاطف مع جمال هذه الحياة ، وتصدر عن الامتلاء بروعته وبهائه . ويؤخذ من ذلك ان كل واحد منا شعري الفطرة ، نعم قد يكون لاحدنا مواهب ليست شعرية ، ولكنه لا يمكن ان يخلو تماما من أي ميل شعري ، وخصوصا وان لغة الشعر هي اللغة الاولى التي طرقت أسماعنا في هذا العالم ، بها ناغتنا امهاتنا ونحن في المهد ، فكم داعب الكرى اجفاننا على ايقاعها السحري ، وكم مسحت دموعنا واعادت الابتسام الى وجوهنا البريئة ، والاطمئنان الى قلوبنا الطاهرة ، وكم قامت عندنا مقام الحلوى في الفم ، والدمية في اليد ، وهى أول لغة انفرجت عنها شفاهنا ، يوم بدأنا نحاور من يحيط بنا من الاهل والاقارب . وما كلمة (ماما) أو (أمي) الا احدى تلك الكلمات الشعرية الاولى ، ما زالت عالقة بألسنتنا ونحن كبار . ننطقها مرات ومرات ، فتخرج من أفواهنا محتفظة بكل شاعريتها وصدقها وعفويتها ، وطبيعي أن تترسب لغة الشعر هذه في أعماقنا . اذ تلقناها ونحن ذوو قلوب فارغة ، ونفوس طاهرة بيضاء الصحيفة ، فتمكنت منا على غرار قول الشاعر العربي :

اتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلبا فارغا فتمكنا

وستبقى هذه اللغة دائما تشغل جانبا كبيرا من حياة الناس الاجتماعية . اعر سمعك للناس ، وهم يتحاورون ، في السوق . والشارع ، والمقهى ، والحافلة ، فستجدهم يتنفسون انفاسا شعرية في كثير من أحاديثهم يتمثل ذلك في الامثال الشعبية ، والحكم العفوية . والاحاديث الرقيقة العاطفية ، بل حتى في السباب والشتائم المتبادلة ، فديوان الهجاء المغربي حافل بالكلمات الجهنمية اللاذعة ، وراقب بعض الباعة المتجولين ، ونداءاتهم على سلعهم — وان كانت هذه الظاهرة اخذت تختفي من المجتمع المغربي — والتقط تعداد النائحات في مآتمنا واتراحنا الاسروية ، واصغ الى ذلك النشيد الجميل ، الذي تزف به (النكافات

المجتمع ومشاكله الكبرى

بقلم عبد اللطيف مختار

ما هو المجتمع ؟

لا يمكن ان نطلق هذا الاسم على اي مجتمع من المجتمعات الا اذا توفر فيه عنصر التعدد والقاعدة الرابطة

فالمجتمع هو عبارة عن مجموعة من المجتمعات المتكونة من عدة افراد ، تجمعهم رابطة واحدة في الدين ، واللغة ، والاهداف المشتركة

ولذلك ففي علم الاجتماع يقال ان الاسرة هي الخلية الاولى لكل مجتمع ، ولذلك فلا غرابة اذا قلنا ان القاعدة الاساسية لكل مجتمع صالح هي الاسرة الصالحة

وكل مجتمع من المجتمعات يخضع دائما لمجموعة من القوانين والحيثيات التي تنظم منهج حياته ، وتطبعها طابع الاستقرار والعمل المستمر والانتاج الكثير . والافراد الذين يتكون منهم المجتمع ، والذين يعملون لتحقيق كل هذا يخضعون لسلطة واحدة ، ومن هؤلاء تتكون الدولة

والدول الحديثة في عالمنا اليوم لا يمكن ان تعيش في وحدانية وانعزالية ، ولذلك تشترك في اهداف واحدة مع مجموعة من الدول الاخرى . وهذا الاشتراك في الاهداف وحتمية المصير يطلق عليه اليوم ما يسمى بالمجتمع الدولي

لكن

ما هي الدولة قبل كل شيء ؟

في كتاب صدر اخيرا للدكتور يحيى الجمل يقول « ان الدولة تتالف من عناصر ثلاثة :

1) اقليم ، جزء من المعمورة بارضه وسمائه وما يجري فيه من انهار ، وما يقع داخله من بحيرات وما يحيط به من مياه المحيطات الى مسافة محدودة ، وما يعلو ذلك كله من اجواء السماء

2) شعب ، اي مجموعة من الناس يسكنون الاقليم ويعيشون عليه ويرتبطون به على نحو او ءاخر ، ولا ضرورة في القانون الدولي ان يرجع هؤلاء السكان الى جنس واحد او يدينون بدين واحد ـ المهم ان يكونوا جميعا مواطنين على ذلك الاقليم ـ اي يحملون جنسية الدولة وينتمون اليها جميعا

3) حكومة ـ والحكومة هي التنظيم السياسي الذي يستطيع ان يضع الاوامر ويكفل لها النفاذ في داخل حدود الاقليم وبالنسبة لسكانه ، وحتى يكون هذا العنصر قائما ومنتجا بالنسبة للمجتمع الدولي ، فان الوحدة الدولية حتى يصدق عليها هذا الوصف يجب ان تتمتع حكومتها بالاستقلال في امورها الخارجية عن سواها من الوحدات الدولية وهو ما يعبر عنه احيانا بعنصر السيادة)

انتهى كلام الدكتور يحيى الجمل

وانا لم ارد ان اسوق التعريف بحيثياته الثلاثة عن الدولة الا لابرز وبكيفية لا يدخل الشك اليها ان الدولة هي كل هذا العناصر فاذا افتقدت واحدة منها اصبحت مشلولة او منعدمة ، ولا جدوى منها

فكل مجتمع يرغب في ارساء دعائمه على اسس متينة لا بد وان يتوفر على شعب يقظ يعمل تحت اشراف حكومة واعية ، وكل منهما يؤدي مهمته لتحقيق الرفاهية والازدهار لمجموع البلاد المتكونة من عدة اقاليم

ليس بالصاروخ ولا بالمدفع او الطائرة نتغنى اذا احببنا ، او نتألم اذا شقينا ، أو ننفس عن صدورنا اذا استبدت بنا هواجس وشكوك . ولا بها نبكي على احبابنا الراحلين ، أو نتساقى كؤوس الوداد مع أصدقائنا الاوفياء ، ولا بها نعاتب ، ونصالح ، ونعد ، ونتمنى ، ونسخط ، ونرضى ، وانما نفعل كل ذلك بالشعر . وما اعتقد أن هناك من ينكر ان هذه حاجات انسانية أصيلة ، لا يتأتى لنا العيش بدونها ، ولا يكون لوجودنا معناه الانساني الا بها . فآلاف الصواريخ والدبابات والقنابل ، لا تغنينا عن وردة فى حديقة ، او نغمة فى وتر ، أو بلبل على غصن ، أو كلمات فى فم شاعر .. فالوردة أو الكلمة اذا استطاعت ان تزيل غشاوة عن بصيرة ، او تثير احساسا نبيلا ، أو تعمق الايمان بمبدا او عقيدة ، أو تجدد ما بلى من الصلات بين الناس ، أو تحرر انسانا من بعض عقده ، وتشعر بحقيقة كيانه ، كانت كل منهما لا تقل خطورة عن أي شيء عظيم فى حياة الناس .

والشعب الذواقة للجمال ، جمال الفن ، وجمال الطبيعة ، يكون شعبا حيا واعيا ، مقدرا لحقوقه وواجباته ، محبا للسلام ، متعشقا للقيم الرفيعة ، والمثل العليا ، عزوفا عن الظلم ، كلفا بالعدل ، معانقا للانسانية كلها ، لان أضداد هذه الامور ، تتنافى وطبيعة الاحساس بالجمال .

فاس : **عبد العلي الوزاني**

في اجمل اطار لذا فمشاكل اي مجتمع لا يمكن ان نجد لها الحل النهائي في اعوام قليلة ، فهذا من قبل المستحيل ، ولكن هذه المشاكل يمكن التخفيف منها حسب الامكانيات التي يتوفر عليها كل مجتمع وبالتالي حسب تفهم ابناء هذا المجتمع لهذه المشاكل

ولذلك اصبحت التنمية هي طريق الخلاص لكل مجتمع يريد ان يحقق السعادة لابنائه ، واصبحنا نقرأ ونسمع على ان هناك كثيرا من الدول التي تعمل جاهدة لتحقيق الغد الافضل

وجل الدول النامية اذا اعتبرنا ان الاستعمار كان حجرة كبيرة في سبيل تقدمها حيث استنزف خيراتها مدة كبيرة من الزمن ، وحيث تركها ايضا في ظلام فكري شامل .

فاذا اعتبرنا خيرات كل بلد ، وعقول ابناء هذا البلد دعامتان قويتان للنهوض به ادركنا فداحة الخسارة التي اصيبت بها الشعوب النامية التي تاخرت عن ركب التقدم ، وبقيت تشكو من الفاقة والجوع والمرض والتاخر الفكري

اذن فالمجتمعات النامية اليوم امام مجموعة من « الاعداء » الذين يجب القضاء عليهم كما قضي من قبل على الاستعمار بجميع اشكاله والوانه

ان المشكل المطروح امام الدول النامية اليوم هو هذا : كيف يجب ان نخرج من التخلف ، ونحقق النمو لبلداننا ؟

واصبح هذا المشكل كذلك اليوم مثار تحقيقات ، واحصائيات ، وتخطيطات كبيرة تطبق في مجموعة من السنوات وتعطي الاسبقية فيه للامور الحيوية التي يشتمل عليها اقتصاد كل بلد

وعلى نطاق المجتمع الدولي قامت الامم المتحدة بواسطة لجانها المختلفة بوضع مشروعات هذه التحقيقات وهذه الاحصائيات . وهذه التخطيطات ، وتبين من بعضها فداحة التخلف الذي ما زالت تعاني منه بعض الدول وخصوصا الافريقية منها والاسيوية .

والمغرب هو الاخر بلد افريقي ابتلي بالاستعمار زمنا طويلا ، تركه فريسة لتخلف كبير يحاول اليوم جاهدا بعد ان حقق استقلاله السياسي الكامل ان يتغلب عليه . ويخرج بعد ذلك بالمجتمع من نقطة التخلف الى نقطة النمو الى تحقيق الرفاهية والازدهار

الرباط — عبد اللطيف مختار

الحمل يهون اذا تحمله كثيرون

اذا العبء الثقيل توزعته

اكف القوم ، هان على الرقاب

السري الموصلي

والعصر الحديث اصبحت مشكلاتـه معقدة تعقيدا جعلت اغلب المفكرين يسلطون عليها من نور عقولهم، ومداد اقلامهم الشيء الكثير. فاصبح اغلب هذه المشاكل بارز المعالم، واضحة الحلول. واغلب هذه الحلول ما زال موقوفا ينتظر التحقيق، وما دام تحقيق هـذه الحلول لم ياخذ طريق النور، فستبقى بعض المجتمعات تشتكي دائما لان الوسائل الموجودة بين ايديها لا تكفي، وسيبقى المجتمع الدولي هو الاخر يشتكي من ءاثار الفاقة والجوع. والمرض، ويشتكي ايضا من عـدم اتزان دوران عجلة التقدم التي اعطت لبعض المجتمعات النصيب الاوفى من الرفاهيـة. وتركت بعض الشعوب الاخرى تعاني من ازمات لا اول لها ولا ءاخر

ونشرات الامـم المتحدة في هذا الموضـوع من اللجان التابعة لها كلجنة الشؤون الاقتصادية والانفاق واللجنة الاجتماعية، والثقافية والانسانية لخير دليل على انعدام وجود هذا التوازن في المجتمع الدولي

والانسان اليوم في المجتمع الحديث لم يعد يومن بالمبدا الرواقي القائل: احتمل وازهد لتنعم بالسـلام الداخلي. ولكنه يريد اشياء اكثر من هذا، لان عقلــه تفتح على المنجزات التي حققتهـا كثيـر من الدول في المضمار الاقتصادي والاجتماعي او وصلت اليها بحكـم ارتباطات المجتمعات الداخلية ان صح التعبير في المجتمع الدولي الواحد

والانسان اليوم لم يعـد يعيش حياة الانسـان في المجتمعات الغابرة والتي لا تعتمد على مقومات كثيرة من اعتمادها على محراث. وارض صالحة للزراعة، وهنـــاء بـــال

وقد ادرك الانسان كثيرا من اسرار الطبيعة، الشيء الذي لم يحصل عليه العقل البشري من قبل

فاليونان كانوا يسمون الطبيعة (الام الرهيبة التي تعيش مصير البشر وتتحكم فيه، وفي عصر ءاخر كانوا يقولون: ها هي الطبيعة تدعوك وتحبـك) كما كـان يتغنى بذلك كثير من الشعراء الابداعيين

ولكن الطبيعة في العصر اليوناني القديم، وفي عصر الشعراء الابداعيين ليست هي الطبيعة التي توصل الانسان وعقله المفكر الى اكثر اسرارها، ويحاول اليوم جاهدا ان يكتشف الباقي منها

وكان طبيعيا ان تتغيـر حياة المجتمعات طبقـا للتغييرات الحاصلة في الطبيعة فاذا كان الانسان هـو صاحب كل التجارب، فان هذا الانسان هو اول واجد يجب ان يستفيد من هذه التجارب، حتى تتحقق الرفاهية التي كان يحلم بها طويلا، وحتى ينعـم بالاستقرار الطبيعي الذي اخذته منه قرون عديدة، وحاول جاهدا ان يصل اليه بكل قواه

ولكن لفظـة الاستقرار الطبيعـي في مجتمعاتنـا الحديثة لفظة سهلة على اللسان ثقيلة في الميزان، ذلك ان هناك قاعدة يجب ان نومن بها وهي ان المشاكـل الانسانية تـزداد اتساعـا على ممر العصور بالرغم عن اكتشافات عقل الانسان المتواصلة مثلا

قد تكون «الالة» من اهم الاكتشافات التي حققها الانسان لصالحه طبعا، ولكن الالة صحبت معهـا بعض المشاكل، وهي في حد ذاتها مشاكل طبيعية، ولكنها اثقلت كاهل المجتمعات وخصوصا منها النامية بالايدي العاملة التي لا تجد الشغـل الضروري والكافـي لان الالة قد احتكرت كل شيء وتركت هذه الايدي العاملة تتخبط في مشاكل اجتماعية لا اول لها ولا ءاخر

وفي هذا المجال يقول الاستاذ ميردال وبيرو:

لقد ولد الاقتصاد العصري مع الثورة الصناعيـة. وعمل منذ قرن ونصف، ونتائجه الحالية اذا ما نظرنا اليها من زاوية الكوكب والنوع الانسانـي كله تبـدو متواضعة فنصف الكائنات البشرية ما زال خاضعا لنظـام من الاقتصاد – التحت الانساني – ومشاكل المجتمعات يختلف بعضها عن البعض الاخـر، فاذا كـان بعضهـا يشكو من التضخم البشري، فان بعضها الاخر يشكو من التضخم المالي ومجتمعات اخرى تشكو من قلة البطالة كما هو حاصل في المانيا، واخرى تشكو من كثرتها كما هو موجود في كثير من المجتمعات الافريقية والاسيوية بصفة خاصة ولذلك

فلدراسة احوال اي مجتمع من المجتمعات يلزم دراسة مشاكل تطور هذه المجتمعات حسب مستوياتها وبالتالي الحلول المقترحة والوسائل المهيئة للتنمية. ثم الدور الذي يمكن ان يلعبه ابناء هـذا المجتمع في تطوير مجتمعهم والنهوض به الى احسن مستوى ووضعه

ـلريات ، بل يخلقون اثارا اسطورية شعرية حاميـة ـخـون كيخوطـي وخـون خـوان وقائـد الاعمـى Lazarillo .. ويتابع روبن رحلته الى مدريـد ـر الارض وعبر التاريخ . وفي محطات القطار على ـول الطريق يكتشف روبن ابطال القصص التي تصور حـياة الصعاليـك ، هـؤلاء الجنـود ، والفلاحـون ، المتشردون ، والمتبتلات ، والباعـة ، نماذج حيـة ، ناطقة . لابطال قصص الصعلكة في الادب الاسباني ، وفي محطة القطار «بركوس اوفياد وليد» يذكر روبن صفحة مسرقة من صفحـات سرفانتس ، هـؤلاء « الحمالون » يتحدثون باسبانيا مشرقة ، نظيفة ، لم يسمع مثلها روبن من قبل . وهـذه الوجـوه نفسها ، وجـوه الفلاحـين الكاستيين والرعاة الاكطريميين (3) هي . هـي عينها وجوه اولئك الذين صارعوا ثورة الموج في المحيط ليكتشفوا امريكا

لقد كان روبـن يحس برغبة عارمـة في معرفـة مدريد الثقافية والادبية والاتصال باعلام الفكر واقطاب الكلمة فيها . وقد اتيح له ذلك او بعضه خلال الاسابيع التي امضاها بها ، فها هو ذا يتعرف على كبار الادبـاء والكتاب بمدريد اواخر القرن التاسـع عشـر ، وكان كتابه (ازرق) قد عرف به من قبل بين هؤلاء ، ومعنى ذلك ان اللقاء الروحي بينه وبين هؤلاء الاعلام كان قد تحقق بالفعل بواسطة (ازرق) الفاتن ، ومن اجل ذلك كان الطريق له ممهدا الى نفوسهم وقلوبهم ، وكان في طليعة من التقى بهم من هؤلاء الاعلام خون مارثلينو ايبلايـو صاحـب كتـاب (تاريخ الافكار الجماليـة) Historia de las ideas estéticas والشاعــر نوبييس دي ارنـي وكانوفـاس وزوجته الشاعـرة الرومنطيقيه خواكينا دي اسما ، وقدمه ضون خوان فاليرا الناقد المنهور الى الشاعر الاندلسي الشهير نوريا الذي كان يحيا ايامه الاخيرة تعسا ، يائسا ، فاضطرتـه قسوة الحياة وعنفها الى بيع اكاليله الذهبية التي تـوج بهـا شاعر غرناطة المقدم سنة 1889 ليسد رمقه ، واتصـل بالفاضة الادبية باردوبانان التي كانت تقلد في صالونها الادبي الكاتبة الفرنسيـة مـدام ركاميير ، وفي هـذا الصالون اجبرته باردوباثان على القاء بعض قصائده ، ودعي للمشاركة في « ندوات النبغاء » التي كانت تعقد في مكتبة بشارع سان خرونيمو ، واحتفت بمقدمه صحف ومجلات مدريد وتسابقت على نشر انتاجه ، لقد كانت اقامته بمدريد فرصة مكنتـه من الاتصال بكبار الادبـاء ومشاهير الشعراء والكتاب والاحتكاك بهم والاطلاع على ارائهم في الادب والفكر والحياة ، كل ذلك تضافـر ليخلق في اعماق النفس الروبينية رغبة عنيفة ، بعـد رجوعه الى امريكا ، في العودة الى اسبانيا والتطواف بمراكز الفن والادب والفكر في اوروبا

ولم تكد تمضي فترة بعد عودته من اسبانيـا حتى عين قنصلا معتمدا لكولومبيا في بوينس ايريس، وهنالك امضى شطرا من حياته ، مليئا بالسعادة وطمانينة النفس وفراغ البال،وكتب كتابيه الرائعين السواد Los Raros ونثر غيرمقدس Prosas profanas 1896 ــ وهذا الكتاب الاخير سجل بحق انطلاقة حركة التجديد الحديثة في الشعر الاسباني المعاصر (4)

وشاء القدر ان يحقق رغبة روبن في العودة الى اسبانيا ، فلقد اوفدته ادارة صحيفة الوطن الشهيرة الى مدريد ليكون مبعوثها الخاص بها ، وذلك على اثـر سقوط الامبراطورية الاسبانية التي لم تكن تغيـب عنها الشمس سنة 1898، وقد اتاحت له اقامته في اسبانيا وخاصة في مدريد الاتصال المباشر بالثقافة والروح الاسبانية في تلك الفترة التاريخية الفاصلة في حياة الشعب الاسباني، وكان من نتائج ذلك كله تاليفه لكتاب « اسبانيا المعاصرة » 1901

* * *

لم يقدر لروبن ان يقيم طويلا في اسبانيا ، البلد الذي يحفظ له اعمق الحب واصدق الوفاء ، فما هي الا سنتان مرتا عليه تحت سماء اسبانيا كحلم في الكرى او خلسة المختلس حتى بعثت به ادارة الجريدة الانفـة الذكر مراسلا لها في العاصمة الفرنسية ، والحقيقة انه قد سر للحادث وطرب له ، فلكم كان يرغب في زيارة

---

(3) نسبـة الـى Extremadura احد اقاليم اسبانيا .

(4) انظـر :

Angel Valbuenapart, Historia de la literatura espanola, p. 368-369. Quinta edicion - Editorial Gi

من أعلام الأدب الأسباني المعاصر

روبن داريو 1867 - 1916

للأستاذ حسن الوراكلي

- 3 -

كان « روبن داريو » يكن لاسبانيا حبا خالصا ، ويحفظ لها في سويدائه ودا صادقا ، واغلب الظن انه لم يحس لحظة ما بانها غابت عن نفسه وعقله منذ شغله عن نفسه وعمن حوله هذا التراث الادبي العظيم الذي تفتقت به القريحة الاسبانية في مختلف الاعصار ، يلتهمه التهاما او يستظهره استظهارا ، ومن ثم كان يحلم بزيارة هذا البلد الجميل اذا اصبح او امسى ، ويمني النفس برؤيته اذا غمره ضياء النهار او اظله ظلام الليل وكانت قراءاته المتوالية لاعلام الادب الاسباني تعبر بنفسه وعقله وروحه امواج المحيط الزاخرة لتنزل بها فوق الارض الطيبة ، تطوف بها بين السهول الخضراء والجبال الناصعة ، وتنتقل بها بين الوديان المتدفقة والجداول المنثنية ، وتقف بها لحظات عند الثرى الذي يضم رفات مهندسي الكلمة الاسبانية في ابهى عصور هذه الكلمة ، وتحلق بها في الاجواء حيث تتردد اهات جريحة فاضت بها نفوس حزينة . هي نفوس الرومنطقيين الخالدين من امثال « بيكيرو روساليادي كاسترو » وغيرهما

وفي كواطمالا Guatemala التي قدم اليها بعد ان اضطرته ظروف فوضى الحكم في السلفادور الى مغادرته ، هنالك تحققت امنيته التي طالما حلم بها آناء الليل واطراف النهار ، فلقد سمي من طرف حكومة بلاده عضوا في الوفد الذي سيسافر الى اسبانيا ليمثل « نيكاراكوا » في الاحتفال بالذكرى المائوية الرابعة لاكتشاف امريكا على يد « كريستوفال كولومبوس » . وهكذا (في شهر شتنبر 1892 حقق روبن حلما من احلامه العظيمة : التعرف على اسبانيا . ومن قبل وصلت اليها كلمته يحملها كتابه (ازرق . كصدى اصيل لمنيكوا ، والان يصل . ايضا . الرجل . الهندي الساعر) (1)

وعند ما ينزل روبن بارض اسبانيا يولي وجهه سطر مدريد متخذا في سفره اليها . طريقين : طريق السكة الحديدية وطريق التاريخ . ويمضي به القطار على الارض الصلبة القاسية ارض كاستيا اسبانيا العجوز . بالكاستيا ، انه ليحس بها تملأ احاسيسه ومشاعره . انها كالبحر او الصحراء انها ككل شاسعات الارض ، وتستبد به رغبة في تامل السماء ، فيتطلع اليها من النافذة . في كاستيا يؤلف مسهد السحب الخفيفة في السماء جزءا من المناظر الطبيعية الجميلة فوق الارض، لقد كان الكريكو (2) يعرف ذلك . ومن اجله كان يرسم لوحاته بفكرة مزج ما هو ارضي بما هو الهي . ان النزعة التصوفية الشاعرية تطغى على متحدثي كاستيا العظام ، ومن ثم كانوا عند ما يكتبون لا يخلقون

---

1) انظر كتاب Juan Antonio Cabezas, Ruben Dario - 1. 76, 77, 78 Segunda edicion - coleccion Aurtral, n° 1182

2) رسام اسباني عاش بين سنتي 1541/1614 ـ وذاع صيته وطارت شهرته كل مطار ، وتضم كنائس طليطلة روائع اللوحات التي سالت بها ريشة هذا الفنان الفذ ، ومن اجل ذلك يقصد الى طليطلة عشاق الفن الزيتي من جميع انحاء الدنيا ، يقرا عنه بتفصيل في كتاب (كركوريومارنيون) : « طليطلة والكريكو » Toledo y el Greco وفي كتاب (خابيير فابريكاش) : «الرسامون العظام» Grandes pintores

نظرة في كتاب : معجم الأدباء

بعد طبع مصدر من مصادره

للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

- 2 -

5 — جاء في ترجمة ابي العباس احمد بن رشيق الاندلسي الكاتب الذي اشتهر في ايام مجاهد العامري بحسن بيانه وعموم فضله وشدة عدله انه كان يحتاط في الحكم فلا يقدم عليه الا اذا كان معتدل المزاج ضابطا لنفسه غير منساق لهواه . قال الحميدي : « وقد رأيته غير مرة اذا غضب في مجلس الحكم اطرق ثم قام ولم يتكلم بين اثنين فظننته كان يذهب الى حديث ابي بكر «1» عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحكم حاكم بين اثنين وهو غضبان » .

والحديث كما هو واضح جاء لنهي الحاكمين عن الحكم في حالة الغضب خوفا من ضياع الحق واعمال العدل وهذه خطة اسلامية رشيدة توافق الاسس التي جاء من اجلها الاسلام لنسف الباطل واقامة العدل بين الناس .

ومن المعلوم ان الفعل المضارع يجزم بلا الناهية سواء كان المنهي مخاطبا او كان غائبا ولم ينتبه مصحح المعجم فاورد هذا الحديث مرفوع الفعل باعتبار كون لا للنفي لا للنهي وهو سهو واضح اذ الحديث هنا بمثابة قوله تعالى : « لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء » «2» .

6 — من ألمع شعراء الاندلس وكتابها ابن شهيد صاحب التوابع والزوابع ، الذي اقتفى اثره في نهجها ابو العلاء المعري في كتابه رسالة الغفران .

وقد كان ابن شهيد معتزا بنفسه يرى انه انموذج صالح لتمثيل بلاد الاندلس في الادب فدبج رسائل مختلفة يحاول بها اثبات رأيه ويسخر فيها من طبقة المؤدبين الذين لا يحسنون من البيان الا شكله الجاف دون القدرة على سبر المعاني وتذوقها .

لحق الفتنة البربرية واكتوى بوجودها فاضطربت احواله بعد امان وقلق بعد اطمئنان وتحسر على فقد عزه ايام والده عبد الملك احد الوزراء القربين عند المنصور بن ابي عامر المصطفين في مجالسه المرغوب في منادمتهم والاستئناس بهم .

وكان في شعره يتأثر خطوات المتنبي ويعجب به ايما اعجاب بل نرى فيه احيانا نفثة من نفثات الشريف الرضي في الافتخار والاعتزاز بالحلم والصبر والكرم كقوله :

وما الآن قناتي غمز حادثة
ولا استخف بحلمي قط انسان
امضي على الهول قدما لاينهنهني
وانني لسفيهي وهو حردان
ولا اقارض جهالا بجهلهم
والامر امري والايام اعوان
أهيب بالصبر والشحناء ثائرة
واكظم الغيظ والاحقاد نيران

وهو القائل ايضا :

مت بالحب حتى لو دنا اجلي
لما وجدت لطعم الموت من الم
وذادني كرمي عمن ولهت به
ويلي من الحب او ويلي من الكرم

فهو في هذين البيتين يظهر لوعة الحب وآلام

«1» جاء في كتاب الجذوة انه كان يذهب الى حديث ابي بكرة بزيادة التاء في آخره وهو خطأ لم ينتبه اليه المصحح .

«2» توجد ترجمة ابن رشيق هذا بالجزء الثالث من كتاب معجم الادباء صفحة 33 وبكتاب الجذوة ص 114 قال الحميدي عنه : « مات بعيد الاربعين واربعمائة عن سن عالية » .

باريس ، ويوم كان في الشيلي بامريكا يحرر في جريدة الفترة La época كان جماعة من اصدقائه وزملائه يشوقونه في باريس وجوها الادبي والجمالي . لكنه لم يستطع يومئذ الذهاب الى باريس . بيد ان الكتب والمجلات الفرنسية كانت تنقل اليه، وهو يقيم في سنتياكو بالشيلي، كل ملامح باريس التي يشوقونه في زيارتها . لقد عاش طويلا في باريس الكتب والمجلات ، كان يجيد الفرنسية ، يقرأ بها بودلير وفلوبير ولكونطي دي ليسلي وفرلين وغيرهم

وهكذا اتيح لروبن ان يشهد بام عينيه مدينة طالما حلم برؤيتها وعلل الفؤاد بزيارتها ، انها باريس الجميله ، مدينة الشعر والجمال والفن ، ينزل بها الشاعر النيكاراكوي ذات يوم من ايام سنة 1900 وبه شوق لرؤيتها هو شوق الاصداف الى اعماق البحار ، لكم كان هذا الهندي الشاعر يهوى الكلمة المجنحة ويتعشق النغم العذب ، من اجل ذلك كان يسعى الى روادهما امواتا واحياء ، فها هو ذا يزور المقابر الرومنطيقية حيث تستريح رفات بلزاك وبودلير وموسط وسطنداك واخرين ، وها هو ذا يزور مقاهي الحي اللاتيني حيث يتجمع اهل الفن من فرنسيين واجانب ، وفي الحي اللاتيني ، وفي غيره من نوادي الفنانين والشعراء بباريس الرومنطيقية ، البارنسية ، الرمزية ، يتعرف روبن على جماعة من الكتاب والشعراء الذين احبهم يوم كان في امريكا من خلال كتاباتهم مثل : ريشتين وموريس وشارل موريس واورفيل وغيرهم

لقد امتدت اقامة روبن بباريس سنوات كانت ــ كما يتحدث هو نفسه ــ من اغزر فترات حياته نشاطا وعملا وانتاجا كما اتسمت هذه الفترة بكثرة تنقلاته بين بلاد اوربا ، فزار ــ فيما زار منها ــ انجلترا وبلجيكا وايطاليا والنمسا وهنغاريا والمانيا ، وفي سنة 1904 سمي من طرف حكومة نيكاراكوا قنصلا عاما لها في باريس وكان من بين الكتب التي نشرها يومئذ كتابه : «اراض مشمسة» Tierras solares وفي السنة التالية زار اسبانيا ونشرت له مجلة الوثائق والمكتبات والمتاحف ديوانه : (اغاني الحياة والامل) Cantos de la vida y esperanza وهو عبارة عن مجموعة من القصائد الشعرية الجميلة ، ويذهب اكثر من ناقد الى القول بان هذا الديوان ياتي

في طليعة تواليف روبن التي اعطت لاسمه نباهة ذكر وذيوع صيت

وعاد روبن ، بعد غيبة دامت ثماني سنوات الى امريكا ، وفي ذلك الابان الم به مرض فسافر الى بوينس ايرس ، ومنها يمم الى بالمادي مايوركا باحثا بين جوانبها عن الهدوء والسكينة ، وامضى بها شتاء سنة 1907 ، وفي السنة التالية عين وزيرا دبلوماسيا لحكومته في مدريد ، فعاد مرة اخرى الى اوربا

* * *

يخضر الغصن ، ثم يذبل ، وتتوهج الشمعة، ثم تنطفيء ، وتشرق الشمس ، ثم تتوارى وتغيب

لكم يبدو ذلك عجيبا ، ومحيرا في اللحظة ذاتها

لقد صابر روبن وجالد ووهب نفسه للقلم والدواة والورق . فاثرى بيدر الشعر الاسباني وحمل اليه العناصر المخصبة في الشكل والمضمون . فاستطاع بذلك ان يعيد اليه اشراقة سلف بها العهد ، وسحرا مضى به الزمن ، فتالق اسم روبن . وطبقت شهرته الافاق . كل الافاق

وهكذا بعد حياة مليئة بالنشاط والعمل والانتاج، يصاب روبن بمرض فقر الدم ، ويرسل له صديقه خوان خوان سوربدا يدعوه الى زيارة مايوركا عله يلقى بين جنباتها بعض الهدوء والراحة . فلبى دعوة صديقه واقام بميوركا فترة ــ كما اسلفنا ــ وكان ان طرا على حالته الصحية تحسن ملحوظ ، حسبه شاعرنا عافية تامة . فعزم على القاء محاضرات في الولايات المتحدة والمكسيك وامريكا الوسطى . وفي نيويورك القى محاضرتين سقط بعدهما مريضا . ثم سافر الى كواطلما حيث اكرم وفادته رئيس حكومتها ، وعصف به الحنين الى مراتع صباه ومغاني طفولته . فانتقل الى نيكاراكوا وقد اشتد به المرض ، وفي منزله بمدينة ليون ــ 6 فبراير 1916 ــ لفظ روبن داريوا انفاسه الاخيرة ، فبكته نيكاراكوا جميعها . واتشحت الاداب الاسبانية بلباس الحداد حزنا على فقيدها الفذ وتعبيرا عن المها الغائر للمصاب الذي عصف بابنها البار

تطوان ــ حسن الوراكلي

عا هجر الملاهي ومقاطعة الحفلات الراقصة
الصاخبة فاستمع اليه وهو يقول فى مجلس من
مجالس الانس «1» :

هذا شيخ قاده عذر لك
قام فى رقصه مستهلكا
لم بطق يرقصها مستثبتا
فانثنى يرقصها مستمسكا
عابه من هزها معتدلا
نقرس انحى عليه فاتكا
انا لو كنت كما تعرفني
قمت اجلالا على رأسي لكا
قهقه الابريق مني ضحكا
ورأى رعشة رجلي فبكى

ولاشك ان شاعرية الاب كان لها اثر فى خلق شاعرية الابن الذي نشأ معتزا بنفسه وبأسرته وبأدبه .

9 ـ ترجم الحموي فى كتابه للشاعر الاندلسي احمد بن كليب «2» المتوفى سنة 426هـ .

ومن يطلع على الكتب القديمة يجد ان احمد ابن كليب يأخذ منها حظا وافرا لا لجمال شعره ولكن للنذر بقصته الشهيرة التي ارتبط بها فى تاريخ العشق المنحرف فقد وله بحب اسلم بن احمد بن سعيد حين راه فى مجلس ابي عبد الله محمد بن خطاب النحوي وتتبع خطاه بعد ذلك واصبح لا ينثني عن ذكره ولا يفتر عن تصوير عشقه ينشد فيه الشعر سرا وعلانية حتى ضاق بذلك اسلم حياء من الجماهير التي علمت بخبره واذاعت شعر عشيقه وتغنت به فى المحافل فلزم داره وابتعد عن الجماعات اياما طويلة فلم يتصل بالناس الا بعد موت احمد مضنى بهواه .

قال ابو عبد الله محمد بن الحسن المدحجي (3) : «كان احمد بن كليب من اهل الادب البارع والشعر الرائق فاشتد كلفه بأسلم وفارق صبره وصرف فيه القول متسترا بذلك الى ان فشت اشعاره وجرت على الالسنة وتنوشدت فى المحافل فلعهدي بعرس فى بعض الشوارع بقرطبة والنكوري الزامر قاعد فى وسط الحفل وفى رأسه قلنسوة وشي ، وعليه ثوب خز عبيدي وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه وكان فيما مضى يزمر لعبد الرحمن الناصر وهو يزمر فى البوق بقول احمد بن كليب فى اسلم :

اسلمني فى هوا
ه اسلم هذا الرشا
غزال له مقلة
يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد
سيسأل عما وشى
ولو شاء ان يرتشي
على الوصل روحي ارتشى

ومفن محسن يسايره فيها . قال فلما بلغ هذا المبلغ انقطع اسلم عن جميع مجالس الطرب ولزم بيته والجلوس على بابه »

وانما اوردت قصة هذا الشاعر لوجود الاختلاف فى التعريف بصاحبه اسلم فقد جاء فى كتاب الحميدي حدينا عن ابن حزم عن ابي عبد الله محمد ابن الحسن المدحجي انه قال : « كنت اختلف فى النحو الى ابي عبد الله محمد بن خطاب النحوي فى جماعة وكان معنا عنده ابو الحسن **أسلم بن احمد بن سعيد بن قاضي الجماعة أسلم** بن عبد العزيز صاحب المزني والربيع » ولكن نقل هذا النص فى كتاب المعجم بزيادة واو عطف افسد المعنى بحيث أصبح المجلس يضم أسلم بن أحمد بن سعيد بن قاضي الجماعة وأسلم ابن عبد العزيز وهو خطأ وأضح تعرض له الناسخون فبما نعرضوا له من اخطاء حين نسخ الكتاب .

ولا بأس ان اشير الى ان داود الانطاكي فى كتاب تزيين الاسواق قد جعل أسلم هذا شخصا آخر اذ هو اسلم بن سعيد بن خلف تولى الفضاء بالاندلس بعد الحجابة وله يد فى الادب وديوان شعر معروف .

وحيث ان الحميدي اقرب الادباء الى عصر القصة فان كتابه يكون اقوى حجة واقرب منالا .

10» ينتقل المؤلف الى ترجمة الشاعر الكاتب احمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد «4»

1» تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة الدكتور احسان عباس صفحة 216 .

2» فى كتاب تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق لداوود الانطاكي ترجمة لابن كليب صفحة 160 وقال عنه هو احمد بن قزمان الشهير بابن كليب الكاتب كان اندلسيا شاعرا نحويا متفقها .

3» كتاب الجذوة صفحة 134 . وكتاب معجم الادباء الجزء الرابع صفحة 109 .

4» كتاب معجم الادباء الجزء الرابع صفحة 211 . ولد ابن عبد ربه سنة 246 هـ وتوفي سنة 328 هـ .

الحرمان لانه لا يريد ان يشوه حبه بالخديعة والخيانة فكرامته تمنعه من الانسياق مع هواه فهو لا يجد السعادة الا فى امرين فاما ان يذهل عن الحب واما ان ينحرف عن كرم النفس وكلاهما صعب تنفيذه فهو ليس خشنا فيجفو ولا مارقا فيلهو .

وورد هذا البيت الاخير فى كتاب الجذوة

وزاد فى كرمي عمن ولهت به

وبلي من الحب او ويلي من الكرم

وهو تحريف واضح لايتاتى معه المعنى .

والذي يرى هذا الجانب الجدي فى ادب ابن شهيد قد يغفل عن ذكر جانب آخر هو اقرب الى طبع ابن شهيد والى بيئته الاولى التي نشأ بها وهو الجانب الوصفي فى ذكر المجالس والملاهي حيث تدار الاكؤس العسجدية وتمتد الاصوات بالغناء الجميل وحيث الرقص والقصف وتصوير الشعور الجنسي مع محاولة التمثيل والخلق الابداعي الملائم لنفسية ابن شهيد ايام رخائه قبل الفتنة البربرية القاسية فهو الذي يقول فى وصف مجلس شراب :

أذن الديك فثب او ثوب
وانضح القلب بماء العنب
وتأمل آية معجزة
ما قرانا مثلها فى الكتب
ركع الابريق من طاعته
وبكى ، فابتل ثوب الأكوب
ولول المزهر ينفي كربي
وتطربت فأعيا طربي
وربيب قام فينا ساقيا
كالرشا ارضع بين الربرب
ظبية دون الصبايا قصصت
فأتت غيداء فى شكل صبي
فتح الورد على صفحتها
وحماه صدغها بالعقرب
فمشت نحوي وقد ملكتها
مشية العصفور نحو الثعلب

فهو فى هذه المقطعة يعبر عن نزوة من نزوات الجنس ويصف بصراحة نظرته الاستمتاعية دون مراوغة او التواء على خلاف ما لاحظناه فى الابيات الاخرى . ومن المعلوم ان الشاعر يمثل النفس الانسانية فى شتى نزعاتها بين اليأس والامل وبين الزهد والاستسلام وبين الثورة والتمرد لذلك يكون شعره تعبيرا عن فترة من فترات حياته التي يقضيها يائسا او لاهيا .

7 — ولد ابن شهيد هذا سنة 382هـ وتوفي سنة 426هـ ولكن وقع حين طبع الكتاب خطأ واضح فى ذكر ولادته . قال الحموي«1»: احمد بن عبد الملك ابن احمد بن عبد الملك ابن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد ابو عامر . اشجعي النسب من ولد الوضاح بن رزاح الذي كان مع الضحاك يوم المرج ذكره الحميدي وقال : انه مات فى جمادى الاولى سنة ست وعشرين واربعمائة بقرطبة **ومولده سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة » وهو خطأ بين لم يقع فى كتاب الجذوة .**

8 — مما يلاحظ حين طبع الكتاب ان المصففين نسوا ضميرا افسد المعنى على القارئين فأحمد بن عبد الملك هذا نشأ فى بيئة المجد والرخاء وعاشر الادباء والشعراء على اختلاف منازعهم وكان يلقى فى طفولته حدبا بينا من المنصور بن ابي عامر وقضى والده فترات العز ايام ازدهار الدولة الاموية وايام العامريين . قال الحموي فى سياق الحديث عن ابن شهيد : « وابوه عبد الملك بن احمد شيخ من شيوخ وزراء الدولة العامرية ومن اهل الادب وكان فى ايام عبد الرحمن الناصر له شعر وبديهة ولم يخلف لنفسه نظيرا فى علمي النظم والنثر » ولكن حين طبع الكتاب اهمل الضمير فجاء النص على هذه الصيغة القاصرة : « وابو عبد الملك بن احمد شيخ من شيوخ وزراء الدولة العامرية . .الخ فاختلط الاسم بالكنية واصبح من العسير آنذاك الوصول الى المراد الا بالاطلاع على مصادر اخرى لتبين الحقيقة .

ولا بأس ان اقدم للقراء نموذجا من شعر هذا الوالد الواله المستمتع الذي قضى شطرا من حياته فى اللهو قبل ان يتنسك حين بلغ من الشيخوخة عتيا . وبلغ به الانسياق مع مجالس اللهو حدا لايميز فيه بين الصحة والمرض والشباب والهرم فقد مرض بالنقرس وعسرت عليه الحركة ومع ذلك لم يقدر

1» معجم الادباء الجزء الثالث صفحة 220

يـ رف ما فى الاصل وينبه على ذلك دون أن يشعر بأنه آ ـر الصواب على الخطـــا .

ان عبد الرحمن الناصر اشهر من أن يعــرف فى تا يخ الاندلس فهو أول من تسمى بالخلافة فى الاندلس و هو باني الزهراء والزاهرة . واما ابنه الحكم فيعد فى الاندلس أيام الامويين بمثابة المامون العباسي فى الشرق فقد ضمت مكتبته ما يقرب من اربعمائة الف مجلد فى العلم والادب وكان لخزانته فضل على الازدهار العلمي والادبي فى بلاد الاندلس خصوصا بعد الفتنة البربريـة التي وزعت تلك الكتب فى الآفاق فاستفاد منها الخواص والعوام وظهر اثرها أيام ملوك الطوائف وأيام المرابطين والموحديـــن .

12 قال الحموي عند حديثــه عن ابـن عبــد ربــه : « وقد اجاز لي رواية كتابه الموسوم بالعقـــد الحافظ ذو النسبين بني دحية والحسين ، أبو الخطاب عمر بن الحسين (1) المعروف بابن دحيـــة **السبتـــي** (يريد السبتي)

ان مدينة سبتة من اشهر المدن الساحليـــة فى المغرب ولقد شاركت مشاركة فعالة فى خلق تاريــخ مجيد لهذه الامة المغربية وكانت صلة الوصل بيننـــا وبين الاندلس .

ضمت مجالس للعلم حافلـــة واهتمت بنشــر الثقافة العربية والاسلامية فكان منها الادباء والنقــاد والفقهاء والمحدثـــون والمفسرون والاطبـــاء وعلمـــاء الرياضيات وعلماء التصوف وغير ذلك من مجـــالات العلم فى مختلف الاعصر . وانتقل من هؤلاء عدد كبيــر الى المشرق من بينهم ابو الخطاب عمر بن الحسيـــن هذا الذي روى عنه الحموي كتاب العقد فقد زار بلاد الشام والعراق وخراسان وقد وفد على مدينة اربــل ولعله هناك التقى بالمؤلــف .

يقول الاستاذ عبد الله كنون (2) : « وابن دحيـــة هذا قد استقر مع أخيه أبي عمرو بمصر وكان لصاحبها الكامل بن ايوب عناية كبيرة بهما وبنـــى لابي الخطاب دار الحديث الكاملية بالقاهرة ثم سلمها لاخيــه ابـــي عمرو وكانا بميلان الى النظر والاجتهاد وربما نسبـــا الى الظاهرية »

وتوفي ابو الخطاب سنة 633 هـ

ان سبتة التي ينسب اليها ابن دحيـــة مدينـــة مغربية صميمة لايمكن أن تنفصل مطلقا عن كياننا وعن اكمال اطارنا الوطني الموحد ولا ينبغي ان ندع اسمهـــا محرفا فى كتاب عربي يتداوله الادباء والعلماء

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

1) فى كتاب النبوغ للاستاذ عبد الله كنون : ابو الخطاب عمـــر بن الحسن .

2) كتاب النبوغ المغربي الجـــزء الاول صفحة 153 الطبعـــة الثانيـــة .

وهو يمثل مرحلة اخرى من مراحل الادب الاندلسي سبقت عصر بن شهيد المتقدم الذكر .

فابن عبد ربه نشأ فى بلاط الامويين حين استقر امرهم واصبح اتجاههم يهدف الى ايجاد دولة عربية اندلسية تتمتع بكل ما يتمتع به العباسيون فى الشرق من مظاهر الحضارة والثقافة . وكان يمثل الثقافة الاسلامية اصدق تمتيل لانه نهل من ينابيعها من أعلام الفقه والحديث واللغة كبقي بن مخلد وابن وضاح والخشني .

واتصل ادبه بالدولة فمدح ملوكها ووصف وقائعها واثنى على قوادها ورؤسائها ونظم ارجوزة فى وصف ايام عبدالرحمن الناصر تعد من اكبر الاراجير التي استعملت فى تسجيل تاريخ الدول وذكر مفاخرهم

والف كتابا ادبيا يعد من عيون كتب الادب جمع فيه ما بلغ الى الاندلس من ادب المشرق واعتنى فيه بالعروض والموسيقى واستشهد بشعره كثيرا لكن الصاحب بن عباد حين قراه قال تلك بضاعتنا ردت الينا بمعنى ان الكتاب شرقي فى مضمونه وشكله والحقيقة ان شخصية ابن عبد ربه كانت واضحة فى كتاب العقد سواء فى حسن اختياره او فى خطراته النقدية التي كان يبديها من حين لآخر .

وكان ابن عبد ربه فى شعره لايتكلف القول ولا يعقد المعاني بل كان يسير مع طبعه فيرتجل الشعر بديهة فياتي حلوا شيقا وينشده فى مختلف الاغراض فيلقى اعجابا وتقديرا ، الا ان اكثر شعره فى اخريات حياته كان فى الزهد والخوف من الموت والفناء والتحسر على ما فات من ايامه بل حرص على تمحيص آثامه والتكفير عن ايام شبابه فناقض قصائده الاولى التي عبر فيها عن اعجابه بالجمال والتي وصف فيها شعوره ازاء المراة الفاتنة والموسيقى الساحرة والتي سجل فيها انطباعات شبابه بقصائد اخرى سماها **المحصات** (بصيغة اسم الفاعل) أي المطهرات من الذنوب ولكن الناشر لم ينتبه لذلك فكتب المحصات بصيغة اسم المفعول وفتح الحاء وهو سهو ظاهر ما كان أجدره أن يبتعد عنه .

ومن المحصات قوله :

الا انما الدنيا غضارة أيكة
اذا اخضر منها جانب جف جانب

هي الدار ما الآمال الا فجائع
عليها ولا اللذات الا مصائب

وكم اسخنت بالامس عينا قريرة
وقرت عيون دمعها الآن ساكب

فلا تكتحل عيناك منها بعبرة
على ذاهب منها فانك ذاهب

ومن شعره أيام افتتانه بالسماع ما ذكره الحميدي عن ابن حزم انه قال (1) : « اخبرني بعض الشيوخ أن أبا عمر أحمد بن عبد ربه وقف تحت روشن لبعض الرؤساء وقد سمع غناء حسنا فرش بماء ولم يعرف من هو فمال الى مسجد قريب من المكان واستدعى بعض ألواح الصبيان فكتب :

يا من يضن بصوت الطائر الفرد
ما كنت احسب هذا البخل فى احد

لو ان اسماع أهل الارض قاطبة
اصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

فلا تضن على سمعي تقلده
صوتا يجول مجال الروح فى الجسد

لو كان زرياب حيا ثم اسمعه
لذاب من حسد أو مات من كمد

اما النبيذ فاني لست أشربه
ولست آتيك الا كسرتي بيدي

ويظهر انه صادق فى شعره وشعوره وأن المحصات حين كتبها لم تكن للتكفير عن الانغماس المطلق فى اللهو ايام الشباب وانما كانت للتكفير عن فلتات خفيفة ادت به الى الغزل أو حب النظر فى الملاح أو حب الاستمتاع بالاصوات الجميلة مما كان لايبيحه بعض الفقهاء المعاصرين له .

11 قال الحميدي فى كتاب الجذوة عند حديثه عن ابن عبد ربه : « وشعره كثير مجموع رأيت منه نيفا وعشرين جزءا جمع للحكم بن عبد الرحمن الناصر » .

وليس من المعقول أن يكون الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الناصر ممن يضطرب المؤرخون فى معرفة نسبه أو جهل أبيه لذلك لم يكن من المسموح به ان يجعل الناشر الحكم ابنا لعبد الله الملقب بالناصر وان

1) كتاب الجذوة صفحة 95 وكتاب المعجم الجزء الرابع صفحة 216

لى لغة يفهمها اولئك الذين لا تتأتى لهم الاستفادة منه على صورته الاصلية ، فهو مجهود يصطدم حتما بكثير من العوائق سواء كان نقلا لنص اجنبي الى اللغة الفرنسية او اداء لمعزوفة موسيقية بلغة الالحان الانغام . والترجمة الرديئة كالاداء الرديء ، كلاهما « يقتل » الانتاج .

كما ان من شروط الترجمة الصحيحة ان يجعل المترجم نصب عينيه عبقرية كل من اللغتين، والفروق السطحية او العميقة التي تفصل بينهما ، والخصائص المميزة لكل منهما ، وحتى « الجرس » الذي تنفرد به كل لغة « خاصة فيما يرجع للغة الحوار » .

فليس من السهل بتاتا ان ننقل الى الفرنسية ، بكيفية سليمة ، حوارا لشخوص رواية انجليزية او امريكية مثلا دون اعتبار لطريقة الاداء ، لاننا نعتقد ان هذه الاخيرة تعكس علاوة على جنسية المحاور ، مهنته ووضعه الاجتماعي وخصائصه النفسية وكل المعطيات التي يجب ان توحي بها الترجمة دون الاكتفاء بالنقل الحرفي فلا يليق بصحفي امريكي مثلا ان يكتب « بالفرنسية » كأحد ابطال المجموعة السوداء «1» او كأحد الاساتذة الجامعيين ، وقد لا يليق ان يعبر عن افكاره كأحد الصحفيين الفرنسيين، واهم من ذلك . وهذا ينطبق على كل شخوص الرواية او القصة بقطع النظر عن الجنس الذي ينتمون اليه ، انه لايليق به مطلقا ان يتكلم بهذا اللفظ الذي يسمونه « ترجمة » لاينطوي على اية دلالة ، ولانه اقرب ما يكون الى تلك اللغات المشوهة فيما يترجم من صور متحركة «2» .

كان احد اصدقائنا يقول : « هناك شرطان اساسيان في كل ترجمة صحيحة : استكناه اللغتين وكتابتهما بصورة جيدة ، بيد ان الجمع بينهما نادر جدا » .

وصديقنا مصيب في رأيه ، فالمترجمون بالمعنى الصحيح قليلون ، اذ النقل من لغة الى اخرى يستلزم كما رأينا ، احاطة جدية باللغتين ، وهو شرط لا يتوافر لعموم النقلة .

ونحن اذ نؤكد على وجوب الاحاطة بكلتا اللغتين ، نرى لزاما على المترجم ، بالاضافة الى المامه باللغة التي ينقل منها ان يجيد الكتابة باللغة التي يترجم اليها ، وفي اعتقادنا ان الترجمة الجيدة اقرب الترجمات في شكلها ومضمونها الى الانتاج الاصلي ، على اعتبار انها خلو من شوائب العجمة والركاكة .

في ذلك ما يفسر ان عددا من ابرز الكتاب قد توفقوا وحدهم ، او بمعونة غيرهم ، الى ترجمة مؤلفات كثيرة كتبت ، اصلا ، بلغة يجهلون عنها كل شيء او لا يعرفون عنها الا النزر اليسير .. فاقتصروا في انتاجهم على مسودة لاحد العارفين بهذه اللغة ، ممن لا يحترفون صناعة القلم ، واعادوا كتابتها باسلوبهم الخاص . والذي لا جدال فيه ان نتاج هذا التعاون يغني ، في بعض الاحيان ، عن غيره من الترجمات الامينة التي لا تعنى بالاسلوب ولا تتقيد بمبادىء الترجمة الحق .

من اسباب الاعتزاز بالنسبة للكاتب ان تنقل كتاباته الى لغة اجنبية ، على انه لا يستكين لهذا النقل فهو في دوامة من الحيرة والقلق ، ما دام يجهل اللغة الاجنبية التي ترجمت اليها كتاباته ، والمقال او الكتاب المنقول في نظره لغز مغلق ، لا يتأتى له ان يسبر اغواره شكلا ومضمونا .. كذلك حين جاءني احدهم بترجمة يابانية لكتاب وضعته «بالفرنسية» واخرى المانية لمقال نشرته بمجلة معروفة ، واعترف اني لا اتقن من اليابانية ولا الالمانية كلمة واحدة ، فكان موقفي من هذه النصوص اقرب ما يكون من موقف المصروع الذي يفيق من غيبوبته ليعلم انه اتى في تصرفاته اشياء يجهل كل شيء عن طبيعتها ومغزاها .

ان من ابسط قواعد الاحترام والتقدير للكاتب والانتاج معا ان يعمل الناقل على خدمتها في امانة واخلاص ، وان يتقيد — ما امكن — بروح النص الذي اضطلع بترجمته ، وبكلمة ، فليس الفرض من الترجمة ان ينقل الكتاب الاصلي الى لغة اخرى ، نقلا دقيقا ، وانما الهدف منها ، كتابة النص من جديد بصورة لا يختلف فيها عن النصوص الموضوعة ، فالترجمة

1» المجموعة السوداء : سلسلة من الكتب الفرنسية كثيرة التداول ، تعالج القصص البوليسي « المعرب »

2» الصور المتحركة : هي الافلام . هكذا عربها الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد . ونحن نتوخى تعريبها على هذا النحو عملا بمبدأ كاتب المقال«المعرب»

الترجمة من زاوية المتعة والواجب

بقلم : كلود ايلسون
تعريب الاستاذ : عبد الرحمان بنعبد الله

كلود ايلسن من المع كتاب فرنسا فى العصر الحاضر ، والفكر الفرنسي مدين له بالكثير من الابحاث الرصينة والمقالات الموضوعية القيمة .

له فى ميادين الترجمة والنقل ، الى جانب نشاطه الفذ وانتاجه الجم فى لغة بلاده ، جولات موفقة دفعت حركة الفكر اشواطا بعيدة وما زالت لها ، خارج بلاده ، اصداء عميقة اهتز لها قراؤه فى كل مكان .

عالج الترجمة منذ زمن بعيد ، فبرع اساليبها وتمرس بفنونها وألم بقواعدها وأفاد كثيرا من تجربته الخصبة ، بحكم ما ترجمه وما ترجم له فجاءت ارتساماته حولها فى هذا المقال انعكاسا امينا لاتساع افقه ووفرة تجاربه وبعد نظراته .

هل الترجمة فن ؟ انها على كل حال مهنة ذات طابع فني ، مهنة شاقة ، تملك على المرء مشاعره وعقله ولا تدر عليه من الربح «فى فرنسا» الا اقل من القليل ، واغلب الظن ان لها الى جانب ذلك محاسن اخرى تبرر اقبال البعض عليها فى غير ملل ، وبنوع من الشوق ، اود ان اعرض هنا لطبيعته بشيء من البحث والتحليل .

انتهى بي المطاف الى ميدان الترجمة وقد انصرمت من حياتي خمسة وثلاثون سنة كاملة ، كان يحفزني اليها عاملان اساسيان : ضرورة الحصول على مورد للرزق ، ورغبتي فى مزاولة عمل لا تجبرني ضروراته على فراق البادية حيث كان يلذ لي ان اعيش .. وقد سبق لي ان ترجمت — دون ان استشعر فى ذلك اي متعة كتابين مبتذلين كان نقلهما اشق علي من كل انواع العقوبات التي فرضت علي ، ايام الصبا ، فى المدرسة .. ومن الصدف الحميدة اني لم اكد اشرف على نهايتها حتى فوجئت بعرض خاص يسألني فيه ناشران ان اقوم بترجمة كتابين على جانب من الاصالة كبير « انا اسطورة » لريتشارد ماتبسون و « مواقف انجلوساكسونية » لآنكوس ولسون فكان ذلك نقطة تحول فى حياتي .. لقد اصبح العمل فى نظري مزيجا من المتعة والحب ولم يعد كما كان من ذي قبل مجرد زواج بين العقل والمنفعة .

ومنذ ذلك الحين ، ترجمت لقراء الفرنسية ما يربو على ثلاثين كتابا كان كل منها بالنسبة لي «مغامرة» شائقة ، والغرض الرئيسي من مقالي هذا ، ان اتناول بشيء من التفصيل بعض الارتسامات التي توافرت لي عن هذه المغامرة العجيبة التي تنحصر عادة فى كتابة مؤلفات الغير « من جديد » .

وانا اكتفي بهذا التعريف الناقص وان كنت لا استكين اليه ، فاني لم اجد من التعابير ما يبلغ الهدف أو يوفي على الغاية ، وملاك القول ان وضع المترجم شبيه الى حد بعيد بوضع الفنان الذي يؤدي مقطوعة موسيقية ، فلسنا ننتظر منه ان يخلق الانتاج او ان يعيد خلقه ، لانه قبل كل شيء ، مطالب بنقله

حول الموسوعة في علوم الطبيعة

لادوار غالب (مهندس زراعي)

المطبعة الكاثوليكية - بيروت -

بقلم الأستاذ أحمد الأخضر

اصطلاح : تدل الحروف التي توجد بين قوسين بعد بعض الكلمات على ما يلي : ف : فتحة ، ض: ضمة ، ك : كسرة ، ش : شدة .

قدم لهذا العمل الجليل الضخم رئيس الجامعة اللبنانية فؤاد افرام البستاني بالكلمات الاتية:

« سرنا ان نزف الى ابناء الضاد ، ولاسيما العاملون منهم على النهضة باللغة مجاراة لاحداث العصر ، وتلبية لمختلف حاجاته وتكاليفه ، الغير على صفائها الاصيل ان تشوبه حوشية لفظ دخيل باسم العلم ، او رطانة تعبير غريب بحجة دقة البحث — هذه الموسوعة الجديدة ، شاملة علوم الطبيعة بانواعها وبفروعها مفردة ومجتمعة ، نظرية وتطبيقية في المجتمع الانساني المعاصر . فمن الفلاحة والزراعة الى النبات في متميز ضروبه ، الى الحيوان في متعدد فروعه وشعبه، الى الطفيليات والجراثيم ، وما قد ينتج بعضها من ادواء نباتية وحيوانية ، الى الفيزياء والكيمياء ، والرياضيات ، والجيولوجية ، والفلك ، الى اثر كل ذلك في المجتمع وعلاقة الناس به فائدة واستخداما ، ووقاية وعلاجا ومعاملات قانونية ، توالى الابحاث وفاقا للترتيب الابجدي العربي ، يقابلها في كل عنوان ، اسمها باللاتينية ، لغة العلم ، وباللغات الاجنبية .. مما يجعل الكتاب سفر علم وادب ، يرضى عنه الاختصاصي المدقق ، ويرحب به اللغوي البصير ، ويهش له الاديب المثقف ، ويفيد منه كل طالب علم على الاطلاق » .

واضيف من جهتي ان مثل هذا العمل اساس من اسس النهضة باللغة العربية ، كان علينا ان نقوم به منذ زمن بعيد حينما اصطدم العالم العربي بالمدنية الغربية ورأى وادرك ان تقدم الغرب انما هو تقدم يرتكز على العلم ويستمد قواه من تطبيقه في سائر الميادين . والمجهودات التي قمنا بها الى حد الان مجهودات جبارة ولكن نقصها التنظيم والمنهج .

وقبل ان ابدي بعض الاراء حول هذه النقطة الاخيرة اي ما نقصنا من تنظيم ومنهج في تطوير اللغة . اريد ان ابحث في طريقة ادوار غالب لوضع بعض مصطلحاته :

طالعت هذا الكتاب وتتبعت مفرداته من اولها الى آخرها واعجبني من حيث هو مادة خام . مادة خام في فن السيد ادوار غالب وهو مهندس زراعي . وقد اميل الى الظن انه الف موسوعته هذه بالصفة الاتية :

1 » عمد فيما يرجع الى اسماء الحيوانات والنباتات الى المعاجم والمؤلفات الخاصة بهذه الفنون ، والتي ذكرها في اول الكتاب .

2 » طالع قواميس عربية مثل معجم مقاييس اللغة ، ولسان العرب ، والقاموس المحيط ، ومحيط المحيط ، وتاج العروس الخ . وكتب اللغة مثل المخصص ، والرسائل اللغوية مثل كتب النبات والشجر والنخل والكرم الخ .

ففيما يرجع الى المعاجم والمؤلفات الخاصة مثل معجم الحيوان للمعلوف ، ومعجم الالفاظ الزراعية للشهابي ومجموعة المصطلحات العلمية والفنية لمجمع القاهرة الخ . كان عمله فيها عمل ترتيب ابجدي وجمع الالفاظ المختلفة للمصطلح العلمي الواحد اكانت تلك الالفاظ عربية ام اوروبية ، اذ من المعلوم ان العلماء

الحرفيـة التي تتقيـد باللفظ ولا تعنى بالمفهوم تنتهي حتما الى نتائج عكسيـة ولا تحقق اغراض الترجمـة.

من الكتب التي مانعت في ترجمتها ما يستحق الاهتمام لفائدته وقيمته ، وسبب اعراضي عنهـا انها مؤلفات لم تصادف هوى في نفسي ولم اجـد لقراءتها صدى في اعماقي . فليس المترجم اداة للترجمة لانه غير مطالب بنقل الكتاب الذي لا يميل الى موضوعه او المقال الذي لا يهتم بمضمونه او يستمتع بقراءته .

ومع كل ذلك ، يبقى باب النقل مفتوحا في وجه النقلة ، فلئن سعدت بترجمة دراسات وقصص عديدة هي في نظري على جانب كبير من الاهمية ، فلقد شاقني ايضا ان اترجم « انا اسطورة » او غيرها من القصص البوليسـي .

بيد انني اضيق بالترجمة حين اشرع في نقـل كتاب مبتذل ، للضرورة او ارضـاء لاحد الناشرين ، على انها في معظم الاحيـان ، تجربة في غاية الفائـدة لانها تتيح للمترجم ان يتقن عمله ، كالعازف الـذي يتمرس بالالحان او الرياضي الذي يزاول مختلـف فنـون الرياضـة .

في السطور السابقة صورة للمترجم ، قريبـة جدا من الصورة التي رسخت في اذهان الناس عـن الموسيقي والواقع ان اوجه الشبه كثيرة ايضا بينه وبين الكوميدي ، فاول واجبات المترجم حين يعرض لانتاج قصصي او روائي ، ان يتقمص شخصية المؤلف وكل شخوص القصة او الروايـة ، وهو شرط لازم لنقل المناخ النفسي الذي كتب فيه المؤلف انتاجـه ، واللهجـة التي ادى بها الاخرون ادوارهم . فليست الترجمة « تحويـلا » للكلمات والجمل والافكار مـن لغة الى اخرى ، وانما هي نقل لكل ما يكمـن وراء الكلمات والجمل والافكـار ، للطاقة التي يفرغهـا المشخصـون في ادوارهم . وهي مهمة يلتقي مـع المترجم فيها المثلون والمخرجون على السواء .

وسبيل القارىء الى التأكد من سلامة الترجمة ان يقرأ الحوار المترجم بصوت عال « سواء كان الانتاج قصة او مسـرحية » ليتبين الى اي حـد كان المترجم وفيـا لمبـادىء اللغـة التي ينقل اليهـا .

للترجمة امكانيات محدودة ، فليست هنـاك ترجمة فرنسية مرضية لآثار شكسبير ، وليست هناك ترجمة انجليزية مرضيـة لاثار فرلين او ملارمـي او سيلين « وانا اقصر القول على اللغات التـي اعرفهـا »

وعزاء المترجم ان لكل ادب خصائص ومميـزات يتعذر نقلها من لغة الى اخـرى . فأحسن الصـور لا يمكنها ان تعكس جمال اللوحة الاصلية ، والمعزوفـة التي أعدت للكمان لا يمكن اداؤها بالبيان دون تشويه لمعالمهـا .

على ان جودة النتائج ليست ـ دائما ـ وقفـا على الوقت الذي ينفق في ترجمة الانتاج او الامانة التي يجب ان يتحلى بها الناقل او الجهد الـذي يبذلـه في «تهذيب» هذه الترجمة . فكثرة التهذيب قد تفقـد النص شيئا من حياته ورشاقته .. وقد تفقده هـذه التلقائية التي تمثل حجـر الاساس في كـل ترجمـة سليمة . ولعل في ذلك ما يؤكد ما المعنـا اليه آنفـا من ضرورة الاحاطة باللغة المنقـول اليها مع التوفـر على ملكة التقليد ، التي لا غنـى عنها لكل كوميدي .

وقد يكلفنـي الكتاب الذي يقع في مائتـي صفحة من الوقت ، اضعاف ما انفقه في ترجمة الكتاب الـذي يقع في اربعمائة صفحة ، اذ ينـق علـي كثيرا ان اتقمص شخصية الكاتب في الاول ، بينما لا اجـد اي مشقة في ترجمة الثانـي ، وتلك ظاهرة لا يلحظهـا الناقل عند قراءة الكتاب الذي يعتزم نقلـه .

في ذلك ما يفسر ان اولى صفحات الكتـاب اصعب ما في ترجمته . فالترجمة كالقميص الجديد، لا ترتاح للمسه حيـن ترتديه لاول مرة ..

كلود ايلسون ـ عن مجلة باريس
تعريب : عبـد الرحمـن بنعبـد اللـه

وزن فعلول في مقابل balaninus اللاتينية الاتية من اليونانية : « بالانوس » بمعنى بلوط . وهو «جنس خنافس صغيرة القد من فصيلة السوسيات » . وسميت بذلك لسببين اولهما لانها تعيش غالبا في اشجار البلوط وثانيهما لان جسدها في شكل ثمرة البلوط .

3» بياءة «ك.» وهو من المشتق ، في مقابل mesologie اللفظ العلمي المركب المنحوت من لفظتين يونانيتين وهي « ميسوس » بمعنى : الوسط و « لوغوس » بمعنى : لغة . اي علم التفاعل بين الوسطين او البيئتين الطبيعية والذات البشرية او الحيوانية او النباتية . فوضع المؤلف بياءة على وزن فعالة الذي اصبح يستعمل في مقابل المصطلحات العلمية المختومة بالكاسعتين اليونانيتين «لوجي» و « غرافي » «1» . ومن الملاحظ ان الامير مصطفى الشهابي كان وضع لها لفظة بيئيات .

4» متقاسي «ض.س» وهو من المنحوت ، في مقابل commensurable اللفظ الفرنسي المركب من اللاتينية الفصيحة او العالية « كوم » بمعنى : مع ، ومن اللاتينية العامية او السفلى « مانسورا» ومعناها : قياس ، ومن الكاسعة : « ابل » التي اصلها : ابيليس اللاتيني والذي يدل على الصفة اذا التحق بالاسم . واللفظة العربية التي وضعها المؤلف ركبها بالنحت من كلمتي « مشترك » و « قياس » فاصبحت : «مشقاسي» اي الشيء المشترك القياس وهذا المعنى نظير المعنى الفرنسي تماما .

والامثلة كثيرة في منهج المؤلف هذا منها الموفق تمام التوفيق ومنها المحتمل ومنها الجائز وهو مشكور على اجتهاده في وضع المصطلحات العربية المقابلة للمصطلحات الاوروبية بهذه الطرق العربية المطابقة لفقه اللغة العربي .

هذا من جهة . ومن جهة اخرى وهي مصادرة العربية من معاجم وكتب اللغة ، فانني اراه تناول هذه المؤلفات والقلم في يده وصار يطالع مطالعة المهندس المتقن للغة « ويرشم » كما نقول بالمغرب اي يضع علامة على كل لفظة رآها تنتمي الى فنه وقد تصلح لمقابلة لفظة اوروبية او علمية اكانت مشتقة من اللاتينية ام من اليونانية ، وذلك ، من شتى نواحي منهج الوضع في فقه اللغة . واليكم بعض الامثلة :

5» معاص «ف» في مقابل اللفظة الفرنسية milieu بمعنى وسط . ويقول المؤلف « هو البيئة ، اطلبها » وفي البيئة يقول « هو الوسط الذي تعيش فيه المادة » . ولفظة معاص وضعها بالاشتقاق على وزن مفعل من العيص : « منبت خيار الشجر ، والعيص : الشجر الكثير الملتف ، والعيص : الاصل ، يقال : فلان من عيص بني هاشم : اي من اصلهم ، وفي المثل : « عيصك منك وان كان اشبا » اى اصلك منك وان كان ذا شوك، والمعيص : المنبت » « عن المعجم الوسيط »

فنحن امام كلمتين عربيتين للفظة فرنسية واحدة تستعمل في جميع الميادين بنفس المدلول وهو الوسط والبيئة .

6» مئدل ومصرب « ك.س.» في مقابل اللفظة acidimètre بمعنى : آلة قياس الحموضة . ويقول المؤلف « مقياس الحموضة ، يستعمل لمعرفة مقدار ما في بعض السوائل كالخمر والحليب وما اشبه من حوامض » فوضع مئدلا ومصربا على وزن مفعل ، صيغة الالة ، الاول من الادل «ك.س» اللبن الخاثر المتلبد الشديد الحموضة ، والثاني من الصرب « ف.ف » وهو اللبن الحامض . وجاء في سائر الكتب الاخرى مقياس الحموضة ، ووضع لها مجمع اللغة بالقاهرة لفظة محمض « ك.س » .

7» علسط «ف.س.ف» في مقابل altimètre بمعنى آلة قياس العلو وهي مركبة من «آلتي» = علو، ومتر . ويقول المؤلف « جهاز يعين رهاء الموقع بالنسبة الى سطح البحر اي ارتفاع المكان عن مرمى مياه البحر » . ولفظة « علسط » الموضوعة منحوتة من العلو والسطح «2» ، وليس لها علاقة بمادة علسط الاخرى التي بمعنى « كلام غير ذي نظام » « انظر لسان العرب » . فلم ينهج المؤلف هنا منهجه في acidimètre ليضع لها ، على وزن مفعل لفظة معلاء ، اضف الى ذلك ان كلمة «رهاء» «ض» التي اوردها في تعريف العلسط وضعها من قبل في نظير altitude المنحدرة من اللاتينية altitudo بمعنى العلو ، او الارتفاع والتي تفيد دائما معنى الارتفاع بالنسبة الى سطح البحر فكان يقول : مرهاء على وزن مفعال . ولفظة رهاء بهذا المعنى اخذها من مادة رها يرهو رهوا « سكن ، وعيش راه : خصيب ساكن رافه ، .. وكل

---

1 انظر بالخصوص معجم المرجع لعبد الله العلايلي
2 لم يشر المؤلف الى اصول الكلمات المنحوتة وهذا عيب كبير .

الاوروبيون آثروا ان يصوغوا المصطلحات العلمية للنبات والحيوان من اللغة اللاتينية لما رأوا في لغاتهم من اختلاف الالفاظ للشيء العلمي الواحد . فهذا حيوان او نبات له في نفس البلاد اسماء متعددة يرجع اختلافها الى اختلاف نواحي البلاد في تسمية ذلك الحيوان او ذلك النبات . مثلا نقول نحن للطائر المعروف بالبازي صقر باز او شاه باز او لويحق بينما يسميه الفرنسيون اوتور كومان او اوتور دي بالومب اما علميا فاللفظ الدولي المضبوط الذي يستعمله كل عالم في اي بلاد كان هو : آستور بالومباريوس . ونقول نحن : بربريس او بر باريس او انبر باريس او اثرارة او زرشك او عود الريح ويقول الفرنسيون بير بيريس او ابين فينيت او فينوتيي ، اما اسم هذا النبات العلمي الذي يعرفه علماء العالم ويتباحثونه ويتكاتبون في شأنه هو : ببربيريس فولكاريس .

والسبب الاخر الذي ادى بالعلماء الاوروبيين الى اختيار اللاتينية لتسميةهذه النباتات وهذه الحيوانات هو انهم اكتشفوا لكل نبات ولكل حيوان العشرات بل المئات والالاف من الانواع بحيث ان هذه الانواع منها الكبير المرئي ومنها الصغير الذي لم ينتبه اليه احد من قبل والمجهري الذي لم يره احد قبل اكتشافه بالمجهر . وعلى سبيل المثال كلنا نعرف شجرة الزيتون وكلما رأينا شجرة منه الا وقلنا هذه زيتونة دون ان نعبأ الى انها ثلاثون نوعا ولكل اسم علمي خاص يميزه عن غيره . وكلنا يعرف شجرة الكالبتوم ولكن ليس احد منا يظن انها مئة واربعون نوعا ، لكل واحد اسمه العلمي الخاص المتداول بين العلماء الذين يدرسونه من جميع نواحيه . وكلنا يعرف الفطر ذلك النبات الذي منه النافع ومنه السام ولكن انواعه مرئية ومجهرية تتعدى المئات والمئات، وكل واحد له اسمه العلمي المضبوط ، ومنها طبعا من ليس له اسم عامي ولو اوروبي من اللغات الراقية .

وهذه الاعتبارات هي التي ادت بالاوروبيين الى ان يختاروا اللغة اللاتينية لتكون خاصة لغة هذه العلوم لكونها وما زالت لغة مشتركة عندهم في ثقافتهم وفي كنائسهم . ولم يثر هذا الاختيار اي نزاع بل النزاع كان يثور لو اختاروا لغة اوروبية معينة لان كل بلاد تدافع على لغتها وبالخصوص وصل النزاع اللغوي بين فرنسا وانكلترا ، وان كان نزاعا خفيا ، الى حد انهما تتزاحمان وتتنافسان في توسيع نفوذ لغتهما ونشرها في العالم بتخصيص اموال باهظة وتشجيع كل مبادرة في هذا الميدان .

ومن جهة اخرى فان لغاتهم تكتب بالحرف اللاتيني مما وطد استعمال اللاتينية ودعم اثباتها كما ان اصوات اللاتينية لا تختلف بكثير عن اصوات لغاتهم من سواكن وصوتيات الشيء الذي يشكل صعوبات للامم غير الاوربية فاضطرت الى استعمال الحرف اللاتيني للمحافظة على الرسم والنطق الصحيحين لهذه الاسماء العلمية . ولو استعمل كل عالم منهم لغته الخاصة في تعيين هذه الحيوانات والنباتات لحصلت بلبلة عظيمة ولما تقدم العلم تقدمه الملحوظ بين تلك الامم الاوروبية ولبقي كل علم محصورا في حدود البلد الواحد لا يتعداها . ولا ننسى ان نذكر ان هذه العلوم كانت موضع التباسات واختلافات في ايامها الاولى لان كل عالم كان يضع اسماء لاتينية من عنده كلما اكتشف نوعا جديدا من انواع النباتات او الحيوانات ، فحدث ان عالما آخر اكتشف نفس النوع وسماه باللاتينية من عنده باسم يخالف العالم الاول مما ادى الى عقد مؤتمرات دولية لتوحيد هذه المصطلحات وانشاء مؤسسات دولية للمحافظة على وحدة المصطلح العلمي .

وفيما يرجع الى غير هذه المعاجم الفنية الخاصة التي قد يكون استوفاها المؤلف ، هناك الفاظ وضعها من عنده امام مصطلحات علمية لاتينية يظهر انها كانت عديمة المقابل العربي فاشار الى هذه الالفاظ بعلامة صفر صغير بعدها دلالة على انها من وضعه وهي تنقسم الى دخيلة ومعربة ومشتقة ومنحوتة ونظيرة . واعني بالنظيرة اللفظة العربية التي لها نفس المعنى في اللغتين العربية واللاتينية او الاوروبية . وهاكم امثلة من النوع الاول :

1» ابس «ك.س» وهو من الدخيل في مقابل ips المصطلح العلمي وهو « جنس حشرات خاشبة من فصيلة الكراشيات ورتبة غمديات الاجنحة» ، وابس التنوب «ف.ضش» في مقابل: ips des abiétrines والتنوب شجرة من فصيلة الصنوبريات وقبيلة التنوبية . فلم يترجم المؤلف « سيكسدانتاتوس» وهي اللفظة اللاتينية العلمية بل ترجم اللفظة العامية الفرنسية وهي « ابييتيني » الاتيه من اللاتينية : « آبييس » بمعنى صنوبر . « وسيكسد انتاتوس» مركبة من « سيكس » بمعنى ستة «ودانتاتوس» بمعنى ذي اسنان اي حشرة ذات ستة اسنان . وكلمة التنوب نظيرة اللفظة الفرنسية .

2» بلنون ض.س.ض» وهو من المعرب على

واحد من فرسان السياسة الفلسطينية

خالد الفرخ
يلتحق بالرفيق الاعلى

بقلم صديقه الأستاذ محمد علي الطاهر

كنت القبه « بخالد الاسد » وهو يصر على انه ليس اسد من « خالد الفرخ » فكنت اقول لـه : لولا انك تخدع الاعداء بلقبك المتواضع، لارغمتك على احد حكم قضائي بتصحيح اسمك . ليكون « خالد الاسد» فيطابق الاسم المسمى !

لقد استشهد هذا المجاهد اخيرا بعد ان واكب الجهاد الفلسطيني نحو نصف قرن بلا انقطاع ، موغلا في ما فيه من المتاعب ومساجلة المستعمرين ليس له نهاية ولا حدود ولا سيما منذ اصبح من ركائز الهيئة العربية الفلسطينية العليا بعد نكبة فلسطين

ولولا ان الموت قد باغته في احدى ساعات الصباح من 30 نيسان (ابريل) 1966 في مدينة بيروت ، واختطفه من فوق السرج ووضع حدا لحياته الغالية ، لما خطر ببال هذا الفارس ان يترجل برغم كل ما لقي في هجرته وتشريده من خصاصة بعد غنى ، ومن تعذيب في السجون ذلك ان جهاد فلسطين الذي ابتدأ قبل نحو خمسين عاما لا يمكن ان ينتهي عند غياب احد المجاهدين، او استشهاده في المعركة ، لان جهاد فلسطين لا ينتهي الا يوم اجلاء الاعداء من عقر الدار وساحات الديار

والحاج خالد برغم ذلك رجل لطيف الذات ، هادئ الطبع ، صغير الجسم والحجم ، مثقف العقل واللسان ، واسع الصدر والافق ، خفيف الخطوة ، مثل المسعى ، دؤوب على العمل ، لا يكل ولا يمل ولا يتافف من شيء ، ثم اني اضيف الى ذلك شيئا كريما هو ان الحاج خالد كان من اصبر الناس على تحمل اعمال الناس ، محيط بالقضايا العامة على اختلاف مواضيعها وصورها واشكالها ، بل هو قاموس حي متحرك لرجالاتنا في جميع انحاء العالم العربي وان خطر لك ان تضيف اليهم معظم رجالات الاسلام في العصر الحاضر ، فلن تكون قد ابتعدت عن الحق والصواب .

* * *

والحاج خالد فوق ذلك رجل المعي بعيد عن الادعاء ، وسريع الفهم ايضا ، حتى ان الزعيم الايراني الكبير السيد ضياء الدين الطباطبائي الرئيس القديم السابق لوزراء ايران الذي حضر المؤتمر الاسلامي العام الكبير بالقدس سنة 1931 وبقي بفلسطين اعواما طويلة على راس المكتب الدائم للمؤتمر بالقدس ، طلب من سماحة الحاج امين الحسيني رئيس المؤتمر ان يخصص له الشاب خالد الفرخ بالذات ليساعده بعد ان خبره ـ قائلا للحاج امين وهو يصفه (ان خالد الفرخ انسان قد دقيق الملاحظة ، سريع البت في الامور ، ومن الذين ان قلت لهم الف باء قال لك فورا تاء ثاء حتى بدون ان يحوجك الى سرد كل ما في ذهنك وخاطرك ، او يستوضح منك ما تريد)

كان الحاج خالد الفرخ المجاهد في شبابه صحفيا من طراز رفيع مناضل مكافح يهمه تصيد الحجج في جداله للاعداء ، وليس من الراكضين وراء الاعلانات التي تدر على الجريدة ينابيع المال كما انه كان واسع الاطلاع بعيد النظر ، وحسبك ان تعرف عنه انه كان قبل ثلث قرن مديرا ورئيسا لتحرير جريدة « اللواء » بالقدس التي كانت يومية وفي 8 صفحات كبيرة ، لسانا رسميا للحزب العربي الذي كان ينطق بلسان الحركة

ساكن لا يتحرك راه ورهو .. ورهي البحر سكن ، وفي التنزيل العزيز : واترك البحر رهوا .. والرهو والرهوة : المكان المرتفع والمنخفض ايضا يجتمع فيه الماء وهو من الاضداد ، وعن ابن سيدة : الرهوة الارتفاع والانحدار ضد » « عن اللسان باختصار » وبقطع النظر عن المعاني الاخرى التي تفيدها كلمة الرهو والتي ليس لها علاقة بمدلول السكون والارتفاع يظهر ان المؤلف زاوج في ذهنه بين سكون البحر والارتفاع بالنسبة الى سطح البحر الساكن فراى المادة صالحة للانطباق على اللفظ الاوروبي .

8» بربخ «ف.س.ف» في مقابل aqueduc بمعنى قناة لسوق الماء ذلك على وجه الارض ام تحت سطحها . واللفظة ماخوذة من اللاتينية «آكواي دوكتوس » حرفيا : سائق الماء . والبربخ الموضوعة هنا عرفها المؤلف بانها «قناة لجر المياه عبر الوادي ترتكز على قناطر من حجر او اقواس من باطون « البيطون الفرنسية » تمكنها من احتمال نقل الماء وضغطه » . وتحديدها في الفرنسية لا يقتصر على سوق الماء على وجه الارض بل ويكون ذلك حتى سطحها . اما البربخ في اللغة فهو « منفذ الماء ومجراه والبربخ : البالوعة من الخزف وغيره «ج» برابخ « عربيتها الاردبة «ك.س.ف.قنس.» » « المعجم الوسيط » . اما الاردب فجاءت عنده بمعنى «القناة التي تجري « كذا » فيها الماء على وجه الارض .»

9» تنوح « ض . ض » في مقابل ecologie التي بمعنى : دراسة علاقات الانواع الحيوانية والنباتية بالوسط او البيئة التي تعيش فيها . واللفظة العلمية منحوتة من اليونانية «وايكوس» بيت و«لوغوس» : لغة : علم . والتنوخ في اللغة هو الاقامة « بالمكان » والثبات على الشيء . وجاء في مقابلها عند الامير مصطفى الشهابي : « علم البيئة او البيئات » في معجمه للمصطلحات الزراعية .

10» نتالة «ف.» ونتل «ف.ف» في مقابل: Apogamie المركبة من اليونانية من « ابو » التي تفيد المنع و « غاموس » : زواج . والتي معناها: الظاهرة التي تجعل بعض النباتات تتولد بعد فقدانها خاصيتها الشرقية ــ بالتبرعم او تبقى على حالها دون انتاج . فوضع لها المؤلف لفظتين مشتقتين من مادة واحدة وهي نتل ومعناها في اللغة التقدم والتهيؤ في القدوم ، والاستعداد ، والجذب الى قدام ، والنتلة : البيضة . والنتل «ف.س.و.ف.» بيض النعام يدفن في المفازة بالماء ، وتناتل النبت : التف وصار بعضه اطول من بعض « اللسان » واظن ان هنا كذلك تزاوج في فكر الواضع معاني التقدم والبيض والنبات فادى به الى وضع تلك اللفظة . مع انه من الملاحظ ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة كان قد وضع لنفس المصطلح العلمي لفظ : « لامشيجى » ، من لا المانعة النافية والمشيج كل لونين اختلطا ، وقيل هو ما اختلط من حمرة وبياض ، وقيل : هو كل شيئين مختلطين .. ومشجت بينهما مشجا : خلطت ، والشيء مشيج. وعن ابن سيده : المشيج : اختلاط ماء الرجل والمراة.. قال والصحيح ان يقال: المشيج: ماء الرجل يختلط بماء المراة ، وفي التنزيل العزيز : انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه .. وفي حديث علي رضي الله عنه : ومحط « ف.ف.ف.» الامشاج من مسارب الاصلاب ، يريد المني الذي يتولد منه الجنين «اللسان» . وعند الشهابي : فقد الالقاح وفقد

وهذه الالفاظ كلها كما تظهر ذلك جليا وضع اغلبها بالتوسيع والتشبيه والمداناه علاوة عن الاشتقاق والتعريب والنحت وغير ذلك من ضروب الوسائل المعهوده في نمو اللغات وانمائها . الا ان لي ملاحظات اخرى في مفردات هذه الموسوعة وهي ان المؤلف اصدر الى حد الان جزاين من موسوعته يحتويان على المواد من العربية الى الاعجمية اي اللاتينية والفرنسية بالخصوص باضافة الانكليزية في غالب المواد والالمانية والايطالية في الكثير منها . وسيصدر عن قريب الجزء الثالث وهو كما اعلن عن ذلك يحتوي على معجم الالفاظ الاعجمية ولاشك ان الالفاظ ستكون متبوعة بارقام تدل على الصفحات في الجزاين الاولين حيث المواد العربية وسنرى اذ ذاك كثرة وافرة من المقابلات العربية للفظ الاعجمي الواحد مما يسمح لي ان أتابع مقالي هذا ان شاء الله بطرف موضوع النظام والمنهج اللذين نفصانا في تطوير لغتنا منذ اوائل النهضة الحديثة كما اشرت الى ذلك في اول هذا الكلام . واختتم بالاشارة الى ان هذه الموسوعة مرتبة الفاظها لا حسب الترتيب الالفبائي العربي بل حسب الترتيب الالفبائي الاوروبي اي باعتبار نظام تتابع الحروف الهجائيةلاباعتبار جذور المواد والاشتقاق ، كما راينا ذلك في « المرجع » وهو المعجم الثوري الذي وضعه العلامة عبد الله العلايلي والذي سنتناول الكلام عنه عندما يتم ان شاء الله اذ لم يظهر منه الا المجلد الاول الذي ينتهي بمادة « جحدل » ، والذي تجلت فيه مع ذلك الفائدة العظمى التي كانت تعوزنا في ميدان التعريب .

الرباط : احمد الاخضر

خدعة الاستعمار الاوربي في احصاءاته سكان مستعمراته وممتلكاته ومحمياته

للأستاذ عبد القادر القادري

اطلعت فى مجلة دعوة الحق فى العدد الخامس من سنتها التاسعة الصادر فى مارس 1966 على احصاءات لسكان المغرب العربى موسومة « بدراسة ديمغرافية » للاستاذ المهدي المنبهي ، فقرأت فى طليعتها ما نصه : يظهر من خلال اهم المعطيات الديمغرافية لبلاد المغرب العربى ان عدد السكان فى تزايد مستمر منذ عدة سنوات وهذه الثروة البشرية يجب ان نقدرها اليوم ونبحث عن اسرارها حتى نعرف كيف نسخرها للنمو الاقتصادي لهذه البلدان او حتى لا تكون عائقا من عوائق نموها وازدهارها فنبحث عن التوازن بين المعطيات والحاجيات ، فاذا القينا نظرة على جدول تطور عدد السكان فى بلاد المغرب العربي فيما بين سنوات 1936 الى 1956 .. فاننا نلاحظ ان عدد هؤلاء السكان كان يبلغ سنة 1956 000 970 23 بينما صار يناهز سنة 1960 — 1961 اي بعد خمس سنوات : 000 870 27. اه

ويظهر ان الكاتب المفضال لم يتفطن الى ان هذه الزيادة قد وقعت فى عهد الاستقلال اي من سنة 1956 الى سنة 1961ولم يقع مثلها وفى نفس مدتها فى عهد الاستعمار الاوربي .

فكيف يعقل ان يبلغ تعداد سكان المملكة المغربية عام 1952 : 000 440 7 ويبلغ عام 1956 000 310 9 وهو تاريخ انتهاء الحماية الفرنسية بالمغرب ويبلغ عام 1960 — 000 625 11 نسمة ، ويبلغ عام 1965 : 000 950 12 نسمة وهي سنوات الاستقلال فكيف اذن يمكننا ان نفسر هذا الانفجار السكاني فى المغرب ، لاشك انه نتيجة لقيام الدولة المغربية باحصائها سكانها بنفسها وهي تتمتع باستقلالها الاكمل ولانكشاف حيل الاستعمار لنا فى احصائياته لمستعمراته وممتلكاته ومحمياته .

فعندما وطئت قدما الرجل الابيض الاوربي اقطار افريقيا واسيا واحتلها بخيله ورجله عمد الى التقليل من تعداد سكانها لاسباب ثلاثة هي فى نظري :

اولا — امكان الزيادة فى تعداد سكان مستعمراته كل عشر سنوات قصد الادعاء ان تزايد السكان يقع بفضل استتباب الامن فى المستعمرات وايجاده وسائل العيش « للاهالي » ونشره الوسائل الصحية بين السكان .

ثانيا — التقليل من عدد السكان فى ممتلكاته لئلا يلفت اليها الانظار وللحط من شانها فى اعين الدول الحديثة عهد بالاستقلال .

ثالثا — العمل على ترجيح طائفة مسيحية على طائفة اسلامية فى انتخاب رئيس جمهورية .

ففي الحالة الاولى — نرى ان الهولانديين عندما بسطوا سلطانهم فى اوائل القرن السابع عشر على اندونيسيا بعد ان استقلت هولاندا عن اسبانيا كان عدد سكان اندونيسيا يبلغ انذاك عشرة ملايين بينما بلغ عددهم اليوم مائة مليون نسمة وكان يبلغ عدد سكان هولاندة وقت احتلالها لاندونيسيا مليونين ونصف ويبلغ عددهم اليوم ثمانية ملايين . فهل يعقل ان يرتفع سكان هولاندة من مليونين ونصف نسمة عام 1620 الى ثمانية ملايين نسمة فى يومنا هذا بينما تضاعف سكان اندونيسيا عشر مرات من عام 1620 الى عام 1966 ، اي بزيادة تسعين مليون نسمة فى ظرف ثلاثة قرون ونصف .

الوطنية ضد الاستعمار البريطاني ، ويجادل اعوانه الذين ابتلينا بهم وهم منا مع الاسف ، وكانوا على امتهم اشد من شواظ الانكليز واكثر منهم في عداوتها لددا

والخلاصة ان البطل الفلسطيني السياسي الحاج خالد لم يبرح مكانه منذ ثلاثة وثلاثين عاما من اعوام الجهاد والنضال والجدل مع الاستعمار ، فلم يكف عن العمل سواء باشتراكه في المعارك السياسية الفلسطينية ، او بتسليح المجاهدين بالحديد والنار ، وقضاء حوائج اصحاب الحاجات ، حتى كل متنه ، وحل جسمه ، بدون ان يشكو التعب لاحد . او يرضى بالخروج من الساحة ، الا بان يفترسه الموت الذي لا يخلف الميعاد !

لم يبق بلد عربي بدون ان يطرق الفقيد دياره من اجل فلسطين ومجاهديها . ولا ويوجد في دنيا الاسلام قطر ولا مصر ، الا اجتازه هذا المجاهد المتواضع الذي نجح في جميع المهام الوطنية التي ندبته امته لها

اما سر نجاحه فهو في حبه للصمت في اثناء تأديته مهماته ، والتستر فيها ، والبعد عن اماكن الضجة والاعلان عن النفس ، حتى لا يصدر عنه ولو بدون ارادته ما يدل على انه يمن على امته باعلاء كلمتها

* * *

وفي صباح السبت 30 نيسان (ابريل) 1966 تخطفه الموت بغتة في بيروت وانزله عن السرج مكرها ، ثم اخذه الى المقر الاخير غير متمهل وما غابت الشمس الا بعد ان غيبه المصير المحتوم في الثرى ، حيث شيع في موكب هادئ متواضع ، كان الدنيا تستجيب له لاول مرة . وهي التي لا تستجيب لاحد ، الا اذا كانت الاماني المتمناة معكوسة الرجاء

وكان الحاج امين الحسيني زعيم فلسطين يتقدم الجنازة وهو دامع العين ، وكانت العشرات من قادتنا هم من المشيعين المحزونين ، وليس المئات ولا الالوف - فكانوا يحيطون بزعيم فلسطين الصابر الحاج امين . لتعزيته بصديقه المجاهد الصابر ايضا ، الذي لم يبق فلسطيني في المهاجر كلها،واماكن تشريد امتنا الشهيدة ، الا وهو مدين للحاج خالد بمسعى فيه الخير للناس ولا يوجد حاكم من حكام عصرنا ، ولا في دوائر حكومتنا من لم يستقبل الحاج خالد في سبيل قضاء حوائج المنكوبين . والاصغاء الى لباقته في كيفية عرضها على المراجع الرسمية - وغير الرسمية ، وهو توفيق له من اللـــــه

ذلك لان الحاج خالد في تبتله لخدمة امته ، فوق عربنه وتسرده الطويل الامد في ديار العروبة كلها ، من فلسطين الى لبنان ، ومن مصر الى العراق ، ومن الحجاز الى السودان ، قد تمكن بهذه المثابة من خدمة وطنه ومواطنيه حتى النفس الاخير اجل الخدمات ، فلو قضى الحاج خالد نحبه في وطنه وكان حرا مستقلا ، لمشت يافا مدينة باسرها في موكب وداعه الحزين

* * *

ان مدينة يافا التي انجبت قبل ستين عاما الوجيه المثقف السيد خالد الفرخ احد ابناء الاسر الكريمة فيها ، ليحق لها ولبقايا السيوف من اهلها ، ان يسكبوا الدمع السخين على نابغتهم ، كما يحق للمشردين من اهل فلسطين ان يعتزوا به ، ويترحموا عليه ، وان يتقدموا الجميع في تقبل التعزية على فقده ، والبكاء عليه ، مع صديقه القديم ، ومواطنه المحزون

بيروت : محمد علي الطاهر

صور من الماضي البغيض

من اجل الارض

للشاعر المدني الحمراوي

هب من نومه مع الفجر يسعى … نحو حقل حباه حبا وعطفا
سائقا ثوره الهزيل فلما … هم بالحرث سيم قهرا وخسفا
فانبرى برتمي الى الحقل لكن … وجد الجند و « المعمر » صفا
ومشى نحوه « المعمر » فظا … يتلظى ويقذف الحقد قذفا :
ما الذي تبتغي بحرثك حقلا … بعته بالالوف مني صيفا ؟
هو ذا الصك ليس فيه خفاء … سجلته القضاة حرفا فحرفا
فانطلق واحذر الخلاف والا … فستلقى بالسجن دهرا وتنفى
بيدي سلطة « المراقب » ان شئـ … ـت حباني بما اريد واوفى
واذا شئت ان تكون اجيرا … في حقولي قبلت فضلا وعرفا

★ ★ ★

قال ادريس ـ بعد ما جن وقتا ـ … اي هول يهدني اليوم قصفا ؟
ما ارى ؟ هل جننت ؟ ام هو حلم ؟ … ام اراني لقيت زورا وحيفا ؟
هذه الارض من جدودي تراث … ولها كنت طول عمري الفا
انا منها . وهبتها كل جهدي … فحبتني ودرت الخير ضعفا
لم ابعها ، ولن ابيع ترائي … هي امي ، وهل تعق وتجفى ؟
هي ملكي ، وفيها انشد قبري … وعليها حنو قلبي رفا
فاسال الناس يشهدوا انها ملـ … ـك بدي ، لا يمالؤونك خوفا
هذه ارضنا ، وانت دخيل … بيننا تغصب المزارع عسفا
انت زورت ما تشاء من الافـ … ـك ، وقبلي افقرت حولي الفا
ليتكم تقتلون كل سليب … قبل ان تنهكوه جوعا وضعفا
ما اتيتم لغير محق وسفك … وخراب يبث رعبا وعنفا
فدع الحقل انني لا اخلي … عنه حتى يضمني القبر ظرفا

★ ★ ★

فاستشاط « المعمر » الفظ حتى … قال للجند : اوثقوا الوغد كتفا

وهل يمكن ان يقال ان للاستعمار الهولاندي فضلا فى هذا الانفجار السكاني باندونيسيا .

ومثل هذا وقع فى الجزائر حيث كان عدد سكانها يبلغ عام 1850 000 328 2 وصار عام 1956 يبلغ 000 707 9 نسمة وهي عهد الاستعمار الفرنسي وفى عام 1961 صار عدد سكان الجزائر يبلغ : 000 950 10 نسمة .

ومثل هذا الاحصاء الاستعماري وقع فى الهند حيث كان يبلغ عدد سكانها عام 1810 مائة مليون نسمة ويبلغ عددهم اليوم اربعمائة مليون نسمة باستثناء الباكستان التي انفصلت عن الهند .

وقس على ذلك احصائيات الاستعمار الاسباني والبرتغالي والايطالي والبلجيكي لسكان مستعمراته .

وفى الحالة الثانية : نلاحظ ان الروس يعمدون الى التقليل من تعداد سكان بلدان آسيا الوسطى وما وراء القوقاز وجزيرة القريم وسيبيريا الاسلامية لئلا يلفتون اليها انظار مسلمي الشرق الاوسط والشرق الادنى والشرق الاقصى والقارة الافريقية حيث زعم الاستاذ سعيد كامبلف من خريجي معهد الدراسات الشرقية بموسكو فى المحاضرة التي القاها فى ابريل 1964 بقاعة المحاضرات بالشبيبة والرياضة بالرباط بعنوان : « المناطق الاسلامية بالاتحاد السوفياتي » بان عدد سكان المسلمين بالاتحاد السوفياتي يبلغ خمسة عشر مليونا ؛ والحال ان المؤرخ التركستاني الاستاذ حسن بصري جنتاي رئيس جمعية الاتراك المهاجرين من التركستان ومحرر مجلة « طريق الدين » ومجلة « الاسلام » ومجلة « نور الاسلام » التي تصدر فى تركيا باللغة التركية يقدر عددهم بخمسين مليون مسلم فى كتاب « الاسلام الصراط المستقيم » ويقدر عددهم كذلك السيد « اسماعيل مخدوم فنكاني » نائب رئيس المركز الاسلامي باسيا الوسطى وقازخستان بخمسين مليون مسلم اي ان ربع سكان الاتحاد السوفياتي من المسلمن .

وفى الحالة الثالثة : نجد انه لم يشرع فى احصاء سكان لبنان منذ عام 1927 لئلا ترجح كفة طائفة المسلمين على طائفة النصارى فيصبح رئيس الجمهورية من المسلمين لان العرف الجاري به العمل فى لبنان يقضي بان يكون رئيس الجمهورية من الاغلبية ورئيس الوزراء من الاقلية ولهذا احجم الاستعمار الاروبي منذ عام 1927 للقيام باحصاء سكان لبنان .

مما سبق يبين لنا ان خدعة الاحصاء الاستعماري التي خدع بها الاستعمار الاروبي طيلة اعوام سكان مستعمراته ومحمياته وجمعية الامم السابقة وهيئة الامم المتحدة لتبرير حكمه شعوب اسيا وافريقيا قد انكشف عندما قامت الدول الحديثة العهد بالاستقلال باحصائها سكانها بنفسها فوجدت انلا دخل للاستعمار الاروبي فى تزايد سكانها .

وان ادعاء هذا الاستعمار ان له الفضل فى تزايد سكان مستعمراته انما هو محض كذب وبهتان .

الرباط ـ عبد القادر القادري

نجواي

للشاعر عبد الكريم الطبال

شفشاون الحضراء . ارض العطر والانغام . قيثار السواقي والحمام
عش البلابل . معبد الشعراء ، موجات الظلال الخضر في صيف السآم
اسطورة الالوان ، معجزة الرؤى والفن ، فجر في متاهات الظلام
نجواي انت فاينما وليت وجهي لا ارى الاك في زاهي القوام
يا ضفة الاطياف . يا عري الجمال ، ويا تسابيح الذي عاف الكلام
ليلاي انت وان رحلت الى بعيد في سماوات عجيبات الغمام
لا البعد ينسيني ولا الاوهام تغريني ولا الدرب الغريب ولا المقام
فانا عشقتك منذ عرس الزهرة الحمراء بالعطر السماوي الفرام
فانا هويتك منذ ميلاد الجمال وحق كل السر في كأس المدام

شفشاون : عبد الكريم الطبال

يا لسان الحق الفصيح

للشاعر

محمد احمد حيدر

ما تعمدت هاجرا « دعوة الحـ ـق » وحسبي اني غدوت صديقا
« دعوة الحق » فيك شاهدت للجـ ـنة للمغرب الحبيب طريقا
من رفيق البيان ، من نفحات الشـ ـعر ، من جوك ، اتخذت صديقا
يا لسان الحق الفصيح وغير الحق لم تتخذ خذينا صديقا
حلقت في سمائنا وشربنا من ينبيعها العذاب الرحيقا

سوف يرمى بقعر سجن ويكوى بعذاب حتى يتوب ويشفى

* * *

ومضى الجند بالاسير فجاءت زوجه تستغيث : رفقا وعطفا
من لصبيانه الصغار اذا ما حل بالسجن او تكبد صرفا
ويحكم قد غصبتمو الارض منا فنسفتم حياتنا اليوم نسفا
هل جننتم بحب محق وقتل واستطبتم من سفكة الدم رشفا ؟
قد سدلتم على البلاد ستارا اضمر الفتك من ورائه كفا

* * *

فتصدى لها الجنود بضرب ونكال يؤلم القلب وصفا
فارتمت بالتراب والدم يجري ودموع الاسى تعبب وكفا

* * *

قال ادريس ـ وهو بالسجن يلقى كل هول بقعره ليس يخفى ـ :
اي ذنب جنيت ؟ ما بال ارضي غصبت ؟ هل اطيق للحق كشفا ؟
ها انا في الظلام اذبل جوعا ومن البرد يرعد الجسم رجفا
فدحوني بكل شغل اليم فكأني جنيت ما ليس يعفى
ما مصيري ؟ وهل اكون اجيرا ؟ لست ارضى ، وكيف اخدم جلفا ؟
سوف امضي الى « الرباط » فاشكو ما الاقي ، ولا اجنب حرفا
واذا ما لقيت نكرا فاني سوف اجني على « المعمر » حتفا
غير اني اذا قتلته ضاعت صبيتي واجتاحهم البؤس قطفا
يا الهي ! اليك اشكو مصابا وخرابا بهد ارضا وسقفا
خذ بحقي فان حولي ضعيف وظلومي امسى يشمخ انفا

وقضى السجن ثم راح بعيدا بعد ما شارف الهلاك واشفى
ضاربا في مدائن القطر حتى قر في معمل به الشغل الفى
سكن الكوخ مثل من سبقوه من رجال تجرعوا الظلم صرفا

الرباط ـ المدني الحمراوي

المنصور ، اجازه فيها بمروياته المختلفة ذاكرا اسانيده فيـــها .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان زيدان لــم يبايع بالخلافة الا بعد موت ابيـه ـ سنة 1012 ـ بينما نجد ابن القاضي يحليه بالسلطان سنة عشرة ، مما يدل على ان كلمة سلطان لم تكن اذ ذاك في الاستعمال المغربي مرادفة لكلمة خليفة او ملك ، بل ان زيدان اذ ذاك لم يكن حتى وليا للعهد ـ كما هو معلوم ـ وانمـا كان خليفـة لابيه على تادلـة .

وقد كتب ابن القاضـي بخط يده علـى اول صفحـة من الفهرسـة :

هذا كتابـي « رائـد للفلاح »
بشـر بالملك المتيـن المتـاح

كما لكم روى حديـث عـلا
فقد روى عنكم حديث السماح

وما روى من سحركم ختمـه
ما يعجز الضليـل يوم الكفاح

لا زلت فى عــز وفى رفعـة
ما قد روى عنكم عطا عن رباح

وهو يذكر اسانيده فى 314 كتاب باسمائهـا ، وفى عموم مؤلفات 243 مؤلف آخر .

ويبدا بكتب الفراءات والتجويد ، ثم التفسيـر ثم الحديث وشروحه ، والسيرة النبوية ، والاجـزاء والمسلسلات ، وعلوم الحديث ، ثم كتب العقائـــد ، واصول الفقه، والتصوف ، والاذكـــار ، والمواعظ ، والمناقب ، والرحلات ، والفهارس والمشيخات والمعاجم، ثم الفقه ، ثم النحو ، والبلاغـة ، واللغـة ، والتراجم ويؤخر كتب الادب والشعر الى الخاتمة ، فاصلا بينهما بذكر اسانيده فى تآليف المؤلفيــن .

ذاكرا بين الحيـن والحين عدد مؤلفات المؤلف :

فتاليف ابن ابي الدنيا الف تأليف .

ولابي عبيد القاسم بن سلام بضعة وعشرون .

ولعبد المنعم بن غلبون اربعة عشر .

ولابن الاعرابـي اربعـون .

ولابن الحسن القابسي خمسة عشر .

ولابن ابي زمنين اربعـة عشر .

ويقال ان عبد الله بن حارث الختعمي الف للحكم المستنصـر مائـة تاليف .

ولعلي بن ابي طالب القيرواني نحو مائة تأليف.

ولابي بكر الباقلاني خمسـون تأليفـا .

ولابي الحسن الدارقطنـي ازيد من اربعين .

ولابن ابي زيد القيروانـي نحو من عشريـن .

وللخطيب البغدادي نحو من مائة .

وللقاضي عبد الوهـاب سـتـة عشر .

ولمكي بن ابي طالب القيرواني نيف علـى ثمانين تاليفـا .

ولابي بكـر عاصم البطليوسي نحو من عشرين .

ولابي معشر الطبري المكي نحو من ثلاثيـن .

ولابي عبد الله السـاحلي المالقـي اربعة عشر .
ولابي القاسـم بن جـزي خمسة عشر .
ولابن ليون نحو من ثلاثـين .
وللسراج البلقينـي ازيد من مائة تأليف .
ومؤلفات جعفـر بن شرف الجذامي تنيف على خمسة وعشريـن .
ولابن حيـان نحـو من خمسيـن .

ثم يروي ثمان قطع شعرية لزيدان : سبعـــة قطع منها انشدها زيدان نفسه لابن القاضي ، واجازه كل ما له من نظم ونثر ، ووضع له خطه الكريم بذلـك ، وواحـدة منهـا رواها عنه بواسطـة .
وتقع القطع الثمان فى سبعة عشر بيتا .
ثم روى عنه بيتين لولده احمـد المنصـــور فى وصف نهـــر المسرة .

وللقطعتين الاولى والثانيـة قصة طريفة كتبها ابن القاضي من لفظ زيدان ، وخلاصتها ان زيـدان كان بالزيدانية ـ بني عمير ـ فاشتد به الشــوق الى حظية له اسمها نوار ، التي قال عنها انها ممـــن **شرف سلافة الادب** ، فركب اليهـا فى منتصف ليـل اشتد ظلامه ، واذكره زئير الاسد فى طريقه اليها مـــا اتفـــق لابي الطيب . قال : واتفـــق انها ذكرتنـــي وعرفت فى الحـــال مــن كـــان معهـــا انـــي قـــادم عليهـــا ، فكثـــر عبثهـــم بهـــا ، ثم اخـــذت فى لباس الحلي والحلل ، وزاد تعجبهم منها ، ثم لمـا

دراسات مغربية :

جولة في المخطوطات العربية باسبانيا

للأستاذ : محمد ابراهيم الكتاني

في اسبانيا مخطوطات عربية كثيرة في عدة مكتبات تبلغ فيما يظن حوالي ثلاثة آلاف مخطوط ، حوالي الفين منها في الاسكوريال والباقي في مكتبات اخرى بمدريد وقرطبة وغرناطة وغيرها .

ولم يتيسر لي — لحد الان — الوقوف على ما يوجد من المخطوطات العربية خارج مدريد والاسكوريال ولكني قضيت في مدريد ما يقرب من شهر ، زرت خلاله : المكتبة الوطنية — ومكتبة الاكاديمية التاريخية الملكية — ومكتبة المدرسة العربية الاسبانية — ومكتبة متحف بلنسية دودن خوان .

كما قضيت شهرا كاملا في الاسكوريال ، واطلعت خلال هذه المدة — في كل من مدريد والاسكوريال — على حوالي خمسين ومائتي مخطوط ، ووصفتها في دفاتري ولخصت منها كثيرا من المعلومات المفيدة ، وصورت بعضا منها .

والمخطوطات في هذه المكتبات على العموم في حالة جيدة ، الا انه لا يوجد من بين المكلفين بها من يعرف شيئا عن اللغة العربية على خلاف ما كان عليه الحال باسبانيا قديما باستثناء المدرسة العربية الاسبانية بمدريد التي يعتبر مديرها من المستعربين وان كان لا يتحدث بالعربية ولا يفهمها اذا سمعها .

واذا كان الاطلاع على مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد والاسكوريال وتصوير ما يريد المرء تصويره منها امرا ميسورا في الجملة ، في نطاق التقنينات الادارية الخاصة ، فان الامر يختلف عن ذلك كثيرا بالنسبة للاكاديمية التاريخية الملكية التي لا يكاد يتيسر الدخول لها الا بصعوبة ، ثم اذا نجح الزائر في الدخول لها لم يتمكن من معرفة جميع ما بها من مخطوطات ، نظرا لعدم وجود فهرس مطبوع لهذه المخطوطات وانما توجد لها جذاذات لا يمكنه المكلفون بالمكتبة من الاطلاع عليها كلها ، مدعين ان ما مكنوه من الاطلاع عليه هو كل ما عندهم ، مع انه يعرف وجود مخطوطات معينة في الاكاديمية لا يجد لها ذكرا فيما بين يديه من جذاذات . وما يطلع عليه من الاوراق لا يتمكن من الوقوف على جميع ما تتضمنه من مخطوطات

فمن بين 27 مخطوطا طلبت الاطلاع عليها اثناء مقامي بمدريد لم اتمكن من الوقوف الا على اثنين وعشرين ، اما الخمسة الاخرى فقد قيل لي عن بعضها انه مفقود ، وربما احضر لي المكلف كتابا يحمل نفس الرقم الروماني المسجل في الجذاذة ولكني اجده غير الكتاب المطلوب ، وربما كان كتابا مطبوعا في حين ان المكلف لا يعرف عربية ولا فرنسية .

اما محاولة تصوير شيء مما يوجد في الاكاديمية التاريخية الملكية فهو امر من الصعوبة بمكان ، ويقال انه يتوقف على قرار من لجنة خاصة .

1 — فهرسة ابن القاضي :

واغرب ما وقفت عليه في مكتبة الاكاديمية التاريخية الملكية بمدريد هو : فهرسة المؤرخ المغربي احمد بن محمد بن ابي العافية الشهير بابن القاضي المسماة « رائد الفلاح ، بعوالي الاسانيد الصحاح » التي طالما بحث عنها المهتمون ، وكادوا ييأسون من العثور عليها فاذا بها في هذه المكتبة — بخط يد ابن القاضي ، في 156 ورقة ، وفيها شطب والحاق ، كتبها عام عشرة والف للسلطان زيدان بن احمد

مؤرخة بحادي عشر ذي القعدة عام ست وثمانين وسبعمائة .

4» وابو الحسن علي بن محمد بن علي بن غانم الخزرجي المقدسي .

5» وابو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابي بكر العلقمي الشافعي .

6» وزكرياء بن محمد الحطاب .

7» وابو عبد الله البهنسي الشافعي المصري «اذنا» .

* * *

واغلبية مروياته عن ابي عبد الله محمد بن يوسف الترغى الى المنتوري ، وكثيرا ما يقول : وبالسند قبله الى المنتوري ، وتليها روايته عن ابي راشد اليدري .

ولعله لو اكتفى بكتابة اجازةعلى فهرسة المنتوري واضاف اليها ما زاد عليها لوفر على نفسه تعبا كثيرا لا مبرر له .

وقد طلبنا تصوير نسخة من « رائد الفلاح » لابن القاضي للخزانة العامة بالرباط .

2 ـ المغازي لابن حبيش :

ومن مخطوطات الاكاديمية التاريخية الملكية بمدريد الجزء الثاني من المغازي لابي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن يوسف ابن حبيش .

مما امر بنظمه وتصنيفه ، وجمعه وتأليفه ، الخليفة الامام الموفق المسدد المظفر المؤيد المنصور، الناصر لدين الله امير المومنين ابو يعقوب بن الخليفة الامام امير المومنين ، مد الله فى افاضة انوارهم واعلاء منارهم ، واطالة اعمارهم ، واعزاز حماتهم وانصارهم ، واعلائهم على جميع الامم والهارهم .

وهو مبتور الاخر يصل الى : غزو الوليد ابن عقبة اذربيجان وارمينية لمنع اهلها ما صالحوا عليه الاسلام . وعليه وثيقة ــ بخط مشرقي ــ بوقف هذا المجلد وما قبله .

هذا ــ وقد كتب الي الدكتور عبد المنعم مختار امين ، الاستاذ المحاضر بالمعهد الشرقي لجامعة بودابست ــ لما علم بوقوفي على هذه المغازي انه توجد نسخة منها فى المكتبة الامبراطورية فى برلين ، فى جزاين الاول تنقصه الصفحات الاولى التي يظن انها تتناول التحركات الاولى للفتوح وخاصة تحركات خالد بن سعيد ، والسفر الثاني مؤرخ بعام ثلاثة وثلاثين وخمسمائة ، ومن وصفه له عرفت ان ما ينقص جزء مدريد شيء قليل ، كما ذكر لي انه بحث عن نسخ اخرى للكتاب فلم يتوصل الى نتيجة .

وذكر لي الدكتور عبدالمنعم مختار امين ــ الذي انتفع بهذه « المغازي » فى كتابة اطروحته لنيل درجة الدكتوراه ــ انه يرى اهمية كبرى لهذا الكتاب ، لان مؤلفه شرح بشكل منهجي الروايات المختلفة مبينا ضعف روايات سيف بن عمر فى قضية الفتوح المبكرة.

ويرى ان نشرها من شأنه ازالة الغموض عن التاريخ الاسلامي المبكر .

ثم كتب الي اخيرا انه علم بالعثور على نسخة اخرى من « المغازي » فى احدى مكتبات استانبوول .

3 ـ الوافي بالوفيات :

ومن مخطوطات الاكاديمية التاريخية الملكية بمدريد الجزء الثالث والعشرون من « الوافي بالوفيات » لصلاح الدين الصفدي ، ويقع فى 196 ورقة ، بخط شرقي جميل جدا ، وورق جيد ، وقد كتبت فيه اسماء المترجمين بالحمرة والهامش . ومن المغاربة المترجمين فيه :

عيسى بن عمران ، ابو موسى المكناسي ، قاضي مراكش ، وكان من رجال الكمال ، توفى عام 578 .

وعيسى بن محمد بن شعيب ابو موسى الغافقي الوراق الفقيه الكاتب الشاعر الذي كان مقيما بفاس والمتوفى عام 576 .

وابو الهدى عيسى بن احمد بن محمد بن مسعود السبتي الصوفي المتوفى عام 696 .

وعيسى بن عبد العزيز بن يلبخت بن عيسى ابو موسى الجزولي ، صاحب الكراسة الجزولية فى النحو .

ونقل ــ اثناء ترجمته ــ عن بعضهم ان المقرب لابن عصفور اخذ حدود الجزولية واحترز

حصل بها ما حصل بي اخذت تردد شطر بيت من ابيات قصيدة اتفقت قبل ذلك لنا فحفظته عنا وهو :

يا ليلة وافى بها بدري

فبينما هي تردد الشطر اذ طلعت عليها ، فأجزت البيت ، بما يناسب من قولي :

والشوق احكم فى الدجى سهري

وانشد فى الحال اربعة ابيات ، وقع فى اولها تحريف وكسر ، والثلاثة الاخرى هي قوله :

فركبت بحرا للدجى متلاطما
والنجم فى لجاته يسري

فطرقتها سحرا وكاد يزورها
سنة الكرى ، من حيث لا تدري

فوجدتها فى القصر قائلة :
يا ليلة وافى بها بدري

ولكن ابن القاضي لم يرو لنا القصيدة الزيدانية الاصلية التي ورد فيها الشطر الذي حفظته نوار عن زيدان .

ونفهم من القصة والابيات بعد ما بين الزيدانية التي كان به زيدان والقصر الذي كانت به نوار ، فقد خرج اليها فى منتصف الليل ، ولم يصل اليها الا سحرا ، ولعل القصر كان بتادلا .

ثم اورد ابن القاضي قصيدتين للحافظ المجتهد ابي بكر محمد بن احمد بن يوسف ابن مسدي الاندلسي ثم المكي : اولاهما نونية فى الاشتياق الى مكة وهي 53 بيتا . والثانية دالية فى مناجاة الرسول «ص» امام الضريح الشريف ، وقد اورد منها 31 بيتا ، ثم قال : وهي طويلة جدا ، يقول في اثنائها :

ما حرقتي والله مما شان من
شأن الحريق ولا ثكلت المسجدا

لكن لشرعتك التي سد الورى
كل الشعاب لها وخلوها سدا

امروا ، نهوا ، ردوا ـ خلافا للنهي ـ
امريك فاجتمعوا بمهواة الردى

واضعية الاسلام بين معاشر
قد اسلموه وسالموا فيه العدى

صاروا به فرقا فبادوا كلهم
لما تفرق جمعهم وتبددا

فالشرع ملقى ، والهداية ضلة
والغي منقاد اليه ومهتدى

لله اشهد ان ما حذرتنا
ووعدتنا لما يخالف موعدا

هذا ، وقد سمى الحافظ التقي الفاسي المكي فى «العقد الثمين» هذه القصيدة « باسنى المنائح ، فى اسمى المدائح » وذكر ان ابا اسحاق البلفيقي راى النبي «ص» فى المنام وعنده جماعة وهم يذكرون قصائد فى المدح النبوي ، فقال لهم : اين انتم من قصيدة ابن مسدي الدالية ؟

كما ذكر فى ترجمة احمد بن محمد القيسي القسطلاني المكي انه سمع من ابن مسدي القصيدة الموسومة باسنى المنائح ، فى اسمى المدائح .

وابن القاضي يروي عن اثنى عشر شيخا ، خمسة منهم مغاربة ، وسبعة مشارقة ، فالمغاربهم هم :

1» الخطيب ابو عبد الله محمد بن يوسف المستاري الترغي .

2» والفقيه الاستاذ الفرضي الحافظ ابو راشد يعقوب بن يحيى اليدري .

3» وابو العباس احمد المنجور .

4» وابو عبد الله محمد بن عبد الواحد الزروالي الحضري .

5» وابو مالك عبد الواحد بن احمد الشريف الحسني مفتي مراكش الذي يروي عنه فهرسته .

واما السبعة المشارقة فهم :

1» ابو عبد الله محمد بن احمد الرملي الانصاري؛ واورد اجازته له مؤرخة بسنة ثلاث والف .

2» وابو الحسن علي بن محمد بن علي الشهير بابن غاغ المقدسي النجار ، المصري الدار ، الخزرجي ، واورد نص اجازته له ، وفيها انه ولد سنة 920

3» وابو الحسن علي بن احمد بن علي الانصاري القرافي الشافعي ، واورد اجازته فى فاتحة الكتاب

و لمكتومة والفياحة والنضوح والعود والمسك و لذريرة ، والفافية ، والسنونات ، والقرنفلة ، ودهن طب .

21» ومنها **شرح المقدمة لابن بابشاذ في** النحو ، مبتور الاول الموجد منه 66 ورقة كان الفراغ منه سنة 547 .

وهو يقدم لكلام المتن بقوله : قال الشيخ الجليل ، ولكنه اثناء الشرح يقول : اما قولنا .. واما قولنا .. وتارة يقول : قال الشيخ ايده الله .. او قال الشيخ ادام الله توفيقه .

ويفهم مما نقله فى « كشف الظنون » 2ـ1795 عن شرحها ليحيى بن حمزة العلوي ان للمؤلف شرحا على مقدمته .

22» ومنها **منهاج الغنا** ، ومزيل العنا عن « كتاب البنا » « فى التصريف » تأليف احمد بن محمد الاندلسي الملقب بابن عبد العزيز الحنفي الماتريدي ، فرغ منه فى شوال 1038 . وهذه النسخة كتبت سنة 1123 وتقع فى 45 ورقة بخط مغربي ضمن مجموع مغربي .

واما المخطوطات التي طلبتها فلم اجدها ، ومنها :

رسائل ابي المطرف بن عميرة

وسفر من الاندلس ومن ارض الروم .

وكتاب الذخائر والاعلاق ، فى اداب النفوس ومكارم الاخلاق لابي الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلي الاشبيلي .

وكتاب « المفيد » لعبد الملك بن محمد بن اصبغ القرشي .

وكتاب نور الحياة ، فيما يجب للخالق على المخلوقات لمحمد بن عبد الله بن احمد بن عزوز المراكشي .

واما الكتب التي سجلت اسماءها ولم يتسع لي الوقت للاطلاع عليها فهي :

كتاب فضالة الاخوان ، فى طيبات الالوان ، لابي الحسن علي بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن ابي بكر ابن وزير التجيبي الاندلسي .

وكتاب ريحان الالباب وريعان الشباب ، لمحمد ابن ابراهيم بن خيرة بن المداعيني الاشبيلي .

والاربعون لابن طاهر السلفي .

وكتاب الجغرافية فى مساحة الارض وعجائب الاصقاع والبلدان .

وكتاب الموافقات .

وفى العدد التالي نتحدث ـ بحول الله ـ عما وقفت عليه من المخطوطات بالمدرسة العربية الاسبانية بمدريد ونشرع فى الحديث عن مخطوطات المكتبة الوطنية .

الرباط ـ محمد ابراهيم الكتاني

مـا اورد عليها ، وتلك صفحة من تاثيـر الكتـاب المغربـي فى الكتـاب الاندلسي .

4» نزهـة المشتـاق :

ومن مخطوطات الاكاديمية التاريخية الملكيـة بمدريد نسخة مغربيـة حديثة من « نزهة المشتاق » مبتورة الاول ، تقع فى 204 ورقـة .

5» مسالـك الابصـار :

ومنها الجزء الثالث عشر من « مسالك الابصار فى ممالك الامصـار » لابن فضل الله العمري ، بخط شرقي حديث ، فى 280 ورقـة ، ويشتمل على تراجم كثير من الادباء المغاربـة والاندلسيين .

6ـ7» ونسختان من السفر الخامس عشر من مسالك الابصار ، تقع احداهما فى 298 ورقـة ، بخط شرقي حديث وقد تكلم فى هذا الجزء علـى الاندلس وبر العدوة وجبال البربر ومملكة افريقية .

وهو يريد بمملكة جبال البربر بلاد ملوك ثلاثة ببلاد السودان بيض من البربر ، **واكبرهم سلطان اهيـر ، خاضع لابي الحسن المرينـي .**

8» ومنهـا **الفوائد المسطرة ، فى علم البيطرة ،** تاليف ابي الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيـل الفزاري . وهو فى 142 ورقـة بخط غليظ جيـد، وعليه تملك احمد بن علي بن ادريـس الحسنـي الجوطـي .

وقد الف ابن هذيل « الفوائد » بعد ما فـرغ من تاليف « تحفة الانفس » ورفعه لمقامه الكريـم ، فراى ان يشفعه بتاليف اخرى فى معاناة ادواء الخيل ... وفيـه مقدمة واربعـة اقسـام .

9» ومنها **الروضة الغناء** ، فى اصول الغنـاء ، يوجد منها مائة وثمان ورقات ، وتنقصها الورقـة الاولى كما انها مبتورة من الاخر ، بخط مغربي جميل واسع ملون ، وتشتمل على الاشعـار والموشحـات والازجـال التي يتغنـى بهـا .

10» ومنهـا **النصح التام للخاص والعـام ،** لابراهيم التازي ، وهي نصيحة فى خمسة واربعيـن بيتـا .

11» ومنها **رحلة الغساني** الى الاندلس ، بخط بعض الاوروبيين مـن غير تسميـة لا للكتـاب ولا للمؤلف ، وتقع فى 152 ورقـة .

12» ومنها السفر الاول من **فتوح افريقية** الـى بلاد ارض بارز « كذا » وهو مبتور الاول ، توجد منه 68 ورقة بكتابة قديمة تملا الورقة من اولها الى آخرها وهو كتاب قصص واساطير .

13ـ14ـ15» ومنها الاجـزاء الحادي عشر ، والثاني عشر والثالث عشر من **عقد الجمان ، فى تاريخ اهل الزمان** المعروف بتاريـخ العيـن الحنفي .

وتتضمن تاريخ 142 سنة ، ابتداء من سنـة 61 للهجرة وهي بخط شرقي حديث ، ومجلدة تجليدا رفيعـا .

16» ومنها كتاب **كنز العلوم ، ودر المنظـوم ،** فى حقائـق علـم الشريعة ، ودقائـق علم الطبيعـة، تصنيف الشيخ الاجل جمال الدين محمد بن علي بـن تومرت المغربي الاندلسي . ويقع فى مائة ورقة وورقة ، كتب سنـة الف وثلاثمائة من اصل كتب سنة 1096.

17» رحلة الدولجـي الى فرنسـا :

ومنها رحلة محمد افندي الدولجي المرسـل الى فرنسـا من قبل الدولة العثمانية فى رابـع ذي الحجة 1132 وقد استغرق ذهابه وايابه سنة كاملة .

تقع فى 17 ورقة من القالب الكبير ، ترجمها من التركية الى العربية ترجمان طائفة الافرنج المستامنين بمدينـة صيـدا .

18» ومنها 49 ورقة كثيرة اللحن والاخطاء ، تتضمن اتهام ملكة غرنادا «كذا»المسيحية بان لها صلة باحد الشبان المتنصرين ومحاكمتها من اجل ذلك .

19» وثائق ابـن مغيث :

ومنها الوثائق المستعملة وشرح فصولها وعيونها للفقيه الحافظ ابي جعفر احمد بن محمد بن مغيـث الطليطلي انتخبها من وثائق : يحيى بن يحيى ، وابـن حبيب ، وسحنون ، وابن مزين ، ومحمد بن لبابـة ، وقاسم بن محمد ، ويحيى بن ايوب ، وابراهيم بـن قاسم ، وابن هلال ، واحمد بن سعيد ابن الهنـدي ، ومحمد ابن احمد ابن العطـار ، والوتد ، وابن الملون ، وابن ابي زمنيـن ، والفضل بن ابي سلمة ، وابن عبد الغفـار وغيرهـم .

كتبت فى ربيـع الاول 538 وتقع فى 105 ورقة وبعض اوراقهـا حديـثة .

20» وتليها عدة اوراق مبتورة الاول والاخر فى صنعـة الفوالي والجعفريات والعنبر والمنعمة

ـ في مثل سن هذا السلطان ، أو يتجاوزه بقليـــــل ، وترعرع قرب قصر بني الاحمر ، ابان خدمة والده في ديوان الانشاء ، فتوثقت بينه وبين الملك صلات فتــوة وشباب ، وكان من الطبيعي أن يصل ابن الخطيب يومئذ الى مرتبة الوزارة ، فضلا وعلما وادبا ، ثم ثقة بعد كل هذا ، وكان لمهارته وذكائه وقع عظيم في نفس ابــــي الحجاج ، ففوضه في معظم شؤون الدولة ، من اختيار العمال والقضاة ، الى اصدار المراسيم ومكاتبة الولاة ، بل انابه عنه في ادارة دفة الحكم ، عندما قاد السلطان بنفسه الجيش الاندلسي في معركة طريف الشهيـــــرة (7 جمادى الاولى 741 هـ = 30 اكتوبر 1340 م) ، ورمى اليه بخاتمه وسيفه حتى يعود من الجهاد ، بالرغم من ان استاذ ابن الخطيب أبا الحسن بن الجياب كان على رأس ديوان الانشاء يومئذ . مما يعطينا صورة جلية عن ثقة السلطان البالغة بصاحبنا ، بعد أن رأى فيه عزم الشباب ، وحصافة الشيوخ .

وكان أن توفى ابن الجياب في وبـــاء الطاعـــــون الجارف (شوال 749 هـ = يناير 1349 م) ، فخلف ابن الخطيب أستاذه في الوزارة ، وتقلد ديوان الانشاء لابي الحجاج ، وكان قد ملك زمام اللغة نثرا وشعرا ، بفضل شيوخه من اعلام الاندلس ، وعلى رأسهم ابن الجياب هذا ، بالاضافة الى ثقافته الشخصية وتجاربه الذاتية والنفسية ، حتى ظهر اثر كل هذا في رسائله السلطانية واخوانياته ، والاولى منها تلك التي بعث بها على لسان كل من السلطان يوسف الاول وولده الغني بالله ، الى كل من ملوك المسلمين والنصارى المعاصرين ، والتي كانت محل اعجاب المؤرخ المعاصر ابن خلدون وتقديره ، نسماها بـــ « الغرائب » ، وقد جمع ابن الخطيــــب نفسه منها الكثير في كتابه الضخم « ريحانة الكتـــاب ، ونجعة المنتاب » ، كما أورد المقري عددا لابأس به منها في كتابه « نفح الطيب » ، هذا المؤلف الذي أوقـــف صاحبه الجانب الاعظم منه على ابن الخطيب ، بل قرن اسم الكتاب به ، فسماه « نفح الطيب ، من غصـــن الاندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابــــن الخطيب » .

هذا وحدث أن نفي ابن الخطيب مع سلطانه الغني بالله الى المغرب فاستقر في مدينة سلا قرب الرباط ، كما اشار الى ذلك في المقدمة ، وذلك لفترة دامت ثـــلاث سنيـــــين (760 — 763 هـ = 1358 — 1361 م) اقتنى خلالها الاموال والضياع . بيد انه لم ينقطع عـــن الدراسة والبحث والتاريخ ، فجاس خلال المغرب ، والتقى في مدنه بالعلماء ، وفي خاتمة مطافه هذا رجع الى سلا ، حيث رابط قربها بضاحية « شالة » الى جانب اضرحة بني مرين ، والف مجموعة من كتبه ، منها مؤلفه « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » الذي نحن بصدد تحقيقه ، والكتاب كما يبدو من تسميته قد اشتمل على تراث فكري سبق له يوم كان بالاندلس ، وانه بقية من البقايا الادبية التي حمل اشتاتها معه الى المغرب . بعد أن انتقل اليه بحكم ظروف خلع سلطانه الغني بالله كما اسلفنا . وقد لجأ الى هذه التسمية قصد التلميح للظروف السابقة والظروف اللاحقة ، في تعبير مسجوع مألوف ، كشأنه في معظم مؤلفاته ان لم يكن في مجموعها كلها .

ان هذا الكتاب « كناسة الدكان » ليست له سوى مخطوطة يتيمة بمكتبه الاسكوريال بمدريد تحت رقـــم 1712 من فهرس الغزيري ، وتقع في احدى وستين لوحة من الحجم المتوسط ، قد كتبت بخط اندلسي جميل اما النسخة الموجودة بدار الكتب بالقاهرة ، والمسجلة تحت رقم 19879 ز ، فهي نسخة مصورة بالفوتوستات عن الاصل المخطوط المحفوظ بمكتبة الاسكوريال بمدريد ، وقد نوه في فهرس الدار بذلك ، وهو الفهرس الخاص بالمخطوطات والمطبوع في عام 1380 هـ (1961 م) . بيد ان هذا لا يمنع القول بأن جزءا ليس باليسير من رسائل المخطوطة قد ثبت ذكره في مؤلف ابن الخطيب أيضـــا « ريحانة الكتاب » وقد اشار الناسخ الى ذلك أمام كل رسالة وفي بدايتها تلك العبارة (مثبوت في الريحانة) وقد دعانا هذا — بطبيعة الحال — للرجـــوع الـــى « الريحانة » ، ووقع الاختيار على ثلاث نسخ منهـــا ، توبل ما جاء بها من تلك الرسائل على ما ورد منهـــا بالكناسة ، فالفينا بعض الزيادات وأحيانا بعض النقص في كلا الجانبين ، وكانت النتيجة في النهاية لهذه المقابلات أن وصلنا الى صورة متكاملة في الجملة لمخطوطـــة الكناسة ، ونبهنا عند كل نقص أو زيادة الى ذلك اما هذه النسخ الثلاث للريحانة فهي :

1 — نسختان بدار الكتب بالقاهرة :

الاولى : يوجد منها الجزء الاول وبعض الجــــزء الاخير في مجلدين ، بخط مغربي ، وباثنائها ثقوب ونقص واضطراب . وهذان الجزآن مصوران بالفوتوستات عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة تونس ، ويقعان في 309 لوحة ، تحت رقم 19875 ز .

الثانية : بها نقص يسير من الخطبة : أولها بعد الديباجة ... وسميته لتنوع بساتينه المنسوقة ، وتعدد

وثائق تاريخية أندلسية

عقد زواج نصري من انشاء المؤرخ الوزير لسان الدين ابن الخطيب

تحقيق الدكتور محمد كمال شبانة
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

تقـــديـــم :

بعث الينا الاستاذ محمد كمال شبانة دكتوراه الدولة فى الآداب من جامعة غرناطة ، ومدرس التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة بتحقيق ودراسة لمخطوطة ((كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان)) الذي الفه لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد الخطيب السلماني ، بعد ان صحب السلطان الغني بالله منفيا الى بلاد المغرب ، واستقر به المقام بمدينة سلا ، حيث اقام فى هذا المنفى ثلاث سنوات، لم ينقطع خلالها عن الدرس والبحث ، بل جاب المغرب ، والتقى بالعلماء والشيوخ ...

((وكناسة الدكان ، بعد انتقال السكان)) نص بالغ الاهمية وعظيم القيمة ، اذ يعتبر مجموعة من الوثائق النادرة الفريدة فى تاريخ العلاقات بين المغرب والاندلس ، وبالذات حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة ، وفاس فى القرن الثامن الهجري ... وتمشيا مع المنهج العلمي والاعلامي ، عند نشر وثائق تاريخية او ادبيه حتى يتسنى للقارىء ان يقف على مضمون الوثائق فقد قدم للكتاب الدكتور محمد كمال شبانة بمقدمة ضافية ، كما حقق وثيقة عقد الزواج تحقيقا علميا جامعا ، وأثرى الهوامش بالكثير من الاضافات ، والالتفاتات .

ولنترك القارىء الكريم مع مقدمة الدكتور محمد كمال شبانة ...

تمهيـــــد

لا أحسب اننا بحاجة ملحة الى التعريف بالمؤرخ الاندلسي المغربي ابن الخطيب ، فقد تحدث عنه كثير من المشتغلين بتاريخ اسبانيا المسلمة ، وافاضوا فى الاحاطة بترجمة حياته ، كما فصلوا القول فى معظم مؤلفاته ، ولا سيما ما حقق منها وما نشر ، كالاجزاء الاولى من كتابه ((الاحاطة فى اخبار غرناطة)) ، ((اللمحة البدرية فى تاريخ الدولة النصرية)) ، القسم الاول من مؤلفه ((اعمال الاعلام ، فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام)) ، ((الكتيبة الكامنة ، فيمن لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة)) .

لذلك سنتناول هذه الشخصية فى هذه المناسبة فى اضيق الرسوم ، وبعبارة ادق سنعرض لفترة من فترات حياته السياسية ، تسنى له فيها أن يتقلد منصب رئاسة ديوان الكتابة مع الوزارة ، فكان الناطق الرسمي بغرناطة باسم كل من السلطان ابي الحجاج يوسف الاول النصري (733 — 755 هـ — 1333 — 1354 م) ، ثم لولده السلطان محمد الخامس الغني بالله ، والذي وزر له فى الفترة الاولى من توليه السلطة (755 — 760 = 1354 — 1359 م) .

كان لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني — عندما تولى السلطة يوسف الاول

تقـديـم :

لقد وردت هذه الوثيقة التاريخية بأول كتـاب
ـاسة الدكان ، بعد انتقال السكان » لمؤلفه المؤرخ
ير لسان الدين ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد)
7 — 776 = 1313 — 1375 » ، والذي توجد منه
ـة يتيمة مخطوطة فى مكتبة الاسكوريال بمدريـد
بانيا ، تحت رقم 1712 . وتقع فى ستين لوحة مـن
جم الكبير ، تشغل المقدمة نصف لوحة فقط . وبهذا
تكون اقصر مقدمة لكتاب الفه ابن الخطيب ، من بين
ـاته التي تربو على الستين ، حسبما أورد ذكرها
ـه فى مؤلفه الضخم « الاحاطة فى اخبار غرناطة » .
ي مقدمة « الكناسة » هذه وثيقة عقد زواج نصري
جراؤه فى قصر الحمراء بغرناطة ، بين السلطان ابي
ـاج يوسف الاول ابن الاحمر ، بصفته وكيلا ووليا
اخته ، وبين احد القواد العسكريين مـن ذوي
ابة . وتقع الوثيقة فى سبع لوحات من المخطوطـة
ـار اليها ، اي من اولها حتى اللوحة السابعة . اما
الكتاب وهو ثلاث وخمسون لوحة فهو عبارة عن
وعة من الرسائل السياسية التي دبجها ابن الخطيب
ـه كذلك ، على لسان السلطان ابي الحجاج المذكور ،
ل تلك الرسائل العلاقات السياسية التي كانـت
ـدة بين غرناطة وفاس، اوائل القرن السابع الهجري
ـصف القرن الرابع عشر الميلادي) .

وقد الف الوزير ابن الخطيب هذا الكتاب — ضمن
وعة اخرى من مؤلفاته — بمدينة سلا بالربـاط ،
ـ عندما كان منفيا بالمغرب مع سلطانه محمد الخامس
ي بالله بن السلطان ابي الحجاج يوسـف الاول ،
ة دامت ثلاث سنوات (760 — 763 هـ / 1358 —
1 م) ، عكف خلالها على التاليف ، بعيدا عـن
ـير السياسة فى الاندلس ، فقد طاب له العيـش ،
ـنقر به المقام ، فى ظل السلطان ابي سالم المرينـي
المغرب يومئذ .

هذا وتلقي وثيقة الزواج هذه — التي تحقق وتنشر
مرة — ضوءا على تاريخ بعض الملوك من بنـي الاحمر ، حيث نوه الوزير ابن الخطيب — منشـيء الوثيقة — فى تسلسل تاريخي — بجهودهم فى سبيـل تدعيم مملكة غرناطة ، تلك الدولة التي ولدت فى ظروف غير عادية ، بين اعاصير حروب الاسترداد الاسبانية فى الخارج ، وتيارات الطامعين فى عرشها من الداخل ، كما حقق لنا الكاتب فى هذه الوثيقة نسب ملوك بني نصر ، ووصل بنا لاصول شجرتهم ، الى الصحابي الجليـل المعروف « سعد بن عبادة الصامت » ، وهو بهذا يعتبر الجد الاعلى لهذه الاسرة النصرية ، والتي حكمت آخر ممالك المسلمين بالاندلس (غرناطة) قرابة مائتـين وخمسين عاما ، منذ عهد مؤسسها محمد الاول ابـن الاحمر ، والذي تربع على العرش فى ابريل 1238 م ، حتى سقوط المملكة فى يد الاسبان ، على يد ابي عبد الله محمد الاخير ، فى 2 يناير سنة 1492 م .

(الوثيقـة)

« ... (3 — ا) فمن ذلك صداق منعقد علـى (3 — ب) أخت السلطان الكبير المجاهد ابي الحجاج(1) — قدس الله روحه — لعريسه الرئيس ابي الحسن ، ابن ابي جعفر ، بن نصر .

نصه : « الحمد لله مانح اشتات الهبات ومسديها، وفاتح ابواب الآمال البعيدة المنال ومدنيها ، وجاعـل البركات الطاهرة منوطة باتباع اوامر هذه الشريعـة الطاهرة واجتناب نواهيها ، حمدا يصل المنن بالمنن ، ويربط المواهب بالمواهب ، الذي انشأ الانسان من نفس واحدة ، وجعل العالم علامة صفاتنا حدوثها بقدمـه شاهدة ، وجاد على الخلائق من نعمـاه وعواطـف رحماه بأفضل صلة واكرم عائدة ، وأوردهم من موارد لطفه كل عذب المشارب . هو الله الذي لا اله الا هـو عالم الغيب والشهادة (2) ، ومنهي عباده الى ما سبق فيهم من سابق الارادة ، وجاعلهم قسمين : فمنته الى الشقاء ومنته الى السعادة ، لا اعتراض على حكمـه الفصل وامره الغالب ، تقدس على لحاق الحـوادث والاغيار . وتعالى عن هواجس الخواطر وخطـرات

هو السلطان يوسف الاول ، ابن السلطان ابي الوليد اسماعيل ، بن فرج ، بن نصر . سابع ملوك بنـي الاحمر ، تولى ملك غرناطة فى 13 من ذي الحجة 733 هـ = 25 اغسطس سنة 1333 م ، وقتل بمسجد الحمراء اثناء ادائه سنة عيد الفطر من عام 755 هـ = 19 اكتوبر 1354 م . وقد وزر له ابن الخطيب ، ثم لابنه من بعده الغني بالله محمد الخامس .

اقتباسا من قوله تعالى : « هو الله الذي لا الاه الاهو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم » سورة الحشر ، آية 22 .

أفانينه المعشوقة ، بريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب ... الخ ، فى مجلدين كتبا بخط النسخ ، وقد نقلا عن الجزآين المخطوطين المقيدين بدار الكتب برقم 524 أدب ش ، ويقعان فى 460 / 650 صفحة ، ومسطرتهما 21 سطرا. وقد سجلا تحت رقم 13459 ز .

ب — نسخة الاسكوريال بمدريد ، والمسجلة تحت رقم 1835 فهرس الغزيري وهي نسخة جيدة للغاية ، قد كتبت بخط اندلسي باهت ، وتقع فى 281 لوحة كبيرة أعني 562 صفحة ، فى كل صفحة 27 سطرا ، وفى كل سطر 12 كلمة تقريبا ، قد ذكر فى نهايتها انها كتبت فى سنة 888 هـ . وهي عبارة عن مختارات من كتب ابن الخطيب ، ثم مجموعة كبرى من الرسائل عن السلاطين الذين وزر لهم بالاندلس والمغرب (ابو الحجاج — الغني بالله — ابو سالم المريني) .

والكناسة بعد هذا تنتظم اقساما ثلاثة : المقدمة ، وثيقة عقد زواج نصري ، رسائل سياسية .

فالاولى منها وهو المقدمة يشغل نصف لوحة فقط من المخطوطة ، وهي بهذا تكاد تكون اقصر مقدمة لكتاب من مؤلفات ابن الخطيب .

والثاني منها وهو وثيقة الزواج فتقع فى سبع لوحات وبعد المقدمة مباشرة ، وقد جرت رسوم هذه الوثينة فىقصر الحمراء بغرناطة، بين السلطان ابيالحجاج يوسف الاول ، بصفته وليا ووكيلا عن اخته ، وبين أحد القواد من ابناء الاسرة النصرية ، **وهو القائد الرئيس أبي الحسن بن أبي جعفر بن نصر** . وتلقي الوثيقة — فى عمومها — ضوءا على تاريخ بعض الملوك الاول من بني الاحمر ، فقد نوه ابن الخطيب فيها بجهود هؤلاء السلاطين ، عن خلال سلسلة تاريخ ارتقائهم لعرش غرناطة مشيدا بدفاعهم عن آخر ممالك المسلمين فى الاندلس . وفى اثناء هذه الاشادة بتاريخهم نراه يحقق لنا نسب الاسرة النصرية هذه ، حتى يصل بأصول شجرتهم الى جدهم الاول ، الصحابي الجليل « سعد ابن عبادة بن الصامت الخزرجي الانصاري » .

اما القسم الثالث والاخير مما تحتويه هذه المخطوطة فهو مجموعة من الرسائل السياسية تبلغ تنتان وعشرين رسالة دبجها ابن الخطيب بقلمه ، وكان قد بعث بها — على لسان سلطانه يوسف الاول — الى معاصريه السلطان أبي الحسن المريني ، وابنه من بعده أبي عنان فارس ، بن السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ملك المغرب. وهي رسائل تمثل — فى مجموعها — العلاقات الدبلوماسية التي كانت قائمة يومئذ بين مملكتي غرناطة وفاس (منتصف القرن الرابع عشر الميلادي) ، وهي علائق تتسم بالود والصفاء ، تبودلت خلالها الرسل والهدايا ، وتدفقت معها المعونات الحربية والمادية المغربية على الاندلس ، جريا على سنة الاسلاف الاقدمين من ملوك المرابطين والموحدين ، ولم يعكر صفو هذه العلاقات بين ابي الحجاج وبين ابي عنان مكدر ، اللهم الا مسألة الامير ابي الفضل المريني اخى ابى عنان ، والتي المحنا اليها فى مناسبتها من الرسائل الخاصة بها ، وعادت السماء بعدها صافية الاديم ، حتى قضى السلطان ابو الحجاج يوم عيد الفطر من عام 733 هـ .

كما تعتبر هذه الرسائل وثائق هامة للباحثين فى احداث تاريخ المغرب والاندلس ، لما تكشف عنه من حقائق تاريخية ذات أهمية بالغة .

هذا وقد وردت فى نهاية « كناسة الدكان » عبارة، اغلب الظن انها من وضع الناسخ وهي :

« الى هنا انتهى ما الفي من المبيضات التي كتب بها عن السلطان ابي الحجاج رحمه الله ، ما عدا الثابت فى السفر المسمى بالسلطانيات » .

ويهمنا من هذا ان نذكر ان جزءا كبيرا آخر من رسائل ابن الخطيب غير ما ورد فى « الكناسة » قد ذكر بمؤلفه « الريحانة » ، ولما كان المؤلف قد اعتاد تقسيم كتبه الى اسفار ، وأنه ذكر — أثناء ترجمته لحياته فى الاحاطة — ان كتابه ريحانة الكتاب يقع فى ثمانية اسفار، فقد وضح اذن ان احد هذه الاسفار قد خصصه برمته للرسائل السلطانية ، تبعا لما جاء مؤخرا بعبارة الناسخ للكناسة ، والتي اشرنا اليها .

اخيرا ، آمل ان أكون بهذا التحقيق لهذا الكتاب قد ساهمت بلبنة فى صرح المكتبة الاندلسية عامة ، وفى نشر ذخيرة من ذخائر ابن الخطيب خاصة . والله الموفق .

القاهرة : يولية 1965 **محمد كمال شبانة**

اتبع بتمييز الحق وتفريقه ، ليميز الله الخبيث من طيب (1) ، وما الاخابث كالاطايب . فصلوات الله وسلامه ، وتحيته واكرامه ، تستلم بشريف ترابه ، وتزاحم الوفود على بابه ، وتعرس ركائبها بين روضته الطاهرة ومحرابه ، وتحدو جنائبها أيدي الصبا والجنايب (2) ، صلاة نجدها زلفى فى الميعاد ، وقربى الى رب العباد ، وذخرا يوم قيام الاشهاد ، ووسيلة ننال بها من رضا الله أسنى الرغائب . والرضا عن آله واصحابه نجوم الاقتداء والائتمام ، وسيوف دين الاسلام ، السادة البررة قادة الاعلام ، أحلاس الخيل (3) ، ورهبان الليل، واسد الكتائب ، ما لهجت الالسن بترداد أنبائهم ، وتولعت بنشر ثنائهم ، وضربت الامثال بمآثر عليائهم ، ونظمت مفاخرهم نظم التوام العجائب .

ونستوهب من الله للمقام العلي المولوي السلطاني الكريم اليوسفي النصري سعدا ضافية حلله ، وعزا يساعد به الدين الحنيف امله ، وتمهيدا يتوفر بجميل صنع الله فيه جزله ، وغاية الاهية يدل حاضرها على الغائب . ولا زال نظره الجميل يعم الاقارب والاباعد ، وعطفه وشفقته يقدمان للخلق الموارد ، وخلاله الكريمة تفيد الامداح الشوارد ، والزمان يتحلى من حلاه ومآثر علاه (4 ــ ب) ما نفس من عقود الترايب

❋

اما بعد هذه المقدمة التي كرمت اختتاما وافتتاحا ، ووجدت فى ميدان الرضا والسعد وبلوغ الامل واحراز القصد مغدى ومراحا ، واوسعت العيون قرة والصدور انشراحا ، فان من المعلوم الذي لا يحتاج الى دليل ، والمسلم الذي لا يتطرق اليه بتعليل ، ولا يخاف على حكمه وارد نسخ ولا عارض تأويل ، فقد وضح منه كل سبيل ، وحل توأم الايمان فى قلب كل قبيل ، ما خول الله هذه الدولة النصرية (4) ، كتب بفضله نصر كتايبها ، وجعل محامدها قلايد تجعلها الايام فوق نحورها وترايبها ، من الكمال الذي وردت غير مدافعة حياضه والمجد الذي تفيأت ، أنقى رياضه ، والعدل الذي رفعت فوق العباد ظلاله ، والفضل الذي استشعرت شيمه وخلاله ، والجهاد الذي تلقت رايته بالاستحقاق ، وقامت بفرضه كفاية عمن دونها من ملوك الآفاق . وان الله سبحانه نصر الدين الحنيف بسلفها فى القديم ، ثم تداركه بخلفه غريبا فى هذا الاقليم (5) ، فضاء بنورهم جنح الليل البهيم ، واينع دوح العز فلا بالمصوح ولا بالهشيم (6) ، وتوارثوها صدرا عن صدر ، وهلالا عن بدر ، وولدا عن اب ، وارثة حق ونسب ، من كل ملك صادع بالحق ، مبرز فى حلبة السبق ، مراقب لله فى الخلق ، وهمام يجيل جياد النصر ، ويطلع شمس السعادة فى العصر، كلما أفل شهاب ثاقب (5 ــ ا)، طلع بدر افلاكه مفاخر ومناقب ، صانوا حلل العليا عن ابتذالها ، وحفظوا على الايام رونق جمالها ، وعالجوا الملة الحنيفية من اعتلالها .

وماذا عسى ان يبلغ القول وان اطرد ، او ينتهي المدح وان شرد ، فى ابناء صحابة الرسول وانصاره ؟ وسلالة سعد بن عبادة ، وزيره الذي لا يضاهى فى رفعة شأنه وعلو مقداره ، ووليه الذي أعلن باجلاله فى قومه الانصار واكباره ، وقال لهم لما اطل : قوموا لسيدكم تسجيلا لعقد افتخاره الى ان البس الله طوق هذه الخلافة النصرية اشرفها فى العشيرة جيدا ، واكرمها ابا وجدودا ، وجعل زمامها فى أولى الناس مقادتها ، واحقهم عند اجالة القداح بسهم سعادتها ، واطولهم باعا فى توفر الخلال التي تقتضيها ، والمحامد التي تختارها وترتضيها ، مولانا السلطان الكبير ، الشهير ، الخطيب، العادل ، الفاضل ، الماجد ، الكامل ، الاروع ، الباسل المجاهد ، الحافل ، الماضي الصفاح فى ذات الله والذوابل . هضبة الثبات اذا هفت من الروع الهضاب ، وسيف الله الماضي اذا لهمت السيوف العضاب .

---

(1) اقتباسا من قوله تعالى : « ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم ، أولئك هم الخاسرون » سورة الانفال ، آية 37

(2) الصبا : الريح تهب من مطلع الشمس . والجنوب : هي الريح القبلية ، كذا فى اللسان .

(3) احلاس الخيل : ج حلس ككتف : الشجاع ، والمراد : انهم قوم فوارس شجعان .

(4) هي آخر دولة للمسلمين بالاندلس ، وتعرف ايضا بدولة بني الاحمر ، تدحكمت مملكة غرناطة قرابة مائتين وخمسين عاما (635 ــ 897 هـ / 1238 ــ 1492 م) مؤسسها محمد الاول ابن الاحمر ، وآخر ملوكها ابو عبد الله محمد بن علي بن سعد بن محمد بن يوسف النصري .

(5) يقصد به « الاندلس » .

(6) المصوح : الجاف اليابس ، كذا فى القاموس .

الافكار ، وسع الاكوان ظاهرها وباطنها باللطف الخفي والجود المدرار ، فشملت نعمته الهامية السحائب . أوجد العيال ليعبدوه ، والزمهم أن ينزهوه ويمجدوه ، وعرفهم وجوده الضروري ولولاه ما عرفوه ولا وحدوه ، وخلقهم من بطون أمهاتهم خلقا من بعد خلق فى ظلمات الغياهب (1) . شرع لنا الاسلام سبيلا واضحا ، واطلع لنا من مراشده الباهرة نورا لائحا ، وبعث الينا نبيه الكريم رسولا أمينا هاديا ناصحا ، فعرفنا برسالته المستحيل من الجائز والمحظور من الواجب .

والحمد لله الذي تنزه فى عظمته ، وتوحد فى كبريائه ، وتعالى ملكه القديم وسلطانه ، الكريم فى أرضه وسمائه ، واحاط علما بأسباب كل أمر وأحواله ، وانبعاثه ومآله ، وابتدائه وانتهائه، وصور نوع الانسان بحكمته من الطين اللازب (2) ، نحمده سبحانه على ما اجزل من احسانه ، وخول من رفده . ونسبحه آناء الليل واطراف النهار ، « وان من شيء الا يسبح بحمده (3) » . ونعترف بان كل عارفة ، ونعمة واكفه ، ومنة تالدة وطارفة ، فانما هي من عنده . ونبرأ من المجادلة والمناصبة ، ونشكره — عز وجهه — على ما اسبغ من الانعام ، ونقر له بالوحدانية المنزهة عن الانتهاء والانصرام ، ونستزيده من مواهبه الفياضة وعوارفه الجسام ، وآلائه المحسبة للمآرب ، ونسأله ان يمدنا بالتوفيق والعصمة ، ويصل لنا أسباب العناية والنعمة ، وينور ابصارنا بنور هداه الذي يشفي من العمى ويذهب بالظلمة ، ويحملنا من رضاه على أوضح المذاهب .

ونشهد انه الله الذي لا الاه الا هو ، الغني عن الانداد ، المبرا عن الانفصال والاتصال والصاحبة والاولاد ، المنفرد بالقبض والبسط والامداد والايجاد ، المالك الذي (3 — ب) لا تغيض خزائنه على كثرة المسترفد والراغب . ونشهد أن محمدا النبي الكريم عليه عبده ورسوله الطيب العناصر ، ونبيه العميم المكارم العظيم المفاخر ، وامينه المحرز فضل الاول والآخر ، وصفيه الطاهر المناصب ، الكريم الضرائب . تخيره من اشرف القبائل محتدا ومنتسبا ، وآتاه من كل الفضائل سببا يتلو سببا ، واختار له البطون الطاهرة والاصلاب الفاخرة أما فأما وأبا فأبا ، واختصه بما اختصه من شرف الاخلاق وكرم المناسب . والبسه من المفاخر الرائقة الطرر والمحامد ، المتألقة الغرر أشرف الباس ، وآتاه من كمال الخصائص وخصائص الكمال كل مطرد القياس . وجعل امته التي كرمها باتباعه ، والاستبصار بنور شعاعه ، خير أمة اخرجت للناس (4) ، وملكها بعز دعوته مازوى (5) له من المشارق والمغارب ، فشرع — صلى الله عليه وسلم — النكاح ذريعة الى النما وحفظا للانساب ، ومألفة لمفترقات الاهواء وصلة لمتباعدات الاسباب ، ورفعا لما يهجس من الشك ويختلج من الارتياب ، وصونا لبيوت الشرف عن الاوشاب والشوائب (6) . وخطب عليه السلام وخطب اليه فى الاحياء ، وقبل الخطبة واصغى للدعاء ، وجدع بانحلال انف الغيرة والاباء ، وأمر بالتخير للنطف (7) ، والارتياد لعقائل الشرف ، تكريما للمناسب ، وتنزيها للمناصب ، فسعد باتباعه (4 — أ) ، كل سالك لطريقه ، وأوى الى جناب الله كل آو لحزبه المفلح وفريقه ، وباء المبتدع من

---

1) اقتباسا من قوله تعالى : « خلقكم من نفس واحدة ، ثم جعل منها زوجها ، وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج ، يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ، ذلكم الله ربكم ، له الملك ، لا الاه الا هو ، فانى تصرفون » . سورة الزمر آية 6 .
2) اقتباسا من قوله تعالى : « فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا ؟ انا خلقناهم من طين لازب » سورة الصافات ، آية 6 .
3) اقتباسا من قوله تعالى « تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، انه كان حليما غفورا » سورة الاسراء ، آية 44 .
4) اقتباسا من قوله تعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ، ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون ، واكثرهم الفاسقون » سورة آل عمران ، آية 11 .
5) زوى له : جمع له .
6) الاوشاب : الاوباش والاخلاط ، واحده وشب بكسر الواو ، والشوائب : الاقذار والادناس . كذا فى المحيط .
7) اقتباسا من الحديث النبوي الشريف : « تخيروا لنطفكم ، فان العرق دساس » رواه البخاري ومسلم .

وحشت من آفاقها استنزالا واستعطافا ، وسأل الله ان يديف لها من المقام اليوسفي مصاهرة تزيد مجده والمعالى اسعافا ، فوافقت دعوته من الله اجابة ، ووافقت رغبته فى خليفته اسعافا ، وما برح يستخير الله سبحانه ونعم المستخار ، وعائد الضراعة اليه والله يخلق ما يشاء ويختار (1) . وعرض على المقام المقتدى بالرسول ، الذي خطب اليه — صلوات الله وسلامه عليه — ما توجهت اليه آماله ، وتوسل بالقربى التي يتوسل بها امثاله ، فلما اتصلت رغبته وانثالت ، وتمادت وتوالت ، ورى بالسعادة زنده ، وخفق بالظافرة بنـــده ، ورأى مولانا — أيده الله ، واعز نصره واعلاه — أن وصل سببه وزكى حسبه ، واوضح فى الانعام عليه مذهبه ، واوجب له العقد السني ، والاملاك السني (7 — 1) فى أختـه الحرة ، الجليلة ، الطاهرة ، المعظمة ، السعيدة ، فلانة ابنة والده مولانا امير المسلمين ابي الوليد ، وصل الله لها عوائد اليمن والسعد ، وعرفها فى انتقالها أضعاف ما عرفته فى منشأ المجد ، ايجابا حالفته السعود ، وانجزت به للآمال الوعود ، واسس بنيانه على تقوى اللـه ورضوانه (2) الذي تؤسس عليه العقـود الدينيـة والعهود ، فعرف الرئيس الاجل — اعزه الله قدر هذه النعمة التي لا تقاس بالنعم الا ترفعت عن اجناسهـا وخرجت عن حكم قياسها ، وتلقاها بما يجب من الشكر الذي تقابل به جلائل النعم ، وتستزاد به عوارف الكرم.

وانعقد بينهما الاملاك السعيد على الحرة الجليلة المخطوبة المسماة ، على صداق اوجبت السنة تعييـن مقدمه وتاليه ، وبين نقده وكاليه (3) ، واجرى قبوله من المقام الكريم اليوسفي حرس الله اسباب معاليه ، فجرى رفده الذي يصله واحسانه الذي يواليه ، مبلغه بين نقد حاضر وكال مستأخر ، الفا دينار اثنان من الذهـب العين (4) وكذا وكذا (5) . على هذا انعقد النكاح ، وبه تم ، وبه كمل .

ولو كان هذا الصداق يوازي مقدارا ، او يكافى منصبا ملوكيا ونجارا ، لم يكن لهذا المنصب الرفيع فى عروض الدنيا ونقودها ، على اختلاف اقطارها وتباين حدودها ، ما يكافي قدرا (7 — ب) ويوفي مهرا . لكنها سنة الاسلام ، واقتفاء مذاهب الشرع الواضحة الاعلام، وسبيل العقود الشرعية فيما يخصها من الاحكام .

تزوجها بكلمة الله التي علت على جميع الكلم ، وعلى سنة سيدنا ومولانا محمد رسوله المبتعث للعرب والعجم ، الماحي بنور هداه اسداف الظلم ، وبما أخذه

---

1) اقتباسا من قوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة ، سبحان الله وتعالى عما يشركون » سورة القصص آية 68 .

2) اقتباسا من قوله تعالى : « افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أم من اسس بنيانه على شفا جرف هار ؟ فانهار به فى جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين » .

3) كاليه : المؤخر والمؤجل منه ، من : كلاء الدين يكلؤه كلؤا أي تأخر فهو كالىء بالهمز ، والاندلسيـون والمغاربة يسهلون الهمزة .

4) ذكر لسان الدين ابن الخطيب فى كتابه الاحاطة ان الدينار يومئذ كان فى الاقية منه ستة دنانير وثلثا دينار، وفى الدينار الواحد ثمن أوقية . قد نقش عليه فى شق منه « قل اللهم مالك الملك . بيدك الخير » ويستدير به قوله تعالى « الهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » ، وفى شق منه « الامير عبد الله يوسف أمير المسلمين أبو الحجاج . أيد الله امره « ويستدير به كذلك شعار هؤلاء الامراء النصريين (ولا غالب الا الله) .

ولقد كان هذا الدينار الذهبي المذكور يوازي خمسة وستين درهما فضيا مما كان سائدا منه يومئذ. ولما كان من العسير تحديد النسبة بين تلك النقود وبين عملاتنا المتداولة الآن ، فانه من الممكن ان نتخذ اساسا لتقديراتنا وزن الوحدة الذهبية للعملة الغرناطية والعلاقة بين هذه ووحدة العملة الفضية ، وعلى هذا يكون وزن الدينار الغرناطي الوافـي المعيار اثنين وعشرين قيراطا ، اي جرامين من الذهب على وجه التقريب .

راجع فى هذا : الاحاطة ج 1 ص 143 تحقيق « عنان » وكذا « وثائق غرناطية » نشر وتحقيـق المستشرق الدكتور سيكو دي لوثينا باريدس (مدريد 1380 هجرية / 1961) باشراف معهد الدراسات العربية بمدريد .

5 لم يعين ماهية هذه الملحقات من المهر .

الذي استهل بالطهارة يافعا وكهلا (1) ، وكان مذ كان لخلافة المسلمين اهلا ، المجاهد السعيد ، الشهيد أبي الوليد (2) ، بن مولانا الهمام الاخطر ، العلم الاشهر ، عنصر المجد اللباب . وبحر النوال الفياض العباب ، وطود الرياسة العالي الجناب ، وصارف (5 — ب) عنان الدولة الى أبنائه بالعزم الثاقب الشهاب ، والراي المصمى ثغرة الصواب ، ومستحقتها بالاكتساب والانتساب ، ومخلدها منهم في الاعقاب — ان شاء الله — واعقاب الاعقاب ، أبي سعيد فرج ، بن اسماعيل ، بن يوسف ، بن نصر ، المباهى من نضار الانتساب ، الرفيع بغير الزائف ولا البهرج ، المنتمي في ذؤابة كرام الخزرج، جدد الله عليه ملابس الرحمة ، وجزاه الله افضل ما جزى الصالحين من ملوك هذه الامة .

فلله من سنة احياها ، وسيرة عدل أطلع محياها، وسبيل بر اوضحها ، وحديث مجد عن سلفه من صحابة رسول الله اثبتها وصححها . وصير الله ملكه الى قرارة رضاه واختياره ، وخلاصة حبه من بين سائر بنيه وايثاره بدر اقماره وندرة نضاره ، وعنوان سعده وبركة داره . الذي اعلا عماد ملكه ورفعه ، وضم شمل المسلمين من بعده وجمعه ، وبنى على اساسه ، وانتج الكمال من مقدمات قياسه ، مولانا وعمدة ديننا ودنيانا ، الواحد المعدول بآلاف الملوك الصيد ، درة السلك وبيت القصيد. الجامع لما تفرق من محاسن الدهر ، كفى الخلافة الملى لها بالمهر (3) . ذي العزم الامضى ، والسعي الارضى ، والسياسة التي اقرت العيون الموهى والنفوس المرضى، الشهير الحلم والاناة في شرق المعمور وغربه ، الميمون النقيبة في سلمه وحربه ، المصنوع له في اعدائه عناية من ربه ، (6 — ا) أمير المؤمنين ابي الحجاج يوسف ، ابقاه الله وأيامه عن غرر السعد سافرة ، واتسامه من النصر والعضد وافرة ، وكتائبه ظاهرة ظافرة ، والحوادث عن مقامه شاردة نافرة .

فمن ذا له مجد كمجد هذه الدولة التي لها الفخر الحقيق ، والنسب الصريح العريق ، والسبب المتين الوثيق ، واقتدى بهذه الشجرة النصرية الشماء ، التي اصلها ثابت وفرعها في السماء ، فروعها من الاقارب والرؤساء ، فكانوا نجوما أمدتهم شمسها المنيرة بالسنا ، فلم يأل في الاهتداء بها والاقتدا ، فضلا منشور اللوا ، وعدلا مديد الافيا ، ومجدا كريم الانبا ، وجهادا قامعا للاعدا ، يقوم منهم الابناء في ذلك بحقوق الاباء ، ويتوارثون كابرا عن كابر مذخور ذلك العلا ، فاصبحوا صوارم جلادها ، وولاة بلادها ، وظهراء سلطانها ، وزين أوطانها ، حفظ الله عليهم من عز هذه الايالة (4) النصرية اليوسفية مادة سعدهم ، وعنصر مجدهم . وان من افضل من أنجبتهم هذه البيوت الرياسية من ابنائها ، وانبته من فروع عليائها ، الرئيس الكذا (علي) أبو فلان (أبو الحسن) ، ابن الرئيس الكذا (أبي الحسن) أبي فلان (جعفر) (5) . وصل الله سعده وحرس مجده . فانه نشأ والعفاف يظله ، والمجد ينهله ويعله (6) ، والطهارة تضفي عليه سابغ أذيالها ، والاصالة توردة عذب زلالها ، والسعادة (6 — ب) تأخذ بضبعه صعدا ، وتفسح له من بلوغ الآمال مدى لم يعلق بأثواب شبيبته ما يريبها ويشينها ، ولا تلبس بما ينافيه فضلها ودينها ، واسندت اليه الولاية فسلك فيها سيرة العدل ، وتحلى بحلى النزاهة والفضل ، وانه — أعزه الله تعالى — ترقت الى الغاية القصوى من الشرف الغر آماله ، وانفسح في التماس العز الاقعس مجاله ، وتشوقت نفسه الى احراز الوسيلة التي طمعت فيها الكواكب الزهر لتزحزحت عن مراكزها استلطافا ،

---

1) هكذا في الاصل وجدناها معطوفة بلا اسناد لفعل آخر غير « الاستهلال » المناسب لليفاعة دون الكهولة . فلعل هناك سقطا من الناسخ .
2) هو السلطان أبو الوليد اسماعيل النصري ، خامس ملوك بني الاحمر ، تولى السلطة في شوال 713 هـ ابريل 1313 م ، وقتل بيد ابن عمه محمد بن اسماعيل صاحب الجزيرة ، لاسباب شخصية ، في أواخر رجب 725 هـ / يونية 1325 م
3) لعله خطأ من الناسخ ، وصوابه « ذو » على الخبرية لمبتدا محذوف « هو » .
4) الايالة الدولة .
5) ذكر في المقدمة هذه الوثيقة ، وكذا في مقدمة مخطوطة القاضي النباهي « نزهة البصائر والابصار » بالاسكوريال رقم 1653 .
6) النهل : الشرب الاول ، العل : الشرب الثاني : والمراد : انه حاز المجد أولا وآخرا .

ملامح ودواوين في السيرة والمديح النبوي

للاستاذ محمد المنوني

مقـــدمـــــة :

كان من اثر نهضة الشعر فى العصر الموحدي ، ان شاع بالاندلس والمغرب العربي وضع انظام علمية مطولة ، وهكذا نظم الطبيب الاندلسي ابن الطفيل : «ارجوزة» فى الطب العام تشتمل على 7765 بيتا(1)، كما نظم ابن المناصف القرطبي الآتي الذكر : ارجوزته اللغوية الالفية المسماة بـ « المذهبة » فى الحلى والشيات ، وهي فى صفة خلق الانسان ، وذيلها « بارجوزة » الفية اخرى فى الخيل وخلقها(2) ، ثم نظم نفس المؤلف « الدرة السنية ، فى مقتضى المعالم السنية » فى شعر رجزي يزيد على 7.000 بيت (3) .

وهناك منظومات مطولة للكتب والمتون العلمية صدرت عن بعض ادباء هذه الحقبة ، حيث نظم يحيى بن معط الجزائري الزواوي كتاب « الجمهرة » لابن دريد ، وابتدا نظم الصحاح للجوهري فحالت وفاته دون اتمامه (4) ، وبعده جاء فتح بن موسى بن حماد الاندلسي الجزيري ثم القصري الآتي الذكر ، وقد قام بنظم المفصل للزمخشري واشارات ابن سينا (5) .

ثم كان من اثر ازدهار شعر المديح بالخصوص ، ان تميز أواخر العصر الموحدي بشيوع الامداح النبوية، وكان من سبب هذا — ايضا — الحالة النفسية التي صار اليها الغرب الاسلامي بعد سقوط قواعد الاندلس

---

1) محفوظة بخزانة القرويين تحت رقم 3158/40 ، واقرا عن التعريف بها جريدة « المكافح » ، السنة الثانية العدد 72 — الجمعة 27 رجب 1381 هـ / 5 يناير 1962 م .

2) من الارجوزتين نسخة جيدة تقع أول مجموع بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 25 . وجاء بعد ختامهما : كملت الارجوزتان ، اللتان عدد أبياتهما الفان ، فى صفة خلق الانسان ، ونعوت الحصان ، الفهما ... محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ بن محمد بن محمد بن اصبغ بن عيسى بن أصبغ الازدي المناصفي ، قاضي بلنسية ومرسية وعمليهما ، كان قبل الفهما عام 594 بداخل مدينة تونس ...

وبعد هذا توجد صورة سماع على الناظم من طرف أبي الوليد محمد بن الشيخ ... أحمد بن محمد بن محمد بن سابق سنة 609 .

ويوجد — ايضا — ما نصه : عدد أبواب الارجوزة الاولى فى خلق الانسان : احد عشر بابا ، وعدد فصولها عشرة ، وباب واحد مشترك مع فصل ، وعدد ابواب الارجوزة الثانية فى الخيل وخلقها: سبعة ، وعدد فصولها ستة .

وقد نشر نص الارجوزة الاولى : « المذهبة » ضمن التقويم الجزائري لسنة 1330 هـ / 1912 ، ص 73 — 122 .

3) انظر المنظومة رقم 1 .

4) بغية الوعاة للسيوطي ، وطبعة السعادة — ص 416 .

5) المصدر الاخير ص 372 .

الله عز وجل للزوجات على أزواجهن فى كتابه العزيز الذي أوضحه لاولى الالباب تصده ، من الامساك بالمعروف أو ما بعده (1) . فليعاملها بما يجب لمنصبها الكبير ، ومجدها الشهير ، من المكارمة المتكفلة باستخلاص الضمير ، وهي — وصل الله لها اسباب السعد ، وحرس مالها من رفيع الجد — تعامله بما يقتضيه حالها ، وتعرف له الدرجة التي لا ينكرها امثالها .

عقد عليهما هذا الاملاك السعيد وكيل المولى اخيها (2) ، وهو فلان بما بيده مقامه من التفويض العام، الذي من فصوله انكاح من يرجع الى نظره ، ايده الله بنسب او ملك او ولاء ، حسبما يعرفه شهوده . وهي بكر فى حجر المقام المولوي ، وتحت ولاية نظره العلي . وبعد تقدم الاستئمار ، واقتضاء الاذن من مقامها الرفيع المقدار ، وتحصيل ما يجب فى هذه الحال شرعا على حسب الاختيار .

والله نعالى يجعل هذا العقد المبارك اسعد عقد جادت البركات الهامية ارجاه ، (8 — 1) واجاب السعادة المعادة مداه ، وتبقى عليهما من عناية هذا المقام الكريم المولوي ما يحمدان اعادته وابتداه ، بفضل الله .

شهد على الرئيس الكذا (القائد ابو الحسن علي بن ابي الحسن علي بن ابي جعفر بن نصر) والوكيل (ابو الحجاج يوسف بن ابي الوليد اسماعيل بن نصر) بما فيه عنهما من اشهداه به ، وهما بحال كمال الاشهاد، فى الرابع والعشرين لصفر عام اثنين وخمسين وسبعمائة (سبتمبر 1350) .

القاهرة : حققه د . **محمد كمال شبانة**

---

1) يشير بهذا الى قوله تعالى : واذا طلقتم النساء فبلغهن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا، واذكروا نعمة الله عليكم ، وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة ، يعظكم به ، واتقوا الله ، واعلموا أن الله بكل شيء عليم « سورة البقرة آية 231 .

2) لعله « اخوها » على البدل من « وكيل » الفاعل المرفوع هو السلطان أبو الحجاج ، كما هو معلوم .

3 — مراثي الحسين واهل البيت :

وهذه الظاهرة ابتداها — في العصر المرابطي — ابن ابي الخصال (19) ، ثم اشتهر بها في اواسط العصر الموحدي صفوان بن ادريس التجيبي المرسي ، حيث انفرد — على حد تعبير الذيل والتكملة (20) — من تابين الحسين وبكاء اهل البيت بما ظهرت عليه بركته ، وفي هذه الفترة الموحدية الاخيرة كتب في هذا الصدد :

ا — ابو عمران موسى بن عيسى بن محمد بن اصبغ الازدي المهدوي القرطبي الاصل المعروف بابن المناصف نزيل مراكش والمتوفى بها عام 627 هـ ، له ارجوزة في قصة مقتل السبط الحسين ، نظمها باقتراح ابراهيم زكرياء الدرعي الكفيف (21) .

ب — ابن الابار سابق الذكر ، وقد وضع :

« معادن اللجين ، في مراثي الحسين » ، ويبدو انه بالغ في اجادته حيث يقول عنه الغبريني (22) : « ولو لم يكن له من التاليف الا الكتاب المسمى بكتاب اللجين في مراثي الحسين ، لكفاه في ارتفاع درجته، وعلو منصبه وسمو رتبته .. ، كما كتب نفس المؤلف في هذا الصدد « درر السمط ، في خبر السبط » (23) .

4 — معشرات وعشرينيات ووتريات

وهي قصائد تنتظم اقساما على حروف الهجاء : عشرات أو عشرين في كل قسم ، وتسمى معشرات وعشرينيات ، ثم جاء ابن رشيد البغدادي ونظم قصائد على حروف الهجاء ، من واحد وعشرين بيتا في كل قسم وتعرف قصائده في هذا المنزع بـ « الوترية في مدح خير البرية » (24) .

❋

وشيء آخر تبع ازدهار المديح الموحدي ، بما في ذلك هذه الابواب المستجدة في النبويات : حيث ابتدا ظهور مجموعات كبرى في المدائح النبوية ، وهي تهدف الى تدوين ما يقف عليه جامعها في الامداح النبوية عامة ، او في احد فروعها (25) ، وقد انتدب لتدوينها ادباء من الاندلس والمغرب في هذه الفترة وبعدها ، وكان الاهتمام بها في الغرب الاسلامي اكثر منه في الشرق .

كما تبع ذلك — ايضا — وضع انظام مطولة في السيرة النبوية في نفس الفترة ، وقد تبارى فيها — فيما بعد — شعراء مشارقة ومغاربة .

ومما نجع هذه الظاهرة — بفرعيها — حدوث الاحتفال بالمولد النبوي في الغرب الموحدي ، واعتناء ابي حفص المرتضى بشأنه وبالمؤلفات في هذا الصدد، قال في « البيان المغرب (26) » آخر ترجمة هذا الخليفة :

« ... وكان يقوم بليلة المولد خير قيام ، يفيض فيه الخير والانعام ، وكان اشار له بذلك أبو القاسم العزفي لانه لما الف كتابه « الدر المنظم . في مولد النبي المعظم (27) » ،بعث به اليه، واشار بذلك الراي عليه»

ثم ذكر بعض الكتب التي وضعها — برسم المرتضى — ابو محمد الحسن ابن القطان ، ومنها في السيرة النبوية :

---

(19) انظر فهرسة ابن خير ص 421 .
(20) بقية السفر الرابع ، ص 140 .
(21) « الذيل والتكملة » ، قطعة الغرباء ، مصورة خ . ع 1705 د — لوحة 67 .
(22) « عنوان الدراية » ص 185 — 186 ، وقد ورد — ايضا — ذكر هذا المجموع في الذيل والتكملة . وصورة خ . ع ، 2647 د — لوحة 467 ، ولا يزال غير معروف .
(23) غير معروف ، وقد وردت فصول منه في « نفح الطيب » ج 2 ص 601 — 604 .
(24) انظر « كشف الظنون » ط . الاستانة 1310 هـ — ج 2 ص 627 .
(25) جاء في « المدايح النبوية في الادب العربي » للدكتور زكي مبارك ص 17 : « واكثر المدايح النبوية قيل بعد وفاة الرسول ، وما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء ، ولكنه في الرسول يسمى مدحا » .
(26) مج 3 — خ . ع . ق 200 . ص 446 .
(27) «يقع مجلد مخطوط» خ . ع . ك والمكتبة الملكية رقم 816 ، والمكتبة الزيدانية بمكناس .

اختلال أمر الموحدين ، وقد جاء التلويح لهذه الحالة فى الرسالة الحجازية التي بعث بها الامير ابو زكرياء الحفصي الى الحضرة النبوية الكريمة ، حيث ورد فيها:
« وقد أوى كثير من بلاد الاسلام الى ذمة الصليب، ولم يأخذ اهلها من الراي والقناة بصليب (6) » .

وهكذا شاع فى هذه الفترة — بالاندلس والمغرب — ابواب جديدة فى المديح النبوي وما اليه ، وهي التي سنستعرض نماذج منها فيما يلي :

1 — رسائل وقصائد حجازية :

ومن الواضح ان هذه الموضوعات وجدت — فى الغرب الاسلامي — قبل هذه الفترة (7) ، وانما تتميز هذه بوفرة اكثر ، ومن الرسائل والاشعار الحجازية التي انشئت فى هذا الظرف بالذات :

ا — قصيدة ميمية للامير الموحدي ابي علي عمر بن عيسى بن الشيخ ابي حفص (8) .

ب — رسالة للامير ابي زكرياء الحفصي (9) .

ج — رسالة لابي عبد الله ابن الجنان المرسي (10) وهو من المبرزين فى هذا الصدد قال فى نفح الطيب (11) : « وكلامه فى النبويات — نظما ونثرا — جليل » .

د — قطعة شعرية لابي عبد الله ابن الابـــار القضاعي البلنسي (12) .

هـ — قصيدة دالية حافلة لجمال الدين ابي بكر مسدي (13) .

و — رسالة وقصائد حجازيات لابي الحســن الجياني (14) الآتي الذكر عند المنظومة رقم 4 .

ز — موشحات وقصائد فى الشوق الى المقام النبوي الكريم والمديح ، شعر ابي عبد الله محمد بن احمد الصباغ الجذامي (15) .

2 — فى النعال النبوية الشريفة :

ا — « نتيجة الحب الصميم» وزكاة المنثور والمنظوم اسم كراسة تحتوي على نظم ونثر فى مثال النعال النبوية الشريفة ، لابي الربيع سليمان الكلاعي (16) .

ب — قصيدة وقطعة لابن الابار ايضا (17) .

ج — « القطع المخمسة ، فى مدح النعال المقدسة لمحمد بن الفرج السبتي (18) .

---

6) انظر مرجع نص هذه الرسالة فى التعليق رقم 9 .

7) ممن كتبوا رسائل أو قصائد حجازية قبل الفترة المشار لها :
ا — ابن ابي الخصال : له رسالة الى الروضة الشريفة مشفوعة بثلاث مقطعات توسلية — تاريخ الادب الاندلسي : عصر الطوائف والمرابطــين للدكتور احسان عباس ، ص 170 .
ب — ابو العباس ابن العريف : له قصيدة فى هذا الصدد نقلها المقري عن كتابه : « مطالع الانوار ومنابع الاسرار » ، انظر « نفح الطيب » — المطبعة الازهرية ، ج 4 ص 474 .
ج — القاضي عياض : له رسالة واردة فى القسم المخطوط من ازهار الرياض » بعد روضة المنثور ، مع قطعة شعرية أثناء كتاب الشفا .
د — ابو بكر يحي بن بقي السلوي الواعظ : له قصيدة ، فى « زاد المسافر » ص 116 — 117 .

8) رحلة النجانـــي ، ص 363 — 365 .

9) ورد نصها فى « البيان المغرب » مج 3 — خ ٠ ع ، ق 200 ، ص 387 — 390 .

10) نفح الطيب ج 4 ، ص 436 — 437 .

11) ج 4 ص 440 .

12) « ازهار الرياض » ج 3 ص 225 .

13) وردت ضمن مرويات ابي القاسم التجيبي فى برنامجه حسب مصورة العلامة الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني عن نسخة الاسكوريال .

14) ورد نص الرسالة والقصائد فى « الذيل والتكملة » ، السفر الخامس ، القسم الاول ، ص 288 — 301.

15) وردت ضمن ديوانه المحفوظ بالمكتبة الملكية بالرباط ، رقم 109 ، فى نسخة عتيقة وفريدة ، وهناك غرر من موشحات هذا الديوان و[illegible]رها فى « ازهار الرياض » ج 2 ص 230 — 252 .

16) « الذيل والتكملة » — بقية السفر الرابع ، ص 86

17) « ازهار الرياض » ج 3 ص 224 — 225

18) أثبتها — مع قصائد ومقاطيع فى هذا الغـــرض لنفس الشاعر — فى « ازهار الرياض » ج 3 ص 225 — 261 .

اكثر ، كما هو الواقع بالنسبة للمنظومات الآتية التي حمل ارقام 5 ، 6 ، 10 ، 15 ، وغيرها .

وبهذه المناسبة انبه الى أن الدكتور فرانزروزنثال القسم الاول من كتاب « علم التاريخ عند المسلمين » (32) ، يذكر أنه « ضعف تيار التواريخ المنظومة في القرن الثالث عشر م ، ولم يستعد نشاطه قط » .

ولعل هذه المنظومات الكثيرة في السيرة التي سيستعرضها هذا البحث تخفف من هذا الحكم بالنسبة لاحد فروع التاريخ وهو السيرة النبوية .

كما انبه — مرة اخرى الى أن مؤرخي الاداب العربية لم يهتموا بمجموعات المديح النبوي ، بل اهمل ذكرها من كتبوا في هذا الموضوع بالذات مثل الدكتور زكي مبارك في كتابه « المدائح النبوية في الاداب العربي » والشيخ يوسف النبهاني في مدخل « المجموعة النبهانية في المدائح النبوية » ، وهو اهمال غريب .

*

والان سنصل الى الموضوع الذي سيقدم 23 منظومة ومجموعة ، ومن الواضح أن هذا العدد ليس الا قلا من كثر ، وبعضا من كل في هذا الميدان ، وفي خصوص المدائح النبوية يقول النبهاني في مقدمة « المجموعة النبهانية (33) » :

« اعلم أن مداح النبي صلى الله عليه وسلم في كل عصر ومصر كثيرون ، لا يحصيهم عد ، ولا يحيط بهم حد ، ولو جمعت مدائح اهل عصر واحد منهم لبلغت عدة مجلدات » .

وسيكون تقديم هذه الموضوعات حسب الترتيب التاريخي لاصحابها ، مع وصف ما وقفت عليه منها ، وبالله — سبحانه — التوفيق .

1 — المعلم الرابع من « الدرة السنية في مقتضى المعالم السنية »

وهي منظومة رجزية لابي عبد الله محمد بن عيسى ابن محمد بن اصبغ الازدي القرطبي المعروف بابن المناصف نزيل مراكش والمتوفى بها عام 620 هـ / 1223 م .

رتبها على اربعة اقسام سماها معالم : الاول في التعريفات ، الثاني في النكث الاصولية والادلة الشرعية، الثالث في الفروع الفقهية ، الرابع في السيرة النبوية والاعلام المحمدية ، ومجموع ابياتها يزيد على سبعة آلاف بيت .

ويهمنا منها المعلم الرابع الذي يتناول السيرة ، ويبتدىء من ص 279 ، الى ص 358 ، حسب نسخة مكتبة الجامع الكبير بمكناس التي تحمل رقم 404 ، ومطلعها :

الحمد لله الاه الحمد اهل الثناء وسناء المجد

واول معلم السيرة :

الحمد لله منبي الرسل وموضح الحق بهم والسبل

بالمنظومة 358 ص ، مسطرة 21 ، حجم صغير .
خطوط مغربية حسنة مختلفة يتخللها بياض يسير.
فرغ من نظمها — بقرطبة — في مستهل صفر عام 614 هـ .

من هذه الارجوزة نسخة اخرى خ . ع ضمن مجموع يحمل رقم ك 1075 ، من ص 1 الى ص 411 .
ورد ذكرها في « كشف الظنون » ج 1 ص 484 ، وتوجد ترجمة ناظمها ومراجعها في الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ج 3 ص 95 — 97 .

2 — منتهى السول في مدح الرسول

مدونة امداح نبوية ، جمعها أبو الحكم الحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ابن عذرة الانصاري الاوسي الاندلسي الخضراوي الذي كان بقيد الحياة عام 644 هـ/ 1246 — 1247 م .

يقع في 25 مجلدا أو اكثر ، وكان اول من ذكره وسمى مؤلفه هو التجاني في « رحلته » — ص 92 — دون أن يعين المجلد الذي نقل منه ، ثم ورد اسم المجموعة وصاحبها آخر « نفح الطيب » — ج 4 ص 453 — حيث وقف المقري على المجلد الخامس والعشرين ، واخيرا وقف أبو سالم العياشي بمكة المكرمة على السفر التاسع منه وقال عنه في رحلته ج 2 ص 256 :

---

(32) الترجمة العربية ص 253 .
(33) ج 1 ص 15 — 16 .

— « كتاب شفاء الغلل ، فى اخبار الانبياء والرسل» ويظهر انه نفس المخطوط الذي يحمل بالمكتبة الملكية رقم 671 ، وهو مبتور الطرفين (28) .

— « كتاب الاحكام لبيان آياته عليه السلام » ، منه نسختان ورد ذكرهما عند المنظومة رقم 3 .

— « كتاب المسموعات » : فيه قصائد متخيرات فيما يختص بالمولد الكريم ، وشهر رجب وشعبان ورمضان ، وهذا لا يزال غير معروف (29) .

ثم كان — أيضا — مما شجع وضع هذه المنظومات المطولة فى السيرة النبوية ، استحسان أوساط من المثقفين لفكرة نظم المسائل العلمية ، وقد سجل هذا ابن المناصف فى طالعة أرجوزته الدرة السنية الآتية الذكر رقم 1 ، وأيضا : فان بعض الموحدين كانوا يتقبلون هذه المنظومات ويستحسنونها ، قال فى الذيل والتكملة (30) فى ترجمة ابي الحسن علي بن محمد بن علي الاشبيلي :

« ورفع للرشيد من بني عبد المومن ارجوزة طويلة ع طريقة ابن سيدة فى « ما اسمك يا أخا العرب » ، تتبع منها ارجوزة ابن سيدة نحو الربع ، وارجوزة ضمنها اسماء خيل العرب والمشاهير من أهل الاسلام » ، يضاف لهذا ما جاء فى طالعة ترجيز كتاب الاحكام الآتي الذكر عند المنظومة رقم 3 ، حيث يسجل مرجزه انه بعد ما شرع فى هذا النظم عاقته بعض الموانع عن الاستمرار فيه ولما طولع بذاك المرتضى الموحدي استحسن عمله وشجعه على اتمامه (31) .

❋

وبعد هذا فان من مزايا هذه المنظومات المطولة فى السيرة ، أنها تقدم شبه قصائد قصصية ، وملاحم عربية ، بما تتوفر عليه من قصص السيرة المنظوم فى الوف تصل فى بعض الاحيان الى تسعة عشر الف بيت

---

28) يبتدىء الموجود منه أثناء بحث يذكر النبي عيسى والحواريين ، وعند نهاية هذا الموضوع يذكر الفصول والابواب التالية :

فصل فى فتنة ابليس للناس بسبب عيسى عليه السلام — فصل فى مكر اليهود به — فصل فى تلخيص ما اثبت فى هذا الباب من آياته وآيات أمه عليهما الصلاة والسلام — باب فى ذكر الرسل الثلاثة المعزز بهم اثنان بثالثهم — باب فى قصة أصحاب الكهف — باب فى ذكر النبي شمسون — باب ذكر النبي جرجيس — باب ذكر النبي جيعون — باب ذكر النبي خالد بن سنان — باب فى ذكر قوم انفرد صاحب القصص بأن زعم انهم أنبياء — باب ذكر انبياء مجهولي الاسماء سوى من سلف منهم وعددهم ثلاثة عشر نبيا — انبياء آخرون — باب فى ذكر الفترة — باب فى ذكر النبي الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم — فصل فى اسمائه — وبعد هذا ذكر بدون عناوين المواضيع الآتية : نسبه الشريف من جهة أبيه — والدته السيدة آمنة ونسبها — أمهاته من الرضاع — جداته — أخواله — وخالاته — أعمامه — عماته — ثم ذكر قصيدة مطولة فى نسبه الكريم ، وهي « معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب » لابن أبي الخصال، وقبل انتهاء هذه القصيدة تم الموجود من الكتاب .

وقد ذكر فيه — أول فصل اسمائه الشريفة — هذه الفقرة : « أما اسماؤه صلى الله عليه وسلم فقد ذكرنا منها فى « كتاب الاتمام ، لكتاب الاعلام ، فى ما له عليه الصلاة والسلام ، من الايات والاعلام » : مائة اسم وثلاثة اسماء » .

ومن هنا نستفيد ان مؤلف هذا الكتاب هو ابو محمد الحسن ابن القطان ، كما نستفيد من سياق الكتاب انه نفس « شفاء الغلل فى اخبار الانبياء والرسل».

عدد اوراق هذا المخطوط 98 ، مسطرة 17 ، مقياس 180/265 ، خط اندلسي جميل واضح عتيق مكتوب على ورق ضارب للحمرة .

29) هناك تأليف فى هذا الصدد لابن القطان أيضا ، وقد ورد ذكره فى « فهرسة الخزانة التيمورية » ج 2 ص 340 هكذا :

« البشائر والاعلام ، لسيات آيات النبي عليه افضل الصلاة والسلام » تأليف العلامة أبي علي الحسن علي « كذا » بن عبد الملك الرهوني المعروف بابن القطان المتوفى سنة ..... اوله : الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه ... »

30) السفر الخامس ، القسم الاول — ص 372 .

31) انظر « الخزانة العلمية بالمغرب » ص 13

بهذا المجلد 280 ورقة ، مسطرة 16 ، مقياس 210/27، خط شرقي مليح واضح « به تلاش » ، ال ناسخه فى آخره :

« نقلت هذه النسخة من الام بخط المصنف ... وقد ستخرت الله تعالى فى اختصاره اختصارا عجيبا ، ترتيبه ترتيبا غريبا ، ثم قال :

« هذا آخر الكتاب المعروف بـ « السول » فى ظم سيرة الرسول » ... فرغ من نسخها العبد ... هاشم ابن حمدان بن هاشم القرشي العثماني ، بمدينة سيوط، ى الساعة التاسعة من يوم الاربعاء ، الخامس والعشرين من ذي الحجة ، تمام شهور سنة ثلاث وستين وستمائة ، برسم الخزانة السعيدة ، المعمورة ، السيفية ، الشريفية ، الحسينية ، الزينبية » .

ورد ذكره فى « الاعلان » للسخاوي ، المنشور ضمن مجموعة « علم التاريخ عند المسلمين » ، ص 531 مع « كشف الظنون » ج 2 ص 39 .

وتوجد ترجمة الناظم فى « معجم المؤلفين » ج 8 ص 50 ، وفيه ذكر مراجع الترجمة واغفل ذكر « الذيل والتكملة » حيث يذكر ابو القاسم التجيبي فى تعليقه على على هذه الترجمة أن هذا الناظم مغربي من مدينة القصر انظر السفر الخامس ، القسم الثاني — ص 533 .

6 — الوصول الى السول ، فى نظم سيرة الرسول — « سيرة ابن هشام »

لم يعلم جامعه ، قال فى اوله : « اني وقفت على السيرة النبويه التي نظمها الامام الفاضل ، نجم الدين ، فتح بن موسى المغربي الشافعي الاندلسي ، المولود سنة 588 هـ ، المتوفى فى سنة 663هـ ، وضمنها احاديث نبوية ، واستشهادات لفظية ، فرأيت فى ذلك تطويلا ، فحذفت منثوره واحاديثه ، وذكرت منظومه خاصة » .

اوله : الحمد لله الذي هدانا لهذا ... — الموجود منه الجزء الاول ، ينتهي ما فيه الى أول صرف القبلة وما جرى من اليهود فى ذلك ، وعدد ابياته 8183 بيتا ، مخطوطة بقلم معتاد ، تم كتابة فى العشر الاواخر من شهر جمادى الآخرة سنة 716 هـ ، رقم 380 .

هذا ما جاء فى التعريف به فى « فهرسة الكتب العربية الموجودة فى دار الكتب المصرية » ج 5 ص 400 واصله فى « فهرسة الكتبخانة المصرية » ج 5 ص 174 ، ومنه يتضح ان هذه المنظومة مختصرة من الكتاب قبلها

وفى ترجمة الخضراوي مؤلف السول من أعلام الزركلي ومعجم المؤلفين نسبت منظومة الوصول اليه نفسه ، وهو سهو التبس فيه الاصل بالمختصر .

واورد بروكلمان المنظومتين — معا — على الصواب ، دون ان يذكر وجود منظومة السول ، حيث كان مجلد المكتبة الملكية لا يزال لم يعرف ، انظر « تاريخ الادب العربي » — الترجمة العربية ، ج 3 ص 14 .

7 — كتاب اللآلي المجموعة من باهر النظام وبارع الكلام فى صفة مثال نعل رسول الله عليه الصلاة والسلام

جامعه ابو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطابي القرطبي نزيل تونس والمتوفى بها عام 702 هـ / 1303 م .

وقف عليه ابو سالم ضمن سفر منتهى السول السابق الذكر ، وقال عنه فى رحلته ج 2 ص 256 :

« ومن جملة ما فى هذا السفر — وهو نحو النصف — « كتاب اللآلي المجموعة من باهر النظام وبارع الكلام فى صفة مثال نعل رسول الله عليه الصلاة والسلام » ، مما انتدب لجمعه رجاء نفعه : عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي ، وسبب جمعه — على ما قال — انه سئل منه نظم أبيات تكتب على النعل المشرفة ، فكتب فى ذلك قطعة ، وندب ادباء قطره الاندلسي لذلك فأجابوا ، وكتب من ذلك ما وصل اليه ، وجملة ما فيه من المقطعات ما ينيف على مائة وثلاثين بين صغيرة وكبيرة .

قلت : ولم يطلع على هذا التاليف شيخ مشايخنا الحافظ سيدي ابو العباس المقري — مع سعة حفظه ، وكثرة اطلاعه ، ومبالغته فى التنقير والتفتيش عما قيل فى النعل » .

لا ذكر لهذه المجموعة فى كشف الظنون وذيله . ولا فى ترجمة صاحبها التي توزعت بين المراجع التالية :

— رحلة العبدري .

— سبك المقال لعبد الواحد ابن الطواح نسخة المكتبة الملكية رقم 105 .

« رايت بمكة المشرفة ، سفرا فى القالب الكبير فى امداح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال كاتبه فى آخره : « كمل السفر التاسع من كتاب « منتهى السول من مدح الرسول » ، وذلك فى اوائل ربيع الاخر ، عام ثلاثة وسبعين وستمائة ، وكتب محمد بن ابي القاسم ابن احمد بن عبد الرحمن الانصاري » .

قلت : وهذا التاليف لم يقصد فيه جامعه جمع كلامه او كلام مخصوص ، بل ما انتهى اليه عمله من الامداح النبوية وما شاكلها ، والله اعلم كم بقي لتمام الكتاب ... » .

وردت ترجمة المؤلف ومراجعها فى «معجم المؤلفين» ج 3 ص 235 ، وهي خالية من اسم هذا الديوان الذي ورد ذكره فى « ايضاح المكنون . فى الذيل على كشف الظنون » مج 2 ص 573 ، وفى « بغية الوعاة » — ص 223 — ان المؤلف كان على قيد الحياة عام 644 هـ .

3 — نظم الدرر بآي احمد اجل البشر

لابي علي حسن الرهوني الذي كان بقيد الحياة اوائل عام 661 هـ / 1263 م حسب « الخزانة العلمية بالمغرب » ص 13 ، وهي ارجوزة مطولة « تبلغ — تقريبا — 6300 بيت ، نظم فيها « كتاب الاحكام من آي خيرة الانام » لابي محمد حسن بن علي بن محمد الحميري الكتامي ثم الفاسي نزيل مراكش والمعاصر للناظم .

رتبها على سبعة اقسام ، وفرغ من نظمها فى اخريات صفر عام 661 هـ .

منها نسخة فى خزانة القرويين فى مجلد ضخم يحمل رقم 291 ، وهو مكتوب لخزانة المرتضى الموحدي الذي انشيء النظم برسمه ، ورفعه له مؤلفه ليوم المولد النبوي عام 661 هـ .

اما كتاب الاحكام المرجز فى هذه المنظومة فهو محفوظ بنفس الخزانة تحت رقم 292 ، ومنه نسخة اخرى فى دار الكتب المصرية تحمل رقم 316 ، وقد ورد ذكرها فى فهرسة الدار — ج 1 ص 84 — هكذا :

« الاحكام ، لسياق ما لسيدنا محمد عليه السلام، من الايات البينات ، والمعجزات الباهرات ، والاعلام » تأليف الحافظ ابي علي الحسن بن علي بن عبد الملك الرهوني المعروف بابن القطان » .

وان وصف الحسن ابن القطان بالرهوني فى فهرسة دار الكتب ، يرجح ان الحسن الرهوني المنسوب له الارجوزة هو ابن القطان نفس مؤلف كتاب الاحكام ويبين ان مؤلف الاصل ومرجزه شخص واحد ، وقد يؤيد هذا ان طالعة النظم لا تهتم بتسمية كتاب الاحكام المنظوم ، حيث ان المؤلف والناظم واحد ، ولو كان غير الناظم لكان حريا بأن يذكره الى جانب اسم الكتاب وانظر التعليق الوارد فى المقدمة رقم 29 .

وورد ذكر نظم الدرر فى « الخزانة العلمية بالمغرب » ص 13 — 14 ، وبقي ذكره على كشف الظنون وذيله .

4 — ترجيز كتاب الاحكام لابن القطان (مرة ثانية)

لابي الحسن علي بن محمد بن حسن الانصاري الاشبيلي الجياني الاصل نزيل مراكش المعروف بابي الحسن الجياني والمتوفى بتامطريت من نظر مراكش ثالث عيد الاضحى عام 663 هـ / 1265 م .

قال فى ترجمته من « الذيل والتكملة » : « ورجز الاحكام فى معجزات النبي عليه الصلاة والسلام ، تأليف شيخنا ابي محمد حسن ابن القطان ترجيزا حسنا مستوعب الاغراض » ، السفر الخامس ، القسم الاول ص 288 — تحقيق الدكتور احسان عباس .

لا ذكر له فى كشف الظنون وذيله .

5 — السول فى نظم سيرة الرسول

لنجم الدين ابي البركات فتح بن موسى بن حماد الاندلسي الخضراوي ثم القصري « نسبة الى مدينة القصر بالمغرب الاقصى » المتوفى عام 663 هـ / 1264م

نظم فيه السيرة لابن هشام فى قصيدة ميمية من بحر الطويل ، وخلل فصولها بشروح منثورة يوضح فيها النظم ، ثم ياتي بنص السيرة المنظوم فيذكر منه بدايته ونهايته ، وبعد هذا يعقب بالزيادات والافادات .

يقع فى خمس مجلدات ، يوجد منها المجلد الاخير — الذي هو الخامس — فى المكتبة الملكية بالرباط رقم 1668 ، وأوله — بعد مدخل وجيز — الباب الخامس والثلاثون فى مسير خالد بن الوليد الى جذيمة بن كنانة وما جرى له معهم ، وارساله الى هدم العزى ، وينتهي عند نهاية الباب الاخير من الكتاب الذي عنوانه : الباب السادس والاربعون فى ابتداء شكوى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبهذا تكون هذه المنظومة تشتمل على 46 بابا ، وفى كل باب فصول .

نظم فيه السيرة لابن سيد الناس في بضعة عشر الـ، بيت مع زيادات .

منها مجلد في خزانة الشيخ حسن حسني عبد الوهاب بتونس ، ويوجد الجزءان الاول والاخر في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، اما الثاني منها فهو في الخزانة العامة بالرباط ، رقم ق 44 ، واوله :

ذكر ما كان بعد غزوة بدر في بقية العام الثاني من الهجرة النبوية ، على صاحبها افضل الصلاة والسلام : من ذلك سرية عمير بن عدي الانصاري لقتل عصماء بنت مروان ، وسرية سالم بن عمير لقتل ابي عفك اليهودي .

ذكر امور بعد مرجع الرسول
من بدر في ذا العام تاتي في فصول .

وفي آخر هذا المجلد : كمل الجزء الثاني من « الفتح القريب في سيرة الحبيب » ... يتلوه — بعد السملة الشريفة — كتابه صلى الله عليه وسلم الى المقوقس .

555 ص ، مسطرة 17 ، مقياس 190/280 .

خط شرقي مستحسن خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ .

ورد ذكره في الاعلان للسخاوي المنشور ضمن مجموعة « علم التاريخ عند المسلمين » ص 531 ، وفي « كشف الظنون ج 2 ص 39 ، 173 ، وتوجد ترجمة المؤلف ومراجعها في الاعلام » للزركلي ج 6 ص 190 ، مع ج 10 ص 183 .

11 — نوادر النظام . في شرف سيد الانام

لابي عبد الله محمد بن القاسم ابن داود السلوي الذي كان بقيد الحياة اواخر عام 812 هـ / 1410 م .

وهو مجموعة امداح نبوية نظمها على اعاريض مختلفة ، ووزعها على مائة قصيدة وقصيدة ، سمى كل واحدة منها نادرة ، تقارب ابياتها ثلاثة آلاف .

اولها : الحمد لله الذي بدأ سر الرسالة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجعله لكنهها ختام ، الى ان يقول :

وبعد : فاني لما تملكني في الجناب النبوي شامخ الغرام ، وتعبدني الشغف في محاسنه المفردة واسترقني الهيام ، استسقيت من سحائب منته الشامخ بواسطة امداحه الشريفة صيب الغمام ، واستوعبت من طرف المقال في ثنائه الفاخر اعذب الكلام ، وسميت ذلك بـ « نوادر النظام ، في شرف سيد الانام » . ويشتمل على مائة نادرة ونادرة ، كلها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم متظافرة ، ورفعته للذي ابرا بلمسه السقام ، وابرد من حياضه الاوام ، اذ منه — سبحانه — اسال عونا بانجاده التزام ، لا رب غيره ولا خير الا خيره المستدام . ومطلع النادرة الاولى :

نور الوجود وسر معنى الجود
لاحا لاجل محمد المحمود

منه نسخة فريدة في الخزانة العامة بالرباط رقم ك 360 بها 185 ص ، مسطرة 17 مقياس 210/270 .

خط مغربي يميل للاندلسي حسن واضح سريع ملون خال من اسم الناسخ .

وجاء في آخر هذه النسخة : « انتهت النوادر في ذكر مفاخر النبي الطاهر . والحمد لله اولا وآخر . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد العاقب الحاشر . وعلى آله وصحبه وسلم تسليما . وذلك في اواسط شوال عام اثنى عشر وثماني مائة . عرفنا الله تعالى خيره » .

لا ذكر له في كشف الظنون وذيله . ولا نعرف ترجمة لناظمه ، وانما نوجد له آثار اخرى مخطوطة وهي :

1 — « المقاصد المرشدة والمآخذ المسعدة » في صيغ صلوات نبوية . منها نسختان بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 2955 و 3016 .

2 — حرز الانعام « نظم » ح . ع د 2792 .

3 — طائفة من اشعاره ضمن مجموعه امداح نبويه — المكتبة الملكية رقم 1586 .

4 — « ملابس الانوار . ومظاهر الاسرار » في التصوف — يوجد الجزء الثاني منه في خزانه القرويين رقم 700 .

والظاهر ان هذا ولد القاسم ابن داود . وهذا الذي يذكره ابن الخطيب في الريحانة والنفاضة ويحيله

— ملء العيبة لابن رشيد ، وصورة معهد مولاي الحسن بتطوان — الجزء الثاني .

— برنامج الوادي آشي نسخة ماخوذة عن مخطوط الاسكوريال .

— الديباج المذهب لابن فرحون . ط . القاهرة عام 1351 هـ — ص 143 — 144 .

8 — نظم الدرر ، في مدح سيد البشر ، والورد المعين ، في مولد سيد الخلق اجمعين

لابي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن يوسف « ابن العطار » الجزائري: « جزائر افريقية الشمالية » الذي كان على قيد الحياة اواخر عام 707 هـ / 1307 م .

وليس هذا — حسب نفح الطيب — بابن العطار المشرقي الذي كان معاصرا لابن حجة الحموي ، فان ذلك متاخر عن هذا ، وهذا مغربي وذاك مشرقي .

وان المقري هو الوحيد الذي حدثنا عن هذا الديوان آخر نفح الطيب — ج 4 ص 464 — 474 — حيث اقتبس منه قصائد نبوية ، ووصفه بانه كتاب نفيس ، جمع فيه صاحبه بين حسن النظام والنثر ، وهكذا نستفيد ان هذا الديوان ليس كله شعرا .

وقد اثبت المقري كلمة الديوان الختامية التي جاء فيها :

« قال محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن يوسف ابن العطار ، نفعه الله تعالى بالعلم: كان الفراغ من اكمال هذا الفصل واتمامه ، حسب نثره ونظامه ، ضحوة يوم الجمعة الثاني من شعبان المكرم، سنة ست وتسعين وستمائة ، ما عدا اربع قصائد اشتمل عليها فانها تقدمت على انشائه أودعتها فيه ، والله — سبحانه — المستعان ، وذلك بمدينة الجزائر : جزائر بني فرغنة ، من اقصى افريقية من ارض متيجة ، صانها الله تعالى » . ومما يدل لقيمة هذا الديوان ، ومؤلفه السماعان المكتوبان على اول النسخة التي وقف عليها المقري ، وهو يقدمها ، ويقول :

ووجدت على ظهر أول ورقة من بعد تسميته السابقة ما صورته :

« مما انشا الشيخ ، الفقيه ، القاضي ، العدل ، الاديب ، البارع ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف العطار ، رواية العبد الفقير الى الله تعالى : محمد بن احمد بن الامين الاقتشهري ، قرات هذا الكتاب وقصائده على حروف المعجم وقصيدتين غيرها : على ناظمها القاضي المذكور ، قراءة ضبط وتصحيح ، ورواية مقابلة بأصله ، بموضع الحكم بمدينة الجزائر من اقصى افريقية حرست ، فى دول متفرقة ، وآخرها يوم الثلاثاء ، لليلة بقيت من ذي القعدة اواخر عام سبع وسبعمائة » .

قال المقري : ورايت اثر ما تقدم بخط الاقتشهري ما صورته : « سمع من لفظي جميع « نظم الدرر ، فى نسب سيد البشر » لجامعه القاضي المذكور اعلاه : القاضي شمس الدين محمد بن المرحوم عبد المنعم الشيبي ، وولده ابو محمد عبد الدائم ، وابن اخيه ابو محمد عبد الباقي بن تاج الدين بن حفص بن ابي بكر البوري ، « كذا » وغيرهم ، نحو سماعي قراءة مني على مؤلفه ابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن ابي بكر العطار ، سنة سبع وسبعمائة ، قاله راسمه الاقتشهري » .

هذا نص تلك الوجادة التي تقدم — ايضا — بعض معلومات عن المؤلف وديوانه نظم الدرر ، فتذكر ان الديوان من انشاء ابن العطار الذي رتب اغلب قصائده على حروف المعجم وتحدد موطنه ووظيفته وتاريخ السماع الذي كان أواخر عام 707 هـ .

ورد ذكر « نظم الدر » فى « ايضاح المكنون » مج 2 ص 658 ، وتوجد ترجمة جامعة ابن العطار فى « معجم المؤلفين » ج 10 ص 237 — 238 ، دون ان يذكر فى مراجعه « نفح الطيب » .

أما الاقتشهري فتوجد ترجمته فى نفس « معجم المؤلفين » ج 8 ص 235 .

9 — مجموعة قصائد نبوية

دونها امير علي بن امير حاجب والي مصر ، واحد امراء العشرات ، المتوفى عام 749 هـ / 1348 — 1349 م .

ذكر عنه المقريزي : انه عني بجمع القصائد النبوية ، حتى كمل عنده منها خمسة وسبعون مجلدا .

« السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الثاني من القسم الثاني ، ص 470 » .

10 — الفتح القريب فى سيرة الحبيب

لفتح الدين محمد بن ابراهيم بن محمد النابلسي الاصل ، ثم الدمشقي الشافعي ، المعروف بابن شهيد والمتوفى عام 793 هـ / 1391 م .

به 580 ص ، مسطرة 19 ، مقياس 190/280 ، خط شرقي جميل ملون ومجدول بالحمرة ، وخال من تاريخ النسخ واسم الناسخ .

يقع في هذا المجلد ـ اسفل ص 234 ، 235 تقطيع في موضع الكتابة ، وفي آخر المقالة 21 يوجد بياض قد يكون ترك لترسم فيه النعال النبوية التي تناولها هذه المقالة .

المجلد الثاني يحمل رقم ق 730 ، ويبتدىء حيث وقف المجلد الاول : من اول المقالة 37 ، حتى آخر المقالة 72 ، حيث تنتهي القصيدة عند ص 442 ، ثم تذيل بقصيدتين على روي المقالات ووزنها ، مع التصريح آخر القصيدة الاولى باسم صاحبها ، وهو نفس ناظم المقالات السنية .

مسطرة 19 ، مقياس 205/290 ، خط شرقي مليح ملون بالحمرة ، خال من تاريخ النسخ وذكر الناسخ ومغاير لخط المجلد الاول .

في آخر القصيدة ادرج الناظم عدد ابياتها: 19000 ثم رمز لتاريخ البداية فيها : عام 1023 هـ ، وتاريخ الفراغ منها : عام 1029 هـ .

ورد ذكرها في « كشف الظنون » ج 2 ص 493 ، ويذكر علامة مغربي كبير: انه راى في مكتبة باريز المجلد الاول منها ، وهو ينتهي الى المقالة 37 .

لم اقف على ترجمة الناظم في المراجع التي امكنني الوصول لها .

وبعد : فهذه عناوين المقالات 72 كما وردت في القصيدة ، مع تصرف يسير :

المقالة الاولى : في الغزل .

المقالة الثانية : في حسن المخلص لمدحه عليه الصلاة والسلام .

المقالة الثالثة : في ذكر عنصره الشريف وتنقله في الاصلاب الطاهرة من آبائه ، واسمائهم الفاخرة .

المقالة الرابعة : في ذكر حمله المنيف ، ومولده الشريف ، وما راته آمنة الكريمة ، من الايات الكريمة .

المقالة الخامسة : في ذكر رضاعه في بني سعد ، وما نالهم به من الخير والسعد ، وما حازت ظئره حليمة من المجد ، وعوده لامه ، ومنشاه في كفالة عمه ، وبعض ما شوهد له من الاي الخوارق الى بلوغه الاربعين ، وبعثه لكافة الخلائق .

المقالة السادسة : في بدء الوحي والسابقين الى الاسلام ، ومن كان اشد ايذاء له عليه الصلاة والسلام، واصحاب الهجرتين الى النجاشي الكرام، وامر الصحيفة وحصر بني هاشم بالشعب ثلاث سنين، ووفاة ابي طالب وخديجة أم المومنين ، واصحاب البيعات بالعقبة ومهاجري قبة الاسلام ، وبعض فضائل بلد الله الحرام والبيت الشريف وزمزم والمقام ، وما كابده من عشيرته ، من حين بعثه الله لوقت هجرته .

المقالة السابعة : في ذكر هجرته للمدينة المنورة ، وذكر بعض فضائلها المشتهرة .

المقالة الثامنة : في الامور الكائنة في السنة الاولى من هجرته صلى الله عليه وسلم للمدينة الحصينة .

المقالة التاسعة : في الامور الكائنة في السنة الثانية من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة العاشرة : في الامور الكائنة في السنة الثالثة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة الحادية عشر : في الامور الكائنة في السنة الرابعة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة الثانية عشر : في الامور الكائنة في السنة الخامسة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة الثالثة عشر : في الامور الكائنة في السنة السادسة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة الرابعة عشر : في الامور الكائنة في السنة السابعة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة الخامسة عشر : في الامور الكائنة في السنة الثامنة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة السادسة عشر : في الامور الكائنة في السنة التاسعة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة السابعة عشر : في الامور الكائنة في السنة العاشرة من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة الثامنة عشر : في الامور الكائنة في السنة الحادية عشر من هجرته صلى الله عليه وسلم .

المقالة التاسعة عشر : في ذكر بعض صفة جسده الشريف ، واسماء من كانت صفات جسومهم تقترب من صفة جسمه اللطيف .

بالحكيم ، وفى فهرسة السراج ورد ذكره اثناء ترجمة الرعيني هكذا :

ابو القاسم القاسم بن احمد بن القاسم بن محمد ابن داود ، كما عقد له ترجمة صغيرة ، ثم وردت وفاته مؤرخة بعام 800 هـ عند ابن القاضي فى لفط الفرائد ودرة الحجال رقم 1326 .

12 — نظم عيون الاثر ، فى فنون المغازي والشمائل والسير « لابن سيد الناس »

نظمها شمس الدين محمد بن زين بن محمد الطنتراني الاصل ، النحراوي ، الشافعي ، المعروف بابن الزين ، والمتوفى عام 845 هـ / 1341 م .

نسبة له فى « كشف الظنون » ج 2 ص 142 ،

وتوجد ترجمة الناظم ومراجعها فى « معجم المؤلفين » ج 10 ص 14 ، دون ان يذكر له هذا النظم .

13 — منحة واهب الهبات البهية والصلات الفاخرة فى مدحة صاحب الايات السنية والمعجزات الباهرة .

نسبها فى « ايضاح المكنون » للشهاب الحجازي : ابي الطيب احمد بن محمد بن على الانصاري الخزرجي المصرى المتوفى عام 875 هـ / 1471 م .

وهي قصيدة همزية مطولة من بحر الكامل ، فى المديح النبوي والسيرة .

يقع فى النسخة المعنية بالامر بتر فى الاخر ، مع بتر يسير فى اولها الذى يبتدىء بمقدمة « ص 1 — 13 » وفيها يذكر الناظم انه سبق له ان قام بتسبيع « الكواكب الدرية » للبوصيري ، ثم احب ان يشفعه بوضع همزية فى المديح النبوي ، فنظم هذه القصيدة ، وهي تبتدىء من ص 14 حتى ص 492 ، وتشتمل على اكثر من 5000 بيت ، حسب الموجود من النسخة الاتية الذكر ، ومطلع الهمزية :

شق الصباح غلالة الظلماء
وانحل عقد كواكب الجوزاء

توجد نسخة الهمزية المشار لها فى ح . ع ك 2173 فى 492 ص ، مسطرة 11 ، مقياس 145/205 ، خط شرقي حسن واضح ملون .

ذكرها فى « ايضاح المكنون » — على انها موجودة فى الزيتونة — ج 2 ص 579 مع ج 1 ص 511 ، وتوجد ترجمة صاحبها فى « الاعلام » للزركلي ج 1 ص 219 - 220 .

14 — درر الغائص فى بحر المعجزات والخصائص

وهي قصيدة رائية تتضمن نظم كتاب «الخصائص» للسيوطي — نظم الاديبة الصالحة أم عبد الوهاب عائشة بنت يوسف بن احمد بن ناصر الباعونية الدمشقية الشافعية المتوفاة عام 992 هـ / 1516 م .

ورد ذكر هذه المنظومة فى « فهرسة الكتب العربيه الموجودة فى دار الكتب المصرية » ج 1 ص 115 — رقم 558 .

والغالب أن المنظوم هو الخصائص الكبرى للسيوطي ، حيث ان هذه هي التي تحمل هذا الاسم خاصة ، اما مختصرها لنفس المؤلف فاسمه : « انموذج اللبيب ، فى خصائص الحبيب » .

لا ذكر لهذه المنظومة فى كشف الظنون وذيله ، وتوجد ترجمة الناظمة فى « معجم المؤلفين » ج 5 ص 57

15 — المقالات السنية فى مدح خير البرية

نظم الامير عثمان بك بن الامير علي بك الفقاري ، امير اللواء الشريف والحاج الشريف ، الذي كان بقيد الحياة عام 1029 هـ / 1619 — 1620 م .

قصيدة ميمية مطولة على بحر البسيط ، تبلغ تسعة عشر الف بيت حسب تعداد الناظم آخر القصيدة التي رتبها على اثنين وسبعين مقالة .

وبدون مقدمة تبتدىء القصيدة بالمقالة الاولى التى مطلعها :

ابارق لاح فى الظلماء كالعلم
ام نار حي بدت ليلا على علم

منها نسخة تامة بالخزانة العامة بالرباط ، ملففة من مجلدين : الاول يحمل رقم ك 1367 ، وهو مصدر بفهرس للمقالات 72 ، وبعده ياتي النظم الى أن ينتهي هذا المجلد آخر المقالة 36 .

المقالة السادسة والاربعون : فى ذكر حراســـــه بالاسفار ، من كيد اللئام الفجار .

المقالة السابعة والاربعون : فى ذكر الوفود عليه قبل هجرته ، السابقين لدعوته .

المقالة الثامنة والاربعون : فى ذكر الوفود عليه بعد هجرته للمدينة المنورة ، ودخولهم فى ملته المطهــرة ، وقدوم ملوك العرب والعجم وسائر الناس من السهل والعلم ، ، مرتبة على حروف المعجم .

المقالة التاسعة والاربعون : فى ذكر ما من اللهعلى اهل الاسلام ، من تمهيده الارض وتدميره الشــــرك والاصنام ، حتى أقام بعزمه عزائم الله فى البرية ، وبين سنن ما سن من سننه السنية ، فأضحت الارض طاهرة والملة الحنيفية ظاهرة ، واركانها مشددة ، ودعائمهــــا مشـــــددة .

المقالة الخمسون : فى ذكر ارتحاله من دار الفناء والبلا ، لدار البقاء والمقام الاعلا.

المقالة الحادية والخمسون : فى ما لزائر القبــر الكريم ، من الاجر العظيم .

المقالة الثانية والخمسون : فى ذكر ما خص به فى الاخرى ، من الشفاعة الكبرى ، والخصائص العظمى ، والمقام الاسمى .

المقالة الثالثة والخمسون : فى الاستغاثة به ...

المقالة الرابعة والخمسون : فى ذكر بعض فضل سيدنا ابي بكر الصديق ، رضي الله تعالى عنه .

المقالة الخامسة والخمسون : فى ذكر بعضفضائل سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه .

المقالة السادسة والخمسون : فى ذكر بعـــض فضائل سيدنا عثمان ، رضي الله تعالى عنه .

المقالة السابعة والخمسون : فى ذكر بعـــض فضائل سيدنا علي ، كرم الله وجهه .

المقالة الثامنة والخمسون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا طلحة ، رضي الله تعالى عنه .

المقالة التاسعة والخمسون : فى ذكر بعـــض فضائل سيدنا الزبير ، رضي الله تبارك وتعالى عنه .

المقالة الستون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا سعد رضي الله تعالى عنه .

المقالة الحادية والستون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا سعيد ، رضي الله تبارك وتعالى عنه .

المقالة الثانية والستون : فى ذكر بعض فضائـــل سيدنا عبد الرحمن بن عوف ، رضي الله تعالى عنه .

المقالة الثالثة والستون : فى ذكر بعض فضائـــل سيدنا أبي عبيدة عامر بن الجراح ، رضي الله تعالى عنه .

المقالة الرابعة والستون : فى ذكر بعض فضائـــل سيدنا الحسن وسيدنا الحسين ، رضي الله عنهما .

المقالة الخامسة والستون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا الحسن ، رضي الله تعالى عنه .

المقالة السادسة والستون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا الحسين ، رضي الله تعالى عنه .

المقالة السابعة والستون : فى ذكر بعض فضائل سيدتنا فاطمة الزهراء البتول ، رضي الله تعالى عنها .

المقالة الثامنة والستون : فى ذكر بعض فضائل أهل بيت المصطفى ، وقرابة المجتبى ، اهل الولاية والاصطفا.

المقالة التاسعة والستون : فى ذكر بعض فضائل سيدنا حمزة ، عم النبي صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله تبارك وتعالى عنه .

المقالة السبعون : فى ذكر بعض فضائل سيدنـــا العباس ، عم النبي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، ورضى الله تعالى عن سيدنا العباس رضي الله تعالى عنه .

المقالة الحادية والسبعون : فى مدح بعض فضائل طائفة من اهل البيت والمهاجرين والانصار من الخزرج والاوس ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

المقالة الثانية والسبعون : فى مدح بعض أوصاف الصحابة ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وتابعيهم باحسان الى يوم الدين .

16 — المقالات السنية ، فى مديح خير البرية

نظم الامير عثمان بك نفس المؤلف السابق ، وهي نسخة مصغرة من الاولى ، حيث ان مقالاتها لا تزيد على ستين مقالة ، ويظهر انها متقدمة فى النظم على سابقتها وجاء فى آخر هذه المنظومة انها تشتمل على 8.000 بيت، خ . ع — ك 640 .

العشرون : فى ذكر لباس خير البرية ، وبيـــان ملبوساته البهية .

المقالة الحادية والعشرون : فى صفة خفاف طه السنية ، ونعاله السبتية .

المقالة الثانية والعشرون : فى صفة خاتم خاتـم الرسل الكرام ، عليه وعليهم الصلاة والسلام .

المقالة الثالثة والعشرون : فى تطيب الطيب بالطيب ، وذكر طيبه صلى الله عليه وسلم ما صلى عليه ذاكر ، وذكر طيبة دار حبيبه .

المقالة الرابعة والعشرون : فى زينته صلى الله عليه وسلم : من خضابه . وتسريح لحيته وراسه المكرم وادهانه . واكحاله . وخصال الفطرة سنة الخليـل . وفرقة شعره . وعدد حلاقة راسه الجليل . ودخولــه الحمام والتنور . وستر العورة . ومن صنع له من القدم النورة .

المقالة الخامسة والعشرون : فى ذكر آلات أبياته السنية . وبعض صفاته المعنوية ، واخلاقه المحمدية ، وشيمه الاحمدية ، وشيمه المصطفوية ، وصبره علـى الجوع وجهده ، وزهده فى الدنيا وصده .

المقالة السادسة والعشرون : فى ذكر أكلـــه ومانولاته ، عليه سلام الله وصلاته .

المقالة السابعة والعشرون : فى ذكر شرب حبيب الله ومشروباته ، عليه أزكى سلامه وصلواته .

المقالة الثامنة والعشرون : فى نومه وانتباهــه وبعض أذكاره ، وقبابه ، ورايات الوية أعلام أسفاره ، ومنائحه ، ونجائبه ، ولقاحه ، وأعتامه ، وركائبه ، وبغاله ، ومراكبه ، ومن حمله بين يديه وخلفه من رحمه ولطفه ، وسلاحه ، وآلات حروبه ، وعصاه ، ومحجنه، وقضيبه ، وديكه المعد لايقاظه عند أوقات الصـــلاة بشواظه .

المقالة التاسعة والعشرون : فى مدح بعض اوصافه الصفية ، وشمائله العلية ، وشيمه الشمية ، وسيمه السمية ، وعطاياه السنية ، وعهوده الوفية ، ومحاسنه البهية ، وشجاعته ...

المقالة الثلاثون : فى ذكر موازاته ما اوتيه الانبياء الكرام ، وما اختص به عنهم من الخصائص والشيم ، وما اختصت به آمنة ، عمن مضى من الامم .

المقالة الحادية والثلاثون : فى ذكر فضل أمته ى سائر الامم ، وما نالوه من الفضل والكرم ، والخـ ـر والنعم .

المقالة الثانية والثلاثون : فى ذكر اسمائه الشـ ـة وكناه المنيفة ، مرتبة على حروف المعجم .

المقالة الثالثة والثلاثون : فى ذكر أولاده الطاهر ، واعمامه الكماة ، وعماته الجود ، وأزواجه الطاهرا .

المقالة الرابعة والثلاثون : فى ذكر بعض فضائل القرآن الكريم ، والمعجز الاكبر العظيم .

المقالة الخامسة والثلاثون : فى ذكر بعـــض معجزاته البينات ، وآياته الظاهرات الباهرات .

المقالة السادسة والثلاثون : فى ذكر فضل الصلاة عليه ، وما لمهدي الصلاة والسلام اليه من الاجر العظيم صلى الله وسلم عليه .

المقالة السابعة والثلاثون : فى ذكر معراجـــه الشريف ، والاسراء بجسده اللطيف .

المقالة الثامنة والثلاثون : فى ذكر المشاهير مـن غزواته ، وقمعه بالسيف لعداته .

المقالة التاسعة والثلاثون : فى ذكر تعداد ما له من الغزوات ، والبعوث والسرايا والفتوحات .

المقالة الاربعون : فى ذكر كتابه الانجـــاب . المغترفين من فيض بحر عرفانه أفضل الخطاب ، وقضاته اولي الالباب ، والمفتين من الاصحاب ، وحفاظ الكتاب المجيد ، فى حياة المحيد المجيد .

المقالة الحادية والاربعون : فى ذكر رسله للملوك والقبائل والاقيال ، يدعوهم للهدى ويهديهم من الضلال .

المقالة الثانية والاربعون : فى ذكر خدامه الكرام ، من حقت لهم السيادة بخدمته على سائر الانام .

المقالة الثالثة والاربعون : فى ذكر مواليــه ذوي الاحترام ، الفائزين بخدمته عليه الصلاة والسلام .

المقالة الرابعة والاربعون : فى ذكـر سيافـــه والضاربين بين يديه الاعناق، ومؤذنيه وشعرائه المعد لمناضلة اهل النفـــاق .

المقالة الخامسة والاربعون : فى ذكر امرائه عـ البلاد ، السائرين بالعدل فى العباد .

معانيه ، وتلطف تشبيهاته ، وتبدع محسناته ، حتى يكون من أحسن ما صدر من نوابغ الشعراء الغزليين ، لا خلل في ميزانه ، وتكرار في ألفاظه ، وعامية في عباراته ، والكمال لله » .

19 — نظم عقود الفاتحـــة

لابي الفيض حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي ثم الفاسي المتوفى عام 1232 هـ / 1817 م .

وهي منظومة ميمية في السيرة النبوية على نهج البردة ، اشتملت على نحو اربعة آلاف بيت ، وقد شرحها الناظم نفسه في خمسة أسفار ، وترك بعض ابيات بدون شرح في الخمسين الاخيرين من المنظومة فقام بشرحها — بعد وفاته — ولده ابو عبد الله محمد المتوفى عام 1274 هـ / 1858 م .

طبع السفر الاول من الشرح بالمطبعة الحجرية الفاسية ، وباقيه لا يزال مخطوطا في بعض الخزائن الخاصة .

ورد ذكر هذه المنظومة في « الازهار الطيبة النشر فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادىء العشر » ط . ف ص 191 — 192 ، وتحدث عن المنظومة وشرحها في « سلوة الانفاس » ج 3 ص 5 . مع ج 1 ص 157 .

20 — المجموعة النبهانية في المدائح النبوية

لابي المحاسن يوسف بن اسماعيل بن يوسف النبهاني الشافعي المتوفى عام 1350 هـ / 1932 م .

جمع فيها ما وقف عليه من الاشعار في المدائح النبوية الصادرة عن الصحابة الكرام فمن بعدهم من الاموات حتى عصره ، وهي مرتبة على حروف المعجم ، وتشتمل — حسب مقدمتها الاولى — على 25066 بيتا انشاها 213 شاعرا ، وهي اكبر مجموعة باقية في هذا المنزع بعد ما ضاعت او اختفت اكثر مجموعات المدائح النبوية .

طبعت « بالمطبعة الادبية » في بيروت عام 1320 هـ في اربعة اجزاء .

راجع عن ترجمة النبهاني « معجم المؤلفين » ج 13 ص 275 — 276 .

21 — مورد الصفا في محاذاة الشفا

لابي العباس احمد بن الحاج العياشي بن عبد الرحمن سكيرج الانصاري الخزرجي الفاسي نزيل سطات اخيرا ، والمتوفى عام 1363 هـ / 1944 م .

وهو ترجيز لكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ، في 7.747 بيتا فرغ من نظمها في 21 ربيع عام 1350 هـ .

منه نسخة عند ولد المؤلف الاديب الشاعر عبد الكريم سكيرج .

راجع عن ترجمة الناظم مقدمة الطبعة الجديدة لكتاب « كشف الحجاب » ص ز — ع ، حيث ورد ذكر هذه الارجوزة وتاليتها .

22 — الذهب الخالص في محاذاة كبرى الخصائص

لنفس الناظم السابق ، نظم فيه من « الخصائص الكبرى » للسيوطي نحو خمس أسداس الكتاب في 19150 بيتا من الرجز ، وبلغ في النظم الى قول السيوطي : « باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بساعة الاجابة وبليلة القدر وبشهر رمضان » ، وكان ذلك في عشية يوم الخميس 22 رجب عام 1363 هـ ، ثم توفي — رحمه الله — بعد ذلك بشهر ، فكمل نظم الباقي أخو المؤلف أبو عبد الله محمد سكيرج نزيل طنجة والمتوفى بها عام 1385 هـ / 1965 م .

من هذه المنظومة نسخة عند ولد المؤلف الآنف الذكر .

23 — مجموعة امداح نبويـــة

لابي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العلوي الاسماعيلي الشهير بابن زيدان ، والمتوفى عام 1365 هـ / 1946 .

جمع فيها ما وقف عليه من اشعار المديح النبوي على حروف المعجم حسب الترتيب المغربي ، وختم كل حرف باثبات ما له على روي الحرف المعنى بالامر ، وقد صدرها بمقدمة في بيان قيمة الشعر . تقع في كناشات متعددة بالمكتبة الزيدانية بمكناس .

وهناك ترجمة لصاحب هذه المجموعة تقع في 10 ص من جمع كاتب هذا البحث .

الرباط : **محمد المنوني**

مبثورة الاول ، وتبتدىء اثناء المقالة الثانية ، وهي تقع فى مجلد واحد ، به 478 ص ، مسطرة 15 ، مقياس 180/255 ، خط شرقي حسن واضح ملون ، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ .

لا ذكر لها فى « كشف الظنون وذيله » .

17 — فتح الرفيع ، فى نظم شمائل ومعجزات النبي الشفيع ، صلى الله عليه وسلم وغزواته

تاليف محمد بن محمد المتوفى سنة ... فى خمسة اجزاء .

هكذا جاء ذكر هذه المنظومة فى « ايضاح المكنون » مج 2 ص 166 .

ويوجد منها « حرف النون » فى دار الكتب المصرية تحت رقم 602 ، وذكرته « فهرس الدار » ج 1 ص 133 هكذا :

« **الفتح الرفيع :** وهو سيرة نبوية منظومةمرتبة على الحروف الهجائية الموجود منها : حرف النون » .

18 — مجموعة امداح نبوية

للرئيس عبد الكريم بن عبد السلام ابن زاكور عامل تطوان ، والذي كان على قيد الحياة عام 1179 هـ/ 1765 — 1766 م .

جمع فيها اشعاره فى المديح النبوي الا قليلا فى غيره ، وهي تقع فى نحو اربعة اسفار على حد تعبير مقدمة السفر الثاني ، ويوجد السفران الاول والثاني بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 2356 ، والثالث بمكتبة العلامة الجليل مؤرخ تطوان محمد داود ، والغالب ان الرابع هو الموجود بالخزانة العامة بالرباط رقم ك 1830

السفر الاول : يسميه المؤلف « الفتح الصمدي ، فى مدح الجناب المحمدي » ، وفى خطبته يذكر انه نظم فى المديح النبوي ما ينيف على خمسة عشر الف بيت ، واوله :

للنبي على الخليقة فضل
ما له فى مدى الزمان انتهاء

افضل ما يتنافس فيه المصقع المجيد ، وتؤنق فيه العبارة ...

به 120 ورقة ، مسطرة 21، مقياس 10/300 ، خط مغربي مليح ملون مجدول .

وجاء فى آخره : كمل الديوان الثاني « الصوا... الاول كما هو مكتوب اعلى الصفحة الاولى داخل ترج... مذهبة ، وقد وقع الفراغ من انتساخه اواخر قعدة ع... 1176 هـ ، على يد ناسخ لم يوضح اسمه .

السفر الثاني : يسميه مؤلفه « لوامع الانوار فى مدح الصلاة على النبي المختار » ، وهو يشتمل على 4469 بيتا ، واوله :

لاحمد فضل لا انتهاء لفيضه
فحدث عن البحر الخضم ولا تطري

حمدا لمن جعل الصلاة النبوية اعظم وسيلة للمتوسلين ...

به 121 ورقة ، مسطرة ، مقياس 310 / 220 ، خط مغربي نفس خط السفر الاول .

وفى آخره : كمل الديوان الاول « اقرا الثاني، طبق المكتوب اعلى الصفحة الاولى داخل ترجمة كالسابقة .

وقع الفراغ من انتساخه اوائل رمضان عام 1176 هـ ، على يد ناسخ لم يصرح باسمه ايضا .

السفر الثالث : يسميه المؤلف : « السراج الوهاج ، فى امتداح صاحب التاج والمعراج » ، وهو نفس الاسم الذي تحلى به طالعة هذه الاسفار الثلاثة ، فى ترجمة مذهبة ، وفى مقدمته يسجل انه بعد ما الف السفرين الاولين شرع فى هذا الديوان الثالث .

السفر الرابع : يظهر انه الذي بالخزانة العامة ، والغالب انه احد اسفار النسخة الاولى للمؤلف .

وفى « تاريخ تطوان » للشيخ محمد داود ج 3 ص 104 — 115 يوجد وصف للسفرين الثالث والرابع ، مع كلمة عن شعر جامع هذه الدواوين قال فيها :

« وابن زاكور فى ديوانه هذا ، ذو نفس طويل وقريحة فياضة ، الا انه فى قصائده المنظومة فى البحور العادية ، يتساهل فى الموازين وبعض القواعد ، ولا يتنكب من العيوب الشعرية ما يجل عنه فحول الشعراء.

اما موشحاته — وهي كثيرة متنوعة — فانه فيها اقرب الى الاجادة والتفنن منه فى بقية شعره الذي يقرب — فى بعض الاحيان — من النظم العادي ، واحيانا تسمو

وليس من شك والحياة هذه اليانعة الرطبة الجنية تزخر بمختلف الحركات العلمية ان ينهض الادب معبرا عن اصالة الحياة ومعطياتها وعن عمق الواقع ومتطلباته ، لذلك نلاحظ ان الادب الاندلسي في هذه الفترة يتخذ لنفسه ظواهر منها ما يتصل بالاتجاهات الشعرية وما اعتورها من زيادة وتطور ، وما يتعلق بالافكار والمعاني .

فمن حيث الاتجاهات ، فهناك اتجاه محافظ جديد طرأ على الادب الاندلسي وظهر في المشرق مضادا للاتجاه الجديد الذي حمل لواءه ابن هانيء (ابو نواس) الذي تجنب فيه كثيرا من التقاليد التي اتسم بها الشعر العربي ، فجاء هذا الاتجاه ليعطي له اصالته ، ويخفف من حدة الثورة التي شنها عليه الشعراء الجدد

اذن فهذا التيار محافظ من ناحية ومجدد من ناحية ثانية ، محافظ على منهج القصيدة العربية ، ولغتها وللمس ايقاعها ، ومجدد في المعاني والصور والاسلوب (4)

وفي هذا الصدد يعلل الدكتور احمد هيكل سبب ظهور الاتجاه المحافظ الجديد في عهد الخلافة بقوله : « وانما ظهر هذا الاتجاه المحافظ الجديد في فترة الخلافة ، لانه اتجاه مرتبط كثيرا بالاستقرار الحضاري والتعقل الاجتماعي والهدوء الثوري ، فهو قد ظهر في المشرق منذ اوائل النصف الثاني من العصر العباسي الاول ، بعد ان هدأت حدة الانبهار باللقاء الاول مع المستحدثات الحضارية ، وبعد ان شبع شعراء القرن الثاني ثروة ولهوا ومجونا ، وبعد ان جاء القرن الثالث وقد الف المجتمع العربي الحضارة ومستحدثاتها ، ولم يعد يجن بها فيفقد اتزانه ، كما فعل من قبل جيل ابى نواس.

وقد كان المجتمع الاندلسي في فترة الخلافة قد الف الحضارة كذلك ، واستنفد انبهاره ودهشته بالمستحدثات في الفترة السابقة ، ولهذا بدأ كثير من الاندلسيين يهتمون بالاتجاه الشعري المحافظ الجديد ويجدون فيه طريقا فنيا ملائما للتعبير عن حياتهم المتحضرة المستقرة المتعقلة (5)

وعلى الجملة فان الشعر الاندلسي خلال هذه الفترة سار في اتجاهات الاتجاه القديم والاتجاه المحافظ الجديد ، والاتجاه المحدث الذي ظل في نمو مطرد تبعا لوجود اسباب تفرضه ، اذ الحياة الاندلسية رغم ما ساد مرافقها من امن وهدوء فقد امست من زاوية اخرى تتسم بالتحرر والانفلات من المواضعات والاستخفاف بالاخلاق والمثل العليا كشيوع الخمر واللجوء الى اللهو والمجون والغزل بالمذكر رغم ان هذا الاتجاه قد تطور اذ اصبح في الغالب هم الشاعر الاندلسي عوض المجون والاستخفاف التفني في الشعر والتجويد في طرقه .

عائشة بنت احمد القرطبية :

شاعرة رقيقة استرعت الانظار ، وهي من طبقة سراة العاصمة ، وصفها ابن حيان بانها لم يكن يضارعها في زمانها من حرائر الاندلس علما وفهما وادبا وشعرا وفصاحة كانت حسنة الخط تكتب المصاحف ، وتمدح الملوك ، وتخاطبهم بما قد يعرض لها من حاجاتها الضرورية وقد قال فيها صاحب المغرب « انها من عجائب زمانها وغرائب اوانها » توفيت بكرا سنة 400 هـ .

دخلت عائشة ذات يوم على المظفر بن المنصور بن ابى عامر وبين يديه ولده فقالت مرتجلة :

ارَاك الله فيه ما تريد ... ولا برحت معاليه تزيد
فقد دلت مخايله على ما ... تؤمله وطالعه السعيد
تشوقت الجياد له وهز الحسـ ... ـام هوى واشرفت البنود
وكيف يخيب شبل نمته ... الى العليا ضراغمة اسود
فسوف تراه بدرا في سماء ... من العليا كواكبه الجنود

---

4) للاستزادة من المعلومات حول هذا الاتجاه انظر تاريخ النعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري « للدكتور نجيب محمد البهبيتي والفن ومذاهبه في الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف

5) انظر الادب الاندلسي للدكتور احمد هيكل ص 220 .

الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ: محمد المنتصر الريسوني

- 7 -

عصر الخلافة :

الخلافة الاموية بدأ عهدها بمبايعة عبد الرحمن الثالث الذي لقب بالخليفة الناصر لدين الله سنة 316 هـ، وتنتهي بسقوط آخر اموي في قرطبة (1) وظهور ابن جهور سنة 422 هـ ، ففي ظلال هذه الخلافة ولا سيما في عهد عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم انتعشت الحياة الثقافية في الاندلس ايما انتعاش ، وتعددت اوجه النشاط المعرفي ، مما ادى الى بروز الشخصية العلمية الاندلسية واستقلالها ، وقد ساعد على ذلك انتشار الاستقرار والامن والرخاء والرقي ، وتشجيع الملكات والمواهب ، فالناصر رحب بابى علي القالي الذي حمل معه رصيدا ضخما من علم المشارقة ، كما حمل معه دواوين كثيرة لاكبر ادباء اللغة العربية ، والحكم ثبت انه كان مولعا اشد الولع بالكتب (2) فارسل الى القاهرة وبغداد ودمشق والاسكندرية اشخاصا ينسخون له الكتب النفيسة ، ولا ادل على ذلك من مكتبته الثرة التي شملت اربعمائة الف مجلد (3) وابتياعه كتاب « الاغاني » من صاحبه ابى الفرج الاصبهاني بالف دينار بعثه اليه قبل ان يظهر في الاسواق البغدادية ، ولا ادل على ذلك ايضا من نبوغ كثير من جهابذة العلماء . ففي الحلبة اللغويه بالاندلس نبغ ابو بكر الزبيدي الذي عمل كتابه « مختصر كتاب العين » والف كتاب « طبقات النحويين» و « كتاب الواضح في العربية » و « كتاب الابنية في النحو » ثم نبغ ابو بكر ابن القوطية صاحب « كتاب تصاريف الافعال » و « كتاب المقصور والممدود »

وفي الحلبة التاريخية نبغ احمد بن محمد بن موسى الرازي ومن تآليفه كتاب في « اخبار ملوك الاندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم » وكتاب « انساب مشاهير اهل الاندلس »

وهكذا برز الى الميدان كثير من العلماء الاندلسيين في شتى فروع العلم وضروب المعرفة من تفسير وحديث وفقه وفلسفة ورياضيات وهندسة وطب

---

1) يرى الدكتور احمد هيكل في كتابه « الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ص 197 ان فترة الخلافة الحقيقية هي فترة حكم عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم الثاني ، لان الفترات الزمنية الاخرى لم يكن خلالها للخلافة الاموية الا الاسم .

2) لم يكن الحكم جماعا للكتب فقط بل كان مولعا بالقراءة ، ذلك انه كان يقرأ كل ما يجمع ويعلق عليه بخط يده ، ويكتب على كل مؤلف اسم صاحبه وكنيته ولقبه واسم عائلته وقبيلته الخ ، وقد كانت هذه التعليقات موضع تقدير من العلماء والمحققين يعتمدون عليها كما نص على ذلك ابن الابار في الحلة الورقة 48 والحميدي في الجذوة : 94

3) انظر نفح الطيب ج 1 ص 184

لـي حبيـب لا ينثنـي لعتـاب (8)
وإذا مــا تركتـــه زاد تيهـــا

قال لي : هل رايت لي من شبيـــه
قلت ايضا : وهل ترى لي شبيهـــا

وقولها تذم عبيدها متضجرة :

يا رب انـي من عبيــدي علــى
جمـر الغضا ما فيهـم من نجيـب

امــا جهــول ابلــه متعــب
او فطــن من كيــده لا اخيـب (9)

وتقول حفصة في الوحشة ، وحشة الاحبة المتمادية، والليلة التي ودعتهم فيها وهي ماهية ، قضتها ملتاعــة النفس مؤرقة الجفن :

يــا وحشتـــي لأحبتـــي
يــا وحشـــة متماديـــة

يــا ليلـــة ودعتهـــم
يــا ليلـــة هــي ماهيـــة

تطـوان ـ محمـد المنتصر الريسوني

8) في المغرب بعتاب وفي النفح لعتاب
9) في المغرب : اخيب وفي النفح : يجيب . والبيتان نسبهما عبد الله عفيفي في كتابه « المراة العربيـــة في جاهليتها واسلامها » ، ج 3 ص 147 لحفصـــة الركونية والصحيح هو ما اثبتنــاه

انهــم ابنــاء جنسك

ابــغ للعــرب مــن الخيـــ
ـــر ، كمــا تبغـي لنفسـك
وارحــم العــرب جميعـــا
انــهـــم ابنـــاء جنســك

حسن الحديث يزيدني تعليمـا

وضجــرت ، الا مـــن لقاء محــدث
حسن الحديـــث يزيدنـــي تعليمـــا
ابراهيم بن العباس الصولي

فانتـم آل عامـر (6) خيـر آل
زكـا الابنـاء منكـم والجـدود

وليدكـم لـدى راي كشيـخ
وشيخكـم لـدى حـرب وليـد

ابيات في غاية الروعة والجمال ولا سيما البيت الخامس على الرغم من ان معناه مطروق ـ الذي شبهت فيه ابن الخليفة بدرا في سماء العلياء تناصر جنوده الكواكب والبيت الأخير ايضا رائع جميل ، اشادت فيه با ل عامر اشادة فيه من المبالغة النصيب الاكبر ، ذلك ان الوليد الصغير فيهم ـ آل عامر ـ عند الراي والشورى كانـه شيخ محنك تصدر عنه الافكار الصائبة والاراء المستقيمة، والشيخ الهرم فيهم عند الوغى يصول في ميدانها كانـه الوليد يتمتع صحة ونشاطا .

وقد طلب يدها احد الشعراء ، فلم ترض به بعلا فكتبت اليه تؤنبه ، ولكنه تانيب جاوز نطاقـه ، ذلك لانها تابى ان تكون مناخا طول الدهر لاحد ولو ارادت الزواج لما تزوجت منه ، فكم اغلقت سمعها عن اسد فما بالك بكلب

انـا لبـوة لكننـي لا ارتضـي
نفسي مناخا طول دهري من احـد

ولـو انني اختـار ذلـك لم اجب
كلبا وكم غلقت سمعـي عن اسـد

ان ما فرط من الشاعرة من هجاء وهي المتخلقـة باخلاق حسنة ليس الانتيجة لسورة غضبية نفسية، وآية ذلك انه قد يكون بينها وبين ذلك الشاعر الذي تقـدم لخطبتها خصومة سابقة او عداوة قديمة او قد تكـون ـ هي ـ تعرف عنه ما لا يؤهله لان يرقى الى منز[لتها] وطبقتها ، لذلك استشاطت غضبا ساعة سمعت النبأ فـ[ـلـ]م تملك لحظتئذ الا ان تنعته بالكلب

ولعل كبرياءها ونخوتها جنت عليها فجعلتها تم[تنـ]ع عن قبول اي رجل لا تراه اهلا لها ، ولذلك ظلت عذ[راء] تسد اذنيها عمن يريد طلب يدها الى ان توفاها الله

ولعائشة مطلع جميل رقيق في بعض الرؤساء [لـ]م نعثر على ما جاء بعده من ابيات تقول فيه :

لولا الدمـوع لما خشيـت عـذولا
فهي التـي جعلـت اليـك سبيـلا

حفصة بنت حمدون الحجاريـة :

شاعرة عالمة اديبة عاشت في المائة الرابعة ، وهي من وادي الحجارة (7) ، اعتزت بها بلدتها لما تحتله من مكانة ادبية مرموقـة ومنزلـة علمية معروفـة ، من شعرها قولها :

راى ابن جميل ان يرى الدهر مجملا
فكل الورى قد عمهـم سيـب نعمتـه

له خلق كالخمـر بعـد امتزاجهـا
وحسن فما احـلاه من حيـن خلقتـه

بوجه كمثل الشمس يدعو ببشـره
عيونـا ويعشيهـا بافـراط هيبتـه

ولها في حبيب لا ينثني لعتاب ، واذا ما تركتـه تمادى في التيه والخيلاء وسالها يوما : هل رات لـه شبيها فكان ردها له : وهل ترى لي انت شبيها :

6) ينتسب آل عامر الى محمد بن ابي عامر الذي عمل حاجبا لهشام بن الحكم ، واستبد بالسلطة ولقب نفسه بالمنصور ثم تولى بعده ابنه عبد الملك ، ولقب بالمظفر ، وذلك من سنة 392 هـ الى سنة 399 هـ

7) الحجارة جمع حجر كورة بالاندلس يقال لها وادي الحجارة ينسب اليها بالحجاري جماعة منهم محمد ابن ابراهيم بن حيون ، وسعيد ابن مسعدة الحجاري ، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ج 3 ص 217

ـسى بن ابى حجاج الغفجومي اصله من فاس وبيته فيها رف بيت بني حجاج ، استوطن القيروان وحصلت له ا رياسة العلم ، تفقه بابى الحسن القابسي ورحل الى ق طبة فاخذ بها عن الاصيلي وسمع من جماعة ثم رحل ا ى المشرق وحج ، ودخل العراق ، فسمع من ابى الفتح بن ابى الفوارس وابى الحسن المستملي، ودرس الاصول على القاضي ابى بكر الباقلاني

واصبح من احفظ الناس واعلمهم اذ اضاف حفظ المذهب المالكي الى حديث الرسول عليه السلام ومعرفة معانيه مع الاضطلاع بمعرفة الرجال والتعديل والتجريح ، له تعاليق على المدونة لم تكمل ، وكان ابو بكر الباقلاني يعجب به ويقول له : لو اجتمع في مدرستي انت وعبد الوهاب (وكان وقتئذ بالموصل) لاجتمع عنم مالك انت تحفظه وهو ينظره ـ توفى سنة 430 هـ عن 65 سنة

فها نحن نرى هذه الشخصية العلمية الفاسية ما تفوقت واخذت بزمام الرياسة الثقافية في العهد المتحدث عه الا بعد التلمذ لرجال القيروان مع ما تلقته اثناء رحلاتها للاندلس والشرق العربي الشقيق من معارف ويؤيد هذه الفكرة ما جاء في كتاب (زهرة الاس في بناء مدينة فاس) لابي الحسن الجزنائي في فصل (سوارى وسقوف وما يشبه ذلك) ص 74 (واما قراءة الحزب في القروين بعد صلاة الصبح والمغرب فامر احداثهما ببلاد المغرب يوسف بن عبد المومن بن علي الموحدي ونقله ابن صاحب الصلاة ، وانتدب لذلك ناسا واستمر العمل عليه الى ايام امير المسلمين ابى الحسن المريني رحمه الله ، بل اجرى جراية لعشرة اشخاص من القراء ، وامر بذلك في سائر جوامع المغرب

اما قراء الكتب فيه لاسماع الناس بعد الفراغ من قراءة حزب الصبح ، فان بعض ائمة الجامع في اول ولاية بني مرين ـ كان كثيرا ما يقرأ بين يديه في اول النهار تفسير القرءان للثعالبي ، وحلية الاولياء ، وذلك في جهة خاصة منه ، وكان له قارىء مجيد يحضر له بعض الناس بعد ما كانوا يجلسون متفرقين حلقا حلقاء وربما اخذوا في امور الدنيا الى ان تطلع الشمس فـ صرفون ، وهذا ما حفز الامام ان يقترح على القارىء ا تصدر لحزب المحراب في نفس الوقت ، ويقرأ هناك من تلك الكتب فصولا لاسماع الحاضرين ـ وتعليمهم ما هم في امس الحاجة لمعرفته من المبادىء مما دفع الناس للاقبال على الاستماع في نشاط ظهرت نتائجه في الكثير وربما اجتمع في المجلس ءالاف المستمعين ، وتجلت هذه الظاهرة الطيبة في سنة احدى وخمسين وستمائة 651 موافق 1252 م

وترسم هذه الخطة باقي الخلفاء واجروا للقارىء جراية مهمة استمرت

على ان هذه الظاهرة العلمية المشبعة بتلاوة القراءان الكريم ، وسرد بعض كتب التفسير والمناقب لا تمنع وجود حركة علمية ونهضة ثقافية في دراسة العلوم الاسلامية وءالاتها كما سنرى ذلك ولاء

اما تفسير الثعالبي المختصر في مجلدين من تفسير ابن عطية فما ظهر للوجود الا اواخر القرن الثامن وهذا المفسر نفسه ـ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري يقول : (رحلت في طلب العلم من ناحية الجزائر في ءاخر القرن الثامن فدخلت بجاية عام اثنين وثمانمائة .

فهذا النص يدلنا على ان التفسير المتحدث عنه والمعتنى بسرده في جمهرة الحاضرين بالقروين ا[illegible] دولة بني مرين ، لا زال لم يخلق فينشر بين الطلبة ويذاع لحد الدراسة والوعظ والارشاد .

لذا اجدني في ريب من هذ النقل الذي اسفر عن قيام هذه الظاهرة سنة ا ـ هـ ـ 1252 م ومع كل هذا فلا يستطيع احد ان يجهل او يتجاهل القيمة الادبية والثقافية اللتين ادتهما جامعة القروين لابناء الناطقين بالضاد وغيرهم ممن تردد على ابهائها في مختلف العصور والاجيال ـ كالرهيب الاوربي (نكولا كلينار) الذي اقام بفاس سنة 1540 ـ 1541 م ايام ابى العباس الاعرج السعدي في القرن العاشر الهجري حوالي سنة 948 هـ ـ 1540 م مثابرا على دراسة اللغة العربية بالجامعة القروية ، كما كان في تلك الاثناء يكتب لرؤسائه واصدقائه رسائل باللغة اللاتينية يصف فيها مقامه بفاس، والدروس التي كان يتلقاها وعوائد الطلبة والمدرسين، وكيفية التدريس والعلوم التي كانت تدرس اذ ذاك وسوق الكتب ، وغير ذلك من احوال ـ القروين وتاريخها الثقافي الحافل ، كما المعت لذلك مجلة المغرب في عددها الصادر في شهر رمضان وشوال عام 1355 هـ ـ 1935 م

جامعة القرويين من خلال التاريخ

للأستاذ عبد الله الجراري

حقق التاريخ في سجله الامين ان (كلية القطر التونسي) سبقت كلية المغرب الاقصى ـ ذلك ان جامع الزيتونة ـ بالقطر التونسي الشقيق يعد في مقدمة مؤسسات ـ عبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول الذي ولاه هشام بن عبد الملك على المغرب حوالي سنة 114 هـ (731) م فبنى جامع الزيتونة بعد ما اختطه حسان بن النعمان كما صححه صاحب المؤنس ، وبالافواج التي اخذت ترد على افريقية من ابناء الشرق العربي تتميما للفتح ونسر الثقافة الاسلامية في ربوعها تكونت نهضة علمية انارت البلاد ونعت معارفها المشرقة على جنباتها ، ومن بين اولئك الرجال الافارقة الذين حملوا مشعل الثقافة لماعا نيرا ـ ابو الحسن علي بن زياد التونسي الذي كتب له اللقاء والسماع من مالك والثوري والليث بن سعد وسواهم من ائمة الاسلام ـ ولم يكن بعصره في افريقية نظيره ، تلمذ له اسد بن الفرات وسحنون وغيرهما ، وروى عن مالك الموطا وكتبا ـ فكان معلم سحنون الفقه ، واعترافا له بالفضل كان لا يقدم عليه احدا من اهل افريقية

وكان رجال العلم والمعرفة بالقيروان اذا اختلفوا في مسالة كتبوا بها الى ابن زياد رغبة منهم في الوقوف على الصواب ابن زياد المتوفى سنة 183

ومن رجالات الثقافة بافريقية ـ عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون من اهل شامي قدم ابوه في جند حمص ـ اخذ العلم بالقيروان عن مسايخها خصوصا علي بن زياد الانف الذكر . رحل اليه بتونس ثم رحل الى مصر والمدينة ، وعاد الى افريقيا سنة 191

ومنهم عبيد الله بن يزيد اليحصبي القروي نسأ في عز وكرم بحارة يحصب بمدينة القيروان وبها تفقه وتادب حتى اصبح من علمائها البارزين فضلا عما كان يتحلى به في ميدان القوة من شجاعة وبطولة ، فهذه طائفة من خيرة المثقفين (وغيرهم كثير) انجبتهم افريقيا في ميدان الثقافة الاسلامية قبل ان تختط فاس ، ويوضع تصميم لاحدى عدوتيها ـ الاندلس والقرويين ـ فكيف بكليتها التي ما است الا سنة 245 هـ بعد بناء المدينة بائنين وخمسين سنة ، اضف الى هذا ان مدينة فاس ما تسنى لها ان تتبوا المقعد الملائم لها في عالم المعرفة وتصبح مركزا علميا بمغربنا الاقصى الا بعد ما تدفق فيها علم القيروان ، وعلم قرطبة حاضرتي المغرب والاندلس اللتين فارقهما العلماء من اجل عيث العرب في الاولى ، واختلاف بني امية في التانية

فبعد ما تاسست فاس ومرت عليها حقبة من الزمن ظهر على بساطها العلمي نخبة من رجال الثقافة كعثمان ابن مالك فقيه فاس وزعيم فقهاء المغرب في وقته (كما يقول ابن فرحون) اخذ عنه فقهاء فاس كابنه ابى بكر، وابى بكر بن الحناط وغيرهما ممن تلمذوا له ، وقد علق على المدونة ، ذكره ابن سهل في مختصر المدارك، وابى عبد الله محمد بن عيسى المومناني السريف الحسني الفاسي المدعو بالامام لسعة علومه منقولا ومعقولا ، اصولا وفروعا ، ولي قضاء قرطبة ومراكش ايام الموحدين، وعلا كعبه في الفقه والفتوى والتدريس مع حصانة في الراي والمعرفة بالحديث وعلله واسانيده وتخريجه ، ذكره ابن الاحمر في حديقته ولم يتعرض لوفاته ، وكابى عمران الفاسي موسى

عبد المجيد الزبادي

بقلم الأستاذ :
عبد القادر زمامة

-2-

اشتغاله بالتدريس :

لقد عرفنا في العدد الماضي ان عبد المجيد الزبادي الطبيب درس العلوم العربية ، والحديث ، والتفسير ، والفقه ، والاصول ، وغيرها عن اكابر علماء عصره والان نتعرف عن العلوم التي اشتغل بتدريسها ، واخذت عنه بفاس وغيرها (1)

لقد كان استاذا مساركا في جل العلوم التي درسها وله في اللغة والادب اليد البيضاء انصرفت همته الى التدريس وظل ينشر العلم طيلة حياته بالقرويين ، وجامع الاندلس ، ومدرسة العطارين ، والضريح الادريسي (2)

ومن جملة العلوم التي كانت توخذ عنه: الفية ابن مالك ، ولامية الافعال ، وشمائل الترمذي ، ورسالة ابن ابي زيد ، وصحيح البخاري ، والمرشد المعين ، والنصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية لزروق ، ورسائل ابن عباد الكبرى والصغرى ، والتفسير ، والاغليسية ، وشرح ابن عباد على الحكم العطائية ، وشرح شيخه ابن زكرى عليها ، وارجوزة ابن سينا في الطب ، ودلائل الخيرات ، وديوان ابن الفارض ، ومقامات الحريري ، ومنظومة القرطبي ، والشفا لعياض والموطا ، والهمزية والبردة ، وفصيح مالك بن المرحل ، وتلخيص المفتاح للقزويني ، والخزرجية ، والبلاغة ، وديوان المتنبي ، والتنوير في اسقاط التدبير ، وبانت سعاد ، ونظم ابن البناء في التصوف (3)

وان هذه الدروس لتدل على اقتداره وطول باعه ، فهو مدرس مشارك نفاعة يعد من اعلام عصره في العلم والادب اخذ عنه علماء اجلة ، كما سنذكر بعد

اما تاريخ انخراطه في التدريس فقد تركه لنا مكتوبا بخط يده في تقييد قال فيه :

« وفي خامس وعشري ربيع الثاني من اثنين واربعين ومائة والف بعد ان توفي شيخنا العلامة الدراكة النحوي الاصولي العروضي محمد بن ادريس العراقي برد الله ضريحه ، واسكنه فسيح جناته ، امرني شيخنا وقدوتنا سيدي محمد (فتحا) بن قاسم جسوس اطال الله عمره ، ان افتتح درسا في الفية ابن مالك . فاسعفته على ذلك ، وان كنت لست اهلا بذلك ، ومن الغد شرعت في تدريسها بالقرويين بعد صلاة العصر بحضور شيخنا المذكور وبعض تلامذتنا اصلحهم الله ورعاهم ووفقهم لما فيه الخير العام قيده افقر العباد الى رحمة ربه عبد المجيد ابن علي المنالي الزبادي يوم ثامن وعشرين من ربيع الثاني (4) »

---

1) راجع الاخذين عنه في طرابلس الغرب والمشرق غداة زيارته الى الاراضي المقدسة في رحلته الموجودة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم D 1808 .

2) انظر الورقة الثانية بعد الاخيرة من « جذوة الاقتباس » نسخة مخطوطة توجد في خزانة العلامة المرحوم الحاج المكي بنمسعود الطريدانو الرباطي المتوفى سنة 1964 م مكتوبة بخط قصارة الاتي الذكر ، فرغ من انتساخها لنفسه في ثلاثين من عاشوراء عام 1164 هـ

3) انظر الكناش السالف الذكر ص 601 ـ 602

4) عن نفس المصدر ص : 627

ورغم ما سطر فلا يفوتنا ان نصحح هذا التاريخ الذي قصر الدراسة بجامعة القرويين على عصر الدولة المرينية اواسط القرن السابع الهجري - فهذا ابو عبد الله البغدادي محمد بن احمد بن ابراهيم بن عيسى ابن هشام الأنصاري من رجال اواخر القرن الخامس الهجري واوائل السادس نشأ بجيان من الاندلس ورحل للمشرق ثم عاد للمغرب حوالي 515 هـ - 1120 م يحمل علوما جمة- والقى عصا التسيار بفاس وقعد بغرب جامع القرويين يدرس الفقه فتلمذ له نجباء فاس كابن الملجوم ، ثم غادر فاسا الى جيان ، وبعد مدة عاد اليها واشتغل بدروسه العلمية الى ان توفى سنة 546 هـ - 1150 م كما جاء في الجزء الرابع من كتاب (الذيل والتكملة) لابن عبد الملك

وهذا احمد بن عبد الصمد بن ابى عبيدة الانصاري الخزرجي القرطبي ثم الفاسي ممن زاولوا التدريس بجامعة القرويين اذ كان يملي دروسا في الحديث والتكلم عن معانيه - توفى بفاس سنة 582 هـ - 1185 م . ومن رجالاتها يوسف بن عبد الصمد بن يوسف بن علي ابو الحجاج الاصولي كان ذا ثقافة واسعة عارفا بالسير والتاريخ والاصول وغيرها قعد للتدريس بمسجد زقاق الرواح من فاس حيث سكناه وسكنى سلفه دخل اشبيلية ودرس بها ثم رجع الى فاس سنة 613 هـ - 1215 م وتصدر للتدريس في شرق جامع القرويين مدة الى ان وافاه الاجل المحتوم سنة 614 هـ - 1216 م كما اثبت ذلك اصحاب الجذوة والذخيرة السنية والسلوة .

ومن سنن العادات التي لا تفتا تساندها الطبيعة البشرية - ان جلوس هؤلاء الائمة بكلية القرويين للدراسة لم يكن ابتكارا جديدا ، وحدثا طارئا لامر لم يعهد من قبلهم ، وخصوصا الغرباء منهم فان من طبع الغريب ان لا يتجرا على احداث ما لم تجر عادة المواطنين به بل يساير الوسط الذي يلابسه من جديد ، ومن هذا فواقع الاسبقية لكلية القطر التونسي الشقيق لا ينسحب مع تصحيح التاريخ ، وجعل الدراسة تبتدىء في عصر دولة المرابطين .

انما الذي نلاحظه عند ما نرجع لحياة الثقافة العلمية ومعرفة رجالها بالعاصمة العلمية هو اننا نجد اثناء تراجم الكثير انهم زاولوا الدراسة بمختلف مساجد فاس واقربها لمساكنهم ، وطبعا كان للقرويين نصيبها من الدراسة ، بيد ان الذي يبدو جليا في ابه جامعة القرويين وخاصة منصة خطابتها ومحرابها هـ خطباؤها وائمتها الذين توالوا على منبرها عبر العصو وكان لتسجيلهم في حظيرة هذه المنقبة المقام السا في الذكر والعناية

نعم لا يجعلنا هذا (ونحن نعالج الفكرة) نتن ما لعبته الجامعة من ادوار في الحقل الثقافي مد القرون والاجيال ، وما حفت به من عنايات واهتمام من لدن الدول والحكومات المغربية التي تعاورت على كرسي المغرب في عهود الاسلام المبكرة الى قرن العشرين - فاسسوا بها خزانات للكتب والمصاحف - كابى عنان المريني الذي كان له حب خاص بالثقافة والادب مع التقدير والاعجاب بمن ينتمي لهما من الطلاب والباحثين فصنع خزانة هامة وضعها رهن اشارة الطلاب ، تحتوي علوم الاديان والابدان واللسان وسواها من المعارف والفنون

ورصد لها قيما لضبطها وذلك سنة 750 هـ

كما جعل للمصاحف خزانة خاصة في قبلة الجامع كتبت باجمل الخطوط . وكتب السلطان ابو عنان فوقها ما لفظه : (الحمد لله امر بعمل هذه الخزانة السعيدة مولانا امير المومنين المتوكل على رب العالمين عبده فارس ايد الله امره ، واعز نصره بتاريخ شوال سنة 750)هـ

واما موضع الخزائن (يقول صاحب الجذوة) الذي بسرقي الجامع وهي زاوية القراء الباهية فامر بها المستعين رحمه الله لتوضع في شرقي هذا الجامع ، فانه اقامها على ساباط هناك ورتب فيها قراء القرءان يختمونه في سبعة ايام ، واجرى لهم على ذلك جرايات ، وتم عمل الزاوية المذكورة في اواخر شهر رمضان واستمر السلاطين والملوك يولونها من الاعتبارات ما تجلى في عصر دولتنا العلوية الفاخرة خصوصا ايام بطلها المجاهد المغفور له محمد الخامس الذي تضيق العبارات وتكل الاقلام عن الوفاء بما قدم من خدمات خالدة نحو السير بنهضتها الى الاوج اللائق بمجدها وكرامة تاريخها عبر القرون والسنين

وها هي اليوم غدت تساير ركب الثقافة الحديثة مستردة مجد ما كان لها من نصيب علمي وفني شع انوارهما على العالم اجمع

الرباط - عبد الله الجراري

ست ترى من فيهم (14) الا وعنه عقل الشوارد (15)
لا من لبيب اريب الا وعنه اقتنى القريب ، ولا من ذوي ذوق سليم وطبع مستقيم الا وعنه اخذ طريق الادب القويم ، وكيف بعدل ميزانه ، ولا من ثابت الجنان يميز بين الاساءة والاحسان الا ومنه تعلم اصلاح اللسان والبيان في ميدان الطروس بالاقلام والبنان ، ولا من يمس قط ما الام ومنه عرف بتالف منه الكلام ، ولامن حسن العبارة الا ومنه فهم الاشارة ولا من دائم لاعداء الا وبه كان الابتداء ، ولا حسن الاشغال الا وبه كان له الاشتغال ، ولا من كثير التواضع الا ومن تاديه في التنازع ، ولا من زائد اللطافة والظرافة الا وشرفه بالاضافة ، ولا من يريد القطف الا وبمجالسة تعلم العطف ، ولا من مجيد نجيب الا وكان لندائه مجيب ولا من حسن الالهام جيد الافهام الا بما حصل منه بالاستفهام ، ولا من ناظر في نفسه بعين التحقير الا ومنه تعلم ذلك . ولا من وافى بالمواعيد الا ومنه اخذ المواد والتصريف وكلا من التكسر والسلامة ، والعلة بالصحة والعامة . ولا من سالك اوضح المسالك الا ومنه تعلم ذلك ولا من وافى بالمواعيد الا ومنه اخذ القواعد . ولا من تمسك بالقناعة الا وبه اقتدى في الصناعة . ولا اكتفى بالوقاية الا من اخذ عنه النقاية ، ولا ميز بين النقاية والتقاية الا وحصلت له به الكفاية (16) »

شعره :

لعبد المجيد الزبادي شعر كثير في المدح والرثاء وفي مودة آل البيت والصالحين والتشوق لزيارتهم

قال ابو عبد الله محمد بن الطيب القادري الانف الذكر لدى ترجمته له : وله براعة في نظم الشعر ، ومدح العلماء وآل البيت والصالحين ولو جمع ذلك لكان ديوانا (17) حتى كان الغالب عليه اذا ختم كتاب ، مدح مدرسه ، واذا مات شيخ من شيوخ الوقت رثاه (18) »

واليك نموذجا من اشعاره فمنها قصيدة في حب نفيسة (19) تحتوي على ستة وثلاثين بيتا نظمها ليلة الاحد ثالث وعشري رمضان سنة ثلاث واربعين ومائة والف ، يقول في مطلعها :

ايها السائر المحثحث عيسه
من ضروب المعاش يبغي نفيسه

ارح النفس من عنا السير واقصد
من بيوت الكرام بيت نفيسه

بيت حلم لبنت جود ومجد
ذات زهد وذات نفس نفيسه (20)

وله ايضا في مدح مولاتنا فاطمة الزهراء قصيدة تحتوي على خمسين بيتا انشدها ليلة الجمعة سادس شوال سنة ثلاث واربعين ومائة والف اولها :

بآل البيت تنشرح الصدور
وتزدان المحافل والصدور

لايام الزمان هم شموس
وفي ظلما لياليه بدور (21)

---

14) في الاصل : فليت ترى من فيهم ولعل التصحيف من الناسخ فحسب
15) في الاصل كلمة زائدة وهي : (اليهم) ولعل هده الزيادة التي حذفناها لعدم تادية المعنى قد وقعت من الناسخ سهوا
16) عن النشر المثاني الكبير ج 2 ص 168 مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 2253 ك
17) وقد جمعنا من شعره نحو الخمسين قصيدة ، ولا زلنا نبحث عن انتاجه الادبي في الخزائن العامة والخاصة ونتمنى من الله العلي القدير ان يعيننا في جمعها لننشرها على حدة
18) عن النشر المثاني الانف الذكر ج 2 ص 232
19) راجع ترجمتها في رحلته ص 175 _ 176
20) انظر تمامها في نفس المصدر ص 178 _ 180
21) انظر تمامها في المصدر اعلاه ص 180 _ 183

بعــض تلامذتــه :

من بين الاخذين عنه في الاماكن السالفة الذكر هـم :

1) ابو عبد اللـه محمد بن الطيب القادري الفاسي المولـود سنة اربـع وعشرين ومائـة والف هـ والمتوفى عام سبعة وثمانين ومائة والف (5) هـ

درس عليه تلخيص المفتاح ، ونظم ابى عبد الله الخزرجي في العروض ، ونحو الثلث من الكافية لابن مالك بمطالعة شرحها لمؤلفها (6)

2) اخوه محمد (فتحا) الانف الذكر

اخذ عنه الفية ابن مالك ، ومنظومة القرطبـي ورسالة ابن ابى زيد ، والاغليسية ، والنصيحة الكافيـة وشمائل الترمذي ، ومقامات الحريري ، وفصيح ثعلب، وارجـوزة ابن سينـا ، وبعضا من التفسيـر ، وخطبـة القاموس (7)

3) ابو حفص عمر بن عبد الله الفاسي نجـل العلامةالعربي|ابن ابى الحسن يوسف المتوفى يومالخميس آخر يوم من رجب عام ثمانية وثمانين ومائة والفهـ (8)

اخذ عنه مقدمـة ابن آجروم ، وبعضا من ديـوان المتنبي ، وفصيح ثعلب ، ومقامات الحريري ، وبعضـا من رسائل الصغرى لابن عباد ، والحكم العطائية بشرح ابن زكري عليها (9) .

4) ابو العباس احمد بن محمد نجل العلامـة احمد بن الحاج المتوفى سنة خمس وتسعين ومائـة والف هـ (10) .

قرا عليه رسالة ابن ابى زيد ، والبلاغة ، وفصيـ مالك بن المرحل ، والتنوير ، ومقدمـة ابن آجـرو والمرشد المعين (11)

5) القاضي عبد القادر بن العربي بن قاسم بـ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الخالق بوخريصـ الفيلالي الكاملي الجعفري المولود عام ثمانية عشـ ومائة والف . والمتوفى عشية الاربعاء الثامن من ذي القعدة سنة ثمان وثمانين ومائة والف هـ (12) .

وبالجملـة فان الاخذيـن عن صاحبنا الزبـادي كثيرون (13) . ولنكتـف بهـؤلاء الاشخـاص الذين ذكرناهـم

نشــره :

بعد ان عرفنا العلوم التـي اخذت عنـه ، وبعض تلامذته ، ننتقل الى اسلوبه في الكتابة .

على الرغم من ان علماء عصره كان جلهم منهمكا في العلوم الشرعية ، والفقهية ، فان صاحبنا قـد اشتغل بالادب واعتنى بدراستـه ، كما ينبـيء عن ذلك هاتـه القطعة النثرية الاتية التي رثى بها شيخـه الوجاري ، ونصهـا :

« مات شيخنا الامام وسيدنا الهمام ، الدراكة الفهام الذي آثره الله على الانام ، لما اراد نفعهم بعلوم الالة التي هي وسيلة الى شرائع الاسلام ، وجعله مصباحا يزيل عن قلوب الطلبة الظلام ، وينتفعـون بـه على الـدوام

5) راجع ترجمته في الاعلام ج : 7 ص : 47 للزركلـي
6) انظر التقاط الدرر ص 250 نسخـة خاصـة وتوجد منه نسختان في الخزانة العامة بالرباط
7) انظر سلوك الطريق الوارية ، وتقييدا في اربع ورقات لصاحب هذا الكتاب نسخة خاصة
8) انظر ترجمته في المصدر اعلاه
9) انظر الكناش ص : 650
10) راجع ترجمته في سلوك الطريق 11) انظر الكناش ص 650 ــ 651 . 12) انظر ترجمته في سلوك الطريق 13) عدد الاخذين عنه العلم بفاس قد اثبتهم ابو عبد الله محمد بن الهادي العراقي الاتي الذكر في الكناش السالف الذكر ص 665 و 670

وله ايضا في مدح صديقه الذي كان لا يفارقه لحظة واحدة ابى عبد الله محمد بن الهادي العراقي الاتي ذكر عدة قصائد (29) منها هذه التي قرضها في عشري رمضان تسع وثلاثين ومائة والف عدد ابياتها ثمانية وخمسون مطلعها :

مولاي يا نجل الكرام ومن له
في القلب منك منزل لا يوصف

ان غبت عني لحظة فكانني
يعقوب لما غاب عنه يوسف

وله ايضا في مدحه هذه التي تحتوي على مائة وعشرين بيتا انشدها عام خمسة وخمسين ومائة والف غداة رجوعهما من زيارة مولاي عبد السلام بن مشيش (30) قال بعد مطلعها بعشرين بيتا .

اتريد مثل محمد بن محمد
اطمعت نفسك في مثال محال

هيهات هذا الفرد يوجد مثله
في حسن خلق وزين خلال

وله ايضا في مدح شيخه ابى عبد الله محمد (فتحا) بن قاسم جسوس الانف الذكر لدى ختمه مختصر خليل في الحادي والعشرين من شعبان عام اربعة واربعين ومائة والف قصيدة في ستين بيتا مطلعها :

تبدا ضياء الصبح والليل قهقرا
واشرق نور الشمس في سائر القرى (31)

هذا نموذج لما جادت به قريحته في الشعر والنثر، ويبدو من خلال عرض ذلك ان شعره احسن من نثره .

---

(29) عدد القصائد التي عثرنا عليها في مدحه خمسة عشر داخل مجموعة يحوي عدة تقاييد في الفقه والنحو والتاريخ والادب نسخة خاصة .

(30) هذه القصيدة قد بدا في انشائها اخر يوم في شهر ربيع الاول بمراكش وتممها بالعاصمة الاسماعلية في العاشر من ربيع الثاني انظر الكناش ص 660 .

(31) انظر تمامها في سلوك الطريق الوارية

الرباط — عبد القادر التكادي

خـــاطـــر

خاطر ، فاما عيشة حرة

برغدها العز ، واما الحمام

مهيار الديلمي

وله ايضا في مدح ابى العباس احمد بن علي بن ابراهيم الحسني الشهير بالبدوي المتولد بزقاق الحجر في فاس سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، والمتوفى سنة خمس وسبعين وستمائة ه قصيدة في احدى وثلاثين بيتا انشدها عند قبره يوم وصوله الى طانطا قادما اليها من المنصورة في ثلاثين صفر عام تسعة وخمسين ومائة والف (22) مطلعها :

يا طالبا نيل المرام تزود
لزيارة البحر المحيط الاحمدي

سر كيف شئت مبحرا او مقفرا
فالوفد محفوظ فلا تتردد

ما الزاد غير تضرع وتملق
فتذلل السوءال خير تزود (23)

وله ايضا في رثا شيخه العلامة النحوي ابى عبد الله محمد بن ادريس العراقي الحسيني السالف الذكر قصيدة في اربع وثلاثين بيتا مطلعها :

الا في سبيل الله ما ذا يلاقي
فوءاد محب موءلم بفراق

الى ان قال في البيت العاشر والحادي عشر :

قد اختصه الرحمن بالنحو كله
وما قد حوى من غامض ورقاق

وعلم عروض والقوافي وغيرها
وانباه هذي من معان دقاق

ثم قال في البيت التاسع والعشرين منها :

امولاي عبد القادر (24) بن محمد
بن ادريس ان الصبر للاس راق(25)

وله ايضا هذه التي تعد من اروع ما قرضه في الر..
وهي تحتوي على سبع وستين بيتا قد رثى بها سخد الوجاري السالف الذكر مطلعها :

العين جادت بدمع جار
والقلب ذاب اسا لخطب جار

اسفا وحولي التاسف كيف لا
وانا المصاب ببحر الابحار

الى ان قال :

بكت السماء وطال فيه بكاوءها
حتى رمت بالودق والاحجار

وبكت ارض وهي اجدر بالبكا
وبكته اطيار على الاسحار (26)

وله ايضا في رثاء صديقه الاستاذ ابي عبد الله محمد بن محمد (فتحا) بن ابي العباس احمد ابن يوسف الفاسي المتوفى سنة اثنين واربعين ومائة والف (27) هذه القطعة المحتوية على ثمانية وعشرين بيتا وهذا مطلعها :

نار الفراق اخي ابت ان تنطفي
والموت للاخيار حقا يصطفى (28)

---

22) انظر المصدر اعلاه ص 166
23) انظر تمامها في المصدر اعلاه ص 167 ـ 168
24) هو ابن المرثى توفي في اواسط جمادى الاولى عام اثنين واربعين ومائة والف راجع النشر المثاني الكبير ج 2 ص 178
25) انظر تمامها في نفس المصدر ج 2 ص 178
26) انظر تمامها في المصدر اعلاه ج 2 ص 168
27) راجع ترجمته في المصدر الانف الذكر ج 2 ص 179 وما بعدها
28) انظر تمامها في نفس المصدر ج 2 ص 180

كانوا .. وفي صفحة 24 يجعل المامون الموحدي ، وقد ترك الاندلس الى حاضرة دولته مراكش ، مستجيبا لرأيه القائل : ونحن لا نرى في هذا الا صوابا في الراي ، الذي املى عليه ان يتدارك الدولة ، قبل ان تسقط في هواتها السحيقة ، فكان صنيعه في هذا صنيع المامون العباسي وقد عاد من خراسان الى بغداد ليتدارك الامر ، الذي كان ينذر بسقوط دولة بني العباس.

وفي صفحة 40 يجعل ابن خلدون والمقري من مهاجري الاندلس ، كابن سعيد وابي الخطاب بن دحية واثير الدين ابي حيان والطرطوشي .

وفي صفحة 43 يقول ان « في الكتاب اشارة الى ان (ابن الابار) كان ما زال منشغلا بكتابته سنة 646 وربما يكون قد اتمه قبل وفاة ابي زكرياء » يريد قبل سنة 647 ، والواقع انه كان ما زال منشغلا بكتابته سنة 653، فقد ذكر في ترجمته التي اوردها بالحلة لمحمد بن سبع بن يوسف الجذامي انه « توفي بحضرة تونس في شهر ربيع الاخر سنة ثلاث وخمسين وستمائة » وبذلك يكون تاليف الكتاب قد استغرق سنوات ، نعرف من اولها سنة 645 ، كما يشير الى ذلك في ترجمة يحيى ابن احمد بن عيسى الخزرجي . اما اسف الاستاذ مونس الذي ابداه في التعليق (3) من صفحة 1/270 ، حينما اسقط الناسخ النيف من عبارة ابن الابار « الى وقتنا هذا وهو سنة اربعين وستمائة . قائلا اي الدكتور : « كان هذا يحدد لنا تاريخ كتابة الحلة السيراء بالضبط » فلا وجه له بالمرة . والاشارة التي ذكرها وردت في ترجمة ابي علي عمر بن ابي موسى ، حيث قال : « الى وقتنا هذا وهو شهر الله المحرم من سنة ست واربعين » (2/282)

وفي صفحة 5 من الكتاب ورد بيت هكذا :

يرجفون عينيك بالقرار

ومن شرط الهوى رعي الذراري

فكلمة يرجفون ليست في مكانها

وفي صفحة 6 منه ورد آخر هكذا :

فقلت لها جفناك عزا تجلدي

ونهداك هذا نفس هيمان موجعه

فكلمة عزا لا يظر لها وجه

وفي صفحة 6 ايضا ورد البيت هكذا :

فلو كان رمحا واحدا لاتقيته

ثم في صفحة 7 ذكر ابن الابار عن ابن حوط الله الانصار ، انه لعبد الحق بن عطية هكذا :

فلو كان رمحا واحدا لاتقيته ...

وعلق عليه الدكتور مونس بقوله : « روى البيتين المذكورين هنا . المقري في نفح الطيب (طبعة محيي الدين . .) بالصورة التي وردا بها في النص » ... وقد رجعنا الى هذا المرجع بالذات ، فوجدنا البيت هكذا : ولو كان رمحا واحدا لاتقيته .. (بالواو لا بالفاء) . فلا يخلو ،اما ان يكون التصحيف حصل في الوارد بصفحة 6 واما ان يكون في الوارد بصفحة 7 . ويبعد ان يكون في الاخير ، لان المقري نسبه بالواو الى ابن العربي المعافري الوارد ذكره اولا عند مؤلفنا (6) فلم يتنبه لهذا صاحب التعليق .. وغلط حتى فيما نقل عن النفح . وعليه فالتصحيف واقع لا محالة في الصفحة (6) ، لا التي بعدها

وفي صفحة 10 ورد البيت هكذا :

وعندي ولا رد زفير مردد

تهد لظاه جانب البشر

فحصل في الشطر الاخير بتر او تحريف

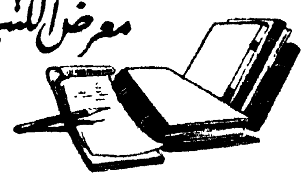
وقوله في اواخر هذه الصفحة : ولما ظفرت من هدا . الى قوله : بمنه ، في 12 ، يظهر انه تزحلق من اول مقدمة الكتاب .

وفي صفحة 26 علق على عبد الله بن الزبير ، حين نص ابن الابار على انه (بفتح الزاي وكسر الباء) بقوله : « واضح ان المراد هنا رجل آخر غير ابن الزبير » مع ان الاول شاعر معروف في كتب الادب والتراجم ، وآخر من ترجم له الزركلي في اعلامه ، ومن قبله بعشر سنوات كتبت عنه في تعليقي على دلائل الاعجاز ، بما يلي : « هو شاعر كان معاصرا لعبد الله بن الزبير ، وقد مدحه بقصيدة فلم يجزه ، فقال : « لعن الله ناقة حملتني اليك، فاجابه ابن الزبير : ان وصاحبها»(89)

وفي صفحة 64 ورد اول السطر هكذا : « وطالعتا موسى بن نصير وبلج بن بشر ، هما اللتان تعرفان بالاندلس بالجندين » من غير ما يكون في هذا احالة على الطالعتين المذكورتين

وفي صفحة 70 ورد في التعليق (1) نقل عن ابن عذارى (البيان 1/73) هذه الابيات التي نسبها ابن عذارى للحسن بن حرب :

معرض الكتب :



الحلة السيراء لابن الأبار

تحقيق الأستاذ حسين مؤنس

قرات كتاب الحلة في طبعته الاولى من قبل بنحو عشرين سنة ، فما وجدت فيه غناء ، وان كنت قد سجلت منه بعض الملاحظات ، وفي اواخر سنة 1962 ، زرت معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، فوجدت صديقنا الدكتور حسين مؤنس ، يقوم على تحقيق كتاب الحلة، واخبرني انها نسخة فريدة ، تفوق ما طبع منها بنحو ثلاثة اضعاف

وانتهى التحقيق وطبعت النسخة بتحقيق الاستاذ الجليل ، صاحب الايادي البيضاء في الدراسات الاندلسية . لقد قرات مقدمة المحقق ، فظننت في اشادته بالحلة مبالغة تتطرف بقيمة الكتاب ، خصوصا قيمته التاريخية ، لكني باطلاعي على هذه النسخة ، وجدت نفسي ، في غمرة من الاعجاب وفي شره من الاستفادة منه ، لم يزايلني الا وقد وضعت الكتاب من يدي ، اتيا على قراءته .

ولست هنا بمحل من يكشف عن قيمة الحلة ، ويضعها موضعها من كتب ابن الابار ، خاصة ، وكتب التراجم ، عامة ، فذلك ما وفاه حقه ، الدكتور مؤنس، ولكني اجعل نفسي هنا بمرباً من سبقات الاستاذ ، تلك التحقيقات الفريدة في بابها ، خصوصا منها ما اتصل بالمواقع والحوادث والاشخاص فتلك موهبة من مواهبه، لا يماري فيها احد ، ولا يشاركه فيها الا القليل من المحققين

ولهذا لن اتناول من هذه التحقيقات ، الا بعض الجزئيات التي وقفت عندها في قراءتي ، واردت ان اسجلها للقراء ، وفيهم استاذنا مؤنس الذي لا شك في انه سيرحب بها وسأسير في تسجيلها محاذيا لصفحات الكتاب

ففي صفحة 19 يجعل القاضي عياضا من شيوخ الاندلس الذين اصبحوا فيه (رموزا على السلطان الوحيد الباقي ، وهو سلطان الدين والعلم ، وصاروا رموزا على قوة الدين وسادته ومعقد الامال في بعث الدولة وعودة هيبة الاسلام في شبه الجزيرة) فهل يصح عده من هؤلاء ؟ وفيها يجعل ابن الابار (سائرا في طريق اولئك الشيوخ ناظرا الى سيرهم اخذا بالاصول التي ساروا عليها) ونحن نعتقد ان ابن الابار لم يكن من هذه الفئة ولا انه نفسه اعد شخصيته لتكون من بين هذه الشخصيات . انه نموذج اخر ، ليس فيه تزمت تلك الطائفة القليلة في الاسلام ، ولا فيه قوة الاحتفاظ بمقوماتها الوطيدة ، فهو دون حتى من اتى بعده من مثل ابن الخطيب وابن خلدون ، انني اقرن شخصيته بشخصية ابي حيان التوحيدي ، شخصية العظمة المترجرجة ، والزراية المتقلبة ، والطموح الساعي في خفاء وخور وملق . الى جانب علم غزير ، هو في الادب اكثر منه في فقه اولئك الفقهاء الافذاذ ، الذين تجل اقدارهم عن الزراية بالناس او الخضوع لهم مهما

وفي صفحة 2/60 ورد البيت هكذا :

فان تستلذي برد ما بك بعدنا
فبعدك ما ندري متى (ما) الماء بارد

فكلمة (ما) لا محل لها كذلك ، فهي مخلة الوزن ثقيلة على العبارة .

وفي صفحة 2/143 علق على عبارة (وكان كالذي نفخ فوه واوكت يداه) بقوله : و « نفخ فوه واوكت يداه » مثل معزوف مع ان المثل المعروف هو (يداك اوكتا وفوك نفخ) والامثال لا تغير ، ولهذا حرص المعلق نفسه على ان يضع ذلك بين القوسين

وفي صفحة 2/185 يقول تعليقنا على (سباني) جمع سبنية وهي المنديل الكبير او الملاءة البيضاء ، وهو لفظ اسباني مع ان الكلمة هذه عربية منسوبة الى سبن ، وهو موضع كما يقول الجغرافيون ، ينسب اليه السبنية ، ضرب من الثياب يتخذ من ثياب الكتان اغلظ ما يكون او ان الاسبان هي المقانع الرقاق وهذه هي المعروفة عندنا بتطوان حتى الان ، وهي عربية قحة

وفي صفحه 2/237 ورد تعليقان (2) و (3) لم يكن لهما لزوم لان الصفحة التالية في الكتاب تغني عنهما بوفاء اكثر منهما

وفي صفحه 2/282 وردت العبارة (وهو القائل في وسيم شاكي السلاح) فكتبت (شاك السلاح) مع تشديد الكاف

وفي صفحة 2/311 وردت العبارة هكذا : (وهي الثالثة عشرين من غزاته) ، والصواب (وهي الثالثة والعشرون) كما تصفها كتب التواريخ (بانها الثالثة والعشرون) من غزوات المنصور ، وهذه الغزوة هي غزاته لمدينة برشلونة فكان ينبغي على الاقل ، التنبيه على ما في العبارة من تحريف

واخيرا ، نعود الى التنويه بعمل الدكتور مونس، ولا نعد هذه الملاحظات مما ينال عمله في شيء ، فتحقيق الكتب من العوائص الكبار التي لا ينجو فيها ناج ، ولو عظمت قدرته وليس بضائر للكتاب الذي يضم سبع مائة صفحة ، ان توجد به هذه الهنات القليلة نسبيا

وفيما يخص الاشعار ، فقد اراد ان يتخلص المحقق من عهدتها ، التي القاها على عاتق صديقنا الدكتور محمود مكي ، وهو من خيرة المثقفين ومن القلائل في الدراسات الاندلسية كذلك ، ولن يضيره كذلك ان تفوته ـ ان فاتته ـ هذه الملاحظات ، فما اكثر ما غيره ، ولا نستثني نفسنا ولا نزكيها، والكمال لله وحده، وهو الدي (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض)

تطوان ــ محمد بن تاويت

أعتاب الكتاب لابن الأبار

تحقيق الدكتور صالح الأشتر

للاستاذ : محمد بن تاويت

كان المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد ، قد عهد الي سنة 1951 ، بالاشراف على طبع بحثه حول ابن الابار ، ومراجعة تجارب الطبع ، فكانت لي فرصة الاطلاع على شخصية ابن الابار بتفاصيلها وتاجها الادبي الذي ذكر منه الدارس كتاب « اعتاب الكتاب » واتى بعرض لمحتوياته

وقد قيض لهذا الكتاب ، ان يتولى تحقيقه ، صديقنا الدكتور صالح الاشتر ، وان ينشر من ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، سنة 1961

واذا كانت طبعة الحلة السيراء الاخيرة ، تمتاز بتعليقاتها التاريخية القيمة ، الى جانب الاخرى ، فان تعاليق هذه الطبعة لكتاب « اعتاب الكتاب » ، تمتاز بتعاليقها الادبية بوجه عام

الا قولـــوا لأغلـــب غير ســـوء
مغلغلـــة عن الحســن بن حـــرب
بـــان البغـــي مرتعـــه وخيـــم
عليـــك وقربـــه لـــك شـر قـــرب
فـــان لـــم تنثـــن لتنـــال سلمـــي
وعفوي فادن من طعنـــي وصبـــري

ثم ذكر في التعليق (2) على ابيـات ثلاثـة لابن الاغلب « ان ابن عذارى اخطأ فجعل ابيات ابن الاغلب للحسن بن حرب » .. مع ان المطلع على ابيـات ابن حرب الواردة في ترجمته بالصفحة 72 يجد ان البيت الاول له ، مع اختلاف طفيف ، وان الثاني والثالث ، هما للاغلب ، كما ورد في الصفحة 70 مع اختـــلاف طفيف ايضا ، وان كان ورودهما في الحلة اولى منه في البيـــــان

وفي صفحة 71 ورد : لا اجزع اليوم ولا اكذب . فعلق عليه بانه مكسور وكان الاحسن ان يقول انــه ليس من بحر ما قبله (وهو الرجز)

وفي صفحة 86 ورد البيت : افي كل يوم ثائر قتلته ولا بد ان (قد) قد سقطت بعد (ثائر) وقد ورد بها النص في الترجمة 27 وهي ترجمة العلاء بن سعيد بن مروان المهلب .

وفي صفحة 130 ورد البيت هكذا :

فـدع النفـس عن مـزاح ولهـــو
تلك حال مضـت وجـاءت حـال

ولعل الصواب (وقد جاء حال)

وفي صفحة 177 وردت العبارة : « وهـذا قـد كان يحسن منه لولا انهماكه الذي كان فيه هلاكـه » فزاد المحقق (في ملذاته) اثر (انهماكه) ولا لزوم لزيادتها

وفي صفحة 179 ورد في جـدول بالهامش ذكـر لمجبر الاغلبي ، بانه اسر وحمل الى صقلية ، والصواب انه حمـل الى القسطنطينيـة ، كما ورد في ترجمتـــه بالصفحة 180 .

وفي صفحة 189 ورد البيت :
انا ارضى بان اقبل نعليـــكعلى قبح ما بدر من صنيعك
والصواب (بدا) بدل (بدر) .

وفي صفحة 194 ورد ذكر الاحمس الطلطلي ، من شعراء بني صالح النكوريين ، باسم (الاخمش) ، وهو غير صواب

وفي صفحة 200 ورد البيت هكذا :

كنـــت لمـــا قـد علمـت الهـــو
ل اذ انـا ممـا شكـــوت نـــاج

هكذا (الهول) منكولا مع التدوير ، وصوابه :

كنت لمـا قـد علمـت الهـــو
اذ انـا ممـا شكـــوت نـــاج

فعلا مضارعا ، ولا تدوير في البيت

وفي صفحة 250 وردت هذه العبارة : وما ابن فرج فموته من مولده مقتربان .. فلا شك ان العبارة وقـــع فيها تشويه لم يتنبه له المعلق عليها بهذه العبارة : اي ان تاريخ مولد ابن فرج قريب من تاريـخ وفاة ابـي الحزم بن جهور .. فوقع في تعليقه هذا اضطراب آخر ادى الى قلب المعنى المقصود ، الذي زاده ابن الابار افصاحا فيما بعد فقال : « ولد جهور بن محمد سنة اربع وستين وثلاثمائة في المحرم وتوفى ابن فرج اثر وفاة الحكم المستنصر بالله في صفر سنة ست بعدها واغرب منه انه علق تعليقا اخر على هذا دون ان يتنبه

وفي صفحة 293 ورد البيت هكذا :

صافي الصهيـل كان في ترجيعـــه
غـرد يغنـــي في الثقيـــل الاول

وعلق عليه بقوله : لم يرد من هذا الشطر الا الكلمات الثلاث الاولى ، هكذا : صافي الصهيل كانه ... مع ان (غرد) لا يناسب التركيب الذي اثبته

وفي صفحة 2/24 ورد البيت هكذا :

وهـذا يمـد بالحاظـــه (لـــي)
وهـــذي بالبنـــا تلعـــب

وواضح انه لا محل لـ (لي) في البيت ، فهي من الزيادات المفسدة للصنعة والمبنى .

وفي صفحة 2/39 ورد البيت هكذا :

تـرى ناظـر الظيـان في لـــون
اذا مـر مـاء السحائـب يغتـــذي

فهو كما نرى مكسور محطم ، ولعل صوابه :

ترى ناظر الظيان في حسن لونـــه
اذا مـر مـاء للسحائـب يغتـــذى
اورق لـــون زهـــره ...

المغرب

للأستاذ عبدالله العمراني

تصدر بين الفينة والاخرى كتب عن المغرب لمؤلفين انجليز ، يكتسي بعضها صبغة البحث التاريخي ، ويتسم بعضها الاخر بالطابع السياحي ، ويهتم بعضها الثالث بغير ذلك من المباحث ذات الفائدة العامة .

وحديثا صدر عن المطبعة ووصل الى السوق الادبية بالمغرب كتاب Morocco للمستعرب الانجليزي الخبير نيفل باربر الذي نعرفه مؤلفا وكاتبا صحفيا مختصا بشؤون شمالي افريقية والشرق الاوسط خلال مدة تكاد تبلغ الاربعين سنة . وذلك بالاضافة الى مكاتبته لعدة صحف ومجلات مثل : The Economist البريطانية و Politique étrangère الباريسية و Politica Internacional الصادرة بمدريد ثم The Middle East Journal التي تصدر في واشنطون .

هذا بعض ما يتعلق بالكاتب ، اما الكتاب الذي اصدرته له شركة Thames and Hudson ضمن سلسلة «الامم والشعوب «1» الجديدة » فيقع في 239 صفحة من حجم الوسط 15×21 سم ، وهو مجلد تجليدا فخما جذابا ، ومزين بلوحات رائعة تزدان بصور ورسوم ووثائق هامة يبلغ عددها احدى وتسعين صورة او وثيقة ، وذلك علاوة على خمس خرائط توضيحية هامة ، موزعة توزيعا مناسبا على صفحات الكتاب وهي :

1 ـ الخريطة السياسية للمغرب .
2 ـ خريطة توزيع الامطار بالمغرب .
3 ـ خريطة تاريخية لحملة عقبة بن نافع «الثانية» سنة 680م «60هـ» .
4 ـ خريطة امبراطورية الموحدين سنة 1212م «608هـ» .
5 ـ الخريطة الاقتصادية للمغرب .

وكل من هذه الخرائط وتلك الصور التوضيحية تبين عن طبيعة البلاد ، وعن اوجه النشاط السياسي والاجتماعي والاقتصادي والمعماري والفني لدى اهلها في عهودهم التاريخية المختلفة .

وقد قسم المؤلف كتابه حسب ماضي المغرب وحاضره ومستقبله الى الفصول التالية : البلاد والسكان ـ الاصول ـ امبراطورية المرابطين ـ خلافة الموحدين وبني مرين ـ تصدع وترميم ـ تدهور وانسحاب ـ المنظر يتغير ـ السيادة تسترد ـ المغرب اليوم وغدا . وذلك عدا المقدمة القصيرة التي سيطلع عليها القارىء بعد قليل .

تلك هي ابواب الكتاب الرئيسية ، وقد استغرقت 217 صفحة . وتوجد زيادة على ما تقدم ملحقات اخرى تتمثل في تعليقات تحيل القارىء على المراجع التي اعتمد عليها المؤلف في تحريره للفصول 3-4-5-6-7-9 كما تتمثل في بضع صفحات

«1» صدر من هذه السلسلة ـ زيادة على الكتاب الذي نحن بصدده ـ كتب اخرى حررها مستشرقون آخرون وهي : يوغسلافيا ـ ماليزيا ـ اندونيسيا ـ الهند ـ البرازيل ـ الفلبين ـ الصين ـ جزر الهند الغربية ـ غانة ـ استراليا ـ افريقيا الوسطى ـ زيلندة الجديدة .. الخ

اما التعاليق التاريخية، فقليلا ما اشار اليها المحقق، الا انه لم يهمل التنصيص على المراجع ، التي كان منها كتب التراجم والتواريخ

والى جانب هذه القيمة الادبيــة ، فالكتــاب في نشرته هذه ، انتهى الى مشارف الكمال ، فلا نجد فيه اغلاطا ولا اخطاء الا ما ندت به المطبعة ، وهو في غالبه ينحصر في نقط الاعجام او اسقاط حرف من الكلمة ، وجميع ذلك لا يتعدى عدد الانامل .

ومع هذا فلنا بعــض الملاحظــات على هذا العمل القيم ، يمكن ان نعلنها فيما يلي :

1) ورد في الصفحــة 84 و 107 ذكــر لكتـــاب «المعرب عن المغرب» ، فعلق عليه المحقق بان بروكلمان يذكر كتابا بهذا الاسم لابي هلال العسكري ، وقد وصلت الينا ـ يقول ـ نسخة خطية منه

هكذا ، اتى المحقق بذكر بروكلمان للكتاب الذي يحمل هذا الاسم ولكنه ذكر ان نسخة قد وصلت (الينا) ... ويظهر انه لم يقرأ هذه النسخة ، والا لكان قد نص على مكان النص الذي ساقه ابن الابار منها ، كما فعل في غيرها مما قرأه او رجع اليه

والواقع ان كتاب « المعرب عن المغرب » ،الذي عناه ابن الابار ، وذكره هكذا في الحلة السيراء مرتين، وثمان مرات اخرى مع اختــلاف طفيف ، ليس لأبي هلال ، وانما هو لابي علي الحسين بن ابي سعيــد عبد الرحمن بن عبيد القيرواني المعروف بالوكيل ، كما نص على ذلك ابن الابار نفسه ،في ترجمة منصور بن عبد الله ابن يزيد الحميري

2) وفي صفحة 105 وقع بتر في اول ترجمة داود القيرواني،حيث ورد النص هكذا: كتب لمحمد بن مقاتل العكي ، ثم لابراهيم بن الاغلــب ، في امارتهمــا على افريقية ، من قبل هرون الرشيد ، باستمراره على ولايته بعد عزله بابن الاغلب فنجد اضطرابا في النص لم ينبه المحقق عليــه ، وباطلاعنــا على الحلة السيــراء ، ادركنا ان بترا حصل فيه ، ويظهر انه وقع مباشرة ، بعد كلمة (الرشيد) والمذكور في الحلة ما يلي : وولي الزاب من قبل هارون الرشيد وابن العكي على افريقية الى ان صرف بابراهيم وتوجه الى المشرق ، فلما بلغ طرابلس ، دلس له كاتبــه داود القيروانــي على لسان الرشيد ، كتابا باقراره على افريقية ..

وبذلك يكون الساقــط في العبارة ، نحو قولــه : وكان ابن العكي لما صرف بابراهيم توجه الى المشرق فلما بلغ طرابلس دلس له كاتبه القيرواني هــذا كتابا على لسان الرشيد

3) وفي صفحة 237 استظهر في نص من رسالة ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص ، وكان قد كتبت عنه سنة 604 في انتصاره على ابن غانية ، ان تكون الكلمتان الغامضتان فيها (شيذو) (سبتة)

وقد اجهدنا انفسنا كما اجهدها المحقق ، لا محالة، في العثور على وقيعة (شيذو) او نحوها ، فلم نوفق ، لكننا مع عدم هذا التوفيق نستبعد نهائيا ان يكون المكان من نواحي سبتة ، اذ حوادث هذه السنة كانت بافريقية، ولم يكن ابن ابى حفص قد انتهى الى سبتة بعد توليته على افريقية بسنة واحدة ولا كان ابن غانية قد انتهى الى ناحية من نواحي سبتة

تطوان : محمد بن تاويت

1 ـ الصدق في البحث التاريخي الهادىء الهادف .
2 ـ الموضوعية التي قد لا تخلو من طابع سياحي رشيق .

واذا كان البروفسور باربر قد امل في آخر مقدمته ان يكون موفقا في تفسير حاضر المغرب عن طريق ماضيه ، فاننا نشاطره امله ، ونرجو ان يكون قد اصاب محز الحقيقة ، وحقق الهدف من تاليفه مسهما في اطلاع الاجيال الناطقة بالانكليزية على ارض المغرب واهله ، وفي تعريفها بتاريخه ونشاطه في مجالات الحياة المختلفة .

على ان كل هذا لايمنعنا من ابداء بعض الملاحظات التي ليس من شأنها ان تغض من قيمة هذا الكتاب الثمين .

1 ـ يجعل المؤلف تاريخ المغرب العظيم يمتد عبر الماضي الى اكثر من الف عام . ولا ندري السبب الذي جعله يقتصر على هذه المدة المحدودة ، مع ان تاريخ المغرب قد ازدهر ايضا حتى في عصور سابقة لظهور الاسلام . قد يقول قائل : ان تعبير المؤلف اللبق « باكثر » يشمل مزيدا من السنين الكثار ولكننا نرى ان هذه اللفظة لا تعني الا « النيف » اي انها لا تعدو اجزاء الالف من المئين على اعلى تقدير ، او اجزاء المئات من العشرات على ادنى تقدير .

ب ـ يبدو ان المؤلف يعتنق فكرة ان « الحماية » عملت على ترقية المغرب ، وجعله بلدا عصريا . قد تكون هذه هي الحقيقة باعتبارها واقعا ملموسا حصل، ولكن هنا نتساءل : لو ترك المغرب وشأنه ، او فتحت امامه سبل التعاون الدولي والمساعدات الفنية التي لاتمس السيادة والاستقلال ، اكان من الممكن ان يبقى متأخرا ؟ الم يكن في استطاعته ان يشق طريقه مصيبا تارة ومخطئا اخرى ، حتى يستوي دولة عصرية حديثة كما فعلت اليابان مثلا ؟

ج ـ في صفحة 220 يذكر المؤلف ان كتاب الاستقصا للناصري ، يعالج تاريخ المغرب من اقدم العصور حتى سنة 1894م . ونحن نوافق المؤلف على النهاية ، ونخالفه على البداية . ذلك ان الاستقصا يبدأ تاريخ المغرب بتاريخ الاسلام ولا يتعرض لما سبقه من عصور .

د ـ في صفحة 134 نقل المؤلف خريطة تاريخية لراسمها I. Senex الذي قسم فيها المغرب الى مملكة فاس ، ومملكة مراكش ، ومملكة سوس ، ومملكة تافيلالت . وكتب المؤلف تحت الخريطة يقول : « في القرنين 16 ، 17 كان المغرب مقسما الى ممالك منفصلة عمل على اعادة توحيدها الحكام العلويون » .

ونحن نستغرب من راسم الخريطة هذا التقسيم الذي يشعر بان هذه ممالك حقيقية كانت متعاشرة متعاصرة معترفا بعضها ببعض ، كما نندهش لتعميم المؤلف هذا التقسيم بين القرنين 16 ، 17 حيث يفهم القارىء ان المغرب في هذين القرنين كان عبارة عن هذه الممالك مجتمعة .

الحقيقة ان ليس هناك ممالك بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة ، وان المغرب لم يكن يتوفر في كل عصر الا على مملكة شرعية واحدة . نعم قد يستولي ثائر على مدينة او اقليم ، وقد يحصل تقسيم لمناطق النفوذ بين السلطة الشرعية والثائرين عليها « كما حصل بين الوطاسيين والسعديين » او بين سلطتين كلتاهما تعتبر نفسها شرعية « كما حصل بين ابناء المنصور الذهبي » . ولكن هذه مجرد فترة عابرة لا يلبث الموقف بعدها ان ينجلي ، فيستولي الاقوى على اطراف البلاد ، وتعود المياه الى مجاريها ، وتلك سنة الله في الكون .

ونستطيع القول اخيرا ان المغرب لم يكن في مختلف ادوار حياته التاريخية وفي العهد الاسلامي على الخصوص، الا دولة واحدة وامة واحدة. قد يحصل خلاف او نزاع ، وقد ينشب قتال او حرب اهلية ، ولكنها جميعا عبارة عن سحابة صيف لا تلبث ان تنقشع ، ويعود المغرب للخضوع لسلطة شرعية واحدة من ادناه الى اقصاه .

هـ ـ في صفحة 136 صورة لرسالة من رسائل مولاي اسماعيل بن الشريف ، كتب المؤلف تحتها انها مرسلة الى لويس الرابع عشر ملك فرنسا يدعوه فيها الى الاسلام .. وفرحت كثيرا لاني ما فتئت اتمنى العثور على صورة هذه الرسالة ، بعد ان عثرت على مثيلتها التي كان مولاي اسماعيل ارسلها الى جيمس

خصصها الكاتب للتحدث عن المراجع المختارة فذكر كتبا الفها عن المغرب كتاب من مختلف الجنسيات والعصور ، وبلغات شتى ، ثم نجد موضوعا مشتركا بين كتاب Morocco وبين سائر حلقات هذه السلسلة ويحمل عنوان : من هو ؟ يتحدث فيه مؤلفه عن الشخصيات المغربية والاجنبية التي سطع نجمها فى ميدان السياسة المغربية . وختاما نجد فهرسا للاعلام شاملا للاشخاص والاماكن التي ورد ذكرها فى صلب الكتاب .

لعلنا بهذا نكون قد رسمنا صورة مصغرة لما اسهم به البروفسور نيفل باربر فى تزويد المعنيين بشؤون المغرب والمغاربة ، باحدى ثمار نتاجه الادبي ولعلنا نزيد الصورة ايضاحا حينما نعمد لمقدمة الكتاب نستفتيها فنتبين منها مدى ما عاناه المؤلف فى بحثه التاريخي ، ونستشف المكانة التي تحتلها هذه البلاد فى صف الدول الحديثة .

قال المؤلف : « المغرب هو الوحيد من بين الدول العربية الذي يتمتع بشاطىء على المحيط الاطلسي وآخر على البحر المتوسط . انه قطر ذو جمال طبيعي عظيم . وكمملكة حديثة ، استقل منذ سنة 1956 فقط ، فواجهته جميع المشكلات التي يفشو حدوثها بين الدول المنبعثة ، حديثة العهد بالاستقلال . لكن المغرب يتوفر ايضا على شيء لا تتوفر عليه معظم تلك الدول وهو التاريخ العظيم عبر الماضي الى اكثر من الف سنة .

«فى عام 1189م «585هـ» حينما كانت ممتلكات الحكام المغاربة تمتد من المحيط الاطلسي الى تونس ، ومن الصحراء الى نهر تاجه وابره ، عمد صلاح الدين الايوبي الشهير — وكان راغبا فى حصار عكة — الى طلب مساعدة الاسطول المغربي .»

وفى سنة 1211 م «607هـ» ارسل الملك جون ملك انكلترا ، سفارة الى ملك المغرب ، بقصد طلب تأمين ممتلكات التاج البريطاني فى اكيتانيا «1» وحمايتها فى حالة ما اذا عبر جيش اسلامي مظفر جبال البرانس ، وقد كان ذلك محتمل الوقوع حينئذ .

«اما فى القرن السادس عشر ، فكانت الملكة اليزابيث الاولى ، تستورد من المغرب السكر الذي كان يستعمل فى قصورها . وكانت تداعب مخيلتها فكرة قبول المساعدة المالية والمادية من المغرب ، فى حالة انزال الجيوش الانكليزية بأرض البرتغال لتعزيز جانب احد المطالبين بالعرش البرتغالي ، او فى حالة ما اذا ارادت — فيما بعد — مهاجمة الممتلكات الاسبانية بامريكا .

« واحدى نتائج هذا الماضي ان فى المغرب — بالاضافة الى تنوع مناظره الطبيعية — عددا من آثار العصور الوسطى التي تناظر تلك التي باسبانيا وتقف برهانا ساطعا على حضارة مسلمي الغرب التي ندعوها عموما بالحضارة المغربية .

« ولتوفر المغرب على موقع جغرافي اقدره على تجنب النزعات الخارجية ، باتكماشه داخل حدوده الخاصة ، فانه استفاد من هذه الوسيلة فى حماية نفسه ، والحفاظ على استقلاله خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . ونتيجة لذلك استطاع ان يحتفظ بشكل الحياة التي كان يحياها فى العصر الوسيط الى فترة الاحتلال الفرنسي الاسباني سنة 1912 «1330هـ» حيث اصبحت الحكومة ووسائل الحياة تسير وفق اساليب حديثة . ان ببلاد المغرب اليوم برلمانا يتألف من مجلسين انتخب ادناهما «مجلس النواب» بطريقة التصويت العام الذي زاوله الجنسان معا . لكن استمرار العرف ووطاة التقاليد يضفيان على الحياة المغربية سحر المتناقضات .

وهنا يختم المؤلف مقدمة كتابه قائلا : « لقد حاولت فى الصفحات القادمة ان ارسم صورة للمغرب الجديد ضمن اطاره التاريخي ، وليس هذا بالعمل السهل اليسير . انه منذ تنازلت بريطانيا العظمى فى سنة 1904 عن اهتمامها بمستقبل المغرب لفرنسا لم تؤلف بانكلترا فى الموضوع الا كتب قليلة جدا ، ولم يحاول اي منها ان يفسر حاضر المغرب بماضيه . واني لمؤمل بكتابي هذا ان اسهم فى سبيل تحقيق هذه الغاية » .

من خلال هذه المقدمة تتبين لنا الطريقة العلمية الموفقة التي سلكها المؤلف فى علاجه للموضوع ، كما تتضح لنا بعض آراء هذا المستعرب فى المغرب وتاريخه ونهضته وعلاقاته بالدول الاجنبية المعاصرة . كل ذلك فى اسلوب شائق يتحلى بخصلتين هامتين :

1» اكيتانيا : مقاطعة بجنوب بلاد غالة « فرنسا الان» تقع بين نهر كارون والمحيط الاطلسي، وجبال البرانس .

عيون البصائر

للأستاذ عبد القادر زمامة

اذا كانت سراديب الحياة ، ورمال النسيان ، تعمل عملها ضدا على الاحياء والأموات من اجل انحراف عابر .. ! او تنكر فاجر .. ! فان الوفاء في ضمير الانسان يظل فيضا لا ينضب ... ومعين حيوية لا يغيض

وجريدة « البصائر » كانت لجيل من المفكرين والسياسيين والمومنين بالقضايا المقدسة ، مرآة مجلوة تنعكس على صفحاتها الرواجف والروادف من مآسي الانسان المستضعف في كل بقعة من بقاع الارض يئن من الجور .. ! ويشكو من الحرمان .. ! وتهفو نفسه الى يد منقذة .. ! او نجدة مغيثة .. !

وصاحب «البصائر» الاستاذ محمد البشير الابراهيمي ـ رحمه الله ـ كان في دنيا العرب . وقضايا الاسلام صارم حق لا يكل .. ورافع علم لا ينزل .. وخائض غمرات يدافع فيها بالحق عن الحق .. ويجادل فيها عن العقيدة بالعقيدة ..

فهو في الجزائر وطنه مجاهد ..

وهو في العلم عالم مجاهد ..

وهو في الادب اديب مجاهد ..

وهو في « البصائر » صحفي مجاهد ..

ولم يغمض عينيه حتى كان على موعد مع ثمار غرسه .. ولحق بربه بعد ان ترك فينا « عيون بصائره » ذخيرة لا تبلى جدتها .. وحديقة لا تذوى زهراتها

وسنقدم لقراء مجلتنا عرضا عن هذا الكتاب الذي لم تصل منه الى المغرب الا نسخ تعد على رؤوس الاصابع مع انه من القيمة العلمية والفكرية والادبية بالمكان الذي ينفرد به من بين ما تلفظ المطابع هنا وهناك ..

وعنوان الكتاب يرمز الى تلك المقالات القيمة التي كان الاستاذ الابراهيمي يفتتح بها « البصائر » وهي من « عيون » الانتاج الفكري والادبي من دون جدال وقد كنا نقرؤها في ابانها مثنى وثلاث ورباع ..

نستنشف منها روح البيان ... ولغة القرءان ... واسلوب الجاحظ وابي حيان ...

والكتاب مطبوع طبعا جيدا بدار المعارف بالقاهرة وهو يحتوي على ما يقارب 700 صفحة و 140 مقالة ... وقد اراد المؤلف ان يبوب هذه المقالات حسب موضوعها وما ترمي اليه من مقاصد اجتماعية او سياسية او انتقادية لهيئة ما .. او شخصية ما . على الترتيب الاتي :

1) جمعية العلماء وجهادها في فصل الدين الاسلامي عن الحكومة الافرنسية في الجزائر ..

2) من مشاكلنا الاجتماعية .

3) جمعية العلماء والسياسة الفرنسية بالجزائر .

4) جمعية العلماء والمغرب العربي .

5) جمعية العلماء وفلسطين .

الثاني ملك انكلترا «1» يدعـوه فيها الى الاسـلام كذلـك .

بيد ان خيبة الامل لم تلبث ان اطلت براسهـا من بين سطور هذه الرسالة التي لم تكن فى الواقـع سوى رسالة عاديـة ارسلها العاهل المغربي الـى لويـس الرابع عشر فى غـرة ربيع النبـوي 1103هـ «1693م» ، يرفض فيها مقابلة المندوب الفرنسـي ويابـى التفاوض معه قائـلا :

« اما بعد ، فاعلم انه ورد على مقامنـا العلـي بالله النصرانـي التاجر ولد اصطبله الفونص وزعم ان بيده من عندكم امرا وتفويضـا ، واستظهر لنا بمكتوب على لسانكم يدل على الاذن له فى الكلام فيما يظهر لكم لدينـا من مهماتكم واغراضكم ، ويتوسط فيمـا يعرض لكم بحضرتنـا العلية صانها الله ، فلم نشك انه مكتوبكم واذنكم ، غير انا لم نعتمد على قوله ، ولـم نـر الكلام معه فى شيء من ذلك ، لكونه تاجـرا وليس هو من خواص اصحابكم ولا من كبار خدامكم واعيانهم لديكـم ، اذ ليس من شأن التجـار الدخول فى الكلام مع الملوك .. »

ثم يقترح عليه قائلا : « فان كان لكم غـرض فى الكلام بجد وخلوص نية ، فابعث الينا واحدا مـن كبـار اصحابكم الذين يوثق بهم .. وان احببتـم ان نوجه لكـم واحدا من خيار خدامنـا وكبار اهـل بساطنـا العلي بالله ، فابعثوا لنا مركبـا يحمله مـن عندنا ونبعثه لكم بالاذن الصحيـح .

« وحاصل ما يتكلم به معكم فى هذه الاسـارى التي لكم عندنا ان نعمل لكم فيها الفداء نصرانيـا واحدا بمسلم . ولا نبتغي عندكم الا من هـو هنالـك من اهل سلا والرباط وتطاوين وفاس والقصر ومكناسة الذي اخذوا دون العشر سنيـن الى ست سنيـن الى اربع فاقل من ذلك . ومن سواهم من غير هـذه البلاد المذكـورة ومن كان فوق العشر سنين لا يتكلم معكم فيـه بشيء .. »

ويعلل مولاي اسماعيل رغبته عن تحريـر الاسارى الكبـار قائلا : « ولا عندنا هنالك اسـارى تكبر علينا مسالتهم ، او من هو معروف عندنا بوجهه الا البحريـة ومن هو من امثالهم » ويضيـف مـولاي اسماعيل اقتراحا اخيرا فيقـول لملك فرنسا :

« وان اتفق رايكم على بعث من تعينونـه مـن خدامكم ، يأت معه بجميع من هو هنالك من الاسارى المذكوريـن الى قرب المرسى ، ونتفاصل معه بوجـه لائق ممكن ، ونعطيـه اساراكم وناخذ منه المسلمين ، هذا بهذا ، ولا يرجع الا مقضي الفرض ان شاء الله .. »

اخشى ان اكون قد اطلت فى الاقتباس مـن الرسالة ، على اني ان فعلت ، فانما تحريت الفائـدة او العظـة والعبرة . والفضل فى هذه العظـة او الفائدة راجع — ولاشك — الى مستر نيفـل باربر الذي نقل لنا هذه الرسالة فى كتابه ظانا — وبعض الظن ليس باثم — ان مولاي اسماعيل بعثها للويس 14 يدعوه فيهـا للاسـلام .

واخيرا ، اكرر ما قلته منـذ حين : ليـس من شان هذه الملاحظات الهينة العابرة ان تحط مـن مكانة هذا المؤلف او تفض من قيمة كتابـه الذي لا يستغنـي عنـه طالـب او استـاذ او مـؤرخ او ديبلوماسي او حتى سائح . انه كتاب يغزو الاسواق ، وينبغي ان يجد مكانه اللائق فى مكتبة جميع اولئـك الذين يجيدون الانجليزيـة .

وحبذا لو تم تعريبه ، اذا لسد ثغـرة طالمـا احس بها ابناء العروبة ممـن يتصـدون للبحث فى شؤون المغرب عبر عصوره التاريخيـة من قديمـة وحديثـة .

تطـوان — عبد الله العمرانـي

1» راجع بحثنا التاريخي « سياسة مولاي اسماعيل الخارجية » البحث العلمي عـدد 4، 5 ص 280 — 301 ، الربـاط .

براعة الاستاذ « ابو محمد » وهـو شخصية مرموقة. وكان عنوان تلك المقالات :

« منبر السياسة العالمية »

فكنت اجد في افتتاحيات « البصائر » التركيـز والعمق وفي « منبرها » الاتساع والشمول وكلاهما رائع في بابه مغذ للفكر والقلب يهدي الحيران .. ويروي الظمآن بناصع الحجة وساحر البيان

كل هذا و « البصائر » انما هي « جريدة » تتكلم بلسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تستمد قوتها من ايمان اصحابها وكفاحهم في سبيل تصفية العقيدة واحياء اللغة وفضح مكايد المغرضين وحماقات المغرورين . !

وفي الباب الرابع نجد قضايا المغرب العربي بقصها وقصيصها وهي قضايا متشابهة ولكن « العبقرية » المحركة كانت تستعير لها الوانا واصباغا من المحليات والعصبيات والشخصيات والشكليات لتوهم البسطاء . ان هناك « دولا » و « حكومات » و « مشاكل » عصرية واخرى « طائفية » وثالثة «لغوية» مع انه في مثلها يقال :

« الفاظنا شتى وحسنك واحد » ولعلنا لسنا في حاجة لبسط اراء المؤلف في هذا الموضوع لكن « الاسلوب » الذي ظهرت به هذه القضايا و«العرض» المركز الذي اتسم به بيان المؤلف جعل قراءة هذه الفصول بمنزلة سياحة نقوم بها لبلاد نعرف منها الاسماء لا المسميات والشكليات لا الجوهريات

ومثل ذلك نقوله في الفصول الرائعة عن قضايا فلسطين والشرق العربي والعالم الاسلامي، لكن الطريق في هذه الفصول انها لا تسير مع تيار المفاهيم السطحية والاراء العاطفية والمخططات الخيالية او بعبارة ادق ان منطق الاستاذ البشير ليس منطق الببغاوات ولا منطق الاغرار .. ولا منطق المضللين المحجوبين بحجب داخلية او خارجية تمنعهم من الجهر بالحق والتصريح بالواقع .. فمشكلات العرب والمسلمين « وحدة » متصلة الحلقات في نظر الكاتب . وكل محاولة للتجربة هي زيادة على انها غير مفيدة ولا منتجة لا تزيد المسلمين والعرب بصفة خاصة الا تناحرا وتدابرا وتراشقا بالتهم وسعيا وراء سراب . !

واذا انتقلنا الى القسم السابع من الكتاب وهو قسم ـ الشخصيات نجد التقريظ والنقد لهما هالات من التحليل والدرس يشمل الجزئيات والكليات والجديات التي لا يقوم الهزل مقامها والهزليات التي لا يجلى فيها الجد شيئا .

واسلوب الكاتب اصيل في الهزليات . «وهو على من صبه الله علقم » فاذا سخر من صنيعة من الصنائع او صنم من الاصنام واذا انتقد دجالا او مشعوذا او مفتونا او جبارا من الجبارين او طاغوتا من الطواغيت رايت الجبال تندك . والارض تميد ... وصروح الاوهام تنهار والشيخ البشير يرسلها نكتة حارة او نادرة غريبة تضحك الثكلى وتسلي المحزون .

هذا عرض سريع عن فصول الكتاب واهدافه . وهو لا يجديك شيئا ولا يفيدك شيئا دون التشويق لقراءة هذه التحفة الفنية والذخيرة الفكرية التي لا تقدر بثمن والتي تجدها في هذا الكتاب

فالاديب يجد في عيون « البصائر » ثروة لغوية في الالفاظ والاساليب البيانية بعد عهده بها منذ عصر الجاحظ وابي حيان التوحيدي

والمفكر يجد في «عيون البصائر» الفكرة الناضجة والراي السديد والحجة البليغة والمنطق السليم .
اما المصلح الاجتماعي والسياسي فسيجد الحقائق الصارخة عن خفايا الداء في دنيا العرب والمسلمين ..

فاس ــ عبد القادر زمامة

6) جمعية العلماء والشرق والاسلام

7) شخصيات !

وهذه الابواب لا تعني شيئا سوى ان المؤلف رحمه الله اراد ان يعطينا دليلا قاطعا على ان الاهداف التي كانت ترمي اليها مقالاته هي اهداف شمولية تتناول قضايا الهيكل العام لوحدة الدين واللغة والاماني المشتركة للشعوب الاسلامية في مشرق الدنيا ومغربها

والفصول الرائعة التي تدخل في نطاق القسم الاول من الكتاب هي وان كانت تعتبر الان فصولا ـ تاريخية ـ لتبدل الاوضاع وخروج البلاد من طور الى طور ولكنها بالنسبة للمفكرين والسياسيين تعد دليلا ونبراسا يجب ان يستضيئوا به في معرفة نقط الضعف ... ومركز الداء ليلا يدخلوا في تجارب اخرى ويهملوا الاستفادة من تجارب الرواد السابقين

ويعجبك في هذه الفصول بالاضافة الى روعة البيان صراحة المنطق ! ووضوح الحجة ! وعمق الفكرة وشمولية الهدف

فالاستاذ البشير لا يريد للامة الاسلامية ان تغرق في بحار الشعارات والشكليات وان تحرر من جهة لتستعبد من جهات ولكنه يريد لها عزة حقيقية مبنية على استقامة الهدف واستقامة الطريق الى هذا الهدف مع ايمان بالمقدسات تذوب في حرارته الاغراض الشخصية . وتمحى في ظله امراض الانانية واعراض التقليد التي يصاب بها المغرورون والمستضعفون يوم يقال لهم : انكم على ابواب النصر !

وشيء اخر في هذه الفصول وهو تزييف الافكار ـ الجاهزة ـ والاساليب المستوردة ـ لان التهافت على هذه او تلك هو في نظر المؤلف من مميزات «القرود» ، والحالة هذه اننا لا نريد بانسانيتنا بديلا !

ولعل القراء لا يجهلون مذهب المؤلف فى ان الاسلام « وحدة » لا تتعارض فيها « مصلحة » الفرد مع مصالح الجماعة ولا تفرق بين السياسة والدين

فالاسلام عقيدة وقانون وسلوك ونظام ... وحول هذا الحصن المنيع تنطلق سهام المؤلف ترمي المغرورين والمغرضين تصيب منهم المفاصل والمقاتل . !

اما الفصول التي تدخل في نطاق الباب الثاني فهي تعريف بالواقع الاجتماعي ونقد ذاته تناول عدة قضايا « انحرافية » في الاسرة والسلوك الفردي والخلق الاجتماعي ولا سيما بالنسبة للشباب عدة الامة ورصيد المستقبل

واغرب ما في هذه الفصول هو ذلك الفصل الذي كتبه الاستاذ الابراهيمي بعنوان :

« دعوة صارخة الى اتحاد الاحزاب السياسية » في المعارك الانتخابية التي كانت تدور حول المجالس البلديـــــة

وهذه بحسب الظاهر قضية « سياسية » لكن المؤلف يعتبرها قضية « اجتماعية » قبل كل اعتبار اخر . وبذلك يدلنا على عمق ووعي اجتماعي متغلغل في ضمير المسلم اليقظ الذي يتخطى الشكليات الى الجوهريات ولعل هذا هو السر في ان اراء ومساعي هذا الرجل ظلت محترمة ومقدرة من طرف انصار جمعيته وخصومها على السواء لانها تحمل عناصر الجدة والطرافة والتسامي عن كل انحراف تخلقه ظروف الشدة او ظروف الرخاء !

ونجد الفصول التي تدخل في نطاق الباب الثالث مراة تنعكس عليها « عبقرية » المكر الاستعماري بالاسلام ولغة الصاد في البلاد الجزائرية

وقد فوق الاستاذ الابراهيمي سهاما حادة الى هذه « العبقرية » فادمى جراحها وهدم بنيانها ، وقوض اركانها وفضح اسرارها ونكك انصارها حتى شمت بها الخصم ! وتنكر لها الصديق ! وصرنا نرى العمل الذي استمر قرنا من الزمان .. ! هشيما تذوره الرياح لانه عمل ضد طبيعة الارض يريد ان يبدل سنة الله « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

وفي هذه الفصول نرى الجانب « العلني » من « سياسة » جمعية العلماء الجزائريين ومواقفها من الاحداث السياسية

وما زلت اذكر انني كنت اقرأ اعداد « البصائر » « المهربة » واقرأ فيها الى جانب الافتتاحيات تلك المقالات « السياسية » الواسعة الابعاد التي كانت تدبجها

والدليل على ذلك ما نعرفه من تاريخ العالم المعاصر بعد الحرب العالمية الاولى 1914 ـ 1918 م وبعد الحرب العالمية الثانية 1939 ـ 1945 م

فبعد الحرب العالمية الاولى عمت الدنيا شرقا وغربا سلسلة من الماسي والنكبات وانتشرت الافكار الهدامة ولم يجد المغلوبون على امرهم وسيلة للانتقام سوى تاسيس المذاهب المعروفة التي قادت العالم مرة اخرى الى الحرب العالمية الثانية

والمؤرخ الانكليزي يفصل في كتابه الاحداث ويعطيها التفسير الحقيقي والواقعي كما يظهر له من خلال دراساته الواسعة للقضايا العالمية منذ خمسين سنة

والعالم في نظر المؤلف ليس الا جهازا مولدا للاحداث والتاريخ ليس الا شاشة بيضاء يحتفظ بما يرسمه المولد من صور ورسوم واشكال وقد بدأ المؤلف باستعراض عجيب لاهم الحروب التي خاضها قادة الامم من الاسكندر الى نابليون وبسمرك وهتلر ويعلق على كل حرب خاضتها البشرية تعاليق تكشف اسرارها ونتائجها مما يعد بحق خلاصة وافية باخبار الحروب العالمية ونتائجها .

واهم ما يلفت النظر في هذا الاستعراض ان المؤلف يجعل الحتمية قانونا عاما يطبقه بدقة لا شذوذ فيها على الرومان واليونان والفرس والعرب واللاتينيين والانجلوسكسونيين

وهذه الحتمية هي ان الحرب تاج الحضارة وهي في الوقت نفسه سلاح تسله الحضارة على نفسها لتهدم في ايام معدودة ما شيدته في قرون طويلة

والغريب المستغرب ان المؤلف الانكليزي عمد الى القارة الاسوية واخذ جزءها الشرقي شعوب الصين واليابان وكوريا وشعوب الهند والتركستان والفرس والافغان بالاضافة الى جزائر المحيط الهادي ورسم لهذه الشعوب اطارا واسعا في اصولها واجناسها ولغاتها وثقافتها ودياناتها ثم سلط عليها اشعة من : حتمية التاريخ التي يومن بها كقانون ونظام عام وجعل الحروب التي خاضتها هذه الشعوب هي نقطة البداية والنهاية في تاريخها المعلوم والمجهول .. بل ان الصراع الديني بين البوذية والبرهمية والوثنية اعطاه المؤلف اطار الحرب التي تحيي ما تحيى من الامم وتميت ما تميت

فلولا الحروب التي خاضها ملوك الصين والهند واليابان والتركستان لما وجدت هذه الوحدات السياسية والدينية التي تجمع هي الاخرى وحدات صغرى تسير في فلكها طوعا او كرها

واذا قلنا ان هذه الفصول عن اسيا الشرقية هي احسن وادق واجمل ما في الكتاب لم نكن مبالغين ولا مجازفين

والنزعة الانسانية لها صداها البعيد في الكتاب وفي جل فصوله ولهذه النزعة مظهران

الاول : ان المؤلف لا يشعر بعقدة نفسية حينما يؤرخ لاعداء بلاده التاريخيين في كل من اسيا واوروبا

الثاني : ان المؤلف يصب جام غضبه على الاستعمار بجميع الوانه واشكاله في القديم والحديث بما في ذلك الاستعمار البريطاني

ولقد اقشعر جلدي حينما قرات ما كتبه عن اعمال المؤسسة الانكليزية التجارية التي اقيمت في ميناء « سانكاي » من بلاد الصين ، وهذه المؤسسة الاستعمارية الكبرى التي قادت الامبراطورية البريطانية الى شن حرب استعمارية ظالمة تعرف في التاريخ السياسي (بحرب الافيون) بين سنتي 1840 و 1842 م كما ان اعمال الطغاة والجبابرة يندد بها المؤلف تنديدا يرفعه احيانا الى اسمى درجات التفكير الانساني الحي

بعد هذا العرض العام نتساءل :

هل وفق الكاتب الانكليزي الى معرفة الحقيقة عن العالم العربي والاسلامي كما وفق الى معرفة الحقيقة عن العالم المسيحي والوثني .. ؟

والجواب ان المؤلف وفق الى فهم التاريخ المعاصر والقديم لا فرق بين الاوضاع المختلفة والاوطان المتباعدة والديانات والافكار المتناقضة . او بعبارة ادق ان المؤلف يعرف الحسنات والسيئات كما يعرف نقط الضعف والقوة والصلاح والفساد عند الاقوياء والضعفاء

حرب وحضارة

تأليف أرنولد توينبي

تعليق الاستاذ عبد القادر زمامة

المؤرخ الانجليزي المعاصر « ارنولد توينبي » اصبح ذا شهرة عالمية في فهم التاريخ القديم والحديث .. كما اصبح حجة في فلسفة التاريخ ونوامس علم الاجتماع البشري وله اراء شهيرة في قضايا الجنسيات والقوميات ومشاكل العالم المعاصر يقدر الخبراء لهـا قيمتها ويحسبون لها في ابحاثهم ودراساتهم الف حساب

وقد قرانا له اخيرا استجوابا عظيم الاهمية اجراه معه محرر مجلة (الكاتب) تناول فيه المؤرخ الانجليزي قضايا العالم العربي من المحيط الى الخليج بما فيها المشكلة الفلسطينية ومستقبل الشرق الاوسط في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والمعطيات الانسانية في تكاثف السكان وانتشار الثقافة والمعطيات الطبيعية في استغلال المواد الاولية من نفط وحديد وفسفاط وغيرها من كنوز الارض العربية ..

ورغم ان هذا الحديث تكتنفه جوانب سياسية يصعب على الباحث ان يدلي فيها في حديث ينشر على الناس بافكاره الصريحة .. فان توينبي استعمل لباقته في ابراز الحقائق من غير ان ينحرف عن المباديء التي يومن بها والاراء التي عرف بالدفاع عنها في كتبـه ومقالاته المختلفة منذ سنوات ..

وقد قرأت هذا الاستجواب مرتين وانوي الرجوع الى قراءته مرات اخرى كلما كنت في حاجة الى ذلك والاقبال على كتب هـذا المـؤرخ يزداد كل يـوم ، وترجمة اثاره الى اللغات الحية ومنها اللغة العربيـة اصبح منتشرا هنا وهناك .. بل ان اراءه في التاريـخ والحضارة موضوع اختاره احد الطلاب في بيروت ليقدم به رسالة جامعية .. بعنوان :

« **التاريخ الحضاري عند توينبي** » واليوم نقدم كتابا مهما هو كتاب « حرب وحضارة »

وهذا الكتاب قبـل كل شيء هو فصـول مختارة وملخصة من كتابه الكبير « دراسة في التاريخ » الذي يشتمل على عدة اسفار ضخام

وموضوع الكتاب الذي نقدمه هو موضوع الحرب باعتبارها عملية حضارية تنتج نتائج خطيرة في الفكر والروح والسياسة والاقتصاد والاجتماع

والمؤرخ الانكليزي المعاصر يؤرخ الحروب منذ فجر الانسانية في الغابات والاحراج الى عصـور اليونان والفراعنة الى الحروب الصليبية الى الحروب الدينية في اروبا الى الحروب القومية الى الحروب الاستعمارية ، وفي كـل مرحلـة يجعل الحرب عنوان شر ينتج شرورا اخرى تسبقه ثم شرورا اخرى تلحقه .

فالحرب شر واعظم شرورها انها تحدث فراغا في كل مقومات الحياة المادية والروحية وهذا بالاضافـة الى انها السبب المباشر في محـو الحضـارات وطمس المعالم وغرس الانحلال والتفكك في العقائد والمباديء

والحرب عملية مادية تستهلك الطاقات البشريـة كما تستهلك المقومات الانسانية من فكر وروح وفـن واخلاق ودين وعادات .

رواية في الدار البيضاء

بقلم : أحمد باكو

يحب الانسان ماضي حياته ويعزه ، بنفس القوة التي يحب بها مستقبلها واستمرارها ، فكما يحرص اشد الحرص على عدم انقطاعها بتوقي الموت ، كذلك يحرص اشد الحرص على «استمرار» ماضيه ، وعدم فنائه في النسيان ، فيبعثه حيا بالاسلوب الذي يطيق ، وبهذه النزعة نثرثر كثيرا بالحديث عن حياتنا وتجاربنا ، وبها ايضا يكتب القادرون منا مؤلفات نترجمون بها لانفسهم .

وقد استجاب احد ابناء الدار البيضاء ، الاخ احمد السباعي البكري ، لهذه النزعة في نفسه ، فاراد ان يحدثنا عن حياته وماضيه ، ولم يقنع بان يرضي هذا الدافع كما يرضيه العاديون من الناس ، بل سمت نفسه الى ان يكتب سيرته « ويرويها » فنيا ويسجلها بين دفتي كتاب ، ولهذه الغاية اخرج للقراء روايته « بونفة الحياة » متجشما في ذلك كثيرا من المشاق ومتحملا كثيرا من التضحيات

وبديهي انه لا جناح على الكاتب ان يكتب سيرته بالاسلوب الذي يريد ، ولا سلطان للنقد عليه ، في الزامه باسلوب معين من الاساليب التي يكتب بها المؤلفون عن انفسهم .

ويبدو ان المؤلف اختار اسلوب القصة او الرواية لذلك ، وهذا يبدو واضحا من الفقرة التي ظهر بها كتابه ، حيث يقول : « قصة مستمدة من صميم الواقع المغربي ، ومنتزعة من محيط زاخر بالمشاكل ، مليء بمفاجآت ، اقل ما يقال عنها انها تعكس صورة مرآوية للمجتمع المغربي وتجسد ماساة اسرة ، تمثل نموذجا من الصراع، جديرا بأن يقرأ ويدرس » .

فالكاتب اذن يدعونا الى قصة او رواية بالمعنى الفني للكلمة ، وليس الى مذكرات او ترجمة شخصية، تسرد الاخبار من غير اهتمام بالبناء الروائي والتصوير الفني للاحداث والشخصيات .

ويستعرض الكتاب حياة تدور بين اشخاص هم احمد، كبيرالاسرة، وشقيقه حسن، واخته رقية، واشقاء آخرون لم يحركهم المؤلف ، ثم الام عائشة والاب عمر، وهناك اشخاص آخرون يرتبطون بالاسرة عن طريق القرابة كالعمة او الصداقة والحب كالفقيه حمزة صديق الاب وبنته حبيبة والعلل التي تصرف هؤلاء الاشخاص ، هي الفقر والحب والجهل والموت ، فالاسرة فقيرة والاب والام يخاصمون العصر ويقاطعونه ايضا ، فيحرمون ابناءهما من المؤهلات الضرورية للعيش ، وخصوصا بكرهما احمد الذي يتعذب كثيرا بالحرمان من شهادة تعطيه الاعتبار اللازم بين الاقران ، وتمكنه من كسب قوته ، ويطرق الموت باب الاسرة اكثر من مرة في عنف ومخاشنة ، فتطيش رصاصة من جندي استعماري اثناء حوادث الفداء بالبيضاء ، فتردي قريبين من اقرباء الاسرة ، هم اخو الاب وبنته ، وهما في طريقهما الى منزل الاسرة ، بقصد الاتفاق على خطبة البنت لصغير الاسرة حسن ، وتتعرض العمة لحادثة تودي بحياتها ، والاسرة في احتفال وفرح ، فينقلب فرحها ماتما ، ثم يلتحق الاب باخويه العم والعمة تاركا وراءه اسرة يتيمة عاجزة ، ويتعلق صغير الاسرة حسن تعلقا طائشا ببنت صديق اسرة ، الشيخ حمزة ، ينتهي بمأساة خلقية .. والقدر من وراء كل هذه الاحداث ، ساخر شامت عابث ، انه يقسو ولدرجة ان يتدخل ليحرم احمد من وظيف في التعليم بعد ان كد في سبيله وفرح بنيله وسعد به وسعدت به الاسرة .

ونرى من ذلك انه كان لدى المؤلف احداث دسمة صالحة للرواية والقص ، كما كان بين يديه

على السواء وهذا ما يعطي لاراء المؤلف صفة الشمولية والاستيعاب والتجرد الممكن

وقبل ان نودع هذا الكتاب يجب ان نلخص افكار المؤلف الاساسية عن الحرب والحضارة في هذه النقط الثلاث :

الاولى : ان الحرب تهدم الحضارات والثقافات والاخلاق والعادات وهي في الوقت نفسه الوسيلة الوحيدة لتجديد المفاهيم وتكوين الوحدات والثقافات والحضارات بطريقة اخرى

الثانية : ان الصراع البشري في مختلف ارجاء العالم قديما وحديثا يبتديء بحرب وينتهي باخرى

الثالثة : ان العالم الحديث بعد الحرب العالمية الثانية وظهور الطاقات السرية : النووية والذرية ادرك خطورة الاسلحة التي يملكها فقام قادته يدعون الى السلام والتفاهم بين الشعوب ولكن السلام لن يتحقق الا اذا اصبح حقيقة يومن بها القوي والضعيف وهذا يتوقف قبل كل شيء على عاملين :

1 — تصفية الاستعمار ومحو آثاره .

2 — بعث العقيدة الروحية في نفس الافراد والجماعات

فتصفية الاستعمار وآثاره يحل العقد العديدة التي زرعت السيطرة في نفوس الاقوياء وروح الحقد والانتقام في نفوس الضعفاء وبعث العقيدة الروحية وسيلة لتفاهم الشعوب على اساس ان الانسان اخ الانسان وان المادة وسيلة غايتها الخير والمحبة والسلام

فاس — عبد القادر زمامة

الاخيــر انشز ، فاذا كان بعض الروائيين يتعمد احيانا الوقوف بالروايــة وقوفا ليس فيه ـ ظاهريا ـ اخبار بالنتيجة لمغزى معين يبرر ذلك ولا يخفى امره علــى القارىء ، فان الامر بالنسبةللسيرة الذاتية يختلف، اذ يتحتم على من يكتب ان يصل بالاحداث الى الايام الاخيرة من حياته ، ولذلك نجـد كثيرا من كتاب السيـرة يضيفون الى سيرتهم ما جد في حياتهم ، اذ امتد بهـم العمر . في طبعات لاحقـة ، ونذكر ان المرحوم سلامـة موسى اضـاف الى سيرتـه « تربية سلامة موسى » في طبعتها الاخيرة صفحات كثيرة الحق بها ما انضاف الى حياتــه من احداث ، ونذكر كذلك الجزء الثالث من « ايـام » طه حسيـن الـــذي يترقبــه القراء ، ويعكف مؤلف « الايــام » على انجــازه .

استطيع ان اجمع ما سبق في ان « بوتقــــة الحياة » تذبذبت بين السيرة الذاتية ، او المذكرات ، وبين القصـة ، وانها اخذت من فن السيــرة كثيرا من السمات ولم تاخذ من فن القصــة ، الا بعض سماتها، ولذلك لا اجد مفرا من ان انسبها الى ذلك الفن دون هذا

* * *

ارجو بعد هذا ان يتسع صدر المؤلف لكلام آخر بقي حول الاسلوب اللغوي الذي اختــار ان يكتب به . لقد اصطنــع الاخ السباعــي اسلوبـا خاصـا في التعبير اللغوي ، لا يقنع فيه بالكلمات المتداولة ، وانما يحرص على انتقاء كلمات وتراكيب ومشتقات ، غيـــر مألوفة في الاسلوب العام ، وهذا منهـــج حســن ، تمكن به المؤلف من تجنب اللغة المبتذلة ، التي يقنـع بها كثير من الذين يكتبون ويكسلون عن انتقاء الكلمات الجيدة، والتراكيب المتينة، ولكن في هذا المنهج مزلقاقد يؤدي بمستعمله ، رغم اجتهاده ، الى ان يملا كتابتــه برداءة اخــرى لا تقل عن رداءة الابتذال ، فعندمـــا يفرط الكاتب ويلح ، في ان يستعمل كل كلمة غريبـــة يعرفها . وكل تركيب غير مالوف يستطيع ابتكــاره فان ذلك يؤدي به الى ان تقع فيما يقع فيه كســالـــى الكتاب فيقبح كلامه باجتهاده كما قبحوه هـــــم بكسلهم ، وقد كان المؤلف يفرط احيانا في التـــزام منهجه ، فيحرص على استعمال الكلمة الغريبة ولـــو كانت مهجورة ، بسبب عيب فيها ، وعلى استعمـــال التركيب المعقد الذي ينفر ولا يجذب والغرابة والتعقيد كلاهما عيب يذهب ببلاغة الكلام ، كما لا يخفى ، ومـــن الامثلة على ذلك استعمال كلمة مائق ، بدلا من مرادفها المشهور ، احمق في قوله : « لا ينكر خطره الا مائـــق مفتون » ، واستعمال كلمة حزيز في قوله : « كمـــا لو كنت صخرة صماء ، قدت مـــن ارض حزيــز » وهي كلمةغيرظاهرة المعنى،وتصغيرافعل التفضيل في قوله «ما احيلى ذكرها على القلوب » بدلا من « ما احلى » ـ واشك في سلامة هذا التعبير لغويا ـ ومن الاغــرب ايضا ، قوله متحدثا على لسان شقيقـه حســن : «فوعالم السر والجهر لو كتب لك الاختلاء بواحـــدة منهـن . . » هذا قسم ضخم ، لا يناسب مقتضـى الحال ، ولو استعمل بدله صيغـة القسم البسيطـة «والله» لكان انسب ، لاسيما وان الذي قيلت على لسانه ، ليس قائد عسكر يخطب جنده ، ومثلــه ايضا قول الاستاذ عزيز في محاورة اخرى « والــذي نفسي بيــده » .

وبجانب هذه الغرابة ، فان المؤلف ، كان يرتكب غرابة التركيب ايضا ، ومن ذلك قوله : « بام اذنيه » ولعله قاس فيه على «ام راسه » وقوله « ومحــرم على كليهما تحريما لا يشق له غبـار » وقوله « وضعت ذرعـا بلا سببية جدواي» وقوله «انه في قامــوس معجمي بمثابة مشكلة عويصة » والغريب ان حافــره كان يقع . في الغرابة احيانا على حافر السرياليين كما يظهر من هذا التعبير « في الوقت الـــذي تغوص في عمق المشاكـل وقمة الازمات » فهو يعطف « القمة » على « العمق » المعمولة لفعل تغوص ، وهذا يؤدي الى ان تكون الغوص في القمة ، وهذا اشبه بمجــازات السرياليين الغريبـة .

ومن تمام الحديث عن لغة المؤلف ان الاحظ ان قلمه وقع في بعض الاخطاء التي تمنعها قواعـد اللغـة، وقد كنت اظن ان تمكنه من اللغـــة سيعصمه منها ، ومن ذلك استعمال « نادل » لخادم المقهى وصوابــه ندل ، على وزن كتب « ج : كتاب » ، واستعمال « بعد» مع « لما » النافية في قوله « لما يصل بعـد » والصواب حذفها ، لان لما تفيد بذاتها توقع حدوث المنفـــي مستقبلا، وبهذا تتميزعن«لم» واستعمال«العجفاوتين» في قوله : « ومسح بيده العجفاوتين علـى راسي . . » والصواب العجفوين بدون تاء ، كحمراء وحمراوين ، واستعمال التحبيب مصدرا للفعل تحبب في قولــــه « تحبيبي للنساء » في حين ان الفعل المقصـود هــو تحبب وليس حبب ، والصواب هو تحببي للنساء .

وكان المؤلف كذلك يكثر من المترادفات ، فيعبــر عن المعنى الواحد بكلمتين ، او جملتين من غير داع .

نماذج من الاشخاص صالحة للتحليل والبسط والاحياء ولكن هذه الدسامة والحيوية ضاعت من يد المؤلف الذي نسي انه دعا الناس في ظهر كتابه الى قصة جعل حياته موضوعها ، وليس الى مذكرات تخبر وتسرد من غير وصف ولا تحليل فني .

ويبدو ان غرض المؤلف المزدوج ، هو الذي افسد عليه عمله الذي تكبد في سبيله مشقات لا ينبغى غمطها ، فقد اتجهت نيته الى كتابة سيرته ، واتجهت نيته كذلك الى كتابة قصة ، واراد ان يحقق الرغبتين معا ، بجعل سيرته موضوعا لقصته ، ولكن رغبته الاولى هي التي غلبت ، بحيث كان في اغلب الاحيان يخلص للنية الاولى اكثرمما يخلص النية الثانية فاهتم بسرد اخبار حياته ، اكثر مما اهتم بالتحليل والاحياء الروائي للاحداث ، ولذلك خرجت اغلب احداث حياته من قلمه بدون تصوير روائي ، كما ان بعض الشخصيات التي شخصت هذه الاحداث ، لم تستطع ان تخرج من قلمه حية بالقدر الذي يجب في رواية .

فمنذ بداية القصة تستبد بالمؤلف نيته الاولى فيحس القارىء بالسرد حينما يخبر انه بصدد التاريخ لما مضى من حياته . ويقول كلاما يكتب عادة ، ان كان لابد ان يكتب ، في مقدمات منفصلة عن القصة « الفقرة الثالثة من الصفحة الخامسة » ، وعندما يصل به الحديث الى والدته عائشة . يخرج في نشاز ليدعو لها بالبقاء «ص7» وهذا سير مع اسلوب المذكرات ، يتنافى تمام المنافاة اسلوب الرواية ، لان فيه سبق اخبار شيء يجب ان يترك الى ان يستنتج في حينه ، اذ الرواية يجب ان تسير في نموها كالحياة تماما .

ويعاني بيت المؤلف احداثا ثقيلة ، فتنزل به ثلاث وفيات او اربع . مرت كلها في الرواية ، دون ان تترك في نفسي ثقل المأساة الذي يتركه الموت ، عندما يخطف منا القريب والعزيز وما اظن السبب في ذلك الا ان المؤلف لم يصور لنا هذه المصائب تصويرا روائيا يحييها ويجسمها بالقدر الذي يجب ، مستسلما لنيته الاولى .

وقد كانت احداث الرواية معاصرة لفترة عصيبة من حياة بلادنا وحياة الدار البيضاء ، بالخصوص، هي احداث المقاومة والعسف الاستعماري، واحداث الاستقلال من بعد ، ولكني لم اجد لهذه الاحداث الا ظلا لا يغني ولا يشبع من يقرا قصة او رواية . وبديهي انني لا اكلف المؤلف ان يعطي قائمة بالاحداث التي وقعت ، ولكنه كان يجب ان يعكس هذه الاحداث على اشخاص الرواية ، على الحياة الدامية للاسرة ، لندرك منها اثر هذه الفترة من تاريخنا في النفوس ، وقد ربط المؤلف حقا بعض الربط بين احداث هذه الفترة وحياة الاسرة حينما قرانا ان رصاصة طاشت فافقدت الاسرة اثنين من اقربائها ، ولكن هذا القدر البسيط من الربط لا يكفي ولا يشبع في رواية كما اسلفت .

وكان بيد المؤلف شخصيات نموذجية مختلفة المشارب ومالوفة لدينا جميعا ، كنت اترقب منه ان يهتم بها ويحللها ويكبرها ، لتحفظ لنا روايته بعض معالمها وسلوكها ، لاسيما وقد اوشك بعض هذه المعالم ان ينقرض تحت طغيان تقاليد او بدع المدنية الجديدة ، ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك بالقدر الذي يجب ، او بالقدر الذي كنت اتوقعه .

وقد احسست وانا اختم الرواية ، قراءة ، بضيق نفسي سببه ان المؤلف وقف بنا في كتابه حيث لا ينبغي ان يقف ، فقد تعقدت الحياة التي يقصها في صفحات الكتب الاخيرة تعقدا يعتبر بداية لاحداث جديدة ، لم نعلم شيئا عن نتيجتها ، فالاخ حسن يدخل السجن جزاء عدوانه على جارته والصديق الاستاذ عزيز يتنكر في وقت الشدة ، ويخيب امل احمد في الوظيف فتجيئه اعلام من وزارة التعليم باستغنائها عنه ، لفحص طبي ، وطبيعي ان تتوق النفس الى معرفة ما آل اليه امر هذه الاسرة ، وكيف تطورت بها الاحداث ، وان يتوقع القارىء من المؤلف خبر ذلك ، لانه لا يجهله ولا مغزى لان يتجاهله ، اذ انه يكتب قصة طويلة لا اقصوصة ، وقصة كاملة لا حلقة في مسلسلة ، ولذلك كان الختم ناشزا ، ولاشك ان الذين يعرفون المؤلف سيعجبون اكثر من غيرهم لهذا البتر ، اذ انهم يعرفون انه دفع كتابه الى الطبع وهو موظف ناجح في وزارة التربية ، ومن كسبه من هذا الوظيف استطاع ان يمول طبع كتابه الذي بين يديهم الان ، وسيعجب اكثر من هؤلاء اولئك الذين يعرفونه عن كثب ، ويعرفون من شؤون اسرته وحياته الخاصة ما لا نعرف ، حين يجدون المؤلف حجب عنهم كثيرا من الاحداث ، التي جدت بعد خاتمة القصة ، ويبدو هذا النشاز ، سواء اعتبرنا « بوتقة الحياة » قصة ، كما ارادها المؤلف ، او سيرة ذاتية كما هي واقعا ، بل ان الخاتمة بهذا

ابو المطرف احمد بن عميرة المخزومي

تأليف الأستاذ محمد بن شريفة

عرض وتلخيص الاستاذ : محمد اديب السلاوي

تاريخ المغرب القديم ، والمعاصر ، عرف الكثير من الادباء ، والعلماء والفقهاء ، الذين كرسوا جهودهم، وبذلوا طاقتهم من اجل انماء الحضارة الاسلامية ، بمدلولاتها الفلسفية والادبية والمادية هنا في الشط العربي للعروبة

فجهود ابناء المغرب ابتداء من قيام الدولة الادريسية الى اليوم ، ولو انها ما زالت متجاهلة في الشرق العربي ، فانها في مجموعها لا تقل اهمية ولا مكانة عن جهود ابناء الشرق الاعزاء الذين نفتخر بمعرفتها ونعتز باطلاعنا على تراثهم الذي نعتبره تراثنا المشترك سواء منه الفلسفي ، او الادبي او الديني

فالمغرب عرف في مختلف العصور نهضات فكرية ذات قيم ومثل انسانية ما زال صداها يتردد مع المنتوج الفكري العالمي ، ولو ان هذه النهضات لم تنعكس على الدراسات الجديدة التي ظهرت حول تاريخ الثقافة العربية في الشرق ، ولم يذكر لها اثر في كتب تاريخ الادب العربي التي دونت اخيرا في دمشق والقاهرة وبغداد فانها اخذت باهتمام رجال الاستشراق في فرنسا وايطاليا واسبانيا ، ابتداء من اواخر القرن التاسع عشر ، حيث اخذ هذا الاهتمام يتزايد في صمت الى ان اصبح ما دونه رجال الاستشراق عن الفكر المغربي خلال مدة وجيزة يشكل تراثا حضاريا قيما ، وحلقة من اخصب الحلقات الفكرية الانسانية

واذا كان رجال البحث المغاربة اليوم يتوجهون باللوم الى رجال الفكر فى الشرق العربي الذين اهملوا ما للتراث العربي فى المغرب من قيم ، ومن خصوبة ومن مثل رفيعة فى كتبهم ودراساتهم حول الادب والفكر العربيين ، فان من البديهي ان يتوجه الباحثون المغاربة باللوم لانفسهم ايضا لعدم اهتمامهم هم ايضا بالبحث عن التراث المتشتت فى زوايا الاهمال ، والنسيان ..

والكتاب الذي بين ايدينا اليوم ، ولو انه جاء دراسة جامعية ، اذ تقدم به الاستاذ محمد بن شريفة لنيل دبلوم الدراسات العليا ، فانه فتح اعيننا على ما للتراث المغربي من خصوبة ، ونظرة انسانية ، وما للمغاربة والمشارقة معا من اهمال لهذا التراث الانساني القيم ، كما وضع ايدينا على الطريقة المثلى التي يجب ان نتخذها للبحث عن تراثنا ، واستخراجه واحيائه ، ويكفي للدلالة على ذلك ما اكده الاستاذ محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس الذي قدم هذا الكتاب والذي اعتبر دراسة المؤلف لحياة واثار ابي المطرف اهم ما صدر عن باحث مغربي في العصر الحاضر ، ذلك لان المنهج الذي اتخذه الاستاذ ابن شريفة في بحثه اعتمد لاستيعاب لكل ما يتعلق بابي المطرف في كتب الادب والتاريخ ، واستقصائه لكل المراجع المطبوعة والمخطوطة التى استطاع الاضطلاع بها ، بالاضافة الى مناقشته لمختلف النصوص المتصلة بحياته ، ونسبه ونا ليفه ، وتنقلاته ، مناقشة علمية منهجية الشيء الذي اعطى طابع الجدة لهذه الدراسة ، والشيء الذي ميزها عن باقي الدراسات الاخرى المتعلقة بتراثنا المغربي .

* * *

فمن هو احمد بن عميرة المخزومي الملقب بابي المطرف ؟

ما هي حياته ؟ وما هي اثاره ؟ .

رجعت الى نفسي بعد هذا ، لانظر الى « بوتقة الحياة » بمقياس آخر ، مقياس الخطوة الاولى والانتاج الاول ، بعد ان تبين لي انني اهملت هذا الاعتبار ، وان اهمالي ربما يؤدي ان يكون في الاراء السالفة بعض العسف وبعض الحيف .

من المعروف تاريخيا في حياة كل كاتب ، ان خطوته الاولى كانت متعثرة ، واذا كنا نرضى عن كثير من الاعمال الاولى للادباء بعد اشتهارهم ، فلان الاعجاب الاتي من المجد الذي يدركه الكاتب بعد نضجه ، يعمينا عن تبين ما في تلك الاعمال من عثرات ، بل قد يدفعنا ذلك الى ان نغفرها وان نتبناها ، يضاف الى هذا ان اهتمام النقد بهذه الاعمال تاريخيا يعطيها قيمة تدفعنا الى نسيان انحطاط قيمتها الفنية .

وقد تحدث محمود تيمور عن قصته الاولى، فقال ان من حسن الحظ انها لم تنشر ليقرأها الناس ، ويسمي نجيب محفوظ اليوم روايته الاولى « عبث الاقدار » « عبث الاطفال » ورغم هذا فقد اهتم بها سلامة موسى ، وشجعه على نشرها .

ان في « بوتقة الحياة » ناحية مهمة ، لم التفت اليها لحد الان ، هي انها العمل الاول لمؤلفها، وهذا اعتبار نظلم المؤلف كثيرا اذا لم نلتفت اليه، بل ان النقد يجب ان يحتكم كثيرا مع الاعمال الاولى ، لان مهمته يجب ان تسمو الى خلق الادب او خلق الاديب ، ولا ينبغي ان نحتبس في مجرد تقويم ما ينتج وتقديمه في سلبية ، ولا تبرز هذه الغاية للنقد في محل كما تبرز حين يلتقي بالانتاج الاول يبحثه ويعرف به .

وبهدي هذا ارى ان الاجدى ان نبحث عن العوامل التي ادت الى ان يجيء العمل الاول للاخ السباعي دون ما يجب ان يكون .

واعتقد ان اهم عامل تسبب في ذلك هو ان مؤلف « البوتقة » جعل حياته موضوع قصته ، وهذا مزلق كبير تعترف فيه كثير من المواهب ، وقد سبق المرحوم الدكتور محمد مندور الى التنبيه الى ذلك منذ عدة سنوات ، عندما تولى فحص قصص المتبارين في مسابقة للقصة في القاهرة ، فلاحظ ان اغلب الكاتبين ، استمدوا مواضع قصصهم من واقعهم الخاص ، فجاءت كلها مبتذلة بدون اصالة،

ولاحظ الدكتور مندور كذلك « ان القصة من عمل النضج ، واذا استطاع الشباب الغض ان ينبغ في الشعر والموسيقى مثلا ، فانه قلما يستطيع ذلك في فن القصة والاقصوصة «1» وخلص من ذلك ، الى لوم الذين يتهافتون على حياتهم الخاصة ، وتجاربهم الذاتية ، يتخذونها موضوعا لتجاربهم الاولى في القصة ، ونصح من يريد البدء في كتابة القصة ، باختيار المواضيع التاريخية ، لانها تساعد الكاتب على التمرن على البناء القصصي والتصميم الفكري للقصة والملاحظ ان هذا هو المنهج الذي سلكه نجيب محفوظ ، فبدأ بالتاريخ وجاء ليصور الواقع وهو اعظم ما يكون نضجا واقتدارا .

وبهدي هذا ايضا ، يجب ان نلتفت الى صفات المؤلف وصفات كتابه ، ان « بوتقة الحياة » ليس عملا فاشلا لا قيمة له ، بل هو كتاب يجب ان نقرأه وان نهتم به جميعا ، ان لم يكن لاجل المتعة ، فلاجل دراسته وتكوين وجهة نظر عنه ، لتكون على بينة من سيرنا الثقافي ، ولن اسمح شخصيا لقارىء بان يسلم بملاحظاتي السابقة ، ويستلخص منها حكما يقتنع به ويفتيه ، دون ان يقرأ الكتاب ، ليكون عنه رأيه الخاص ، ويعرف مدى صحة ملاحظاتي السالفة حوله .

ولا ننسى للمؤلف انه تفوق علينا بالعمل نحن كسالى الدار البيضاء الذين يظلون ينتظرون من يعمل لينقدوه ، دون ان يعملوا ويعطوا من عندهم ما ينقد ، «وما اسهل النقد وما اشق الفن » كما يقول « بوالو » ولا ننسى له كذلك انه حرك ركود مدينتنا العقيم واعطاها رواية تنتسب اليها ، ولا ننسى له اخيرا حسنته الكبرى وهي انه تحمل في نشر كتابه تضحيات مادية ، وآثره بنقوده على كثير من الضروريات ، والكماليات الضرورية ، في مدينة لا تترك فيها نفقات اللهو لدى الشباب ، درهما لشراء مجلة ، فضلا عن نشر كتاب .

ورجائي من المؤلف ان يكون صبورا معي ، ولا يغضبه ما كان عليه مما سلف ، فهو وجهة نظر خاصة ، وليس اجماعا معصوما ، ولا اكتمه ان خلقه الطيب وتواضعه جراني عليه كثيرا ، وحتا هذا القلم ، على الطبعة الاولى سنة 1958 ص 42 .

الدار البيضاء ــ احمد باكو

1» د. مندور « قضايا جديدة في ادبنا الحديث »الطبعة الاولى سنة 1958 ص : 42

ومنهجية جامعية رائعة الشيء الذي اضفى على هذه المراحل الممتدة من سنة 607 الى 658 هـ طابعا مميزا في كل الدراسة، الشيء الذي مهد للصورة التيرسمها لنا المؤلف بعناية فيما بعد لشخصية ابن عميرة الفكرية والسياسية.

* * *

وقبل ان ننتقل الى الحديث عن تراث ابن عميرة الادبي، نقف قليلا علىشخصيته، وثقافته، التيرسمها لنا الأستاذ ابن شريفة بكامل العناية والدقة حسب ما سمحت له به المادة القليلة التي توفرت لديه عن طبيعته وسيرته الذاتية والاخلاقية

لقد نشا ابن عميرة في بيئة اجمعت المصادر التاريخية على انها كانت تتسم بطابع الجد. وتميل الى مظهر الوقار، والتزمت، ومع ذلك فقد تمكن من ان يصبح على شيء كبير من الظرف، وخفة الروح، والبساطة. وبراعة الحديث، والانبساط للفكاهة والنكتة والاحاديث الطريفة بعد ان تم تحصيله، وهي بعض مؤهلاته التي جعلت منه فيما بعد صديقا محبوبا لدى رجال عصره، ونديما مقربا الى الامراء والملوك الذين تمكن من معاشرتهم والعمل في دواوينهم

ويمكن اعتبار هذه المؤهلات الاخلاقية عاملا اساسيا في تطوير طموحه، الذي يتمثل في اقباله على الدين والتحصيل، والتبحر في مختلف الوان المعرفة، مما اهله فيمابعد لشغلارفع المناصب والوظائف، والى عدم الاكتفاء بما اخذه في بلده، وبالتالي الى التجول في ارجاء الاندلس والمغرب وافريقيا للمزيد من الكسب العلمي والمادي

ويبدو طموحه اكثر وضوحا في قصة حياته الادارية فهو كما راينا لم يسا ان يركن الى حياة التدريس الهادئة الوادعة مثل شباب عصره، بل سعى الى حياة القصور، وخدمة الامراء والملوك الى ان اكتسب بفضل ثقافته الادبية والعلمية من جهة، وحنكته الادارية من جهة ثانية، شهرة واسعة لدى رجال العصر من امراء، وعلماء، وادباء، وفقهاء

اما من حيث ثقافته، فقد كان خزانة من خزائن العلوم متفننا، مدققا، محدثا، متبحرا في التاريخ، قائما على العربية واللغة، بارعا في الادب وفنونه وعلما من اعلام المنطق والفلسفة والفلك والطب، اذ وصفه الامام الغبريني في عنوان الدراية، بانه اعلم العلماء وتاج الادباء

وقد كانت شهرته العلمية سببا في اقبال كثير من طلبة العلم على الاخذ عنه، وطلب اجازته، اذ يؤكد مترجموه بانه درس واجاز في مرسية، وسبتة. وفاس، وبجاية، وتونس، وذلك اثناء قيامه بالمهمات الرسمية، كما تؤكد مختلف المراجع التي تحدثت عنه. ان نظرة النقاد اليه سواء منهم المعاصرون له، او الذين اتوا من بعده، كانت نظرة تقدير واعجاب وثناء.

* * *

بعد هذه الجولة الطويلة يدخل بنا المؤلف في عالم الادب. ادب ابن عميرة، ويمهد ذلك بوقفة قصيرة في الادب الاندلسي خلال القرنين السادس والسابع، فيلقي في البداية نظرة اجمالية على تطور النثر الفني في الادب الاندلسي والمراحل الكبرى التي مر بها فيلاحظ ان التراث الكبير الباقي من النثر الاندلسي لم يدرس لحد الان دراسة علمية شاملة تبين مراحله، وتبرز خصائصه وهو لم ينال الا حظا يسيرا من المحاولات التي ارخ لها اصحابها للنثر الفني في الادب العربي على اختلاف عصوره. واقاليمه، كما لاحظ ان مؤرخي الادب العربي، والذين حاولوا تاريخ الادب الاندلسي ايضا مختلفون في تقدير عدد مراحل للنثر الفني، وتحديد زمنها وتمييز خصائصها بصورة دقيقة، ونفى بعد هذه الملاحظة ادعاء بعض المؤرخين الشرقيين في كون النثر والادب الاندلسي عامة تقليد للنماذج المشرقية مؤكدا ان اصحاب هذا الراي لم يتمكنوا من الاضطلاع على التراث الاندلسي ولم يدرسوه دراسة موضوعية متعمقة، كما اكد من جهة اخرى ان الادب الاندلسي عنوان للشخصية الاندلسية ولمقوماتها الفكرية، ولابعادها النفسية البسكيلوجية، كما ان الاندلسيين احدثوا طرقا جديدة في فن الكتابة، ومن ذلك طريقة ابن دراج القسطلي، وطريقة ابن عبد الغفور الكلاعي، وغير ذلك من الطرق التي شاهدت مراحل تطور النثر في الاندلس

وبعد هذا ينتقل بنا المؤلف للحديث عن النثر على عهد الموحدين وهي المرحلة التي عرف فيها النثر

ذلك هو موضوع هذه الدراسة القيمة التي صدرت للاستاذ محمد بن شريفة ضمن منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي فى اطار احياء التراث المغربي .

* * *

ابن عميرة من ابرز اعلام الفكر الاندلسي ، ازداد حسب ما توكده العديد من المصادر الاندلسية والعربية في جزيرة شقر ، في شهر رمضان عام 582 هـ 1186 م حيث ادرك احفل العصور احداثا تاريخية في الغرب الاسلامي عامة ، والاندلس خاصة . فحين ولد كانت الدولة الموحدية في اوج عظمتها وقوتها ، وكانت المساحة الجغرافية التي تشغلها تمتد من حدود مصر الى التخوم المجاورة للممالك المسيحية في الاندلس

وبجزيرة شقر نشأ ، وتلقى تعليمه الاول بها ، وفي جزيرة بلنسية في شرق الاندلس اتم تعليمه العالي حيث جالس هناك العديد من اعلام الادب والثقافة في الاندلس ، امثال الشيخ علي ابن ابي الربيع الكلاعي ، واحمد بن واجب القيسي ، والاديب الفقيه عمر بن عات الشاطبي ، وابي بكر عزيز بن حطاب وغيرهم من اعلام الادب والفلسفة والفقه في عصره

ولندرك المستوى الثقافي الذي حصل عليه ابو المطرف احمد بن عميرة المخزومي ، اورد لنا المولف بجانب سرده لحياة المترجم له بدقة ، وبمناقشة تامة للنصوص ، وباثبات كل المراجع المتصلة بالموضوع ، مدخلا تاريخيا للناحية السياسية ، والحالة الثقافية التي ميزت العصر الذي نشا فيه ابن عميرة المخزومي متعلما وطالبا . فاكد ان الحياة الثقافية في عهد الموحدين وصلت ذروتها العليا ، وبلغت مداها البعيد الذي جمع زبدة الحقب الماضية ، وعاشت على زاده العصور التالية، اذ استوت فى ذلك العصر ، الشخصية العلمية للغرب الاسلامي في صورتها التامة ، وازدهرت الوان المعرفة، وكثر عدد العلماء ، وظهر قدر كبير من المولفات في كل علم وفن ، كما اورد الكثير من اسماء الاعلام ، وعناوين المولفات القيمة التي زخر بها ذلك العصر ، ووقف على بعض الامثلة الادبية والعلمية التي ميزت عصر ابن عميرة من خلال مناقشته للمراجع التاريخية المطبوعة والمخطوطة التي وصلتنا عن ذلك العصر الزاخر .

ومن خلال اراء رجال الاستشراق ، وبعض رجال الفكر العرب الذين افتتنوا بالفكر الاندلسي وانكبوا على دراسته واحياء تراثه في هذه الفترة الزاخرة بالاحداث ، والمشرقة بالانوار الفكرية عموما والادبية على الخصوص يجول بنا المؤلف جولة علمية تامة مزخرفة بالمراجع والمصادر على مختلف ازمنتها ، ولغاتها فى عصر ابن عميرة ، ونشأته ، ودراسته ، ونسبه، وبلده ، واسرته ، ويقف بنا وقفة ليست بالقصيرة على حياته الادارية ، وهي الحياة التي مارسها ابن عميرة بعد اتمام تعليمه مباشرة ، وهي حياة متقطعة ، ومتفرقة بين السياسية والادبية التي لاتخلو من اهمية تاريخية بالنسبة للباحث فى هذه الحقبة الخطيرة من تاريخ المغرب فى العصور المتاخرة ..

* * *

ففي سنة 607 هـ فرغ ابن عميرة من حياة الدرس والتحصيل ورسم لنفسه خطة للعيش . فالتزم ارضاء طموحه الادبي ، وقرر احتراف الكتابة لما كانت توفره لصاحبها من الثراء والجاه والنفوذ في المجتمع الاندلسي، فالتحق على التو بدار الامارة بحاضرة بلنسية ثم بديوان امير المسلمين ابن عبد الله ابن هود الى ان تقلد منصب القضاء بشاطبة الذي بقي فيه الى نهاية سنة 637

اما المرحلة الثانية من حياته ، فكانت بالمغرب، وتبتديء بسنة 637 ، وتنتهي في سنة 646 اذ تقلد اثناءها الكتابة في ديوان الخليفة الرشيد الموحدي بمراكش، ثم انتقل الى القضاء في هيلانة ، والرباط ، وسلا ، ومكناس ، الى ان رحل الى سبتة حيث اشتغل مع صاحبها ابي الحسن احمد بن خلاص البلنسي فى ديوانه كاتبا بارزا

وفى نهاية سنة 646 رحل الى افريقية ليقضي بها بقية حياته متنقلا بين القضاء فى قابس وقسنطينة ، وعمل فى ديوان الخليفة الحفصي مستشارا ، ونديما، وكاتبا

وقد افرد المؤلف كلا من هذه المراحل بفصل خاص من دراسته عن ابن عميرة ، اذ وقف على كل حدث ، وكل تاريخ ، وعن كل علم كان لابن عميرة اتصالا به من قريب او بعيد ، مقارنا ذلك بالمراجع والمصادر الضرورية ، ومناقشا كل راي برزانة ،

والطباق ،والتورية ، وغيرها من الوان الزخرفة اللفظية وكل هذه المظاهر رايناها في الامثلة التي صاغها المؤلف في الباب الخاص الذي افرده لشعر ابن عميرة وانواعه، واغراضـــه

★ ★ ★

ولابن عميرة المخزومـي اثار اخـرى قيمـة في الرسائل . والتاريخ والدين . ولهذه الاثار افرد الاستاذ محمد بن شريفة القسم الرابع والاخير من كتابه الضخم هـــذا

واذا كان ابن عميرة لم يعن بتدوين اثاره الادبية من نثر وشعر . وترتيبها حسب مواضيعهــا ، كما كان يفعل كتاب العصر ، فقد قيض الله لتدوين البعض منها رجالا كانوا يقدرون ما لها من قيمة ادبية وتاريخية

ويذكر لنا المؤلف من هؤلاء ، تلميذه وصديقـــه الاديب البلنسي ابا جعفر احمد بن شنيف العقيلي الذي لازم ابن عميرة اثناء الفترة التي قضاها بتونس وظـل معه الى ان توفي سنة 658 ه وكذلك المؤرخ المغربي الكبير ابن عبد الملك المراكسي والاديب المؤرخ المصري والادب الشهير بن هاني السبتي . والقاضي الشيخ ابن المرابط . كما تذكر لنا المصادر التـــي انتخب رسائله وعلقت عليها ، وحفظتها من الضيــــاع، واستعرض المجموعات الثلاثة من رسائلـه الموجـودة بالخزائن العالمية . كالاسكوريال . والخزانة العامة بالرباط ، والخزانة الملكية باسبانيا مشيرا الى اشكال هذه المجموعات وخطوطهـــا ، والمعلقيـــن في طرانهـــا وهوامشها

ومن رسائل ابن عميرة ينتقل بنا المؤلف الـــى مؤلفاته اولا باول ، مبتدئا بكتابه (التنبيهات على مـــا للتبيان من التمويهات) الذي ألفه في الرد على كتـــاب (التبيان في علم البيان) لابن محمد الزملكاني وهـــو احد اعلام البلاغة في القرن السابـع . ثم يقارن بين الكتابين . ويلخص محتواهما بكامل الدقة ، مؤكـدا ان ابن عميرة في هذا الكتاب كان ناقدا بارعا ، عالج موضوعه في النقد بسخرية تامة، وبجدل علمي ، وببراعة في المنافشة ، ومنه يتفرغ للحديث عن الكتاب الثانـــي المسمى (التنبيه على المماطلة والتمويه ، واقامة اعمال عن طريق الاعتدال بالبرهان الكافي والبيان الشافي)

وهو كتاب لا توجد منه الا نسخة واحدة فريدة محفوظة بمكتبة الاسكوريال منسوب الى ابن المطرف .

وقد اهتم المؤلف الاستاذ ابن شريفة بهذا الكتاب اهتماما كثيرا ، ذلك لانه كان محل خلاف في تسميته، وفي اثبات اسم مؤلفه من طرف رجـــال الاستشــراق، والباحثين العرب الذيـــن اهتموا بالادب بالاندلسي في الاونة الاخيرة لدرجة انه يعلن في النهاية متمنياتــه في ان تتاح له او لغيره فرصة التوصل الى الحقيقة ، كما يعلن ان الكتاب المذكـــور من البعيـــد ان يكون لابن المطرف بن عميرة

ومن النقد الى التاريـــخ . من كتب ابن عميـــرة النقدية الى كتبه التاريخية . هكذا بـــوب الاستاذ ابن شريفة القسم الاخير من كتابـــه عن احمد ابن عميـــرة المخزومــــي

وكتبه التاريخية ككتبه النقدية ليست كثيرة . بل لا تتعدى اثنين اولاهما كتابه المؤلف في (كائنـــة ميورقة ، وتغلب العدو عليها) وهو كتاب مفقود ، ألفه اثر المصيبة التي المت بالمسلمين في الاندلس وخصوصا منهم اهل شرق الاندلس من جراء سقوط جزيرة ميورقة أم الجزر الشرقية في يد ملك (ارغـــون) الملقـــب بالفاتح سنة 627 ، وقد صدر فيه ما اظهروه اهل الجزيرة المذكورة من مقاومة باسلة ومن دفاع مجيد رغم شـدة الحصـــار وانـــواع المحـــن .

ويبدو ان ابن عميرة بما كان يتصف به من بعد النظر . ودقة الحس . وحدق الحدس . يقول المؤلف قد هزه حادث سقوط (ميورقـــه) هزا عنيفا لانـــه قدر ببصيرته النفاذة ما سيكون له من عواقب على مصير شرق الاندلس كله ، ولذلك عمد الى تاليف هذا الكتـــاب ليشرح فيه الاسباب والظروف التي وقعت فيها الحادثة المشؤومة التي كانت انذارا خطيرا يهدد جميع المدن الاسلامية في شرق الاندلس

وقد ظل هذا الكتاب متداولا الى عهد متاخر فيما يبدو اذ اشار اليه . ونقل عنه مختلف النقاد والمؤرخين في مختلف العصور المتعاقبة على عهد ابن عميرة

اما الكتاب التاريخي الثاني والاخير الذي اثبته الاستاذ ابن شريفة في مؤلفه الضخم هو (اقتضاب من تاريخ الموحدين) الذي اختصره ابن عميرة عن كتـــاب

الاندلسي التكلف والاسراف في الصناعة ، اذ كانت ابرز ظاهرة عند كتاب ذلك العصر ، ذوي الثقافة العامة، والدينية منها بصفة خاصة استعمال الغريب في اللفظ ، والالوان الغامضة في البديع ، الشيء الذي افقد النثر الادبي روح الخفة والرواء التي نجدها عند كتاب العصور السالفة ، وقد علل ذلك المؤلف بعلل عدة منها الروح الدينية التي طغت على طرق التعليم واساليبه ، والصراع الذي كان قائما بين الاسلام والصليبية في العالم الاسلامي عامة ، والاندلس على الخصوص ، وفي ذلك – يقول المؤلف – ما يدعو الى اصطباغ الادب شعرا ونثرا بصبغة الحماسة الدينية

ومن ثم يتخلص الاستاذ ابن شريفة للحديث عن كتابة ابن عميرة الديوانية التي قضى فيها شطرا كبيرا من حياته ، متنقلا بين مختلف الامارات اذ كتب عن السادة الموحدين بالاندلس وفي بلاطهم بمراكش ، وعند الحفصيين بتونس الشيء الذي جعله يترك ثروة كبيرة ومهمة من الرسائل ، والبيعات ، والعقود ، والظهائر التي تشكل زيادة عن اهميتها الادبية ، مجموعة من الوثائق التاريخية الهامة ، فصنفها ، حسب موضوعاتها المبتدئة برسائله الاخوانيات والادارية ، والمنتهية برسائل الثناء والشكر والتعازي ، والتهاني ، والعقاب، والالغاز ، والاحاجي ومنها في الاخير حسب ما جاءت به المراجع والمصادر المتحدثة عنها في مختلف العصور

ويفهم من خلال هذا التصنيف العلمي المنهجي لاعمال ابن عميرة النثرية ، انه يمثل حلقة مهمة في سلسلة تطور النثر الاندلسي ، وهي حلقة يؤكد المؤلف على انها ما زالت مجهولة حتى الان

فالذين ارخوا لهذه الفترة ، ومن ضمنهم الدكتور شوقي ضيف تجاهلوا ، وتناسوا هذه الحقبة الطويلة الخطيرة من تاريخ تطور النثر في الاندلس ، فكثير منهم ينتقل – في حديثه عن هذا النثر مباشرة من ابن زيدون الى لسان الدين بن الخطيب ، دون ادنى اشارة الى الحقبة الفاصلة بينهما تلك الحقبة التي تمثل مدرسة لها طابعها الخاص اشبه ما تكون بمدرسة القاضي الفاضل والعماد الاصفهاني في الشرق

والواقع ان دراس رسائل الكتاب الذين اتوا بعد ابن عميرة في القرن الثامن الهجري سواء في المغرب او الاندلس ، كابن هاني ، والغرناطي ، وابن الخطيب، سيلاحظ مع المؤلف تاثير ابن عميرة القوي الواضح في رسائلهم ، وكتاباتهم الادبية والادارية

* * *

ومن نثر ابن عميرة ، ننتقل مع الاستاذ محمد بن شريفة الى شعره ، فابن عميرة ، عالم اديب ، وكاتب نحرير، ولكنه الى جانب ذلك زاحم الشعراء في ميدان القريض، ونافسهم في صياغة القوافي ، ونظم الكثير من القصائد في مختلف الاغراض الشعرية فهو وان لم يترك ديوانا مستقلا ، فالذين اعتنوا بانتاجه وبحياته ، ورحلاته من المؤرخين والنقاد قد حرصوا على ذكر امثلة من شعره عند الحديث عنه ، ذلك لان هذا الشعر له صلات قوية بسيرته ، وعقليته ، وطموحه ، واخلاقه فابن عميرة شاعر فحل ، تناول في شعره المدح والرثاء والاخوانيات والوصف والحكم والاعتبار والغزل ، وله الى جانب ذلك شعر صوفي رقيق، الا ان المدح من اكثر الموضوعات التي طرقها ، حيث اكد المؤلف انه كان يميل اليه بدافع التكسب والتقرب احيانا

والنصوص التي اوردها له الاستاذ ابن شريفة تدل على ان ابن عميرة مدح عددا من الملوك والامراء والرؤساء الذين عاصرهم ، سواء في المغرب او افريقية او الاندلس ، الا ان معانيه الشعرية لم تات بجديد حيث ردد المعاني المعروفة لدى الشعراء في هذا الباب ، اما من حيث الشكل فقد احتفل بالصياغة احتفالا ظاهرا اذ نزع منزع القدماء في جزالة الالفاظ وفخامة الاسلوب

وثاني الاغراض الرئيسية التي نظم فيها ابن عميرة الرثاء ، فقد رثى الاشخاص من اصدقائه واهله ورؤسائه كما رثى المدن التي حل بها ، وهو في رثائه يذهب مذهب الرثاء العادي من ندب ، وتفجع ، وتعزية

اما الاغراض الاخرى التي نظم فيها الشعر ، فتتوزع بين الاخوانيات (الحنين والشكوى والعتاب) ثم الوصف، والغزل ، والحكم ، وفيما يخص خصائص شعره ، فالاستاذ ابن شريفة يرى، انها خصائص كانت سائدة عند شعراء عصره ، سواء في المغرب او المشرق ، وهي خصائص في اغلبها تقوم على الصنعة البديعية ، وتعنى بالناحية اللفظية ، وتكثر من استعمال الالفاظ والمصطلحات العلمية ، وتهتم اهتماما بالغا بالجناس ،

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

وضع الحجر الاساسي لبناء مسجد بالقنيطرة وآخر «بعين عودة»

قام معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش في الشهر الماضي بوضع الحجر الاساسي للمسجد الذي تبرع ببنائه الفاضل السيد الحاج ميلود الشعبي رئيس الغرفة التجارية بمدينة القنيطرة، فى الحي العصري بالمدينة الجديدة ، وسيمكن هذا المسجد الفا ومائتي مصل من اداء الفرائض وتقدر مساحة هذا المسجد بالف متر مربع ، وارتفاع صومعته بخمسة عشر مترا .

وقد كان فى استقبال معالي الوزير عامل اقليم القنيطرة ورجال السلطة المحلية وجمهور غفير من المومنين الذين تزخر قلوبهم بقوة الايمان ، وحرارة اليقين .

كما قام معاليه بوضع الحجر الاساسي للمسجد الذي تطوع ببنائه جماعة من المحسنين بعين العودة باقليم القنيطره .

تدشين مسجد الحسن الثاني بالحي الجديد بطنجة

بامر من صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله ، توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج احمد بركاش يوم الجمعة خامس غشت الى مدينة طنجة لتدشين المسجد الجديد الذي اسسته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

وقد حمل هذا المسجد الاسم الكريم لمولانا امير المؤمنين الحسن الثاني المنصور بالله .

وكان فى استقبال معاليه عامل الاقليم ورؤساء الهيآت المنتخبة وسكان مدينة طنجة حيث ادى صلاة الجمعة مع جمهور غفير من المومنين فى مسجد **الحسن الثاني**

وتراس معالي الوزير تدشين القسم الداخلي لمدرسة سيدي محمد للقراآت السبع بدار زهيرو، فى نفس اليوم .

تم نوجه الى التجمع السنوي العظيم لحملة القرآن وحفاظه الذي يقام بمناسبة هذا الموسم الحافل الحاشد ، وقد نليت فيه الآيات القرآنية ، والامداح الدينية ، فى جو خاشع ، يعبق فى ظلال القرآن ، بالذكر والدعاء لسيدنا الامام دام عزه وعلاه . وقدم معالي الوزير الى المسؤولين عن هذا الحفل بهذه المناسبة الطيبة منحة مالية مهمة من صاحب الجلالة حفظه الله . وقد اعتبروها التفاتة من التفاتات مولانا الحسن الثاني الذي لا يفتا يهتم بهذه الطبقة من امته المومنة .

ولا يترك معالي الوزير اية فرصة تمر دون ان يهتبلها لمصالح وزارته وصالحي المومنين ، وهكذا فقد عقد صباح يوم السبت بقصر العمالة مع السيد العامل الشريف سيدي عبد السلام الوزاني ، ورجال السلطة المحلية جلسة استفرقت مدة طويلة خصصت كلها لدراسة قضايا الاحباس والشؤون الاسلامية .

وبعد هذه الزيارة المنتجة قام معاليه صحبة العامل ورجال السلطة الاقليمية ورؤساء الهيآت المنتخبة بتدشين مسجد السيد الحاج عبد السلام بن عبد الرحمان الجباري احد المواطنين الغيورين بطرق درادب

ويسرنا ان نثبت هنا الخطاب الذي القاه معالي الوزير بمسجد الحسن الثاني امام جمهور كبير من المواطنين :

خطاب معالي الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

« ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ربنا ، انك انت العزيز الحكيم » .

(ثورة الموحدين) لابن صاحب الصلاة الذي يتنـــاول تاريخ المرابطين وقيام الموحديـن عليهـم فى غــرب الاندلس ، وهو كتاب له اهمية قصوى في مجال التاريخ المغربي ، وخاصة الفتـرة المتعلقـة بثورة المهـدي ابن تومــرت

* * *

وكتب ابن عميرة الدينية لا تتعدى هـي الاخرى اثنين ، الاول تعقيب على كتاب ؛ المعالم للفخر الرازي) ويعتبر من الكتب التي فقدتها الثقافة العربية خاصة، وهو يعارض في العمق المدرسة الكلامية والاصوليـة التي اتى بها الفخر الرازي من الشرق العربي .

اما الكتاب الثاني فهو (مجموعـة من المواعـظ) نحى فيها ابن عميرة المخزومي منحى ابن الجوزي ، وصديقه ابن الابار اذ احتفل فيها بالصناعة اللفظيـة ، وبالاشارات التاريخية والتضمينات المختلفة وباستعمال الرموز الصوفية المختلفة

* * *

ذلك هو ابن عميرة المخزومي الذي حاول الاستاذ محمد بن شريفة عن طريق دراسته القيمة لحياته واثاره ان يضعه في اطاره العلمي ، وان يلقي الضوء من خلاله على العصر الذي عاشه ، وعانى منه احداثه السياسيـة والادبية والاجتماعية . ويتراءى لي كقـاريء مخلص لهذه الدراسة ان الواجب كان يقتضـي على الباحثيـن الذيـن اهتموا بعصر ابن عميرة المخزومي ان يخصوا هذه الشخصية بدراسة كهذه لكي لاتبقى صورة عصره ناقصـــة

فابن عميرة كما وصفه لنا الاستاذ ابن شريفة كان من ابرز الشخصيات التي لا يستغنى عنه الباحث خلال دراسته لعصره ، فهو كما راينا من كبار رجال الدولة والسياسة في الغرب الاسلامي ومرسلا موهوبا وشاعــرا فحلا زاحم شعراء اهل زمانه ، ومثقفا كاملا ، مشاركا في مختلف العلوم النقلية والعقلية التي كانت تطبع عصره، ورحالة كبيرا فرض نفوذه العلمي على ثلاثة دول كانت مركز اشعاع الحضارة الاسلامية فى هذه البقعـــة من العالــم ..

فعند ما انتهيت من قراءة هذا الكتاب للمرة الاولى والثانية ، تساءلت في حزن وفي اسى

لما ذا لم يهتم رجال البحث العلمي العرب وغير العرب بهذه الشخصية الخطيرة ؟ لما ذا تجاهله ، بعض رجال العلم الذين اهتموا بالتراث العربي فى الغــرب الاسلامــي ؟

ولم اخرج بجواب شاف ، الا اننا هنا في غـرب العـروبــة ما زلنا فـي حاجــة ماســة للبحـث عن تراثنــا ، وتراث اجدادنا لنتمكــن بعمـق مـن معرفه عصور حضارتنا الغابرة ذلك لان احمد بن عميرة المخزومي ليس وحده الذي كان مجهولا بل هنالـك لحد الان عشرات بل مئات الاعلام فى شرق وغرب العروبة ما زالوا في زوايا الاهمال ، وما زالوا ينتظرون اليـد البيضاء والعقل المنهجي العلمي الذي سيخرجهم الى الوجود ، والى نور الحضارة الجديد ليتفاعلوا معهـا، بنفس المساهمة التي اسهموا فيها فى الماضى .

والان .. اذ اصفق بحرارة لهذا العمل المشكور الذي اسداه الاستاذ ابن شريفـة الى الادب المغربـي والى الخزانة العربية ، ارجو كما تمنى ذلك قبلي الاستـاذ محمد الفاسي في تقديمـه لهذا العمـل ، ان يتمكن الاستاذ ابن شريفة من الالتفات الى انتاج ابن عميـرة سواء منه ، رسائله ، او كتبه ، او شعره لتحقيقه ، ونشره بين الناس فى اطار احياء تراثنا الذهبي ، ذلك التراث الذي يعطي للعالم الوجه الحقيقي للحضارة العربية في الغرب الاسلامي

الرباط ـــ محمد اديب السلاوي

أنباء ثقافية

❋ انعقدت بقصر مرشان فى مدينة طنجة مؤخرا الدورة الرابعة للمجلس الاداري للمركز الافريقي للتكوين والابحاث الادارية للتنمية .

وحضر هذه الدوره مندوبون عن منظمة الامم المتحدة ، واليونيسكو ، واللجنة الاقتصادية لافريقيا، ومندوبون عن عشر دول افريقية بالاضافة الى مراقبين عن بعض الدول بينها ليبيا والجزائر ، وغانا . ومن جهة أخرى تقرر خلال اجتماع المعهد الدولي للعلوم الادارية الذى انعقد مؤخرا فى مدينة زاريا بنيجيريا عقد الاجتماع المقبل ، للمدرين الافارقة ، والمعاهد الادارية العمومية فى شهر نوفمبر سنة 1967 ، وذلك تحت اشراف المركز الافريقى للتكوين والابحاث الادارية .

❋ قامت الكاتبة الانجليزية الآنسة ايريل ميريل، بزيارة للمغرب ، لتاليف كتاب عنه .

❋ أقام اتحاد كتاب المغرب العربى ، حفلة استقبال بمقره بدار الفكر ، على شرف الاستاذ محمود المسعدي ، الكاتب المعروف ، ووزير التربية الوطنية التونسى ، بمناسبة الزيارة التي قام بها الى المغرب في اطار التعاون بين الحكومتين التونسية والمغربية فى ميدان التربية . وقد كانت فرصة للالتقاء الاستاذ المسعدي بالادباء المغاربة ، وتبادل وجهات النظر حول القضايا التي تشغل الفكر فى اقطار المغرب العربى بصفة عامة .

❋ « دعوة القرآن » اسم كتاب صدر مؤخرا فى المغرب للمرحوم عبد العزيز بن ادريس .

❋ يقوم حاليا الكاتب الانجليزي روم لاندو بزيارة مدينة فاس ، حيث يقوم بتأليف كتاب يدرس فيه الفن المعماري المغربي . ومن المعلوم أن المؤلف له عدة كتب عن المغرب .

❋ الاستاذ السيد عبد القادر السميحي يعد رواية طويلة عن « مأساة الانسان منذ آدام »

❋ اقيمت يوم 9 يوليو الماضي احتفالات بعيد الشباب الذي يصادف ذكرى ميلاد جلالة الملك . وقد وجه جلالة الملك بالمناسبة خطابا بالاذاعة والتيلفزيون، الذي خصص هذه السنة تحت شعار تنمية المجتمع .

❋ ساهم المغرب بوفد برأسه الاستاذ الناصر الفاسى نائب كاتب الدولة فى التربية والتعليم فى اعمال الدورة التاسعة والعشرين للمؤتمر الدولي للتعليم الذي عقد مؤخرا فى جنيف . وقد درست فى هذه الدورة مسألتان : الاولى تخص الابحاث البيداغوجية، والثانية تتعلق بالمعلمين فى الخارج .

❋ تعكف اللجنة الثقافية بصفاقس بتونس فى اصدار مجلة أدبية جامعة تساهم فى خدمة الثقافة، وتسجل أهم أحداث الجهة ، وانجازاتها فى شتى الميادين . واللجنة منكبة على اعداد هذا المشروع بعناية فائقة حتى تضمن له التقدم والنجاح .

❋ صدر فى تونس العدد الاول من مجلة «موفلي» عن المكتب الجهوي لاشبال الجمهورية التونسية .

❋ زارت المغرب بعثة من طلبة جامعة (دبلن) حيث قامت باجراء بحوث علمية فى الاطلس تتعلق بالنباتات والحيوانات فى هذه المنطقة . والتقطت البعثة فلما عن الحيوانات بالمناطق التي تعيش فيها، والفلم لحساب شركة ب ب س كما التقطت فلما آخر لحساب التلفزة الايرلندية

❋ اعلن الدكتور طه حسين قبل سفره الى ايطاليا للراحة ان عدم فهمه لعبقريات الاستاذ عباس محمود العقاد يرجع الى شخصه لا الى العقاد أو اسلوبه فى الكتابة

سعـــادة العامـــل
ايهـــا الاخـــوة المومنـــون
ايهـــا الاخـــوة المواطنـــون

ان خير ما نفتتح به ، ونحن بصدد تدشين هذا المسجد الجديد ، ان نتوجه الى الله تبـارك وتعالـى بالشكر والثناء قائلين كما علمنا سبحانه ان نقـول: « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتـدي لولا ان هــدانا الله » وان نضرع الى الله جلت قدرتـــه ، ان يلهمنا جميعا وعلى رأسنا صاحب الجلالة مولانا اميــر المومنين الحسن الثاني ، أيده الله ونصره ، وخلـد فى الصالحات ذكره، التشبثبالحنيفية السمحاء، والسير على المحجة البيضاء التي لايزيغ عنها الا هالك ، كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وبعد ، فانه لمما يثلج صدري ويشرفني ويملاني بالغبطة والسرور ، ان يتكرم مولانا صاحب الجلالـة امير المومنين الملك الصالح الحسن الثاني نصره الله ، فيوفدني اليكم فى هذا اليوم السعيد ، لادشن باسـم جلالته هذا المسجد ، ولابلغكم معشر المومنين سكـان طنجة الكرام عطف جلالته السامـي ورضاه الابـوي الكريم ، وانه لغير خاف عليكم ان مدينة طنجة تحتـل من قلب جلالـــة ملكنا المحبـــوب المفدى مكانا ممتازا واهمية خاصة ، نظرا لعوامل كثيرة متعـددة منهـــا وضعيتها الادارية السابقة التى كانت تفصلها فصــلا عن بقية اجزاء الوطن الاخرى ، والتي خلفت عــواقب وخيمة لايزال جلالته يبذل النفس والنفيس من اجل التغلب عليها ومحــو آثارهـــا

ومنها ان طنجــة باب المغرب الذي انفتح منه دائما ولا يزال على عوالـم اخــرى

ومنها انها المدينة السياحية الجميلـة المضياف، ذات الماضي العريق فى المجد والمفاخر والمكرمات

وما هذا العمل الذي نقـــوم به اليوم ، وهـــو تدشين هذا المسجد الجديد بمدينة طنجة الا مظهــرا من مظاهر الاهتمام الخاص الذي يوليه مولانا صاحب الجلالة امير المومنين الحسن الثاني لمدينتكم هذه ، فى جانب من جوانب حياتها ، هو الجانب الروحي ، كمـا يوليها نصره الله ، نفس الاهتمام فى جميـع الجوانب والمجـالات الاخـــرى

وان جولة واحدة فى رحاب هذا المسجد الـذي ندشنه اليوم والذي أسس على تقوى من الله ورضوان، لكافية لاعطاء فكرة عن المجهـــودات التي بذلت فيه ، والمقادير المالية التي صرفت فى بنائه وزخرفته حتـى جاء آيـة من آيـات الفن والابداع ، وشهادة اخـرى للعبقرية المغربية الاصيلة المتميزة بالدقة والاتقـــان، وجمال الذوق ورفاهة الاحساس

ويأتي هذا العمل الجليل ، فى اعقاب اعمال اخرى شرفت وزارة الاوقاف بانجازها فى مدينـة طنجـة وضواحيها تنفيذا لاوامر جلالته السامية وتوجيهاتـه السديدة الموفقة

تلك الاوامر والتوجيهات التي يصدر فيها جلالته عن قلب عامر بالايمان ، ملـيء بحب الله ، مستعـد لتحمل اكبر التضحيات واغلاها فى سبيل نصرة هـذا الدين الحنيف ، ورفع منارتـه ، وتيسير السبيل اليه

ونذكر من هذه الاعمال على سبيل المثال ، توسعة المسجد الاعظم تلك التوسعة التي جعلت منه مسجدا آخر غير الذي كان بحيث تضاعفت مساحته وجـدد بناؤه ، واعيـــدت معالمـه

ونذكر من هذه الاعمال ايضا على سبيل المثـال، احياء مدرسة دار زهيرو فى ضواحي طنجـه هـذه المدرسة العريقة التى كادت تندرس آثارها وتتعطـل نهائيا عن اداء مهمتها المقدسة وهى الحفاظ على القرآن الكريم بقراءاته السبع ، محفوظا فى الصدور ، الى ان اتاح الله لها جلالة الحسن الثاني ، فجـدد ما اندرس واحياها بعد مــوت واعادهـا الى سالف مجدهـــا وازدهارها وها هى اليوم والحمد لله ، تؤدى مهمتهـا على احسن وجه واكمله ، وتتعاون هي من جهة ودار الحديث فى الرباط من جهة اخرى على انارة الطريـــق الى المحجة البيضـاء التى ليلها كنهارها ، ونهارها كليلها، لايزيغ عنها الا هالك ، كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليـــه وسلم

فاللهم احفظ الحسن الثانى بما حفظت به الذكر الحكيم ، وجـازه يارب عن الاسلام والمسلمين احسن الجزاء ، انك سميع مجيب الدعـاء

واخيرا ، فانــه ليسرني ان ازف اليكـم معشر المومنين نبأ ستتلقونه ولا شك بمزيد البهجة والارتياح، وهو ان جلالة مولانا الملك المومن الصـالح تفضل فوافق على ان يطلق اسم جلالته على هذا المسجد الذي نقـوم اليــوم بتدشينـــه .

فهـــو من الآن ، وعلى بركة الله ، والى ان يرث الله الارض ومن عليها ، « مسجــد الحسن الثانــي » والسلام عليكـم ورحمـة اللــه .

* دائرة معارف في الفن الغنائي في المائة سنة الماضية ، انتهى من اعدادها فكري بطرس المؤرخ والناقد الفني في العربية المتحدة تتناول الدائرة تطور فن الغناء في البلاد العربية ، واثر الحان عبده الحامولي وسلامة حجازي وسيد درويش في جميع البلاد العربية

الموسوعة تعرض لاشهر مطربي وملحني ومؤلفي الموسيقى والغناء .. وكيف والى أي حد تأثروا بالموسيقى والغناء التي انبعثت من القاهرة الى جميع البلاد العربية .. واثر الموسيقى الشرقية في الالحان الغربية .

أمدت وزارات الاعلام والثقافة في البلاد العربية فكري بطرس بكثير من البيانات والمعلومات التي تتناولها الموسوعة .

* تم طبع ونشر كتاب « مختصر الاغاني » لابن منظور على نفقة سمو أمير قطر الشيخ علي بن ثاني، وذلك بمطبعة زهير الشاويش ، وقد حذف من هذه الطبعة اخبار ابى نواس مع العلم انها من أهم وامتع ما في هذا الكتاب ..

وقد صدر بثمانية مجلدات

* نشر المجلس الاسلامي في القاهرة كتاب « الدرر في المغازي والسير » لابن عبد البر القرطبي تحقيق الدكتور شوقي ضيف

* طبع الآن في الدار المصرية كتاب « بهجة المجالس وانس الجالس » لابن عبد البر القرطبي قام بتحقيقه الاستاذ محمد الخولي بجامعة الدول العربية

* الدكتور احمد الحوفي يتولى كتابة المقدمة التحليلية لاول مجموعة من القصص الاسلامية التي يصدرها المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية . توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس قرر أن تصدر ترجمة بالانجليزية لهذه المجموعة لتوزيعها في الدول الافريقية والاسيوية التي يتحدث فيها المسلمون بالانجليزية . المجموعة القصصية من تأليف القصاص حسين الطوخي الذي توفر اخيرا على كتابة هذا اللون

* ناصر الدين النشاشيبي انتهى من وضع كتابه الرابع عشر بعنوان « سفير متجول » ضمنه تجربته ودراسته التي قام بها في العواصم الاوروبية طوال العام الماضي خلال عمله في الجامعة العربية .

* سلمت الجامعة العربية قرارات تعيين مديري مكاتب الجامعة في الخارج الى المديرين الجدد وهم السادة : صلاح الدين فريد في طوكيو وطالب شبيب في لندن وقاسم الزهيري في جنيف وفؤاد الشايب في الارجنتين ، وعادل عاسر في باريس واحمد فؤاد نجيب في نيودلهي ومحمد السبكي في داكار وسعد طه في نيروبي .

* تصدر عن وزارة الثقافة والارشاد القومي « سلسلة التراث القديم » لنشر الكتب المخطوطة التي لم يسبق نشرها بعد تحقيقها تحقيقا علميا وافيا . ويطبع الآن في هذه السلسلة الجزء الرابع من مخطوطة « مجمع الآداب في معجم الالقاب » لعبد الرزاق بن الفوطي قام بتحقيقه الدكتور مصطفى جواد ، ويضم هذا الجزء تراجم اعلام الادب والفكر في التاريخ العربي في عصر ازدهار النهضة العربية حتى اواخر القرن السابع الهجري .

* عميد الادب العربي الدكتور طه حسين، سيتناول فيلم سينمائي قصة حياته بأسلوب مشوق، يرى فيه المتفرج معالم صور انسانية لرجل تمكن بالارادة والكبرياء الحصول على ما كان يتمناه ...

ستنتقل الكاميرا الى الاماكن التي عاش فيها الدكتور طه حسين ، ومنها حي الحسين والازهر في القاهرة ... والسربون والحي اللاتيني في فرنسا ثم الجامعة المصرية .

المرشحان الوحيدان حتى الآن لتمثيل قصة حياة عميد الادب العربي ، هما شكري سرحان وناديا لطفي التى ستمثل دور زوجته الفرنسية ، وسيكون انتاج الفيلم مشتركا بين مصر وفرنسا ، باعتبارها البلد الذي قضى فيه طه حسين جانبا كبيرا من حياته

وتستعد شركة الانتاج العالمي في القاهرة لاعداد فيلم الدكتور طه حسين الذي قد يبدأ تصويره في الايام القريبة .

* ستصدر مؤسسة التأليف والنشر التابعة لوزارة الثقافة المصرية سلسلة من الكتب السياسية.

سبق للدكتور طه حسين ان اجاب فى ندوته التلفزيونية المعروفة انه قرأ عبقريات العقاد فلم يفهمها

* سئل الاستاذ نجيب محفوظ من قبل مندوب جريدة (اخبار اليوم) القاهرية : هل يجوز للادب ان ينقد الثورة فأجاب بما يلي :

واجب الادب ان ينقد الثورة فوظيفة الادب الطبيعية هي النقد . ولكن .. يجب ان نفرق بين نوعين من النقد .. نقد للثورة لحساب الثورة . ونقد الثورة لحساب غيرها .

* قررت جامعة بغداد المشاركة فى المؤتمر العالمي السادس لعلم الاجتماع الذي سيعقد فى ايفيان بفرنسا فى ايلول القادم . وقد تقرر ان يمثل الجامعة فى المؤتمر المذكور الدكتور علي الوردي استاذ علم الاجتماع في جامعة بغداد . ومن المقرر ان يبحث المؤتمر مواضيع مختلفة اهمها موضوع العلاقات الدولية وخصوصا فى الدول الناشئة من الناحية الاجتماعية .

* اعلنت جامعة متشيجيان الامريكية التي نجحت بالاشتراك مع مصلحة الآثار الاردنية فى الكشف عن خزان المياه الاثري بالقرب من عمان ان الكتابة العربية التي وجدت على جدران الخزان قد تكون الحلقة المفقودة بين الابجدية العربية التي كانت معروفة فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد والابجدية العربية التي انتشرت فى القرن السابع بعد الميلاد .

* اعدت الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم فى القاهرة مشروعا باخراج تفسير مبسط للقرآن الكريم ، يناسب العصر الحاضر ويسهل على الناس تفهم معاني القرآن ومن ناحية اخرى يمكن الحصول عليه بثمن زهيد جدا . سينفذ المشروع، الذي اعتمد له مبلغ 5 000 جنيه ، على اساس اختيار ثلاثين عالما يفسر كل منهم جزءا من القرآن ، ثم يراجع التفسير كله بواسطة لجنة ويوضع فى صيغته النهائية

* تدرس دار الحديث فى القاهرة حاليا مشروعا ضخما لم يسبق له مثيل فى اية دولة اسلامية .. المشروع هو تأليف واخراج موسوعة كاملة تسمى « موسوعة السنة » وتشتمل على :

— مقدمة مستفيضة فى التعريف بالسنة ، وبيان مكانتها من القرآن الكريم ومن التشريع .

— التعريف بالمصطلحات بحسب الترتيب الابجدي

— التعريف بالرجال منسقا على حسب الطبقات ومرتبا الترتيب الابجدي

— جمع الاحاديث وترتيبها على احسن الاساليب

وقد اجتمعت لجنة من كبار رجال الحديث ووضعت الخطوط الرئيسية لهذا العمل الديني الكبير ،الذي سيكون مفخرة لمصر ، وسيوزع على اوسع نطاق لتعميق الوعي الديني .

* منعت السلطات المسئولة فى ايران دخول معجم « المنجد » الى بلادها ، وذلك بسبب ورود كلمة « الخليج العربي » فى بعض صفحاته .

* نعت انباء مكة العالم الفاضل والمحقق الشهير الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي أمين مكتبة الحرم المكي الشريف ومؤلف كتب « الانوار الكاشفة » و « طليعة التنكيل » و « رسالة عن مقام ابراهيم » ومحقق « الانساب » للسمعاني و « الاكمال » لابن ماكولا

* انتهت الشاعرة نازك الملائكة الاستاذة فى جامعة البصرة من اعداد ديوان والدتها الشاعرة المرحومة السيدة ام نزار الملائكة تمهيدا لتقديمه للمطبعة قريبا.

وقد انتهت ايضا من كتابة مقدمة الديوان الجديد كما انها ستقدم للطبع قريبا ملحمة شعرية ضمنتها آراء فلسفية فى السعادة .

* عقد المجمع اللغوي فى القاهرة جلسة علنية لتأبين فقيد الادب أمين الخولي عضو المجمع . وقد افتتح الحفل بكلمة تابين للدكتور طه حسين القيت عنه بالنيابة لعدم حضوره تم كلمة مدير جامعة الازهر وعضو المجمع الباقوري واختتمت الحفلة الدكتورة بنت الشاطيء حيث القت كلمة شكر للمجمع ولمسة وفائه فى تكريم زوجها حيا وراحلا .

وقد اقامت جمعية الادباء حفل تأبين للمرحوم الاستاذ امين الخولي . وقد حضرت حفل التأبين الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) زوجة الفقيد . واشترك فى تأبينه د. عز الدين اسماعيل و د. محمد جابر الشيخ ، وفاروق خرشيد ، وتوفيق حنا، وماهر شفيق فريد ، وعبد العزيز الدالي ، وعبد الحليم عبد الله .

* صدر للدكتور حلمي علي مرزوق كتاب بعنوان « تطور النقد والتفكير الادبي الحديث فى الربع الاول من القرن العشرين » فى 500 صفحة من القطع الكبير.

* احتفل بالذكرى التاسعة والعشرين لوفاة مصطفى صادق الرافعي

* رسالة ماجستير عن اغاني الافراح فى الادب الشعبي ، تناقشها سهير القلماوي وعبد العزيز الاهواني وعبد الحميد يونس لاحمد علي مرسى بآداب القاهرة .

* الشاعر الدكتور كمال نشأت استاذ الادب العربي بالمعهد العالمي للفنون المسرحية عين عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب .

* صدر المجلد (1 ـ 2) من كتاب « الدرر الكامنه ، فى اعيان المائة الثامنة » لابن حجر العسقلاني، تحقيق السيد جاد الرب خطيب المسجد الزينبي .

* صدر المجلد الاول من كتاب (سيبويه) تحقيق عبد السلام هارون ، وسيصدر بستة مجلدات .

* تجري بكلية اللغة العربية بالازهر مناقشة رسالة دكتورة فى الادب موضوعها « صريع الغواني مسلم بن الوليد » التي تقدم بها الاستاذ عبد اللطيف خليف ، ويرأس لجنة المناقشة الدكتور محمد نايل رئيس قسم الادب بالكلية .

* المركز الثقافي السوفيتي بالقاهرة احتفل بمرور عام على وفاة الدكتور محمد مندور . كان خطيبا التأبين : عبد الرحمن الخميسي والدكتور كوتساريف مدير مكتب الصحافة السوفيتي بالقاهرة.

* « ام كلثوم » كتاب يؤرخ للفن فى النصف الاخير من هذا القرن . ويتحدث عن أعلام الموسيقى.. وطريقة الاداء التي تتميز بها أم كلثوم . الكتاب دراسة كتبتها الدكتورة نعمات احمد فؤاد .

* شهدت جمهورية الداهومي الآن اول سيدة تعمل فى منصب قضائي . فقد اقسمت السيدة اليزابيت بوتيو اليمين القانونية فى اثناء حفل افتتاح محكمة الاستئناف فى كوتونو . والسيدة بوتيو فى الثامنة والعشرين من العمر ، وتعتبر الآن ثالث امرأة تعمل فى القضاء ، فى افريقيا الوسطى بعد السيدة كيكي فى جمهورية التوجو والسيدة ديو فى السنغال .

* عودة الروح ، الوعد الحق ، بداية ونهاية، فى بيتنا رجل ، حقائق الاسلام ، قنديل ام هاشم، احاديث جدتي ، يترجمها المجلس الاعلى للفنون والآداب الى الايطاليه .

* مدرسة جديدة لتخريج جيل جديد من المحققين فى التراث القديم بدار الكتب ، تقرر افتتاحها لاول مرة ، بعد انقراض هذا النوع من المتخصصين .

* منعت سوريا ولبنان وليبيا وتونس دخول مجلة « منبر الاسلام » التي يصدرها مجلس الشؤون الاسلامية فى القاهرة .

* « يا طالع الشجرة ، وايزيس » لتوفيق الحكيم ، و « جمهورية فرحات ، وملك القطن » ليوسف ادريس ، و « حواء » لتيمور ، و « مصرع كليوباترة » لاحمد شوقي ، و « سر الحاكم بأمر الله » لباكثير ستترجم للانجليزية والفرنسية .

* وضعت الحكومة الحبشية ، بالتعاون مع اليونسكو ، مشروعا للابنية المدرسية يبدأ العمل فيه منذ الآن ويستمر حتى عام 1970 ويقدر له ان يكتب فى زيادة امكانيات التعليم الثانوي فى البلاد بنسبة مقدارها 65 ٪ هذا وستتكلف نفقات هذا المشروع ما يقرب من 11 مليون دولار تساهم فيها « الرابطة الدولية للتطوير والتنمية » وهي احدى فروع البنك الدولي بمبلغ 2ر7 مليون دولار بصفة قرض طويل الاجل .

* اقامت وزارة الثقافة السورية معرضا للتصوير السوري المعاصر ، فى متحف سرسق بيروت .

* احيت الندوة الثقافية النسائية فى سوريا امسية اشترك فيها الشاعرة عزيزة هارون والدكتور كاظم الداغستاني .

* اقامت وزارة الثقافة السورية اسبوعا لانقاذ آثار النوبة .

تهدف الى الكشف عن ابعاد الفكر السياسي عند العرب . وتبرز الاصول التي انتهوا اليها في سياسة الرعية وسياسة الجند . والسياسة المالية والادارية والفقه الدولي . مع تقييم كل ذلك . وتحديد مكانه من الفكر السياسي المعاصر مع تحقيق ونشر مجموعات من امهات الكتب السياسية التي يعتبر نشرها انصافا للاصالة العربية التي شهد لها العلماء الاجانب المنصفون ، وخاصة في مجال العلاقات الدولية والفكر السياسي .. وقد شكلت لجنة لهذا المشروع من فضيلة الشيخ محمد فرج السنهوري مقررا والشيخ احمد هويدي مفتي الجمهورية العربية المتحدة وأساتذة الجامعة الدكاترة عبد الله العربان وسليمان الطماوي وحافظ غانم وعز الدين فودة وابراهيم الابياري .

* صادف يوم 4 يوليو الماضي الذكرى السادسة للمناداة بالاخطل الصغير بشارة الخوري اميرا الشعر ، حيث اجتمع منذ خمس سنوات في الرابع من يوليو 1961 الوف من عشاق هذا الشاعر من مصر والعراق وسورية ينادون به أميرا الشعر . وقد تقرر في هذا المهرجان الشعري :

1) اطلاق اسم الاخطل على شارع كبير في بيروت . (2) اقامة تمثال للشاعر في ساحة الاونيسكو . (3) وضع صورته في المكتبة الوطنية . (4) اطلاق اسمه على جناح في بيت الصحافة .

ولكن طيلة السنوات الخمس التي مرت لم ينفذ اي واحد من هذه القرارات وبقي الشاعر الكبير يعاني عزلته وامراضه وهذه الوحدة القاسية وهو يتمتم في وجه اللبنانيين :

كأنني لم أكن عنوان فخرهم
يوم انطلاق القوافي في الميادين
اني لمن معشر لولا يراعتهم
ما كان لبنان غير الماء والطين

* تقرر اصدار مجلة جديدة في ج.ع.م. باسم « الادب الحديث » بدلا من مجلتي « الرسالة » و « الثقافة » تضم المقالات والبحوث والقصص القصيرة والوان الشعر المختلفة . ويفسح فيها المجال للناشئين وأدباء الاقاليم ؛ مع الابقاء على مجلتي « المجلة » و « الفكر المعاصر »

* تقرر اصدار سلسلة كتب عن العلوم بطريقة مبسطة كلما تجمعت مادتها بالاضافة الى المجلات المتخصصة كالمسرح والكتاب العربي .

* عهد المجلس الاعلى لرعاية الآداب والفنون في العربية المتحدة الى الدكتور عبد العزيز الاهواني بتحقيق أزجال « ابن قزمان » .. وهو زجال عاش في الاندلس في القرن السادس الهجري .. لاعادة طبعها .. كما عهد الى الشاعر احمد رامي بتحقيق الازجال التي حفظت في المخطوطات العربية وخاصة مخطوطات احمد تيمور بدار الكتب .. واسند الى سعد الخادم جمع الصور التي تشتمل عليها المخطوطات العربية القديمة والتي تحمل سمات شعبية كالصور التي توجد في كتب السحر والحيوان وكتب السير والنوادر والقصص وتخرج في « البوم » مصور بالالوان مع شرح له ..

* استحدثت جامعة كاليفورنيا وساما باسم جيورجيو ليفي ديلافيدا لتكريم مشاهير العلماء الذين يقدمون احسن الدراسات في المدنية الاسلامية وقد أعلن عن ذلك كل من فرانكلين مورفي والبروفسور كوستاف فون كراونبوم مدير مركز دراسات الشرق الادنى بجامعة كاليفورنيا .

وقد اطلق على هذا الوسام البرونزي الذي يحمل معه ايضا جائزة نقدية قدرها 1 000 دولار . اسم جيورجي ليفي ديلافيدا العالم الانساني الايطالي الكبير الذي يعتبر من مشاهير رجال العالم .

* انتقل الى رحمة الله في القاهرة الاستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي من كبار علماء الازهر ولقد شارك الفقيد الكبير بما يزيد على الاربعين عاما في مصر والدول العربية والاسلامية في حركة الاصلاح والاجتهاد .

* لا يزال كتاب « ديكارت » للدكتور عثمان امين هو احسن واجمل واوفى كتاب صدر باللغة العربية عن الفيلسوف الفرنسي ديكارت وقد استطاع الدكتور عثمان امين ان يخلد في هذا الكتاب حياة وظروف وفلسفة ديكارت في عبارة مشرقة وجميلة .. وقد ظهرت طبعته الخامسة مهداة « الى ذكرى الاديب الفيلسوف عباس العقاد » .

* نظمت الحكومة السوفييتية ، بمعاونة اليونسكو دورة دراسية دولية فى موضوع القراءة والكتابة بين الراشدين ، تعقد فى مدينة طشقند عاصمة ازبكستان . وتضم هذه الدورة ما يقرب من ثلاثين من الافريقيين والاخصائيين السوفييت ، ومندوبي الدول غير الافريقية .

وتهدف هذه الدورة الى تشجيع التبادل والتعاون ، فى الخبرات المتصلة بتعليم القراءة والكتابة بين الاخصائيين السوفييت والافريقيين والعمل على ادماج هذه البرامج فى اطار الخطط القومية للتطوير والتنمية .

* نظرت الاوساط العلمية مؤخرا فى فكرة مشروع جديد للاعلام العلمي عن طريق استخدام الكواكب والافلام الصناعية .

عرضت الفكرة فى اجتماع عقدته لجنة الابحاث الهيدرولوجية بالمجلس الاعلى للاتحادات العلمية بمقر اليونسكو فى باريس . وتتلخص الفكرة فى ان يسعى « العقد الهيدرولوجي الدولي » الى تنظيم اعلامي على المستوى العالمي ، باستخدام الافلاك الصناعية والآلات الحاسبة فى شؤون المياه وعلومها .

* ظهرت الطبعة العشرون من الحولية السنوية العالمية للراديو والتلفزيون بعد التنقيح والتعديل للاحاطة بآخر التطورات فى هذا الميدان .

ويعتبر هذا التقرير مرجعا لاغنى عنه للمشتغلين بالاذاعة والتلفزيون فى كل انحاء العالم .. اذ انهم يجدون فيه ، الى جانب المعلومات الخاصة بمختلف محطات الارسال فى العالم ، عددا من المقالات فى موضوعات فنية متخصصة كوسائل الاتصال التلفيزيوني بين القارات والتلفيزيون الملون ، والراديو، والتلفيزيون فى خدمة التعليم والاعلام .

* كانت برامج محو الامية فى الماضي تتجه عادة الى المواطنين فى مجموعهم ، تسعى الى تعليم اكبر عدد منهم حسب الوسائل والطرق التقليدية . اما السياسة الحالية التي تنهجها اليونسكو والتي تنهض اساسا على كونها تسير فى دور التنفيذ ، فهي عبارة عن خطة واسعة النطاق قائمة على مبدا الانتقاء .. وبعبارة اخرى فهي سياسة تستهدف اتخاذ التعليم وسيلة فعالة فى خدمة التطور الاقتصادي والاجتماعي.

* اسست الاكاديمية اليوغوسلافية للفنون والعلوم معهدا « للسلام وفلسفة العلوم » يعتبر نموذجا جديدا بين المعاهد .

ويرجع الفضل فى الايحاء بفكرة المعهد الى العالم « ايفان سوبك » عضو الاكاديمية ورئيس جماعة « بوجواش » اليوغوسلافية ، وتضم هذه الجماعة لفيفا من العلماء العاملين فى سبيل تطبيق المكتشفات تطبيقا يخدم السلام .

ومن المعروف ان هذه الجماعة دعا اليها وسعى الى تكوينها العالم الكبير اينشتيم .

* ان نصف عدد الراشدين فى العالم تقريبا لايعرفون القراءة والكتابة ، اي ما يبلغ تعداده 750 مليونا من الناس ، يعيش معظمهم فى المناطق التي تعرف بانها سير فى طريق التنمية ، وهي بلاد تنوء تحت اعباء البؤس والمرض ، ومناطق لم تسمح لها الفرص المادية لكي تنشيء العدد الكافي من المدارس لتعليم ابنائها فى نفس الوقت الذي تفتقر فيه اكثر من غيرها الى المواطنين المتعلمين المؤهلين للقيام باعباء التطوير والتنمية فى البلاد ... ذلك ان الامية تعد فى هذه المناطق ، سببا لانخفاض المعيشة فى البلاد ونتيجة فى الوقت نفسه لهذا الانخفاض .

* ازداد تعداد سكان العالم العربي من 92 مليون نسمة فى عام 1960 الى 105 مليون فى عام 1965 ، كما ازداد عدد التلاميذ والطلاب من جميع المستويات من 8 الى 12 مليونا تقريبا خلال نفس المدة .

وكان عدد التلاميذ الابتدائيين 6.300.000 تلميذا فى عام 1959 — 1960 فاصبح 9.700.000 فى عام 1964 — 1965 اي بنسبة متوسطة فى الزيادة تبلغ 9 ٪ سنويا 85 ٪ للبنين 10 ٪ للبنات . اما عدد تلاميذ المدارس الثانوية من جميع الفئات (اي التعليم العام ، والمهني ، واعداد المعلمين) فقد ازداد من 324٫000 فى عام 1959 — 1960 الى 1٫941٫000 فى عام 1964 — 1965 فى عشرة بلاد عربية (العراق، والاردن ، والكويت ، ولبنان ، وليبيا ، والمغرب، والجمهورية العربية المتحدة ، والسودان ، وسوريا،

كما اقامت وزارة الثقافة مهرجانا سينمائيا للافلام الفرنسية والسوفيتية والمجرية والبلغارية والصينية وافلام مؤسسة السينما .

كما افتتحت نفس الوزارة معرضا لفن التصوير الادربيجاني السوفييتي فى المتحف الوطني بدمشق .

* فازت رواية « حسن جبل » لفارس زرزور بالجائزة الاولى فى المسابقة التي نظمها المجلس الاعلى لرعاية الآداب ، وفازت رواية « ابو صابر » لسلامة عبيد بالجائزة الثانية ، وفازت رواية « ذات الساق المبتورة » لفاري عرابي بالجائزة الثالثة .

* دار القلم اتفقت مع الاستاذ احمد حسن الباقوري مدير جامعة الازهر على اكمال تفسير القرآن الكريم الذي انجز منه فضيلة الشيخ محمود شلتوت عشرة اجزاء نشرت فى مجلد واحد .

* مجموعة من المقالات والمقدمات لاديب فرنسا فرنسوا مورياك الحائزة على جائزة نوبل صدرت فى كتاب بعنوان « الآخرون وانا » والكتاب هو خلاصة حكمة الاديب الكبير فى النقد الادبي والمسرحي والفلسفي .

* بدأ العمل الآن فى تصوير الاجزاء الاولى من فيلم لبناني اطلاعي يتناول موضوع « عند العرب » ويخرجه السيد انطوان مشحور . هذا وسيتم تصوير الاجزاء الاخرى فى كل من سوريا والعراق وايران .

ولقد رجع المخرج فى اعداد السيناريو الى الابحاث العلمية فى عدة عواصم ، نخص منها بالذكر باريس ، ولندن ، وتونس ، وطرابلس ، كما اطلع على ما يقرب من 250 مصنفا طبيا وتاريخيا .

وتتبع قصة الفيلم تطور علم الطب عند العرب حتى وفاة ابن سينا عام 1307 وتتعرض لشخصيات بارزة فى عالم الطب ، مثل حنين بن اسحاق ، وابن البيطار ، وابن سينا وغيرهم . كما يعرج الفيلم ايضا على علوم الصيدلية وتاريخ المستشفيات فى البلاد العربية .

وهذا الفيلم من انتاج المركز القومي للسينما فى بيروت ، والفيلم نفسه حلقة فى سلسلة من الافلام الاطلاعية تستعرض ما اسهم به العرب فى الحضارة . اما الافلام الاخرى فسيتم انتاجها فى الجمهورية العربية المتحدة ، وسوريا ، وتونس على الترتيب .

* غسان كنفاني يصدر له كتاب « ادب المقاومة فى الارض المحتلة » وهو دراسات عن انتاج الادباء العرب فى فلسطين المحتلة .

* « على هامش الغفران » دراسات للدكتور لويس عوض نشرت مجتمعة فى « كتاب الهلال » وقال عنها النقاد انها غير علمية وغير امينة .

* دار الآداب البيروتية اشترت من ورثة العقاد جميع « عبقرياته » واصدرتها فى مجلد واحد .

* رواية عاطفية وفلسفية وبوليسية فى وقت واحد ؟ هكذا تعلن دار الآداب عن رواية « الشك » لكولن ولسن .

* مجلة « الكتاب » اصدرت عددها الاخير خاصا بدراسة ميثاق الاتحاد العربي الاشتراكي ، بينما قدمت مجلة « الهلال » عددا من دراساتها عنه فى عددها الاخير ايضا .

* صدرت خلال الشهر الماضى 5 كتب هامة، هي : « مفاهيم فى الاشتراكية » لفؤاد الركابي ، و «دور العرب فى تكوين الفكر الاوربي » لعبد الرحمان بدوي ، و « آفاق الفن » ترجمة جبر ابراهيم، و « مدخل الى علم السياسة » لهارولد لاسكي، و « الاصول الحضارية للشخصية » وهو مترجم ايضا عن « رالف لنتون »

* اصدرت مجلة « صوت الفرات » كراسا تضمن بحثين للباحث الفولكلوري عبد القادر عياش : الاول عن العصا فى حياة العرب قديما وحديثا ، والثاني عن مؤونة البيت فى دير الزور .

* اعانت لجنة « مناهضة الامية » فى مدينة طهران ان 2000ر2 من المشتغلين بمهنة تسجيل العقود قد تولوا الآن دورهم فى مكافحة الامية بالبلاد . اذ سيقومون بالمشاركة فى جهود تعلم القراءة والكتابة . ولقد بدا العمل بالفعل منذ نهاية شهر يناير ، فنظموا 60 فصلا دراسيا يضم كل فصل منها عشرين تلميذا

الغرباء » وهو عبارة عن مجموعة قصص لفادة السمان، و « فى البدء فلسطين » مجموعة شعرية لحسن النجمي ، و « النار والطين » مجموعة شعرية لراضي صدوق

* بمناسبة الذكرى الخامسة لمبايعة الاخطل الصغير اميرا للشعر ، وزعت لجنة التكريم خلاصة عما قاله المبايعون فى المهرجان الذي اقيم له فى 4 يونيو 1961 فى قصر اليونيسكو ببيروت .

* صدر فى منشورات دار الثقافة ببيروت ديوان « رجع الصدى » للشاعر صلاح اللبابيدي

* صدرت فى بغداد الكتب الآتية : « ابو تمام الطائي »لخضر الطائي . « الرعاية الاجتماعية ومعاملة المذنبين فى ضوء المفاهيم الحديثة » لمحمد سلمان العطار « الوجيز فى قانون العمل » للدكتور شاب توما منصور . « نشأة المدارس المستقلة فى الاسلام » و « المدار الشرابية ببغداد واواسط مكة » وهما لناجي معروف « المرشد الى موطن الحضارة : الرحلة الثالثة » لطه باقر ، وفؤاد مسفر .

* صدر فى عدن مجلتان اسبوعيتان سياسيتان هما « المستقبل » و « المستقبل »

* اصدر المجمع اللغوي بالقاهرة كتابا يضم تراجم ادبية ، للعلماء ، والادباء ، والمفكرين الذين شغلوا عضويته منذ انشائه الى الآن .

* اعتمد احمد حسن الباقوري ، مدير جامعة الازهر ، مشروع بناء كلية البنات الاسلامية بمدينة نصر على مساحة 40 فدانا . ويضم المقر الجديد مبنى الادارة ، والمكتبة ، ومبنى الاتحاد ، ومسجدا ، ومدرجا يسع 1 000 طالبة ، واقسام الكلية المختلفة للدراسات العربية والاسلامية ، والاجتماعية ، والتجارية ، والطب، والعلوم ، وبيت الطالبات الوافدات ، والمطعم .

* اقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة نتيجة مسابقته الادبية لهذا العام ، وتقضي بفوز كل من الدكتور ماهر حسن فهمي ، ومحمد رجب البيومي ، بالجائزة الثانية ، وقد سحبت الجائزة الاولى ، موضوع المسابقة : « محمد توفيق البكري : حياته وادبه » هذه هي المرة الرابعة التي يفوز فيها محمد رجب البيومي بجائزة المجمع اللغوي .

* اصدرت دائرة الثقافة والفنون فى عمان مجلة شهرية باسم « الافكار » .

* يصدر قريبا عن دار الانوار كتاب « الادخار والاستثمار » لبيار ماري براديل ، وترجمة الاديب السوري نهاد رضا .

وتونس ، بما فى ذلك مدارس الاونروا اي بنسبة متوسطة فى الزيادة تبلغ 6ر11 ٪ سنويا (11 ٪ للبنين و 9ر12 ٪ البنات) وكان عدد طلاب التعليم العالي 000ر145 فى عام 1959 – 1960 ثم ارتفع هذا العدد الى 000ر241 فى عام 1963 – 1964 اي بنسبة متوسطة فى الزيادة تبلغ 5ر13٪ سنويا (13٪ للطلاب و 8ر15٪ للطالبات) وتنبغي الاشارة فى هذا العدد الى ان الاحصاءات الرسمية عن التعليم العالي فى البلاد العربية لاتشتمل دائما على الطلاب والطالبات الملتحقين فى دور التعليم التقليدية او المؤسسات المستقلة او الجامعات الاجنبية .

* رست عند مرسى ميناء لينينغراد على بحر البلطيق سفينة من اسطول البعثة العلمية التابعة لاكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفياتي ، وهي تحمل اسم « الاكاديمي كورتشاتوف » ، وهذه السفينة صنعت فى احواض بناء السفن فى جمهورية المانيا الديمقراطية ، وحمولة هذه السفينة حوالي 7 آلاف طن . وقد وضع على ظهر هذه السفينة العلمية سبعة وعشرون مختبرا لاجراء مجموعة من دراسات المحيط

* ادخلت الاكاديمية الفرنسية تعديلا على تعريف كلمة « شيوعية » فى الطبعة الاخيرة من قاموسها فقد كان كما يلي :

« مذهب اجتماعي يطالب بالغاء حق الملكية الفردية واقرار الملكية الجماعية » .

واصبح القاموس الفرنسي يحتوي على هذا التعريف لكلمة شيوعية :

« مذهب سياسي واقتصادي واجتماعي اساسه جماعية وسائل الانتاج ، نظام سياسي يهدف الى تطبيق هذا المذهب » .

* يبلغ مجموع ما تطبعه الصحافة العالمية فى اليوم الواحد 314 مليونا و 300 نسخة ويوجد فى العالم 4236 مليون جهاز استقبال الاذاعات و 142.272.600 جهاز استقبال للتلفزيون واكثر من 202.000 قاعة سينما ، وعدة آلاف سينما متجولة . وقد ورد جمع هذه الارقام الى جانب غيرها من المعلومات فى التقرير الذي نشر اليونيسكو مؤخرا بعنوان : الاعلام فى انحاء العالم .

من الملاحظ ان وسائل الاعلام – باستثناء الصحافة اليومية – اخذت تنمو منذ عشر سنوات، بسرعة تفوق سرعة ازدياد سكان العالم . فقد ازداد مجموع اجهزة الاذاعة بمعدل 60٪ وتضاعف عدد قاعات السينما ، كما اصبح مجموع اجهزة استقبال التليفزيون ثلاثة اضعاف ماكان عليه .

واما فيما يتعلق بوكالات الانباء فيوجد منها اليوم 160 وكالة فى 82 بلدا بدلا من 906 وكالة كانت توجد منذ خمس عشرة سنة فى 54 بلدا .

ويشير التقرير كذلك الى ان وسائل الاعلام موزعة بصورة غير متساوية على انحاء العالم المختلفة.

* صدر بالفرنسية كتاب يضم اعترافات الامين العام للامم المتحدة ، داك همرشولد . ورغم الادوار التي لعبها على مسرح السياسة الدولية بفضل ما كان يبديه من التعمق فى فهم الاشياء والهدوء والرزانة المتناهيين فان اعترافاته تكشف لنا رجلا قلقا لايقر له قرار ، فيما يتعلق بمسالة العقيدة على الخصوص، وفي الكتاب وردت هذه السطور : ان اصعب الاشياء هي ان يموت المرء ميتة حسنة . ولقد لقي همرشولد حتفه فى حادث طائرة سنة 1961 حينما كان عائدا من الكونغو بعدما قام بمهمة خطيرة هناك .

* بمناسبة الزيارة الاخيرة التى قام بها لمدريد السيد محمد جميل بيهم رئيس دائرة الثقافة اللبنانية ورئيس اكاديمية العلوم سابقا ، اقترح على هيئة معهد الدراسات العربية ، والمعهد الاسباني العربي للثقافة بمدريد ، تاسيس جمعية مؤلفة من خبراء واختصاصيين فى الثقافة الاسبانية والعربية يشارك فيها الاسبانيون والعرب فى مختلف انحاء العالم العربي .

* صدر فى بيروت ديوان « رثاء الخيول الهرمة » للدكتور ميشال سليمان

* « الحركة النسائية اللبنانية » عنوان الكتاب الذي صدر لاميلي فارس ابراهيم فى منشورات دار الثقافة فى بيروت وباشراف المجلس النسائي اللبناني

* عن دار الآداب فى بيروت يصدر قريبا « ادب المقاومة فى الارض المحتلة » لغسان كنفاني ، و « دليل